تفسير ابو السعود

سورة الفاتحة ٢	سورة البقرة ٧	سورة آل عمران ٨٩	سورة النساء ١٣١	سورة المائدة ١٧٢
سورة الانعام ٢٠٤	سورة الاعراف ٢٢٨	سورة الانفال ٢٦٨	سورة التوبة براءة والمشهورة بسورة ٢٨٠	سورة يونس ٣٠٢
سورة هود ٣٢٣	سورة يوسف ٣٤٤	سورة الرعد ٣٦٣	سورة ابراهيم ٣٧٢	سورة الحجر ٣٨٢
سورة النحل ٣٩١	جلد ثاني سورة بني اسرائيل ٤١١	سورة الكهف ٤٢٦	سورة مريم ٤٤١	سورة طه ٤٥٢
سورة الانبياء ٤٦٨	سورة الحج ٤٧٩	سورة المؤمنون ٤٨٩	سورة النور ٤٩٧	سورة الفرقان ٥١٢
سورة الشعراء ٥٢٢	سورة النمل ٥٣١	سورة القصص ٥٤٢	سورة العنكبوت ٥٤٩	سورة الروم ٥٥٥
سورة لقمان ٥٦٠	سورة السجدة ٥٦٣	سورة الاحزاب ٥٦٦	سورة السبأ ٥٧٣	سورة الملائكة ٥٨٠
سورة يس ٥٨٤	سورة الصافات ٥٩٢	سورة ص ٥٩٩	سورة الزمر ٦٠٦	سورة المؤمن ٦١٤
وتسمى المصابيح والسجدة سورة فصلت ٦٢٠	سورة الشورى ٦٢٥	سورة الزخرف ٦٢٩	سورة الدخان ٦٣٥	سورة الجاثية ٦٣٧
سورة الاحقاف ٦٣٩	المشهورة بسورة محمد سورة القتال ٦٤٣	سورة الفتح ٦٤٦	سورة الحجرات ٦٤٩	سورة ق ٦٥٢
سورة الذاريات ٦٥٥	سورة والطور ٦٥٧	سورة والنجم ٦٥٩	وتسمى سورة القمر سورة الساعة ٦٦٢	سورة الرحمن ٦٦٤

سورة الواقعة ٦٦٧	سورة الحديد ٦٧٠	سورة المجادلة ٦٧٣	الحشر سورة الممتحنة ٦٧٥	سورة الممتحنة ٦٧٨
سورة الصف ٦٨٠	سورة الجمعة ٦٨١	سورة المنافقون ٦٨٢	سورة التغابن ٦٨٣	سورة الطلاق ٦٨٤
سورة التحريم ٦٨٥	سورة الملك ٦٨٦	سورة القلم ٦٨٨	سورة الحاقة ٦٩٠	سورة المعارج ٦٩٢
سورة نوح ٦٩٣	سورة الجن ٦٩٥	سورة المزمل ٦٩٧	سورة المدثر ٦٩٨	سورة القيامة ٧٠٠
سورة الدهر ٧٠٢	سورة المرسلات ٧٠٣	سورة النبأ ٧٠٤	سورة النازعات ٧٠٧	سورة عبس ٧١٠
سورة التكوير ٧١٢	سورة الانفطار ٧١٣	سورة التطفيف ٧١٤	سورة الانشقاق ٧١٥	سورة البروج ٧١٦
سورة الطارق ٧١٧	سورة الاعلى ٧١٨	سورة الغاشية ٧١٩	سورة الفجر ٧٢٠	سورة البلد ٧٢٢
سورة الشمس ٧٢٢	سورة والليل ٧٢٣	سورة والضحى ٧٢٤	سورة الم نشرح ٧٢٤	سورة والتين ٧٢٥
سورة العلق ٧٢٥	سورة القدر ٧٢٦	سورة البينة ٧٢٧	سورة الزلزال ٧٢٨	سورة العاديات ٧٢٨
سورة القارعة ٧٢٩	سورة التكاثر ٧٢٩	سورة العصر ٧٣٠	سورة الهمزة ٧٣٠	سورة الفيل ٧٣٠
سورة القريش ٧٣١	سورة الماعون ٧٣١	سورة الكوثر ٧٣١	سورة الكافرون ٧٣١	سورة النصر ٧٣٢

سورة تبت ٧٣٢	سورة الاخلاص ٧٣٣	سورة الفلق ٧٣٣	سورة الناس ٧٣٤	
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعائر الشرائع كل جليل ودقيق أنزل عليه أظهر بيان وأبهر برهان قرآنا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من الكتاب ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب ناطقا بكل أمر رشيد هاديا إلى صراط العزيز الحميد آمرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود تكاد الرواسي لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويتصدع صم الصخور حقيقا بأن تسير به الجبال ويتيسر به كل صعب محال معجزا أفحم كل مصقع من مصاقع الخطباء وبكت كل مفلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الإنس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن الإتيان بمثل آية من آياته نزل عليه على فترة من الرسل ليرشد الأمة إلى أقوم السبل فهداهم إلى الحق وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه فقد فاز بمناه وأما من عانده وعصاه واتخذ إلهه هواه فقد تاه في مرامي الردى وتردى في مهاوي الزور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى آله الأخيار وصحبه الأبرار ما تناوبت الأنوار وتعاقبت الظلم والأضواء وعلى من تبعهم بإحسان مدى الدهور والأزمان

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه الهادي أبو السعود بن محمد العمادي إن الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف منها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا ليست إلا معرفة الصانع المجيد وعبادة الباري المبدئ المعيد ولا سبيل إلى ذلك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل فإنه عز سلطانه وعم برهانه وإن سطر آيات قدرته في صحائف الأكوان ونصب رايات وحدته في صفائح الأعراض والأعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات القسيم وكل نقطة جرى عليها قلم الإبداع وكل رقم رقم في لوح الاختراع مرآة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو آيات ربه فهل من سامع واع ومجيبا صادقا فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم بجادرتاره بأوضح عبارة ويلوح أخرى بألطف إشارة لكن الاستدلال بتلك الآيات والدلائل والاستشهاد بتلك الأمارات والمخايل والتنبه لتلك الإشارات الرمزية والتفطن لما تتلو العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر مما لا تطيق بعقول البشر إلا بتوفيق القوي والقدير فإذن مدار المراد ليس إلا كلام رب العباد إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية والكاشف عن خفايا حظائر القدس والمطلع على خبايا أسرار الإنس وبه تكسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل إلى سعادة الدنيا والآخرة خلا أنه أيضا من علو الشأن وسمو المكان ونهاية الغموض والإعضال وصعوبة المأخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية أعز من بيض الأنوق وأبعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج إلى معارجه الرفيعة ولا يتأتى الرقي إلى مدارجه المنيعة كيف لا وإنه مع كونه متضمنا لدقائق

رقائق العلوم النظرية والعملية ومنطويا على دقائق الفنون الخفية والجلية حاويا لتفاصيل الأحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلائل الأصلية والفرعية منبئا عن أسرار الحقائق والنعوت مخبرا بأطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الأوامر والنواهي وإليه تستند معرفة الأشياء كما هي قد نسج على أغرب منوال وأبدع طراز واحتجبت طلعته بسبحات الإعجاز طويت حقائقه الأبية عن العقول وزويت دقائقه الخفية عن أذهان الفحول يردعون العقول بجانبه ويخطف أبصار البصائر بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته أساطين أئمة التفسير في كل عصر من الأعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين أساطين التقرير والتحرير في كل قطر من الأقطار فغاصوا في لججه وخاضوا في ثبجه فنظموا فرائده في سلك التحرير وأبرزوا فوائده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة الأقدار والفوائد جميلة الآثار أما المتقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الأحكام حسبما بلغهم من سيد الأنام عليه شرائف التحية والسلام وأما المتأخرون المدققون فراموا مع ذلك إظهار مزاياه الرائقة وإبداء خفاياه الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه وليشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن سائر الكتب الكريمة الربانية والزبر العظيمة السبحانية فدونوا أسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرائعة يتضمن كل منها فوائد شريفة تقر بها عيون الأعيان وعوائد لطيفة تتشنف بها آذان الأذهان لا سيما الكشاف وأنوار التنزيل المنفردان بالشأن الجليل والنعت الجميل فإن كلا منهما قد أحرز قصب السبق أي إحراز كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز صحائفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلائد العقيان ولقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما وزمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على الاستمرار آناء الليل وأطراف النهار أن أنظم درر فوائدهما في سمط دقيق وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق وصادفته في أصداف البحار الزاخرة من زواهر الدقائق وأسلك خلالهما بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع حسبما تقتضيه جلالة شأن التنزيل وتستدعيه جزالة نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف تمتد إليها أعناق الهمم من كل ماهر لبيب وغرائب رغائب ترنو إليها أحداق الأمم من كل نحرير أريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الأفهام في مداحض الأقدام وتدقيقات متينة تزيل خطرات الأوهام عن خواطر الأنام في معارك أفكار تشتبه فيها الشؤون ومدارك أنظار تختلط فيها الظنون وأبرز من وراء أستار الكون من دقائق السر المخزون في خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن إليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز وأهديه إلى الخزانة العامرة والغامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الأرض واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض ألا وهو السلطان الأسعد الأعظم والخاقان الأمجد الأكرم مالك الإمامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع رايات الدين الأزهر موضح آيات الشرع الأنور مرغم أنوف الفراعنة والجبابرة معفر جباه القياصرة والأكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام الذي شرق عزمه المنير فانتهى إلى المشرق الأقصى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس وأمد في بجيش عرمرم تزاحم الأفواج وعسكر كخضم متلاطم الأمواج فأصبح ما بين أفقي الطلوع والغروب وما بين نقطتي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت ظلال رايته الرائعة فأصبحت منابر الربع المسكون مشرفة بذكر اسمه الميمون فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط كأنه قضاء ضرب فيه خيامه أو نصب عليه ألويته وأعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الأمم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان البرين وخاقان الخافقين الإمام المقتدر بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدمة

الحرمين الجليلين المعظمين وحامية المقامين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية
السلطان بن السلطان بن السلطان السلطان سليمان خان بن السلطان المظفر المنصور في
الخاقان الموقر المشهور صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحايف
الاسفار السلطان سليم خان. بن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان
لازال سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام متنزهة في رياض الرضوان
وكنت ازدد في ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني وعزة المرام اين الحضيض من الذرى شتان
بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقا بالشباك وادنياء الجوزاء من بروج الافلاك مضت علي
الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت الشئون فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضا
البلاد واخرى في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبين ما كنت فيه تراكم المهمات وتزاحم الاشغال
وهجوم العوارض والعلائق وهجوم الصوارف والعوائق والتردد الى النادي والاسفار والتنقل من دار
الى دار وكنت في تضاعيف هاتيك الامور اقدر في نفسي ان انتهز فرصة من الدهور ويتيسر لي
القرار وتطمئن بي الدار واظفر حينئذ بوقت خال ابتهل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه
اليه وجهي واسلم له سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء بعين الشهود واعرف سر الحق في كل موجود
تلافيا لما فات واستعدادا لما هو آت واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتوسل الى تكميل ما توجهت اليه
برفاهية واطمئنان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا الخيال اذ بدى لي ما لم يخطر بالبال
تحول الاحوال والدهر حول فوقعت في امر اشق من الاول امرت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم
من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول وصرت كالهارب من المطر الى السيول بلغ
السيل الزبى وغمرني اي غمر غوارب ما جرى بين زيد وعمرو فاصبحت في ضيق المجال وسعة
الاشغال اشهر ممن تضرب به الامثال فجعلت اتمثل بقول من قال

لقد كنت اشكو الحوادث برهة   واستمرض الايام وهي صحاح
الى ان تغشتني وقيت حوادث   تحقق ان السالفات مناح

فلما انصرفت عرى الآمال عن الفوز بفراغ البال ورأيت ان الفرصة على جناح الفوات وشمل الاسباب
في شرف الشتات وقد مسني الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنى الاجل من الحلول واشرفت شمس
الحياة على الافول عزمت على انشاء ما كنت انويه ووجهت الى املاء ما ظلت اشتغل ناويا ان اسميه فشرعت فيه
تمامه بتوفيق الله تعالى واتمامه
مع تفاقم المكاره علي وتزاحم المتاعب بين يدي متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم
الملك والملكوت في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني
لتحصيل ما ارومه وارجوه ويهديني الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله ذخرا لي وعتادا انتفع به
يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى
جنابه الرفيع افض علينا شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقائق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا
على مناهج هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا آن وخذ بنواصينا
الى الخير حيث كان جباهنا على جباه الاستكانة متضارعين ولابواب فضلك قارعين انت الملاذ في
كل امر مهم وانت المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور
لك الخلق والامر واليك النشور **سورة فاتحة الكتاب** الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح
كالكتاب والثوب واطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدريج بوجه
من الوجوه كالكلام الذي يتدرج حصولا والسطور والاوراق التي يتجدد قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية
الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح واطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس
الفتح فان تعلقه به بالذات وبالكل بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة في تعلقه بالكل ثانيا حتى
يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة

الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع
بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة بلوغ آخر الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته
على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على
السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه
وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوائل
عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من جهة الرسول عليه السلام
بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه في علمه تعالى او في اللوح المحفوظ او باعتبار انه انزل جملة الى السماء
الدنيا واملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة
كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف
جزء من المضاف اليه لا جزئي له ومدار التسمية كونه مبدءا للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة
في الصلاة ولا في التعليم ولا في النزول كما قيل اما الاول فبناء على ان ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق
على ما يقرأ في الصلاة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث
التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا
ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها
اصلا ومنشأ له اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه
وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط
المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى
ام الكتاب ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكائنات والآيات الواضحة الدالة على
معانيها لكونها بينة يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما اورده الامام
البخاري في صحيحه من انه ابتدأ بقراءتها في الصلاة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى
سورة الكنز لقوله صلى الله عليه وسلم انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن وسورة الحمد
والشكر والدعاء وتعليم المسألة لاشتمالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء
والشافية لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلاة
او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة اخرى حين حولت
القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص
بسم الله الرحمن الرحيم اختلف الائمة في شأن التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها
ليست من القرآن اصلا وهو قول ابن مسعود ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية
وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك
وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد
نسب الى ابن عمر ايضا رضي الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد المسير حيث قال
روي عن ابن عمر انها نزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير والزهري وعطاء وعبد الله
بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد للشافعي رحمه الله ولذلك يجهر
بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبق اليه احد وقيل انها آية من
الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها او لا لكونها آية تامة او لا وهو
احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة وقيل انها
آية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل انها
بعض آية في الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا
منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتاخرين ولم ينسبه الى
احد وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك

احد محملي الشافعي فانه نقل عنه انها بعض اية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان
تكون قرانا وقيل بين ان تكون اية تامة او لا قاله الامام الغزالي والصحيح من مذهب الشافعي هو الرد د
الثاني وعن احمد بن حنبل في كونها اية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي ونقل
ونقل النوع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القران هذا هو المشهور من هذه الاقاويل هي ثلاثة الاول
والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله تعالى يقتضي بنفي القول الاول
وثبوت القدر المشترك بين الاخرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها جزءا من القران لا يستلزم
كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها اية منفردة منه واما ما روي عن ابن عباس من ان من تركها
فقد ترك مائة واربعة عشر اية من كتاب الله تعالى وما روي عن ابي هريرة من انه عليه السلام قال فاتحة
الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وما روي عن ام سلمة من انه صلى الله عليه وسلم
قرا سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية وان دل كل واحد منها على نفي
القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها اية من كتاب
الله متعددة بعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها اية تامة من كل واحدة منها الا ان
يلجا الى ان يقال ان كونها ايات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به
احد واما الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه مع ما ذكر الثاني
في السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية المسافر عند
الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبركا اي
بسم الله اقرا او اتلوا وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير ابدا
لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث
الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفي تقديم اقرا من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال
هو البداءة بالتسمية لا تقديرها بفعله اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر ذي بال لم يقل او لم يضمر فيه ابدا
وهذا الى اخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى
وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسالة وانما كسرت
ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة
داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية
الاوائل على السكون فادخلت عليها عند الابتداء همزة لان من دابهم البداءة بالمتحرك والوقف على الساكن
ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمي وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا
اثارك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له وعند
الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلالها ورد عليه بان
الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه
وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن والتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانها تكون تارة بذاته
تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من
اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهي المطلوبة باياك نستعين و
تارة اخرى باسمه تعالى وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون
بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر
من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة الاولى ان قيل فليحمل
الباء على التبرك ويستغنى عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذلك فرع كون المراد بالله هو
الاسم وهو انما جاز فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة
الثانية او التبرك وانما لم تكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله اصله الاله
فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا

وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج
الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من
خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله
في الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع
اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود
الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه
الجوهري على انه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا
يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق
بينهما ان الموضوع له في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين وقيامه بها فدلولها
مركب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معنى معين قائم بها على ان ملاك الامر
تلك الخصوصية فبأي ذات يقوم ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك يعمل
عملها كاسمي الفاعل والمفعول والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فدلوله
مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما في الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل
اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه تحار في شانه العقول والاوهام واما اله كعبد زنة ومعنى
فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تاله واستاله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر
وقيل من اله الى فلان اي سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل
من اله اذا فزع من امر نزل به واله غيره اذا اجاره اذ العابد به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او
زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل
هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص
الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك
الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث
لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في كلمة التوحيد هو
المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية
معرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل
مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر

الا لا بارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال

والرحمن والرحيم صفتان بنيتا من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور
وقد قيل الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا
والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا
التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة اليه تعالى على مسببه البعيد او القريب
فان اسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من
الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر
الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتبار وجوب احدهما
العرف وعدمه فلا مرجوع الرجوع الى الاصل هنا الكلي تمثل الاختصاص بان نقاس الى نظائره من
باب فعل يفعل فاذا كان كلاهما ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا
في اصلها مما تحقق وجود فعلى فيه فتمنع من الصرف ومنه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن
الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى
كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به تعالى صار حقيقا بان
يكون قرين الاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلائل النعم وعظائمها واصولها احق بالتقديم

مما يدل على دقايقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة **الحمد لله** الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختياريا كان او مبدأ له على وجه يشعر بتوجهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله مبني على معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه معرب عما تفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني على المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلقه بالفعل اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما تقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها تستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لايقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول تحقيقا مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته لتنهي بانتهائها الاعانة اليه وقولك استعنته بانتهائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية او الثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسالني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد قد تعلق بك على الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها واختصاص كل من الافاعيل المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التاييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللايق بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضا مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطبا بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة هاهنا استقلالا او استتباعا فان حمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته لله عز وجل فايدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثنا واداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال

افادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

فاذن هو اعم منها من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها لما في عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا لامر في قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتدا وخبره الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللايقة لا يخطر ببال احد ان يسال عن كيفيته على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية حمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم المقدر وبعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استيناف جوابا لسؤال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان توجيه جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه تعالى مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير ان يتوسط هناك شي اخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دايم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الخليل للملائكة عليهم السلام احسن من تحيتهم له في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطريق البرهاني لكن لا على بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كيفا وكما وقد قيل الاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرى الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا لها بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل **رب العالمين** بالجر على انه صفة لله تعالى فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرى منصوبا على المدح او بما دل عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا ساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشي الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضي ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يكن اطلاقه على الله تعالى جاز في اطلاقه الاطلاق والتقييد كما في قوله تعالى ءارباب متفرقون خير ام الله الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزايه محدث حادث وقيل هو اسم لاولي العلم من الملايكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به الناس فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق والاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم يطلق على احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاده مفرده وان لم يصدق عليها كما في قوله تعالى والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمى به وان لم يطلق عليها كانها احاد مفردة له تقديرا ومن قضيته هذا التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل تتناول كل واحد من احاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله

وان كان لا يصح حمل الاطلاق عند الترجمة والتفسير صح

تعالى ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما في
حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على
كل واحد من تلك الآحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا
لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل على الله تعالى بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى
بكل جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب الوجود لذاته في
الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد
وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته تعالى للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به
نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا
وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع آثار التربية عنه آنا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به
الدار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجانب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل
زمان يمضي وكل آن يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به
فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه
بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه
الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لما ان الدوام
من خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه
وان كانت متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لا دخل لها في وجوده وهي المعبر
عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه
على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها في نفسها فابقاء تلك الموانع التي لا تتناهى على العدم تربية
لذلك الشيء من وجوه غير متناهية وبالجملة فآثار تربيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد الموجودات في
كل آن من آنات الوجود غير متناهية فسبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه
العقول بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون وفي اقامة مراسم شكره قاصرون
نسألك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك
ونتوب اليك **الرحمن الرحيم** صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما
يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تأخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل
في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضي المقارنة للرحمة
فايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة
على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل
والاوفق لمقاصده **مالك يوم الدين** صفة رابعة له تعالى وتأخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى
بيان وجهه وقرأ اهل الحرمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة
التامة والقدرة على التصرف الكلي في امور العامة بالامر والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين
كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك
بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم
في العرف عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب
الشمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه المثل السائر كما تدين تدان
والاول في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني
في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية للشيء باسم سببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمهما
في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وفي قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولعله هو السر في بناء المفاعلة
من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره فان قيام الرقة التي هي سبب للعقوبة
باللص نزل منزلة قيام المسبب وهي العقوبة به فصار كانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة

الفاعلة الدالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية
الى ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع و
الحساب لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فانما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة
مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى
على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو اضافته عن افادة
التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال واما عند ارادة الاستمرار
الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة الصفة المشبهة الى غير معمولها في
قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا
اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما
ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا
ترى انك تقول في مالك عبده امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا
وتخصيصه بالاضافة اما للتعظيم والتهويل او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين
الملاك والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد
به تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فان
كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منهما له تعالى وامتناع ثبوتهما لما سواه اما الاولى والرابعة
فظاهر لانهما متعرضتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة
فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان
كل واحدة من تلك الصفات كما دلت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما
عداه تعالى على الاطلاق وهو المعنى بالاختصاص **اياك نعبد واياك نستعين** التفات من الغيبة الى
الخطاب وتلوين للنظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضيه المقام
لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم والخطاب
والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا الآية وقوله تعالى حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها
ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكت الرائقة والدقائق اللائقة ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما
اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى اكمل تميز واتم ظهور بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور
فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التالي بعدما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته
الاقدس المستوجب للعبودية وتفرده بصفاته العظمى واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية
المميزة له عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه
الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظه في
حظائر القدس حاضرا في محاضر الانس كأنه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات
ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شئونه وصفاته نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل
ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاق ان يعبد او يستعان به ولعل هذا هو السر في
اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومنه التبتل
اليه بالكلية واياك ضمير منفصل منصوب وما يلحقه من الكاف والهاء والياء حروف زيدت لتعيين الخطاب
والغيبة والتكلم لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك ومن ادعى اضافتها اليه محتجا عليه
بما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه الشواب فقد تعسف فانه مع شذوذه محمول على
دعامة لما بعدها منفصلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك
بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية الذل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية ادنى منها
وقيل العبادة فعل ما يرضى به الله تعالى والعبودية الرضا بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على

الوجه الذي هو مربيا به وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله وإياي فارهبون مع ما فيه من
التعظيم والاهتمام قال ابن عباس معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى
بكل واحدة من العبادة والاستعانة والايراد لاستلذاذ المناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها من مقتضيات
مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات الجارية عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على الصفات المذكورة
ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة
للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة على السؤال ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير
كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤول هو المعونة
في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته
مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شؤونه تعالى
واشتغاله باداء ما توجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي
عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا واستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه اخرا
فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يهمها وغيرها كانه قيل وإياك نستعين في ذلك
فانا غير قادرين على اداء حقوقك من غير اعانة منك فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو
رتبة عبادته تعالى وعزة منالها وبكونها عند العابد اشرف المساعي والمقاصد وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته
تعالى وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملاءمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي
اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في
مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من
جملتهم وجماعة من زمرتهم كما هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك سائر الموحدين له في الحالة العارضة له
بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم **اهدنا الصراط المستقيم**
افراد لمعظم افراد المعونة المسؤولة بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية
دلالة بلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج التهكم
والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله تعالى قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق فعومل معاملة
اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع
لا تكاد تنحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن المرء
افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية
والمعادية ومنها افاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في كل فرد من افراد
العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية والعملية بلسان المقال بارسال
الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد الى مسالك الاستدلال بتلك الادلة
التكوينية الافاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين
وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات
لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل مرتبة من هذه
المراتب صاحب ينتدبها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات
عليها كما روي عن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول
فان اعتبر مفهوم الزيادة داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن
كان حقيقة لان الهداية الزائدة هداية كما ان العبادة الزائدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ
ارشدنا والصراط الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به
كانها تسرط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل منه
وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام جمعه سرط ككتاب
وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة

بتنبها وطالب صح

السوية المتوسطة بين الافراط والتفريط **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم
تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون
هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام
لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام
ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام
قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها
الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذ النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها
تنحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح وامداده
بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق
البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل
وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه
والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير
وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة **غير المغضوب عليهم**
ولا الضالين صفة للموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة
المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين
اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسب بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك
بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي
الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين
لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود
الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على
ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدلية ما
اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي
تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا
سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شأن البدل ان يفيد متبوعه مزيد تأكيد
وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه نوع تعريف
مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ
بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب هيجان
النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله تعالى يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على
مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على
التمثيل بان تشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال
الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله
والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات
اليه دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت
فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتأكيد ما افاده
غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا
ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا
الضألين بالهمز على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين **آمين** اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان

ده

بسم الله الرحمن الرحيم

مد الفد ونظرها قالت ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وقال انه كالختم على الكتاب
وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة به والمشهور عن ابي حنيفة ان المصلي يأتي بها مخافتة وعنه
انه لا يأتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن مثله ويروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى
وعند الشافعي رحمه يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين
قال امين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في
التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي
اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا
فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية مائتان وسبع وثمانون

الم الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات
المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير
والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين ائمة العربية وما وقع في عبارات المتقدمين
من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه السلام قال من قرأ
حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف
وفي رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف وذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف
والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف
جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة
ايضا تجوزا واريد بالحديث الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان
الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله
تعالى دون كلام الله او القرآن وليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والحكم عليه بالحرفية
واستتباع الحسنة انما هي لمسمياتها البسيطة الواقعة في كتاب الله سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة
والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسمائها وهي المؤلفة كما اذا قلت الالف
مؤلف من ثلاثة احرف فكان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بعدد حروفه البسيطة وموافقة
لعددها لا بعدد اسمائها الملفوظة والالفاظ الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم
بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة عن ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة
المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك
الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير
فرق بينهما الا يرى الى ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي
ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائقة حيث جعل كل مسمى لكونه
من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو المفهوم منه اثر ذي اثير خلا ان الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها
الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبني الاصل لكنها لم تتناولها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء
الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل بها معاملة
كيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصرها اخرها الف عند التهجي لابتغاء الخفة لا لان وزانه وزان
لا تقصرا نه فتكون حرفا ومرة اخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان

ما قال لا قط الا في تشهده ... لولا التشهد لم تسمع له لاء

هذا وقد تكلموا في شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة
روي عن الصديق رضي الله عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور وعن علي رضي الله عنه
ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي
عنها فقال سر الله تعالى فلا تطلبوه وقيل اسماء الله تعالى وقيل كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة
من صفاته تعالى وقيل انها صفات الافعال الالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل

وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله تعالى الكتاب بواسطة
جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي
كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام آخر وقيل ولكن الذي عليه التعويل
اما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا
بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فيكون فيه ايماء الى الاعجاز والتحدي على سبيل
الايقاظ فلولا انه وحي من الله تعالى لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة
من انها اسماء القرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا
كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد
الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحققته آنفا
وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان تكون على نهج التهجي
دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه
بمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون
ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر
نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم فرسان حلبة الحوار وامراء
الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة
والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارضة او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في
الباقي من فنون الاعجاز فان النطق باسماء الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخاص
والعام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتأتى ممن درس وخط واما من لم يحم حول ذلك
قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا سيما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب منبئ
عن سر سري مبني على نهج عبقري بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف
لا وقد وردت تلك الفواتح في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث تنطوي
على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند التحقيق والتنقير حسبما فصله بعض افاضل اهل التفسير
فسبحان من دقت حكمته عن ان تطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان تنالها ايدي الافكار وايراد بعضها
فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية جري على عادة الافتنان مراعاة لابنية الكلم وتفريقها على السور دون
ايرادها جملة لما في ذلك من التكرير والاعادة وتخصيص كل منها بسورة مما لا سبيل الى المطالبة
بوجهه وعد بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فآية حيثما وقعت وقيل في آل عمران ليست
بآية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية في شيء من سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس
آيتان وطس ليست بآية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وص وق ون ليست واحدة
منها آية هذا على رأي الكوفيين وقيل ان جميع الفواتح آيات عند الكل في السور كلها لا فرق بينها واما من عدها
بعد وانشاء منها ابتدئ اسماء على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد لا تستحق الاعراب اذ لا عقد ولا تركيب فلا
وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء السور والقرآن كان لها حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما
النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر فبتقدير حرف القسم متأتيه
المقام ويساعده النظم والرسم وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على الحكاية كما بدا في الاعجاز
الا ما كانت منها مفردة كصاد وق ون او موازنة لمفرد كحم وطس ويس فانها يتأتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئ بالنصب على اضمار
فعل اي اذكروا كما ورد اصاد وقاف ونحوه لا تمتنع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد كحم
وطس ويس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه
بعضهم ياسين والقرآن وقاف والقرآن حكاية جعله اسما اعجميا قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي
ان بعضهم قرأ ياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل بحركة لالتقاء الساكنين ولامتناع النصب بفعل
القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما واستكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء

الاول وهو السر في جعل ما عدى الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر
والانثى عاطفة للعطف هاهنا المخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا
باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرى صاد وقاف بالكسر على التحريك لالتقاء الساكنين ويجوز
في طسم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارا بجرد ذكره سيبويه في كتابه واما ما عدى ذلك من الفواتح فليس
فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها مشروحة في مواقعها باذن الله تعالى ماهذه الفاتحة [illegible]
فان جعلت اسما للسورة او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به
وانما صحت الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم
الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدأ اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل
عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا علم بالتسمية قبل فحقها
الاخبار بها وادعاء شهرتها يأباه التردد في ان المسمى هي السورة او كل القرآن **ذلك** ذا اسم اشارة واللام
عماد جيء بها للدلالة على بعد منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي
او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه
على ايراد ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم
المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعي اعتبار الحيثية الثانية في الاولى بناء على ان
التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول مبتدأ على حدة وعلى الوجه الثاني
مبتدأ ثان وقوله تعالى **الكتاب** اما خبره او صفته اما اذا كان خبره فالجملة على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة
لما افادته الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها خبر
للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير
للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب الذي هو ضم الحروف بعضها الى البعض واصله الجمع والضم
في الامور البادية بالحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاق
الكتاب على المنظوم عبارة لما انه ماله الكتابة والمراد به على تقدير كون المسمى هي السورة جميع القرآن الكريم
وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله تعالى او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله
جملة الى السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة
القصوى منه كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود والغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب
على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة
والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات
الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع
لما يكون في الرجال من مراضي الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما
ترى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرده المعهود هو مجموع القرآن
المقابل لسائر افراده من الكتب السماوية ولا بعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا هذا الفرد
لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن الحصر
بالنسبة اليها لتحقق المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك
الكتاب على تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل خبره ما
بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على
كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هي السورة او القرآن ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك
الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود ونفي البعد ح ظاهر
خلا انه ان كان المسمى هو السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا فانها قيل
وان كان هو القرآن فهو ما في التورية والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة او للقرآن واما على تقدير

تقديره كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف
او بتقدير مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرى الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى **لا ريب
فيه** اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب على الصور الثلاث المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك
على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ المقدر اخرا على رأي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى
فاذا هي حية تسعى واما في محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة
مستأنفة لا محل لها من الاعراب موكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها
عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به
واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من
الاستغراقية لا انه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اي لا ريب موجود ونحوه كما في قوله
تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في
الكتاب او الخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل
المذكور خبر الما بعده وقرى لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق
وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم
استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى
نفيه عن الكتاب انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيقته وكونه وحيا
منزلا من عند الله تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم في ريب
مما نزلنا الخ فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او ارتبتم فيما نزلنا الخ الا انه خولف في
الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان
ذلك من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد هاهنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر
الكتب ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول **هدى** مصدر من هداه كالسرى والبكى
وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع
الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى
هدى او في ضلال مبين ولانه لا فرق بين عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله
ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر
محصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو
الضلال لا يتحقق بدون عدم الوصول قطعا وهذا كما ترى مبني على اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم
واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل
بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل بهما معتبرين في مفهوميهما على وجه مخصوص
به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لابد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال
الى البغية كما ان الضلال لابد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعا ومدار المرتبة
من الاعتبار وعليه بين الفريقين ومحققه للتقابل بينهما واما النزاع في امكان الوصول الى البغية فهو
كائن في تحقق مفهوم الهدى ولابد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل
معتبر في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في مفهوم الهدى
اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول
غاية للتوجه فلذلك يترتب عليه قطعا [illegible]
قد يتحقق الوصول اليه [illegible]
مثلا يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع [illegible]
[illegible]
[illegible]

الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية ونحوها من غير تقصير ولا فتور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة
السالك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا فتور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم
اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر
الثاني فبيانه مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن
له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية
صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام
مقتضية لافرادها باسامي خاصة وعرض له بالنسبة الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما
عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة
عنه اصلا اذ لا مؤثر لها سوى فاعله عدت من متمماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله
كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذي هو اثر خاص
لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر آخر له اسم القطع الى غير
ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا امر مطرد في الآثار الطبيعية واما
الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير ايجاب لها تترتب عليه تارة وتتخلف عنه اخرى بحسب وجود
اسبابه الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختيارية الصادرة عن مؤثراتها بواسطة كونه داعيا اليها بحيث كانت
مستقلة في انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته
ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة
العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما
عليهما غالبا لكنهما حيث كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة
لم يعدا من متمماتهما ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسم الامر والدعوة بل جعلا عبارة عن
نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة اولا اذا تمهد هذا فنقول كما ان الاجابة
والامتثال فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المدعو والمامور باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة
لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليها في الجملة كذلك الهدى للمهدي
اي توجهه الى ما ذكر من السلوك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية باعتبار التوجيه اليه لزوم ما
ذكر من الآثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فلما لم يعد من متممات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة
العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد الهدى اللازم من متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة
لها بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما
فان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يقتضي الا اتصافهما بكون كل منهما مامورا ومدعوا وليس من ضرورته
اتصافهما بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان
تعلقها بالمهدي يقتضي اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره
الماخوذ من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار وجود اللازم
في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر
من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي
لا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة عن المصدر الماخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة
كما هو معنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى الطريق الحق والاهتداء عين الاجابة
فكيف يوخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل
اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال
الاختيارية فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في
مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق
ولا لكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلم ليس بمستقل في ذلك ففي اسناده اليه ضرب تجوز

يجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه وتحصله الى الآخر فان التعليم عبارة عن القاء المبادي العلمية على المتعلم
وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا ينساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر
فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري مستقل
فاعله لا دخل للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من متمماتها ولا معتبرا في مدلولها ان
قيل التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره في مدلول التعليم اعتبارا
للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسالك واستبداد المتعلم
بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل اليس
تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم بحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فلتكن الهداية ايضا كذلك
ولتجعل تسميتها لا يستتبع الهدى هداية على التجوز قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون
لقصور فيه كما ان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة
قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم من قبل الهادي وبهذا
التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف معالمه
وتبيين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة المقارنة لهما او لاحدهما والخالية
عنهما كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقية لها وان ما في قوله تعالى انك لا
تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان
الدلالات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق والبينات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على
الاطلاق بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فائضة من عند الله سبحانه والحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله **للمتقين** اي المتصفين بالتقوى حالا او مالا و
تخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن
وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط
الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى
في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض
الله وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس وعن ابي يزيد ان التقوى
هو الورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي
من تبرا عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون
بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي
تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا ينالها من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار الضعف على القوة
وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحياة وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام
التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق فطيف به في السوق لم يستحي ممن نظر اليه وقيل
التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلاث مراتب الاولى التوقي عن
العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان
اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو
التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض
تتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة الالهية المبنية
على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حيث جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية
وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن
الاستغراق في شؤون الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة
لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى ونيلها

فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصدير
السورة الكريمة بذكر اولياء الله تعالى وتفخيم شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخريين
فان عنى بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخريين تعين
المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية المرتبة وكذا الحال فيما بين المرتبتين الثانية والثالثة فانه ان اريد
بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عنى بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عنى
بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة في جميع الصور واما ان اريد بكونه هدى
لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل فيه فمع
مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل
هدى الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتدا خبره الظرف
المقدم كما اشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير في فيه والعامل
ما في الجار المجرور من معنى الفعل المنفي كانه قيل لا يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي
وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او بجعل
المصدر بمعنى الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر
اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدا مضمر او طائفة من حروف
المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية
مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه
اذ لا افضل اعلا مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من المبتدا جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله
شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما
نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ
اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما
كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة
شانه حسبما حققته **الذين يؤمنون بالغيب** اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى
بترك المعاصي مترتبة فقط عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر
عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك
لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال
النفسانية والعبادات البدنية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله
تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام
او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال
الثلاث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح
بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة
كما سياتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه
الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية
فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا
عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا
يرى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما
قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد
خولف للافتنان اي للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى
من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب
ان قيل لا ريب في ان حال الموصول عند كونه خبرا لمبتدا محذوف كحاله عند كونه مبتدا خبره اولئك على هدى في انه

في انه ينسحب بجملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول
عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم للهدى والفلاح من النعوت الجليلة
فما السر في انه جعل ذلك في الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه
وعد الوقف تاما قلنا السر في ذلك ان المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في
الاول لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتدا اجمالا لا جرم تحققه معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع
سوى فائدة التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة
لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان يكون وصفا
له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان الصفات قبل
العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها اوصاف واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا
ينبئ عنه المبتدا من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا
عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل
تعدى الى اثنين يقال امنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اي يجعله امينا
من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير
ذا امن وطمانينة ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت وكلا الوجهين
حسن ههنا وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد
والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول
راى الشيخ الاشعري ومن تابعه والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا
ان الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل
بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار
فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند
المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف به الغائب للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم
الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكنه لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل
في نظائره واياما كان فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق
البداهة وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام والشرائع واليوم الاخر واحواله
من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله
مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا
من الفاعل كما في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يومنون
ملتبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد
النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ان امر محمد كان بينا
لمن راه والذي لا اله غيره ما امن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الاية واما عن الناس اي غائبين عن
المؤمنين لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل
المراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء
حينئذ للالة وترك ذكر المؤمن به على التقادير اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم فلان
يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل ما يجب الايمان به
ويقيمون الصلاة اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في شيء من فرائضها وسننها وادابها زيغ
من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها
نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان
من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتمالها على القيام

كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانها اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة فعلة من صلى اذا دعى كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين وهما العظمان الناتئان في اعالي الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة العطاء ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم و اختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق لهما بما روي عنه في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا ارى ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة من انه قال عليه السلام لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤوس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد جوز ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** معطوف على الموصول الاول على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاص تحت عام اذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبله كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولون ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكلية لمباينتها من كمال القباحة والمباينة للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الآخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي لا تكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام ٭ وليث الكتيبة في المزدحم ٭ وقوله يا لهف زيابة للحارث ٭ الصابح فالغانم فالآيب للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما ينطق بثبوته من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لاحكام جمة وحقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للآخر وقد شفع الاول باداء الصلوة والصدقة اللتين هما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايمان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتمرينها بما في اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الغيب بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرونا بما يؤذن به فضيلة بارزة تستدعي لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين قلنا فلا ان يراد بالموصول الثاني بعد اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنوا اهل

اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبريل وميكال بالذكر اثر ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم في اقتفاء آثارهم في تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فنزول ما عدا الصحف من الكتب الالهية الى الرسل والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه تعالى تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القرآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر ما انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه على الكل عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد قرئا على البناء للفاعل **وبالآخرة هم يوقنون** الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين و الآخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء الضمة قبلها مجرى ضمتها في وجوه ووقتت ونظيره ما في قوله ٭ لحب المؤقدان الي مؤسى ٭ وجعدة اذ اضاءهما الوقود ٭ وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى **على هدى** خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهم وزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقرئ من ربهم بلا غنة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستأنفة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون هدايته تعالى لهم واستقرارهم على الهدى حسبما تحققه لاسيما مع ملاحظة كانه نتيجة لما ذكر من النعوت وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كانه قيل ما للموصوفين بما ذكر من النعوت اختصوا بالهدى الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اصل الهدى الجامع لفنون المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه لكن الحق الحقيق ب الصواب من قال في تقرير الجواب ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونها مفصولا عنه فهي في محل الرفع على انه خبر للمبتدا الذي هو الموصول

الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئنافا وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر
بالمتقين قيل بيان مبادي اسعافهم لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين بمناقب بشرح ما انطوى عليه
اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شؤونهم احقاء بما هو اعظم من ذلك
كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله اولئك
سواد عيني وسويداء قلبي ولعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استونف عنه الحديث كقولك
احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل
لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف
بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والايماء
الى بعد منزلته كامر وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ واولئك الخ خبره
ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى
ويطمعون في نيل الفلاح ﴿واولئك هم المفلحون﴾ تكرير اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشأن المشار اليهم وللتنبيه
على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن
عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم
الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فتكون الجملة الثانية مقررة للاولى
واما الافلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايرا للهدى نتيجة له وكان كل منهما في نفسه اعز مرام
يتنافس فيه المتنافسون فعل به ما فعل وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم
المفلحون في الاخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص المتقين
بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفسير الاية الكريمة من
الترغيب في اقتفاء اثرهم والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق ﴿ان الذين كفروا﴾
كلام مستأنف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت الكمال
الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب في
باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما
قبله او مفصولا عنه فان الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة واما
الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى حيث لا يجديهم الانذار والتبشير
ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير لكونهم في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبين في مسلك المكابرة والعناد
متن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان ان الكتاب هاد للاولين وغير
مجد للاخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التي
تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرها
واعطت معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني
ايذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب
واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمالها
وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك
والانكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه
وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب
وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله
سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ● قال
تعالى كمثل غيث اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد ● في ليلة كفر النجوم غمامها ● ومنه المتكفر بسلاحه وهو

وهو الثاني الذي عطف السراج بدينه وفي التنزيل انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به واين
عدلي العبادة وشدة الزنا بغير اضطرار ونظائرها مما كفر الدلالة على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم
لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنا وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء
فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات التعلق
وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم ﴿سواء﴾ هو اسم بمعنى
الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴿عليهم ءانذرتهم ام لم
تنذرهم﴾ مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما
كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك
اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك
وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدأ وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشأنه والجملة خبر لان
والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على
طريقة الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم
وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان
عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير
معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدأ وما بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار
وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه انفعال من نذر
بالشيء اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما
انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من
جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما
وبتوسيطها والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء
حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن ﴿لا يؤمنون﴾ جملة مستقلة
مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
ما كلفوا به الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام
لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة
عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد باختياره [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ استئناف تعليلي لما سبق من الحكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من إحداث تلك الحالة فيها مما يمنع من أن يصل إليها ما خلقت هي لأجله
من الأمور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح
مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما أعدت لأجله بالكلية ثم استعير لها ما يدل على الهيئة المشبه
بها فيكون كل من طرفي التشبيه مركبا من أمور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الأمر في تصوير
تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم وأبقى في منوي مراد قصدا بالألفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب وتلك الألفاظ
وإن كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو أمر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما أعد له بسبب
مانع قوي لكن ليس في شيء منها على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة أو مجازا
أو كناية وإنما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الألفاظ التي ليس فيها التجوز المذكور
ولم تكن الهيئة المنتزعة منها مدلولة وضعا لها لم يكن ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة
مستعملا في غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة
في غير ما وضع له ذهب فحول المحققين كالشيخ عبد القاهر وأضرابه إلى جعل التمثيل قسيما له ومن رام تطبيق الأقاويل
على تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلول لأن الوضعية وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبهها
من هيئة أخرى منتزعة من أمور أخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية وقد أسند إحداث تلك الحالة
في قلوبهم إلى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق إليه سبحانه وتعالى وورود الآية الكريمة
ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون أفعالهم من حيث الكسب مستندة إليهم فإن خلقها منه سبحانه
ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم
ونحو ذلك وأما المعتزلة فقد سلكوا مسالك التأويل وذكروا في ذلك عدة من الأقاويل منها أن القوم لما
أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها أن المراد
به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو بقلوب قد ختم الله عليها كما في [illegible]
أفاهيك وطارت به العنقا إذا طالت غيبته ومنها أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر وإسناده إليه سبحانه باعتبار
كونه بإقداره تعالى وتمكينه ومنها أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق إلى تحصيل إيمانهم طريق سوى
الإلجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لأنه سد لطريق إيمانهم بالكلية وفيه
إشعار بترامي أمرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها أن ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولون
مثل قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها أن ذلك في
الآخرة وإنما أخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
ومنها أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة يعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم
عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم
لاشتراكهما في الإدراك من جميع الجوانب وإعادة الجار للتأكيد والإشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم
قلوبهم للإيذان بأنها الأصل في عدم الإيمان وللإشعار بأن ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على
أن طريق إليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق على حاله
حسبما ينفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون والسمع إدراك القوة
السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد هاهنا إذ هو المختوم عليه أصالة وتقديمه على
حال أبصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال أو لأن جنايتهم من حيث السمع الذي به يتلقى الأحكام
الشرعية وبه يتحقق الإنذار أعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الأحوال الدالة على التوحيد فبيانها أحق
بالتقديم وأنسب بالمقام قالوا السمع أفضل من البصر لأنه تعالى حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولأن السمع شرط النبوة
ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا أصم ولأن السمع وسيلة إلى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من أصحابها وتوحيده
للأمن عن اللبس واعتبار الأصل أو لتقدير المضاف أي وعلى حواس سمعهم والكلام في إيقاع الختم على ذلك كما مر
من قبل الأبصار جمع بصر والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية أي
التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على رأي سيبويه

مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وإيثار الاسمية للإيذان بدوام مضمونها فإن تعاميهم
بالقوة الباصرة من الآيات المنصوبة في الآفاق والأنفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم من ذلك أيضا
كذلك وأما الآيات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها إليها حينا فحينا أوثر في بيان الختم عليها
وعلى ما هي أحد طريقي معرفته أعني القلب الجملة الفعلية وعلى رأي الأخفش يرتفع على الفاعلية مما تعلق به
الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب أي وجعل على أبصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وإيصال
الختم إليه والمعنى وختم على أبصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها
وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع **ولهم عذاب عظيم**
وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه
ومنه الماء العذب لأنه يقمع العطش ويردعه ولذلك يسمى نقاخا لأنه ينقخ العطش ويكسره وفراتا
لأنه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن
المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو إزالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير
والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والأ
حداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ووصف العذاب به لتأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم و
التهويل والمبالغة في ذلك والمعنى أن على أبصارهم ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي
غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم إنا نعوذ
بك من ذلك كله يا أرحم الراحمين **ومن الناس** شروع في بيان أن بعضا من حكيت أحوالهم السالفة ليسوا مقتصرين
على ما ذكر من محض الإصرار على الكفر والعناد بل يضمون إليه فنونا أخر من الشر والفساد وتعديد لجناياتهم
الشنيعة المستتبعة لأحوالها الآجلة عاجلة وآجلة وأصل ناس أناس كما يشهد له إنسان وأناسي وإنس
حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في ألوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وأما ما
في قوله: إن المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق الإيناس بهم
كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم إلى أن أصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه ألفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها وبعضهم إلى أنه مأخوذ من نسي قلبت لامه إلى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الياء ألفا
سموا بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي واللام فيه إما
للعهد والجنس المعهود على المصرين حسبما ذكر في الموصول كأنه قيل ومنهم أو ومن أولئك والعدول إلى الناس
للإيذان بكثرتهم مما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على أنه مبتدأ باعتبار مضمونه وما بعده خبره
كقوله تعالى ومنا دون ذلك أي ومنا دون ذلك [illegible] في قوله تعالى **من يقول** موصولة أو موصوفة ومحلها
الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو بعض من الناس الذي يقول كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي
وفريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا [illegible] على أن يكون مناط الإفادة والمقصود بالأصالة اتصافهم
بما في حيز الصلة أو الصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات أولئك المذكورين وأما جعل الظرف
خبرا فهو الشائع في موارد الاستعمال [illegible] لأن كونهم من الناس ظاهر فالإخبار به عار عن
الفائدة كما قيل [illegible] فيهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا ما قيل بالجواب عنه بأن الفائدة هو التنبيه
على أن الصفات المذكورة تنافي الإنسانية [illegible] من الناس فيخبر به ويتعجب منه
وأنت خبير بأن الناس عبارة عن المعهودين أو عن الجنس المقصود على المصرين وأيا ما كان فلا فائدة [illegible]
إن جزئية الظرف تستدعي أن يكون اتصافهم بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلاث عشرة آية
عنوانا للموضوع ومقصودا [illegible] غير مقصود بالذات ويكون مناط الإفادة كونهم من أولئك المذكورين ولا ريب
لأحد في أنه بمعزل من ذلك [illegible] النظم الجليل [illegible] باعتبار لفظه
في قوله تعالى **آمنا بالله وباليوم الآخر** [illegible] والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر إلى ما لا
يتناهى أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار لأنه آخر الأوقات المحدودة وتخصيصهم الإيمان بهما بالذكر
تكرير الباء لادعاء أنهم قد حازوا الإيمان من قطريه وأحاطوا به من طرفيه وأنهم قد آمنوا بكل منهما على الأصالة

والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة
اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة
وغير ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم ودعارتهم فان ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع و
النفاق وعقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولون تمويها على المسلمين واستهزاء بهم وما هم
بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها للتاكيد النفي اتيانا في خلاف
التجديد وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان
عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهمن ان الجملة الاسمية الايجابية تفيد دوام
الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا
كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على
استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي
اليهم اجلهم فان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوا
به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد يجوز ان يكون المراد في
ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيه
على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه او بما ينافيه مؤمن **يخادعون الله
والذين آمنوا** بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن
كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اي يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة
المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة
والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه من
حيث لا يحتسب او يوهم المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو عنه بسهولة من قولهم ضب خادع
وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال عليه فيخرج من باب آخر وكلا المعنيين
مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا
عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة وايا ما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة
كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه
ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بانه لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما
مر واما لمجرد التوطئة والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما
في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله ان الذين يؤذون الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على
معناه الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله و
يخدعهم او على جعلها مستعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى
منهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال
الرسول عليه السلام والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما
قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم مقابلة خدعهم
له لم يتصور منهم التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتخصيصها بما يليق بها
من الصورة المستهجنة وبيان ان غائلتها آئلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله تعالى **وما يخدعون
الا انفسهم** فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون
ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا
انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقرئ وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن
حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها
لا يحيق الا بهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني

الا ما في الفارغة وقرئ وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يخدعون ويخدعون ويخادعون على
البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به
وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد
هنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى
وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما
يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشيء اصلا
جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس مختل المشاعر
في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله
ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه
الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل
له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل في قلوبهم مرض يمنعه **فزادهم الله مرضا** بان طبع على قلوبهم لعلمه
تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها
عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف
الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادوا كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما
تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل
بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة
وتأييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ حينئذ استئناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون
الله الخ كانه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم مرض
تضاعف بهذه حالهم في الدنيا **ولهم** في الآخرة **عذاب اليم** اي مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع
وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • على طريقة جد جده فان الالم والوجع
حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت
كما في قوله تعالى بديع السموات والارض **بما كانوا يكذبون** الباء للسببية او للملابسة وما
مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام الكذب وتجدده اي بسبب
كذبهم او بمقابلته او بملابسته كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وهم غير مؤمنين فانه
اخبار [illegible] الايمان في الماضي [illegible] او لانه متضمن الاخبار [illegible]
كذبا لعدم التصديق القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظاهر
على راي من يجوز ان يكون [illegible] كما صرح به في قول الشاعر

بذل وحلم ساد في قومه الفتى ... وكونك اياه عليك يسير

اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجبات العقوبة
اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين [illegible] وما ذكر من العذاب
العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجد من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان
[illegible] بان العذاب العظيم [illegible] الكذب نظرا
[illegible] بسبب [illegible]
[illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] ثلاث كذبات
[illegible] وما مصدرية او موصولة
[illegible] ومصدرية يكون بصيغة التفعيل [illegible]

كما في بيت في بان وقلص او التكثير كما في موتت البهايم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رايه ولذلك قيل له مذبذب **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** شروع في تعديد بعض من قبايحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل معناها الانهاء والتبليغ والقايم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور والفساد خروج الشيء عن الحالة اللايقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض هيج الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد بما نهوا عنه ما يودي الى ذلك من افشاء اسرار المومنين الى الكفار واغرايهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب ولا بأس بتخلل البيان او الاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المومنين عما هم عليه من الافساد في الارض **قالوا** اراءة للناهين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سيأتي توضيحه **انما نحن مصلحون** اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شايبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه واما كلام مستانف سيق لتعديد شنايعهم واما عطف على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكي عنهم من قولهم امنا بالله وباليوم الاخر او لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب نسيان جانب الاخرة التي من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الاية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الاية الى غير ذلك ولا ريب في ان مضمون الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى تستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان تكون مسوقة على سنن تعديد قبايحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم لكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا كيف لا وقوله تعالى **الا انهم هم المفسدون** ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادل على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستيناف المودي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من طلايع القسم وقيل هما حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير الفصل لرد ما في قصرهم على الاصلاح من التعريض بالمومنين ثم استدرك بقوله **ولكن لا يشعرون** للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهذا الكلام في الشرطيتين الاتيتين وما بعدهما من رد مضمونها ولها ان المراد [illegible] والله اعلم بالصواب **واذا قيل لهم** من قبل المومنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد **آمنوا** حذف المومن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان **كما آمن الناس** الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر موكد محذوف اي امنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة [illegible] وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين [illegible] واللام للجنس والمراد بالناس الكاملون [illegible] الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل في مسماه [illegible] يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني المخصوصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره [illegible] ليس هو بانسان [illegible] اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه ومن امن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم **قالوا** مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان **أنؤمن كما آمن السفهاء** مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة راي يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شانهم فان كثيرا من المومنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله وايا ما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شان التجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المومنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح في ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المومنين قال الامام الواحدي انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بذلك عنهم وانت خبير بان ايراد ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو في منصب الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين متلوم محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهي عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس حتى تامرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله تعالى **الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التاكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح سر ما في قوله انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو راي الجمهور ينافي حالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق فالاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المومنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المومنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم الملجي الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي ان يكون المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح وبانهم الافساد من حيث لا يشعرون ولا ريب في انهم فيها كاذبون لايمانهم ونيتهم الاضرار للدين وخيانة للمومنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تتهموننا به من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم واراءة لارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الاية والله سبحانه اعلم بما اودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نساله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الاية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل لان الوقوف على ان المومنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والافساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا فامر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة السابقة بلا يشعرون

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة والمخاطبة حسب تباين
المخاطبين وسياق ما صدرت به قصتهم لتغيير مذهبهم والترجمة عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الايمان
فليس فيه شائبة التكرير روي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان
الله عليهم اجمعين فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال
مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه
الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله
وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله اتق
الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن اني تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم
وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا مثل ما فعلت
فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه بذلك
فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اي صادفته واستقبلته وقرئ واذا لاقوا واذا خلوا من خلوت الى
فلان اي انفردت معه ومن يستعمل بالباء او من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك ذم اي جاوزك
ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى في قوله تعالى الى شياطينهم
لتضمنه معنى الانهاء اي واذا انهوا اليهم السخرية الخ واستخبر بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له
والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشياطين في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في
الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه فيعال على
انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة فوزنه فعلان على انه
من شاط اي هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد
لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان مدعاهم عندهم تحقيق الثبات على
ما كانوا عليه من الدين والتاكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشياطين بخلاف
معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه او الثبات
عليه انما نحن اي في اظهار الايمان عند المؤمنين مستهزؤن بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة
وهو استيناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كانه قيل لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين
في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزؤن بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا جوابهم
انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم وتاكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه او
بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء السخرية منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى واصله
الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اي تسرع به وتخف الله
يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في
اللفظ او المقارنة في الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكونون كالمستهزأ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان
الذي هو لازم الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم
بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبما يروى انه يفتح لهم باب الى الجنة
فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون
وانما استونف للايذان بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين
وتعاظم ذلك عليهم حتى اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هولاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي
يتولى جزاءهم ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب
الاستهزاء حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة
على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله تعالى اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين
في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ذلك كما انبا عنه قوله

تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون
ويمدهم اي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا
اصلحتهما بالحبر والزيت واسناده الى ربهم للرمز الى ان ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انه انما يتحقق عند
الاستمداد او ما يجري مجراه من الحاجة الداعية اليه كما في الامثلة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد
وهو صريح في ان القراءة المشهورة ليست من المد في العمر على انه يستعمل باللام كالاملاء قال تعالى ونمد له
من العذاب مدا وحذف الجار وايصال الفعل الى الضمير خلاف الاصل لا يصار اليه الا بدليل في طغيانهم
متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر
الطاء وهي لغة فيه كلقيان ولقيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصه بهم وتاييد لما اشير
اليه من ترتب المد على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا
فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد
هذا المد الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي محقق لقاعدة اهل الحق من ان
جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة
لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم سلكوا الى شعب التاويل فقالوا اولا انهم لما اصروا على
كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم لطافه فتزايد الرين في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان فاسند
ايلاؤه اليه تعالى ففي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب وفاعله
الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تعالى
ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل
الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لانه بتمكينه تعالى واقداره اولئك اشارة الى الموصوفين باعتبار
اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون
على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على انه
الابتداء خبره قوله تعالى الذين اشتروا الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان لكمال
جهالتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه
من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه واستعير الاول للعدول
عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذله
لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومورده هو الجلب دون السلب الذي
هو المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى ثم للاعراض عما في
يده محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه للمرسوم ومنه قوله

اخذت بالجمة راسا ازعرا ... وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا ... كما اشترى المسلم اذ تنصرا

فاشتروا الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ولما لا اقتضى
ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ
لا تحصيل للحاصل ولا ريب في انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة اسند على الحال تحقيقا
ما جرى مجرى العوضين فقيل وبالله التوفيق ليس المراد بما يتعلق به الاشتراء هنا جنس الضلالة الشاملة
لجميع اصناف الكفرة حتى تكون حاصلة لهم من قبل بل هو فرد منها خاص بهؤلاء على ان اللام للعهد
وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند الياس
عن هدايتهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بالهدى ما بازائها في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد
الاسباب وتاخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كما ذكر فان الهدى بعد ما في استتباع
الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الآيات الباهرة والمعجزات
القاهرة من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد

في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهايلة التي هي العمه
في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد باعتبار ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء
ولئن حملت على الاضافة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من
الشناعة ما في اضاعتها مع ما يويدها من المويدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل
من اول السورة الكريمة الى هنا ضايعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من
غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكاينين في شرف الوقوع على
الاخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الاتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور
عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية
اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه
بما كانوا يشاهدونه في التورية من نعوته صلى الله عليه وسلم وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به
على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم
قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلناه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي
ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة **فما ربحت تجارتهم**
عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي
للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على راس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح
واسناده الى ما هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة
وفايدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايراد
اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوايد الهدى بصورة خسار
التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة
لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعتهم الراسخة اذ
ليس من ضرورات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك
رايت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ
البراثن معنى اخر بل قد يكون مستعارا من ملايم المستعار منه لملايم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل
الاستعارة كما في قوله ● فلما رايت النسر عز ابن داية ● وعشش في وكريه جاش له صدري ● فان
لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطاير للتفريخ للراس واللحية او للفودين
اعني جانبي الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا
لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين بالاعتبار المذكور روعي
تجاراتهم ونقدها النقد والمضاف اليهم **وما كانوا مهتدين** اي الى طريق التجارة فان المقصود منها سلامة
راس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف
الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كان راس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا
كلتا الطلبتين فبقوا خايبين خاسرين نايين عن طريق التجارة بالف مرحلة فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة
على ما قبلها مشاركة له في الترتب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا الخ **مثلهم** الخ زيادة
كشف لحالهم وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يودي الى الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار
من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من
مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رفع
الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف
واظهار للوحشي في هيئة المالوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه
وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة
صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها

لها شان عجيب وخطر غريب من غرابة يلاحظ بينها وبين غيره انها تشبيه ومنه قوله تعالى ولله المثل الاعلى اي
الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشان
كمثل الذي اي الذين كالذي في قوله تعالى في الصورة وخضتم كالذي خاضوا حالا اذ وحد الضمير في قوله تعالى
استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القايم مقام القايمين لان المقصود
بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة الى وصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف
لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين
ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين
جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او
قصد به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق واشتقاقها من
نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها
وتنكيرها للتفخيم **فلما اضاءت ما حوله** الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وتجيء متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اي فلما اضاءت النار
ما حول المستوقد او لازمة اسندت الى ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار بها
فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة
للتوكيد وقيل للغاية حوله لانه بدوره **ذهب الله بنورهم** النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي
والجمع باعتبار المعنى اي اطفا الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار
لانه المقصود بالاستيقاد لا للاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها
او نحو ذلك وهو جواب لما او استئناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد
انطفات ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف
كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالتباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في
الظلمات خابطين متحيرين متحسرين على فوت الضوء خايبين بعد الكدح في احياء النار واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل
بخلقه تعالى واما لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به
تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا
اخذه وما اخذه الله تعالى فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر
الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف
والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فان الظلمة التي هي
عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع و
التنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر
واما لان المراد بالنار ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية
التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث والفساد فاطفاها الله تعالى
وخيب امالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب
قال ● فتركته جزر السباع ينشنه ● يقضمن حسن بنانه والمعصم ● والظلمة
ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الرؤية وقرئ في ظلمات
بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان
حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله
تعالى وظلمة يوم القيمة يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب
السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلايل الحق او بالهدى الذي كانوا حصلوه
من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها الله وتركه في ظلمات هايلة لا

يتسلى لها الابصار ﴿صم بكم عمي﴾ اخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم
هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع واصله الصلابة واكتناز الاجزاء ومنه الحجر الاصم والقناة
الصماء وصمام القارورة لسدادها سمي به فقدان حاسة السمع لما ان سببه اكتناز باطن الصماخ وانسداد منافذه
بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى عدم البصر عما من شأنه ان يبصر
وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الآيات
والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها ألسنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة
على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والانفس بعين
التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا
عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال
❁ ويصعد حتى يظن الجهول ❁ بان له حاجة في السماء ❁ لما ان المقدر
في النظم في حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك
قرينة الحمل على المعنى الحقيقي كما في قول زهير ❁ لدى اسد شاكي السلاح مقذف ❁ له لبد اظفاره لم تقلم
﴿فهم لا يرجعون﴾ الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة
لا يعودون الى الهدى الذي تركوه وضيعوه او عن الضلالة التي اخذوها والآية نتيجة التمثيل مفيدة لزيادة
تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل بقاؤهم في ظلمات هائلة من غير تعرض لشعوري السمع والنطق ولاختلال
مشعر الابصار وقيل الضمير المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تتمة
للتمثيل وتكميل له بان ما اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر
بحالها بل اختلت مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين
في مكانهم لا يرجعون ولا يدرون أيتقدمون ام يتأخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدؤا منه والعدول
الى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا اما على الذم كما في قوله تعالى
حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب في تركهم او
المرفوع في لا يبصرون واما على المفعولية لتركهم فالضمائر للمستوقدين ﴿او كصيب﴾ تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم
البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم
فيها من حال الى حال حقيق بان يضرب في شأنها الامثال ويرخى في حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب
الاطناب ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة
لا بد ان يوفى فيه حق كل من مقامي الاطناب والايجاز فما ظنك بما في ذروة الاعجاز من التنزيل الجليل ولقد
نعي عليهم في هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما ستعرفه من الضمائر
المستدعية لذلك اي كمثل ذوي صيب وكلمة او للايذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه
وبصحة التمثيل بكل واحد منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر
وعلى السحاب قال الشماخ ❁ عفى آيه نسج الجنوب مع الصبا ❁ واسحم دان صادق الوعد صيب ❁ ولعل
الاول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار في التمثيل
الاول وامد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الثابتة اعني الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب
ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب ﴿من السماء﴾ متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد
بالسماء هذه المظلة وهي في الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اي ممنوع بقدرة
الله عز وجل من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من آفاقها
اي كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ❁ ومن بعد ارض بيننا وسماء ❁ كما ان كل طبقة من طباقها سماء
قال تعالى واوحى في كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل المراد بالسماء
السحاب واللام لتعريف الماهية ﴿فيه ظلمات﴾ اي انواع منها وهي ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة
اظلال ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الآخذ بالآفاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتي

الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة
والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقي
مع ظهور ظرفيتها للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الخ لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها
غالبة على غيرها ﴿ورعد﴾ وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها
ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا ﴿وبرق﴾ وهو ما يلمع من
السحاب من برق الشيء بريقا اي لمع وكلاهما في الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب باعتبار
كونهما في اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه والتنوين في الكل للتفخيم
والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على
الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة
او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن في الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في قوله تعالى
﴿يجعلون اصابعهم في آذانهم﴾ للمضاف الذي اقيم مقامه المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه
تعويلا على الدليل كما في قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير
للاهل المدلول عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان رضي الله عنه ❁ يسقون من ورد البريص عليهم ❁
بردى يصفق بالرحيق السلسل ❁ فان تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا
لانث حتما وايثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال
من الخارج الى الداخل للمبالغة في بيان سدها باعتبار الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع
في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بأناملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء
الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال
في عدم تعيين الاصبع المعتاد اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استئناف لا محل لها من
الاعراب مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون في تضاعيف تلك
الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله تعالى ﴿من الصواعق﴾ متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم
سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل ينقض معها شقة نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو
شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر
كالعافية والكاذبة وقد يطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة
الصوت وسد الآذان انما يفيد على التقدير الثاني دون الاول وقرئ من الصواقع وليس بقلب من الصواعق
لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته ﴿حذر الموت﴾
منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله ❁ واغفر عوراء الكريم ادخاره ❁ واعرض عن شتم اللئيم تكرما
والاصل في المفعول له ان يكون مصدرا وقيل هو نصب على المصدر اي يحذرون حذرا
مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحياة وقيل عرض
يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة ﴿والله
محيط بالكافرين﴾ اي لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته
عليهم باحاطة المحيط بما احاط به في استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة
من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة متفرعة على
ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة في
انتزاع الهيئة المشبه بها اعني الاحاطة واما ما عداه من الالفاظ فمتخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل
كما عرفته في قوله تعالى ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على ان ما صنعوا من سد الآذان بالاصابع
لا يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد بأس الله تعالى وفائدة وضع الكافرين موضع
الضمير الراجع الى اصحاب الصيب الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج
قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشئ من السخط

اشد وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكلام من المنافقين قد دل به على ان لا مدفع
لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تاخيره
لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشان المشبه **يكاد البرق** استيناف اخر وقع جوابا عن سوال مقدر
كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك **يخطف ابصارهم** اى يختلسها ويستلبها بسرعة
وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاكد اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد
بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا
كما في قوله ● فابت الى فهم وما كدت ايبا ● وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في مثل قوله ● رسم
قد كاد من طول البلا ان يمحصا ● كما تحمل هي عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة في اصل المقاربة وليس
فيها شايبة الانشا به كما في عسى وقرى يخطف بكسر الطا ويختطف ويخطف بفتح اليا والبا ونقل فتحة
الى الخا وادغامها في الطا ويخطف بكسرهما على اتباع اليا والخا ويخطف من صيغة التفعيل ويخطف
من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم **كلما اضاء لهم** كل ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اى كل
زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعايد محذوف اى كل وقت اضاء لهم فيه والعامل في
كلما جوابها وهو استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في اثناء ذلك الهول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا
باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق لهم ممشى ومسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف اى كلما لمع لهم على انه
لازم ويويده قراءة كلما ضاء **مشوا فيه** اى في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان
يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لهما **واذا اظلم**
عليهم اى خفي البرق واستتر والمظلم وان كان غير متعد لكن لما كان الاظلام دايرا على استتار ما اسند اليه مجازا [illegible]
لما اريد من المبالغة في موجبات تخبطهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جاء في قول
ابي تمام ● هما اظلما حالي ثمة اجليا ● ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ● ويعضده قراءة اظلم على البنا
للمفعول **قاموا** اى وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى
لهم الوصول الى المقصد او الى الالتجا الى ملجا يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم حراص
على المشي مترتبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من الدلالة على كمال التحير
وتطاير اللب ما لا يوصف **ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم** كلمة لو لتعليق حصول امر ماض
هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضيته مفروضية
الشرط دلالتها على انتفايه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفا الجزا فقد قيل وقيل والحق
الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه
بواسطة مدلولها الوضعي لامحالة ضرورة استلزام انتفا العلة لانتفا المعلول اما في مادة الدوران
الكلي كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين وقولك لو جيتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية علة
لوجود الهداية حقيقة ووجود المجي علة لوجود الاكرام ادعا وقد انتفيا في المثالين المذكورين وهو
الاستعمال الشايع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني وقد يساق للاستدلال بانتفا الثاني لكونه
ظاهرا او مسلما على انتفا الاول لكونه خفيا او متنازعا فيه كما في قوله سبحانه لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المومنين الى
الايمان لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفا اللازمين فتعين انتفا الملزومين حقيقة في الاول
وادعا باطلاق الثاني ضرورة استلزام انتفا اللازم لانتفا الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية
كما في المثالين الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفا الثاني للعلم بانتفا الاول
ومن لم يتنبه له زعم انه لانتفا الاول لانتفا الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت
الشمس لوجد الضو فلان الجزا المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجود اي ضو كان كضو القمر الجامع
لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضو الخاص الناشي من الطلوع ولا ريب في انتفايه بانتفا الطلوع هذا اذا
بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار اخر اولا فان اعتبر فالدلالة

فالدلالة ثابتة بحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم
تطلع الشمس لوجد الضو فان وجود الضو وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب اخر
ضرورة ان عدم الطلوع من حيث هو هو مدار الوجود الضو في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفا
عن تحقق مدار اخر له فكانه قيل لو لم تطلع الشمس لوجد الضو بسبب اخر كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزا
منتف عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود ضوء القمر عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم
الدلالة كما في قوله عليه السلام في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من
الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفا
الذي هو كونها ربيبته عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشية من كونها
ربيبته عليه السلام والحرمة الناشية من كونها ابنة اخيه من الرضاعة وان لم يعتبر هناك تحقق مدار
اخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام حينيذ لبيان ثبوت
الجزا على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى كما في قوله تعالى
قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله
رجال من فارس وقول علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية المذكورة قد
نيطت بما ينافيها ويستدعي نقايضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها
وتحقق اسباب انتفايها فكيف اذا لم يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها
يضيء ولو لم تمسسه نار وها هنا تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى او لو كنا كارهين وقول عمر رضي الله عنه
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصيان في ضمن عدم الخوف بمدار اخر نحو
الحيا والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه
مبالغة كان من هذا القبيل والاية الكريمة واردة على الاستعمال الشايع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية
هول ما دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله تعالى بازالة مشاعرهم
لزالت لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزايها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفا
احدهما لانتفا الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت
شرطا وكان مفعولها مضمون الجزا فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيا مستغربا كما في قوله
● فلو شيت ان ابكي دما لبكيته ● عليه ولكن ساحة الصبر اوسع ●
اى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بهما ولكنه لم يشا لما تقتضيه من الحكم والمصالح وقرى لاذهب
باسماعهم على زيادة البا كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وافراد السمع لما هو المشهور من انه
اسم مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستينافية وقيل على اضاء الخ
ان الله على كل شي قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على
ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشي بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كاينا ما
كان على انه في الاصل مصدر شا اطلق على المفعول واكتفى في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث
العلم والاخبار عنه فقط وقد خص هنا بالممكن موجودا كان او معدوما بقضية اختصاص تعلق القدرة
به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر
هو الذي ان شا فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشا ولذلك لم يوصف به غير
البارى جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده انه ان شا ابقاه على الوجود وان شا
اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شا ايجاده اوجده وان لم يشا لم يوجده وقيل قدرة
الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه واشتقاق القدرة من
القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد
مقدور لله تعالى حقيقة لانه شي وكل شي مقدور له تعالى والظاهر ان كل واحد من الثقلين ان كان [illegible]

من قبيل التمثيل المفرق كما في قوله • كأن قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي • بان
يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين وهداهم الفطري بالنار وتاييدهم اياه بما شاهدوه من الدلايل
باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وان الله باذهاب النور لتماديهم واخذ الضلالة
بمقابلته على البسهم الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها وشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقران وما فيه من العلوم
والمعارف التي هي سبب الحيوة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحيوة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان
وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالبرق والرعد وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال
من يهوله الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد
يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بوقوفهم
اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد
الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الاخر على وجه التفصيل بل ينتزع منه من المفردات الواقعة في
جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بان ينتزع
من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين
واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الاولين بما يضاهيها من الاخرين هو الذي
تقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زايد
هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون
مثلا في الغرابة **يا ايها الناس اعبدوا ربكم** اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس
في شانه الى ثلاث فرق مؤمنة به محافظة على ما فيه من الشرايع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها
بالمجاهرة والشقاق واخرى مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت
والاحوال وبين ما لهم من المصير والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء وتوجيها
لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك
ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله
ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل الزلفى ومنازل المقربين
واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتنى بشانه واي اسم مبهم جعل
وصلة الى نداء المعرف باللام لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه
مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا لمعنى النداء وتعويضا
عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد
كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وما ورد في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب
جليلة حقيقة بان تقشعر منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها
غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين الموجودين
في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء منها والتاكيد بما يفيد العموم
كما في قوله تعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضي الله تعالى عنهم بعمومها شايعا
ذايعا واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من
دينه عليه السلام ضرورة ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى
قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي
اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضيته اختصاصه بهم اختصاصا
بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل ورود الامر لما ان المامور
به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها
ولا انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم الا به وقد علم من الدين
ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم

يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع ومروي عن ابن عباس ان كل ما ورد في
القران من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض من الفريقين
الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم
بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا ومورد
النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك لا لان كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا
نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة **الذي خلقكم**
صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على
تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق
ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم
بادغام القاف في الكاف **والذين من قبلكم** عطف على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم
والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كائنين من
زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم
السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى
عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب
الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن
سالتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتاتى لاحد انكاره وقرئ وخلق
من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كاقحام اللام بين المضافين
في لا اباك او بجعله موصوفا بالظرف خبر المبتدا المحذوف اي الذين هم اناس كائنون قبلكم **لعلكم
تتقون** المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما
محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما
في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشايع في الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة
المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولا
لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة
للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعي في
الاية الكريمة جهة المتكلم تستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب تعالى فيتعين
اما الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مظنة لها لتعاضد اسبابها برجاء
الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان
الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب
من الوقوع واما التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون
منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة ويستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة
تمثيلية قد ذكر من الفاظها ما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي
منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستقا
والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى والجملة حال اما
من فاعل خلقكم اي خلقكم حال كونكم مرجوا منكم التقوى او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين
لانهم المامورون بالعبادة اي خلقكم واياهم مطلوبا منهم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال في
معنى خلقهم لاجل التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا كما قالوا على نهج تعليل افعاله تعالى بالاغراض
راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما ان لا يكون فان ترتب الغاية عليها هي بمنزلة ترتب
الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان يكون هي

علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال والعلة لتكميل علية المأمور به وتأكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله تعالى بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين انتسابه والثبات عليه ليرتجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال بين الفاعل وبين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التأخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل واما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونكم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الآفاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا واعلم ان الآية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته تعالى على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الآيات التكوينية المنصوبة في الانفس والآفاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الآيات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل **الذي جعل لكم الارض فراشا** وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدأ قالوا التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشاء كما في المنادى وحذف المبتدأ في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واما كونه مبتدأ خبره كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم شأنا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان ما يعقبه من منافع المخاطبين والتشويق اليه لان النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا **والسماء بناء** عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة او سماوة والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا **وانزل من السماء ماء** عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي ذلك عنه عليه السلام المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار وهو على الاول لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول مع ان حقه التأخر عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبدؤه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى **فاخرج به** اي بسبب الماء **من الثمرات رزقا لكم** وذلك بان اودع الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة

منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المختلفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد الاشياء بلا معاد ولا مواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له تعالى في انشائها متقلبة الاحوال وتبدلها في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا ومزيد طمأنينة الى عظم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء واخرج من الارض بعض الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستان ويؤيده القراءة على التوحيد او لان الجموع يتعاقب بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء او لانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا** اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شأنه من التفرد بهذه النعوت الجليلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والانداد باستتباعها لسائر الصفات واما معطوفة عليه كما في قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للنهي او للانتهاء او لان مآل النهي هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوه فخصوها به والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم لتتقوا او تخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل الخ على تقدير رفعه على المدح اي هو الذي خلقكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما فيه من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل عن مناطية النهي مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول بتأويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى رأي الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المناوي من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله تعالى وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل

اربا واحدا ام الف رب ● ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا ● كذلك يفعل الرجل البصير

وقوله تعالى **وانتم تعلمون** حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الرأي او مقدر حسبما يقتضيه

لتمام عجزه وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شئ او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون
انها لا تفعل مثل افعاله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وايا ما كان فحاصله
تنشيط المخاطبين وحثهم على الاتباع بانواعه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في الذي جعل لكم
القدر المشترك المنتظم لانشاء الاتيان هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شأن المؤمنين حتما
مثله في الامر وامر التقييد الى نفس النهي ويستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى
ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم واما
بطريق الالهاب والتهييج والتقريع فلا على ان تقابل القبائح من اهل العلم افحش وذلك انما يتصور
في حق الكفرة في صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد [illegible] عن التحقيق
ان قلت اليس في تخصيص الكفرة في الامر والنهي خلاف ما هو من امثال ما مر من التكلف وحسن انتظام
بين السياق والسياق اذ لا يجيئ في ابتداء التحدي من فرق بين الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة ثم ما فيه
من رفع محل المؤمنين ورفع شأنهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون في ذلك
الامر والنهي قلت بل لا وجه سوى [illegible] لا يبعد [illegible] ولا يزال [illegible] تدبر ودقيقه تامل
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته
نفي الريب عنه بالكلية [illegible] يوجب العبادة والتوحيد منزل من عنده تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم كما ان ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتحقيق
اتصافه بما ذكر في مطلع السورة الكريمة من النعوت الجليلة التي من جملتها تنزهه عن ان يعتريه ريب
والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان
كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد
هو الارتياب في شأنه واما الجزم المذكور فخارج عن دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك
للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف
لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه في تفسير
المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار
بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار
ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن في مما ابتدائية متعلقة
بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما
موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى
كونهم في ريب منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله
تعالى وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان
وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوه وازروا له بجعلها وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به
كانه قيل ان ارتبتم في شأن ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من
نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون في التبكيت
وازاحة العلل وفي ذكره صلى الله عليه وسلم بذكر العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف
والتنويه والتنبيه على اختصاصه به تعالى وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد
هو عليه السلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام تغليبا لما ان الارتياب فيما انزل عليهم ارتياب فيما انزل عليه
لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى فأتوا بسورة من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله
تعالى فأت بها من المغرب والفاء للجواب وسببية الارتياب للامر والاتيان بالمأمور به كما اشير اليه من
انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كأنه قيل ان
كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة
الطائفة من القرآن العظيم المترجمة واقلها ثلاث آيات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة

محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلوم احتواء سور المدينة
على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار
لان سور القرآن مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث
انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القارئ شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فهي
البقية من الشئ ولا يخفى ما فيه ومن في قوله من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير
لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة
سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه
قيل فأتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدار العجز
مع ان المراد بناء الامر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على
التهكم بهم بايهام ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى التهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بوجه
حد وقيل هي زائدة على ما هو رأي الاخفش بدليل قوله تعالى فأتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل
هي ابتدائية فالضمير للمنزل عليه حتما لما عرفت ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر
التعجيزي بالاتيان بشئ منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام
في البشرية والعربية والامية يهون الخطب في الجملة خلا ان تخصيص التحدي بفرد يشاركه عليه السلام
فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمأمور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يوهم
قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى او مجتمعين مع انه يبتني على عد المنزل عما فصل من النعوت الموجبة
لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدي امة جمة وامرهم بان يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم
حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مما تمثل في
صفات الكمال لما انه يجمله واحد من ابناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او
الناصر ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ابتداء ثم هذا دون ذاك اذا كان احط منه قليلا ثم
استعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل
في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الآخر فجرى مجرى اداة
الاستثناء وكلمة من اما متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين
الله تعالى للاستظهار من حضركم كائنا من كان او الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم
الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات او القائمين بشهاداتكم الجارية فيما بينكم من
امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة او القائمين بنصرتكم حقيقة او زعما
من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء في الاول مع اندراجه في الحضور [illegible]
تناوله بجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى
لاجابهم ابدا واما في سائر الوجوه فللتصريح من اول الامر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة
له قاصرين استظهارهم على سواه والالتفات لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من
دون اولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم
به مثله ابدانا بانهم يأبون ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه
انه يؤذن بعدم سقوط التحدي باولئك الرؤساء وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فيصححوا بهم دعواكم ولا
تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما
يدعون حقيقة ما هم عليه من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به للمتحدى
به مع عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة واتوا بشئ مشتبه الحال متردد بين المثلية
وعدمها وانهم ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه اذ عند ذلك تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد
بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى واني لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا نبسوا ببنت شفة واما تعلق
بشهداءكم والمراد بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز على ان الظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين

والعامل ما دل عليه شهداءكم اى ادعوا اصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى فى اتخاذها
كذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الاصنام بالشهداء لتعيين مدار الاستظهار
بها بتذكير ما زعموا انها بمكان من الله تعالى وانها تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق فان ما هذا شانه يجب
ان يكون ملاذا لهم فى كل امر مهم وملجأ يأوون اليه فى كل خطب ملم كانه قيل اولئك عدتكم فادعوهم
لهذه الداهية التى دهمتكم وفى الامر ايذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له
الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعى
الذى هو ادنى مكان من الشئ لمعنى امامه كما فى قول الاعشى ٭ تريك القذى من دونها وهى دونه ٭ اى تريك
القذى قدامها وهى قدام القذى فتكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم لكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة الى
اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اى ادعوا شهداءكم الذين يشهدون لكم بين يدى الله ليعينوكم فى المعارضة
وايرادها بهذا العنوان للامر بالاستظهار بها باعتبار الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح
ذلك المعنى فانما يقوم بهذا الامر فى ذلك المقام الخطر حقه ان يستعان به فى كل مرام وفى امرهم على الوجه
بان ينتظروا فى معارضة القرآن الذى اخرس كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما يوصف وكلمة من ها هنا
تبعيضية لما انهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان
الفعل انما يقع فى بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة
على دون فى جميع المواقع بمعنى فى كما فى سائر الظروف التى لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر
الا بمن خاصة وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية
اى ادعوا الذين يشهدون لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين فى ذلك اولياء الله تعالى ومحصله شهداء مغايرين
لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون بذلك وانما حذف المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى
يقابلون اولياء الاصنام كما ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج
الى غاية التبكيت كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم
المعروفين بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشهدون لكم حذرا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف لا
وامر الاعجاز قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء
التحدى وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة وانما بقى احتياجهم فى اثبات مثليته
للمتحدى به الى شهادة وشتان ما بينهم وبين ذلك ﴿ان كنتم صادقين﴾ اى فى زعمكم انه من كلامه عليه السلام
وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله الى آخره واستلزام
المقدم للتالى من حيث ان صدقهم فى ذلك الزعم يستدعى قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه السلام
فى البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النظم والنثر والمبالغة
فى حفظ الوقائع والايام لاسيما عند المظاهرة والتعاون ولا ريب فى ان القدرة على الشئ من موجبات الاتيان
به ودواعى الامر به ﴿فان لم تفعلوا﴾ اى ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم فى السعى غاية المجهود
وجاوزتم فى الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا
بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وانما اورد فى حيز الشرط مطلق الفعل وجعل
مصدر الفعل المأمور به مفعولا له للايجاز البديع المغنى عن التطويل والتكرير مع سر سرى استقل به المقام
وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المأمور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول
اى المأتى به ضرورة استحالته وان مناط الجواب فى الشرطية اعنى الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه
لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الافعال الخاصة لازمة كانت او متعدية من غير
اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل
واخراجه من القوة الى الفعل واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد
ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها
منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع ثم يرشدك الى هذا قوله تعالى فان

فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتونى باخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود
يوسف عليه السلام بالامر ومرمى غرضه بالتكليف استحضار بنيامين لم يكتف فى الشرطية الداعية لهم الى
الجد فى الامتثال والسعى فى تحقيق المأمور به بالاشارة الاجمالية الى الفعل الذى ورد به الامر بان يقول
فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا لمطلبه واعرابا عن مقصده هذا وقد قيل اطلق الفعل
واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء الظاهرة بالضمائر الراجعة اليها حذرا
من التكرار او على طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن
الحال فتدبر وايثار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة لهم بحسب حسبانهم قبل
التجربة او تهكم بهم ﴿ولن تفعلوا﴾ كلمة لن لنفى المستقبل خلا ان فى لن زيادة تأكيد وتشديد واصلها
عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب لمعنى المذكور وهى احدى
الروايتين عن الخليل والجملة اعتراضية بين جزئى الشرطية مقررة لمضمون مقدمها ومؤكدة لايجاب العمل بتاليها
وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه
بشئ يدانيه فى الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف ﴿فاتقوا النار﴾ جواب الشرط على ان اتقاء النار كناية
عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كانه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان
بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه من عند الله سبحانه فانه مستوجب للعقاب بالنار لكن اوثر عليه
الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة
فى تهويل شأنه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد فى تحقيق
المكنى عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم واذا
صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا
النار ﴿التى وقودها الناس والحجارة﴾ صفة للنار موضحة لها زيادة تهويل وتفظيع اعاذنا الله تعالى
من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمى به المفعول مبالغة
كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته
لا كنيران الدنيا تفتقر فى الالتهاب الى وقود من حطب او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول
مقتضيا لكون ذلك معلوما للمخاطبين لانهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك
او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة وهٰهنا
انما سمعوه اولا ولكن سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور وقيل ان
الصلة ايضا يجب ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب
المخاطب هنا المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة
الاصنام وبالناس انفسهم حسبما ورد فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴿اعدت
للكافرين﴾ هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد بها اما جنس النار وكون الكافرين
داخلين فيها اوليا واما هى خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم للذم بكفرهم
وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئنافية
لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به
لا وقيل حال باضمار قد من النار لا من ضميرها فى وقودها لما فى ذلك من الفصل بينهما
بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف ﴿وبشر الذين آمنوا﴾ اى بانه منزل من عند
الله تعالى وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على انه المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل
يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به
وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكان تغيير السبك
لتخييل كمال التباين بين حالى الفريقين وقرئ وبشر على صيغة المبنى للمفعول عطفا على اعدت
فيكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما فى حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح

لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافيان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بمحض الشارع وتفضله
ووعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتفاق على احداث
الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما
في قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم القيمة فانه عليه السلام لم يامر
بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتأتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان
يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح
اوائل ضوئه **وعملوا الصالحات** الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال
بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير اليها
في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف
العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان
اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه **ان لهم جنات** منصوب بنزع الخافض و
افضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على
النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة
من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا كانها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس
السترة وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر حينئذ
ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات
والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس جنة الفردوس
وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب و
درجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها **تجري من تحتها الانهار** في حيز النصب على انه صفة
جنات فان اريد بها الاشجار فجريان من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر
الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام
في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما
في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله تعالى انهار من ماء غير اسن
الاية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة
والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا
كما في سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** صفة اخرى
لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصفها باعتبار ذاتها وهذا باعتبار اهلها المتنعمين بها او خبر مبتدا
محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها
كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية
للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتديا من ثمرة على ان الرزق قد قيد بكونه
مبتديا من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتديا من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية
ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا تقدم على المبين كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة
الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك انما تشير
الى ما تعاينه بحسب الظاهر ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا
لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غير معروف ولتتبين لها مزيته
وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقنا من قبل
في الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى
فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة اللون واحد والطعم مختلف او كما روي عنه عليه السلام
انه قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل

يبدل الله مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة
رزقوا لا ابتعاده والمرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم
من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له
هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من انه ليس في الجنة
من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان
ان لا تناسب بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الاية الكريمة
بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز
انه يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات
فان الجنة وما فيها من الكرامات من قبيل الثواب **واتوا به متشابها** اعتراض مقرر لما قبله والضمير
المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان
يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق **ولهم فيها ازواج**
مطهرة اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال
النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور
فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما التطهير
فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في
الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح
اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدارية لبقاء الفرد ليست
بمعتبرة في مفهوم اسم الرزق حتى يخيل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة **وهم فيها خالدون** اي دائمون
والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد وللجزء الذي
يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتابيد في قوله تعالى خالدين فيها
ابدا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما نطق به من الايات والسنن
وما قيل من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال
والانفكاك فقياسه مدار ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان
يعيدها الخالق تعالى بحيث لا تعتريها الاستحالة والانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في
الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الاخر متعانقة متلازمة
لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينهما ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب
والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح
حسبما يقضي به الاستقراء كان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت
في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها
وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من القول والعمل
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب
خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما
اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والقام الحجر وافحام كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو
صالح عن ابن عباس ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله
اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رضي الله عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي
عنه ايضا انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء الاية قالت اليهود اي قدر للذباب او العنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل

وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه
التردد فضلا عن النكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر
كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير
اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق
الخفية وفهم الدقائق الابية كيف يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما لا يرتضيه ولذلك شاعت الامثال
في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضيته وجوب التماثل بين
الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة
ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء • اجمع من ذرة • واجرأ من الذباب • واسمع من قراد
واضعف من بعوضة • الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه حيي
الرجل وهو حيي واشتقاقه من الحياة اشتقاق شظي ونسي وحشي من الشظا والنسا والحشا يقال شظي
الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعتريه الحياء تعتل قوته الحيوانية وتنقص واستحيا
بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد
يحذف منه احدى اليائين ومنه قوله • لا يستحي منا الملوك وتتقي • محارمنا لا يبوء الدم بالدم • وقوله
• اذا ما استحين الماء يعرض نفسه • كرعن بسبت في اناء من الورد •
فكما انه اسند اليه سبحانه بطريق الايجاب في مثل قوله عليه السلام ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان
يعذبه وقوله عليه السلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا
يراد به الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد
وعطائه بترك من يترك ما حياء كذلك اذا نفي عنه تعالى في المواد الخاصة كما في هذه الاية الكريمة وفي قوله تعالى والله
لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى رأسا
كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شأنه تعالى في الجملة فالمراد
هاهنا عدم ترك ضرب الامثال المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تفاضد الدواعي الى ضربه وتآخذ
البواعث اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده
على طريقة المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال
• من مبلغ افناء يعرب كلها • اني بنيت الجار قبل المنزل • وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به لا صنعه
وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها في مضاربها مع
انتفائه لفقدان الانشاء هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها بعد ذلك في مضاربها
في انفسها لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل باعتبار الاول قطعا وهو ماخوذ اما من ضرب الخاتم
بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال في مضاربها تطبيقها بها كان المضارب
قوالب تضرب الامثال على شكلها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انها تورد
منطبقة عليها سواء كان انشاؤها هناك كما في الامثال التنزيلية فان مضاربها قوالبها اولا وقبل ذلك كسائر
الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل
عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها
ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديته بنفسه النصب على
المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه
بعد حذفه ومثلا مفعول ليضرب وما ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا كما في
قولك اعطني كتابا ما كأنه قيل مثلا ما اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة
وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه في النكرات
او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها بحذف صدر الصلة كما في قوله

قوله تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع انه مفعول ليضرب وعلى تقدير كونها ابهامية صفة لمثلا
كذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبرها كأنه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واي
مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله عليه السلام
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء • والبعوض فعول من البعض وهو
القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل من الخمش وهو الخدش **فما فوقها**
عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف
واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها موصولة او موصوفة واما على تقدير
كونها استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي
فوقها وشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة وبعوضة خبر لمضمر
وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل
بالشيوع بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل
اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت
وعلى التقدير الاول يجوز ان تكون ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله تعالى لا
يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء كان فوقها في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره
في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حين ذكر لها
ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب الله له بها درجة ومحيت
عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من
مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كالمثال ما حكي من الخرور **فاما الذين
امنوا** شروع في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة
على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل فيضربه فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين
على ما حكي عن الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد امر المؤمنين وذم الكفرة
ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء وفائدته توكيد
ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على واحد منها كما في قوله عز وجل
فاما الذين في قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب لا محالة
وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها
الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول
الاتي فريق الكفرة لا كل من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون **فيعلمون انه
الحق من ربهم** كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل
الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء
الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل او الى
ضربه اي كائنا او صادرا من ربهم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان
بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون
عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي يعلمون حقيته ثابتة ولعل
الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا
به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهور المعنى عن الذكر **واما الذين كفروا** ممن حكيت
اقوالهم واحوالهم **فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** اوثر يقولون على يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر
قرينة دلالته على كمال غلوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان مجرد عدم العلم بحقيقته ليس بمثابة
انكارها والاستهزاء بها صريحا وتمهيدا لتعداد ما نعي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض
العهد وغير ذلك من شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيقته لا يعم جميعهم فان منهم

من ربهم بها وانما يقولوا ما يقولوا مكابرة وعنادا او حمله على عدم الاذعان والقبول الشامل للجهل والعناد
ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم
هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه فتأمل وكن على الحق المبين
وماذا اما متولفة من كلمتي استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن
ان يجي جوابه مرفوعا واما مركبة منزلة اسم واحد بمعنى اي شي فالاحسن في جوابه النصب والارادة
نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه او القوة التي هي مبدؤه والاول مع الفعل والثاني قبله وكلاهما
مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته تعالى فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه
ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا تكون المعاصي بارادته تعالى فقيل هي علمه باشتمال الامر على النظام
الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على
الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفي كلمة
هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله تعالى ناقة الله لكم آية
وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم
بصدوره عنه تعالى بل غرضهم التنبيه باعتقاده من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلق به امر من
الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه بقوله تعالى
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة
وغاية جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية ووضع الفعلان موضع
الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجانب
عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات
من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء اختيارهم وترجيحه الاستقبال ايذانا بالتجدد
والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال
على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا
يسوؤهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين
باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار بحسب مورده ضلال وفسوق
وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك قلة اهل الهدى بالنسبة
الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون
قلتهم الاضافية لتكميل فائدة ضرب المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي
الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا
واسناد الاضلال الى خالق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال
العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ
يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية
وتأكيدها **وما يضل به** اي بالمثل او بضربه **الا الفاسقين** عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد
وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا
ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون
على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها اي خرجت
قال رؤبة • يذهبن في نجد وغور غائرا • فواسقا عن قصدها جوائرا • وفي الشريعة الخروج
عن طاعة الله بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابي
وهو ارتكابها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المكابرة عليها مع جحود قبحها
وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي عليه

عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا الى ان الايمان
عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال الفاسق
في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين
ها هنا العاتون المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده حكي عنهم ما حكي من الكفر بكلام الله تعالى
والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مترتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان بان ذلك
هو الذي اعدهم للضلال عن الحق بان في حكمة المثل الى حقارة الممثل حتى تحققت به جهالتهم وازدادت
ضلالتهم فانكروه وقالوا فيه ما قالوا **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين للذم وتقرير
ما هم عليه من الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في
العهد من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط كلا المتعاهدين بالآخر فان شفع بالحبل وأريد
به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه
وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته
بحر في افاضته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا اوصاه به ووثقه عليه والمراد ها هنا اما العهد
المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده تعالى ووحدته وصدق رسوله عليه السلام
وبه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او المأخوذ من جهة الرسل
على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة
ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الاول ما اخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بان يقروا بربوبيته
والثاني ما اخذه على الانبياء عليهم السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلماء
بان يتبعوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام اما مصدر بمعنى التوثقة
كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من القبول والالتزام
وان رجع الى لفظ الجلالة يريد به آياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين
اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد فالميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى
من بعد ما وثقوه بالقبول والالتزام ومن بعد ان وثقه الله تعالى بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان
مصدرا من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه
بانزال الكتب وانذار الرسل **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها
الله تعالى كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك
الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من
الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو
وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر
به كما يقال له شأن وهو القصد والطلب لما انه اثر للشأن وكذا يقال له شيء وهو مصدر شاء لما انه
اثر للمشيئة ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى
ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام
العالم وصلاحه **اولئك** اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه
ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد
للدلالة على بعد منزلتهم في الفساد **هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما
يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والتأمل في حقائقها والاقتباس
من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب
كيف تكفرون بالله التفات الى خطاب المذكورين مبني على ابراز ما عدد من قبائحهم السابقة لزيادة
السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف

يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الخ بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة
ما ليس في توجيه الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان وجوده على حال من
الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله تعالى وكنتم
امواتا الى اخر الاية حال من ضمير الخطاب في تكفرون موكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من
الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعما جسيمة عادة ومن حيث دلالتها على
قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند
الاخفش اي في اي حال او على اي حال تكفرون به والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية
ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقه على تلك الاجسام باعتبار
عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى والارض الميتة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفا
للدلالة على التعقيب فان الاحيا حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة
بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه انفا ثم يميتكم اي عند تقضي اجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة
ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحياة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد
من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحيا دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور
يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور وايا ما كان فهو متراخ عن زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر
ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم
للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها مستقبلا لا ينبغي مقارنة شي منها لما هو حال منه في الزمان
لكن الحال في الحقيقة هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه
وما له التعجب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحيا الاخر والرجع في سلك ما يعترفون
به من الاحيا الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم في العلم لما يتلون من الدلائل القاطعة منزلة العلم به
بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا
مجاز في القوة النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها
وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابلها في كل مرتبة من تلك المراتب قال الله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى
قائم بذاته تعالى مقتض لذلك وقرئ يرجعون بفتح التا والاول هو الاليق بالمقام هو الذي خلق لكم ما
في الارض جميعا تقرير للانكار وتاكيد له من الجهتين المذكورتين غير سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما
في المقصود ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحيا والاماتة والحشر ادخل في الحث على
الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدا والموصول خبرا من الدلالة
على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق الى المؤخر
كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات او بالواسطة
وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات
الاخرة والامها وما يعم جميع ما في الارض لا نفسها الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسما جهة العلو نعم يعم
كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني موكدة لما فيه
من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل في استتباع ما هو عليه
من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه
ليس في العالم شي مما يتعلق به النظر وما لا يتعلق الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله
تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل ثم استوى الى السما اي قصد اليها بارادته ومشيته قصدا
سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شي اخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من
قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر ههنا لما انه لا تحققه في خلق السفليات كما روي من تخلل خلق

خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان
ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله
تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى واستقر وملك والاول
هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما بينه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه
على خلق ما في الارض المتاخر عن دحوها ما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن
الحسن والمراد بالسما اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات
العلو فسواهن اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتدا مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم
يكن كذلك ولا يخفى ما في تعقيب التسوية بالاستوا من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو
والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسما فانها في معنى الجنس وقيل هو جمع سماءة او سماوة وعلى
الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاول بدل من الضمير وتاخير
ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما
نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات
ايضا من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يحصى هذا ما قالوا وسياتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل
باذن الله تعالى وهو بكل شي عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض وما فيهما على
هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه تعالى بجميع الاشيا ظاهرها وباطنها
بارزها وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون
الهاء تشبيها له بعضد واذ قال ربك بيان لامر اخر من جنس الامور المتقدمة المذكورة للانكار والاستبعاد
فان خلق ادم عليه السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية لذريته الى الشكر
والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما تقدم من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح
لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين للخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان
فحوى الكلام ليس مما يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل
انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من الانبا على تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع
فيه نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله تعالى واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وفي قوله تعالى واذكروا
اذ جعلكم خلفا من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت
مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل
على تاويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على مضمر اخر
ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام عقيب ما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة من الوحي الناطق بتفاصيل
الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما
هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكر النعمة في خلق السموات والارض او تدبر ذلك فغير
سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بموجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذلك من تعاطيه الجليل
صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا اتجعل فانه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات دون سائر القصة
وقيل بما سبق من قوله تعالى [illegible] بابه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات وبشر الذين امنوا ولا يخفى بعده
وقيل بمضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء
الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل اذ زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر
وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله تعالى للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد
لما في المقول من الطول غالبا مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر لما مر مرارا والملائكة جمع ملاك

باعتبار اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمايل في جمع شمال والتا لتاكيد تانيث الجماعة واشتقاقه
من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مالك من الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة
او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسايط بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم السلام
واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام
لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكما الى
انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من
الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه من الاشتغال بغيره كما نعتهم الله تعالى
بقوله سبحانه يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السما الى الارض حسبما
جرى عليه قلم القضا والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طايفة من النصارى هي
النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كرتهم انه عليه السلام قال اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها
موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني آدم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور
والكل عشر حيوانات البحور وهولاء كلهم عشر مليكة الارض الموكلين وهولاء كلهم عشر ملايكة السما الدنيا
وكل هولاء عشر ملايكة السما الثانية وهذا الى السما السابعة ثم كل اوليك في مقابلة ملايكة الكرسي نزر
قليل ثم جميع هولاء عشر ملكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستماية الف طول كل سرادق
وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من
مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قايم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هولاء في مقابلة الملايكة الذين
يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملايكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملايكة الذين هم
جنود جبريل عليه السلام لا يحصى عددهم اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا باريهم العليم الخبير
على ما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السما راى ملايكة في موضع
بمنزلة سرف يمشي بعضهم تجاه بعض فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل الى اين يذهبون فقال جبريل
لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثم سالا واحدا منهم منذ كم خلقت
فقال لا ادري غير ان الله تعالى يخلق في كل اربعماية الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعماية الف كوكب
فسبحانه من اله ما اعظم قدرته وما اوسع ملكوته واختلف في الملايكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملايكة
الارض وروى الضحاك عن ابن عباس انهم المختارون مع ابليس حين بعثه الله تعالى لمحاربة الجن حيث كانوا سكان
الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدما فقتلوهم الا قليلا فاخرجوهم من الارض والحقوهم بجزاير البحار ورؤس
الجبال وسكنوا الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك سما الدنيا وخزانة فكان يعبد الله
تارة في الارض وتارة في السما واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين
رضوان الله تعالى عليهم انهم كل الملايكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة
في حيز النصب على انه مفعول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع
من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهو من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى مفعولين فقيل اولهما خليفة
وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعول التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره وهما
الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدا وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في
الارض خليفة معناه بعد البنا والتي اني جاعل خليفة من الخلايف او خليفة بعينه كاينا في الارض فان خبر
صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا
وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملايكة عليهم السلام فاذن قوله
تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف
وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله تعالى ولا
تؤتوا السفها اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف فيه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في
قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث حذف فيه المفعول الاول لدلالة يبخلون

عليه اي لا يحسبن البخل بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي
فهي واضحة لو نوعه في اثنا ذكره عليه السلام على ما سنفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعل في الارض
خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هنالك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف عند الحكاية
فالقرينة ما ذكر من جواب الملايكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك
للملايكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه
ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز
الاكتفا عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فلان يجوز ما نحن فيه ومعه قرينة
ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق
والتقديم كما مر فحيث لا يكون ما سياتي من كلام الملايكة مترتبا عليه بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما
قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض
ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب
منابه فعيل بمعنى الفاعل والتا للمبالغة والمراد به اما آدم عليه السلام وبنوه وانما اقتصر عليه استغنا بذكره
عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او خلف
يخلف فيهم عليه السلام وغيره من خلفا ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في
اجرا احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور
استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة
ممن كان في الارض قبل ذلك فيعم حينئذ الجميع قالوا استينافا وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل
فاذا قالت الملايكة ح فقيل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين
فقيل فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان الاول كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما
حذف الاول ثمة تعويلا على ما ذكرنا قال قايلهم • لا تجعلنا على عرايك انا • طال ما قد وشانا الاعدا
بحذف المفعول الثاني اي لا تجعلنا جارعين على عرايك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف
الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني بيفسد وفايدته تاكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف
المفسد في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كونه من الجعل بمعنى الخلق
المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد في الارض كيف لا وان
ما يعقبه من الجملة الحالية انما طعنت بدعوى احقيتهم منه بقضي ببطلانه حتما اذ لا مصحح لدعوى الاحقية
منه بالخلق وهم مخلوقون بل مدارها ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجرا احكام الله تعالى واوامره
او يستخلف مكان المطيعين على الطاعة من ذرية ثنا بني توعدا الافساد وسفك الدما وهو عليه السلام
وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا
تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بهرت على تلك المفاسد والغتها واستخبارا عما يرشدهم
ويرشدهم الى معرفة ما فيه عم من الفضايل التي جعلته اهلا لذلك كسوال المتعلم عما ينقدح في ذهنه
لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام
ولا في ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما نقل من قبل او بتلق من
اللوح او باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثقلين على الآخر ويسفك
الدما السفك والسفح والسبك والسكب انواع من الصب والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا
في الدم المحرم اي يقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير عنه بسفك الدما لما انه اقبح انواع القتل واقطعه
وقري يسفك على البنا للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدما فيهم ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد
في خدمة مولاه وهو يامر بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل اتستخلف من من شانه ذريته

الفساد مع وجود من ليس من شأنه ذلك أصلا والمقصود عرض احقيتهم منه بالخلافة واستفسار عما
رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكأنهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي
رذيلتها الافراط فيها الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراط فيها سفك الدماء فقالوا ما
قالوا وذهلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية عند انقيادها ومرنتهما على الخير يحصل بذلك من علو الدرجة
ما يقصر عن بلوغ رتبته القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به امر الخلافة
والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض
والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض
اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار وابناء بحمدك متعلق بمحذوف
وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشأنك متلبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم
التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام واللام
في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما للبيان كما في سقيا لك فتكون متعلقة
بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل
المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد الذي هو اعظم الاشراك بالتسبيح وسفك
الدماء الذي هو تلويث النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا
للواقع قال استئناف كما سبق اني اعلم ما لا تعلمون ليس المراد به بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء
كائنا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما بطريق التوكيد بل بيان ان
فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد
فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه
وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بل قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته تعالى به
وغفلتهم عن ذلك تفخيما لشأنه وايذانا بابتناء امره على العلم الرصين والحكمة المتقنة وصدور توهمهم عن
الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله
تعالى كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل
ويكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشأنهم فانهم عالمون بان ذلك
متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا هل هو امر راجع الى محض حكم الله تعالى او الى فضيلة من جهة
المستخلف فبين سبحانه وتعالى اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم
طرفا منها ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وتنزاح شبهتهم بالكلية وعلم آدم الاسماء كلها
شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال في الابتداء
بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية انما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو
الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليه السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة فقيل
ما قيل كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة لان ذكره بعنوان الخلافة
لا يلائم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعاذر وعابر وفالغ لا افعل
والتصدي لاشتقاقه من الادمة او الادم بمعنى الاسوة او من اديم الارض بناء على ما روي عنه عليه السلام
من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم ولذلك اختلفت الوان ذريته
او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من
الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات
والافعال واستعماله عرفا في اللفظ لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا
في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد هاهنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول
اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعنى مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه

عليه العلم بالتخلف ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من
جهته كما مر في تفسير الهدى وهو السر في ايثاره على الاعلام والانباء فانهما انما يتوقفان على سماع الخبر
الذي يشترك به البشر والملك وبه تظهر احقيته بالخلافة منهم عليهم السلام لما ان جبلتهم غير مستعدة للاحاطة
بتفاصيل احوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما
ضروريا تفصيليا باسماء جميع المسميات واحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان
هذا فرس وشأنه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها
عليه السلام حسبما تقتضيه استعداده وتستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة
وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير علمه اسماء جميع الاشياء
حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كل شيء الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون
الى يوم القيامة وقيل معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك
انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها
وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالاتها فيكون ما
مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطوية عطف عليها الجملة المذكورة
اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلمه الخ ثم عرضهم على الملائكة الضمير للمسميات المدلول عليها
بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها
اي عرض مسمياتهن او مسمياتها وفي الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله تعالى عرض عليهم من افراد كل
نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها فقال انبئوني باسماء هؤلاء تبكيتا
لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير
وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري
مجرى كل منهما والمراد هاهنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شأن الاسماء وعظم خطرها
فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين اي في زعمكم انكم احق بالخلافة ممن استخلفته
كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزم مدلوله
من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما في الارض واما ما قيل من ان المعنى
في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء [illegible]
[illegible] من غير ان يكون له مزية [illegible]
بامرهم بالانباء جواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه قالوا استئناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا
قالوا هل خرجوا عن عهدة ما كلفوه [illegible] قالوا سبحانك [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لا علم لنا الا ما علمتنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
عن البيان انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية [illegible]
ما لا تعلمون الحكيم اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر

او صفة للاول وانت ضمير الفصل لا محل له من الاعراب او له محل منه مثل ذلك لما قبله كما قاله الفراء ولما
بعده كما قاله وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان وفي
تلك الجمل تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما
خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما نحن بمعزل
من الاستعداد له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة
الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية
والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبناء امر الخلافة عليها **قال**
استئناف كما سلف **يا آدم انبئهم** اي اعلمهم اوثر على نبئني كما وقع في امر الملائكة عليهم السلام مع
حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل آدم عليه السلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلي
وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان وانه عليه السلام حقيق
بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما **باسمائهم** التي عجزوا عن علمها
واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها **فلما انبأهم باسمائهم** الفاء فصيحة عاطفة لجملة الشرطية
على محذوف يقتضيه المقام ويستدعيه النظام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه
في اسرع ما يكون كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انبأهم
بها على وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانبأهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه
واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه السلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل
التي ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة
لصدق مقالاته عليه السلام فلما انبأهم بذلك **قال** تعالى تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي استحضارا
له **الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض** لكن لا لتقريره نفسه كما في قوله تعالى الم نربك فينا وليدا و
حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه السلام لظهور مصداقه
وايراد ما لا تعلمونه بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط
وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم عليه السلام من الامور المتعلقة باهل السموات
واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل
الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى
واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو داخل تحت
القول وما في الموضعين موصولة حذف عائدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان
باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الخ وبما يكتمون استبطانهم انهم احق بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا
افضل منهم روي انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رات الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا
الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان الى الجميع من قبيل
قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم
وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه
لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة
زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا
منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة عم لانه اعلم منهم وانه تعالى
يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة** عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل
معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت
قولنا الخ وقد عرفت ما في امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من

من الاقوال المحكية المنصلة به للايذان بانها في حيز نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها
والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في
موضع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا لضم الجيم
في قوله تعالى **اسجدوا لآدم** كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله رب العالمين اتباعا لكسر اللام وهي لغة
ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل
امروا بالسجود له على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم
في شانه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان آدم عليه السلام قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه
تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على
نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله عنه

أليس اول من صلى لقبلتكم ❁ واعرف الناس بالقرآن والسنن

او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله تعالى **فسجدوا** عطف على قلنا والفاء
لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل
ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عم وقوله تعالى **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا
بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة
جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن
استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس
وهو الياس قال انه مشبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي تقتضيه هذه الآية
الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية والتي في سورة
بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآيات ان سجود
الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم
بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله تعالى واذ قال ربك
للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد
الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى آخر الآية
يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة
من التسوية ونفخ الروح فيه عليه السلام وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تاخير وتاويل
الآيات السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه ح يكون في حكم
التنجيز يابا ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر عن التصوير المتاخر عن الخلق المتاخر عن
الامر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على الرتبي والتراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به
لما كان في عدم ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد
التسليم والتي الى ان ما جرى بينه وبينهم عليهم السلام في شان الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود
المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عم وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا
وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي عنه الى تاويل نفخ الروح بحمله على ما يعم افاضة ما
به حيوة النفوس التي من جملتها تعليم الاسماء تعسف ينبئ عن ضيق المجال فالذي تقتضيه التحقيق ويستدعيه
النظم الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عم
انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع
ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من ضرورة وجوب السجود عقيب نفخ الروح
فيه بان الفاء الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للنظم بعد
وجوب السعي عقيب النداء في قوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الآية وبعدم وجوب اقامة الصلوة
عند الاطمئنان لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية

الى ود وما نحن فيه من الامر التغليبي اثر ذي اثر انما هي حمل الملئكة عم على التامل في شانه ليتدبروا في احواله طرا ويحيطوا بما لديه خبرا ويستنهوا ما عسى يشتبه عليهم في امره عم لانبائه على حكم ابية واسرار خفية طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي وتحتم الامتثال وقد قالوا بحسب ذلك ما قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم نظم الامر التنجيزي في سلك الامر بالذكورة في السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم وقوع المحكي ذكر الامر التغليبي عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما تقتضيه المقام وليتدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم سبق معرفة الملئكة بذلك وحيث صبر اليه مع انه لم يرد به نقل فاظنك بما قد وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله قد القى اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه في الارض فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وتبين لكم شانه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا او القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عم ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي اعتناء بشان المامور به وتعيينا لوقته وقد حكى بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملئكة الخ بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ الاعلى الملئكة وآدم عليهم السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شان خلافة آدم عم من التقاول الذي من جملته ما عنه عم من الانباء بالاسماء ومن قضيته البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التغليبي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما رتب عليه من سجود الملئكة عم وعناد ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملئكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملئكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء قبله فهو اذن بعد نفخ الروح وقبل السجود حتما باحد الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر **ابى واستكبر** استيناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد او التامل والاباء الامتناع بالاختيار والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر من يعظمه او يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع الساجدين **وكان من الكافرين** اي في علم الله تعالى اذ كان اصله من كفرة الجن ولذلك ارتكب ما ارتكب على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود لآدم عم زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما ينبئ عنه قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدلالة على ان كلا من الاباء والاستكبار كفر لا انهما سبب له كما يفيده الفاء **وقلنا** شروع في حكاية ما جرى بينه تعالى وبين آدم عم بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملئكة وابليس من الاقوال والافعال وقد ترك حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصل في ساير السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملئكة ولا يقدح في ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنداء في قوله تعالى **يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة** للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن من السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح العطف عليه واختلف

واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها آدم بقي فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانب الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت قالت لتسكن الي فقالت الملئكة تجربة لعلمه ما هذه قال امراة قالوا لم سميت امراة قال لانها من المرء اخذت فقالوا وما اسمها قال حواء قالوا لم سميت حواء قال لانها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس انه قال بعث الله تعالى جندا من الملئكة فحملوا آدم وحواء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النور حتى ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هي جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله امتحانا لآدم عم وحمل الاهباط على النقل منها الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عم كان في الارض بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت في السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط الاول كان منها الى السماء الدنيا والثاني منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع **وكلا منها** اي من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عم في الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه **رغدا** صفة للمصدر المؤكد اي اكلا واسعا رافها **حيث شئتما** اي اي مكان اردتما منها وهذا كما ترى اطلاق كلي حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى **ولا تقربا** بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرضت له وقال الجوهري قرب بالضم يقرب قربا اي دنى وقربته بالكسر قربانا دنوت منه **هذه الشجرة** نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اي هذه الحاضرة من الشجرة اي لا تاكلا منها وانما علق النهي بالقربان منها مبالغة في تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة او العنبة او التينة وقيل شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير دليل قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وتا تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء **فتكونا من الظالمين** مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب على انه جواب للنهي واياما كان فالقرب اي الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى **فازلهما الشيطان عنها** اي اصدر زلتهما وحملهما على الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عني كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما وهما متقاربان في المعنى فان الازلال يقتضي زوال الزال عن موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما اني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات مشعرة بانه عم لم يوقن بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما ان من حاله ان لا حين انما بعث اليها واختلف في كيفية توصله اليهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على وجه التكرمة كما كان يدخل مع الملئكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها وملابستها لما يوجبهما الى المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة **وقلنا اهبطوا** الخطاب لآدم وحواء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا جنس فكانهما الجنس كله وقيل لهما وللجنة وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او اهبط من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اي متعادين يبغي بعضهم على بعض بتضليله او

او استيناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض واما لان وزانه وزان المصدر كالقبول ولكم في الارض التي هي محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعني لكم من الاستقرار مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع بالعيش واستمتاع به الى حين هو حين الموت على ان المنجا تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس في ضمن بعض الافراد والجملة كما قبلها في كونها حالا اي مستحقين للاستقرار والتمتع او استينافا فتلقى آدم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها او وفق لها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم والفا للدلالة على ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه عم للتشريف والايذان بعلية القاء الكلمات المدلول عليها بتلقيها فتاب عليه اي رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة والفا للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمن لمعنى التوبة التي هي عبارة عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شان آدم عم لما ان حوا تبع له في الحكم ولذلك طوى ذكر النسا في اكثر مواضع الكتاب والسنة انه هو التواب اي الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف به الباري تعالى اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتايب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه قلنا استيناف مبني على سوال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فما ذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الامر بالهبوط ايذانا بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في امنيته عم من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهارا لنوع رافة به عم لما بين الامرين من الفرق التركيب لان الاول مشوب بضرب سخط مذيل ببيان ان مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد ايتا الهدى المودي الى النجاة والنجاح واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليا بل انما هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامل وقيل الاول من الجنة الى السما الدنيا والثاني منها الى الارض ويأباه التعرض لاستقرارهم في الارض في الاول ورجوع الضمير الى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤا جميعا بخلاف قولك جاؤا معا فاما ياتينكم مني هدى الفا لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به واما مركبة من ان الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لانه مبني لاتصاله بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرته النون بني والا اعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما في قولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب بل يكفي في وجوبه اضافة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال او للجري على سنن العظما في ايراد عسى ولعل في مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداي منكم فلا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والحزن اصلا بل يستمرون والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصايص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل

دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه وتاكيد وجوب اتباعه او لان المراد بالثاني ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية والانفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا عطف على من تبع الخ قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه وانما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها اي والذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التي انزلها على الانبيا واظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة الظاهرة قال النابغة ● توهمت ايات لها فعرفتها ●● لستة اعوام وذا العام سابع ● ويقال للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طايفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان باياتهم اي بجماعتهم قال ● خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ●● باياتنا نزجي اللقاح المطافلا ● واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوى اليه اي رجع واصلها اوية او ايية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت او ايية كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاستعارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتدا وقوله تعالى اصحاب النار اي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبره وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او في محل الرفع على انه خبر اخر لاولئك على راي من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام ه يا بني اسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له الى طايفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم لتذكيرهم بفنون النعم الفايضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكير كلهم بالنعمة العامة لجميع البشر قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك الخ واذ قلنا الخ لان المعنى كما اشار اليه في قوله كلامي واذكرهم اذ جعلنا اباهم خليفة في الارض وسجدنا له الملائكة وشرفناه بتعليم الاسما وكذا قوله والابن من البنا لانه مبني ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسراييل لقب يعقوب عم ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرايل بحذف الياء واسرال بحذفها واسرايل بقلب الهمزة يا واسرال بهمزة مفتوحة واسرئل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطايفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى وتقييدها بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضى والشكر قيل اريد بها ما انعم به على ابايهم من النعم التي سيجي تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي اجلها ادراك عصر النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي باسكان اليا واسقاطها في الدرج وهو مذهب من لا يحرك اليا المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل بالصالح بنصب الدلايل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض فاول مراتب الوفا منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدما والاموال واخرها منا الاستغراق في بحر

التوحيد بحيث تفضل عن انفسنا فضلا عن عجزنا وعنا الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روى عن ابن عباس اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم بالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** فيما تأتون وما تذرون خصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى **وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ** افرد الايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى في شأن الوفاء بالعهود **مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ** من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرار المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتأكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا **وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ** اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون شأنه وحقيته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره منكم من كونكم اول كافر به ووقوعه اول كافر به خبرا عن ضمير الجمع بتأويل اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم في الكفر به مع ان مشركي العرب اقدم منهم فان المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اذا نجا فخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت **وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي** اي لا تأخذوا لانفسكم بدلا منها **ثَمَنًا قَلِيلًا** هي الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الآيات وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شأنه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا **وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم بالتقوى الذي هو المنتهى **وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ** عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما

بالآخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه او تذكرونه في تأويله **وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ** مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** اي حال كونكم عالمين بانكم لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس اراده تقييد النهي به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل قد يعذر **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** اي صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلاة وزكاة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله **وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في المناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي: لا تحقرن الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه. **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ** تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيه للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب **وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** اي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع الرسول عليه السلام ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يأمرون الناس بالصلاة والزكاة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت هي عليه **وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ** تبكيت لهم وتقريع كقوله تعالى وانتم تعلمون اي والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته عليه السلام الآمرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** اي اتتلونه فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف او الا تتلون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى الامرين والمبالغة من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ بسوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق وتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد او اثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه ولا تدعه يحضر مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت: لتهدي الانام ولا تهتدي • الا ان ذلك لا ينفع • فيا حجر الشحذ حتى متى • تسن الحديد ولا تقطع • فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله تعالى **وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ** متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف

الاال منهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة
الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب
وجبر المصايب روي انه صلى الله عم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة
بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا راوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد
ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما اعد لهم بمقابلتها
فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عم
وقرة عيني في الصلوة والجملة حالية او اعتراض تذييلي الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه
راجعون اي يتوقعون لقاءه تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان
بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما
الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم
كالمنافقين والمرائين فالتعرض للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان
في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع قال
• فارسلته مستيقن الظن انه •• مخالط ما بين الشراسيف خائف •
وجملة ان في الموضعين اسما لله لاشتمالها على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتاكيد وليربط بما بعده من الوعيد الشديد به واني فضلتكم
عطف على نعمتي عطف الخاص على العام بكماله اي فضلت آباءكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحتهم من
العلم والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عم وبعده
قبل ان يغيروا واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا
من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فانتصابه على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس
للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوم والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال
اتسع فيه فحذف الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قوله من قال
• فما ادري اغيرهم تناء • وطول العهد ام مال اصابوا •
اي اصابوه ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى
والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله
التسوية سمي به الفدية لانها ساوت المفدي وتجزي مجراه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله تعالى
والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة
عن العباد والاناسي والنصرة هاهنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالآية نفي
ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة والثاني اما ان يكون
باداء عين ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسك المعتزلة بهذه
الآية على نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة
المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم
واذ نجيناكم من آل فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء
وصنوف الآلاء اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم وتنجية آبائكم واصل آل
اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الاخطار كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك
العمالقة ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل
اذا عتى وتمرد وكان فرعون موسى عم مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا
اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له فاتى مصر فرأى في ظاهرها

ظاهرها حملا من البطيخ بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى
حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من المكاسين اخذ واحدة منه بطيخة فدخل البلد وما معه الا بطيخة
فباعها بدرهم ومضى لوجهه وراى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بها وباء
عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوا
خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر وآخر حتى جمع في مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض لاحد
قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا
المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام قال لم يقمني احد وانما فعلت ما فعلت
ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال
فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت
مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات
فرعون اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عم ريان وكان بينهما اكثر من
اربعمائة سنة يسومونكم اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء
العذاب اي افظعه وانكره بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم
والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا
بهم ما فعلوا لما ان فرعون راى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم
من قضاء الله تعالى شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعين الف مولود وتسعين الفا وقد اعطى الله تعالى
نفس موسى عم من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك كانت معجزاته ظاهرة
باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع الضمير للمخاطبين فعلى الاول
معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن على الحياة محنة مع انه عفو وترك
للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن
لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق
عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من
جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عم وبتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة لبلاء وتنكيرهما
للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر
في المسار والصبر على المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان
عظمها وهولها وقد بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هي الانجاء من الغرق اي واذكروا
اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض
حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط فانجيناكم
اي من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون
بصيغة التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون يريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم
بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغني بذكره
عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى
امر موسى عم ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله
تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق
بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون ورآه
منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها
صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم

ان يتلقوها بالاذعان ولا تأثرت اوائلهم عما شاهدوها ورووها ولا تذكرت اواخرهم بتذكرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها **واذ واعدنا موسى اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى عم ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عم بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عم منزلة الوعد واربعين ليلة مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا **ثم اتخذتم العجل** بتسويل السامري الها ومعبودا وثم للتراخي الرتبي **من بعده** اي من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف **وانتم ظالمون** باشراككم ووضعكم الشئ في غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازما قال ● عرفت المنزل الخالي ●● عفى من بعد احوال ● عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ● وقوله تعالى **من بعد ذلك** اي من بعد الاتخاذ الذي هو منتهاه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم **لعلكم تشكرون** لكي تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان** اي التورية الجامعة بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه **واذ قال موسى لقومه** بيان لكيفية وقوع العفو المذكور **يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل** اي معبودا **فتوبوا** اي فاعزموا على التوبة **الى بارئكم** اي الى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب الخلوص عن الغير اما بطريق التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في برأ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغواية منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان تسترد هي منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **فاقتلوا انفسكم** تماما لتوبتكم بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده روي ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضي لامر الله فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم** اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل **خير لكم عند بارئكم** لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد بها تذكير المخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عم لقومه تقديره ان ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حكاية لوعد موسى عم قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقوله تعالى حتما وقد عرفت ان الآية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة **انه هو التواب الرحيم** تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياك التورية او تكليمه اياك او انه نبي او انه

او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم **حتى نرى الله جهرة** اي عيانا وهو في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون للميقات الذي بعد عبادة العجل روي انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى ان يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عم يامره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة الاف من قومه **فاخذتكم الصاعقة** لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى يشبه الاجسام وتتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن في شانه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيبة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عم ودعا ربه فكشف الله تعالى عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم تكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق **وانتم تنظرون** اي ما اصابكم بنفسه او باثاره **ثم بعثناكم من بعد موتكم** بتلك الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم الخ **لعلكم تشكرون** اي نعمة البعث او ما كفرتموه بما رايتم من بأس الله تعالى **وظللنا عليكم الغمام** اي جعلناها بحيث تلقي عليكم ظلها وذلك انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **وانزلنا عليكم المن والسلوى** اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه **كلوا** على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا **من طيبات ما رزقناكم** من مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى **وما ظلمونا** كلام عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعمة الجليلة وما ظلمونا بذلك **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم على الكفر **واذ قلنا** تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت قولنا لابائكم اثر ما انقذناهم من التيه **ادخلوا هذه القرية** منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله اسكنوا هذه القرية **وادخلوا الباب** اي باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عم كما سيجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عم **سجدا** اي منطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا حطة** اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في هذه القرية ونقيم بها **نغفر لكم خطاياكم** لما

تتعلون من السجود والدعا وقرى باليا والتا على البنا للمفعول واصل خطايا خطايي كخطايع فعند سيبويه
ابدلت اليا الزايدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية يا ثم قلبت الفا وكانت
الهمزة بين الفين فابدلت يا وعند الخليل قدمت الهمزة على اليا ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا
جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسنين واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان
المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا بما امروا به من التوبة
والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا اخر مما لا خير فيه روي انهم قالوا مكان حطة حنطة
وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمرا استخفافا بامر الله تعالى غير الذي قيل لهم
نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل
وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العايد
الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع وللتصريح بانهم بدلوا فقد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله
تعالى رجزا من السما اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب
فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله
بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبايح
لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفا والرجز في الاصل ما يعاف عنه وكذا الرجس وقرى
بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا
واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد
وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير
والتذكر ولو روعي الترتيب لو فهم ان الكل امر واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى
لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت ينبع من
كل وجه منه ثلاث اعين يسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا
او كان حجرا اهبطه الله تعالى مع آدم عم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه موسى عليهما السلام مع العصا
او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبراه الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار
اليه جبريل عم ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يومر عم بضرب حجر بعينه ولكن لما
قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضرب به بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه
اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطاشا فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك
لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وحجمه ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عم من آس
الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة
على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا
واما تعلق الفا بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على
احد وقرى عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة
كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والما وقيل هو الما وحده
لانه يؤكل ما ينبت به من الزرع والثمار ويأباه ان المامور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته
اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل من رزقنا
كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الخ ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عم
ولا تعثوا في الارض العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد حال كونكم مفسدين وقيل
انما قيد به لما ان العثي في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون في غير الفساد كما في مقابلة
الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عم للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العيث خلا
انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله تعالى واخلادهم
الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد

الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة لا زوالها
وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روي
انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها
وتاقت انفسهم الى الشقا فادع لنا ربك اي سله لاجلنا بدعائك اياه والفا لسببية عدم الصبر
للدعا والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا اي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب
الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها الخ وقيل بدل
باعادة الجار والبقل ما انبتت الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث
واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرى قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالى
او موسى انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال
اتستبدلون اي تاخذون لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال
وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان
فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرى ادنأ من الدناءة
وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة بالذي هو خير اي بمقابلة ما هو خير فان البا تصحب
الذاهب الزايل دون الاتي الحاصل كما في التبدل والتبديل في مثل قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان
وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال
المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما مر من صورة المناوبة اهبطوا
مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم او اسعافا لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي
وقرى بضم البا والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون
وسطه او لتاويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود غير منون وقيل اصله مصرايم
فعرب فان لكم ما سالتم تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سالتموه ولعل التعبير عن الاشيا المسؤلة
بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة
والمسكنة اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب
لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود
في غالب الامر اذلا مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان تضاعف جزيتهم وبآؤا اي رجعوا
بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كاين من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان
اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة ذلك
اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون على
الاستمرار بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة الظاهرة على يدي موسى عم مما عد وما لم يعد ويقتلون
النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفايدة التقييد مع ان قتل الانبيا يستحيل ان يكون
بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احد منهم عم وانما حملهم
على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتدا كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء فان صغار
الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مودية الى تحري كبارها
وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم
حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتاويل ما ذكر او تقدم كما في قول روبة بن العجاج

فيها خطوط من سواد وبلق ... كانه في الجلد توليع البهق

اي كان ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة

ولذلك جاء الذي بمعنى الذين ان الذين امنوا اى بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اى تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عم والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامراة نصرانة والياء في نصرانى للمبالغة كما في احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عم او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصرى كمهرى ومهارى والصابئين هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عم وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج من دين الى اخر وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر اى من احدث في هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الاية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار لفظه والجملة كما هي خبر ان على البدلية من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مأمون عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على الجملة اى لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين امنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فح لا بد من تفسير من امن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في تفسيره من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين اخر قبل انتساخه فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في الجملة على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوى ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطوائف من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في حيز اسم ان ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتأمل وكن على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في التورية ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اى وقد رفعنا فوقكم كانه ظلة روى ان موسى عم لما جاءهم بالتورية فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبريل عم فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اى احفظوه

احفظوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فان التذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكى تتقوا المعاصى او لتنجوا من الهلاك في الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اى اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اى المغبونين بالانهماك في المعاصى والخبط فيها او بالضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب لما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفى ومعناها امتناع الشئ لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اى لولا ثبت فضل الله تعالى عليكم ولقد علمتم اى عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت روى انهم امروا بان يمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عم فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اى جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجوز عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده تعالى وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اى المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه شروع في بيان نوع اخر من مساوى اسلافهم اى واذكروا وقت قوله عم لهم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بنى اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاى وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اى اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به قال استئناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عم ما توهموه من جهته على ابلغ وجه واكده باخراجه مخرج ما لا يكاد يريده ورأى ما الاستعاذة منه استعظاما له واستفظاعا لما اقدموا عليه من العظيمة التى شافهوه بها قالوا ادع لنا ربك استئناف كما مر كانه قيل فاذا قالوا بعد ذلك فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ما مبتدأ وهى خبره والجملة في حيز النصب بيبين اى يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهموا باى لكنهم لما رأوا ما امروا به على حالة مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله قال اى موسى عم بعد ما دعا ربه تعالى بالبيان واتاه الوحى انه تعالى يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر اى لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اى اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت اخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة

عوان اي نصف لا فحم ولا ضرع قال طوال مثل اعناق الهوادي * نواعم بين ابكار وعون * بين ذلك
اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا امر
من جهة موسى عم متفرع على ما قبله من بيان صفة المامور به ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به
كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية
الى مفعولين وهذا الامر منه عم لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى
قالوا استيناف كما مر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين
لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المامور بها قال اي موسى عم بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان انه
تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة الى الله تعالى لاظهار كمال المساعدة في اجابة
سؤالهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد
به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانئ وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته
به ما لا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن سوداء شديد
السواد ومنه قوله تعالى جمالات صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان
سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور لذة
في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا استيناف
كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كانهم سالوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز
عن جميع ما عداها مما تشاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم
ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو
المامور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان النعوت المعدودة ليست بمشخصة للمامور بها بل
صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه
بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير
ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقي
اشتباه نزر الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التاكيد اي لمهتدون
بما سالنا من البيان الى المامور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد قال انه يقول انها
بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير
ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول
بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اي سلمها الله
تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها
اي لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا آخر قالوا عند ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن
جميع ما عداها ولم يبق لنا في شانها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين
بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد راوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة في
المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها
وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت
اي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال
من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلي وما كادوا استثقالا لاستقصائهم
واستبطاء لهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال
اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى
بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة فكانت من
احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة

المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة
مبهمة وان الامتثال في آخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن
اختلف في ان المراد المامور به اولا هل هو المعينة وتاخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها
التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا
بان الضماير في الاجوبة اعني انها بقرة لما انها للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك بلا
ريب فان السؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون هي المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب
بعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسالوا عنها فرجعت الضماير الى المعينة
في زعمهم واعتقادهم ثم تعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر هي المعينة والحق انها كانت في
اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت يحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان
اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال صلى الله عم لو اعترضوا اي بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله
عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني بالثالث تشديدا
عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا
فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان الامتثال
بالامر بدون الوقوف على المامور به مما لا يكاد يتسنى فتكون سؤالاتهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم
نفسا منصوب بمضمر كما مر نظائره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارؤ
اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا واختصاصهما بالاسناد دون ما مر من هناتهم
لظهور قبح القتل واسناده الى الكل اي اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة فادارأتم فيها اي تخاصمتم في شانها
اذ كل واحد من الخصماء يدافع الآخر ويدفعه او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى الآخر واصله تدارأتم فادغمت التاء
في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اي مظهر لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على
فادارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل
او بتاويل الشخص او القتيل ببعضها اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها لسانها وقلبها وقيل بفخذها
اليمنى وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه
قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ
وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله عم والافتيات على امره وترك المسارعة
الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال
كل منها بما يخصها من التوبيخ وانما حكي الامر بالذبح عن موسى عم مع انه من الله تعالى كالامر بالضرب لما ان
جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عم والافتيات على رايه كذلك يحيي الله الموتى على ارادة قول معطوف على
مقدر ينسحب عليه الكلام اي فضربوه فحيي قلنا كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحة في فحيي مع ما عطف بها
وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك للحاضرين عند حياة القتيل ويجوز ان
يكون ذلك للحاضرين عند نزول الآية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى
ببعضها مع ما قدر به فالجملة معترضة اي مثل ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيامة ويريكم آياته ودلائله
الدالة على انه تعالى على كل شيء قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور
بديعة من ترتب الحياة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات لعلكم تعقلون
اي لكي تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم
ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على
التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين
وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه
انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تاثير لها وان من رام

ان يعرف اعلا عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال
عنها شره الصبا ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية
بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى بها حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل
والوهم من التدارؤ والجدال ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصري النبي صلى الله عم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفا
والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد
الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب
القساوة حادثة واما لان الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث
وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك
اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من الآيات الموجبة للين القلوب وتوجهها نحو الحق اي من بعد
سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين
اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين المخاطب كما هو المشهور فهي كالحجارة في القساوة او اشد
منها قسوة اي هي في القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما
سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة تفريع
التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة
حق له واعلام بفعل واقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين
في الشدة واشتمال المفضل على زيادة او للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى
منها ومنهم من عرف فشبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس وان من الحجارة
لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التأثر واستحالة صدور الخير منها يعني
ان الحجارة ربما تتأثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان منها لما يشقق اي يتشقق فيخرج منه
الماء اي العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اي يتردى من الاعلى الى الاسفل بمقتضى ما اودعه الله
تعالى فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد
لامره تعالى آت لما خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام
الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم
وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد على ما هم
عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات قوله تعالى افتطمعون
تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود الى المؤمنين بعد ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن
معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله
أأضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار
الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون على تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا
الامرين بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما ان قدر الاول مثبتا اي
اتنظرون فلا تبصرون فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم
وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم
متماثلون في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية
حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على الخلاف المعروف واللام في
لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله تعالى فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا
الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه من المزية
باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور
في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية

حالية موكدة للانكار وحاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم
عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور
وما امر به ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء
الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام الكبرياء بل من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في
مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء
قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا
فلا باس فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا مراده تعالى منه
فاولوه تاويلا فاسدا وقيل هم روساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية بعد ما احاطوا بها علما
وقيل هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عم في عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة
لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام
الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما
روساؤهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب في ان يقال يتلون كتاب الله
فالمعنى افتطمعون في ذلك وطمعتم في ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم
في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه يقينا ولا يستجيبون له هيهات
ومن هاهنا ظهر ما في ايثار الطمع على الرجاء من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل وهم يعلمون جملة حالية
من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان ما عقلوه او على
الخطأ في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون
ومفترون واذا لقوا جملة مستانفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم لبيان ما صدر عنهم بالذات
من الشنائع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية
والضمير لليهود لما ستقف على سره لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحريا لاتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء
حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي اللاقون لكن لا بطريق تصدي الكل
للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم
وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم
وتناقض آرائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا انهم
على ذلك بل علموا بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما
لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي واذا خلا بعضهم اي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم
اي اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض آخر منهم وهم المنافقون بحيث لم يبق
معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه انفا اذ الخلو انما يكون بعد
الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام
الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم
على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم
خاصة في التورية من نعت النبي عم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه
احد ويجوز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة
مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد
تاكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض
مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والحال انكم لم ترموا حول
ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة

عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم أي في حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا أي في كتابه وشرعه وقيل عند
ربكم يوم القيامة ورد عليه بأن الإخفاء لا يدفعه إذ هم عالمون بأنهم محجوجون يومئذ حدثوا به أو لم يحدثوا
والاعتذار بأن إلزام المؤمنين إياهم وتبكيتهم بأن يقولوا لهم ألم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية
ديننا وصدق نبينا أفحش فيجوز أن يكون المحذور عندهم هذا الإلزام بإرجاع الضمير في به إلى التحديث
دون المحدث به ولا ريب في أنه مدفوع بالإخفاء لا يساعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه بإذن الله عز وجل
أفلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي ألا تلاحظون فلا
تعقلون هذا الخطأ الفاحش أو شيئا من الأشياء التي من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء أو أتعقلون
ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون إلى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد التعقل هذا
وأما ما قيل من أنه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى أفتطمعون والمعنى أفلا تعقلون
حالهم وأن لا مطمع لكم في إيمانهم فيأباه قوله تعالى أولا يعلمون فإنه إلى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما
حكي عنهم فيكون إيراد خطاب المؤمنين في أثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على أن في تخصيص الخطاب
بالمؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي أيضا صلى الله عليه وسلم كما في أفتطمعون من سوء الأدب ما لا
يخفى والهمزة للإنكار والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق إليه الذهن والضمير للموبخين أي أيلومونهم
على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون أي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين أو ما
يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الأولى وما يعلنون أي يظهرونه للمؤمنين أو لأصحابهم
حسبما سبق فحينئذ يظهر الله تعالى للمؤمنين ما أرادوا إخفاءه بواسطة الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيحصل المحاجة
ويقع التبكيت كما وقع في آية الرجم وتحريم بعض المحرمات عليهم فأي فائدة في اللوم والعتاب ومن ههنا
تبين أن المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة في الدارين حدثوا به أم لا لا بالتحديث به
حتى يندفع بالإخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط أو لهم وللموبخين أو لآبائهم المحرفين أي يفعلون ما يفعلون
ولا يعلمون أن الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها إسرارهم الكفر وإظهارهم الإيمان وإخفاء ما
فتح الله عليهم وإظهار غيره وكتم أمر الله وإظهار ما أظهروه افتراء وإنما قدم الإسرار على الإعلان للإيذان
بافتضاحهم ووقوع ما يحذرون من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كأن علمه
بما يسرونه أقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول
صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الأشياء البارزة
والكامنة ونظيره قوله عز وجل قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الإخفاء على الإبداء
لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فإن الأصل في تعلق
المحاسبة به هو الأمور البادية دون الخافية ويجوز أن يكون ذلك باعتبار أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة
العلن إذ ما من شيء يعلن إلا وهو أو مباديه قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الإسرار غالبا فتعلق علمه تعالى
بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية ومنهم أميون وقرئ بتخفيف الياء جمع أمي وهو من لا يقدر
على الكتابة والقراءة واختلف في نسبته فقيل إلى الأم بمعنى أنه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فإنهما
ليستا من شؤون النساء بل من خلال الرجال أو بمعنى أنه على الحالة التي ولدته أمه في الخلو عن العلم والكتابة
وقيل إلى الأمة بمعنى أنه باق على سذاجتها خال عن معرفة الأشياء كقولهم عامي أي على عادة العامة وروي عن
عكرمة والضحاك أن المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من أهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا
أميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه أنهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة
لبيان قبائحهم إثر بيان قبائح الطوائف السالفة وقال سعد الدين هي معطوفة على الجملة الحالية فإن مضمونها
منافٍ لرجاء الخير منهم وإن لم يكن فيه ما يحسم مادة الطمع عن إيمانهم كما في مضمون الجملة الحالية وما بعدها فإن
الجهل بالكتاب في منافاة الإيمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعدما سمعوه وعلموه بمعانيه كما وقع من الأولين والنفاق
والنهي عن إظهار ما في التوراة كما وقع من الفرقتين الأخريين أي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة
والتلاوة لا يعلمون الكتاب أي لا يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل

النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يأباه سياق النظم الكريم وسباقه إلا أماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف
جمع أمنية أصلها أمنوية أفعولة من منى بمعنى قدر أو بمعنى تلا كما في قوله تمنى كتاب الله أول ليلة وأعل
إعلال سيد وميت ومعناها على الأول ما يقدره الإنسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني ما يتلوه وعلى التقديرين
فالاستثناء منقطع إذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أماني حسبما
منتهم أحبارهم من أن الله سبحانه يعفو عنهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم وغير ذلك من أمانيهم الفارغة
المستندة إلى الكتاب على زعم رؤسائهم أو لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير أن يتمكنوا
من التدبر فيه وأما حمل الأماني على الأكاذيب المختلقة على الإطلاق من غير أن يكون لها ملابسة بالكتاب فلا
يساعده النظم الكريم وإن هم إلا يظنون ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يصلوا إلى
رتبة العلم فأنى يرجى منهم الإيمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال الأماني واتباع
الظن عقب ببيان حال الذين أوقعوهم في تلك الورطة وبكشف كيفية إضلالهم لهم وتعيين مرجع الكل
بالآخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم فويل هو وأمثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول من
المصادر المنصوبة بأفعال من غير لفظها لا يجوز إظهارها البتة فإن أضيف نصب نحو ويلك وويحك وإذا فصل
عن الإضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر لمن وقع في الهلكة وويح زجر لمن أشرف على الهلاك
وقيل الويل الحزن وهل ويح وويس وويب بذلك المعنى أو بينه وبينها فرق وقيل ويل في الدعاء عليه
وويح وما بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي الله عنهما الويل العذاب الأليم وعن سفيان الثوري أنه صديد
أهل جهنم وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر
أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وقال سعيد بن المسيب إنه واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من
شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم وحكى الزهراوي أنه باب من أبواب جهنم
وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وجل للذين يكتبون الكتاب أي المحرف أو ما كتبوه من التأويلات
الزائغة بأيديهم تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا أي جميعا على الأول ومخصوص
على الثاني من عند الله روي أن أحبار اليهود خافوا ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة فاحتالوا في تعويق أسافل اليهود عن الإيمان فعمدوا إلى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وكانت
هي فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق سبط الشعر فإذا سألهم
سفلتهم عن ذلك قرؤوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فإن نسبة
المحرف والتأويل الزائغ إلى الله سبحانه صريحا أشد شناعة من نفس التحريف والتأويل ليشتروا به أي
يأخذوا لأنفسهم بمقابلته ثمنا هو ما أخذوه من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وإنما عبر
عن المشترى الذي هو المقصود بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه إيذانا بتعكيسهم حيث
جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فإن ذلك وإن جل في نفسه فهو
أقل قليل عند ما استوجبوه به من العذاب الخالد فويل لهم تكرير لما سبق للتأكيد وتفريع بتعليله بما فرعت
أيديهم بعد الإشعار به فيما سلف بإيراد بعضه في حيز الصلة وبعضه في معرض الغرض والفاء للإيذان أن ترتبه
عليه ومن في قوله عز وجل مما كتبت أيديهم تعليلية متعلقة بويل أو بالاستقرار في الخبر وما موصولة
اسمية والعائد محذوف أي كتبته أو مصدرية والأول أدخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن
التحريف وويل لهم مما يكسبون الكلام فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد والتشديد والقصد
إلى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما أنه من مبادي ترويج ما كتبت أيديهم
فهو داخل في التعليل به وقالوا بيان لبعض آخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه من الأكاذيب التي
اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب لن تمسنا النار في الآخرة إلا أياما معدودة قليلة محصورة عدد أيام
عبادتهم العجل أربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الأصم عن بعض اليهود أنهم عدوا أيام عبادتهم العجل
سبعة وروي عن ابن عباس ومجاهد أن اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف
سنة يوما واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود زعمت أنهم وجدوا في التوراة أن ما

يبقى طرفي جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة الزقوم وانهم يقطعون في كل يوم مسيرة سنة فيكملونها
قل تبكيتا لهم وتوبيخا أتخذتم باسقاط الهمزة الجنسية لوقوعها في الدرج وباظهار الذال وقرئ بادغامها
في التاء عند الله عهدا خبرا ووعدا بما تزعمون فان ما تدعون لا يثبت الا بوعد في ولذلك عبر عنه بالعهد
فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا * ثم القفول فقد جئنا خراسانا

اي ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم الاخلاف
من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر او لان المراد به جميع عهوده لعمومه بالاضافة
فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم
يكد يشم رائحة الوجود قطعا اعني اتخاذ العهد أم تقولون مفترين على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما
علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون
عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والنكير فان التوبيخ على الادنى مستلزم للتوبيخ على الاعلى بالطريق الاولى
وتوطئة لما نحكي وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لان ذلك الجزم لا يكون الا باسناد
سببه اليه تعالى وأم اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدي الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كأنه قيل
أم لم تتخذوه بل تتقولون عليه الله تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب
والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه
كما في قوله عز وجل آلله اذن لكم ام على الله تفترون بلى جواب عن قولهم المحكي وابطال له من جهته تعالى
وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد ما اظهر كذبهم اجمالا وتفويض ذلك
الى النبي صلى الله عليه وسلم لما ان المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر هين لا يتوقف
على التوقيف وبلى حرف ايجاب يختص بجواب النفي خبرا او استفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اي كبيرة
من الكبائر كدأب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم
وأحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت عليه
خطيئته التي كسبها وصارت خاصة من خواصه كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها
السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم وابن جرير عن ابي وائل ومجاهد
وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد
تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لانها من الخطأ وقرئ خطيئته وخطياته
على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه في ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فأولئك مبتدأ أصحاب
النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى الشرط وايراد اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه
بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا
وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة
لما ان ذلك هو المناسب لما اسند اليهم في تينك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطيئته به في حالة الانفراد
وصاحبية النار في حالة الاجتماع اي اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات واحاطة خطاياهم بهم
اصحاب النار اي ملازموها في الاخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما استوجبها من الاسباب التي من جملتها
ما هم عليه من تكذيب آيات الله تعالى وتحريف كلامه والاجتراء عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بحالهم بان
يقال مثلا بلى انهم مع ما مر من قصد الاشعار بالتعليل هم فيها خالدون دائما ابدا فانى لهم التقصي عنها
بعد سبعة ايام واربعين كما زعموا فلا حجة في الاية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها
بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود على اللبث الطويل على ان فيه تهوينا للخطب في مقام التهويل والذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة
لما تقتضيه الحكمة في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ
اخذنا ميثاق بني اسرائيل شروع في تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم

اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في احوالهم الى قطع
الطمع عن ايمانهم او اليهود الموجودون في عهد النبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم
لا تعبدون الا الله على ارادة القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار في معنى النهي كقوله
تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول له كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهي لما
فيه من ايهام ان المنهي عنه حقه ان يسارع الى الانتهاء عما نهي عنه فكأنه انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة
لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى * وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه
المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر
اي وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم
كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه عن الحراك واثخنه عن التقلب
وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا سماه به للمبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهي لغة اهل الحجاز
وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة هي ما فرض عليهم في شريعتهم
ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فهذا التفات الى خطاب بني
اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم بجريان ذكرهم كلهم حينئذ على نهج الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم
محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كأنهم استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم
وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف
منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتوبيخ بتنزيل الاخلاف منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن
المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل
النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اي وانتم قوم عادتكم
الاعراض عن الطاعة والاقبال الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود
قاطبة على ما ذكر من التغليب ونعي عليهم اخلالهم بواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة
النهي اثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وما يجري مجراها على سبيل الامر فان
المقصود الاصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا
وقت اخذنا ميثاقكم في التوراة وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم
كما قيل اخبار في معنى النهي غير ما اسلف اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني
اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا
للمبالغة في الحمل على مراعات حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة
فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما ان ضمير دياركم للمخرجين قطعا اذ
المحذور انما هو اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من
قوله من ديارهم وانما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل انفسهم
منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع واما ضمير دماءكم فيحتمل الوجهين فمعنى الاول كون المسفوك
دماء اذغابه للمخاطبين حقيقة ومعنى الثاني كونه دماء حقيقة للمخاطبين ادعاء وهما متقاربان
في افادة المبالغة فتدبر واما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يؤدي الى قتل انفسكم قصاصا او ما
يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل
في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء الحقيقي فمما لا يساعده سياق
النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه
وانتم تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون
اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ شديد واستبعاد

توبيخا لهم بعد ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم مبتدا وهولاء خبره ومناط الافادة
اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى وانتم بعد ذلك هولاء المشاهدون الناقضون المتناقضون
حسبما يعرب عنه الجمل الاتية فان قوله تعالى تقتلون انفسكم الخ بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة
تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اى الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتّلون
بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير اما للمخاطبين والمضاف محذوف اى انفسكم واما للمقتولين
والخطاب باعتبار انهم جعلوا انفس المخاطبين والا فلا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان
الذى عليه يدور فلك المبالغة في تاكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم في نقضه
من ديارهم الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مر في الميثاق
للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين
وقيل هولاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون عليهم بحذف احدى التائين وقرئ
باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التائين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال
من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج
بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله
اى ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذى يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب
والعدوان وهو التجاوز في الظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير وهو من يوخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول
من الاسر اى الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحله النصب على الحالية
تفادوهم اى تخرجوهم من الاسر باعطاء الفدا وقرئ تفدوهم قال السدى ان الله تعالى اخذ على بنى
اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه
من بنى اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما ما
كان من العداوة والشنان فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها
ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم
فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة
وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدا ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا
من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله
وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان والجملة
حالية من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما لكن بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان
الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة خطره
بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم معا وذلك مختص بصورة
الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشئ من دية او قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق
واما تاخيره عن الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم كما ذكره الواحدى فلان نظم افاعيلهم المتناقضة
في سمط واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها افتؤمنون ببعض الكتاب اى التورية التى اخذ فيها
الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى أتفعلون ذلك فتؤمنون
ببعض الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان ببعضه
الايمان بالباقى لكون الكل من عند الله تعالى داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض
حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعى في المقام الخطابى اصالة المقدم وتقدمه بوجه
من الوجوه حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم
بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا مجرد كفرهم
بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال اتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس فما
جزاء من يفعل ذلك ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحله

الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة
الاسارى منكم حال من فاعل يفعل الا خزى استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدا والخزى الذل والهوان مع الفضيحة
والتنكير للتفخيم وهو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية في الحيوة
الدنيا في حيز الرفع على انه صفة خزى كائن في الحيوة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزى ولعل
بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا
اثر له اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالتاء او بترك صيغة الجمع نظرا الى معنى من
بعدما اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم
اشد المعاصى بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزى والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل
مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافى بين جزائى النشأتين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما
يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون من القبائح التى من جملتها
هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تاكيد للوعيد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف
القبيحة وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين اشتروا الحيوة الدنيا اى آثروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالاخرة واعرضوا
عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما
يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدينية والدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا او اخرويا ولا هم ينصرون
بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون تفسير
المحذوف قبل الضمير فيكون من عطف الفعلية على مثلها ولقد آتينا موسى الكتاب شروع في بيان
بعض آخر من جناياتهم وتصديرها بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها
فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها
وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اى ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا
رسلنا تترى وهم يوشع * واشمويل * وشمعون * وداود * وسليمان * وشعيا * وارميا * وعزير * وحزقيل
والياس * واليسع * ويونس * وزكريا * ويحيى * وغيرهم عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات
الواضحات من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع
ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه * ضليل اهواء الصبا تندمه * ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه
اى قويناه وقرئ آيدناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بالسكون اى بالروح المقدسة وهى روح
عيسى عم كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب
ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عم وقيل بالانجيل كما في القرآن وروحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم
الذى كان يحيى الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات
والتاييد بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسى عليه السلام
فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيقته
واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام افكلما جاءكم رسول من اولئك الرسل بما لا تهوى انفسكم من
الحق الذى لا محيد عنه اى لا تحبه من هوى كرضى اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد
والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شئ آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت
به من افعالهم السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجب من شانهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر
يناسب المقام اى ألم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له
والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشئ آخر من المضار والفاء
للسببية او للتعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام
وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايراد صيغة الاستقبال في

القتل لاستحضار صورتها الهائلة او للايماء الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوا من جهته عليه السلام
وسحروه وسموا له الشاة حتى قال عليه السلام ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري **وقالوا**
بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم
الموجبة للاعراض عنهم وحكاية لنظائرها لكل من يفهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون
في عصر النبي صلى الله عليه وسلم **قلوبنا غلف** جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية
جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه
وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية
للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل
اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا **بل لعنهم الله بكفرهم** رد لما قالوه وتكذيب
لهم في ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم
العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على
الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فانى لهم ادعاء العلم الذي هو اجل آثارها
وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي اليها **فقليلا ما يؤمنون** ما مزيدة
للمبالغة اي فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنا
بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة
العدم والفاء سببية اللعن لعدم الايمان **ولما جاءهم كتاب** من القرآن وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل
من عند الله للتشريف اي كائن من عنده تعالى **مصدق لما معهم** من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعتبر من
موجبات الوثوق على ما في نفسها عينها المؤدي الى العلم لكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب
لتخصصه بالوصف **وكانوا من قبل** اي من قبل مجيئه **يستفتحون على الذين كفروا** اي وقد كانوا قبل
مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة
ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضي الله عنه
وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة كما في
استعجب اي يسألون من انفسهم الفتح عليهم او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية
مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم وقوله عز وعلا **فلما جاءهم** تكرير للاولى لطول العهد بتوسط الجملة الحالية
وقوله تعالى **ما عرفوا** عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح
به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي الايمان ودواعيه لا محالة
والفاء للدلالة على تعقب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى
كفروا به جواب لما الاولى كما هو رأي المبرد او جوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة
المذكور عليه يكون قوله تعالى وكانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما
عرفوا النبي عليه السلام كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا
من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به **فلعنة الله على
الكافرين** اللام للعهد اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء
للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم واياما كان فهو محقق لمضمون قوله
تعالى بل لعنهم الله بكفرهم **بئسما اشتروا به انفسهم** ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا
صفته اي بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا اخلصوها من
العقاب ويأباه انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى
ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيقته وتبديل الانزال بالمجيء للايذان
بعلو شأنه الموجب للايمان به **بغيا** حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا احتمادون اشتروا للفاصل

من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له
بعنوان البيع قطعا لاسيما وهو معلل بما سيأتي من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبين
علاقة هو كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكائن لاجل **ان ينزل الله من
فضله** الذي هو الوحي **على من يشاء** اي يشاؤه ويصطفيه **من عباده** المستأهلين لتحمل اعباء الرسالة [illegible]
تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بان تجدد بغيهم حسب
تجدد الانزال وتكثره حسب تكثره **فباؤوا بغضب على غضب** اي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب
مستحقين له حسبما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم **وللكافرين** اي
لهم والاظهار في موضع الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم **عذاب مهين** يراد به اهانتهم واذلالهم لما
ان كفرهم بما انزل الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على طمع نزول الوحي عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة
بمن انزل عليه عليه الصلاة والسلام **واذا قيل لهم** من جانب المؤمنين اي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر
وجهه لاسيما في لام التبليغ **آمنوا بما انزل الله** من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن
سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته له في
المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله **قالوا نؤمن** اي نستمر على
الايمان **بما انزل علينا** يعنون به التوراة وما انزل على انبياء بني اسرائيل عليهم السلام لتقرير حكمها ويدسون فيه ان ما
عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم اما انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الاحكام
واما انبياء بني اسرائيل وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما انه من بغيهم وحسدهم
على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التوراة وما في حكمها خاصة لكن ايرادها
بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد
بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل **ويكفرون
بما وراءه** عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير
وتجريد الموصول عند الاضمار عما عرض له بتعسف لا يخفى والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى
الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا
بتقدير مبتدأ اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد مجرد بيان ان افرادهم ايمانهم بما انزل عليهم
بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما نزل عليهم حقيقة فان قوله
عز اسمه **وهو الحق** اي المعروف بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون
وقوله تعالى **مصدقا** حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو
البقاء اما ضمير دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احققه مصدقا **لما معهم** من التوراة والمعنى قالوا نؤمن
بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به ومآله انهم
ادعوا الايمان بالتوراة والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها **قل** تبكيتا لهم من جهة الله عز وجل
ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم **فلم** اصله لما حذفت عنه الالف فرقا بين
الاستفهامية والخبرية **تقتلون انبياء الله من قبل** الخطاب للحاضرين من اليهود والماضي على طريق التغليب
وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاي شيء
كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله تعالى **ان كنتم مؤمنين** تكرير
للاعتراض لتأكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين
ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى الا على رأي
الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم **ولقد جاءكم موسى بالبينات** من
تمام التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة

العجل واللام للقسم اى وبالله لقد جاءكم موسى ملتبساً بالمعجزات الظاهرة التى هى العصا واليد والسنون ونقص
الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها التورية وليس بواضح فان
المجئ بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اى الها من بعده اى من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه
الى الطور لمكون التورية من جملة البينات وثم للتراخى فى الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم
ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها فى غير موضعها او بالاخلال بحقوق
ايات الله تعالى او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهته تعالى وتكذيب لهم
فى ادعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم اى واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اى خذوا بما امرتم به فى التورية واسمعوا ما فيها
سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبنى على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك
وعصينا امرك فماذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه
العظيمة الشنعاء وكفروا بما فى تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا فى قلوبهم
العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته
لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان
الاشراب كما فى قوله تعالى انما ياكلون فى بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم
السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسماً اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى
قل توبيخاً لحاضرى اليهود اثر ما بين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون فى كل ما ياتون وما يذرون
بئسما يامركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اى ما ذكر من
قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفى اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان
بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانه قدح فى دعواهم الايمان بما انزل عليهم
من التورية وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين بما فيها ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يامركم به
ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعاً وجواب الشرط كما ترى محذوف
لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم فى فن آخر من
اباطيلهم لكنه اضرب عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه فى تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت
لكم الدار الآخرة اى الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اى سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن
يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحالية فى الدار وعند ظرف للاستقرار اى فى الجزاء عند الله وقوله
من دون الناس فى محل النصب بخالصة يقال خلص لى كذا من كذا واللام للجنس اى الناس كافة او للعهد اى المسلمين
فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما
اذا كانت خالصة له كما قال على كرم الله وجهه لا ابالى سقطت على الموت او سقط الموت على وقال عمار بن ياسر
بصفين الآن الاقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت
قبل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنى وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير الكلام لتشديد
الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط فى نفس الامر فقط بل فى اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا
ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا
كلام مستانف غير داخل تحت الامر سيق من جهته تعالى سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال
على كذبهم فى دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصى الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبى صلى الله عليه وسلم
والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد من جوارح الانسان مناط عامة صنايعه ومدار كثرة منافعه عبر بها
تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اى بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل
عليهم بانهم ظالمون فى جميع الامور التى من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها
مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم
من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن

النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى يهودى على وجه الارض و
لتجدنهم احرص الناس من الوجدان العقلى وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها
ومفعولاه الضمير واحرص والتنكير فى قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهى الحيوة المتطاولة
وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين اشركوا
وافرادهم بالذكر مع دخولهم فى الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة فى توبيخ اليهود فان
حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار
ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه اى واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى
يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون فى حيز الرفع صفة لمبتدأ محذوف
خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اى ومنهم طايفة يود احدهم
اى يتمنى كل واحد منهم لو يعمر الف سنة وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتنى اعمر وانما اجرى
على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول يود اجراء له مجرى
القول لانه فعل قلبى وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد الى احدهم اسمها وبمزحزحه
خبرها والباء زائدة ان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه اى يبعده وينجيه من العذاب تعميره
وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من
احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضمير لفساد المعنى او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات
وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما
يعملون البصير فى كلام العرب العالم بكنه الشئ الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اى عليم بخفيات اعمالهم فهو
يجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزلت فى
عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه بالوحى فقال
جبريل عم فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وفى بعض الروايات رسولنا ميكائيل فلو كان هو الذى
ياتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا
من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عم وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه
والا فباى حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا وروى انه كان لعمر رضى الله عنه ارض باعلى
المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع
فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم
وارى آثاره فى كتابكم ثم سألهم عن جبريل عم فقالوا ذاك هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب
كل خسف وعذاب وميكائيل يجئ بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة
هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رضى الله عنه ان كانا كما تقولون فما هما بعدوين
ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله سبحانه
ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال
عمر رضى الله عنه لقد رايتنى فى دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل كسلسبيل وجبرئيل كجحمرش
وجبرئل وجبرال وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله
فانه نزله تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول لجبريل عم والثانى للقرآن اضمر من غير ذكر ايذانا
بفخامة شانه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شئ من صفاته على قلبك
زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحى فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على
التكلم المبنى على حكاية كلام الله تعالى بعينه كما فى قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم
فى النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون المقالة باذن الله وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح
بكمال توجه جبريل عم الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما
بين يديه اى من الكتب الالهية التى معظمها التورية حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى

للمؤمنين والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه
نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له كارهون وللذين
حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعي انتكاس احوالهم وزوال
رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو
عدو لي وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته
مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكر الجليل تفخيما لشانهم وايذانا بان عداوتهم عداوة
عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمراد فقيل وملائكته ورسله وجبريل
وميكال وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشتمله عنوان الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام
من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما
عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة
الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى
الجميع وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين اي لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه
اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة
المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد
العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل
وميكيل كميكعيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحات الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله
عز وجل وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة
من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على
اعظم افراد ذلك النوع من كفر او غيره وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم
اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا او كلما عاهدوا
عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما
عاهدوا عهدا ومن جملته ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من
قولهم للمشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو
على ان تقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا
وقوله تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد نبذه
فريق منهم اي رموا بالزمام ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل
اكثرهم لا يؤمنون اي بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا
فهم يؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء
او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتاكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية مصدق لما معهم من التوراة من حيث انه عم قرر صحتها وحقق حقيقة نبوة موسى عم بما انزل
عليه من حيث انه عم جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اي التوراة وهم
اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم عن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عم
كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل
او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين وايثارهم
له عليه والمراد باياتهم اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم واما
مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي بين ما اثبت
لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم
عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والفرقان فنبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت

وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا
لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤوا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما
لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعدما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون
الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذي جاء به فان مجيء الرسول معرب عن مجيء الكتاب
وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه
كانهم لا يعلمون جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى
كانهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته عم ففيه ايذان بان علمهم به رصين
لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين
الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب
الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه
الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جميع اليهود اربع فرق
فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل
اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى
نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا
بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما
اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلو حكاية حال
ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا
قبل مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة
وقيل على اشربوا على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى
ما سمعوا اكاذيب يلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عم
حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه يسخر الانس والجن
والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها
تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون
السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم
انه من عمل سليمان عم وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عم
عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعريض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته
عليه السلام وكذب باهتيه بذلك ولكن الشياطين وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة
الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها
مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية
من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه خبر ثان
للكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده او جملة مستانفة
على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما حال منه واما استينافية فحسب
واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون
انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة
تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عم لابطال مقالتهم وهم ثلث فرق
ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذاتها وهم الصابئة وفرقة يقولون بالهية الافلاك
ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب
فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره ومنها سحر اصحاب الاوهام
والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجا

والاعدام والاحياء والاماتة وتغير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزايم وتسخير الجن ومنها المخيلات الآخذة بالعيون وتسمى الشعوذة والاختلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزايم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا متشرعا في كل ما ياتي ويذر وكان من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزايمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الآلات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه او من الصرف عن الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكاه الازهري عن الفراء ويونس **وما انزل على الملكين** عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار وهو نوع اقوى منه او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اي واتبعوا ما انزل الخ وهما ملكان نزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا تغتر به الناس او لان السحر كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة فبعث الله هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الكذابين في اظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد من ذنوب بني آدم عيّروهم وقالوا لله سبحانه هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رأياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كلا من ذلك بعد التاني والتي ثم سألاها ما سألا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد ادريس عم فالتجآ اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاديب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر **ببابل** الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع من الصرف للعجمة والعلمية او التانيث والعلمية **هاروت وماروت** عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا واما من قرأ الملكين بكسر اللام وقال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت **وما يعلمان من احد** من مزيدة في المفعول به لافادة تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام **حتى يقولا انما نحن فتنة** الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها

مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شأن سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان **فلا تكفر** باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النهي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشأن النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من ان ما في قوله تعالى وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن خصتا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فتكونوا مثلنا فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلايمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه **فيتعلمون منهما** عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين **ما يفرقون به** اي بسببه وباستعماله **بين المرء** وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمزة وتشديد الراء بلا همزة **وزوجه** بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب العادية ابتلاء لا لان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيزداد الناس ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم **وما هم بضارين به** اي بما يتعلمونه ويستعملونه من السحر **من احد** اي احدا ومن مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها في معمول الفعل المنفي الا ان الجملة الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد **الا باذن الله** لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفي او الضمير المجرور في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور والفصل بما بين المضاف والمضاف اليه بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا **ولا ينفعهم** صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا تؤمن عواقبه خير كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه **ولقد علموا** اي اليهود الذين حكيت جناياتهم **لمن اشتراه** اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علق بها علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى **ماله في الآخرة من خلاق** اي من نصيب جملة من مبتدأ وخبر ومن مزيدة في المبتدأ وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ماله خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد والجملة معطوفة على ما قبلها مضمون عليه دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام هي موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وماله في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان في محل نصب مفعول علمهما **ولبئسما شروا به انفسهم** اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف

اى وبالله لبئسما باعوا به انفسهم السحر والكفر وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا
انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبابا وتجويز كون الشرى بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشترى
متعين وهو ما تتلوا الشياطين ولان متعلق الذم هو الماخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه فى تفسير قوله سبحانه
بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اى يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم
بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب على ان المثبت
لهم اولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب
لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم آمنوا اى بالرسول الموحى اليه فى قوله تعالى ولما جاءهم رسول من
عند الله او بما انزل اليه من الآيات المذكورة فى قوله تعالى لقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها
الا الفاسقون او بالتورية التى اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء
ظهورهم فان الكفر بالقرآن والرسول عم كفر بها واتقوا المعاصى المحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير جواب
لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير السبك الى ما عليه النظم الكريم
دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة
للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية لمثوبة اى لشىء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل
جواب لو محذوف اى لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود فى
كلام العرب وقيل لو للتمنى ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ
لمثوبة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل
لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات
اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة فى الرعى وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه وكان المسلمون
اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا
حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعنا قيل معناها
اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم
يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه الصلوة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روى ان سعد بن عبادة
سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت الآية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس
وامروا بما فى معناها ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اى انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على
انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير
وراعنا على صيغة الفاعل اى قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف به
واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة
حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهى والامر بجد واعتناء حتى لا ترجعوا
الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا
وللكافرين اى اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترؤا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع
عتب للمخاطبين عما هو لعنة ما يود الذين كفروا الود حب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ونفيه
كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله
من حيث ان القول المنهى عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحى المعبر عنه فى هذه الآية بالخير فكانه اشير الى ان
سبب تحريفهم له الى ما حكى عنهم لوقوعه فى اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود
يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم فى ذلك ومن فى قوله تعالى من اهل
الكتاب ولا المشركين للتبيين كما فى قوله عز وعلا لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة
لاستغراق النفى ان ينزل عليكم فى حيز النصب على انه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح

والتصريح الآتى وقوله تعالى من خير هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفى وان لم يباشره ظاهرا لكنه
منسحب عليه معنى والخير الوحى وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه بما سيأتى بالاختصاص
وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التأخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن فى قوله
تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعلية لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين
لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعرضهم بذلك لسعادة الدارين
كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع التنزيل على النبى صلى الله عليه وسلم
وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبى صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين
الكل هو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى
اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شىء من الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء
الناشئون فى مهابط الوحى وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما ان رياسة
الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القرآن على
رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لا سيما فى اثناء ذكر ابتلائهم لم يلزم من نفى ودادهم
لما ذكر نفى وداد المشركين له فزيدت كلمة لا لتاكيد النفى والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت
لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحى كما فى قوله
سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى
بالرحمة قال على رضى الله عنه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانباء
عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسباق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على
من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة على
المقصور اى يؤتى رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتى الفائض عليه بحسب
ارادته عز وجل تفضلا لا يتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين
وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة
من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة
فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة
مضمونيهما وكون كل منهما مستقلة بشأنها فان الاضمار فى الثانية منبئ عن توقفها على الاولى
ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستانف مسوق لبيان سر النسخ الذى هو فرد من افراد تنزيل الوحى وابطال
مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحى ورد كلام الكارهين له راسا قيل نزلت حين قال المشركون
او اليهود الا ترون الى محمد عم يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ فى اللغة الازالة والنقل
يقال نسخت الريح الاثر اى ازالته ونسخت الكتاب اى نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها
او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به
على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النساء اى
نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ببنائها للفاعل وللمفعول
وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نأت بخير منها اى بوحى آخر هو خير للعباد بحسب
الحال فى النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اى فيما ذكر من النفع والثواب وهذا
الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص
كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات التى عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما تقتضيه
من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل بحسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش
فرب حكم تقتضيه الحكمة فى حال تقتضى فى حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من
النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما فى قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك

والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد
مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمرام بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى
على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشيا المقهورة تحت قدرته
على ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة
لجميع الاشيا من احكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان
الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدا والجملة خبر لان وايثارها
على ان يقال ان لله ملك السموات والارض للقصد الى تقوي الحكم بتكرير الاسناد وهو اما تكرير للتقرير واعادة
للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما في حيزها على ما سبق من مثلها روما لزيادة التاكيد
واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير مستقل للاستشهاد
على قدرته تعالى على جميع الاشيا الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة
التامة على التصرف الكلي ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته لا معارض ولا معقب لحكمه
فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشيا وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا
نصير معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول
الخطابين السابقين للامة ايضا وانما افرد وعم بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عم ووضع الاسم
الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد
به الاستشهاد بما تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فانه
مجرد قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا ونصيرا
لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له فيفوض امره اليه
تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة
والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدا موخر زيدت
فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة
لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه
سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في
امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر
اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ام
تريدون تجريد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمومنين وام منقطعة ومعنى بل فيها
الاضراب والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل التساهل منهم في ذلك
وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده
لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة في انكاره واستبعاده
ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون ان تسألوا وانتم
مومنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم
بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان
تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سال ... قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين
وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي
اي نعت لمصدر موكد محذوف وما مصدرية اي سوالا مشبها بسوال موسى عم حيث قيل له اجعل لنا الها
وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سالوا موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل
اعني سايلية المخاطبين لا من المبني للمفعول اعني مسئولية الرسول عم حتى تشبه بمسئولية موسى عم فلعل
ايثار التشبيه بينهما معا ولكن اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السايلية وفي جانب المشبه به المسئولية
واكتفي بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الاخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له

كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله ويجوز ان تكون ما موصولة على ان العايد محذوف اي كما
سئله موسى وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جي به للتاكيد وقري سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل الهمزة
بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره وياخذه لنفسه بالايمان بمقابلته بدلا منه وقرئ ومن يبدل من ابدل
وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السوال المذكور وارادته وحاصله ومن يترك الثقة
بالايات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الايات الناسخة التي هي خير محض وحق بحت واقترح
غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق
والهدى وتاه في تيه الهوى ۝ وتردى في مهاوي الردى ۝ وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم
للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه كذلك امر واضح غني عن الاخبار به بان يقال ومن
يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية روما للمبالغة في الزجر والافراط
في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس
السواء على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سالوا ان ينزل الله عليهم
كتابا من السما وقيل للمشركين حين قالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الخ فاضافة الرسول
عليه السلام اليهم على القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان
تركه صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط
من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار
بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل
ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد
صلى الله عم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا
وبالاسلام دينا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه
فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في
قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر هو مفعول
لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا
بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير
اي يصيرونكم كفارا كما في قوله ۝ فرمى الحدثان نسوة آل سعد ۝ بمقدار سمدن له سمودا ۝
فرد شعورهن السود بيضا ۝ ورد وجوههن البيض سودا ۝
وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر
وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه لمزيد [illegible] كون المخاطبين مومنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون
سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من الوقوع اما
لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد ايمانكم الراسخ وفيه
تثبيت للمومنين ولا يخفى حسدا علة لود [illegible] حاسدين لكم والحسد اسف على
[illegible] من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين
والميل مع الحق [illegible] من بعد
ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة [illegible]
في الباطل [illegible] فاعفوا واصفحوا العفو ترك [illegible] والصفح ترك التثريب والتانيب حتى
ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه منسوخ باية السيف [illegible]
[illegible] ان الله على
كل شيء قدير [illegible] واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة عطف على فاعفوا [illegible] وما تقدموا

لانفسكم من خير كصلاة او صدقة او غير ذلك اى اى شىء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله
اى تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل عامل وهو وعد للمؤمنين وقرئ
بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتابين جميعا لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصارى اى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا او النصارى فلف بين القولين ثقة بان
السامع يرد كلا منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باولئك من قام
اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين
وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل جمع بازل والافراد فى كان باعتبار لفظ من والجمع
فى خبره باعتبار معناه وقرئ الا من كان هوديا او نصرانيا تلك امانيهم الامانى جمع امنية وهى ما يتمنى
كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة والجمع باعتبار صدوره عن
الجميع وقيل فيه حذف مضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما قبله من
ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى قل هاتوا برهانكم ان
كنتم صادقين فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا اصله آتوا قلبت
الهمزة هاء اى احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم هذا ما تقتضيه
المقام بحسب النظم الجليل والذى يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتى على طلب البرهان على اصل الدخول
الذى يتضمنه دعوى الاختصاص به فان قوله تعالى بلى الخ اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفى
ما ادعوه واذ ليس الاثبات بمجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون النفى مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل
الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفى اصل دخولهم
ومن ضرورته ان يكون هو الذى كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفى
وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم
واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان
عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم
عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما الفائز به من استظهر بقوله سبحانه من اسلم
وجهه لله اى اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر و
موضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذى هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوى عزيمته
الى شىء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اى والحال انه محسن فى جميع اعماله التى من جملتها الاسلام المذكور
وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفى التابع لحسنه الذاتى وقد فسره
عليه السلام بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذى وعد له على عمله وهو عبارة
عن دخول الجنة او عما يدخل به هو فيه دخولا اوليا وايا ما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه
بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار فى الظرف
والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير
مضمون الجملة اى فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون
من فاعلا لفعل مقدر اى بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر وايا ما كان
فتعليق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين
من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل ولا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه ولا
هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
والجمع فى الضمائر الثلاثة باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضمائر الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود
ليست النصارى على شىء بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على
وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت

فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شىء اى امر يعتد به من الدين او على شىء ما منه اصلا مبالغة فى ذلك
كما قالوا اقل من لا شىء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شىء على الوجه المذكور
وكفروا بموسى والتوراة لا انهم قالوا ذلك بناء للامر على منسوخية التوراة وهم يتلون الكتاب الواو للحال
واللام للجنس اى قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اى كان حق كل منهم ان يعترف
بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك اى مثل ذلك الذى سمعت
به والكاف فى محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر اى قولا مثل
ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة
اى قالوا لاهل كل دين ليسوا على شىء واما على انها حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اى قال
القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول الذى سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف
واما مفعول للفعل المنفى قبله اى مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ
عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى
فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة
الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف المعنى فيما
كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار
والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤوس الآى لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد
الله انكار واستبعاد لان يكون اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار
المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من فلان
فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك فى اى مسجد كان
وان كان سبب النزول فعل طائفة معينة فى مسجد مخصوص روى ان النصارى كانوا يطرحون فى بيت
المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا
وقد نقل عن ابن رض ان طيطوس الرومى من النصارى واصحابه غزوا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم
واحرقوا التوراة وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه
المسلمون فى عهد عمر رضى الله عنه وانما وقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح
الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها
مبطلة لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدم من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل من
عداهم ليسوا على شىء ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما
منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك
مفعولا له اى كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها بالهدم او التعطيل بانقطاع الذكر اولئك المانعون
الظالمون الساعون فى خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا
بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب
وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان
لهم فى علم الله تعالى وقضائه فالآية اذن تكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه
منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد روى انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل
معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمة فى ذلك فجوزه ابو حنيفة مطلقا ومنعه مالك مطلقا
وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم اى لاولئك المذكورين فى الدنيا خزى اى خزى فظيع لا يوصف
بالقتل والسبى والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب النار لما ان سببه ايضا وهو
ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وتقديم الظرف فى الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزى والعذاب
والمؤخر ان التأخير عما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن بها عند وروده فضل تمكن كما فى

في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب
اى له كل الارض التى هى عبارة عن ناحيتى المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث
المحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة فى المسجد الاقصى والمسجد الحرام فاينما
تولوا اى ففى اى مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان خاصة مبنى
على الفتح ولا ينصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة فى محل الجزم على انها جواب
الشرط اى هناك جهته التى امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون اخر
او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمى اى فهو عالم بما يفعل فيه ومثيب لكم على ذلك وقرى بفتح التاء واللام اى فاينما
توجهوا القبلة ان الله واسع باحاطته بالاشيا او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم
فى الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضى الله عنه نزلت فى صلوة المسافر على
الراحلة اينما توجهوا وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحا مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاءهم وعلى هذا
لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هى توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون
فى جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف اخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما
قبلها من قوله تعالى وقالت الخ لا على صلة من لما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى
ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرى بغير واو على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله
والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى
واحد واما بمعنى التصيير والمفعول الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرئة له تعالى
عما قالوا وسبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه
اى انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والابعاد
فى الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم
المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر الى الاسم الموضوع له مع الفعل ما لا
يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اى تنزه بذاته تنزها حقيقا به وفيه مبالغة من حيث الاسناد الى
الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد تنزهه تعالى عما لا يليق به لا اثباتا له تعالى وقوله تعالى بل له ما فى
السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسة
سبحانه تعالى بشى من المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد امكان الفنا
لا يوجب ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها بالاخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها عن
اتخاذ ما يجرى مجرى الولد من الحيوان اى ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التى من جملتها عزير والمسيح والملائكة
كل التنوين عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما كائنا ما كان من اولى العلم وغيرهم له قانتون منقادون
لا يستعصى شى منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته لشى ومن حق الولد
ان يكون من جنس الوالد وانما جى بما المختصة بغير اولى العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا اليه
بعض منهم وصيغة جمع العقلاء فى قانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اى مطيعون عابدون
له مقرون بربوبيته تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض
اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ○ ولا قانون ينتحيه ○ فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على
المبدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر فى القاموس
وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع فى قوله ○ امن ريحانة الداعى السميع ○ وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها للتخفيف بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته من بدع اذا كان على
شكل فائق ○ وحسن رائق ○ وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال
مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشيا كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر
لمبتدأ محذوف اى هو بديع الخ وقرى بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الضمير فى له على راى من يجوز الابدال
من الضمير المجرور كما فى قوله ○ على جوده لضن بالماء حاتم ○ واذا قضى امرا اى اراد شيا كقوله تعالى انما

امره اذا اراد شيا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشى لايجابها اياه البتة
وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الخ فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اى احدث
فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتى المقدورات بحسب تعلق مشيته تعالى
ع وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فى الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوى المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع
وتلويح بحجة اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من يفتقر فى تحصيل مراده الى مبادى يستدعى ترتيبها
مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع اخر من
قبائحهم وهو قدحهم فى امر النبوة بعد حكاية قدحهم فى شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى
واختلف فى هولاء القائلين فقال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم
العلم لعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغى او لعدم علمهم او لان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا
وقال قتادة واكثر اهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا
نزل علينا الملئكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اى هلا يكلمنا بلا واسطة امرا او نهيا كما يكلم الملائكة او هلا
يكلمنا تنصيصا على نبوتك او تاتينا اية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث املوا نيل
مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما اتاهم
من البينات الباهرة التى تخر لها صم الجبال من قبيل الايات قاتلهم الله انى يوفكون كذلك مثل ذلك القول
الشنيع الصادر عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا
ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الاية وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ
تشابهت قلوبهم اى قلوب هولاء واولئك فى العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا
الايات اى نزلناها بينة بان جعلناها كذلك فى انفسها كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين ويوقنون بالحقايق لا يعتريهم شبهة
ن ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الاية وفى تعريف الايات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان
الاتيان الذى طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا اية فذة ونحن قد بينا الايات العظام لقوم
يطلبون الحق واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة
له الى الرد والجواب انا ارسلناك بالحق اى ملتبسا بالقرآن كما فى قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او
بالصدق كما فى قوله تعالى ويستنبؤنك احق هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال
ك الاولى اى ارسلناك ملتبسا بالقرآن حال كونك بشيرا لمن آمن بك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او للرسالة
صادقا حال كونك بشيرا لمن صدق بك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب
لا تسال عن اصحاب الجحيم فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد
ان بلغت ما ارسلت به وقرى ولا تسال على صيغة النهى ايذانا بكمال شدة عقوبة
الكفار وتهويلها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان
يسمع خبرها وحمله على نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن السوال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم
والجحيم المتاجج من النار وفى التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما بل
هو ايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا
النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما و
المشركين من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفى لما مر من ان
تقبل اليهود فى انتظار ما هم العظام من النصارى والاستثناء بان لا يرضى كل منهما الا باتباع ملته الاخرى
اى لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشانهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع
ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة فى اقناطه عليه السلام من اسلامهم ما لا غاية وراءه
فانهم حيث لم يرضوا عنه ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من
اتباعه عليه السلام ملتهم فكيف يتبعون ملته وهذه حالهم فى انفسهم وانما اظهروا

للنبي صلى الله عليه وسلم وتيئيس منهم بدلالة قالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا
يتأتى عنه النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى صريح في انه
وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل يستلزم مضمونها او يلزم من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء
ان الاهتداء فيهما كقولهم كونوا هودا او نصارى تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى
الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يحق ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون
اليه هدى بل هو هوى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي اراءهم الزائغة الصادرة عنهم
بتقضية شهوات انفسهم وهي التي عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشرائع
على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغيرا بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم
صحته مالك من الله من جهته العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم
نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتأكيد لا بين المعطوفين لتأكيد النفي بلا وهذا من باب التهييج و
الالهاب والا فانى يتوهم امكان اتباعه عم لملتهم وهو جواب القسم الذي وطأته اللام واكتفي به عن جواب
الشرط الذين آتيناهم الكتاب هم المؤمنون اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته
بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر وما بعده
مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اي بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض
منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التوراة وذكر النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان
بجميع ما فيها من جملته نعت النبي صلى الله عم ومن ضرورته الايمان به عليه السلام واني فضلتكم على
العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم واتقوا
ان لم تؤمنوا يوما لا تجزي في ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من
الجزاء ولا يقبل منها عدل اي فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة
التحذير للمبالغة في النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل
عليهم اعظم وكفرهم بها اشد واقبح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما
عليه النبي صلى الله عم من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عم وان ما عليه اهل الكتاب اهواء زائغة
وان ما يدعونه من انهم على ملته عم فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائه الانبياء عليهم السلام
من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية واذ
منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عم بطريق التلوين اي واذكر لهم وقت ابتلائه
ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الرادعة عن الشرك فيقبلوا الحق ويتركوا ما هم فيه من
الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات لما مر وجهه
في اثناء تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر
واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد
ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم
وابنائه عليهم السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي
تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف
له على عواقب الامور واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب
عليه شيئا هو من مباديه العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيقدم بما يليق بحاله من مصالحه
وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق او التقارب بين السرياني والعربي الا ترى ان ابراهيم تفسيره
اب راحم ولذلك لما جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة على ما

ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في الروضة ابراهيم عم وحوله اولاد الناس
وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف له عليه السلام وايذان بان ذلك
الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي يظهر بها
بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة وان ذكرها الناس
لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا
مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عم للنبوة العامة كيف لا وهي التي
اجيب بها دعوة ابراهيم عم كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه
يأباه الفاء في فاتمهن ثم الاستئناف وقال طاوس عن ابن عباس هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه
وهي سنة في شرعنا خمس في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك
وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان
ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنه لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلاثين خصلة من
خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ
وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلواتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه
بسبعة اشياء بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل
هي محاجة قومه والصلوة والصوم والزكوة والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي
والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين الايات ثم قيل انما
وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق
الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر
هل يجيبه اليهن اولا فاتمهن اي قام بهن حق القيام واداهن احسن التأدية من غير تفريط وتوان كما في
قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده
ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل قال على
تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان الابتلاء بمنزلة الامر عظيم
وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه بتعدد حكايتهما تترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل
فماذا كان بعد ذلك فقيل قال اني جاعلك للناس اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على رأي من جعل
الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب
اذ بقال فالجملة معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على ما قال اي
وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع
او كده له لانه على انه جاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعل عطف
اي لاجل الناس او بمحذوف وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به
وكل نبي امام لامته وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا
باتباع ملته قال استئناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل
قال ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا
لمن يقول سأكرمك او بمحذوف اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة
امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذرو
او ذرء والاصل ذرووة او ذرؤوة فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصار
كالثانية ثم ادغمت الياء في الياء فصارت ذرية او فعيلة منهما والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو
ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احدهما بالسكون فصارت ذريية كالثانية فادغمت الياء في مثلها
فصارت ذرية او فعلية من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم

أدغمت الياء الزائدة في المبدلة أو فعيلة من الذر بمعنى التفريق والأصل ذريئة قلبت الهمزة الأخيرة ياء
ثم إلى الأمثال كما في تسرى وتقضى وتظنى فأدغمت الياء في الياء كما مر أو فعولة منه والأصل ذرورة فقلبت
الراء الأخيرة ياء فجاء الإدغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرئ أبو جعفر المدني بالفتح وهي أيضا لغة
فيها **قال** استئناف مبني على سؤال ينساق إليه الذهن كما سبق **لا ينال عهدي الظالمين** ليس هذا ردا لدعوته
عم بل إجابة خفية لها وعدة إجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عم بنيل عهد الإمامة حسبما وقع في
استدعائه عم من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فإن التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل
من ذلك التمييز إذ ليس معناه أنه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما أشير إليه ولعل إيثار
هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الإمامة من ذريته إجمالا أو تفصيلا وإرسال الباقين لئلا ينتظم
المقتدون بالأئمة من الأمة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الإطناب ما لا يخفى مع ما في هذه الطريقة
من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع أطماعهم الفارغة من نيلها وإنما أوثر النيل على الجعل
إيماء إلى أن إمامة الأنبياء من ذريته عم كإسمعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود
وسليمان وأيوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست
بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن إمامة إبراهيم عم تنال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرئ
الظالمون على أن عهدي مفعول قدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الأنبياء
عليهم السلام من الكبائر على الإطلاق وعدم صلاحية الظالم للإمامة وقوله تعالى **وإذ جعلنا البيت** أي
الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على إذ ابتلى على أن العامل فيه هو العامل فيه أو مضمر
مستقل معطوف على المضمر الأول والجعل إما بمعنى التصيير فقوله عز وجل **مثابة** أي مرجعا يثوب إليه
الزوار بعد ما تفرقوا عنه أو أمثالهم أو موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني وإما بمعنى
الإبداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله تعالى **للناس** متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة أي مثابة
كائنة للناس أو بجعلنا أي جعلناه لأجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد التائبين **وأمنا** أي آمنا كما
في قوله تعالى حرما آمنا على إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة أو على تقدير المضاف أي ذا أمن
أو على الإسناد المجازي أي آمنا من حجه من عذاب الآخرة من حيث إن الحج يجب ما قبله أو من دخله من التعرض له
بالعقوبة وإن كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأي أبي حنيفة رضي الله عنه ويجوز أن يعتبر الأمن بالقياس إلى كل
شيء كائنا ما كان ويدخل فيه أمن الناس دخولا أوليا وقد اعتيد فيه الأمن من الصيد حتى إن الكلب كان يهم
بالصيد خارج الحرم فإذا دخل الحرم لم يتبعه الكلب **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** على إرادة قول
هو عطف على جعلنا أو حال من فاعله أي وقلنا أو قائلين لهم اتخذوا إلى آخره وقيل هو بنفسه معطوف
على الأمر الذي يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كأنه قيل ثوبوا إليه واتخذوا الخ وقيل على المضمر العامل
في إذ وقيل هي جملة مستأنفة والخطاب على الوجوه الأخيرة له عم ولأمته والأول هو الأليق بجزالة النظم
الكريم والأمر صريحا كان أو مفهوما من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي
عليه أثر قدمه عم والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس إلى الحج أو حين رفع قواعد البيت وهو
موضعه اليوم والمراد بالمصلى إما موضع الصلوة أو موضع الدعاء روي أنه عم أخذ بيد عمر رضه فقال هذا مقام
إبراهيم فقال عمر رضه أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الأمر بركعتي
الطواف لما روى جابر رضه أنه عم لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا
من مقام إبراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام إبراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة
والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى أن يدعى بها ويتقرب إلى الله عز وجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي
عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان إبراهيم الذي وسم لاهتمامه به وإسكان ذريته عنده قبلة
يصلون إليها **وعهدنا إلى إبراهيم وإسمعيل** أي أمرناهما أمرا مؤكدا **أن طهرا بيتي** بأن طهراه على أن
أن مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا والجواز أن تكون صلتها أمرا أو نهيا في قوله عز وجل وأن أقم
وجهك للدين حنيفا لأن مدار جواز كونها فعلا إنما هو دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها

خبرية في صلة الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف بها إلا إذا كانت خبرية
وأما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الأمر والنهي
صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الأمر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي
والاستقبال أو أن طهرا على أن تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول وإضافة البيت إلى ضمير الجلالة للتشريف
وتوجيه الأمر بالتطهير ههنا إليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بإبراهيم عم فإن ذلك واقع
قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت وكان إسمعيل عم حينئذ بمعزل من مثابة
الخطاب وظاهر أن هذا بعد بلوغه مبلغ الأمر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه إيراده إثر حكاية
جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الأوثان والأنجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق
به **للطائفين** حوله **والعاكفين** المجاورين المقيمين عنده أو المعتكفين أو القائمين في الصلوة كما في
قوله عز وجل للطائفين والقائمين **والركع السجود** جمع راكع وساجد أي للطائفين والمصلين لأن القيام
والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الأخيرين ذاتا أو زمانا ترك العاطف بين موصوفيهما أي طهراه
لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه إيماء إلى أن ملابسة غيرهم به وإن كانت مع مقارنة أمر مباح من قبيل تلويثه
وتدنيسه **وإذ قال إبراهيم** عطف على ما قبله من قوله وإذ جعلنا الخ أي اذكر إذ أو بما عامله المضمر كأمر
رب اجعل هذا بلدا آمنا ذا أمن كعيشة راضية أو آمنا أهله كليله نائم أي اجعل هذا الوادي من
البلاد الآمنة وكان ذلك أول ما قدم عم مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهم أنه عم
لما أسكن إسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها إلى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول إلى من تكلنا في هذا
البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله أمرك بهذا فقال نعم قالت إذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى
إذا استوى على ثنية كداء أقبل على الوادي فقال ربنا إني أسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة
لهذا في سورة إبراهيم إن حمل على تعدد السؤال لما أنه عم سأل أولا كلا الأمرين البلدية والأمن فاستجيب له
في أحدهما وتأخر الآخر إلى وقته المقدر له لما تقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في
الدعاء والابتهال أو كان المسؤول أولا البلدية ومجرد الأمن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد أجيب إليه
وثانيا الأمن المعهود أو كان هو المسؤول أولا أيضا وقد أجيب إليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار
على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لأنه المقصود الأصلي أو لأن المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق
بخلاف الأمن وإن حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر أن المسؤول كلا الأمرين وقد
حكي ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الأمن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل
أفئدة الناس تهوي إليه كما سيأتي تفصيله هنالك بإذن الله عز وجل **وارزق أهله من الثمرات** من
أنواعها بأن تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك أو يجبى إليه من الأقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى أنه
يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي أن الطائف كانت
من أرض فلسطين فلما دعا إبراهيم عم بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن
الزهري أنه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عم **من آمن منهم بالله واليوم
الآخر** بدل من أهله بدل البعض خصهم بالدعاء إظهارا لشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتماما بشأن أهله
ومراعاة لحسن الأدب وفيه ترغيب لقومه في الإيمان وزجر عن الكفر كما أن في حكايته ترغيبا وترهيبا
لقريش وغيرهم من أهل الكتاب **قال** استئناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى **ومن كفر** عطف على مفعول
فعل محذوف تقديره أرزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى **فأمتعه** معطوف على ذلك الفعل أو في محل
رفع بالابتداء وقوله تعالى فأمتعه خبره أي فأنا أمتعه وإنما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وإن لم يكن
سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف
تلقين كأنه قيل قل وارزق من كفر فإنه أيضا مجاب كأنه عم قاس الرزق على الإمامة فنبهه تعالى على أنه رحمة
دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الإمامة الخاصة بالخواص وقرئ فأمتعه من أمتع وقرئ فنمتعه **قليلا**
تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا **ثم أضطره إلى عذاب النار** أي ألزه إليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من

من التمتع وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فأمتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما
من دعاء ابرهيم عم وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان
الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ
بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف
ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها
واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابرهيم على احد الطريقين
المذكورين في واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة
عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز
من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الانخفاض الى هيئة
الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا فكأنها نمت
وارتفعت وقيل المراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة لما يبنى عليه ورفعها بناء بعضها على بعض وقيل
المراد برفعها رفع مكانته البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم
شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني يجعل هيئة القاعدة
المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء روي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان
من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض
الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم
عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان
الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابرهيم عم فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل
مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابرهيم عم حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى
سحابة على قدر البيت وسار ابرهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي
ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه
من حراء وجاء جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان
وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وذكر الفاسي في شفاء الغرام
في تاريخ البلد الحرام ه والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء
الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل
خلق آدم عم ومنها بناء آدم عم ذكره البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما السلام فقال له ولحوا ابنيا
لي بيتا فخط جبريل وجعل آدم عم يحفر وحوا تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم
فلما بنياه اوحى اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكر الازرقي في تاريخه
وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عند ما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عم وكانت
ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا بهم وبمن بعدهم الى
ان نعسه الغرق في عهد نوح عم ذكره الازرقي بسنده الى وهب بن منبه ومنها بناء الخليل عم وهو منصوص
عليه في القرآن مشهور فيما بين قاص ودان ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقي
بسنده الى علي بن ابي طالب رض ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها
بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رض ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء
لكلها بل لجدار من جدرانها وقال السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها
شيث عم انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على ابرهيم وفي تأخيره عن المفعول للايذان بان الاصل
في الرفع هو ابرهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين
ربنا تقبل منا على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل على انه

انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعهما وقيل
واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف وهو العامل في ربنا تقبل منا فيكون ابرهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي
والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابرهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض ص
لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك
سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب
والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت
السميع بجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا
والجملة تعليل لاستدعاء التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في
الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتاكيد
الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نعتي السمع والعلم به تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى
وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء
وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس
والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك
مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك آخر
واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابرهيم لاقتضاء المقام ق
استجابة ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عم ومن ذريتي في خلال
كلامه سبحانه كذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد
وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كان عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على
صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك
اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا
به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي
على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة المسلمة
امة محمد صلى الله عم وقد جوز ان يكون من للتبيين قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في
قوله تعالى ومن الارض مثلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا وارنا من الرؤية بمعنى الابصار او
بمعنى التعريف اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية
العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ
وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة
لذريتهما وحكاية عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه
هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة
قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا وابعث فيهم
اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما
غير النبي عليه السلام فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في
آخر الزمان قال عم السلام انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي وتخصيص ابرهيم عم بالاستجا بة
له لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام يتلو عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم
ما يوحى اليه من البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب اي القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم
من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون
المعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي
من جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابرهيم الكا

واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة
الغراء الا من سفه نفسه اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق او اهلك او جهل نفسه
قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس
وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم رأسه ونحو قوله
ونأخذ بعده بذناب عيش ۞ اجب الظهر ليس له سنام ۞ وقوله وما قومي بثعلبة بن سعد ۞
ولا بفزارة الشعر الرقابا ۞ وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلاء فقد بالغ في اذلال نفسه
واذالتها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا
الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد
اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اخترناه
بالنبوة والحكمة من بين ساير الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم
محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى
وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها في
حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما قبلها تقريرا ولا حاجة الى جعله اعتراضا اخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة
للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل
والاعراض عن النظر والتأمل وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الاخرة امر مستمر في الدارين لا
انه يحدث في الاخرة والتأكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التأكيد
اشد من الامور التي تشاهد اثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم
تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ۞ ربيته حتى اذا تمعددا ۞
كان جزائي بالعصا ان اجلدا ۞ او بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين او من غير لفظه
اي اعني في الاخرة نحو ذلك بعد رعيا وقيل هي متعلقة باصطفيناه في الدنيا في الاخرة وانه لمن الصالحين
اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة
وما يتعلق بصلاح الاخرة او تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح
المستحق للامامة والتقديم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على
احسن ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل
والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب والقمر والشمس وقيل اسلم
اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم وفوض امورك الى الله تعالى
فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام لاظهار مزيد اللطف
والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عم الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه حيث ايقن حين
النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المامور به ووصى بها ابرهيم بنيه شروع
في بيان تكميله عم لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عم والتوصية التقدم
الى الغير بما فيه خير وصلاح تسليما من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله
كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتأويل الكلمة كما
عبر بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه
وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه
يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من
ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي
هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنو ابرهيم عم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل
اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهودا ويشسوخور وزبولون
ودوانا ونفتونا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليه السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام

الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت
على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا
كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه الا
يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة
مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابرهيم عم وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى
الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عم للاهتمام به اذ المراد بيان
كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن
ملة ابرهيم عم الى توبيخهم على افترائهم على يعقوب عم باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافتراء هنا
لساير الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عم بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل ام يقولون
ان ابرهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عم وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه بدل
من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عم وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه
بعد موتي فان اريد لكم ان تدعوا عليهم ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت
ثم بين ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وانه عم اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد
والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسأل
به كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بعينه فان سئل عن وصفه قيل ما زيد
افقيه ام طبيب فقوله تعالى قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ عن حكاية سؤال يعقوب عم كانه قيل فماذا
قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراده عم
بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد ولقوله
عم عم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية ابائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون
كما في قوله فلما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابرهيم عطف
بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله تعالى بالناصية ناصية
كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب
على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا
محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدأ وخبر والاشارة الى ابرهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي
الجماعة التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة لامة اي مضت بالموت
وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها
محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا تتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب
قصر المسند اليه على المسند كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاول وجملة مبتدأة على الوجهين
الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه
لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم
ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما
اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه
وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى
غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام
يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون اجرى السؤال على ظاهره
فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق
جار مجرى النتيجة له واياما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الاولين

وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة و
الموصول عن السيئات فقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشان
التنزيل كيف لا وهم منزهون من كسب السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفائه و
قالوا شروع في بيان فن اخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين
على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم
اي قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم او لاي طائفة كانت من الطائفتين
بل هو موزع عليهما على وجه خاص تقتضيه حالهم اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا هودا و
النصارى كونوا نصارى فقصل بالنظم الكريم ما فصل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا جواب للامر اي تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابرهيم اي لا نكون كما تقولون
بل نكون اهل ملته عم وقيل بل نتبع ملته عليه السلام ويجوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عم او كونوا
اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته اي اهل ملته حنيفا اي مائلا عن الباطل الى الحق
وهو حال من المضاف اليه كما في رايت وجه هند قائمة في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا
الخ وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عم مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله
والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشادهم
الى طريق التوحيد والايمان على ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وارشادا ضمنيا لهم اليه
آمنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخره عنها نزولا لاختصاصه بنا
وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت
نازلة الى ابرهيم عم لكن من بعده عليهم عم حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة
اليهم كما جعل القرآن منزلا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عم وابناؤه الاثنا عشر
وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات الباهرة
الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر
لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتي النبيون اي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الايات
البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما
عبر عن عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوا لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم
التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لما يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى
والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله عم ما احلت
الغنائم لاحد سود الرؤوس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في
حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول
النابغة • فما كان بين الخير لو جاء سالما • ابو حجر الا ليال قلائل • اي بين الخير وبيني
وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس
في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له
ومذعنون حال اخرى منه او عطف على آمنا فان آمنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان
المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم
به اي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على
مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان يكون الباء للاستعانة
على ان المؤمن به محذوف لظهوره بدرجه انفا او على ان الفعل اجري مجرى اللازم اي فان آمنوا ايمانا مفصلا
او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون الاولى زائدة والثانية صلة لآمنتم وما مصدرية
اي فان آمنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا او ان تكون للملابسة اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين به

به او فان آمنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما آمنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبيا
عليهم السلام وغير ذلك فالمثل على حقيقته فلا مجال لحمله على
المؤمن به فانه لا يتصور به التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق
واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي مثل طريقكم فقد اهتدوا وان وحدة المقصد
لا تأبى تعدد الطرق فبمعزل من السداد لما ان مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه لا يلائم تجويز ان يكون
له طريق آخر وراءه وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كان آمنوا
ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودابهم فانما هم في شقاق المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف
من الخلف والمعاداة والعداء من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الآخر صورة ومعنى ويولي
خلافه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم
بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما
جواب الشرط كما هي على ان المراد ثباتهم الحادث بعد التولي لا من الكفار والشرطية الاولى وانما
اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك وايثار كلمة في للايذان بانهم في شقاق
الذي يستدعيه عدم تحادثهما من التنزيل الجليل وقد ذكرنا فيه قوله فان آمنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج
قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا
واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب فانه مما لا يليق بمحل النظم الكريم ولما دل تنكير الشقاق على
امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل
فسيكفيكهم الله اي فسيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز جل وعلا
وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وقتل بني الخطاب بتحريض النبي صلى الله عليه وسلم
مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما ان الاصل والعمدة في ذلك للايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل
المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤسا فنعمته تعالى في الكفاية
والنصر في حقه عم اتم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع
ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما
ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد الوعد السابق
فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها
الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم
باثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية
فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم
واضافتها الى الله عز وجل مع استناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه
لا يستقل العبد بتحصيلها وهي اذن مصدر مؤكد لقوله تعالى آمنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه وعدل الله
عما تقدم لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغة وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اي الزموا صبغة الله
وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما مما اعتنى ببيان ان ذلك الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى تسليته
ومن احسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من
احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما
اي لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ
وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن الحقيقي والفرضي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره
تعالى حسن في الجملة والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ونحن له اي لله الذي
اولانا تلك النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف
على آمنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا

صبغة الله ونقول نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة تذييل يجري مجرى التعليل للاغراء قل
أتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام لما ان المامور به
من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله
اي في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية
وكذا ما عطف عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا
اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون في تلك الاعمال لا
نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقيقة ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه
وكلمة ام في قوله تعالى ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اي
الامرين تأتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقيقة ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد
والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى فنحن
بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال
من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على الانبياء عليهم السلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي
منقطعة لا غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على
نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم
لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا
باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من
الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاق
فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع عدم ملاءمته
لسياق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال
من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة
الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها
المتقدم على البعثة بمراتب قل أأنتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست لمجرد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار
عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد
ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما في قوله
عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز قائلا قال أأسجد
لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد
للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله اي أكذبتم
في ذلك وبكتم قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابرهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال
ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون
عليه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون ما تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم انكار
لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهي شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة
من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جيء بهما لتعليل الانكار وتاكيده فان
ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها
وتقديم الاول مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من
اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان
للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها
فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفي اطلاق

اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم
في التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيه كتمانهم لشهادته سبحانه
وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اي هو محيط بجميع ما تأتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك
اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى
ومن اظلم الى آخر الآية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار
بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة
الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين خفت احلامهم واستمهنوها
بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات
الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روي عن ابن عباس ومجاهد
رضي الله عنهم قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يأنسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل هم
المنافقون وهو لا يناسب قوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية
القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون وانما قالوه كراهة للتحويل الى مكة
بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم
الفارحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله من الناس اي الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكي لم يصدر عن
كل فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد
بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضي
تسليم الباقين التحويل وارتضاءهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولاهم اي اي
شيء صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة
التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره
غلبت على الجهة التي يستقبلها الانسان في الصلوة والمراد بها هاهنا بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين
ووصفها بقوله التي كانوا عليها اي ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتاكيد الانكار فان
الاختصاص بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما يأبى الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود
فمدار الانكار كراهتهم التحويل عنها وزعمهم انه خطأ وان اريد بهم المشركون فمدار الانكار مجرد القدح في
الدين والقدح في احكامه واظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا كراهة الانصراف
عنها والتوجه الى مكة وتقبيح الانكار [illegible]
ترك الدين القديم ابعد عند العقول وانكر بسببه ادخل في الايذان بان [illegible]
عندهم هو تحويل من جهة بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم الى التوجه الى جهة
اخرى اوهم المشركون بناء على ان المنكر عندهم تحويل القبلة الذي يدل على وجه الطعن والقدح لا التوجه
الى الكعبة لانها كانت عندهم [illegible]
[illegible]
على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم [illegible] قل لله المشرق والمغرب
استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يقال عند ذلك فقيل قل اي لله ناحيتا الارض اي
الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر
الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء اي هدايته [illegible] الى صراط
مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة
اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والمصالح الخفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب
الى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول عليه السلام لتاييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة الى
مصدر جعلناكم لا الى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد الى المؤمنين لما ان المراد مجرد

الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير جعلناكم امة وسطا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا لا جعلا آخر ادنى منه والوسط في الاصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطائي • كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا • فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام اذ لا ملابسة بينها وبين اهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الافراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على المتصف بها مبالغة كانه نفسها وسوي فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كدأب سائر الاسماء التي يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رائقة هي ان الجعل المشار اليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق اي الاسلام الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزائغة اي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا واهمل من كفر وهو غاية للجعل المذكور مرتبة فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت الكيفية المتشابهة المتالفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار اليها الى رتبتها بقوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على احكام الدين • واحوال الامم اجمعين • حاويا لشرائط الشهادة عليهم روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق • على لسان رسوله الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز وجل ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها جرد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان يخص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وما قيل من ان الجعل تحويل الشيء من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام صناعي ينساق اليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن التأمل اللائق يهدي الى العكس فان المقصود افادة ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تألفا لليهود او هي الصخرة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه وعلى هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيتأتى ارادتها على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اي تزدي بها وهي الكعبة وعلى الثاني وما جعلناها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة الا لنعلم استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشياء الا لنمتحن الناس ونعلم اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم من يتبع الرسول في التوجه

التوجه الى ما امر به من الدين او القبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتمييز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب الخ اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اي شاقة ثقيلة وهي ان المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ المبتدأ والخبر واللام هي الفارقة بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما في قوله • واخوان لنا كانوا كرام • واصله وان هي لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول عليه السلام وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ما صح وما استقام ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلواتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليس في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتأكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤوف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤوف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ لما مر في وجه تقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرأفة في الكمية والرأفة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتأكل وقرئ رؤف بغير همزة كندس قد نرى تقلب وجهك في السماء اي تردد وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او نحو ذلك ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئته تعالى وحكمته فول وجهك الفاء لتفريع الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اي اصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على الظرفية من ول او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان النبي الله قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد

صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان
الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول عم بالخطاب تعظيما لجنابه
وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة
العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها
وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب
من فرقتي اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل او التوجه المفهوم من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته
سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة وبما يتيقنهم لما هو مسطور في كتبهم من انه عليه السلام يصلي
الى القبلتين كما يشعر به التعبير عنهم بالاسم الموصول باتيان الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي
يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا
من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما
الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد
لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد
مع تحقق ما يزيحه منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله بكل آية اي بكل حجة قطعية دالة على حقية
التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى
انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالاية من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى وما انت
بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود
لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له عم وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في البطلان ومخالفة
الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض
فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما
هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه
وهذه الشرطية الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا
انك اذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة اليهود فان من ليس من شانه ذلك
اذا نهي عنه ورتب على فرضه ووقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك
واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حقها ان يتقدم او يتاخر
فلم يتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتاخر
رعاية للفواصل ولقد بولغ في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن
متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب اي علماؤهم اذ
هم العمدة في اثباته ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير
المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول عليه السلام والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم
له عم من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها
انه عم يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم
الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عم وانه علم معلوم بغير اعلام وتامل وقيل الضمير
للعلم او لما هو الوحي او القرآن او التحويل ويرده الاول قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه
عم باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم
البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام رضي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي
فلعل والدته خانت فقبل عمر راسه رضي الله عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا

كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست
لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فانهم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما كفرهم على وجه
التقليد الحق بالرفع على انه مبتدا وقوله تعالى من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي عم
او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا غيره كالذي
عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدا محذوف اي هو الحق وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرئ
بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من
اظهار اللطف به عم ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه
من ربك وليس المراد به نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عم وليس بقصد
واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك
على الوجه الابلغ ولكل اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض من المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد
قرئ كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي موليها
وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة
التاكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها اي مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات اي تسابقوا
اليها بنزع الجار كما في قوله • ثنائي عليكم آل حرب ومن يمل • سواكم فاني مهتد غير مائل •
وهو ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره
مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا
اي في اي موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا
من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم
كانها صلاة الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق
ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله
تعالى فول او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه للسفر فول وجهك عند صلواتك شطر
المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول الخ وانه اي هذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق
للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة
فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه في اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك
شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر آنفا وحيث ما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه
ايثار كنتم على خرجتم فان الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين ولو
قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم
من محالكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان
يؤكد امرها مرة بعد الاخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة
متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية عن
الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التوراة من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه
يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة
الا للمعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى
قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش الاباطيل من قبيل
ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل
الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كالذي في قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •
ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استئناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم
شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل
عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما امرتكم لاتمامي النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي اهتداءكم لما انه مستتبع

بود الى سعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة
بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف
على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم واتم الى اخره او على قوله تعالى لئلا يكون الى اخره وتوسيط قوله تعالى
فلا تخشوهم الى اخره بينهما للمسارعة الى التسلية والتثبيت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه
تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله
الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي
عليكم في امر القبلة او في الاخرة اتماما كائنا كاتمامي لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس
لهم نعمة لا يكافؤها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني الخ وايثار صيغة المتكلم مع
الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلوا عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة
لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلو اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى
مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية و
تهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من
الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم
رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل
نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة
رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة
من الشرائع كما ان قوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن
الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله
تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم
انه ليس من شأنهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني
الفاء للدلالة على ترتيب الامر على ما قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب وهو
تحريض على الذكر مع الاستشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها
وعصيان ما امرتكم به يا ايها الذين آمنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على
مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تأتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفس التي
من جملتها معاداة الكفرة ومقاتلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلوة التي هي ام العبادات ومعراج المؤمنين
ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى التعليل
واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في
الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة
ودخول مع على الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على
استعينوا الخ مسوق لبيان ان لا غائلة للمأمور به وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر حيوة ابدية لمن يقتل
في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى ان حياتهم ليست
مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن
الحسن رضي الله عنه ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما
تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع ثم اني رأيت في المنام سنة تسع و
وتسعمائة اني ازور قبور شهداء احد رضي الله عنهم وانا اتلوا هذه الآية وما في سورة آل عمران واردد هما
متفكرا في امرهم وفي نفسي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رأيت شابا منهم قاعدا في
قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيئات والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة
والباقي في القبر خلا اني اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فاذا به ينظر
الي متبسما كانه ينبهني على ان الامر بخلاف ما رأيت فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في

شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى
بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات و
السنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك لمناسبته مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة لاختصاصهم
بمزيد القرب من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون
للقضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا
ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما
اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء وقيل على
الخوف وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة والصدقات
ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله
تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول
الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدي بيتا في الجنة
وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله
عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بان يتصور ما
خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه
فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين
باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة
الصلوة من الله المغفرة والرأفة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة
كما في قوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم
فنون الرأفة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة
اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوة والرحمة
المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق
والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه متقدم عليهما فلا بد لتأخره
عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئك
هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثاني
هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من
نال رأفة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا والمروة علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم
من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار
الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث
اظهر البيت وجب تجريده عن المفعول به فلا جناح عليه ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله
يتطوف قلبت التاء طاء وادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف
ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعي انه ركن وابراز
بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انه كان في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة
آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان
يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما
ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف
وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه

او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع مثل يطوف وقرئ ومن يتطوع بخير فان الله شاكر اى
مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة فى الاحسان الى العباد عليم بالغ فى العلم بالاشياء فيعلم
مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علة لجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع
خيرا جازاه الله او اثابه فان الله شاكر عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت فى احبار اليهود الذين كتموا ما
فى التورية من نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن
والسدى والربيع والاصم انها نزلت فى اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت فى كل من كتم شيئا
من احكام الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاولى فان عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان
ترك اظهار الشئ قصدا مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعى الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفائه
وقد يكون بازالته ووضع شئ آخر فى موضعه وهو الذى فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات من الآيات
الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اى والآيات الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه
والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهى المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير
العنوان كما فى قوله عز وجل هدى للناس وبينات الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية ويأباه الانزال
والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة
ببيناه وكذا الظرف فى قوله تعالى فى الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى
مما لا ريب فى جوازه او لاخر متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اى كائنا فى الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه
وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا فى نفسه
وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عم والاول انسب بقوله تعالى فى الكتاب والمراد بكتمه
ازالته ووضع غيره فى موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه فى
تفسير قوله عز وعلا فويل للذين يكتبون الكتاب الخ اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار
بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامى امرهم وبعد منزلتهم فى الفساد يلعنهم الله اى
يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال
الروعة والاشعار بان مبدأ صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدأ الانزال والتبيين
من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اى الذين يتأتى منهم اللعن اى الدعاء عليهم باللعن من الملئكة ومؤمنى
الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره ويدل عليه الاستثناء المتصل فى قوله تعالى الا الذين تابوا اى
عن الكتمان واصلحوا اى ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف
وبينوا للناس معانيه فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا واخرا فانه ادخل فى ارشاد الناس الى
الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذى كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدى
بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها
لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة للاشعار بعليته
للحكم والفاء لتاكيد ذلك اتوب عليهم اى بالقبول واضافة المغفرة والرحمة وقوله وانا التواب الرحيم
اى المبالغ فى قبول التوبة ونشر الرحمة اعتراض تذييلى محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان
فى النظم الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدا فى فعليه تعالى السابق واللاحق
ان الذين كفروا جملة مستانفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على
غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر فى الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح
والتبيين مبنى على ما اشير اليه فكما ان وجود تلك الامور الثلثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر كذلك
وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا اى ان الذين كفروا واستمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة و
وماتوا وهم كفار لا يرجعون عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كما قبله عليهم لعنة
الله والملئكة والناس اجمعين اى مستقر عليهم اللعن ممن يعتد بلعنتهم وهذا بيان لدوامها الثبوتى بعد بيان دوامها التجددى فى
الاول لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملئكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل

فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو وكانه قيل اولئك عليهم اى
لعنهم الله والملئكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر اى ويلعنهم الملئكة خالدين فيها اى فى اللعنة
او فى النار على انها اضمرت من غير ذكر تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستانف
لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضمير فى خالدين على وجه
التداخل او من الضمير فى عليهم على طريقة الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى
فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفى واستمراره اى لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون
ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس اى المستحق منكم للعبادة
اله واحد اى فرد فى الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر ثان للمبتدأ او
صفة اخرى للخبر او اعتراض وايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان فى الوجود
الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران آخران للمبتدأ او لمبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد
فانه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان
مفتقرا اليه فى وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة ده
فيه قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا
ان كنت صادقا فائت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان فى خلق السموات والارض اى فى ابداعهما
على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما
هو المشهور من انها طبقات متخالفة الحقائق دون الارض واختلاف الليل والنهار اى اعتقابهما وكون
كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة او اختلاف كل منهما فى انفسهما
ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التى تجرى فى البحر عطف على ما قبله وتانيثه اما
بتاويل السفينة او بانه جمع فان صيغة الجمع مغايرة لصيغة الواحد فى التقدير اذ الاولى كما فى حمر والثانية
كما فى قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس اى ملتبسة بالذى ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع
او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما
فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض
فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر فى غالب الامر
ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية وايا ما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق
المراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيى به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها
من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به ايراد الموت فى
مقابلة الاحياء وبث فيها اى فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على انزل
داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيى الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا فى حكم شئ
واحد كانه قيل وما انزل فى الارض من ماء وبث فيها الخ او على احيا بحذف الجار والمجرور العائد
الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما فى قوله • وان لسانى شهدة يشتفى بها •
ولكن على من صبه الله علقم • اى علقم عليه وهو قوله • لعل الذى اصعدتنى ان يردنى •
الى الارض ان لم يقدر الخير قادت • على معنى فاحيى بالماء الارض وبث بسببه من كل دابة فانهم
ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اى تقليبها من مهب الى آخر
او من حال الى اخرى وقرئ بالافراد والسحاب عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده
سحابة سمى بذلك لانسحابه فى الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد
يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما فى قوله سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه فى الجو بواسطة الرياح حسبما
تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب فى الذكر عن جريان الفلك
وانزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجى لما مر فى قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة
فى كونها اية ولو روعى الترتيب الخارجى لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض اية واحدة لآيات

اسم ان دخلته اللام لما تأخر عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة
القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون
اى يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبى صلى الله عليه وسلم
آية تصدقه فى قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تأمل فى تلك الآيات
وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى
واستغنى بها عن سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة
دون ما عداه مستتبعا لآثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضى ذاته وجوده فضلا عن وجوده
على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه
مشيئته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد
او التمانع المؤدى الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لحال ما كان من المشركين اثر تقرير
وحدانيته سبحانه وتحرير الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه
شىء من الموجودات فى صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة فى صفة الالوهية والكلام فى اعرابه كما فصل
فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اى من الناس من يتخذ
من دون ذلك الاله الواحد الذى ذكرت شؤونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه تعالى بالذات غب
تعيينه بالصفات اندادا اى امثالا من الرؤساء وهم الذين يتبعونهم فيما يأتون وما يذرون لا سيما فى الاوامر
والنواهى كما يفصح عنه ما سيأتى من وصفهم بالتبرى من المتبعين وقيل هى الاصنام وارجاع ضمير العقلاء
اليها فى قوله عز وعلا يحبونهم مبنى على آرائهم الباطلة فى شأنها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء
والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منه حب على حذ
مد لكن الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة
العبد لله سبحانه ارادة طاعته فى اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم
ويعظمونهم والجملة فى حيز النصب صفة لاندادا او حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما
ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضية كونه مبنيا
للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعليهما فانهم كانوا يقرون بالله تعالى ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم
حبا كائنا كحبهم لله تعالى اى يسوون بينه تعالى وبينهم فى الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون
فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما فى اصل الحب لا فى وصفه كما او كيفا لما
بينهما من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبنى للمفعول اى كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغنى عن
ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لاندادهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير
الى ما اسلفناه فى تفسير قوله عز وعلا كما سئل موسى من قبل واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار لتربية
المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتدأة جىء بها لتوضيح
ما فيها من بيان خارجة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اى المؤمنون اشد حبا لله تعالى منهم لاندادهم
وماله ان حب اولئك له تعالى اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب مصدرا من المبنى
للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان انقطاعه وانقلابه بغضا
وذلك انما يتصور فى حبهم لاندادهم منوطا بمبان فاسدة ومباد موهومة يزول بزوالها ولذلك
كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما اياما فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه
وقد اكلت باهلة الههم عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير ان مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها
فى الدنيا وليس الكلام فيه بل فى انقطاعه فى الآخرة عند ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سيأتى بل
اعتباره مخل بما يقتضيه مقام المبالغة فى بيان كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه والايثار الاظهار
فى موضع الاضمار لتفخيم الحب والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اى باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود
اذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيامة اى لو علموا اذا عاينوه وانما اوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى

مجرى الماضى فى الدلالة على التحقق فى اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولى يرى وان
الله شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة فى تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة
به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه
عن دائرة البيان اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر
او المستمع من الضجر والتفجع عليه اى لو علموا اذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه احد من اندادهم
ان القوة لله جميعا ولا دخل لاحد فى شىء اصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ
ولو ترى بالتاء الفوقانية على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب
فالجواب حينئذ لرأيت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد
العذاب على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اى تبرأ الرؤساء من الذين
اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه فى الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال
واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس انى كفرت بما اشركتمونى من قبل وقرئ بالعكس اى تبرأ
الاتباع من الرؤساء والواو فى قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على تبرأ
والضمير فى رأوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب والوصل التى كانت بينهم من التبعية والمتبوعية
والاتفاق على الملة الزائغة والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذى يرتقى به الشجرة ونحوها
والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبرى وقد جوز عطفها على الجملة الحالية
وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم فى الدنيا لو ان لنا كرة
اى ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم هنالك كما تبرؤا منا اليوم كذلك اشارة الى مصدر الفعل
الذى بعده لا الى شىء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه فى سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من
الفخامة ومحله النصب على المصدرية اى ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اى ندامات
شديدة فان الحسرة شدة الندم والكمد وهى تألم القلب والحسارة عما يؤمله واشتقاقها من قولهم بعير حسير
اى منقطع القوة وهى ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فهى حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب
حسرات عليهم فلا يرون الا الحسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخول
النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفى الخروج والضمير للدلالة على قوة امرهم
فيما اسند اليهم كما فى قوله ٭ هم يفرشون اللبد كل طمرة ٭ واجرد سباق يبذ المغالبا ٭ يا ايها
الناس كلوا مما فى الارض اى بعض ما فيها من اصناف المأكولات التى من جملتها ما حرموه افتراء على الله
من الحرث والانعام قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى قوم من ثقيف وبنى عامر بن صعصعة وخزاعة
وبنى مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب والوصائل والحام وقوله تعالى حلالا حال
من الموصول اى كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر
مؤكد اى اكلا حلالا ويعضد الاولين قوله تعالى طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل
نزلت فى قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله عز وجل ولا تتبعوا
خطوات الشيطان اى لا تقتدوا به فى اتباع الهوى فانه صريح فى ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم
الحلال على وجه الزهد ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله
وانما الذى نزل فيهم ما فى سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
الآية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما جمع خطوة وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ بفتحتين
جمع خطوة وهى المرة من الخطو وقرئ خطؤات جمع خطأة من الخطأ انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة عند ذوى البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه
وليا فى قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء استئناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل
لفنون شره وافساده والسوء فى الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا

اذا خرج به يطلق على جميع المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبه والفحشاء اقبح انواعها واعظمها مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله بانه حرم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه منه تعالى لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده وللايذان بان العاقل يجب عليه ان لا يتقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما لا يعلم عدم وقوعه منه تعالى قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم بصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم وهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اي وجدناهم عليه انا على ان الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من اباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له فمتقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج الظاهرة والبينات الباهرة فجنحوا الى التقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استئناف سيق من جهته تعالى ردا لمقالتهم الحمقاء واظهارا لبطلان آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كالتي في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله واما فيما نحن فيه ونحوه فنوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وانما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو باق على ما هو عليه من الاستبعاد وغاية بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وانما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلول له وان الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق بالمذكور وان المنصوص والاصل انكاره مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير معانيه فلتوسيع الدائرة وانما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه لم يتحقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لئلا يلجؤوا من التفريع بنسبتنا اباءهم الى كمال الجهالة والضلالة تحليه اليهم مركبوا متن العناد ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لاباءهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون اباءهم كما ذكر احتمالا لا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير أيتبعون ذلك لو لم يكن اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من اباءهم على طريقة قوله ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون دين اباءهم حال كونهم عاقلين وجاهلين فوضا لمن انكار لما افاده

كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي تعلق به الانكار حين تحقق مع كون اباءهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى ان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت عنها وهي حالة كون اباءهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه ايتبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في امثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع وفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سيأتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين وقيل الواو حالية ولكن التحقيق انها عاطفة وبدور على معنى العطف في سائر اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما يليه عليه ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضمائر السابقة لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلية ما اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القائل وحالة الحقيقية لغرابتها بان تسمى مثلا وتسير في الآفاق فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه رأسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الى الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهائم فانها لا تسمع الا صوت الراعي وحثه بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانه عبارة عنه مشعرة بما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي ومثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما يلقى اليهم من الآيات كمثل بهائم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقته بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهائم وهذا غني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله تعالى الا دعاء ونداء لان الاصنام بمعزل من ذلك صم بكم عمي رفع على الذم اي هم صم الخ فهم لا يعقلون شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادئ الامور المعقولة والتأمل في ترتيب المقدمات باستماع آيات الله ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يؤخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسدت ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اي اكلها والانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او استثنيا بالشرع والدم ولحم الخنزير انما خص بالذكر اللحم مع ان جميع اجزائه حرام لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي بذلك الاهلال ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستئثار على مضطر آخر ولا عاد سد الرمق او الجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه

لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون
ما انزل الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا قال
ابن عباس نزلت في رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون به اي يأخذون بدله ثمنا قليلا
عوضا حقيرا وتقديم سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقد المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تميز الجاعلين اياهم
بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ما يأكلون في بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدأ ثان او بدل من
الاول والخبر ما يأكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم يأكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله
اكلها كقوله • اكلت دما ان لم ارعك بضرة • بعيدة مهوى القرط طيبة النشر • او يأكلون في المآل يوم القيمة
عين النار عقوبة على اكلهم الرشا في الدنيا وفي بطونهم متعلق بيأكلون وفائدته تأكيد الاكل وتقرير بيان
مقر المأكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطونكم تعفوا
فلا بد من الاتحاد والتعليقة بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف الاستثناء والا فتعليقه
بيأكلون يؤدي الى قصر ما يأكلونه الى الشيء على النار والمقصود قصره بأكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم
القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى ولا
يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مؤلم اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظمهم بالاعتبار المذكور
خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته ههنا فان المقصود تقبيح
ما باشروه من المعاملة بتصويره بصورة قبيحة تنفر عنها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما يتعاطون
واظهار كنه ما اخذوه واعطوه فظاعة بتعاطيه وهو مبتدأ خبره الموصول اي اولئك المشترون بكتاب الله تعالى ثمنا
قليلا ليسوا مشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة التي ليست مما يمكن ان
يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان جل والعذاب اي اشتروا بالنظر الى
الاخرة العذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس فيه المتنافسون فما اصبرهم على النار
تعجيب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة
لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص شر في شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اي شيء عظيم
جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم على النار وقيل هي موصولة
وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذي اصبرهم على النار او شيء اصبرهم على النار امر عجيب فظيع
ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب
والكتمان مرتكبا متن الجهل والغواية حقيقا بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي
في جنس الكتاب الالهي بان آمنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التوراة بان آمنوا ببعض آياتها
وكفروا ببعض كالآيات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فهي الاختلاف
التخلف عن الطريق الحق او الاختلاف في تأويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر
وبعضهم اساطير كما حكي عن المشركين لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضي الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا
اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين
المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب
المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس
من المدينة المنورة في جانب المغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس
مقدما على اسمها كما في قوله • سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم • فليس سواء عالم وجهول • وقوله
• اليس عظيما ان تلم ملمة • وليس علينا في الخطوب معول •
وانما اختير ذلك لما ان المصدر المؤول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف ولا

يوصف به والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب اطراف النظم الكريم
وقرئ برفع البر هذا فيجب ان يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذلك الا بكون البر اسما كما ينصح عنه جعله
مخبرا عنه في الاستدراك بقوله تعالى ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل
لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم
بشأنه ويجد في تحصيله بر من آمن بالله وحده ايمانا بريئا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى
المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون من
ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين
حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما من اول الامر عقيب نفيه عن التوجه
الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كأنه قيل ولكن البر هو التوجه الى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق
والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وآمن بهم وبانهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه
بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي بجنس الكتاب الذي من افراده الفرقان الذي نبذوه
وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله ثمنا قليلا
والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحي
وبين النبيين واضح وسياق في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وآتى المال على حبه
حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال اي آتاه كائنا على حب المال كما في قوله صلى الله عليه وسلم حين
سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه ان تؤتيه وانت
صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا
وقيل الضمير لله تعالى اي آتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد ففيه نوع تعريض بما في
الرشا واخذها بالتغيير للتوراة وقيل لمصدره اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول لآتى
قدم عليه مفعوله الثاني اعني المال للاهتمام به او لان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب
لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي تقدم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى اي
المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتاءهم صدقة وصلة والمساكين
جمع مسكين وهو الدائم السكون لما ان الخلة اسكنته بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس وابن
السبيل اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما سمي اللص ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين
الجأتهم الحاجة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفي الرقاب
اي وضعه في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع
الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى وايا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح كالذين من قبلهم للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اتوا كما في الوجه الاخير او لعدم ثبوتهم كما في الاولين
بشرح حرف الاستحقاق والاختصاص لما ان الظرفية المنبئة عن ملكيتهم لما يرادون واقام الصلوة
اي المفروضة منها وآتى الزكوة اي المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات
قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليها والمراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني
لبيان وجوب الاداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فانه في قوة ان يقال ومن وفى بعهدهم
وايثار صيغة الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل
حراما من العهود الجارية فيما بين الناس وقوله تعالى اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات
الدين والصابرين نصب على الاختصاص غير معطوف تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو
في الحقيقة معطوف على ما قبله قال ابو علي اذا ذكرت صفات للمدح او الذم وخولف في بعضها الاعراب
فقد خولفت للافتنان ويسمى ذلك قطعا لان تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد
اهتمام بشأنه وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين في البأساء اي في الفقر
والشدة والضراء المرض والزمانة وحين البأس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة

الحين للاستغاب بوثوق عدا احبانا وسنرعة انقضائه الجميلة المعدودة ومعافيه من معنى البعد لما هو مرادًا
من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم اولئك الذين صدقوا اى في الدين واتباع الحق وتحري البر حيث
لم يغيرهم الاحوال ولم يزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير الاشارة
لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى فيهم والاية الكريمة كما ترى حاوية
لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا وتلويحا لما انها مع تكثر فنونها وتشعب شجونها منحصرة في خلال
ثلاث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل
والى الثانية بايتاء المال والى الثالثة باقام الصلوة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظرا
الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله
صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا شروع في بيان
بعض الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخالفين بما ذكر من اصول الدين وقواعدها التي
عليها بني اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اى فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه
قدرة الولي على العفو فان الوجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام او القاتلين القصاص في القتلى
اى بسبب قتلهم كما في قوله عليه السلام ان امرأة دخلت النار في هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان
لاحد الحيين طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباءوا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد
عند الشافعي ايضا لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق
وقد رايت الوجه ههنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رحمهما الله بما روي عن علي رضي الله عنه ان
رجلا قتل عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقتله وبما روي عنه رضي الله عنه
انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذمي ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان
الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى ان
النفس بالنفس مع ان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على انها
شريعتنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ على
البناء للفاعل وطلب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اى شيء من العفو لان عفى لازم وفائدته
الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما
يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم
يثبت عفاه بمعنى تركه بل اعفاه وجعل العفو على المحو كما في قوله • من قائل • ديار عفاها جور كل معاند
وقوله • عفاه كل حنان • كثير الوبل هطال • فيكون المعنى فمن عفي له من اخيه شيء صرف
للكلمة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال
الناس فانهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات الا بما ذكر من قبل وعفى يعدى الى الجاني والذنب
قال تعالى عفى الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى
كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما
بحكم كونهما من بني ادم عم لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر
اتباع او فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف
وقوله تعالى واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان من غير مماطلة
وبخس ذلك اى ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب
على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم
القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل
فمن اعتدى بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو او

واخذ الدية فله عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص مما قتله بغير حق واما في الاخرة فبالنار
ولكم في القصاص حيوة بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محل الضد
وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان
العلم به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل فاذا اقتص من القاتل
سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي
الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الاخرة والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما
خبر والاخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في
القران حيوة القلوب يا اولي الالباب اى ذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما
خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا لهم الى التامل في حكمة القصاص لعلكم تتقون اى تتقون انفسكم من المساهلة
في امره والاهمال في المحافظة عليه والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن القتل المودي اليه كتب عليكم
بيان لحكم اخر من الاحكام المذكورة اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه وظهر اماراته او دنى نفسه من
الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها ان ترك خيرا اى مالا
وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال
الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عايشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله
عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت كم
عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية
للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل مع جواز تانيثه ايضا
للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه واذا ظرف
محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدوره الكتب عنه بل من حيث تعلقه بهم تعلقا تعليقا مستتبعا لوجوب
الاداء كما ينبئ عنه انبائه للمفعول وكلمة الايجاب ولا مساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو
مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كما في قوله • من يفعل الحسنات الله يشكرها •
ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عند نزول
اية المواريث بقوله عليه السلام ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان
من اخبار الاحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ عند ائمتنا
على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي اية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى
كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم ولا تبين لمقاديرها
بل فوض ذلك الى رايكم حيث قال بالمعروف اى بالعدل فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى تبيين
طبقات استحقاق كل واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات واعطى كل ذي حق منهم حقه الذي
يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرايكم اصلا حسبما يعرب عنه
الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان اية
المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد
وتلقي الامة اياها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى الله تعالى من
توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم
بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير تعيين لانصبائهم فلما
نزلت اية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها بتنبيه النبي صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه
الوصية التي كانت واجبة كانه قيل ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث
مقام الوصية فكان هذا معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول اية الوصية حيث كان
تفويض الامر الى راي المكلفين على الاطلاق وتسنى الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه اراؤهم
بالمعروف فتكون اية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع

الزيادة والنقص بقوله تعالى فى بعضها من الله تعالى يتحقق لها دافعه بحكمها بما لا يشتبه على احد وقوله تعالى
حقا على المتقين مصدر موكد اى ذلك حقا فمن بدله اى غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اى
بعد ما وصل اليه وتحقق لديه فانما اثمه اى اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه
لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول فى موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الايذان بعلية ما فى
حيز الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا او كثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم
لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف
ان يرسل السماء وقرى موص جنفا اى ميلا بالخطاء فى الوصية او اثما اى تعمدا للجنف فاصلح بينهم اى
بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة فلا اثم عليه اى فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى
حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من
جنس ما يوثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم اخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار
مزيد الاعتناء به والصيام والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى انى نذرت
للرحمن صوما فلن اكلم اليوم وقيل هو الامساك عن الشى مطلقا ومنه صامت الريح اذا امسكت عن الهبوب
والفرس اى امسك عن العدو وقال ۞ خيل صيام واخرى غير صائمة ۞ تحت العجاج واخرى تعلك اللجما
وفى الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التى هى معظم ما تشتهيه النفس كما كتب
محل النصب على انه نعت لمصدر الموكد اى كتبا ثابتا كما كتب وعلى انه حال من المصدر المعرفة اى كتب عليكم
الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية وعلى انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اى صوما مماثلا
للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اى حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من
قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن ادم وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين
به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة فى اصل الوجوب واما فى الوقت والمقدار كما يروى
ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى فتركوه وصاموا يوما من السنة زعما انه يوم غرق
فرعون وكذبوا فى ذلك فانه كان يوم عاشورا واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا فيه حرا شديدا
فاجتمعت اراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه فى الربيع وزادوا عليه عشرة
ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين
لعلكم تتقون اى المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدؤها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان
الصوم له وجاء او تتقون الاخلال باداية لاصالته او تتصلون بذلك الى رتبة المتقين اياما معدودات
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان
او ما وجب فى بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشورا وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابها ليس بالصيام كما قيل
لوقوع الفصل بينهما باجنبى بل بمضمر دل هو عليه اعنى صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا وقيل
بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا تتحقق الظرفية ولا المفعولية
التزم عليه اتساعا فمن كان منكم مريضا اى مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه
تلويح ورمز الى ان من سافر فى اثناء اليوم لم يفطر فعدة اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر
ان افطر فحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرى بالنصب اى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة
وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضى الله عنه وعلى الذين يطيقونه اى وعلى
المطيقين للصيام ان افطروا فدية اى اعطاء فدية وهى طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره
عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك فى بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا تعودوه
فاشتد عليهم فرخص لهم فى الافطار والفدية وقرى يطيقونه ويطلقونه ويتطوقونه بادغام التاء
فى الطاء ويطيقونه بمعنى يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق
فادغمت التاء فى الواو بعد قلبها ياء من قولهم ۞ ما بالدار ديار ۞ وفيه وجهان احدهما
نحو معنى يطيقونه والثانى يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء

هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اى يصومونه جهدهم وطاقتهم
ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد فى الفدية فهو اى التطوع او الخير الذى تطوعه خير له وان تصوموا
ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون فى الافطار من المرضى و
المسافرين خير لكم من الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب
للهز والتنشيط ان كنتم تعلمون اى ما فى صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف
ثقة بظهوره اى اخترتموه اى سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم
خير من ذلك شهر رمضان مبتدا سيانى خبره او خبر لمبتدا محذوف اى ذلك شهر رمضان او بدل من
الصيام على حذف المضاف اى صيام شهر رمضان وقرى بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول تصوموا
او بدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض اى احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل
علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان
الحديث وارد على حذف المضاف للامن من الالتباس وانما سمى بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش
او لارتماض الذنوب باحتمائه فيه او لوقوعه فى ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة
الذى انزل فيه القرآن خبر لمبتدا على الوجه الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى
انزاله فيه انه ابتدى انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل
منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشية الربانية او انزل فى شانه القرآن وهو قوله تعالى كتب عليكم وعن
النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين منه والانجيل
لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن
الذى انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه
وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اى حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر
موضع المضمر للتعظيم والمبالغة فى البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمين المبتدا معنى الشرط او زائدة
على تقدير كون شهر رمضان مبتدا والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له وقيل هى جزائية كانه قيل
لما كتب عليكم الصيام فى ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اى فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل
الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقوله شهدت الجمعة اى
صلاتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا وان كان مقيما حاضرا فيه او على سفر
وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر اى فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل
التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
لغاية رأفته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اى ولهذه الامور شرع ما مر من امر الشاهد بصوم الشهر والامر
للمرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه زمن الترخيص فى اباحة الفطر فقوله تعالى لتكملوا علة الامر
بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية
فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة
على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اى يريد بكم
لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه
وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية والموصولية اى على هدايته
اياكم او على الذى هداكم اليه وقرى ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادى عنى فى تلوين
الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فانى قريب اى
فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب
مكانه روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعى بالاجابة

فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما
هم عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تعالى
بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على
انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع
في بيان احكام الصيام فقال أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا
امسوا حل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر
بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء
فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره ههنا لاستقباح
ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القايم مقام الفاعل للاهتمام مرارا من
التشويق فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل
تمكن هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف يبين سبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة
المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمراة لباس الاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما
على الاخر بالليل قال. اذا ما الضجيع ثنى عطفها. تثنت وكانت عليه لباسا. او لان كلا منهما
يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استيناف اخر مبين
لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها
للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه
وعفا عنكم اي محا اثره عنكم فالان لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها
عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب السنة وابتغوا ما كتب الله لكم اي
واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد وفيه ان المباشرة ينبغي ان يكون غرضها الولد فانه
الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير الماتي والتقدير
وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود
واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا
عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي من انها نزلت
ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون حتى تبينا لهم فلعل
ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في
ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تاخير الغسل
اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقته ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف
فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد
غير مختص ببعض دون بعض وان الوطي فيه حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد
تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده فلا تقربوها نهيا
عن تجاوزها نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال عليه السلام
ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله
تعالى محارمه ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين يبين الله آياته الدالة على الاحكام التي شرعها
للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي عن اكل بعضهم
لاموال بعض على خلاف حكم الله تعالى بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي لا يأكل بعضكم
مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف او الحال من اموالكم وتدلوا

بها الى الحكام عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام
لتاكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او
ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي
ادعى على امرء القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرء
القيس فهم به فقرأ عليه عم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فارتدع عن اليمين
وسلم الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عم انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون
الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من حق اخيه فانما اقطع
له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل
واحد منكما صاحبه يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو
دقيقا ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدى قل هي مواقيت للناس والحج كانوا
سالوه عم عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة
في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لاسيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا في معاملتهم
على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة
امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت
الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا
ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه
ليس ببر فقال ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن
الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم لما سالوا عما لا
يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرايع لا لبيان حقايق الاشيا وتركوا السوال عما
يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سالوا عنه تنبيها على ان اللايق بهم ان يسالوا عن امثال
ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على تعكيسهم في السوال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى
وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجتري على مثله واتوا البيوت من ابوابها
اذ ليس في العدول بر او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه وفي جميع اموركم
مرتبا عليه بيان ان البر من اتقى اظهارا لزيادة الاعتناء بشأن التقوى وتنبيها على انه ملاك الامر لعلكم
تفلحون لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته
تقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشأن المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما
امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع
منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء والكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال
المسلمين ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه
على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لا
يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ويعضده ايراده في اثناء بيان احكام
الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير دعوة او المثلة وقتل من نهيتم
عنه من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي
واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشي علما
او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال. فاما تثقفوني فاقتلوني. فمن اثقف فليس الى خلود
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم منهم والفتنة
اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها
وتالم النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند
المسجد الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان

قاتلوكم ثمة فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفي
العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورود النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى
يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين
يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما رأوا قتالكم فان الله غفور رحيم
يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان
فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا عليهم
اذ لا يحسن الظلم الا لمن ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية
للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
في ذي القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذلك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به
والحرمات قصاص اي كل حرمة وهي ما يجب المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم
بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله في شان الانتصار
واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم بالنصر والتمكين
وانفقوا في سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اي لا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو
ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام
وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك
المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وتعديته
بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي
والهلك والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم
انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين
او يريد بهم الخير واتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه
من غير تعرض لحالهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان
لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الآية كما ان
وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله
ولا مستلزما له اصلا اذ ليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين
كاملين حسبما تقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له
ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا
محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما
وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منها هذا وقد قيل اتمامهما
ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان
تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا
وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في الآية
الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه
هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية فاهللت
بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال يا رسول الله
العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله عم الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر
فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه مثل صده

واصده والمراد منع العدو وعند مالك والشافعي لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول
ابن عباس لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عن النبي صلى الله
من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر
والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر
عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي
يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما ومرجعهم
في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره طرف
الحديبية الذي الى اسفل مكة وهي من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في
الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان
والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا
مرضا محوجا الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام
او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عم قال لكعب بن عجرة لعلك
اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك
شاة والفرق ثلاثة اصوع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج
اي فمن استمتع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل
من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسره بسبب
التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية فمن لم
يجد الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال
باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر
وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم
وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان
الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب
لا تعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا كاملة
صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة لكمال العشرة فانها اول عدد كامل
اذ به ينتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى ان التمتع عندنا
والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم
على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة
عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وادخال
الروعة الحج اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي
الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومبنى الخلاف ان المراد بوقته وقت
احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية
ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا
اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء تجيء
بالالف والتاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي
فلا رفث ولا فسوق اي لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات
وقيل بالسباب والتنابز بالالقاب ولا جدال اي لا مراء مع الخدم والرفقة في الحج اي في ايامه
والاظهار في مقام الاضمار لكمال الاعتناء بشأنه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم

قال في القاموس فذلك حسابه انهاه وفرغ منه مخترعة من قوله اذا اجمل حسابه فذلك كذا وكذا ١٢ ع

والتقرب بها الى الله تعالى من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على
ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي اشهر الحج افحش كلبس الحرير في
الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان
بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج و
ذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا
بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله يجزي به خير جزاء وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر وتزودوا فان
خير الزاد التقوى اى تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا
يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في
السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله تعالى وتقواه
حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرؤا من كل شي سواه وهو مقتضى
العقل المعرى من شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا
اى في ان تبتغوا اى تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اى الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ
ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء
الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اى دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته
بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمى به كاذرعات
وانما نون وكسر وفيه علمية وتأنيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع
مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان
التانيث اما بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث
او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تأبى تقديرها لانها كالبدل منها لاختصاصها
بالمؤنث كتاء بنت وانما سمى الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عم فلما ابصره عرفه اولان جبريل عم كان
يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت اولان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا اولان الناس يتعارفون
فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان
الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها لقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل الامر
به مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلوة العشائين عند المشعر الحرام هو جبل يقف
عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه صلى الله عليه وسلم
لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى
اسفر وانما سمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه
فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هديكم اى كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا
كما هديكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم
لمن الضالين اى الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى الا كما في
قوله عز وجل وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب
لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما
بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة
اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين اى الناسي يعني ادم عم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من
عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب
المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم اباءكم اى فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر ابائكم ومفاخرهم وايامهم و
كانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا

ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر
اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل
المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من اباءكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم
لاباءكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد
به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الاخرين من يقول اى في ذكره ربنا اتنا في الدنيا اى اجعل ايتاءنا ومنحتنا
في الدنيا خاصة وما له في الاخرة من خلاق اى من حظ ونصيب لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الاخرة
او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا
اتنا في الدنيا حسنة هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الاخرة حسنة هي الثواب والرحمة وقنا عذاب
النار بالعفو والمغفرة وروى عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء
وعذاب النار المراة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار
معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما
ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل
وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتعظيم وعلى الثاني للتنويع اى لكل
منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما
قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لما انه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار
لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شأن قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب الناس فبادروا الى
الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله اى كبروه في اعقاب الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها
في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن تعجل اى استعجل في النفر او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان
لازمين ومتعدين يقال تعجل في الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتأخر كما في قوله
● قد يدرك المتاني بعض حاجته ● وقد يكون من المستعجل الزلل ●
في يومين اى في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار
فلا اثم عليه بتعجله ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال او قبله وعند الشافعي بعده
فقط فلا اثم عليه بما صنع من التأخر والمراد التخيير بين التعجل والتأخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما
ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين فيه فمنهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر لمن اتقى
خبر لمبتدأ محذوف اى الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتأخر او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على
الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم بفعل الواجبات
وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنتظموا في سلك المنتفعين بالاحكام المذكورة او الرخص واحذروا الاخلال بما
ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله تعالى واعلموا انكم اليه تحشرون اى للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث
واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فانه مع علم بالحشر والمحاسبة
والجزاء كان ذلك من اقوى الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله بتجريد الخطاب وتوجيهه
لما انه عام وهو كلام مبتدأ سيق لبيان تحزب الناس في شأن التقوى الى حزبين وتعيين مآل كل منهما
ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر
اى ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ملائمة المحوى ولطف الاداء والتعجب
حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اى ما يقوله في حق
الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى انه
له قول اخر ليس بهذه الصفة او يعجبك اى يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة لا في الاخرة لما انه
يظهر هنالك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا يساعده سوق حاله فان ماله
بيان حسن كلامه في الدنيا وقبحه في الاخرة وقيل معنى في الحيوة الدنيا مدة الحيوة اى لا يصدر منه فيها الا القول
الحسن ويشهد الله على ما في قلبه اى بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما في قلبي موافق لما في لساني

وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس والله يشهد على ما
في قلبه على ان كلمة على لكون المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام اي
شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعنى في كقولهم ثبت الغدر او اشد
الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر
حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في المنافقين والجملة حال من الضمير
المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولى اي عن مجلسك
وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق
زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر
فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد الاهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح
اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على
من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة اتق الله واترك ما تباشره من
الفساد والنفاق واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذي
نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدأ وخبر
اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوي لاعتماده
على الفاء الرابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم
مقدر والمخصوص بالذم محذوف للظهور والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب والجملة اعتراض
ومن الناس من يشري نفسه مبتدأ وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في الجهاد ومشاق الطاعات وتعريضها للهلاك
في الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب عليه القتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضاه وهذا
كمال التقوى وايراده عقيب الاول من حيث ان ذلك يانف من الامر بالتقوى وهذا يامر بذلك وان ادى الى
الهلاك وقيل نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت
معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله فاتى المدينة
فشرى ويشترى بمعنى يشري يجريان الحال على صورة الشراء والله رءوف بالعباد ولذلك يكلفهم التقوى وعرضهم
للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام
وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم
او منهما معا كما في قوله ٭ خرجت بها نمشي تجر وراءنا ٭ على اثرينا ذيل مرط مرحل ٭ وهي في الاصل
اسم للجماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتانيث حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا
مثل الحرب كما في قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله ٭ السلم تاخذ منها ما رضيت به ٭
والحرب يكفيك من انفاسها جرع ٭ وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا لله
واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب
لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها
بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما
بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا يخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما
خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الايمان الا بما كلفوه الآن ايذانا بان ما يدعونه لا يتم
بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي والانتهاء فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي
لغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات الآيات والحجج القاطعة الدالة على حقيقته الموجبة للدخول
فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مواخذة
المجرمين المتعصبين على اوامره هل ينظرون استفهام انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من
الفساد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان ياتيهم الله اي امره وباسه او ياتيهم

الله بامره وباسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب
للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار
بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها ترتقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة
كقلل في جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي السحاب الابيض
وانما ياتيهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر
من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي وياتيهم
الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان ن
بان الآتي اول من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما
ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي اتم امر
اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ياتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على
الحقيقة تحقق كان او جملة مستانفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على
الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل
بالتانيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال ل
تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عم
وآية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية
او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي آياته الباهرة فانها
سبب للهدى الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتاويلها
الزائغ من بعد ما جاءته وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء
للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله تعالى ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم
يعلمون وقيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان
الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فان الله شديد العقاب
واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين كفروا الحياة الدنيا اي حسنت في اعينهم
واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق
والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل وما من شيء الا وهو خالقه
وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض
ويسخرون من الذين آمنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم
وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب رضي الله عنهم كانوا يسترذلونهم ويستهزئون بهم على
رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدأة منهم والذين اتقوا هم
الذين آمنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة
بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيامة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين
او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم في الآخرة فيسخرون منهم
كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله
يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى
كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس ونوح
عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء عم مائة
واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان
الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم
والاول هو الانسب للنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابا خاصا به

لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا
ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله
تعالى وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله تعالى او كل واحد من النبيين بين الناس اي
المذكورين والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه
او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين
اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول
الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا
الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي
رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا وما اختلف فيه الخ وقيل بالملفوظ بناء
على عدم منع الا عنه كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به من اي اختلفوا بغيا
وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه من
اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم
خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل
المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عم وقد بين فيه مآل اختلافهم وما لقي الانبياء ومن معهم من
قبلهم من مكابدة الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيه للانكار
والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن
معهم من المؤمنين اي والحال انه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في
الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان
مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء اي الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا
شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى
حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون
بآثاره المستضيئون بانواره متى نصر الله اي متى يأتي نصر الله طلبا وتمنيا له واستبطاء لتمادي الشدة والعناد
وقرئ حتى يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية كيف لا والرسل مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر و
الضيق علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ
ذلك اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وايثار الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها
بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انه
في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان
بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض
لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى جناب القدس لا يتسنى الا برفض اللذات ومكابدة
المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون
اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العائد اليها اي ما انفقتموه من
اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما في السؤال الا انه جعل من جملة ما في حيز
الشرط او الصلة وابرز في معرض بيان المصرف حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان
المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان عمرو
بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى
اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين وفي الرقاب اما اكتفاء بما ذكر في المواقع
الأخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف

مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كما نقل عن السدي كتب
عليكم القتال ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله تعالى ونصب
القتال وقرئ كتب عليكم القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه
لكم طبعا على ان الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على
انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته
عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس
تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع
ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لهما من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم
فلذلك يأمركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما
فلا تتبعوا في ذلك رأيكم وامتثلوا بامره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روي ان رسول الله صلى الله عليه
بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو
بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان
ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه
الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس لما
نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان
قوله تعالى قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في الشهر الحرام
لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى
للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب
بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة
له اي قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد
مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان روي عن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان
يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ تخصص بالعمل فيما بعده اي ومنع عن الاسلام الموصل
العبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما بعده مثله اي وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن
سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام
على سبيل الله لانه ليس باجنبي محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام
واخراج اهله وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اي من المسجد الحرام وهو عطف على كفر به اكبر عند الله
خبر للاشياء المعدودة اي كبائر الكبائر اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء
على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك
وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل اي افظع من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم
بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الى دينهم الباطل
واضافة الدين اليهم لتذكير ما بينهما من المباينة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا استبعاد
لاستطاعتهم وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه
الى دينهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب في
الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد
والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع بالنظر الى المعنى اي
اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا
لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة حيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون

بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح أصحاب النار اي ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة
إن الذين آمنوا نزلت في أصحاب السرية لما ظن بهم أنهم إن سلموا من الإثم فلا أجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله كرر الموصول مع أن المراد بهما واحد لتفخيم شأن الهجرة والجهاد فكأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء
أولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمت الله اي ثوابه أثبت لهم
الرجاء دون الفوز بالمرجو للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر وإنما هو على طريق التفضل منه
سبحانه لا لأن في فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ رحيم يجزل لهم
الأجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسئلونك عن الخمر والميسر نزلت في شأن
الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون
يشربونها ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها
مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا
فسكروا فأمّ أحدهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى
الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا
حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه شجة موضحة فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه
انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في
بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو أدخلت أصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الإيمان
والتقى حقا رضوان الله عليهم أجمعين والخمر مصدر خمره أي ستره سمي به من عصير العنب ما غلا واشتد وقذف
بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كأنها نفس الستر كما سميت سكرا لأنها تسكرهما أي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر
كالموعد والمرجع يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه إما من اليسر لأنه أخذ المال بيسر من غير كد وتعب وإما من اليسار
لأنه سلب له وصفته أنه كانت لهم عشرة أقداح هي الأزلام والأقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس و
النافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء
وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس
أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم
يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب المعين
لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء
ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع أنواع القمار
من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم إياكم وهاتين الكعبتين المشؤومتين فإنهما ميسر
العجم وعن علي كرم الله وجهه أن النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر
والمعنى يسئلونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما إثم كبير أي في تعاطيهما ذلك لما أن الأول مسلبة للعقول
التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للأموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة
الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ إثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان إثمهما ووصفه بالكبر وتأخير
ذكر منافعهما مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الأول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى وإثمهما
أكبر من نفعهما أي المفاسد المترتبة على تعاطيهما أعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ أقرب من نفعهما
ويسئلونك ماذا ينفقون عطف على يسئلونك عن الخمر الخ عطف القصة على القصة أي أي شيء ينفقون
قيل هو عمرو بن الجموح أيضا سأل أولا عن جنس ما ينفق من أجناس الأموال فلما بين جواز الإنفاق من جميع
الأجناس سأل ثانيا عن أي أصنافها ينفق أمن خيارها أم من غيرها أو سأل عن مقدار ما ينفقه منها قل
العفو بالنصب أي ينفقون العفو أو أنفقوا العفو وقرئ بالرفع على أن ما استفهامية مبتدأ وذا موصولة صلتها
ينفقون أي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي أصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل
وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطاء والسدي وكانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يكسبون

المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب
أصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا
هاتها فأخذها فحذفها حذفا لو أصابته لشجته ثم قال يأتي أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف
الناس إنما الصدقة عن ظهر غنى كذلك إشارة إلى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو
درجة المشار إليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما
أفاده اسم الإشارة من الفخامة وإفراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل أو الفريق أو لعدم
القصد إلى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي مثل ذلك البيان الواضح
الذي هو عبارة عما مضى في أجوبة الأسئلة المارة يبين الله لكم الآيات الدالة على الأحكام الشرعية المذكورة
لا بيانا أدنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا وتبيين الآيات تنزيلها
مبينة المحوى واضحة المدلول لا أنه تعالى يبينها بعد أن كانت مشتبهة وملتبسة وصيغة الاستقبال لا
ستحضار الصورة لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها
وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق إما بيبين أي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والآخرة الآيات وإما
بمحذوف وقع حالا من الآيات أي يبينها لكم كائنة فيهما أي مبينة لأحوالكم المتعلقة بهما وإنما قدم عليه
التعليل لمزيد الاعتناء بشأن التفكر وإما بقوله تعالى تتفكرون في الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة في
الأحكام الواردة في أجوبة الأسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا
التخصيص هو المناسب للمقام تعدد الأحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الأمور المتعلقة بالدنيا والآخرة
فذلك ح إشارة إلى ما مر من التبيينات كلا أو بعضا لا إلى مصدر ما بعده فإنه ح فعل مستقل ليس عبارة
عن تلك البيانات والمراد بالآيات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الأجوبة المذكورة
يبين الله لكم الآيات والدلائل لعلكم تتفكرون في أموركم المتعلقة بالدنيا والآخرة وتأخذون بما
يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الآيات المبينة ويسئلونك عن اليتامى
عطف على ما قبله من نظيره روي أنه لما نزلت إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما الآية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى
وتعهد أموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل إصلاح لهم خير أي التعرض لأحوالهم
وأموالهم على طريق الإصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وإن تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فإخوانكم
أي فهم إخوانكم أي في الدين الذي هو أقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الأخوة ومواجبها المخالطة
بالإصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدي
إلى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز أي يعلم من يفسد في أمورهم عند المخالطة أو من يقصد بمخالطتهم الخيانة
والإفساد مميزا له ممن يصلح فيها أو يقصد الإصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا أن في
تقديم المفسد مزيد تهديد وتأكيد للوعيد ولو شاء الله لأعنتكم أي لو شاء أن يعنتكم أي يكلفكم
ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم إن الله عزيز غالب على أمره لا يعز
عليه أمر من الأمور التي من جملتها إعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله تعالى حكيم أي فاعل
لأفعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية إلى بناء التكليف على أساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة
لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات أي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الإنكاح أي لا تزوجوهن
من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن إما ما يعم الكتابيات أيضا حسبما تقتضيه عموم التعليل الآتي
لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله إلى قوله سبحانه عما يشركون
فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإما غير الكتابيات فهي ثابتة روي
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن أبي مرثد الغنوي إلى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى
امرأة في الجاهلية اسمها عناق فأتته فقالت ألا تخلو فقال ويحك إن الإسلام حال بيننا فقالت هل
لك أن تتزوج بي قال نعم ولكن أرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأستأمره فنزلت ولأمة مؤمنة تعليل للنهي عن
مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدرت بلام الابتداء المشبهة بلام القسم في إفادة التأكيد مبالغة في

بالحمل على الانزجار واصل امة اموة حذف لامها على غير قياس وعوض عنه تاء التأنيث ودليل كون لامها
واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي ۞ اما الاماء فلا يدعونني ولدا ۞ اذا تداعى بنو الاموان بالعار
وظهورها في المصدر يقال هي امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدأ لما فيه من لام الابتداء
والوصف اى ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والدنيا من
مشركة اى امرأة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم [illegible]
هذه المواقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ له جواب قد حذف لدلالة
ما قبلها عليه مع انصباب المعنى على تقديره بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل
حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له
ليظهر بثبوته معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي
فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة
على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على
وجه الاجمال كما تقول لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على الحالية من مشركة اذ المآل ولامة
مؤمنة خير من امرأة مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها اياكم بجمالها ومالها وسائر مباديء
الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اى على كل حال وقد اقتصر عليها هو اشد منافاة تنبيها على انها
حيث تحققت معه فلان تحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل عاطفة على مقدر
اى لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم وهو عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطفت
عليه استئنافية مقررة لمضمون ما قبلها ثبتدا ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد به
النهي عن انكاح الكفار المؤمنات سواء كن حرائر او اماء حتى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر ولعبد مؤمن مع
ما به ذل المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة
الى ذاته وصفاته اولئك استيناف مقرر لمضمون التعليل لما ذكر من النهي اى اولئك المذكورون من
المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم ويعاشرهم الى النار اى الى ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا
بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعو بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة
اى الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان
تتقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء باذنه متعلق بيدعو اى يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي
من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء بالمواصلة ويبين آياته المشتملة
على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اى لكي يتذكروا ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا
اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعو واولياء الله يدعون على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في قوله
وتبيين الله ثم يستلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة والمغفرة فانه تعالى
لما بين احكامها وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضميرين الكائنين في الجملتين المتعاطفتين لاقتضائه
خبر ان المبتدأ لكن يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النار ولعل الطريق الاول
معناه اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا يحتاج الى التفكر في الاحكام السابقة
ويسئلونك عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع
الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض
مصدر من حاضت المرأة كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنون الحيض ولا يواكلوهن
كدأب اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سأل عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة
رضوان الله عليهم فنزلت قل هو اذى اى شيء يستقذر ويؤذي من يقربه فاعتزلوا
النساء في المحيض اى فاجتنبوا مجامعتهن في حالة الحيض وقيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من
بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلكت سائر اهل البيت

البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من
البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال
فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين ولا تقربوهن حتى يطهرن تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به
عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة فان ذلك في اكثر المدة على
القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلوة وعند الشافعي ان يغتسلن بعد الانقطاع
كما يفصح عنه القراءة بالتشديد ويبنى عنه قوله تعالى فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فأتوهن
من حيث امركم الله من المأتى الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى يبدر منهم من ارتكاب
بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين من الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة
اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم حرث
لكم اى مواضع حرث لكم شبههن بها لما بين ما يلقى في ارحامهن وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما
مادة لما يحصل منه فأتوا حرثكم لما عبر عنهن بالحرث عبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فأتوهن
من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته في قبلها من دبرها
يأتي ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اى ما يدخر لكم الثواب وقيل
هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها ما عد من الامور
واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لتحصيل ما تنتفعون به واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به وبشر المؤمنين الذين
تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل
ما يبشر به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة
حين حلف ان لا يكلم ختنه بشر بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان
لا ينفق على مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض
دون الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله ۞ فلا تجعلوني عرضة للعوائم ۞
فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها
بها كما في قوله عليه السلام لعبد الله بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك
وقوله تعالى ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها عبارة عن
الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل وبعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اى لا تجعلوا الله لبركم
وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اى برزخا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة
اى شيئا يعترض في الامور المذكورة ويحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد يجوز ان تكون اللام للتعليل
ويتعلق ان تبروا الخ بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يؤدي الى الفصل بين العامل
ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من
نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا الخ علة للنهي اى ارادة ان تبروا
وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون
بمعزل من التوسط في اصلاح ذات البين والله سميع بايمانكم عليم بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا
عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله تعالى ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه
لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي رحمه الله هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من
غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه
صادق ولكن يعاقبكم بما اقترفت قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى الثاني
لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب

اللسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل
بالمؤاخذة والجملة اعتراض ومقرر لمضمون قوله تعالى لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاتبة
لا ايجاب الكفارة اذ هي التي تتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان
يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمنه معنى البعد اي للذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم
تربص اربعة اشهر كقولك لي منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول
والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك عند
ابي حنيفة فان فاء اليها في المدة بالوطي ان امكن وبالقول ان عجز عنه صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين
ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا
اي لهم ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاؤا اي رجعوا من اليمين بالحنث والفاء
للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الخ والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله
غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبته اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة
وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة
التي لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات
اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة من لا تحيض لصغر
او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرءان او شهران يتربصن خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار
بان المامور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكانهن امتثلن الامر بالتربص فيخبر به موجودا محققا
وبناؤه على المبتدأ مفيد لزيادة تاكيد بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل
يشق عليها من التربص وفيه مزيد بعث لهن على ذلك لما فيه من الاباء عن الاتصاف بما يستنكفن منه من كون
نفوسهن طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلاثة قروء نصب على الظرفية او المفعول به
بتقدير مضاف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء او يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض لقوله
دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تعالى واللائي يئسن من
المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض
دون الطهر ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض
الثلاث ولم يرد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ارادة كل من الجمعين مكان الاخر شائع ذائع ولعل
ثلاثة قروء بغيرهن ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة
وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر
جواب الشرط محذوف عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله تعالى واليوم
الاخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك
والتاء لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن
رجعيا كما ينبئ عنه التعبير بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى نكاحهم بالرجعة اليهن في
ذلك اي في زمان التربص وصيغة التفضيل للافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمرأة تاباها وجب ايثار قوله
على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اي الازواج بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا
اليهن ولم يريدوا اضرارهن وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح لصحة الرجعة بل هو الحث عليه والزجر عن قصد
الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة
عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار
ونحوها او مزية في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن في ايديهم يشاركونهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون
بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم ينطوي شرائعه على
الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه
ولما روي انه عليه السلام سئل عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده اي عدد

الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفا مرتان اي اثنان وايثار ما ورد به النظم
الكريم عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فامساك
اي فالحكم بعدهما امساكهن بالرجعة بمعروف اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة
كما روي عنه عم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الرجعي وبالمرتين مطلق التكرير
لا التثنية بعينها كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الرجعي تطليقة بعد
تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلاث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الخ حكم
مبتدأ او تخيير مستأنف والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامركم احد الامرين ولا
يحل لكم ان تأخذوا منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اي من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في
الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما آتوهن بمقابلة البضع عند
خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن
الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون
بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما لا يساعده النظم الكريم على القراءة المشهورة
الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب
احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما
بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما اي الزوجان حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل
فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه
روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام
ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم
وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها
بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اي
لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية
المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة في التهديد فان طلقها اي بعد الطلقتين السا
بقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان
النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي
ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن تزوجني
وانما معه مثل هدبة الثوب فقال عم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عم لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق من عسيلتك ومثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد
من لفظ الزوج والحكمة من هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة
فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا وروي عدم الكراهية فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد
عند الاكثرين لقوله عليه السلام لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اي الزوج الثاني فلا جناح عليهما
اي على الزوج الاول والمرأة ان يتراجعا ان يرجع كل منهما الى الاخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله
التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان
ان الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام
المذكورة الى هنا حدود الله اي احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا
البيان اللائق او سيبينها فيما سياتي بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنة والجملة
خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل معنى
الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون
بالبيان او لان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف عليها الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء

فبلغن أجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد
يقال للدنو منه اتساعاً وهو المراد ههنا ليصح ان يرتب عليه قوله تعالى فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد
تحقق بلوغ الاجل اي فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كالتكرير اعادة
للحكم في بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضراراً تاكيد للامر بالامساك بمعروف
وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا
شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهي عنه بعد امر بضده لما ذكر وضراراً نصب على
العلة او الحال بمعنى لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله تعالى لتعتدوا متعلقة بضراراً اي لتظلموهن
بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اي ما ذكر من الامساك المودي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على
بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على
الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولاً اولياً هزواً اي مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في
المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن يجد في الامر انت هازئ كانه نهي عن الهزء
بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد
اخذتموها هزواً ولعباً ويجوز ان يراد به النهي عن الامساك ضراراً فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب
آيات الله تعالى بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزؤ وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما
كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق
واذكروا نعمت الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها
والظرف متعلق بمحذوف وقع حالاً من نعمت الله اي كائنة عليكم او صفة لها على راي من يجوز حذف الموصول
مع بعض صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت
ولا يقدح في عمله تاء التانيث لانه مبني عليها كما في قوله · فلولا رجاء النصر منك ورهبة · عقابك قد كانوا لنا كالموارد
وما انزل عليكم عطف على نعمت الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله تعالى من الكتاب والحكمة
بيانية اي من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين بناء على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله ·
الى الملك القرم وابن الهمام · وفي ابهامه اولاً ثم في بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر مع كونه
اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في البعث على مراعاة ما ذكر في تضاعيفه من الاحكام
يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معاً واتقوا الله في شان المحافظة عليه
والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين
العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان
حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها
ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة
ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت في جابر بن عبد الله رضي الله عنه حين عضل ابنة عم له
واسناد التطليق اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج
بالزوج الاول قبله ايضاً لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لما
احتيج الى نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي لرفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن
يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن
يتزوجن ظلماً وقسراً لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع
مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج
او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه
بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن اي من ان ينكحن فمحله النصب عند
سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن
وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان

كان واما باعتبار ما يكون والاول اوفق لاعتبار الاخر اذا تراضوا ظرف لا تعضلوا وصيغة التذكير بتغليب
الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله
تعالى بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف الجميل عند الشرع المستحسن عند الناس
والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالاً من فاعل تراضوا او نعتاً لمصدر محذوف اي تراضياً كائناً
بالمعروف واما بتراضوا اي تراضوا بما يحسن في الدين والمروة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو او
دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم
المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما في ما بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتاويل القبيل او الفريق
واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم
كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من
كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فانه المسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالاً لله وخوفاً من عقابه وقوله تعالى
منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها في الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالاً من فاعل يؤمن اي كائناً منكم
ذلكم اي الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اي انمى وانفع واطهر من دنس الآثام واوضار الذنوب
والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرائع
التي من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها فدعوا رايكم وامتثلوا بامره تعالى ونهيه في كل ما تاتون وما تذرون
والوالدات يرضعن اولادهن شروع في بيان الاحكام المتعلقة باولادهن خصوصاً واشتراكاً وهو امر اخرج
مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه الندب او الوجوب ان خص بما اذا عدم قبول الصبي ثدي الغير
او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم
عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التاكيد بصيغة الكمال لبيان ان التقدير
تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لما يتوجه اليه الحكم اي ذلك
لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع
كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اي الوالد فان الولد يولد له
وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن
اجرتهن واختلف في استيجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت في النكاح او العدة وجائز عند الشافعي رحمه الله
بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او
تفسير للمعروف وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا يضاره
بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلاً من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء للفاعل
وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد
فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف
على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان
يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان يضرا به او يتضررا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله
تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل وتفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم
محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي هو وارث الاب وهو الصبي اي مؤن المرضعة من ماله عند موت
الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي مال وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله
الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اي الوالدان فصالاً
اي فطاماً عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف
ينساق اليه الذهن اي صادراً عن تراض منهما اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر
بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور في شان الولد وتفحص عن احواله واجماع
منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهو استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما

للتفطيم فلا جناح عليهما في ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رايهما واجتهادهما على ان اصلاح الولد في
الفطام وقلما يتفقان على الخطا وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الآبا
لهزهم الى الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع
لاولادكم فحذف حرف الجر ايضا كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في الاسترضاع
وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ما اردتم
ايتاءه كما في قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما
اوتيتم اي من جهة الله تعالى كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه مزيد بعث لهم الى التسليم
بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس
التسليم شرطا للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا
يدا بيد كان ذلك ادخل في استصلاح شؤون الاطفال واتقوا الله في شان مراعات الاحكام المذكورة واعلموا
ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة بتوديه من الوعيد
والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم اي يقبض ارواحهم بالموت فان
التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته منه اي اخذته وقبضته والخطاب للكافة بطريق
التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العائد الى المبتدا في الخبر اي
يتربصن بعدهم كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح اليا اي يستوفون آجالهم
وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير في مثله
اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة
في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى تتحرك لاربعة فاعتبر اقصى
الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية
والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله تعالى واولات الاحمال خص
الحامل منه وعن علي وابن عباس رض انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم ايها الائمة والحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب
وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع
فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما امرتم به ولا جناح
عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ابهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول
السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشي
بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النسا الخطبة بالكسر
كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هي ماخوذة من الخطب اي
الشان الذي له خطر لما انها شان من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين
جانب الرجل وجانب المراة والمراد بالنسا المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة او صالحة
او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا
يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تعريضا ولا تصريحا علم الله انكم
ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن
لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا
بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لما ان مسببه الذي هو الوطء مما يسر به وايثاره على
اسم الاسباب لما انه لا يقع ذلك الا بالسر وربما يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح
بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما
يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مفرغ مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما
الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول

معروف او لا تواعدوهن بشيء من الاشيا الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثنا منقطع من سرا وهو ضعيف
لادائه الى جعل التعريض موعدا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم الامر اذا قصده قصدا جازما
وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي
عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي لا تعزموا عزم عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة
المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموه ولا تلزموها ولا تقدموا عليها
فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها
العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتدا او اقلاعا عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور
لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة فلا تستبدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من
العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا
تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم
يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ
تماسوهن بضم التا في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل
ابو البقا انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تاتني
ان تحسن الي اكرمك اي ان تاتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى اوجه من الاول
لان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة او
الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى
ان التطليق ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الحال
مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن عند الفرض مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى
مفعول والتا لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان تكون مصدرا صيغة واعرابا
والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال تسمية المهر فان
عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية
تمام المسمى وفي صورة عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن
منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة
جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر
قدره اي ما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار المتعة
بالنظر الى حال المطلق يسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على الموسع منكم الخ او على جعل
الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان
فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اي تمتيعا بالمعروف اي بالوجه
الذي يستحسنه الشريعة والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين
يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة
ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة اي وان طلقتموهن
قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق اي عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان
يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبني للفاعل او للمفعول وان لم يقارن حالة
التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنتها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونها
مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح
في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا النصف وان ضم ولعل تاخير حكم التسمية
مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امراة من بني حنيفة وكانت
مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عم [illegible] ان لا شي لها
متعها بقلنسوتك الا ان يعفون استثنا مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال من الاحوال

عفوهن فانه يسقط ذلك بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار
والتحقيق فان الواو في الاولى ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك
لم يؤثر فيه ان ها هنا وتاثر فيما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة
النكاح اي يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كملا على ما هو المعتاد تكرما
فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على
حال عدمه فمرجع الاستثناء الى معنى الزيادة في المستثنى منه كما انه في الصورة الاولى الى منع النقصان
فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه ح لا يكون لهن القدر المذكور
بل ينتفي ذلك او ينحط او في حال عفو الزوج فانه ح يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول
واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتصور الوجوب
عليه هذا عندنا وفي القول القديم عند الشافعي رحمه الله ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة نكاح الصغيرة
وهو ظاهر المأخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى لخ فان اسقاط حق الصغيرة ليس في
شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امراة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال
انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر
الواو والخطاب في الفعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم
من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه
صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان
بانها حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما ينطق عنه
الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الآخذ بعضها
بحجزة بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان
بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملائكة الليل والنهار
ح وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل هي صلوة الصبح لانها بين صلاتي
الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة
من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاتي الليل والنهار ووتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي صلوة العشاء
لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم انه عم يقرا والصلوة الوسطى وصلوة
العصر فتكون ح احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوات الوسطى
وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اي في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت
هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به
القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو وغيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم
الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد بدل ايضا وقرئ فرجلا او راجلا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا راجلين
او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي رح اداءها على المتابع
ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلاة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم اركانها
كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم اي كتعليمه اياكم ما لم تكونوا
تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها
بذلك العنوان لتذكير النعمة واشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرائع والاحكام
التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المفيدة لمشكوكية
وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في
جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبنيين على تنزيل مقام وقوع المامور به فيهما منزلة مقام وقوع الامر

الامر بلا مسند عنه لاجراء مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف
الاعتبار ما هذا عود الى الاوصاف والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام
المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية اليه وذلك وصية لازواجهم
اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيده قراءة من قرا كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع
على تقدير مضاف في المبتدا او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم وصية لازواجهم او والذين يتوفون […]
هل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية متاعا الى الحول
منصوب بيوصون ان اضمر والا فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما
في قولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل
الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة متاخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع
او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي رحمه الله هي باقية فان خرجن عن منزل الازواج اختيارا
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك
الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج
والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها
والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم راعى في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا
بهن او لا متاع اي ما يطلق عليه المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري
للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن […] بالمعروف
شرعا وعادة حقا على المتقين […] كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم آياته
الدالة على احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن
سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع […]
او للعليمين […] لكل احد ممن له حظ من الخطاب […]
يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويتعجب بها وان لم يكن ممن رآهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى
مجرى المثل في مقام التعجب لما انه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره
وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة
في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها
بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى
الم ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة آلاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون الفا والجملة حال
من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع
فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز سلطانه
وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه
واصابعه تعجبا مما راى من امرهم فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد
ففروا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا اما عبارة
عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب وقت وادناه
واسرع زمان واوحاه بامر آمر مطاع لمامور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة
على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال لما انه عبارة عن الاماتة
وفيه تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه الفرار
فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم

ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والا
ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرون فضله كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار ووضع
الناس فى مقام الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا فى سبيل الله عطف على مقدر ينبئ عنه ما قبله كانه قيل فاشكروا
فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا فى سبيل الله لما علمتم ان الفرار لا ينجى من الحمام وان المقدر لا مرد له فان
كان قد حان الاجل فموت فى سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة
السابقين والمتخلفين عليم بما يضمرونه فى انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا
المخالفة والمساهلة من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة
له او بدل منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد ههنا اما الجهاد الذى
هو عبارة عن بذل النفس والمال فى سبيل الله عز وجل ابتغاء مرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما
اوليا قرضا حسنا اى اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على
جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه فى معنى أيقرض الله احد وقرئ بالرفع اى فيضاعف اجره وجزاءه جعل ذلك مضاعفة
له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المغالبة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع
وبالنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه حال من الضمير المنصوب او مفعول ثان بتضمين المضاعفة معنى التصيير او
مصدر مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة
والله يقبض ويبسط اى يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض فى الذكر للايماء
الى انه يعقبه فى الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما
قدمتم من الاعمال خيرا وشرا ألم تر تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله فى التعجيب مع ان له
مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال الى الملأ من بنى اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم
للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤن العيون مهابة والمجالس بهاء ولانهم مليون
بما يبتغى منهم ومن تبعيضية وما فى قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملأ
اى كائنين من بعض بنى اسرائيل من بعد وفاة موسى عم ولا ضير فى اتحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى
اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اى الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين قالوا لنبى لهم هو يوشع بن نون
ابن افرائيم ابن يوسف عم وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوى بن يعقوب عم وقيل شمويل
بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هرون عم قال مجاهد شمويل بن هلقايا
ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اى انهض للقتال معنا اميرا نصدر فى تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ
يقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اى ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف مبنى على السؤال وقرئ يقاتل
بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر والوصف لملكا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه
الذهن كانه قيل فماذا قال لهم النبى عم حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اى هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان
المتوقع كائن وانما لم يذكر فى معرض الشرط ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعث لكم ملكا الخ مع انه اظهر
تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة فى بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند فرضية
القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان ارادها ذكر وهو ربما يوهم
ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهى ضعيفة قالوا استئناف
كما سبق وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله اى اى سبب لنا فى ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا
اى والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان والاغتراب عن
الاهل والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم
وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين
وظهروا على بنى اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسا

فتسلطوا عليهم بالجزية واخذ التوراة منهم فلما كتب عليهم القتال بعد سؤال النبى عم ذلك وبعث الملك
تولوا اى اعرضوا وتخلفوا لكن لا فى ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجىء تفصيله وانما
ذكر ههنا مآل امرهم اجمالا لاظهار ما بين قولهم وفعلهم من التنافى والتباين الا قليلا منهم وهم الذين
اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين
وعيد لهم على ظلمهم بالتولى عن القتال وترك الجهاد وتنافى اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلى
وقال لهم نبيهم شروع فى تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية اية
الى مصير حالهم اى قال لهم بعدما اوحى اليه ما اوحى ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبرى
كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وملكا حال منه روى انه عم لما دعا ربه ان يجعل لهم
ملكا اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا استئناف كما مر انى يكون له الملك
علينا اى من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية
والثانية عاطفة جامعة للجملتين فى الحكم اى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو
احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت مخصوصة بسبط
معين من اسباط بنى اسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب عليه السلام وسبط المملكة سبط يهودا ومنه
داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا
وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه لسقوط نسبه ولفقره رد
عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا
بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره فى القلوب
ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك قوله عز وجل
وزاده بسطة فى العلم اى العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا وقيل قد اوحى اليه ونبئ والجسم قيل
بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال
وقيل بالقوة والله يؤتى ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء
من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق به واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيط ما بين قوليه المحكيين عنه عم للاشعار بعدم اتصال احدهما
بالآخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه عم آية تدل
على انه تع اصطفى طالوت وملكه عليهم روى انهم قالوا ما آية ملكه ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت
اى الصندوق وهو فعلوت من التوب الذى هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه
مزيدة لغير التانيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها
والمراد به صندوق التورية وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عم سخطا على بنى اسرائيل
لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم
التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فأتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت
وهذا قول ابن عباس رضى الله عنه وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل
الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع فى ذراعين فكان عند آدم
عم الى ان توفى فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عم ثم بقى فى ايدى بنى اسرائيل
الى ان وصل الى موسى عم فكان عم يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه فكانت تسكن اليه نفوس
بنى اسرائيل وكان عنده الى ان توفى ثم تداولته ايدى بنى اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا فى شئ تحاكموا
اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم
وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر
فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه فى موضع البول
والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم البلاء حتى كل من بال عنده ابتلى بالبواسير وهلكت

من بلاده من حمص ودابن فصع الكفار ان ذلك بسبب اهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران
يسيران وقد وكل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سالوا نبيهم البينة على ملك
طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من
ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة كاينة من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودع فيه
بنا على ما مر من ان موسى عم اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه
من زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها
ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من
التورية وكان رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى عليه السلام والهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما
او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة حال من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة
وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في
ذلك اشارة الى ما ذكر من شان التابوت فهو من تمام كلام النبي عم لقومه او الى نقل القصة وحكايتها فهو
ابتدا كلام من جهة الله تعالى جي به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب
مع تعدد المخاطبين على التقدير بن بتاويل الفريق او غيره كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت
او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم
مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي
بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله
ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز
كونه اصلا براسه مباينا للمتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع
رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلق بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه
لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب
النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري
الله لهم نهرا فبعيد ما ظهر له فما تعلقت به مشيته تعالى من جهة النبي عم او بطريق الوحي عند من يقول
بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الها وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتدا شربه من النهر بان كرع
لانه الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي واشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم
فلان مني كانه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشي اذا ذاقه ماكولا كان
او مشروبا او غيرهما قال ● وان شئت حرمت النسا سواكم ● وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا ● اي
نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثنا من قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر من
الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة
ما يغترف وقرئ بفتح الغين على انه مصدر والبا متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة كاينة
بيده روي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت
شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا
قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثنا من التولي وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واعراضا
عن جانب اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال فلم يطيعوه فحق ان يرد المستثنى
مرفوعا كما في قول الفرزدق ● وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ●● من المال الا مسحت او مجلف ●
فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير
المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بآمنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع
خبرا من الموصول كما قيل فلما جاوزه والحال ان الذين آمنوا كاينون معه وهم اولئك القليل وفيه
اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت

جالوت وجنوده اي بمحاربتهم ودفعهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة
قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال استيناف مبني على السوال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال
الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل اي الخلص منهم الذين يتيقنون لقا الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافراد
بذلك الوصف لاينافي ايمان الباقين فان درجات المومنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم
يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المومنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين
عنهم كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فاوت راسه
اذا شققته او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة
وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في حيز الرفع بالابتدا خبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة
غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيته تعالى فلا يذل من نصره
وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل
اطاقت فئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب
ناش من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقا الله تعالى بالبعث لاسيما بالاستشهاد
فان العلم به ربما يورث الياس من الغلبة ولا التوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان
يكون مدار الحكم الوارد على الموصول اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقا نصره
وتاييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن معاونته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به
معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاتيان كما قيل ياباه انهم انما قالوه تشجيعا لاخوانهم وتاييدا له
بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المودي الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من
من المعية بالاتيان قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله تعالى جي به تقريرا لكلامهم والمعنى
قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من
فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وابراد جزائه ابتداء مع ان
الغلبة مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اي ظهر طالوت ومن معه من المومنين وصاروا الى
براز من الارض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم عاجزون
مطيقين عادة قالوا اي جميعا متضرعين تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثاني متضرعين
الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدايد الحرب واقتحام موارده الصعبة الضنك
وفي التوسل بوصف الربوبية المنبية عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح
عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة
عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد
وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العايد الى جالوت وجنوده
للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعا ترتيبا بديعا حيث قدموا سوال افراغ الصبر الذي هو
ملاك الامر ثم سوال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سوال النصر الذي هو الغاية القصوى فهزموهم
اي كسروهم بلا مكث باذن الله بنصره وتاييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة على طريقة قوله
عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الخ للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله وقتل
داود جالوت كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان
صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجا وقد مر في طريقه بثلثة
احجار قال له كل منها احملنا فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته فلما ابطأ على ابيه خبر اخوته في المصاف
ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في القراع وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد ديار يبرز اليه
وكان ظلمه لا يقاتل داود لاخوته ما منكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فجا ناحية اخرى ليس فيها
اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف
قال طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز له داود فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه في صدره

فقد الاجابة منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كلم الاحجار عند برزه لجالوت في المعركة فانجز له طالوت
ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عم
واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها
والحكمة اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبل الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما
اجتمعوا قبله على ملك قط وعلمه مما يشاء اي مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عم كما قيل لان معظم ما
علمه الله تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد بالانة
الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا دفع الله الناس بعضهم الذين يباشرون
الشر والفساد ببعض آخر منهم يردهم عما هم عليه بما قدره الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ
دفاع الله على ان صيغة المغالبة للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث
والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الارض بعبثهم وقتلهم
المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل اهل الارض قاطبة ولكن الله ذو
فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض المقدم
منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا
بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد
فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا تفسد الارض وتنتظم به مصالح العالم وينصلح
احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الغرابة آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستانفة وقوله تعالى
نتلوها عليك اي بواسطة جبريل عم اما حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل
لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه
احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك
ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق وانك لمن المرسلين اي من جملة
الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم
فهي شهادة منه سبحانه برسالته عم اثر بيان ما يستوجبها والتاكيد بمقتضى مقام الحاكمين بها
تلك الرسل استئناف مبني على انه عليه السلام من افاضل الرسل العظام عليهم الصلاة والسلام اثر بيان
كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في المآل للاستغراق
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة
وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه بمآثر جمة
لا يقضيه ومشيئتنا على ما يحق جليه خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اي فضله بان
كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عم حيث كلمه تعالى ليلة الحيرة في الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم
الله من المكالمة فانه عم كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه ولذا قيل كليم الله بمعنى مكالمه وقيل اراد به الخليل بطريق
الالتفات لزيادة التعظيم
والتاييد بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل فالتفاوت
في معارج الفضل بدرجات كثيرة وتغيير الاسلوب لمزيد
درجات الرفعة والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار
فوق بعضهم بانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر
والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه والاشعار بانه العلم المتعين
انه ادريس عم حيث رفعه الله تعالى مكانا عليا وقيل اولو العزم من
الرسل عليهم السلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايدناه اي قويناه بروح القدس

اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهو روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عم لم تضمه
الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عم وقيل بالانجيل كما مر وافراده عم بما ذكر لرد ما بين اهل
الكتابين في شانه عم من التفريط والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار
فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي جاءوا من بعد الرسل
من الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على
كلمة الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء هدى
الناس جميعا ما اقتتل الخ وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرسل البينات المعجزات الواضحة
والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المودي الى
الاقتتال وهو متعلق باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف من وضع
نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان
بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا
ناشئا فمنهم من آمن اي بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفرا لا ارعواء
له فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء احوالهم ولو شاء الله عدم
اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا وما
نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتاكيد كما ظن بل للتنبيه
على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك
موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك
لهم بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اي من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم
فان الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع
وفيه دليل بين على ان الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا
انفقوا في سبيل الله مما رزقناكم اي شيئا مما رزقناكموه على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض
لوصوله منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق
الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلا من متعلقيها
تعلقت بها رزقناكم لا ضير فيه لاختلاف معنييهما فان الاولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية اي انفقوا بعض
ما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه اذ لا بيع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه
او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة الا لمن اذن له
الرحمن ورضي له قولا حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم في حط ما في ذمتكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد
التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اي التاركون
للزكوة وايثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك
الزكوة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة هم الظالمون الذين ظلموا
انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه الى غير وجهه الله لا اله الا هو مبتدأ
وخبر اي هو المستحق للمعبودية لا غير وفي افناء جزء الامثال في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف
الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء وهو اما خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف او بدل من لا اله الا هو
م او بدل من الله او صفة له ويعضده القراءة بالنصب على المدح لاختصاص النصب بالنعت القيوم فيعول من قام بالامر
اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تاخذه سنة ولا
نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي ● وسنان اقصده النعاس فرنقت
في عينه سنة وليس بنائم ● والنوم حالة تعرض الحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات
الابخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس راسا والمراد بيان انتفاء اعتراء شيء
منهما له سبحانه لعدم كونهما من شانه تعالى لا لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية فانه بمعزل من

من مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان القادر على دفع السنة قد لا
يقدر على دفع النوم القوي كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانما تأخير النوم للمحافظة على ترتيب الوجود
الخارجي وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا
كبيرة الآية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة والنوم
انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيوما
فان من يعتريه احدهما يكون موف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير وقيل استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال
مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم **له ما في السموات وما في الارض** تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به
على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما هو اعم من اجزائهما الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة
فيهما من العقلاء وغيرهم **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** بيان لكبرياء شأنه وانه لا يدانيه احد ليقدر على
تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا عن ان يدافعه عنادا او مناصبة **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** اي
ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الآخرة او بالعكس او ما
يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات بتغليب ما فيهما من العقلاء على غيرهم
او لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والانبياء عليهم السلام **ولا يحيطون بشيء من علمه** اي من معلوماته **الا
بما شاء** ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على
وحدانيته **وسع كرسيه السموات والارض** الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب الى
الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه
واحاطة علمه بالاشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم
القيمة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من
كرسي الملك فان الكرسي كلما كان اعظم يكون عظمة القاعد اكثر واوفر تعبيرا عن شمول علمه او عن بسطة ملكه
وسلطانه سعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات
السبع لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على
الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري انه العرش **ولا يؤده** اي لا
يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر ما فيهما لان حفظهما مستتبع لحفظه
وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشباه والانداد **العظيم** الذي يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولما تري من انطواء
هذه الآية الكريمة على امهات المسائل الالهية المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى
موجود متفرد بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم بذاته
المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري
النفوس والارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد لا يشفع عنده الا
من اذن له فيه العالم وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شأنه
ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شاق ولا يشغله شأن عن شأن متعال عما يناله الاوهام عظيم لا
يحيط به الافهام تفردت بفضائل رائقة وخواص فائقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم
ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قرأها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد
من تلك الساعة وقال عم ما قرئت هذه الآية في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر
ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وقال عم من قرأ اية
الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن
قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال صلى الله عليه
سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال
وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن سورة البقرة وسيد البقرة
اية الكرسي وتخصيصها بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه

عليه الاخبار المستفيضة والمنعقد عليه الاجماع من سيادته عم لجميع افراد البشر **لا اكراه في الدين** جملة
مستأنفة جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤون الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من
حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام بل يختار الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى
النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل
خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان
قد تنصرا قبل مبعثه عم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما **قد تبين الرشد من الغي** استئناف تعليلي صدر بكلمة
التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي اذ قد تبين بما ذكر من نعوته
تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية من
الكفر الذي هو الغي المودي الى الشقاوة السرمدية **فمن يكفر بالطاغوت** هو بناء مبالغة من الطغيان
كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي وقيل اسم جنس
مفرد مذكر وانما الجمع والتأنيث لارادة الآلهة وهو رأي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرد وقيل
يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتأنيث اي فمن يعمل اثر ما تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والآيات
البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى لما تبين له
كونه بمعزل من استحقاق العبادة **ويؤمن بالله** وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهية
به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان
التخلية متقدمة على التحلية **فقد استمسك بالعروة الوثقى** اي بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به
يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه **لا انفصام لها** الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة
ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استئناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما
حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى ولها في حيز الخبر اي كائن لها والكلام
تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته
بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المأمون انقطاعه فلا استعارة
في المفردات ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر
الصحيح المودي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من ملازمته او ترشيح
للاستعارة الاولى **والله سميع** بالاقوال **عليم** بالعزائم والعقائد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان
رادع من الكفر والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد **الله ولي الذين آمنوا** اي معينهم او متولي امورهم
والمراد بهم الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مالا او حالا **يخرجهم** تفسير للولاية او خبر
ثان عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي **من الظلمات** التي هي اعم من ظلمات الكفر والمعاصي
وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفاء بالقياس الى مراتبها
القوية الجلية بل في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما يستعمل **الى النور** الذي يعم نور الايمان
ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها
الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال **والذين
كفروا** اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم **اولياؤهم الطاغوت** اي الشياطين وسائر المضلين عن
طريق الحق فالموصول مبتدأ واولياؤهم مبتدأ ثان والطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة
معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة
بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا **يخرجونهم** بالوساوس
وغيرها من طرق الاضلال والاغواء **من النور** الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي
يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها **الى الظلمات**
الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان

كما ترى اسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح في اسناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها
وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابرهيم في
ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم في
كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية الاقتران
بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في ربه
عز وجل وما اتى به في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا
يورث تقديمه انتشار النظم على ان قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة ابرهيم عم
فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام لانكار
النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس
واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد
يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتاييده في المحاجة ان آتاه الله الملك اي لان آتاه
اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما
يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من
منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابرهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي
ويميت بفتح الياء ربي وقرئ بحذفها روي انه عم لما كسر الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه فقال من ربك الذي
تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحيوة في الاجساد قال استيناف مبني على السؤال كانه
قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احد
هما واطلق الآخر فقال ذلك قال ابرهيم استيناف كما سلف كانه قيل فماذا قال ابرهيم لمن في هذه المرتبة من
المجاحد وبماذا افحمه فقيل قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق حسبما تقتضيه مشيئته فات بها من المغرب
ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عم الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء
والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال
لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان
الموصول مفعوله اي فغلب ابرهيم الكافر واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على
كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة
يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول
السابق وايثار او الفارقة على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف
اما اسمية كما اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما في قولك الفعل
الماضي مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي او الى الذي مر على قرية كيف
هداه الله تعالى واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رأيت ذلك وشاهدته فاذن لا
ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الخ هذا واما جعل الهمزة لمجرد التعجيب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي
حاج الخ اي انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني او رايت مثل الذي الخ ايذانا بان حاله وما جرى عليه في
الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه راي الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شانه الجليل والذي مر
والمار عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل
هو ارميا بن حلقيا من سبط هرون عم قاله وهب وعبد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد
كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل
على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر اباد وقال السدي هي دير سلما باد والاول هو الاظهر والاشهر روى

روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط الله
تعالى عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل
اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع
فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى
منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس فرآه على افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية
على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت
الارض اي تهدمت والجملة حال من ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال عن النكرة مطلقا قال اي تلهفا
عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار الياس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة
للحيوة وتقديمها على الفاعل للاعتناء بها من حيث ان الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب
على الظرفية ان كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي واياما كان فالمراد
استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا اهلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء
الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها
بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا التعبير معربا عن استبعاد الاحياء بعد الموت على ابلغ وجه
واكده اراه الله عز وجل ابعد الامرين في نفسه ثم في غيره ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في
ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احياء اهلها فيأباه التعرض لحال القرية دون حالهم
والاقتصار على ذكر موتهم بترابا وعظاما مع كونه ادخل في الاستبعاد لشدة مباينته للحيوة وغاية بعده
عن قبولها على انه لا يتعلق ارادته تعالى باحيائهم كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما ستحيط به
خبرا فاماته الله واستمر على الموت مائة عام روي انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير بها
احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته
الله تعالى في منامه وهو شاب وامات حماره وبقية تينه وعصيره ثم اعمى الله تعالى عنه عيون الخلق
فلم يره احد فلما مضى من موته سبعون سنة وجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له نوشك
الى بيت المقدس ليعمره ومعه الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله
بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه
من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موته
احياه الله تعالى وذلك قوله ثم بعثه واثاره على احياه للدلالة على سرعته وسهولة تاتيه على
الباري تعالى كانه بعثه من النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال
قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة
بشؤونه تعالى وان احياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به
مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدائع آثار قدرته وهو ابقاء الغذاء المتسارع الى
الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي كم
وقتا لبثت والقائل هو الله تعالى او ملك مامور بذلك من قبله تعالى قيل نودي من السماء يا عزير كم لبثت
بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه واما ما قيل
من انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما فالتفت الى الشمس فرأى بقية فقال
او بعض يوم على وجه الاضراب فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب
لتحقق النقصان من اوله قال استيناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر اي ما لبثت
ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين امرا آخر من دلائل قدرتنا الى طعامك وشرابك لم يتسنه
اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه وجد تينه وعنبه كما جني وعصيره
كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم سوء واما من الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما
مجرى الواحد كالغذاء واما من الاخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرأ وهذا شرابك

لم يتسنه والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة على أن لامها هاء أو واو وقيل أصله يتسنن من الحمأ
المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي وقد جوز أن يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون
التي مرت لا حقيقة بل تشبيها أي هو على حاله كأنه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بإدغام التاء في السين وانظر
إلى حمارك كيف تخرقت عظامه وتفرقت وتقطعت أوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من اللبث المديد
وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر متعلق بفعل مقدر بين يديه بطريق
الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق أي فعلنا ما فعلنا من إحيائك بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الإحياء
بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بأن يشاهدوك وأنت من أهل القرون الخالية
ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ أحقاب من علم التوراة كما سيأتي أو متعلق بفعل مقدر بعده أي ولنجعلك
آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقدير الأول دليل على ما ذكر من اللبث المديد ولذلك قرن
بينه وبين الأمر بالنظر إلى حماره وتكرير الأمر في قوله تعالى وانظر إلى العظام مع أن المراد عظام الحمار
أيضا لما أن المأمور به أولا هو النظر إليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر إليها
من حيث يعتريها الإحياء ومباديها أي وانظر إلى عظام الحمار لتشاهد كيفية الإحياء في غيرك بعد ما
شاهدت نفسه في نفسك كيف ننشزها بالزاي المعجمة أي نرفع بعضها إلى بعض ونردها إلى أماكنها من
الجسد فنركبها تركيبا لائقا وقال الكسائي نرفعها ونغلظها ولعل من فسره بنحييها أراد بالإحياء هذا المعنى وكذا
من قرأ ننشرها بالراء من أنشر الله تعالى الموتى أحياها لا الإحياء الحقيقي لقوله تعالى ثم نكسوها لحما أي
نسترها به كما يستر الجسد باللباس وأما من قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله أراد ضد الطي كما قال الفراء
فالمعنى كيف نبسطها والجملة إما حال من العظام أي وانظر إليها مركبة مكسوة لحما أو بدل اشتمال أي وانظر
إلى العظام كيفية إنشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض لكيفية نفخ الروح لما أنها مما لا تقتضي الحكمة
بيانه روي أنه نودي أيتها العظام البالية إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع كل جزء من أجزائها التي ذهب بها
الطير والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها إلى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع
بالضلع والذراع بمحلها والرأس بموضعه ثم الأعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت
منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينهق فلما تبين له أي ما دل عليه الأمر بالنظر إليه من كيفية
الإحياء وإيراد الفاء للعطف على مقدر يستدعيه الأمر المذكور وإنما حذف للإيذان بظهور تحققه و
استغنائه عن الذكر والإشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله أنا آتيك
به قبل أن يرتد إليك طرفك كأنه قيل فأنشزها الله تعالى وكساها لحما فنظر إليها فتبين له كيفيته فلما
تبين له ذلك أي اتضاحا تاما قال أعلم أن الله على كل شيء من الأشياء التي من جملتها ما شاهده
في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه أمر من الأمور وإيثار صيغة المضارع للدلالة على
أن علمه بذلك مستمر نظرا إلى أن أصله لم يتغير ولم يتبدل بل إنما تبدل بالعيان وصفه وفيه إشعار بأنه إنما
قال ما قال بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للأمر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول أعلم أي فلما
تبين له أن الله على كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف وقرئ فلما تبين له على صيغة المجهول
وقرئ قال أعلم وقيل أعلم على صيغة الأمر روي أنه ركب حماره وأتى محلته وأنكره الناس وأنكر
المنازل فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير فقال لها عزير
يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم وأين ذكر عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال
فإني عزير قالت سبحان الله أنى يكون ذلك قال قد أماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت إن عزيرا كان رجلا
مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى أراك فدعا ربه ومسح بيده عينيها فصحتا فأخذ بيدها
فقال لها قومي بإذن الله فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت
إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه
شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فإني بدعائه رجعت إلى هذه الحالة فنهض الناس
فأقبلوا إليه فقال ابنه كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فإذا هو كذلك وقد كان قتل

قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التوراة أربعين ألف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد
يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير أن يخرم منها حرفا فقال رجل من أولاد المسبيين ممن
ورد بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم
فإن أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم فذهبوا إلى كرم جده ففتشوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير عن ظهر
القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإذ قال
إبراهيم دليل آخر على ولاية الله تعالى للمؤمنين وإخراجه لهم من الظلمات إلى النور وإنما لم يسلك به مسلك
الاستشهاد كما قبله بأن يقال أو كالذي قال رب إلخ لجريان ذكره عليه السلام في أثناء المحاجة ولأنه لا دخل للتشبيه
في أصل الدليل كما في قصة عزير عليه السلام فإن ما جرى عليه من إحيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته
تعالى وهدايته والظرف منصوب بمضمر صرح بمثله في نحو قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء أي واذكر
وقت قوله عليه السلام وما وقع حينئذ من تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما فيه من ولايته تعالى وهدايته
وتوجيه الأمر بالذكر في أمثال هذه المواقع إلى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع أنها المقصودة
بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب لذكر ما وقع فيه
بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها مفصلة فإذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ
عنها شيء مما ذكر عند الحكاية أو لم يذكر كأنها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء
مبالغة في استدعاء الإجابة أرني من الرؤية البصرية المتعدية إلى واحد وبدخول همزة النقل طلبت
مفعولا آخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فإنها تعلق كما يعلق النظر البصري أي اجعلني مبصرا كيف
تحيي الموتى بأن تحييها وأنا أنظر إليها وكيف في محل نصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الأخفش
والعامل فيها تحيي أي في أي حال أو على أي حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شيء
متقرر الوجود عند السائل والمسؤول فالاستفهام ههنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أي بصرني كيفية
إحيائك للموتى وإنما سأله عليه السلام ليتأيد إيقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان وأما ما قيل من
أن نمرود لما قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم عليه السلام إن إحياء الله برد الأرواح إلى الأجساد فقال نمرود هل عاينته
فلم يقدر على أن يقول نعم فانتقل إلى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان
قال استئناف كما مر غير مرة أولم تؤمن عطف على مقدر أي ألم تعلم ولم تؤمن بأني قادر على الإحياء كيف
أشاء حتى تسألني إراءته قاله عز وعلا وهو أعلم بأنه عليه السلام أثبت الناس إيمانا وأقواهم يقينا ليجيب بما
أجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين قال بلى علمت وآمنت بأنك قادر على الإحياء على أي كيفية شئت
ولكن سألت ليطمئن قلبي بمضامة العيان إلى الإيمان والإيقان وازداد بصيرة بمشاهدته قال فخذ
الفاء لجواب شرط محذوف أي إن أردت ذلك فخذ أربعة من الطير قيل هو اسم جمع طائر كركب وسفر
وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس وقيل هو تخفيف طير جمع طائر كهين في هين
ومن متعلقة بخذ أو بمحذوف وقع صفة لأربعة أي أربعة كائنة من الطير قيل هي طاوس وديك
وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الأخير وتخصيص الطير بذلك لأنها أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص
الحيوان ولسهولة تأتي ما يفعل به من التجزئة والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره أي أماله
وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره أي أملهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء
من صره يصره ويصره إذا جمعه وقرئ فصرهن من التصرية بمعنى الجمع أي اجمعهن إليك لتتأملها
وتعرف شياتها مفصلة حتى تعلم بعد الإحياء أن جزءا منها لم ينتقل عن موضعه الأول أصلا روي أنه
أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق أجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤوسها
ثم أمر بأن يجعل أجزاءها على الجبال وذلك قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا أي جزءا من
أجزائهن على ما بحضرتك من الجبال قيل كانت أربعة أجبل وقيل سبعة فجعل على كل جبل ربعا أو سبعا
من كل طائر وقرئ جزءا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته وتخفيفا ثم تشديده عند الوقف
ثم إجراء الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن يأتينك أي ساعيات جزم على أنه جواب الأمر ولكن ينبغي

لاتصاله بنون جمع المونث سعيا اى ساعيات مسرعات اوذوات سعى طيرانا او مشيا وانما اقتصر على حكاية اوامره
عز وجل من غير تعرض لامتثاله عم ولما ترتب عليه من عجايب آثار قدرته تعالى كما روى انه عم نادى فقال
تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضمت
كل جثة الى راسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على
الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة الى الذكر اصلا وناهيك بالقصة
دليلا على فضل الخليل وحسن الضراعة فى الدعاء وحسن الادب فى السوال حيث اراه الله تعالى ما ساله
فى الحال على ايسر ما يكون من الوجوه وارى عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السلام واعلم
ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه شئ عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة فى افاعيله فليس بناء افعاله
على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق آخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح
مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله اى فى وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد
من تقدير مضاف فى احد الجانبين اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل
اى اخرجت ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة فى كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك
فى الذرة والدخن فى الاراضى المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازى كاسنادها الى الارض
والربيع وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدى الناظر والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما شاء
الله تعالى لمن يشاء ان يضاعف له بتفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال فى
مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار انفاقه وكيفية تحصيل
ما انفقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله جملة مبتدأة جئ بها لبيان كيفية الانفاق الذى بين فضله بالتمثيل
المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اى ما انفقوه او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه
ويريه انه اوجب بذلك عليه حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط
كلمة لا للدلالة على شمول النفى لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف قيل نزلت فى عثمان رضى
حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه حين اتى النبى صلى الله عليه وسلم
باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شئ من المن والاذى لهم اجرهم اى حسبما وعد لهم فى ضمن التمثيل
وهو جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفى تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التاكيد والتشريف
ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق
وترك اتباع المن والاذى امر بين لا يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوه فكيف
بهم اذا فعلوه فيابه مقام الترغيب فى الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه
من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اى لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك لكنهم
لا يخافون ولا يحزنون ولا انهم لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار
الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خواص
الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية
مضارعا لما ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اى
كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شئ ومغفرة اى ستر لما وقع من السائل من الالحاف
فى المسئلة وغيره مما يثقل على المسئول وصفح عنه وانما صح الابتداء بالنكرة فى الاول لاختصاصها بالوصف
الثانى بالعطف او بالصفة المقدرة اى ومغفرة كائنة من المسئول خير اى للسائل من صدقة يتبعها اذى
لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاول من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن
والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تع بسبب الرد الجميل او عفو السائل بناء على اعتبار الخيرية
بالنسبة الى السوال يؤدى الى ان يكون فى الصلة [illegible] الموصوفة بالنسبة اليه خير فى الجملة مع بطلانها
بالمرة والله غنى لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل
اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتملة على الوعد

والوعيد مقررة لاعتبار الخيرية بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها الذين آمنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر ما بين
بطريق الغيبة مبالغة فى ايجاب العمل بموجب النهى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اى لا تحبطوا اجرها
بواحد منهما كالذى فى محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال الذى ينفق
ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اى لا تبطلوها مشابهين الذى ينفق اى الذى يبطل
انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر المقدر على ما هو راى سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اى
لاجل رئائهم او على انه حال من فاعله اى ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله
واليوم الآخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اى فمثل المرائى فى
الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اى حجر املس عليه تراب اى شئ يسير منه فاصابه وابل اى مطر عظيم
القطر فتركه صلدا املس ليس عليه شئ من الغبار اصلا لا يقدرون على شئ مما كسبوا لا ينتفعون بما
فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبنى على السوال كانه
قيل فماذا يكون حالهم ح فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم
وهم اصحاب المن والاذى كذلك والضمير الاخير للموصول باعتبار المعنى كما فى قوله عز وجل وخضتم كالذى
خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضماير الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدى
القوم الكافرين الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن
والاذى من خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله
اى لطلب رضاه وتثبيتا من انفسهم اى ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فان من تبعيضية كما فى قولهم هز من عطفه
وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل
ماله وروحه فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما فى
قوله حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق
للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذى هو راس كل خطيئة كمثل جنة بربوة بالحركات الثلث وقد
قرئ بها اى مكان مرتفع اى ومثل نفقتهم فى الزكاء كمثل بستان كاين بمكان مرتفع مامون من ان يصطلمه
البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى
المنخفضة فقلما تسلم ثمارها من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل جنة اصابها وابل مطر
عظيم القطر فآتت اكلها [illegible] ضعفين اى مثلى ما كانت تثمر [illegible]
الاوقات بسبب اصابها [illegible]
او مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل [illegible]
[illegible]
لا تضيع [illegible]
[illegible]
والبر [illegible]
[illegible] والله بما تعملون بصير [illegible]
[illegible] ايود احدكم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] جنة من نخيل واعناب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] تجرى من تحتها الانهار [illegible]

محل الرفع على انها صفة جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها لانها
موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ اى صفة لمبتدأ قائمة مقامه اى
له رزق من كل الثمرات كما في قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات
العموم بل انما هو التكثير كما في قوله تعالى واوتيت من كل شئ واصابه الكبر اى كبر السن الذى هو مظنة شدة
الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اى وقد اصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء حال من الضمير في اصابه اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادى
المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اى ريح عاصفة تستدير في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى
السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال
البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا
في التحسر والتاسف عليها كذلك توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اى مثل ذلك البيان
الواضح الجارى في الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كى تتفكروا فيها
وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما
ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اى انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن
فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تاموا والكل
بمعنى القصد اى لا تقصدوا الخبيث اى الردئ الخسيس فهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها
منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا
تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث اى مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما
كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام
او للموصولين على طريقة قوله ۞ كانه في الجلد توليع البهق ۞ او للثانى وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه
اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اى ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم او مما اخرجنا لكم
او مما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اى تنفقون
والحال انكم لا تاخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه الا
وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه
وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا
وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله ولا تيمموا الخبيث ثم استؤنف فقيل على طريقة التوبيخ
والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكارى فكانه قيل
أمنه تنفقون الخ واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك
مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى فان
اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى ان الآخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه حميد
مستحق للحمد ... الشيطان يعدكم الفقر ...
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

محذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التى افادها تنكيرها اى مغفرة اى مغفرة كائنة منه
عز وجل وفضلا صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
ونظائره اى وفضلا كائنا منه تعالى اى خلفا مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب الشيطان
وقيل ثوابا في الآخرة والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه
عليم مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال له
لتخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها يؤتى الحكمة قال مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم
والفقه وروى عن ابن نجيح انها الاصابة في القول والعمل وعن ابرهيم النخعى انها معرفة معانى الاشياء
وفهمها وقيل هي معرفة حقائق الاشياء وقيل هي الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل
انها تفسر في القرآن باربعة اوجه تارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار ومرة
بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المندرجة في تضاعيف الآيات الكريمة
من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل اى يبينها ويوفق للعلم والعمل بها من
يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما اتاكم ما بينه في ضمن الآى من الحكم البالغة
التى يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليؤتى وقدم عليه
الثانى للعناية به والجملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على
البناء للفاعل اى ومن يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشانها والاشعار
بعلة الحكم فقد اوتى خيرا كثيرا اى اى خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما
اوتى من الحكمة او ما يتفكر فيه الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى
متابعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام الواردة في شان الانفاق ما لا يخفى والجملة
اما حال او اعتراض تذييلى وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلى شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر
بيان حكم ما كان منها في سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اى وما انفقتموه
من نفقة اى اى نفقة كانت في حق او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم الله عند الضمير على
والزامه وجعله كقربة ونفسه من نذر اى نذر كان في طاعة او معصية بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او
بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثانى مزيدة
في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك
زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما وهذا صير الى التاويل في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما في قوله عز وعلا واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في هذه الآية الكريمة وفي قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او
اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويلهما بالمذكور ونظائره او على حذف الاول لدلالة الثانى
عليه كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا
وانت بما عندك راض والرأى مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم
يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقق الجزاء
اى فانه تعالى يجازيكم عليها البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر ففيه ترغيب وعد ووعيد وما للظالمين
بالانفاق والنذر في المعاصى او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء
والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ في غير موضعه الذى
يحق ان يوضع فيه من انصار اى اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة
وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة اسمية
مقررة لما قبلها من الوعيد مؤكدة لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية
الاخلاء ان تبدوا الصدقات فنعما هى نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك
ترك العطف بينهما اى ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ

بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا في الصدقات المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها خفية وتؤتوها الفقراء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان الغني ربما يدعي الفقر او يقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس ليرفع التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اي والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا من سيئاتكم كما تقدم وقيل مزيدة على رأي الاخفش وقرئ بالياء مرفوعا وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبائح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الآيات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريقة تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين كي يحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام نزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة لهم ومن من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير رجوع على الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة حثهم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين الخطاب وتوجيه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائن من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تأكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتائج دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسألة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم مما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب

للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى بمناره اي لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شأن الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة آلاف منها بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في ربط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون الربوا اي يأخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيعهم وهو الزيادة في المقدار او في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما فيه من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم اخذه قبل التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على رأي سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون اي ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه صلى الله عليه وسلم ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع

مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبرئيل وميكائيل عقيب الملائكة
عم لهم اجرهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة خبرا لان اى اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال من اجرهم
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت
ولاهم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقى من
الربوا اى واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك
مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اى ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا
الخ روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا اى ما امرتم
به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فأذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا
بها من اذن بالشيء اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اى
فاعلموا بها غيركم قيل هو من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير
حرب للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها اى بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره
كائن من عند الله ورسوله روى انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء
مع الايمان بحرمته بعد ما سمعتموه من الوعيد فلكم رؤس اموالكم تاخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم
باخذ الزيادة والجملة اما مستأنفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار
ولا تظلمون عطف على ما قبله اى لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص ويفهم من تعليق هذا الحكم بتوبتهم
عدم ثبوته عند عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون ومالهم المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند
ابي حنيفة رضي الله عنه وكذا سائر اموالهم عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم ولا شيء لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها
فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤسهم فكيف برؤس اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنهما
فانه من يعامل بالربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون الى ان تظهر توبتهم لا يمكنون
من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اى ان وقع
غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اى فالحكم نظرة او فعليه
نظرة او فلتكن نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ فناظرة اى فالمستحق ناظرة اى منتظرة او فصاحب نظرة
على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة اى الى يسار وقرئ بضم السين
وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله * واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بحذف احدى التاءين وقرئ بتشديد الصاد اى وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير
لكم اى اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب اى ان تتصدقوا برؤس
اموالهم كلا او بعضا على غرمائكم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار
لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف
اى ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء
به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على
البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا
تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اى تعطى
كملا ما كسبت اى جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين وان كانت
عقوبتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم ووضع الضمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد
ادق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عم وقال ضعها في رأس المائتين
والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين
وقيل سبعة ايام وقيل ثلث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين شروع في بيان حال المداينة
الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلم والنقود وبعد بيان حال الربوا اى اذا داين
بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه

والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتابة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر
الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع
الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه اى الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور
على استحبابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف
وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف
المفعول اما لتعيينه او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اى ليفعل الكتابة وفي قوله تعالى بينكم للايذان بان
الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق
بمحذوف هو صفة لكاتب اى كاتب كائن بالعدل اى وليكن المتصدي للكتابة من شأنه ان يكتب بالسوية
من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه
موثوقا به معدلا بالشرع ويجوز ان يكون حالا منه اى ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اى وليكتب بالحق
ولا يأب كاتب اى ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق
او كما بينه بقوله تعالى بالعدل او لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها تأكيدا لها ويجوز ان يتعلق الكاف
بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال هو
الاملاء اى وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق الله ربه جمع بين الاسم
الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اى وليتق المملي دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه
اى من الحق الذي يمليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس خاصة واما الكاتب فيتوقع منه
الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو اريد نهيه لنهى عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانما شدد
في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى النهي عنه فان الانسان
مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق صرح بذلك
في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا مجازفا او ضعيفا
صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي او جهل او غير ذلك
من العوارض فليملل وليه اى الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم بالعدل اى من غير
نقص ولا زيادة لم يكلف بتعيين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا
شهيدين اى اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف
منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن
تبعيضية اى شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان خطابات الشرع
لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه
الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اى الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول
النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اى فليشهد رجل وامرأتان او
فرجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي
ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اى كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم بالوصف
المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت لشهيدين اى كائنين مما
ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من
الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط المرأتين وبين تعليله وقوله عز وجل
من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع الى الموصول اى ممن ترضونهم كائنين من
بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احديهما
فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما
كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احديهما

الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها
الاخرى لتأكيد الابهام والمبالغة فى الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى
وقرئ فتذكر من الاذكار وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله
منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مر من
تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم فلا
يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا اى لا تملوا من كثرة مداياناتكم ان تكتبوه اى الدين او الحق او الكتاب
وقيل كنى به عن الكسل الذى هو صفة المنافق كما ورد فى قوله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى
وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال من الضمير اى حال كونه صغيرا
او كبيرا اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء فى تكتبوه اى مستقرا
فى الذمة الى وقت حلوله الذى اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين
اقسط اى اعدل عند الله اى فى حكمه تعالى واقوم للشهادة اى اثبت لها واعون على اقامتها وهما
مبنيان من اقسط واقام فانه قياسى عند سيبويه او من قاسط بمعنى ذى قسط وقويم وانما صحت
الواو فى اقوم كما صحت فى التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم فى جنس الدين
وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع
من الامر بالكتابة اى لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها بينكم
بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اى فلا بأس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع
والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة
واشهدوا اذا تبايعتم اى هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة فى الآية الكريمة للندب
عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهى عن المضارة
محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير
والتحريف فى الكتبة والشهادة او نهى الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمتهما او يكلفهما
الخروج عما حد لهما او لا يعطى الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفى فى معنى النهى وان تفعلوا ما نهيتم
عنه من الضرار فانه اى فعلكم ذلك فسوق بكم اى خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله فى
مخالفة اوامره ونواهيه التى من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
تذييل والله بكل شئ عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك وتكرير لفظ الجلالة فى
الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال كل منها بمعنى على حياله فان
الاولى حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشأنه تعالى وان كنتم على سفر
ولم تجدوا كاتبا فى المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة اى فالذى يستوثق به
او فعليكم او فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى شرعية الارتهان
كما حسبه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا من شعير اخذه
لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة فى السفر الذى هو مظنة اعوازها وانما لم
يتعرض لحال الشاهد لانه فى حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب القبض فى تمام الرهن غير
مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم
بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن
بعضكم اى امنه الناس ووصفوه بالامانة فحينئذ يكون انتصاب بعضا على نزع الخافض اى على متاع
بعض فليؤد الذى اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعيين طريق الاعلام وحمله على الاداء
امانته اى دينه وانما سمى امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام
الياء فى التاء وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها فى حكمها وليتق الله ربه فى رعاية حقوق
الامانة وفى الجمع بين عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة

الشهادة ايها الشهود والمديونون اى شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر
ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان
واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه
رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل تمكن الاثم فى نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر
ذنوبه عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة
وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كما فى سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اى جعله آثما
والله بما تعملون عليم فيجازيكم بذلك ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما فى السموات وما فى الارض من الامور
الداخلة فى حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولى العلم وغيرهم اى كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا
لا شركة لغيره فى شئ منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما فى انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه
للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه
البشر من الوساوس واحاديث النفس التى لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله
يوم القيامة وهو حجة على منكرى الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به
واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما فى قوله عز وجل قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله
فلان المعلق بما فى انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه
بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شئ
فى نفسه فى اى طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة خلا
ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شئ يبدو الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر فى النفس
فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر فى تفسير قوله تعالى او لا يعلمون
ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف اى فهو يغفر بفضله لمن يشاء ان
يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم
المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم
من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط فى قوله
• متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تأججا •
وادغام الراء فى اللام لحن والله على كل شئ قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى
على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن
الرسول لما ذكر فى فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول عليه السلام من الكتاب العظيم الشأن هدى
للمتصفين بما فصل هناك من الصفات الفاضلة التى من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب
الالهية وانهم حائزون لاثرتى الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم
بها اذ ليس فيما يذكر فى حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين
ثم شرح فى تضاعيفه من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك
ما تقتضيه الحكمة شرع عند ختمها فى التنصيص على تحقق انتظامهم على طريق الشهادة لهم من جهته
عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر عليه السلام بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب
لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض هنا لبيان فوزهم بمطالبهم
التى من جملتها ما حكى عنهم من الدعوات الآتية ايذانا بانه امر محقق غنى عن التصريح به لا سيما بعد
ما فرع عليه بما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع
جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه وتنويه بقدر الرسول المؤمن به من ربه
والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه فقد تحقق تكليفه باجابته عليه السلام ونحوه العمل به
اى آمن عليه السلام بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص والمواعظ
واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق ما حكى

ويجئ ذلك من فروع الايمان من الجهة المذكورة وفي هذا الاجمال اجلال لمحله عم واشعار بان تعلقه بما
انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له عم والمؤمنون اي الفريق
المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله
عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه
التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير
اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتأكيد
الاشعار بما بين ايمانه عم المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت
البين والاختلاف الجلي كانهما متخالفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد
لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتأكيد اي كل واحد منهم آمن
بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من
شأنهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم من خصوصيات
ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه
ورسله اي من حيث مجيئها من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على
الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تعالى الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام
حسبما فصل في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الآية ولا على ان مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب
او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند
اليه لما تلي من الآية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها
معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان
ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى
يوم القيامة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الآخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب
كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه
شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله
عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من
افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل
تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عم بما
انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت
من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة
من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من
قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق بعقد ارم الجليل وقد جوز ان يكون قوله والمؤمنون معطوفا على الرسول
يوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من
ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الى آخره خلا انه قدم المؤمن به على المعطوف
اعتناء بشأنه وايذانا باصالته عم في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال اجلال شأن
عم وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لان ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشأنه عم من حيث الذات
حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسناده بما الى غيره عم وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشأن آحاد الامة كان
ذلك حطا لرتبته العلية صلى الله عليه وسلم واما حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسب اليه من الآحاد ذاتا
وتعلقا بان يحمل بالنسبة الى الرسول صلى الله عم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد

آحاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عم اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه
ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع
رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق بينهم بان
نؤمن ببعض ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين
حيث اجمعوا على الكفر بالرسول عم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عم ايضا على ان مقصودهم الاصلي ابراز ايمانهم بما كفر
به من رسالته عم لا اظهار موافقتهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين آحاد المؤمنين خاصة
اذ لا يمكن ان يسند اليه عم ان يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه
في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من
الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل
الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل
خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي
الشمول والكلام في همزة احد وفي دخول بين عليه قد مر تفصيله عند قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة
صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله
وايثار اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم اما للاحتراز
عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايمان الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من
حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية
لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي
وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا غفرانك او نسألك غفرانك ذنوبنا
المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان
تقديم الوسيلة على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في
التضرع والجؤار واليك المصير الرجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان
الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه
تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف من محاسن آثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما
سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك
على اصحاب رسول الله صلى الله عم فاتوه عم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة
والصوم والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عم اتريدون ان تقولوا كما
قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها القوم فانزل
الله عز وجل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى غفرانك ربنا واليك المصير فسوغ لهم الغفران المعلق
بمشيئته عز وجل في قوله فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تع لا يكلف الله نفسا الا وسعها فهونا للخطب عليهم ببيان ان
المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع الاحتراز عنها والتكليف الالزام
ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تع انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه
طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود تفضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان
تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاة منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع
الاخلال وبمضرة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واتفاق
مضرته عليه من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا لا
اشتراكا كما ضرورة تحقق كلية ما لكل جزء من اجزائه مكسوبها وعلى الاعلى غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب
ما اكتسبت من الشر الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعمال لما تشتهيه النفس تحصيل الشر

وسعها في طلبه ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم إثر بيان سر التكليف أي لا
تؤاخذنا بما صدر عنا من الأمور المؤدية إلى النسيان أو الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف أو
بأنفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر أو مطلقا إذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فإن المعاصي كالسموم فكما أن تناول
ولو سهوا أو خطأ مؤد إلى الهلاك فتعاطي المعاصي أيضا لا يبعد أن يفضي إلى العقاب وإن لم يكن عن عزيمة لكنه
تعالى وعد بعدمه لا بوجوب استحالته وتوعد فإن ذلك من آثار فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع في قوله عم عن أمتي الخطأ
والنسيان وقد روي أن اليهود كانوا إذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة
والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تعالى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا إصرا عطف على ما
قبله وتوسيط النداء بينهما لإظهار مزيد الضراعة والإصر العبء الثقيل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه مكانه والمراد
به التكاليف الشاقة وقيل الإصر الذنب الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا
تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على أنه صفة لمصدر محذوف أي حملا مثل
حملك إياه على من قبلنا أو على أنه صفة لإصرا أي إصرا مثل الإصر الذي حملته على من قبلنا وهو ما كلفه بنو
إسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكاة وغير ذلك
من التشديدات فإنهم كانوا إذا أتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله ورحمته هذه الأمة عن أمثال ذلك
وأنزل في شأنهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة
وعن العقوبات التي عوقب بها الأولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عم رفع عن أمتي الخسف والمسخ والغرق
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات التي لا انطاق بها بعد الاستعفاء عما
يؤدي إليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي لا يكاد من كلفها يخلو عن التفريط فيها كأنه قيل لا تكلفنا تلك
التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن إنزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي
إليها وقيل هو تكرير للأول وتصوير للإصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا تفي
به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا وإلا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل
إلى مفعول ثان واعف عنا أي امح آثار ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤوس الأشهاد وارحمنا
وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما أن التخلية سابقة على التحلية أنت مولانا
سيدنا ونحن عبيدك أو ناصرنا أو متولي أمورنا فانصرنا على القوم الكافرين لأن من حق المولى أن ينصر عبده ومن
يتولى أمره على الأعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه إشارة إلى إعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تعالى حسبما أمر في
تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي أنه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد
فعلت وعنه صلى الله عليه وسلم أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي عام
من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الآيتين من سورة البقرة
كفتاه وهو حجة على من استكره أن يقال سورة البقرة وقال ينبغي أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال
صلى الله عليه وسلم السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فإن تعلمها بركة
وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال صلى الله عليه وسلم السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا إله إلا هو قد سلف أن ما لا تكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم
وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب
فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء أو مسرودة على نمط التعديد
وإن لزمها التقاء الساكنين لما أنه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة أن يوقف عليها ثم يبدأ بما
بعدها كما فعله أبو بكر رواية عن عاصم وأما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فإنما هي حركة همزة الجلالة
ألقيت على الميم لتدل على ثبوتها إذ ليس إسقاطها للدرج بل للتخفيف فهي مبقاة حكما في حكم الثابت المبتدأ به

به والمبتدأ يكون الحركة لم تجرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بأنه غير معهود في الكلام فإن
هي حركة لالتقاء الساكنين التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وأنت خبير بأن سقوطها مبني
على توهم مجيئها في الدرج وقد عرفت أن سكون الميم وقفي موجب للانقطاع عما بعدها مستدع لثبات الهمزة
على حالها إلا كما في الحروف والأسماء المبنية على السكون فإن حقها الاتصال بما بعدها وصلا واستغناء لا انقطاع
بها همزة الوصل ويحرك لمجامعها لالتقاء الساكنين ثم إن جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الإعراب
كسائر الفواتح وإن جعلت اسما للسورة فمحلها إما الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف وإما النصب على إضمار
فعل يليق بالمقام كما ذكروا أو أنزل أو نحوهما وأما الرفع بالابتداء أو النصب بتقدير فعل القسم أو الجر بتقدير
حرفه فلا مساغ لشيء منها لما أن ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للإقسام عليه فإن الاسم الجليل مبتدأ
وما بعده إما خبره والجملة مستأنفة أي هو المستحق للمعبودية لا غير وقوله عز وجل الحي القيوم خبر آخر أو
لمبتدأ محذوف أي هو الحي القيوم لا غيره أو صفة له أو بدل منه أو من الخبر الأول وهو الخبر والجملة
اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل أو حال منه وأيا ما كان فهو كالدليل على اختصاص
استحقاق المعبودية به سبحانه لما مر من أن معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى
القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص
استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اسم الله الأعظم في ثلاث سور في سورة البقرة الله لا إله إلا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا إله إلا هو
الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي أن بني إسرائيل سألوا موسى عم عن اسم الله الأعظم فقال
الحي القيوم ويروى أن عيسى عم كان إذا أراد أن يحيي الموتى يدعو بيا حي يا قيوم ويقال إن آصف بن برخيا
حين أتى بعرش بلقيس إلى سليمان دعا بذلك وفيه رد على النصارى الزاعمين أن عيسى عم كان ربا فإنه
روي أن وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم أربعة عشر رجلا
من أشرافهم ثلاثة منهم أكابر إليهم يؤول أمرهم أحدهم أميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح
وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الأيهم وثالثهم حبرهم وأسقفهم وصاحب مدراسهم أبو حارثة بن
علقمة أحد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه وأكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في
دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران ركب أبو حارثة بغلته وكان أخوه كرز بن علقمة إلى جنبه فبينا
بغلة أبي حارثة تسير إذ عثرت فقال كرز تعس الأبعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو
حارثة بل تعست أمك فقال كرز ولم يا أخي قال إنه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك
وأنت تعلم هذا قال لأن هؤلاء الملوك أعطونا أموالا كثيرة وأكرمونا فلو آمنا به لأخذوا منا كلها فوقع
ذلك في قلب كرز وأضمره إلى أن أسلم فكان يحدث بذلك فأتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى
الله عم بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فاخرة يقول بعض من رآهم من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عم دعوهم
فصلوا إلى المشرق ثم تكلم أولئك الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لأنه كان
يحيي الموتى ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة أخرى
هو ابن الله إذ لم يكن له أب يعلم وتارة أخرى إنه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا
لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا قالوا أسلمنا قبلك قال عليه السلام كذبتم
يمنعكم من الإسلام دعاؤكم لله ولدا قالوا إن لم يكن ولدا لله فمن أبوه فقال عليه الصلاة والسلام ألستم تعلمون
أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه فقالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه
الفناء قالوا بلى قال صلى الله عم ألستم تعلمون أن ربنا قيوم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عم
فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام ألستم تعلمون أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء في
الأرض ولا في السماء قالوا بلى قال عم فهل يعلم عيسى من ذلك إلا ما علم قالوا لا قال عم ألستم تعلمون أن
ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وأن ربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عم ألستم تعلمون أن

عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب
الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأبوا الا جحودا فانزل الله عز وجل
من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق
الذي فيه يمترون **نزل عليك الكتاب** اي القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد
في حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمي التوراة
والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر آخر من الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض
او حال وقوله عز وجل الحي القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب
فالظاهر ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده **بالحق**
حال من الفاعل والمفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل في احكامه او بالصدق
في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد وبليه وفي وعده ووعيده او بما يحقق انه من الله تعالى من الحجج البينة
مصدقا حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير جعله حالا
من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقيل
قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه حال يتحمل ضميرا لقيامه
مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي مؤكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل
الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما
لما بين يديه مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد اي مصدقا لما قبله من
الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها بين الناس وتصديقه اياها في الدعوة
الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشأنه الجليل والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبياء
والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت المذكور فيها وكذا في الشرائع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار
ظاهر لا ريب فيه واما في الشرائع المختلفة باختلافها من حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما تقتضيه
الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللائقة بشأنهم **وانزل التوراة
والانجيل** تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شأن ما يصدقه
رفعة ونباهة ويزداد في القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع
ما يذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر المنزل
عليه في الكتابين لانه لا يتعلق بذلك غرض وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني سرياني وبعضده القراءة بفتح
همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف **من قبل**
متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان **هدى للناس**
في حيز النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هادين
لهم والافراد لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد
هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو مجموع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان
اريد هدايتهما على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرائع المنسوخة
من الامور التي يصدقهما القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة
وانزل الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب
الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في
قوله عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف
خاص لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي
كما في قوله سبحانه ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ
واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد والزاجرة عن

عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تأخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الاحكام
والشرائع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القرآن نفسه فذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما
لشأنه ورفعا لمكانه وفيه تعريض بمن لا يؤمن به من اهل الكتابين واما ما قيل من ان الله تعالى انزل الكتب في السماء الدنيا
اريد بالانزال ايضا قبل ما انزل او ما ذكر لعل ما ذكر من الزبور المقرونة بانزال الكتب المذكورة
الفارقة بين الحق والباطل **ان الذين كفروا بآيات الله** وضع موضع الضمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة
او منها ومن المعجزات الآيات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتأكيدا لاستحقاقهم
العذاب الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض
منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه
دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من آيات الله الناطقة بالحق الاسيما بتوحيده تعالى وتنزيهه
عما لا يليق بشأنه الجليل كلا او بعضا مع ما بهما من العيوب الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقرآن اصالة
وبسائر الكتب الالهية تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا بآياتها
الناطقة بالتوحيد والتنزيه وآياتها المبشرة بنزول القرآن وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وغيروها **لهم**
بسبب كفرهم بها **عذاب** مرتفع اما على الفاعلية من الجار والمجرور واما على الابتداء والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم
اي عذاب **شديد** لا يقادر قدره وهو وعيد جيء به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي والاشارة
الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا عن الكفر والعصيان **والله عزيز** لا
يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ذو انتقام** عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهي
السطوة والتسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد
له **ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء** استئناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته
بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته
وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من
بلوغ رتبة الصفات الالهية وعبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى
على الله من شيء في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه تعالى بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية
ليس من شأنه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو
في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع
صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا
في السماء اعم من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما عبر بهما
عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشأن احوال اهلها وتوسيط حرف
النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت
بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل **هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء** جملة مستأنفة ناطقة ببعض
احكام قيوميته تعالى وجريان احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة مقررة
لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصور المختلفة
المترتبة على التصوير المترتب على المشيئة قبل تحققها بمراتب وكلمة في متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع
حالا من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة في محل النصب على
الحالية اما من فاعل يصوركم كما بنى على مشيئته تعالى اي مريدا او من مفعوله اي يصوركم كائنين على مشيئته
تعالى تابعين لها في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة
وفي الاتصاف بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه من
الدلالة على بطلان زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة ابناء النواسيت المتقلبين في هذه الاطوار على مشيئة
الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم
لنفسه وعبادته **لا اله الا هو** اذ لا يتصف بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم

الوهية العزيز الحكيم المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع هو الذي انزل عليك
الكتاب شروع في ابطال شبههم اثر تشبثهم بما نطق به القرآن في نعت عيسى عم بطريق الاستيناف اثر بيان
اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا
لمشيئته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه
قال عم بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع
مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد
عن الدلالة على قيد التدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من
الاعتناء ببيان بشارته عم بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان النفس عند تاخر ما حقه
التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها
فضل تمكن وليتصل به تقسيمه منه آيات الظرف خبر وآيات مبتدأ او بالعكس بتاويل مر تحقيقه في قوله
تعالى ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة المعنى اذ
المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب فتذكر والجملة مستانفة او
في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل الكتاب كائنا على هذه الحال اي منقسما الى محكم
ومتشابه او الظرف هو الحال وحده وآيات مرتفع به على الفاعلية محكمات صفة آيات اي قطعية
الدلالة على المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اي اصل فيه يعمد
برد ايها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدي
الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستانفة وانما افرد الام مع
تعدد الآيات لما ان المراد بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تعالى
وجعلناها وابنها آية للعالمين وقيل اكتفي بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر

• بها جيف الحسرى فاما عظامها • فبيض واما جلدها فصليب •

اي واما جلودها واخر نعت لمحذوف معطوف على آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف
لانه وصف معدول عن الآخر او من آخر من متشابهات صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي
محتملات لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتامل
الانيق فالتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول
وقيل لما كان من شان الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها
وان لم يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على
كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد
في تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح في
استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات
من اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من
اعتراء الخلل ومن النسخ او بدئت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم
البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة
المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فاما الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب
الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد
واصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من
الكتاب وبتاويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة اي طلب ان يفتنوا
الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تاويله اي وطلب
ان يأولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما
يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه

المتشابه لابتغاء تاويله والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين
ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تاويله دون نفس تاويله
وتجريد التاويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شيء وان ما يبتغونه ليس بتاويل
اصلا لا انه تاويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله عز وعلا
بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة
ظاهره ولم يدل على ما هو المراد به يقولون آمنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب
والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله
تعالى كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من
متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيقته على مراده تعالى وما يذكر حق التذكر الا
اولوا الالباب اي العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا
للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تاويله من تجرد العقل عن
غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها
الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع
المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه
عنه وقيل معناه لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اي الى الحق والتاويل الصحيح او الى الايمان
بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرفية واذ في محل الجر باضافته اليه خارج عن الظرفية اي بعد وقت هدايتك
ايانا وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق
الثاني بمحذوف هو حال من المفعول اي كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف
بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون فضلة
وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان كما في قوله • تنتفض الرعدة في ظهري •
من لدن الظهر الى العصر • ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان
وصلتها كما في قوله • ولم تقطع اصلا من لدن ان وليتنا • قرابة ذي رحم ولا حق مسلم • اي لدن
ولايتك ايانا • وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله • تذكر نعماه لدن انت يافع • والى الجملة
الفعلية كما في قوله • لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم • فلا يك منكم للخلاف جنوح • وفيها
يحذف نونها كما في البيتين الاخيرين رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على
الحق وتاخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع فاذا ورد لها تمكن عندها
فضل تمكن انك انت الوهاب تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول وانت اما مبتدأ او فصل او تاكيد لاسم ان واطلاق
الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على ان الهدى والضلال من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على
عباده من غير ان يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم اي لحساب يوم او لجزاء يوم حذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء
ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار ما هم عليه
من كمال الطمأنينة وقوة اليقين باحوال الآخرة ان الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء
الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم
المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سيأتي والميعاد
الالوهية منافية للاخلاف وقد جوز ان تكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد
مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل منفصلة كما هو
مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به

وشرح شان القران العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به وشرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس
الكفرة الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من قريظة والنضير او مشركوا العرب **لن تغني عنهم**
اى لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين **اموالهم** التي يبذلونها
في جلب المنافع ودفع المضار **ولا اولادهم** الذين يتناصرون في الامور المهمة عليهم يعولون في الخطوب الملمة وتاخير
الاولاد عن الاموال مع توسط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب او لان الاموال اول عدة
يفزع اليها عند نزول الخطوب **من الله** من عذابه تعالى **شيئا** اى شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل
والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا اى بدل الحق ومنه قوله
ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده بدلك اى بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته مما لا
يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب لما بعده من
قوله تعالى **واولئك هم وقود النار** ومن قوله تعالى فاخذهم الله اى اولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها
الذي تسعر به فان اريد بيان حالهم عند التسعر فايثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان
بان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه
من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستانفة
مقررة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم واولادهم
لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر اى اهل وقودها **كداب آل فرعون**
الداب مصدر داب في العمل اذا كدح فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف
الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اى لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك
او توقد بهم النار كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الداب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض
لعدم الاغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو راى الجمهور ولا لايقاد النار فيحمل على التعليل وهو
خلاف الظاهر على انه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى
واولئك هم وقود النار الا ان يجعل استينافا لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اى داب هؤلاء
في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كداب آل فرعون **والذين من قبلهم** اى من قبل آل فرعون من
الامم الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى **كذبوا باياتنا** بيان وتفسير لدابهم الذي
فعلوا على طريقة الاستيناف المبني على السؤال كانه قيل كيف كان دابهم فقيل كذبوا باياتنا وقوله تعالى **فاخذهم**
الله تفسير لدابهم الذي فعل بهم اى فاخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من باس الله تعالى محيصا فداب هؤلاء
الكفرة ايضا كدابهم وقيل كذبوا الخ حال من آل فرعون والذين من قبلهم على اضمار قد اى داب هؤلاء كداب
اولئك وقد كذبوا الخ واما جعله خبرا عن الموصول كما قيل فبمعزل من حسن النظم الكريم والالتفات
الى التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة **بذنوبهم**
ان اريد بها تكذيبهم بالايات فالباء للسببية جيء بها تاكيدا لما يفيده الفاء من سببية ما قبلها لما بعدها
وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخرى اى فاخذهم ملتبسين بذنوبهم
غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع وسمي به الجريمة
لانه يتلو اى يتبع عقابها فاعلها **والله شديد العقاب** تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له
قل للذين كفروا المراد بهم اليهود لما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود اهل المدينة لما شاهدوا غلبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به موسى وفي التورية نعته
وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة له اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا
امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل

بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت اى قل لهم **ستغلبون** البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة
واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل
من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة وانه قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله
غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد فيؤدي الى انقطاع الاية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر **وتحشرون**
اى في الاخرة **الى جهنم** وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكي لهم ما اخبره الله تعالى به من وعيدهم
بعبارته كانه قيل اد اليهم هذا القول **وبئس المهاد** اما من تمام ما يقال لهم او استيناف لتهويل جهنم وتفظيع
حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اى وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم **قد كان لكم** جواب قسم
محذوف وهو من تمام القول المامور به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا
والظرف خبر كان على انها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك التانيث كما في قوله

ان امرأ غره منكن واحدة ۝ بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور ۝

على ان التانيث هنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من
الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى والله قد كان لكم ايها المغرورون بعددهم وعددهم **آية** عظيمة دالة
على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون **في فئتين** اى جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة
بعزتها وقد لقيها ما لقيها فيصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لاية وقيل النصب على خبرية كان والظرف
الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من اية **التقتا** في حيز الجر على انه صفة فئتين اى تلاقتا بالقتال يوم بدر
فئة بالرفع خبر مبتدا محذوف اى احداهما فئة كما في قوله ۝ اذا مت كان الناس حزبين شامت ۝
واخر مثن بالذي كنت اصنع ۝ اى احدهما شامت واخر مثن وقوله

حتى اذا ما استقل النجم في غلس ۝ وغودر البقل ملوي ومحصود ۝

والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما في الفئتين من الاية وقوله تعالى **تقاتل في سبيل الله** في
محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا
لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق الاية وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تاويل
الفئة بالقوم او الفريق **واخرى** نعت لمبتدا محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اى وفئة اخرى
وانما نكرت والقياس تعريفها لقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة الى التعريف
وقوله تعالى **كافرة** خبر المبتدا المحذوف وانما لم يوصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا
لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل كل من فئة
بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف اى عائد الى المبدل منه مسوغ لوصف
البدل بالجملة العارية عن ضميره اى فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما
مبتدا وما بعده خبره اى فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدا محذوف الخبر اى
منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد عرفت انه لا بد من
ضمير عائد الى المبدل منه وسمي بدل التفصيل كما في قول كثير عزة ۝ وكنت كذي رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلت ۝ وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح والذم او على الحالية من ضمير التقتا
كانه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر
وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا **يرونهم** اى يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة
الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من احاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة
للفئة الاخيرة او مستانفة مبينة لكيفية الاية **مثليهم** اى مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا
قريبا من الف تسعمائة وخمسين مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل
وكان فيهم من الخيل والابل مائة فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي
الفرات عن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر

قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المرئيين اى ستمائة ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلث مائة
وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون من الانصار رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين كان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين على بن ابى طالب رضى الله عنه وصاحب
راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجى رضى الله عنه وكان فى العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد
بن عمرو والآخر لمرثد بن ابى مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر
ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضى الله عنهم اراهم عز وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن
قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان
قللهم فى اعينهم حين تراءتا ليجترئوا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين ينجيهم الهرب وقيل يرى الفئة الاولى
الفئة الآخرة مثلى انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود فى قوله تعالى ان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين بل قد
وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا فانه روى ان ابن مسعود رضى الله عنه قال قد نظرنا الى المشركين
فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فرايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا فى اعينهم
حتى رايناهم عددا يسيرا اقل من انفسنا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى اعيننا يوم بدر حتى قلت
لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا له كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين
المشركين اقل من عددهم فى نفس الامر كما فى سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من انفسهم احق بالذكر
فى كونها آية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة آثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة بارادتهم القليل كثيرا
والضعيف قويا والقاء الرعب فى قلوبهم بسبب ذلك ادخل فى كونها آية لهم وحجة عليهم واقرب الى اعتراف
المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول
فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا له وابعدهما مفعولا سواء جعلت الجملة صفة او مستأنفة ولحسن
هذا ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغى جعل الخطاب لمشركى مكة كما قيل اما ان جعل
الموعد عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر لقوله تعالى ستغلبون الآية لا مسرة به واما ان جعل
عبارة عن هزيمة اخرى فان الفئة التى شاهدت تلك الآية الهائلة هم المخاطبون حينئذ فالتصدى
عنهم بغيبة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة الى المخاطبين ادخل فى
الزام الحجة وادخل فى التبكيت مما لا داعى اليه وبهذا يتبين حال جعل الخطاب الثانى للمؤمنين واما قراءة
ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الثانى الى المشركين لكنه ليس بنص فى ذلك لانه
وان لم يقع به التحدى الا بعد الاخبار الاول باق بحاله فلعله نزل رؤية المشركين منزلة رؤية اليهود لما بينهم
من الاتحاد فى الكفر والاتفاق فى الكلمة لاسيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق
فاسندت الرؤية اليهم مبالغة فى البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع
الكفرة ولا ريب فى صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم على البناء للمفعول من الاراءة اى يريهم او يريكم
الله تعالى كذلك رأى العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كان الرؤية بصرية او مصدر تشبيهى ان
كانت قلبية اى رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اى يقوى بنصره من يشاء اى
يؤيده من غير توسط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة فى سبيله بما ذكر من النصر وهو من تمام
القول المأمور به ان فى ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة لغلبة العدد القليل
على الكثير اى الغلبة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل لعبرة العبرة
فعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور اى
لعبرة عظيمة كائنة لاولى الابصار لذوى العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو اما من تمام الكلام
الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته عليه السلام
زين للناس كلام مستأنف مسوق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس
فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد

بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد بها هنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات مبالغة
فى كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات او ايذانا بانهماكهم فى حبها بحيث احبوا شهواتها كما فى قوله تعالى
انى احببت حب الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهائم والمزين هو البارى سبحانه وتعالى
اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعى والحكمة فى ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها
لنبلوهم الآية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة
الى بقاء النوع وايثار صيغة المبنى للمفعول لجريه على سنن الكبرياء وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان
لما ان مساق الآية الكريمة على ذمها وفرق الجبائى بين المباحات واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرمات فنسب
تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين فى محل النصب على انه حال من الشهوات وهى مفسرة لها فى المعنى وقيل
من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن فى معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض
للبنات لعدم الاطراد فى حبهن والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل
ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا
مثقال وقيل الف دينار وقيل مائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النفس واختلف فى
ان وزنه فعلال او فنعال ولفظ المقنطرة مأخوذ منه للتأكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة
المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها على بعض او المدفونة وقيل المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير
او حال والخيل عطف على القناطير قيل هى جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس وقيل واحده
خائل وهو مشتق من الخيلاء المسومة اى المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها
اذا ارسلها وسيبها للرعى او المطهمة التامة الخلق والانعام اى الابل والبقر والغنم والحرث اى الزرع
مصدر بمعنى المفعول ذلك اى ما ذكر من الاشياء المعهودة متاع الحيوة الدنيا اى ما يتمتع به فى الحيوة الدنيا
اياما قلائل فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدد عاقبة
حميدة وفى تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدأ واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة تأكيد وتفخيم ومزيد
اعتناء بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد فى ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية
قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين شأن مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا
امر النبى صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة فى الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اى اخبركم
بما هو خير مما فصل من تلك المستلذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شأنه والتشويق الى الله تعالى للذين اتقوا
عند ربهم جنات استئناف يبين ذلك الخير على ان جنات مبتدأ والجار خبره او على ان جنات مرتفع به
على الفاعلية عند من لا يشترط فى ذلك اعتمادا والجار على ما فصل فى محله والمراد بالتقوى هو التبتل الى
الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الآتية وتعليق حصول الجنات وما بعدها من فنون
الكرامات به للترغيب فى تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من
معنى الاستقرار وعند لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير
المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة
ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والانباء بما هو خير لطائفة ربما
يوهم ان لمن سواهم خيرا آخر لا خير تجرى فى محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار
متعلق بتجرى فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر لجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض
والاشجار فهو باعتبار جزئها الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن فى للذين
والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وازواج مطهرة عطف على جنات اى مبرأة مما يستقذر من النساء من
الاحوال البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة
له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اى رضوان واى رضوان لا يقادر قدره كائن من الله عز وجل
وقرئ بضم الراء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا
ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا آمنا

في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين
الخ او النصب على المدح او الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد لكن ذلك والاول اظهر وقيل هنا في
والله بصير بالعباد جرح معترضة وتاكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط في
ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة
والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما
على تقدير كونه في محل النصب والجر فهو نعت له والمراد بالصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين
البأس والصادقين في اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات
والمنفقين اموالهم في سبيل الله تعالى والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين بالاسحار وعن
زيد بن اسلم هم الذين يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان
ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله
ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليلة حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار
وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروح اجمع سيما للمتهجدين
وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها
شهد الله بفتح الهمزة اي بانه او على انه لا اله الا هو اي بين وحدانيته بنصب الدلائل التكوينية
في الآفاق والانفس وانزال الآيات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا
بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل الجملة
اعتراضا وايقاع الفعل على قوله ان الدين الخ على قراءة ان بفتح الهمزة كما سياتي وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال
من المذكورين وعلى المدح بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وماله الرفع على المدح اي هم شهداء الله وهو اما
جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء في جمع شاعر والملائكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة
على معنى مجازي شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك واولو العلم اي آمنوا به واحتجوا
عليه بما ذكر من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار وقيل
علماء مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته تعالى بالدلائل
القاطعة وارتفاعهما على الفاعلية وقيل بالعطف على الضمير في شهد لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على
قراءة النصب على الحالية يؤدي الى تقييد حال المذكورين بشهادة الملائكة واولي العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه
ح كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه اي والملائكة واولو العلم شهداء بذلك ولك ان
تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا حتى العطف على المستتر على كل حال وقوله تعالى قائما بالقسط اي مقيما
للعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى
وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة ولعل تاخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود
التوحيد اعتناء بشانه ورفعا لمحله وهو اكثر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى
في الشهادة كما مر في قوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه والعامل فيها معنى الجملة
اي تفرد او حقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله قائما الخ والفصل بينهما من
قبيل التوسع ثم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة وحالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ
القائم بالقسط على البدل او انه هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه خبر لمبتدأ محذوف وقرئ
قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة
وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بقدرته على
العلم بحكمته تعالى ورفعهما على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد والخبرية لمبتدأ مضمر وقد روي
في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا
وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله

وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الآية الكريمة خررن سجدا
وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما
ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان فلما دخلا عليه
قال نعم عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال نعم قالا انت احمد قال نعم انا محمد واحمد
قالا فانا نسالك عن شيء فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم
شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله تعالى هذه الآية فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام
جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة
الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ ان
الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين الخ على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما
يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف
ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته في غاية القبح والسماجة وقوله عز وجل الا من بعد ما جاءهم العلم
استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات
الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة
والآيات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول
تلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اي حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة
وخفاء في الامر تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بآيات الله اي باياته الناطقة بما ذكر من ان الدين عند الله هو الاسلام
ولم يعمل بمقتضاها او باية آية كانت من آياته تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله
سريع الحساب قائم مقام جواب الشرط علة له اي ومن يكفر بآياته تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه
سريع الحساب اي ياتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة لتواطئها لاجل الرتبة كون كفرهم بعد
ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم فان حاجوك
اي في كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعدما اقمت عليهم الحجج فقل اسلمت وجهي اي اخلصت
نفسي وقلبي وجملتي لله وعبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم
ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء لله لا اشرك به فيها غيره وهو الدين
القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل عليهم السلام ومن اتبعن عطف على المتصل
في اسلمت وحسن للفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعني او مفعول معه
وقل للذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية التقابل بين وصفي
المتعاطفين والاميين اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ااسلمتم متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه
قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما
يقول من لخص لصاحبه المسألة لم يبق من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهل فهمتها
فقوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم
وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى فان اسلموا كما
اسلمتم واتبعوا دينكم فقد اهتدوا كما في قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا اسم الاسلام على حقيقة
اخرى بالكلية اي فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى وان تولوا اي اعرضوا
عن الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب اي لم يضروك شيئا اذ ما عليك
الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روي انه صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه الآية على
اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا
معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى

عبيد وذلك قوله عز وجل وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله اي آية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذي مر تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولهم الانبيا عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله حائمين حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصمه الله سبحانه وتعالى من ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرى بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس اي بالعدل ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرى ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم خبران والفا لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتدا بل تزيده تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما في قوله

فوالله ما فارقتكم عن ملالة ولكن ما يقضى فسوف يكون

وانما يتغير معنى الابتدا في النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفا عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كما في قولك ان [illegible] فاخذ رعد ومبين وعلى الاول هو استيناف واسم الاشارة مبتدا وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة الحال والموصول بما في حيز صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون بسوء الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من باس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابلته لا لنفي تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريب حينئذ بكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوا منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار في مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة اليه والجملة استيناف مبني على سوال نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال صلى الله عليه وسلم على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم عليه السلام كان يهوديا قال عليه السلام لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرى ليحكم على بنا المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الآخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على

على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار ربا قراف الذنوب وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عم ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل لما سيحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شيء واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل كدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله آمنا بخير اي اقصد به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل ودخول تاء القسم عقبه وهمزته مالك الملك اي مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيفما تشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية توتي الملك بيان لبعض وجوه التصرف الذي يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اي ايتاءه اياه وتنزع الملك ممن تشاء اي نزعه منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكيته حقيقية والآخران مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والآخران بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى آخرين وتعز من تشاء ان تعزه في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشاء ان تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك الخير كله لا بقدرة احد من غيرك تتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما تقتضيه مشيتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات واما الشر فمقضي بالعرض اذ ما من شر جزئي الا وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عم واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل عم ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت انك على كل شيء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل اي تدخل احدهما في الآخر بالتعقيب او بالنقص والزيادة في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من الميت اي تنشئ الحيوانات من موادها ومن النطفة وقيل تخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال ابو العباس المقري ورد لفظ الحساب في القرآن على ثلثة اوجه بمعنى التعب

ويرزق من يشاء بغير حساب وبمعنى العد قال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قوله
تعالى فامنن او امسك بغير حساب والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يرزق او من مفعوله وفيه دلالة
على ان من قدر على امثال هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك
من العجم ويذلهم ويوليه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي رضي الله عنه انه قال قال صلى الله عليه وسلم ان
فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك
قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه واسكنته في
حظيرة القدس ونظرت اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو
وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني
جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم
وهو معنى قوله عم كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة
جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي و
عدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن
الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي متجاوزين المؤمنين
اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن
يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله
اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتضادين مما لا يكاد يدخل تحت
الوقوع قال — تود عدوي ثم تزعم انني * صديقك ليس النوك عنك بعازب * والجملة
اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل
فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا وباطنا في حال من الاحوال الا حال اتقائكم
منهم اي من جهتهم تقاة اي اتقاء او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار
الموالاة مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما في الضمير كما
قال عيسى عم كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء
الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات
عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتأخرين بعدم الجواز وان
اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان بان له عقابا هائلا
لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان
تخفوا ما في صدوركم من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم
بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما تسرون وما تعلنون ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستأنف
غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تأكيدا وتقريرا والله على كل شيء قدير
فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية
المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة
عن سائر الذوات المتصفة بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة
الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد كل نفس اي من النفوس
المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء
عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات
وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد
صحائف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية

لغاية هوله وفي اسناد الوداد الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت متمحضة في الخير من الدلالة على
كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب
يوم على المفعولية باضمار اذكر وتود اما حال من كل نفس او استيناف مبني على السؤال اي اذكر واي يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا وكان سائلا قال حينئذ فما تصنع
في ذلك اليوم فما ذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها الخ او تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر
ما عملت من سوء ولا يكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت فح يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع
معنى لانه حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن
لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم
ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرهموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة
الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة
على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي
ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله
وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرض عنكم ويغفر
لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه
عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه
باتباع نبيه عم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار
باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل
نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم
يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لقولهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا عليها بيض
النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة
ابراهيم واسماعيل عم فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى
لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي
اتبعوا شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول اي في
جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا وايثار الاظهار
على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة والاشعار بعلتها فان الاطاعة المأمور عة
بها اطاعته عم من حيث انه رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة
ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهو صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اي تتولوا
واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي الغائب وفي ترك ذكر احتمال الاطاعة
كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية
عن بغضه لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم
الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن
الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم
وآل عمران على العالمين لما بين ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف
اهل الكتاب فيه انما هو للبغي والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول
وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فبدأ ببيان جلالة اقدار الرسل
عليهم الصلاة والسلام كافة واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته الناس الى التوحيد

والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتاب بين في شانهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في
ابرهيم عليه السلام وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم
نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة
الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق
لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل
بين ان الطاعة له حبا سبب في تفضيله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة
وكذا حال نوح عم فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابرهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة
النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر في التنبيه على
كونه عم عريقا في النبوة من زمرة المصطفين الاجياد واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابرهيم فلاظهار
مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عم لكمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب
ادل على تحققه في الآل وهو الداعي الى اضافة الآل الى ابرهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء
اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء ومثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات
الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلام او في نبي
بلا ابيه وبينا منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عم بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد
الملائكة اياه واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج
المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على
متن الماء والمراد بآل ابرهيم اسمعيل واسحق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم
واما اصطفاء نفسه عم فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال
شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله
ربنا وابعث فيهم رسولا منهم لا ابيه ولذلك قال عم انا دعوة ابي ابرهيم وبآل عمران عيسى وامه مريم بنت
عمران بن الهاذار بن ربابيل بن سالبال بن يوحنا بن اوشيا بن اموذ بن ميشك بن حازقا بن
احاد بن يوتام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود
عليهما السلام بن ايشا بن عويد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عمياد بن رام بن حضروم بن
فارض بن يهودا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر بن
قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فيكون اصطفاء عيسى عم
بتبعية مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابرهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا
والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب
على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى
بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة
البعض من البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على
الوجه الاول تقريبية وعلى الثاني برهانية والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية
فيصطفي من بينهم لخدمته من نظر استقامته قولا وفعلا ونحو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته
والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرأة عمران في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر
على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر مرارا
وجه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية
بما قبله اي سميع لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى
المذكور كما قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات
على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقود جدة
عيسى عم وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته ليس

ولبس بذلك فان قصة كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانهما ان وجد عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا
وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله عم في شان يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا
خالة فقيل تاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة
وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت له
ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب في شريعتهم فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب
وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة
اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك
عمران وهي حامل وح نقولها رب اني نذرت لك ما في بطني لا بد من حمله على التكرير لتاكيد نذره ها
واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب
مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع
الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتاكيد الجملة لابراز وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور
لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء محررا اي معتقا لخدمة
بيت المقدس لا يشغله شان آخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت
وقيل من ضميره في الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولا يخفى ان المراد تقييد
نعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار في بطنها فتقبل مني اي ما
نذرته والتقبل اخذ الشيء على وجه الرضى وهذا في الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون تحقق
المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي
العليم بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه
تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نيتها و
اخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع
والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة عة
والابتهال فلما وضعتها اي ما في بطنها وتانيث الضمير العائد اليه لما ان المقام يستدعي ظهور انوثته
واعتباره في جزء الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها انثى لا على
وضع ولد ما كما قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تانيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم الله تعالى
او لانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في جزء الشرط لا يكون مدارا
لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى حال موكدة من الضمير او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها
من خيبة الرجاء او لما مر من التاويل بالحبلة او النسمة فان الحال وصفتها مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة
رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد للرد على
اعتقادها الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشانه وتجهيل
لها بقدره اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعله وابنه آية للعالمين
وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر
هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشان وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة المتكلم مع
الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى
حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها على معنى لعل لله تعالى فيه سرا
وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات حينئذ ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى
اعتراض آخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام في الذكر والانثى للعهد
اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة كالانثى
التي وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من جلائل الامور هذا على القراءتين

الاوليين واما على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى منها واما
على التفسير الاول لها فمعناه تاكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة
المتعبد ات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله وانى سميتها مريم عطف على انى وضعتها انثى وغرضها
من عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال
القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة
بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه وانى اعيذها بك عطف على انى سميتها وصيغة المضارع
للدلالة على الاستمرار اى اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع التى بعدها همزة مضمومة الا في
موضعين بعهدى اوف وآتونى افرغ وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية
به من الشيطان الرجيم اى المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد
الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود
بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اى اخذ مريم ورضى بها
في النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبول حسن قيل
الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اى تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر
للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع
بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة
الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشئ كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها
باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح
للسدانة روى ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم
في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عم في الكتب الالهية
فقال زكريا عم انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه
اقلامهم فطفا قلم زكريا عليه السلام ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اى فتقبلها
بذى قبول اى بامر ذى قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل واستقبلها
في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها نباتا حسنا مصدر
مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا
اى جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحى بل على ما ذكر من التفصيل
فان رغبته عم في كفالتها وطفو قلمه ورسو اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها بآثار قدرته
تعالى وقرئ كفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء ممدودا وقرئ
وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اى فاقبلها يا ربها وربها تربية
حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين للجهة التربية قيل بنى عم لها محرابا في المسجد اى غرفة يصعد اليها بسلم
وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى
المحاريب روى انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا
المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف
على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها
اى كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اى نوعا منه غير معتاد اذ كان
ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط
قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عم عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا مريم
انى لك هذا اى من اين يجئ لك هذا الذى لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل
على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عم واما جعله معجزة

لزكريا عم نبا بانه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب
علما بما نشأ عنه انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استيناف كما قبله كانه قيل فماذا صنعت
مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد
ان الله يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب اى بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو
تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستانف روى
ان فاطمة الزهراء رضي الله عنها اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها
اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله
ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عم الحمد لله الذى جعلك شبيهة سيدة بنى اسرائيل ثم جمع عليا
والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت على
جيرانها هنالك كلام مستانف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط
وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل
بعض الاقرباء ادلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب
اى في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثمة وحيث
للزمان دعا زكريا ربه لما راى كرامة مريم على الله ومنزلتها منه تعالى رغب في ان يكون له من ايشاع
ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك وقيل لما راى
الفواكه في غير اوانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر فاقبل على الدعاء من غير تاخير كما ينبئ عنه
تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان
جزء من العلة التامة التى من جملتها كبر سنه عم وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم
قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لى من لدنك كلا الجارين متعلق بهب
لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اى اعطنى من محض قدرتك من غير وسط معتاد
ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من ذرية اى كائنة من لدنك والذرية النسل
تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد فالتانيث في الصفة لتانيث لفظ الموصوف
كما في قول من قال ✻ ابوك خليفة ولدته اخرى ✻ وانت خليفة ذاك الكمال ✻ وهذا اذا
لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال
جاءت طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعاء اى مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة
فنادته الملائكة كان المنادى جبريل عم كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في قولهم
فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج اى اتاه النداء من هذا الجنس
الذين هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عم رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس لا بد له
من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية
من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلى اما صفة
لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثانى جملة كما في قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او حال اخرى
منه على القول بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله تعالى في المحراب اى في
المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلى او بقائم على تقدير كون يصلى حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي
الحال شئ واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبى كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اى
بان الله وقرئ بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار
ويبشرك من الثلاثى وايا ما كان فينبغى ان يكون هذا الكلام اه محكيا بعبارته من الله عز وجل على
منهاج قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية كما يلوح به مراجعته عم في
الجواب اليه تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في
سورة مريم للجرى على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكى

هناك من النداء والتبشير وما ترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه
لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا
فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه
وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف
يعود اليه الحال اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان **مصدقا** حال مقدرة من يحيى **بكلمة من الله**
اي بعيسى عم وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة
الله وروح منه وقال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم واني ايضا رضي الله عنهما
حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس
ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر وقيل بثلاث سنين وقيل رفع عيسى عم بعده بيسير وعلى كل
تقدير يكون بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم وهي بنت ثلاث عشرة سنة او بنت
عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي الجوهرة لقصيدته **وسيدا** عطف على مصدقا اي رئيسا
يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا الناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة
ما اسناها **وحصورا** عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روي انه مر في صباه
بصبيان يلعبون فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت **ونبيا** عطف على ما قبله مرتب على ما عدد من الخصال
الحميدة **من الصالحين** اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهورين بالصلاح
كما في قوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة
البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عم وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين **قال** استئناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حينئذ فقيل قال **رب** لم يخاطب الملك المنادي له مع
انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع
والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر
عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه في عامة الاحوال وان لم
يتوقف عليه في بعضها **انى يكون لي غلام** قيل لا لانه على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى
انا نبشرك بغلام اسمه يحيى واني بمعنى كيف او من اين وكان تامة واني واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على
الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق
اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تأخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما اني واللام متعلق
بمحذوف كما مر او هو الخبر واني منصوب على الظرفية **وقد بلغني الكبر** حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن
واثر في كقولهم ادركته السن واخذت منه السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت
طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل ثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل
ستون وقيل خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون [illegible] ولامراته ثمان وتسعون
وامرأتي عاقر وهي ايضا حال من [illegible] بالعفو كيف يكون
ذلك والحال اني وامراتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه
بقدرة الله تعالى عليه لا سيما بعد مشاهدته للشواهد السالفة استعظاما لقدرة الله سبحانه وتعجيبا
منه واعتدادا بنعمته عز وجل عليه في ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان ذلك الاستبعاد حيث كان
بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية
حدوثه **قال** استئنافا كما سلف **كذلك** اشارة الى مصدر يفعل في قوله عز وجل **الله يفعل ما يشاء** اي ما
يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل النصب على
انها في الاصل صفة لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع
الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من ذلك

المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المعرف اي يفعل الفعل كائنا
مثل ذلك او في محل الرفع على انها خبر والجملة تفسير اي على نحو هذا الشأن البديع شأن الله تعالى ويفعل
ما يشاء بيان لذلك الشأن المبهم او كذلك خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل
ما يشاء بيان له **قال رب اجعل لي آية** اي علامة تدلني على تحقق المسؤول ووقوع الحبل وانما سألها لان
العلوق امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها
بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر
ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما السلام ستة اشهر او ثلث سنين لان ظهور العلامة
كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا ان يكون
المجاوبة بين زكريا ومريم في حال الذكرها وقد عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب توافقها الجلي
والجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر ويجوز
ان يكون حالا من آية وقيل بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لي والتقديم لانه لا مسوغ لكونه
آية مبتدأ عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ
قال آيتك ان لا تكلم الناس اي ان لا تقدر على تكليمهم **ثلاثة ايام** اي متوالية لقوله تعالى في سورة
مريم ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت ايته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره
قضاء لحق النعمة كانه قيل آيته حصول المطلوب ووصول النعمة ان يحبس لسانك الا عن شكرها واحسن
الجواب ما اشتق من السؤال **الا رمزا** اي اشارة بيد او رأس او نحوهما واصله التحرك يقال رمز اي تحرك
ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او متصل على ان المراد
بالكلام ما فهم منه المراد ولا ريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم
وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله
متى ما تلقني فردين ترجف ° روانف اليتيك وتستطارا ° **واذكر ربك** اي ايام الحبسة شكرا لحصول
التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية **كثيرا** اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا **وسبح** اي
سبحه او افعل التسبيح **بالعشي** من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل **والابكار**
من طلوع الفجر الى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح الهمزة
على انه جمع بكر كسحر واسحار **واذ قالت الملائكة** شروع في شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الانتهاء
الى نبذ من فضائل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها حسبما اشير اليه
وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف
على المضمر السابق من عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران
منصوب بناصبه فتدبر اي واذكر ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام **يا مريم** وتكرير
التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام
السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم عم وهذه من باب التربية الروحانية
بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها وقيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عم
لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها **ان الله اصطفاك** اولا حيث تقبلك من
امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربّاك في حجر زكريا عم ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات
السنية **وطهرك** اي مما يستقذر من الاحوال والافعال ومما قذفك به اليهود بانطاق الطفل
واصطفاك آخرا **على نساء العالمين** بان وهب لك عيسى عم من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء و
جعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عم
لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون

الكل شيء واحد او قيل المراد بالاصطفاء بين واحد والتكرير للتأكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فلا اشكال في ترتيب النظم الكريم اذ يحمل في الاصطفاء على ما ذكر اولا ويحمل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عم ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا له وترغيبا في العمل بموجبه اقنتي لربك اي قومي في الصلوة او اطيلي القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللائق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع في صلوتهم ليسوا مصلين واما ما قيل من ان الواو لا يوجب الترتيب فانما يفيد التصحيح لا الترجيح وتعقيب بالركنين الاخرين عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما في قوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لما انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا ذلك اشارة الى ما حكي من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره من انباء الغيب اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى نوحيه اليك جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اي عند الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الاية وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والوقائع اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم فبقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم اقداحهم التي اقترعوا بها وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت لديهم اذ يختصمون اي في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره عم عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عم لاسيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له اذ قالت الملائكة شروع في قصة عيسى عم وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب وايذانا بتقارن الخطابين او تقاربهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان الممتد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف آخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عم بتفاصيل احوال مريم عم من اولها الى اخرها والقائل جبريل عم وايراد صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدا خبره المسيح وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر آخر وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منصوب باضمار اعني مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما به يتميز المسمى عمن سواه فالخبر مجموع الثلثة اذ هو المميز له عم تمييزا عن جميع من عداه والمسيح لقبه عم وهو من الالقاب

المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدي لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليهما السلام او مسح الارض ولم يقم في موضع او كان عم يمسح ذا العاهة فيبرأ وبانه كان في لونه عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب ولا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين وجيها في الدنيا والآخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة ومن المقربين اي من الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبته الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف عليه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال السالفة او من الضمير في يكلم قالت استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى يكون اي كيف يكون او من اين يكون لي ولد على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالزوج او بغيره ويكون اما تامة ما لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها اما لي واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر او خبر ولي نصب على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة قال استيناف كما سلف والقائل هو الله تعالى او جبريل عم كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق ههنا مكان يفعل هنالك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فان فكان الخلق المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل اذا قضى امرا من الامور اي اراد شيئا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك فانما يقول له كن فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة تاتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للآمر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمواد ويعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتورية والانجيل افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدا سيق تطييبا لقلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل اي كلهم وقيل ان بعضهم انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبى وقيل بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف عم وآخرهم عيسى عليهما السلام وقيل اولهم موسى وآخرهم عيسى عم اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق اي رسولا ناطقا باني الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلمه ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كون هذا في حكم التكلم لما عرفت من انه بمعنى النطق كانه قيل وناطقا باني الخ وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى باية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها

وكررها وقرئ بآيات او بحجة على انها للتعدد بينة ومن قوله تعالى من ربكم لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بجئت او صفة لآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم آية عظيمة كائنة منه
قوله تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال بما سياتي من الاوامر
وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار
عند سيبويه والفراء والجر على راي الخليل والكسائي وبدل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر اي اعني اني
الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هي اني اخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف اي ادعو ربكم
اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدرة اي اخلق لكم من الطين هيئة كهيئة
الطير فانفخ فيها فيكون طيرا حيا طيارا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار عم بذلك الى ان الاحياء
من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عم لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش
فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا
غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله قيل انما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على
القدرة لانه له ثدي واسنان وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان وتطير
بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد
طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى او الممسوح العين والابرص المبتلى
بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص هذين الدائين لانهما اعيا الاطباء
وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عم فاراهم الله تعالى المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه عم الوف
من المرضى من طاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عم وما يداويه الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله
كرره دفعا لما عسى يتوهم فيه من الالوهية قال الكلبي كان عم يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيى عازر
وكان صديقا له نعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله
وبقي وولد له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت
فلعلهم لم يموتوا بل اصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فانطلقوا فقام على قبره فدعا الله
عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عم كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني
سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع
قال يا روح الله انه لم تذهب مرارته من حنجرتي وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة آلاف سنة وقال للقوم
صدقوه فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان
خبئ لك كذا وذلك قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم
التي لا تشكون فيها وقرئ تدخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام
لآية عظيمة وقرئ لآيات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط
محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اي انتفعتم بها او ان كنتم ممن يتاتى منهم الايمان دلتكم
على صحة رسالتي والايمان بها ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على المضمر الذي يتعلق به قوله
تعالى بآية اي قد جئتكم ملتبسا بآية الخ ومصدقا لما بين الخ او على رسولا على الوجه الثلاث فان مصدقا
فيه معنى النطق كما في رسولا اي ويجعله مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم
الخ ومصدقا الخ او حال كونه مصدقا باني اصدق الخ او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم
مصدقا الخ وقوله من التورية اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضمير المستتر في الظرف الواقع
صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لنيابته مقام الفعل ولاحل لكم معمول لمقدر دل
عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاطلب رضاه
كانه قيل قد جئتكم لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف على بآية اي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم بعض الذي
حرم عليكم اي في شريعة موسى عم من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت احل لهم من

من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي
او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم هذا يدل على ان شرعه كان ناسخا لبعض احكام التورية ولا
يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وتاخير المفعول من
الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى المؤخر وجئتكم بآية
من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون
فيما آمركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هي قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم فانه الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية بينة على انه عم من جملتهم وقرئ
ان الله بالفتح بدلا من آية او قد جئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون
اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم بآية بعد آية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه
والابرص والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد
الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات
الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح
ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش الخ ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول
المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد
وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه يلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر
والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره
قوله عم قل آمنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع في بيان مآل احواله عم اثر ما
اشير الى طرف منه بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة وخروجه
من القوة الى الفعل حسبما شرح مثله في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم
يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم نفيه
احواله عم في سلك النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم مناسبتها لمقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عم
للشدائد ومعاناته لما يكابد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم
عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عم كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل في امثال
هذه المواقع عندما يكون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها
يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديمها على
والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الكفر قال المخلص من اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم للحواريين
الآية وقوله تعالى فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة لما بعض في توجيه الخطاب الى الكل
بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم من انصاري الانصار جمع نصير كالاشراف جمع شريف الى الله متعلق
بمحذوف وقع حالا من الياء اي من انصاري متوجها الى الله ملتجئا اليه او بانصاري متضمنا معنى الاضافة
كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل
الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا
قالوا في جوابه عم فقيل قال الحواريون جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عم لخلوص
نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك
ان واحدا من الملوك صنع طعاما فجمع الناس عليه وكان عيسى عم على قصعة لا يزال ياكل منها ولا تنقص
فذكروا ذلك للملك فاستدعاه عم فقال له من انت قال عيسى ابن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك
هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب

فمرّ بهم عيسى عم فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية
قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجزة وكان شمعون قد رمى بشبكته تلك الليلة
فما اصطاد شيئا فامر عيسى عم بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة من السمك ما كادت
تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك آمنوا بعيسى عم وقيل كانوا اثني
عشر رجلا آمنوا به عم واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج لكل
واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا من افضل
منا قال عم افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين
وقيل ان امه سلمته الى الصباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له ههنا ثياب مختلفة
فقد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل عم كلها في جب واحد وقال
كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل
يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه
الحاضرون وآمنوا به عم وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر
من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين
لانهم كانوا انصار عيسى عم واعوانه المخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله
آمنا بالله استيناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى يوجب النصرة لدينه والذب عن اوليائه
والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا
منه عم الشهادة بذلك يوم القيمة يوم تشهد الرسل لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية ربنا
آمنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول مبالغة في
اظهار امرهم واتبعنا الرسول اي في كل ما يأتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا
اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون
لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عم فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا ومكروا
اي الذين علم عيسى عم كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عليه
والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن
اسناده اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عم
امره جبريل عم ان يدخل بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل عم من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل
خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في
البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عم جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان
يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما
تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه
شبه عيسى عم ورفعه الى السماء فاخذ المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه
ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى عم وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان عيسى عم فاين صاحبنا وان كان
صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عم ومعها امرأة ابرأها الله تعالى
من الجنون بدعاء عيسى عم وجعلتا يبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عم فجاءهما فقال علام تبكيان
قالتا عليك فقال ان الله رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود
عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عم ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته
فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم
وسألهم عن عيسى عم فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم
غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا كثيرا ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك آخر فقال له

له طيطيوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عم بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس
حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عم ولها
ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اورى شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على
ارض بابل واوحى الله تعالى اليه على راس ثلاثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان
وهو ابن ثلث وثلاثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم
كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة
والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك
اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك
نائما اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن او مميتك من
الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهب
النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار
الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عم اجتمع الحواريون
وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبرهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة
آلاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد
منهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه والقي عليه شبه عيسى فخرج
على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عم فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم
والمشرب وذلك قوله تعالى اني متوفيك فطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلث فرق
فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم
رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه
وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله
محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا اي من سوء جوارهم
وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل
الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوا عليه من النصارى فوق
الذين كفروا وهم الذين مكروا به عم ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة
والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد
وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عم
الى يوم القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية تنتهي حينئذ
ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم
ما يريد ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي [illegible]
[illegible] في ضمن الالتفات فانه
ابلغ في [illegible] فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين
متعلق بتختلفون [illegible] فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم
الواقع بين الفريقين وتفصيل للكيفية والبداءة ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما
هم عليه من الكفر والعناد [illegible] في الدنيا والآخرة [illegible]
[illegible]
[illegible] وما لهم من ناصرين [illegible]
[illegible]
[illegible]
لهم كاللفظ ضمير الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين آمنوا [illegible] وعملوا الصالحات كما هو

ديناً المؤمنين فيوفيهم أجورهم أي يعطيهم إياها كاملة ولعل الالتفات إلى الغيبة للإيذان بما بين مصدري التعذيب
والإثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جرياً على سنن العظمة والكبرياء والله لا
يحب الظالمين أي يبغضهم فإن هذه الكناية فاشية في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وإيراد الظلم للإشعار
بأن الكفر والإيمان والجحد تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ذلك إشارة إلى ما سلف من نبأ عيسى عم وما
فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأن المشار إليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الأمر ونباهة
الشأن بمنزلة المشاهد وهو مبتدأ وقوله عز وجل نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله
تعالى من الآيات حال من الضمير المنصوب أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وما بينهما حال من اسم الإشارة أو ذلك
خبر لمبتدأ مضمر أي الأمر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال إما للاستحضار الصورة أو على معنى
أن التلاوة لم تتم بعد والذكر الحكيم أي المشتمل على الحكم أو المحكم الممنوع من تطرق الخلل إليه والمراد به
القرآن فمن تبعيضية أو بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية إن مثل عيسى
أي شأنه البديع المنتظم لغرابته في سلك الأمثال عند الله أي في تقديره وحكمه كمثل آدم كحاله العجيبة التي لا
يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما أبهم في المثل وتفصيل لما أجمل فيه وتوضيح
للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبهة الخصوم فإن إنكار خلق عيسى عم بلا أب ممن اعترف
بخلق آدم عليه السلام بغير أب وأم مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن أي أنشأه بشراً
كما في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر أو قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم لتراخي الأخبار لا لتراخي المخبر به
فيكون حكاية حال ماضية روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما
أقول قالوا تقول إنه عبد قال أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا
هل رأيت إنساناً من غير أب فحيث سلمت أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله فقال عليه السلام إن
آدم عم ما كان له أب ولا أم ولم يلزم من ذلك كونه ابناً لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عم الحق من ربك
خبر مبتدأ محذوف أي هو الحق أي ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عم وأمه والظرف إما حال أي كائناً من ربك
أو خبر ثان أي كائن منه تعالى وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره أي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع
الإضافة إلى ضمير المخاطب لتشريفه عم والإيذان بأن تنزيل هذه الآيات الحقة الناطقة بكنه الأمر تربية له
صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك والخطاب إما للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الإلهاب
والتهييج لزيادة التثبيت والإشعار بأن الامتراء في المحذورية بحيث ينبغي أن ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه
فكيف بمن هو بصدد الامتراء وإما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك أي من النصارى إذ هم المتصدون للمحاجة
فيه أي في شأن عيسى عم وأمه زعماً منهم أنه ليس على الشأن المحكي من بعد ما جاءك من العلم أي ما يوجبه
إيجاباً قطعياً من الآيات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم
تعالوا أي هلموا بالرأي والعزيمة ندع أبناءنا وأبناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم أعز منهن
وأما النساء فتعلقهن من جهة أخرى ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم أي ليدع كل منا ومنكم نفسه
وأعزة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في أثناء المباهلة التي هي من باب المهالك
ومظان التلف مع أن الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للإيذان بكمال أمنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بأمره
وقوة يقينه بأنه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه أصلاً وهو السر في تقديم جانبه عم على جانب المخاطبين
في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الأصل في الصيغة فإن غير المتكلم تبع له في الإسناد ثم نبتهل أي نتباهل بأن نلعن
الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة وأصلها الترك من قولهم بهلت الناقة أي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله
على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي أنهم لما دعوا إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا
قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولقد
جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فإن
أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم أجمعين وهو يقول لهم

إذا أنا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يا معشر النصارى إني لأرى وجوهاً لو شاء الله تعالى أن يزيل جبلاً من
مكانه لأزاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا
أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم
ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا قال فإني أناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على
أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك كل عام ألفي حلة ألف في صفر وألف في رجب
وثلاثين درعاً عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن الهلاك قد تدلى على أهل
نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى
الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا إن هذا أي ما قص من نبأ عيسى وأمه لهو
القصص الحق دون ما عداه من أكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل ودخلته اللام لكونه أقرب إلى المبتدأ
من الخبر وأصلها أن تدخل المبتدأ وقرئ وهو بسكون الهاء والقصص خبر إن والحق صفته أو هو مبتدأ والقصص خبره
والجملة خبر لإن وما من إله إلا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تأكيداً للرد على النصارى في تثليثهم وإن
الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا أحد يشاركه في القدرة و
الحكمة ليشاركه في الألوهية فإن تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعدما عاينوا تلك
الحجج النيرة والبراهين الساطعة فإن الله عليم بالمفسدين أي بهم وإنما وضع موضعه ما وضع للإيذان
بأن الإعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج إفساد للعالم وفيه من شدة الوعيد
ما لا يخفى قل يا أهل الكتاب أمر بخطاب أهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة
تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي أن لا نعبد إلا الله أي نوحده
بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئاً ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلاً لأن يعبد
ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله بأن نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الأحبار فيما
أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلاً منهم بعضنا بشر مثلنا روي أنه لما نزلت اتخذوا أحبارهم ورهبانهم
أرباباً من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام أليس كانوا يحلون
لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عم هو ذاك فإن تولوا عما دعوتهم إليه من التوحيد وترك
الإشراك فقولوا أي قل لهم أنت والمؤمنون اشهدوا بأنا مسلمون أي لزمتكم الحجة فاعترفوا بأنا مسلمون
دونكم أو اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر
إلى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الإرشاد وحسن التدرج في الحجاج حيث بين أولاً أحوال
عيسى عم وما تعاوره من الأطوار المنافية للإلهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس إلى التوحيد والإسلام فلما ظهر
عنادهم دعاهم إلى المباهلة بنوع من الإعجاز ثم لما أعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعاهم إلى ما
اتفق عليه عيسى والإنجيل وسائر الأنبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك أيضاً أمر بأن يقال لهم اشهدوا بأنا مسلمون
يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم تنازعت اليهود والنصارى في إبراهيم وزعم كل فريق منهم أنه منهم وترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون
أنه كان منكم وما أنزلت التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما السلام إلا من بعده حيث كان بينه وبين
موسى عليهما السلام ألف سنة وبين موسى وعيسى ألفا سنة فكيف يمكن أن يكون ما بعد عاقل أفلا تعقلون
[illegible] ها أنتم هؤلاء [illegible]
الحجة حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتم في التوراة والإنجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم
أصلاً إذ لا ذكر لدين إبراهيم في أحد الكتابين قطعاً وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم صلته
وقيل ها أنتم أصله أأنتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه أو ما غاب عنكم
ومن ذلك شأن إبراهيم وأنتم لا تعلمون أي محل النزاع أو شيئاً من الأشياء التي من جملتها ذلك ما
كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفاً أي مائلاً عن العقائد

الا بعد كفرنا مسلما اي منقادا لله تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين
انهم على ملته عليه السلام ان اولى الناس بابرهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا
النبي والذين آمنوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الضمير في
اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم وتخصيص المؤمنين
بالذكر ليثبت الحكم في النبي عم بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود
حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جيء بها
للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال
ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف عذابهم وقيل ما يضلون الا امثالهم ويأباه قوله وما يشعرون
اي باختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بما نطقت به التورية و
الانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او
بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل بتحريفكم وابراز الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبَسون
بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عم كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد صلى الله
ونعته وانتم تعلمون اي حقيقته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومفسدون لاعقابهم
آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا
اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر به آخره مرائين لهم انكم آمنتم به بادي الرأي من غير تامل ثم تاملتم
فيه فوقفتم على خلل رايكم فرجعتم عنه لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان كما رجعتم
والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة آمنوا بما انزل عليهم
من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا
فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولون آخره
نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عم بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون
فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار
الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدي به من يشاء الى
الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم الا اشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام
وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل
من الهدى وقرئ ان يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد الخ دبرتم وقيل
ان على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم
فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص برحمته من يشاء اي يجعل رحمته مقصورة على من
يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان
خيانتهم في المال بعد بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء كما مر تحقيقه في
تفسير قوله ومن الناس من يقول اه وجزؤه قوله تعالى من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود
بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا ذكونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان
تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا
فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده
وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم
الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من اعم الاحوال او الاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال

الاحوال او في وقت دوام قيامك على راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة
الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر
والفساد بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي في شان من ليس من اهل الكتاب سبيل
اي عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على
الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا
من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى وعموم المتقين
نائب مناب الراجع من الجزاء الى من ومشعر بان التقوى ملاك الامر عام للوفاء وغيره من اداء الواجبات
والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل ما عاهدوا
عليه من الايمان بالرسول عليه السلام والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه
ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في
الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في
اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر انه كناية عن
شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فانه مجاز عن الاستهانة
بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه
واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز
عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين
وفيه تهويل الوعيد ولا يزكيهم اي لا يثني عليهم او لا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم على ما
فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا
نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان
بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال اذا
يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله
وهو عليه غضبان وقيل في رجل اقام سلعته في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم
اي من اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب يلوون السنتهم بالكتاب اي
يفتلونها بقراءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوّن بالتشديد ويلون بقلب
الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه اي المحرف
المدلول عليه بقوله تعالى يلوون من الكتاب وقرئ بالياء والضمير ايضا للمسلمين من الكتاب
تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس الامر وفي اعتقادهم
ايضا ويقولون مع ذكره في التلبيس والتحريف على طريقة التعريض لا بالتورية والتعريض هو اي المحرف من
عند الله وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدأ في الخبر والحال انه ليس من عند
الله تاكيد لقوله تعالى وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون
الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
انهم كاذبون مفترون على الله وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر
بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حين قال نصارى نجران ان عيسى امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عم
وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وابطاله اي ما صح وما استقام لاحد

الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسند الى الكفرة اليهم أن يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الامر بالتوحيد الناهي
عن الاشراك والحكم الفهم والعلم او الحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل
بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا لي الجار متعلق بمحذوف
هو صفة عبادا اي عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية
له ويحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف اي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان
التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد
ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عم معاذ الله ان يعبد غير الله تعالى وان نأمر بعبادة غيره تعالى فما
بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على
بعض فلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله تع ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا
الحق لاهله ولكن كونوا اي ولكن يقول كونوا ربانيين الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني
والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد التمسك بطاعة الله تع ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما
كنتم تدرسون اي بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان جعل خبر كان مضارعا لافادة
الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل
وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني
لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى التدريس كاكرم
بمعنى كرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على الناس ولا يأمركم
ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله تعالى ما كان
لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملئكة والنبيين اربابا وتوسيط
الاستدراك بين المعطوفين لمسارعة الى تحقيق الحق ببيان ما يليق بشأنه ويحق صدوره عنه اثر تنزيهه
عما لا يليق به ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل من انها غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا
يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة فيقتضي بفساده ما ذكر متوسط الاستدراك
بين الجملتين المتعاطفتين مزورة انهما احد في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى أيأمركم بالكفر فانه
صريح في ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين قصدا لا بيان انتفاء الاول لانتفاء الثاني وبعضده قراءة
الرفع على الاستيناف ويجوز الحالية بتقدير المبتدأ اي وهو لا يأمركم الى آخره بين الشأنين ولا عرفته
انفا وقوله تعالى بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون للسجود له عليه السلام
واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت اخذه تعالى
ميثاقهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو
على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين
واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله
الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل
او سماهم نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب
والنبوة كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن
ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم
بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي
آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما
بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال اي الله تع بعد ما اخذ الميثاق أأقررتم بما
ذكر وأخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر
وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل
قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالى فاشهدوا اي فليشهد بعضكم على بعض

بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين اي وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم
شاهد وادخاله مع على المخاطبين لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التأكيد والتحذير ما لا
يخفى فمن تولى اي اعرض عما ذكر بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة ومعنى البعد في اسم
الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار
اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اي فاولئك
المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان
الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اي اتتولون
فتبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية
مفيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما
يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين
كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم واليه يرجعون اي من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ
بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستأنفة سيقت للتهديد والوعيد
قل آمنا بالله امر للرسول صلى الله عم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير
في قوله تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان المنسوب الى
واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره
عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد
لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عم اصل في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل
يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق بان تعديته بعلى لكون الخطاب بالنبي عم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد
تعسف الا يرى الى قوله بما انزل اليك اه وقوله آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا الخ وانما قدم المنزل
على الرسول صلى الله عم على ما انزل على ساير الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه المعرف له والعيار
عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم
حفدة ابرهيم عليه السلام وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وساير المعجزات الظاهرة بايديهما
كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى
والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام اي وما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب
والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة
كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه
وقد مر تفصيله في تفسير قوله تع لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع
لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في
مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول
بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة

فما كان بين الخير اذ جاء سالما ۞ ابو حجر الا ليال قلائل

اي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون اي منقادون او مخلصون له تع انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه
تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اي غير التوحيد والانقياد
لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتاب دينا يتحلى
اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالا
او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل منه ذلك ابدا بل
يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور واما مستأنفة

لا محل له من الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في
الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان
حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان
غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله الى الحق قوما كفروا
بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان
بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات
استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد
وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار
انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه في قوة ان يقال
بعد ان امنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان
والله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه
الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من
الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدا وقوله تعالى جزاؤهم مبتدا ثان وقوله
تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك وهو يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى ايسون
عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه لكن
لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها في اللعنة والعقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم
العذاب ولاهم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا
او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء قيل
نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس
الاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا به عليه السلام
بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم
ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بهم ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن
تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في
شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الايسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادتهم
كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم
كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول
الفدية زيدت الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من
ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض
ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به
من العذاب في الاخرة والمراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم
بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم اسم الاشارة مبتدا والظرف خبره ولاعتماده على المبتدا
ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق
وصيغة الجمع لمراعاة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من ناله نيلا اذا اصابه
والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستانف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا
يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شأوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار
او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما

عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرأ بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة
او موصوفة اي مما تحبون من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما
كسبتم او مما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة
منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء
ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم
بخ بخ ذاك مال رابح او رايح فاني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة
بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا
وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك
قيل وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى
الاشعري ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى
يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت لزوجته جارية
بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها
اليه فقالت قد وهبتها لك يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد
الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته
ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى
شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست
اذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن
تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائنا من الاشياء فان المفرد في مثل
هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه
او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه
تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور
لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى كل الطعام اي كل
افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى
فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من
اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم
الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل
فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز الاجتهاد للانبياء والجمهور على انه كان ذلك باذن
من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط
الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التورية ليس فيه مزيد
فايدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التورية مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم
وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة عما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وفي قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية
بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهم حتى انتهى الامر الينا
فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم
بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر له عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق
بان تحريم ما حرم عليهم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها
حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم
واظهار اسم التورية لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين
اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بها

فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك التشدد وروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين
وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستأنفة
مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اي اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التورية
على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التورية وتلاوتها
وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت
حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون
فيهما والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل
النصب داخل تحت القول عطفا على قوله تعالى فأتوا بالتورية قل صدق الله اي ظهر وثبت صدقه في
فيما انزل في شأن من الشؤون وهو داخل في ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا
ملة ابرهيم اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم عم فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون
او فاتبعوا مثل ملته حتى تخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب
لتسوية الاغراض الدنيئة الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابرهيم عم ومن تبعه والفاء للدلالة
على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه حنيفا اي مائلا عن الاديان الزائغة
وما كان من المشركين اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عم
ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابرهيم عم في
الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ان
اول بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض آخر من شعائر ملته عم اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات
حلالا له عم روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء في الارض المقدسة وقال المسلمون
بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت اي ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا
لهم والواضع هو الله تعالى ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذي ببكة خبر لان وانما اخبر بالمعرفة
مع كون اسمها نكرة لتخصصها بشيئين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي البيت الذي ببكة اي فيها وفي
ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب
ولازم والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهناء وقولهم امر راتب وراتم وسمد رأسه وسبده واغبطت
الحمى واغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس
بعضهم بعضا ولانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل بكة
اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد هذا بان التباك وهو الازدحام
انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف وبكة اسم للبلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه
عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون
سنة وقيل اول من بناه ابرهيم عم وقيل آدم عم وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة
وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه
وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو
والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات
عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه آيات بينات واضحات كانحراف
الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها
وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم
اي اثر قدميه في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه
او عند غسل رأسه على ما روي انه عم جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل عليهما السلام انزل

انزل حتى اغسل راسك فلم ينزل فجائته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق
راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه وهو اما مبتدأ حذف خبره اي منها
مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة
لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابرهيم عم كقوله تعالى ان ابرهيم كان
امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صماء وغوصه فيها
الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء
الوف سنين آية مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بما يفهم من قوله عز وجل ومن دخله كان
آمنا فانه وان كان جملة مستأنفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فتكون
بحسب المعنى والمآل معطوفة على مقام ابرهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فتكتفي بذلك او يحمل
على انه ذكر من تلك الآيات اثنتان وطوي ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه
من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك
بدعوة ابرهيم عم رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن
عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله
من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا
يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين
بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا
مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها
يومئذ مقبرة فقال بعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة
البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من
مبتدأ هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف
هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله
متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه
تقديم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت
هي ظرفا او حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي
واللام في البيت للعهد وحجه قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو
اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص
لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد
بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هم من استطاع
الخ وقيل في حيز النصب بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه
وكذا العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده
شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما
بشأنه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء
والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال او عزم فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله
ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة
وهكذا روي عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رضي الله عنه اخذ
بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عليه السلام
لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفتقر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت لا

والانه بحو

وذا لا يبصر بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه
ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا
زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه
وتشديدا على تاركه ولذلك قال عم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروى علي بن ابي
طالب رضي الله عنه انه عليه السلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا
ومن لم يفعل فليمت على اي حال يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم و
حيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفى به عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد
حازت الاية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد
عليه حيث اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار
على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك
بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير
وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراءه وجعل جزاءه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا
تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل
وترك ايذانا على غاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس رض والحسن وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم
انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله
تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله
كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه
فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة
وروي حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة
لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب
اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في
كفرهم بها وقوله عز وجل لم تكفرون بآيات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق
لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد بآيات الله ما يعم الآيات القرآنية التي من جملتها ما تلي في شأن الحج
وغيره وما في التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون
حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة
وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد لتشديد الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها
وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون بآياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على
جميع اعمالكم ومجازيكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء ما تاتونه ويقطع اسبابه بالكلية قل
يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم
وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله
تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع
وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي
الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم
في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالآيات الدالة على نبوته عم وقرئ تصدون من اصده عن سبيل الله
اي دينه الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من آمن مفعول لتصدون قدم عليه
الجار والمجرور للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم
ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس
والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا الى مثله تبغونها عوجا
على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد

اصيدكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه
ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون
وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها
اي والحال انكم شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال وقال
ابن عباس رضي الله عنه اي شهداء ان في التوراة ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول
فيما بينكم تثقون باقوالكم وتستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل عما تعملون اعتراض
تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد وقيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الاية الكريمة بما يحسم
مادة حيلهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بآيات الله تعالى لما كان بطريق العلانية ختمت
الاية السابقة بشهادته تعالى على ما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان
بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال وردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير
عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما ان
تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر ومحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا
جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما رأى منهم
من تألف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الرأي بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنآن فامر شابا يهوديا
كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس و
ينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع
من القبيلتين خلق عظيم فتوجه ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا
بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من
الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الاية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم
حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون
له فلما فرغ القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين
معنى التصيير كما في قوله • رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا •
• فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا •
او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق
القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون
سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه
الصارف للعاقل عن مباشرته واما لمماثلته الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ كما ينبئ عنه التعرض لعنوان المؤمنين
وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الخ لا بمعنى
انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى
كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده
على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده بالكلية على الطريق البرهاني وقوله
عز وجل وانتم تتلى عليكم آيات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد
بما فيها من الشئون الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها
داخل في حكمها فان تلاوة آيات الله تعالى عليهم وكون رسوله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم يعظهم وينبههم على الحق
والحكمة ويزيح شبههم من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للاشعار باستقلال
كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم
وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كأن

الهدى قد حصل فهو محرز عنده حاصلا ومعنى التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد
الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد
على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن
لما اختلف الاعتباران وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب
على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب بعنوان الايمان
تشريف اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه وما
يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا
اليه عم وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة
عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة
من اتقى كالتؤدة من اتأد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة
الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا
كما في قوله ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من
الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها
والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال
غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال
الاسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت
للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد
لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلوة
ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلوة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه
ويفيد كون الخشوع هو العمدة في الصلوة وان الصلوة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت
وقوله عز وعلا واعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين لا تنقضي
عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما
تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع
بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب
والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في
الاعتصام ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب
بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمت الله مصدر مضاف
الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق بها او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف لها او
للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم اعداء في الجاهلية
بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين
اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف بين قلوبكم بتوفيقكم
للاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التأليف اخوانا خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على
الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء
حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم على
شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو
ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فانقذكم منها بان هداكم للاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا
والتأنيث للمضاف اليه كما في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر
وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك اشارة

اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما
افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح
يبين الله لكم آياته اي دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة
يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من
الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها
وحدودها ويذكرها الناس كافة ويردعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقرئ بكسرها
على الاصل ومن كان تامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة
ويدعون صفتها اي لتوجد منكم امة داعية الى الخير وامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها
ويقتدون بها او من الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن منكم امة داعين الى الخير واياما كان
فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على
الكل لكن لا بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل
اقامتها على ما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية ولانها من عظائم الامور وعزائمها
التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يأمر
بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي
والاصرار وقيل من بيانية كما في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية والامر من
كان الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الآية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس ولا يقتضي ذلك كون
الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء
الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه بقوله تعالى ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على
سائر الخيرات كعطف جبريل وميكال على الملائكة عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما
للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك
فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واولئك اشارة الى الامة
المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في
سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد
في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اي اولئك الموصوفون
بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اي هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف
المفلحون اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عم من
امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عم والذي نفسي
بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه
فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به واما النهي عن المنكر فواجب كله
لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك
احدهما وجوب شئ منهما والتوبيخ في قوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان النفس
لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتاب حيث
تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التأويلات الزائغة وكتم الآيات الناطقة
وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات اي الآيات الواضحة المبينة للحق

لوجبت للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم
الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد
ما جاءتهم البينة وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف
في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله عم اختلاف امتي رحمة وقوله
عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم خبر وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على
الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التأكيد والمبالغة في
وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه اى وجوه كثيرة وقرئ
تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني
قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار في لهم اى لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول
لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين
اى اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم
اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك
فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان
المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال
المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ
والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان
اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عم او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد
ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء
والفاء في قوله عز وعلا فذوقوا العذاب اى العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق
العذاب مترتب على ما فعلوه من الكفر كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس الذوق
معلل بذلك والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اى الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق
عمره في طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السياق كأنه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها
ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي تلك اشارة الى الآيات المشتملة على تنعيم الابرار
وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شأنها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى آيات
الله خبره وقوله تعالى نتلوها جملة حالية من الآيات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وآيات الله بدل من
اسم الاشارة والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عم لابراز كمال العناية بالتلاوة
وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى بالحق حال مؤكدة
من فاعل نتلوها او من مفعوله اى ملتبسين او ملتبسة بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب
المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب
الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على ابلغ وجه وآكده
فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم بآحاد الجمع المعرف والالتفات
الى الاسم الجليل اشعار بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اى ما يريد فردا من افراد
الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار في الاثبات
يفيده في حيز النفي بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف
النفي تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظالمو انفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولله ما في السموات

وما في الارض اى له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء
واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم
اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى والى الله اى الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا
ترجع الامور اى امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعد من غير دخل في ذلك لاحد قط فالجملة مقررة
لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها المقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده
تعالى ومخلوقه ومرزوقه يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام مستأنف سيق لتثبيت المؤمنين
على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق شيء بصفة
في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل
كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت
للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اى اظهرت لهم وقيل بخير امة اى كنتم خير الناس للناس فهو صريح
في ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اى اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال
ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل فتدخلونهم في الاسلام وقال
قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام
فهم خير امة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد
كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وخبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار
والخطاب بالمشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس
رضي الله عنه يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله
وهو يعم سائر امته وروى الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى
وظاهر ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا
داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا قالا لنفر من اصحاب النبي
فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضي الله عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم
وديننا خير مما تدعوننا اليه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي كنتم خير امة الذين هاجروا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروي عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله عم خاصة الرواة
والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله اى ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من
رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان
بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان
به في شيء قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا
ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى ولو آمن اهل
الكتاب لكان خيرا لهم اى لو آمنوا كايمانكم لكان خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام
ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر
مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض
به اصلا للايذان بظهوره وانه الذي يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به
ههنا او فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وبينهما
ذلك منهم المؤمنون جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ من الشرطية الدالة على انتفاء الايمان عنهم
كانه قيل هل منهم من آمن او كلهم على الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله
بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم الا اذى
استثناء مفرغ من المصدر العام اى لن يضروكم ابدا ضررا ما الا ضرر اذى لا يبالى به من طعن وتهديد

لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اى ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل او اسر ثم لا
ينصرون عطف على الشرطية وثم للتراخى فى الرتبة اى لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا
وفيه تثبيت لمن امن منهم فانهم كانوا يؤذونهم بالتلهى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم
لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام
منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفى منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد
بنفى النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كانه قيل ثم
شانهم الذى احدثكم عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح
ولا يقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقى بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع و
يهود خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة اى هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل اينما ثقفوا
اى وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال اى ضربت عليهم الذلة ضرب
القبة على من هى عليه فى جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذى اتاهم وذمة
المسلمين او بذمة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءو بغضب من الله اى رجعوا مستوجبين له والتنكير
للتفخيم والتهويل من متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة والهول اى كائن
من الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك فى غالب الحال
مساكين تحت ايدى المسلمين والنصارى ذلك اى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم
بانهم كانوا يكفرون بايات الله اى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بايات الله الناطقة بنبوة محمد
وتحريفهم لها وبسائر الايات القرانية ويقتلون الانبياء بغير حق اى فى اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه
فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى من يسير بسيرتهم ذلك
اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اى كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله
تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغاير يفضى الى مباشرة الكباير والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه
ان ضرب الذلة والمسكنة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن
عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا من حيث المواخذة ليسوا سواء جملة مستانفة سيقت
تمهيدا لتعداد محاسن مؤمنى اهل الكتاب جميعا الا الفاسقين منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء
وانما افرد لانه فى الاصل مصدر والمراد بنفى المساواة نفى المشاركة فى اصل الاتصاف بالقبايح المذكورة لا
نفى المساواة فى مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة فى اصل الاتصاف بها اى ليس جميع اهل الكتاب متشاركين
فى الاتصاف بما ذكر من القبايح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب امة
قائمة استيناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تامرون
بالمعروف الاية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العايد اليهم لتحقيق
ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتى نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم
والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام
وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلثون
من الحبشة وثلثة من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا محمدا عم وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم
النبى صلى الله عم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين
يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرايع الحنيفية حتى بعث الله النبى فصدقوه ونصروه
وقوله تعالى يتلون ايات الله فى محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل فى محل النصب على انه حال منها
لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذى يتضمنه الجار او من ضميرها فى قائمة او من المستكن فى
الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد بايات الله القران وقوله تعالى اناء الليل ظرف ليتلون اى فى ساعاته
جمع انى بزنة عصا او انى بزنة معى او انى بزنة ظبى او انى بزنة نحى او انو بزنة جرو وهم
يسجدون اى يصلون اذ لا تلاوة فى السجود قال عليه السلام الا انى نهيت ان اقرأ راكعا وساجدا وتخصيص السجود

السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلوة لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم ايات الله فى الصلوة
مع انها مشتملة عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا انفا
بالكفر بها وهو السر فى تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو ادخل فى
مدحهم وفيه يتسنى لهم التلاوة فانها فى المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد
يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير
عن وقتها بالاناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر
الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الاية وايراد الجملة اسمية للدلالة وتكرير الاسناد لتقوية الحكم
وتاكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هى مستانفة والمعنى
انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون فى الصلوة من الخضوع لله
عز وجل كما فى قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود هو الخضوع كما فى
قوله تعالى ولله يسجد ما فى السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الاخر صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود
من جهة اخرى اى يؤمنون بهما على الوجه الذى نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد
لظهور انه الذى يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم
عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الاخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما فى شىء اصلا
ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان المنفى عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل و
يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود فى
الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم فى الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم
فى الاحتساب بل بتعكيسهم فى الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهى عن المعروف
ويسارعون فى الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالغير والمسارعة فى الخير فرط الرغبة
فيه لان من رغب فى الامر سارع فى توليه والقيام به واثر الفور على التراخى اى يبادرون مع كمال الرغبة
فى فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار
كلمة فى على ما وقع فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون فى اصل الخير متقلبون
فى فنونه المترتبة فى طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها واولئك اشارة الى الامة باعتبار
اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم فى
الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اى اولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة
بسبب اتصافهم بها من الصالحين اى من جملة من صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه
وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر او لم يذكر فلن يكفروه اى لن يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما
عبر عن توفية الثواب بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل
صدوره عنه تعالى من القبايح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول
للجرى على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله
فان علمه تعالى باحوالهم يستدعى توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع
الضمير العايد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم والتقوى المنطوى على الخصال
السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا اى بما يجب ان يؤمن
به قال ابن عباس رضى الله عنه هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو
قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفار
يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا
وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اى مصاحبوها على

الدوام ولازموها **هم فيها خالدون** أبدا **مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا** بيان لكيفية عدم
اغناء أموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها أطماعهم الفارغة
وما موصولة اسمية حذف عائدها أي حال ما ينفقه الكفرة قربة أو مفاخرة وسمعة أو المنافقون رياء أو
خوفا وقصته العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة **كمثل ريح فيها صر** أي برد شديد فإنه في الأصل
مصدر وإن شاع إطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية كما في قوله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله أسوة حسنة **أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم** بالكفر والمعاصي فباؤوا بغضب من الله
وإنما وصفوا بذلك لأن الإهلاك عن سخط أشد وأفظع **فأهلكته** عقوبة لهم ولم تدع منه أثرا ولا عثيرا
والمراد تشبيه ما أنفقوا في ضياعه وذهابه بالكلية من غير أن يعود إليهم نفع ما بحرث كفار ضربته
صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو التشبيه المركب الذي مر تفصيله في
تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بإيلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز
أن يراد مثل إهلاك ما ينفقون كمثل إهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون
وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما أنفقوا من الأموال **ولكن أنفسهم يظلمون** لما أنهم أضاعوها بإنفاقها لا على
ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص إذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول
أي ما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقد يجوز أن يكون
المعنى وما ظلم الله تعالى أصحاب الحرث بإهلاكه ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة
ويأباه أنه قد مر التعرض له تصريحا وإشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على أن أنفسهم اسمها ويظلمون خبرها
والعائد محذوف للفاصلة أي ولكن أنفسهم يظلمونها وأما تقدير ضمير الشأن فلا سبيل إليه لاختصاصه بالشعر
ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة** بطانة الرجل ووليجته
من يعرفه أسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الأنصار شعار والناس دثار
قال ابن عباس رضي الله عنه كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف
فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك
ويؤيده قوله تعالى وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل وهي صفة المنافق وأيا ما كان فالحكم
عام للكفرة كافة **من دونكم** أي من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا أو بمحذوف وقع صفة لبطانة أي
كائنة من دونكم مجاوزة لكم **لا يألونكم خبالا** جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية إلى الاجتناب عنهم أو صفة
لبطانة يقال ألا في الأمر إذا قصر فيه ثم استعمل معدى إلى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك
جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد أي لا يقصرون لكم في الفساد **ودوا ما عنتم** أي تمنوا
عنتكم أي مشقتكم وشدة ضرركم وهو أيضا استئناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه
قد بدت البغضاء من أفواههم استئناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه أي قد ظهرت البغضاء
في كلامهم لما أنهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط أنفسهم وتحاملهم عليها أن ينفلت من ألسنتهم ما يعلم به بغضهم
للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والأفواه جمع فم وأصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على أفواه
وتصغيره على فويه والنسبة إليه فوهي **وما تخفي صدورهم أكبر** مما بدا لأن بدوه ليس عن روية واختيار
قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين **إن كنتم
تعقلون** أي إن كنتم من أهل العقل أو إن كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف لدلالة المذكور
عليه **ها أنتم أولاء** جملة من مبتدأ وخبر صدرت بحرف التنبيه إظهارا لكمال العناية بمضمونها أي أنتم أولئك
المخطئون في موالاتهم وقوله تعالى **تحبونهم ولا يحبونكم** بيان لخطئهم في ذلك وهو خبر ثان لأنتم أو خبر
لأولاء والجملة خبر كقولك أنت زيد تحبه أو صلة له أو حال والعامل معنى الإشارة ويجوز أن ينتصب أولاء
بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا **وتؤمنون بالكتاب كله** أي بجنس الكتب جميعا وهو حال من ضمير المفعول
في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال أنكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم
وفيه توبيخ بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم **وإذا لقوكم قالوا آمنا** نفاقا **وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل**

٢ **من الغيظ** أي من أجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلا **قل موتوا بغيظكم** دعاء عليهم بدوام
الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به أو باشتداده إلى أن يهلكهم
إن الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل أن يكون من
المقول أي وقل لهم إن الله تعالى عليم بما هو أخفى مما تخفونه من عض الأنامل غيظا وأن يكون
خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي إياك على أسرارهم فإني عليم بذات الصدور وقيل هو أمر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله تعالى أن يهلكوا بإعزاز الإسلام سلام
وإذلالهم به من غير أن يكون ثمة قول كأنه قيل حدث نفسك بذلك **إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن
تصبكم سيئة يفرحوا بها** بيان لتناهي عداوتهم إلى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا
بما أصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والإصابة مع السيئة إما للإيذان بأن مدار مساءتهم
أدنى مراتب إصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام إصابة السيئة وإما لأن المس مستعار لمعنى الإصابة
وإن تصبروا أي على عداوتهم أو على مشاق التكاليف **وتتقوا** ما حرم الله عليكم ونهاكم عنه **لا يضركم
كيدهم** وحيلتهم التي دبروها لأجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على جواب الشرط
من ضاره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للإتباع كضمة مد **شيئا** نصب على المصدرية
أي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولأن المجد في الأمر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون جريئا على الخصم **إن الله بما يعملون** من الكيد **محيط** علما فيعاقبهم
على ذلك وقرئ بالتاء الفوقانية أي بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم بما أنتم أهله **وإذ غدوت**
كلام مستأنف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى للضرر على أن وجودهما مستتبع
لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الأعداء وإذ نصب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عم أي واذكر
لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الأحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا أنهم إن لزموا الصبر
والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع أنها
المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها واستحضارها بالحاجة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير
قوله تعالى وإذ قال ربك للملائكة الخ والمراد خروجه عم إلى أحد وكان ذلك من منزل عائشة
رض وهو المراد بقوله تعالى **من أهلك** أي من عند أهلك **تبوئ المؤمنين** أي تنزلهم أو تسوي وتهيء لهم
مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوئ للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على أنها حال مقدرة
أي ناويا وقاصدا لابتداء الخروج والتبوئة وما ترتب عليها إذ هو المذكر للقصة وإنما عبر عنه بالغدو
الذي هو الخروج غدوة مع كون خروجه عم بعد صلوة الجمعة كما ستعرفه إذ منه وقعت التبوئة التي
هي العمدة في الباب إذ المقصود بتذكير الوقت تذكيرها لمخالفتهم لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وتزايلهم
عن أحيازهم المعينة لهم عند التبوئة وعدم صبرهم وبهذا يتبين خلل رأي من احتج به على جواز أداء
صلوة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تعالى **للقتال** إما متعلقة بتبوئ أي لأجل القتال
وإما بمحذوف وقع صفة لمقاعد أي كائنة ومقاعد القتال أماكنه ومواقفه فإن استعمال المقعد
والمقاعد بمعنى المكان اتساعا شائع كما في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل أن تقوم
من مقامك روي أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه
ودعا عبد الله بن أبي بن سلول ولم يدعه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الأنصار يا رسول
الله أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا
أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وإن رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج
بنا إلى هؤلاء الأكلب لا يرون أنا قد جبنا عنهم فقال عم إني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي
فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فأولته هزيمة ورأيت كأني أدخلت يدي في درع حصينة

فأولنا المدينة فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة فدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله تعالى
بالشهادة يومئذ اخرج بنا إلى أعدائنا وقال النعمان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني
الجنة فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ثم قال بقولي أشهد أن لا إله إلا الله وإني لا أفر من الزحف
فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لأمته فلما رأوه كذلك ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله والوحي
يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال ما ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة
بعد صلوة الجمعة وأصبح بالشعب من أحد يوم السبت النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فمشى على رجليه
فجعل يصف أصحابه للقتال كأنما يقوم بهم القدح إن رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة
الوادي وجعل ظهره وعسكره إلى أحد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا
يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لأقوالكم عليم بضمائركم
والجملة اعتراض للإيذان بأنه قد صدر عنهم هناك من الأقوال والأفعال ما لا ينبغي صدوره عنهم
إذ همت بدل من إذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير أو ظرف لسميع عليم على معنى أنه تعالى جامع بين
سماع الأقوال والعلم بالضمائر في ذلك الوقت إذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال
الفراء معنى قولك ضربت وأكرمت زيدا أن زيدا منصوب بهما وإنما سلطا عليه معا طائفتان منكم أن
تفشلا متعلق بهمت والباء محذوفة أي بأن تفشلا أي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج
وبنو حارثة من الأوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ألف رجل وقيل تسعمائة وخمسين
ووعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح إن صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة آلاف انخزل عبد الله بن أبي
بثلث الناس فقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الأنصاري فقال أنشدكم الله تعالى في
نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أضمروا أن يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث
نفس قلما تخلو النفس عنه عند الشدائد والله وليهما أي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض
ويجوز أن تكون حالا من فاعل همت أو من ضمير في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما أو همهما به مع كونهما في ولاية
الله عز وجل وقرئ والله وليهم كما في قوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا
استقلالا واشتراكا فليتوكل المؤمنون في جميع أمورهم فإنه حسبهم وإظهار الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فإن
الألوهية من موجبات التوكل عليه تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا أوليا وفيه
إشعار بأن وصف الإيمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستأنفة سيقت لإيجاب
الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر إثر تذكير ما ترتب على عدمهما من الضرر وقيل لإيجاب التوكل
على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل
سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع أو الوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان
سنة اثنين من الهجرة وأنتم أذلة حال من مفعول نصركم وأذلة جمع قلة للإيذان بقلتهم مع ذلتهم لقلة والذلة
إذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد
ولم يكن في العسكر إلا فرس واحد وقيل فرسان المقداد ومرثد والسبعون بعيرا وست أدرع وثمانية سيوف
وكان العدو زهاء ألف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الأمر بالتقوى مع كونه مشفوعا
بالصبر فيما سبق وما يحكي للإشعار بأصالته وكون الصبر من باديه اللازمة له ولذلك قدم عليه في الذكر وفي ترتيب
الأمر بالتقوى على الإخبار بالنصر إيذان بأن نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم أي إذا كان الأمر كذلك فاتقوا
الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون أي راجين أن تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصرة كما شكرتم فيما
قبل أو لعله ينعم الله عليكم بالنصرة كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الإنعام إذ تقول
تلوين للخطاب بتخصيصه برسوله تعالى عليه السلام تشريفه والإيذان بأن وقوع النصر كان ببشارته عليه السلام والظرف
لنصركم قدم عليه الأمر بالتقوى لإظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعد وما
طوى ذكره تعويلا على شهادة الحال بما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار

صورتها أي نصركم وقت قولك للمؤمنين حين أظهروا العجز عن المقابلة قال الشعبي بلغ المؤمنين أن كرز بن جابر
المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل ح ثم حكي ههنا ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة
آلاف الكفاية سد الخلة والقيام بالأمر والإمداد في الأصل إعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه
بطريق التقوية والإعانة يقال فيه أمده يمده إمدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده مدا ومنه
والبحر يمده من بعده سبعة أبحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون وقوله
ونمد له من العذاب مدا والإمداد في الخير كما في قوله تعالى وأمددناكم بأموال وبنين والتعرض لعنوان
الربوبية ههنا وتناسب مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار العناية بهم والإشعار بعلة الإمداد
والمعنى إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للإشعار بأنهم كانوا كالآيسين من
النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة بيان أو صفة لآلاف أو لما أضيف إليه أي
ربع كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلاثة آلاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير أو للتدريج
قيل أمدهم الله تعالى أولا بألف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم خمسة آلاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين أي
منزلين النصر بلى إيجاب لما بعد لن وتحقيق له أي بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر
والتقوى حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال إن تصبروا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية
الله ومخالفة نبيه عليه السلام ويأتوكم أي المشركون من فورهم هذا أي من ساعتهم هذه وهو في الأصل مصدر
فارت القدر أي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم أطلق على كل حالة لا ريث فيها أصلا ووصفه بهذا
لتأكيد السرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم إتيانهم بسرعة في سلك شرطي الإمداد المستتبعين له
وجودا وعدما أعني الصبر والتقوى مع تحقق الإمداد لا محالة سواء أسرعوا أو أبطأوا لتحقيق سرعة
الإمداد لا لتحقيق أصله أو لبيان تحققه على أي حال فرض على أبلغ وجه وآكده بتعليقه بأبعد التقادير
ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الأولى فإن هجوم الأعداء وإتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد
عادة فعلق به تحقق الإمداد إيذانا بأنه يتحقق مع ما ينافيه عادة فلأن يتحقق بدونه أولى وأحرى
كما إذا أردت وصف درع بغاية الحصانة تقول إن لبستها وبارزت بها الأعداء فضربوك بأيد شداد
وسيوف حداد لم تتأثر منها قطعا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين من التسويم الذي
هو إظهار سيما الشيء أي معلمين أنفسهم أو خيلهم فقد روي أنهم كانوا بعمائم بيض إلا جبريل عليه السلام فإنه كان بعمامة
صفراء على مثال الزبير بن العوام ويروى أنهم كانوا على خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل
علي ع بلق عليهم عمائم بيض قد أرسلوها بين أكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتادة والضحاك كانوا
قد علموا بالعهن في نواصي الخيل وأذنابها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه تسوموا فإن
الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين
من التسويم بمعنى الإسامة وما جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى لبيان أن
الأسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وأن حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا
منه عند فقدان أسبابه وأماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فإن
الإخبار بوقوعه النصر على الإطلاق وتذكر وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص هو
الإمداد بالملائكة مرة بعد أخرى وتبيين وقته فيما مضى يقتضي بوقوعه حتما قطعيا ألبتة ولم يصرح به
تعويلا على تعاضد الدلائل وتآخذ الأمارات والمخايل وإيذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير
أو عن إيهام احتمال الخلف في الوعد المحتوم كأنه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين فأمدكم بهم وما جعله الله الخ والجعل متعد إلى واحد هو الضمير العائد إلى مصدر ذلك الفعل المقدر
أو إلى ما عوده إلى المصدر المذكور أعني قوله تعالى إذ يمدكم أو إلى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم
وقيل تقدير حقيق بجزالة التنزيل لأن الرتبة البسيطة متقدمة على المركبة في أن العلة الغائية لوجود الإمداد
كما هو المراد بالنظم الكريم حقها أن يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب أن المصدر من المذكور غير معتبر
من حيث الوجود أو الوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان أحكام وجوده بل الأول معتبر من حيث الكفاية

والثانى من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد بثلثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى الا بشرى
لكم استثناء مفرغ من اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين
القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنى عنه بما له من التأييد الروحانى اى وما
جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشىء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اى بالامداد
وتسكن اليه كما كانت السكينة لبنى اسرائيل كذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه
من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقى الثانى على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا
الى اصالته فى العلية واهميته فى نفسه كما فى قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفى قصر
الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب
المباشرين بتكثير السواد ونحو ذلك كما هو رأى بعض السلف رحمهم الله وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله
عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اى وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام
فى قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك وما النصر اى حقيقة النصر
على الاطلاق فيندرج فى حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اى كائن من عنده تعالى من غير ان
يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هى مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود
الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التأثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب
العزيز اى الذى لا يغالب فى حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما
ان وصفه تعالى بقوله الحكيم اى الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر
بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما
تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة
على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك فى تعليل اصل النصر بالقطع وما عطف عليه وبما تعلق به الجار فى قوله عز وعلا
وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما
هو الامداد الصورى لا ما فى ضمنه من النصر المعنوى الذى هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل ففيه
ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل
بعلة معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد
نصركم الله ببدر ليقطع او وما النصر الظاهر عند امداد الملائكة الا ثابت من عند الله ليقطع اى ليهلك وينقص
طرفا من الذين كفروا اى طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم
سبعون واسر سبعون او يكبتهم اى يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب
من كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين
فالتاء غير مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اى فينهزموا منقطعى الامال غير فائزين من مبتغاهم بشىء
فى قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شىء اعتراض وسط بين المعطوف
عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تأثير للمنصور اثر بيان ان لا تأثير للناصر
وتخصيص النفى برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق
الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولسائر من باشر القتال مدخل فى الجملة او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم
على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس
لك من امرهم شىء انما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروى المخصوص
باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروى متحقق فى الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب
المذكور فى سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه فى الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشى
من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على
الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابى وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد

احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابى حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو
يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شىء الاية كانه
نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بان فيهم من
يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم حينئذ معطوف على الامر او على شىء باضمار أن اى ليس لك من امرهم او من
التوبة عليهم او من تعذيبهم شىء وليس لك من امرهم شىء او التوبة عليهم او تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانبارى
ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شىء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح به او يعذبهم فتتشفى منهم
وايا ما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة
بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبنى على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومنبئ عن سلبه
عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان
ما حكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى
فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى
انما هو الامداد بخمسة الاف لا بثلثة الاف مع انهم لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا
فلانه كان ينبغى حينئذ ان ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهوره
مع عدم دلالة السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا
سبيل الى جعل الضمير فى قوله تعالى وما جعله الله الخ عائدا الى الامداد لانه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائية
ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد بشارة لكم واطمئنانا لقلوبكم ثم لم تفعلوا ما شرط عليكم
من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح
فى انه قد وقع الامداد الموعود ولكن اثره انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقى فليس
ذلك الا من عنده تعالى وجعله استثناء منقطعا مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به
تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله
ليقطع طرفا الاية متعلق بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه
بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الاية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل
بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود شىء بصدد بيان
انتفائه مما لا يصح فى كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذى لا محيد عنه ان قوله تعالى اذ تقول
ظرف لنصركم وان ما ذكر فى اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين
المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على حاله لقوله تعالى او يعذبهم يبين ان ذلك من جرائمهم
وجزاء ظلمهم ولله ما فى السموات وما فى الارض كلام مستأنف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات
به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر
وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اى له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله
الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئة مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه مشيئة
كذلك وايثار كلمة من فى الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب
للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبيانا لانها من مقتضيات الذات دون التعذيب فانه من مقتضيات سيئات العصاة وهذا
صريح فى نفى وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافى له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون
قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفى تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشأن المغفرة والرحمة
ما لا يخفى يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو ملاك الامر فى كل باب لا سيما فى
باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعده بمحاسن الاوامر والنواهى مما له مدخل فى الترغيب والترهيب فيه وفى تضاعيف
القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايماء بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد
فان الامر المذكور ونحوه مناط الظفر فى الدارين على الاطلاق ومعقد النصرة فى امر الجهاد علما بدر من ملك
النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام لما غلبوا ولما انهزموا

عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب
في تحصيل المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد بالأكل
الاخذ وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في المأكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله
عز وجل أضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ
كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل
اجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله
فيما نهيتم عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين
بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رح يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين
بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي
يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين رحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة
وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الآية معاتبة للذين عصوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على
وجه الاستيناف اي بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما يؤدي اليهما
وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات
فيدخل فيها ما مر من الامور المامور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية
متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضها
صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة
ادنى من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين في حيز
الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان
الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه
او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك
بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها
اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين
الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا
عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه اي حبسه قال المبرد تاويله انه كتمه على
امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن
الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته وروي انه ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم
على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا
كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة وترك
مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه السلام وندب له عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين
بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك والله يحب المحسنين
اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت المعدودة
من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها
الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب
المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم
اوفر من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة بالغة في القبح

كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة
قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت
كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره اجدع انفك افعل كذا فانزل الله تعالى هذه الآية وقيل ان نبهان التمار اتته
امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها
الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك
فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري وامرأة ثقفي كان بينهما مواخاة فندم الانصاري وحثا
على راسه التراب وهام على وجهه وجعل يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
وايا ما كان فاطلاق اللفظ ينتظم ما فعله الرماة [illegible] استعظاما او لما ذكروا الله تذكروا
الموجب للخشية والحياء وعيده او حكمه وعقابه [illegible] فاستغفروا لذنوبهم
مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام [illegible]
[illegible]
تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر احد الذنوب الا الله
[illegible]
الانتفاء تسارع الى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بسعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة
بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم
يصروا عطف على فاستغفروا وتاخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان
الاستغفار واستحقاقه لتمسك رغبة اليه عقيب ذكره تعالى وحال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على
ما فعلوا اي ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه قال لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة
مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا اي ولم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه
والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به اولئك اشارة
الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة
خبر له او جزاؤهم مبتدأ ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا
فعلوا فاحشة الخ على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في سلك
الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة
عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى
يذكر في مقابلته الجزاء الشامل للمغفرة وتخصيص الاشارة بالآخرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة
لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افادها التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها
ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال مقدرة من الضمير في جزاؤهم
لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات
في اللفظ وهو لاصحابها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف
اي ونعم اجر العاملين ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما يستحقان بمقابلة
العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص
بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك تغايرهما دليلا على ما بين الفريقين
من التفاوت النير والتباين البين الجاري بين الاجر [illegible] قد خلت من قبلكم سنن رجوع الى
تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح والخلو المضي

من الوقايع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اى قد مضت من قبل زمانكم
وقايع سنة من قبلكم او وقايع سنها الله تعالى فى الامم المكذبة كما فى قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين
خلوا الى اخره والفاء فى قوله تعالى **فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين** للدلالة
على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اى ان شككتم فسيروا الخ كيف خبر مقدم
لكان معلق لفعل النظر والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار **هذا** اشارة
الى ما سلف من قوله قد خلت الى اخره **بيان للناس** اى تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم
على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اى هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم
عليه من التكذيب فان الامر بالتسيير والنظر وان كان خاصا بالمومنين لكن العمل بموجبه غير مختص
بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا فى عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما
يعاينون من اثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم **وهدى وموعظة** اى وزيادة بصيرة و
موعظة لكم وانما قيل **للمتقين** للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز
ان يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اى هذا بيان لكافة الناس وهدى
وموعظة وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل
ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق
له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة اثار هلاك
اسلافهم ظهور احوالهم واما زيادة الهدى او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله
للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العارى عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما فى جانب المتقين
مع ترتبهما على البيان لما انهما المقصد الاصلى ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اى هذا بيان للناس كافة
وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين
وقوله تعالى قد خلت الاية اعتراض للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير
بان الاعتراض لا بد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع فى خلاله ومعاينة اثار هلاك المكذبين مما لا تعلق له
بحال احد الاصناف الثلثة المومنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا عن التكذيب وقيل اشارة الى القران
ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمومنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل
والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ومصعب بن عمير صاحب
راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة النبى عليه السلام وعثمان بن شماس وسعد مولى
عتبة رضى الله عنهم ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اى لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح
ولا تحزنوا على من قتل منكم **وانتم الاعلون** جملة حالية من فاعل الفعلين اى والحال انكم الاعلون الغالبون دون
عدوكم فان مصيرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد
الاشعار به فيما سبق او وانتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم فى
الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم فى النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم
يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم **ان كنتم مومنين** متعلق بالنهى او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة
ما تعلق به عليه اى ان كنتم مومنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله
تعالى وعدم المبالاة باعدائه او ان كنتم مومنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضى العلو لا محالة او ان
كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون واياما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به
كما فى قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى اجرى ولذلك قيل معناه اذ كنتم مومنين وقيل معناه ان بقيتم
على الايمان **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله** القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف
وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد
والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم
بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين

المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم
وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل **وتلك الايام** اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم
الماضية والاتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هى داخلة فيها دخولا اوليا
والمراد بها اوقات الظفر والغلبة **نداولها بين الناس** نصرفها بينهم نديل لهولاء تارة ولهولاء اخرى
كقول من قال فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولته بينهم
فتداولوه اى اعاره فتعاوروه واسم الاشارة مبتدأ والايام اما صفة له او بدل منه او عطف بيان له
ونداولها خبره او خبر فنداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر بعد خبر وصيغة المضارع
الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها
ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل **وليعلم الله الذين امنوا** اما من باب التمثيل اى ليعاملكم
معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم والعلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق
اسم السبب على المسبب اى ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما فى قوله تعالى ما كان الله ليذر المومنين على
ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود
بالفعل اذ هو الذى يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ
والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى اسم الذات
المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار
منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الاخر والجملة علة لما هو فرد من افراد المداولة التى نطق بها
قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقى المومنين والكافرين واللام متعلقة
بما دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه
بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها
لكونها من مباديها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعمالهم وخروجها
من القوة الى الفعل من مبادى تميزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلى بها من تلك الحيثية وكذا الحال
فى باب التمثيل فتامل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور وان
العبد يسوءه ما يجرى عليه من النوائب ولا يشعر بان لله تعالى فى ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر
بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تاكيد التسلية ومزيد
التفهيم ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلية هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها الجارية فيما
بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض ببيانها ولك ان تجعل المحذوف المبهم عبارة
عن علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها
بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام الاولى متعلقة بالفعل
المطلق باعتبار تقيده بتلك الافراد والثانية باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هى متعلقة بمحذوف
موخر تقديره وليعلم الله الذين امنوا فعل ذلك **ويتخذ منكم شهداء** جمع شهيد اى ويكرم ناسا منكم
بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء
او جمع شاهد اى ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير
ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة لحق ما بينه لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون
المستشهدين فقط واياما كان ففى لفظ الاتخاذ المنبى عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم
شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى **والله لا يحب الظالمين** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفى المحبة كناية
عن البغض وفى ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان
المتزلزلين من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعى اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة
الذين ادالهم فالتعريض من حيث ان ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما
ذكر من الفوايد العايدة الى المومنين وقوله تعالى **وليمحص الله الذين امنوا** اى ليصفيهم ويطهرهم عن

عن الذنوب عطف على ليتخذ وتكرير اللام لتذكر التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في
موضع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن التمحيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها
على المؤمنين قدمت في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تأخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم
اندراج المذنبين في الظالمين او ليقترن بقوله عز وجل **ويمحق الكافرين** فان التمحيص فيه محو الآثار وازالة
الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال المفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه
شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اي يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا **ام حسبتم** كلام مستأنف
سيق لبيان ما هي الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهادة
واظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية
ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلوب والهمزة للانكار والاستبعاد
اي بل احسبتم **ان تدخلوا الجنة** وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** حال من ضمير
تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية
عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون
علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها ابتنت لعدم جهادهم بالبرهان
بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم
وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية
عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد
متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تاكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت
النون او على طريقة اتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين **ويعلم
الصابرين** منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك
اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع
بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر والمحافظة على التواصل
وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله وتحريكه لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده القراءة
بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف
اي وهو يعلم الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون **ولقد كنتم تمنون الموت** اي تتمنون الحرب
فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك **من قبل ان تلقوه** متعلق بتمنون مبين لسبب اقدامهم على التمني اي من
قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد رأيتموه اي ما تتمنونه من اسباب الموت او
الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة
وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم
ذلك فقد رأيتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم
فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على
تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من يتمناها نيل كرامة الشهداء من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق
العتاب من تمناها **وما محمد الا رسول** مبتدأ وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله
قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة
من شواهد خلوه عليه السلام لا محالة كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا والقصر قلبي فانهم لما
انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول لا كسائر الرسل في انه يخلو كما خلوا ويجب التمسك
بدينه بعده كما يجب التمسك بدين بهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسول كسائر الرسل فيخلو كما خلوا ويجب التمسك

بدينه كما يجب التمسك بدين بهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم نزلوا منزلة
المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور
على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا
لتقرير عدم براءته عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام واياما كان
فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر **افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم** انكار لارتدادهم وانقلابهم
عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة
لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم على الدين
وايراد الموت بكلمة ان مع استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري
على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر آخر يناسب
المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت في
شرف الوقوع فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهم ولان الوصف الجامع بينه وبين
الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين
على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه وكذا
سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم وراوا انهم قد انهزموا اقبلوا
على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق عنده منهم الا ثمانية نفر فلما راهم خالد
بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا
من بقي من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثلاثين رجلا كل منهم يجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء
ونفسي لنفسك الفداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة
وهو يزعم انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ
الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الي عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من
المسلمين فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه
حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على
ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما
جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من
الناس لما ان كل آية ليس يسمعها كل احد ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لاسيما في مثل ذلك المقام
الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الآية الكريمة عند وفاته عليه الصلوة والسلام وقام في الناس فقال
ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب
الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله ولاقطعن ايدي
رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنه
فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان
الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال الراوي والله لكان الناس
لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر وقال عمر والله ما هو الا ان
سمعت ابا بكر رضي الله عنه يتلوها فعقرت ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله قد مات صلى الله عليه وسلم **ومن ينقلب
على عقبيه** بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن
الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين **فلن يضر الله** بما فعل من الانقلاب **شيئا**

اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزي الله الشاكرين اي الثابتين على دين
الاسلام الذي هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايماء الى كفران
المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله عنه ان المراد بهم الطائعون لله تعالى من المهاجرين والانصار وعن
علي رضي الله عنه ابو بكر واصحابه وعنه رضي الله عنه انه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان جزائهم وما كان لنفس ان تموت كلام مستانف سيق
للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت
كل نفس منوط بمشية الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل
هايل مخوف وقد اشير بذلك الى انهم لم يكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه ولذلك لم يقتلوا
في الاحجام عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف
وقوله تعالى الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من
الاسباب الا بمشيئته تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه والا باذنه لملك الموت في قبض روحها
وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا ينبغي للنفس
ايقاعها والاقدام عليها بدون اذن منه تعالى او دبر بل اقدامها على مباديها اعني القتال بمنزلة الاقدام على نفسه
مبالغة في تحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان
يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما
قبله اي كتبه الله كتابا مؤجلا موقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة وقرئ مؤجلا بالواو بدل الهمزة
على قياس التخفيف وبعد تحقيق ان مدار الموت والحياة محض مشيئة الله تعالى عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل
لاحد اصلا اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دايرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنيئة الى المطالب السنية
ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريقة الالتفات منها اي من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه
اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنايم يوم احد
وقدر تفصيله ومن يرد اي بعمله ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به
الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من القوى والقدر الى
ما خلقت هي من اجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون
من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد
بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث يضيق
عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلثة بالياء وكاين كلام مبتدا ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في
صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف
التشبيه واي حدث فيها بالتركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبت في الخط على غير قياس
وفيها خمس لغات هي احداهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كأين مثل كعين والرابعة كيين بياء ساكنة
بعدها همزة مكسورة وهي قلب الاولى والخامسة كان مثل كن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع وقوله تعالى
من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله ، اطرد الياس بالرجاء فكاين ،
آملا حم يسره بعد عسر ، وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير خبرها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط
هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي منسوب الى الرب
كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقرئ بضمها وفتحها ايضا على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة
اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف
متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءة الاخريين اذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل اي
قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد بن جبير رضي الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال
الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلاخلاف

بلاخلاف اي كم من نبي قاتل كائنا معه في القتال ربيون كثير واما على القراءتين الاخريين فغير ظاهر لا سيما
على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم بان مدار التوبيخ انخزالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم
اي كم من نبي قتل كائنا معه في القتل او في القتال ربيون الخ وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على ان
المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان
بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد
مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله اي فاثروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال وهو
علة للمنفي دون النفي وقوله تعالى في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم
ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان جعل الضمير لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح
وسائر المكاره المعترية للكل وان جعل للبعض الباقين بعدما قتل الاخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخزلين
بعدما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على
القراءة المشهورة واما على القراءتين الاخريين فان اسند الفعل الى الربيين فالضمير للباقين منهم حتما
وان اسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب الارجاف بقتله
صلى الله عليه وسلم فهو للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي عليه السلام في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال
وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصلها استكن
من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه
يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتضعضعهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا
بابن ابي المنافق طلبا للامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين اي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل
الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن
الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم
كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان
وما بعدها في قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام
مضايق الحراب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيء من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا
اي صغائرها واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين
براءة من التفريط في جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرة ٤٧
على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا اي في مواطن الحرب بالتقوية والتاييد من عندك
او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر
عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول
يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى
وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على ان الاسم والخبر ان وما في حيزها اي ما كان قولهم شيئا
من الاشياء الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان
الاخبار يكون بعوهم المطلق حصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما يفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار
بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية
ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي
ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة
الاجمالية بحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا
للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا
اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان اذ قالوا انه لا دلالة على جهة النسبة وزمان
الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتامل

فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا اى النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الآخرة اى
وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده
تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة
الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكى
عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب
المؤمنين في تحصيل ما حكى عنهم من المناقب الجليلة يا ايها الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار
ببيان استتباعها لخسران الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه
الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير
حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان تطيعوا
الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين
للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فالموقع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا
للشرط مع كونه في نوع ابتداء ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم بدخولكم في دينهم
باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين اى الدنيا والآخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب
الخالد على ان الارتداد على العقب علم في انتكاس الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى
حيث كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه
ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم
استئمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور حتى لا يستجروا
الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان بل الله مولاكم اضراب عما
يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصارا لكم حتى تطيعوهم بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به
عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب على انه صفة له وهو خير الناصرين
فخصوه بالطاعة والاستعانة سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة
وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالتفات في قلوب الذين كفروا الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل
وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل
ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في اثناء عين الحرب او عقيب
انقضائه وقيل هو الذي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية
اى بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ما لم ينزل به
باشراكه سلطانا اى حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها او لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع
استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب بها ينجحر اى لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع
في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة ومأواهم بيان لاحوالهم في الآخرة اثر بيان احوالهم
في الدنيا وهي الرعب اى ما يأوون اليه في الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اى
مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون الشيء
في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اى بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم
نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي يأوي
اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق وقيل بنزع الجار اى في وعده
نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنصر وهو ما
وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر قال للرماة لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم
وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان
المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم

يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم اى تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو
ظرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما
وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد مر تحقيق ان ذلك كان بمدد ركيف الموعود به ما ذكر امداده
عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه لم صريح في ان الموعود
هو النصر المعنوي والتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي الخ والاتيان بان
الالقاء الرعب كان بعد تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب وبعد ذلك والطريق على اختلاف الروايتين
واياما كان فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اى جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان
الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون
على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فثبت مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم
ما تحبون اى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما رأى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشعب وقتلوا
امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل في تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب
اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو
انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب
ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير كون اذا شرطية
وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف
جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه معنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم
وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه
والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اى كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف
بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اى يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها ولقد
عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما
قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اى شأنه ان يتفضل عليهم
بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير للتفخيم
والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار في موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم
داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد
الذهاب والابعاد في الارض وقرئ تصعدون من الثلاثي اى في الجبل وقرئ تصعدون من التفعل بطرح
احدى التاءين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اى لا تلتفتون الى ما وراءكم
ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ
يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى عباد الله انا رسول الله
من يكر فله الجنة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة
من جهته سبحانه اتباعا في توبيخ المنهزمين في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى فاثابكم عطف على
صرفكم اى فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين
والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غما بمقابلة غم اذقتموه
رسول الله عليه السلام بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لتتمرنوا على الصبر في الشدائد
فلا تحزنوا على نفع فائت او ضر آت وقيل لا زائدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما
اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم واساكم في الاغتمام فاغتم
بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم
من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون اى عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم
انزل عليكم عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا من بعد الغم اى الغم المذكور والتفريح

بتأخر الانزال عنه مع دلالته عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظيم النعمة كما في قوله تعالى ثم
تابوا من بعد ذلك واصلحوا الآية أمنة اى امنًا نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسًا بدل منها او عطف
بيان وقيل مفعوله او هو المفعول وامنة حال منه مقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير
مضاف اى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين
على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون
الغم بالازالة لانه المهم عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يأمنوا
كرتهم وكانوا تحت الحجف متأهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضي
امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله عنه
كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير
والنعاس يغشانى ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رضي رفعت
راسي يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القى عليه النعاس
يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين
من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة
الانصار ولا يقدح ذلك في عموم الانزال للكل والجملة في محل النصب على انها صفة لنعاسًا وقرئ بالتاء على انها
صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينها وبين الموصوف بالمفعول
له وان المعهود ان يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم اى اوقعتهم في الهموم والاحزان
او ما بهم الا هم انفسهم وقصد خلاصها من قولهم همنى الشيء اى كان من همتى وقصدى والقصر يستفاد بمعونة المقام
وطائفة مبتدأ وما بعدها خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله

سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا ۝ محياك اخفى ضوؤه كل شارق ۝

او لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله ۝ اذا ما بكى من خلفها انصرفت له ۝ بشق وشق عندنا لم يحول ۝
واما صفتها والخبر محذوف اى ومعكم طائفة وفيه انه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بانزال الامنة
واياما كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى
اولم يروا انا جعلنا حرمًا آمنًا ويتخطف الناس من حولهم واما مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله
عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر
او استيناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق في حكم المصدر اى يظنون به تعالى غير الظن الحق الذي يجب
ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية في الاضافة كما
في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسألتهم كانت صادرة عن الظن اى
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر اى من امر الله ووعده من النصر
والظفر من شيء اى من نصيب قط او هل لنا من التدبير من شيء وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اى الغلبة
بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه قد دبر الامر كما جرى
في سابق قضائه فلا مرد له وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون في انفسهم اى يضمرون فيها او يقولون
فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استيناف او حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل ان الامر الخ اعتراض
بين الحال وصاحبها اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون النصر مبطنين الانكار والتكذيب وقوله
يقولون استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله كانه قيل اى شيء يخفون فقيل يحدثون انفسهم او يقولون بعضهم
لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد عليه السلام من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر
كله لله او لو كان لنا من التدبير والرأي شيء ما قتلنا ههنا اى ما غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة على ان النفي
راجع الى نفس القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما برحنا منازلنا كما رآه ابن ابي وغيره فيجب ان مكان القتل
وقوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم
القتل اى في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم اى مصارعهم التي قدر

الله قتلهم فيها وقتلوا هنالك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعًا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه
لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز وجل اينما
تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون روى ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى رجل من اهل المجلس
نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم آخر فاني
رأيت منه مرأى هائلا فامرها عليه السلام فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت
الى سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض كذا فلما وجدته في
مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر الله عز وجل
في زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال
وقرئ لبرز بالتشديد على البناء للمفعول وليبتلي الله ما في صدوركم اى ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم
من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها من السرائر وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية
للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ وجعلها علة لبرز يأباه الذوق السليم فان مقتضى
المقام بيان حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض او لفعل مقدر بعدها اى وللابتلاء
المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن هذه المزية
وليمحص ما في قلوبكم من مخبآت الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اى
بالسرائر والضمائر الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على
ان الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين او حال من
متعلق الفعلين اى فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما محيط بمخفيات الامور وفيه وعد
ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما مرت حكايته انما
استزلهم الشيطان اى انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي
التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل
استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم
٤٢ بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتال قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي
اظهار الجلالة تربية للمهابة وتأكيد للتعليل يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون
القائلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال
المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم اثر ذي اثير وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة
التي نهوا عنها اى قالوا لاجلهم وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض
اى سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية
الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور استحضار الصورة قال الزجاج
اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم
انما هي باعتبار ما وقع فيه بل التحقيق انها ظرف له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين ضربوا
الخ او كانوا اى اخوانهم غزى جمع غاز كعفى جمع عاف قال ۝ ومغبرة الآفاق خاشعة الصوى ۝
لها قلب عفى الحياض اجون ۝ وقرئ بتخفيف الزاى على حذف التاء من غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر
مع اندراجه تحت الضرب في الارض لانه المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطئة له وتقديمه
لكثرة وقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان
باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اى كانوا غزاة فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا
اى مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اى اذا ضربوا في
الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد

بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر على قائله الابرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي
جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا
وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في
ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور
بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله
الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم وذلك كما مر اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز
ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان
مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته
اي هو المؤثر في الحيوة والممات وحده من غير ان يكون للاقامة او للسفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر
والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير
تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور
ولمنشائه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل والموت في سبيل الله
تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم
وما في قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع
صفة للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب القسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى
ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة
كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس
خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتها من ذلك بلا
تعرض للاخبار بحصولها لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخلف منه تعالى بعد الاطماع وقد قيل
لا بد من حذف اي لمغفرة لكم من الله الخ ومع ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر تنحيا بما ذكر من
دعاء الظهور فالمعنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب الواقع في قولهم ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وذلك
للمبالغة في الترغيب في الجهاد وزيادة قربها للقتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة والرحمة وفيه
دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل
بموجبه لا في النطق به واضلال الناس به ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة
الالهية وقرئ متم بكسر الميم من مات يمات لالى الله اي الى المعبود بالحق العظيم الشأن الواسع الرحمة الجزيل الاحسان
تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام في لامي الجملة كما مر في اختها فبما رحمة من الله
لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه
السياق من استحقاقهم للائمة والتعنيف بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء
متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد وتنكير رحمة وبدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اي فبرحمة عظيمة لك كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جأشه وتخصيصه
بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعدما كان منهم ما كان من
مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو لم تكن كذلك بل كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال الراغب الفظ
هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق غليظ القلب قاسيه وقال الكلبي فظا
في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وتردوا في مهاوي الردى
والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب العفو او الامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم
فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر
وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بآرائهم

بآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت عقيب المشاورة
على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به سبحانه
وتعالى وقرئ فاذا عزمت على صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد
ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل والامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات
الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه
خير لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة
مستأنفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على اللجأ اليه
وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفي الجنس المنتظم لنفي جميع
افراد الغالب ذاتا او صفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم
وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه قطعا
هو نفي المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان ولا افضل منه فالمفهوم
منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي
الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعده لا جرم انهم
في الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم وان يخذلكم
كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكاري مفيد
لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى
اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه
او ترتيب الامر به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على تقدير خذلانه تعالى
اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون
داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشتراكا
او استقلالا وتعليل لحكم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي وما صح
لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال
غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحته صلى الله عليه وسلم
عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا
المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما
المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم بعدهم غنائم
فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع آخرين بل
عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه
عما تفوه به بعض المنافقين اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل
يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه
عليه السلام قال الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد فاقول
لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يأت بما احتمل من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا
جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او يسيرا فوضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام
التناسب كما وكيفا كانهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود
بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيامة من الدلالة على فخامة شأن اليوم وهول مطلعه والمبالغة
في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين يرى كل كاسب جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه

في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال جزاء ما كسبه بتى وجرمه من اعظم الجرائم اظهر واجلى **وهم**
اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس **لا يظلمون** بزيادة عقاب او بنقص ثواب **أفمن اتبع رضوان الله** اى سعى
في تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي عليه السلام ومن يسير بسيرته **كمن باء**
اى رجع **بسخط** عظيم لا يقادر قدره كائن **من الله** تعالى بسبب معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تاكيد
نفي الغلول عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقريره بتحقيق المباينة الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض
ما وصف به الآخر نفي بل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتيب
توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين
كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة **وماواه جهنم**
اما كلام مستانف مسوق لبيان مآل امر من باء بسخط تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصلة
الاسمية على الفعلية وايا ما كان فلا محل له من الاعراب **وبئس المصير** اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف
اى وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني **هم**
راجع الى الموصولين باعتبار المعنى **درجات عند الله** اى طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت الاحوال وتباينها
بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات **والله بصير بما يعملون**
من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها **لقد من الله** جواب قسم محذوف اى والله لقد من الله اى انعم **على**
المؤمنين اى من قومه عليه السلام **اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم** اى من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه
بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه
لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اى اشرفهم فانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن
من الله على المؤمنين اذ بعث الخ على انه خبر لمبتدأ محذوف اى منه اذ بعث الخ او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء
بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من
مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اى كائنا من انفسهم وقوله تعالى
يتلو عليهم آياته صفة اخرى اى يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي
ويزكيهم عطف على يتلو اى يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار **ويعلمهم الكتاب والحكمة**
القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مرتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة
عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على
التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود
كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع
نعمة واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالآيات تارة وبالكتاب اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة
على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في سورة البقرة
وان كانوا من قبل اى من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه **لفي ضلال مبين** اى بين لا ريب في كونه
ضلالا وان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف الاول لغو متعلق
بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى
الا اى وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة
وعلى التقديرين مبينة لكمال النعمة وتمامها **أولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا** كلام
مبتدأ مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض آخر
والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم
في محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب المشركين
يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين
مع انه المقصود وانكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتاكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته
افظع والانكار على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم

وقليل من اصحابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى القصد ورد ذلك القول عليهم في ذلك
الوقت خاصة بناء على عدم كونه موطنا له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم
ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوة لو اصابتهم [illegible] اصابكم مثليها قلتم انى هذا على توجيه
الانكار الى استبعادهم الحادث مع ما نزلهم بسببها وذكر اسم الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة
ليس لكونها عبارة عن القتال ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو هو من غير
ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته باسم المصيبة واما ما هيها فانما وقعت الحكاية [illegible] **قل هو من**
عند انفسكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سوالهم الفاسد [illegible]
ويبكتهم ببيان ان ما نالهم انما نالهم من جهتهم بترك المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج
من المدينة ويأباه ان الوعد بالنصر كان مشروطا بالصبر والتقوى [illegible]
على النبي صلى الله عليه وسلم بوجه [illegible] على ان اختيار الخروج والاقامة [illegible]
كان من [illegible]
قتل او بدن [illegible] الاول هو الاظهر [illegible] لتوسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين
الخطابين المتوجهين الى المؤمنين [illegible]
عنه كما [illegible] **ان الله على كل شيء قدير** ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث
خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم [illegible] **وما اصابكم**
[illegible]
[illegible]
بالعدو ولعل الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة التقرير بيان وقته بقوله **يوم التقى الجمعان** اى جمعكم وجمع
المشركين **فباذن الله** فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سمى ذلك اذنا لكونها من لوازمه **وليعلم المؤمنين**
عطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب على السبب والمراد بالعلم التميز والاظهار فيما بين الناس **وليعلم الذين**
نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين و
للايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على
وجه جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والآخرين بموصول صلته فعل
دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن ليميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق **وقيل**
لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن ابي و
اصحابه حيث انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان
تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى **تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا** قال
السدي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم
تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا لما ان المقصود بهما واحد وهو الثاني وذكر الاول توطئة
وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام
كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا **لو نعلم قتالا لاتبعناكم** اى لو نحسن
قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبر عن نفي القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة
على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس
بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود
بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا لمقدم مستحيل الوقوع **هم للكفر**
يومئذ اقرب منهم للايمان الضمير مبتدأ واقرب خبره واللام في للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم
وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية انما هو فيما عدا افعل
التفضيل من العوامل لاتحاد جهتي عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى
عاملين كانه قيل قربهم للكفر زائد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين اى هم للكفر

يومئذ قالوا ما قالوا أقرب منهم للإيمان فإنهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة مؤذنة بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين وقوله تعالى **يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم** جملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الأفواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به إما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب أخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وإن اختلفا مظهرا وإما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول أصلا وإنما عبر عنه به إبانة لما بينهما من شدة الاتصال أي يتفوهون بقول لا وجود له أو لمنشئه في قلوبهم أصلا من الأباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فإنهم أظهروا فيه أمرين ليس في قلوبهم شيء منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخزال عازمين على الارتداد وقوله عز وجل **والله أعلم بما يكتمون** زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف أقوالهم من فنون الشر والفساد إثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما أن بعض ما يكتمونه من أحكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون على وجه الإجمال وأن تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الإلهي **الذين قالوا** مرفوع على أنه بدل من واو يكتمون أو خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره قل فادرءوا بحذف العائد تقديره قل لهم أو منصوب على الذم أو على أنه نعت للذين نافقوا أو بدل منه وقيل مجرور على أنه بدل من ضمير أفواههم أو قلوبهم كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه **لإخوانهم** لأجلهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو من أقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء **وقعدوا** حال من ضمير قالوا بتقدير قد أي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال **لو أطاعونا** أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك **ما قتلوا** كما لم نقتل وفيه إيذان بأنهم أمروهم بالانخزال حين انخزلوا وأغووهم كما غووا وحمل القعود على ما استصوبه ابن أبي عند التشاور من الإقامة بالمدينة ابتداء وجعل الإطاعة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حالية فإنها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع أن ابن أبي من القاعدين فيها بذلك المعنى على أن تخصيص عدم الطاعة بإخوانهم ينادي باختصاص الأمر أيضا بهم فيستحيل أن يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند التشاور **قل** تبكيتا وإظهارا لكذبهم **فادرءوا عن أنفسكم الموت** جواب لشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى **إن كنتم صادقين** كما أنه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه أي إن كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من أنكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فإن أسباب الموت في إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى أن عدم قتلكم كان بسبب أنه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب أنكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فإن ذلك مما لا سبيل إليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا إلى الموت روي أنه مات يوم قالوا سبعون منافقا وقيل المراد إن كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا** كلام مستأنف مسوق لبيان أن القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون إثر بيان أن الحذر لا يغني ولا يجدي وقرئ ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا أربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الإسناد إلى ضميره عليه السلام أو ضمير من يحسب أو إلى الذين قتلوا والمفعول الأول محذوف لأنه في الأصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتا أي لا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا على أن المراد من توجيه النهي إليهم تنبيه السامعين على أنهم أحقاء بأن يتسلوا بذلك ويبشروا

ويبشروا بالحياة الأبدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع أوقاتهم بل عند ابتداء القتل إذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تسليهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين **بل أحياء** أي بل هم أحياء وقرئ منصوبا أي بل احسبهم أحياء على أن الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله ❁ حسبت التقى والجود خير تجارة ❁ رباحا إذا ما المرء أصبح ثاقلا ❁ أو على أنه وارد على طريق المشاكلة **عند ربهم** في محل الرفع على أنه خبر ثان للمبتدأ المقدر أو صفة لأحياء أو في محل النصب على أنه حال من الضمير في أحياء وقيل هو ظرف لأحياء أو للفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم مزيد تكرمة لهم **يرزقون** المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميرهم أي من الجنة وفيه تأكيد لكونهم أحياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الإمام الواحدي الأصح في حياة الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أن أرواحهم في أجواف طير خضر وأنهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وروي ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على أن روح الإنسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه إدراكه وتألمه والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس البشرية يقول المراد أن نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا وتتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد أنها تتعلق بالأفلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال **فرحين بما آتاهم الله من فضله** وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا **ويستبشرون** وهو يسرون بالبشارة **بالذين لم يلحقوا بهم** أي بإخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم **من خلفهم** أي بإخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا بهم متعلق بيلحقوا والمعنى أنهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم أو بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا أي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا **أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم وأن هي المخففة من أن واسمها ضمير الشأن المحذوف وخبرها الجملة المنفية أي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال إخوانهم الذين تركوهم وهو أنهم عند قتلهم يفوزون بحياة أبدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب أو لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فإنه عين الحياة التي يرغب فيها فضلا عن أن يخاف ويحذر أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فإن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام **يستبشرون بنعمة** كرر لبيان أن الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب أعمالهم وقد جوز أن يكون الأول متعلقا بحال إخوانهم وهذا بحال أنفسهم بيانا لبعض ما أجمل في قوله تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما أفادها التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائنة منه تعالى **وفضل** أي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة **وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين** بفتح أن عطفا على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين إما الشهداء والتعبير عنهم بالمؤمنين للإيذان بسمو رتبة الإيمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة وإما كافة أهل الإيمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية أجورهم على إيمانهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الأخوة في الدين وقرئ بكسرها على أنه استئناف معترض دال على أن ذلك أجرهم على إيمانهم مشعر بأن من لا إيمان له أعماله محبطة لا أجر لها وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة أو نصب على المدح أو رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى **للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** بجملته ومن للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لأن المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي أن أبا سفيان وأصحابه

لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن
يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر
يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان
باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس
عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد
ولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان اباسفيان نادى
عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان
القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب وبدا له ان يرجع
فمر به ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل
لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم
فوجد المسلمين يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان تخرجوا وقد
جمعوا لكم ففروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا
كلهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابرهيم عليه السلام حين القي في النار فزادهم
ايمانا الضمير المستكن للقول او للمصدر او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل
ثبت به يقينهم بالله تعالى وازداد اطمئنانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على
ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه
ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل اي محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل
على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه
والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا
الموعد روي انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا
كثيرا والباء في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي
رجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع
صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله وهي العافية
والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم
لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير في فانقلبوا او من المستكن في الحال كانه قيل منعمين حال كونهم سالمين
عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الاية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرا واتبعوا في كل ما اتوا من قول وفعل رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل
عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار
الجراة على العدو وحفظهم عن كل ما يسوؤهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار
لخطا رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب
الغزو ورضي عنهم انما ذلكم اشارة الى المثبط او الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله
تعالى الشيطان اما خبره وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مستأنفة لتثبيطه او حال كما في قوله تعالى
فتلك بيوتهم خاوية الخ واما صفته والجملة خبره ويجوز ان يكون الاشارة في يخوف اما للمقدر واما للشيطان
بحذف الراجع الى المبتدأ اي يخوف به والمراد باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي
يخوفكم اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم اي اولياءه في مخالفة
امري واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز

في فلا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي
وسارعوا الى ما يامركم به والخطاب لفريقي الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها
فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف
الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه
له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته في تدبير امور الدين
والاهتمام بشؤونه الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه
وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الاية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام
ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك مؤذن
بملابستهم بالخيرات وتقلبهم في فنون منها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة الخ فلان المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من
المتخلفين او طائفة من اليهود حسبما في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من
الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير
عنهم بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى مظنة وجود المنهي عنه واعتراء الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اي لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهي الى مسارعتهم
مع ان المقصود نهيه عليه السلام عن التأثر منها للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التأثير نهي عن التأثر
باصله ونفي له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا اريتك ههنا وقرئ
لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اي
جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن انهم لن
يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفي
الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله
تعالى شيئا في حيز النصب على المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير لتاكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل
على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد
ذلك في ملك الله شيئا ولو ان اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله جناح
بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة استئناف
مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم
وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام الارادة
واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الاخرة حظا ما من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون
الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة في الشيء
على عظم شأنه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظيم رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا
فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدأة مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا حظ لهم من الثواب واما
حال من الضمير في لهم اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان
اي اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله
عز وجل اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى لن يضروا الله شيئا تفسيره كما مر غير ان فيه تعريضا
ظاهرا باقتصار الضرر عليهم كانه قيل وانما يضرون انفسهم وان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين
بان يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او
بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شأن اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير الحكم وتاكيده
ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في تحقق ضررهم بانفسهم وعدم
تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة

اراهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي ورصانة التدبير من مضادة حزب الله تعالى وهما
اعز منالا لا يليق الفرد وامنع من عقاب الجو دان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر
المشترك الشامل لتعيين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا عما نزل منزلته من الايمان من الاستعداد القريب
له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة
مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون
الموصول الاول عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا
يليق بفخامة شان التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كما يؤذن به النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين
في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام مما لا وجه له
وقوله تعالى **ولهم عذاب اليم** جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية
عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند
كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك **ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم** عطف
على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند
سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر وهي لاحدهما والآخر محذوف
عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها وصلها في الكتابة لاتباع الامام اي لا يحسبن الكافرين
ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرين خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او
واقعة ومآله نهيهم عن السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر
وضر محض كان مآل المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم
وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي
احكام المعهودين اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الداعية بين
الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشانهم دهرا طويلا فان المقارن له دائما انما هو الكفر المستمر
لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المتقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقرئ
لا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب لمقاطعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم خير بدل
منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على
مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض وانما مفعول ثان بتقدير مضاف اماتنه اي لا تحسبن
الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم
ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم **انما نملي لهم ليزدادوا اثما** استئناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام
لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه
اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان ورده على معنى لا يحسبن الكافرين ان املاءنا لهم
لازدياد الاثم حسبما هو شانهم بل انما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان **ولهم عذاب مهين**
لما تضمنه الاملاء من التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون
جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما مبتدأة مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو
ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم
عليه** كلام مستانف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي
اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل
الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم
في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن
عباس رضي الله عنهما والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف
تفسيري للكفار والا فلا شركة بين المؤمنين والمجاهرين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما مر من القدر المشترك

المشترك فانه كما يجوز نسبته الى كل منهما الا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا
يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والغرض من ايراده في مثل
الخطاب الالتفات رعاية لما مر والمراد بما هم عليه ما هم عليه من الاختلاط والاول هو الاقرب وابين جمع المختلفون من اهل
التفرقة لكونهم بمعنى ان كون المراد بما هم عليه هو ... من حيث هو مشترك بينهما
علا في الفرق الى الآخر فانهما بمعزل من ذلك كيف لا وما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق وما عليه
المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا الخلط والتشارك بينهما ولا من ذلك فانا نعتبر من حيث الانتساب الى
احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز والانماز فلابد وان يكون اما
منطبقة بالمجرد المقيد بالحال كما هو راي البصريين وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او
متصديا لان يذر المؤمنين الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه
واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفيين ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة
حروف الجر في عملها وقوله عز وجل **حتى يميز الخبيث من الطيب** غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل ما يتركهم
الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما
ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد
ما اريد بكل منهما وتكثيره لاسيما بعد ذكر المؤمنين باحدهما اعتبارا بصفة تدل على الافراز بان مدار
افراز احد الفريقين عن الآخر هو اتصافهما بوصفيهما لا بخصوصية ذاتيهما وتعدد احادهما
تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت تنبيها على ان الدلالة على
الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من افراد الجنس وتعليق الحكم بالخبيث المعبر به عن المنافق
مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تخليصهم وافرازهم عن المنافقين لما ان
المراد الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين
على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى
مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تاكيد الوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله
يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب الى الفريقين لان المتبادر منه عدم الترك على حاله وانما كلا التمييز به الذين
السلم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** تمهيد لبيان التمييز الموعود على
طريق بيان الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** اشارة الى كيفية
وقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة والمعنى ما كان الله ليترك المخلصين
على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في
قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال
حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم من وحشة الشركة وسوء جوارهم والتعبير
بالاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية لا يتاتى الا ممن رشحه الله تعالى للمنصب الجليل
تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شانه
عليه السلام في هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرسل الخالية عليهم السلام
وتعميم الامر في قوله تعالى **فآمنوا بالله ورسله** مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم
لايجاب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه
من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه السلام والمأمور به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه
بما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى
لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين
امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على
عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات
الصدور فان ذلك مما استاثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد

مرتبتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا الاسرار صريح في ان المراد اطلاعه
تلك الاسرار بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفا واقرب من ذلك
حمل الاية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان الحكمة في املائه تعالى للكفرة اثر بيان تزيينه لهم فالمعنى ما كان الله
ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك الى الان لسر يقتضيه بل يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعله
يومئذ حيث خلى الكفرة وشانهم فابرزهم صورة الغلبة فاظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وانتضحوا
على روس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت
وان تؤمنوا اي بما ذكر حق الايمان وتتقوا اي عدم مراعاة حقيقته او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان
والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان
لحال البخل وخامة عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به بعنوان
ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه
وضمير الفصل راجع اليه اي لا يحسبن الباخلون بما آتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه واستحقاق
له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول
بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك على قراءة الخطاب اي ولا يحسبن بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من
فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين
للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفية شريته اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام
الطوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة بينهما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة
حية في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك ولله وحده لا لاحد غيره استقلالا او
اشتراكا ميراث السموات والارض اي ما يتوارث فيهما اهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها اهل السموات
فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم
وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة في الوعيد والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من
ذكر قبائحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قالته
اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه
الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال
فنحاص ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر رضي الله عنه في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم
من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع مع كون القائل
واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسماع
للايذان بانه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد
والمبالغة في الوعيد سنكتب ما قالوا اي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الحفظة او سنحفظه
ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتاكيد اي لن يفوتنا ابدا تدوينه لكونه في
غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى
وقتلهم الانبياء ايذانا بانهما في العظم اخوان وتنبيها على انه ليس باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق
وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم
وقوله تعالى بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم اي كائنا بغير حق في اعتقادهم ايضا كما هو في نفس الامر
وقرئ سيكتب على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب
الحريق اي وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذاقوا المسلمين الغصص وفيه من
المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد

البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت ايديكم
اي بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الانفس
بالايدي لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده
بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى
عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال
باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى
بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان
ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت
وسببيته للعذاب من حيث ان نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده
ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب
حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى
اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل
وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج
الى ذلك ان لو كان المدعي ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب او رفع
على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهوذا
ان الله عهد الينا اي امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله
النار كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء
فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان
الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
لعدم اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اي تبكيتا لهم واظهارا
لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلي بالبينات اي المعجزات الواضحة وبالذي قلتم
بعينه من القربان الذي تاكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فيما يدل عليه كلامكم من انكم
تؤمنون لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام قد جاؤكم
بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع في تسلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم اثر ما جرى اليه ما يحزنه عليه السلام من الكفرة من المشركين واليهود وقوله
تعالى فقد كذب رسل من قبلك قائم مقام جواب الشرط اي فلا تحزن فقد كذب الخ جاءوا بالبينات اي المعجزات الواضحة صفة لرسل
والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكمة من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته
والكتاب المنير قيل التورية والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام ولذلك
جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها مغايرة بالذات
للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالتنوين وعدمه
كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم يوم القيمة اي توفون اجزية اعمالكم على التمام
بلفظ الاجور اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض
الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار اي بعد عنها يومئذ ونحي والزحزحة في الاصل
تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والظفر بالبغية وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم
الاخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور
شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب

الآخرة نهي له متاع بلاغ والغرور إما مصدر أو جمع غار لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المؤمنين عما سيلقون من جهة الكفرة من المكاره إثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا أنفسهم على
احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فإن هجوم الأوجال مما يزلزل
الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب وأصل الابتلاء الاختبار أي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه
لأمر يشق عليه غالبا ملابسته أو مفارقته وذلك إنما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الأمور وأما
من جهة العليم الخبير فلا يكون إلا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار أحد الأمرين أو الأمور قبل أن يرتب عليه شيئا
هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف أي والله لتبلون أي لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما
عندكم من الثبات على الحق والأعمال الحسنة وفائدة التوكيد إما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب وإما تحقيق
وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما أريد منهم من التهيؤ والاستعداد في أموالكم بما يقع فيها من ضروب الآفات
المؤدية إلى هلاكها وأما إنفاقها في سبيل الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء لما أنه من باب الإضعاف
لا من قبيل الإتلاف وأنفسكم بالقتل والأسر والجراح وما يرد عليها من أصناف المتاعب والمخاوف والشدائد ونحو
ذلك وتقديم الأموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي من قبل إيتائكم
القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للإشعار بمدار الشقاق والإيذان بأن بعض ما يسمعونه منهم
مستند على زعمهم إلى الكتاب كما في قوله تعالى إن الله عهد إلينا الخ والتصريح بالقبلية لتأكيد الإشعار
وتقوية المدار فإن قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من الطعن في الدين
الحنيف والقدح في أحكام الشرع الشريف وصد من أراد أن يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الأشرف
وأضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه وإن
تصبروا أي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمل وتتقوا أي تتبتلوا إلى الله
تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تتساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فإن ذلك إشارة إلى
الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب إما باعتبار
كل واحد من المخاطبين وإما لأن المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية أحوال المخاطبين
من عزم الأمور من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون أي مما يجب أن يعزم عليه كل أحد لما فيه من كمال المزية
والشرف أو مما عزم الله تعالى عليه وأمر به وبالغ فيه يعني أن ذلك عزمة من عزمات الله لابد أن تصبروا وتتقوا
والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كأنه قيل وإن تصبروا وتتقوا فهو خير لكم أو فقد أحسنتم أو
فقد أصبتم فإن ذلك الخ ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة حينئذ جواب الشرط
وفي إبراز الأمر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من إظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى وإذ أخذ الله كلام
مستأنف سيق لبيان بعض أذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها وإذ
منصوب على المفعولية بمضمر أمر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب أو الخطاب الشامل له
وللمؤمنين لكونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الأمر بالذكر إلى الوقت دون ما وقع فيه من
الحوادث مع أنها المقصودة بالذات للمبالغة في إيجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى وإذ قال ربك
للملائكة إني جاعل في الخ أي اذكر وقت أخذه تعالى ميثاق الذين أوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنصارى ذكروا
بعنوان إيتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم
ينبئ عنه أخذ الميثاق كأنه قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرن جميع ما فيه من الأحكام والأخبار التي من
جملتها أمر نبوته صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لأنهم غيب ولا تكتمونه عطف على
الجواب وإنما لم يؤكد بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفي بالتأكيد في الأول لأنه
تأكيد له وقيل هو حال من ضمير المخاطبين إما على إضمار مبتدأ بعد الواو أي وأنتم لا تكتمونه وإما على رأي من
جوز دخول الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا أي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد
الأمر بالبيان إما للمبالغة في إيجاب المأمور به وإما لأن المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته
عليه السلام وبالكتمان المنهي عنه إلقاء التأويلات الزائغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه أي النبذ

النبذ الرمي والإبعاد أي طرحوا ما أخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون التأكيد وألقوه وراء ظهورهم ولم يراعوه
ولم يلتفتوا إليه أصلا فإن نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والإعراض عنه بالكلية كما أن جعله نصب العين
علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علماء الدين وإظهار ما يحتاج إليه من العلم للناس
أجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الأغراض الفاسدة أو طمع في غرض من الأعراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن أهله ألجم بلجام من نار وعن طاوس أنه قال لوهب بن منبه إني أرى الله سوف
يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما كتمته لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب
لا يحل لأحد من العلماء أن يسكت عن علمه ولا يحل للجاهل أن يسكت عن جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما أخذ
الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا واشتروا به بالكتاب الذي أمروا ببيانه ونهوا
عن كتمانه فإن ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وإسناد الفعل على الكل مع أن المراد به كتم بعضه
أي ما يتعلق بنبوته عليه السلام ونحوها لما أن ذلك كتم للكل إذ به يتم الكتاب كما أن رفض بعض أركان الصلاة رفض
لكلها أو عن لذ كتم الكل من حيث إنهما يتشابهان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وإن لم تفعل فما
بلغت رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا أي تركوا ما أمروا به وأخذوا بدله ثمنا قليلا
شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا وأعراضها وفي تصويره هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة
في المأخوذ والإعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن الذي شأنه
أن يكون وسيلة إليه وجعل الكتاب الذي حقه أن يتنافس فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات
والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية قبحها بإيثارهم الدني الحقير على الشريف
الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الأصلي وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه فبئس
ما يشترون ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف أي بئس شيئا يشترونه
ذلك الثمن لا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح له الذين يفرحون بما أتوا أي بما فعلوا
كما في قوله تعالى إنه كان وعده مأتيا ويدل عليه قراءة أبي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى أعطوا وبما أوتوا أي
أوتوه من علم التوراة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك وأحبوا أن يوصفوا
بالديانة والفضل وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق وأخبروه
بخلافه وأروه أنهم صدقوا واستحمدوا إليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة بنبوته عليه السلام
وأحبوا أن يحمدوا بأنهم متبعون ملة إبراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين أو عن مشاهيرهم موضوع موضع
ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه أعمالهم المحكية من العقاب الأخروي إثر بيان قباحتها وقد أدمج
فيها بيان بعض آخر من شنائعهم وهو إصرارهم على ما هم عليه من القبائح وفرحهم بذلك ومحبتهم لأن يوصفوا بما
ليس فيهم من الأوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في سلك الصلة التي حقها أن تكون معلومة الثبوت للموصول
عند المخاطب إيذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بأنهم رأوا المصلحة في
ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الأنسب بظاهر قوله تعالى ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا
لما روي أنهم كانوا يفرحون بما فعلوا من إظهار الإيمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون إلى المسلمين بالإيمان
وهم عن فعله بألف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة فالموصول عبارة
عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فإن أكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل الأولى إجراء الموصول
على عمومه شاملا لكل من يأتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح إعجاب ويود أن يمدحه الناس بما هو عار منه
من الفضائل منتظما لهؤلاء انتظاما أوليا وأيا ما كان فهو مفعول أول لتحسبن وقوله تعالى فلا تحسبنهم
تأكيد له والفاء زائدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب أي ملتبسين بنجاة منه على أن المفازة مصدر
ميمي وليس تأنيثها بالتاء لما أنها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما في قوله

فلولا رجاء النصر منك ورهبة * عقابك قد كانوا لنا بالموارد

ولا سبيل إلى جعلها اسم مكان على أن الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها أي بمفازة كائنة من العذاب لأنها
ليست من العذاب مع كونه خلاف الأصل يستدعي [illegible] عنه وقرئ بضم الباء فيهما على أن الفعل له عليه السلام

او لكل احد ممن يتأتى منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني فقط على ان الفعل للموصول
والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اى لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله
تعالى فلا تحسبنهم تأكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا
لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله • باى كتاب او باية سنة • ترى حبهم عارا على وتحسب
حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم
او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة مفعول الفعل الثاني عليه والفعل الثاني
مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه وعدم ومفعولاه الضمير
المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان آرائهم الركيكة
وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الآخرة كما يخادعون من المؤاخذة الدنيوية
وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان
من جهته صلى الله عليه وسلم **ولهم عذاب اليم** بعد ما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق انهم فرد ما
منه لا غاية له في الشدة والايلام كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف **ولله** اى خاصة **ملك
السموات والارض** اى السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيفما يشاء ويريد ايجادا واعداما
احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة
لما قبلها وقوله تعالى **والله على كل شيء قدير** لتقرير اختصاص ملك العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه
وتعالى فان كونه قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشياء يستدعي كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا
له ومن ضرورة اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشياء في القدرة على شيء من الاشياء فضلا
عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام
الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير **ان في خلق السموات** جملة مستأنفة سيقت
لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التأكيد اعتناء بتحقيق
مضمونها اى في انشائهما على ما هما عليه في ذواتهما وصفاتهما من الامور التي يحار في فهم اجلاها العقول **والارض** على ما
هي عليه ذاتا وصفة **واختلاف الليل والنهار** اى في تعاقبهما لا في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب
طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر
وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب
الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر
من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن
ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده
وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا
انها ليلاة كما في كيكة وكياكي كأنها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس لما ارتفع وقال
ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما التقدم
في الخلفية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اى نزيله عنه فيخلفه **لآيات** اسم ان
دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب
شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة
البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة
فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هنالك فقد قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان
اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هنالك
من آيات رحمته كما انه من آيات الهيبة وحدته **لاولي الالباب** اى لذوي العقول المجلوة الخالصة عن
شوائب الحس والوهم المجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتأملين في اجلى الحقائق

الحقائق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت • المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق
المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق • الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود • المتفحصين
عن حقيقة سر الحق في كل موجود • مثابرين على مراقبته وذكراه • غير ملتفتين الى شيء مما سواه • الا من حيث انه
مرآة لمشاهدة جماله • وآلة لملاحظة صفات كماله • فان كل ما ظهر في مظاهر الابداع • وحضر بمحاضر التكوين
والاختراع • سبيل سوي الى عالم التوحيد • ودليل قوي على الصانع المجيد • ناطق بآيات قدرته • فهل من سامع
واع • ومخبر بانباء علمه وحكمته • فهل له من داع • يكلم الناس على قدر عقولهم • ويرد جوابهم بحسب عقولهم يجاوز
تارة باوضح عبارة • ويلوح اخرى بالطف اشارة • مراعيا في ابدائه ابهامهم وتفريحهم • وان من شيء الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم • تأمل في هذه الشؤون والاسرار • ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار • عن عائشة رضي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل لك يا عائشة ان تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله
اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام
يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم
رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد بلغت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول
الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا
ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروي
ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك
ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض الخ **الذين يذكرون الله** الموصول اما موصول باولي
الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع
على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر هو القول المقدر قبل قوله ربنا وفيه من تفكيك
النظم الجليل ما لا يخفى واياما كان فقد اشير بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة
اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه
فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم [illegible] عز وجل **قياما وقعودا وعلى جنوبهم**
ولا في الآفاق [illegible] الا وهم يعاينون في ذلك شأنا من شؤونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا
سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر اللساني اولا واما ما حكي
عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله
فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم فليس مرادهم
به تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد
من افراد مدلولها وقد حمل على الصلاة حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين
صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب [illegible]
والقيام والقعود جمع قائم وقاعد [illegible] على الحالية من ضمير يذكرون
[illegible] وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحال اى كائنين على جنوبهم
اى مضطجعين فالمراد تعميم الذكر للاوقات مع تخصيص الاحوال المذكورة بالذكر [illegible]
[illegible] الى الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا **ويتفكرون في خلق السموات والارض**
عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل محله النصب على انه معطوف على
الاحوال [illegible] وهو بيان لتفكرهم [illegible] سبحانه اثر بيان [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فان من تأمل في [illegible] خلق العالم [illegible]

نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل
والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بأن من قدر على إنشائه بلا مثال يحتذيه أو قانون ينتحيه
فهو على إعادته بالبعث أقدر وحكم بأن ذلك ليس إلا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط بأعمالهم
أي علومهم واعتقاداتهم التابعة لأنظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والأمارات والمخايل وسائر أعمالهم
المتفرعة على ذلك فإن العمل غير مختص بعمل الجوارح بل يتناول عمل القلب بل هو أشرف أفراده لما أن لكل
من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الأول أشرف من الثاني كون عمله أيضا أشرف من
عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته التي هي أول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به
قوله عز وجل وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون أي ليعرفون كما أعرب عنه قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فأحببت أن
أعرف فخلقت الخلق لأعرف وإنما طريقها النظري التفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روي أنه عليه السلام قال لا
تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله
ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت أنه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الرسل الكرام
وإنما فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم أيكم أحسن عملا بقوله عليه السلام أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله تعالى فإن التورع عن محارمه سبحانه موقوف
على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة فتتصادق الآيات التكوينية وتتوافق الأدلة العقلية والسمعية
وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الأمور المستدعية للإيمان بالشريعة في سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه
وإظهار خلق السموات والأرض مع كفاية الإضمار لإبراز كمال العناية ببيان حالهم والإيذان بكون تفكرهم على وجه
التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لإدراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره فيما سلف إما للإيذان بظهور
اندراجه فيه لما أن ذلك من الأحوال التابعة لأحوال السموات والأرض كما أشير إليه وإما للإشعار بمسارعتهم إلى
الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الآيات من غير حاجة إلى بعض آخر منها في إثبات المطلوب والخلق مصدر على
حاله أي يتفكرون في إنشائهما وإبداعهما بما فيهما من عجائب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على أن الإضافة
بمعنى في أي يتفكرون فيما خلق فيهما أعم من أن يكون بطريق الجزئية منهما أو بطريق الحلول فيهما أو على أنها
بيانية ربنا ما خلقت هذا باطلا كلمة إشارة إلى السموات والأرض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله تعالى
إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والتذكير لما أنهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق أو إلى الخلق على
تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا إما صفة لمصدر مؤكد محذوف أو حال من المفعول به أي ما خلقت هذا المخلوق
كما يبني عنه أوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها
أن يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم إلى معرفة أحوال المبدأ والمعاد حسبما أفصحت عنه الرسل والكتب
الإلهية كما تحققته مفصلا والجملة بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لأولي الألباب
استئناف مبني لنتيجة التفكر ومدلول الآيات ناشئ مما سبق فإن النفس عند سماع تخصيص الآيات المنصوبة
في خلق العالم بأولي الألباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في مجال تلك الآيات تبقى مترقبة لما يظهر منهم
من آثارها وأحكامها كأنه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون
كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي إلى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل
الأحكام المتفرعة على التفصيل الذي وقفت عليه هذا وأما جعله حالا من المستكن في الفعل كما أطبق عليه
الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما أن ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه أن يكون من مبادي الحكم
الذي أجري على الموصول ودواعي ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة أوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات
والأرض فإنهما يؤديان إلى اجتلاء تلك الآيات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في أن قولهم ذلك ليس من مبادي
الاستدلال المذكور بل من نتائجه المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل
نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا أو منصوبا على المدح أو مرفوعا على أنه خبر لمبتدأ محذوف
إذ لا اشتباه في أن قولهم ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي إبراز هذا القول في معرض الحال دون
الخبر إشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك وقوله سبحانك تنزيها لك عما لا يليق بك من الأمور

الأمور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى فقنا
عذاب النار فإن معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه من الأعمال
الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين أحدهما
الوقوف على تحقق العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو
عن الوقاية على ذلك كأنه قيل وإذ قد عرفنا سرك وأطعنا أمرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي
هو جزاء الذين لا يعرفون ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه
وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيذان بشدة
الخوف وإظهار النار في موضع الإضمار لتهويل أمرها وذكر الإدخال في مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين
غاية فظاعته قال الواحدي للإخزاء معان متقاربة يقال أخزاه الله أي أبعده وقيل أهانه وقيل أهلكه
وقيل فضحه قال ابن الأنباري الخزي لغة الهلاك بتلف أو انقطاع حجة أو بوقوع في بلاء والمعنى فقد أخزيته بيه
خزيا لا غاية وراءه كقولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك أي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الإشعار
بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين من أنصار تذييل لإظهار نهاية فظاعة
حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين
موضع ضمير المدخلين لذمهم والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الأشياء في غير مواضعها وجمع الأنصار
بالنظر إلى جمع الظالمين أي ما لظالم من الظالمين نصير من الأنصار والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في
الآية دلالة على نفي الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم الكفار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان
حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الأدلة العقلية
وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لإظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للإيذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة
ومزيد النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديته بإلى لتضمنه معنى الانتهاء وباللام لاشتمالهما على معنى الاختصاص
والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وإيثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن
الدعوة وتبليغها إلى الداني والقاصي لما فيه من الإيذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما
في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما إذا قلت سمعت زيدا يقول الخ ومفعول
ثان لسمعنا عند الفارسي وأتباعه وهذا أسلوب بديع يصار إليه للمبالغة في تحقيق السماع والإيذان بوقوعه
بلا واسطة عند تصدير المسموع عن المتكلم وللتوسل به إلى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم
بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للإيمان على طريقة قولك سمعت
متكلما يتكلم بالحكمة لما أن التفسير بعد الإبهام والتقييد بعد الإطلاق أوقع عند النفس وأجدر بالقبول
وقيل المنادي القرآن العظيم أن آمنوا أي آمنوا على أن أن تفسيرية أو بأن آمنوا على أنها مصدرية بربكم
لمالككم ومتولي أموركم ومبلغكم إلى الكمال وفي إطلاق الإيمان ثم تقييده تفخيم لشأنه فآمنا أي فامتثلنا
بأمره وأجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع وإظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الإيمان به
والفاء في قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة أو الدعاء بها على الإيمان به تعالى والإقرار بربوبيته فإن
ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها ذنوبنا أي كبائرنا فإن الإيمان يجب ما قبله وكفر عنا سيئاتنا أي
صغائرنا فإنها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الأبرار أي مخصوصين بصحبتهم مغتنمين لجوارهم معدودين
من زمرتهم وفيه إشعار بأنهم كانوا يحبون لقاء الله تعالى ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والأبرار جمع بار أو بر
كأصحاب وأرباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم مسوق بما قبله معطوف عليه
لتأخر التحلية وتكرير النداء لما مر مرارا والمراد بالموعود الثواب وعلى إما متعلقة بالوعد كما في قولك وعد
الله الجنة على الطاعة أي وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف أي وعدتنا
وعدا كائنا على ألسنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك أو محمولا على رسلك ولا يخفى أن تقدير الأفعال
الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع أن المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما أن دعوته
عليه السلام لا سيما في باب التوحيد وما أجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام

كيف وقد أخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من
كتاب وحكمة الآية ولكنا الموعود على لسانه من الثواب موعود على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثقة
بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيمة [illegible] كرر وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله
النبي والذين امنوا معه ومطرت لهم من امن معه رجاء للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى انك لا تخلف
الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال
ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل
فرجعها الى الدعاء بالتثبيت او للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه البعث بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال ربنا خمس مرات انجاه الله مما يخاف
واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة
عامة والاستجابة خاصة باعطاء المسؤول ويتعدى باللام وبنفسه كما في قوله • فلم يستجبه عند ذاك مجيب
وهو عطف على الاستيناف المقدر فيما سلف مرتب على ما في حيزه من الادعية كما ان قوله عز وجل ثم قيل للذين
ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل الآن اي قيل لهم آلآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما ان قوله تعالى في
سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد الخ كانه قيل يغفلون عن الهداية
ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل ههنا للدلالة على استمرار ما يناسب مقام
الدعاء وصيغة الماضي ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى اذ
تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله فاستجاب لكم كما سيأتي ويجوز ان يكون معطوفا على مضمر
ينساق اليه الذهن اي دعوا بهذه الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على
يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله ربنا الخ فان الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا
على مجرد تفكرهم وحيث كانت من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك
محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم واما على تقدير كون الموصول نعتا لأولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف
اصلا لما عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم
السابقة ليست كذلك فان الاستجابة [illegible] وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى
الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار اللطف بهم ما لا يخفى اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني
وهكذا قرأ ابي رضي الله عنه [illegible] للسببية كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم [illegible] وسنته
السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين
بشرف الخطاب والمراد تأكيدها ببيان سببها والاشعار بان مدار اجابة دعواتهم التي قدموها على الدعاء الا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كان من ذكر او انثى بيان لعامل وتأكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب
انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال
بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل ما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك روي ان ام سلمة رضي الله عنها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى
فالذين هاجروا الخ تفصيل لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين
هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم [illegible] واوذوا في سبيلي [illegible]
[illegible] المشركين وقاتلوا اي الكفار في سبيل الله وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ

وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعي الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتال آخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل
فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد مما ذكر في حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل في الجملة سواء كان ذلك
باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق
حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين كيف ولو اريد الحكم على اتصاف كل فرد بالكل لكان قتل
اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن
والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعدما وعد
ذلك عموما وقوله تعالى ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما
قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال
الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة
كائنة او تثويبا كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده
حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع
بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والعندية
عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال [illegible] يكون بحضرة
احد لا يقدر عليه غيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفي
تصدير الوعد الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره من لطف
المسالك المنبئ عن عظم شأن المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي
الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شأنها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون من الثواب
والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او على
ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد افناؤهم او لكل احد ممن يصلح
للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب مبالغة اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور
الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون
المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت
وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر
من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم
يرجع فاذن لا يجدي وجوده لواجده ولا يضر فقده لفاقده ثم مأواهم اي مصيرهم الذي يأوون
اليه لا يبرحونه جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم
اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن
الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين
غب بيان وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تبجحهم
ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب
التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي والموصول مبتدأ والظرف خبره وجنات مرتفع به على
الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر جنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال
مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله
وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعراء الضبي •
وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا •
وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر
مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله خير مبتدأ وخبر وقوله تعالى للابرار
متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اي مما
يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من

اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستأنفة
سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت مساويهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم
من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من
الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال عم اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي
وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه
فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن
وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين وتأخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر
بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة
وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف
ولا كتم كما هو ديدن المحرفين واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا
يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله وتوسيطها في سلك محاسنهم ليس
من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمن ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك
اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على رفعة رتبتهم وبعد
منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى لهم اجرهم اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى
اولئك يؤتون اجرهم مرتين وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء
والظرف خبره والجملة خبر اولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف
كالصفة ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة
الى تأمل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة
الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا على مشاق الطاعات وغير ذلك
من المكاره والشدائد وصابروا اي غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق
الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له
قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما
وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا
الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا
لعلكم تفلحون اي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل مكروه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم
من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تغيب الشمس والله اعلم

سورة النساء مدنية مائة وست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه جميع المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين ح والحادثين
بعد ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين
عن درجة التكليف الا عند الحنابلة اما بطريق تغليب الفريق الاول على الآخرين واما بطريق تعميم حكمه لهما
بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان آخر الامة مكلف بما كلف اولها كما ينبئ عنه قوله عم الحلال ما جرى على
لساني الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلاحظ لهم في الخطاب لاختصاص
الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عداهما مما له دخل في تأكيد التكليف
وتقوية الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في
قوله تعالى اتقوا ربكم فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما
ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص

تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمأمور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك
واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او في مخالفة تكاليفه
الواردة ههنا واياما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير
المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب
بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع لانبائه عن
قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من
اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى اياهم
صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما
بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاص ما في حيز
بالمأمورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات
الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمأمورين من نفس آدم عم حيث كان
بوساطة ما بينهم وبينه عم من الآباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسائط
جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك قوله تعالى وخلق منها زوجها
فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع
من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا وخلق منها زوجها
الخ وهو استئناف مسوق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس
مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف
مفعوله على مفعول الفعل الاول كما في قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الخ لاظهار
ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى
خلق حوا من ضلع آدم عم روي انه تعالى لما خلقه عم واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم
واليقظان خلق حوا من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم
لما انه ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور
للاعتناء ببيان مبدئيته عم لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد
لما بعده من التناسل وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل
رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع او العدد وقيل هو نعت
لمصدر مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وايثارهما
على ذكورا واناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ
وخالق وباث على حذف المبتدأ اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر
وتذكير لبعض آخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان يقولوا أسألك بالله
وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء بالاسم
الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل
به لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ بادغام
تاء التفاعل في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي اي تسألون به غيركم وقد فسر به
القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر عم
تساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة
بالله تعالى ويقولون اسألك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها
فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز الواحدي
نصبه على الاغراء اي والزموا الارحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدأ

محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتسأل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل
على ان صلتها بمكان منه كما فى قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه عليه السلام الرحم
معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اى
مراقبا وهى صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اى حافظا
مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى ما فى ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو
تعليل للامر ووجوب الامتثال به واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل
وآتوا اليتامى اموالهم شروع فى تفصيل موارد الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر
بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ
الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه
لما كان من وادى الآفات جمع على يتمى ثم جمع على يتامى والاشتقاق يقتضى صحة اطلاقه على الكبار ايضا
واختصاصه بالصغار مبنى على العرف واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اى
لا يجرى على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم
الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسوء حتى تأتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده
من النهى عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى
حتى اذا بلغوا النكاح الآية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجازا للايذان بانه ينبغى ان يكون مرادهم بذلك ايصالها اليهم
لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى امرهم من الاولياء
والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة واما من جرى عليه
اليتم فى الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل لاولياء الفريقين صيغة
موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع الى الكبار فمستفاد
مما سياتى من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء فى الزمان المستقبل وقيل اطلق اسمهم على
الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان
يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل ويابا هما ما سياتى من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ
فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائى لا على وجه تعيين وقته او بيان شرطه قد عرفت
كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الايتاء للايتاء حالا
وللايتاء مآلا وتعميم الخطاب لاولياء كلا الفريقين على ان من بلغ منهم فوليه مامور بالدفع اليه بالفعل وان
من لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى فالانسب ما تقدم من
حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يؤدى اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الاعطاء بالفعل
بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا واما ما روى من ان رجلا من
غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا
الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح فى ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب نهى عن اخذ مال اليتيم على الخصوص بعد النهى الضمنى عن اخذه على الاطلاق
وتبدل الشئ بالشئ واستبداله به اخذ الاول بدل الثانى بعد ان كان حاصلا له او فى شرف الحصول
يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزائل بالباء كما فى قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان
الخ وقوله تعالى اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما فى قوله
تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ واخرى بالعكس كما فى قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها
خاتما نص عليه الازهرى وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما فى قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم
حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهى عنه استبدال مال اليتيم بمال انفسهم مطلقا
كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تتذروا اموالكم الحلال وتاكلوا الحرام من اموالهم فالمنهى عنه اكل ماله مكان

مكان مالهم المحقق والمقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه وايا ما كان فانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه
وترغيبا فيما اعطوه وتصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو الردى والجيد فمورد النهى ما كانوا
عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطاء الردى من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعى والزهرى
والسدى وتخصيص هذه المعاملة بالنهى لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل
الخبيث بالطيب فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا فى المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه
قاصدين لجلب المحبوب اليه مشترى كان او مثمنا لا لسلب المحبوب عنه ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم نهى عن
منكر آخر كانوا يتعاطونه اى لا تاكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد رخص
من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولى فقيرا انه اى الاكل المفهوم من النهى كان حوبا اى ذنبا عظيما
وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة
فى بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها وان خفتم الا
تقسطوا فى اليتامى الاقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط اى جار ولا مزيدة كما فى قوله تعالى
لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما
فى قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقى لان
الذى علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصر على الجور ولا يخافه وهذا
شروع فى النهى عن منكر آخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهى عما يتعلق
باموالهم خاصة وتاخيره عنه لقلة وقوع المنهى عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منزلة المركب من المفرد وذلك انهم
كانوا يتزوجون من تحل لهم من اليتامى اللاتى يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل فى مالهن ويسيئون فى الصحبة والمعاشرة
ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها
وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصداق وامروا
ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهرى رواية عن عروة عن عائشة رضى الله عنها واما اعتبار اجتماع عدد
كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها
ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر بنكاح غيرهن فان المحذور حينئذ يندفع
بتقليل عددهن اى وان خفتم ان لا تعدلوا فى حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق
فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة او موصوفة وما بعدها صلتها او صفتها اوثرت على من ذهابا الى الوصف وايذانا
بانه المقصود بالذات والغالب فى الاعتبار لا بناء على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله بمقام
الترغيب فيهن وقرأ ابن ابى عبلة من طاب ومن فى قوله تعالى من النساء بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى
بشهادة قرينة المقام اى فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفى ايثار الامر بنكاحهن على النهى عن نكاح
اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف فى استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه
كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذى اشير اليه فيه مبالغة فى الاستمالة اليهن والترغيب فيهن وكل ذلك
للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر فى توجيه النهى الضمنى الى النكاح المرتقب مع ان سبب النزول هو
النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع والمبالغة فى بيان حال النكاح
المحقق فان محظورية المرتقب حيث كانت للجور المرتقب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل
المراد بالطيب الحل اى ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل للمحرمات ولا مخصص له بمن عدا من ذكر وفيه فرار من
محذور ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل
على الثانى لان العام المخصوص حجة فى غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن حمل
قوله تعالى حرمت عليكم الخ دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه فى التنزيل فيجعل دالا على التخصيص
مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها
عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر
من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن

والاستمالة لهن بتوسيع دائرة الاذن اى فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اى عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما فى قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف فى العدد هذا وقد قيل فى تفسير الآية الكريمة لما نزلت الآية فى اليتامى وما فى اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق الحوب بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل فى حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون عن الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الى قوله وكفى بالله حسيبا فان خفتم الا تعدلوا اى فيما بينهن ولو فى اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه فى حق اليتامى او كما لم تعدلوا فى حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد فواحدة اى فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اى فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم اى من السرارى بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسرى لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين فى الموضعين بخلاف ما سيأتى من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر عددهن لقلة تبعتهن وعدم وجوب القسم بينهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وفى القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى ادنى ان لا تعولوا العول الميل من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال فى الحكم اى جار والمراد هاهنا الميل المحظور المقابل للعدل اى ما ذكر من اختيار الواحدة والتسرى اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله فى الاول وانتفاء خطره فى الثانى بخلاف اختيار العدد فى المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن هاهنا تبين ان مدار الامر عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اى مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسرى مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السرارى انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى التعليل وآتوا النساء اى اللاتى امر بنكاحهن صدقاتهن جمع صدقة كسمرة وهى المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة فى ظلمة نحلة قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانها مما فرضه الله فى النحلة اى الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اى اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اى اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبى نحلة اى هبة وعطية منه تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب الخاطر فانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير آتوا اى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبى النفوس بالاعطاء او من الصدقات اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك

اى تعظمه فان طبن لكم عن شىء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما فى قوله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روى عن رؤبة انه حين قيل له فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق كأنه فى الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغى ان تقول كأنها وان اردت السواد والبلق ينبغى ان تقول كأنهما قال لكنى اردت كأن ذلك او للصداق الواقع موقعه صدقاتهن كما فى قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كأنه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافى والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشىء اى كائن من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اى ان وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة فى الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرة فكلوه اى فخذوا ذلك الشىء الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا ساغ من غير غصص وقيل الهنىء الذى يلذه الآكل والمرىء ما يحمد عاقبته وقيل ما يساغ فى مجراه الذى هو المرىء وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمى بذلك لمرء الطعام فيه اى انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير المنصوب اى كلوه وهو هنىء مرىء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيما مقام المصدرين كأنه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفس النساء اعنى نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهى لليتامى لا لانظر الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتى بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكأن اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد النوعى والنسبى مبالغة فى حملهم على المحافظة عليها كما فى قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بنى نوعهم بانفسهم مبالغة فى زجرهم عن قتلهم فكأن قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل التى جعل الله لكم قياما اى جعلها الله شيئا تقومون به وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموها لضعتم ثم زيد فى المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكأنها فى انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية التى هى معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهى بهذا الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك يخل بالمحافظة المذكورة كيف لا والحالة هذه اذن لا يكون لاعتبار اضافتها اليهم وجه بل الحق ان الاضافة ما بين اليتامى والاولياء وقرئ اللاتى واللواتى وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشىء وارزقوهم فيها واكسوهم اى واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امره الى من لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه ولا يخفى انه لا يلائمه قوله تعالى وقولوا لهم قولا معروفا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع فى تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر

بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع
احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كانوا من
اهل التجارة بان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم بان
تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم
حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح فان آنستم اي شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم
بمعنى احسستم كما في قول من قال • خلا ان العتاق من المطايا • احسن به فهن اليه شوس • منهم رشدا اي
اهتداء الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر او للاعتناء وتبعيد رتبته له والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين
وبضمهما فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول
الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الاية الكريمة ان حتى هي التي تقع بعدها الجمل
في قوله • فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل • وما بعدها
جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الاية الكريمة ان من بلغ
غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة ينتظر
الى خمس وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة
في تغير احوال الانسان لما قاله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يؤنس ولا
تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم
تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد
للامر بالدفع وتقرير لها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف الخ اي من كان
من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها وليقتنع بما اتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم
وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء والاوصياء فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية
واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل
مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي
ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب
وعن محمد بن كعب يتقرم كما يتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من
ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر
ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ
القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت
نفسي من مال الله عز وجل منزلة ولي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا
ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم بعد ما
راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام به فاشهدوا عليهم بانهم
تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل في الامانة وبراءة
الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي
وكفى بالله حسيبا اي محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث
والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب اي لهم نصيب كائن
مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن
على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ للاعتناء بامرهن

والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين و
المبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم كانوا لا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب
ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه
سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم
يبين فلا تفرقا في مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين
والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من
ما الاخير باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل
على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق
ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة
من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون
حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث
لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها
المبحوث عنها ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا
يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول عليه
بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا
عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما
اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا
عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف
بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم
شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء
الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم
او للمؤمنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين
حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة
الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف
بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ
لا نفع للاول بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب
او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة
عذرا او وعدا حسنا او يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى تجاوز الثلث وقوله تعالى ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين استئناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر والنواهي
انما ياكلون في بطونهم نارا اي ملء بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة انه قال
عليه السلام يبعث الله قوما من قبورهم تتاجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام الم تر ان الله
يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اي سيدخلون
نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلى النار قاسى
حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها
روي ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس
انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت هذه الاية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة
اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الاية يوصيكم الله شروع في

تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله تعالى للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلاثة قسم لا يسقط بحال وهم
الاباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اى يامركم ويعهد اليكم في اولادكم اى اولاد
كل واحد منكم اى في شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل
حظ الانثيين جملة مستانفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى
يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما راه الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه
في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة الاية وقوله تعالى
للذكر لابد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اى للذكر منهم
وقيل الالف واللام قائم مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اى للذكر منهم حظ مثل حظ
الانثيين والبداءة ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي
الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق
من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء
فان كن اى الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اى خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين
خبر ثان او صفة لنساء اى نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام
وان كانت اى المولودة واحدة اى امراة واحدة ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق
فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف في البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ
الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزداد النصيب
بزيادة العدد رد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث
مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلأن تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من
الاختين وقد فرض الله لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اى لابوي الميت غير
النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وتوسط بين
المبتدا الذي هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذي هو لابويه ونقل الخبر اليه تنصيصا على
استحقاق كل منهما السدس وتاكيدا له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا
وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل الاستقرار المعتبر
في الخبر اى كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان
الاب في صورة الانوثة بعدما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد
ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه
لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة
جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها احظر واستحقاقها اتم واوفر اولات
استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام
ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى
منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف
وضع الشرع فان كان له اخوة اى عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من
جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كانوا وارثين او كانوا محجوبين بالاب فلامه
السدس واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعن ابن
عباس انهم على كل حال لا خلاف ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث ولا بالاخوات الخلص وقرئ فلامه
بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدا محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها
وحده اى هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اى الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا
للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية الا انه غير مقيد

مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة
للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين وتقديم
الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة التفريط في
ادائها ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب
للورثة فاباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدا واقرب خبره ونفعا نصب على
التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة
الكبيرة اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اى اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم اقرب
انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا
وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال
عندهم من غير رجحان احدهما على الاخر كما في قوله عليه السلام مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره
فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق ان انفعية الاول في ضمن
التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية
بالاقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب
الاجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم نظرا الى ظاهر
الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام
تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحياة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى
وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا
في شانهم ما وصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا
كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل فالجملة الاعتراضية
حينئذ مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه يشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع ان العلاقة النسبية
فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اى فرض الله ذلك فرضا او لقوله يوصيكم الله فانه
في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما حكيما في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة
دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه
تقديم حكم ميراث الرجل مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها وان سفل
ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من
ذوي الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا فان كان لهن ولد على
نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقدير عدم الولد وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده
وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا
بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية
وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على
الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا
لما ذكر من اظهار كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور
انفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث
اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد
وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراة
كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراة
اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن
في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه
تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من

أو رث كلالة الكلالة في الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالإضافة إلى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق فنصبها إما على أنها مفعول له أي يورث منه لأجل القرابة المذكورة أو على أنها حال من ضمير يورث أي حال كونه ذا كلالة أو على أنها خبر لكان ويورث صفة لرجل أي إن كان رجل موروث كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة على أنها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف أي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة وإما على أنها مفعول له أي يورث لأجل الكلالة أو امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به أي أو امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للإيذان بشرفه وأصالته في الأحكام وله أي للرجل وفيه تأكيد للإيذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها أيضا وقيل الضمير لكل منهما أخ أو أخت أي من الأم فحسب وقد قرئ كذلك فإن أحكام بني الأعيان والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على أنها حال من ضمير يورث أو من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسألة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وإن كان مع من ذكر ورثة أخرى بطريق الكلالة وأما جريانه في صورة وجود الأم أو الجدة مع أن قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالإجماع فلكل واحد منهما من الأخ والأخت السدس من غير تفضيل للذكر على الأنثى لأن الإدلاء إلى الميت بمحض الأنوثة فإن كانوا أكثر من ذلك أي أكثر من الأخ أو الأخت المنفردين بواحد أو بأكثر والفاء لما مر من أن ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من أصحاب الفروض والعصبات هذا وأما تجويز أن يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من أورث على أن المراد به الوارث والمعنى وإن كان رجل يجعل وارثا لأجل الكلالة أو ذا كلالة أي غير والد أو ولد ولذلك الوارث أخ أو أخت فلكل واحد من ذلك الوارث وأخيه وأخته السدس فإن كانوا أكثر من ذلك أي من الاثنين بأن كانوا ثلاثة أو أكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فمعزول من السداد أما أولا فلأن المعتبر على ذلك التقدير إنما هي الأخوة بين الوارث وبين شريكه في الإرث من أخيه وأخته لا ما بينه وبين مورثه من الأخوة التي عليها يترتب حكم الإرث وبها يتم تصوير المسألة وإنما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه مما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالأخوة لأم متمسكا بالإجماع على أن المراد بالكلالة ههنا أولاد الأم فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه إنما هو الإجماع على أن المراد بالأخوة في قوله تعالى وله أخ أو أخت هو الأخوة لأم خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والآية الآتية في آخر السورة الكريمة ولولا أن الرجل عبارة عن الميت والأخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما أمكن كون الكل أولاد الأم ثم إن الكلالة كما نبهت عليه باقية على إطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص بأولاد الأم فضلا عن الإجماع على ذلك وإلا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وإنما الإجماع فيما ذكر من أن المراد بالأخ والأخت من كان لأم خاصة وأنت خبير بأن ذلك في قوة الإجماع على أن يورث من ورث لا من أورث فتدبر وأما ثانيا فلأنه يقتضي أن يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور أخوة بعضهم لبعض من جهة الأم فقط لما ذكر من الإجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الأخوة من الجهتين وأما ثالثا فلأن حكم صورة انفراد الوارث عن الأخ والأخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد ألا يرى أن حظ كل من الأختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد وأما رابعا فلأن تخصيص أحد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الإدلاء إلى الموت مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها أو دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا أن الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه أيضا وذلك إنما يتحقق فيما يكون ثبوته بالإقرار في المرض كأنه قيل أو دين يوصى به غير مضار حال من فاعل فعل مضمر

يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا على ما كما أن رجال في قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور دون فاعل الفعل المذكور والحذف والاكتفاء به على قراءة البناء للفاعل أي يوصى بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة أي بأن يوصي بما زاد على الثلث أو يكون الوصية لقصد الإضرار بهم دون القربة وبأن يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما أن الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم وصية من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الإضافية أي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الإشعار بما بينهما من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وإن كانتا كلتاهما واجبتي المراعاة أو منصوب بغير مضار على أنه مفعول به فإنه اسم فاعل معتمد على ذي الحال أو منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالإضافة أي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شأن الأولاد فقط كما قيل إذ لا تعلق لهم بالمقام بل في شأن الورثة المذكورة ههنا فإن الأحكام المتفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الإخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الإضرار دون القربة والإقرار بالدين كاذبا وإيقاعها على الوصية مع أنها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق الليلة أهل الدار للمبالغة في الزجر عنها بإخراجها مخرج مضارة أمر الله تعالى ومضادته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي أن يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي إلى الفصل بين الحال وعاملها بأجنبي هو المعطوف على وصية مع أنه لا يتحتم به ما ذكر من الإقرار بالدين على إطلاقه والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا يغتروا بالإمهال وإيراد الاسم الجليل مع كفاية الإضمار لإدخال الروعة وتربية المهابة تلك إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في شؤون اليتامى والمواريث وغير ذلك حدود الله أي شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله في جميع الأوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا وإظهار الاسم الجليل لما ذكر آنفا يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الأخفش تجري من تحتها الأنهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر إلى جمعية من بحسب المعنى كما أن إفراد الضمير بالنظر إلى إفراده لفظا وذلك إشارة إلى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للإيذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظفر بالخير بالعظم إما باعتبار متعلقه أو باعتبار ذاته فإن الفوز المطلق عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الأوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله وقال الكلبي ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده أي شرائعه المحدودة في جميع الأحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا أوليا يدخله وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا أي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل إيثار الإفراد ههنا نظرا إلى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا إلى المعنى للإيذان بأن الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للأنس كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشد في استجلاب الوحشة وله عذاب مهين أي وله مع الحريق الجسماني عذاب آخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم شروع في بيان بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء إثر بيان أحكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحه والإتيان الفعل والمباشرة يقال أتى الفاحشة أي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالإتيان بمعنى المجيء ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين أي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم أي من أزواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال

السدى فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما في حيز الصلة للحكم أي
فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم فان شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن
في البيوت اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن اي الى ان يستوفي ارواحهن الموت
وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من يتولى قبض الارواح ويتوفاها او يتوفاهن ملائكة الموت او يجعل الله
لهن سبيلا اي يشرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه
دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان يأتيانها منكم هما الزاني والزانية بطريق
التغليب قال السدى اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من الحبس المخلد وبذلك يندفع
التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني المحصن مبهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات وعدم ظهور الحاقه باحد
الحكمين لدلالة الخفاء المشترك في المناط فآذوهما اي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال ايضا وظاهر
ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا فان تابا عما فعلا من
الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء واصلحا اي اعمالهما فاعرضوا
عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد جوز ان يكون الخطاب
للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما
ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في اوائل الاسلام على ما مر من التفصيل
ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب
ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد
والرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى
بامساكهن في البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال
ولا انه مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في
اللواطين وما في سورة النور في الزناة والزواني متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية
صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب على انه لا امكان له في الاولى ويأباه الامر باستشهاد الاربعة فانه
غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا ان الله كان توابا رحيما مبالغا في قبول التوبة وفي الرحمة وهو تعليل
للامر بالاعراض انما التوبة على الله استئناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه
وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله
للذين يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على
عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر
على رأي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما في تفسير قوله تعالى ولله على
الناس حج البيت وايا ما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على
التحقق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كأنه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على
بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل اي التوبة التي اوجب الله تعالى
على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تعالى على الله صفة بتقدير متعلقه معرفة على رأي من جوز حذف الموصول
مع بعض صلته اي انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله
وقوله للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه
الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما
قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك
انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ خبرا لا بجعله قيدا الى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات الخ فانه
ناطق بما قلنا كأنه قيل انما التوبة لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون
السوء متلبسين بجهالة اي جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية اي يعملون بسبب الجهالة لان ارتكاب
الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال

قال قتادة اجتمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطأ وعن
مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة
الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه
ما سيأتي من قوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة
فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو
قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين
اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب
التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون في بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور
الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فاولئك اشارة الى المذكورين من
حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول
او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية
الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما
حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيبني احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبلها واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات
الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب
وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان
المديد لا لان المراد بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني
تبت الآن حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات
الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب لاسقاط ذلك
عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الموصول الذي
قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم رأسا مبالغة في بيان عدم قبول
توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشعار خفي بكون حال
المسوفين في عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفار
خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان
الله غني عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا فالتسمية ح للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة
وبالثاني الكفرة اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان
بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا
اليما تكرير الاسناد لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء
بكون العذاب معدا لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم أن
ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته
كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء
زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها
وان ذهبت المرأة الى اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن
بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكوهن
حتى يمتن ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية
على ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهي لغة كالضعف والضعف وكان الرجل
اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بمالها وتختلع
فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفا على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق

ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن لتذهبوا
ببعض ما آتيتموهن اي من الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتاخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن
ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب
للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع الاخذ والاذهاب لانه عبارة عن الذهاب
مستصحبا به الا ان ياتين بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح
من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم
وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا يحل لكم عضلهن في
حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بفاحشة او الا في وقت اتيانهن
بها او الا لاتيانهن بها فان السبب يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع وعاشروهن بالمعروف
خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت و
النفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون
من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى
ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه
قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة
رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان
النفس ربما تكره ما هو اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير
وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل الى
تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية
جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة
وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية وتنوين خيرا
لتفخيمه الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة
تقديره وهو اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر
وان اردتم استبدال زوج اي تزوج امراة ترغبون فيها مكان زوج ترغبون عنها بان تطلقوها وآتيتم
احداهن اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط
اي وقد آتيتم التي تريدون ان تطلقوها قنطارا اي مالا كثيرا فلا تاخذوا منه اي من ذلك القنطار
شيئا يسيرا فضلا عن الكثير اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير
عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم فان
احدهم كان اذا تزوج امراة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى
تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل
في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله تعالى وكيف تاخذونه انكار لاخذه اثر انكار وتنفير
عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق
والوقوع اصلا لان ما دخل تحت الوجود لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن
له حظ من الوجود قطعا وقوله تعالى وقد افضى بعضكم الى بعض حال من فاعل تاخذونه مفيدة لتاكيد
النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن
احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك واخذن منكم ميثاقا
غليظا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة او ما اوثق الله
تعالى عليهم في شانهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم شروع في بيان من يحرم نكاحها
من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه

الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج
آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا فتثبت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستقل في اثبات
هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه
من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او بالزنا
المحرم يثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي رحمه الله في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثار ما على
من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان لما نكح على الوجهين
الا ما قد سلف استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن
والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه
النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى
فانه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر وبابها قوله تعالى
انه كان فاحشة ومقتا فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه
لم يزل في حكم الله تعالى وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يليق ان يتوسط بينهما ما يهون
امره من ترك المؤاخذة على ما سلف منه وساء سبيلا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في
الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح
كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء والثاني انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه
وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف
في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار
والامصار وقيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تعالى هذا النكاح
بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله ومقتا مرتبة قبحه الشرعي وقوله وساء سبيلا
مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه الثلاث مراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح حرمت عليكم امهاتكم
وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن بل
تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن بيانا لامتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له واما
حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رقهن
فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك
النظم الكريم وسياقه وانما لم يوجب المدار المذكور لامتناع ورود ملك اليمين عليهن واستلزامه حرمته
الذي هو الاهم كما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع وروده وحكمه عليهن لان مورد ملك
اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت بفوات محليته كما في النكاح فانه لما كان
مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق محلها حتما
فيزول بوقوع العتق في المواد التي يسبب حرمة تحقق القرابة بالنسبة كما للذكور ويبقى في البواقي على
حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا وما حل الوطء فليس من تلك الاحكام والا لحرم ما تخلف
عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بنات الابن وان سفلن والاخوات
ينتظمن الاخوات من الجهات الثلاث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل
انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم
اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما
للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد يولد له من غير المرضعة
قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج
اخوته واخواته لابيه وامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كل على عمومه
واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب

حتى يحل بعمومه حرمة من حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الاربع الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت
موطوءته والثالثة بنت موطوءته والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد **وامهات
نسائكم** شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب
والمراد بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن اولا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها
وعن عمر وعمران بن الحصين رضي الله عنهما ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل
الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم
انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا
ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في
ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوءات بوجه من الوجوه المعدودة فيما
سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر **وربائبكم اللاتي
في حجوركم** الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى الاسمية والربيب ولد المرأة من آخر
سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعني بكونهن في الحجور فان شانهن
الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك
تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد
احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والشبه بينهن وبين
اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه
وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا بخلاف ما في قوله تعالى **من نسائكم اللاتي دخلتم بهن**
فانه للتقييد قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف
لا بنفسه وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله
حالا من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لاستلزامه ولا معهما ذكرا ولا ضرورة ان حاليته من
ربائبكم او من ضميرها يقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسائكم يستدعي كونها بيانية يتعذر
كونها منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنساءين مع اختلاف عاملهما مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عن مثاله مع انه سعي في اسكات ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور
حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى دخلتم
بهن ادخلتموهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس
ونظائره كما مر **فان لم تكونوا** اي فيما قبل **دخلتم بهن** اصلا **فلا جناح عليكم** اي في نكاح الربائب وهو
تصريح بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول يستتبع لبيان حكم
عدمه **وحلائل ابنائكم** اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما
ازار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجري مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى **الذين من اصلابكم**
لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية **وان تجمعوا
بين الاختين** في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما
في الوطء بملك اليمين فيلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء
الى الوطء والاستلزام له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا يحل له وطء احداهما حتى
يحرم عليه وطء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم
عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكأنه جمعهما وطئا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال
واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة
الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها فان مدار حرمة الجمع بين

بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة
بمنزلة الام فقوله عليه السلام لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من
قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب **الا ما قد سلف** استثناء منقطع
اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله
تعالى **ان الله كان غفورا رحيما** تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه
الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لما ان ما فعله
يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم تعالى الا امرأة الاب
والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه
المحرمات الا اثنتين نكاح امرأة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تعالى
الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف التعليلين **والمحصنات** بفتح
الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي عففهن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم
الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن واحصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى
ايضا وفتح الصاد محمول على انه شاذ كما في نظيريه ملقح واسهب من القح واسهب وقيل قد ورد الاحصان
في القرآن باراده اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الآية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنات
غير مسافحات الثالث الحرية كما في قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في
قوله تعالى فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى **من النساء**
متعلق بمحذوف وقع حالا منها اي كائنات من النساء وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على
كونها صفة للانفس كما توهم **الا ما ملكت ايمانكم** استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي ملكتموهن
واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لا سيما في
اناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن
بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء ليس لاخراج جميع افرادها
من حكم التحريم بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات
[illegible]

مع اتحاد بما في الدين فلا ذلك ينقطع بتباين المهاجرة دروجها احق واولى كما يفصح عنه قوله تعالى فان علمتموهن مؤمنات
فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الاية كتاب الله مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم
تحريم هؤلاء كتابا وفريضة فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما
بالمصدر ولما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء آخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة ما ذكر عليه او
بنفس عليكم على راي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله يا ايها المائح دلوي دونكا
اني رايت الناس يحمدونكا • وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرائض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل
واحل لكم عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة
على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل بمعنى عطفا على الفعل المقدر وقيل على حرمت
الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه
بحسب الظاهر لا سيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما
ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف
المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط للتلويح بان حرمتهن بسبب ما فيهن من العنوان الذي عليه
يدور حكم الحرمة فمن يشاركهن في معناه يلحق بهن بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المرأة وعمتها
وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد باحلال ما وراء ذلكم احلاله
مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بينها وبينهما بل احلاله
في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق
الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا
يقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان
يتعلق هنا بما تعلق به الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل هنا به ايضا ان تبتغوا
متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم
المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك
اي تفعلوا الابتغاء باموالكم بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين
حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين
حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه
الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة
لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله تعالى فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن
من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها واياما كان فهي
مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها
موصولة قوله تعالى فآتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء
فالعائد الى المبتدأ هو الضمير المنصوب في آتوهن وسواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها
النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه
من جنس النساء او بعضهن فآتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب
المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعائد
الى المبتدأ محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فآتوهن اجورهن لاجله او
بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف
اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة اي فرضه عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به
اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه
نفسا فكلوه الخ وقوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن وقوله تعالى الا ان يعفون وتعميم الزيادة على المسمى لا
يساعده رفع الجناح عن الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يحمل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة

الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا
يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت
في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمرأة
او استمتاعها بما تعطى وقد ابيحت ثلاثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي انه عليه السلام اباحها
ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقد
ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك
من قولي بالمتعة وقولي في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام
ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة
ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اي حال كونه منكم وقوله تعالى طولا
اي غنى وسعة واعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول ليستطع وقوله تعالى ان ينكح المحصنات
المؤمنات اما مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى او اطعام
في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي ومن
لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا اي طولا موصلا اليه او كائنا
له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى
والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائي والاخفش واما بدل من طولا
لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هي
الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من جهة الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج
فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات
فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله تعالى فمما
ملكت ايمانكم اما جواب الشرط او خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله
وما موصولة اي فلينكح امرأة او امة من النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة
لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امرأة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول
مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية
من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق
بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي فلينكح فتياتكم كائنات
بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على
ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة
للمستطيع كما ذهب الشافعي رحمه الله وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو راي اهل الحجاز وقد
جوزهما ابو حنيفة رحمه الله متمسكا بالعمومات محمل الشرط والوصف هو الافضلية ولا نزاع فيه لاحد وقد
روي عن ابن عباس انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان
موسرا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جيء بها لتانيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة
الاستنكاف منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب
على ما نطق به قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم
عند الله اتقاكم والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان الذي به ينتظم احوال العباد وعليه يدور
فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله
تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الجهة اثر
بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتانيس من جهة اخرى
والخطاب في الموضعين اما لمن كان في الخطاب الذي يعقبه تقدير وروعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب
المعنى والالتفات للاهتمام بالتغليب والتانيس واما لعزيمتهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب

يخاطبهم ايضا وايا ما كان فاعادة الامر بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه
من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن
اهلهن وتصديره بالفاء للايذان بترتبه على ما قبله اى وان قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن
ولا تترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له واتوهن
اجورهن اى مهورهن بالمعروف متعلق باتوهن اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى
الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع الشريف والعادة ومن ضرورته ان يكون الاداء اليهن باذن الموالي
فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهر لهن وقيل اصله اتوا مواليهن فحذف المضاف
واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن عفائف عن الزنا غير
مسافحات حال مؤكدة اى غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا لتاكيد ما في
غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن
وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على ان لا يكون لها اخدان
اى غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اى
بالتزويج وقرئ على بناء الفاعل اى احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اى فعلن فاحشة
وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اى الحرائر الابكار من العذاب من الحد الذي
هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان
كتفاوت حد الحرائر فالفاء في جواب اذا والثانية جواب ان والشرط الثاني مع جوابه مترتب على
وجود الاول كما في قولك اذا اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك اى نكاح الاماء لمن خشي العنت
منكم اى لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم فاستعير لكل
مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم بارتكاب افحش القبائح
وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني
لايهامه ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما
تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال
عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب
ولان حق المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في
السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة
مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها
لمولاها فلا تقدر على التمتع بها ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت
والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية
لحال المؤمنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف
مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام وكونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم
الكريم يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف
ثقة بشهادة السباق والسياق اى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم
او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل مفعول يريد محذوف وقد يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل
لاجل التبيين لكم وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير
اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المقدم فان اللام قد تقام مقام ان في فعل الارادة والامر فيقال
اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون
ان يطفئوا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي اخر وامرت لاعدل بينكم اى ان اعدل
وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان
اى امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع

مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اى ان تسمع به ويعزى هذا الراى الى
بعض البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب
عليكم اذا تبتم اليه نزع عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتموه من الشرائع فان المكلف
قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم
على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته
فيمن لم يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من
جملتها ما شرع لكم من الاحكام حكيم مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب
عليكم جملة مبتدأة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته
تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام
الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة الى الحدوث وللايماء الى كمال
المباينة بين مضموني الجملتين كما مر في قوله تعالى الله ولي الذين امنوا الاية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة
فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيرها فهو متبع له لا لها وقيل هم
اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن
الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت
فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرئ
بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على
ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص ما في عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة
مستانفة لا محل لها من وخلق الانسان ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه
وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن ان المراد ضعف
الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح
الاماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة وقيل المراد
به ضعفه في امر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن ادم
قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان
اخوف ما اخاف علي فتنة النساء وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله تعالى وعنه
رضي الله عنه ثماني ايات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين
لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم
نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير
الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة
والخيانة والقمار وعقود الربا وغير ذلك مما لم يبحه الشرع اى لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعي
الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة
اى الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما في قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان
اليوم يوما الخ او الا ان تكون الاموال اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اى ولكن اقصدوا
كون تجارة عن تراض اى وقوعها او ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهي عنه وتخصيصها بالذكر من
بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها واغلبها وقوعا واوفقها لذوي المروات والمراد بالتراضي
مراضاة المتبايعين فيما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي حالة
الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا انفسكم اى من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن
الحسن لا تقتلوا اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله

عاقل او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة ويؤيده ما روي عن عمرو بن العاص انه تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستئناف اي مبالغا في الرحمة والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي والذين هم في معرض التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه ان الله كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او لما ذكر من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما في الفساد عدوانا وظلما اي افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اي معتديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب الشرط اي ندخله وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب للصلي نارا اي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اي اصلاؤه النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر هاهنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة اي نغفر لكم سيئاتكم صغائركم ونمحها عنكم قالوا المفترض الصلوة الى الصلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط يصدق عليه الامران فمن عن له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اي حسنا مرضيا او مصدر ميمي اي ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اي ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا كريما كما في قوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحتا او مجلف • اي لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض اي عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي اليه من الطمع في اموالهم وغيرها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهير اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتبة على الاحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى

كل احد من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم الله المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان خيرا له لكان مفسدة كما قيل اذ لا يساعده ما سيأتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي عنه تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهي بقوله تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما ان عزيمتهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تأكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب الانتهاء عن التمني المذكور وقوله تعالى واسألوا الله من فضله عطف على النهي وتوسيط التعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اي واسألوه ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوه فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته بحمل سبب النزول على ما روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب على عمله فللرجال اجر بمقابلة ما يليق بهم من الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمنى النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزونها وتجنبا ايضا لهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعني غير او ولكل قوم جعلنا موالي اي وراثا نصيب معين مغاير لنصيب قوم اخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اي حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل واحد جعلنا موالي مما ترك اي وراثا منه على ان من صلة موالي لانه في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك النظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدين والذين عقدت ايمانكم هم موالي الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعند ابي حنيفة اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد

وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وماسحتموهم وهو مبتدأ لمعنى الشرط ولذلك صدر الجزاء اعنى قوله تعالى
فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على
الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الى آخره جملة مبينة للجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي
ان الله كان على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال
قوامون على النساء كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان
تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان برسوخهم في الاتصاف
بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اي شانهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين
موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف وقع حالا
من ضميره وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله اياهم عليهن
او ملتبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح
بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير
ورزانة الراي ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر
والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلقة بما تعلقت
به الاولى وما مصدرية او موصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة بانفقوا
او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اي وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب الذي انفقوه من اموالهم وكائنا
من اموالهم وهو ما انفقوه من المهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي الله عنهم نشزت
عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى
فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراده الله خير
فالصالحات شروع في تفصيل احوالهن وبيان كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات
منهن قانتات اي مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لمواجب الغيب اي لما
يجب عليهن حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان
نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم
واضافة المال اليها للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الآية
بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له
او موصولة اي بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله
بالنصب على حذف المضاف اي بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال
واللاتي تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في
القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون عصيانهن
وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن بالترغيب والترهيب واهجروهن
بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتة اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع واضربوهن ان
لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما
يعد زجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كأن
لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم
على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم فانتم احق بالعفو
عن ازواجكم عن طاعتهن لكم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يفرض تحققه وان الذي ينبغي ان يقع
منهن ويليق بشانهن لا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الاطاعة ولكن صدرت الشرطية بالفاء المنبئة
عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على
بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعني عدم الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان

كلا منهما يريد ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما في شق اي في جانب غير شق الآخر والخوف ههنا
بمعنى العلم قاله ابن عباس والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده
ق بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر لهما ذكر لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق
الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم
اي ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اي الى الزوجين لاصلاح
ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما آخر على صفة
الاول من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا
من الاجانب جاز واختلف في انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رأيا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي عن
علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح
فيه ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة
لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة ويلقي في نفوسهما المودة والرأفة
وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك مما ليس ينبغي ان يفرض صدوره
عنهما وان الذي يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين
٥ في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران
وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين
اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا اصلاح
ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه
وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب
ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله تعالى التي هي آكد
الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع وشيئا
نصب على انه مفعول اي لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اي لا تشركوا به شيئا من
الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اي احسنوا بهما احسانا وبذي القربى اي بصاحب القرابة
من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذي القربى اي الذي قرب
جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق
الجار ذي القربى والجار الجنب اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له
ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له
حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اي الرفيق في
امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد
او مجلس وغير ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه وقيل هي المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع
او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اي متكبرا يأنف عن
اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين
يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتحهما وبضمهما وبفتح الباء وسكون الخاء
بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف وقد
الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اي من المال
والغنى او من نعوت النبي التي بينها لهم في التوراة وهو انسب بامرهم الناس بالبخل فانه روي انهم كانوا يقولون
للانصار لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من
هذا شانه فهو كافر لنعمة الله تعالى ومن كان كافرا لنعمته فله عذاب يهينه كما اهان النعمة
بالبخل والاخفاء والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم

فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي تقرر لما
قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اى للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله
تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي
هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم
ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام
وليث الكتائب في المزدحم او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون
اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم
مشركو مكة المنفقون اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له
قرينا فساء قرينا اى فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به
والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو
آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اى على من ذكر من الطوائف ابتغاء لوجه الله وانما
لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق
لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذي عليهم او واى تبعة ووبال عليهم في الايمان بالله والانفاق
في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر
لطلب الجواب لعله يؤديهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر
لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان ههنا لاهميته
في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع
كون المؤخر انسب من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم الناس به
وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب او باعمالهم المفروضة ثوابا للاثابة
تعالى اياهم لو كانوا قد آمنوا وانفقوا كما ينبغي عدة قوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال
من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او
بمعنى وضع الشيء في غير موضعه اى لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت
للمصدر المحذوف نائب منابه اى لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء
في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان قلته في الثقل اظهر من دقة النملة فيه وعن ابن عباس انه ادخل يده في
التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وان تك حسنة يضاعفها اى وان تكن مثقال ذرة
حسنة انث لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى الذرة وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا
لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان كان تامة يضاعفها اى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة
لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ
نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني
عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف
حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته عليه السلام يقول يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد
الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعده في مقابلة
العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها اما الرفع
على انه خبر لمبتدأ محذوف واما النصب بفعل محذوف على التشبيه بالحال كما هو رأي سيبويه او على التشبيه
بالظرف كما هو رأي الاخفش اى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون اذا
جئنا يوم القيمة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد وقبايح
الاعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ
والخبر من هول الامر وعظم الشان او الفعل المقدر ومن متعلقة بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء

هؤلاء اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع
شرعك لمجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما يشهد سائر
الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها
بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد
الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر
الهائل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن
به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد
بالرسول الجنس المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا واياما كان ففيه من تهويل الامر
وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد بمعاصيهم
المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع في حق المؤاخذة وقيل هو حال
من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر اى يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول
او الذين كفروا وقد عصوا الرسول او الذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى لو تسوى بهم
الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اى يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل
يودون انهم لم يبعثوا ولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان
جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اى يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا
محذوف ايذانا بغاية ظهوره اى لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يودون
اى ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان يدفنوا في الارض وهم
لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم
الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على
ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها
الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به تعالى
امروا ههنا بما هو من اجل [illegible] فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع طعاما
وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت
صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا [illegible]
[illegible] مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة [illegible]
ذلك وقيل المراد النهي عن قربان المساجد لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم [illegible]
قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كانوا لا يشربون [illegible]
[illegible]
يقولون ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى [illegible]
ولا جنبا فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابته الجنابة يستوي
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابري سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال

محله النصب على أنه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الأولى والعامل فيه معنى النهي أي
لا تقربوا الصلاة جنبا في حال من الأحوال إلا حال كونكم مسافرين على معنى أنه في حالة السكر ينتهي حكم
النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء خصوصية
البعض المنتفي ولا على بقاء خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فإن الاستثناء
لا يدل على ذلك بحسب العبارة نعم يشير إلى مخالفة حكم ما بعده لما قبله إشارة إجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية
لا في إثبات الأحكام الشرعية فإن ملاك الأمر في ذلك إنما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان
وقيل هو صفة لجنبا على أن إلا بمعنى غير أي لا تقربوا الصلاة جنبا غير عابري سبيل ومن حمل الصلاة على مواضعها فسر
العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك إلا أن
يكون الماء أو الطريق فيه وقيل إن رجالا من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون
ممرا إلا في المسجد فرخص لهم ذلك **حتى تغتسلوا** غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم
الاستثناء عليه للإيذان بأن من وله الأمر بأن حكم النهي في هذه الصورة ليس على الإطلاق كما في صورة السكر
تشويقا إلى البيان وروما لزيادة تقرره في الأذهان وفي الآية الكريمة إشارة إلى أن المصلي حقه أن يتجرد
عما يلهيه ويشغل قلبه وأن يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بأدنى مراتب التزكية عند إمكان أعاليها **وإن
كنتم مرضى** شروع في تفصيل ما أجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى من الأعذار والاقتصار
فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخيص للإشعار بأنه العذر الغالب المبني عن
الفروع التي يعليها بعد وراء الرخصة كأنه قيل ولا جنبا إلا مضطرين وإليه يرجع ما قيل من أنه جعل
عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر
الوصول إليه أو بتعذر استعماله **أو على سفر** عطف على مرضى أي أو كنتم على سفر ما طال أو قصر وإيراده صريحا
مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لما أشير إليه بمعزل من الدلالة على ثبوت الحكم فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم
المرض عليه للإيذان بأصالته واستقلاله بأحكام لا توجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه **أو جاء
أحد منكم من الغائط** هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لأن المعتاد أن من يريده يذهب
إليه ليواري شخصه عن أعين الناس وإسناد المجيء منه إلى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح
بنسبتهم إلى ما يستحيى منه أو يستهجن التصريح به وكذلك إيثار الكناية فيما عطف عليه من قوله تعالى **أو لامستم
النساء** على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير إلى التيمم مع كونهما سببي
وجوبها ليس باعتبار أنفسهما بل باعتبار قيد مما استفاد من قوله تعالى **فلم تجدوا ماء** بل هو السبب في
الحقيقة وإنما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على أنه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى
كأنه قيل أو لم تكونوا مرضى أو مسافرين بل كنتم فاقدين لما سبب من الأسباب مع تحقق ما يوجب استعماله
وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع أنه معتبر في صورة المرض والسفر أيضا لندرة وقوع عدمه فيهما واستغنائهما
عن ذكره أما لأن الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الأصغر بدلالة النص لأن تقدير النظم
لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة إلا حال كونكم مسافرين فإن كنتم كذلك أو كنتم مرضى الخ وإما لما قيل من أن
عموم إعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره
لفظا وما قيل من أن هذا القيد راجع إلى الكل وأن وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة
معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم **فتيمموا صعيدا طيبا** فتعمدوا شيئا من وجه الأرض طاهرا
قال الزجاج الصعيد وجه الأرض ترابا أو غيره وإن كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح
لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة وعند الشافعي رحمهما الله لا بد أن يعلق باليد شيء من التراب
فامسحوا بوجوهكم وأيديكم أي إلى المرفقين لما روي أنه عليه السلام تيمم ومسح يديه إلى المرفقين فقيده لأنه
بدل من الوضوء فيتقدر بقدره **إن الله كان عفوا غفورا** تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فإن من
عادته المستمرة أن يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من أن يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما قال

فإن الترخيص والمسامحة من روادف العفو ودواعي الغفران **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب** كلام
مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من
المؤمنين وتوجيهه إليه هنا مع توجيهه فيما بعد إلى الكل معا للإيذان بكمال شهرة شناعة حالهم وأنها
بلغت من الظهور إلى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية أي ألم تنظر إليهم فإنهم أحقاء بأن تشاهدهم
وتتعجب من أحوالهم وتجويز كونها قلبية على أن إلى لتضمينها معنى الانتهاء مما يأباه مقام تشهير شنائعهم
ونظمها في سلك الأمور المشاهدة والمراد بهم أحبار اليهود وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في حبرين
من أحبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن أبي ورهطه يثبطانهم عن الإسلام وعنه أيضا أنها نزلت
في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه
والمراد بالكتاب هذا التوراة وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما أوليا تطويل للمسافة
وبالذي أوتوه ما بين لهم فيها من الأحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم
وحقية الإسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة
عليها للإيذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم من حالهم
والتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والإشعار بمكان ما طوي ذكره
في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو أجل الموصوفين وكلمة من متعلقة إما بأوتوا أو بمحذوف وقع
صفة لنصيبا مبينة لفخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية أي نصيبا كائنا من الكتاب
وقوله تعالى **يشترون الضلالة** قيل هو حال مقدرة من واو أوتوا ولا ريب في أن اعتبار تقدير اشترائهم
المذكور في الإيتاء مما لا يليق بالمقام وقيل هو حال من الموصول أي ألم تنظر إليهم حال اشترائهم وأنت خبير
بأنه خال عن إفادة أن مادة التشنيع والتعجب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي يقتضيه جزالة
النظم الكريم أنه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجب المفهوم مبهما من صدر الكلام على وجه الإجمال
والإبهام مبني على سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر إليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون
ما أوتوه من الهدى وإنما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الأمر لا سيما بعد الإشعار المذكور والتعبير عن
ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن أي أخذها بدلا منه أخذا ناشئا عن
الرغبة فيها والإعراض عنه للإيذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها أن يعرض عنها كل الإعراض
وإعراضهم عن الهدى الذي يتنافس فيه المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية
ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صور حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه أحد ممن له أدنى تمييز ولا يبعد أن يراد
بالضلالة ما تبقى إليهم من الأوهام الحاصلة لهم من قبل حيث عمموا الاشتراء المبني عن تأخرها عنه
الكامل وهو تعجيل جنهم الحاصل لهم من قبل بشأن النبي صلى الله عليه وسلم
وانتهوا إلى التحريف في التوراة ولا ريب في أن هذا الاسم
أوائل سورة البقرة **ويريدون** عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجب وصيغة
المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فإن تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرره في حكم الفعل
بموجبه في كل وقت وتجدده وتكرره أي لا يكتفون بضلال أنفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته
أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون **السبيل** المستقيم الموصل إلى الحق **والله أعلم** منكم **بأعدائكم** جميعا
من جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم
وما لهم والجملة معترضة لتقرير إرادتهم المذكورة **وكفى بالله وليا** في جميع أموركم
وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره والباء
مزيدة في فاعل
كفى لتأكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي وتكرير الفعل في الجملتين وإظهار الجلالة في
مقام الإضمار للإشعار لتقوية استقلالهما
الولاية والنصرة والانتصار **من الذين هادوا** قيل هو بيان

لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم لاسيما في معرض الاعتراض الذي حقه العموم والاطلاق وانتظام ما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه ما فيه من التحجير واسع نصرته تعالى مع انه لا داعي الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء الا ان ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقع قوله تعالى **يحرفون الكلم عن مواضعه** صفة له اي من الذين هادوا قوم او فريق يحرفون الخ وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل انه بيان لموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين وقد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله تعالى والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير يقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده الكلمة ككلمة وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعية مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما ما في التوراة خاصة واما ما هو اعم منه ومما سيحكى من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسماع لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى **ويقولون سمعنا وعصينا** الخ على ما قبله عطفا تفسيريا كما ستقف على سره فان اريد به الاول كما هو رأي الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزل الله تعالى فيه الى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فلا بد ان يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التوراة او بتعيين العقل والدين كمواضع غيره وايا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجرى على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا تخصيص بمادة دون مادة بل وان يحمل ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف التوراة فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر على مثل هذه الجناية والاجتراء على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم النظم الاية وما بعدها بهم من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر الموعود فتأمل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم او لا بلسان المقال او الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا للمخالفة وقوله تعالى **واسمع غير مسمع** عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اي ويقولون ذلك في اثناء مخاطبتهم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم المعنى الاول مطمئنون به **وراعنا** عطف على اسمع غير مسمع اي ويقولون في اثناء خطابهم له عليه السلام هذا ايضا يوردون كلا من العظائم الثلاث في مواقعها وهو ايضا كلمة ذات جهتين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام وتصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به **ليا بالسنتهم** اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع

موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعنا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير **وطعنا في الدين** اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين **ولو انهم** عند ما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه **قالوا** بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا **سمعنا واطعنا** انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من ان يتداركوا قاطبة سماع القبول مقامه **واسمع** اي لو قالوا عند مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع **وانظرنا** اي ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال **لكان** قولهم ذلك **خيرا لهم** مما قالوا **واقوم** اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لان هممهم معقودة على ما ينفعهم **ولكن لعنهم الله بكفرهم** اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك **فلا يؤمنون** بعد ذلك **الا قليلا** قيل اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا وقد جوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق بالمحال وانت خبير بان الكل يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بعدم الافضاء الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر اما على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلان امرهم بالايمان بالمتضمن لجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار كما لا وجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القرآن الى الاتفاق على غير المختار بل بجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد امن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي **يا ايها الذين اوتوا الكتاب** تلوين للخطاب وتوجيه له الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التوراة واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وارادتهم اضلالنا او نوع تبعيضها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تأكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عندهم انما هو لزوم الكفر بالتوراة نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصداق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما اليهم والى غيرهم كافة وهو الاظهر وايا ما كان فتفصيل ما فصل لما كان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلال عقب ذلك بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل **امنوا بما نزلنا** من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وعلى تحقيقا لكونه من عنده عز وجل **مصدقا لما معكم** من التوراة عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية مستدعية لدوام تلاوتهم لها وتكرار المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها

أو كونه موافقاً لها في القصص والمواعيد والدعوة إلى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
وأما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأمم والأعصار فليست بمخالفة في
الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث أن كلاً منها حق بالإضافة إلى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك
التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعاً ولذلك
قال عليه السلام لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي **من قبل أن نطمس وجوهاً** متعلق بالأمر مفيد
للمسارعة إلى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على أبلغ وجه وآكده
حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيهاً على أن ذلك أمر محقق غني
عن الإخبار به وأنه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب
وفي إبهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم إلى الإيمان وأصل الطمس محو الآثار وإزالة الأعلام
أي من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله عنه نجعلها كخف البعير
أو كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا أعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر
كوجوه القردة **فنردها على أدبارها** فنجعلها على هيئة أدبارها وأقفائها مطموسة مثلها فالفاء
للتسبيب أو ننكسها بعد الطمس فنردها إلى موضع الأقفاء والأقفاء إلى موضعها وقد اكتفى بذكر أشدهما
فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على أن الطمس بمعنى مطلق التغيير أي من قبل أن نغير
أحوال وجهائهم فنسلب إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغاراً وإدباراً أو نردهم من حيث جاؤوا منه
وهي أذرعات الشام فالمراد بذلك إجلاء بني النضير ولا يخفى أنه لا يساعده مقام تشديد الوعيد
وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد اختلف في أن الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا
أو في الآخرة فقيل كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما قدم من الشام
وقد سمع هذه الآية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله وأسلم وقال يا رسول الله ما كنت
أرى أن أصل إليك حتى يحول وجهي إلى قفاي وكذا ما روي أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على
وجهه وأسلم وقال ما قال وكذا ما روي أن عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الأحبار فقال
كعب يا رب آمنت يا رب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل إنه منتظر بعد ولا بد
من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وقيل إن اقتراف العذاب الموعود عنوا عنهم وهم الذين باشروا
أسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر نعوته
في التوراة فحرفوها وأصروا على الكفر والضلالة وتعلق به خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على
من وجد بعد ما أتى من السنين من أعقابهم إلحاقاً لهم بأمثالهم العاملين بما يقتدي به من فنون الغواية
بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل إن وقوعه كان مشروطاً بعدم الإيمان وقد آمن من أحبارهم
المذكوران وأضرابهما فلم يقع وفيه أن إسلام بعضهم إذا لم يكن سبباً لعدم نزول العذاب على الباقين لشدة
التكبر والعناد بعد ازدياد الحق وضوحاً وقيام الحجة عليهم بشهادة أماثلهم العدول فلا أقل من أن
لا يكون سبباً لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع أحد الأمرين كما ينطق به قوله تعالى **أو نلعنهم كما
لعنا أصحاب السبت** فإن لم يقع الأمر الأول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان
في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمعزل من السداد وأنت خبير بأن المتبادر من اللعن المشبه بلعن أصحاب
السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الأدبار ما يستدعي التغاير لا يتعلق على عدم إرادة المسخ ضرورة
أنه تغيير مغاير لما عطف عليه على أن المتوعد به لابد أن يكون أمراً حادثاً مرتباً على الوعيد محذوراً معتداً
ليكون مزجرة على مخالفة الأمر ولم يعهد أنه وقع عليهم لعن بهذا الوصف إنما الواقع عليهم ما تداولته
الألسنة من اللعن المستمر الذي لم يزل وهو بمعزل من صلاحية أن يكون حكماً لهذا الوعيد أو من مزجرة
للعنيد وقيل إنما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة أحد الأمرين أو كلاهما
على سبيل التوزيع وأما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب فمبني على الاحتياط اللائق بشأنهما والحق أن
النظم الكريم ليس بنص في أحد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الأول لأنه أدخل في الزجر وعليه

يبنى ما روي عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم أن المراد هو الثاني والله تعالى أعلم وأياً ما
كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبات من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين ما أوجبها
من جناياتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير **وكان أمر الله** أي ما أمر به كائناً ما كان
أو أمره بإيقاع شيء ما من الأشياء **مفعولاً** نافذاً كائناً لا محالة فيدخل فيه ما أوعدتم به دخولاً أولياً فالجملة
اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل
الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال **إن الله لا يغفر أن يشرك به** كلام مستأنف مسوق
لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيد وجوب الامتثال بالأمر بالإيمان ببيان استحالة المغفرة بدونه
فإنهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف
ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى أي على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق
الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاماً أولياً فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود
أصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الأنسب بسياق النظم الكريم وسياقه
لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعاً بل لا وجه له أصلاً لاقتضائه جواز مغفرة
ما دون كفرهم في الشدة من أنواع الكفر أي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وإيمان لأن الحكمة
التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه ولأن ظلمات الكفر
والمعاصي إنما يسترها نور الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي **ويغفر ما دون
ذلك** عطف على خبر إن وذلك إشارة إلى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للإيذان
ببعد درجته وكونه في أقصى مراتب القبح أي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة
تفضلاً من لدنه وإحساناً من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل **لمن يشاء** أي لمن يشاء أن يغفر له
ممن اتصف به فقط أي بما تحته لا بما فوقه فإن مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة
المبنية على الحكمة التشريعية فإن اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة بأهل الإيمان من متممات
الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الأول عبارة عمن لم
يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سواء الصراط كيف لا وأن مساق النظم الكريم لإظهار كمال عظم جريمة
الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير
التوبة لم يظهر بينهما فرق للإجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ
عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة والإيمان **ومن يشرك بالله** إظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار
لزيادة تقبيح الإشراك وتفظيع حال من يتصف به **فقد افترى إثماً عظيماً** أي اختلق وارتكب
إثماً لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا تتعلق به المغفرة قطعاً **ألم تر إلى الذين يزكون
أنفسهم** تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن
أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
هل لهؤلاء ذنب فقال لا قالوا ما نحن إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه
بالليل كفر عنا بالنهار أي انظر إليهم فتعجب من ادعائهم أنهم أزكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من
الكفر والآثام العظيمة ومن ادعائهم التكفير مع استحالة أن يغفر للكافر شيء من كفره ومعاصيه
وفيه تحذير من إعجاب المرء بنفسه وبعمله **بل الله يزكي من يشاء** عطف على مقدر ينساق إليه الكلام
كأنه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكي من يشاء تزكيته ممن
يستأهلها من المرتضين من عباده المؤمنين إذ هو العليم الخبير بما ينطوي عليه البشر من المحاسن
والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلاً أو
قولاً **ولا يظلمون** عطف على جملة قد حذفت تعويلاً على دلالة الحال عليها وإيذاناً بأنها غنية
عن الذكر أي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في ذلك العقاب **فتيلاً** أي أدنى ظلم
وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل القدر [illegible]

الزكوة ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا اثابتهم عدم مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب
كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون
يتعلق على اى حال في اى حال او على اى حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان شناعة
تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر متعلق بهما وهو تعجيب اثر تعجيب
وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون
بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله
وارتضائه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا وكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته
سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر معاصيه
وتوجيه النظر الى كيفيته لتشديد التشنيع وتاكيد التعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء لا يكون
الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اى بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر
عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك
وحده في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير
لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء وقد تم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء الكتاب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح
وقوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت استيناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق
اليه الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من
دون الله تعالى وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة
والطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف
اليهوديين خرجا الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا
نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا
للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن
اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن
الشرك قال وما دينكم قال نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال
انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا اى لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى
من الذين آمنوا سبيلا اى اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين
بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باشنع القبائح اولئك
اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكرهم للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال وهو مبتدأ
خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اى ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار
مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله اى يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا
كان او اخرويا بالاستشفاع ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه
الخطاب الى كل احد يصلح له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان
المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى ام
لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر من قبائحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب
والانتقال من ذمهم بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكي عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم
المفرط وتخجيلهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب منه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم
وقوله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان بسبب
انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي
الملك ان يؤثر الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف اى ان جعل لهم نصيب منه فاذن

فاذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة
وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون
ويجوز ان لا يجعل الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه اى لهم منكر اعز الابق بالوقوع على
ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى المجموع المعطوفين على معنى الهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا
اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي
اباه الك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذن تاكيد الانكار والتوبيخ حيث
يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل فلا يؤتون
الناس اذن وقرئ فاذا لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة ايضا مفيدة للانتقال
عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل من استحقاقه
واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس ايذانا
بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلائمه ذكر حديث آل ابرهيم فان ذلك
لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اى
بل يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وقوله
تعالى فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم
واستبعادهم المبنيين على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق
الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر
والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابرهيم الذين هم اسلاف
محمد صلى الله عليه وسلم وابناء اعمامه الكتاب والحكمة اى النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا
يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام
التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابرهيم انبياؤهم
خاصة والضمير المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم
يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد
به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة واللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد
بآل ابرهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاعتنائهم بآثاره واقتباسهم
من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تاكيد الالزام
وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر
ح ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي
من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اى فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم من آمن بما
اوتي آل ابرهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضمير لما ذكر من حديث آل ابرهيم فيستدعي تراخي
الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما
يتصور بعد وقوع الايمان والاعراض المتاخرين عن سماع الحديث المتاخر عن نزوله وكذا جعلهما لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده
الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان تكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك
ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابرهيم وان لم يذكر كونه
بطريق الحسد كانه قيل بل ايحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم
المستمر فانا قد آتينا آل ابرهيم ما آتينا فمنهم اى من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم
يؤمن به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون
بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم

فالمراد بالآيات اما القرآن او ما يعم كله او بعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول
لهم تناولا اوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر الشواهد التي اوتيها الانبياء عليهم السلام سوف
نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعد
فيفيدان التاكيد اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم اي احترقت وكلما ظرف زمان و
العامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا لا من قبيل يبدل الله سيئاتهم حسنات اي
اعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وان كان عينه مادة بان
يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز
كونها صفة لنارا على حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم
ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها
قال ابن عباس رضي يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر رضي الله عنه
فقال للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال معاذ عندي تفسيرها يبدل في ساعة
مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة
كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ما
بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس
الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب في كل مرة كادراك
الذائق بالذوق وفي جثة لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او التنبيه
على شدة تاثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تاثرا وعلى سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود
مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن
الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن
التالم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب
من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات
لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين آمنوا
وعملوا الصالحات عقب ببيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة
الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضاها وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من
تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تاكيد للوعد خالدين فيها ابدا
حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله تعالى لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا من
الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير
المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا
اي فينانا لا جوب فيه دائما لا تنسخه شمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل
صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على
سندخلهم لا على انه عين الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين
آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في افتتاح
الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال
به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع
الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان
ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو
علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى

عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل
الله تعالى في شانك قرآنا فقرا عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة
على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها
الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة
بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المامور به ههنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به
اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا
وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين
لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا
او بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما اما منصوبة
موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به و
المخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومة
وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن
استدعاء لهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم
بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تاكيدا لكل من الوعد والوعيد
يا ايها الذين آمنوا بعدما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومة
امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء
الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى والرسول
في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع
المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء
لترتبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول
مستتبع لبيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في امر من امور الدين فردوه
فيه الى كتاب الله والرسول اي الى سنته وقد استدل به منكرو القياس وهو في الحقيقة دليل على
حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس
ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله عليه السلام فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة
ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف
عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه
الخ فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من
العقاب على المخالفة ذلك اي الرد المامور به خير لكم واحسن في نفسه تاويلا اي عاقبة ومآلا
وتقديم خيريته لهم على احسنيته في نفسه لما ان مطمح انظارهم ما ينفعهم والمراد بيان اتصافه في نفسه
بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه في اصل الخيرية والحسن
كما ينبئ عنه التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك
تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التعجيب من حال الذين يخالفون ما مر من
الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعني التوراة
لتاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم
وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله تعالى يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق

بيان محل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي عن
ابن عباس رضي الله عنه ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه
المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق
ذ دعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله عم فلم يرض بقضائه فقال عمر
للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به
عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت فهبط جبريل عم وقال
ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق فالطاغوت كعب
بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان
وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعى خصمه الى كاهن في
جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت في قتيل بين قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من
الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا
اليه فيكون الاقتصار على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته
مما يقضى منه العجب ولا ينبغي ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء
الايمان بالتورية فانه كما يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم
ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتورية وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور
وايضا فالمتبادر من قوله تعالى وقد امروا ان يكفروا به كونهم مامورين بكفره في الكتابين وما ذلك
الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان
يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من
ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله تعالى ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد
اضلالهم واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور
بحذف الزوائد كما في قوله وانبتها الله نباتا حسنا اي اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول
عليه بالمذكور اي فيضلون ضلالا بعيدا ما وصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله
تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجب ببيان اعراضهم صريحا
عن التحاكم الى كتاب الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ
تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل تخفيفا كما في قولهم ما باليت به بالة اصلها بالية كعافية
وكما قالوا في آية ان اصلها آيية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا
ومنه قول اهل مكة للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا
تعالي اقاسمك الهموم تعالي رأيت المنافقين اظهارا للمنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق
وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل
الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر
مؤكد لفعله اي يعرضون عنك اعراضا واي اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه
مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي
منعه منه وقوله تعالى فكيف شروع في بيان غائلة جنايتهم المحكية وخامة عاقبتها اي كيف يكون
حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي وقت اصابة المصيبة اياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت
ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤك
للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم
من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال

حال من فاعل جاؤك ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل
بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا
وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدر الله دمه فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا
المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة
الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره
الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور والفساد المنافية لما اظهروا لك من
الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم
وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى
يبقوا على وجل وحذر وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في انفسهم في حق
انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم خاليا بهم ليس معهم
غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع قولا بليغا مؤثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما
سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على راي من
يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون
به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال والايذان
بان ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد
العقوبات وانما هذه المكافة والتأخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا
الشقاق وبرزوا باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان خطائهم في الاشتغال
بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء
من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد
عنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله او بتيسير
الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها للعذاب على عذاب النفاق بترك
طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك من غير تأخير كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في
التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار
الباطل والايمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت
شفيعا لهم واستغفرت لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول لوجدوا
الله توابا رحيما لعلموه مبالغا في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان بالمصادفة
كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه وايا ما كان ففيه فضل ترغيب
للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم اولئك المنافقين على ما صنعوا لما ان
ظهور ثمرة قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لآثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال
الرغبة في تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم
لا لتأكيد النفي في جوابه اعني قوله لا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم
بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما جيء بصيغة التحكيم مع انه
حاكم بامر الله سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عم حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر
عن كونه حاكما على الاطلاق فيما شجر بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل
اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا في
انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من اجله اذ الشاك

ضيق من أمرهم ويسلموا اى ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اى تسليما تاما
بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة
اى ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل
في شأن الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا
يسقيان بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال لان كان
ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر
واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير برأي فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن القضاء فقال
الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون
انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا مرة في حياة موسى عم فدعانا الى
التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت
بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال
ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر رضي الله عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي فنزل في شأن هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اى ولو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم
حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه اى المكتوب
المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين الا قليل منهم اى الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من
المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل
معنى اقتلوا انفسكم عرضوها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا
قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا
وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اى فعلهم ذلك خيرا
لهم عاجلا واجلا واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم
واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل
واذن لو ثبتوا لآتيناهم فان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى
عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله
والرسول كلام مستأنف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما
ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا
متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد
التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر والنواهي فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان
الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم
وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به
للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء
مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا عم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان
طاعته عم متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال
الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله
بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني
مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني اذا دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى
من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

شديد الحب له عم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله
عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى
القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة
كنت في منزل دون منزلتك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال عم والذي نفسي بيده لا يؤمن
عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وروي ان اناسا قالوا يا رسول
الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال عم المرء مع من احب والصديقين اى المتقدمين في تصديقهم المبالغين
في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عم واماثل خواصهم المقربين كابي بكر
الصديق رضي الله عنه والشهداء الذين بذلوا ارواحهم في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين
اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في
دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما
من المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة
قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم
وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم
رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا
بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب
والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ
وحسن بسكون السين ذلك اشارة الى ما للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء
المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف
وهو مبتدأ وقوله تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره اى ذلك الفضل العظيم من الله تعالى
لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اى ذلك الذي
ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان اعمال المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير
الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر
والشبه والشبه اى تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز
من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اى استعدوا
للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اى اخرجوا الى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة
من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض عنها تاء التأنيث وهل هي
واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو كحلا يحلو اى اجتمع وقيل من ثبيت على الرجل اذا
اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية
اى انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اى مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا
فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اى ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ
كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون
منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل
من ثقل كابطأ ابن ابي ناسا يوم احد والاول انسب للجملة واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان
للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليها ما استكن في ليبطئن
والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اى المبطئ فرحا
بصنعه وحامدا لرأيه قد انعم الله علي اى بالقعود اذ لم اكن معهم شهيدا اى حاضرا في المعركة فيصيبني
ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فان ذكر التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ
وقوعه ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اى

تفضل كائن من الله تعالى ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات
الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقتضى
اوفق وارغب فيهم فهو اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته
وقرئ ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط
بين الفعل ومفعوله الذي يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يفهم من مطلع كلامه ان تمنيه
لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما تقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما
ينطق به آخره وليس اثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية
حال من ضمير ليقولن اي ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اي ليقولن
المثبطين يثبط من المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم يكن بينكم وبين محمد عم مودة حيث لم يستصحبكم
في الغزو حتى تفوزوا وانما قال يا ليتني كنت معهم وغرض القائل اثبات العداوة بينهم وبينه عم وتأكيدها وكأن
مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف
اي يا قوم وقيل يا لاطلاق التنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي فانا افوز في ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني
فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة
اي يبيعونها بها وهم المؤمنون والفاء جواب شرط مقدر اي ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون
الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشرونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والفاء
للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله
فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال بالامرين
للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا
وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روى ابو هريرة رض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه
مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمؤمنين بالقتال على طريقة الالتفات
مبالغة في التحريض عليه وتأكيدا لوجوبه وهو مبتدأ وخبر وقوله تعالى لا تقاتلون في سبيل الله حال
عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في
ترك المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم الله اي في سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن
العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله
يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان
بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب الرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام آبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتي واقتراب زمان الخلاص ببيان
شركتهم في التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء
اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان على الولائد ايضا الذين محله
الجر على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه
القرية الظالم اهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير
ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب
ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول
الصريح لاظهار الاعتناء بهما وارادة الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من
احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله
لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من

من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا من لدنك
نصيرا قال ابن عباس اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا
على اعدائنا ولقد استجاب الله تعالى دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم
خير ولي وخير ناصر ففتح مكة على يدي نبيه عم فتولاهم اي تولي ونصرهم اي نصرة ثم استعمل عليهم عتاب
ابن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت
ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة في التضرع والابتهال الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله
كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية
ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله تعالى وفي اعلاء كلمته
فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا
ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم
بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيله والاشعار بان المؤمنين اولياء الله تعالى لما
ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتأكيد رغبة المؤمنين في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى
علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة والضعف كأنه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا
يا اولياء الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي في حد
ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله تعالى ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فائدة
ادخال كان في امثال هذه المواقع التأكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان
منذ كان كان موصوفا بالضعف ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما
ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم
قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود
الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة
قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم
النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي
للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه ولان المقصود بالذات هو المقول لا القائل وما كان رغبتهم في القتال
وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة
الكناية ولا يتعلق ببيان حالهم صلة الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة
فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم
وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت
بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم
باعتبار معناه الكنائي اذ حينئذ يتحقق التناسب بين المعطوفين وعليه يدور امر التعجيب كأنه قيل
ألم تر الى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون
الناس جواب لما على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره ويجوز ان يكون حالا
المفاجأة اي فاجأ فريق كائن منهم خشية الناس اي الكفار ان يقتلوهم والتعبير عنهم بالناس للاشارة
الكفار لا يقتلوهم ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه كان ينبغي ان لا يصدر عن احد منهم ما ينافي حاله الاول وقوله تعالى كخشية الله مصدر تشبيهي
محله النصب على انه حال من فاعل يخشون اي يخشونهم مشبهين باهل خشية الله او اشد خشية عطف
عليه بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر اي كخشية على جعل الخشية ذات خشية
كلا ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اي خشية مثل خشية الله او اشد خشية من خشية الله وانما كان
ذكر او لمعنى التنويع على ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما الابهام على

السامع وهو قريب مما في قوله تعالى وارسلناه الى مائة ألف او يزيدون يعني ان من يبصرهم يقول انهم مائة
الف او يزيدون وقالوا عطف على جواب لما اي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه
بل على طريق تمني التخفيف لولا أخرتنا الى أجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر
حذرا عن الموت وقد جوز ان يكون هذا مما نطقت به ألسنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا قل اي
تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا
قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وان أخرتم الى ذلك الاجل والآخرة اي ثوابها الذي من جملته
الثواب المنوط بالقتال خير اي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات
وانما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال بموجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على
مقدر ينسحب عليه الكلام اي تجزون فيها ولا تنقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مسعاتكم في
شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون
بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من أينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مستأنف مسوق من قبله تعالى
بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا
وعلو شأن الآخرة بواسطته عليه السلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المأمور به
اي اينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون
القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفي لفظ الادراك الاشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم
وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها اي على اعتبار وقوع اينما كنتم
في موقع اينما تكونوا او على انه كلام مبتدأ واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اي لا تنقصون شيئا مما كتب من
آجالكم اينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة او
قصور محصنة وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة
بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد
وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت
فالجملة معطوفة على اخرى مثلها اي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة
المذكور عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلأن يتحقق عند عدمه اولى وعلى
هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى أولو كان
آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ جيء به
عقيب ما حكي عن المسلمين بيانا لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على اسناد ما يكرهونه الى غيره تعالى وكراهتهم
له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا
منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اي وان
تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكي عن
اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بان يرد زعمهم
الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لا يجترئون على معارضة
امر الله تعالى حيث قيل قل كل من عند الله اي كل واحد من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا
من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا
ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من يبتلى بها عقوبة كما سيأتي بيانه فهذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا
على اسلافهم من قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب ما يصيبهم من السيئة التي
هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فمال هؤلاء القوم الخ
كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال غباوتهم والفاء

والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف
من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استيناف
مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كانه قيل ما بالهم ماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل لا يكادون
يفقهون حديثا من الاحاديث فيقولون ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه
وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه
تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لاسيما النص الوارد عليهم في
صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى فلم يسندوا واجيا الى غيره تعالى وقوله
تعالى ما أصابك من حسنة الخ بيان للجواب المجمل المأمور به واجراء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم
ثم سوق البيان من جهته تعالى بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل واحد من الناس والالتفات لمزيد
الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان
يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما في قوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم لما ان في التحقيق ينتظم احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة الآخرين
اي ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير
استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجى كونها ذريعة الى اصابة
نعمة ما فهي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة الوجود المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى على ادائها
فضلا عن استيجابها لنعمة اخرى ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا وما اصابك من سيئة اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي
الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده تعالى عقوبة كقوله تعالى وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب
ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير وكذلك ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط
جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لاسيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا
بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله تعالى بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه عليه السلام بناء على الجهل
بتمام التحليل وتعريف الناس للاستغراق والجار متعلق برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد
العموم اي رسولا للكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس
ورسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول اي بارسال وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك بنصب المعجزات
التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة وتأكيد الشهادة والجملة اعتراض
تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته اثر بيان تحققها وتنبيه على ان كونها
لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله وانما هو عليه السلام مبلغ للامر والنهي فمرجع الطاعة وعدمها هو الله
سبحانه روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون
الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت
النصارى عيسى فنزلت والتعبير عنه بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة
له تعالى ليس خصوصية ذاته بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد وجوب
الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا يأباه تخصيص الخطاب
بعده في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والتقدير ومن تولى فلا
ايه او من اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم
اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية
للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون شروع في بيان

معاملتهم مع الرسول عم بعد بيان وجوب طاعته اى يقولون اذا امرتهم بشئ طاعة اى امرنا وشاننا طاعة
او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اى
خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اى من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذى تقول اى زورت
طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما
يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تقضى وتدبر
بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة
غير حقيقى وقرئ بادغام التاء فى الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات
والباقون اتباع لهم فى ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اى يكتبه فى جملة
ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك الى الاضرار بهم سبيلا
او يثبته فى صحائفهم فيجازيهم عليه واياما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اى لا تبال بهم وبما صنعوا
او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله فى كل ما تاتى وما
تذر لا سيما فى شانهم واظهار الجلالة فى مقام الاضمار للاشعار بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم والاظهار هنا ايضا لما مر وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل
وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن واعراضهم عن التامل فيما فيه من موجبات
الايمان وتدبر الشئ تامله والنظر فى ادباره وما يؤول اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تفكر
ونظر والفاء للعطف على مقدر اى ايعرضون عن القرآن فلا يتاملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة
ما فيه من الشواهد التى من جملتها هذا الوحى الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكى على ما هو عليه ولو
كان اى القرآن من عند غير الله كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع
اذ لا علم بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين كونه
من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون
وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى وقال ابو بكر الاصم ان
هؤلاء المنافقين كانوا يتواطئون فى السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله يطلع الرسول عم على ذلك
ويخبره بها مفصلة فيقال لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف
فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذى يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على
التناقض وتفاوت النظم فى البلاغة بان يكون بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه على معنى
فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده
السباق ولا السياق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس
لتناقض فى الحكم بل لاختلاف فى الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر
من الامن او الخوف اذاعوا به يقال اذاع السر واذاع به اى اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا
به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم فى بعض المواد من شائبة الاختلاف
بناء على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك
ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحى اليه
من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه
ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره
المتوقع فيكون ذلك منشا لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل ولو ردوه اى ذلك الامر الذى جاءهم
الى الرسول اى عرضوه على رايه عم مستكشفين لمعناه وما ينبغى له من التدبير والالتفات لما ان عنوان
الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رايه عم والى اولى الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء فى الامور
لعلمه اى العلم الرادون معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم
للايذان بانه ينبغى ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اى لعلمه اولئك الرادون

الرادون الذين يستنبطونه اى يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اى من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
واولى من صحابته رضوان الله عليهم اجمعين ولما فعلوا فى حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه
وتوهم الاختلاف وقيل العلماء الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها
فكلمة من فى منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة
او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله عم والى اولى الامر
لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه اى يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور
الحرب ومكائدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عم واولى الامر على امن ووثوق بالظهور
على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول
والى اولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون
وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير
معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول عم والى اولى الامر وقالوا
نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه
من الرسول واولى الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم وسياق النظم الكريم لبيان
جنايات تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جنايات المنافقين ومكرهم والخطاب فى قوله تعالى
ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات اى لولا فضله تعالى عليكم ورحمته
بارشادكم لطريق الحق الذى هو المراجعة فى مظان الاشتباه الى الرسول عم واولى الامر لاتبعتم الشيطان
وعملتم بآراء المنافقين فيما تاتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولوا الامر
الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون فى معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم
ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلال الا قليلا منكم قد
تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة
الايادى وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل
المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء اى لولا حصول النصر والظفر على التوالى والتتابع لاتبعتم
الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصائر النافذة والنيات القوية والعزائم الماضية
من افاضل المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة
آثار حقيته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل فى سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه
له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اى اذا كان
الامر كما حكى من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين فى مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت
وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله تعالى لا تكلف الا نفسك اى الا فعل نفسك استئناف مقرر لما قبله
فان اختصاص تكليفه عم بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على ان ما فعلوا
من التثبط لا يضره عم ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل فقاتل اى فقاتل غير مكلف الا نفسك
وقرئ لا تكلف بالجزم على النهى وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اى لا نكلف الا نفسك
لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر السابق داخل فى حكمه فان كون حال
الطائفتين كما حكى سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين والتحريض على الحث على الشئ
والترغيب قال الراغب كانه فى الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اى رغبهم فى القتال
ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا عدة
منه سبحانه وتعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم فان ما صدر بعسى من الله مقرر الوقوع من
جهته تعالى وقد كان ذلك حيث روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب
احد موسم بدر الصغرى فى ذى القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبعين راكبا ووافوا الموعد والقى الله تعالى فى قلوب الكفرة الرعب

وجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله صلى الله عم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم
تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله اشد بأسا اي من قريش واشد
تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتأكيد
التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اي من ثوابها جملة مستأنفة
سيقت لبيان ان له عم فيما امر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول
في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كأن
المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم
ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين
بتحريضه عم على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط
عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روي انه عم
قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود
ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها اي نصيب من وزرها مساو
لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر
عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها
على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها
على الاطلاق وحذر مما يقابلها من الشفاعة السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان
تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه الى الله تعالى والتحية مصدر حيي اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل
الاصل تحييي بثلاث ياءات فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل
حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب
اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها
سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على
التحية لما انه دعاء بالسلامة عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحياة وليس في الدعاء
بطول الحياة ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا
سلم عليكم من جهة المؤمنين فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله
ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب
التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردوها اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك
ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال
وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عم انك لم تترك لي فضلا فرددت
عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة
وعن ابن عباس رضي الله عنه الرد واجب وما من رجل يمر على قوم من المسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه
الا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث
وعند دراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته
ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي
على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا
التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم
عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ
اليهودي بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السلام دون الزيادة

الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند كونه كافرا ان الله كان على كل
شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها
حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر وقوله ليجمعنكم الى يوم القيامة جواب قسم محذوف
اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيامة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستأنفة
لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدأ او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله تعالى لا ريب فيه
اي في يوم القيامة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من
الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا
والكذب محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب
لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى في المنافقين متعلق اما
بما تعلق به الخبر اي اي شيء كائن لكم فيهم او في امرهم وشأنهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه واما بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين
واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت
حالا كما هو شأن صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون وانتصاب فئتين عند
البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله تعالى فما لكم عن التذكرة
معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان
يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم
مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم
قوم من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة
فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم
هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عم انا على دينك وما اخرجنا
الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم
خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا ويأباه ما سيأتي من جعل هجرتهم غاية للنهي
عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده
ما سيأتي من الآيات الناطقة بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما
فعل من المثلة والقتل ثم لم يبق في امرهم اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتأكيد
الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وقوع ما ينافيه بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين
والرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو
ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعائد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل
معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسهم مخففا
اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين
وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله
الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعي في هدايتهم وارادة
لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة
وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون للمبالغة في انكاره ببيان انه مما
لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم يأباه قوله تعالى ومن يضلل
الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا
عن ان تهدي به اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له
من هاد ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال مخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء

وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل على طريق التفصيل
والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهتدوا والرابط هو الواو او اعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق
ومؤكد لاستحالة الهداية فيجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم
ودوا لو تكفرون كلام مستانف مسوق لبيان غلوهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية
عن الجواب وهي مع ما بعدها نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب
على انه نعت لمصدر محذوف اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو راي سيبويه وقوله
تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونوا سواء مستوين في
الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون
كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمع المخاطبين
فان المراد نهي ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم
فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله
لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا
قدرتم عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا
منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى
قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى
قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد
وادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار
مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة او جاؤكم عطف على الصلة اي والذين
جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين
ولحق بالمعاهدين والآخر من اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون
الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتي من قوله
تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه صريح في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ
جاؤكم بغير عاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل
انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من
فاعل جاؤوا اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم
او كراهة ان يقاتلوكم الخ ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة
الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم
تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الاولى اي لو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية
قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير او الابدال
من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم
من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تعالى والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان يقاتلوا قومهم
ايضا والقاءهم اليكم السلم وانهم لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا
المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان غرضهم
ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه
وكانوا فيها اشر من كل عدو وشرير فان لم يعتزلوكم عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اي لم يلقوا
اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اي لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث

ثقفتموهم اي تمكنتم منهم واولئكم الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم
سلطانا مبينا حجة واضحة في الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر
والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن
اي وما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه
ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال
اي ما كان له ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال الا في حال الخطأ او على انه مفعول له اي ما كان له ان
يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة للمصدر اي الا قتلا خطأ وقيل الا بمعنى ولا والتقدير
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع
اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد الى الفعل او الى الشخص او لا يقصد به
زهوق الروح غالبا او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف
الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة
وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي
انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم
انصرف وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد
منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما
به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر
فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير
رقبة اي اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالراس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية
مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها الا ان يصدقوا
اي يتصدقوا اهله عليه سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم
كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي يجب عليه الدية او يسلمها الى اهله الا وقت
تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية او الحال من الاهل او القاتل
فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن اي ان كان المقتول من قوم كفار محاربين ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه
بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم بالهجرة الى دار الاسلام او بان اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اي فعلى
قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وان كان اي المقتول المؤمن
من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق اي عهد موقت او مؤبد فدية مسلمة
الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة
الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل افراده
بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين
لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي او المعاهد لئلا يلزم التكرار
بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما فمن لم يجد اي رقبة لتحريرها
بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين اي فعليه صيام شهرين متتابعين لا افطار بينهما
توبة نصب على انه مفعول له اي شرع ذلك توبة اي قبولا لها من تاب الله
عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اي تاب عليكم توبة وقيل على انه حال من الضمير المجرور في
عليه بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله متعلق بمحذوف وقع صفة
لتوبة اي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها حاله حكيما في كل ما شرع وقضى

من الشرايع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شانه ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطأ
وفصل اقسامه الثلاثة تعقب ذلك ببيان القتل عمدا خلا ان حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة
اقتصر ههنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد
اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل عليه السلام معه زبير
بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموا
وباداء الدية ان لم يعلموا فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي
ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا
فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فتكون مسبة عليك اقتل الذي معك فيكون نفسا بنفس وفضل الدية
فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وهو يقول
قتلت به فهرا وحملت عقله ◦ سراة بني النجار اصحاب فارع ◦ وادركت ثاري واضطجعت موسدا ◦
وكنت الى الاوثان اول راجع ◦ فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل
وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه
فر من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحقه بجنايته جهنم وقوله تعالى خالدا فيها حال مقدرة من
فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها
وقيل من مفعول جازاه وابى ذلك بانه انسب بعطف ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر
للحال او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر
ان كون جزائه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار
عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة
كانه قيل بطريق الاستئناف تقريرا وتأكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه
ولعنه اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي
على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ واعد له
في جهنم عذابا عظيما لا يقادر قدره ولما جرى في الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد
وفنون الابراق والارعاد وقد تأيدت بما روي من الاخبار الشداد كقوله عليه السلام والذي نفسي بيده
لزوال الدنيا عند الله اهون من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك
في دمه وقوله عليه السلام من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من
رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا تمسك
لهم فيها لا لما قيل من انها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني
المرتد حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل
لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه
انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له
فمحمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن انس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس ان رجلا
ساله القاتل المؤمن توبة قال لا وساله آخر القاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت لذلك كذا
ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا
ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الآية هي جزاؤه
فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه
وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته
فجزاؤك القتل والضرب ثم اذا لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك ان الله
تعالى يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وحديث انس انه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجز له ومن اوعده على عمله عقابا فهو
بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه تعالى بان جزاءه ذلك
لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى
يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين حكم القتل بقسميه وانما
يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور اذا
ضربتم في سبيل الله اي سافرتم في الغزو ولما في اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء اي فاطلبوا
بيان الامر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا ثبات
وقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد
التي يجب فيها التبيين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية
الاسلام او لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا
منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقرائتين الاخيرتين
والاقتصار على ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب
النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام كانت كافية
في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بها وقوله تعالى تبتغون عرض الحيوة
الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على ان يكون النهي راجعا
الى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم
طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله
بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة تغنمونها فيغنيكم عن ارتكاب ما
ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره
عنه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل
السابق وبين ما علل به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم
خبر كان للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز
الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا
يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم
بها دماءكم واموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان
الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم
من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطؤ الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل
ويستدعيه فخامة شانه الجليل ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة
الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من انتظار الاطلاع على مواطأة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم
بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في
الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا الخ فقد ابعد عن الحق لان المراد
كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من مجرد التفوه بكلمة
الشهادة واظهار ان ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى
ان ذلك انما يتأتى بتفسير منة الله تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم بمجرد كلمة
حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله ايضا بحكم المشابهة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل
فسره بما فسره لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن اين له
ان يقول فحصنت دماءكم واموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير
المن اياه بناء على اساس واه كيف لا وانما ذكره بصدد التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة
مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم اريد اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور

حتى يستحق ان يتعرض له ولا يأمر له وحمل في وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه في
سلك ما فرع عليه بقوله فعليكم ان تتفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة
في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستحقروا حاله نظرا الى حالتكم هذه بل اعتدوا بها
نظرا الى حالتكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستحقار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان
الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل
الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام
عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال
قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال
هلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال
اسامة فما زال يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت
في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم
فقتلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه
ان الله كان بما تعملون من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان
شرا فشر فلا تتهاونوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح ان
على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب
تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويرفع
بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد
اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ
النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن
للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين اي كائنين
من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم
لما سيأتي من الحسنى غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدون لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم
باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر
المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه
انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت
ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم
وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال
اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج
المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس وكذا تقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله باموالهم
وانفسهم لمدحهم بذلك وللاشعار بعلة استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في
مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم
الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا
وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي
الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول وقوله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم
وانفسهم على القاعدين درجة استئناف سيق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما
اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله
الخ واما تقدير ما لهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستئناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته وفيه

وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات
تفاوتهما لا عدم استوائهما تفاضلا بحافره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد
كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدر
لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيلة او على نزع الخافض بدرجة وقيل على التمييز وقيل
على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه
قدم عليه لافادة القصر تأكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اي
المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة
برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول
وقوله تعالى وفضل الله المجاهدين على القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في
الفريقين مغنية لهما عن ذكر القعود والتي ذكرت على سبيل التدريج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر
مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر واثاره على ما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا
او مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل
منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من اجرا بدل الكل مبين
لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة
قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو
الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله ما بين الدرجتين
كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربته اسواطا
اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر
ليس من باب المغفرة اي مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي يأتي بها القاعدون
ايضا حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان
يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف
المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه
الكلام ويستدعيه حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة و
الدرجات منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريق الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما
في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه
قيل فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا
البون البعيد موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير
بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شأن التنزيل واما للاختلاف بالذات
بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا
في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وبالتفضيل الثاني ما انعم به
في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد
بالجنة بينهما كانه قيل وفضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى وقد وسط
بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية
المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي الضرر واما اولو الضرر فهم
مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول
بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم
تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وبعبارة اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم

من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم
العذر قالوا فمدة المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا
على المرضى الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك
النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب
الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة
بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده
قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفاهم على حكاية
الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان
الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم
فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في
اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة
وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور
الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة للمتوفين
تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي
في اي شيء كنتم من امور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا قالوا
في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم
كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا
لتعللهم وتبكيتا لهم ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها اي قطرا آخر منها تقدرون فيه على اقامة
امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل
جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرد ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم
الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا
عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين
الى بدر رجعهم منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم
وقد بخلهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا
بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن
قهرهم متمكنين من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة مأواهم اي في الآخرة جهنم كما ان مأواهم
في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة
جزاء والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من شرط
او هو الخبر والعائد فيه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في
حيزه وساءت مصيرا اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل
من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا
من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة والسلام الا المستضعفين
استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان
متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك او المراهقون
ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة والايذان بانها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت
عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا
وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
صفة للمستضعفين لان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير
لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء

السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة الى المستضعفين الموصوفين
بما ذكر من صفات العجز عسى الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تأكد
الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا
لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا
للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا
لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب
وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي من الرزق ومن
يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك
خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف وقيل هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم اضربه
وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده
ثبوت الامر الواجب روي ان رسول الله صلى الله عم لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال
جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت
صلى الله عليه وسلم
الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق يمينه على شماله
ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله
فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او نحو
ذلك فهي هجرة الى الله تعالى والى رسوله عم وكان الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه
من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب
هجرته واذا ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو في
المطر والمرض وفيه تأكيد لعزيمة المهاجرة وترغيب فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي
مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح اي حرج ومأثم ان تقصروا
اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء اي جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه
فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله
تعالى من الصلوة ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه الاخفش واما على تقدير
ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه اي شيئا من الصلوة فينبغي ان
يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد
بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة
بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق
به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلاثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد وعند
الشافعي رح مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق الشافعي رح
وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها انها اتمت تارة وقصرت
اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا
سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف
والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله عليهم اجمعين وبه قال الحسن
وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام
غير قصر على لسان نبيكم عم وعن انس رض خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان
يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن الحصين رض ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحكي عن ابن مسعود ان عثمان رض

صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابي بكر رضي الله عنه
بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر
عثمان رضي الله عنه عن اتمامه بانه تاهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها
ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت
فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر
ولما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري وانما
ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح
بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان
يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا وركن عند الشافعي رحمه الله وقوله تعالى ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه
من القتال وغيره فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف المؤداة
بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن على مشروعيته حتما وقد تكلموا
على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الاثار مسندا الى يعلى ابن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب
انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال
عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا
صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد
كما حقق في موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند
الشرط واما عند عدمه فمسكوت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم
تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وقد سمعت ما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم
فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب
كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الاية الكريمة مجملة في حق
مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر فحال
الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد
قيل ان قوله تعالى ان خفتم متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب
الانصاري انه قال نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح
الخ وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك
كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما فهم من الكلام من كون فتنتهم
متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما
قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية القصر بطريق التفريع والتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص
البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن
الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده عليه السلام ولا
يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به بيننا وهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى
خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد
منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فوصف له ذلك
فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في
السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم

بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو
ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا اي الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها
ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء باستصحابها كانهم ياخذونها ابتداء فاذا سجدوا
اي القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة
ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وتنكيرها لما انها لم تذكر
فيما قبل فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين في الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من
الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة كما في الاية ثم جاءت الطائفة
الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت
الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اي هذه
الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون
الطائفة القائمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وفي
تكليف كل من الطائفتين بما ذكر ايذان بان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها
ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم
فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق
الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا منكم فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة
ما يتمتع به في الحرب لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من
مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها
بسبب مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو
عليكم غيلة روى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزى محاربا وبني انمار فنزلوا ولا
يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه
حتى قطع الوادي والسماء ترش فحال الوادي بينه وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث
بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو قائم على راسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الله عز وجل ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فامن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل
للامر باخذ الحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا فيما شئتم
الاسباب كي يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه
نفى ذلك الايهام بان الله تعالى ينصركم ويهين عدوكم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة الخوف
اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي
فداوموا على ذكر الله تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال
المسايفة والقتال كما في قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا
اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعد ما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة اي الصلوة
التي دخل وقتها اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلاثة الصلاة

فيها اي فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى
جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق والانزعاج
وهو راي الشافعي رحمه الله وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي
فرضا موقتا قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا على الوجه المشروع
وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه
ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله
تعالى ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع
لهم اي ليس ما تقاسونه من الآلام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا
تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب في
الآخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اي لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم
تعليل للنهي عن الوهن لاجله والآية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما مبالغا في العلم فيعلم اعمالكم
وضمائركم حكيما فيما يأمر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان
في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة
وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودي فهم رسول الله صلى الله عم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد
ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط عليه الحائط فقتله وقيل نزل على رجل من بني سليم من اهل مكة يقال
له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعه لانه
قد لجأ اليك فتركه واخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم
وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذ
والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اي لاجلهم
والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبرآء اي لا تخاصم اليهود
لاجلهم والنهي معطوف على امر يستدعيه النظم الكريم كأنه قيل فاحكم به ولا تكن الخ واستغفر الله مما هممت
به تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن
الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت
معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة
واما هو ومن عاونه وشهد ببراءته من قومه فانهم شركاء له في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان
خوانا مفرطا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض
والسخط بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه به بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون
من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه سبحانه وتعالى
وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما
يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف
الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه
شيء ولا يفوت ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد
جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر وقوله تعالى جادلتم عنهم في
الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم
صلته والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن
يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا

وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة
واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك ثم
يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه
مزيد ترغيب لطعمة وقومه في التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة
زائدة ومن يكسب اثما من الآثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره وباله الى غيره فليحترز
عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا للحكمة في كل ما
قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب
وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي
يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كأنه قيل ثم
يرم باحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا
اي مما رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته على البريء
بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذي يتحير
في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما وقد اكتفي في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي
كأنه قيل بهتانا لا يقادر قدره واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارتان
عن امر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه وقد عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العظم
والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البريء بجناية ما خطيئة كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما
كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه
بالنسبة الى من نسبه الى البريء منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم
في جميع الاديان فهو في نفسه بهتان واثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة
ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي البريء والا لكان الرمي بغير جنايته مثله في العظم
ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جنايته مع تبرئة نفسه كذلك في العظم
بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء واجراء عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب
ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر نعم بما ذكر
من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البريء تزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم
ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة
لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون
الضمير راجعا الى الناس وقيل هم وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك
لنبايعك على ان لا تكسر اصنامنا ولا تعشرنا فردهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي بان يضلوك عن القضاء
بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو تأثيره فقط ايذانا بانتفاء
تأثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك
وقوله تعالى لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لانقضاده وبال مكرهم
عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار
والمجرور النصب على المصدرية اي ما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى عاصمك واما ما خطر ببالك
فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف
ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد بالحكمة السنة
وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع
ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة
العامة والرياسة التامة لا خير في كثير من نجواهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر اي الا في نجوى
من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني

وأياما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع أيضا على معنى لكن من أمر بصدقة أو معروف ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم أصناف الجميل وفنون أعمال البر وقد فسر هنا بالقرض وإغاثة الملهوف وصدقة التطوع على أن المراد بالصدقة الواجبة **أو إصلاح بين الناس** عند وقوع التشاجر والمعاداة بينهم من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين إما متعلق بنفس إصلاح يقال أصلحت بين القوم أو بمحذوف هو صفة له أي كائن بين الناس عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ألا أدلك على صدقة خير لك من حمر النعم قال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وتقرب بينهم إذا تباعدوا ولعل السر في إفراد هذه الأقسام الثلاثة بالذكر أن العمل الخير المتعدي إلى الناس إما لإيصال المنفعة أو لدفع المضرة والمنفعة إما جسمانية كإعطاء المال وإليه الإشارة بقوله تعالى إلا من أمر بصدقة وإما روحانية وإليه الإشارة بالأمر بالمعروف وإما دفع الضرر فقد أشير إليه بقوله تعالى أو إصلاح بين الناس **ومن يفعل ذلك** إشارة إلى الأمور المذكورة أعني الصدقة والمعروف والإصلاح فإنه يشار به إلى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للإيذان ببعد منزلتها ورفعة شأنها وترتيب الوعد على فعلها إثر بيان خيرية الأمر بها لما أن المقصود الأصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الأمر به للدلالة على خيريته بالطريق الأولى لما أن مدار حسن الأمر وقبحه حسن المأمور به وقبحه فحيث ثبتت خيرية الأمر بالأمور المذكورة فخيرية فعلها أثبت وفيه تحريض للآمر بها على فعلها أو إشارة إلى الأمر بها كأنه قيل ومن يأمر بها والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخير فإن استتباع الأمر به للأجر العظيم إنما هو لكونه ذريعة إلى فعلها فاستتباعه له أولى وأحق **ابتغاء مرضات الله** علة للفعل والتقييد به لأن الأعمال بالنيات وأن من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان **فسوف نؤتيه** بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء **أجرا عظيما** يقصر عنه الوصف **ومن يشاقق الرسول** التعرض لعنوان الرسالة لإظهار كمال شناعة ما اجترءوا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتي بذلك **من بعد ما تبين له الهدى** ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته **ويتبع غير سبيل المؤمنين** أي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القويم **نوله ما تولى** أي نجعله واليا لمن تولاه من الضلال ونخذله بأن نخلي بينه وبين ما اختاره **ونصله جهنم** أي ندخله إياها وقرئ بفتح النون من صلاه **وساءت مصيرا** أي جهنم وفيه دلالة على حجية الإجماع وحرمة مخالفته **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتأكيد والتشديد أو لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن شيخا من العرب جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني شيخ منهمك في الذنوب إلا أني لم أشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم أواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هربا وإني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا** عن الحق فإن الشرك أعظم أنواع الضلالة وأبعدها عن الصواب والاستقامة كما أنه افتراء وإثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى إثما عظيما حسبما تقتضيه سباق النظم الكريم وسياقه **إن يدعون** أي ما يعبدون **من دونه** تعالى **إلا إناثا** هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن أنه لم يكن حي من أحياء العرب إلا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه أنثى بني فلان وقيل لأنهم كانوا يقولون في أصنامهم هن بنات الله وقيل لأنهم كانوا يلبسونها أنواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل لتسميتها إناثا لتأنيث أسمائها أو لأنها في الأصل جماد والجمادات تؤنث من حيث أنها ضاهت الإناث لانفعالها وإيرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والإناث جمع أنثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وأنثا أيضا جمع أنيث كقليب وقلب أو جمع إناث كثمار وثمر وقرئ وثنا وأثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأسد على الأصل وقلب الواو ألفا نحو أجوه في وجوه **وإن يدعون** وما يعبدون بعبادتها **إلا شيطانا مريدا** إذ هو الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير وأصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء التي تناثر ورقها **لعنه الله** صفة ثانية

ثانية لشيطانا **وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا** عطف على الجملة المتقدمة أي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن وقد برهن على أن عبادة الأصنام غاية الضلال بطريق التعليل بأن ما يعبدونه ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الألوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بأن ذلك عبادة الشيطان وهي أفظع الضلال من وجوه ثلاثة الأول أنه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الحق والثاني أنه ملعون لضلاله فلا تستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث أنه في غاية السعي في إهلاكهم وإضلالهم فموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع أي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء **ولأضلنهم ولأمنينهم** الأماني الباطل كطول الحياة وأن لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك **ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام** أي فليقطعنها بموجب أمري وليشقنها من غير تلعثم في ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب **ولآمرنهم فليغيرن** ممتثلين به **خلق الله** عن نهجه صورة أو صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا أو حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمأمور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم الكريم عليه **ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله** بإيثار ما يدعو إليه على ما أمر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى إلى طاعته **فقد خسر خسرانا مبينا** لأنه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة بمكانه من النار **يعدهم** أي ما لا يكاد يتحقق **ويمنيهم** أي الأماني الفارغة أو يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضمائر لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها **وما يعدهم الشيطان إلا غرورا** وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بإلقاء الخواطر الفاسدة أو بألسنة أوليائه وغرورا إما مفعول ثان للوعد أو مفعول لأجله أو نعت لمصدر محذوف أي وعدا ذا غرور أو مصدر على غير لفظ المصدر لأن يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لأنها باب من الوعد **أولئك** إشارة إلى أولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدأ وقوله تعالى **مأواهم** مبتدأ ثان وقوله تعالى **جهنم** خبر للثاني والجملة خبر للأول **ولا يجدون عنها محيصا** أي معدلا ومهربا من حاص الحمار إذا عدل وقيل خلص ونجا وقيل المحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا أي كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا أما إذا كان اسم مكان فظاهر وأما إذا كان مصدرا فلأنه لا يعمل فيما قبله **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** مبتدأ خبره قوله تعالى **سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا** قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة أولئك **وعد الله حقا** أي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالأول مؤكد لنفسه لأن مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز أن ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله تعالى سندخلهم لأنه في معنى نعدهم إدخال جنات الخ وحقا على أنه حال من المصدر **ومن أصدق من الله قيلا** جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لأوليائه والمبالغة في تأكيده ترغيبا للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ بإشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال **ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب** أي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب يحصل بأمانيكم أيها المسلمون ولا بأماني أهل الكتاب وإنما يحصل بالإيمان والعمل الصالح ولعل نظم أماني أهل الكتاب في سلك أماني المسلمين مع ظهور حالها للإيذان بعدم إجداء أماني المسلمين أصلا كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل إن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله تعالى وكذبوا لو أحسنوا الظن به لأحسنوا العمل وقيل إن المسلمين وأهل

الكتاب فخروا وقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن أولى بالله منكم فقال المسلمون نحن أولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم أي ليس الأمر بأماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم إن كان الأمر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم وأحسن حالا وقولهم لأوتين مالا وولدا ولا أماني أهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله من يعمل سوءا يجز به عاجلا أو آجلا لما روي أنها لما نزلت قال أبو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تحزن أما تمرض أما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات أي بعضها وشيئا منها فإن كل أحد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر أو أنثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان أو من الصالحات أي كائنة من ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور إذ لا اعتداد به دونه فأولئك إشارة إلى من بعنوان اتصافه بالإيمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا أي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب أعمالهم فإن النقير علم في القلة والحقارة وإذا لم ينقص ثواب المطيع فلأن لا يزاد عقاب العاصي أولى وأحرى كيف لا والمجازي أرحم الراحمين وهو السر في الاقتصار على ذكره عقيب الثواب ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله أي أخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل أخلص عمله له تعالى وقيل فوض أمره إليه تعالى وهذا إنكار واستبعاد لأن يكون أحسن دينا ممن فعل ذلك أو مساويا له وإن لم يكن سبك التركيب متعرضا لإنكار المساواة ونفيها يرشدك إليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فإنه إذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل من فلان فالمراد به حتما أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله ونظائره ودينا نصب على التمييز من أحسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن دينه أحسن من دين من أسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على أن ذلك أقصى ما تنتهي إليه القوة البشرية وهو محسن أي آت بالحسنات تارك للسيئات أو آت بالأعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره النبي عليه السلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك والجملة حال من فاعل أسلم واتبع ملة إبراهيم الموافقة لدين الإسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الأديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع أو من إبراهيم واتخذ الله إبراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله وإظهاره عليه السلام في موضع الإضمار لتفخيم شأنه عليه السلام والتنصيص على أنه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فإنه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فإن كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر أو من الخل وهو الطريق في الرمل فإنهما يترافقان في الطريقة أو من الخلة بمعنى الخصلة فإنهما يتوافقان في الخصال وفائدة الاعتراض تأكيد وجوب اتباع ملته عليه السلام فإن من بلغ من الزلفى عند الله تعالى مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بأن يكون اتباع طريقته أهم ما يمتد إليه أعناق الهمم وأشرف ما يرمق نحوه أحداق الأمم قيل إنه عليه السلام بعث إلى خليل له بمصر في أزمة أصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان إبراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للأضياف وقد أصابنا ما أصاب الناس فاجتاز غلمانه عليه السلام ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر حياء من الناس فلما أخبروا إبراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه فنام وقامت سارة إلى غرارة منها فأخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ إبراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من أين لكم هذا فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله تعالى فسماه الله تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الأرض

جملة مبتدأة سيقت لتقرير وجوب طاعة الله تعالى على أهل السموات والأرض ببيان أن جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء منها فيجازي كلا بموجب أعماله خيرا وشرا وقيل لبيان أن اتخاذه تعالى لإبراهيم عليه السلام خليلا ليس لاحتياجه سبحانه إلى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين فإن مدار خلتهم افتقار بعضهم إلى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه عليه السلام وقيل لبيان أن الخلة لا تخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان أن اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيئته تعالى أي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله تعالى وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فإن إحاطته تعالى علما وقدرة بجميع الأشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين وأعمالهم مما يقرر ذلك أكمل تقرير ويستفتونك في النساء أي في حقهن على الإطلاق كما ينبئ عنه الأحكام الآتية لا في حق الميراث خاصة فإنه عليه السلام قد سئل عن أحوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف أحيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب بإسناد الإفتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل إليه تعالى وإلى ما تلي من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك أغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدأ أو ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وإيثار صيغة المضارع للإيذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب إما متعلق بيتلى أو بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه أي يتلى كائنا فيه ويجوز أن يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على أن المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم وأن العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الأمور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها فيما يتلوح متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز أن يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كأنه قيل قل الله يفتيكم بيانا لما سبق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الأول وهو الأظهر متعلق بيتلى أي ما يتلى عليكم في شأنهن وعلى الآخرين بدل من فيهن وهذه الإضافة بمعنى من لأنها إضافة الشيء إلى جنسه وقرئ بيامى على قلب همزة أيامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن أي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتأويل وأنتم ترغبون ولا ريب في أنه لا يظهر لتقييد عدم الإيتاء بذلك فائدة إلا إذا أريد بما كتب لهن صداقهن أن تنكحوهن أي في أن تنكحوهن لكن لا لأجل التمتع بهن بل لأكل ما لهن أو في أن تنكحوهن بغير إكمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وعن أن ينكحوهن وذلك ما روي عنها رضي الله عنها أنها يتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية عنها أيضا رضي الله عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه الأول والآخر ميراثهن ومما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها ونحوها من النصوص الدالة على عدم التعرض لأموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن ومما يتلى في حقهن قوله تعالى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الآية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وإنما يورثون الرجال القوام بالأمور روي أن عيينة بن حصن الفزاري جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنا أنك تعطي الابنة النصف والأخت النصف وإنما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام كذلك أمرت وأن تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ونحو ذلك مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى وأما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن أي يفتيكم أن تقوموا ويجوز نصبه بإضمار فعل أي ويأمركم وهو خطاب للولاة أو للأولياء والأوصياء

وما تفعلوا في حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او ما تفعلونه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امرأة خافت مرفوع بفعل شروع في بيان احكام لم يتبين فيما سلف من الاحكام اي ان توقعت امرأة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان تهب له شيئا تستميله به وقرئ يصالحا من يتصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر من غير لفظه بحذف الزوائد او وقد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا او تصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الا الاخذ الذي هو مظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ والصلح خير اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة واللام للعهد او هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه ابدا فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان يقنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اي من الاحسان والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السايب كانت له امرأة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن في شأن من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل اي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي الاخرى الممال عنها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما اي يجعله مستغنيا عن الآخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة

مستانفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي امرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض ح من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لهم ولكم اتقوا الله وان تكفروا الى آخر الآية على تقدير كون ان مصدرية مبنى الكلام ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا الآية وايا ما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيف ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستأصلكم بالمرة ويأت بآخرين اي ويوجد دفعة مكانكم قوما آخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشأ افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخبر بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت باناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء اي فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عن اقامتها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها الله وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف منه ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها لا على

وجهها أو تعرضوا عن اقامتها داساً فإن الله كان بما تعملون من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال
التي من جملتها ما ذكر خبيراً فيجازيكم لا محالة على ذلك وهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخرى
متضمن للوعد يا ايها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي
نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او ازدادوا فيه طمانينة
ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب
السماوية لقوله تعالى وكتبه وبالايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد
امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك
الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل
على ان الايمان بالكلية مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة
الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل
المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة سورة البقرة وقرئ نزّل وأنزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب
لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلامة وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة
بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب
كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتورية مع انهم مؤمنون بها من
قبل ليكون المراد بالايمان تابعهم اياه والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها
كانه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لان المأمور به انما هو الايمان به في ضمن الايمان بالقرآن على
الوجه الذي اشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق
لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل ولا
بعض دون بعض وامر كل طائفة بالايمان في ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين
فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي بشيء من
ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم
الآخر في جانب الكفر لما ان الكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول
كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على الرسل
لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الرسل في انزال الكتب ان الذين آمنوا قال قتادة هم اليهود آمنوا بموسى
ثم كفروا بعبادة العجل ثم آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر وتمرنت
على الردة وكان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر
كان محذوف اي مريدا لان يغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما بدل على ان
المراد بالذين آمنوا الى آخره المنافقين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا
نفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء في محل النصب والرفع
على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نعت للمنافقين وقوله تعالى من دون
المؤمنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يقولون لهم
ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد عم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرأيهم وابطال له
وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي ايطلبون بموالاة
الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الصلبة عزاز
وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم
فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة قال تعالى

وقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به
وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا حال من المستكن في قوله
تعالى لله لاعتماده على المبتدأ وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ
يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ايضا مخففا ومثقلا والجملة حال من
ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ببيان انهم فعلوا ما فعلوا
من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزمة للنهي عن
موالاتهم على ابلغ وجه واكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم
اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب اي القرآن الكريم ان اذا سمعتم آيات
الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة
القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هي المخففة من انّ وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف
والجملة الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه
داخل في حكم الحالية واضافة الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اي
نزل عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم آيات الله مكفورا بها ومستهزأ بها وفيه دلالة على ان المنزل على النبي
وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو خوضهم في الآيات ولذلك عبر
عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض
بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم
جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدأ والخبر اي
لا تقعدوا معهم في ذلك الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه
كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل
ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية اي في مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين
والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب
والمراد بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بمأخذ الاشتقاق
واما الجنس فهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين نصب جميعا
مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض آخر من جنايات المنافقين
وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع
او منصوب على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى فان كان
لكم فتح من الله لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس
التربص مستدعي لشيء ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي لكم الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة
وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا اي الكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن
من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا
في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين
فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شأن المسلمين وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار أن فالله
يحكم بينكم يوم القيامة حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه
بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين
يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ سيق لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم اي يفعلون ما يفعل المخادع
من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء
والاموال واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون

على الصراط نوراً كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا
نقتبس من نوركم وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما
جمعا كسلان يراؤن الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان
المرائي يرى غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل
فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن الخ او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا
عطف على يراؤن اي لا يذكرونه سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب
قليل او الا زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرون
تعالى في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب
على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم
الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين
قلوبهم او دينهم او رأيهم وهو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي
متدبدبين بالدال غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة اي طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا
الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين
فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن يضلل الله لعدم
استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه
والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون
المؤمنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في
الزجر والتحذير أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي أتريدون بذلك ان
تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم اوضح دلائل النفاق او سلطانا يسلطه
عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها بأن يقال أتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل
امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله تعالى ام تريدون ان تسألوا
رسولكم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك
لانهم أخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عم ثلاث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه
فمن باب التشديد والتهديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة
متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد
لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل
من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه
واخلصوا دينهم لله اي جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اي
المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي معهم في الدرجات
العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره
فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم
وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شيء آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية
مفيدة للنفي على ابلغ وجه وآكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم أيتشفى به من الغيظ ام يدرك به
الثأر ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك
وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على
الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا
مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا

شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا
في العلم بجميع المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء
من القول عدم محبته تع لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اي لا
يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من ظلم اي الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه او
يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد
على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت
وقيل الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر
بالسوء وكان الله سميعا المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من
جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اي خير كان من الاقوال
والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء
الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان وانما ذكر ابداء الخير واخفاؤه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله
تعالى فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو
مع القدرة اي كان مبالغا في العفو لكمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين
مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تع وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم
منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عصى قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون
بالله ورسله اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى
ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان
به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الاستلزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض
ونكفر ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر بما وراء ذلك وما ذاك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق
بين الله تع ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد
اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى
ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا
يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون
بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا اصلا حقا
مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين
اي هم الذين كفروا كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر
مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا عذابا
مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله اي على الوجه الذي بين في تفسير قوله
تعالى يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله الآية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم
ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد
عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره
بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرئ نؤتيهم بنون العظمة و
كان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب
ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت
نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عم وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التورية
او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا بأعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا
التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لأعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من
ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى شيئا اكبر منه وهذه المسألة وان صدرت
عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون ويذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك

عن قتادة استخبارا انما نترجم علاماتك لسواد لجهنا لانهم **فقالوا أرنا الله جهرة** أي أرناه نره جهرة أي عيانا أو مجاهرين معاينين له وانها تفسيرية **فأخذتهم الصاعقة** أي النار التي جاءت من السماء فأهلكتهم وقرئ الصعقة **بظلمهم** أي بسبب ظلمهم بتعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا **ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات** أي المعجزات التي أظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لأنها لم تنزل عليهم بعد **فعفونا عن ذلك** ولم نستأصلهم وكانوا أحقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كأنه قيل ان أولئك الذين أجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا أنتم أيضا حتى نعفو عنكم **وآتينا موسى سلطانا مبينا** سلطانا ظاهرا عليهم حيث أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن معصيتهم **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم** أي بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روي أنهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها أو ليخافوا فلا ينقضوه على ما روي أنهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا وأقلعوا عن النقض وهو الأنسب لما سيأتي من قوله تعالى وأخذنا منهم ميثاقا غليظا **وقلنا لهم** على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم **ادخلوا الباب** قال قتادة كنا نحدث أنه باب من أبواب بيت المقدس وقيل هو إيليا وقيل هو أريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عم **سجدا** أي متطامنين خاضعين **وقلنا لهم لا تعدوا** أي لا تظلموا باصطياد الحيتان **في السبت** وقرئ لا تعتدوا ولا تعدّوا بفتح العين وتشديد الدال على أن أصله تعتدوا فأدغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين **وأخذنا منهم** على الامتثال بما كلفوه **ميثاقا غليظا** مؤكدا وهو العهد الذي أخذه الله عليهم في التوراة قيل انهم أعطوا الميثاق على أنهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم بأي أنواع العذاب أراد **فبما نقضهم ميثاقهم** ما مزيدة للتأكيد أو نكرة تامة ونقضهم بدل منها أي فبنقضهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم أو على أعقابهم روي أنهم اعتدوا في السبت في عهد داود عم فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على أن قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى أن قولهم إنا قتلنا المسيح وقولهم على مريم عليها السلام البهتان متأخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقه بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره **وكفرهم بآيات الله** أي بالقرآن أو بما في كتابهم **وقتلهم الأنبياء بغير حق** كزكريا ويحيى **وقولهم قلوبنا غلف** جمع أغلف أي هي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عم أو هو تخفيف غلف جمع غلاف أي هي أوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبي يعنون أن قلوبنا بحيث لا يصل إليها حديث إلا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته أيضا **بل طبع الله عليها بكفرهم** معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد أي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الأمر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم أو ليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم **فلا يؤمنون إلا قليلا** منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه أو إلا إيمانا قليلا لا يعبأ به **وبكفرهم** أي بعيسى عم وهو عطف على قولهم وإعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من أسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للإيذان بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم السلام **وقولهم على مريم بهتانا عظيما** لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه بألف منزل **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** نظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي عم والاستهزاء به فإن وصفهم له عم بعنوان الرسالة إنما هو بطريق التهكم به عم كما في قوله تعالى يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك ولأنه نبئ عن ذكرهم له عم بالوجه القبيح على ما قيل من أن ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عم من جهته تعالى مدحا له ورفعا لمحله وإظهارا لغاية جراءتهم في

تصدد بهتانهم وكناية وقاحتهم في افتخارهم بقتله **وما قتلوه وما صلبوه** حال أو اعتراض **ولكن شبه لهم** روي أن رهطا من اليهود سبوه وأمه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله تعالى بأنه يرفعه الى السماء فقال لأصحابه أيكم يرضى بأن يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فألقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عم فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى عم فرفع عيسى عم وألقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون أنه عيسى عم وقيل إن طيطانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده وألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن أنه عيسى فأخذ وقتل وأمثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل إن اليهود لما هموا بقتله عم رفعه الله تعالى الى السماء فخاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين عوامهم فأخذوا انسانا فقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس وأظهروا أنه هو المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته لهم الا قليلا **وإن الذين اختلفوا فيه** أي في شأن عيسى عم فإنه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود إنه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم إن كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى عم والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه عم أن الله يرفعني الى السماء إنه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت **لفي شك منه** لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح أحد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك أكد بنفي العلم في قوله تعالى **ما لهم به من علم إلا اتباع الظن** استثناء منقطع أي لكنهم يتبعون الظن ويجوز أن يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي يسكن اليه النفس جزما كان أو غيره فالاستثناء متصل **وما قتلوه يقينا** أي قتلا يقينا كما زعموا بقولهم إنا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قول من قال

كذاك تخبر عنها العالمات بها ... وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا

من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما إذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لإشعاره بعلمهم في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية **بل رفعه الله اليه** رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه **وكان الله عزيزا** لا يغالب فيما يريده **حكيما** في جميع أفعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في أمر عيسى عم دخولا أوليا **وإن من أهل الكتاب** أي من اليهود والنصارى وقوله تعالى **إلا ليؤمنن به قبل موته** جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف واليه يرجع الضمير الثاني والأول لعيسى عم أي وما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن بعيسى عم قبل أن تزهق روحه بأنه عبد الله ورسوله ولات حين إيمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده أنه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما أن أحدا في معنى الجمع وعن ابن عباس أنه فسره كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى عم نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي وتقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله أو ابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين صافية والإخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الإيمان به قبل أن يضطروا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى عم أحد إلا ليؤمنن به قبل موته روي أنه عم ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله في زمانه الدجال وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيات ويلبث في

الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد عم ويوم القيمة يكون اي عيسى عم عليهم على اهل الكتاب شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة بقتل النفوس اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم لا بشئ غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تعالى في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عم لما كلفهم اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربو وقد نهوا عنه فان الربو كان محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اي للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله تعالى واعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المنبئ على المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنين مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله تعالى والمقيمين الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدا والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم السلام اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء او الملائكة قاله مكي اي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة وهم الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا الحال فيما سياتي من المعطوفين فان قوله تعالى والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله والمؤمنون بالله واليوم الآخر فان المراد بالكل مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفي من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى سنؤتيهم اجرا عظيما خبره والجملة خبر للمبتدا الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن

المؤمنون منهم سنؤتيهم اجرا عظيما وما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ خبرا للمبتدا فمع كونه بمعزل من السداد خلا انه عن معرض لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي شرع الله على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض واوحينا الى ابرهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وتصريحا بما ينتمي اليهم اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورا قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله تعالى وقرئ بضم الزاء وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اي وكما آتينا داود زبورا وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الايحاء ثم اشير الى تحققها في امر لازم لهما لزوما كليا وهو الارسال فان قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم عليك اي وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه ان قوله قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا يساعده النظم الكريم كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا اي قصصناهم من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ والحق ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شانه عم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الانبياء في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في الارسال فان قوله انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابرهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسالونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشئ من الايحاء والايتاء حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضي تقدير نقيضه في الثاني وذلك اشد استحالة واظهر بطلانا وكلم الله موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بلا واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبياء عليهم السلام

فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان
نزولها كذلك لحكمة مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن
نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم
بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين ومنذرين نصب
على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من رسلا الاول اي مبشرين
لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله حجة اي معذرة يعتذرون بها قائلين
لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا شرائعنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن
ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد
عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة في القبول عنده
تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله تعالى لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها
وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر من الله تعالى
لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم
للناس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله وهو الخبر وللناس حال على الوجه
المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز تعلقه بحجة لان معمول المصدر
لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او
بمحذوف وقع صفة لها لان الظرف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله
عزيزا لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسألة المتعنتين حكيما في جميع افعاله
التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها
في بعض الشرائع والاحكام انما هو لتفاوت طبقات الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه
وتعالى برأهم على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم
ويقتضيه احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والاحكام حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية
وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال
تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد اذ ربما يقتضي التكاليف ويثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها اما
التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون
ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما
سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الخ قيل انهم لا يشهدون بذلك لكن
الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على البناء للمفعول وما موصولة للشهادة اي يشهد بحقية ما
انزل اليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا
فنزل لكن الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم بديع يعجز عنه
كل بليغ او بعلمه بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس
في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاول حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير
لما قبلها وقرئ نزله وقوله والملائكة يشهدون اي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل
حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك
حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزل الله
تعالى وشهد به او بكل ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به
وصدوا عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا
مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال

والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الاقلاع عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر آنفا
وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم
عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا
الا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية
المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم عند صرف قدرتهم
واختيارهم اليها كسبا او سوقهم اليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل
وقيل خاص بطريق الحق والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما
دل عليه الاستثناء دلالة واضحة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله تعالى ابدا نصب على
الظرفية رافع لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله
يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته
ببيان ان شأنه عليه السلام في امر الوحي والارسال كشؤون من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام
واكد ذلك بشهادته سبحانه وتعالى وشهادة الملائكة امر المكلفين كافة على طريقة تلوين الخطاب
بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت ولم يبق
بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول وقوله تعالى قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة و
تقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر بالايمان وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتأكيد
وجوب طاعته والمراد بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع
حالا من الرسول اي ملتبسا بالحق ومن ابتدائية متعلقة اما بالفعل واما بالمحذوف فهو حال من الحق اي
جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم في الامتثال بما بعده من الامر والفاء
في قوله تعالى فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى
خيرا لكم منصوب على انه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو رأي الخليل وسيبويه اي اقصدوا وائتوا
امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو رأي الفراء اي آمنوا ايمانا خيرا لكم او على
انه خبر لكان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعي وهو رأي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان
خيرا لكم وان تكفروا اي ان تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما في السموات والارض من الموجودات
سواء كانت داخلة في حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه وآكده او خارجة عنهما مستقرة
فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا
لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شأنه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك
فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه
وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم
دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل
الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا في
دينكم بالافراط في رفع شأن عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود في حط رتبته عليه السلام ورميهم له
بان ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما
يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر
تفسيره في سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت على صيغة المبالغة وهو مبتدأ وقوله
تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه
عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدأ والجملة مستأنفة مسوقة لتعليل النهي عن
القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف

على رسول الله أي كونه بكلمته وأمره الذي هو كن من غير واسطة أب ولا نطفة ألقاها إلى مريم أي أوصلها إليها وحصّلها فيها بنفخ جبرائيل عم وقيل أعلمها إياها وأخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم قيل الجملة حال من ضميره عم المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذي نفخ جبريل عم في درع مريم فحملت بإذن الله تعالى سمي النفخ روحاً لأنه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازاً لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى أن طبيباً حاذقاً نصرانياً للرشيد ناظر علي بن الحسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال له إن في كتابكم ما يدل على أن عيسى عم جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرأ الواقدي وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه فقال إذن يلزم أن يكون جميع تلك الأشياء جزءاً منه سبحانه وتعالى علواً كبيراً فانقطع النصراني فأسلم وفرح الرشيد فرحاً شديداً ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح أي كائنة من جهته تعالى جعلت منه تعالى وإن كانت بنفخ جبرائيل عم لكون النفخ بأمره سبحانه وقيل سمي روحاً لإحيائه الأموات وقيل لإحيائه القلوب كما سمي بها القرآن لذلك في قوله تعالى وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا وقيل أريد بالروح الوحي الذي أوحي إلى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بأنهم إذا أرادوا وصف شيء بغاية الطهارة والنظافة قالوا إنه روح فلما كان عيسى عم متكوناً من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عم رسول الله في الذكر مع تأخره عن كونه كلمته ثم روحاً منه في الوجود لتحقيق الحق من أول الأمر بما هو نص فيه غير محتمل للتأويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التأويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه بالألوهية ورسله أجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالألوهية ولا تقولوا ثلاثة أي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله أو الله ثلاثة إن صح أنهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وأنهم يريدون بالأول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة انتهوا أي عن التثليث خيراً لكم قد مر وجوه انتصابه إنما الله إله واحد أي بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدأ وإله خبره وواحد نعت أي منفرد في ألوهيته سبحانه أن يكون له ولد أي أسبحه تسبيحاً من أن يكون له ولد فإنه إنما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق إليه فناء والله سبحانه منزه عن أمثاله وقرئ إن يكون أي سبحانه ما يكون له ولد وقوله له ما في السموات وما في الأرض جملة مستأنفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره أي له ما فيهما من الموجودات خلقاً وملكاً وتصرفاً لا يخرج عن ملكوته شيء من الأشياء التي من جملتها عيسى عم فكيف يتوهم كونه ولداً له تعالى وكفى بالله وكيلاً أي إليه يكل كل الخلق أمورهم وهو غني عن العالمين فأنى يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شأن العجزة المحتاجين في تدبير أمورهم إلى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الأنفة والترفع من نكفت الدمع إذا نحيته عن وجهك بالإصبع أي لن يأنف ولن يترفع أن يكون عبداً لله أي عن أن يكون عبداً له تعالى مستمراً على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وإن ذلك أقصى مراتب الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عم عنه مع أن شأنه عم المباهاة به كما يدل عليه أحواله وينطق عنه قوله إني عبد الله أول بُني أن أول مقالة قالها للناس قوله إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة روي أن وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول قالوا تقول إنه عبد الله قال إنه ليس بعار أن يكون عبداً لله قالوا بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عم عبداً له تعالى دون أن يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع إفادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عم عن الاستنكاف بالكلية فإن كونه عبداً لله تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعاً فعدم الاستنكاف عنه مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما أشير إليه بخلاف عبادته تعالى فإنها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على

المسيح أي ولا يستنكف الملائكة المقربون أن يكونوا عبيداً لله تعالى وقيل إن أريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج إلى التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الأنبياء عم وقال مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي أن يكون المعطوف أعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزماً لعدم استنكافه عليهم السلام وأجيب بأن مناط كفر النصارى ورفعهم له عم عن رتبة العبودية لما كان اختصاصه عم وامتيازه عن سائر أفراد البشر بالولادة من غير أب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع إلى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو أعلى درجة منه فيما ذكر فإن الملائكة مخلوقون من غير أب ولا أم وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لأحد في علو درجتهم من هذه الحيثية وإنما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعات وبأن الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة أيضاً فلا اتجاه لما قالوا وإن سلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله أريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفصيل كما في قولك أصبح الأمير لا يخالفه الدلالة على أفضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش أو من هو أعلى رتبة منهم من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الأنبياء عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل أحد الجنسين على الآخر مطلقاً وهل التشاجر إلا فيه ومن يستنكف عن عبادته أي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وإنما جعل المستنكف عنه هٰهنا عبادته تعالى لا ما سبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فإن عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل لهم إلى إنكار اتصافهم به إن قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف مع أن ذلك منهم كان بطريق الإنكار لكون الأمر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لأنهم كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو إلا استنكاف عن طاعة الله تعالى إذ لا أمر له عم سوى أمره تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ويستكبر الاستكبار الأنفة عما لا ينبغي أن يؤنف عنه وأصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله منه بل بمعنى عده نفسه كبيراً واعتقاده كذلك وإنما عبر عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأن ما له محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس الطلب في قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً فإنهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامته بل كانوا يعدونها ويعتقدونها معوجة ويحكمون بذلك ولكن عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الإشعار بأن ليس هناك سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم إليه جميعاً أي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر أحد الفريقين في المفصل تعويلاً على إنباء التفصيل عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر أحدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك ذكر أحد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فأما الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب لهما اعتماداً على ظهور اقتضاء إثابة أحدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وثمة معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم إليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه أن الأنسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر الكل في الإجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الإجمال قدم على بيان حال ما يقابله إبانة لفضله ومسارعة إلى بيان كون حشره أيضاً معتبراً في الإجمال وإيراده بعنوان الإيمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف لما قبله وما بعده للتنبيه على أنه المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم أجورهم من غير أن ينقص منها شيئاً أصلاً ويزيدهم من فضله بتضعيفها أضعافاً مضاعفة وبإعطاء ما لا عين رأت

ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **وأما الذين استنكفوا** أي عن عبادته تعالى **واستكبروا فيعذبهم** بسبب استنكافهم واستكبارهم **عذابا أليما** لا يحيط به الوصف **ولا يجدون لهم من دون الله وليا** يلي أمورهم ويدبر مصالحهم **ولا نصيرا** ينصرهم من بأسه تعالى وينجيهم من عذابه **يا أيها الناس** تلوين للخطاب وتوجيه له إلى كافة المكلفين إثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال وإلزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وإزاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على أن الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر **قد جاءكم** أي وصل إليكم وتقرر في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم إلى الإنكار **برهان** البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الأحكام التي من جملتها ما أشير إليه مما أثبتته الآيات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس أنه النبي عليه السلام عبر عنه بما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هي المعجزات التي أظهرها وقيل هو دين الحق الذي أتى به وقوله تعالى **من ربكم** إما متعلق بجاءكم أو بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي كائن منه تعالى على أن من لابتداء الغاية مجازا وقيل جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف أي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار اللطف بهم والإيذان بأن مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم **وأنزلنا إليكم نورا مبينا** أريد به أيضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما أشير إليه آنفا وأخرى بالنور النير بنفسه المنور لغيره إيذانا بأنه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته وكونه من عند الله تعالى بإعجازه غير محتاج إلى غيره مبين لغيره من الأمور المذكورة وإشعارا بهدايته للخلق وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند إليه المنبئ عن كمال قوته في البرهانية كأنه يجيء بنفسه فيثبت أحكامه من غير أن يجيء به أحد ويجيء على شبه الكفرة بالإبطال وأخرى بالإنزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به وإسناد إنزاله إليه تعالى بطريق الالتفات لكمال التشريف هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم وأما على تقدير كونه عبارة عن الرسول عليه السلام أو عن المعجزات الظاهرة على يده أو عن الدين الحق فالأمر هين وقوله تعالى إليكم متعلق بأنزلنا فإن إنزاله بالذات وإن كان إلى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه نزل إليهم أيضا بواسطته عليه السلام وإنما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى إنا أنزلنا إليك الكتاب لتحكم بين الناس ونظائره لإظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله إليهم مبالغة في الإعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع أن حقه التأخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر وللمحافظة على فواصل الآي الكريمة **فأما الذين آمنوا بالله** حسبما يوجبه البرهان الذي أتاهم **واعتصموا به** أي عصموا به أنفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره **فسيدخلهم في رحمة منه وفضل** قال ابن عباس هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن إفاضة الفضل بالإدخال على طريقة قوله علفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة **ويهديهم إليه** أي إلى الله تعالى وقيل إلى الموعود وقيل إلى عبادته **صراطا مستقيما** هو الإسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة وتقديم الوعد بإدخال الجنة على الوعد بالهداية إليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة إلى التبشير بما هو المقصد الأصلي وقيل انتصاب صراطا على أنه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم أي يعرفهم صراطا مستقيما **يستفتونك** أي في الكلالة استغني عن ذكره بوروده في قوله تعالى **قل الله يفتيكم في الكلالة** وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يروى أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة حجة الوداع فقال إن لي أختا فكم آخذ من ميراثها

إن ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني كلالة فكيف أصنع في مالي وروي عنه أنه قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض لا أعقل فتوضأ وصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث وإنما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى **إن امرؤ هلك** استئناف مبين للفتيا وارتفاع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى **ليس له ولد** صفة له وقيل حال من الضمير في هلك ورد بأنه مفسر للمحذوف وغير معمول في الكلام أي إن هلك امرؤ غير ذي ولد ذكرا كان أو أنثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع أن عدم الوالد أيضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور الأمر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى **وله أخت** عطف على قوله تعالى ليس له ولد أو حال والمراد بالأخت من ليست لأم فقط فإن فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة **فلها نصف ما ترك** أي بالفرض والباقي للعصبة أو لها بالرد إن لم يكن له عصبة **وهو** أي المرء المفروض **يرثها** أي أخته المفروضة إن فرض هلاكها مع بقائه **إن لم يكن لها ولد** ذكرا كان أو أنثى فالمراد بإرثه لها إحراز جميع مالها إذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا إرثه لها في الجملة فإنه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط الإخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وإنما دلت على سقوطهم مع الأب السنة الشريفة **فإن كانتا اثنتين** عطف على الشرطية الأولى أي اثنتين فصاعدا **فلهما الثلثان مما ترك** الضمير لمن يرث بالأخوة وإنما ثنيت والتثنية باعتبار المعنى وفائدة الإخبار عنها باثنتين مع دلالة ألف التثنية على الاثنينية التنبيه على أن المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما **وإن كانوا** أي من يرث بطريق الأخوة **إخوة** أي مختلطة **رجالا ونساء** بدل من إخوة والأصل وإن كانوا إخوة وأخوات فغلب المذكر على المؤنث **فللذكر** أي فللذكر منهم **مثل حظ الأنثيين** يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الأحكام روي أن الصديق رضي الله عنه قال في خطبته ألا إن الآية التي أنزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فأولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج والزوجة والإخوة من الأم والآية التي ختم بها السورة في الإخوة والأخوات لأبوين أو لأب والآية التي ختم بها سورة الأنفال أنزلها في أولي الأرحام **يبين الله لكم** أي حكم الكلالة أو أحكامه وشرائعه التي من جملتها حكمها **أن تضلوا** أي كراهة أن تضلوا في ذلك وهذا رأي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين إلى تقدير اللام ولا في طرفي أن أي لئلا تضلوا وقال الزجاج هذا مثل قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا أي لئلا تزولا وقال أبو عبيد رويت للكسائي حديث ابن عمر رضي الله عنهما لا يدعون أحدكم على ولده أن يوافق من الله إجابة أي لئلا يوافق فاستحسنه وليس فيما ذكر من الآية والحديث نص فيما ذهب إليه الكسائي وأضرابه فإن التقدير فيهما عند البصريين كراهة أن تزولا وكراهة أن يوافق الخ وقد قيل ليس هناك حذف ولا تقدير وإنما هو مفعول يبين أي يبين لكم ضلالكم الذي هو من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وأنت خبير بأن ذلك إنما يليق بما إذا كان بيانه تعالى على طريقة تبيين مواقع الخطأ والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك **والله بكل شيء** من الأشياء التي من جملتها أحوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم **عليم** مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الإيفاء والعقد العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما ألزم به الله تعالى عباده وعقد عليهم من التكاليف والأحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به أو يحسن دينا بأن يحمل الأمر على معنى يعم الوجوب والندب أمر بذلك أولا على وجه الإجمال ثم شرع في تفصيل الأحكام التي أمر بالإيفاء بها وبدئ بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل **أحلت لكم بهيمة الأنعام** البهيمة كل ذات أربع وإضافتها إلى الأنعام للبيان كثوب الخز وإفرادها لإرادة الجنس أي أحل لكم

الكل البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما
وقيل هي المرادة بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار
وعدم الانياب وفايدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين المضافين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة
بالانعام الخ بين احلالها فيما سبق المماثلتها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القايم مقام الفاعل
لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر بقيت النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام
اي الا محرم ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد اي الاصطياد في البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية
من ضمير لكم ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شايع في الكتاب والسنة وقوله تعالى
وانتم حرم اي محرمون حال من الضمير في محلي وفايدة تقييد احلاله بهيمة الانعام بما ذكر من عدم احلال الصيد
حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظايرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد
حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على تقدير الاول فلما فيه من اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها
بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حيث كانه قيل احلت
لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض الاوقات محتاجين الى احلالها
وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محل لكم او محرما عليكم الصيد
حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب
حاجتهم الى احلالها بحبسهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللايق
بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من
التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات
وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظايرها التي سيأتي بيانها يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين
حرمة احلال الاحرام الذي هو من شعاير الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال ساير الشعاير واضافتها الى
الله تعالى لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك
من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي
والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدث في اشهر الحج ما يصد به الناس
عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعاير الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرايضه التي
حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل
بالنسيء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة الجنس
ولا الهدي بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاء جمع
هدية كجدي وجدية ولا القلايد جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدي
فلا يتعرض له والمراد النهي عن التعرض لذوات القلايد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مع دخولها
فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكائيل على الملايكة عليهم السلام كانه قيل و
القلايد منه خصوصا او النهي عن التعرض لنفس القلايد مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها على معنى لا
تحلوا قلايدها فضلا ان تحلوها كما نهي عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن
ابداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام اي لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدوهم عن ذلك باي وجه
كان وقيل هناك مضاف محذوف اي قتال قوم او اذى قوم آمين الخ وقرئ ولا آمي البيت الحرام بالاضافة
وقوله تعالى يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن في آمين لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل
اذا وصف بطل عمله اي قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا
ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه
بها اي فضلا كاينا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم
والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب فالجملة حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على ان

المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهي عنه لا تقييد النهي بها واضافة الرب الى ضمير الآمين للايماء الى اقتضاء
التربيب عليهم وحرمان المخاطبين عند تسلل المنهي وفي ذلك من تعليل النهي وتاكيده والمبالغة في الاستنكار والنهي ما
لا يخفى ومن ههنا قيل ان المراد بالآمين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب الى ان الآية محكمة وقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سورة المايدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها
منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى
نهي المؤمنين عن احلالهم دون المؤمنين على ان حرمة احلالهم تثبت بطريق دلالة النص ويؤيده ان الآية
نزلت في الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان اتى المدينة فخلف خيله خارجها ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وحده
ووعد ان ياتي باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج
من اليمامة حاجا في حجاج بكر بن وايل ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فسال المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم
ان يخلي بينهم وبينه فاباه النبي عم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعاير الله الآية فالمراد بابتغاء الفضل
طلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله تعالى
فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد في كونه
مدارا لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لاسيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى
وتعظيم شعايره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون
لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى الله تعالى المسلمين ان يمنعوا احدا
عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله
تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآمين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا كما ستعرفه من قوله
تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ يستدعي النسخ كلا او بعضا ولا بد في الوجه الاخير من تفسير الفضل والرضوان
بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اي الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين
خاصة ويجوز ان يكون الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروي ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم
فاصطادوا تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها والامر للاباحة
بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة في حل وقرئ بكسر الفاء على
حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهي عن احلال قوم من الآمين خصوا به مع اندراجهم في
النهي عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم داعية اليه وجرم جار مجرى
كسب في المعنى وفي التعدي الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا كسبته اياه
خلا ان جرم يستعمل غالبا في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في ايثاره ههنا على الثاني وقد ينقل الاول من كل
منهما بالهمزة الى معنى الثاني فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه وعليه قراءة من قرا ولا يجرمنكم بضم الياء شنآن
قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وهما مصدران اضيفا الى المفعول [illegible]
غاية البغض ان صدوكم متعلق بالشنآن بحذف لام العلة اي لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام
والطواف به للعمرة وهذه آية بينة في عموم آمين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على ان الشرط
معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم [illegible]
حقه ان لا يكون وقوعه الا على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا اي عليهم وانتقموا منهم بقتل او اخذ مال
[illegible] الى ان المقصد الاصلي من النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعاير ومنع
وقوعه على القوم مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم اي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن
المسجد الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وان كان نهيا للشنآن عن كسب
الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء
الورود عليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية [illegible]
قوله لا ارينك ههنا [illegible]

تاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة
الاصطياد به بل هي باقية ما لم ينقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لسائر
الآمين بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر والتعاون
امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل
فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون في كل ما هو
من مقولة الظلم والمعاصي بقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون
على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهاني واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التائين تخفيفا
وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود
من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تع
واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيه
بالطريق البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة
ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت
عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من
غير ذبح والدم اي المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء
ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت
لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة اي التي قتلت بالضرب
بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته والمتردية اي التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة اي التي
نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات
بالنطح والتاء للنقل وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا
اكلت مما صادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح
وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكوة في الشرع بقطع الحلقوم والمري بمحدد وما ذبح على النصب
قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد واياما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت
منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام
جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح
مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان
خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام الجزور بالاقداح على
الانصباء المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر
فسق تمرد وخروج عن الحد ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه
ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة
لان معنى تحريمها تحريم تناولها اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية
والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم
واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كان فهو منصوب على
انه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها
او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله تعالى وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله
فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشون اي واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر
والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين
الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله
الم نشرح لك صدرك وعليكم في قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر
لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر اي اتممتها بفتح مكة ودخولها

ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهي عن الشرك والطواف عريانا او باكمال الدين
والشرائع وبالهداية والتوفيق وقيل معنى اتممت عليكم انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي عليكم ورضيت
لكم الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان رجلا من اليهود قال يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك
اليوم عيدا قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الآية قال عمر رض قد عرفنا ذلك اليوم
والمكان الذي انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم
عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رض فقال له النبي عم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في
زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عم صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله
فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان
يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن
اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم
غير مائل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينتزعها من مضطر آخر كقوله
تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل لهم شروع في
تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سألوا عنها عند بيان اضدادها
ولتضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتدأ واحل لهم خبره وضمير الغيبة لما ان يسألون بلفظ الغيبة
فانه كما يعتبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد ليفعلن يعتبر حال الحاكي فيقال اقسم زيد لافعلن والمسؤول
ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه كما في قوله
تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف
على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا
وقد جوز كونها موصولة ايضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال
من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا
مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب كثيرا ما
يقع فيه او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عم في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل علمتم وفائدتها المبالغة في
التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه مكلبين بالتخفيف والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية
منه او حال من ضمير مكلبين او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتاديب فان العلم به
الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال
صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن
عليكم فالمرء فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة
مرفوعة على الابتداء خبرها واما على تقدير كونها موصولة مرفوعة عطفا على الطيبات فهو جملة
متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة منه للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال
حقيقة ومشير الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر بالفاء فيهما كما في قوله امرتك الخير
فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش
وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها وعلى متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه
عليكم وهو الذي لم ياكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما امسكنه على انفسهن لقوله عم لعدي بن حاتم
وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل
في سباع الطير لما ان تاديبها الى هذه الدرجة متعذر وقال آخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي
عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثه وبقي ثلثه وقد ذكرت
اسم الله عليه فكل واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكن اي

متوا عليه اذا ادركتموه ذكوته واتقوا الله في شان محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع ابتائه حسابه
او سريع اتيانه اذا اشرع فيه يتم في اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يواخذكم
سريعا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم
الطيبات قيل المراد بالايام الثلاثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه
تكريرا والمراد بالطيبات ما مر وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي
الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رحمه الله
والمراد بطعامهم ما يتناول ذبائحهم وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن عباس رض انه سئل عن ذبائح نصارى
العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رح واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل
الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا
ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية
منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم لقوله عم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم
وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات
رفع على انه مبتدا حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر او العفائف وتخصيصهن
بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير
العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة خلافا للشافعي رحمهما الله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رض لا تحل الحربيات اذا
اتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد
باتيانها التزامها واذا ظرفية عاملها على المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا اتيتموهن اجورهن
حللن لكم محصنين غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا
ولا متخذي اخدان اي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين
وزيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلاثة ومن يكفر
بالايمان اي ومن ينكر شرايع الاسلام التي من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها
فقد حبط عمله الصالح الذي عمله قبل ذلك وهو في الاخرة من الخاسرين هو مبتدا من الخاسرين خبره
وفي متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الاخرة وقيل
بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر في الظرف ما لا
يغتفر في غيره كما في قوله • ربيته حتى اذا تمعددا • كان جزائي بالعصا ان اجلدا • يا ايها الذين امنوا
شروع في بيان الشرايع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم
القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها
مجازا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها واذا قصدتم
الصلوة اطلاقا لاسم احد لازميها على لازمها الاخر وظاهر الاية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم
اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال له عمر رض صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عم عمدا
فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان
الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن
النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من انهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق
الوجوب اصلا كيف لا وقد روي عنه عم من توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في
ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عم المائدة من اخر
القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك
خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله

تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها
منه فلا دلالة عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القران من اوله الى قوله
فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم
يتحقق ذلك في الاية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث
افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب
ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل
ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم
وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف
العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي رحمه الله اقل ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رح
بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدر بربع الراس ومالك رحمه الله مسح الكل اخذا بالاحتياط
وارجلكم الى الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الثابتة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة
والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القران كثير كقوله تعالى عذاب
يوم اليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها
ويغسلها غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى افادة الترتيب وقرئ بالرفع
اي وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق
الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان
كنتم مرضى مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء او على سفر اي مستقرين عليه او جاء احد
منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه
من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيدا وقد مر تفسير الاية الكريمة مستوعبا
في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في الطهارة ما يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة
للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم من حرج من ضيق في الامتثال به ولكن يريد ما يريد بذلك ليطهركم
اي لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء
فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج
ابدا الطهارة حتى لا يرخص في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد اللام المزيدة
وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه
لعلكم تشكرون نعمته والاية الكريمة مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان
اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار
المحل محدود وغير محدود وان التيهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل
مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام
لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده الذي اخذه عليكم وقوله
تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي
كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكر قبولهم والتزامهم
بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع
والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق ليلة العقبة او في بيعة الرضوان
واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه عم لكون المرجع اليه تعالى وقيل هو الميثاق الذي اخذه
الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب ادم واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه
كل اتي ... ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات الاعمال
اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية

استقلال الجملة يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم
وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها
شهداء بالقسط بالعدل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا
في حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد
تشفيا او غير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه
بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار بهذه
المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب له اعتناء بشأنه
وتنبيها على ان ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف
السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة
الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مر مرارا وحيث كان مضمونها منبئا عن الوعد والوعيد
عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد استغناء عنه بهذه
الجملة فانه استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكأنه قيل وعدهم
هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى
اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السنية القرآنية
شفع الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من
الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على الاول ظرف لنفس النعمة
وعلى الثاني لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه عليكم واذكروا
نعمته كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بان يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال
بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة
الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم
لكم في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للسرة
فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها
عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم في موقع الاضمار
لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه
من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف
بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة
ذي انمار وهي غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه صلى الله عليه وسلم قاموا الى الظهر معا فلما صلوا
ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون
صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلاة الخوف وقيل هو ما
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين
قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما
سألت فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده
ونزل جبريل فاخبره فخرج عليه السلام وقيل هو ما روي انه عليه السلام نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاة
يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك
مني فقال الله فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول عليه السلام فقال من يمنعك مني فقال لا احد
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله عطف على اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته
ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة

خاصة دون غيره استقلالا او اشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة
تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين
بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى
وازع عن الاخلال بها واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض
الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات سيق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي
واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة
حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما
قبله والالتفات في قوله تعالى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة
موسى عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التنقيب ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي
بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان
بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها
الجبابرة الكنعانيون وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر
موسى عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار
النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان بعث النقباء
يتجسسون فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى
عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرائيم بن
يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم يتجسسون لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة الاف
ذراع وثلاثمائة وثلاثين ذراعا وقد عاش ثلاثة الاف سنة وكان على رأسه حزمة حطب
فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امرأته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون
قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل
فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال
بعضهم لبعض ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام
فيكونان هما يريان رأيهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر
رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى
فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها على رأسه ليطبقها عليهم
فبعث الله تعالى الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لرأسه فانثقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته
فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا
الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا رأسه وفيه من الترغيب والترهيب
ما ينبغي عند الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتأكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد وقال الله اني معكم
اي بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى
كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كأنه قيل
اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق الايمان
والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين يتفقدون احوالهم ويلون بالامر والنهي واقامة العدل وهو
الانسب بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف
وتأخير الايمان عن اقامة الصلاة وايتاء الزكاة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين
بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم

أي نصرتموهم وقويتموهم وأصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والتأييد وقرئ عزرتموهم بالتخفيف وأقرضتم
الله بالإنفاق في سبيل الخير أو بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا إما مصدر مؤكد
ورد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا أو مفعول ثان
لأقرضتم على أنه اسم للمال المقرض وقوله تعالى لأكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد
جواب الشرط ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متأخر
عنه في الحصول ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر أي برسلي أو بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لـ
ترتيب حكم من كفر على بيان من آمن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد
العظيم الموجب للإيمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير الأسلوب حيث لم
يقل وإن كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لإخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال وإسقاط من كفر عن رتبة
الخطاب وليس المراد إحداث الكفر بعد الإيمان بل ما يعم الاستمرار عليه أيضا كأنه قيل فمن اتصف بالكفر بعد
ذلك خلا أنه قصد بإيراده ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فإن الاتصاف بشيء بعد
ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنيع حادث
فقد ضل سواء السبيل أي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا وأخطأ خطأ فاحشا لا عذر معه أصلا بخلاف
من كفر قبل ذلك إذ ربما يمكن أن يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة
لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس أي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء آخر استقلالا أو انضماما لعناهم
طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا أو مسخناهم قردة وخنازير أو أذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص
البيان بما ذكر مع أن حقه أن يبين بيان تحقق نفس اللعن والنقض بأن يقال مثلا لقد نقضوا ميثاقهم فلعناهم
ضرورة تقدم هليتيهما البسيطة على هليته المركبة للإيذان بأن تحققهما أمر جلي غني عن البيان وإنما
المحتاج إلى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتأثر من الآيات
والنذر وقيل أمليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقيل خذلناهم ومنعناهم الألطاف حتى صارت كذلك
وقرئ قسية وهي إما مبالغة قاسية وإما بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي أي رديء إذا كان مغشوشا
فيه يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف إتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان
مرتبة قساوة قلوبهم فإنه لا مرتبة أعظم مما يصحح الاجتراء على تغيير كلام الله عز وجل والافتراء عليه وصيغة
المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا أي تركوا نصيبا
وافرا مما ذكروا به من التوراة أو من اتباع محمد صلى الله عم وقيل حرفوا التوراة وزلت أشياء منها عن
حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع
على خائنة منهم أي خيانة على أنها مصدر كالعافية والكاذبة أو فعلة خائنة أي ذات خيانة أو طائفة خائنة
أو شخص خائن على أن التاء للمبالغة أو نفس خائنة ومنهم متعلقة بمحذوف وقع صفة لها خلا أن من
على الوجهين الأولين ابتدائية أي على خيانة أو فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية
تبعيضية والمعنى أن الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولأسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها أو يكتمونها
فلا تزال ترى ذلك منهم إلا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على
الوجوه الثلاثة الأخيرة والمراد بهم الذين آمنوا منهم كعبد الله بن سلام وأضرابه وقيل من خائنة على الوجه
الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر أي إلا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم
واصفح أي إذا تابوا وآمنوا أو عاهدوا أو التزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف إن الله يحب
المحسنين تعليل للأمر وحث على الامتثال به وتنبيه على أن العفو على الإطلاق من باب الإحسان ومن الذين
قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجناياتهم إثر بيان قبائح اليهود وجناياتهم
ومن متعلقة بأخذنا إذ التقدير وأخذنا من الذين قالوا إنا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور
للاهتمام به ولأن ذكر حال إحدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع أن حال الأخرى ماذا فكأنه
قيل ومن الطائفة الأخرى أيضا أخذنا ميثاقهم وقيل من متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدأ محذوف قام

قام صفته أو صلته مقامه أي ومنهم قوم أخذنا ميثاقهم راجع إلى الموصوف المقدر وأما في الوجه الأول فراجع
إلى الموصول وقيل راجع إلى بني إسرائيل أي أخذنا من هؤلاء ميثاق أولئك أي مثل ميثاقهم من الإيمان بالله
والرسل وبما يتفرع على ذلك من أفعال الخير وإنما نسب تسميتهم نصارى إلى أنفسهم دون أن يقال ومن
النصارى إيذانا بأنهم في قولهم نحن أنصار الله بمعزل من الصدق وإنما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة
الله تعالى في شيء أو إظهارا لكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين أقوالهم وأفعالهم فإن ادعاءهم لنصرته
تعالى يستدعي ثباتهم على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب أخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا
مما ذكروا به في تضاعيف الميثاق من الإيمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر آنفا وقيل هو ما كتب
عليهم في الإنجيل من أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا أهواءهم فاختلفوا
وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية أنصارا للشيطان فأغرينا أي ألزمنا وألصقنا من غري بالشيء
إذا لزمه ولصق به وأغراه غيره ومنه الغراء وقوله بينهم إما ظرف لأغرينا أو متعلق بمحذوف وقع حالا
من مفعوله أي أغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل إلى جعله ظرفا لهما لأن المصدر لا يعمل
فيما قبله وقوله تعالى إلى يوم القيامة إما غاية للإغراء أو للعداوة والبغضاء أي يتعادون ويتباغضون
إلى يوم القيامة حسبما يقتضيه أهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية إلى التفرق إلى الفرق الثلاث
وضمير بينهم لهم عامة وقيل لهم ولليهود أي أغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف
ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك
بما فعلت أي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف
لتأكيد الوعيد والالتفات إلى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة لتشديد الوعيد والتعبير عن
العمل بالصنع للإيذان بأن تمرنهم في ذلك وعن الجنايات بالتنبئة للتنبيه على أنهم لا يعلمون حقيقة ما
يعملونه من الأعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها في إفادة العلم بحقيقة
حالها بمنزلة الإخبار بها يا أهل الكتاب التفات إلى خطاب الفريقين على أن الكتاب جنس شامل
للتوراة والإنجيل إثر بيان أحوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم إلى الإيمان
برسول الله صلى الله عم والقرآن وإيرادهم بعنوان أهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق
بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فإن أهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من
الأحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الإضافة للتشريف
والإيذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا وإيثار الجملة الفعلية على غيرها
للدلالة على تجدد البيان أي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب أي التوراة والإنجيل كبعث محمد صلى الله عم وآية الرجم في التوراة
وبشارة عيسى بأحمد عليهما السلام في الإنجيل وتأخير كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر لأن ما حقه التقديم إذا أخر لا سيما عند الإشعار بكونه
من منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيتمكن عندها إذا ورد فضل تمكن ولأن في المؤخر
ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاذب أطراف النظم الكريم فإن مما يتعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما
موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعائد إليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد
المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والإخفاء أي يبين لكم
كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي أنتم أهله والمتمسكون به ويعفو عن كثير
أي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه إذا لم تدع إليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح
عنه التعبير عن عدم الإظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الإخفاء ترغيبا وترهيبا والجملة معطوفة
على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفو عن كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله
نور جملة مستأنفة مسوقة لبيان أن فائدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما مر من بيان ما كانوا يخفونه بل له
منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا أو بمحذوف وقع حالا من نور وأيا ما كان فهو

تصريح بما أشير إليه إضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة إلى
بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق إلى الجائي ولأن فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف
النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد
بروبعق له تعالى وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وإبانة ما خفي على الناس من
الحق والإعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالأول هو الرسول عليه السلام
وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات أو لكونهما في حكم الواحد
يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام وإظهار الجلالة لإظهار كمال الاعتناء بأمر الهداية ومحل الجملة الرفع
على أنه صفة ثانية لكتاب أو النصب على الحالية منه لتخصيصه بالصفة من اتبع رضوانه أي رضاه بالإيمان
به ومن موصولة أو موصوفة سبل السلام أي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب أو سبل الله تعالى
وهو مفعول ثان ليهدي والحق أن انتصابه بنزع الخافض على طريقة
قوله تعالى واختار موسى قومه وإنما يعدى إلى الثاني بإلى أو باللام كما في قوله تعالى إن هذا القرآن يهدي
للتي هي أقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما أن الإفراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات
أي ظلمات فنون الكفر والضلال إلى النور إلى الإيمان بإذنه بتيسيره أو بإرادته ويهديهم إلى صراط
مستقيم هو أقرب الطرق إلى الله تعالى ومؤد إليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية إلى سبل السلام وإنما
عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء أمرنا نجينا شعيبا
والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم
أي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بأنه تعالى قد يحل في بدن إنسان أو في وجه
وقيل لم يصرح به أحد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله تعالى الخاصة وقد اعترفوا بأن الله تعالى
موجود فلزمهم القول بأنه المسيح لا غير وقيل لما زعموا أن فيه لاهوتا وقالوا لا إله إلا واحد لزمهم أن يكون
هو المسيح فنسب إليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل أي تبكيتا لهم وإظهارا لبطلان
قولهم الفاسد وإلقاما لهم الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للإنكار
والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف المضاف أي إن كان الأمر كما
تزعمون فمن يمنع من قدرة الله تعالى وإرادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع أن يملك شيئا منها إن أراد أن
يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ومن حق من يكون إلها أن لا يتعلق به ولا بشأن من
شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن أن يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها
بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالإهلاك الإماتة
والإعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب وإظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا إليه الألوهية في مقام
الإضمار لزيادة التقرير والتنصيص على أنه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية
المذكورة بالاستفهام الإنكاري عن كل أحد مع تحقق الإلزام والتبكيت بنفيها عن المسيح بأن يقال ومن
يملك شيئا من الله إن أراد إلخ لتحقيق الحق بنفي الألوهية عن كل ما عداه سبحانه وإثبات المطلوب في
ضمنه بالطريق البرهاني فإن انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الألوهية عند ظهوره بالنسبة إلى الكل ظهر بالنسبة
إلى المسيح على أكمل وجه ولكن ينظر استحالة ألوهيته قطعا وتعميم إرادة الإهلاك للكل مع حصول ما
ذكر من التحقيق بقصرها عليه بأن يقال فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح لتهويل الخطب
وإظهار كمال العجز ببيان أن الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر أحد على دفع ما أريد به فضلا عن
دفع ما أريد بغيره وللإيذان بأن المسيح أسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما أنه أسوة لها فيما
ذكر من العجز وعدم استحقاق الألوهية وتخصيص أمه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الأرض لزيادة
تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض إرادة إهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت
وزيادة تأكيد مضمون الكلام بجعل حالها أنموذجا لحال بقية من فرض إهلاكه كأنه قيل قل فمن يملك من الله
شيئا إن أراد أن يهلك المسيح وأمه ومن في الأرض وقد أهلك أمه فهل مانعه أحد فكذا الحال من عداها من

من الموجودين وتقوله تعالى ولله ملك السموات والأرض وما بينهما أي ما بين نوعي العالم الجسماني لا بين جرمي
الأرض ومنتهى تلك الفرقة فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في أعماق الأرض والبحار من المخلوقات
تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته إثر الإشارة إلى كون البعض أي من في الأرض كذلك أي له تعالى
وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها إيجادا وإعداما وإحياء وإماتة لا لأحد سواه استقلالا
ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الألوهية به تعالى إثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما
يشاء جملة مسوقة لبيان بعض أحكام الملك والألوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في أمر المسيح لولادته
من غير أب وخلق الطير وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص أي يخلق ما يشاء من أنواع الخلق والإيجاد على أن ما نكرة
موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كأنه قيل يخلق أي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير أصل
كخلق السموات والأرض وأخرى من أصل كخلق ما بينهما فينشئ من أصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات
ومن أصل يجانسه إما من ذكر وحده كخلق حواء أو أنثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام أو منهما كخلق سائر المخلوقات ويخلق
بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له
وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك فيجب أن ينسب كله له تعالى لا إلى من أجرى ذلك على يده والله على كل شيء
قدير اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وإظهار الاسم الجليل للتعظيم وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود
والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه حكاية لما صدر عن مسيلة الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان بطلانها بعد
ذكر ما صدر عن أحدهما وبيان بطلانه أي قالت اليهود نحن أشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن أشياع ابنه
المسيح كما قيل لأشياع أبي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول أقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك
وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود إلى دين الإسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف
تخوفنا به ونحن أبناء الله وأحباؤه وقيل إن النصارى يتلون في الإنجيل أن المسيح قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأبيكم
وقيل أرادوا أن الله تعالى كالأب لنا في الحنو والعطف ونحن كالأبناء له في القرب والمنزلة وبالجملة إنهم كانوا يدعون
أن لهم فضلا عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل إلزاما لهم وتبكيتا فلم
يعذبكم بذنوبكم أي إن صح ما زعمتم فلأي شيء يعذبكم في الدنيا بالأسر والمسخ وقد اعترفتم بأنه تعالى سيعذبكم
في الآخرة بالنار أياما معدودة أيام عبادتكم العجل ولو كان الأمر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما
وقع وقوله تعالى بل أنتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي لستم كذلك بل أنتم بشر ممن خلق أي من جنس من
خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء أن يغفر له من أولئك المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله تفضلا
ويعذب من يشاء أن يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والأرض وما بينهما من الموجودات
لا ينتمي إليه سبحانه شيء منها إلا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء إيجادا وإعداما
إحياء وإماتة وإثابة وتعذيبا فأنى لهم ادعاء ما زعموا وإليه المصير في الآخرة خاصة لا إلى غيره استقلالا أو اشتراكا
فيجازي كلا من المحسن والمسيء بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا أهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق
الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وإيثاره على مبينا لما مر فيما سبق أي يبين لكم
الشرائع والأحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان أقاويلكم
الشنيعة وما سيأتي من أخبار الأمم السالفة وإنما حذف تعويلا على ظهور أن مجيء الرسل إنما هو لبيانها أو يفعل لكم البيان
ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه إلى البيان من أمور الدين وأما تقرير مثل ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون
من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة يرده قوله عز وعلا على فترة من الرسل فإن فتور الإرسال وانقطاع الوحي
إنما يحوج إلى بيان الشرائع والأحكام لا إلى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله تعالى واتبعوا ما
تتلو الشياطين على ملك سليمان أي جاءكم على حين فتور من الإرسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج إلى بيان
الشرائع والأحكام الدينية أو بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين أو من ضمير لكم أي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة
من الرسل أو حال كونكم عليها أحوج ما كنتم إلى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة أي كائنة من الرسل مبتدأة
من جهتهم وقوله تعالى أن تقولوا تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف أي كراهة أن تقولوا معتذرين عن تفريطكم
في مراعاة أحكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد انطمست آثار الشرائع السابقة وقد انقطعت أخبارها

١

وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقتضي ان المقدر والمنفي
فيما سبق هو الشرايع والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى فقد جاءكم بشير
ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي لا تعتذروا
بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعله
بين موسى وعيسى عم حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والفا نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام
حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة او خمسمائة وستة واربعون سنة واربعة انبياء على ما
روى الكلبي ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله عليهما السلام
وهو الانسب بما هو الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال
حاجتهم اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب من الرحمة
وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال موسى لقومه جملة مستانفة مسوقة لبيان
ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقها بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من
الامور لا وصفا للنبي صلى الله عليه وسلم بيانا بها بقوله تعالى يبين لكم كثيرا الاية ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل
فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي صلى الله عم بطريق تلوين الخطاب وصرف الكلام
لتعديد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر لهم وقت قول موسى عم لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم
اليه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة
بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت
مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس
النعمة اذا جعلت مصدرا وبمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم
وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة
عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم ذوي عدد كثير واولي شان خطير حيث لم يبعث من امة من الامم ما بعث
من بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد
تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر وجعل الكل في مقام الامتنان عليهم
ملوكا لما ان اقارب الملوك يعدون عند المفاخرة من الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة
من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل
كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله تعالى فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع وفيه ماء جار
وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما اتاهم الله تعالى من الامور العظام
والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة
التشريفية اهتماما بشان الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها
كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي
الشام التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ان امنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها
محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد [illegible]
والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا
وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى
وقوله فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما
دخول ما كتب لهم قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بعد هذا الامر عم والنهي
فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا تتاتى منازعتهم ولا يتسنى مقاومتهم والجبار
العاتي الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فانه يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان يخرجوا بسبب من

من الاسباب التي لا مدخل لنا فيها فانا داخلون حينئذ اتى بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم
الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتى في
الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا
لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر قال رجلان استيناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم
البعض فقيل قال رجلان من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره
ونهيه وبه قرأ ابن مسعود رض وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من
الذين يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل
هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عم فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم
يعود العائد المحذوف اي من الذين يخافون بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول
اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم
الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شؤونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان
وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون اي من رجلان لتخصصه بالصفة اي
كائنا بين المخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام
به لان المقصود انما هو دخول الباب وهو في بلدهم او باغتتهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من
البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من
غير حاجة الى القتال فانا قد رايناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم
واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عم
ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علماها من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى بموسى عم من قهر
اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها
فانها بمعزل من التاثير وانما التاثير من عند الله العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به تعالى مصدقين
لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استيناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين
لموسى عم اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عم يا موسى انا لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا
عن دخول بابهم وهم في بلدهم ابدا اي دهرا طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض
او عطف بيان فاذهب انت وربك فقاتلا اي فقاتلاهم الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب
انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله عم وعدم مبالاة وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ
عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كانهم قالوا
فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا
ولم يذكروا هرون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم ولم يعبؤوا بقتالهم وقوله تعالى انا ههنا قاعدون
يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التاخر قال عم لما راى منهم ما راى من العناد
على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة
رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني على معنى اني لا املك الا نفسي وان
اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل فافرق بيننا بين نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق
او الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم
لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها اي الارض
المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا
يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا
ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا
يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن
بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عم سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا

وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبض عليه السلام وقيل لم يدخلها أحد ممن قال
لن ندخلها أبدا وإنما دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالأربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم
وإنما جعل محرما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله تعالى **يتيهون في الأرض** أي يتحيرون
في البرية استئناف لبيان كيفية حرمانهم أو حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التأبيد موقتا
والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة ألف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ أو تسعة
فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي أنهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى إذا
أمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن
والسلوى ولا تطول شعورهم وإذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الإنعامات
مع أنهم معاقبون لما أن عقابهم كان بطريق العرك والتأديب قيل كان موسى عليه السلام وهرون عليه السلام معهم ولكن
كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي أن هرون مات في التيه
ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فإنه
تعالى بعدما قبل دعوته على بني إسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد أن ينجي بعض المدعو عليهم أو ذرياتهم ويقدر
وفاتهما في محل العقوبة ظاهرا وإن كان ذلك لهما نزل روح وراحة وقد قيل إنهما لم يكونا معهم فقد فرق
الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق **فلا تأس على القوم الفاسقين** روي أنه عليه السلام ندم على
دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فإنهم أحقاء بذلك لفسقهم **واتل عليهم** عطف على مقدر يتعلق به قوله تعالى
وإذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث إنه تمهيد لما سيأتي من جنايات بني إسرائيل بعدما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم
الرسل بما جاءت به من البينات **نبأ ابني آدم** هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك أنهما رجلان من بني إسرائيل
بقرينة آخر القصة وليس كذلك أوحى الله عز وجل إلى آدم عليه السلام أن يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة
قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد عليها أخاه وسخط فزعم أن ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام
فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فأكلته ولم تتعرض لقربان
قابيل فازداد قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل **بالحق** متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف أي تلاوة
ملتبسة بالحق والصحة أو حال من فاعل اتل أو من مفعوله أي ملتبسا أنت أو نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب
الأولين **إذ قربا قربانا** منصوب بالنبإ ظرف له أي اتل عليهم نبأهما الواقع في ذلك الوقت وقد جعل بدلا منه ورد عليه بأن إذ لا
يضاف إليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به إلى الله تعالى من نسيكة أو صدقة كالحلوان
اسم لما يحلى أي يعطى وتوحيده لما أنه في الأصل مصدر وقيل تقديره إذ قرب كل منهما قربانا **فتقبل من
أحدهما** وهو هابيل كان صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فأكلته **ولم يتقبل من الآخر** وهو قابيل
كان صاحب زرع وقرب أرذل ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار أصلا **قال** استئناف مبني على سؤال نشأ
من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لأخيه لتضاعف سخطه وحسده لما ظهر فضله عليه
عند الله تعالى **لأقتلنك** أي والله لأقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة **قال** استئنافا كما قبله أي قال الذي
تقبل قربانه لما رأى أن حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه **إنما يتقبل الله** أي القربان **من المتقين**
لا من غيرهم وإنما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه أي إنما أتيت من قبل نفسك لا من قبلي
فلم تقتلني خلا أنه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والإقلاع
عما نواه ولذلك أسند الفعل إلى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو
كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد **لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك**
جيء صدر الشرطية باللام الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح إيذانا من أول الأمر برجوع ضرر
البسط وغائلته إليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط بل اسمية مصدرة
بما الحجازية المفيدة لتأكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في إظهار براءته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما
في قوله وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فإن الجملة الإيجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك
السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي

النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده أي والله لئن باشرت قتلي حسبما أوعدتني به وتحقق
ذلك منك ما أنا بفاعل مثله لك في وقت من الأوقات ثم علله بقوله **إني أخاف الله رب العالمين**
وفيه من إرشاد قابيل إلى خشية الله تعالى على أبلغ وجه وآكده ما لا يخفى كأنه قال إني أخافه تعالى إن بسطت
يدي إليك لأقتلك أن يعاقبني وإن كان ذلك مني لدفع عداوتك عني فما ظنك بحالك وأنت البادئ العادي
وفي وصفه تعالى بربوبية العالمين تأكيد للخوف قيل كان هابيل أقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم
خوفا من الله تعالى لأن القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الأفضل حسبما قال عليه السلام كن عبد الله
المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى اللهم إلا أن يدعى أن ترك الأولى عنده بمنزلة المعصية
في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى **إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك** تعليل آخر لامتناعه
عن المعارضة على أنه غرض متأخر عنه كما أن الأول باعث متقدم عليه وإنما لم يعطف عليه تنبيها على
كفاية كل منهما في العلية والمعنى إني أريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك أن ترجع بإثمي أي بمثل إثمي
لو بسطت يدي إليك وبإثمك ببسط يدك إلي كما في قوله عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد
المظلوم أي على البادئ عين إثم سبه ومثل إثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل بإثمي إثم قتلي ومعنى
بإثمك إثمك الذي لأجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية أي ترجع ملتبسا بالإثمين حاملا لهما
ولعل مراده بالذات إنما هو عدم ملابسته للإثم لا ملابسة أخيه له وقيل المراد بالإثم عقوبته ولا ريب
في جواز إرادة عقوبة العاصي ممن علم أنه لا يرعوي عن المعصية أصلا ويأباه قوله عز وجل **فتكون من
أصحاب النار** فإن كونه منهم إنما يترتب على رجوعه بالإثمين لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على
نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى **وذلك جزاء الظالمين** فإنه صريح في أن كونه
من أصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه
من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب أخرى فما أورثه ذلك إلا الإصرار على
الغي والانهماك في الفساد **فطوعت له نفسه قتل أخيه** أي وسعته وسهلته من طاع له المرتع وترتيب
التطويع على ما حكي من مقالات هابيل مع تحقق وقوعها أيضا كما يفصح عنه قوله لأقتلنك لما أن بقاء الفعل
بعد تقرر مبادئه من الدواعي القوية وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في الحقيقة أمر حادث و
صنع جديد كأنه قوي ذلك وعظته لم يتعظ أولا لأن هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على
تردده في قدرته على القتل لما أنه كان أقوى منه وإنما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم
معارضته له والتصريح بأخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على أنه فاعل بمعنى فعل أو على
أن قتل أخيه كأنه دعا نفسه إلى الإقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد
ماله **فقتله** قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل إبليس وأخذ طائرا ووضع رأسه على حجر ثم شدخها
بحجر آخر فتعلم منه فرضخ رأس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان
لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله فقيل عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد
الأعظم وقيل في جبل ثور ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على
ظهره أربعين يوما وقيل سنة حتى أروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتأكله **فأصبح من
الخاسرين** دينا ودنيا **فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه** روي أنه تعالى
بعث غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فألقاه فيها والمستكن في ليريه لله
تعالى أو للغراب واللام على الأول متعلقة ببعث حتما وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث أيضا وكيف
حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة أخيه جسده الميت **قال** استئناف مبني على سؤال
نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل **يا ويلتا** هي كلمة جزع وتحسر
والألف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا أوانك والويل والويلة الهلكة **أعجزت أن أكون**
أي عن أن أكون **مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي** تعجب من عدم اهتدائه إلى ما اهتدى إليه الغراب
وقوله فأواري بالنصب عطف على أكون وقرئ بالرفع أي فأنا أواري **فأصبح من النادمين** أي على قتله

لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فأتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار **من اجل ذلك** شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شان القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينا ودنيا ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى **كتبنا على بني اسرائيل** وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتداء الكتب ومنه نشأ لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبينا **انه من قتل نفسا** واحدة من النفوس **بغير نفس** اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص **او فساد في الارض** اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته ومدار الاستعمال من اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد بين الامرين المبني على التخيير والاباحة واعتبار العكس مناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط النقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم كما في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما بهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا بنقيض المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس الفقهاء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو لا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل ايهما فعلته فهو احدهما واما في قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته فحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما فلا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما **فكأنما قتل الناس جميعا** فمن قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توجيه النظم الكريم جهة ومعنى كأنما كأنه قتلهم لو وقع القتل بعدها وجميعا حال من الناس وتأكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم **ومن احياها** اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض او بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه **فكأنما احيا الناس جميعا** وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان عند ذكره

ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كأنه قيل ان الشان الخطير هذا **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات** جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقيق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا للتصريح بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأكيدا لتحتم المحافظة عليه **ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** اي بعد ما ذكر من الكتب وتأكيد الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد **في الارض** متعلق بقوله تعالى **لمسرفون** وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان ابلغ الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** كلام مستأنف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده تعالى ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر **ويسعون في الارض فسادا** اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون او مفعول له اي للفساد وقد بين الفساد بقوله تعالى ... روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن عويمر الاسلمي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعينه ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقطعوا السبيل وافسدوا في الارض ... كانت الحكومة للامام ان شاء قتل وان شاء صلب وان شاء قطع وان شاء نفى وعند ابي حنيفة رحمه الله هي على ترتيب الجنايات **ان يقتلوا** اي حدهم ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا القتل ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة او لا **او يصلبوا** اي مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ ... بان يصلبوا احياء ... والتفعيل في الفعلين للتكثير **او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف** اي تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي ... **او ينفوا من الارض** ان لم يفعلوا غير الاخافة والمراد بالنفي عندنا الحبس ...

وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل النفي عن بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهي بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك اي ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدأ وقوله لهم خزي جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق يجري على الظرفية والجملة في محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة ولهم في الآخرة غير هذا عذاب عظيم لا يقادر قدره لغاية عظم جناياتهم فقوله لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ موخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الآخرة الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله كما ينبئ عنه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤا عفوا وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاء تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شان القتل والفساد وبين حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المومنين بان يتقوه تعالى في كل ما ياتون وما يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التي من زمرتها السعي في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اي اطلبوا لانفسكم اليه اي الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى لا تعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد ومطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية بفعل الطاعات ولما كان في ترك المعاصي للنفس وفعل الطاعات المكره وهي لها كلفة ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في سبيله اعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكراماته ان الذين كفروا كلام مستانف مسوق لتاكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المومنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة اليه تعالى قبل انقضاء اوانه ببيان توكل الكفار يوم القيامة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الخ لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال ما في الارض اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بالاختلاف انه عند بعضهم رفع على الابتداء لا حاجة به الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وكذا اختصت من بين سائر ما يول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في الارض لهم وقيل يقدر موخرا اي لو كون ما في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله بالنصب عطف عليه وقوله معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدتها التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع استبعاد بكونهما شيئا واحدا وعنه يتعدد لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما او موخرا وبالفعل المقدر بعد لو على راي المبرد ومن نحى نحوه ولا ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك وقيل راجع الى الموصول والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار في قوله ودنيا بها لغريب اي وقيار بها ايضا غريب وقد جوز

جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن راى رايه وانت خبير بانه يودي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيامة متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به من غير ذكر لافتدائهم به بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الفرض قدرتهم على ما ذكر او للمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فرآه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال قد سئلت ايسر من ذلك وهو كلمة الشهادة وقوله ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استئناف مسوق لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سوال نشا مما قبله كانه قيل كيف يكون حالهم او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين في تضاعيفه عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله تعالى وما هم بخارجين منها اما حال من فاعل يريدون او اعتراض واياما كان فايثار الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما مر في قوله تعالى ما انا بباسطه وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج وقوله ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته والسارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان حكم الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف اي فيما يتلى عليكم او فيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد هو قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والمأخوذ ربع دينار او ما يساويه عند الشافعي او عشرة دراهم فاكثر مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني بفاقطعوا وما مصدرية او موصولة اي بسبب كسبهما او بسبب الذي كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا فان الجزاء والنكال من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والجزاء معلل بالنكال

كما اذا قلت ضربته تاديبا له واحسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد اجاز ذلك
في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا مفعولا
له ناصبه ان يكفروا وانما قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي علة
للكفر وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى والله عزيز غالب على
أمره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة
والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب من السراق الى الله تعالى من
بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته
واصلح اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته
فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقط عند الشافعي في احد
قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل
للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة وكذا في قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة
خبر لان وهي مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل واحد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير
العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سيأتي من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه
اي الم تعلم ان الله تعالى له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما
وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته يعذب من يشاء ان يعذبه ويغفر
لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يناهضه ولا ضد يعارضه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما
من الترتيب والجملة اما تقرير لكونه تعالى له ملكوت السموات والارض او خبر آخر لان والله على كل شيء قدير
فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب عليه السلام بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار
بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في
قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون
بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو
ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستقرون على الخير يسارعون في انواعه وافراده
والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة
عن ان يحزنوه عم بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عم عن التاثر من ذلك والمبالاة بهم على ابلغ وجه
واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله
وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا ارينك هاهنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور
بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب
اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا
بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول
اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير
قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين
في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف
راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما
ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون
الخ لادائه الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه
ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف

محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف
كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير
او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو
ذلك مما يضرهم واياما كان فالجملة مستانفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب
على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة
بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليه
من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم
وقوله سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين
الاولين واللام مثل ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده والمعنى مبالغون
في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عم لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا
ليبلغوهم ما سمعوا منه عم او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتاكيد بمعنى
سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم يأتوك صفة
اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون
بنو قريظة وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بغايتهم
للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الراي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عم
ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء
على الافتراء على الله تعالى وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله
تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل الجملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى
يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها
صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان مقول القول ناطق بان قائله ممن
لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب بدمجي حضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون الى
الرسول عم الى الاجوع وحمله قطعا واما قول السماعين لاعقابهم المخاطبين لمشلين لنفسهم فظاهر
البطلان لمخالفة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين هم القائلون بان القوم الآخرون اي
يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان
اوتيتم من جهة الرسول عم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره
فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي بعض الاخبار تحذر على ما هو عادة ارباب الحرف
من المبالغة والحذر مما ليس الحكى روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم
في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم
فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه فقال
عم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه
الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انت ابن صوريا قال نعم قال وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اترضون به حكما قالوا
نعم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق آل
فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم كتابه فيه حلاله
وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان تحرقني
التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عم اذا شهد اربعة رهط
عدول انه ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التوراة

علي موسى هكذا انزله الله ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا كان يعرفها من اعلامه فقال بشر به
المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي
ضلالته وفضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار
بكمال ظهوره واستغنا عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع من الله شيئا في دفعها والجملة مستانفة مقررة
لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين
واليهود وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ وخبره قوله
تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم
عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر
اولا وشرح فنون ضلالاتهم اخرا والجملة استيناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم
وقبح صنيعهم الموجب لها واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم
وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان
نص التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار
وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الاخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم
في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير
والتأكيد والجملتان استيناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل
فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا سماعون للكذب خبر اخر لمبتدأ محذوف كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا
لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر اخر للمبتدأ وارد على طريقة الذم اوبنا على ان المراد
بالكذب ما يفتعله الاحبار عند الاكالين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه
وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا الرشا التي كان
ياخذها المحرفون على تحريفهم وسائر احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كان ياخذه فقراؤهم من اغنيائهم
من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ السحت بضم السين
والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم
انبته السحت فالنار اولى به فان جاؤك لما تبين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلفة الموجبة لعدم الاعتداد
بهم وبافعالهم حسبما امر به عليه السلام خوطب عم ببعض ما يبتني عليه من الاحكام بطريق التفريع والفا
فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم
او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له عم بين الامرين قيل هو في امر خاص
هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بنو قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا
بالقود واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين
وسقا من تمر وان كان القتيل امرأة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض
بيننا فجعل عم الدية سواء وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن
عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقائل انه منسوخ وهو قول ابن عباس في
الحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا ايتان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسختها
قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم
او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال
الامرين اثر تخييره عم بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان
مظنة الضرر لانهم كانوا يتحاكمون اليه عم لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم
وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فيشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فامنه الله تعالى بقوله
فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل

بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه
ويعظم قدرهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه
والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة
الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم وفيها حكم الله
حال من التورية ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فمن ضميرها المستكن في الخبر وقيل جملة مستأنفة لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن
التحكيم وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل
في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد ما حكموك تصريح بما علم
قطعا لتأكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا
بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع
ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من القبائح ايماء الى علة الحكم وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الفساد اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم
لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا او وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا
انزلنا التورية كلام مستأنف سيق لبيان علو شان التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم
تزل عينة بها بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة
عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به اليهود من القبائح وتقرير لكفرهم وظلمهم
وقوله تعالى فيها هدى ونور حال عن التورية فان فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها
للناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق
بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل وقيل
موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستأنفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونها حالا من
التورية فيكون حالا مقدرة اي يحكمون بها لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
لما مر مرارا من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق الى المؤخر ولان به نوع طول ربما يخل
تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون
التخصيص والتوضيح لكن لا لقصد مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون
وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شأن الصفة فان ابراز وصف في معرض
مدح العظماء ينبئ عن عظم قدر الوصف لا محالة كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان
ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشأن المسلمين وتعريض باليهود بانهم بمعزل
من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى للذين هادوا وهو
متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل
لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال
رضاهم بالانقياد لهم كانه امر نافع لهم لكن للتعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا
وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه
فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كائنان للذين هادوا
والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين
اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنهما الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل
كباره والاحبار هم الفقهاء واحدهم حبر بالفتح والكسر والكسر افصح وهو رأي الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين
فانهم يحبرون العلم ويزينونه وهو عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم
بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون

والاحبار خلفاء ونواب لهم فى ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اى بالذى استحفظوه من جهة النبيين
وهو التورية حيث سألوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق ولا ريب فى ان ذلك منهم عهد باستخلاف
لهم فى اجراء احكامها من غير اخلال بشئ منها وفى ابهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها
واجلالها ذاتا واضافة وتأكيد ايجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء
الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة
له كالتى فى قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفى جر متحدى المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اى ويحكم
الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما حفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسألوهم ان يحفظوه
وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان تعليق حكمهم
بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما فى حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء صلة لفعل مقدر
معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اى ويحكم الربانيون والاحبار بحكم
كتاب الله الذى سألهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا عليه شهداء اى رقباء يحمونه من ان يحوم
حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه وتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله
تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز كون الضمير فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار
جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله تعالى اى كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله
تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم
النهى بطريق الدلالة دون العبارة والفاء لترتيب النهى على ما فصل من حال التورية وكونها معتنى
بشأنها فيما بين الانبياء ومن يقتدى بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب
الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها باى وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير
ولما كان مدار جرأتهم على ذلك خشية ذى سلطان او رغبة فى الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا
اى اذا كان شأنها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا فى مراعاة احكامها وحفظها بمن
قبلكم من الانبياء واشياعهم واخشون فى الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا
بآياتى الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير للاخذ
بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذ كما فصل
فى تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا بآياتى التى فيها بان تخرجوها
منها او تتركوا العمل بها وتأخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية
فانها وان جلت قليلة مسترذلة فى نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن
المشترى الذى هو العمدة فى عقود المعاوضة والمقصد الاصلى بالثمن الذى شأنه ان يكون وسيلة
لتحصيله وابرزت الآيات التى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون فى معرض الآلات والوسائط حيث قرنت
بالباء التى تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم فى التعكيس بان جعلوا المقصد الاصلى وسيلة والوسيلة الادنى
مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا
اوليا اى من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بينا
فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون
لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله فى مطلع سورة
البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث
علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة
ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله تعالى ليشتروا به ثمنا قليلا
وكتبنا عطف على انزلنا التورية عليهم اى على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بنى اسرائيل
فيها اى فى التورية ان النفس بالنفس اى تقاد بها اذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين اذا فقئت
بغير حق والانف يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع

بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص اى ذات قصاص اذا كانت بحيث تعرف المساواة وعن ابن عباس
كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ وان الجروح قصاص وقرئ والعين الخ بالرفع عطفا على محل
ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التى هى قولك
النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها فمن
تصدق اى من المستحقين به اى بالقصاص اى فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة فى الترغيب فيه
فهو اى التصدق كفارة له اى للمتصدق يكفر الله بها ذنوبه وقيل للجانى اذا تجاوز عنه صاحب الحق
سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص
منها شئ وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فأجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل
الرجل بالمرأة من اليهود تناولا بينا بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام
المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون
للشئ فى غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع
فى بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اى آثار النبيين المذكورين
يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اى اتبعناهم
بعيسى ابن مريم اى ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى وآتيناه الانجيل
عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما فى التورية وهو فى محل النصب على انه حال
من الانجيل اى كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم
ويندرج فى ذلك شواهد نبوته عليه السلام ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه
داخل فى حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين
عطف على مصدقا منتظم معه فى سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل
فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه المنتفعون بجدواه
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التى من جملتها
دلائل رسالته عليه السلام وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما احكامه المنسوخة
فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل
بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة
التى تشهد بصحتها كما سيأتى فى قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التورية والانجيل
الآية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اى وقلنا ليحكم اهل الانجيل
الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما فى قولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه
الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة
بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة
على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه ومن لم يحكم
بما انزل الله منكرا له مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل
مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل
على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مأمورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت
لا بما فى التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف
الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اى الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف
الكمالية لجنس الكتاب السماوى وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة
عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدا من الكتاب اى
ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف فى اليك وقوله تعالى مصدقا لما بين
يديه حال من الكتاب اى حال كونه مصدقا لما تقدمه اى من حيث انه نازل حسبما نعت فيه

اومن حيث انه موافقا له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش
واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في
الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها
يدور امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتأخر وانما
يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النطق بصحة
ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب
السماوي وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مطلق الكتاب
هذا قالوا اللام للعهد الا ان ذلك لا ينتهي الى خصوصية الفرد وينزل الى خصوصية النوعية التي هي اخص
من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السماوي ايضا حيث خص منها ما عدا القرآن ومهيمنا عليه
اي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما
يتأبد من فروعها ويبين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب
وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته
وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليه وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اي هو من عليه وحفظ
من التغيير والتبديل كقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ له هو الله عز وجل
كما في قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله تعالى
فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حتى مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة
على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المأمور به اي اذا كان شأن القرآن كما ذكر فاحكم بين اهل الكتابين
عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب
الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في
حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم
عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل ولا تعدل عما
جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما
وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من
مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
كلام مستأنف جيء به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عم بما انزل اليه من القرآن
الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى
قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل
للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد ومنهاجا بجعل ماض لا انشأ وتقديمه
عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسيط جعلنا بين الصفة
والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم
الباقية والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها
التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوراة والتي كانت من
مبعث عيسى الى مبعث النبي عليهما السلام شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم الفرقان ليس الا
فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا
الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا
وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا متعبدون بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها
الباقية من حيث انها احكام شريعتنا لا من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة
متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية
ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة

واحدة لجعلكم الخ وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف
يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما
بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها
هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمطلق المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم
البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون
المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد
الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا
كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير
لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها
انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد
التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق
الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر
المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك
فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة
الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم
بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم
وانزال الامر بالحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم
ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عنه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة
الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر
فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب
روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه عم فقالوا
يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا
خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم
ببعض ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة
هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد
او يرتبط بعض النفوس حمامها * يريد نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون
اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي اتتولون عن حكمك فتبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد
الانكار والتعجيب لان التولي عن حكمه عم وطلب حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية ابلغ واعجب والمراد
بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعييرا
لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا
يرجع الى وحي واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي ان بني
النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه
ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل الجاهلية من التفاضل فقال عم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن
لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في قوله
تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب الالتفات

لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اي لحكما كحكام الجاهلية
يبغون ومن احسن من الله حكما انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساو له وان كان ظاهر
السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن
اسلم وجهه لله لقوم يوقنون اي عندهم واللام كما في هيت لك اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون
الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب
يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سياتي ووصفهم
بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
فان تذكر اتصافهم بضد صفات الفريقين من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم
وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء
لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اولياء بعض اي بعض كل فريق من ذينك الفريقين
اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور المراد
لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل
النهي وتاكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما
ياتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم
الغوائل فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستنتج
منه فان انحصار الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد في الدين الذي
عليه يدور امر الموالاة حيث لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من
يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالاة لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة
وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم
وشانهم فيقعون في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه
تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشيء في غير موضعه وقوله تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض
بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب
اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع
اي لا يهديهم بل يذرهم وشانهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ايذانا بان ما حملهم على
ما ارتكبوه من التولي ما في قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد في الدين وقوله تعالى
يسارعون فيهم حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو الانسب
بظهور نفاقهم اي تراهم مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها
وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها
الى بعض آخر منها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها
كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقرئ يرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه
وقيل لمن يصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية و
الرؤية قلبية اي ويرى القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل
مرفوعا كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه
الذين كانوا يسارعون في موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يامنون
ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة وهو حال من ضمير
يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها اي يدور علينا دائرة من دوائر
الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من
مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض روي ان عبادة ابن الصامت رضي الله عنه
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثير عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم

ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية مواليّ وهم
يهود بني قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر في نفسه المعنى الاول
عهم وقوله عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح رد من جهته تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم
الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا
محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان ياتي في محل النصب على انه خبر عسى وهو راي الاخفش او على
انه مفعول به وهو راي سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث كما في قولك عسى زيد ان يقوم
والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال
قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده بقطع
شأفة اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على
ياتي وداخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن
ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه
في انفسهم من الكفر والشك في امره عليه السلام وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما
انه الذي كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها ويقول الذين آمنوا
كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو وعلى انه جواب سؤال نشأ
مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على ياتي
باعتبار المعنى كانه قيل فعسى ان ياتي الله بالفتح ويقول الذين آمنوا والاول اوجه لان هذا القول
انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين
آمنوا مخاطبين لليهود ومشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون
لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس
تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم اهؤلاء
الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم
فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده خبره والاستفهام للتعجب والخطاب في معكم لليهود وعلى ذلك يرتبط بعض
المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا بالله لكم باغلاظ الايمان انهم لمعكم فالخطاب في معكم لليهود
على التقدير الاول وعلى الثاني من جهة المؤمنين وجهد الايمان اغلظها
ما لم الاعراب لانها تفسير
وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل
واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لان اقسموا بمعنى جهدوا
انما اجتهدوا في ايمانهم وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى
لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانها
باستفهام الانكار واما خبر ثان للمبتدأ عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وهو
الخبر والموصول مع ما في حيز صلته صفة لاسم الاشارة والاستفهام للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل
ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شان موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا
بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء
والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبين بعضهم تعجيبا من سوء حال المنافقين واغتباطا
بما منّ الله تعالى عليهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم
ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس واصبحوا خاسرين في ذلك
الكلام من المؤمنين انما يليق بعد ما ظهر من المنافقين خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية
المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار حتى حبطت اعمالهم فانى تيسر ذلك على كل تقدير
الى ما كانوا يتكلفونها في رأي اعين المؤمنين ولا ريب انهم يوجبون استدعاء واكثرا

ذلك فضلاً عن أن يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس في ذلك علامة ظاهرة
الدلالة على كفرهم وكذبهم ~~وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس في ذلك علامة ظاهرة الدلالة على~~
~~كفرهم وكذبهم~~ في ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروه من موالاة الكفرة خشية اصابة
الدائرة **يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه** وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما
نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل
مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر
عنها القرآن قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها
عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى
على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب
تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها
لي ونصفها لك فاجاب عليه السلام من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه
وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ
فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه وسبع
في عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم
قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة
التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب في كتاب استغفر • واستغفري •
• امت سجاح ووالاها مسيلمة • كذابة في بني الدنيا وكذاب •
وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على
يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نفرته اللطمة وسيرته
الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل **فسوف يأتي الله** جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف
اي فسوف يأتي الله مكانهم بعد اهلاكهم **بقوم يحبهم** اي يريد بهم خيري الدنيا والآخرة ومحل الجملة الجر على
انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى **ويحبونه** اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف على ما هو
داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم
هذا وقيل هم الانصار وقيل هم الفرس لما روي انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال
هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة
آلاف من كندة وثلاثة آلاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية **اذلة على المؤمنين** جمع ذليل
لا ذلول فان جمعه ذلل اي ارقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف
والحنو والتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية
المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى **اعزة على الكافرين** اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في
قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة
على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة المفردة عن غير المفردة من
الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم
محدث وقوله ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوز من ان قوله تعالى يحبهم و
يحبونه كلام معترض وان مثل ذلك خبر بعد خبر او خبر لمبتدأ محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان
مقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة بالنصب على الحال من قوم لتخصصه بالصفة
يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مرتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال

او حال من الضمير في اعزة **ولا يخافون لومة لائم** عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في
سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم
اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى
انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما
كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى **ذلك**
اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل **فضل الله**
اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف بها **يؤتيه من يشاء** ايتاءه اياه وتوفيقه لكسبه وتحصيله
حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة **والله واسع** كثير الفواضل والالطاف **عليم** مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي
من جملتها من هو اهل الفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل
للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية **انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** لما نهاهم
الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين وبين ان من يتولاهم
يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء لان
بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالولاية
ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا
ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة** صفة
للذين آمنوا جرى مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه **وهم راكعون** حال من فاعل
الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل
هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم
اليه وروي انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان
مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في
مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة **ومن يتول الله ورسوله**
والذين آمنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في
الولاية وكون ولاية غيره بطريق التبعية [illegible] قوله تعالى **فان حزب الله هم الغالبون** حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة
وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله
تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله
وحزب الله هم الغالبون **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا**
روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما
فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا
بان من هذا شانه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة **من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم** بيان للمستهزئين
والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم
عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم **والكفار** اي المشركين خصوا به لتضاعف
كفرهم وهو عطف على الموصول الاول [illegible]
باهل الكتاب في قوله يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير
ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين **اولياء**
وجانبوهم كل المجانبة **واتقوا الله** في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل
فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا **ان كنتم مؤمنين** اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا
محالة **واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها** اي الصلوة او المناداة [illegible] الاذان
هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق
اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا

رسول الله يقول أحرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وأهله نيام فتطايرت منها شرارة
في البيت فاحترقت وأهله جميعاً **ذلك** أي الاستهزاء المذكور **بأنهم** بسبب أنهم **قوم لا يعقلون** فإن
السفه يؤدي إلى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة
قل أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بأن
يخاطبهم ويبين أن الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه
ويلقمهم الحجر أي قل لأولئك الفجرة **يا أهل الكتاب** وصفوا بأهلية الكتاب تمهيداً لما سيأتي من
تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابهم **هل تنقمون منا** من نقم منه كذا إذا عابه وأنكره وكرهه ينقمه
من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهي أيضاً لغة أي ما تعيبون وما تنكرون منا **إلا
أن آمنا بالله وما أنزل إلينا** من القرآن المجيد **وما أنزل من قبل** أي من قبل إنزاله من التوراة
والإنجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الإلهية **وأن أكثركم فاسقون** أي متمردون خارجون عن الإيمان
بما ذكر فإن الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على أن آمنا على أنه مفعول
له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة
فإن اتخاذ الدين هزواً ولعباً عين نقمه وإنكاره والإيمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا
أنه أبرز في معرض علة نقمهم له تسجيلاً عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجباً للنقم مع
كونه في نفسه موجباً لقبوله وارتضائه فالاستثناء من أعم العلل أي ما تنقمون منا ديننا لعلة
من العلل إلا لأن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل من كتبكم ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين
بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لآمنتم به وإسناد الفسق إلى أكثرهم
لأنهم الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على أنه مفعول لتنقمون لكن لا على
أن المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كأنه قيل ما تنقمون منا إلا مخالفتكم حيث
دخلنا الإيمان وأنتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف أي واعتقاد أن أكثركم فاسقون
وقيل عطف على بنا أي ما تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وبأنكم فاسقون وقيل عطف
على علة محذوفة أي لعلة إنصافكم ولأن أكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع أي ما تنقمون منا
إلا الإيمان مع أن أكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر يدل عليه المذكور أي ولا تنقمون أن أكثركم
فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف أي وفسقكم معلوم أو ثابت والجملة حالية أو
معترضة وقرئ بأن المكسورة والجملة مستأنفة مبينة لكون أكثرهم فاسقين متمردين **قل هل أنبئكم
بشر من ذلك** لما أمر عليه السلام بإلزامهم وتبكيتهم ببيان أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يوجب
ارتضاءه عندهم أيضاً وكفرهم بما هو مسلم لهم أمر عليه السلام عقيبه بأن يبكتهم ببيان أن الحقيق بالنقم والعيب
حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم في ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها
على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان
بما ينبئ عن عظم شأن المبين ويستدعي إقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة إلى الخبر به
والتنبيه المشير بكونه أمراً خطيراً لما أن النبأ هو الخبر الذي له شأن وخطر وحيث كان مناط النقم
شرية متقدم حقيقة أو اعتقاداً وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك
ولم يقل بأنقم من ذلك تحقيقاً لشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل إنما قيل ذلك
لوقوعه في عبارة المخاطبين حيث أتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله عن دينه فقال عليه السلام
أؤمن بالله وما أنزل إلينا ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شراً من دينكم وإنما
اعتبر الشرية بالنسبة إلى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل
المنعقد على كمال شريته ليثبت أن دينهم شر من كل شر أي هل أخبركم بما هو شر في الحقيقة مما
تعتقدونه شراً وإن كان في نفسه خيراً محضاً **مثوبة عند الله** أي جزاءً ثابتاً في حكمه وقرئ مثوبة
وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما أن العقوبة مختصة بالشر وإنما وضعت ههنا

موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر وقوله عز وجل
من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدأ محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما أشير إليه بكلمة ذلك
أي دين من لعنه الخ أو بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن أي بشر من أهل ذلك والجملة على التقديرين استئنافاً
وقع جواباً عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية إما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم
الكريم وإما باعتبار التقدير فيها كأنه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ وقيل
في السؤال من ذا الذي هو شر من أهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية
المهابة وزيادة إدخال الروعة وتهويل أمر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث أبعدهم الله
من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات **وجعل
منهم القردة والخنازير** أي مسخ بعضهم قردة وهم أصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة
عيسى وقيل كلا المسخين في أصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وجمع الضمير الراجع إلى
الموصول في منهم باعتبار معناه كما أن إفراد الضمير في الأولين باعتبار لفظه وإيثاره وضمه موضع
ضمير الخطاب المناسب لأنبئكم للقصد إلى إثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الأمور الهائلة الموجبة
لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم **وعبد الطاغوت** عطف على
صلة من وإفراد الضمير لما مر وكذا عُبِد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا
عَبُد الطاغوت بمعنى صار معبوداً فالراجع إلى الموصول محذوف على القراءتين أي عُبد فيهم أو بينهم
وتقديم أوصافهم المذكورة بصدد إثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع أنه الأصل المستتبع لها
في الوجود وأن دلالته على شريته بالذات لأن عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها
عليه بطريق الاستدلال بشرية الآثار وعلى شريته بما يوجبه من الاعتقاد والعمل إما للقصد إلى تبكيتهم
من أول الأمر بوصفهم بما لا سبيل لهم إلى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به وإما للإيذان باستقلال
كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت
ولعنه الله وغضب عليه الخ لربما فهم أن علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت
وكذا عبد الطاغوت بالإضافة [illegible] وكذا أعبد الطاغوت
بالإضافة على أنه جمع عابد [illegible] على أن أصله عبدة حذفت تاؤه للإضافة والنصب في الكل
عطفاً على القردة والخنازير وقرئ وعبد الطاغوت بالجر عطفاً على من بناء على أنه مجرور بتقدير
المضاف وقد قيل إن من مجرور على أنه بدل من شر على أحد الوجهين المذكورين من تقدير
المضاف وأنت خبير بأن ذلك مع إفضائه إلى إخلال النظم الكريم [illegible] بالمرة مما لا
سبيل إليه قطعاً [illegible] من أن المقصود الأصلي [illegible] الجملة الاستفهامية [illegible]
سيقت أمام المقصود [illegible] المخاطبين [illegible] بمجرد موافقة
الكيفية للسؤال الناشئ منها [illegible] وهو المقصود إفادته [illegible] الإلزام والتبكيت [illegible]
فإذا جعل الموصول [illegible] من تتمة الجملة الاستفهامية [illegible]
[illegible] الإلزام والتبكيت [illegible] والجملة الآتية [illegible] كيف لا
بل بمجرد موافقته في الكيفية للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت أن السؤال الناشئ منها
[illegible] في الجملة المذكورة وسيتضح ذلك [illegible] بإذن الله تعالى
والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من أطاع أحداً في معصية الله تعالى فقد عبده [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] مسوقة من جهته سبحانه [illegible]

والضلال او داخلة تحت الامر تأكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا فاسم
الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة
اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة
على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن
الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق
دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة
مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في (ملا سعدي)
ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول
والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد
خرجوا به اي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من
فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال
ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول عليه السلام
يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد
شديد لهم وترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية
كثيرا منهم اي من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان
والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار
كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة لما ذكر في قوله وترى كثيرا منهم يسارعون
فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل
هو ما يختص بهم من الاثام والعدوان اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي واكلهم
السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اي
لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون
والاحبار قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض
للذين يقتدي بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع
توبيخهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما لبئس
ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه
صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية
لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على
العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن
وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس رضي الله عنه
وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية
فلما عصوا الله تعالى ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ولم ينكر
عليه الآخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل
واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله انه سبحانه ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها
مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا يرى انهم يستعملونه
حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله ● جاد الحمى بسط اليدين بوابل ● شكرت يداه تلاعة ووهاده ●
● ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال ●
● وغداة ريح قد شهدت وقرة ● اذ اصبحت بيد الشمال زمامها ●
كأنه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة
المجاز من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة

المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكى
عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم دعاء عليهم
بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين
في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الآخرة فيكون المطابقة ح من حيث اللفظ وملاحظة
المعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره ولعنوا عطف على الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله
بما قالوا اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر
يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود والبه اشير بتثنية اليد فان
اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه على
منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء
جملة مستأنفة واردة لتأكيد كمال جوده وللتنبيه على ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من
غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور
في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد
اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سيأتي من قوله عز
وعلا ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية
من ضمير ينفق اي ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيته اي مريدا وترك ذكر ما ينفقه لقصد
التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك من القرآن المشتمل على هذه
الآيات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك من
ربك متعلق بانزل كالى اليك كذلك وتأخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء
المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وانزل اليكم
من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام طغيانا
وكفرا مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين اما
من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا طغيانهم وكفرهم
بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا والقينا بينهم اي بين اليهود فان بعضهم
جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا يكادون يتوافق
قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من
الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين وقيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض
بلا عكس كلي الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله
تفريع لما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول عليه السلام
ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول رده الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب
احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس
الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب اما صلة
لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنة للحرب ويسعون في الارض فسادا اي يجتهدون
في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب
وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد والله لا يحب
المفسدين ولذلك اطفأ نائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد
ووضع المظهر مقام الضمير للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان اهل الكتاب اي اليهود
والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان
تأكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له
وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى آمنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق

من قوله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وبالحق
من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الخ اي لو انهم مع صدور ما صدر عنهم من فنون
الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
واما ارادة ايمانهم به عم خاصة فيأباها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به عم انما
ذكر مستتبعا بكفرهم بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عم مستلزم لكفرهم بكتابهم
فحمل الايمان ههنا على الايمان به عم خاصة مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واتقوا ما عددنا من
معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها وان كانت في غاية العظم
ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير اللام لتأكيد الوعد
وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله من السيئات وان جلت
وجاوزت كل حد معهود ولو انهم اقاموا التورية والانجيل بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها
شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع
ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القرآن فليست مراعاة الكل من اقامتهما في شيء وما انزل
اليهم من ربهم من القرآن المجيد المصدق لكتبهم وليست مراعات الكل من اقامتهما في شيء وايراده بهذا
العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعون من عدم نزوله
الى بني اسرائيل وتقديم اليهم لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة
الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب
دانيال فانها مملوءة بالبشارة بمبعثه عم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي لوسع عليهم ارزاقهم
بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان
اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤوس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد
المبالغة في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف
لقصد التعميم او القصد الى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتداء الغاية
وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة
الدارين وزجرهم عن الاخلال به ببيان انه مفض الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من
الضنك والضيق انما هو من شؤم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى منهم امة مقتصدة
جملة مستأنفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء
الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان
الخ فقيل منهم امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدأ باعتبار معنى اي بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اي
بعض كائن منهم كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الآية اي طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم
كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله
وكثير منهم مبتدأ لتخصيصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اي مقول في حقهم هذا القول اي بئسما يعملون
وفيه معنى التعجب اي ما اسوء عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة
وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه والروم يا ايها الرسول نودي عليه السلام بعنوان
الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه بلغ ما انزل اليك
اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى من ربك اي مالك امورك
ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عم وكلاءته اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف
ان ينالك مكروه ابدا فان لم تفعل اي ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى
فما بلغت رسالته فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه الى
الناس فما بلغت شيئا من رسالته واتصلت مما ترتب به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس اولى
بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان من [illegible] ببعضها كان كمن لم يؤمن

يؤمن بكلها لادائه كل منها ما يدل عليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون
مبلغا غير مبلغ مؤمنا به وغير مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض
الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث
ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتي وعن ابن عباس رضي
ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها
ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى والله
يعصمك من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عم على
الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن انس رضي الله عنه انه عم كان
يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله
تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالى له عم اي لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار
وايراد الآية الكريمة في تضاعيف الآيات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء
الكفار سماعها ويشق على الرسول مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم
ولذلك اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا الفريقين لستم على شيء اي دين يعتد به ويليق
بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه
حتى تقيموا التورية والانجيل اي تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة
الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما
المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخها وانتهاء
وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وبخروجها عن كونها من احكامهما وان
احكامهما ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم لبشرتهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما
بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى وما انزل اليكم
من ربكم اي القرآن المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتأتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين
على اقامته مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان
الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مأمورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه
بالعرب وفي اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب
انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة
بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الست تقر ان التورية حق من عند الله فقال عليه السلام بلى فقالوا انا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها
فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستأنفة
مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم
لتأكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للانباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تأس
على القوم الكافرين اي لا تتأسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم
فان غائلته آيلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين آمنوا كلام مستأنف لترغيب من عدا المذكورين
في الايمان والعمل الصالح اي الذين آمنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها
قلوبهم اولا والذين هادوا اي دخلوا في اليهودية والصابئون والنصارى جمع نصراني وقد مر
تفصيله في سورة البقرة وقوله والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما
في حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك
كقوله * فاني وقيار بها لغريب * وقوله * الا فاعلموا انا وانتم * بغاة ما بقينا في شقاق * خلا انه

وسط بين اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث
قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الاتية خبر للمبتدأ المذكور
وخبر ان مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف وقيل النصارى
مرفوع على الابتداء وقوله تعالى والصابئون عطف عليه وهو مع خبره عطف على الجملة المصدرة بان ولا
مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والا لزم تعمل الخبر ان والابتداء
معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا فلا محذور
فيه ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون
بياء صريحة تخفيفا للهمزة وقرئ والصابون وهو من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى
من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على انه مبتدأ خبره فلا خوف عليهم ولا
هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط وجمع الضمائر الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما
في صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من آمن منهم واما في محل النصب على
انه بدل من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله عز وعلا ان الذين
فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم الآية والمعنى على تقدير كون المراد بالذين آمنوا
المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد على الوجه اللائق كما
يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان
بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر
وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة
الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام
واما على تقدير كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد
بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات
والدوام عليه كما هو شأن المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر
الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في
الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل من ان المعنى من كان منهم في دينه قبل
ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في
سورة البقرة لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم المنادية
باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر الشرائع والاحكام المكتوبة
عليهم في التوراة وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شأن خطير ليقرروهم على مراعاة
حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير
وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال
نشأ من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كأنه قيل فماذا فعلوا بالرسل
فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي والفساد من الاحكام الحقة
والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستأنف عن استفسار
كيفية ما اظهروه من آثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كأنه قيل كيف فعلوا بهم
فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل
قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة
للتعجيب منها وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الآي الكريمة وتقديم فريقا في
الموضعين للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب
اليه الجمهور فلا يناسبه المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسخ ما فيها من

من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم
الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها
اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا
كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة القتل او التكذيب حسبما يفيده جعلها استئنافا على ابلغ
وجه وآكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها
صفة وحسبوا ان لا تكون فتنة اي حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما فعلوا من الدواهي
الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها
ضمير الشأن المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله
منزلة العلم لكمال قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء
للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها اي امنوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد
وعموا عن الدين بعدما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا عن
استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى من مرتي
افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا ارميا عليه السلام
لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في
عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤوهم من بعده عليه السلام باعصار
ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعدما كانوا ببابل دهرا
طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله سبحانه ملكا عظيما من
ملوك فارس الى بيت المقدس فعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم
الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن
ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف الهمه الله عز وجل في قلبه
شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت
نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم
الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت انه لا تعلق له
بالمقام [illegible] ثم عموا وصموا
وهذا اشارة الى المرة الآخرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليهم السلام
لا الى طلبهم الرؤية كما قيل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
تعالى كثير منهم بدل من الضمير [illegible] والله
بصير بما يعملون اي بما عملوا [illegible] وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها
الفظيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل [illegible]
العذاب [illegible]
بني اسرائيل [illegible]
[illegible]
وفي ذلك في المرة الاولى حين سلط الله عليهم بخت نصر [illegible]
وقيل [illegible] من اهل بابل [illegible]
[illegible]

الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وجل الى ما حكى عنهم من حسن الحال ثم عادوا الى المرة
الاخرة من الافساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرزد
وقيل خردوس فقتل منهم ما تقدم وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم
فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتموني فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت
منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عم فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك
ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح بن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد
تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم
وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم
ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انزجارهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح
مخاطبا لهم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم
انه اي الشان من يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد حرم الله
عليه الجنة فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في
موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة وماواه النار فانها المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب
اثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من انصار اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما
بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما للعهد والجمع باعتبار
معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضع
على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله
وهو اما من تمام كلام عيسى عم واما وارد من جهته تعالى تاكيدا لمقالته عم وتقريرا لمضمونها وقد قيل
انه من كلامه عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عم فلذلك لم يساعدهم
عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى
على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير
بان التعبير عما حكى عنه عم من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار بحرمان الجنة ودخول
النار بمجرد عدم مساعدته على ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي بصورة الضعيف
وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشانه عم من توهم الرضا
والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الخ الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال على
تقدير كونه من تمام كلامه عم فان زجره اياهم عن مقالتهم الفاسدة بما ذكر من عدم الناصر والمساعد
بعد زجره اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتاثير ولا سبيل ههنا
الى الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة شروع في بيان كفر طائفة
اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة رابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث
والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلاثة ورابع اربعة وانما ينصب
اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية
مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وبين عيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء اله ويؤكده قوله تعالى أأنت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة الهة وهو
المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب
مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول
الشركة و[illegible] من للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم
الابن وا[illegible] القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة

الحيوة يعني قوله تعالى وما من اله الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه
وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن الذين كفروا جواب قسم
محذوف ساد مسد جواب الشرط اي والله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول
لتكرير الشهادة عليهم بالكفر ومن في قوله تعالى منهم بيانية اي ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه
من الكفر او تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى
عليه بالقلع من نص عيسى عم وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم
اي نوع شديد الالم من العذاب والهمزة للاستفهام في قوله تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه
بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة
معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم
التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله تعالى والله غفور رحيم جملة
حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار
اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح بن مريم
الا رسول استئناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عم وحال امه بالاشارة
اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس واخرا الى الوصف المشترك
بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا
عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى
قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل
عم منذر بخلوه المقتضي لاستحالة الوهيته اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى
ببعض من الايات كما خص كلا منهم ببعض اخر منها فان احيي الموتى على يده فقد احيي العصا في يد موسى
وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق ادم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه
وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشؤونه وافعاله وامه صديقة اي وما امه ايضا
الا كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق والتصديق ويبالغن في الاتصاف بهما فما رتبتها الا رتبة
احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم كانا ياكلان الطعام
استئناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده
بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الايات تعجيب من حال الذين يدعون لهما
الربوبية ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف
معمول لنبين والجملة في حيز النصب معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الايات الباهرة المنادية ببطلان
ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها والتامل
فيها والكلام فيه كما في ما قبله وتكرير الامر بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت
اي ان بياننا للايات امر بديع في بابه بالغ الى اقصى الغايات من التحقيق والايضاح واعراضهم
عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها امر اعجب منه قل امر لرسول الله ص بالزامهم وتبكيتهم
اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله اي متجاوزين اياه ما لا يملك
لكم ضرا ولا نفعا
عن عيسى عم وايثار ما على من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية راسا ببيان انتظامه
في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو عم وان كان يملك ذلك بتمليك الله تعالى اياه لكنه لا
يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة
على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التاثير دفع الشر ثم جلب الخير

والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة **قل يا اهل الكتاب** تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوه من المسالك الباطلة وارشادهم الى الامام المبين **لا تغلوا في دينكم** اي لا تجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة ولليهود عن وضعهم له عم عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خطاب للنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكيرهم ان الانجيل ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى **غير الحق** نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اي لا تغلوا مجاوزين الحق او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع **ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل** هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في شريعتهم **واضلوا كثيرا** اي قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف **وضلوا** عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام **عن سواء السبيل** حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع **لعن الذين كفروا** اي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء **من بني اسرائيل** متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى **على لسان داود وعيسى بن مريم** متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم داود وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي **ذلك** اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **بما عصوا وكانوا يعتدون** والجملة مستأنفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه** فانه استئناف مفيد لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الآخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراده وما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان الماضي المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل او حمل [illegible] عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من [illegible] او الى تقدير المثل او الى حمل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى

لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسببه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته له بما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا **ترى كثيرا منهم** اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى **يتولون الذين كفروا** حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله والمؤمنين وقيل منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم **لبئس ما قدمت لهم انفسهم** لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة **ان سخط الله عليهم** هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخط الله ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترط هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدأ او على انه خبر لمبتدأ محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو واي شيء هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل الرفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمت لهم انفسهم وقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه **وفي العذاب** اي عذاب جهنم **هم خالدون** ابد الآبدين **ولو كانوا** اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب **يؤمنون بالله والنبي** اي نبيهم **وما انزل اليه** من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا **ما اتخذوهم** اي المشركين او اليهود **اولياء** فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا **ولكن كثيرا منهم فاسقون** خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه **لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا** جملة مستأنفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدأ وخبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدأ ولا ضير في التقديم والتأخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشد عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا واذا في الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتأخير اذ المعنى انك ان تصديت ان تعرف من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بما لديهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الباطنة والظاهرة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك الطائفتين لا غير فتأمل واللام الداخلة على الموصول متعلق بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ورهبة عقابك وقيل متعلق بمحذوف هو صفة لعداوة اي كائنة للذين آمنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزومهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص **ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا** اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح والبيان **الذين قالوا انا نصارى** عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام [illegible] النكتة

ببين الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في متعلق لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال اخرا ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال او لا لتجدن ابعد الناس مودة الخ للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والاخر في اقرب مراتب النقيض الاخر **ذلك** اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين **بان منهم** اي بسبب ان منهم **قسيسين** وهم علماء النصارى وعبادهم ورساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قال الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى قسيسا لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه عجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل ولم يغير فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس **ورهبانا** هو جمع راهب كراكب وركبان وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال

لو عاينت رهبان دير في قلل ◦ لاقبل الرهبان يعدو ونزل ◦

والرهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة بجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا يرى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود **وانهم لا يستكبرون** عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فنسبتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول** عطف على لا يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه **ترى اعينهم تفيض من الدمع** اي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها **مما عرفوا من الحق** من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشأ من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لانهم ما عرفوا بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرؤوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول **يقولون** استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القرآن كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون **ربنا آمنا** بهذا او بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا **فاكتبنا مع الشاهدين** اي الذين يشهدون بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** كلام مستانف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظائره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع وتفيد نفيه فقط كما في الاية الثانية وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الاية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية

مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى **ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدأ والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور **فاثابهم الله بما قالوا** اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فآتاهم الله **جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين** اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعى جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة مريم فبكوا وآمنوا **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم** عطف التكذيب بآيات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم على القصد وقرن بها جمعا بين الترغيب والترهيب **يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم** اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهيب ترغيب المؤمنين في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الباب اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها زهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا ينالوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت **ولا تعتدوا** اي ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك **ان الله لا يحب المعتدين** تعليل لما قبله **وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة **واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون** تأكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم** اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما ظن وهو قول مجاهد قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه **ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان** اي بتعقيدكم الايمان وتو[ثيقها] بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم **فكفارته** اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه **اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم** اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما

كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم
بسكون الياء على لغة من يسكنها في الحالات الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض
والليالي في جمع ليل وقيل جمع اهلاة **أو كسوتهم** عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه
بدلا من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهي لغة
كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او اطعامهم
كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط
أو تحرير رقبة اي او اعتاق انسان كيفما كان وشرط الشافعي رح فيه الايمان قياسا على كفارة القتل
ومعنى او ايجاب احد الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف **فمن لم يجد** اي شيئا من الامور المذكورة **فصيام**
اي فكفارته صيام **ثلاثة ايام** والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة ايام متتابعات والشافعي رحمه الله لا
يرى التتابع حجة **ذلك** اي الذي ذكر **كفارة ايمانكم اذا حلفتم** وحنثتم **واحفظوا ايمانكم**
بان تضنوا بها ولا تبذلوها اذا حنثتم وقيل احفظوها كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا
فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها
تهاونا بها **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الآتي لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة لتأكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير
يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة
المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا
اي ذلك البيان البديع **يبين الله لكم آياته** اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم
على المفعول لما مر مرارا **لعلكم تشكرون** نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج **يا ايها الذين آمنوا انما
الخمر والميسر والانصاب** اي الاصنام المنصوبة للعبادة **والازلام** سلف تفسيرها في اوائل السورة الكريمة
رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او لمضاف
محذوف اي شأن الخمر والميسر الخ **من عمل الشيطان** في محل الرفع على انه صفة رجس اي كائن من عمله لانه
مسبب من تسويله وتزيينه **فاجتنبوه** اي الرجس او ما ذكر **لعلكم تفلحون** اي راجين فلاحكم وقيل
لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم الخمر و
الميسر في هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام وسميا
رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا
يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية
والدينية المقتضية للتحريم فقيل **انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر** وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** اشارة الى مفاسدهما
الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان
حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عم شارب الخمر
كعابد الوثن وتخصيص الصلوة بالافراد بعد دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها
كالصاد عن الايمان لما انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فقيل **فهل انتم منتهون** ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير قد بلغ
الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية **واطيعوا الله واطيعوا الرسول**
عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه **واحذروا** اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه
مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا **فان توليتم** اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به
[illegible]
فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد خرج عن عهدته [illegible]
وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من عظم

عظم التهديد به وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم الرسول
لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه
فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه عم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه
عم وانما يضرون انفسهم **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح** اي اثم وحرج **فيما طعموا** اي تناولوا
اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما
انزل الله تع تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة [illegible] ی
لما نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم
يشربون الخمر وياكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله كيف
باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت كلمة ما في فيما طعموا عبارة عن المباحات
خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى **اذا ما اتقوا** واللازم منتف
بالضرورة بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطاري عليها
والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من الماكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان يكون في ذلك
شئ من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد
اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض آخر منه كما هو اللازم من الاول
وآمنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى **ثم اتقوا** عطف
على اتقوا داخل معه في حيز الشرط اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق **وآمنوا** اي
بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه اما للاعتناء به او لانه الذي يدل على التحريم الحادث الذي هو المؤمن
به او واستمروا على الايمان **ثم اتقوا** اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط
بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة
بعضه **واحسنوا** اي عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية و
القالبية وليس تخصيص هذه المراتب بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما
بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا في
طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شئ من المباحات اتقوه ثم وثم
فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شئ محرم عند طعمه وانت خبير
بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت
في حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير
الى ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في الحكم فان
مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سيأتي بقضية
كلمة اذا لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي
على الوجه البرهاني بطريق دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم
جناح فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تع مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشئ تلقوه بالامتثال
وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرم في عصرهم لاتقوهما
بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان
التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جئ بالاحسان في
الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله عم في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدا
والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات توقيا
من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل
التكرير لمجرد التاكيد كما في قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد

بالاول اتقاء الكفر وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب
في انه لا تعلق لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل **والله يحب المحسنين** تذييل مقرر لمضمون
ما قبله ابلغ تقرير **يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله** جواب قسم محذوف اي والله ليعاملنكم معاملة
من يختبركم ليتعرف احوالكم **بشيء من الصيد** اي من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات
من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش
تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله
تعالى **تناله ايديكم ورماحكم** فهموا باخذها فنزلت وروي انه عن لهم حمار وحش فحمل عليه
ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الآية فالتاكيد القسمي في ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما وقع من
عدم توحش الصيد عنهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء
وتنكير شيء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء
بقتل الانفس واتلاف الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلي به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على
ان من لم يثبت في مثل هذا كيف يتثبت عند شدائد المحن فمن في قوله تعالى من الصيد بيانية
قطعا اي بشيء حقير هو الصيد وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد
لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور **ليعلم الله من يخافه بالغيب** اي
ليتميز الخائف من عقابه الاخروي وهو غائب مترقب لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه
كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا
وعقابا فانه ادخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل فان علمه
تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل وهو الذي يدور
عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير ليعلم
اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اي ليعلم الله عباده الخ والعلم على
القراءتين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة
فمن اعتدى بعد ذلك اي بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد
تحريمه او النهي عنه كما قاله بعضهم اذ النهي والتحريم ليس امرا حادثا ترتب عليه الشرطية بالفاء
ولا بعد الابتلاء كما اختاره الآخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم
كونه عذرا مسوغا لتخفيفه وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك
مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته
بالكلية اي فمن تعرض للصيد بعدما بينا ان ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤد
الى تميز المطيع من العاصي **فله عذاب اليم** لما ذكر من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه
ولا يراعي حكم الله تعالى في امثال هذه البلايا الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب
الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضي الله عنه يوسع ظهره وبطنه جلدا ويسلب ثيابه **يا ايها الذين
آمنوا** شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح
بالنهي في قوله تعالى **لا تقتلوا الصيد وانتم حرم** مع كونه معلوما لا سيما من قوله تعالى غير محلي الصيد
وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام
وهو المحرم وان كان في الحل وفي حكمه من في الحرم وان كان حلالا كردح جمع رداح والجملة حال
من فاعل لا تقتلوا اي لا تقتلوه وانتم محرمون **ومن قتله** اي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضع
دون الذبح للايذان بكونه في حكم الميتة **منكم** متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اي كائنا
منكم **متعمدا** حال منه ايضا اي ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان
محظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطا لما ان الآية نزلت في المتعمد كما مر من قصة ابي اليسر ولان

ولان الاصل فعل المتعمد والخطا لاحق به للتغليظ وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا
وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطا شيئا اخذا باشتراط العمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد
والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا
حكم عليه وامره الى الله تعالى لانه اعظم من ان يكون له كفارة **فجزاء مثل ما قتل** برفعهما اي فعليه جزاء
مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثاني على اعمال المصدر وقرئ بجر الثاني على اضافة المصدر الى مفعوله
وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء مثل ما
قتل والمراد به عند ابي حنيفة وابي يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او في اقرب الاماكن
اليه فان بلغت قيمته قيمة هدي يخير الجاني بين ان يشتري بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم وبين ان
يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل
مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما كاملا اذ لم يعهد في الشرع
صوم ما دونه فيكون قوله تعالى **من النعم** بيانا للهدي المشترى بالقيمة على احد وجوه التخيير فان
من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رحمهما الله ومن يرى
رايهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة
فقد خالف النص وعن الصحابة رضي الله عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار
الوحش بقرة وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم
ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل
صورة ومعنى واما المثل معنى واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له في الشرع اصلا واذا لم يكن ارادة الاول ل
اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا في الشرع كما في حقوق العباد الا يرى ان المماثلة بين
افراد نوع واحد مع كونها في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا
بفرد آخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل ضمنها بقيمته مع ان المنصوص عليه في امثاله انما
هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر
معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا تعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة
ماخذها وعسر المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريد بالمثل فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره
مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواقع الاثبات والمراد بالنظير في الآية النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين
ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته لكن لا باعتبار ان يهديها كما لو انها بعينها
الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فينفذ باحدى الخصال الثلاث فيشتري بها ما مر
فقوله تعالى بمثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر
في ثاني الحال بناء على وصفه الاول الذي هو المماثلة ولما بعده من الطعام والصيام ومحتمل لان يعطف
على الوصف المتاخر والاول الوصف اللازم فضلا عن العطف على الموصوف كما سياتي بيانه ان شاء الله تعالى
ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله تعالى **يحكم به ذوا عدل منكم** اي
حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد دون [illegible]
الاشياء المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناش من الغفلة عما اراده
[illegible] المماثلة [illegible] بين النعم [illegible]
في بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما في نفسها مما لا يهتدى اليه من سائر الناس الا
الاجتهاد [illegible] الا ترى ان الامام الشافعي
اوجب في قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما [illegible]
[illegible] فكيف يعرف امثال هذه الدقائق [illegible]
الى ذوي عدل [illegible] فانما [illegible] بالانواع [illegible]
[illegible] كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم [illegible]

حاجة الى حكم آخر وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة وقيل على ارادة الامام
والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في به او من
جزاء لما ذكر من تخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اي يهديه
هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية او كفارة عطف
على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله تعالى طعام
مساكين عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف اي هي طعام
مساكين وقوله تعالى او عدل ذلك صياما عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول
هو من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ تكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به
الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا
منها بدلا من الآخر هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى ح في النظم الكريم ما
يقدر به الطعام والصيام والالتجاء الى القياس على الهدي تعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع واما على
سائر القراءات فقوله او كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة
طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال
على الجنس وقرئ او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام
وعدله ما عدل به في المقدار كأن المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام
وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله وللحكمين عند محمد رح
ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل
عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال
في الاصل المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا
ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرأ والمعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان يسألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان
الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف
تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا
اي فذلك لا يخاف الخ وقوله ومن كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما
الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة على العائد وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح
انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن اصر
على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا
وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا او غير ماكول وطعامه اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى
احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يؤكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي
ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل
صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام
كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة حال مختصة بيعقوب عم اي احل لكم
طعامه تمتيعا للمقيمين منكم ياكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر
مؤكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل مؤكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى
كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه
وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام
وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم
وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم
يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل

قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله لا يباح
ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى
غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء الى ذلك الغير جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة
مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله تعالى البيت الحرام عطف
بيان على جهة المدح دون التوضيح كما يجيء الصفة كذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس
نصب على الحال وهو يرد عطف ما بعده على المفعول الاول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى
الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب
لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه
اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام
اي الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول
يد الثاني محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد
ذوات القلائد وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج بها اظهر ذلك اشارة الى
الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل
ية عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية
والاخروية من اوضح الدلائل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء عن علمه المحيط وقوله تعالى وان الله
بكل شيء عليم تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما
وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله
شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد
لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى واقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على
الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا
مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون فيؤاخذكم بذلك نقيرا وقطميرا قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند
الله تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل
منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول شريح بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزلت في رجل سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل
الا الطيب وقال عطاء والحسن الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول
الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين
الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره
بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل
يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاعل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفعول
٨٧ ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرته والخطاب لكل احد من الذين امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم
والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال وقد مر اي لو لم تعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبتك
وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما في قولك احسن
الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اي كائنا على كل حال مفروض
وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق مع المعارض
فلأن يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو

محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلهما عليه وسيأتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله تعالى فاتقوا
الله يا اولي الالباب اي في تحري الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار
هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث
لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع على رأي الخليل
وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على
فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التأنيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شييء كهين
مخفف من هين والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتأنيث اذ
الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء فاجتمعت ياءان
اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء ووزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التأنيث وقيل
انما حذفت من اشيياء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الالف فوزنها
افعاء وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة
في هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها
الموجب للمحذور قطعا فقيل وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة
بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا
يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور
الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم
الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من
غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو
تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض امور مستورة تكرهون
بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ان الله كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن
مالك فقال أفي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني
ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه
ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة رضي الله عنهما انه سأل الناس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسألة فقام مغضبا خطيبا فحمد الله واثنى عليه
وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف
رأسه في ثوبه يبكي فقام رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال
يدعى الى غير ابيه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس الزهري وقام آخر فقال اين
ابي فقال في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا
نبيا نعوذ بالله من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه عليه السلام
عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في
نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفي عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى
وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اي عفا الله تعالى عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم
الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما
جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها
فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان
يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب

قبل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها
على تقدير وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء التي يسوؤهم
ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمسارعتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال
عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة
للمساءة بالاخبار بها كمسألة من قال اين ابي ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة
لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى
قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل
ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلم اعرض عنها بحيثية ايجابها للمساءة قلت لتحقيق المنهي عنه كما ستعرفه
مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها
للمسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن
تلك الاشياء الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن السؤال في مسألة
الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهي وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال
الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى
فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا
كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لان ما يتعلق به الابداء هو الذي وقع في نفس الامر
ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في مسألة عبد
الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابداء لا غير فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال للتخلف
فضلا عن التعين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة في
نفس الامر من قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا ما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع
عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وحاصل الكلام ان مدلول النظم الكريم بطريق
العبارة انما هو النهي عن السؤال عن الاشياء التي توجب ابداؤها المساءة البتة اما بان يكون تلك
الاشياء بعرضية الوقوع فتبدى عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها
من قبيل التكاليف الشاقة واما بان يكون واقعة في نفس الامر قبل السؤال فتبدى عنده بطريق
الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا وفيه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره
بناء على عدم امتيازها عما هو موجود او بعرضية الوجود ومن تلك الاشياء في نفس الامر وما ليس
كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الابهام الانتهاء عن
السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذرا من ابداء المكروه والله غفور حليم اعتراض تذييلي
مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم
يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم اي سألوا هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها
محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسألها
ثم اصبحوا بها اي بسببها او برجعها كافرين فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم فاذا
امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وابطال لما
ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي
شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري
او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا
اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت
ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت
من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى
جعل ما شرع ووضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد

الشيء فان الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعول واحد واخرى الى مفعولين كذلك الجعل التشريعي يجيء
مرة متعديا الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى
واحد كما في الاية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون
ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن لحي فانه اول من شرع هذه الاباطيل الباطلة وهذا شان
روسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم
فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل
واذا قيل لهم اي للذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد تعالوا الى ما انزل الله من
الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام
من الحلال قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي الى الحق
وانقيادهم للداعي الى الضلال اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال دخلت
عليها الهمزة للانكار والتعجيب اي احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية
اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او ايقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم
لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال
اي احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا
مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند
عدمه اولى كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اي
احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان
حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين
من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
حسبهم ذلك او يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى
نفس الامر وفايدته المبالغة في الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوا موجب للانكار والتعجب اذا كان كون
اباءهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مآل الوجهين
واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين
لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وتقدير التحقيق في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا
يعقلون شيئا ولا يهتدون قد مر يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اي الزموا امر انفسكم واصلاحها
وقرئ بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله تعالى لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما
مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء
المدغمة والاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضركم بكسر الضاد وضمها
من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستانف في موقع التعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ
لا يضيركم اي لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن ان فيه رخصة في ترك الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر حسبما يفي به الطاقة قال
عم من راى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد
روي ان الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها
غير موضعها ولا تدرون ما هي واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا
فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا الخ فيقول احدكم علي نفسي والله لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم
فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون خياركم فلا يستجاب لهم وعنه عم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم
قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه الا وحق على الله تعالى ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والاية

نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون
يرعوون عنه بالامر والنهي كان الرجل اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت اباك وضللتهم اي نسبتهم
الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان ضلال ابائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه
مرجعكم رجوعكم يوم القيامة جميعا بحيث لا يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم
تعملون في الدنيا من اعمال الهداية والضلال فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ
بعمل غيره يا ايها الذين امنوا استيناف مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحكام
المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله تعالى
شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما جرى
بينهم من الخصومات مبتدا وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اي شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم
المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله
حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية
من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدا
بتقدير المضاف اي شهادة بينكم شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف
اي فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ
شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو الفاعل في اثنان ايضا اي ليقم شهادة بينكم اثنان
ذوا عدل منكم اي من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما هو اصلح له وقيل
من المسلمين وهما صفتان لاثنان او اخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية
اي او شهادة اخرين او ان يشهد بينكم اخران او ليقم شهادة بينكم اخران وقوله تعالى من غيركم
صفة لاخران اي كائنان من غيركم اي من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام
لعزة وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل
منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا
راي جمهور البصريين وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدا بناء على جواز وقوع المبتدا بعد ان الشرطية
كما ان ونحوه بعد اذا وقوله تعالى ضربتم في الارض اي سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند
الاولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند الاخيرين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف
على الشرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان سافرتم فقاربكم الاجل وما معكم من الاقارب
او من اهل الاسلام من يتولى امر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد اخران او فاستشهدوا
اخرين او فالشاهدان اخران على الوجوه المذكورة وقوله تعالى تحبسونهما استيناف وقع جوابا
عما نشأ من اشتراط العدالة كانه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما اي تقفونهما
وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة وقيل هو صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فايدته
الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام واما اشهاد الاخرين فعند الضرورة المحوجة
اليه وانت خبير بانه يقتضي اختصاص الحبس والتحليف بالاخرين مع شموله للاولين ايضا قطعا على ان اعتبار
اتصافهما بذلك يأباه مقام الامر باشهادهما اذ مآله فاخران شانهما الحبس والتحليف وان اريد
التقريب باعتبار ورود الارتياب بهما بعضد الاعتراض الآتي والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها
عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل
الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حلف وقت العصر
من حلف كما سياتي وقيل بعد اي صلوة كانت لانها داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور
ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة
الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه

على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما
وحلفوهما بالله وقوله تعالى **لا نشتري به ثمنا** جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي
بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد الجواب السابق مسد
جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك والله ان اتيتني لاكرمنك ولا ريب في استحالة ذلك ههنا لان
القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته تعالى والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن اي اخذ
بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون
السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في المأخوذ
والاعراض عن الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله اي من حرمته عرضا من
الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا
بد من تقدير مضاف البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا نأخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان
نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد به
القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت ح ما هو المعتبر في الاستعارة من كون
الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف لحرمة اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب
في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا
كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له ههنا حتى يصح الشراء
منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق فجعل ترك
جل تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ باستعماله ماخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير
المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة تامل
وقوله تعالى **ولو كان** اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام **ذا قربى** اي قريبا منا تأكيد لتبريهم
من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كانهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه تعالى مالا ولو
انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت اهم من رعاية الاقرباء
لكنها ليست ضميمة للمال بل راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري به
ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ وقوله عز وجل
ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في
حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام
منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن **انا اذا لمن الآثمين** اي ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها **فان عثر** اي اطلع بعد التحليف **على انهما استحقا اثما** حسبما
اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الآثمين اي فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا
استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي **فآخران** اي رجلان آخران وهو
مبتدأ خبره **يقومان مقامهما** ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور بعده
اي يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها
كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما
لما في ايديهما **من الذين استحق** على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله عنهم اي من اهل
الميت الذين استحق **عليهم الاوليان** من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اي
باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانهما احق بها ويظهروا
بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ
على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته
فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من

او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة
وقرئ الاولين على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب
في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان **فيقسمان
بالله** عطف على يقومان **لشهادتنا** المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله اي ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها **احق** بالقبول
من شهادتهما اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا
منزهة عن الريب والريبة وصيغة التفضيل مع انه لا حقية في يمينهما رأسا انما هي لامكان قبولها
في الجملة باعتبار احتمال صدقهما في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما **وما اعتدينا** عطف على جواب
القسم اي ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال حقهما **انا اذا لمن الظالمين** استئناف
مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب
هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي
ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخرين من غيرهم
ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان
اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعيا تملكه من جهة الميت حلف الورثة
وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم بن اوس وعدي بن زيد
خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما
مهاجرا فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى
اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلاثمائة مثقال
منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا لا ندري انما
اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم
يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى عليه السلام سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة فقال من بيده
اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني سهم فطلبوه منهما فقالا كنا
اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكم هل باع صاحبنا شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان
نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص
والمطلب بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفي رواية
الى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على
البتات والا فهو منسوخ **ذلك** كلام مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى
الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله **ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها** اي اقرب الى
ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة فيها خوفا من العذاب
الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى **او يخافوا ان ترد ايمان
بعد ايمانهم** بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك
ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح
على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاي الخوفين
وقع حصل المقصود الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على يأتوا على معنى ان ذلك
اقرب الى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا
على موجب شهادتهم ان لم يأتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك
اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها
على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع

عن الشهادة الكاذبة يستلزم الإتيان بالصادقة قطعا فليس هناك أمران أيهما وقع كان فيه الصلاح
حتى يتوسط بينهما كلمة أو وإنما يتأتى ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة على أن إضافة الامتناع عن الشهادة
الكاذبة إلى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الإتيان بالصادقة إلى غيره مع أن ما يقتضي أحدهما يقتضي
الآخر لا محالة تحكم بحت فتأمل ﴿واتقوا الله﴾ في مخالفة أحكامه التي من جملتها هذا الحكم ﴿واسمعوا﴾ ما تؤمرون
به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن الطاعة أي فإن لم
تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين أي إلى طريق الجنة أو إلى ما فيه نفعهم
﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ نصب على أنه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فإن مدار البدلية
ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من المبدل منه إلى
البدل بوجه إجمالي فيما نحن فيه فإن كونه تعالى خالق الأشياء كافة ومالك يوم الدين خاصة كاف في
الباب مع أن الأمر بتقوى الله تعالى ينبئ درجة إلى الذهن أن المتقى أي شأن من شؤونه وأي فعل من أفعاله
وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال أي اتقوا عقاب الله يوم يجمع انتصابه منه بطريق الظرفية
وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه أي واحذروا أو واذكروا إلخ فإن تذكر ذلك اليوم
الهائل مما يضطرهم إلى تقوى الله عز وعلا وتلقي أمره بسمع الإجابة والطاعة وقيل هو ظرف لقوله لا يهدي
أي لا يهديهم يومئذ إلى طريق الجنة كما يهدي إليه المؤمنين وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف
مضاف أي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه
وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كأنه قيل يوم يجمع الله الرسل
فيقول إلخ يكون من الأحوال والأهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار
لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الأمم كيف لا
وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعو كل أناس بإمامهم بل لإبانة
شرفهم وأصالتهم والإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم أتباعا لهم ولإظهار
سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه
الإجلال وأولئك يسحبون على وجوههم بالأغلال ﴿فيقول﴾ لهم مشيرا إلى خروجهم عن عهدة الرسالة
كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب الأمم إعرابا واضحا ولا لصدر الخطاب بأن يقال
هل بلغتم رسالاتي وماذا في قوله عز وجل ﴿ماذا أجبتم﴾ عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على
المصدرية أي أي إجابة أجبتم من جهة أممكم إجابة قبول أو إجابة رد وقيل عبارة عن الجواب
فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه أي بأي جواب أجبتم وعلى التقديرين ففي توجيه السؤال
عما صدر عنهم وهم شهود إلى الرسل عليهم السلام كسؤال الموءودة بمحضر من الوائد والعدول عن إسناد الجواب
إليهم بأن يقال ماذا أجابوا من الإنباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى ﴿قالوا﴾
استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل
يقولون ﴿لا علم لنا﴾ وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب
الأعراف ونظائرهما وإنما يقولون ذلك تفويضا للأمر إلى علمه تعالى وإحاطته بما اعتراهم من جهتهم
من مقاساة الأهوال ومعاناة الهموم والأوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته ﴿إنك
أنت علام الغيوب﴾ تعليل لذلك أي تعلم ما أجابوا وأظهروا لنا وما لم نعلمه مما أضمروه في قلوبهم
وفيه إظهار للشكاة ورد للأمر إلى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء
إلى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما الحكم للخاتمة ويرده أنهم
يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم أمرهم وأنت خبير بأن مرادهم ح أن بعضهم كانوا في زمانهم على
الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدي أنهم يفزعون من أول الأمر ويذهلون عن الجواب
ثم يجيبون بعدما ثابت إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة
في تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء أو الاختصاص بالمدح على أن الكلام قد تم

قد تم عند قوله أنت أي إنك أنت المنعوت بنعوت الكمال المعروف بذلك ﴿إذ قال الله يا عيسى بن
مريم﴾ شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل
إثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الإجمال ليكون ذلك كالأنموذج لتفاصيل أحوال
الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال
هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما أن شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من أهل الكتاب
الذين نعيت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله أعظم عليهم وأجلب لحسرتهم وندامتهم وأفت في
أعضادهم وأدخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم وإذ بدل من يوم يجمع الله إلخ وصيغة الماضي لما
ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لما مر من المبالغة في التهويل
وكلمة على في قوله تعالى ﴿اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك﴾ متعلقة بنفس النعمة إن جعلت مصدرا
أي اذكر إنعامي عليكما أو بمحذوف هو حال منها إن جعلت اسما أي اذكر نعمتي كائنة عليكما وليس المراد
بأمره عليه السلام يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف
مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في أوانه أي خروج بل إظهار أمره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه
الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤوس الأشهاد ليكون حكاية ذلك على ما أنبأ عنه
النظم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام إفراطا وتفريطا وإبطالا لقولهما جميعا
﴿إذ أيدتك﴾ ظرف لنعمتي أي اذكر إنعامي عليكما وقت تأييدي لك أو حال منها أي اذكرها كائنة وقت
تأييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد أي قويتك ﴿بروح القدس﴾ بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة
أو بالكلام الذي يحيى به الدين وإضافته إلى القدس لأنه سبب الطهر عن أوضار الآثام أو يحيى به الموتى
أو النفوس حيوة أبدية وقيل الأرواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية
ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية
وأيا ما كان فهو نعمة عليهما ﴿تكلم الناس في المهد وكهلا﴾ استئناف مبين لتأييده عليه السلام أو حال من الكاف
وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان أن كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادر
عن كمال العقل مقارن لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على أنه عليه السلام سينزل من السماء لما أنه عليه السلام
رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما أرسله الله وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته
ثلاثين شهرا ثم رفعه الله تعالى إليه ﴿وإذ علمتك الكتاب﴾ عطف على قوله إذ أيدتك منصوب بما
نصبه أي اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب ﴿والحكمة﴾ أي جنسهما ﴿والتوراة والإنجيل﴾ خصا
بالذكر [illegible] الكتاب والحكمة إظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب
﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ أي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير ﴿بإذني﴾ بتسهيلي وتيسيري
لا على أن يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على أن يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرته الأسباب
مع كون الخالق حقيقة هو الله تعالى كما ينبئ عنه قوله ﴿فتنفخ فيها﴾ أي في الهيئة المصورة ﴿فتكون﴾ أي
تلك الهيئة ﴿طيرا بإذني﴾ فإن إذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه للطير بمحض تيسير مع صدور
الفعل حقيقة عما أسند إليه لكان [illegible] ﴿وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني﴾ عطف على تخلق ﴿وإذ
تخرج الموتى بإذني﴾ عطف على إذ تخلق [illegible] قيل أخرج سام بن نوح ورجلين
وامرأة وجارية [illegible] وتكرير قوله بإذني في المواضع الأربعة للاعتناء [illegible]
[illegible]
سورة آل عمران [illegible] ﴿وإذ كففت بني إسرائيل
عنك﴾ عطف على إذ تخرج أي منعت اليهود الذين أرادوا بك السوء عن التعرض لك ﴿إذ جئتهم بالبينات﴾
بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالإخبار بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو

ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال الذين كفروا منهم إن
هذا إلا سحر مبين فإن قولهم ذلك مما يدل على أنهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج إلى الكف أي كففتهم عنك
حين قالوا ذلك عند مجيئك إياهم بالبينات وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة
من بيانية وهذا إشارة إلى ما جاء به والتذكير لأن الإشارة إليه من حيث ذاته المسمى من حيث هو ومن حيث
هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ إن هذا إلا ساحر مبين فهذا إشارة إلى عيسى عليه السلام وإذ أوحيت
إلى الحواريين عطف على ما قبله من أخواته الواقعة ظروفا للنعمة التي أمر بذكرها وهي وإن كانت في الحقيقة
عين ما يفيده الجمل التي أضيف إليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق
المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الإحسان أمر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة
في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة إذ من تعدد النسبة فإنه
ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه إحداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الأخرى فيراد
إفادة وقوعها أيضا له فيضاف إلى الجملة المفيدة للنسبة الأولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد
تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر إحساني إليك إذ أحسنت إلى زيد تنبيه المخاطب على
وقوع إحسانك إليه وقت وقوع إحساني إليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار
كما في قولك اذكر إحساني إليك إذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها إحسانا إليه لا على
إحسان آخر واقع فيه ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ
جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا
إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم إلى غير ذلك من النظائر ومعنى إيحائه تعالى إليهم أمره إياهم في الإنجيل على
لسانه عليه السلام وقيل إلهامه تعالى إياهم كما في قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى وأن في قوله تعالى أن آمنوا بي
وبرسولي مفسرة لما في الإيحاء من معنى القول وقيل مصدرية وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية
الإيمان به عليه السلام كأنه قيل آمنوا بوحدانيتي في الألوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه
حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حين
أوحي إليهم ذلك فقيل قالوا آمنا أي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله صلى الله عليه وسلم
كما يؤذن به توقيتهم واشهد بأننا مسلمون أي مخلصون في إيماننا من أسلم وجهه لله وهذا القول منهم
بمقتضى وحيه تعالى وأمره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته
أيضا وروي أنه عليه السلام لما علم أنه سيؤمر بذكر هاتيك النعم العظام جعل يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر
شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات إذ قال الحواريون
كلام مستأنف لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الإظهار في موقع الإضمار
وإذ منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب لكن لا لأن الخطاب السابق لعيسى
فإنه ليس بخطاب وإنما هو حكاية خطاب بل لأن الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية تأمل
كأنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة
على عيسى اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا أريد به التنبيه على أن ادعاءهم الإيمان والإخلاص
لم يكن عن تحقيق وإيقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا
مائدة من السماء اختلف في أنهم هل كانوا مؤمنين أو لا فقيل كانوا مرتابين شاكين في قدرة الله تعالى
على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الإيمان والإخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم
للاطمئنان والتثبت لا لإزاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه
وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والإرادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك بمعنى
يجيبك واستطاع بمعنى أطاع كالاستجابة بمعنى أجاب وقرئ هل تستطيع ربك أي سؤال ربك والمعنى هل
تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير
في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليه ونظيره

قولهم شجرة مطعمة وقال أبو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قال استئناف مبني على
سؤال ناشئ مما قبله كأنه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله أي من أمثال
هذا السؤال إن كنتم مؤمنين أي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي أو إن صدقتم في ادعاء الإيمان والإسلام
فإن ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن أمثال هذه الاقتراحات وقيل أمرهم بالتقوى ليصير ذلك
ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وقوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق نريد أن نأكل
منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم إلى السؤال أي ليس مرادنا بالسؤال إزاحة شبهتنا في قدرته سبحانه
على تنزيلها أو في صحة نبوتك حتى تقدح ذلك في الإيمان والتقوى بل نريد أن نأكل منها أي أكل تبرك وقيل
أكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وإن كنا مؤمنين به من قبل فإن انضمام علم المشاهدة
إلى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين ونعلم أي علما يقينا لا يحوم حوله شائبة
شبهة أصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول أن قد صدقتنا أن هي المخففة من أن وضمير الشأن محذوف
أي ونعلم أنه قد صدقتنا في دعوى النبوة وأن الله يجيب دعوتنا وإن كنا عالمين بذلك من قبل ونكون
عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة
ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين إن
جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهدون عليه إن جعلت موصولة كأنه قيل على أي شيء تشهدون فقيل
عليها فإن ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول أو هو حال من اسم كان أو هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين
قال عيسى ابن مريم لما رأى أن لهم غرضا صحيحا في ذلك وأنهم لا يقلعون عنه أزمع على استدعائها واستنزالها
وأراد أن يلزمهم الحجة بكمالها روي أنه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض
بصره ثم قال اللهم ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الألوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة
بوصف الربوبية المنبئة عن التربية إظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء أنزل علينا تقديم
الظرف على قوله مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر وقوله تعالى من السماء
متعلق بأنزل أو بمحذوف هو صفة لمائدة أي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدا
في محل النصب صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها إما عيدا ولنا حال منه أو من ضمير تكون
عند من يجوز إعمالها في الحال وإما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لأنه وقع خبرا فيحمل ضميرا أو من ضمير
تكون عند من يجوز ذلك أي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وإنما أسند ذلك إلى المائدة لأن شرف
اليوم مستعار منها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم
على جواب الأمر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا أن قراءة الجزم هناك متواترة وههنا
من الشواذ لأولنا وآخرنا بدل من لنا بإعادة العامل أي عيدا لمتقدمينا ومتأخرينا روي أنها نزلت
يوم الأحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والأتباع وقيل يأكل منها أولنا وآخرنا
وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الأمة والطائفة وآية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو
صفة لآية أي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا أي المائدة أو الشكر عليها
وأنت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل أي خير من يرزق لأنه خالق الأرزاق ومعطيها بلا عوض
أتى عليه السلام في الدعاء بتكرير النداء المتكفل بإجابة ... والتصرف ...
من الأمور الداعية إلى الإجابة والقبول دلالة واضحة على أن سؤالهم كان لتحصيل
الطمأنينة كما في قول إبراهيم عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى حيث أضاف
إليه من عنده ... ويقربه إلى القبول قال الله استئناف كما سلف إني منزلها عليكم وروي وإجابة
منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء بصيغة الإفعال لإظهار كمال
اللطف والإحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب بعد قوله تعالى لئن أنجانا من
هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائل في تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما

يحقق الوعيد وأين أن بأنه تعالى منزلها لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني
منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اي بعد
تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة
عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقدير من المذكور
وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير له اي
لعذب به تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او من العالمين جميعا
قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال
مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه عم لما دعى بما
دعى واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون
اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عم وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها
مثلة وعقوبة ثم قام وتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية
بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا
خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس
قديد فقال شمعون راس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء
اخترعه الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله
لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت
فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع
عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير
الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عم ان اجعل مائدتي في الفقراء
والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات
والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عم وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت
الخنازير عيسى عم بكت وجعلت تطيف به عم وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون
برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عم
قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسالوا الله تعالى ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا
عمله لاطعمنا وسالوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات
حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وقال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء
والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة
فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما
رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على
بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم
يشربوا وكذلك كل ممسوخ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه
من المضمر المخاطب به النبي صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله
له في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عم على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل
وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين الاتخاذ
اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما او الى واحد فهو حال من المفعول وليس بأصل الكلام ان الفعل
متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى
أأنت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام للتعيين انه امرهم به او هم اتخذوه من تلقاء
انفسهم كما في قوله تعالى أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله متعلق
بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين اي كائنين من دونه

دونه تعالى وايا ما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من
دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان
ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم
لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى
الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تمحل فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة
فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجدي به واشتغل بما لا يعنيه كدأب
من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بطريق من التأويل واظهار
الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام
كأنه قيل فماذا يقول عم حينئذ فقيل يقول واتيا بصيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم للتسبيح
وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح
الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى
الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا
يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك ومن ان يقال في حقك ذلك واما تقدير من
ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي أن
أقول ما ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما
يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على
استمرار انتفاء الحقية وافادة التأكيد بما في خبره من الباء فان اسمه ضمير عائد الى ما وخبره بحق والجار في لي
فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى إن كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم
صدور القول المذكور عنه عم بالطريق البرهاني فان صدوره مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى
علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي
استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كأنه قيل لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى
ولا أعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في
نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها
العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى إنك أنت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين
منطوقا ومفهوما وقوله تعالى ما قلت لهم إلا ما أمرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج
فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه وآكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة
للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما
قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى أن اعبدوا
الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز
طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني وكنت
عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وانهاهم عن المخالفة او شاهدا لاحوالهم
من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقديره مدة دوامي فيهم مضاف اليه زمان ودمت صلتها
اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك
ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها كنت أنت الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تأكيد وقرئ الرقيب بالرفع على
انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت
عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسول وانزال الآيات وخذلت من
خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وأنت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه

تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عم فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة
ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
اى القوى القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذى لا يريد ولا يفعل الا ما
فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك
انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان
تعذبهم اى من كفر منهم وان تغفر لهم اى من آمن منهم قال الله كلام مستأنف ختم به حكاية ما حكى مما يقع يوم
يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته ومآله اى يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عم مشيرا
الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضى لما مر في نظائره مرارا وقوله
تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدأ خبره ما بعده اى هذا اليوم الذى حكى بعض ما يقع فيه
اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين صدقهم بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ
عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الامور الدينية التى معظمها التوحيد الذى نحن بصدده
والشرائع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك وبه يحصل
الشهادة بصدق عيسى عم ومن الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية
من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق في اى شئ كان ضرورة ان الجانى
المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه فصدقهم اى صدقهم فيما ذكر من امور الدين
في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع انه لا حاجة كما عرفت ولا دخل له
في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة هى التى اطبق عليها الجمهور وهى الاليق بسياق النظم
الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة الى قوله تعالى أانت قلت الخ واما
على انه خبر لهذا مبنى اشارة الى جواب عيسى عم اى هذا الجواب منه عم واقع يوم ينفع الخ او الى السؤال
والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بنى على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن وقرئ يوم بالرفع
والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى الآية لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استئناف
مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى رضى الله
عنهم استئناف آخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم ما ذكر من الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذى
لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوا عنه اذ لا شئ اعز منه حتى يمتد اليه اعناق الهمم ذلك اشارة
الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل الفوز العظيم لما ان عظم شأن الفوز تابع لعظم شأن المطلوب
الذى تعلق به الفوز وقد عرفت انه لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والارض
وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اى لله تعالى خاصة
ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا
ونهيا من غير ان يكون لشئ من الاشياء مدخل في ذلك وفى ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها
للكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوى الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية
وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية والاهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم
وهو على كل شئ من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة
اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية مائة وخمس وستون آية غير ست آيات او ثلث من قوله قل تعالوا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذى عليه يدور كافة ما يوجد من صفات
الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء
اختصاص الحقيقة به سبحانه لانحصار جميع افرادها فيه بالطريق البرهانى ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن
تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظائم الآثار وجلائل الافعال من قوله تعالى

تعالى الذى خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام
والآثار الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الآثار العلوية والسفلية وعامة الآلاء
الجلية والخفية التى اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها
من فنون النعم الانفسية والآفاقية المنوطة بهما مصالح العباد في المعاش والمعاد اى انشأهما على ما هما
عليه من النمط الفائق والطراز اللائق منطويتين من انواع البدائع واصناف الروائع على ما يحار فيه العقول
والافكار من تعاجيب العبر والآثار تبصرة وذكرى لاولى الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها
واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هى وجعل
الظلمات والنور عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشأيهما ومحلهما داخل معه في
حكم الاشعار بعلة الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب
لاختصاص الحمد بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه
بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير
والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة وللتشريعى ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية
واياما كان ففيه انباء عن ملابسته بمفعوله بشئ آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة
لان يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه
كما في قوله عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله وجعل فيها رواسى وقوله واجعل لنا من لدنك وليا
الآية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت
عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا
الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة
وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى انى جاعل في الارض خليفة حيث قيل ان
الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هنالك الى ان الذى يقتضيه الذوق السليم ويقتضيه جزالة النظم
الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول فان المفعول الثانى هو خليفة والاول محذوف
على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل في
تقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله
تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من موجبات اختصاصه
تعالى بالحمد المستدعى لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه
الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى
مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به
الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اى يسوون
به غيره في العبادة التى هى اقصى غايات الشكر الذى رأسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف
بشئ من مبادى الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية
ببطلانه [illegible] والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم [illegible]
عن ان يجعل كفرهم بربهم [illegible]
اليهم من الاشراك وايثار لفظ الرب لزيادة التشنيع والتقبيح والباء متعلقة بيعدلون [illegible]
والتقديم للاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل
وترك المفعول لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم [illegible]
والاستنكار لا الخصوصية المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأن الجليل واما جعل الباء
صلة للكفر على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين
كفروا به يعدلون [illegible]
واعظم جناية [illegible]

الافادة واخراج اعظمها مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي
هذا وقد قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به
سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا
به بل على انه داخل تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كأنه قيل الحمد لله الذي كان منه تلك النعم
العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده تعالى
حقه ان يكون له دخل في ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه وادعاء ان له دخلا فيه
لدلالته على كمال الجود كأنه قيل الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسف لا يناسب
النظام وتكلف يأباه المقام كيف لا ومساق النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم
ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا بيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم في حقه
تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف بثم روادف المعطوف عليه
لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو
الذي سيق له الكلام فتأمل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استئناف مسوق لبيان
بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات
توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض من
اوضحها واظهرها كما ورد في قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان
محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن الحجة النيرة
اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ آدم الذي
هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى آدم عم وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي
خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عم في ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج
القياس وللمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان
كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عم منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت
انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عم
من الطين خلقا لكل احد من فروعه منه ولما كان خلقه عم على هذا النمط الساري الى جميع ذريته
ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة
الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها فعل ما فعل
ولله در شأن التنزيل وعلى هذا النمط ورد قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الخ وقوله تعالى وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتي وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف وقيل معنى خلقهم منه خلقهم
من النطفة الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض واياما كان ففيه من وضوح الدلالة على كمال قدرته
تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحيوة قط كان على احياء ما قارنها مدة اظهر
قدرة ثم قضى اي كتب الموت على واحد منكم اجلا خاصا به اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله
لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير آجالهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة واجل
مسمى اي حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن ولوقوعه
في موقع التفصيل كما في قول من قال • اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول •
وتنوينه لتفخيم شأنه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده مع ان الشائع
المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كأنه قيل واي اجل مسمى مثبت معين
في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا
بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية
لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية في الاجل الاول هو
كونه آخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة عن آخر المدة لا عن اولها

اولها وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل
كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى
قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى بعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم
زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك
قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير الاجل حينئذ عدم تغير آخره
والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله
المبني على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شيء من
الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه
فيما روي تأخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم في
البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع
مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة
وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها اصلا
كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مرة ومن ههنا تبين
ان ما قيل من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثاني اجل
الباقين او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه مما لا وجه له اصلا
لما رأيت من ان مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي عبر عن وقته بالاجل المسمى وتخصيص
اريد به احد ما ذكر من الامور الثلاثة ففي اي شيء يمترون ووصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه
الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم أئذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد
والاستنكار وقوله تعالى وهو الله جملة من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول
احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء اثر
الاشارة الى تحقق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير آجالهم وقوله تعالى في السموات
وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما
للمعبود بالحق كأنه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ
معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على
الحكم البالغة تعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كأنه قيل وهو المالك او المتصرف المدبر فيهما كما
في قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم
الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني
المذكورة في ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد في قوله اسد علي الخ ما اشتهر به من وصف الجراءة التي
اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جريء علي وبهذا اتضح ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو
المعروف بذلك في السموات وفي الارض او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف بالالهية
فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي اشتهر به او هو الذي
يقتضيه المقام حسبما بين آنفا لا اشتهاره به الا يرى ان كلمة علي في المثال المذكور لا يمكن
تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصري من التوحد والتفرد
كأنه قيل وهو المتوحد بالالوهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى
خاصة كأنه قيل وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم على الوجه الذي سبق
من اعتبار معنى التوحد والقول في مجرى الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل على معنى
المتوحد بالالوهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه
فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصورة

والاشباح بكونه حاضرا بمنزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه
تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى
عليه منه شيء فمعنى هذا يكون قوله عز وجل **يعلم سركم وجهركم** اي ما اسررتموه وما جهرتم به من
الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا
للمعنى المراد منه وتعليق علمه تعالى بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما فيهما حسبما يفيده الجملة السابقة
لان سياق النظم الكريم لبيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثاني فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث
المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا
بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الاوجه الثلاثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لما قيل من ان دلالة
لاستواء السر والجهر في علمه على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص
بالاسم الجليل ولا ريب في انهما مما لا يتصور ممن ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر
في مدلول شيء من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا تبين ان التلبس ببيان
على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحيد بالالوهية لا يعتبر في مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بيانا
له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف في البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون
الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق
الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم اذا كان هو فيه
وانت خارجه ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما لتوسيع الدائرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي
مكان كان لا لانهما قد يكونان في السموات ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى **ويعلم ما
تكسبون** اي ما تفعلونه لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية
وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق على التفسير الثاني للسر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها
لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر في اعادة يعلم **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم** كلام مستأنف
وارد لبيان كفرهم بآيات الله واعراضهم عنها بالكلية بعدما بين في الآية الاولى اشراكهم بالله سبحانه
واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته
والالتفات للاشعار بان ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم
لغيرهم ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على الاستمرار
التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة
الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها
الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات
الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات واحاطة
علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان بها **الا كانوا عنها معرضين** اي على
وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب
المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من
جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى
الايمان بمكونها وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة
بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله
المخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما واياما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم الى
الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله تعالى **فقد كذبوا بالحق لما جاءهم**
فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل آية آية منه عبر عنه بذلك ابانة
لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها

فيها لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول هو عين الثاني
حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤ ظلما
وزورا بعد قوله تعالى وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤه اي
فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء
ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامرهم كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض
المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك
بكونه بلا تأمل تأكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر ذي اثير له عواقب جليلة ستبدو
لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا
من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه
كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كما ينبئ عنه قوله تعالى **فسوف يأتيهم
انباء ما كانوا به يستهزئون** فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره باتيانه وتعليلا للحكم
بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها آيات الوعيد وفي
لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات
الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الآيات الآتية وسوف لتأكيد مضمون الجملة وتقريره
اي سيأتيهم البتة وان تأخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان يتدبروا في
عواقبه وانما قيل يستهزئون ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد
بالآيات الآيات القرآنية وهو الاظهر واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة
جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كأنه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب
فقد فعلوا بما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل
الآيات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا معرضين عن الآيات
كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله **الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن**
استئناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سبق بها الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد
والهمزة للانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم استفهامية كانت او خبرية
معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية
على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميزها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك
لاقترانهم برهة من الدهر كما في قوله عليه السلام خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل
هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدرية او
الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا
اي الم يعرفوا بمعاينة الآثار وسماع الاخبار كم امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم
او من قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله
تعالى **مكناهم في الارض** استئناف لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ
من صدر الكلام كأنه قيل كيف كان ذلك فقيل مكناهم الخ وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة
مفتقرة الى مخصص فاذا وليها ما يصلح مخصصا له تعين وصفيته لها وانت خبير بان تنوينها التفخيمي
مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف
عليه من الجمل الاربع امرا معهودا مفروغا عنه غير مقصود بسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف
لا والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم
وانه بين الفساد وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمها جعلها مقرا له ورد الاستعمال
بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى
مكن له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض حتى اجري كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله

تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله تعالى مكناهم في الارض كانه قيل في الاول مكنا لهم وفي الثاني ما لم
نمكن لكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها النصب على المصدرية اي
مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال من مزيد بيان لشان الفريقين ولدفع الاشتباه
من اول الامر عن مرجعي الضميرين وارسلنا السماء اي المطر او السحاب او المظلة لان مبدأ المطر منها عليهم
متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا حال من السماء وجعلنا الانهار اي صيرناها فقوله تعالى تجري من
تحتهم مفعول ثان لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة
على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم
وليس المراد بتعداد تلك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جنايتهم في كفرانها واستحقاقهم
بذلك لاعظم العقوبات بل بيان انجازهم بجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره و
العاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار
والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل
مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب ما يخصهم من
الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به
الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه وانشأنا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاك كل قرن قرنا
آخرين بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة
لم ينقص من ملكه شيئا بل كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة سيقت
بطريق تلوين الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان
اعراضهم عن آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب وتسبيبا لتنزيل ههنا البتة
مع تنبيهنا بتبيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق الا بهم للاشعار بعدم جريهم في نبوته عم في ضمن قدحهم فيما نزل
عليهم صريحا وقال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون
انه من عند الله تعالى وانك رسوله كتابا ان جعل اسما كالامام فقوله تعالى في قرطاس متعلق بمحذوف
وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه اي
الكتاب وقيل القرطاس وقوله بايديهم مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع
احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعدما رأوه باعينهم بحيث
لم يبق لهم في شانه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع
الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار
مفهومه اللغوي ايضا ان هذا اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب الا سحر مبين اي بين كونه سحرا
تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو دأب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك
شروع في قدحهم في نبوته عم صريحا بعدما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو
وليس بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل
هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل
اي هلا انزل عليه ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره
قولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله
معهم نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين
لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعي
عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ولو انزلنا ملكا لقضي الامر اي لو
انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر لا تطيق بمشاهدته قوى الآحاد البشرية
الا يرى ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم على الصور البشرية كضيف

كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شانهم كذلك وهم مؤيدون بالقوى
القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله
نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من
ارسال الرسل وتاسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه كما ترى ايذان
بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل
الاول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول لتهويل الامر وتربية
المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى ثم لا ينظرون اي لا يمهلون
بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء
الامر وعدم الانظار فان مفاجأة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا
عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها ثم لم يؤمنوا
لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا رأوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم
والى الثاني بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول للنذير المدعوم منه
بحوى الكلام بمعونة المقام وانما لم يجعل للملك المذكور رعاية بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه
نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض و
التقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل حقه ان يكون
مفعوله الاول مبتدأ والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في
ان مصب الفائدة ومدار اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعيته
اريد بها بيان انتفاء الجعل الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام
في الاول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك ابانة لكمال التنافي بينهما
الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لانه المرجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه
ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار رجلا
على بشرا ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى
وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما في
المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب
وقرئ الفعلان بالتشديد بدليل ما يلبسون اي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حيث
يقولون اذا انت الا بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او بمعجزات اخر غير
ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولو اظهر لهم صورته الاصلية لزم الامر الاول
والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه في صحبته
بطريق المشاكلة كما ذكر فيه وتاكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشاننا
من لبس الامر عليهم وقيل المعنى ولو جعلناه ملكا لالتبس عليهم ما يلبسون على انفسهم الساعة في
كفرهم بآيات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما
يلقاه من قومه وتصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق لمزيد التاكيد والاعتناء بها وما لا يخفى من رسل
التفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اي والله لقد استهزئ برسل اولي
شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
فحاق عقيبه اي احاط او نزل او حل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل
الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اي استهزؤوا
بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به
يستهزئون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة للتهويل والضمير في به عائد اليها
كانوا يستهزئون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية اي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور

على الفصل لرعاية الفواصل قل سيروا في الأرض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد انجز ذلك يوم بدر أي انجاز اي سيروا في الارض لتعرف احوال اولئك الامم ثم انظروا اي تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما لان النظر في آثار الهالكين لا يتسنى الا بعد انتهاء السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما ينبئ عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية واما ان الامر الاول لاباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اي تفكروا في انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الامر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار في ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات والارض من العقلاء وغيرهم اي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الانفسية والآفاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان رحمتي سبقت غضبي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعن عمر رضي الله عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتداه الله تعالى من خلقه فقال كعب رضي الله عنه كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هو بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيمة لا ريب فيه اي في اليوم او في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اي بتضييع رأس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين الخ او هم الذين الخ او هو مبتدأ والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل

داخل تحت الامر وله اي لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار من السكنى بمنزلة المكان نعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع البالغ في سماع كل مسموع العليم البالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب أغير الله اتخذ وليا اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى أغير الله ابغي ربا وقوله تعالى أفغير الله تأمروني اعبد الخ فاطر السموات والارض اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه او لانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى اي على ان الضمير لغير الله تعالى والمعنى أشرك بمن هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثاني بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ غيره تعالى وليا مما يقضي ببطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله تعالى مخلصا له لان النبي صلى الله عليه وسلم امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين وقوله سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اي وقيل لي لا تكونن من المشركين اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك ويجوز عطفه على الامر قل اني اخاف ان عصيت ربي اي بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عن المعاصي على الاطلاق وفي قوله تعالى عذاب يوم عظيم اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف دل عليه الجملة وفيه قطع لاطماعهم وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستأنفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير له هو عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله الفوز المبين اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية واللام والالف للقصر على ذلك وان يمسسك الله بضر اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اي فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسه ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وجعل تاكيدا لما قبله ... روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام قلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه وان جهدوا ان يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر

وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو
الحكيم في كل ما يفعله ويأمر به الخبير بأحوال عباده وخفايا أمورهم واللام في المواضع الثلاثة للقصر قل
أي شيء أكبر شهادة روي أن قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سألنا عنك اليهود
والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله فنزلت فأي مبتدأ وأكبر
خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى قل الله أمر له عليه السلام بأن يتولى الجواب بنفسه إما للايذان بتعينه
وعدم قدرتهم على أن يجيبوا بغيره أو لأنهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد منهم في أنه أكبر من كل شيء بل في
كونه شهيدا في هذا الشأن وقوله تعالى شهيد خبر مبتدأ محذوف أي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز أن يكون
الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لأنه إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان أكبر شيء شهادة له عليه السلام
وتكرير البين لتحقيق المقابلة وأوحي إلي أي من جهته تعالى هذا القرآن الشاهد بصحة رسالتي لأنذركم به
بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما أن الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين
أي لأنذركم به يا أهل مكة وسائر من بلغه من الأسود والأحمر أو من الثقلين أو لأنذركم به أيها الموجودون
ومن سيوجد إلى يوم القيامة وهو دليل على أن أحكام القرآن تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد
إلى يوم القيامة خلا أن ذلك بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين
وفي غير المكلفين يومئذ كما مر في أول سورة النساء أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى تقرير
لهم مع انكار واستبعاد قل لا أشهد بذلك وإن شهدتم به فإنه باطل صرف قل تكرير الأمر للتأكيد إنما هو
إله واحد أي بل إنما أشهد أنه تعالى لا إله إلا هو وإنني بريء مما تشركون من الأصنام أو من إشراككم
الذين آتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم لقد سألنا عنك اليهود والنصارى أخر عن تعيين
الشهيد مسارعة إلى إلزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فأرنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود
والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وإيرادهم بعنوان إيتاء الكتاب للايذان بمدار ما
أسند إليهم بقوله تعالى يعرفونه أي يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته ونعوته
المذكورة فيهما كما يعرفون أبناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك أصلا روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قدم المدينة قال عمر لعبد الله بن سلام رضي الله عنهما أنزل الله تعالى على نبيه هذه الآية فكيف هذه
المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رأيته كما أعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد مني بابني لأني لا أدري
ما صنع النساء وأشهد أنه حق من الله تعالى الذين خسروا أنفسهم من أهل الكتابين والمشركين بأن ضيعوا
فطرة الله التي فطر الناس عليها وأعرضوا عن البينات الموجبة للإيمان بالكلية فهم لا يؤمنون لما أنهم
مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لتشبه الموصول بالشرط
وقيل على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين خسروا الخ وقيل على أنه نعت للموصول الأول وقيل النصب على
الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الأخيرة عطف على جملة الذين آتيناهم الكتاب الخ ومن أظلم
ممن افترى على الله كذبا بوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف أوصافه عليه السلام فإنه افتراء على الله سبحانه
وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو إنكار واستبعاد لأن يكون
أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساويا له وإن كان سبك التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف
الفاشي والاستعمال المطرد فإنه إذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل من فلان فالمراد به حتما أنه أكرم من كل كريم
وأفضل من كل فاضل ألا يرى إلى قوله تعالى لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون بعد قوله تعالى ومن
أظلم ممن افترى على الله كذبا إلى آخره والسر في ذلك أن النسبة بين الشيئين إنما تتصور غالبا لا سيما
في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فإذا لم يكن أحدهما أزيد يتحقق النقصان لا محالة أو كذب بآياته
كأن كذبوا بالقرآن الذي من جملته الآية الناطقة بأنهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون أبناءهم وبالمعجزات وسموها
سحرا وحرفوا التوراة وغيروا نعوته عليه السلام فإن ذلك تكذيب بآياته تعالى وكلمة أو للايذان بأن كلا من
الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فأثبتوا ما نفاه الله تعالى
ونفوا ما أثبته تعالى قاتلهم الله أنى يؤفكون إنه الضمير للشأن ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية

عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن
فإن الضمير لا يفهم منه من أول الأمر إلا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده
له فضل تمكن فكأنه قيل إن الشأن الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون أي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون
بمطلوب وإذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بالغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب
على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف إيذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وإيماء إلى عدم استطاعة السامعين
لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كأنه قيل ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول
لهم ما نقول كان من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضي للدلالة على التحقق
وبحذفه يتوقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم أي واذكر لهم
للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل ليتقوا أو ليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير للكل وجميعا حال
منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما للذين أشركوا أي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على
رؤوس الأشهاد أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله سبحانه وإضافتها إليهم لما أن شركتها
ليست إلا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى الذين كنتم تزعمون أي تزعمونها شركاء فحذف
المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا
وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص إنما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من
التبري من الجانبين وتقطع ما بينهم من الأسباب والعلائق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك
من الآيات الكريمة إما بعدم حضورها حينئذ في الحقيقة بإبعادها من ذلك الموقف وإما بتنزيل عدم
حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها في الحقيقة إذ ليس السؤال عنها من حيث
ذواتها وإنما هو من حيث إنها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في أن عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من
حيث هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وإن كانت حاضرة من حيث ذواتها أصناما كانت
أو غيرها وأما ما يقال من أنه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها
الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال
رجائهم عنها بعد وقد عرفت أنهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة أطماعهم عنها بالكلية على أنها
معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وإنما الذي يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين
القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتأنيث الفعل ورفع فتنتهم على أنه اسمه والخبر
إلا أن قالوا وقرئ بنصب فتنتهم على أنها الخبر والاسم إلا أن قالوا والتأنيث للخبر كما في قولهم من كانت
أمك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها أنسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما ذكر
عاملا في يوم نحشرهم كما أشير إليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من أعم الأشياء وفتنتهم إما كفرهم
مرادا به عاقبته أي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة أعمارهم وافتخروا به شيئا من الأشياء
إلا جحوده والتبري منه بأن يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين وإما جوابهم عبر عنه بالفتنة لأنه
كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم مبالغة في التبري من الإشراك وقرئ ربنا على النداء وهو لاظهار
الضراعة والاجتهاد في تمشية عذرهم وقبول المعذرة وإنما يقولون ذلك مع علمهم بأنه بمعزل من النفع
رأسا من فرط الحيرة والدهشة وحمله على معنى ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا في الدنيا أنا على
خطأ في معتقدنا مما لا ينبغي أن يتوهم أصلا فإنه مما يوهم أن لهم عذرا ما وأن لهم قدرة على الاعتذار
في الجملة وذلك محال بحال هول اليوم قطعا على أنه تأباه قضيا ببطلانه قوله تعالى انظر كيف كذبوا
على أنفسهم فإنه تعجيب من كذبهم الصريح بإنكار صدور الإشراك عنهم في الدنيا أي انظر كيف كذبوا
على أنفسهم في قولهم ذلك فإنه أمر عجيب في الغاية وأما حمله على كذبهم في الدنيا فتمحل يجب تنزيه
ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب
وما مصدرية أو موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلظة على
أنفسهم بإنكار صدوره عنهم وكيف ضل عنهم أي زال وذهب افتراؤهم أو ما كانوا يفترونه من الإشراك

حتى تفوا صدود عنهم بالكلية وتبرؤا منه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع أنه
في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كأنها نفس المفترى
وقيل الجملة كلام مستأنف غير داخل في حيز التعجيب **ومنهم من يستمع اليك** كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر
في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا
لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله
تعالى ومنا دون ذلك اى وجمع منا الخ ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبر والمعنى وبعضهم
او وبعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة
او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ روي
انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول
الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني
لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت **وجعلنا على قلوبهم اكنة** من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة
به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها
وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الاية والاكنة جمع كنان وهو ما يستر
به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستأنفة للاخبار بمضمونها من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار
قد عند من يوجبه قبل الماضي الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة
لا يقادر قدرها خارجة عما يتعارفه الناس **ان يفقهوه** اي كراهة ان يفقهوه ما يستمعونه من القرآن
المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما يدل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه **وفي
آذانهم وقرا** صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل
معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج
اسماعهم له وقد مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا
اليه وفي آذاننا وقر الاية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم
جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير
الاولين وقس عليه ما يخلون به في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ذلك
قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك **وان يروا كل آية**
من الآيات القرآنية اي يشاهدوها بسماعها **لا يؤمنوا بها** على عموم النفي لا على نفي العموم اي كفروا
بكل واحدة منها لعدم احتمالهم اياها كما هي لما مر من حالهم **حتى اذا جاؤوك يجادلونك** هي حتى
التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤوك **يقول الذين كفروا** وما بينهما حال من فاعل
جاؤوك وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي بلغوا من التكذيب
والمكابرة الى انهم اذا جاؤوك مجادلين لا يكتفون بمجرد عدم الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة
بل يقولون **ان هذا** اي ما هذا **الا اساطير الاولين** فان جعل احسن الحديث واصدقه الذي لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها
ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى
يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع اسطار وهو جمع سطر
بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط **وهم ينهون عنه** الضمير المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن
اي لا يقتنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا
على حقيقته فيؤمنوا به **وينأون عنه** اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه
وتأكيدا للنهي عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تأخير
النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار

باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا
يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينا ٭ فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ٭ وابشر بذاك وقر منه عيونا ٭
ودعوتني وزعمت انك ناصح ٭ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ٭ وعرضت دينا لا محالة انه ٭
من خير اديان البرية دينا ٭ لولا الملامة او حذار مسبة ٭ لوجدتني سمحا بذاك مبينا ٭
فنزلت **وان يهلكون** اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي **الا انفسهم** بتعريضها لاشد العذاب
وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى **وما يشعرون** حال من
ضمير يهلكون اي يقتصرون على الاهلاك على انفسهم والحال انهم لا يشعرون لا باهلاكهم انفسهم ولا
باقتصار ذلك عليهم بل يزعمون انهم يضرون بذلك شيئا من القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وانما
عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفي عن غيرهم مطلق الضرر اذ غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح
في القرآن الكريم المبالغة في نقض احكامه وظهور امر الدين للابدان بان ما يحيق بهم هو الهلاك
لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي وقصره على انفسهم
مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم **ولو ترى
اذ وقفوا على النار** شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر
عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذبا في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة
الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة بل كل من يتأتى منه الرؤية
يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله
وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اي ولو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها
لرأيت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وحين يطلعون عليها اطلاعا
وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته
وقرئ على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا **فقالوا يا ليتنا نرد** اي الى الدنيا تمنيا للرجوع
والخلاص وهيهات ولات حين مناص **ولا نكذب بآيات ربنا** اي بآياته الناطقة باحوال النار
واهوالها الآمرة بالاتقاء عنها اذ هي التي تخطر حينئذ بالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع آياته
المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا **ونكون من المؤمنين** بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا
الموقف الهائل او نكون من زمرة المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصبهما
على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه
وابن ابي اسحق فلا نكذب [illegible]
[illegible] كقولهم دعني ولا اعود اي وانا لا اعود
تركتني او لم تتركني [illegible]
[illegible] التكذيب [illegible] لما تضمن من العدة بالايمان وعدم التكذيب [illegible]
[illegible] على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد [illegible]
لا محالة [illegible] **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل** اضراب عن
ما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات والايمان بها [illegible]
عن رغبة في الايمان [illegible]
في الدنيا من الداهية الدهياء [illegible] وظنوا انهم مواقعوها [illegible]
[illegible] الكلام [illegible] والتعجب من فظاعة حال الموقف [illegible]

عليها وباخفائهم تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به واخفاء له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من البدو وهذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدونه في بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم وما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذي اخفوه من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فبمعزل من الاعتناء عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل الى شيء من ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى ان اعتراءهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها اوهى الدواهي وازجر الزواجر واسنادها الى شيء من الامور المذكورة التي ذكرها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتامل **ولو ردوا** اي من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما تمنوا وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال **لعادوا لما نهوا عنه** من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتضاء انظارهم على الشاهد دون الغائب **وانهم لكاذبون** اي لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون **وقالوا** عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افادته الشرطية من كذبهم المخصوص ولدفع ما عسى يتوهم من ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا **ان هي** اي الحيوة **الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** بعد ما فارقنا هذه الحيوة كما ادعاه وما رأوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور **ولو ترى اذ وقفوا على ربهم** الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف هنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى **قال** استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال **اليس هذا** مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من الامور العظام **بالحق** تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل **قالوا** استيناف كما سبق **بلى وربنا** اكدوا اعترافهم باليمين اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه **قال** استيناف كما مر **فذوقوا العذاب** الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله تعالى **بما كنتم تكفرون** اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعدما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله **حتى اذا جاءتهم الساعة** غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له **بغتة** البعث والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغتهم بغتا وبغتة اي فجأة وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي باغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على

على انه مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة **قالوا** جواب اذا **يا حسرتنا** تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال عليه السلام من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته **على ما فرطنا فيها** اي على تفريطنا في شان الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل اصله التقدم من الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى **وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم** حال من فاعل قالوا فائدته الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله تعالى منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى بما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المالوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات **الا ساء ما يزرون** تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه وزرهم **وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو** لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حيوة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار اي وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل الكسب تلك الاعمال الا لعب ولهو يشغل الناس ويلهيهم عما يعقب منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقب منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح **وللدار الاخرة** التي هي محل الحيوة الاخرى **خير للذين يتقون** الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام **افلا يعقلون** ذلك حتى يتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون **قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون** استيناف مسوق لتسلية رسول الله عن الحزن الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عز وجل وان ما يفعلونه في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما في مثل قوله

وان تمس مهجور الفناء فربما ... اقام به بعد الوفود وفود

جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله قد اترك القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسد مفعوليه واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكى عنهم من قولهم ان هذا

الاساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ يحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى **فانهم لا يكذبونك** تعليل لما يشعر به الكلام من النهي عن الاعتداد بها قالوا لكن لا بطريق التسلي عنه وعدم هينا والاقبال التام على ما هو اهم من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كانه قيل فانه مع كونه بمعزل عن التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه عم السلام لخاصة نفسه بل بطريق التسلي بما يفيده من بلوغه عم في جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله تعالى الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عم تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عم واثبت لاياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه عم في شان الله تعالى ثم فيه استعظام لجنايتهم مبني على عظم عقوبتهم كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في الحقيقة **ولكن الظالمين بايات الله يجحدون** اي ولكنهم باياته تع يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الظلم الذي جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى وايراد الجحود في موارد التكذيب للايذان بان اياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفي ما في القلب اثباته واثبات ما في القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هو لتضمين الجحود معنى التكذيب واياما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روي من ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله كما روي ان ابا جهل كان يقول لرسول الله عم ما نكذبك وانت عندنا الصادق ولكنا نكذب ما جئتنا به فنزلت وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل هما بمعنى واحد كاكثر وكثر وانزل ونزل وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل اذا نسبت الكذب اليه واكذبته اذا نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى **ولقد كذبت رسل من قبلك** افتنان في تسليته عم فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين وارشاد له عم الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له عم بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو شان خطير وذوو عدد كثير او كذبت رسل كائنون من زمان قبل زمانك **فصبروا على ما كذبوا** ما مصدرية وقوله تعالى **واوذوا** عطف على كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما كان فيه تاكيد للتسلية وقيل عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى **حتى اتاهم نصرنا** غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى **ولا مبدل لكلمات الله** اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة رسول الله ايضا لا نفس الايات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد

يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة في رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تع جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عم دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى **ولقد جاءك من نبا المرسلين** جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار مضمونه اي بعض نبا المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبا المرسلين كما مر في تفسير قوله تع ومن الناس من يقول امنا بالله الاية واياما كان فالمراد بنبائهم عليهم السلام على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا الاية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاءك العائد الى ما يفهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبا المرسلين **وان كان كبر عليك اعراضهم** كلام مستانف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القران الكريم حسبما يفصح عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله ان ياتيهم باية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه كان عم شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سالوه اية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب على انها خبرها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله تعالى **فان استطعت** الخ شرطية اخرى محلها وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سالوه اقتراحا فان استطعت **ان تبتغي نفقا في الارض** اي سربا ومنفذا تنفذ فيه الى جوفها **او سلما في السماء** اي مصعدا تصعد به اليها **فتاتيهم** منهما **باية** مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفاء في فتاتيهم حينئذ تفسيرية وتنوين اية للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك اية لهم فافعل والظرفان متعلقان بتبتغي او بمحذوف هو نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد التاكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عم على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر على ان ياتي باية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** اي لو شاء تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان ياتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى **فلا تكونن من الجاهلين** نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الايات طمعا في ايمانهم مرتبا على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى نزول مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق

شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بإيمانهم إما اختيارا فلعدم توجههم إليه
وأما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز أن يراد بالجاهلين على الوجه
الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عم من المساعدة على اقتراحهم وإيرادهم بعنوان الجهل دون الكفر
ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عم وبينهم إنما يستجيب الذين يسمعون تقرير
لما مر من أن على قلوبهم أكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك
من قبيل الموتى لا يتصور منهم الإيمان البتة والاستجابة الإجابة المقارنة للقبول أي إنما يقبل دعوتك
إلى الإيمان الذين يسمعون ما يلقى إليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى
إنك لا تسمع الموتى وقوله والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للإيمان
باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم إقلاعهم عنه
أصلا على أن الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم أي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من
قبورهم ثم إليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون وأما قبل ذلك فلا سبيل إليه وقرئ يرجعون على البناء
للفاعل من رجع رجوعا والمشهور أوفى بحق المقام لإنبائه عن كون مرجعهم إليه بطريق الاضطرار
وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية لبعض آخر من أباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق
القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل وأصحابه
ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان إلى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال
حتى اجترؤوا على ادعاء أنها ليست من قبيل الآيات وإنما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة أو المعقبة للعذاب
كما قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية والتنزيل بمعنى الإنزال كما
ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي وكما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عم من الاستعلاء العلية
إنما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم وإطلاق الآية في قوله تعالى قل إن الله قادر على أن ينزل
آية مع أن المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم
ويجوز أن يراد بها آية موجبة لهلاكهم كإنزال ملائكة العذاب ونحوه على أن تنوينها للتفخيم والتهويل كأنه
إظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الإشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان
قدرته تعالى على تنزيلها مع أنها ليست في حيز الإنكار للإيذان بأن عدم تنزيله تعالى إياها مع قدرته عليه
لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون
أي ليسوا من أهل العلم على أن المفعول مطروح بالكلية أو لا يعلمون شيئا على أنه محذوف مدلول عليه بقرينة
المقام والمعنى أنه تعالى قادر على أن ينزل آية من ذلك أو آية وأي آية ولكن أكثرهم لا يعلمون فلا يدرون
أن عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما أن في تنزيلها قلعا لأساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار
أو استئصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة إلى التكذيب وتخصيص عدم
العلم بأكثرهم لما أن بعضهم واقفون على حقيقة الحال وإنما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله
تعالى وما من دابة في الأرض الخ كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه
وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه تعالى قادر على تنزيل الآية وإنما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة
وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه
قيل وما فرد من أفراد الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى
ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر من الطيور يطير في ناحية من
نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كأنه قيل
وما دابة ولا طائر إلا أمم أي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دواب ولا طيور إلا أمم
أمثالكم أي كل أمة منها مثلكم في أن أحوالها محفوظة وأمورها معنية ومصالحها مرعية جارية على سنن
السداد منتظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات الربانية ما فرطنا في الكتاب من شيء
يقال فرط الشيء أي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله أي لا يتركه ولا يفارقه

ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء أي أهمل ما ينبغي أن يكون فيه وأغفله فقوله تعالى في الكتاب أي القرآن
على الأول ظرف لغو وقوله من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق أي ما تركنا في القرآن شيئا
من الأشياء المهمة التي من جملتها بيان أنه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول الفعل
ومن شيء في موضع المصدر أي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره
وأيا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الإشارة إلى أن
أحوال الأمم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى
ثم إلى ربهم يحشرون بيان لأحوال الأمم المذكورة في الآخرة بعد بيان أحوالها في الدنيا وإيراد
ضميرها على صيغة جمع العقلاء لإجرائها مجراهم والتعبير عنها بالأمم أي إلى مالك أمورهم يحشرون يوم القيامة
كدأبكم لا إلى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها
موتها ويأباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا متعلق بقوله
تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك ومحله
الرفع على الابتداء وخبره ما بعده أي أوردنا في القرآن جميع الأمور المهمة وأزحنا به العلل والأعذار
والذين كذبوا بآياتنا التي هي منه صم لا يسمعونها سمع تدبر وفهم فلذلك يسمونها أساطير الأولين
ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون
دعوتك بها وقوله تعالى في الظلمات أي في ظلمات الكفر أو ظلمات الجهل والعناد والتقليد إما خبر ثان
للمبتدأ على أنه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي أو متعلق بمحذوف وقع حالا من المستكن
في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين في الظلمات أو صفة لبكم أي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال
عراقتهم في الجهل وسوء الحال فإن الأصم الأبكم إذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا بإشارة غيره وإن لم
يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالإشارة وإن كان معزولا عن العبارة وأما إذا كان مع ذلك
أعمى أو كان في الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشأ الله يضلله
تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان أنهم من أهل الطبع لا يتأتى منهم الإيمان أصلا أي من يشأ
[illegible] ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها
مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به أي من يشأ الله إضلاله أي أن يخلق فيه الضلال يضلله أي
يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير أن يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره إلى كسبه
وتحصيله وهكذا قوله تعالى ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من
ثبت قدمه عليه قل أرأيتكم أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم
إلى النكير والكاف حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب [illegible]
عن الرؤية قلبية كانت أو بصرية لكن المراد به الاستخبار أي أخبروني إن أتاكم عذاب الله
حسبما أتى الأمم السالفة من أنواع العذاب الدنيوي أو أتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة أغير
الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى إن كنتم صادقين متعلق بأرأيتكم
مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه أي إن كنتم صادقين
في أن أصنامكم آلهة [illegible] فأخبروني [illegible]
[illegible]
عليه قوله تعالى أغير الله تدعون [illegible] النظم الكريم
كيف لا والمطلوب منهم إنما هو الإخبار بدعائهم غيره تعالى [illegible]
تعالى بل إياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة [illegible]
كأنه قيل لا غيره تدعون بل إياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون إليه [illegible]
عطف على تدعون أي فيكشفه إثر دعائكم [illegible] إن شاء [illegible]
[illegible]

المتعلقة بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يفعله كما في بعض آخر منها ومن جميع ما يتعلق بكشف العذاب الأخروي
الذي من جملته الساعة وقوله تعالى **وتنسون ما تشركون** أي تتركون ما تشركونه به تعالى من الأصنام
تركا كليا عطف على تدعون أيضا وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لإظهار كمال
العناية بشأن الكشف والإيذان بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى **ولقد أرسلنا** كلام مستأنف سيق
لبيان أن منهم من لا يدعو الله تعالى عند إتيان العذاب أيضا لتماديهم في الغي والضلال لا يتأثرون
بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التشريعية وتصديره بالجملة القسمية لإظهار مزيد الاهتمام
بمضمونه ومفعول أرسلنا محذوف لما أن مقتضى المقام بيان حال المرسل إليهم لا حال المرسلين أي وبالله
لقد أرسلنا رسلا **إلى أمم** كثيرة **من قبلك** أي كائنة من زمان قبل زمانك **فأخذناهم** أي فكذبوا
رسلهم فأخذناهم **بالبأساء** أي بالشدة والفقر **والضراء** أي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما
لعلهم يتضرعون أي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا إليه من كفرهم ومعاصيهم
فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا أي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه **ولكن قست قلوبهم** استدراك على المعنى
بيانا أي فما تضرعوا إليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم إليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث
قست قلوبهم أي استمرت على ما هي عليه من القساوة أو ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني إذ جئته ولكن
أهانني **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون** من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم أن ما اعتراهم من البأساء
والضراء ما اعتراهم إلا لأجله وقيل الاستدراك لبيان أنه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم
والإعجاب بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** عطف على مقدر ينساق
إليه النظم الكريم أي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه **فتحنا عليهم أبواب**
كل شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي أنه عم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ
فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور إشعار بأن التذكير في الجملة غير خال
عن النفع وحتى في قوله تعالى **حتى إذا فرحوا بما أوتوا** هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية
كما في قوله تعالى حتى إذا جاء أمرنا الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله فتحنا أو لما يدل هو عليه
كأنه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى إذا اطمأنوا بما أتيح لهم وبطروا وأشروا **أخذناهم بغتة** أي نزل بهم
عذابنا فجأة ليكون أشد عليهم وقعا وأفظع هولا **فإذا هم مبلسون** متحيرون غاية الحسرة آيسون من كل
خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة **فقطع دابر القوم الذين**
ظلموا أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبرا ودبورا أي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للإشعار
بعلة الحكم فإن هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر وإقامة المعاصي مقام الطاعات
والحمد لله رب العالمين على ما جرى عليهم من النكال فإن إهلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص
لأهل الأرض من شؤم عقائدهم الفاسدة وأعمالهم الخبيثة نعمة جليلة [illegible]
من إعلام [illegible] التي نطقت بها [illegible] **قل أرأيتم** أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
عليهم وتثبيت الإلزام بعد تكملة الإلزام الأول [illegible]
استخبار عن متعلق الرؤية [illegible] **إن أخذ الله سمعكم**
وأبصاركم بأن أصمكم وأعماكم بالكلية **وختم على قلوبكم** بأن غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم
أصلا وتصيرون مجانين ويجوز أن يكون الختم عطفا تفسيريا للأخذ [illegible]
[illegible] السمع والأبصار [illegible]
ختمها [illegible] تقديم السمع على الأبصار [illegible]
تعالى **من إله** [illegible] **غير الله** صفة [illegible]
[illegible] **يأتيكم به** أي
[illegible]
[illegible] **انظر كيف**
نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة أي انظر كيف

كيف نكررها ونقررها مصروفة من أسلوب إلى أسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق
الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير **ثم هم يصدفون** عطف على نصرف داخل في حكمه وهو
العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم أي إعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا
النمط البديع الموجب للإقبال عليها **قل أرأيتكم** تبكيت آخر لهم بإلجائهم إلى الاعتراف باختصاص العذاب
بهم **إن أتاكم عذاب الله** أي عذابه العاجل الخاص بكم كما أتى من قبلكم من الأمم **بغتة** أي فجاءة من
غير أن يظهر منه مخايل الإتيان وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى **أو جهرة** أي بعد ظهور
أماراته وعلاماته وقيل ليلا أو نهارا لما أن الغالب فيما أتى ليلا البغتة وفيما أتى نهارا الجهرة وفي
بغتة وجهرة وهما في موضع المصدر أي إتيان بغتة أو إتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها أهول وأفظع
وقوله تعالى **هل يهلك** متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير أي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك
بهم أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلا أنتم أي هل يهلك غيركم ممن
لا يستحقه وإنما وضع موضعه **إلا القوم الظالمون** تسجيلا عليهم بالظلم وإيذانا بأن مناط إهلاكهم ظلمهم
الذي هو وضعهم للكفر موضع الإيمان وقيل المراد بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا
قال الزجاج هل يهلك إلا أنتم ومن أشبهكم وأياه تخصيص الإتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي
فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كأنه قيل أخبروني إن أتاكم عذابه تعالى بغتة أو جهرة ماذا يكون الحال ثم
قيل بيانا لذلك ما يهلك إلا القوم الظالمون أي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم إلا أنتم فمن قيد
الإهلاك بهلاك التعذيب والسخط ليتحقق الحصر بإخراج غير الظالمين لما أنه ليس بطريق التعذيب والسخط
بل بطريق الإثابة ورفع الدرجة فقد أهمل ما يجديه واشتغل بما لا يعنيه وأخل بجزالة النظم الكريم وقرئ
هل يهلك من الثلاثي **وما نرسل المرسلين** كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الإطلاق
وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام وإظهار أن ما يقترحه الكفرة عليه عم ليس مما يتعلق بالرسالة
أصلا وصيغة المضارع لبيان أن ذلك أمر مستمر جرت عليه العادة الإلهية وقوله تعالى **إلا مبشرين**
ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين أي ما نرسلهم إلا مقدرا تبشيرهم وإنذارهم نفيهما معنى
العلة الغائية قطعا أي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية أي
يخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دنيويا كان أو أخرويا من غير أن يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به
أصلا وعليه يدور القصر والإلزام أن لا يكون بيان الشرائع والأحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله
تعالى **فمن آمن وأصلح** لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى **فلا خوف**
عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط أي لا خوف عليهم من العذاب الذي أنذروه دنيويا كان
أو أخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل أو الآجل وتقديم نفي الخوف على نفي
الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة إلى من باعتبار معناها كما أن إفراد الضميرين السابقين
باعتبار لفظها أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان
دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر
في موضعه من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام ألا يرى أن الجملة
الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فإذا دخل عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء
لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فإن قولك ما زيدا ضربت مفيد لاختصاص النفي لا لنفي الاختصاص كما
بين في محله وقوله تعالى **والذين كذبوا** عطف على من آمن داخل في حكمه وقوله تعالى **بآياتنا** إشارة
إلى ما يبلغه الرسل عم عند التبشير والإنذار ويبلغونه إلى الأمم إبانة تعالى وأن من آمن به فقد
آمن بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب في الإيمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا
يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين من جهتنا بما سيقع منا من الأمور السارة والضارة لا بإيقاعها
استقلالا من تلقاء أنفسهم أو استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فإن كان الأمر كذلك
فمن آمن بما أخبروا به من قبلنا تبشيرا وإنذارا داخلا ضمن آياتنا وأصلح ما يجب إصلاحه من أعماله أو دخل في الصلاح

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند التبشير والإنذار **يمسهم العذاب**
أي العذاب الذي أنذروه عاجلا أو آجلا أو حقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما أوليا **بما كانوا**
يفسقون أي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الإصرار على الخروج عن التصديق والطاعة **قل لا أقول لكم عندي**
خزائن الله استئناف مبني على ما أسس من السنة الإلهية في شأن إرسال الرسل وإنزال الكتب مسوق لإظهار
تبريه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم أي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات وأخرى غير
ذلك لا أدعي أن خزائن مقدوراته تعالى مفوضة إلي أتصرف فيها كيف ما أشاء استقلالا أو استدعاء حتى
تقترحوا علي تنزيل الآيات أو إنزال العذاب أو قلب الجبال ذهبا أو غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا
تبريا عن دعوى الإلهية مما لا وجه له قطعا وقوله تعالى **ولا أعلم الغيب** عطف على محل عندي خزائن الله
أي ولا أدعي أيضا أني أعلم الغيب من أفعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة أو وقت نزول العذاب
أو نحوهما **ولا أقول لكم إني ملك** حتى تكلفوني من الأفاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي
في السماء ونحوه أو تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في أمري كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشي في الأسواق والمعنى أني لا أدعي شيئا من هذه الأشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها
وأحكامها وتجعلوا عدم إجابتي إلى ذلك دليلا على عدم صحة ما أدعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما
ذكر قطعا بل إنما هي عبارة عن تلقي الوحي من جهة الله تعالى والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
إن أتبع إلا ما يوحى إلي لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى إليه دون غيره بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس
إلى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر إلى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الأصل
والإثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى نفس الفعل بالقياس
إلى ما يغايره من الأفعال لكن لا باعتبار النفي والإثبات معا في خصوصيته فإن ذلك غير ممكن قطعا بل
باعتبار النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والإثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فإن كل فعل من الأفعال الخاصة
ينحل عند التحقيق إلى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل وإلى معنى خاص يقومه فإن معنى نصر مثلا
يرشدك إلى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الإعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل
بتوجيه النفي إلى الأصل والإثبات إلى القيد كأنه قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي من غير أن يكون لي مدخل
ما في الوحي بطريق الاستدعاء أو بوجه آخر من الوجوه أصلا **قل هل يستوي الأعمى والبصير** مثل للضال
والمهتدي على الإطلاق والاستفهام إنكاري والمراد إنكار استوائهما وانتفاء ما ذكر بين الحالين من تعلق
وفيه من الإشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الأمر
لتثبيت التبكيت وتأكيد الإلزام وقوله تعالى **أفلا تتفكرون** تقريع وتوبيخ داخل تحت الأمر والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام أي ألا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه أو أتسمعونه فلا تتفكرون
فيه فمناط التوبيخ في الأول عدم الأمرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه **وأنذر به**
الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم بعدما حكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن من الكفرة قوما لا يتعظون
بتصريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة كما يقتضيه مشاعرهم بالكلية والتحقق
بالأموات وقرر ذلك بأن كرر عليهم من فنون التبكيت والإلزام ما يلقمهم الحجر أي الفتام فأبوا إلا الإباء
والتكبر وما نجع فيهم عظة ولا تذكر وما أفادهم الإنذار إلا الإصرار على الإنكار أمر عليه السلام بتوجيه
الإنذار إلى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء كانوا جازمين
بأصله كأهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة آبائهم الأنبياء كالأولين أو في
شفاعة الأصنام كالآخرين أو مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم أنهم إذا سمعوا بحديث
البعث يخافون أن يكون حقا وأما المنكرون للحشر رأسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم
أو بشفاعة الأصنام فهم خارجون مما أمر بإنذارهم وقد قيل هم المفرطون في الأعمال من المؤمنين ولا
يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور
لما يوحى أو لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثاني للإنذار إما العذاب الأخروي المدلول عليه بما في حيز

حيز الصلة وإما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى **ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع**
في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقه محذوف وقع حالا من اسم ليس لأنه في الأصل صفة
له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا أن الحال الأولى لإخراج الحشر الذي لم يعتد به عن حيز الخوف وتحقيق أن
ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة أن المعترفين به الجازمين
بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور أمر الإنذار وأما الحال الثانية
فليست لإخراج الولي الذي لم يعتد بها عن حيز الانتفاء نفيا دالمعنى لاستلزامه ثبوت ولاية غيره تعالى
لهم كما في قوله وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به
رجاءهم وذلك إنما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض
وليس له من دونه أولياء فالمعنى أنذر به الذين يخافون أن يحشروا غير منصورين من جهة أنصارهم على
زعمهم ومن هذا اتضح أن لا سبيل إلى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين إذ ليس لهم ولي سواه
تعالى يخافون الحشر بدونه من نصرته عز وجل وقوله تعالى **لعلهم يتقون** تعليل للأمر أي أنذرهم لكي يتقوا
الكفر والمعاصي أو حال من ضمير الأمر أي أنذرهم راجيا تقواهم أو من الموصول أي أنذرهم مرجوا منهم التقوى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما أمر عليه السلام بإنذار المذكورين لينتظموا في سلك
المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي إلى طردهم روي أن رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله
لو طردت هؤلاء الأعبد وأرواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان وأضرابهم رضي الله عنهم
جلسنا إليك وحادثناك فقال عليه السلام ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم
معك إن شئت قال عليه السلام نعم طمعا في إيمانهم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر إلى ما
يصيرون وقيل إن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد
وعمرو بن نوفل وأشراف بني عبد مناف من أهل الكفر أتوا أبا طالب فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك محمدا
يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا فلو طردهم كان أعظم في صدورنا وأدنى لاتباعنا إياه فأتى أبو طالب
إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما
الذي يريدون وإلى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التميمي
وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم
جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله عليه السلام حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست
صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم لجالسناك وحادثناك وأخذنا عنك فقال عليه السلام
ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فإن وفود العرب
تأتيك فنستحيي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن
شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة ودعا عليا رضي الله عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية
فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فأتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس
ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فأنزل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا
إلى أن نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات
والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى **يريدون وجهه**
حال من ضمير يدعون أي يدعونه تعالى مخلصين له فيه وتقييده به لتأكيد عليته للنهي فإن الإخلاص من أقوى
موجبات الإكرام المضاد للطرد وقوله تعالى **ما عليك من حسابهم من شيء** اعتراض وسط بين النهي و
جوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من أقاويل الطاعنين في دينهم كدأب
قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي ما عليك شيء ما من حساب إيمانهم
وأعمالهم الباطنة حتى تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الأحكام وإنما وظيفتك حسبما هو شأن
منصب النبوة اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام على موجبها وأما بواطن الأمور فحسابها على العليم

بثبات الصدر وركوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى وما من حسابك عليهم من شيء مع
ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا
وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل
من ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى فغير حقيق بجزالة شأن التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص
حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى
يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى فتطردهم جواب النفي وقوله
تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك
وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما
بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم
عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته
في الكمال والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه
نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل
لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى
ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الآخرين
في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة
اي ليقول البعض الاولون مشيرين الى الآخرين محتقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي
وتعاميا عما هو مناط التفضيل حقيقة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما
يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع
المن رأسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه
بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال له
واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شأن النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام لتقرير
علمه البالغ بذلك اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة الى ان
اولئك الضعفاء عارفون بحق نعمة الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك
مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا هم
الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله تعالى كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالاخلاص
تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لما ان مدار
الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة
وقوله تعالى فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار غيرهم وقيل بتبليغ سلامه
تعالى اليهم وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على
ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شيء ما اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى
وبنيل المطالب اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبول التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميرهم اظهار للطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا
بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على انه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال
من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر
ما يعلم انه يؤدي الى الضرر وعمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد سفهه
واصلح اي ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه غفور رحيم
او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استئناف وقع في صدر الجملة الواقعة جزاء للمن على انها

اجرامهم وصلة لما على انها شرطية وكذلك نفصل الآيات ذلك اشارة الى ما فيه من الكلام اي مثل ذلك
التفصيل البديع نفصل الآيات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين
سبيل المجرمين بالتاء الفوقانية ورفع السبيل على تأنيث الفاعل وقرئ بالياء التحتانية بناء على تذكيره
ويؤنث وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان
له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر وهو عبارة عن المذكور مستأنفا اي ولتستبين
سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد والتاء للخطاب اي ولتستوضح
انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل اني نهيت امر عليه السلام بالرجوع الى مخاطبة المصرين
على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل التوبة بما يليق بهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم
الفارغة عن ركونه عليه السلام الى ما هم عليه من الدين هدى محضا
ذلك بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الآيات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي
عن عبادة ما تعبدونه وتسمونه آلهة من دون الله قل لا اتبع اهواءكم كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشأن المأمور
به وايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية
لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا
على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي
والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذا استئناف مؤكد للانتهاء عنه مقرر لكونهم في غاية
الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى وما انا من المهتدين عطف على ما قبله
والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار
اي وما انا في شيء من الهدى حتى اكون في عدادهم وفيه تعريض بهم قل اني على بينة
تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي
عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها
القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى
من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله
تعالى وكذبتم به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد
وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى
المراد والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد
بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطائهم في شأن ما جعلوه منشأ
لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما تستعجلونه من العذاب الموعود في القرآن
وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه او ليس امره
بمفوض الي ان الحكم اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا
اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقص الحق اي يتبعه
بيان لشؤونه تعالى في الحكم المعهود او في جميع احكامه المنتظم هو له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق
فيثبت حقيقة التأخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق على المصدرية اي يقضي القضاء الحق او على المفعولية
اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم
المنع فكأنه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل
هذا هو الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على
حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم

بما سبق وما يحكى على وصفهم بتكذيب آيات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتمكن بينه سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا **قل لو ان عندي** اي في قدرتي وامكاني **ما تستعجلون به** من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الي من جهته تعالى **لقضي الامر بيني وبينكم** اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى قيل في تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا بعدول من توفية المقام حقه وقوله تعالى **والله اعلم بالظالمين** اعتراض مقرر لما افادته الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم **وعنده مفاتح الغيب** بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يغلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اي عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله تعالى **لا يعلمها الا هو** تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى **ويعلم ما في البر والبحر** بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالغيبيات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى **وما تسقط من ورقة الا يعلمها** بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سائرها وقوله تعالى **ولا حبة** عطف على ورقة وقوله **في ظلمات الارض** متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها وكذا قوله تعالى **ولا رطب ولا يابس** معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى **الا في كتاب مبين** بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراءة الرفع ولا حبة ايضا **وهو الذي يتوفاكم بالليل** اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه **ويعلم ما جرحتم بالنهار** اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضها والمراد بعلمه تعالى ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة **ثم يبعثكم فيه** اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكتسبونه من السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهر مع علمه بما ستجرحون فيها **ليقضى اجل مسمى** معين لكل فرد فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ثم اليه

مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا **ثم ينبئكم بما كنتم تعملون** بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبو للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاختلال لا مضايقة الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له **وهو القاهر فوق عباده** اي هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك **ويرسل عليكم حفظة** خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تأخر لكان صفة اي كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف على كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين على احواله وحتى في قوله تعالى **حتى اذا جاء احدكم الموت** هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا من كان وجاءه اسباب الموت ومباديه **توفته رسلنا** الآخرون المفوضون اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التاءين **وهم** اي الرسل **لا يفرطون** اي بالتواني والتأخير وقرئ مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان والجملة حال من رسلنا وقيل مستأنفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى **ثم ردوا** عطف على توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم ردوا بعد البعث بالحشر **الى الله** اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب **مولاهم** اي مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم **الحق** الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح **الا له الحكم** يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره بوجه من الوجوه **وهو اسرع الحاسبين** يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله حساب عن حساب ولا شأن عن شأن وفي الحديث ان الله تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة **قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر** اي قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى **تدعونه** نصب على الحالية من مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من فاعله اي من ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى **تضرعا وخفية** اما حال من فاعل تدعونه او مصدر مؤكد له اي تدعونه متضرعين جهارا ومسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر الخاء وقوله تعالى **لئن انجيتنا** حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اي تدعونه قائلين لئن انجيتنا **من هذه** الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات **لنكونن من الشاكرين** اي الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه **قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب** امر عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى **ثم انتم تشركون** عليه اي الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف

وقوله تعالى قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على
القاهر في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب لاشراكهم المذكور على طريقة
قوله تعالى أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر الخ وقوله أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى الآية وعليكم متعلق
بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضركم ولتهويل
امر المؤخر وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة
الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل واضرابهم أو من تحت أرجلكم اي من جهة السفل كما
فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤسائكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة أو
لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح أو يلبسكم شيعا اي يخلطكم فرقا متحزبين
على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى ● اذا التبست نفضت لها يدي ●

ويذيق بعضكم بأس بعض عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة
في التحذير والبعض الاول الكفار والآخر المؤمنون فيه وعد ووعيد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا
ويذيق بعضكم بأس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه عم انه قال سألت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف
الآيات من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد
وكذب به اي بالعذاب الموعود او القرآن المجيد الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم
بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عم مما يقضي بغاية عتوهم
ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق
في كل ما نطق به وقيل هو استئناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم
على ما يؤول اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ
وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث
اخبرتكم بما سترونه لكل نبأ اي لكل شيء ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار
التي من جملتها خبر مجيئه مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله
وسوف تعلمون اي حال نبائكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن
نبأه بعد حين واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب
قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث
غيره غاية للاعراض اي استمر على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غير آياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا
فان وصف الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونها قرآنا وإما
ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية
فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم
انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون في ذلك
وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الآيات
قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت اي ما
على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اي مما يحاسبون عليه من الجرائر من شيء اي
شيء فما على انه في محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسمها وهي حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن
حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتدأ ولما الحجازية على رأي من لا يجيز اعمالها
في الخبر المقدم مطلقا او في محل النصب على رأي من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر

جر ولكن ذكرى استدراك من النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من
القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه
مصدر مؤكد للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي
ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير
للموصول اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم
اي كلفوه وامروا باقامة مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا او بنوا امر دينهم على ما لا
يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام
وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد
لهم كقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحياة الدنيا واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا
حياة بعدها ابدا وذكر به اي بالقرآن من يصلح للتذكر ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله
تعالى ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس
ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تنفلت منه
او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد جوز ان يكون
الضمير المجرور في به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن ويكون الجملة بدلا لانه
مفسر له لما في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم
بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى
ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل في محل النصب على انه حال
من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه في قوة نفس كما مر
او نفوس كثيرة كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولي
كما بين في تفسير قوله تعالى وانذر به الآية وقيل هو خبر ليس ويكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف على
البيان وان تعدل اي ان تفد تلك النفس كل عدل اي كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها
على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدي
لا المصدر كما تحققته أولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد رتبتهم في سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله تعالى الذين أبسلوا
بما كسبوا والجملة مستأنفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون به
اي اولئك المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا هم الذين اسلموا الى ما كسبوا من
القبائح وقوله تعالى لهم شراب من حميم استئناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبني
على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلي يتجرجر
في بطونهم وتتقطع به امعاؤهم وعذاب أليم بنار تشتعل بابدانهم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم
المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وان يكون خبرا ثانيا لاولئك
على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا
ايجاب العذاب والاهم في باب التحذير وايذان بكفرهم ما هو عمدة منه ويستتبعها من القبائح
والاسباب وقد جوز ان يكون أولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول
الثاني صفته او بدل منه وقوله لهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تتمة الابسال قل أندعوا من دون
الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة
الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها
لشأن الصديق اي اندعو متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية التي من
جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا دعوناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى مراتب
المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على أعقابنا عطف على ندعو داخل في حكم الانكار

فالمعنى اى ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر واسناد نرد على نزكيد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تعريضا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من عنده ادخل في حيز الاحتمال يحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى بعد اذ هدانا الله اى الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد ما اهتدينا كانه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله الذى لا هادى سواه وقوله تعالى كالذى استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اى انرد على اعقابنا مشبهين بالذى استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اى انرد ردا مثل رد الذى استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله تعالى في الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اى كائنا في الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه على تقدير لمن الاولى او حال ثابتة عنه من ضميرها او من الذى او من المستكن في الظرف اى تائها ضالا عن الجادة لا يدرى ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران او حال من الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى يدعونه الى الهدى صفة لاصحاب اى لذلك المستهوى رفقة يدعونه الى الطريق المستقيم بتسميته له بالمصدر مبالغة كانه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اى يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعى ومورد النعيق فقط قل ان هدى الله الذى هدانا اليه وهو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغى بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى به تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول واللام في لنسلم لرب العالمين لتعليل الامر المحكى وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الاية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم وقيل هى بمعنى الباء اى امرنا بان نسلم وقيل زائدة اى امرنا ان نسلم على حذف الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلوة واتقوه اى الله تعالى في مخالفته امره عطف على نسلم على الوجوه الثلاثة على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر يتجرد هو عن معنى الامر نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اى قيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذى اليه تحشرون جملة مستانفة موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة وهو الذى خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد له اى قائما بالحق او ملتبسة بالحق او خلقا ملتبسا به وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استئناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكوينى من غير توقف على شىء آخر اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد من افراد المكونات ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية وترك ذكر المفعول لثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى وامره المتعلق بكل شىء يريد خلقه من الاشياء حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اى المشهود له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى

المعنى قوله الحق كائن حين يقول لشىء من الاشياء كن فيكون ذلك الشىء وقد قيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اى لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها فتامل حق التامل وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على قلنا كما قيل لفساد المعنى اى واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم عبادة من لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤنه تعالى وقت قول ابراهيم الذى يدعون انهم على ملته موبخا لابيه آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادى بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعازر وفالغ وكذلك تارح ذكره محمد بن اسحق والضحاك والكلبى وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارح وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزوم عبادته فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمى المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر او اريد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ آزر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اى اتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية وانما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ ءازر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منونة مفتوحة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا ثم قيل اتتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الازر القوة و المعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا لتعززه بها على طريقة قوله تعالى ايبتغون عندهم العزة انى اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اى بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية فالظرف مفعولها الثانى واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نرى ابراهيم هذه الاراءة مع ما في نريه اى البصرية المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اى عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نرى لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى انى اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نرى ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات والارض اى ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسلطان القاهر وهو مختص بملك الله عز سلطانه ولا يقال ملكوت فيه وقيل لا ول هو الظاهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روى انه كشف له عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياته وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضى ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد بارائتها ذكر من الامور الخفية بمجرد عمم من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه على حقايقها

وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ نري بالتاء واسناد الفعل الى الملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر اخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كان مترتبا على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سياتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة وتربتبي عليها الكلام اي ليستدل بها وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدايعهما واياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتها لا من غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابرهيم داخل تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق وما لحق فان تعريفه عم ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقتضي بان يحكم عم باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى راى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استيناف مبني على سؤال نشا من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان اراءته عم ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عم من اثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فما صنع عم حين راى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على راي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عم على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت باياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عم فلما افل اي غرب قال لا احب الافلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستتار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما راى القمر بازغا مبتديا في الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رايته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عم في اظهار النصفة ولعله عم كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافق الشرقي مكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة اي مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اي على النهج السابق هذا ربي وانما ذكر لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة للرب عن وصمة التانيث وقوله تعالى هذا اكبر تاكيد لما رامه عم من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من

جهة اخرى ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظمه على الافول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا للاستحقاق معرضا للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الاثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الاثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عم منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هي الاجرام التي تعبدونها من اجزايها والارض التي هي فيها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عم حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترؤوا عليه من محاجته عم مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني في الله بادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عم مهديا من جهة الله تعالى ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عم اي اتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عم في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عم بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي لا اخاف ما تشركونه به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لالهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله وسع ربي كل شيء علما كانه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في موقع الاضمار تاكيد لمعنى المذكور واستلذاذ به افلا تتذكرون اي اتعرضون عن التامل في ان الهتكم جمادات عاجزة غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على التذكر وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استيناف مسوق لنفي الخوف عنه عم بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي كما سيأتي بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الاية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال ااخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله تعالى ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف مقيد لانكاره والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عم ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف فلأن لا يخاف عم في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانما عبر عنه

بقوله تعالى ما لم ينزل به اى باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم مع الايذان بان الامور الدينية
لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفى تعليق الخوف الثانى باشراكهم من المبالغة ومراعاة
حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اتخاف داخل
معه فى حكم الانكار والتعجب فمما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت
ان الانكار بمعنى النفى بالكلية فيؤول المعنى الى نفى الخوف عنه عم ونفى نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل
الانكار فى الاول على معنى نفى الوقوع وفى الثانى على استبعاد الواقع مما لا مساغ له على ان قوله تعالى
فاى الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مرتب على انكارهم خوفه عم فى محل الامن مع
تحقق عدم خوفهم فى محل الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من
الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جئ بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له فى الجملة لاستنزالهم
عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الامن فى محل
الامن والفريق الامن فى محل الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم
لتأكيد الالجاء الى الجواب الحق على علة الحكم والتفادى عن التصريح بتخطئتهم لا لمجرد الاحتراز عن تزكية
النفس ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اى ان كنتم تعلمون من
احق بذلك او قصدا الى التعميم اى ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك بالمرة اى ان كنتم من اولى العلم
وجواب الشرط محذوف اى فاخبرونى الذين آمنوا استئناف من جهته تعالى بالجواب الحق الذى لا محيد عنه
اى الفريق الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم ذلك اى لم يخلطوه بظلم اى بشرك كما يفعله الفريق المشركون
حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله تعالى وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل
التقريب والشفاعة كما قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى
الموصول من حيث اتصافه بما فى حيز الصلة وفى الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا
بذلك عن غيرهم وانتظموا فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم
وبعد منزلتهم فى الشرف وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر
وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدأ الاول الذى هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك بدلا من الموصول
او عطف بيان له ولهم خبر الموصول والامن فاعلا للظرف لاعتماده على المبتدأ ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما
والامن مبتدأ والجملة خبر الموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة
خبر للموصول اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون
الى الحق ومن عداهم فى ضلال مبين روى انه لما نزلت الاية شق ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بنى لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك
به وليس من قضيته الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التى تفسق صاحبها
والظاهر هو الاول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم عليه السلام
من قوله تعالى فلما جن الخ وقيل من قوله اتحاجونى الى قوله مهتدون وما فى اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم
شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته فى الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى حجتنا خبره
وفى اضافتها الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابرهيم اى ارشدناه اليها وعلمناه
اياها فى محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما فى قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا وفى محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابرهيم مفعول اول لاتينا
قدم عليه الثانى لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف ان
جعل بدلا اى آتيناه ابرهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتيناها نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء
على طريقة الالتفات وكذا الفعل الاتى درجات اى رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها
على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اى الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء

نشاء وتأخيره عن الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشيئة محذوف
اى من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك
سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة
مستمرة جارية غير مختصة بابرهيم عم وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل
لها من الاعراب وقيل هى فى محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اى حال كوننا رافعين الخ ان ربك
حكيم فى كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة
تعليل بطريق الالتفات فى تضاعيف بيان احوال ابرهيم عم اظهارا لمزيد لطف وعناية به عم ووهبنا
له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية
على الاخرى مما لا نزاع فى جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا
حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان فى حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط ولا
سبيل اليه هنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة
الى احدهما اى كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الاخر وترك ذكر المهدى اليه لظهور انه الذى اوتى
ابرهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اى من قبل ابرهيم عد هدايته نعمة
على ابرهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم لان
مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد والابقاء
هذه الكرامة فى نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمى الى ملته عم من المشركين واليهود وقيل
لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا من ذرية ابرهيم عليهم السلام فلو كان الضمير له لاختص بالمعدود
فى هذه الاية والتى بعدها واما المذكورون فى الاية الثالثة فعطف على نوحا وروى عن ابن
عباس رض ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابرهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر الله تعالى
عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم ليعقوب
داود وسليمان منصوب بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه
على المفعول الصريح للاهتمام بشأنه مع ما فى المفاعيل من نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم
اى وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف
وموسى وهرون [illegible] من ذريته وكذلك
اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابرهيم عم ومحل الكاف فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير نجزى المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين
الجنس وبمماثلة جزائهم لجزائه عم مطلق المشابهة فى مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافأة بين الاعمال
والاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد والانبياء مما اختص
به ابرهيم عم والاقرب ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وهو
عبارة عما اوتى المذكورون من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته وكمال
لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف وفى
واصل التقدير ونجزى المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة
القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له
اى وذلك الجزاء البديع نجزى المحسنين المذكورين لا جزاء اخر ادنى منه والاظهار فى موضع الاضمار للثناء
عليهم بالاحسان الذى هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذى هو حسنها
الوصفى المقارن لحسنها الذاتى وقد فسره عم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وزكريا ويحيى هو ابن زكريا وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل
بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا
بمن فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى عليهما السلام كلا اى كل واحد من اولئك

المذكورين **من الصالحين** اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح **واسمعيل واليسع** هو ابن اخطوب ابن العجوز وقرئ والليسع وهو على القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد في قول من قال

رايت الوليد بن اليزيد مباركا • شديدا باعباء الخلافة كاهله

ويونس هو ابن متى **ولوطا** هو ابن هاران ابن اخي ابرهيم عليهما السلام **وكلا** اي كل واحد من اولئك المذكورين **فضلنا** بالنبوة لا بعضهم دون بعض **على العالمين** على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختها وقوله تعالى **ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم** اما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي فضلنا بعض آبائهم الخ **واجتبيناهم** عطف على فضلنا اي اصطفيناهم **وهديناهم الى صراط مستقيم** تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه **ذلك** اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا **هدى الله** الاضافة للتشريف **يهدي به من يشاء من عباده** وهم المستعدون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية **ولو اشركوا** اي هؤلاء المذكورون **لحبط عنهم** مع فضلهم وعلو طبقاتهم **ما كانوا يعملون** من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم اعمالهم **اولئك** اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر مرة من الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين آتيناهم الكتاب** اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد كان من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالجلائل والدقائق اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين **والحكم** اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب **والنبوة** اي الرسالة **فان يكفر بها** اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقيين **هؤلاء** اي كفار قريش فانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر **فقد وكلنا بها** اي امرنا برعايتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها **قوما ليسوا بها بكافرين** في وقت من الاوقات بل مستمرون على الايمان بها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للايمان بالانبيا وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرائع وفروعها الداخلة في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها وقد مر تحقيقه في تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعم من اجراء احكامها كما هو شانهم في حق كتابهم ومن اعتنائها وحفظها كما هو شانهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها وحفظها واعتنائها وادائها فكان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد النفي وانما قدم يوم صلت وكلنا على مفعوله الصريح لما ذكر انفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول ربما يؤدي تقديمه الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور اي فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما فخاما ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا شان

ثبت ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة او بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه تحقق اغنيته عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبيا والملائكة عليهم السلام فايمانهم بما ليس من قبيل ايمان بما نحن بصدده لان احاد الامة كما اشير اليه **اولئك** اشارة الى الانبيا المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى **الذين هدى الله** اي الى الحق والنهج المستقيم في الالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الهداية **فبهداهم اقتده** اي فاختص هداهم بالاقتدا ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيه ايضا اجرا له مجرى الوقف واقتدا بالامام وقرى باشباعها على انها كناية المصدر **قل لا اسئلكم عليه** اي على القرآن او على التبليغ فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما **اجرا** من جهتكم كما لم يسئل من قبلي من الانبيا عليهم السلام وهذا من جملة ما امر بالاقتدا بهم فيه **ان هو** اي القرآن **الا ذكرى للعالمين** اي عظة وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين **وما قدروا الله** لما بين شان القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم ما اتوا من كفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء ومقداره واحواله واوصافه **حق قدره** نصب على المصدرية وهو في الاصل صفة للمصدر اي قدره الحق فلما اضيف الى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه اي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا **اذ قالوا** منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمته الجليلة فيهما **ما انزل الله على بشر من شيء** معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما ان نفي المحبة في مثل ان الله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والسخط والا فنفي معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم الغرض لحطه بل مع السعي في تحصيل المعرفة كما في قول من يناجي مستقصرا لمعرفته وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن حين اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فاكتفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود وقد قالوا مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل **قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى** اي قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر وروي ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم انزال التوراة لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى **نورا وهدى** فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى **للناس** اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد بعد مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التوراة فقط بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعي عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل **تجعلونه قراطيس** اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى **تبدونها** صفة لقراطيس

وقوله تعالى **وتخفون كثيرا** معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اى كثيرا منها وقيل كلام مبتدأ
لا محل له من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عم وسائر ما كتموه من احكام التورية وقرئ الافعال
الثلاثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى **وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم** قيل هو حال من فاعل
تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف الرأيين قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب
من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتأكيد التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب
من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شناعة عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذا
لعلومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما تلقوه من جهة النبي صلى الله عم زيادة على ما في التورية
وبيانا لما التبس عليهم وعلى آبائهم من مشكلاتها حسبما ينطق به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على
بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما
صنعوا بالتورية اما ما ورد فيه زيادة على ما فيها فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا واما ما
ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الامر واشتباه
الحال حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه فيكون الجملة حالية عن تاكيد التوبيخ فلا تستحق ان
تقع موقع الحال بل الوجه ان تكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة
والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التورية
كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان
مزجرة لهم عن الكتم مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون
حتما هذا وقد قيل الخطاب لمن آمن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وقوله تعالى
قل الله امر لرسول الله صلى الله عم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا
بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا **ثم ذرهم في خوضهم** في باطلهم الذي يخوضون فيه فلا عليك
بعد الزام الحجة والقام الحجر **يلعبون** حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق
بمحذوف هو حال من مفعوله الاول او من فاعل الثاني او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة
والظرف متصل بالاول **وهذا كتاب انزلناه** تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما
يشير به من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب **مبارك** اى كثير الفوائد وجم
المنافع **مصدق الذي بين يديه** من التورية لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق
للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي سائر اصول الشرائع التي لا تنسخ **ولتنذر
ام القرى** عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولانذارك اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها
اعظم القرى شأنا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض
كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب **ومن حولها** من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب
والذين يؤمنون بالآخرة وبما فيها من افانين العذاب **يؤمنون به** اى بالكتاب لانهم يخافون العاقبة
ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتأمل حتى يؤمنوا به **وهم على صلاتهم يحافظون** تخصيص
محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانافتها
من بين سائر الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا**
فزعم ان الله تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي واختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو
بن لحي ومتابعيه اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض
لنفي المساوي وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل
من كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه **او قال اوحي الي** من جهته تعالى **ولم يوح اليه** اى
والحال انه لم يوح اليه **شيء** اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله
احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عم اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد

محمد صادقا فقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال **ومن قال سانزل مثل ما انزل
الله** كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا **ولو ترى اذ الظالمون** حذف مفعول ترى لدلالة الظرف
عليه اى ولو ترى الظالمين اذ هم **في غمرات الموت** اى شدائده من غمره اذا غشيه **والملائكة باسطوا
ايديهم** بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في
المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين **اخرجوا انفسكم** اى اخرجوا ارواحكم
الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب **اليوم** اى وقت الاماتة او الوقت الممتد المتطاول الى
ما لا نهاية له **تجزون عذاب الهون** اى العذاب المتضمن لشدة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان
لعراقته فيه **بما كنتم تقولون على الله غير الحق** كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة
والوحي كاذبا **وكنتم عن آياته تستكبرون** فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها **ولقد جئتمونا** للحساب
فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي
كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد
كثلاث وفردى ككسرى **كما خلقناكم اول مرة** بدل من فرادى اى على الهيئة التي ولدتم عليها
في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير في فرادى اى مشبهين ابتداء
خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كخلقنا لكم اول مرة **وتركتم ما خولنا
كم** ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة **وراء ظهوركم** ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء لله تعالى في الربوبية واستحقاق
العبادة **لقد تقطع بينكم** اى وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما وقرئ
بينكم بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل
والوصل اى تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم **وضل عنكم** اى ضاع وغاب **ما كنتم تزعمون** انها شفعاؤكم
او ان لا بعث ولا جزاء **ان الله فالق الحب والنوى** شروع في تقرير بعض افاعيله تعالى الدالة على كمال
علمه وقدرته ولطف صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق بابانة اى شاق الحب بالنبات
والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اى خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم
الركية ووسع اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر **يخرج
الحي من الميت** اى يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستأنفة
مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان لان وقوله **ومخرج الميت** كالنطفة والحب **من الحي** كالحيوان والنبات
عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى
ذلكم القادر العظيم الشأن هو **الله** المستحق للعبادة وحده **فانى تؤفكون** فكيف تصرفون عن
عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا **فالق الاصباح** خبر آخر لان او لمبتدأ محذوف والاصباح مصدر
سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اى فالق عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره او فالق
ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح **وجعل الليل سكنا** يسكن
اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله
تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد
به الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من
الفعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه
للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك **والشمس والقمر** معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل هما
معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر
محذوف اى مجعولان **حسبانا** اى على ادوار مختلفة بحسبها الاوقات التي نيط بها العبادات
والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب **ذلك**
اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته اى

حكم
كم
ق

ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما
على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة
بمعايش الخلق ومعادهم وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان
نعمته في النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلقة به وتأخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور لما
مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشأها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا
بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط على طريقة افراد بعض
منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير
اي جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات
البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما
تتحقق عنده ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا الايات
اي بينا الايات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الايات التكوينية تفصيلا يبين حقيقة
الحال الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الايات المذكورة ويعملون بموجبها
او يتفكرون في الايات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم
المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم
قدرته ولطيف صنعه وحكمته اي انشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم
استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار
واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي
كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت الارض بالاستيداع لما ان كلا منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد
حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف اي فمنكم مستقر ومنكم
مستودع فان الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الايات المبينة لتفاصيل خلق البشر ومن
هذه الاية ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف
صنع الله عز وجل في اطوار تخليق بني آدم مما تحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون
على يعلمون كما ورد في شأن النجوم وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى
منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته اي انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشأن ما
انزل الماء لاجله اي فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء التي من شأنها النمو
من اصناف النجم والشجر وانواعهما المختلفة في الكم والكيف والخواص والاثار اختلافا متفاوتا في
مراتب الزيادة والنقصان حسبما ينبئ عنه قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في
الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال
النجم اي فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شيء اخضر وخضر كأعور وعور
واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله
نخرج منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اي نخرج من ذلك الخضر
حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب
متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل
خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شيء يخرج من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما
منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ اي وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا
لدلالة اخرجنا عليه اي ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده

معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او ومن النخل شيء من طلعها
قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها
ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فانها
وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتي بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها
لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف
على نبات كل شيء اي واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء اي ولكم
او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلة او مخرجة من النخل قنوان وجنات
من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر
لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان
منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى
مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف
عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون مشتبها
وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه ويكون الحذف من
حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم
وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا الى
ثمره اذا اثمر اي انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع
به وقرئ الى ثمره وينعه اي والى حال نضجه كيف يصير الى كمال اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع
جمة والينع في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي
لغة فيه وقرئ يانعه ان في ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لايات لقوم يؤمنون اي لايات عظيمة او كثيرة
دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع
المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع تحار في فهمه الالباب لا يكاد
يكون الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه
عن ذلك ضد يناويه او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل
وجعلوا لله شركاء اي جعلوا في اعتقادهم لله الذي شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الايات
الجليلة شركاء الجن اي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا
لشأنهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما رأى الثنوية
ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه
شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن
بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله
تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اي جعلوا الجن ويؤيده قراءة
ابي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم
شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد
او بدونه على اختلاف الرأيين مؤكدة لما في جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم
بمضمونها اي وقد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء اي والحال انه تعالى خلق الجن
فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ خلقهم عطفا على الجن اي وما يخلقونه من الاصنام
او على شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه تعالى وخرقوا له اي افتعلوا
وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرقوا بالتشديد للتكثير

وخرقوا له اي ذوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله وقالت طايفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اي بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب
بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان
بحيث لا يقادر قدره والبا للملابسة متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اي
خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كاينا بغير علم سبحانه استيناف مسوق لتنزيهه تعالى عما نسبوه
اليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اي اعتقاد البعد عنه والحكم به
من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه على
المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها
خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل
ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى
الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران
لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة
من حيث اسناد التنزه الى ذاته المقدسة اي تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله
تعالى وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة ولما في السبحان والتعالى من معنى التباعد
قيل عما يصفون اي تباعد عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اي
مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذى به ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على
المبتدع نص عليه ائمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه
على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله • امن ريحانة الداعي السميع • وقيل
هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور
اي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على شكل فايق وحسن رايق او الى الظرف
كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع
لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد
عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على
المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في سبحانه على راي من يجوزه وارتفاعه
على القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا محذوف او فاعل تعالى واظهاره في موقع الاضمار لتعليل
الحكم وتوسط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدأ خبره قوله تعالى انى يكون له ولد
وهو على الاولين جملة مستقلة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه
وقوله تعالى ولم تكن له صاحبة حال موكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى
صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن
وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورة انتفاء الثاني اي من اين او كيف
يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير
الفعل للفصل او لان الاسم ضمير تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده
على المبتدا او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز
ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول
لما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة
مستانفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اي انى يكون له
ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا
له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما
كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار اي الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا

وابدا حيثما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من
الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي ما
تعموه فرد من افرادها والجملة استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلايل القاطعة ببطلان
مقالاتهم الشنعاء التي اجترءوا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلايل النعوت وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين
بطريق الالتفات وهو مبتدا وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة
مترادفة اي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا
شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقية
ما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول والباقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل
من المبتدا والبواقي اخبار وقيل بعده وكل من الاخبار الثلاثة مبتدا وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم
واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق
للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اي هو مع ما
فصل من الصفات الجليلة متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته
الى نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق على
العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اي لا تصل اليه الابصار
ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه
لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في
الاخرة وهو يدرك الابصار اي يحيط بها علمه اذ لا تخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك
ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اي لا تدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف
لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استيناف وارد على
لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهو النور الذي يستبصر النفس كما ان البصر نور به تبصر العين
والمراد بها الايات الواردة ههنا او جميع الايات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية
مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم
من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كاينة من ربكم فمن ابصر
اي الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اي فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص
بها ومن عمي اي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر
عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اي فعلى نفسه عمي او فعماه عليها او وباله وما انا عليكم
بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الايات
اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الايات الدالة على المعاني الرايقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة
لا تصريفا ادنى منه وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق
عليه اي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل
عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الايات لتلزمهم الحجة
وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وينصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الايات
وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد
وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه والمعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست
اي دارست اهل الكتاب ودرست اي قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم
الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست

وقرؤها بدارست اليهود محمدا عم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الايات وهو في الحقيقة لاهلها اي دارس اهل الايات وحملتها محمدا عم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى **ولنبينه** عطف على ليقولوا واللام على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر او للمصدر اي ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى **لقوم يعلمون** متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس رضهم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة **اتبع ما اوحي اليك من ربك** لما حكى عن المشركين قدحهم في تصريف الايات عقب ذلك بامره عم بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اي دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله **لا اله الا هو** اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اي منفردا في الالوهية **واعرض عن المشركين** لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم **ولو شاء الله** اي عدم اشراكهم كما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء **ما اشركوا** وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى لا يريده منه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى **وما جعلناك عليهم حفيظا** اي رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله **وما انت عليهم بوكيل** من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله** اي لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كان تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا **فيسبوا الله عدوا** تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم **بغير علم** اي بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا يعدو عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر **كذلك** اي مثل ذلك التزيين القوي **زينا لكل امة عملهم** من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم **ثم الى ربهم** مالك امرهم **مرجعهم** اي رجوعهم بالبعث بعد الموت **فينبئهم** من غير تاخير **بما كانوا يعملون** في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا وعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى **واقسموا بالله** روي ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله

مدونه

صلى الله عم ان ينزلها طمعا في ايمانهم فهم عم بالدعاء فنزلت وقوله تعالى **جهد ايمانهم** مصدر في موضع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم **لئن جاءتهم آية** من مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الآيات **ليؤمنن بها** وما كان مرمى غرضهم في ذلك الا التهكم على رسول الله صلى الله عم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها الجبال **قل انما الآيات** اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا **عند الله** اي امرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشيء منها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شان الآيات وصعوبة منالها وتعاليها عن ان تكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الآيات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها وهو القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام وكيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله وارادته حتى يجاب بذلك وقوله تعالى **وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون** كلام مستأنف غير داخل تحت الامر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء الآيات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما معه عم بطريق التعميم لما روي عنه عم من الهم بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم ناجزة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سألوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل سيبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكان مدار الانكار على جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل الامر بالعكس فيتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل ان معنى لعل يقال ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك بمعنى ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئنافية لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون منهم عند مجيء الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فانه مما لا يتمنى ... لتحقق عدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالتاء الفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فيرجع الانكار الى ... الآيات **ونقلب افئدتهم وابصارهم** عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجيهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار **كما لم يؤمنوا به** اي بما جاء من الآيات **اول مرة** اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي لا يؤمنون بها ايمانا كائنا مثل عدم ايمانهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم **ونذرهم** عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الانكار الاستفهامي مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار معرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلبه الله سبحانه وتعالى عن الحق مع توجهها اليه واستعدادهم له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشانهم

عم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تعالى **في طغيانهم** متعلق بنذرهم وقوله **يعمهون** حال من الضمير المنصوب في نذرهم اى ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اى نصيرهم عامهين وقرى يقلب ويذرهم بالياء على اسنادهما الى ضمير الجلالة وقرى تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة** تصريح بما اشعر به قوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انه لا حكمة تعالى وقضائه المبنى على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه وآكده اى ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه هنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة **وكلمهم الموتى** وشهدوا بحقيقة الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا **وحشرنا** اى جمعنا **عليهم كل شيء قبلا** بضمتين وقرى بسكون الباء اى كفلاء بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله او تأتي بالله والملائكة قبيلا اى لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء تأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل وهو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اى حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرى كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفية **ما كانوا ليؤمنوا** اى ما صح ولا استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى **الا ان يشاء الله** استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اى ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم او من اعم العلل اى ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالة وقوعه بناء على استحالة وقوعها كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله تعالى ونقلب افئدتهم الآية كيف لا وقوله تعالى **ولكن اكثرهم يجهلون** استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا من نفسه ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الاخرون بل انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم حينئذ فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة الثانية بيان لمنشأ خطأ المقسمين ومناط اقسامهم وتقريرها على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك من الانبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة

اشارة الى ما يفهم مما قبله اى جعلنا لكل نبي عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا والتقديم على الفعل للقصر المفيد للمبالغة اى مثل ذلك الجعل الذي جعلنا في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء **شياطين الانس والجن** اى مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن وقيل هي بمعنى اللام اى الشياطين للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى **يوحي بعضهم الى بعض** كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله ● اذا انا لم انفع صديقي بودي ● فان عدوي لم يضرهم بغضي والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اى يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر **زخرف القول** اى المموه منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه اذا زينه **غرورا** مفعول له ليوحي اى ليغروهم او مصدر في موقع الحال اى غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اى يغرون غرورا **ولو شاء ربك** رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم المعربة عن كمال اللطف في التسلية اى ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو قوله تعالى **ما فعلوه** اى ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض مزخرف الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور الانبياء عم ايضا كما قيل فان قوله تعالى **فذرهم وما يفترون** صريح في ان المراد بهم الكفرة المعاصرون له عم اى اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة **ولتصغى اليه** اى الى زخرف القول وهو علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه بعض زخرف القول ليغروهم به ولتميل اليه **افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** انما خص بالذكر عدم ايمانهم بالآخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها اشعارا بما هو المدار لصغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوالها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون تلك الشهوات آلاما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لا يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجه الاخير فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام اى وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور **وليرضوه** لانفسهم بعدما مالت اليه افئدتهم **وليقترفوا** اى ليكتسبوا بموجب ارتضائهم له **ما هم مقترفون** له من القبائح التي لا يليق ذكرها **افغير الله ابتغي حكما** كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اى قل لهم أأميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما غير الله يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا

وذلك

قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من أحبار اليهود ومن أساقفة النصارى ليخبرنا عنك
بما في كتابهم من أمرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عم لا الى المشركين كما في قوله تعالى أفغير
دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغيرا
مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي يليها حقيقة كما
أشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير
من الابهام كقولهم ان لنا غيرها ابلا والحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على
العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى وهو الذي أنزل إليكم الكتاب جملة
حالية موكدة للانكار وانتساب غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار تساوي
نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اي أغيره تعالى
ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم الكتاب وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون
القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب مفصلا اي مبينا فيه الحق والباطل
والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط والابهام فأي حاجة
بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله
واما ان يكون للاعجاز دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه
منزل من ربك بالحق كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق
حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده تعالى ببيان ان الذين وثقوا بهم
ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفي
التعبير عن التوراة والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك في
الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم
علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما لا يختلف من الفروع
ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء
هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا
ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للتشريف والباء في قوله بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من
الضمير المستكن في منزل اي متلبسا بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك لما لا يشاهد
منهم آثار العلم واحكام المعرفة فالفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في
انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل
الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عم صورة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة حيث
تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس
علمهم بحال القرآن وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان
كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبر عنه
بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها تظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات ربك صدقا وعدلا
مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته اما استئناف
مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر
مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا
في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف
يتصور ابتغاء حكم غيره وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في
ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد
يقدر على ان يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن

نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق
اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل
وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منهما واستبداده تعالى بالاحاطة
التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقيض تلك الكمالات
من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله
سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في
الارض الناس وباكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما
يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون الا
الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم يهتدون او جهالة آرائهم الباطلة على
ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية كانه قيل كيف يضلون
فقيل لا يتبعون في امورهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا
ريب في ان الضال المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلكه فهم ضالون مضلون وقوله
تعالى وان هم الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون
اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر او
نظائرها او يقدرون انهم على شيء واني لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال عن ظن و
تخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها
وتأكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين ومن موصولة او موصوفة
في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في مثل هذه الصورة بل بفعل دل هو
عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم
الياء على ان من فاعل ليضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم
يعلم من يضل الناس فيكون تأكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة
بما ذكر اي يعلم من يضلله او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله
او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته
بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه امر مرتب
على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا
يقولون للنبي عم انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما
ذكر اسم الله تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم
بآياته التي من جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله
الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم
الله عليه انكار لان يكون لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر
والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم ما حرم عليكم جملة حالية موكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا
ألا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تأكلوا مما
ذكر اسم الله عليه والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم
بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الخ فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت
عليكم الميتة الخ لانه مدنية واما التأخير في التلاوة فلا يوجب التأخير في النزول وقرئ الفعلان
على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه
ايضا حلال حينئذ وان كثيرا ليضلون اي الناس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه
وقرئ يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة مستند
الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر

الاثم وباطنه اى ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اى يكتسبونه من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اى بالوساوس الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى بل اثره عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركين خابطون في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف الجملة الا على مثلها الذي يدل عليه الكلام اى انتم مثلهم ومن كان ميتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشى به اى بسببه والجملة استئناف مبنى على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشى به في الناس اى فيما بينهم امنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اى صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بها اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسم وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اى غير خارج منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاولى مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام ومده بالايات البينة الطريق الحق بكذلك كيف بيننا لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعانى بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيه معانيها بمعانيها فان الفاظ المثال الواقعة في مقابلها الاصلية بمعانيها قد انتزعت من الامور المتعددة المتضمن كل واحد منها هيئة على حدة تشبه بها الاولى وانما استعمل فيها ما يدل على الآخر ... في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم ... الاستعارة حقيقية وان الاستعارة التمثيلية من عبارة المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سبيل الاستعارة بان لا بد كما المستعارة هدى تمثيل ونظائره ... على منهاج الكتابة كما في قوله

وما الناس الا كالديار واهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

كذلك اى مثل ذلك التزيين الذي هو زين اى من جهة الله تعالى بطريق الخلق عند احد او الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين الناسجين الوساوس والاستطاعة عند الاحد من المراد ... التي يوحيها اليهم ما كانوا يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكى عنهم من القبائح ... نزلت في حمزة ... وابي جهل وقيل في عمر وعمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك ... كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها ... على ان ... المفعول الثاني والظرف لغو ... التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها ... المفعول الاول

الاولى والثاني لم يكروا بينهما ولا يخفى ان اى معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مضمونه والتحقق عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يعرف الاشارة عن سياق النظم الكريم وتوجيه التشبيه الى مقابلة النظائر باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيه ما بينهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى ح بعد التساوي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فالاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد باعتبار الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اى ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اى جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اى ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عم والوعيد للكفرة اى وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اى انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم اية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اى اذا جاءتهم اية بواسطة الرسول عم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تاتي بالله والملئكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق باتيان ما اوتي الرسل عم هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل عم في الجملة وان يعرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته عن ظاهرها ويحمل على رسالة جبريل عم بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن بكون تلك الاية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى ياتينا جبريل بالذات عيانا كما ياتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم بمن يليق بارسال جبريل عم اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى ياتينا وحي كما ياتيه وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق باتيان ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى ياتينا وحي كما ياتيه الخ غاية لعدم الرضا لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقديري اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلامهم المردود الا ان يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الاية النازلة وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عم فيكون المعنى واذا جاءتهم اية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله تعالى حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فانه ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الخ لو كان ما تدعيه من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذا لم يكن الامر كذلك فليست بحق وما له تعلق الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اى حتى نؤتى ايتاء

ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عم وحيث نصب على المفعول به لا نوسعا الا
بنفس اعلم المعرفة من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اى هو اعلم يعلم الموضع الذى يضع فيه
والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية
يخصها الله تعالى من يشاء من خلص عباده وقرئ رسالته **سيصيب الذين اجرموا** استيناف اخر ناع عليهم ما
سيلقونه من فنون الزجر بعد ما نعى عليهم جرمهم ما اتوه والسين للتاكيد ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار
بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اى يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به
اطماعهم الفارغة من عزة النبوة وشرف الرسالة **صغار** اى ذلة وحقارة بعد كبرهم **عند الله** يوم القيمة
وقيل من عند الله **وعذاب شديد** في الاخرة او في الدنيا **بما كانوا يمكرون** اى بسبب مكرهم المستمر او جزاء له
وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته **فمن يرد الله ان يهديه** اى يعرفه طريق الحق ويوفقه
للايمان **يشرح صدره للاسلام** فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيئة لحلوله فيها
مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عم حين سئل فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له
وينفسح فقالوا هل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل نزوله **ومن يرد ان يضله** اى يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه **يجعل**
صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا
بكسر الراء اى شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة **كانما يصعد** ما هو في مهيئته لعقول كان
على الجملة الفعلية **في السماء** شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود
السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وتنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود
وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد
قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد **كذلك** اى مثل ذلك الجعل الذى هو جعل الصدر حرجا
على الوجه المذكور **يجعل الله الرجس** اى العذاب او الخذلان فان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال
الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة **على الذين لا يؤمنون** اى عليهم ووضع الموصول
موضع المضمر للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على
الكفر **وهذا** اى البيان الذى جاء به القران او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان **صراط ربك** اى
طريقه الذى ارتضاه او عادته وطريقته التى اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان
بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال **مستقيما** لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال
مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة **قد فصلنا الايات** بيناها مفصلة
لقوم يذكرون يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما
يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم
المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الايات **لهم دار السلام** اى للمتذكرين دار السلامة من كل
المكاره وهى الجنة **عند ربهم** او في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره **وهو وليهم** اى مولاهم
وناصرهم **بما كانوا يعملون** بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم **ويوم**
يحشرهم جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل
الامر والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اى واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا **يا معشر الجن** اى ويوم يحشرهم
يقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يستطاع الوصف
لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين **قد استكثرتم من الانس** اى من اغوائهم واضلالهم او
منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع
وقال اولياؤهم اى الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى **من الانس** اما لبيان الجنس اى اولياؤهم
الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اى كائنين من الانس **ربنا استمتع بعضنا**
ببعض اى انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والنجوم

والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوا اليهم وقيل استمتاع الانس
بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم
وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع
الهوى وتكذيب البعث واظهارا للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار على حكاية
كلام الضالين للايذان بان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا **قال** استيناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال **النار مثواكم** اى
منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين **خالدين فيها** حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا
ومعنى الاضافة ان جعل مكانا **الا ما شاء الله** قال ابن عباس استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه
انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عم وهذا مبنى على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل
المعنى الاوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روى انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير
ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى جهنم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب
الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقدير من لاقى الاستثناء انهم
وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده **ان ربك حكيم**
في افعاله **عليم** باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء **وكذلك** اى مثل ما سبق من تمكين الجن من
اغواء الانس واضلالهم **نولي بعض الظالمين** من الانس **بعضا** آخر منهم اى نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء
والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدى اليه
من القبائح **بما كانوا يكسبون** بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي **يا معشر الجن والانس**
شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ
معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم **الم يأتكم** اى في الدنيا **رسل** اى من عند الله
لكن لا على ان يأتي كل رسول كل واحدة من الامم بل على ان يأتي كل امة رسول خاص بها اى الم يأت
كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى **منكم** متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اى كائنة من جملتكم لكن
لا على انهم من جنس الفريقين بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان
بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الاخر
واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القرآن وانذروا به قومهم
نظيره قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله ولوا الى قومهم منذرين
قوله تعالى **يقصون عليكم آياتي** صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ
والانذار وقد حصل ذلك بالنسبة الى الثقلين **وينذرونكم لقاء**
يومكم هذا يوم الحشر الذى قد عاينوا فيه ما اعد لهم من افانين العقوبات الهائلة **قالوا**
استيناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا **شهدنا**
على انفسنا اى باتيان الرسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب وباستحقاقهم لذلك
للعذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم
حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى **وغرتهم الحيوة الدنيا** اعتراض للعطف
عليه اعتراض لبيان ما ادآهم في الدنيا الى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها وما الجاهم في الاخرة
الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك اى واغتروا في الدنيا بالحيوة الدنيا
اللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذى بشرت به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما
يجرهم الى العذاب المؤبد الذى انذروه اياه **وشهدوا** في الاخرة **على انفسهم انهم كانوا** في الدنيا
كافرين اى بالايات والنذر التي اتى بها الرسل اى اضطروا الى الاستسلام
لاشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكى بقوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين وانما قال اصحاب النار

وتبدو من تجبرهم وتحذيرا للسامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على
انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى ان
لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على ان ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشان الذي هو
اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اي بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اي ملتبسة
بظلم فان ملابستها ايضا للظلم ملابسة للقرية لها بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك
كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها ماخوذة من معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى
واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب
اي ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة
العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال
الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعدم
اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو اهلاك
القرى قبل الانذار مع ان التقريب في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل اتم على ما
نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين
الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي عنه
تعالى ليثبت نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث
لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون الانذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى واجلى ولو
علل بما ذكر من نفي التعذيب لانفهم بحسب المقام ان ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي
التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى
ولان ترتب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تاثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند
السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بموجب
الانذار اشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال
الرسل عليهم السلام وانذارهم وجعله خبر المبتدأ محذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه
اعلم ولكل من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم صالحة
كانت او سيئة فان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة معينة لهم او من
اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من
ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني مبتدأ وخبر اي هو المعروف
بالغنى عن كل ما سواه كائنا ما كان وما كان فيندرج فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي
التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لاسيما في الثاني لكونه في موقع الاضمار مع الاضافة الى
ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الاتي لها ايضا ما لا
يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر اخر او هو الخبر والغني صفة اي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم
ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد
لقوله تعالى ان يشا يذهبكم اي ما به حاجة اليكم ان يشأ يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب
من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما
على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي من نسل
قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية
ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ
انشاء كما انشاكم الخ او نعت لمصدر الفعل المذكور اي يستخلف استخلافا كائنا كما انشاكم الخ والشرطية
استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة ان ما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع

يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا
محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعته ووقوعه بتصويره بصورة طالب
حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم
في الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان
والمراد بيان دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على
دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام
كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم امر له عليه السلام بان يبين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب
اثر بيانه بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه
من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا على غاية تمكنكم
واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي انتم عليها من قولهم
مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما
امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة
الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدي اليه
وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الى التقصي عنه سبيلا فسوف
تعلمون من تكون له عاقبة الدار سوف لتاكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية
معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها خبرها وهي مع خبرها في محل نصب
لسدها مسد مفعول تعلمون اي فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه
الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار
وفيه مع الانذار انصاف في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تانيث العاقبة
غير حقيقي انه اي ان الشان لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب
على اي فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم
الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج
لله تعالى واشياء منهما لالهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه
للالهة وان زكا ما جعلوه للالهة تركوه لها معتلين بان الله تعالى غني وانما ذاك لحب الالهة وايثارهم لها
[illegible] لله مما ذرأ متعلق بجعلوا ومن في قوله تعالى من الحرث
والانعام بيان لما وفيه تقريع لهم بان ما جعلوه [illegible] خلقه جمادا لا يقدر على
[illegible] نصيبا
الى الضيفان والمساكين [illegible] للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
[illegible]
ان الاول نصيبا والثاني لله [illegible] فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم
الزاي وهو لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشيء
من الثواب كالتطوعات التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم
يأمرهم الله تعالى به فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا
لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فما
كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له اي ما عينوه
لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على
المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوا [illegible] يصرفونه الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لالهتهم
[illegible] انفاق عليها وذبح النسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من

ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما بعده الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم او مثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوادهم ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وهو متعلق بزين شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول اهتماما بالمقدم وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل من زين لهم قتل اولادهم فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عم او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله تعالى فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما يملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتأنيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اي ضيق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اي قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام الخ اي قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي وانعام اي وهذه انعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع في كلامهم المحكي كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله على احد التفاسير كأنه قيل وانعام ذبحت على الاصنام فانها التي لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه نصب على المصدر اما على ان ما قالوه تقول على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه اي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر المؤكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اي مفترين او على العلة اي للافتراء فالجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون اي بسببه او بدله وفي ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن آخر من فنون كفرهم ما في بطون هذه الانعام يعنون به اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اي ذو خالصة او للتأنيث بناء على ان ما عبارة عن الاجنة والتذكير في قوله تعالى ومحرم على ازواجنا اي جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ اولا وعلى المعنى ثانيا كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره واما العكس فقد قالوا انه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة اي وان ولدت ميتة فهم اي الذكور والاناث فيه اي فيما في بطون الانعام

الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الاول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه المجرور وقرئ خالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر اي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على انه علة له اي لخفة عقلهم وجهلهم بان الله هو الرزاق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها افتراء على الله نصب على احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا وهو الذي انشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل احوال الانعام اي هو الذي انشأهن من غير شركة لاحد في ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اي انشأهما مختلفا اكله وقرئ اكله بالسكون اي ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والطعم اما للنخل والزرع داخل في حكمه او للزرع والباقي مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او وكل واحد منها ومختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اي وانشأهما متشابها وغير متشابه نصب على الحال اي يتشابه بعض افرادهما في اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره اي من كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكوة المفروضة فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرئ حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الآية انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا شروع في تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم والتحليل وهو عطف على مفعول انشأ ومن متعلقة به اي وانشأ من الانعام ما يحمل عليها الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كأنها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله اي ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اي حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة هذا المعقول وهذا العدد تمهيد لما سبق له الكلام من الانكار والمتعلق بتحريم كل واحد من

الذكر والانثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الآية معترض بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلهما الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها على الله سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها مفصلة واثنين في قوله سبحانه وتعالى **من الضان اثنين** بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من اي انشأ من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة **ومن المعز اثنين** عطف على مثله شريك له في حكمه اي وانشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تأخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها **قل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل انواع الانعام التي انشأها اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب **آلذكرين** من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس **حرم** اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم **أم الانثيين** وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى **ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين** اي ام ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى **نبئوني بعلم** الخ تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني تنبئة ملتبسة بعلم صادرة عنه **ان كنتم صادقين** اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى **ومن الابل اثنين** عطف على قوله تعالى من الضان اثنين اي وانشأ من الابل اثنين وهما الجمل والناقة **ومن البقر اثنين** ذكرا وانثى **قل** الحاما لهم في امر هذين النوعين ايضا **آلذكرين** منهما **حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين** من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال قل آلذكور حرم ام الاناث ام ما اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تعالى **ام كنتم شهداء** تكرير للافحام كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل أكنتم حاضرين مشاهدين **اذ وصاكم الله بهذا** اي حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يقود اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي فاي فريق اظلم ممن افترى الخ ولا يقدح في الظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة **ليضل الناس** متعلق بالافتراء **بغير علم** متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى اي افترى عليه جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات

والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم ان الله لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي متلبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو في اقصى غاياته **قل** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ما يتقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرمه عليهم وفي قوله تعالى **لا اجد فيما اوحي الي محرما** ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات فلم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد ريثما تصفحت ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها على طاعم اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تعالى **يطعمه** لزيادة التقرير **الا ان يكون** ذلك الطعام **ميتة** وقرئ تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى **او دما مسفوحا** عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالطحال والكبد **او لحم خنزير فانه** اي الخنزير **رجس** اي قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث **او فسقا** عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته **اهل لغير الله به** صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون **فمن اضطر** اي اصابته الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة **غير باغ** في ذلك على مضطر آخر مثله **ولا عاد** قدر الضرورة **فان ربك غفور رحيم** مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي هي غيرها الا مع الاستصحاب **وعلى الذين هادوا** خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين **حرمنا كل ذي ظفر** اي كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا **ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما** لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط **الا ما حملت ظهورهما** استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم **او الحوايا** عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن **او ما اختلط بعظم** عطف على ما حملت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاطلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء والتحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم **جزيناهم ببغيهم** بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا معصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد ذلك عليهم واكد بقوله **وانا لصادقون** اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد ألقمهم الحجر في قوله كل الطعام

كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يرد بأسه الخ لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار به قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء صريح في انه من عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الاشراك نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الآية ويؤيده قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله تعالى وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف اي واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين همتهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اي احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في تعليقه وليس بشيء واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذف الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفوا بما يدل على انهم معروفون بالشهادة لهم وينصرون مذهبهم فان شهدوا بعد ما حضروا بان الله حرم هذا فلا تشهد معهم اي فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم فان من يكذب بآياته لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عديلا عطف على لا يؤمنون

يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهي الجمع المذكور بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من ان اشراكهم واشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بامر الله تعالى ومشيئته وظهر عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في امر التحريم بعدما كلفوه مرة بعد اخرى عجزا بينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا اجد الآية وتعالوا امر من التعالي [illegible] ثم استعمل في كل طالب [illegible] اتل جواب الامر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة والعائد محذوف اي الذي حرمه ربكم اي الآيات المشتملة عليه او مصدرية اي تحريمه او استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب القول كانه قيل اتل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لامرهم على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء وان في قوله تعالى ان لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية عطف ما بعده من الاوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرا لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات ايضا كذلك حتى يمتنع انتظام الاوامر في سلكها لعطفه عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة باضدادها فلا تغفل هيهنا فان الامر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو عينه عند البعض كأن الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم راجع الى الاضداد على الوجه المذكور وقيل [illegible] اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا [illegible] في ايجاب [illegible] النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر هو هنا وفي سائر المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب [illegible] من ما حرم وقيل من العائد المحذوف على ان لا زائدة [illegible] والجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا بزيادة لا [illegible] على اخراج المفسر على صورة النهي للمبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا نصب على المصدرية او المفعولية اي لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا اولادكم تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين اي لا تقتلوهم بالوأد من املاق اي من اجل فقر كما في قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم استيناف مسوق لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه مبادرة الى المنهي عنه وضمان منه تعالى لارزاقهم اي نحن نرزق الفريقين لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة الآية الا انه جيء هيهنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك ابدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل

مطلقا كما وقع في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم الاموات وقد قال عم في حق العزل ذلك وأد خفي ومن ههنا تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائها ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربي وقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم به اي امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهي عنها مما تقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتثمير ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء كقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا للنهي كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر وقيل هو مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كانه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي المقول له او عليه ذا قربى اي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله اوفوا اي ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشانه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف ومعنى البعد لما ذكرنا قبل وصاكم به امركم به امرا مؤكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وعن ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهن محرمات على بني آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار رضي الله عنه والذي نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا اتل الآيات وان هذا صراطي اشارة الى ما ذكر في الآيتين من الامر والنهي قاله مقاتل وقيل الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عم انتسابه اليه عم من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل يتعلق به عم ايضا وانه عم مستمر على العمل بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل انه مع ما في حيزها الجر بحذف لام العلة اي ولان هذا صراطي اي مسلكي مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عم لا بكونه صراط الله تعالى مع انه في نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عم فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ ان هذه مخففة من ان على ان اسمها الذي هو ضمير الشان محذوف وقرئ صراطي وقرئ وهذا صراطي وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او طرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احدى التاءين والباء للتعدية اي فتفرقكم حسب تفرقها ايادي سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان

ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله اي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذي ذكر بعض احكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عم عين سبيل الله ذلكم اشارة الى ما مر من اتباع سبيله عم وترك اتباع سائر السبل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوفا على مقدر يقتضيه المقام وتستدعيه النظام كانه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم آتينا الخ [illegible] ما عطف على ذلكم وصاكم به [illegible] في سلك الكلام الملقن [illegible] عليه الجمهور فما لا يليق بجزالة النظم الكريم وقيل ثم للتراخي في الاخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى التوراة فان ايتاءها مشتملا على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة اي اتماما لها على انه مصدر من اتم بحذف الزوائد على الذي احسن اي على من احسن القيام به كائنا من كان ويؤيده انه قرئ على الذين احسنوا وتماما على المحسنين او على الذي احسن تبليغه وهو موسى عم او تماما على ما احسنه موسى من العلم والشرائع اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي على الذي هو احسن دينا وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما وانتصابهما اما على العلية او على المصدرية كما اشير اليه او على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وايتاء الكتاب والباء في قوله تعالى بلقاء ربهم متعلقة بقوله تعالى يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب وهذا الذي تليت عليكم اوامره ونواهيه اي القرآن كتاب عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى انزلناه مبارك اي كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام مع منكريه [illegible] اي انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينية والدنيوية التي فصلت عليكم طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شأن الكتاب في نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتباعه اي ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة لانزلناه [illegible] لا للمذكور لاستلزامه الفصل بين العامل والمعمول باجنبي هو مبارك وصفا كان او خبرا اي انزلناه كراهة ان تقولوا يوم القيامة لو لم ننزله انما انزل الكتاب الناطق بتلك الاحكام العامة لكل امة على طائفتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال بكتابيهما لانهما اللذان اشتهرا فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام المذكورة وان كنا ان هي المخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف [illegible] اي وانه كنا عن دراستهم لغافلين لا ندري ما في كتابهم اذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الاحكام العامة ونحافظ عليها [illegible] الكتابين لاشتمالهما على الاحكام المذكورة [illegible] قطع تلك المعذرة بانزال القرآن لاشتماله ايضا عليها [illegible] او تقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب اي كما انزل عليهم لكنا اهدى منهم الى الحق الذي هو المقصد الاقصى [illegible] الاحكام والشرائع

ودقايقها المحررة اذهاننا ونقابتدارتفهامنا ولذلك تلقفنا من فنون العلم كالقصص والاخبار والخطب
والاشعار ونحو ذلك طرفا صالحا ونحن امبون وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة
اما معلل به اي لاتعتذروا بذلك فقد جاءكم الخ واما شرط له اي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من
انفسكم من كونكم اهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة
واي بينة اي حجة واضحة لاتكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة
اي بينة كائنة منه تعالى وايا ما كان ففيه دلالة على فضلها الاضافي كما ان في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها
الذاتي وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة
عطف على بينة وتنوينهما ايضا تفخيمي عبر عن القران بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى و
الرحمة فمن اظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجيء القران المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية
اظلمية من يكذبه اي واذا كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بايات الله وضع الموصول موضع ضميرهم
بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب
وعبر عما جاءهم بايات الله تعالى تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اي اية كانت من اياته تعالى كاف في
الاظلمية فما ظنك بتكذيب القران المنطوي على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا
وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد
به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد مر مرارا وصدف
عنها اي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزي الذين يصدفون الناس عن اياتنا وعيد لهم
ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب
اي العذاب السيء الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على التجدد
والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما في حيز الصلة له هل ينظرون استئناف
مسوق لبيان انه لايتاتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى وانهم لايرعوون عن التمادي في المكابرة
واقتراح ما ينافي الحكمة التشريعية من الايات الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة في التبليغ
والانذار وازاحة العلل والاعذار اي ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا
انزل علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تاتي بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك
او الا ان تاتيهم ملائكة العذاب او ياتي امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ ياتيهم
بالياء لان تانيث الملائكة غير حقيقي او ياتي بعض ايات ربك اي غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظائم الايات التي علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم
كما ان اضافة الايات في الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ضميره عليه السلام
للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه سبحانه وتعالى اتيان كل اياته بمعنى ايات القيامة والهلاك
الكلي بقرينة ما بعده من اتيان بعض اياته تعالى على ان المراد به اشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الارض
وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج
ونزول عيسى عم ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان هذه الامور
مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الايات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهرا حمل الانتظار
على التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الاصرار على الكفر والتمادي في العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهائلة
التي لابد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم سيما ما ينبئ
عن تماديهم في تكذيب ايات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما
ينتظرونه يستدعي ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم اما بان تكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات
مترتبة على جناياتهم كاتيان ملائكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سياتي من قوله عز وعلا
قل انتظروا انا منتظرون واما حمله على ما ذكر من اتيان ملائكة الموت واتيان كل ايات القيامة وظهور
اشراط الساعة مع شمول اتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها على كل نوع من كافر فمما لا يساعده المقام

المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما ينسد به باب الايمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الايات في قوله
عز وعلا يوم ياتي بعض ايات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي
عليه يدور فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى في الشكل الاول لينتج التقريب بدخول ما ينتظرونه في ذلك
دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لاينفع فان امتناع عمل ما بعدها فيما قبلها عند وقوعها
جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف اي لاينفع فيه نفسا
من النفوس ايمانها حينئذ لانكشاف الحال وكون الامر عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله
تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقرئ لاتنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان التانيث من
المضاف اليه تانيثا وقوله تعالى لم تكن امنت من قبل اي من قبل اتيان بعض الايات صفة لنفسا
فصل بينهما بالفاعل لاشتراكهما في العامل وقوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا عطف على امنت
والمراد به على النفي المعنى لكفاية احد النفيين في عدم النفع والمعنى انه لاينفع الايمان نفسا
لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورته اشتراط النفع بتحقق الامرين اي الايمان المقدم
والخير المكسوب فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر بالذات فان قولك لاينفع الصوم والصدقة
من لم يؤمن قبلهما بمعناه انهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم
اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم لعمومه
المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو
دون الانفصال الحقيقي فالمعنى انه لاينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد
او الخير المكسوب به فيتحقق النفع باحدهما كما ذكر حسبما ينطق به النصوص الكريمة من الايات والاحاديث وما قيل من
ان عدم الايمان السابق يستلزم لعدم كسب الخير به بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فائدة على ان الموجب
للخلود في النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثاني دخل ما في ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان
ما يوجب الخلود لغوا من الكلام لغو من الكلام مبني على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين
مجرد بيان ايجابهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث في انجائها عنه وليس كذلك والا لكفى في
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وليس بواضح فان مبنى اللف التقديري ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا
على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما مر في تفسير قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم
اليه جميعا فانه قد طوى في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بانباء التفصيل عنه اعني قوله تعالى فاما الذين
آمنوا الآية ولا ريب في ان وقوعه ههنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا ولا هو من
مقتضيات المقام لانه ليس مما وعدوه وعلقوه باتيان بعض الآيات كالايمان حتى يرد عليهم بعدم نفعه
او زواله عن ان ذلك مستعقب لهم بعد ما اصابهم من الدواهي ما اصابهم بقاء على الاسلام وربما تاتى لهم
الكسب فيه وفيه من الاخلال بتوقيم تهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه
اخر قصارى امرها اسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية على ما
ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء عن العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتي لما تقرر من ان
الظني بمعزل من معارضة القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنتظرونه
من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اي شيء تنتظرون انا منتظرون لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه
تاييد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملئكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بما يشاهدونه بما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي
شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم ان الذين فرقوا دينهم استيناف لبيان احوال اهل الكتابين
اثر بيان احوال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اي
باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا شيعا اي فرقا تشيع
كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت
النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة
كلهم في الهاوية الا واحدة واستثناء الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي
قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم ففي قوله تعالى لست منهم في شيء
اي لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يعاملهم بالمناقشة والمؤاخذة وقيل من قتالهم في شيء سوى
تبليغ الرسالة واظهار شعائر الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف وقوله
تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى وحده امر اولهم واخراهم ويدبره كيف يشاء حسبما
تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء ويامر بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء
الزائغة من هذه الامة ويرده الزعم المامور بمؤاخذتهم والاعتداد وبان معنى لست منهم في شيء حينئذ
انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم براء منك باباه التعليل المذكور ثم ينبئهم اي يوم القيمة بما كانوا
يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا جاهلين
بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم على رؤس الاشهاد ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا
يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر
امثالها استيناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر
اضدادهم قال عطاء عن ابن عباس يريد من عمل من المصدقين حسنة كتب له عشر حسنات اي من جاء
يوم القيمة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات امثالها تفضلا من الله
وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد
بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص ومن
جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة
وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين
لهم ما هو عليه من الدين الحق الذي يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق
لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل
لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والانفس من الآيات التكوينية الى صراط مستقيم

مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط فان محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك
صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض
فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة
وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا عن
الاديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عما عليه المفرقون لدينه
من عقد وعمل اي ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون
انهم على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح ابن
الله قل ان صلاتي ونسكي اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اي عبادتي
كلها وقيل وذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي ومحياي ومماتي
وما انا عليه في حياتي واكون عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات
كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة
له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في
الفضل اي بذلك الاخلاص امرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما
امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مامورون به يقتدي به عليه السلام من اسلم منهم قل اغير الله
ابغي ربا آخر فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب
له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين
اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما
كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون
صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتاتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد
له بالمعنى الثاني اي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب
وتوجيه له الى الكل لتاكيد الوعد وتشديد الوعيد اي الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ
بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض جمع
خليفة اي الامم السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب
عام ورفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم من المال والجاه
اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك تجريد الخطاب لرسول الله عليه السلام
مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب اي عقابه سريع الاتيان لمن لم
يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن
استعمال المبادي والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفيه جعل خبر هذه الجملة من الصفات
الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى من الصفات الجارية على غير من هي له
التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل
بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف بسم الله الرحمن الرحيم مكية مائتان وست آيات

المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من
الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص اي مسمى به وتذكير
اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم وانما صحت الاشارة اليه مع
عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى كتاب على
الوجه الاول خبر مبتدأ محذوف وهو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف
مرادا به السورة كتاب الخ او اسم اشارة اشير به الى تنزيل المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف

أي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر جيء به إثر بيان كونه مترجما باسم بديع ينبئ عن غاية
فخامته إبانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من أفراد الكتب الإلهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه
خبرا والمص مبتدأ أي المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من أن ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون
قبل ذلك معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الإخبار بها أنزل إليك أي
من جهته تعالى بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وإيذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور
تعينه وهو السر في ترك ذكر مبدأ الإنزال كما في قوله جل ذكره بلغ ما أنزل إليك من ربك ونظائره
والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن أنزل إليه وحمله جار الله على معنى كتاب عظيم الشأن أنزل إليك خلاف
الأصل فلا يكن في صدرك حرج أي شك كما في قوله تعالى فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك خلا أنه عبر
عنه بما يلازمه من الحرج فإن الشاك يعتريه ضيق الصدر كما أن المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة
في تنزيه ساحته عم عن نسبة الشك إليه ولو في ضمن النهي فإنه من الأحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها إياه عم
وما قد يقع من نسبته إليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهييج والإلهاب والمبالغة في التنفير والتحذير بإيهام
أن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه أصلا فكيف يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير
والجار في قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج منه أي ضاق به صدره أو بمحذوف وقع صفة له أي
حرج كائن منه أي لا يكن فيك شك ما في حقيته أو في كونه كتابا منزلا إليك من عنده تعالى فالفاء على
الأول لترتيب النهي أو الانتهاء على مضمون الجملة فإنه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين
به قطعا وأما على الثاني فهو لترتيب ما ذكر على الإخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي إلى الحرج
مع أن المراد نفيه عنه عم أما لما مر من المبالغة في تنزيهه عم عن الشك فيما ذكر فإن النهي عن الشيء
مما يوهم إمكان صدور المنهي عنه عن المنهي وأما للمبالغة في النهي فإن وقوع الشك في صدره عم سبب
لاتصافه عم به والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني ونفي له عن أصله بالمرة كما في قوله تعالى
ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل لا أرينك ههنا فإن النهي هناك وارد على المسبب مرادا
به النهي عن السبب ليكون المآل نهيه عم عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته
أي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك وأن تقصر في القيام بحقه فإنه عم كان يخاف
تكذيب قومه له وإعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له فآمنه الله تعالى ونهاه عن المبالاة
بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة أو على الإخبار به فإن كلا منهما موجب للإقدام على التبليغ وزوال
الخوف قطعا وإن كان إيجاب الثاني بواسطة الأول وقوله تعالى لتنذر به أي بالكتاب المنزل متعلق
بأنزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده ودفعا لتوهم أن مورد الشك
هو الإنزال للإنذار وقيل متعلق بالنهي فإن انتفاء الشك في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للإنذار به
قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم أو العلم بأنه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وأنت خبير بأنه
لا يتأتى على التفسير الأول لأن تعليل النهي عن الشك بما ذكر من الإنذار والتذكير مع إيهامه لإمكان صدوره
عليه عم مشعر بأن المنهي عنه ليس محذورا لذاته بل لإفضائه إلى فوات الإنذار والتذكير لا أقل من الإيذان
بأن ذلك معظم غائلته ولا ريب في فساده وأما على التفسير الثاني فإنما يتأتى التعليل بالإنذار لا بتذكير المؤمنين
إذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غايته لانتفائه وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين في حيز النصب بإضمار فعله
معطوفا على تنذر أي وتذكر المؤمنين تذكيرا والجر عطفا على محل أن تنذر أي للإنذار والتذكير
وقيل مرفوع عطفا على كتاب أو خبر لمبتدأ محذوف وتخصيص التذكير بالمؤمنين للإيذان باختصاص
الإنذار بالكفرة أي لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين وتقديم الإنذار لأنه أهم بحسب المقام اتبعوا ما أنزل
إليكم كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين بطريق التلوين وأمروا باتباع ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم
بتبليغه بطريق الإنذار والتذكير وجعله منزلا إليهم بواسطة إنزاله إليه عم إثر ذكر ما يصححه من
الإنذار والتذكير لتأكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بأنزل على أن من لابتداء الغاية
مجازا أو بمحذوف وقع حالا من الموصول أو من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع الإضافة

الإضافة إلى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما أمروا به وتأكيد لوجوبه وجعل
ما أنزل ههنا عاما للسنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمهما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة
ولما كان اتباع ما أنزله الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الأمر بذلك بالنهي عن اتباع غيره تعالى فقيل
ولا تتبعوا من دونه أي من دون ربكم الذي أنزل إليكم ما يهديكم إلى الحق ومحله النصب على أنه
حال من فاعل فعل النهي أي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى أولياء من الجن والإنس بأن تقبلوا منهم
ما يلقونه إليكم بطريق الوسوسة والإغواء من الأباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والأهواء
الزائغة أو من أولياء قدم عليه لكونه نكرة إذ لو أخر عنه لكان صفة له أي أولياء كائنة غيره تعالى
وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف في أولياء أي ولا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل أولياء كأنه
قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين أولياء وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام
دينا وقوله تعالى قليلا ما تذكرون بحذف إحدى التاءين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على إدغام
التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة الغيبة وقليلا نصب إما بما بعده على أنه
نعت لمصدر محذوف قدم للقصر أو لزمان كذلك محذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أي تذكرا
قليلا أو زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتأثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين
الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز أن يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون والجملة
اعتراض تذييلي مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الأخيرة للإيذان باقتضاء
سوء حالهم في عدم الامتثال بالأمر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة
وأما نصب على أنه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به أي لا تتبعوا من دونه أولياء
قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي إلى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وأنتم
سكارى بل إلى المقيد والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم
من قرية أهلكناها شروع في إنذارهم بما جرى على الأمم الماضية بسبب إعراضهم عن اتباع
دين الله تعالى وإصرارهم على اتباع دين أوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في
قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في أهلكناها راجع إلى معنى كم
كثيرا من القرى أهلكناها أو في موضع نصب بإضمار فعل يفسره أهلكناها كما في قوله تعالى إنا كل شيء خلقناه بقدر
والمراد بإهلاكها إرادة إهلاكها كما في قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلوة أي أردنا إهلاكها
فجاءها أي فجاء أهلها بأسنا أي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال بائتين
كقوم لوط أو هم قائلون عطف عليه أي أو قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وإنما حذفت
الواو من الحال المعطوفة على أختها استثقالا لاجتماع العاطفين فإن واو الحال حرف عطف قد
استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فإنه غير فصيح وتخصيص الحالين بالذكر
لما أن نزول المكروه عند الغفلة والدعة أفظع وحكايته للسامعين أزجر وأردع عن الاغترار
بأسباب الأمن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة مع أن بعض المهلكين بمعزل عنهما
لا سيما القيلولة للإيذان بكمال غفلتهم وأمنهم فما كان دعواهم أي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم أو ما
كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إذ جاءهم بأسنا عذابنا وعاينوا أمارته إلا أن قالوا
جميعا إنا كنا ظالمين أي إلا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه وندامة
وطمعا في الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسألن الذين أرسل إليهم بيان لعذابهم الأخروي
إثر بيان عذابهم الدنيوي خلا أنه قد تعرض لبيان مبادي أحوال المكلفين جميعا لكونه
أدخل في التهويل والفاء لترتيب الأحوال الأخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها
وجودا أي لنسألن الأمم قاطبة قائلين ماذا أجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما أجيبوا كما قال
تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذي
نفي بقوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام أو الأول في موقف الحساب والثاني

والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب
او عليهم وعلى الرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بما لوسنا منهم
وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل يقرر
ما قبلها والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتداء
وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله الحق صفته اي والوزن الحق ثابت يومئذ يكون السؤال والقص
وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي العدل السوي وقرئ القسط واختلف
في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه
الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد
عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما يثبت في صحائفهم فيقرءونها في موقف الحساب ويؤيده ما روي
ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة
فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عم
انه لياتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي
والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين بناء على ان استعمال
لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل
الى معرفة مقادير الشيء ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى
تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشاة بصور عرضية تبرز في
النشاة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هناك
وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عم في حق من يشرب في آنية الذهب والفضة
انما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك الا يرى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا
يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه يؤتى بالاعمال
الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان قيل ان المكلف يوم القيمة
اما مؤمن بانه تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر له فلا
يسلم ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل يسنده الى
اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ ويظهر
جميع الاشياء بحقائقها على ما هي عليه وباوصافها واحوالها في انفسها من الحسن والقبح وغير ذلك
وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة في انها
هي التي كانت في الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر في هذه النشاة بصورته الحقيقية المستتبعة
لصفاتها ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة
على الوزن والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات
فان رجحان احدهما يستلزم رجحان الآخر اي فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته او اعماله
التي لها وزن وقدر وعن الحسن البصري وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع
فيه السيئات ان يخف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمع باعتبار
معناه كما ان جمع الموازين لذلك وافراد ضمير موازينه لما ان الراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب
وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه
او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين بلغك
انهم مفلحون في الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن
خفت موازينه اي موازين اعماله او اعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي اعماله السيئة فاولئك

فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا في نظيره
وهو مبتدا خبره الذين خسروا انفسهم اي ضيعوا الفطرة السليمة التي فطروا عليها وقد ايدت بالآيات
البينة وقوله تعالى بما كانوا باياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون
على تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على
استمرار الظلم في الدنيا اي فاولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر
بآياتنا ظالمين ولقد مكناكم في الارض لما امر الله تعالى اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم
عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في الآخرة ذكرهم ما افاض
عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالامر والنهي اثر ترهيب اي جعلنا لكم فيها مكانا
وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهي
ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه في قراءته اخلاص الياء
وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشاء والابداع اي انشانا وابدعنا
لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالا من
مفعوله المنكر اذ لو تاخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع ان حقهما التاخر عنه لما مر غير مرة من
الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم
منبئا عن منفعة السامع تبقى مترقبة لوروده فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن واما تقديم اللام
على في فلما انه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشانه اتم والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان
الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم على الاول والظرف الآخر اما لغو متعلق
بالجعل او بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت خبير بانه لا فائدة يعتد بها في الاخبار
بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة في الارض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون اي تلك النعمة تذييل
مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذير لهم وبقية الكلام فيه عين ما مر في تفسير قوله تعالى قليلا
ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم عم سارية الى ذريته
موجبة لشكرهم كافة وتاخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة التمكين في الارض اما لانها فائضة على
المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة للشكر على حيالها
فان رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير
الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونهما وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين
مع ان المراد بهما خلق آدم وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز
الى ان لهم حظا من خلقه عم وتصويره لانهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عم كسجود الملائكة
له بل من الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته
فكانهم الذين تعلق بهم خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن
تقويم سار اليكم جميعا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم تصريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته
ونفخ الروح فيه امر منجز غير الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من
روحي فقعوا له ساجدين وهو الذي حكي بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة
البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضي تراخيه
عن التصوير من غير تعرض لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل
آدم عم بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عم حسبما نطق به قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة
اني جاعل في الارض خليفة الى قوله تعالى وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر
المعلق من التسوية ونفخ الروح وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضي عدم ذكره عند وقوع المحكي كما ان
عدم ذكر الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب
مختلفة بمقتضى المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعل ما القي الى الملائكة عم اولا جميع ما نقل

عليها الامر المنجز اجمالا الا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي وتبين لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه فنفخ فيه من روحه فقالوا
عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني
جاعل هذا خليفة في الارض فهنالك ذكروا في حقه عم ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا
منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر المنجز اعتناء بشان المامور به وايذانا بفوتة وقد حكى بعض
الامور المذكورة في بعض المواطن وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن اخر والذي
يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر السليمة ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الاية
بدل من قوله اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند
اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملأ الاعلى الملائكة وادم عم وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين
وباختصامهم ما جرى بينهم في شان الخلافة من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عم من الانباء بالاسماء
من قضية التدلية ووقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق
به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من
بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة
ابليس وطرده من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الروح
وقبل السجود باحد الطريقين المذكورين والله تعالى اعلم فسجدوا اي الملائكة عم بعد الامر من غير
تلعثم الا ابليس استثناء متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا
عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم اولان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في
سورة البقرة فقوله تعالى لم يكن من الساجدين اي ممن سجد لادم كلام مستانف مبين لكيفية عدم السجود
المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود قد يكون للتامل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون
متصلا بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية
عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير
السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق
والتصوير ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت
عليه كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء
مضطر الى خلافه فالمعنى ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب
والفور وفي سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون من الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج في معصية واحدة ثلاث معاص
مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير ادم عم
وقد وبخ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن
اخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا
في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبني على سؤال
نشأ من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق
جوابه على السؤال بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا يقتضي الاستلزام لمنعه من
السجود على زعمه ومشعرا بان من شانه هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به
كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون فهو اول
من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين
تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل
عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه
الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو

وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بالسجود له عم حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة
في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الاية دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة
ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال استئناف كما سلف
والفاء في قوله تعالى فاهبط منها لترتيب الامر وتعليله بالاباطيل واصراره على ذلك اي فاهبط
من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها قال ابن عباس رضي كانوا في عدن لا في جنة الخلد
وقيل من جملة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها
واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء فيرده ان وسوسته لادم عم كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان
يحمل على احد الوجهين قطعا وتكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي
عن الحسن البصري وقوله تعالى فما يكون لك اي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك ان تتكبر فيها اي
في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها
مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل
وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى فاخرج تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته
وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان
على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك
الله ومن تكبر وعدى طوره وهصه الله الى الارض قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه
قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون
اي ادم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم
ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استئناف كما سلف انك من المنظرين وورود
الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك
صريح في انه اخبار بالانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق
كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت اجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة
التكوينية الى وقت فناء الخلائق عز ما استثناه الله تعالى من الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث
الذي هو المسئول وفي ترك التوقيت بالايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء
والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ثمة فان قوله تعالى فانظرني الى يوم يبعثون قال
فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب بمخالفته [illegible] لا
ريب في ان الكلام المحكي له عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة تقتضي وروده على وجه خاص من
وجوه النظم بحيث لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي
على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك
الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والتابع الحري برتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا
فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين [illegible] ان المقتضى لاظهار الضراعة
وترتيب الاستنظار على ما حاق به من الطرد واللعن [illegible] في مقابلة الكبر كما
هو المتبادر من قوله رب فانظرني كما حكي عنه في الصورتين [illegible] من لطائف
مقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز [illegible] الضراعة
وترتيب الانظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار يقتضي ترتيب الاخبار
بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه في تينك السورتين وفي كل واحد من مقامي الحكاية
والمحكي [illegible] بمجرد الاخبار بالاستنظار والانظار [illegible]
على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفيته [illegible] عند المخاطبة والحكاية ان ذلك
لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه [illegible] مقتضى المقام قلنا الذي يعتبر في نقل الكلام
انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته عند النقل

البتة بل تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام بتجريده عنها بل قد تراعى عند
نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع
المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما تحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها
حتما والا لما امكن صدور الكلام المعجز عن البشر هذا اذا كان المحكى كلاما واما عند مطابقته لمقتضى الحال
فتتفاوت الفعلة عما يجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام
وقوع المحكى فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد من المقامين حقه كما في سورة
الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله على الكيفيات التي وقع
عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعي
جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على المتكلم ان يجرد كلامه عن
التاكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب
ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر بليغ هو تجريده عن الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب
يرتقي كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها
الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاتها مع محافظة الكلام بمزايا اخرى ترتقي
بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفى حق مقام وقوع المحكى في السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز
مبنيا عليه وثقة به قال استئناف كما مثاله فبما اغويتني الباء للقسم كما في قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم
فان اغواءه اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى مآل الاقسام بهما واحد
فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار
وما مصدرية اى فاقسم باغوائك اياى لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف
بقوله لاقعدن لهم كما في الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اى فبسبب اغوائك اياى لاجلهم اقسم بعزتك
لاقعدن لادم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم الموصل الى
الجنة وهو دين الاسلام فانتصابه منتزع على الكناية وانتصابه على الظرفية كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب
وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى الجهات الاربع التي يعتاد هجوم العدو منها ومثل قصده اياهم للتسويل والاضلال
من اى وجه يتيسر باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم
وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز منه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون
وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن
حيث لا يتيسر لهم ذلك وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف
المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم
شاكرين اى مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى منهم مبدأ الشر
متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عم قال استئناف كما سلف مرارا اخرج منها اى من
الجنة او من السماء او من بين الملائكة عم مذؤما اى مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول
او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه
لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملأن
على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب
المخاطب ويا آدم اى وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقي المامور
وتخصيص الخطاب به عم للايذان باصالته في تلقي الوحي وتعاطي المامور به اسكن انت وزوجك الجنة هو
من السكنى الذي هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد
به المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان ان المراد بما في سورة

سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جمعا مع الترتيب وقوله تعالى من حيث
شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر هاهنا رغدا ثقة بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف
والايذان بتساويهما في مباشرة المامور به فان حواء اسوة له عم في حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له
فيه ولتعليق النهي بهما صريحا في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا
والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان
اى فعل الوسوسة لاجلهما او تكلم بها كلاما خفيا متداركا متكررا وهي في الاصل الصوت الخفي كالهينمة
والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق بيان وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما اى ليظهر لهما واللام
للعاقبة او للغرض على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل
على ان كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة مستقبح في الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما
ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكان لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو المضمومة
همزة في المشهورة كما قلبت في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها
على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة اى عن اكلها الا ان تكونا ملكين اى الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين
لا يموتون او يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة لما انه من المعلوم ان الحقائق لا
تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة
والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين
اى اقسم لهما وصيغة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول وقيل قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين
واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما على الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من
درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما
ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا
طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما
واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان
طفق من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشأ وعلق وهب وانبرى اى اخذا يلزقان ورقة
فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق التين اى يخصفان
انفسهما ويخصفان من الخصف وناداهما ربهما مالك امرهما بطريق
العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء
او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة ما في اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى الشجرة التي
نهى عنها واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عطف على الم انهكما
على الاغترار بقول العدو وكان الاول عتابا على مخالفة الامر
ولكنا نتعلق بعدو ولم يحك هذا القول هاهنا
حكى في سورة طه من قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك روي انه تعالى قال لآدم الم يكن
لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من
خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة
الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اى
ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ذلك
وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر
وانما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات
قال اهبطوا خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم
انهم قرنوا ابدا واخبر بما قال لهم متفرقا كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات

هبطوا فقول تقريبها تقتد بما ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين
ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع واستمتاع الى حين هو حين انقضاء آجالكم
قال اعيد الاستيناف اما للايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون
اثر قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وقوله تعالى ارايتك هذا الذي كرمت علي بعد
قوله تعالى قال ءاسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني
آدم خطاب للناس كافة وايراده بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم
بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الخ وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري
سوآتكم التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعل
ذكر قصة آدم حينئذ للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم
في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا لباسا يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اي تمول
وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت
الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة ذلك خير او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار
اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على
عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم
تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره لا يفتننكم
الشيطان اي لا يوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نهي للشيطان
يحذرون اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه
لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما في قولك لا ارينك
هاهنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد
النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله اي جنوده
وذريته استيناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير من فتنته من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الرؤية وحيث
ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم لا يقتضي
امتناع رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جملة مستانفة اولياء للذين
لا يؤمنون اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على ما
سولوا لهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير باثر تحذير واذا فعلوا
فاحشة جملة مبتداة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة الفعلة المتناهية
في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او النقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام
وكشف العورة في الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين
بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا
يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد مقالتهم
بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي
الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب آجلا عقلي فان
المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كانه
قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لم فعلها آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع
التقليد اذا قام الدليل بخلافه مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به
لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه
مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره عنه مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره عنه

اليه تعالى اذا كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه تعالى اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي
بالقسط بيان للمامور به اثر نفي ما اسند امره اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط
من كل شيء المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم اي توجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين
الى غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او
في اي مسجد حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين
له الدين اي الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة كما بداكم اي انشاكم ابتداء تعودون اليه باعادته
فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم من التراب
تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه كما بداكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم
للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم البالغة وانتصابه
بفعل مضمر يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه او
تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم
وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد
اي طواف او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة
وكلوا واشربوا ما طاب لكم روي ان بني عامر كانوا في ايام حجهم ... المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال
او بالتعدي الى الحرام او بالافراط في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت
ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب في نصف آية فقال كلوا واشربوا
ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وما يتجمل به التي اخرج لعباده
من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق اي المستلذات
من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
في من انكاري قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم
القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون اي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني الرائقة قل
انما حرم ربي الفواحش اي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل
من الفواحش اي جهرها وسرها والاثم اي ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي اي
الظلم او الكبر افرد بالذكر للمبالغة في الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه ما لا يعلمون وقوعه
لا الى ما يعلمون عدم وقوعه قد مر سره ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين من الزمان مضروب
لمهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى
المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده
معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم آجالهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة
خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز
اي اذا جاءها اجلها الخاص بها لا يستاخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا قليلا من الزمان فانها مثل
في غاية القلة منه اي لا يتاخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له
ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في
نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات
كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم القبول في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي
وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب

هلاكهم ساعة فيه واسس بذلك وتقديم بيان انتفاء الاستيخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم من
العذاب واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك
بيان سر تاخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما
بشان ما في حيزه اما ياتينكم هي ان الشرطية ضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة
او الخفيفة وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة
لرسل اي كائنون من جنسكم وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة اخرى لرسل اي يبينون لكم احكامي وشرائعي
وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اي فمن اتقى
منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون اي والذين كذبوا منكم بآياتنا وايراد الاتقاء في الاول للايذان بان مدار الفلاح
ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء والاجتناب عنه وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد
والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته اي تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب
ما قاله اي هو اظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد
الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتماديهم في سوء الحال اي اولئك الموصوفون بما ذكر من
الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللوح اي مما
اثبت لهم فيه وايا ما كان فمن لابتداء الغاية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اي ينالهم نصيبهم كائنا من الكتاب
وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس كتب لمن يفتري على الله سواد الوجه قال الله
تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك
الموت واعوانه يتوفونهم اي حال كونهم متوفين لارواحهم [illegible] فان حتى وان كانت هي التي يبتدأ
بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به الحين [illegible] اي ينالهم نصيبهم من
الكتاب الى ان ياتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اين ما كنتم تدعون من دون الله اي اين الآلهة التي
كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا استئنافا
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي
غابوا عنا اي لا ندري مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اي
في الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت
مجيء الرسل وحال التوفي الزمان الممتد من ابتداء المجيء والتوفي الى انتهائه يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء
والتوفي في كل ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث
والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال
والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث
لا محالة قال اي الله تعالى يوم القيامة بالذات او بواسطة الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي
كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق
بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم السابقة واللاحقة فيها لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها
حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع
لاولاهم اي لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم
فآتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر
من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم او ما لكل فريق من العذاب
وقرئ بالياء وقالت اولاهم اي مخاطبين لاخراهم حين سمعوا جواب الله لهم فما كان لكم علينا من فضل اي
فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اي
العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا

واستكبروا عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا يقبل ادعيتهم ولا اعمالهم
او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شان ادعية المؤمنين واعمالهم وارواحهم والتاء في تفتح لتانيث الابواب
والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للآيات وبالياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل
في عظم الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شانه الولوج في سم الابرة
مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل
وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط
به كالحزام والمحزم وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في
زمرتهم دخولا اوليا لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم
غواش اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف
كما في قوله وله الجوار المنشآت وكذلك ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين للمبين
اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان
عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الاجرام والجرائر والذين آمنوا اي بآياتنا
او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصالحات اي الاعمال
الصالحة التي شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وسط
بين المبتدأ الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب الجنة للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى
النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدأ واصحاب الجنة خبره
والجملة خبر للمبتدأ الاول او اسم الاشارة بدل من المبتدأ الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه
حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة اذ اللام المقدرة او خبر لاولئك على راي من
جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها
منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة الماضي للايذان بتحققه ونزعه عن علي رضي الله عنه اني لارجو
ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة
حال من الضمير في صدورهم والعامل معنى الاضافة او العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا
والعامل نزعنا وقيل مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما
جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى [illegible] لولا ان
هدانا الله ووفقنا له واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول
نهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد او لارادة التعميم [illegible] والجملة مستانفة
او حالية وقرئ ما كنا بغير واو على انها مبينة [illegible] للاولى لقد جاءت رسل ربنا
جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه [illegible]
بالحق [illegible] ونودوا [illegible] ان تلكم الجنة [illegible]
[illegible]
[illegible] اورثتموها بما كنتم تعملون [illegible]
[illegible]
[illegible] ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار [illegible]
[illegible] ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا [illegible]
هذا النداء الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا [illegible]

التنزيف بالخطاب بعند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود لم يكن بأسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اى وجدناه حقا وقرئ
بكسر العين وهي لغة فيه فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اى بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
بان مخففة او مفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة وعلى ارادة القول او اجراء اذن مجرى
قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا
اى يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهي ابعد شئ منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم
يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين وبينهما حجاب
اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخر وعلى الاعراف
اى على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف
ما ارتفع من الشئ فانه بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيجلسون بين الجنة
والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او
ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى
بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه
وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملائكة ونادوا اى رجال الاعراف اصحاب الجنة حين رأوهم ان سلام
عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او من مفعوله
وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اى نادوهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين
في دخولها مترقبين له اى لم يدخلوها وهم في وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء
اصحاب النار اى الى جهتهم وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم
باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى
من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى في النار ووصفهم بالظلم دون ما هم عليه من الكفر
وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي
اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار
حين عاينوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا
قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اى اتباعكم واشياعكم
للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اى ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الحق وهو
الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اى الاموال والجنود أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون
صريحا بانهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم
من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اى دخلوا الجنة على رغم انوفهم
لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون اى قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان
حبسوا او شاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف
المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما يتفرع عليه من المرتبة لا يليق لمن لم يستقر بعد حاله بعد وقيل
لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء
الخ وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب
النار اصحاب الجنة بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت بهم الدار ان افيضوا علينا من الماء
اى صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة
على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا
ان الله حرمهما على الكافرين اى منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا
ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف

اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم
نفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار تركا كليا والفاء في فاليوم فصيحة
وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى ننساهم نسيانا مثل
نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يعتدوا له وقوله تعالى وما كانوا بآياتنا يجحدون
عطف على ما نسوا اى وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب
فصلناه اى بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب
الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القرآن على علم حال من فاعل فصلناه اى عالمين بوجه تفصيله
حتى جاء حكيما او من مفعوله اى مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بفضله هدى
ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون بآثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون الا تأويله
اى ما ينتظرون هؤلاء الكفرة بعد ايمانهم به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من
الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل اى تركوه ترك المنسي
قبل اتيان تأويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اى قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اى هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان
او بمعنى الى ان فعلى الاول المسئول احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني
ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام
الثاني وقرئ بالرفع اى فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اى في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم
التي هي رأس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون اى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من
ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام شروع في بيان مبدأ الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اى ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام
العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان
المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن هي حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة
على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى على
العرش اى استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى
ان له تعالى استواء على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر
الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل
النهار يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار
وقرئ بالتشديد فيه للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث
فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل او المفعول بمعنى حاثا او محثوثا والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره اى بقضائه وتصرفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر
ألا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اى
تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة
كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر
فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار
اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور
المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق
الارض في يومين اى ما في جهة السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا
وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لما قال في سورة السجدة ثم لما تم له عالم
الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب

وتكوير الليل او الايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ثم امرهم بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذي قد عرفتم شؤونه الجليلة تضرعا وخفية اي ذوي
تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي لا يحب دعاء المجاوزين لما امروا به في كل
شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة
الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم
يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا ان الله لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها
ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم
وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمت الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان
في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم اولانه صفة لمحذوف اي امر قريب
او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب
من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسب التانيث من المضاف
اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح بشرا تخفيف بشر جمع بشير اي
مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع
نشور اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي
المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت
اشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي السحاب
وافراد الضمير لافراد اللفظ لبلد ميت اي لاجله او لمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به
الماء اي بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح والتذكير باعتبار المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به
ويحتمل ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في الثاني
واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج
الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات
نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس
لعلكم تذكرون والبلد الطيب اي الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره
عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة
والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا
نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرج
البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف
البديع نصرف الآيات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها
وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عم بالشرايع التي هي ماء حياة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين
من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق
الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه هو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الخ واطراد
استعمال هذه اللام مع قد يكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما
تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ ابن اخنوخ على راس اربعين من عمره
ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا
ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل هو
ابن مائتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين
فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد
للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء ما لكم من اله غيره اي من مستحق

مستحق للعبادة استيناف سوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله
الذي هو الرفع على الابتداء والفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء
وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيد او غير زيد
ومن اله ان جعل مبتدا فلكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في
العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة
او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها
ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملا من قومه استيناف مبني على
سؤال نشا من حكاية قوله عم كانه قيل فماذا قالوا له عم في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤسا من قومه
والاشراف الذين يملؤون صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم
انا لنراك في ضلال اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين
بين كونه ضلالا قال استيناف كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة
اي شيء ما من الضلال قصد عم بحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له
عم حيث جعلوه مستغرقا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين استدراك
مما قبله باعتبار ما يستلزمه له لا محالة كانه قيل ليس بي شيء من الضلال ولكني في الغاية القاصية من
الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استيناف
مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني
امي حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان المراد
بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عم بعد بيان عمومها للعالمين
للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته اليهم فان ربوبيته تعالى له عم من موجبات امتثاله بامره
تعالى بتبليغ رسالته تعالى اليهم وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام مع
تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد نصحه لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى واعلم
من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه
من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان باسه لا يرد
عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين امنين
لا يعلمون ما علمه نوح عم بالوحي اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم [illegible]
انا لنراك في ضلال مبين [illegible] والهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اي وحي او موعظة من
مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقيل
[illegible] مع ان الله تعالى لو شاء لانزل ملائكة لينذركم علة للمجيء [illegible]
ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية مرتبة عليها اي
ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان التقوى غير موجب
للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن عذاب الله فكذبوه
[illegible] في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي [illegible]
[illegible]
[illegible]
فانجيناه والذين معه [illegible]
[illegible] في الفلك متعلق بالاستقرار في الظرف اي استقروا معه في الفلك [illegible]

فيه او بفعل الانجاء اي انجيناهم في السفينة ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره في الظرف و
اغرقنا الذين كذبوا بآياتنا اي استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من
اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق
الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر اثره بمقتضى جرائمهم انهم كانوا قوما
عمين عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة
والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والقرار والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى
ارسلنا في قصة نوح عم وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم
في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف
على نوحا والاول هو الاولى وايا ما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار
قبل الذكر يرشدك الى ذلك ما سيأتي من قوله تعالى ولوطا الخ فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي
الحال ذكره عم مضافا اليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عم وبين
القصص الثلاث وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن
عوص بن ارم بن سام بن نوح عم وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد و
انما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استئناف مبني
على سؤال نشأ من حكاية ارساله عم اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده
كما يعرب عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استئناف جار مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل لها
او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار
محله وقرئ بالجر حملا على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعدما علموا
ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتفكرون او اتعقلون فلا تتقون فالتوبيخ
على المعطوفين معا او تغفلون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط وفي سورة هود افلا تعقلون
ولعله عم خاطبهم بكل منهما وقد اكتفي بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا
ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء
القصة بل حال نظائره في سائر القصص لاسيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله تعالى اعلم
قال الملأ الذين كفروا من قومه استئناف كما مر وانما وصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ
قوم نوح بل كان منهم من آمن له عم ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا
لنراك في سفاهة اي متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم هم السفهاء ولكن
لا يعلمون وانا لنظنك من الكاذبين اي فيما ادعيت من الرسالة قالوا لعراقتهم في التقليد وحرمانهم
من النظر الصحيح قال مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ
القول والمقابلة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء منها ولا شائبة من شوائبها ولكني رسول من رب
العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والامانة
والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بي شيء مما تنسبونني
اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك
ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربي استئناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل
احكامها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام في اضافة الرب الى نفسه عم بعد
اضافته الى العالمين وكذا في جمع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عم وقرئ ابلغكم من الابلاغ
وانا لكم ناصح امين معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة
على الثبات والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة والكذب اوعجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عم على رجل منكم اي من جنسكم لينذركم و

لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي نسبتموني الى السفاهة والكذب وفي اجابة الانبياء
عم من شانئيهم بما لا خير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية
الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرأفة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الاخلاق ما لا
يخفى مكانه واذكروا اذ جعلكم خلفاء شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها
واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من
الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما
فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة
عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى
اياكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك
معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان وزادكم في الخلق بسطة اي في الابداع والتصوير او في
الناس بسطة قامة وقوة فانهم لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة
الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعماء
التي من جملتها هذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك الى
الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن تلك النصائح العظيمة
اجئتنا لنعبد الله وحده اي لتخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عم مجيئه
لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه والفوا
اسلافهم عليه ومعنى المجيء اما المجيء عليه السلام من متعبده ومنزله واما من السماء على التهكم واما القصد
والتصدي مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يشتمني من غير ارادة معنى الذهاب فأتنا بما تعدنا من
العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون ان كنت من الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب
وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اي فأت به قال قد وقع عليكم اي وجب وحق ونزل بناء على ما هم
هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف
الاول على الثاني مع ان مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما
على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول عاطف
عليه من قوله تعالى وغضب ربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس
الذي هو الاضطراب والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلونني في اسماء
عارية عن المسمى سميتموها انتم وآباؤكم انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عم داعيا لهم الى
عبادة الله تعالى وحده وترك ما كانوا يعبدون من الاصنام اي اتجادلونني في اشياء سميتموها آلهة ليس
فيها من الالهية الا اسماء لان المستحق للعبودية ليس الا من اوجد
الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اياها مستحقة لها اما بانزال آية او بنصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله
تعالى ما نزل الله بها من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على
قوله قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فأتنا بما تعدنا اني معكم من المنتظرين لما يحل بكم
والفاء في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله تعالى فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اي في الدين
برحمة عظيمة لا يقادر قدرها منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف وقع صفة لرحمة مؤكدة لفخامتها
الذاتية المستفادة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استأصلناهم
بالكلية ودمرناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة اي اصروا على
الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك قد مر سره
وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق آياته كما ان مدار البوار هو الكفر
والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان الى
حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان

من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا
وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله تعالى الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك
العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين
رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو
بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر و
تغنيهم قينتا معاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلكت
اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه
فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم ◦ لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا ◦ قد امسوا ما يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا
لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر
اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا
فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد
من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال
له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى
والى عاد اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر
ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف
بتأويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة صالح لهم من حيث النسب كهود عم
فانه صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عم اليهم مظنة
لان يسأل ويقال فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة اي آية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ
الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة افرادا وجمعا
وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء والشدة ولذلك اوليت
العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا والمراد بها الناقة
وليس هذا الكلام منه عم اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد بل انما قاله بعدما نصحهم وذكرهم
بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الامر الى ما في سورة هود من قوله تعالى هو انشأكم من الارض
واستعمركم فيها الى آخر الآيات روي انه لما هلكت عاد عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا
وعمروا اعمارا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء
من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما
عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فدعاهم الى الله تعالى حتى شمط ولم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون
فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من
السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج
معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة
في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي
شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن
ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء
جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في

العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب
كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر
تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد شتت ببطن الوادي فتهرب
مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار
لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي
جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا
عليه فانفرجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم
محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع
فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم
آية استئناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا
اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت آية واي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على
الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدأ ثانيا
ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم
التعرض لها تأكل في ارض الله جواب الامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل
ما تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وقرئ تأكل بالرفع على انه في موضع الحال اي آكلة فيها
وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله وعلفتها تبنا وماء باردا
وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو
مقدمة الاصابة بالسوء الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة في النهي اي لا تتعرضوا لها بشيء مما يسوؤها
اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لآية الله تعالى فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية
ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم
وقال عم لعلي رض يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من
اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي خلفاءهم في
الارض او خلفاء لهم كما مر وبوأكم في الارض اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام
تتخذون من سهولها قصورا استئناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة
او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون الجبال اي الصخور وقرئ
تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله ينباع من ذفرى غضوب جسرة والنحت نجر
الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول خط
هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد
جوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال
في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر او جميع الآلاء التي هذه من جملتها ولا تعثوا في الارض
مفسدين فان حق الآلاء ان تشكر ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثي في الارض بالفساد قال
الملأ الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا استئناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من
قوله قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله لمن آمن منهم بدل من الموصول
باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من
المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع
المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم

واسترذلوهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه وإنما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون
عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بأن يقولوا نعم أو نعلم أنه مرسل منه تعالى مسارعة إلى تحقيق الحق وإظهار ما لهم
من الإيمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على أن أمر إرساله من الظهور بحيث لا
ينبغي أن يسأل عنه وإنما الحقيق بالسؤال عنه هو الإيمان به قال الذين استكبروا أعيد الموصول مع صلته
كما بيت الضمير إيذانا بأنهم قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار إنا بالذي آمنتم به كافرون وإنما لم يقولوا
بما أرسل به كافرون إظهارا لمخالفتهم إياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة أي نحروها أسند العقر إلى الكل
مع أن المباشر بعضهم لملابسة أو لأن ذلك لما كان برضاهم فكأنه فعلهم كلهم وفيه من تهويل الأمر وتفظيعه
بحيث أصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن أمر ربهم استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عم من الأمر
والنهي وقالوا مخاطبين له عم بطريق التعجيز والإلزام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا أي من العذاب و
الإطلاق للعلم به قطعا إن كنت من المرسلين فإن كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد
فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة لكن لا إثر ما قالوا ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب
في الأيام الثلاثة حسبما مر تفصيله فأصبحوا في دارهم أي صاروا في أرضهم وبلدهم أو في مساكنهم جاثمين
هامدين موتى لا حراك بهم وأصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة
قاله أبو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للإبل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير
اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الأخذ وسرعة البطش اللهم إنا
نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لأصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ لكونه خبرا وجاثمين
حالا لإفضائه إلى كون الإخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود
بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لأن الصيحة كانت من السماء فبلوغها
أكثر وأبلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو أليق به فتولى عنهم إثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر
على ما فاتهم من الإيمان متحزن عليهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب
وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين
حكاية حال ماضية أي شأنكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عم بذلك كما خاطب رسول
الله صلى الله عم أهل قليب بدر حيث قال إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل
إنما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عم علاماته تولي ذاهب عنهم منكر لإصرارهم على ما
هم عليه وروي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي أنه خرج في مائة وعشرة
من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروي
أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل إليهم
على المنصوب حسبما وقع فيما سبق ولحق قد مر بيانه في قصة هود عم وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي
إبراهيم عليهما السلام كان من أرض بابل من العراق مع عمه إبراهيم فهاجر إلى الشام فنزل فلسطين وأنزل لوطا
الأردن وهي كورة بالشام فأرسله الله إلى أهل سدوم وهي بلد بحمص وقوله تعالى إذ قال لقومه ظرف للمضمر أو
أي أرسلنا لوطا إلى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد إرساله عم بذلك لما أن إرساله إليهم لم يكن في أول
وصوله إليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على أن انتصابه باذكر أي اذكر وقت قوله عم لقومه
أتأتون الفاحشة بطريق الإنكار التوبيخي التقريعي أي أتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية
في الشر والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على أن الباء للتعدية كما في قوله عم سبقك بها عكاشة
من قولك سبقته بالكرة أي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من أحد مزيدة لتأكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق
وفي قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فإن
مباشرة القبيح قبيح واختراعه أقبح ولقد أنكر الله تعالى عليهم أولا إتيان الفاحشة ثم وبخهم بأنهم أول
من عملها فإن سبق النظم الكريم وإن كان على نفي كونهم مسبوقين من غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد
أنهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله

على الله كذبا أو مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل بيانا للعلة وإظهارا
للزاجر ما سبقكم بها أحد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر
على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن إسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس
فآذوهم فعرض لهم إبليس في صورة شيخ إن فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فأبوا فلما ألح الناس عليهم
قصدوهم فأصابوا غلمانا صباحا فأخبثوا واستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا ينكحون إلا الغرباء
وقال الكلبي إن أول من عمل به ذلك العمل الخبيث إبليس حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم
إلى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل إنكم لتأتون الرجال جزء بيان لتلك الفاحشة وقرئ أإنكم
بحرفين وبتليين الثانية بغير مد وبمد وهو أيضا للإنكار المذكور وتأكيده بأن واللام للإيذان بأن
ذلك أمر لا يتحقق صدوره عن أحد فيؤكد تأكيدا
قويا وفي إيراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة
مفعول له أو مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغي
أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوة ويجوز أن يكون المراد الإنكار
عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء
أي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن أطهر لكم بل أنتم قوم مسرفون
إضراب عن الإنكار المذكور إلى الإخبار بحالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها وهي اعتياد الإسراف في كل شيء
أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف أي لا عذر لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الإسراف
وما كان جواب قومه أي المستكبرين منهم المتولين للأمر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى إلا
أن قالوا استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الأشياء إلا قولهم لبعضهم
الآخرين المباشرين للأمور معرضين عن مخاطبته عم أخرجوهم أي لوطا ومن معه من أهله المؤمنين
من قريتكم أي ما أجابوا بما يكون جوابا عن كلام لوط عم وقرئ برفع جوابه على أنه اسم
كان وإلا أن قالوا الخ خبرها وهو أظهر وإن كان الأول أوفق في الصناعة لأن الأعرف أحق بالاسمية
وأيا ما كان فليس المراد أنه لم يصدر عنهم في مقابلة كلام لوط عم ومواعظه إلا هذه المقالة
الباطلة كما هو المتبادر إلى الأفهام بل إنه لم يصدر عنهم في المرة الأخيرة من مراتب المحاورات الجارية بينهم وبينه
عم إلا هذه الكلمة الشنيعة وإلا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في سائر السور
الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى إنهم أناس يتطهرون تعليل
للأمر بالإخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار
بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار فأنجيناه وأهله أي المؤمنين منهم إلا امرأته
استثناء من أهله فإنها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين أي الباقين في ديارهم الهالكين فيها
والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ عن استثنائها من حكم الإنجاء كأنه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت من الغابرين
وأمطرنا عليهم مطرا أي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل قال
أبو عبيدة مطر في الرحمة وأمطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وأمطر في العذاب والصحيح أن
أمطرنا بمعنى أرسلنا عليهم إرسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف
بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على
مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهم وروي أن تاجرا منهم كان في الحرم فوقف الحجر له أربعين
يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي أن امرأته التفتت نحو ديارها فأصابها حجر
فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتأتى منه التأمل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا
من أعمالهم وإلى مدين أخاهم شعيبا عطف على قوله وإلى عاد أخاهم هودا أو ما عطف عليه وقد
روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب أي وأرسلنا إليهم وهم أولاد مدين بن

ابرهيم عم شعيب ابن ميكائيل بن يشجر ابن مدين وقيل شعيب بن ثويب بن مدين وقيل شعيب ابن
يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عم لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين
مع كفرهم **قال** استئناف مبنى على سؤال نشأ عن حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره مرارا **قد جاءتكم بينة** اى معجزة وقوله تعالى **من ربكم** متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته
الاضافية اى بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ولم يذكر معجزته عم فى القرآن العظيم كما لم يذكر اكثر
معجزات النبى عم منها ما روى من محاربة عصا موسى عم التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم
الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع
لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عم وقيل البينة مجيئه عم كما فى قوله تعالى يا قوم ارأيتم ان كنت
على بينة من ربى اى حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة **فاوفوا الكيل**
اى المكيال كما وقع فى سورة هود ويؤيده قوله **والميزان** فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا
كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجىء البينة ويجوز ان تكون عاطفة
على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهى التى معظمها بعد الكفر البخس الذى كانوا
مباشرين له **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** اى لا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون
الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال
ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والحيف **بعد اصلاحها** بعدما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم
ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه **ان كنتم مؤمنين** اى مصدقين لى فى قولى
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اى بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان
كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يشرع فى شىء منها منعوه
وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويوعدون
لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق **وتصدون عن سبيل الله** اى السبيل الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر
موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله
او بكل صراط على حقيقته **من آمن به** وقوله تعالى **وتبغونها عوجا** اى
وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة
واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة فى النسل والمال **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** من
الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم **وان كان طائفة منكم**
آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا اى به او لم يفعلوا الايمان **فاصبروا**
حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين **وهو خير الحاكمين** اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه **قال الملأ الذين استكبروا من قومه** استئناف مبنى
على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قال قومه المستكبرون منهم بعدما سمعوا منه عم
هذه المواعظ قال اشرافهم المستكبرون عن الايمان **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا**
فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان
والتعبير عنهم بالموصول دون الضمير لزيادة التقرير والتاكيد عن غاية العتو

والطغيان اى والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار
وقوله تعالى **او لتعودن فى ملتنا** عطف على جواب القسم اى والله ليكونن احد الامرين البتة على
ان المقصد الاصلى هو العود وانما ذكر النفى والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضهم
لجواب الاخراج كانهم قالوا لا نتركم فيما بيننا حتى تدخلوا فى ملتنا وادخالهم له عم فى خطاب العود مع
استحالة كونه عم فى ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد واما بقولهم او لنعيدنكم عم
على طريقة ما قيل لما ان مرادهم ان يعودوا بصورة الطواعية حذرا من الاخراج باختيار اهون الشرين
لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب **قال** استئناف كما سبق اى قال عم ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا
لهم فى ايمانهم الفاجرة **اولو كنا كارهين** على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه
كما فى قوله تعالى اولو جئتك بشىء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا
ان كلمة لو فى مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشىء فى الزمن الماضى لانتفاء غيره فلا يلاحظ لها جواب قد
حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد
الصناعية بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفى على
كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر
بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشىء متى تحقق
مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شىء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر
الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا
معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والامر
والنهى كما فى قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطى ولو كان غنيا وقولك احسن اليه
ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله سالما عما يعتريه واما فيما نحن فيه فنوع خفاء
لتغيره بورود الانكار عليه لكن الاصل فى الكل واحد الا ان كلمة لو فى الصور المذكورة متعلقة بنفس
الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره واما
تعلق به وان ما فى حيز لو غير مقرر على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة
بفعل مقدر يقتضيه المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما سياتى وان المقصود الاصلى
انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقرير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما فى حيز لو لا
يقصد استبعاده فى نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة فى الانكار
من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين
على معتقدهم لاستنزالهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المومنين للعود فى ملة الكفرة ابتداء
حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هى كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذى
جعل قرينا للقتل فى قوله تعالى ولو انا كتبنا عليهم الاية فانهم كانوا يستبعدونه ويطمعون فى انهم حينئذ
يختارون العود خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير
انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين عزوما لبين بالاكراه فالجملة فى محل النصب على الحالية
من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ ما لكل العود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما
يفيده كلامهم من العزيمة باطلاقها من العود على اى حالة كانت غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التى
هى اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها على انها هى الواقعة فى نفس الامر وثقة باغنائها
عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذى تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم
فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت النفى المستفاد من الاستفهام الانكارى فيما نحن فيه بمنزلة صريح
النفى ولا ريب فى ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة الى النفى لا الى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال
النفى عند الحالة المسكوت عنها اعنى عدم الغنا هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغى ان يكون الاولى
بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذى يدل عليه قولنا او نعود لا نفى

معنى لا نعود فيها اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الذى اريد بيان تحققه على كل حال و
ذلك فى مثال النهى عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفى المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود
المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذى يقتضيه الكلام السابق اعنى قولهم لتعودن واما الاستفهام فخارج
عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفى ما يقتضيه لا انه من تمامه كما مر فى صورة النفى وتوضيحه ان بين النفيين
فرقا معنويا يختلف به احكامهما التى من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية فى احدهما بالنسبة الى نفسه وفى
الاخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا تستقيم اقامة احدهما مقام الاخر على وجه الكلية الا ترى انك لو قلت
مكان انعود فيها ولو كنا كارهين لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفى العود المقيد بحال
الكراهة ومدلول الثانى تقييد العود المنفى بها وذلك لان حرف النفى يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده
يرجع اليه من حيث هو منفى واما همزة الاستفهام فانها تباشر الفعل بعد تقيده بما بعده لما ان دلالتها على
الانكار والنفى ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفى حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذى يليها ويكون
ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفى بل هى دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما
بعد الفعل من موانعه ودواعى انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار
والنفى ثم لما كان المقصود نفى الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام
تحققه معه تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك اى
مغنيا عن ذكر سائر الاحوال ضرورة ان تحقق العود فى حال الكراهة مستلزم لتحققه فى حال عدمها البتة
وعند كونها قيدا للنفى بخلاف ذلك اى غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفى العود فى حال الكراهة
لا يستلزم نفيه فى غيرها بل الامر بالعكس فان نفيه فى حال الارادة مستلزم لنفيه فى حال الكراهة قطعا
استقام الاول لافادة نفى العود فى الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم
الثانى لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوف فانه
حينئذ يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها لو لم
نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر فى حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا
فى نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الاخر او متلازمان متفقان فى جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول
ان العود منتف فى الحالتين ومدلول الثانى ان العود فى الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح فى نفسه مصحح
لنفى العود فى الحالتين مع ذكرهما معا غير ان الثانى مصحح لنفى العود فى الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة
الارادة **قد افترينا على الله كذبا** اى كنا مفترين عليه تعالى كذبا عظيما لا يقادر قدره **ان عدنا فى ملتكم** التى هى الشرك و
جواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان عدنا فى ملتكم **بعد اذ نجانا الله منها** فقد افترينا
على الله كذبا عظيما حيث نزعم ان لله تعالى ندا وليس كمثله شىء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام
باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واى افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه
اللام تقديره والله لقد افترينا الخ **وما يكون لنا** اى وما يصح وما يستقيم لنا **ان نعود فيها** فى حال من الاحوال
او فى وقت من الاوقات **الا ان يشاء الله** اى الا حال مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى لعودنا
فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى **ربنا** فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن
استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم
منها دليل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر
بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها فى حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون
مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات
ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى له **وسع ربنا كل شىء علما** فهو محيط بكل ما كان وما
سيكون من الاشياء التى من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال
من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى **على الله
توكلنا** اى فى ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار الاثم

الاسم الجليل فى موقع الاضمار للمبالغة فى التضرع والجؤار وقوله تعالى **ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**
اعراض عن مقاولتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال
على الله تعالى بالدعاء لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اى احكم بيننا بالحق والفتاحة حذ
الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه **وانت
خير الفاتحين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين **وقال الملأ الذين كفروا من قومه** عطف على
قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم فى الرتبة شأنهم الوساطة بينهم
وبين العامة والقيام باموره حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة
لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اى قالوا لاشرافهم الذين اصروا
على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين فى الايمان وخافوا ان
يتبعهم قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمى والله **لئن اتبعتم شعيبا**
ودخلتم فى دينه وتركتم دين اباءكم **انكم اذا لخاسرون** اى فى الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او فى
الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذن حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة
سادة مسد جوابى الشرط والقسم وطائفة اللام **فاخذتهم الرجفة** اى الزلزلة وهكذا فى سورة العنكبوت
وفى سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادى الرجفة فاسند
هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى **فاصبحوا فى دارهم** اى فى مدينتهم وفى سورة هود
فى ديارهم **جاثمين** اى ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها **الذين كذبوا شعيبا** استئناف
لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته
والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى **كأن لم يغنوا فيها** اى استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم
اصلا اى عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف اخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة
الموصول والصلة كما هى لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر فى حيز الصلة هو الذى استوجب العقوبتين
اى الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا الذين اتبعوه عليه السلام
وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع فى سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا
هودا والذين امنوا معه الخ **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم** قاله عليه السلام بعد ما
هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال **فكيف آسى** اى احزن حزنا شديدا
على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا
عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق
فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين **وما ارسلنا فى قرية من نبى** اشارة اجمالية
الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد النفى والصفة
محذوفة اى من نبى كذب او كذبه اهلها **الا اخذنا اهلها** استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا
فى محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضى لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدير قد كما فى هذه
الاية او مقارنة قد كما فى قولك ما زيد الا قد قام التقدير وما ارسلنا فى قرية من القرى المهلكة
نبيا من الانبياء فى حال من الاحوال الا حال كوننا اخذين اهلها **بالبأساء** بالبؤس والفقر **والضراء** بالضر
والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه
بالاخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة **لعلهم يضرعون** كى
يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم كقوله تعالى لقد ارسلنا الى امم من قبلك
فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون **ثم بدلنا** عطف على اخذنا داخل فى حكمه **مكان السيئة** التى
اصابتهم للغاية المذكورة **الحسنة** اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة
كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات **حتى عفوا** اى كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف

وابطرتهم وقالوا غرورا واغترارا على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله تعالى قد مس آباءنا الضراء والسراء
كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون
هناك داعية تؤدي اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير
فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجاءة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطرون ببالهم
شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الاية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة
عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين الاخذ واتمام الاهلاك ايام كدأب ثمود ولو
ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل هي مكة وما حولها من القرى وقيل
جنس القرى المنتظمة لما ذكر ههنا انتظاما اوليا آمنوا بما اوحي الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم
من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي او اتقوا ما انذروا به على ألسنة الانبياء ولم يصروا
على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر وقال ابن عباس رضي وحدوا الله
واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان
ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا
بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه للثاني
فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الاخذ
عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة
مكان السيئة أفأمن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار
التوبيخ امنهم كل ما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم
الى غيرهم كما سيأتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره
لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط
بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى
ان يأتيهم بأسنا بياتا اي تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة
ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل
القرى انكار بعد انكار للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل أفأمن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم
نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو وعلى الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى اي ضحوة النهار
وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم
كانهم يلعبون أفأمنوا مكر الله تكرير لزيادة التقرير ومكر الله استعارة لاستدراجه العبد واخذه
من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول والثالث
بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة الاول فلا
يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التي فطر الناس عليها والاستعداد
القريب المستفاد من النظر في الآيات أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي
يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعدية فعل
الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كأنه قيل أغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الخ واما لانها بمعنى
التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية اي ولم يبين لهم مآل امرهم
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله ونطبع على قلوبهم عطف على ما يفهم من قوله تعالى او لم
يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتأمل او منقطع عنه بمعنى ونحن
نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم لانه في سياق جواب
لو فهم لا يسمعون اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما في تضاعيفها من
الهدايات تلك القرى جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية

غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعدما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم
المحكية على ان اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى نقص عليك من انبائها خبره وصيغة المضارع
للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك
مبتدأ والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى
فاذا هي حية تسعى وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصوص انباء اهلها
والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية
اهلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية
معطلة اهول وافظع والباء في قوله بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف
وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة
خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هي فيما بين
الرسل وضمير الامم والجملة مستأنفة مبينة لكمال عتوهم وعنادهم اي وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم
المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته
الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم
استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار فعل من الافعال
بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل
جديد وصنع حادث يحيى وعظته فلم يزدجر ودعوته فلم يجب واللام لتأكيد النفي اي فما صح
وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم
الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر
حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما
اشير اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل الى وقت الاصرار والعناد
وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج
الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم
الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا
عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم
منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى آخر وبما اشير اليه آخرا تكذيبهم قبل
مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا
اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم
بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التوحيد قط بل كان لكل
امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم
كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول
لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا
بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك
العذاب والعقاب هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين
فالضمائر الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا
بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم
ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء
للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه
ههنا ما يرد في سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش

وان السراج لم يرجع اليه الضمير في به كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اي لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى من عهد لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل ما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عهد يوم خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهود باي معنى كان وان وجدنا اكثرهم اي اكثر الامم اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ان الشان وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اي ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اي ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين او من بعد هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عم جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر باياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اي بعثناه عم ملتبسا باياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الآيات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عم لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم في تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور فظلموا بها اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد او ضمن معنى الكفر او التكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا يرى الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول اي اليك من رب العالمين على الوجه الذي مر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبهم اياه عم في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول الخ كما هو قراءة نافع فقلب لامن الالباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استيناف

استيناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بان يقول الحق ولم يكن هذا القول منه عم وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى فمن ربكما يا موسى الآيات وقوله وما رب العالمين الآيات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبل الى العالمين لتأكيد وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الاعمال الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عم وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال او الامر به على ما قبله من رسالته عم ومجيئه بالبينة قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عم حين قال له ما قال فقيل قال ان كنت جئت باية اي من عند من ارسلك كما تدعيه فأت بها اي فاحضرها عندي ليثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضي اظهار الآية لا محالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها في الاصل كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اي من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما روي انه ارى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عم آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها قال الملأ من قوم فرعون اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اي من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون وما في ماذا في محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كما في قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخره واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما ينادي به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه من ارجأه وارجاه وارسل في المدائن حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رض انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عم بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عم يأتوك بكل ساحر عليم اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كانه قيل فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا نحن الغالبين لمجرد تعيين مناط ثبوت

هي ع

الاجر لا لترددهم فى الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية الخبر باللام للقصر اى ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم
وقوله وانكم لمن المقربين عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن
المقربين للمبالغة فى الترغيب روى انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسى وآخر من يخرج منه قالوا استئناف
كامر كانه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا مضمرين لما انهم مخاطبين لموسى عم يا موسى اما ان تلقى ما تلقيه
اولا واما ان نكون نحن الملقين اى لما نلقى اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عم بالبدء بالالقاء مراعاة للادب
واظهارا للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير ولكن كانت رغبتهم فى التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم
للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتاكيد الضمير المتصل قال القوا اى غير مبال بامرهم اى القوا ما تلقون
فلما القوا ما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اى بالغوا فى ارهابهم
وجاؤا بسحر عظيم فى بابه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادى و
ركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يافكون اى
فالقاها فصارت حية فاذا هى الاية وانما حذف للايذان بمسارعة موسى عم الى الالقاء وبمفاجاة غيبة الالقاء
كان لقفها لما يافكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة
الحرف والقلب عن وجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اى ما يافكونه او يزورونه
او مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انه لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت
عصا كما كانت واعدم الله تع بقدرته الباهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة
لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اى فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اى
ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اى فرعون وقومه هنالك اى فى مجلسهم وانقلبوا صاغرين
اى صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى والقى السحرة
ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اى خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم كيف لا
وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثانى من
الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بنى اسرائيل
ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوا آمنتم به بهمزة واحدة اما على الاخبار المحض
المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخى بحذف الهمزة كما مر فى ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين
معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اى آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن لكم اى بغير اذن لكم كما
فى قوله تع لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لا ان الاذن منه ممكن فى ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعنى ان
ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو حيلة احتلتموها مع مواطاة موسى
فى المدينة يعنى مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روى ان موسى عم وامير السحرة التقيا فقال له موسى عم ارايتك ان
غلبتك اتؤمن بى وتشهد ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتنى لاومنن بك وفرعون يسمعهما
وهو الذى نشا عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اى القبط وتخلص لك ولبنى اسرائيل وهاتان
شبهتان القاهما الى اسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق
السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يوضعوا بها لئلا يمنعهم بها عن الايمان بنبوة موسى عم باراءة ان ايمان السحرة
مبنى على المواضعة بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان
مفارقة الاوطان المالوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على
ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عم ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فسوف تعلمون
اى عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول
من سن ذلك فشرعه الله تع لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله محاربة لله ورسوله قالوا استئناف
مسوق لجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تاثروا
به او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون اى بالموت

بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك اولا فلا نبالى بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون
ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله تع او انا جميعا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا
وبينك وما تنقم منا اى وما تنكر وتعيب منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال
واصل المفاخر ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما فى قلوبهم
من الرغبة على ما قالوا وتفزعوا له ففزعوا الى الله تعالى وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اى افض علينا
من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر على
وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم
ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تع انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون
مخاطبين له بعد ما شاهدوا من امر موسى عم ما شاهدوا اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض اى فى ارض مصر
بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كما يقول
الحطيئة الم اك جاركم ويكون بينى وبينكم المودة والاخاء اى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه
اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استئنافا او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك
كقوله تعالى فاصدق واكن والهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما
وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اى عبادتك قال مجيبا
لهم سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة
ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم
قاهرون كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة
بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة
ان الارض لله اى ارض مصر او جنس الارض وهى داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تع والصبر من باب التقوى وقرئ
والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اى بنوا اسرائيل اوذينا اى من جهة فرعون من قبل ان تاتينا
اى بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عم وبعده ومن بعد ما جئتنا اى رسولا يعنون
به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عم من فنون الجور والظلم
والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما لحقهم
بواسطته عم فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال اى موسى عم لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا
لهم بالتصريح بما لوح به فى قوله ان الارض لله الخ عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذى فعل بكم ما
فعل وتوعدكم باعادته ويستخلفكم فى الارض اى يجعلكم خلفاء فى ارض مصر فينظر كيف تعملون
احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر ولعل الاتيان
بفعل الطمع لعدم الجزم منه عم بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روى ان مصر انما فتحت فى
زمن داود عم ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما يجئ فعل الطمع للجرى على
سنن الكبرياء ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين شروع فى تفصيل مبادى الهلاك الموعود وايذان
بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا فى خفض ودعة بل رتبت اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال
الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها
عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فترفع بالواو وتنصب وتجر بالياء وتحذف نونه
بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال
الفراء هى فى هذه اللغة مصروفة عند بنى عامر وغير مصروفة عند بنى تميم ووجه حذف التنوين للتخفيف وح
لا يحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر ● دعانى من نجد فان سنينه ● لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا
وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف باللغتين ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب

يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رض اما السنون فكانت لباديتهم وأهل ماشيتهم
واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويتيقنوا على ان ذلك
لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والفساد قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب
وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى الا يرى الى قوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض
وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها في تفسير قوله لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى
فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من
الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه
اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قسوة قلوبهم ونهاية جهلهم وعتوهم
فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانت بحيث لم يؤثر فيهم شيء
منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة
بها بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها
الا بالعرض وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق
الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم الا عنده تعالى وهو حكمه
ومشيته المتضمنة للحكم والمصالح اي ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها
التي ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون
ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما
اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم
ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض آخر مما اخذ به آل فرعون من فنون
العذاب التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي
قالوا بعدما رأوا ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط
والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد كما ضمت الى اين وان في اينما تكونوا واما نذهبن
بك خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة
يصوت بها الناهي ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعده اي اي شيء تظهر
لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها آية لجاراتهم على رأي موسى عم واستهزائهم بها والاشعار
بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله لتسحرنا بها اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسميتها للارشاد
الى الحق بالسحر وتذكير الضميرين المجرورين راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ
لابهامه وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بآية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين بنبوتك فارسلنا
عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر
او سيل وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد
الجراد وقيل بنات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع
ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي
في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا لموسى
ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلأ ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا
فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عم كما ذكر فخرج
الى الصحراء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم
القمل فاكل ما ابقته الجراد وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع
عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام
الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه

البدر ايام ونفرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصار
مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله
ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف آيات حال من المنصوبات
المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات
بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل
ان موسى عم لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها
وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على
التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات
قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده
اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا
اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم
اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل
اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اي الى حد من الزمان هم
بالغوه فيعذبون بعده او يهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير
تامل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى
فاغرقناهم عين الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ في اليم في
البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق
اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين
عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا
بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب
الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف و
تجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في
رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها
بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في نواحيها الشرقية والغربية كيف شاؤوا وقوله تعالى التي
باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين
الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى
ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض
ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني
اسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا
ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان
اسم كان ضمير فرعون [illegible]
الموصول والجملة [illegible]
هو يصنعه [illegible]
كان ذلك [illegible]
والصيغة المضارع [illegible] لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات او ما
كانوا يرفعونه من الابنية [illegible] وهذا آخر قصة فرعون وقومه
وقوله تعالى وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل [illegible]
الامور الشنيعة بعدما انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن عليهم من النعم العظام [illegible] الشكر

واراءهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا
يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوزنا بمعنى جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا
بمعنى جاز فعدى بالباء اى قطعنا بهم البحر روى انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك
الله تعالى فرعون فصاموه شكرا لله تعالى عز وجل فأتوا اى مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل
من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عم بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اى يواظبون على
عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل
قالوا عند ما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف
متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها
كائنا كالذى استقر هو لهم قال انكم قوم تجهلون تعجب عم من قولهم هذا اثر ما شاهدوا من
الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله ان
هؤلاء يعنى القوم الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اى مدمر مكسر ما هم فيه اى من الدين
الباطل اى يتبر الله تع ويهدم دينهم الذى هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما
جيء بالجملة الاسمية للدلالة على التحقق وباطل اى مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها
وان كان قصدهم بذلك التقرب الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما فى قوله تعالى وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كما توهم فان المراد به اعمال البر التى عملوها فى الجاهلية فانها
فى انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفى ايقاع هؤلاء
اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا
يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله
ابغيكم الها شروع فى بيان شؤون الله الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته
مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عم والاستفهام
للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغى غيره تع لما انه لا اختصاص
للانكار بغيره تع دون انكار الاختصاص بغيره تع وانتصاب غير على انه مفعول ابغى بحذف اللام اى
ابغى لكم اى اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول لابغى على
ان الاصل ابغى لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا وهو فضلكم على
العالمين اى والحال انه تع خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا
تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا الى اخس شىء من مخلوقاته
تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه بنعمة الانجاء
من ملكة فرعون وقرئ نجيناكم من التنجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى اى واذكروا وقت
انجائنا اياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم فى المكنة والقدرة
بل باهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اى اولاه اياه او كلفه
اياه وهو اما استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله
على ضميرهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين او مفسر له وفى ذلكم
الانجاء او سوء العذاب بلاء اى نعمة او محنة من ربكم من مالك امركم فان النعمة والنقمة كلتاهما
منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة روى ان موسى عم
وعد بنى اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما
هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذى القعدة فلما اتم الثلاثين
انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله
تعالى اليه اما علمت ان ريح فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام
من ذى الحجة لذلك وهو قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقيل امره

امره الله بان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت عليه التورية فى العشر وكلم
فيها وقد اجمل ذكر الاربعين فى سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل
الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عم منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف
المضاف اى اتمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اى بالغا اربعين وقال موسى لاخيه هرون
حين توجه الى المناجاة حسبما امر به اخلفنى اى كن خليفتى فى قومى وراقبهم فيما يأتون وما يذرون واصلح
ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اى لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع
من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا
وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روى انه عم كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على
ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارنى انظر اليك اى ارنى ذاتك بان
تمكننى من رؤيتك او تتجلى لى فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تع جائزة فى الجملة لما ان طلب المستحيل
مستحيل من الانبياء لاسيما ما يقتضى الجهل بشؤون الله عز وجل ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن أُرى
ولن اريك ولن تنظر الى تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى ولم يوجد فيه ذلك بعد
وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم و
يزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين
والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه لا يراه ابدا وان لا
يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال
استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل
قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى استدراك لبيان انه لا يطيق بها وفى
تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل زبير فلما تجلى ربه
للجبل اى ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا
مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التى لا سنام لها
وقرئ دكا اى قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رآه فلما افاق الافاقة رجوع العقل
والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال سبحانك تعظيما لما شاهده من
اى انزهك تنزيها لائقا بك من ان اسألك شيئا بغير اذن منك تبت اليك اى من الجراءة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين
اى بعظمتك وجلالك وقيل اول من آمن بانك لا ترى فى الدنيا وقيل بانه لا يجوز السؤال بغير اذنك قال
يا موسى استئناف مسوق لتسليته عم من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك تك
من النعم العظام ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها انى اصطفيتك اى اخترتك واتخذتك
صفوة وآثرتك على الناس اى المعاصرين لك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه وما كان كليما
ولا صاحب شرع برسالاتى اى باسفار التورية وقرئ برسالتى وبكلامى وبتكليمى اياك بغير واسطة فخذ ما
آتيتك اى اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت من جلائل النعم قيل كان
سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له فى الالواح من كل شىء اى مما يحتاجون
اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شىء بدل من الجار والمجرور اى كتبنا له كل شىء من المواعظ وتفصيل
الاحكام واختلف فى عدد الالواح وفى جوهرها ومقدارها فقيل انها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل
لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل عم وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى
بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء
فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزل التورية وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه
سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عم وعن مقاتل كتب فى الالواح انى انا الله
الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها بقوة
هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للالواح او لكل شىء لانه بمعنى الاشياء او للرسالات

وامر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالعفو والصبر بالإضافة إلى الاقتصاص والانتصار
وكالاقتصاد على طريقة الندب والحث على اختيار الأفضل كما في قوله تعالى واتبعوا أحسن ما انزل اليكم
من ربكم أو بواجباتها فإنها أحسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها وأحسن صلة قال قطرب أي بحسنها
وكلها حسن كقوله تعالى ولذكر الله أكبر وقيل هو أن تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين أو لمعان على أشبه محتملاتها
بالحق وأقربها إلى الصواب سأريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له إلى قومه عم بطريق الالتفات
حملا لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به إما على نهج الوعيد والترهيب على أن المراد بدار الفاسقين أرض
مصر وديار عاد وثمود وأضرابهم فإن رؤيتها وهي خالية عن أهلها خاوية على عروشها موجبة للاعتبار والانزجار
عن مثل أعمال أهلها كيلا يحل بهم ما حل بأولئك وإما على نهج الوعد والترغيب على أن المراد بدار الفاسقين إما
أرض مصر خاصة أو مع أرض الجبابرة والعمالقة بالشام فإنها أيضا مما أتيح لبني إسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق
به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الإراءة والإدخال بطريق الإيراث
ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الأرض ومغاربها وقرئ سأوريكم ولعله من أوريت الزند أي سأبينها لكم وقوله تعالى سأصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في
الآيات التي هي ما كتب في ألواح التوراة من المواعظ والأحكام أو ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من
جملتها ما وعد إراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها
ولا يعتبرون بها لإصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع أن في المؤخر نوع طول يخل
تقديمه بتجاوب أطراف النظم الجليل أي سأطبع على قلوب الذين يعدون أنفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق
مزية وفضلا فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا
أمثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون في إبطال ما رآه من الآيات فأبى الله
إلا إحقاق الحق وإزهاق الباطل وعلى هذا فالأنسب أن يراد بدار الفاسقين أرض الجبابرة والعمالقة المشهورين
بالفسق والتكبر في الأرض وبإراءتها للمخاطبين إدخالهم الشام وإسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما ينطق به
قوله تعالى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الخ جوابا عن
سؤال مقدر ناشئ من الوعد بإدخال الشام على أن المراد بالآيات ما تلي آنفا ونظائره وبصرفهم عنها إزالتهم
عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع أخبارها وظهور أحكامها وآثارها بإهلاكهم على يد موسى عم حسبما
سنرد بعد التيه بمن بقي من بني إسرائيل أو بذراريهم على اختلاف الروايتين إلى أريحا ويوشع بن نون فصدد
فتحها واستقر بنو إسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل
سأهلكهم وإنما عدل إلى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق إما صلة للتكبر أي
يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط أو متعلق بمحذوف هو حال من فاعله أي يتكبرون ملتبسين
بغير الحق وقوله تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد
بالآية إما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها أو ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق
المشاهدة المنتظمة للسماع والإبصار أي وإن شاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي
العموم أي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم إياها كما هي وهذا كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله
تعالى وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه أي لا يتوجهون إلى الحق
ولا يسلكون سبيله أصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ
الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا أي يختارونه لأنفسهم
مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لأهوائهم الباطلة وإفضائه لهم إلى شهواتهم ذلك إشارة
إلى ما ذكر من تكبرهم وعدم إيمانهم بشيء من الآيات وإعراضهم عن سبيل الرشد وإقبالهم التام إلى سبيل الغي وهو
مبتدأ خبره قوله تعالى بأنهم أي حاصل بسبب أنهم كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح

القبائح وعلى حقية أضداده وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها ولا لما فعلوا ما فعلوا من الإباء والعتو ويجوز
أن يكون إشارة إلى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الإشعار بعلية ما في حيز الصلة كيف لا وقد مر أن ذلك
في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية يجوز أن يكون إشارة إلى ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع
كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محل اسم الإشارة النصب على المصدر أي سأصرفهم ذلك
الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أي ولقائهم الدار
الآخرة أو لقائهم ما وعد الله في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت أعمالهم
خبره أي ظهر بطلان أعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الأرحام وإغاثة الملهوفين ونحو ذلك أو حبطت
بعدما كانت مرجوة النفع على تقدير إيمانهم بها هل يجزون أي لا يجزون إلا ما كانوا يعملون أي إلا جزاء
ما كانوا يعملونه من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده أي من بعد ذهابه إلى الطور من حليهم
متعلق باتخذ كالجار الأول لاختلاف معنييهما فإن الأول للابتداء والثاني للتبعيض أو للبيان أو الثاني
متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده إذ لو تأخر لكان صفة له وإضافة الحلي إليهم مع أنها كانت للقبط
لأدنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من أربابها حين هموا بالخروج من مصر وقيل لأنهم ملكوها بعد
الغرق فذلك منوط بتملك بني إسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قوله حملنا أوزارا
من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالإتباع كدلي وقرئ
حليهم على الإفراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ أخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق
إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقيل هو متعد إلى اثنين
بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف أي إلها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا أي جثة ذا دم ولحم
أو جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار أي صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصياح
نعت لعجلا روي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه ترابا من أثر فرس جبريل عم وقد كان أخذه عند فلق
البحر أو عند توجهه إلى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والأنسب
بما في سورة طه هو الأول وإنما نسب اتخاذه إليهم وهو فعله إما لأنه واحد منهم وإما لأنهم رضوا به فكأنهم
فعلوه وإما لأن المراد بالاتخاذ اتخاذهم إياه إلها لا صنعه وإحداثه ألم يروا أنه لا يكلمهم استئناف
سيق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما أقدموا عليه من المنكر الذي هو اتخاذه إلها أي
ألم يروا أنه ليس فيه شيء من أحكام الألوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه من الوجوه فكيف
اتخذوه إلها وقوله تعالى اتخذوه وكانوا ظالمين أي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين أي واضعين للأشياء في غير موضعها
فلم يكن هذا أول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي وتكرير اتخذوه لتشديد التشنيع وترتيب الإعراض عليه
ولما سقط في أيديهم أي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه لأن النادم المتحير يعض
يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه
سقط الندم في أنفسهم بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل ورأوا
أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل أي تبينوا ضلالهم تبينا كأنهم رأوه بأعينهم وتقديم ذكر ندمهم على
هذه الرؤية مع كونه متأخرا عنها للمسارعة إلى بيانه والإشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية
قالوا والله لئن لم يرحمنا ربنا بإنزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئاتنا وتقديم
الرحمة على المغفرة مع أن التخلية حقها أن تتقدم على التحلية إنما هو للمسارعة إلى ما هو المقصود الأصلي
وأما ما قيل المراد بالرحمة مطلق إرادة الخير بهم وهو مبدأ لإنزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام من لئن
موطئة للقسم كما أشير إليه وقوله تعالى لنكونن من الخاسرين جواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية
والقول وإن كان بعد رجوع موسى عم إليهم كما ينطق به الآيات الواردة في سورة طه لكنه أريد بتقديمه
عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد وقوله تعالى ولما رجع موسى إلى قومه شروع في بيان ما
جرى بين موسى عم وبين القوم بعد رجوعه غضبان أسفا والأسف أشد الغضب وقيل الحزين قال بئسما
خلفتموني من بعدي أي بئسما فعلتم من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعدما رأيتم مني توحيد الله

ولنفي الشرك عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حين قلتم اجعل لنا الها
كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بئسما خلفتموني
ولم تراعوا عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله
تعالى قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعن افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على
ان المراد بالخليفة ما يعم الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص
بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم أعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام على
تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم
بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي
ان التورية كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها وكان فيها
تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر راسه عليهما السلام يجره اليه
حال من ضمير اخذ فعله عم توهما انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عم بثلاث سنين وكان حمولا ولذلك
كان احب الى بني اسرائيل قال اي هرون مخاطبا لموسى عليهما السلام يا ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام
بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف
والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او
لتشبيهه بخمسة عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى
بذلت جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما
يكون سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او بالنسبة الى التقصير
وهذا يؤيد كون الخطاب للكل ولا تعتقدني واحدا من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال استيناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عم كانه قيل فماذا قال موسى عند ذلك فقيل قال رب اغفر
لي اي ما فعلت باخي من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوا من العظيمة
استغفر عم لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج
الى الاستغفار بحيث كان يجب عليه ان يفعل ما لم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا
وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي عكفوا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه
من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في
ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع
لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرائم وافظع الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم
او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية الاضافية اي كائن من ربهم وذلة
في الحيوة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا والذلة
التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس وان ابناءهم اليوم يقولون
ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق
تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر
عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى عم حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه
سينالهم غضب من ربهم وذلك فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سباق النظم الكريم وسياقه
نابيان عن ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه فانهم
تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس يجزي الله تع كل المفترين بهذا الجزاء الذي ظاهره
قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان تعيير الابناء
بافاعيل الآباء مشهور معروف ومنه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا الآية وقوله واذ قلتم يا موسى الآية والمراد
بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول

بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في بنالهم خلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان
حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عنها
الآن من بعدها اي من بعد عملها وآمنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته
من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اي من بعد تلك التوبة
المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية
والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب
شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى مآل كل منهما
اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي عنهم من الندم
وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عم وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب
الحامل له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد
والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسُكّت واُسكت على ان الفاعل هو الله
تعالى او اخوه او التائبون اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى
مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة للخلق
بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف
هو صفة لرحمة اي كائنة لهم وهي لام الاجل اي هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل
الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف
اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية
استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اي اختار من قومه
بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما في قوله • اخترتك الناس اذ رثت خلائقهم •
واعتل من كان يرجى عنده السؤال • اي اخترتك من الناس سبعين رجلا مفعول لاختار اخر عن
الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعدما وقع
من قومه ما وقع لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي امر الله تعالى بان يأتيه
في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار من قومه سبعين
رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى مما صنعوه ويسألوه التوبة عمن تركوهم وراءهم
من قومهم قالوا اختار عم من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال
عم ان لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا
ثيابهم فخرج بهم الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه
تع يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما شاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤوا عليه
من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عم وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا ولعله اريد بالقوم
لن نؤمن لك لن نصدقك في ان ما سمعناه من الامر بقتل انفسهم هو من الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا
رؤيته تعالى على سماع كلامه تعالى قياسا فاسدا فحين شاهد موسى تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم
عليها وإياي ايضا حين طلبت منك الرؤية اي لو شئت اهلاكنا بذنوبنا لاهلكتنا حينئذ اراد به عم
تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط العتيد
ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك اياه فحيث
لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائر فلا غرو في ان تعفو عن هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على
التمني يأباه قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون تفاصيل شئون الله ولا
يتثبتون في المداحض والهمزة لانكار وقوع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري

او للاستعطاف كما قاله المبرد اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صدر عن السفهاء
بيانا منشأ غلطهم اي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا فيها ما قالوا الا محنتك الا فتنتك اي محنتك
وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد
وقوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك
اي حال كونها مضلا بها الخ اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء
هدايته الى الحق فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا اي القائم بامورنا الدنيوية و
الاخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله
من الولاية كانه قيل في شان الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عم على ان يقول ان هي الا فتنتك
الخ جراة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة آثار الرحمة الدنيوية
والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة
بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة
اي نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفي
الآخرة اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اي تبنا وانبنا
اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد اذا حرك وامال ويحتمل ان يكون
مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او ازملنا اليك ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على بناء
المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل والجملة
استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف
التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة
التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع هاهنا من طلب الرؤية فنعيذ من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة
التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا فاخذ موسى عم يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل
رجفوا وكادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عم فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فاذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عم فقيل قال عذابي
اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عم دعاءه التخفيف والتيسير
حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية عن المشقة والشدة فان في قتل
انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شاني ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير
دخل لغيري فيه وهم ممن شئنا ولذلك مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت
كل شيء اي شانها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل ما يدخل تحت الشيئية من المكلفين
وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة
المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب
فبمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور
الا يرى الى قوله تعالى فساكتبها اي اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا
كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي وسعة رحمتي لكل من اشاء فساكتبها كتبة خاصة
كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الخ اي ساكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين
يتقون اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستهما وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير
متقين ويكفيهم ما قد نالهم من الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكوة وفيه
ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلوة انما لم تذكر مع اناقتها على سائر
العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن آخرها
وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال
بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالايات العظام التي جاء بها موسى عم وبما سيجيء بعد ذلك من

من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين
ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو
على يتقون لما اشير اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع اياتنا يؤمنون لا ببعضها دون
بعض الذين يتبعون الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة
بالنسبة اليه تع وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على
حاله التي ولد عليها من امه او الى امة العرب كما قال عم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب او الى ام القرى وقرئ
بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والاخرين والموصول
بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين او هم الذين
واما جعله مبتدأ على ان خبره يامرون او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذي يجدونه مكتوبا باسمه
ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم
زيد هذا لزيادة التقرير وان شانه عم حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في التورية والانجيل
اللذين تعبد بهما مكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي عم والقرآن الكريم
قبل مجيئهما يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستانف لا محل له من الاعراب قاله
الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها
من آثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبي او
من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم ظلمهم
ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم
اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم من كون التوبة بقتل
النفس كتعيين القصاص في العمد والخطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض
موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل
اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها
طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم اصل الاصر الثقل الذي
يأصر صاحبه من الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه عم وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم
مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عم اياهم
بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه
في اوامره ونواهيه وعزروه اي عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله
المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه في الدين واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته وهو
القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا لها
لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عم
بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه اولئك اشارة
الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون
بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اي هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن المكروب لا غيرهم
من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عم دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة
وبه يتحقق التحقيق ويتاتى التوفيق والتطبيق بين دعائه عم وبين الجواب لا بمجرد ما قيل
من انه لما دعى لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية
على الله تعالى وعلى كفرهم بايات الله العظام التي اجراها على يد موسى عم وعرض بذلك في قوله
والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم

وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل
يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكى في الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من
اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عم ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من
كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل باقوامهم وارسال موسى الى فرعون وملائه بالآيات
التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته
الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في
اليكم الذي له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما
بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم
كان هو الاله لا غيره وفي قوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير الوهيته والفاء في قوله فآمنوا بالله ورسوله
لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عم وايراد نفسه عم بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة
للمبالغة في ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله تعالى النبي الامي لمدحه عم بهما ولزيادة تقرير امره
وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته اي ما انزل اليه والى سائر الرسل عم
من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى
لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن تنبيها على ان المامور به هو
الايمان به عم من حيث انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عم تعريضا لليهود وتنبيها على ان
من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه واتبعوه اي في كل ما يأتي وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين
او حال من فاعليهما اي رجاء الاهتداء اليكم الى المطلوب او راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه
بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر على الغي والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى
يوهمه تخصيص كتبه الرحمة بالمتقين والايمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى عم
من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون اي الناس بالحق اي ملتبسين به او يهدونهم
بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون اي في الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين حكاية للحال
الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل
لما بالغوا في العتو والطغيان حتى اجترءوا على قتل الانبياء عم تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله
ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من
وراء الصين وهم الى يومنا هذا حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل عم ذهب به
ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا
يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ مني السلام عليه فرد محمد على موسى السلام عليهما السلام
ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم
وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه عم
مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف
وقوله تعالى اثنتي عشرة ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتانيث للحمل على الامة او القطعة اي
صيرناهم اثنتي عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين بهذا
العدد وقوله تعالى اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط
لا سبط وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله امما على الاول بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش في التيه الذي وقعوا فيه بسوء صنيعهم
لا لمجرد استسقائهم اياه عم بل باستسقائه لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ان اضرب
بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وقد مر بيان شأن الحجر في تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته الى الامتثال واشعارا بعدم تأثير
الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه حصل اثر الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله

تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما
ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست ففيه حط لجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة
بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل
عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن
مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه
كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن
المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة
للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما
ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه
النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه
من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء
للمفعول مع اسناده الى الله تعالى كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله واذ قلنا للجري على سنن
الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي
اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوب على المفعولية يقال سكنت الدار وقيل
على الظرفية اتساعا وهي بيت المقدس وقيل اريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال
لهم العمالقة راسهم عوج بن عنق وفي قوله تعالى اسكنوا ايذان بان المامور به في سورة البقرة هو الدخول
على وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغدا في قوله تعالى وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها
على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيه احد فان
الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا
بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هنالك فكلوا وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك
حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا اي متطامنين
مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول على الامر بالقول المذكور في
سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب بينهما ثم ان
كان المراد بالقرية اريحا فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليهما موسى عم بمن بقي من بني اسرائيل
او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد
روي انهم لم يدخلوه في حياة موسى عم فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون اليها نغفر لكم
خطيئاتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد
المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو هيهنا لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على
تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة
منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا
موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة
وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عز وجل واستهزاء بموسى عم
وقوله تعالى غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة
وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تأخير وفي سورة البقرة
على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد
الطاعون روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم
المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما
يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم هيهنا مرتب على المضمر دون

الموصول بالظلم كما في سورة البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقيل ثم وجهه هناك والله
تعالى اعلم واسألهم عطف على المقدر في اذ قيل اي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير
بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها
الا من مارس كتبهم قد احاط به النبي صلى الله عم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عم بمعزل من ذلك تعين
انه من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة قرية
بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر اي قريبة
منه مشرفة على شاطئه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف
للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور
بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد
يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل
والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار
ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد
يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية
وان ما ذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف
لتاتيهم اي تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة
وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله
شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة
على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق
يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر
وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم
السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تاتيهم كما كانت تاتيهم يوم السبت حذارا من صيدهم
وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال
فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل يوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع
نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها والتعجب منها بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما ياتون وما يذرون
وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل ما تاتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استئناف مبني على السؤال
عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم
في العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا
في عظتهم متن كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتاثير
مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم بالكلية ومطهر
الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم
في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم
مهلكون في الدنيا ومعذبون في الآخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب
للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كأنهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او ترهيبا
للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بت القول
بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم
ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه قالوا اي الوعاظ معذرة الى ربكم اي نعظهم معذرة
اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف

محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي موعظتنا معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط
في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على
معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة
والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا ٥
عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان
المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لا
هلاكهم لما ان في حيز الشرط شيئين النسيان والتذكير كانه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر المعتدون
انجينا الاولين واخذنا الآخرين واما تصدير الجواب بانجائهم فلما مر من المسارعة الى بيان نجاتهم
من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة الامر بعذاب
بئيس اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بئيس على وزن فعيل بفتح العين
وكسرها وبئس كحذر وبيس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد وبيس بقلب الهمزة
ياء كذيب وبيئس كضيغم وبيس بقلب همزة بيئس ياء وادغام الياء فيها وبئس على تخفيف بئس كهين في هين وتنكير
العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما
معنى اي اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم
والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل
المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظلم والعدوان والا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعة
ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي
فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه
قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني لا
القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة
في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية
تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو
المعني بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه فكانت الحيتان تجيء
لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تاتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال
لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود وصعبة الصدور ففعلوا فجعلوا
يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وياخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم
حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع
في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان
العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا
فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم
تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار
للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عم فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من
المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت
القردة انسابهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول له نسيبه
الم ننهكم فيقول القرد براسه بلى ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن
مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها
عذابا في الآخرة وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى
جعل موعدا والساعة ادهى وامر واذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله
تعالى واسألهم وتأذن بمعنى آذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث

به نفسه واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك أجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى
يوم القيمة اى واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عم بخت نصر
فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى
المجوس حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر
ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم فى الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اى
فرقنا بنى اسرائيل فى الارض وجعلنا كل فرقة منهم فى قطر من اقطارها بحيث لا يخلو قطر منها منهم
تكملة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة وقوله تعالى امما اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله
منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم ومنهم دون ذلك
اى ناس دون ذلك الوصف اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصى فخلف من بعدهم من بعد المذكورين
خلف اى بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف
بفتح اللام فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اى التورية
من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى استيناف مسوق لبيان ما
يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اى يأخذون حطام هذا الشئ الادنى اى الدنيا وهو من الدنو
او الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشا فى الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو
ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف
والحالية والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال
من الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى الميثاق الوارد فى الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف
بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول بالمغفرة
بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف
على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون
ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ
بالياء وفى الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب اى يتمسكون فى امور دينهم يقال مسك
بالشئ وتمسك به قال مجاهد هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا
بالكتاب الذى جاء به موسى عم فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عم
وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى واقاموا الصلوة ولعل التغيير فى
المتعاطفين للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر فى جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة
باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين
يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى انا لا
نضيع اجر المصلحين والرابط اما الضمير المحذوف كما هو رأى جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين
منهم واما الالف واللام كما هو رأى الكوفيين فانه فى حكم مصلحيهم كما فى قوله تعالى فان الجنة هى المأوى
اى مأواهم وقوله مفتحة لهم الابواب اى ابوابها واما العموم فى المصلحين فانه من الروابط ومنه نعم
الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب مأجورون او مثابون
وقوله تعالى انا لا نضيع الخ اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه
عليهم كأنه ظلة اى سقيفة وهى كل ما اظلك وظنوا اى تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل
لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به واطلاق الظن فى الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك
انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا

والا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم اى وقلنا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من واو خذوا واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسى لعلكم تتقون
بذلك قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق او راجين ان تنتظموا فى سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب
بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس
قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود
تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اى واذكر لهم اخذ ربك من بنى آدم المراد بهم الذين ولد
لهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار
الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتناء بشأن المأخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو
السبب فى اسناده الى اسم الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتى واضافته الى ضميره عم
للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض بتكرير الجار كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا
لمن آمن منهم ومن فى الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل غب الاجمال
وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم فى اصلاب الآباء ولم يستودعوا فى ارحام الامهات وقوله تعالى
ذريتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعاة اصالته ومنشئيته
ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود
المعاصرون لرسول الله صلى الله عم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم فى بنى آدم كذلك وتخصيصهما
باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل
وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اى اشهد كل واحد من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم على
نفسه لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته التامة وما تستتبعه من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من
احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول اى قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على
الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل فى شأن من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به
تع قالوا استيناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اى على انفسنا
بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك كما ورد فى الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا فى مبدأ الفطرة
مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة فى الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله عم
كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد
تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم فى الآفاق والانفس من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها
تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر
ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما فى
قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله ان تقولوا بالتاء على
تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عم الى معاصريه من اليهود تشديدا فى الالزام او اليهم والى
متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تع الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكى
وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اى فعلنا ما فعلنا
كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا
عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ التام لتحقيق
الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار
ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على تقولوا
واو لمنع الخلو دون الجمع اى هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من
بعدهم لا نهتدى الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا
المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبر والاستبداد بالرأى وانه اخذنا فتهلكنا الخ
فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدليل

والقدرة على الاستدلال بها بما لا مساغ له أصلاً هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن
عباس من أنه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة فقال ألست
بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن
الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه
فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال
خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وليس المعنى أنه تعالى أخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل أخرج
من ظهره أبناءه الصلبية ومن ظهورهم أبناءهم الصلبية وهكذا إلى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الأصلي ظهره
عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين إجمالاً من غير أن يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب
إخراج الكل إليه وأما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان عدم إفادة الاعتذار بإسناد الإشراك إلى آبائهم اقتضى الحال نسبة إخراج كل واحد منهم إلى ظهر أبيهم
من غير تعرض لإخراج الأبناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعاً وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضي الله عنه
ليس بياناً لعدمه ولا مستلزماً له وأما ما قالوا من أن أخذ الميثاق لإسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى
أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ومعلوم أنه غير دافع لغفلتهم في دار التكليف إذ لا فرد من
أفراد البشر يذكر ذلك فرد ولكن لا إيماء قيل من أن الله تعالى قد أوضح الدلائل على وحدانيته وصدق
رسله فيما أخبروا به فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج
بعد إخبار المخبر الصادق بل بأن قوله تعالى أن تقولوا الخ ليس مفعولاً له لقوله تعالى وأشهدهم وما يتفرع عليه
من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الإشهاد والشهادة محفوظاً لهم في إلزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام
والمعنى فعلنا ما فعلنا من الأمر بذكر الميثاق وبيانه كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا أيها الكفرة يوم القيامة إنا
كنا عن هذا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف وإلا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور وأما
على القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الأمر المضمر العامل في إذ أخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى
لئلا يعتذروا يوم القيامة بالغفلة عنه أو بتقليد الآباء هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو
الظاهر فأما على تقدير كونه من كلام الله تعالى فهو العامل في أن تقولوا ولا تقولوا ولا محذور أصلاً إذ المعنى شهدنا
قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيامة الخ لأنا نردكم ونكذبكم حينئذ وكذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعده
وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو شأن المشار إليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما أفاده اسم الإشارة
من الفخامة والتقديم على الفعل لإفادة القصر ومحله النصب على المصدرية أي ذلك التفصيل البليغ المستتبع
للمنافع الجليلة نفصل الآيات المذكورة لا غير ولعلهم يرجعون ولكي يرجعوا عما هم عليه من الإصرار على
الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وابتدائية ويجوز أن تكون الثانية عاطفة على
مقدر يترتب على التفصيل أي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر ولعلهم يرجعون الخ
واتل عليهم عطف على المضمر العامل في إذ أخذ وارد على نمطه في الإنباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد
الهدى أي واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا أي خبره الذي له شأن وخطر وهو أحد علماء بني إسرائيل
وقيل هو بلعم بن باعوراء أو بلعام بن باعر من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب الله وقيل هو أمية بن أبي الصلت
وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل في ذلك الزمان رسولاً ورجا أن يكون هو الرسول فلما بعث الله
نبيه النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والأول هو الأنسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم فانسلخ منها أي من
تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله أصلاً أو خرج منها بالكلية بأن كفر بها ونبذها وراء
ظهره وأياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما
أبداً للإيذان بكمال مباينته للآيات بعد أن كان بينهما كمال الاتصال فأتبعه الشيطان أي تبعه حتى
لحقه وأدركه فصار قريناً له وهو المعنى على قراءة فاتّبعه من الافتعال وفيه تلويح بأنه أشد من الشيطان
غواية أو أتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان
من المهتدين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فلم

فلم يزالوا به حتى دعا فبقوا في التيه ويرده أن التيه كان لموسى عم روحاً وراحة وإنما عذب به بنو إسرائيل
وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف مسوق لبيان مناط
ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطاً
وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة أي ولو شئنا رفعه لرفعناه أي إلى المنازل العالية للأبرار
العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير أن يكون له دخل في ذلك أصلاً فإنه
مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الأجزية بالأفعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل
المؤدي إلى الرفع بصرف اختياره إلى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها أي بسبب تلك الآيات على
عمل بموجبها فإن اختياره وإن لم يكن مؤثراً في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى
لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسبما جرت به العادة الإلهية وقد أشير إلى ذلك في الاستدراك الذي
أسند فيه ما يؤدي إلى نقيض التالي إليه حيث قيل ولكنه أخلد إلى الأرض مع أن الإخلاد إليها أيضاً مما لا
يتحقق عند صرف اختياره إليه إلا بخلقه تعالى كأنه قيل ولو شئنا رفعه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك
الآيات التي هي أقوى أسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فترك في كل من المقامين ما
ذكر في الآخر تعويلاً على إشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له
إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للإيذان بأن الرفع مراد له تعالى
بالذات وتفضل محض عليه لا دخل له فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع أفعاله وبواديه من نعمه تعالى
وتفضلاته وأن نقيضه إنما أصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد لا بالإرادة الذاتية له سبحانه كما
ينبئ عنه وجه ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر في الآية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرآنية
على إسناد الخير إليه تعالى وإضافة الشر إلى الغير كما في قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره والإخلاد
إلى الشيء الميل إليه مع الاطمئنان به والمراد بالأرض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية
على المنازل السنية أو الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضاً عن تلك الآيات الجليلة
فانحط أبلغ انحطاط وارتد أسفل سافلين وإلى ذلك أشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما أنه
أخس الحيوانات وأسفلها وقد مثل حاله بأخس أحواله وأذلها حيث قيل إن تحمل عليه يلهث أو تتركه
يلهث أي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته في أرذل أحواله وهي حال دوام اللهث في حالتي التعرض له بالزجر
فكأنه قيل فتردى إلى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وإيثار الجملة الاسمية على الفعلية بأن يقال فصار
مثله كمثل الكلب الخ للإيذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها
والخطاب في فعلي الشرط لكل أحد ممن له حظ من الخطاب فإنه أدخل في إشاعة فظاعة حاله واللهث
إدلاع اللسان بالتنفس الشديد أي هو ضيق الحال مكروب دائم اللهث سواء هيجته وأزعجته بالطرد
والعنف أو تركته على حاله فإنه في الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المسخن وجلب الهواء البارد بسهولة
لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر الحيوانات فإنها لا تحتاج إلى التنفس الشديد ولا يلحقها
الكرب والمضايقة إلا عند التعب والإعياء والشرطية مع أختها تفسير لما أبهم في المثل وتفصيل لما
أجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الإعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون إثر قوله إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحالية من
الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما إلى معنى التسوية حسبما يحول الاستفهام من المنافقين
إليه في مثل قوله تعالى أأنذرتهم أم لم تنذرهم كأنه قيل لاهثاً في الحالتين وأياً ما كان فالأظهر أنه
تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب ودوام القلق والاضطراب
وعدم الاستراحة بحال من الأحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى
خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب إلى أن هلك ذلك إشارة إلى ما ذكر من الحالة الخسيسة
منسوبة إلى الكلب وإلى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة أي ذلك
المثل السيئ مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وهم اليهود حيث أوتوا في التوراة ما أوتوا من نعوت

النبي صلى الله عليه وسلم وذكروا القرآن المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة فاقصص القصص القصص مصدر سمي به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون ايقانا بك والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء مثلا استئناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعله مضمر فيه ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا بآياتنا وحيث وجب التصادق بين الفاعل والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز اي ساء اصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة ولربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها واياما كان ففي يظلمون لمح الى ان تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدي لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى كونها دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى اياه كسائر افعال العباد فالمراد بهداية الله تعالى ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لانها حقيقة الدلالة الموصلة الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية اذ ليس من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء بل يحمل النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو نفس الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقتضي به تعريف الخبر فالمعنى من يهده الله اي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير والافراد في المهتدي نظرا الى لفظ من والجمع في الخاسرين نظرا الى معناها للايذان باتحاد منهاج الهدى وتعدد طرق الضلالة ولقد ذرأنا كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينها وتأخيره عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق من الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات والكثرة عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الثقلين باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب في محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة لكمالها بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن صرفها الى تحصيل [illegible]

راسا وكذا الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اي لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف عليه والمراد بالابصار والسماع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اي لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم آذان لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية واعادة الخبر في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها لتقرير سوء حالهم وفي اثبات المشاعر الثلاث لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اي في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشرية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه ما ليس كمثله شيء وهو السميع العليم اصنامهم التي هي اخس مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تأنيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي يميلون في شأنها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن قريب كما هو المفهوم من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس

الى اخره اى وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اى طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون فى الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الاية وعنه عليه السلام ان من امتى قوما على الحق حتى ينزل عيسى وروى لا تزال من امتى طائفة على الحق الى ان يأتى امر الله وروى لا تزال من امتى امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى امر الله وهم ظاهرون وفيه الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم فى انفسهم امر محقق غنى عن التصريح به **والذين كذبوا باياتنا** شروع فى تحقيق الحق الذى يهدى به الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اى والذين كذبوا باياتنا التى هى معيار الحق ومصداق الصدق والعدل **سنستدرجهم** اى سنستدنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل نقل تدريجى سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذى هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجى من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق فى مراقى منافعه مع انه فى الحقيقة تردٍّ فى مهاوى مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم فى الغى فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم فى مراتب النعم بل هو تدرجهم فى مدارج المعاصى الى ان يحق عليهم كلمة العذاب على افظع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى **من حيث لا يعلمون** متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور اى سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم **واملى لهم** عطف على سنستدرجهم غير داخل فى حكم السين لما ان الاملاء الذى هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج الحاصل فى نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج آثاره واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المبنى على مزيد الاعتناء بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهى والاستدراج بتوسط المدبرات فبناه دلالة نون العظمة على الشركة وانى ذلك والاحتراز عن ايرادها فى قوله لا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم الاية بل عن ايرادها فى امثال هذه الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء **ان كيدى متين** تقرير للوعيد وتأكيد له اى قوى لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التى هى الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استلزامه لاعتبار القيد المذكور حتما **اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة** كلام مبتدأ مسوق لانكار عدم تفكرهم فى شأنه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الايات التى كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه وما استفهامية انكارية فى محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التى يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اى اكذبوا بها ولم يتفكروا فى اى شئ من جنون ما كائن بصاحبهم الذى هو اعظم الهداة الهادية بالحق وعليه انزلت تلك الايات او فى انه ليس بصاحبهم شئ من جنة حتى يؤديهم التفكر فى ذلك الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الايات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى اولم يتفكروا اى اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل اى شئ بصاحبهم من جنة على طريقة الانكار والتعجيب والتبكيت او قيل ليس بصاحبهم شئ منها

والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم للايذان بان طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفى الجنون عنه عليه السلام مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لما ان التكلم بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير ان يكون له اصل ومنشأ او عمن له تأييد الهى يخبر به عن الامور الغيبية واذ ليس به عليه السلام شائبة الاول تعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله تعالى وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت فالتصريح بنفى الجنون حينئذ للرد على عظيمتهم الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى **ان هو الا نذير مبين** جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله عليه السلام على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم بعد قوله ما هذا بشرا اى ما هو عليه السلام الا مبالغ فى الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرأفة ومبالغة فى الاعذار وقوله تعالى **اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض** استئناف آخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتأمل فى الايات التكوينية المنصوبة فى الآفاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الايات المنزلة اثر ما نعى عليهم اخلالهم بالتفكر فى شأنه عليه السلام والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة **وما خلق الله** اى وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او فى ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل فى الدلالة على عظم الملك فى الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وقوله تعالى **من شئ** بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها والمعنى اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشئ ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبسائر شؤونه التى ينطق بها تلك الايات فيؤمنوا بها لاتحادهما فى المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى **وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم** عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشأن وخبرها عسى مع فاعلها الذى هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشأن والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا فى ان الشأن عسى ان يكون الشأن قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما واياما كان فمناط الانكار والتوبيخ تأخرهم للنظر والتأمل اى لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يبادرون الى التدبر فى الايات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الايات القرآنية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل **فباى حديث بعده يؤمنون** قطع لاحتمال ايمانهم رأسا ونفى له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالايات واخلالهم بالتفكر والنظر والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للايات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا او لتأويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فباى حديث يؤمنون بعد تكذيبه ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فباى حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمبادرة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوات وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم والمعنى فباى حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف اى فباى حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى **من يضلل الله فلا هادى له** استئناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى **ويذرهم فى طغيانهم** بالياء والرفع على الاستئناف اى وهو

ويذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي
له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روي الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله
تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من
وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل يسألونك عن
الساعة استئناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها
عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان
قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع
علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الهمزة وقرئ
بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ والفعل المضارع دون الماضي بخلاف متى
يليهما كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناها اي وقت وهو من اوى الى الشيء لان البعض آو الى
الكل متساند اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر اي متى ارساؤها اي اثباتها وتقريرها
فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها
ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها
بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق
السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار
حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونها محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب ايضا حيث اضيف
العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل قل انما علمها اي علمها بالاعتبار
المذكور عند ربي ولم يقل انما علم وقت ارسائها [illegible] حمل النظم الكريم على حذف المضاف
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للايذان بان توقيفه عم للجواب على الوجه المذكور
من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به احدا
من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها واقناط
كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى
الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر
للناس امرها الذي تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره
لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها كما هو المسؤول بل بان يقيمها بغتة فيشاهدوها عيانا كما ينبئ عنه التجلية المنبئة
عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء
عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها
ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض
استئناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلهما من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها
وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت
فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تأتيكم الا
بغتة فانه ايضا استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة
على غفلة كما قال عم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في
سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها استئناف مسوق لبيان خطئهم في توجيه السؤال
الى رسول الله صلى الله عم بناء على زعمهم انه عم عالم بالمسؤول عنه او ان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان
خطئهم في اصل السؤال باعلام شأن المسؤول عنه والجملة التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف
جيء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطئهم في ذلك اي يسألونك مشبها حالك عندهم
بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كانك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم
المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء

والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحفاء البقل اي استئصاله والاحفاء في المسألة اي الالحاف فيها وقيل
عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كانك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ كذلك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له عم ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة
والمعنى يسألونك كانك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي امرها عن غيرهم ففيه
تخطئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح بالسؤال عنها تحبه مع انك
كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله امر عم باعادة
الجواب الاول تأكيدا للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن
استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تعالى ولكن اكثر الناس لا
يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها رأسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر
قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت وقوعها فيسألونك عنه جهلا
وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح في رسالتك
والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان
فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في
الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عم
من يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول وذكر النفع
لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلق باملك او
بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله ان
املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه اي لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع
وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من المناسبات
المصححة عادة للسببية والمسببية والمنافعة والمدافعة لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي
نيط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي
يمكن التفصي عنه بالتوقي عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فانه مما لا مدفع منه ان انا الا نذير
وبشير اي ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية
لا الوقوف على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق
به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح
فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير لما ان المقام مقام
الانذار وقوله تعالى لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة
واما بالبشير فقط والمتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون
اي في اي وقت كان ففيه ترغيب للكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان
هو الذي خلقكم استئناف مسوق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم على الاشراك بتذكير مبادئ
احوالهم المنافية لذلك وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شأن المبتدأ اي هو العظيم الشأن الذي خلقكم جميعا
وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عم وهذا نوع
تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم عم وتصويره
وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير فيه لما ان الواو
لا تستدعي الترتيب او الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من
جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عم والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية
الى الغاية الآتية لا الجزئية زوجها اي حواء وجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثاني هو
الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله ليسكن اليها علة غائية للجعل

باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستانس بها ويطمئن اليها اطمينانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير
الضمير وينبئ عنه قوله تعالى فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الامر فانه عند كونه
نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة
الى نعمته تع عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى
القوة فمرت به اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس وقرئ
فمرت بالتخفيف وفارت من المور وهو المجئ والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل
من ان المعنى حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله
كما يستثقلنه فمرت به اي مضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت اذ معناه
فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور
انما مقابلها الكرب الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء للمفعول
اي اثقلها حملها دعوا الله اي آدم وحوا عليهما السلام لما دهمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا مآله فاهتما به
وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد
صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة
القسمية به اي دعواه تع ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين
لئن آتيتنا صالحا اي ولدا من جنسنا سويا لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين الراسخين
في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علق
به دعاؤهما انموذج لسائر افراد الجنس وعلما انهما ذاتا وصفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم
لصلاحها فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حق الكل مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة
وقيل ان ضمير آتيتنا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء اصالة
يأباه مقام المبالغة في الاعتناء بشأن ما هو بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دائرة
الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل هو مؤكد له وايا ما كان فتعقيب قوله تعالى فلما آتاهما صالحا لما آتاهما
ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى
شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان
وكذا الحال في قوله تع فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد
العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية
واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم
في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة او ذوي شرك اي شركاء ان قيل ما ذكر من حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسرايته
اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في مثل قوله تع واذ انجيناكم من آل فرعون
الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود قد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم
توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تع فلم تقتلون انبياء الله من قبل فان القتل حقيقة مع
كونه من جناية آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب في ان
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
فتعالى الله عما يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار
نعمته الزاجرة عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتبرئة

آدم وحوا عليهما السلام عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة اي عما يشركونه به
سبحانه والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ تشركون
بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصي
فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما
اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين
بهما واما ما قيل من انه لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله
بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم فاهمهما ذلك ثم عاد
اليهما وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوته ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد
الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا
وانه عم كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واتباعه اياه في مثل هذا الشان الخطير امر
قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح
اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتفصيل احواله القاضية
ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من الاشياء
اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على لا يخلق
وايراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما الى المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها
مجرى العقلاء وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية
لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شئ
ما بخالقه وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقهم للايذان
بتعينه والاستغناء عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم نصرا اي
نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعونها
عن انفسهم وايراد النصر لمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية
الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا
هناك بالمخلوقية لكونهم امثالا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى وان تدعوهم
الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد
الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء
بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون
به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة
دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله ام انتم
صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية كما في قوله ام صمتم عدل عنها للمبالغة في
عدم افادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين
الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك
لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو
بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله
تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تع من الاصنام وتسمونهم آلهة
عباد امثالكم اي مماثلة لكم لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة
عن النفع والضرر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم
وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم
فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر ان كنتم صادقين

في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تعالى **ألهم أرجل يمشون بها** الخ تبكيت موكد لما ينبئ عنه
التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا
كان لها حواس وقوى محركة ومدركة وما ليس له شئ من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه
الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات
الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة
على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل
لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست بارجل
في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلاث الباقية وكلمة ام في قوله تعالى **أم لهم أيد يبطشون**
بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت
بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهي لغة
فيه والمعنى بل الهم ايد يأخذون بها ما يريدون اخذه وتأخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم
والبطش حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى **أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون**
بها مع ان الكل سواء في انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفاء
المشي والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا
واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية
اي فالذين تدعون من دونه تع عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الخ تقريرا لنفي المماثلة
باثبات القصور والنقصان **قل ادعوا شركاءكم** بعدما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شئ اصلا امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم بالتبكيت والقام الحجر اي ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم
علي **ثم كيدون** جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي الكيد والمكر
فلا تنظرون اي فلا تمهلوني ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا ابالي بكم اصلا **إن وليي الله الذي**
نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار
بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي هو الله
الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله
تعالى **وهو يتولى الصالحين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من
عباده وينصرهم ولا يخذلهم **والذين تدعون** اي تعبدونهم **من دونه** تع او تدعونهم للاستعانة بهم حسبما
امرتكم به **لا يستطيعون نصركم** اي في امر من الامور او في خصوص الامر المذكور **ولا أنفسهم ينصرون** اذا
نابتهم نائبة **وإن تدعوهم إلى الهدى** الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او في
خصوص الكيد المعهود **لا يسمعوا** اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع
وقوله تعالى **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون** بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن
السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول والجملة
الاسمية حال من فاعل ينظرون اي وترى الاصنام رأي العين يشبهون الناظرين اليك ويخيل اليك انهم
يبصرونك لما انهم صنعوا لها اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته
الى الشئ ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير في تراهم مع رجوعه الى المشركين
لتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية
الاصنام على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا
اي وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب في قوله تعالى
وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون اي وان تدعوا ايها المؤمنون
المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بانك تراهم ينظرون اليك

اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من
الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين **خذ العفو** بعدما عدّ من اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق
تحمله امر عليه السلام بمجامع مكارم الاخلاق التي من جملتها الاغضاء عنهم اي خذ ما عفا لك من افعال الناس
وسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين ولا تكلفهم او
الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة **وأمر بالعرف** بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة
من قبول الناس من غير نكير **وأعرض عن الجاهلين** من غير مماراة ولا مكافاة قيل لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جبريل عليه السلام فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي
من حرمك وتعفو عن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تع نبيه بمكارم الاخلاق وروي انه لما نزلت
الآية الكريمة قال عليه السلام كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ** النزغ والنسغ
والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه واسناده
الى النزغ من قبيل جد جده اي واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء
غضب ونحوه **فاستعذ بالله** فالتجئ اليه تع من شره **إنه سميع** يسمع استعاذتك به قولا **عليم** يعلم تضرعك
اليه قلبا في ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب
على نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير عنه
وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من
الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح
امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها **إن الذين اتقوا** استئناف مقرر
لما قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن
الغاوين اي ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها **إذا مسهم طائف من الشيطان** ادنى
لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع
بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اي ألمّ وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الولي او
الطيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سيأتي **تذكروا** اي الاستعاذة
به تعالى والتوكل عليه **فإذا هم** بسبب ذلك التذكر **مبصرون** مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون
عنها ولا يتبعونه فيها **وإخوانهم** اي اخوان الشياطين [illegible]
عن الصالحين **يمدونهم في الغي** اي يكون الشياطين مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه
وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال
ثم لا يقصرون [illegible]
عن الغي ولا يقصرون كالمتقين [illegible]
الخبر جاريا على ما هو له **وإذا لم تأتهم بآية** من القرآن عند تراخي الوحي او بآية مما اقترحوه **قالوا لولا**
اجتبيتها اي هلا جمعتها من تلقاء نفسك [illegible] **قل** ردا عليهم **إنما أتبع ما يوحى إلي**
من ربي من غير ان يكون لي دخل ما في ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتخصيص
القصر المستفاد من كلمة انما على الفعل بالنسبة الى مقابلاته التي [illegible]
تخصيص اتباعه عليه السلام [illegible] بتوجيه القصر الى المفعول كما هو الشائع
في موارد الاستعمال [illegible]
الاتباع [illegible]
اللائق [illegible]
الكريم [illegible] **هذا بصائر من ربكم** [illegible]
وقيل حجج بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اي بصائر

كما تربية تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها وقوله تع وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم يؤمنون للإيذان بأن كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع وأما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به إذ هم المقتبسون من أنواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن أي وإذا قرئ القرآن الذي ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وأنصتوا أي واسكتوا في خلال القراءة وراعوها إلى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون أي تفوزون بالرحمة التي هي أقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على أنه استماع المؤتم وقد روي أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ أصحابه رضي الله عنهم خلفه فنزلت وأما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والآية إما من تمام القول المأمور به أو استئناف من جهته تعالى فقوله تعالى واذكر ربك في نفسك على الأول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الأذكار كافة فإن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب من الإجابة تضرعا وخيفة أي متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول أي ومتكلما كلاما دون الجهر فإنه أقرب إلى حسن التفكر بالغدو والآصال متعلق باذكر أي اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل إذا دخل في الأصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى إن الذين عند ربك وهم الملائكة عليهم السلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تع ويسبحونه أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأعراف جعل الله تعالى يوم القيامة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم عليه السلام شفيعا له يوم القيامة

سورة الأنفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الأنفال النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تع زائدة على ما هو أصل الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام روي أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عم كيف تقسم ولمن الحكم فيها أللمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا وقيل إن الشبان قد أبلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين وأسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون إليها فقال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الأجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا أن نعري مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله عم قد شرط لمن كان له بلاء أن ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والأسر فسألوا ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت والأول هو الظاهر لما أن السؤال استعلام لحكم الأنفال المقتضية كلمة عن لا استعطاء لنفسها كما نطق به الوجه الأخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الأنفال على تشهد فإن مبناها كما قالوا على الحذف فيه الإيصال كما يعرب عنه الجواب بقوله تعالى قل الأنفال لله والرسول أي حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول صلى الله عليه وسلم كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأي أحد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فإن اختصاص حكم ما شرط لهم من الأنفال بالله والرسول لا ينافي إعطاءها إياهم بل يحققه لأنهم إنما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه بإذن الله تعالى لا بحكم سبق أيديهم إليها أو نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى أن الأنفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل إليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الأخير ولا مساغ للمصير إلى ما ذهب إليه مجاهد وعكرمة والسدي من أن الأنفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شيء بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى فأن لله خمسه وللرسول لما أن المراد بالأنفال فيما قالوا هو المعنى الأول حتما كما نطق به قوله تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية على أن الحق أنه لا نسخ حينئذ أيضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بل بين في صدر السورة الكريمة إجمالا أن أمرها مفوض إلى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم أعني الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الأنفال المشروطة يأباه مقام بيان الأحكام كما ينبئ عنه إظهار الأنفال في موقع الإضمار على أن الجواب عن سؤال الموعود ببيان كونه له عم خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم أصلا وقد روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قتل أخي يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عم ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ وإلا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عم ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الأدب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عم قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة أن يعد عم بما لا يقدر على إنجازه وإعطاؤه صلى الله عليه وسلم بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لي حيث رتبه مناط صيرورته له عم قوله تعالى الأنفال لله والرسول والغرض أنه المانع من إعطاء المسؤول ومما هو نص في الباب قوله عز وجل فاتقوا الله أي إذا كان أمر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى أو فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا أوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يوجب اتقاء وإظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وأصلحوا ذات بينكم جعل ما بينهم من الحال لملابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الأمور المضمرة في الصدور ذات الصدور أي أصلحوا ما بينكم من الأحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله تعالى من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض وأطيعوا الله ورسوله بتسليم أمره ونهيه وتوسيط الأمر بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لإظهار كمال العناية بالإصلاح بحسب المقام وليندرج الأمر به بعينه تحت الأمر بالطاعة إن كنتم مؤمنين متعلق بالأوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه أو هو الجواب على الخلاف المشهور وأيا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة إلى الامتثال والمراد بالإيمان كماله أي إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الأوامر واتقاء المعاصي وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان إنما المؤمنون جملة مستأنفة مسوقة لبيان من أريد بالمؤمنين بذكر

اوصلة فهم الجملة المستأنفة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة
اي انما الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لمجرد ذكره من
غير ان يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله واستعظاما لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو
الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت
اي خافت واذا تليت عليهم آياته اي آية كانت زادتهم ايمانا اي يقينا وطمانينة نفس فان تظاهر الادلة
وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان
وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت آية صدق المؤمن بها فزاد ايمانه عددا واما نفس الايمان فهو
بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فتزيد بزيادتها والاصوب ان نفس التصديق يقبل القوة وهي التي
عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبيا وارباب لو كشف الغطا ما ازددت يقينا وكذا بين ما
قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون يفوضون
امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم
ينفقون مرفوع على القطع المبني عن المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص
والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقة اولئك اشارة الى ما ذكر صفاتهم الحميدة من
حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تمييز منتظمون بسببه في سلك
الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا
لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي
اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات
من الكرامة والزلفى وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتداة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم
كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم
اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي
كائنة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم
مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعدهم متيقن الثبوت والحصول مامون الفوات ومغفرة لما
فرط منهم ورزق كريم لا ينقطع امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق الكاف في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني
حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب على انه
صفة لمصدر مقدر في قوله تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل
ثبات اخراج ربك اياك من بيتك في المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين
لكارهون اي والحال ان فريقا منهم كارهون للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد و
ذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير
وقلة العدو فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء
على كل صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد
المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها
فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا
حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف
ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت
العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل

كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فعندما غضب النبي صلى الله عليه وسلم
قام ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك
حيثما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون
ولكنا اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك
حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي
يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك
تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على
ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني
الآن انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير
ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك
احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك في الحق الذي هو تلقي النفير لايثارهم عليه
تلقي العير والجملة استئناف او حال ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من
الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد ما تبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق
لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب
وكان ذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير
في لكارهون اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير
يساقون اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع
الا لقلة عددهم وعدم تاهبهم وكونهم رجالة روي انهم لم يكن فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى
الطائفتين كلام مستانف مسوق لبيان جميل صنع الله عز وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة
الهمة وقصور الراي والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين
والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين
وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان
ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث
بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا
وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى انها لكم بدل اشتمال من احدى
الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون
عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اي تحبون
ان غير ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير
ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا ورأسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه
على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة
الشوك وشوك القنا شباها ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم عظيم
لطف الله تعالى بهم مع دناءة هممهم وقصور آرائهم اي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين
ووداديتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته

اي باياته المنزلة في هذا الشان او باوامره للملئكة بالامداد وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته **ويقطع دابر الكافرين** اي اخرهم ويستاصلهم بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله عز وعلا يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى **ليحق الحق ويبطل الباطل** جملة مستانفة سيقت لبيان الحكمة الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء اخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا حال ابطال الباطل **ولو كره المجرمون** اي المشركون ذلك اي احقاق الحق وابطال الباطل **اذ تستغيثون ربكم** بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم اليه حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى لهم وقيل متعلق بقوله ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف للماضي ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر عن زمانهما باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستانف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك **فاستجاب لكم** عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة **اني ممدكم** اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من مقولة القول **بالف من الملئكة مردفين** اي جاعلين غيرهم من الملئكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفي ههنا ببيان الاجمالي وبين في سورة ال عمران مقدار عددهم وقيل معناه متبعين انفسهم ملئكة اخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بفتح الدال وكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصلهما مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة ال عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها **وما جعله الله** كلام مستانف سيق لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص به سبحانه وتعالى ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم **الا بشرى** وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اي وما جعل امدادكم بانزال الملئكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون **ولتطمئن به** اي بالامداد **قلوبكم** وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملئكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اي

وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء اخر **وما النصر** اي حقيقة النصر على الاطلاق **الا من عند الله** اي الا كائنا من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية **ان الله عزيز** لا يغالب في حكمه ولا ينازع في اقضيته **حكيم** يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة **اذ يغشاكم النعاس** اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر وبما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى **امنة منه** على القراءتين الاوليين منصوب على العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل اخر كذلك اي فتامنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة **وينزل عليكم من السماء ماء** تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من الانزال **ليطهركم به** اي من الحدث الاصغر والاكبر **ويذهب عنكم رجز الشيطان** الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر انفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى **وليربط على قلوبكم** اي يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلائعه **ويثبت به الاقدام** ولا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى **اذ يوحي ربك الى الملئكة** منصوب بمضمر مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما نطق به الكلام لما ان المامور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي المذكور قبل ظهوره بالوحي المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر النعم السابقة التي امروا بذكرها وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت ايحائه الى الملئكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان وقت التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فياباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت من ان المامور به ليس من الوظائف العامة للكل كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملئكة **اني معكم** اي بالامداد والتوفيق في امر التثبيت فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية الملئكة انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفائدة في

قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات
التثبيت واختلفوا في كيفية التثبيت فقالت جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما
تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم وتتأكد جدهم في القتال بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة
عن الحمل على الثبات في موطن الحراب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي انه كان الملك يتشبه
بالرجل الذي يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن
ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم وقال آخرون امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا قوله تعالى
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى اني معكم وقوله تعالى فاضربوا الخ تفسيرا لقوله
فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روي عن ابي داود المازني رضي الله عنه وكان ممن شهد بدرا انه
قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقعت راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن سهل
بن حنيف رضي الله عنه انه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فتقع راسه عن جسده
قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بان تشبثهم للكفرة مع عدم ملائمته لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف
على الامداد بالقاء الرعب ولا يتجه ترتيب الامر به عليه بالفاء وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى سألقي
الخ ليس بنص فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله تعالى فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به
كانه قيل قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون واما
ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين جيء به لتقوية وروده قبل القتال
والى ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الاعناق اي اعاليها التي هي
المذابح او الهامات واضربوا منهم كل بنان قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقيل
هي الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة قال ابن عباس وابن جريج
والضحاك يعني الاطراف اي اضربوهم في جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الادان و
بفوق الاعناق الاعالي والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء
بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد
ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بانهم شاقوا الله ورسوله اي ذلك العقاب
الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل الى مغالبته اصلا واشتقاق المشاقة من الشق
لما ان كلا من المتشاقين في شق خلاف شق الآخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب
لان كلا من المتعاديين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة الآخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله
الاظهار في موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه والاشعار بعلية الحكم وقوله
تعالى فان الله شديد العقاب اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من اي شديد العقاب له
او تعليل للجزاء المحذوف اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها
وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله
تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب
مشاقتهم لهما عقاب شديد واما انه وعيد لهم بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما قيل
فيرده ما بعده من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار فانه مع كونه هو المسوق للوعيد
بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب او الى
ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله
فذوقوه والواو في قوله وان للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي اصابكم فذوقوه
عاجلا مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثاني
فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله وان للكافرين الخ معطوف عليه والمعنى حكم
الله ذلكم اي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله فذوقوه اعتراض وسط بين المعطوفين

المعطوفين للتهديد والضمير على الاول لنفس المشار اليه وعلى الثاني لما في ضمنه وقد ذكر في اعراب الآية
الكريمة وجوه أخر ما ذكر لا تخلو عن التكلف والعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر ان
على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به
في تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشأنه ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه اذا لقيتم الذين كفروا زحفا
كفروا
الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه الى
العدو لانه لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فتحس حركته
بالقياس اليه في غاية البطء وان كانت في نفس الامر على غاية السرعة قال قائلهم
وارعن مثل الطود تحسب انهم ❁ وقوف لحاج والركاب تهملج
ونصبه اما على انه حال من مفعول لقيتم اي زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال
منه اي يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فيأباه قوله تعالى
فلا تولوهم الادبار اذ لا معنى لتقييد النهي عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو او بكثرتهم بل توجه
العدو اليهم وكثرتهم هو الداعي الى الادبار عادة والمحوج الى النهي عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم
يومئذ حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنى عشر الفا بعيد اذا لقيتموهم للقتال
وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن
ان تدانوهم في العدد او تساووهم ومن يولهم يومئذ اي يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون
الباء الا متحرفا لقتال اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى اهم من هؤلاء واما بالفر للكر بان يخيل
عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من في الكمين من اصحابه وهو
باب من خدع الحرب ومكايدها او متحيزا الى فئة اي منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم
ثم يقاتل معهم العدو عن ابن عمر رضي الله عنهما ان سرية فروا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا
ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال عم بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل
من القادسية فاتى المدينة الى عمر رض فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال رضي الله عنه
انا فئتك ووزن متحيزا متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما
على الحالية والا لغو لا عمل لها واما على الاستثناء من المولين اي ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا
او متحيزا فقد باء اي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تعالى من الله متعلقة
بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اي بغضب
كائن منه تعالى وماواه جهنم اي بدل ما اراد بفراره ان ياوي اليه من ماوى ينجيه من القتل وبئس
المصير في ايقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر الماوى والمصير من
الجزالة ما لا مزيد عليه عن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر وهذا اذا لم يكن العدو
اكثر من النصف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بيته والحاضرين
معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة واحوالها وتقرير ما سبق منها والفاء
جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا
كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء
الرعب في قلوبهم ويجوز ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اي فاعلموا او فاخبركم انكم لم
تقتلوهم وقيل التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد التاويلين لما روي انهم لما انصرفوا
٥ من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت وقيل كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل عم فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان
قال لعلي رضي الله عنه اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله تعالى بطريق تلوين الخطاب وما رميت اذ رميت

ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر على يده عليه السلام من افعاله عز وجل وتجريد الفعل عن الفعل
برمتها ان المقصود الاصلي بيان حال الرمي نفيا واثباتا او هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي به
في نفسه وتكثره الى حيث اصاب عيني كل واحد من اولئك الاعداء الجمة شيء من ذلك اي وما فعلت انت يا محمد
تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافعال
البشرية ولكن الله فعلها اي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق افعال العباد بل على
وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر ودائرة القوى والقدر حذارا باثباتها لله تعالى
ونفيها عنه عليه السلام كون اثرها من افعاله سبحانه لا من افعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في الجلالين
اللام في قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه اي ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا اي عطاء جميلا غير مشوب
بمقاساة الشدائد والمكاره اما متعلقة بمحذوف متأخر قالوا واعتراضية اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة
فعل ما فعل لا لشيء غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اي ولكن الله رمى
ليمحق الكافرين وليبلي الخ وقوله تعالى ان الله سميع اي لدعائهم واستغاثتهم عليم اي بنياتهم واحوالهم
الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى
وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل والرمي والمبتدأ الامر اي الامر ذلكم اي القتل فيكون قوله تعالى وان
الله الآية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا
خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر
اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اي ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث
نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في المجيء او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث
وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اي
الانتهاء خير لكم اي من الحراب الذي ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل
الخيرية في المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا الى حرابه عم نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء
الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تأنيث الفئة غير حقيقي وللفصل اي لن تدفع ابدا عنكم فئتكم
جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا اي من الاغناء او من المضار ولو كثرت جملة حالية
وقد مر تحقيقه وان الله مع المؤمنين اي ولان الله معين المؤمنين كان ذلك اي والامر ان الله مع المؤمنين
ويقرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما انه تعالى
لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني حين كثرتكم اذا لم يكن الله
معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا
بطرح احدى التاءين بادغامها عنه اي لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر بطاعته والنهي عن الاعراض
عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تعالى في طاعة رسوله عليه السلام من يطع الرسول
فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية
واردة لتأكيد وجوب الانتهاء عن التولي مطلقا كما في قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون
لا لتقييد المنهي عنه بحال السماع كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي لا تتولوا عنه والحال
انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا
تكونوا تقرير للنهي السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية الى انتظامهم في سلك الكفرة
يكون سماعهم كلا سماع اي لا تكونوا بمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان
كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا
يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه راسا ان شر الدواب
استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرا للنهي اي ان شر البهائم عند الله

اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصم والبكم
لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كانهم
فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق
بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا
يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة
ويهتدي بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال
وبذلك يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله تعالى
فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته صرف قواهم الى تحري
الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقية الرسول صلى الله عليه وسلم واطاعوه و
آمنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه
عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اي لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة
العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعدما صدقوا وصاروا
كانهم لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اي لتولوا على ادبارهم والحال
انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى ولو
اسمعهم كلام قصي الخ وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا
يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه قاتلهم الله فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب
اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن انهم اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا تكرير النداء
مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيههم على ان
فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة
الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي مناط الحياة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي
ماء حياة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم
كما في قوله تعالى ولكم في القصاص حيوة وروي انه عليه السلام مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل
في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله
وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل هذا من خصائصه عليه السلام وقيل لان اجابته لا تقطع
الصلاة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
وتنبيه على انه تعالى مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة
الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل
لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته
وبينه وبين الايمان ان قدر شقاوته وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء
واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اي الله عز وجل
اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعته تعالى وطاعة رسوله
وبالغوا في الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا تختص
اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله تعالى لا تصيبن اما جواب الامر
على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة
لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه
شذوذ لان النون لا تدخل النفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقول من قال

حتى اذا جن الظلام واختلط • جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط •

واما جواب قسم محذوف وفي كف قراءة من قرأ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجه الاول للتبعيض وفائدة التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد وايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى عز وجل مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تع في الارض اي في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطائفتين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية لقليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم اي واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به من اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم روي انه عم حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله كانت في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عم هو الذي يحلني فجاءه عم فحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت بها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله عز وجل ليبلوكم في ذلك فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي الايمان مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطابين السابقين ان تتقوا الله اي في كل ما تأتون وما تذرون يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل ونصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات ونجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم اي يسترها ويغفر لكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفر الله لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تع واذكروا اذ انتم الخ مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عم بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او بالاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك اي بسيوفهم او يخرجوك اي

من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره صلى الله عم فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل عم واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا على مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة ولا يسوغ ابتداء لما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا التي حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قائله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لما انه كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برأيه وقيل قاله الذين ائتمروا في امره عم في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية الضلال كيف ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحدوا عشر سنين وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما يسطرونه من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روي انه لما قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القرآن ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام اي وحالهم ذلك ومن صدهم الجاء رسول الله صلى الله عم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مقيدة لكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره في غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون انه لا ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يصنعون موضعها الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اي تصفيقا تفعلة من الصدد او من الصد على ابدال احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن

هذه صلوتهم روى انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون
وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا
فذوقوا العذاب اى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود
ايتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن
سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر
جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين
اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا
ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن
انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد
ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه
لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة
انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى ثبتوا
على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اى الكافر
من المومن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرى ليميز بالتشديد بدلا لمبالغة
ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم
فيجمعه او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة
الى الخبيث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في
الخبث هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان
واصحابه اى قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف من الذنوب وقرى ان تنتهوا يغفر لكم ويغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا
الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل
بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد عمم فيه الخطاب لزيادة ترغيب المومنين
في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة
اى لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها
جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم
على انتهائهم واسلامهم وقرى بالتاء الخطاب اى بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم
للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان
الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره
واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد
بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف
اى الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم
كائنا ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول وقصد به
الاعتناء بشان الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اى ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط
خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي المغنومة
وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اى فحق او واجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر
لان الخ وقرى بالكسر والاول اكد واقوى في الايجاب لما فيه من تكرر الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات
الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرى فلله خمسه وقرى خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم
كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في ذوي القربى دون غيرهم
من

من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عم وهم بنو هاشم
وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت
اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عم انهم لم يفارقونا في جاهلية
ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت
في عهد رسول الله صلى الله عم على خمسة اسهم سهم له عم وسهم للمذكورين من ذوي قرباه وثلاثة اسهم
للاصناف الثلاثة الباقية واما بعده عم فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم
فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه
انه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم ومن علام (؟)
فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه
قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول عم لولي الامر بعده واما عند الشافعي رح فيقسم
على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عم يصرف الى ما كان يصرفه عم من مصالح المسلمين كعدة الغزاة
من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
والباقي للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين
هؤلاء وان راى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية
بظاهر الاية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه عم
كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال
وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلى الله عم هذا شان الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم بين
الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي ح وثلاثة اسهم عندهما قال القرطبي لما بين الله حكم
الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله
فمتعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اى ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب
التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد به مجرد العلم
بل العلم المتضمن بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اى ان كنتم
آمنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا وقرى عُبُدنا اى الرسول صلى الله عليه وسلم
والمومنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين
الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا يوم التقى الجمعان اى الفريقان من المومنين و
الكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان والمراد بما انزل عليه عم يومئذ
من الوحي والملائكة والفتح
والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على
الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم
الفرقان والعدوة شط الوادي وقرى بالكسر والضم وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة
وهي تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا فجاءت على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب
اى العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب
وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف
شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة

الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اي ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله في علم الله تعالى الهلاك والحياة وقرئ ليهلك بالفتح ويحيى بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينيك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وتهيبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم اي انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التغليب والتقسيم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى رأوهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم الحميد يا ايها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا اي للقائهم في مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اي تفوزون بمآربكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله في كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف على جواب النهي وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهي اي تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هي من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون

متبوعون من تلك الجهة ومعيته تعالى انما هي من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بعدما امروا به من احاسن الاعمال نهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا اي فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا جحفة اتاهم رسول ابي سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في اوائل السورة الكريمة فنهي المؤمنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم في معاداة المؤمنين او غيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما رأى امداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص على عقبيه وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه او مستأنفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب والذين في قلوبهم مرض اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اي ولو رأيت كان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تعالى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتدأ وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول وقد استغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم اي واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اي ويقولون لهم ذوقوا او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه

عن حد توقد البيان اي لرأيت امرا فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب
وما فيه من معنى البعد للايذان بكونهما في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره
بما قدمت ايديكم اي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله
تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب
لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على
ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة
بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى
لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى
اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك
كداب آل فرعون في محل الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما حل
بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب
جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم والتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اي شأنهم
الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كداب آل فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة
العذاب والنكال والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا
من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر والفساد وقوله تعالى كفروا بآيات الله تفسير
لدأبهم الذي فعلوه لا لداب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله
تعالى فاخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم والفاء لبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة
عليها وقوله تعالى بذنوبهم لتاكيد ما افادته الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم
ذنوبا اخر لها دخل في استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم
فتكون الباء للملابسة اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدأبهم مجموع ما فعلوا وفعل
بهم لا ما فعلوه فقط كما قيل قال ابن عباس رضي الله عنهما ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه
وكذلك هؤلاء جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون
وجعل العذاب من جملة دابهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم عليه ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة
مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى ان الله قوي شديد العقاب اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم
الكريم من كون ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو اشارة
اليه لا الى نفس ما حل بهم من العذاب او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم ذنوبهم لا ينبغي
تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وتوهم ان السبب ليس ما
ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير نعمتهم
عند تغييرهم لحالهم بناء على تخيل ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل
وابتعاد عن الحق بمراحل وتهوين لامر الكفر بآيات الله واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله
والتحذير منه فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى
على ذلك بان الله اي بسبب انه تعالى لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اي لم ينبغ له سبحانه
ولم يصح في حكمته ان يكون بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت جلت او هانت
حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها
سواء كانت احوالهم السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كدأب هؤلاء
الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال
وسائر النعم الدنيوية عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوأ منها واسخط حيث

حيث كذبوه عم وعادوه ومن تبعه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به
عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا لشبهها
بالحروف اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله الخ داخل معه في حيز التعليل اي وبسبب
انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما ياتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة
فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة حينئذ استئناف
مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى كداب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب على انه نعت
لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كداب آل فرعون اي كتغييرهم على ان دأبهم
عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الداب وقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم تفسير له بتمامه
وقوله تعالى فاهلكناهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله تعالى
وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جوز انتصاب محل الكاف بلن تغني مع ما
بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير
كونها اعتراضا فلا غبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كما قبله فالجملة حينئذ
استئناف آخر مسوق لتقرير ما سبق له الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم بداب المذكورين لكن لا بطريق
التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الداب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول من تغيير الحال وتغيير
النعمة اخذا مما نطق به قوله تعالى ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي دأب هؤلاء وشأنهم الذي
هو عبارة عن التغييرين المذكورين كداب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى
كذبوا بآيات ربهم تفسير لدابهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله تعالى فاهلكناهم تفسير
لدابهم الذي فعل بهم من تغيير ما بهم من نعمته واما داب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله
در شأن التنزيل حيث اكتفى في كل من التشبيهين بتفسير احد الطرفين واضافة الآيات الى الرب
المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا
جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الفاء وفي قوله تعالى بذنوبهم كالذي مر وعطف
قوله تعالى واغرقنا آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان بكمال هول الاغراق
وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عم وكل اي كل من الفرق المذكورين او كل من هؤلاء واولئك
او كل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اي انفسهم بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك
او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب
بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم
وقوله تعالى عند الله اي في حكمه وقضائه الذين كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر
الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع
افرادها حسبما نطق به قوله عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم
مترتب على تماديهم في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم
عاطف اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم
فيها بالفعل وقوله تعالى الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان او نصب على الذم
اي عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة
ههنا من حيث اخذه عم عهدهم اذ هو المنوط لقباحة ما نعي عليهم من النقض لا اعطاؤه عم اياهم
عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هي للتبعيض لان المباشرين بالذات للعهد بعضهم
لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة
على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم
في كل مرة اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة
كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه ولا

فايدة في تقييد النقض بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة
الواردة على المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هي المرات الواقعة
اثر المعاهدة يبقى النقض الواقع بلا مجازة بتركيب السلاح وعده خارجا من البيان ولئن عد ذلك من
المحاربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفايدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيئول
الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على محاربة عزمهم ليكون المعنى
ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه في غاية البعد والركاكة يستلزم خروج
بدئهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون
سبة الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم
بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن
بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم اي ففرق عن مناصبتك تفريقا عنيفا موجبا للاضطراب
والاضطراب ونكل عنها بان تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب ان تشكل من خلفهم اي من وراءهم
من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد الحراب قريب من هؤلاء وقرئ شرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب
شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اي افعل التشريد من وراءهم والمعنى واحد لان ايقاع التشريد في الوراء
لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون عن
النقض او عن الكفر وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر
بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعمل للعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد فيما
سياتي بما لاح لك منهم من دلايل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم على سواء على
طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة
ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شايبة خيانة اصلا فالجار متعلق
بمحذوف هو حال من النابذ اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء في العلم بنقض العهد بحيث
يستوي فيه اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني
من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة التي هي
خيانة فيكون تحذيرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم منه واما باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة حتى كأنه
امر بالنبذ اولا وبقتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله
لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف للتكرار وقوله
تعالى سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان نظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد باقناطهم من الخلاص وقطع
اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بل الغلبة
عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما الذي
يمكن ان يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من خلفهم والمفعول
الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد
المفعولين بالتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده قراءة من قرا انهم سبقوا ونظيره في
الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله اغير الله تأمروني اعبد الآية قال الزجاج
وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا يحسب الذين بكسر الياء وبفتحها
على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم
تعليل للنهي على طريقة الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا
زايدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر
من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم
على المقاومة والمقابلة على ابلغ وجه واكده كما اشير اليه وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا
يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المامور به

من وظايف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظايفه عم
اعدوا لقتال الذين ينبذ اليهم العهد وهيئوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو الانسب بسياق
النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائنا ما كان وعن عقبة بن عامر رضي
سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على
نظايره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول
او مصدر سميت هي به يقال ربط ربطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب
وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها
من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون
به اي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو
الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي اعدوا مرهبين به او من الموصول او من
عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا
بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم الحد في العداوة وآخرين من دونهم
من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم
او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم لا غير فان اعيانهم معلومة
لغيره ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد العتاد قل او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد يوف اليكم
اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال
غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره
بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى
كما مر في تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح
ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا للسلم اي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من
الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اي للسلم والتانيث لحمله على نقيضه قال
السلم تاخذ منها ما رضيت به ۞ والحرب يكفيك من انفاسها جرع ۞
وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد
انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما
يستحقونه ويرد كيدهم في نحرهم والاية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان
يخدعوك باظهار السلم وابطال الحراب فان حسبك الله اي فاعلم بان محسبك الله من شرورهم وناصرك
عليهم هو الذي ايدك بنصره تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستيناف فان تاييده تعالى اياه عليه السلام فيما
سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع مما يدل على تاييده تعالى فيما سياتي اي هو الذي ايدك
بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين
من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك
على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر
معجزاته عليه السلام لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتاليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استيناف مقرر
لما قبله ومبين لعزة المطلب وصعوبة الماخذ اي تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح
ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخاير لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار
بان التاليف بينها لا يتسنى وان امكن التاليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته البالغة
انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل
الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع افنت ساداتهم وعظماءهم ودقت
اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن
قوس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في جميع اموره وامور المؤمنين

او في الآخر او الموافقة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تع اياه في مادة خاصة وتصدير الجملة
بحرف النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عم بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم
حسبك الله اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في محل
النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك
عضب مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو راي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع
عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال
وقيل اسلم مع النبي صلى الله عم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رض فنزلت ولذلك قال
ابن عباس نزلت في اسلام عمر يا ايها النبي بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امره عم بترتيب مبادي
نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المامور به حرض المؤمنين
على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير
وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى
يشفي على الموت وقال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به
قلت فالاوجه حينئذ ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل
معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال ان اراك في هذا الامر حرضا اي محرضا فيه ليهيجه
الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستيناف بعد الامر
بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه مما قبله لكون كل منهما
عدة بتأييد الواحد على العشرة لزيادة الاطمينان على انه قد يجري بين الجمعين القليلين ما لا يجري
بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة
فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد
معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا
حتما تعويلا على ذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله
تعالى وباليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا لامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما
المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة ثائرة البغي والعدوان
فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالميعاد فالسعادة
عنده ليست الا هذه الحياة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب
فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحياة الفانية وانما السعادة هي
الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم
صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلايم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم
ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل
عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
حمزة رض في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب فهزمهم فثقل ذلك عليهم وضجوا منه بعد مدة
فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف
والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاهتداء الى القتال لا الضعف
في الدين كما قيل وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف
بالفتح ما في الرأي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه
تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في الازل وقوله تعالى
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما
سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر

معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا
وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله
والمراد بالمعية معية نصره وتاييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال
المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء
بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث
انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ على التعهد والاول ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر
سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عم ان يكون له اسرى
وقرئ بتأنيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل
حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح
واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استيناف
مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الآخرة اي يريد
لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع
اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قول من قال

اكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصصها بها كما امر بالاثخان ونهى
عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما
تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم
العباس وعقيل ابن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ
منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن
عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال صلى الله عم ان الله ليلين قلوب
رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا
تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على
اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عم
قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب
من الله سبق اي لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا
يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه واما ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد
من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر
مثلا لا يرفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعى عليهم من اخذ الفداء لمسكم اي لاصابكم فيما
اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن
الغنائم فنزلت قالوا الفاء للترتيب على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفداء
ايضا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفداء فانه من جملة
الغنائم ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا
فائدة الترغيب في اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة
امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم
ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ملككم كأن ايديكم قابضة عليهم من
الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ
منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تفتدي ابني أخيه عقيل ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له
عم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في
وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال
اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك
فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في
عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتأول بما في
قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا
خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته صلى الله عليه وسلم
بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه
فامكن منهم اي فاقدرك عليهم حسبما رأيت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل
المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه من العقاب
حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا
اوطانهم حبا لله تع ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج
وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد
ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور
المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم
وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين
بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو
مبتدأ وقوله تع بعضهم اما بدل منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة
خبر للمبتدأ الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة
دون الاقارب حتى نسخ بقوله تع واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم
النصر بعد نفي موالاتهم والذين آمنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من
توليهم في الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة
كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير
فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض آخر منهم اي في الميراث او في
الموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمضادة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به
من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في
الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ
كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا
كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم القدح المعلى من الايمان مع الوعد الكريم بقوله تعالى
لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم
والذين آمنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم
ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي
توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم
اولى ببعض آخر منهم في التوريث من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل
به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية

الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد
كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته والله اعلم

سورة براءة مدنية مائة وثلاثون آية

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة والتبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال
المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقضي بانها
سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف
الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها في رفع الامان الذي يأبى مقامه التصدير بما يشعر
ببقائه من ذكر اسمه تع مشفوعا بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة لا الاشتباه في استقلالها وعدمه
كما يحكى عن ابن عباس رضي ولرعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين من الاختلاف في ذلك
على ان ذلك يفضي الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية
وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو رأي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في
ان الصحيح من المذهب انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وان لا مدخل لرأي احد في
الاثبات والترك وانما المتبع في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان
يقع في الاستقلال اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه
عم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد دلائل الاستقلال من كثرة الآيات وطول المدة فيما بين نزولهما
فحيث لم يبينه صلى الله عم تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع البيان بيان للعدم براءة
خبر مبتدأ محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي اسمعوا براءة ومن في قوله عز وجل من الله ورسوله
ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها ليفيدها زيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتدأة من جهة الله تع
ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين وانما لم يذكر ما تتعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تع
ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما في حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من
وقيل هي مبتدأ لتخصصها بالصفة وخبره الى الذين الخ والذي يقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه
البراءة امر حادث لم يعهد عند المخاطبين ذاتها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله حتى يخرج
ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا آخر هو وصولها الى
المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات
قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هي له ان تكون صفات كما
حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح في
لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا
مشركي العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تع واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني كنانة
فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا وانما نسبت البراءة الى الله ورسوله
مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن
الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عم للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على رأي المخاطبين لانها عبارة
عن انهاء حكم الامان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله عز وجل
لانه امر كسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها آثارها من غير
توقف على شيء اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال بالامر
لا على ان يكون لهم مدخل في اتمامها او في ترتيب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا كسائر العقود
الشرعية لا تتحصل في نفسها ولا تترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على وجه مخصوص اعتبرها

الشرع لم ينقض رصدوره عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شانها هو الاذن فيها وانما الذي يباشرها ويتولى
امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن فيه فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان
في ذلك تفخيما لشان البراءة وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان وتنزيها
لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقض والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عم في النسبة
الاولى واخراجه عن الثانية لتنويه شانه الرفيع واجلال قدره المنيع في كلا المقامين عم وايثار الجملة الاسمية
على الفعلية كان يقال قد برئ الله ورسوله من الذين او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها والتوسل
الى تنويهها بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه **فسيحوا** السياحة والسيح الذهاب **في الارض** والسير فيها بسهولة
على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه ما ليس في سيروا
ونظايره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك
لهم وتخليتهم وشانهم من الاستعداد للحرب او تحصين الاهل والمال وتحصيل المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة
فيها وتلوين الخطاب برده عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغايب ايضا لما ان المراد في الاعلام
بالامهال الحسم لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشأفة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع تسني
افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة
وعدم الاكتراث والاعتداد بهم فكان ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه
على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول مترتب على نفسه والثاني على كل منها متعلقه على عنوان كونه
من الله العزيز لا لترتيب الاول عليه والثاني على الاول كما في قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا الخ كانه
قيل هذه براءة موجبة لقتالكم فاسعوا في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعتداد العتاد من كل باب
اربعة اشهر واعلموا انكم بسياحتكم في اقطار الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول
غير معجزي الله اي لا تفوتونه بالهرب والتحصن **وان الله** وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل
امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار **مخزي الكافرين** اي مخزيكم ومذلكم في الدنيا بالقتل والاسر وفي
الاخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء هي
كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي
الاشهر الحرم التي علق القتال بانسلاخها فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من
ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب ذي
الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة
كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل في ذي الحجة وذلك قوله عم ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض روي انه عم امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع
ثم اتبعه عليا رضي الله عنه على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عم لو بعثت بها الى ابي بكر فقال عم
لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما
دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنه الرغاء فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه
قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم
النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم
ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده **واذان من الله ورسوله** اي اعلام منهما فعال بمعنى
الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء وارتفاعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل **الى الناس** اي كافة
لان الاذان غير مختص بقوم دون آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين
ايضا **يوم الحج الاكبر** هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عم
وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عم الحج عرفة
ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعمال فانه اكبر

من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل
المشركين **ان الله** اي بان الله وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول **بريء من المشركين** اي
المعاهدين الناكثين **ورسوله** عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب
عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم **فان تبتم** من
الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على
الاذان بالبراءة المزيلة بالوعيد لانه يوقن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم **فهو** اي
فالتوب **خير لكم** في الدارين **وان توليتم** عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء **فاعلموا انكم**
غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين **وبشر الذين كفروا** تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول الله
لان البشارة **بعذاب اليم** وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على الاسرار الالهية **الا الذين عاهدتم**
من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين
فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة
الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر في ذلك تخلل الفاصل بقوله تعالى واذان من الله ورسوله الخ
لانه ليس باجنبي بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل واعلموها وقيل هو استثناء متصل من المشركين
الاول ورد بان الثاني على العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء
الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي قولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم
منهم **ثم لم ينقصوكم شيئا** من شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اي لم
ينقضوا عهدكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي المدة **ولم يظاهروا** اي لم
يعاونوا **عليكم احدا** من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عم فظاهرتهم قريش
بالسلاح **فاتموا اليهم عهدهم** اي ادوه اليهم كاملا **الى مدتهم** ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضي الاجل المضروب
للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم
عهدهم **ان الله يحب المتقين** تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى
وان التسوية بين الوفي والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا **فاذا انسلخ** اي انقضى استعير له
من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى **الاشهر الحرم**
وانفصل بما كان مشتملا عليه ساترا له انفصال الجلد عن الشاة وانكشف عنه انكشاف الحجاب
عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا
منه الى مضي نصفه ثم نسلخه عن انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ وانشد

اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله ... كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي

وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد على الحيوان وكذا كل جزء من
اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه
من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين فنيط قتالهم
بزوالها والمراد بها الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرم
تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها [illegible]
لهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم [illegible]
[illegible] **فاقتلوا المشركين** [illegible]
[illegible]
[illegible]
الدائرة في كل سنة [illegible] النظم الكريم [illegible] حرمة القتال فيها [illegible]
[illegible]
[illegible] سورة الانفال [illegible]

في قوله تعالى قل للذين كفروا الخ ابو سفيان واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان
وسورة التوبة انما نزلت في شوال سنة تسع وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب
عنه ما قبله من قوله تعالى اخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ
بها ما نزل بعد بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا
وقد صح ان النبي صلى الله عم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم **حيث وجدتموهم** من حل وحرم **وخذوهم**
اي ائسروهم والاخيذ الاسير **واحصروهم** اي قيدوهم وامنعوهم من التقلب في البلاد قال ابن عباس حيلوا
بينهم وبين المسجد الحرام **واقعدوا لهم كل مرصد** اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على
الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وفايدته على التفسير الثاني دفع احتمال ان يراد بالحرم المحرم
المعهودة **فان تابوا** عن الشرك بالايمان بحسب ما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر **واقاموا الصلوة**
وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفي بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيسي العبادات البدنية
والمالية **فخلوا سبيلهم** فدعوهم وشأنهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر **ان الله غفور رحيم** يغفر لهم ما سلف من
الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل **وان احد** شروع في بيان
حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعاير الدين اثر بيان حكم التائبين
عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا الفعل **من**
المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سألك ان تؤمنه وتكون له جارا **فاجره** اي فامنه **حتى**
يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعوا اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء
آخر في الفهم لكونهم من اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا
بقوله تعالى استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر
كما في قوله فلا والله لا يلقى اناس فتى حتاك يا ابن ابي يزيد كذا قيل الا ان تعلق الاجارة بسماع
كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك او بما في معناه من امور الدين وما روي
عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل
لسماع كلام الله او لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك فاجره الخ فالمراد
بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله
ان ياتي محمدا فان من ياتيه عم انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين **ثم ابلغه** بعد استماعه له ان لم يؤمن **مأمنه**
اي مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه **ذلك** يعني الامر بالاجارة وابلاغ المأمن **بانهم** بسبب انهم
قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا
يبقى لهم معذرة اصلا **كيف يكون للمشركين عهد** شروع في تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة واحكامها
المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هي في شانهم
والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ بل بمعنى انكار الوقوع
ويكون من الكون التام وكيف في محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف
خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد
ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق
بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند
كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين
واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على
الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف او الحال كما في صورة الكون
التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين لان
ثبوته الرابطي فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع راسا وفي توجيه الانكار الى
كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال

حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على اي حال
او في اي حال يوجد لهم عهد معتد به **عند الله وعند رسوله** يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه
الى تمام المدة لا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يأمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره
اصلا اذ لا دخل للعهد بهم في ذلك الامن قطعا وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير
الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة **الا الذين** استدراك
من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين اي لكن الذين **عاهدتم عند المسجد الحرام**
وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار
بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى **فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم** والفاء لتضمنه معنى
الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم
لكم واما شرطية منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم ومرفوعة
على الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل ومحل
المستثنى النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهودون وايا ما كان فحكم الامر بالاستقامة
ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي وقت بوقتها الاستقامة المامور بها عبارة عن مراعاة
حقوق العهد وبعد انقضائه لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح هنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو
تقييد الاتمام المامور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء **ان الله يحب المتقين** تعليل للامر بالاستقامة
واشعار بان الاتمام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر **كيف** تكرير لاستنكار ما مر من ان يكون للمشركين
عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عم واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على
العهد فكأنه تكرير لان ما تقدم بصدد التعليل للاستبعاد عن عدم ثباتهم على العهد لا انه شيء يستدعيه
وانما اعيد لاستنكار والاستبعاد وتأكيدهما وتمهيد لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما في البين
بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره
لا لمجرد كونه معلوما كما في قوله ● وخبرتماني انما الموت بالقرى ● فكيف وهاتا هضبة وقليب ●
فانه غلط صحيح لا مجرد اي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله **وان يظهروا عليكم**
اي وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم **لا يرقبوا فيكم** اي لم يرعوا في شأنكم واصل الرقوب
النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ منه كالمراعاة
وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيهما **الا ولا ذمة** اي حلفا وقرابة ولا عهدا وحقا يعاب
على اغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق يعني ان وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين
مشروط بمراعاة الآخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال
● على م تقبل منهم فدية ● وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا ●
وقيل الال من اسماء الله عز وعلا اي لا يرعون حق الله تعالى وقيل الجوار وما له الحلف لانهم اذا تحالفوا
رفعوا به اصواتهم لتشهيرهم ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه
كشف عن حقيقة شؤونهم الجلية والخفية بطريق الاستيناف وبين انهم في حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء
في شيء وان ما يظهرونه مداهنة لا مهادنة فقيل **يرضونكم بافواههم** حيث يظهرون الوفاء والمصافاة
ويعدون لكم بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه
بالمعاذير الكاذبة ونسبة الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ يتفوهون بها من غير ان
يكون لها مصداق في قلوبهم **وتأبى قلوبهم** ما يتفوه به افواههم **واكثرهم فاسقون** خارجون عن الطاعة
فان مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة وازعة [illegible]
كما ينبئ عنه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء **اشتروا بآيات الله** بآياته
الامرة بالايفاء بالعهود والاستقامة في كل امر او بجميع آياته فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا اي تركوها

واحد وبكثها ثمنا قليلا اى شيا حقيرا من حكام الدنيا وهو اهواؤهم وشهواتهم التى يتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وصرفه الى الاعراب فصدوا اى عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا الى الاعراض قصدوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله اى الدين الحق الذى لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والعمار عنه انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون ساء على اصلها من التصرف لازما بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اى ساءهم الذى يعملونه او عملهم وقوله عز وعلا لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ناع عليهم عدم مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا فى اليهود او فى الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله تع يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فيشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان تابوا اى عما هم عليه من الكفر وسائر العظايم والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعى عليهم من مساوى اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة واتوا الزكوة اى التزموها وعزموا على اقامتها فاخوانكم اى فهم اخوانكم وقوله تعالى فى الدين متعلق باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اى فهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التى مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظايره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلا بد من كون جوابه حكما بخلافه البتة ونفصل الآيات اى نبينها والمراد بها اما ما مر من الآيات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتى الكفر والايمان واما جميع الآيات فيندرج فيه تلك الآيات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اى ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التامل فى الاحكام المندرجة فيها والمحافظة عليها وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا اى وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق بها واظهروا ما فى ضمايرهم من الشر واخرجوه من القوة الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله وان يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية او ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا بانهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا فى دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوى رياسة وتقدم فى الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما للاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها او للدلالة على استيصالهم فان قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ايمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء انهم لا ايمان لهم اى على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفى بها لا بالنكث فيما سلف لان العهد المؤكد بها لا بغيرها العمدة فى المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم فى ان لا ايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء ايمانهم بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة اليه يأباه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا وطعنوا كما هو المتوقع منهم اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا ينكثوها او لاستمرار القتال المامور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اى لا سبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان معاهدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام ففى كونه تعليلا للامر بالقتال اشكال بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل عن العلية للقتال او للامر به كما قبل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سياتى فلا يلايم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجيء فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان

ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن فى دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اى قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اى ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظايم التى يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين الا تقاتلون الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار به بحثا دون المقاتلة قوما نكثوا ايمانهم التى حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر فى قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول صلى الله عم وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم بالمعاداة والمقاتلة اول مرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى القتال او بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبى صلى الله عم لان اعانة بنى بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اى اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيه ويحقق ان من كان على تلك الصفات السيئة حقيق بان تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيه فالله احق ان تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تع وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اى يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رض هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عم ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عم بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب تع المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة فى جملة ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لتعذيب قوم سبب لتوبة آخرين والاختلاف فى وجه السببية والله عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جئ بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ السابق الى آخر والهمزة فيها للتوبيخ على الحسبان المذكور اى بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب لمن شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفى مع التوقع والمراد من نفى العلم نفى المعلوم بالطريق البرهانى اذ لو شوهد لعلم قطعا اى احسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة او حال من فاعله اى جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اى بطانة وصاحب سر وهو الذى تطلعه على ما فى ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقى على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون

بعلم جميع [illegible] لا يخفى عليه شيء منها **ما كان للمشركين** اي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق
لا نفي الجواز كما في قوله تعالى اوليك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اي ما وقع وما تحقق لهم **ان يعمروا**
عمارة معتدا بها **مساجد الله** اي المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها ولان
كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف ساير المساجد اذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة
ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذي هو صدر
الجنس ويأباه انهم لا يتصدون لتعمير ساير المساجد فضلا عن المسجد الحرام ولا يفتخرون به على انه
مبني على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود **شاهدين على انفسهم بالكفر** اي باظهار آثار
الشرك من نصب الاوثان حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان
يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن وهو حال من الضمير في يعمروا اي محال ان يكون ما سموه عمارة بيت الله
مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة في شيء واما ما قيل من ان المعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس بمعرب عن كنه
المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعي انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو
المقصود روي ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي يوبخ العباس
بقتال النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون
محاسننا فقالوا الكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت
اوليك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر **حبطت اعمالهم** التي يفتخرون
بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا **وفي النار هم خالدون** لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة
اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا
الجملتين مستانفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع
العذاب **انما يعمر مساجد الله** الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر خلا ان ارادة جميع المساجد وادراج
المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد
ههنا ايضا قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان
يعمرها عمارة يعتد بها **من آمن بالله** وحده **واليوم الآخر** بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما
نطق به الوحي **واقام الصلوة وآتى الزكوة** على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم
حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمة الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من
جمع هذه الكمالات العلمية والعملية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها
بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له
كحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش
وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته
ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زايره وعنه صلى الله عليه وسلم من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رايتم
الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل
الملئكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه **ولم يخش** في امور الدين **الا الله** فعمل
بموجب امره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند
القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب
وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم **فعسى اولئك** المنعوتون بتلك
النعوت الجميلة **ان يكونوا من المهتدين** الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز
اهتدايهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع
باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من
هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمؤمنين

للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله **اجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام** اي في الفضيلة وعلو الدرجة **كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله**
السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم
اهلهما كمن آمن بالله الى آخره ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما
كايمان من آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات
وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة
ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله
تعالى للفريق الثاني وببيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية
وجعل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر
بالحرمان ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومداره على انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم
بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد
او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين في حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان
والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه المقام كيف لا وقد بين انفا حبوط اعمالهم بذلك
الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر
بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج
الى تقرير انكار التشبيه وتاكيده بشيء آخر اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى
اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما في
ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما
وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان
والجهاد وذلك قوله عز وجل **لا يستوون عند الله** اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف كل
منهما بوصفهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين وبين الآخرين لان المدار في التفاوت بين
الموصوفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار
فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة انما هي
الافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فان نفي التساوي والتشابه نفي للافضلية
بالطريق الاولى والجملة استئناف مقرر لانكار المذكور ومؤكد له وقوله تعالى **والله لا يهدي القوم الظالمين**
[illegible]
حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول عليه السلام ضالون في هذا الحكم جائرون فيه بعيدون عن
معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما موضع الآخر [illegible]
التساوي بينهم وقوله تعالى **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم** الخ استئناف لبيان
مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان
بان ذلك من لوازم الجهاد [illegible]
الجميلة **اعظم درجة عند الله** اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع
ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة **واولئك** اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة
وما في اسم الاشارة من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلتهم في الرفعة **هم الفائزون** المختصون
بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما الثاني ففي تحقيق
توبيخ للمؤثرين للسقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا قال للعباس بعد اسلامه يا عم
الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج
بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها
خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي الا اعمل عملا بعد

أن أسقي الحاج وقال آخر ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل
مما قلتم فزجرهم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن إذا صليتم
استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فأنزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى أجعلتم أهل
السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله أو أجعلتموهما
كالإيمان والجهاد وإنما لم يذكر الإيمان في جانب المشبه مع كونه معتبراً فيه قطعاً تعويلاً على ظهور الأمر وإشعاراً
بأن مدار إنكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الإيمان وإنما لم يترك ذكره في جانب المشبه به أيضاً تقوية
للإنكار وتذكيراً لأسباب الرجحان ومبادي الأفضلية وإيذاناً بكمال التلازم بين الإيمان وما تلاه ومعنى عدم
الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر وكذا أعظمية درجة الفريق الثاني وأما قوله تعالى والله لا
يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى لهم إلى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما
موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقاً ولا الظلم عموماً والقصر في قوله تعالى وأولئك هم الفائزون بالنسبة إلى
الدرجة الفريق الثاني أو إلى الفوز المطلق ادعاءً كما مر والله أعلم **يبشرهم** وقرئ بالتخفيف **ربهم برحمة**
عظيمة **منه ورضوان** كبير **وجنات** عالية **لهم فيها** في تلك الجنات **نعيم مقيم** لا نفاد له في
التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للتبشير وتربيته **خالدين فيها** أي في الجنات **أبداً** تأكيد للخلود لزيادة
توضيح المراد به إذ قد يراد به المكث الطويل **إن الله عنده أجر عظيم** لا قدر عنده لأجور الدنيا
أو للأعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلاً لما سبق **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم
وإخوانكم أولياء** نهي لكل فرد من أفراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع
الموجبة لانقسام الآحاد إلى الآحاد كما في قوله عز وعلا وما للظالمين من أنصار لا عن موالاة طائفة
منهم فإن ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن
هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت فهاجروا وجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق
عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهياً عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس ويبغض في الله أقرب
الناس إليه **إن استحبوا الكفر** أي اختاروه **على الإيمان** وأصروا عليه إصراراً لا يرجى معه الإقلاع عنه أصلاً وتعليق
النهي عن الموالاة بذلك لأنها قبل ذلك ربما تؤدي بهم إلى الإسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين **ومن
يتولهم** أي واحداً منهم كما يشير إليه إفراد الضمير في الفعل لمراعاة لفظ الموصول والإيذان باستقلال
كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لأن المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى **منكم** للجنس لا
للتبعيض **فأولئك** أي أولئك المتولون **هم الظالمون** بوضعهم الموالاة في غير موضعها كأن ظلم غيرهم كلا
ظلم عند ظلمهم **قل** تلوين للخطاب وأمر له عليه السلام بأن يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه
من موالاة الآباء والإخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم من الأبناء والأزواج ويقطع علائقهم عن
زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب **إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم** لم يذكر
الأبناء والأزواج فيما سلف لأن موالاة الأبناء والأزواج غير معتادة بخلاف المحبة **وعشيرتكم** أي أقرباؤكم
مأخوذ من العشرة أي الصحبة وقيل من العشرة فإنها جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم
وعشائركم **وأموال اقترفتموها** أي اكتسبتموها وإنما وصفت بذلك إيماءً إلى عزتها عندهم لحصولها بكد
اليمين **وتجارة** أي أمتعة اشتريتموها للتجارة والربح **تخشون كسادها** بفوات وقت رواجها بغيبتكم
عن مكة المعظمة في أيام الموسم **ومساكن ترضونها** أي منازل تعجبكم الإقامة فيها من الدور والبساتين
والتعرض للصفات المذكورة للإيذان بأن اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس لتناهي ما فيها من
مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وأنها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن أن تؤثر حبها على حبه تعالى
وحب رسوله عليه السلام كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم **أحب إليكم من الله ورسوله** بالحب الاختياري المستتبع
لأثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فإنه غير داخل تحت التكليف

الدائر على الطاقة **وجهاد في سبيله** نظم حبه في سلك حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وسلم تنويهاً لشأنه
وتنبيهاً على أنه مما يجب أن يحب فضلاً عن أن يكره وإيذاناً بأن محبته راجعة إلى محبتهما فإن الجهاد عبارة
عن قتال أعدائهما لأجل عداوتهم فمن يحبهما يجب أن يحب قتال من لا يحبهما **فتربصوا** أي انتظروا **حتى
يأتي الله بأمره** عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة أو آجلة **والله لا يهدي
القوم الفاسقين** الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين أو القوم الفاسقين كافة ويدخل في زمرتهم
هؤلاء دخولاً أولياً أي لا يرشدهم إلى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه
إلا من تداركه لطف من ربه والله المستعان **لقد نصركم الله** الخطاب للمؤمنين خاصة **في مواطن كثيرة** من
الحروب وهي مواقعها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **ويوم
حنين** عطف على محل في مواطن بحذف المضاف في أحدهما أي وموطن يوم حنين أو في أيام مواطن كثيرة
ويوم حنين ولعل التغيير للإيماء إلى ما وقع فيه من قلة الثبات من أول الأمر وقيل المراد بالمواطن
الوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم أي ونصركم يوم
حنين **إذ أعجبتكم كثرتكم** بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناءً على أنه لم يكن في المعطوف
عليه كثرة ولا إعجاب إذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما أضيف إليه المعطوف أو تعلق
به فما ذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً عشرة
آلاف منهم ممن شهد فتح مكة من المهاجرين والأنصار وألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا
أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة
بن سلامة الأنصاري لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم
المشركون وخلوا الذراري فأكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح
فتراجعوا فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل **فلم تغن عنكم شيئاً** والإغناء
الإعطاء ما يدفع به الحاجة أي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئاً من الإغناء **وضاقت عليكم
الأرض بما رحبت** أي برحبها وسعتها على أن ما مصدرية والباء بمعنى مع أي لا تجدون فيها مفراً تطمئن
إليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه **ثم وليتم مدبرين** روي أنه بلغ فلهم مكة
وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه إلا عمه العباس آخذاً بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان بن
الحارث آخذاً بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
الله عنه كان يجبا على الكفار بنفسه ثم يحمل عليهم بنفسه فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس
كنت أكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة على تناهي شجاعته صلى الله عليه وسلم
كان في الشجاعة وربط الجأش ... وما كان ذلك إلا لكمال وثوقه بالله عز
العزيز الحكيم فقال ذلك قال يا رب آتني ما وعدتني وقال للعباس وكان صيتاً صح بالناس فنادى
الأنصار فخذاً فخذاً ثم نادى يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقاً واحداً وهم يقولون
لبيك لبيك وذلك قوله تعالى **ثم أنزل الله سكينته على رسوله** أي رحمته التي تسكن بها القلوب
وتطمئن إليها اطمئناناً كلياً مستتبعاً للنصر القريب وأما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل
ذلك أيضاً **وعلى المؤمنين** عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت أي المؤمنين
الذين انهزموا وقيل الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على الكل ولا ضير في تحقق أصل
السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الإيمان للإشعار بعلية الإنزال **وأنزل جنوداً لم تروها**
أي بأبصاركم كما يرى بعضكم بعضاً وهم الملائكة عليهم السلام عليهم خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى
قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس فأخذ كفاً من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه
فلم يبق منهم أحد إلا امتلأت به عيناه ثم قال انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل
خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفاً ... ولم يقاتلوا إلا يوم
بدر وإنما كانوا ينزلون لتقوية قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك وإلقاء الرعب

قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه فاختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاءونا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كأنهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم عن ابن عباس رضي الله عنه ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة ويؤيده قوله تعالى بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام اي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها والفائدة ذلك بها لينقطع الامال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امرهم بقتال اهل الكتاب بعد امرهم بقتال المشركين وبمنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاعهم ونبههم في تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال الآخرة كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من التوراة والانجيل فمن بيانية لا تبعيضية

تبعيضية حتى يكون على خلاف ما نعت حتى يعطوا اي يقبلوا ان يعطوا الجزية اي ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتقة من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون اي اذلاء وذلك بان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب وعند ابي يوسف لا تؤخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا وعند الشافعي تؤخذ من اهل الكتاب عربيا او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعي الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام في آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم ووقت الاخذ عند ابي حنيفة اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امراة وعند الشافعي تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم اعجمي كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف واما لتعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه قيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنه انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا لانه ابنه وقال الامام الكلبي لما قتل بختنصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما اماته مائة عام فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره فلما اتاهم فقال لهم انا عزير كذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فاملل علينا التوراة فكتبها لهم ثم ان رجلا قال ان ابي حدثني ان التوراة جعلت في خابية ودفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب عزير فلم يجدوه غادر حرفا فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب رجل الا انه ابنه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم فرفع الله التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير عليهم فوجدوه مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه من غير ان يكون له مصداق في الخارج يضاهئون اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همز قول الذين كفروا اي يشابه قولهم قولهم

المضاف مقامه واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اي من قبلهم هم المشركون
الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى
يتأتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد المقول ليس فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي
قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال
بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم بقول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله
الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا
اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال
الاصمعي لا ادري أهو حِبر ام حَبر وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر
للعالم ذميا كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع
اي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل أربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما
احله الله تعالى وتحليل ما حرمه وبالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا ابت لا تعبد
الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي عنقي صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فرق من النصارى وهو يقرأ سورة براءة
يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عم أليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه
فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل قال انهم ربما وجدوا
في كتاب الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا يأخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله تعالى والمسيح ابن مريم
عطف على رهبانهم اي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص
الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع ان اتخاذهم له عم ربا معبودا أقوى
من مجرد الطاعة في امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا لانه مختص بالنصارى
ويستدعي الحاقه من حيث دلالته على مربوبيته المنافية للربوبية للابن بكمال ركاكة رأيهم والقضاء
عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما أمروا اي والحال ان اولئك الكفرة ما امروا في كتابهم الا ليعبدوا الها
واحدا عظيم الشان هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا امره ولا يطيعوا امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته
تعالى فان جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة واما طاعة الرسول عم وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله عز وجل او وما
امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح والاحبار والرهبان الا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا
اربابا وهم مأمورون مستعبدون مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة
فان تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا
العبادة به سبحانه لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن
الاشراك به في العبادة والطاعة يريدون ان يطفئوا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لهبها الموجب
لزوال نورها لا عن ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة
نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان لغير النار والنور
في ذلك لانحصار امكان الازالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه
عن الشركاء والاولاد او القرآن العظيم الناطق بذلك اي يريد اهل الكتابين ان يردوا القرآن ويكذبوه فيما
نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرايع التي من جملتها ما خالفوه من امر الحل والحرمة بافواههم
باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من غير ان يكون لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكي عنهم
وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم
منبث في الآفاق بنفخه ويأبى الله اي لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما
صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما اشير اليه ولوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون وفيه من

من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الارادة اي لا يريد شيئا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج في
المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفي اظهار النور في مقام الاضمار مضافا الى ضميره
عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف
لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موضع الحال اي لا يريد الله الا اتمام
نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا
مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى
هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي ارسل
رسوله ملتبسا بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الاسلام ليظهره
اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما
تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون
كما فيما سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر لله للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله
يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم لاراذلهم اثر بيان سوء الاتباع
في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون ان كثيرا
من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرايع
والتخفيف والمسامحة فيها وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا
للسامعين عنهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر في التورية والانجيل
الى ما افتروه وحرفوه باخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال بالباطل والذين يكنزون
الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه آخر والموصول عبارة اما عن
الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم بما سبق من
اخذ الرشا والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل
ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة
لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر ذلك
على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم
وقوله عم ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه
بالانفاق فيه واما قوله عم من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحو ذلك فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله
ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى
بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم جزاء للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون
الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه اي يعذبون يوم
او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء
للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة
التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل
عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها
نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم
عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول وللفضة وتخصيصها لقربها ولا دلالة في حكمها على الذهب
كذلك بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة
بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية ولانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم
ولانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد ولانها
اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول اي يقال
لهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه

بضم النون إن عدة الشهور أي عددها عند الله أي في حكمه وهو معمول لها لأنها مصدر اثنا عشر خبر لأن شهرا
تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية إذ عليها يدور فلك الأحكام
الشرعية في كتاب الله في اللوح المحفوظ أو فيما أثبته وأوجبه وهو صفة اثنا عشر أي اثنا عشر شهرا مثبتا
في كتاب الله عز وعلا يوم خلق السموات والأرض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الاستقرار أو بالكتاب
على أنه مصدر والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق الله تعالى الأجرام والحركات والأزمنة منها
أي من تلك الشهور الاثني عشر أربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله عم في خطبته
في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها
أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى
رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج إلى ذي الحجة بعد ما كانوا أزالوه من محله بالنسيء
الذي أحدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في
ذي القعدة ذلك أي تحريم الأشهر الأربعة المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد للتفخيم للمشار إليه
هو الدين القيم المستقيم دين إبرهيم وإسمعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا
يعظمون الأشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى أنه لو لقي رجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجبا الأصم
ومنصل الأسنة حتى أحدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن أنفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم
فيهن والجمهور على أن حرمة القتال فيهن منسوخة وأن الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزرا كارتكابها
في الحرم وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخ ويؤيد
الأول أنه عم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة أي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال واعلموا أن
الله مع المتقين أي معكم بالنصر والإمداد فيما تباشرونه من القتال وإنما وضع المظهر موضعه مدحا
لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وإيذانا بأنه المدار في النصر وقيل هي بشارة لهم وضمان بالنصرة بسبب تقواهم
إنما النسيء هو مصدر نسأه إذا أخره نسأ ونساء ونسيئا نحو مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ [illegible]
وقرئ بقلب الهمزة ياء وإدغام الياء فيها كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا
مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بأن يجعلوها
ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت المعين في الكتاب والسنة أي إنما تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر
زيادة في الكفر لأنه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله فهو كفر آخر مضموم إلى كفرهم يضل به الذين كفروا
ضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الإفعال على أن الفعل لله سبحانه أي يخلق فيهم
الضلال عند مباشرتهم لمباديه وأسبابه وهو المعنى على القراءة الأولى أيضا وقيل المضلون حزبهم ورؤساؤهم والموصول
عبارة عن أتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضلل ونضل بنون العظمة يحلونه أي النسيء
أو الحرام عاما من الأعوام ويحرمون مكانه شهرا آخر مما ليس بحرام ويحرمونه عاما أي يحافظون على حرمته كما
كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار إحلالهم له في العام الماضي أو لإسناد فعله إلى آلهتهم كما سيجيء عاما
آخر إذا لم يتعلق بتغييره غرض من أغراضهم قال الكلبي أول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن
ثعلبة وكان إذا هم الناس بالصدر من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت ويقول أنا الذي لا أعاب
ولا أجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول إن صفر العام حرام فإذا
قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الأسنة والأزجة وإن قال حلال عقدوا الأوتار وشدوا الأزجة
وأغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي
بأعلى صوته إن آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول إن آلهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن
عباس رضي الله عنهما أول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان تفسير للضلال أو حال
من الموصول والعامل عامله ليواطئوا أي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الأشهر الأربعة واللام متعلقة بالفعل

بالفعل الثاني أو بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمخصوصه من الأشهر المعينة زين لهم سوء
أعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل أعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل
خذلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة
إلى الوصول إلى المقصد وإنما يهديهم إلى ما يوصل إليه عند سلوكهم قصده وإعراضهم لسوء اختيارهم فتاهوا في تيه
الضلال يا أيها الذين آمنوا رجوع إلى حث المؤمنين وتجريد عزائمهم على قتال الكفرة إثر بيان طرف من
قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الإنكار والتوبيخ إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم
تباطأتم وتقاعستم وأصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك أي أي شيء حصل أو حاصل لكم أو ما تصنعون حين قال
لكم النبي صلى الله عم انفروا أي اخرجوا إلى الغزو في سبيل الله متثاقلين على أن الفعل ماض لفظا مضارع
معنى كأنه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم أو معنى الفعل المدلول عليه بذلك
ويجوز أن يعمل فيه الحال أي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الإنكاري
التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ إنما هو الأول إلى الأرض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والإخلاد أي
اثاقلتم مائلين إلى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو المستتبعة للراحة الخالدة كقوله
تعالى أخلد إلى الأرض واتبع هواه أو إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر
بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد أدركت ثمار المدينة وطابت ظلالها
مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عم في غزوة غزاها إلا
ورى بغيرها إلا في غزوة تبوك فإنه عم بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها أرضيتم بالحياة الدنيا وغرورها
من الآخرة أي بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحياة الدنيا أظهر في مقام الإضمار لزيادة التقرير أي فما
التمتع بها وبلذائذها في الآخرة أي في جنب الآخرة إلا قليل أي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحياة
الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة
الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة وعلوها إلا تنفروا أي إن لا تنفروا إلى ما استنفرتم إليه يعذبكم
أي الله عز وجل عذابا أليما أي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد إهلاككم قوما
غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية
المستلزمة للاستئصال أي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من أولادكم ولا أرحامكم
كأهل اليمن وأبناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا أي لا يقدح تثاقلكم
في نصرة دينه أصلا فإنه الغني عن كل شيء في كل شيء وقيل الضمير للرسول عم فإن الله عز وجل وعده بالعصمة
والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على إهلاككم والإتيان بقوم
آخرين إلا تنصروه فقد نصره الله أي إن لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة أشد
من هذه المرة فحذف الجزاء وأقيم سببه مقامه أو إن لم تنصروه فقد أوجب له النصرة حتى نصره في مثل
ذلك الوقت فلن يخذله في غيره إذ أخرجه الذين كفروا أي تسببوا لخروجه حيث أذن له في ذلك
حين هموا بإخراجه ثاني اثنين حال من ضميره عم وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى
المقصور في الإعراب أي أحد اثنين من غير اعتبار كونه عم ثانيا فإن معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع
أربعة ونحو ذلك أحد هذه الأعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور أن ينصب ما بعده
بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة وقد عرفت في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة من
سورة المائدة وجعله عم ثانيهما لمزية الصديق أمامه ودخوله عم في الغار أولا لأنسه وتسوية البساط
كما ذكر في الأخبار تمحل مستغنى عنه إذ هما في الغار بدل من إذ أخرجه بدل البعض إذ المراد به زمان متسع
والغار نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول بدل ثان
أو ظرف لثاني لصاحبه أي الصديق لا تحزن إن الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية
الدائمة لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاصه بالمتبوع فالمراد بما
فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الأمر المباشر روي أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي الله عنه

على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان نصب اليوم ذهب دين الله تع فقال عم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله تع حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي بكر رض فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه وتعالى **فانزل الله سكينته** امنته التي تسكن عندها القلوب **عليه** على النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمانينة من امره **وايده بجنود لم تروها** عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وعلا **وجعل كلمة الذين كفروا السفلى** يعني الشرك او دعوة الكفرة فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجا بل بالقتل والاسر ونحو ذلك **وكلمة الله** اي التوحيد او دعوة الاسلام **هي العليا** لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين **والله عزيز** لا يغالب **حكيم** في حكمه وتدبيره **انفروا** تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المساهلة فيه وقوله تعالى **خفافا وثقالا** حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة وما ذكر في تفسيرها من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال عم نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية **وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله** ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الاخر حتى ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط **ذلكم** اي ما ذكر من النفر والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشرف **خير لكم** اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال والاولاد **ان كنتم تعلمون** اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه **لو كان** صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه **عرضا قريبا** العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنما سهل الماخذ قريب المنال **وسفرا قاصدا** ذا قصد بين القريب والبعيد **لاتبعوك** في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط **ولكن بعدت عليهم الشقة** اي المسافة الشاطة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين **وسيحلفون** اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى **بالله** اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا قائلين **لو استطعنا** او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم من الكذب والتعلل وعلى التقدير قوله تعالى **لخرجنا معكم** ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا [illegible] والاخبار بما سيكون منهم قبل وقوعه من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع **يهلكون انفسهم** بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او حال من فاعل لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نحن نهلك انفسنا كما في قولك

حلف ليفعلن مكان لافعلن **والله يعلم انهم لكاذبون** اي في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا **عفا الله عنك** صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفى عنه عم ما وقع منه عليه السلام من استئذان المتخلفين في التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه لهم اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم لخلوها عن المزاحم من ترك الاولى والافضل الذي هو التاني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل **لم اذنت لهم** اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين عللوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون امره عم منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما ابرزوه في معرض التعلل والاعتذار مشفوعا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه **حتى يتبين لك الذين صدقوا** اي فيما اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن لهم هناك **وتعلم الكاذبين** في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى والافضل وتخصيص له عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى اذنت لاستلزامه ان يكون اذنه عم لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الانتقاد اليه من تلك الجهة وفذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للثبات والدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين وان ما صدر عن الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا واسناده الى ضميره عم لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبين الى الاولين لما ان المقصود ههنا علمه عم بهم ومؤاخذته اياهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال ليتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق العلم بالآخرين مع مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببناء العفو دون ما يوهم العتاب من مراعاة جانبه عم وتعهيده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولي الالباب قال سفيان بن عيينة رحمه الله انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطأ وأساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت وبئسما فعلت هب انه كناية اليس ايثارها على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب ان العفو مستلزم للخطأ فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المبالغة بالسوء او يسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تع لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كونهم اثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن

والذعنوا لا ينبغي لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عم وارضوه بالاكاذيب على انه لم يهنأ لهم عيش وما
قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك
الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على انه كان ينبغي ان يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن
لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون
اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن ان يستأذنوك في التخلف وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف
كان ذلك مظنة للتأني في امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى ان
يجاهدوا كراهة ان يجاهدوا وان قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف
للجهاد فيتوجه النفي الى القيد ويرتفع امتياز المؤمن من المنافق وهو ان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه
بادي الامر لكن عامة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا يعتد به وقيل هو الجهاد اي لا
يستأذنك المؤمنون في الجهاد كراهة ان يجاهدوا بناء على ان الاستيذان في الجهاد ربما يكون لكراهته
ولا يخفى ان الاستيذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة
مما لا يمتاز بحسب الظاهر من الاستيذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي ينفى عن المؤمنين يجب ان يثبت للمنافقين
وظاهر انهم لم يستأذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل انما استأذنوا في التخلف والله عليم بالمتقين شهادة لهم
بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم
كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستأذنك اي في التخلف مطلقا على الاول او
لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما في الموضعين للايذان
بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة
الابدية والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم اي شكهم المستقر في
قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات ديدن المستبصر والتعبير عنه بما لا
يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج لكنا لم
نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا له اي
للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه للسفر وقرئ عدة
بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك عدى الامر الذي وعدوا
اي عدته وقرئ عدة بكسر العين وعدة بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم
للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم
وكراهة الله انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى
لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن الي
زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية
والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي
ستبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين
تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول بعضهم
لبعض او هو اذن الرسول عم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون او غيرهم وايا ما كان فهو
خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم اي ما
اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذاك
ولاوضعوا خلالكم اي ولسعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات البين من وضع البعير وضعا اذا
اسرع واوضعته انا اي حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في
الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولاوفضوا من رفضت الناقة ارقلت وارفضتها
انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم والقاء

الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او استئناف وفيكم سماعون لهم اي
نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون للمنافقين اي يطيعونهم و
الجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستأنفة ولعلهم لم يكونوا في كثرة
العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم
معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام
المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا للخلل كلية كره الله انبعاثهم فلم يتسن اجتماعهم فاندفع فسادهم
ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد انهم لو قعدوا بغير
اذن منه عم لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على مخالطتهم والسعي فيما بينهم
بالاراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الآيات النازلة والله عليم
بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما يأتون فيما سيأتي ووضع المظهر
موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين
السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق اصحابك من قبل اي يوم احد حين
انصرف عبد الله بن ابي سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعدما خرج مع النبي صلى الله عم
الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عم على الثنية ليلة العقبة
وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عم فردهم الله خاسئين وقلبوا لك الامور تقليب الامر تفتيشه
من وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول
قلب اي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ بالتخفيف حتى
جاء الحق اي النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون
لذلك اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عم والمؤمنين عن تخلف المتخلفين وبيان ما
ثبطهم الله لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة
الى الاذن وايذانا بان ما فات بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود
ولا تفتني اي لا توقعني في الفتنة وهي العصيان والاثم بان لا تأذن لي فاني متخلف لا محالة اذنت لي او لم تأذن
حتى لا اقع في المعصية بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم
بمصالحهم وقيل قاله الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر
يعني نساء الروم ولكن اعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه بمعنى فتنه الا في الفتنة اي في
عينها ونفسها واكمل افرادها الغني عن الوصف بالكمال الحقيقي باختصاص اسم الجنس به سقطوا لا
في شيء مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجرأة
على الاستيذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة
وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم
وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عن الافتتان
بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين
وقوله عز وعلا وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل
تحت التنبيه اي جامعة لهم يوم القيمة من كل جانب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار
او محيطة بهم الآن تنزيلا للشيء سيقع عن قريب منزلة الواقع او وضعا لاسبابه موضعه فان ما ذكر من
اسباب احاطة النار بهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما وقعوا فيه وما سقطوا فيه من
الفتنة وقيل تلك المبادي المتشكلة بصور الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه
النشأة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشأة الآخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون
وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما
جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة

تسؤهم تلك الحسنة أي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك وإن تصبك في بعضها مصيبة من نوع
شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم قد أخذنا أمرنا أي تلافينا ما يهمنا من الأمر يعنون به الاعتزال
عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل أي
من قبل إصابة المصيبة في وقت تدارك يشيرون بذلك إلى أن المعاملات المذكورة إنما تروج عند الكفرة بوقوعها
حال قوة الإسلام لا بعد إصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والمحدث إلى أهاليهم أو يعرضوا عن النبي
وهم فرحون بما صنعوا من أخذ الأمر وبما أصابه عليه السلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الأخير فقط
لمقارنة الفرح لهما معا وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور وإسناد المساءة إلى الحسنة والمسرة
إلى أنفسهم دون المصيبة بأن يقال وإن تصبك مصيبة تسرهم للإيذان باختلاف حالهم حالتي عروض
المساءة والمسرة بأنهم في الأولى مضطرون وفي الثانية مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم
من الاعتقاد لن يصيبنا أبدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا من فيعل لا من فعل لأنه واوي يقال صاب
السهم يصوب واشتقاقه من الصوب إلا ما كتب الله لنا أي أثبته لمصلحتنا الدنيوية والأخروية من النصرة
عليكم أو الشهادة المؤدية إلى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي أمورنا وعلى الله وحده فليتوكل
المؤمنون التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والرضا بما فعله وإن كان ذلك بعد ترتيب المبادي العادية والفاء
للدلالة على السببية والأصل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لإفادة القصر ثم أدخل الفاء
للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل كما في قوله تعالى وإياي فارهبون والجملة إن كانت من تمام الكلام المأمور
به فإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لإظهار التبرك والتلذذ به وإن كانت مسوقة من قبله تعالى أمرا للمؤمنين
بالتوكل إثر أمره عليه السلام بما ذكر فالأمر ظاهر وكذا إعادة الأمر في قوله عز وجل قل هل تربصون بنا لانقطاع
حكم الأمر الأول بالثاني وإن أمر الغائب وأما على الوجه الأول فهي لإبراز كمال العناية بشأن المأمور به والإشعار
بما بينه وبين ما أمر به أولا من الفرق في السياق والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان أو شرا والباء
للتعدية وأحد مفعولي التربص محذوف أي ما تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين أي العاقبتين اللتين كل واحدة
منهما من حسن العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما أبهم في الجواب الأول وكشف لحقيقة الحال
بإعلام أن ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة أنفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم
إحدى السوأيين من العواقب إما أن يصيبكم الله بعذاب من عنده كما أصاب من قبلكم من الأمم المهلكة
والظرف صفة لعذاب ولذلك حذف عامله وجوبا أو بعذاب بأيدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء
فصيحة أي إذا كان الأمر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا إنا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فإذا لقي كل
منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون إلا ما يسرنا ولا نشاهد إلا ما يسوؤكم قل أنفقوا أموالكم في سبيل الله
طوعا أو كرها مصدران وقعا موقع الفاعل أي طائعين أو كارهين وهو أمر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر
لهم أو لا تستغفر لهم والمعنى أنفقتم طوعا أو كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الأمر للمبالغة في
بيان تساوي الأمرين في عدم القبول كأنهم أمروا بأن يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل
منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن أعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل أن يكون
بمعنى عدم الأخذ منهم وأن يكون عدم الإثابة عليه وقوله عز وجل إنكم كنتم قوما فاسقين تعليل
لما نفي بتمرد من تعليل لرد إنفاقهم وما منعهم أن تقبل منهم وقرئ بالتحتانية نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله
وبرسوله استثناء من أعم الأشياء أي ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيء من الأشياء إلا كفرهم وقرئ يقبل
على البناء للفاعل وهو الله تعالى ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى أي لا يأتونها في حال من الأحوال إلا حال
كونهم متثاقلين ولا ينفقون إلا وهم كارهون لأنهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله
تعالى طوعا أي من غير إلزام من جهته عليه السلام لا رغبة وهو في ضمنه لتوسيع الدائرة فلا تعجبك أموالهم ولا
أولادهم فإن ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى إنما يريد الله ليعذبهم
بها في الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق
أنفسهم وهم كافرون فيموتون كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة

لا نعمة وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله إنهم لمنكم في الدين والإسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم
قوم يفرقون يخافون أن يفعل بهم ما فعل بالمشركين فيظهرون الإسلام تقية ويؤيدونه بالأيمان الفاجرة
لو يجدون ملجأ استئناف مقرر لمضمون ما سبق من أنهم ليسوا من المسلمين وأن التجاءهم إلى الانتماء إليهم
إنما هو للتقية اضطرارا حتى إنهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ أي مكانا حصينا يلجأون إليه من رأس جبل
أو قلعة أو جزيرة وإيثار صيغة الاستقبال في الشرط وإن كان المعنى على المضي لإفادة استمرار عدم الوجدان
فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في إفادة انتفاء استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قد
يفيد استمرار انتفائه بحسب ما يقتضيه المقام فإن معنى قولك لو تحسن إلي لشكرتك أن انتفاء الشكر بسبب
استمرار انتفاء الإحسان لا أنه بسبب انتفاء استمرار الإحسان فإن الشكر يتوقف على وجود الإحسان لا على
استمراره كما حقق في موضعه أو مغارات أي غيرانا وكهوفا يخفون فيها أنفسهم وقرئ بضم الميم من أغار
الرجل إذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار إذا دخل الغور أي أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم وأهليهم
ويجوز أن يكون من أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومغار أو مدخلا أي نفقا يندسون فيه
وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الإدخال أي مكانا يدخلون
فيه أنفسهم وقرئ مندخلا ومتدخلا من التدخل والاندخال لولوا أي لصرفوا وجوههم وأقبلوا
وقرئ لوالوا أي لالتجأوا إليه أي إلى أحد ما ذكر وهم يجمحون أي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من
الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه إشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون
ويشتدون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها أي يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك
ما لعدة في الصدقات أي في شأنها وقسمتها فإن أعطوا منها بيان لفساد لمزهم وأنه لا منشأ له سوى حرصهم
على حطام الدنيا أي إن أعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوا فعلك وإن لم
يعطوا منها ذلك المقدار إذا هم يسخطون أي يفاجئون السخط وإذا نائب مناب الفاء الجزائية قيل نزلت
الآية في أبي الجواظ المنافق حيث قال ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم
أنه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج واسمه حرقوص بن زهير التميمي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه السلام ويلك
إن لم أعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والأول هو الأظهر ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله
أي ما أعطاهم الرسول عليه السلام من الصدقات وطابت به نفوسهم وإن قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على أن
ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان بأمره سبحانه وقالوا حسبنا الله أي كفانا فضله وصنيعه بنا وما قسم لنا
سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل إنا إلى الله راغبون في أن يخولنا
فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره أي لكان خيرا لهم إنما الصدقات
شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة
القالة في ذلك وحسم لأطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان أنهم بمعزل من الاستحقاق
أي جنس الصدقات المشتملة على الأنواع المختلفة للفقراء والمساكين أي مخصوصة بهؤلاء الأصناف
الثمانية الآتية لا تتجاوزهم إلى غيرهم كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم
يقولون فيها ما يقولون وما سوغ لهم أن يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له أدنى شيء والمسكين
من لا شيء له وهو المروي عن أبي حنيفة رحمه الله وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها
الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم أصناف فمنهم أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم أسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم بإجزال العطاء كعيينة
بن حصن والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب بإعطائهم إسلام نظرائهم ولعل الصنف
الأول كان يعطيهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء
منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقد سقط سهم هؤلاء بالإجماع لما أن ذلك كان لتكثير سواد الإسلام
فلما أعزه الله عز وعلا وأعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب أي وللصرف في فك الرقاب بأن يعان

المكاتبون يعان منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق وايا ما كان
فالعدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للملكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم قرار
ملكهم فيما اعطوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم في استحقاق
الصدقة لما ان في للظرفية المنبئة عن احاطتهم وكونهم محلها ومركزها والغارمين اى الذين تديّنوا لانفسهم
في غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رحمه الله تعالى من غرم لاصلاح ذات
البين واطفاء النائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء وفي سبيل الله اى فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم
وابن السبيل اى المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف في الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق
او لما ذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للملكية والاختصاص وهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان
يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات
الاستحقاق وقد روى ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضى الله عنهم وعند الشافعي رحمه لا يجوز الا ان
يصرف الى ثلاث من تلك الاصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الاية اى فرض لهم الصدقات
فريضة ونقل عن سيبويه انه منصوب بفعله مقدرا اى فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن في
قوله للفقراء اى انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اى مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم
حكيم لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التي من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين
يؤذون النبي نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عم ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه
ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد
اذن سامعة وذلك قوله عز وجل ويقولون هو اذن اى يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق
بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه عم لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح
عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على
المبالغة في الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن في الخير والحق
وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع
غيرهما ولا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن
بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اى يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين
كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اى يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين
الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى انؤمن لك الخ وقوله فما آمن لموسى
ورحمة عطف على اذن خير اى وهو رحمة بطريق اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اى
للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منكم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف
اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل للتنبيه
عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل
دل عليه اذن خير اى ياذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفي
صيغة الاستقبال المشعرة بترتيب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه
قوله تعالى فيما سياتي فان يتوبوا يك خيرا لهم عما يجترؤون عليه من اذيته عم كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول
عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفي تكرير الاسناد
باثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده عم بعنوان الرسالة مضافا
الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب
يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم
ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اى يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليكم مما يورث
اذاة النبي صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار ليرضوكم بذلك وافراد
ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عم وقد قبل عم ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك

ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى رضاه عم وانه انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا
كما اشار اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اى احق بالارضاء ولا ينبغي ذلك الا بالطاعة والمتابعة
والوفاء بحقه عم في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما
يرضى بها من يحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجلي الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من
ضمير يحلفون اى يحلفون لكم لارضائكم والحال ان الله تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم بل يعرضون عما يهمهم
ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه عم مندرج
تحت رضاه سبحانه وارضاؤه عم ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار
لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتاويل المذكور كما في قول رؤبة
فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق
اى كان ذلك لا يقال اى حاجة الى الاستعارة بعد التاويل بالمذكور لانا نقول لولا الاستعارة لما يتسنى التاويل
لما ان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه بغير تعرض لوصف من الصفات التي من جملتها المذكورية
وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه تعالى اكتفى بذكره عن ذكر رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة
خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى
مختلف او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو راى المبرد ان كانوا مؤمنين
جوابه محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه اى ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بالطاعة فانهما احق
بالارضاء ألم يعلموا اى اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم
بوخامة عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اى الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
من فنون القوارع والانذارات انه اى الشان من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة
من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة في محل غير محل صاحبه ومن شرطية
جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبره محذوف اى فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية
في محل الرفع على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير للاولى
تاكيدا لطول العهد لا من باب التاكيد اللفظي المانع للاولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال
لقد علم الحي اليمانون انني • اذا قلت اما بعد اني خطيبها • وقد جوز ان يكون فان له معطوفا
على انه وجواب الشرط محذوفا تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له الخ ورد بان ذلك
انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور
ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فالامر ظاهر ذلك اشارة الى
ما ذكر من العذاب الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل
والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهورها وحلول
العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شانهم فان ما نزل في حقهم
نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل
الكفر والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين
على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها
من افواه الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها والمراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم
كانها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر
وقيل الضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكيك عند ظهور الامر بعود المعنى
اليه اى يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم
قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يذكر كل شئ ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزؤون به ولذلك قيل قل استهزؤا اى افعلوا
الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اى من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز ما تحذرون اى ما

تحذرونه من انزال السورة ومن اخبارکم ومثالبکم المستکنة فی قلوبکم الفاضحة لکم علی ملأ الناس والتأکید
لرد انکارهم بذلك لا لدفع تردّدهم فی وقوع المحذور اذ لیس حذرهم بطریق الحقیقة ولئن سألتهم عما
قالوا لیقولن انما کنا نخوض ونلعب روی انه عم کان یسیر فی غزوة تبوك وبین یدیه رکب من المنافقین
یستهزؤن بالقرآن وبالرسول صلی الله عم ویقولون انظروا الی هذا الرجل یرید ان یفتح حصون الشام وقصورها
هیهات هیهات فاطلع الله نبیه علی ذلك فقال احبسوا علی الرکب فأتاهم فقال قلتم کذا وکذا فقالوا یا نبی الله
والله ما کنا فی شیء من امرك ولا من امر اصحابك ولکن کنا فی شیء مما یخوض فیه الرکب لیقصر بعضنا علی بعض السفر
قل غیر ملتفت الی اعتذارهم ناعیا علیهم جنایاتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم علی اخطائهم
موقع الاستهزاء أبالله وآیاته ورسوله کنتم تستهزءون حیث عقب حرف التقریر بالمستهزأ به ولا یستقیم ذلك
الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه معلوم انه
معلوم الکذب بیّن البطلان قد کفرتم اظهرتم الکفر بایذاء الرسول صلی الله عم والطعن فیه بعد ایمانکم
بعد اظهارکم له ان نعف عن طائفة منکم لتوبتهم واخلاصهم او تجنبهم عن الایذاء والاستهزاء وقرئ نعف
علی اسناد الفعل الی الله سبحانه وقرئ علی البناء للمفعول مسندا الی الظرف بتذکیر الفعل وبتأنیثه ایضا
ذهابا الی المعنی کأنه قیل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ بالیاء علی البناء للفاعل وبالتاء
علی البناء للمفعول مسندا الی ما بعده طائفة بانهم کانوا مجرمین مصرین علی الاجرام وهم غیر التائبین
او مباشرین له وهم غیر المجتنبین قال محمد بن اسحق الذی عفی عنه رجل واحد هو یحیی بن حمیر الاشجعی لما
نزلت هذه الآیة تاب عن نفاقه وقال اللهم انی لا ازال اسمع آیة تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب
اللهم اجعل وفاتی قتلا فی سبیلك لا یقول احد انا غسلت انا کفنت انا دفنت فاصیب یوم الیمامة فما
احد من المسلمین الا عرف مصرعه غیره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاناث للایذان بکمال عراقتهم
فی الکفر والنفاق بعضهم من بعض ای متشابهون فی النفاق والبعد عن الایمان کأبعاض الشیء الواحد
بالشخص وقیل ارید به نفی ان یکونوا من المؤمنین وتکذیبهم فی حلفهم بالله انهم لمنکم وتقریر لقوله تعالی
وما هم منکم وقوله تعالی یأمرون بالمنکر ای بالکفر والمعاصی وینهون عن المعروف ای عن الایمان
والطاعة استئناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المؤمنین او خبر ثان ویقبضون
ایدیهم ای عن المبرات والانفاق فی سبیل الله فان قبض الید کنایة عن الشح نسوا الله اغفلوا ذکره فنسیهم
ترکهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبیر عنه بالنسیان للمشاکلة ان المنافقین هم الفاسقون الکاملون
فی التمرد والفسق الذی هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن کل خیر والاظهار فی موضع الاضمار لزیادة
التقریر کما فی قوله تعالی وعد الله المنافقین والمنافقات والکفار ای المجاهرین نار جهنم خالدین فیها
مقدرین الخلود فیها هی حسبهم عقابا وجزاء وفیه دلیل علی عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله ای ابعدهم من
رحمته واهانهم وفی اظهار الاسم الجلیل من الایذان بشدة السخط ما لا یخفی ولهم عذاب مقیم ای نوع من
العذاب غیر عذاب النار دائم لا ینقطع ابدا او لهم عذاب مقیم معهم فی الدنیا لا ینفك عنهم وهو ما یقاسونه
من تعب النفاق الذی هم منه فی بلیة دائمة لا یأمنون ساعة من خوف الفضیحة ونزول العذاب ان اطلع
علی اسرارهم کالذین من قبلکم التفات من الغیبة الی الخطاب للتشدید والکاف فی محل الرفع علی الخبریة
ای انتم مثل الذین من قبلکم من الامم المهلکة او فی حیز النصب بفعل مقدر ای فعلتم مثل فعل الذین من قبلکم
کانوا اشد منکم قوة واکثر اموالا واولادا تفسیر وبیان لتشبیههم بهم وتمثیل لحالهم بحالهم فاستمتعوا
وفی صیغة الاستفعال ما لیس فی التفعل من الاستزادة والاستدامة فی التمتع بخلاقهم بنصیبهم من ملاذ الدنیا
واشتقاقه من الخلق بمعنی التقدیر وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقکم کما استمتع الکاف فی محل
النصب علی انه نعت لمصدر محذوف ای استمتاعا کاستمتاع الذین من قبلکم بخلاقهم ذم الاولین باستمتاعهم
بحظوظهم الخسیسة من الشهوات الفانیة والتهائهم بها عن النظر فی العواقب الحقة واللذائذ الحقیقیة
تمهید لذم المخاطبین بمشابهتهم ایاهم واقتفائهم اثرهم وخضتم ای دخلتم فی الباطل کالذی خاضوا ای کالذین
باسقاط النون او کالفوج الذی او کالخوض الذی خاضوه أولئك اشارة الی المتصفین بالاوصاف المعدودة

المعدودة من المشبهین والمشبه بهم لا الی الفریق الاخیر فقط فان ذلك یقتضی ان یکون حبوط اعمال المشبهین
وخسرانهم مفهوما ضمنا لا صریحا ویؤدی الی خلو تلوین الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر حینئذ اولئکم والخطاب
لرسول الله صلی الله عم او لکل من یصلح للخطاب ای اولئك الموصوفون بما ذکر من الافعال الذمیمة حبطت
اعمالهم ای لیس المراد بها اعمالهم المعدودة کما یشعر به التعبیر عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنیة عن البیان
بل اعمالهم التی کانوا یستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الایمان ای ضاعت وبطلت بالکلیة ولم یترتب
علیها اثر فی الدنیا والآخرة بطریق المثوبة والکرامة اما فی الآخرة فظاهر واما فی الدنیا فلان ما یترتب
علی اعمالهم فیها من الصحة والسعة وغیر ذلك حسبما ینبئ عنه قوله تعالی من کان یرید الحیوة الدنیا وزینتها
نوف الیهم اعمالهم فیها وهم فیها لا یبخسون لیس بطریق المثوبة والکرامة بل بطریق الاستدراج
واولئك ای الموصوفون بحبوط الاعمال فی الدارین هم الخاسرون الکاملون فی الخسران فی الدارین الجامعون
لمبادیه واسبابه طرا فانه لما ذهبت رؤس اموالهم التی هی اعمالهم فیما ضرهم ولم ینفعهم قط ولو انها
ذهبت فیما لا یضرهم ولا ینفعهم لکفی به خسرانا وایراد اسم الاشارة فی الموضعین للاشعار بعلیة الاوصاف
المشار الیها بالحبوط والخسران ألم یأتهم ای المنافقین نبأ الذین من قبلهم ای خبرهم الذی له شأن
وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقریر والتحذیر قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهیم واصحاب
مدین وهم قوم شعیب والمؤتفکات قریات قوم لوط ائتفکت بهم ای انقلبت بهم فصار عالیها سافلها وامطر
علیهم حجارة من سجیل وقیل قریات المکذبین وائتفاکهن انقلاب احوالهن من الخیر الی الشر اتتهم رسلهم
بالبینات استئناف لبیان نبئهم فما کان الله لیظلمهم الفاء للعطف علی مقدر ینسحب علیه الکلام
ویستدعیه النظام ای فکذبوهم فاهلکهم الله فما ظلمهم بذلك وایثار ما علیه النظم الکریم للمبالغة
فی تنزیه ساحة السبحان عن الظلم ای ما صح وما استقام له ان یظلمهم ولکنهم ظلموا انفسهم والجمع بین
صیغتی الماضی والمستقبل فی قوله عز وجل ولکن کانوا انفسهم یظلمون للدلالة علی استمرار ظلمهم حیث
لم یزالوا یعرضونها للعقاب بالکفر والتکذیب وتقدیم المفعول لمجرد الاهتمام برعایة الفاصلة من
غیر قصد الی قصر المظلومیة علیهم علی رأی من لا یری التقدیم موجبا للقصر فیکون کما فی قوله تعالی وما ظلمناهم
ولکن ظلموا انفسهم من غیر قصر للظلم علی الفاعل او المفعول وسیجئ لهذا مزید بیان فی قوله سبحانه ان الله
لا یظلم الناس شیئا ولکن الناس انفسهم یظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولیاء بعض بیان لحسن
حال المؤمنین والمؤمنات حالا ومآلا اثر بیان قبح حال اضدادهم عاجلا وآجلا والتعبیر عن نسبة هؤلاء
بعضهم الی بعض بالولایة وعن نسبة اولئك بمن الاتصالیة للایذان بان نسبة هؤلاء بطریق القرابة الدینیة
المبنیة علی المعاقدة المستتبعة للآثار من المعونة والنصرة وغیر ذلك ونسبة اولئك بمقتضی الطبیعة والعادة
یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر ای جنس المعروف والمنکر المنتظمین لکل خیر وشر ویقیمون
الصلوة فلا یزالون یذکرون الله سبحانه فهو فی مقابلة ما سبق من قوله تعالی نسوا الله ویؤتون الزکوة
مقابلة قوله تعالی ویقبضون ایدیهم ویطیعون الله ورسوله ای فی کل امر ونهی وهو بمقابلة وصف
المنافقین بکمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الی المؤمنین والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف
من الصفات الفاضلة وما فیه من معنی البعد للاشعار ببعد درجتهم فی الفضل ای اولئك المنعوتون
بما فصل من النعوت الجلیلة سیرحمهم الله ای یفیض علیهم آثار رحمته من التأیید والنصرة البتة فان
السین مؤکدة للوقوع کما فی قولك سأنتقم منك ان الله عزیز تعلیل للوعد ای قوی قادر علی اعزاز
اولیائه وقهر اعدائه حکیم یبنی احکامه علی اساس الحکمة الداعیة الی ایصال الحقوق من النعمة والنقمة
مستحقیها من اهل الطاعة واهل المعصیة وهذا وعد المؤمنین متضمن لوعید المنافقین کما ان ما سبق من
المنافقین من قوله تعالی فنسیهم متضمن لوعد المؤمنین فان منع لطفه تعالی عنهم لطف فی حق المؤمنین
وعد الله المؤمنین والمؤمنات تفصیل لآثار رحمته الاخرویة اثر ذکر رحمته الدنیویة والاظهار
فی موضع الاضمار لزیادة التقریر والاشعار بعلیة وصف الایمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض
لذکر ما مر من الامر بالمعروف وغیره لان الایمان بالله ...

أحد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفاً وكماً جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
فان كل أحد منهم فائز بها لا محالة ومساكن طيبة اي وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها
النفوس او يطيب فيها العيش في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن
هي ابهى اماكن الجنات واسناها عن النبي صلى الله عم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا
يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رض ان في الجنة
قصراً يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او
صديق او شهيد وعن ابن مسعود رض هي بطنان الجنة وسرتها فعدن علم على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوي
اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو اشرف
الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه
بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيه فناء ولا تغير ثم
وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوانه تع اكبر اذ عليه
يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد مع عزته
في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم
فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احداً من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي
شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابداً ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزاً
من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من
نعيم الآخرة بمثابة جناح البعوض قال رسول الله صلى الله عم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة
ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال

تالله لو كانت الدنيا بأجمعها * تبقى علينا ويأتي رزقها رغدا
ما كان من حق حر ان يذل لها * فكيف وهي متاع يضمحل غدا

يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ
عليهم في ذلك ولا تأخذك بهم رأفة قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح ومأواهم جهنم
جملة مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم
محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بالجهاد
والغلظة عليهم ودخول جهنم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه
القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فسمعه من كان منهم معه عم فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول
محمد حقاً لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري
للجلاس اجل والله ان محمداً لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عم فاستحضره فحلف
بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل
وايثار صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في قالوا
مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر
هي ما حكي آنفاً والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد
اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول الله صلى الله عم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على
ان يدفعوه عم عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذاً بخطام راحلته يقودها وحذيفة
بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت
فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل
ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عم وما نقموا اي وما انكروا وما عابوا او وما

او وما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا
حين قدم رسول الله صلى الله عم المدينة في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون
الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم
فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا شيئاً من الاشياء الا اغناء
الله تعالى اياهم او ما انكروا لعلة من العلل الا لاغناء الله تعالى اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من
الكفر والنفاق يك خيراً لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله صلى الله عم قال الجلاس يا رسول الله
عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي استمروا
على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذاباً
اليماً في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات والآخرة بالنار وغيرها من افانين
العقاب وما لهم في الارض مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله تعالى
من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض آخر منهم
من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات ولنكونن من
الصالحين قال ابن عباس رض يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب
اتى النبي صلى الله عم فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالاً فقال عم يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير
من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالاً لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له
فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل
عنه رسول الله صلى الله عم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ
الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عم
الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي وذلك قوله
تعالى فلما آتاهم من فضله بخلوا به اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه فلما
رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال عم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال عم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني
فقبض عم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته
فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحارث وجد بن
قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر وهم معرضون جملة معترضة اي وهم قوم عادتهم الاعراض
او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اي جعل الله تعالى عاقبة فعلهم ذلك
نفاقاً راسخاً في قلوبهم الى يوم يلقونه الى يوم موتهم الذي يلقون الله تع عنده او يلقون فيه
جزاء عملهم وهو يوم القيامة وقيل فاورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل
بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
اي وبكونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب [illegible]
الى تخلية الجمع بين صيغتي الماضي والاستقبال عن المزية فان تسبب الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب
نقض باسناده الى الله عز وجل اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت
الفاء الدالة على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب النفاق المخلد على افعالهم المحكية عنهم من
المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والاعراض وفيه ما لا دخل له في الترتب المذكور كالمعاهدة
ازيح ما في ذلك من الابهام بتعيين ما هو المدار في ذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الذال الم يعلموا
اي المنافقون او من عاهد الله منهم وقرئ بالتاء الفوقانية خطاباً للمؤمنين والهمزة على الاول للانكار والتوبيخ
والتهديد اي الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم اي ما اسروه في انفسهم وما يتناجون به فيما بينهم
من المطاعن وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله
سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا

على ما اجتروا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي ايراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى سيؤاخذهم ويجازيهم بما علم من اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عم بارك الله فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون اي يهزؤون بهم والمراد بهم الفريق الاخير سخر الله منهم اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم عذاب اليم اي ثابت لهم التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عم امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويترك اخرى ليظهر له جلية الامر كما مر في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عم فنزلت فقال عم محافظة على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود معينة يخالف حكم كل منها ما فوقها ان الله عز وجل قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيه ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل بانهم اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما ينبئ عنه قوله تعالى ما كان للنبي الآية فرح المخلفون اي الذين خلفهم النبي صلى الله عم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم او خلفهم الله بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد خروجه حيث

خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة في تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله بضم الخاء فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح او فرحوا لاجل مخالفته عم بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عم او على انه حال والعامل احد المذكورين اي فرحوا مخالفين له عم بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لا ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهة وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيه المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بافتح القبائح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عم وقالوا اي لاخوانهم تثبيطا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا لهم عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته تعالى غير داخل تحت القول المامور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاقبة امرهم واجلة من الضحك القليل والبكاء الكثير المؤدي الى ما عاقبتهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الامر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المامور به خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الآتي على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اي الى المنافقين من المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستأذن البعض عن انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم من محفل صحبتك لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو وفرحتم بذلك اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضى بالقعود اي اذا رضيتم بالقعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين على القصر فكان محوا لاسمائهم عن دفتر المجاهدين ولزهم في قرن الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امرأة او اولى مرة ولا تصل على احد منهم مات صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع

لا محالة ابداً متعلق بالنهي اي لا تدع ولا تستغفر لهم ابداً ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء روي انه كان عليه السلام يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس المنافقين عبد الله ابن ابي سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمناً صالحاً فاجابه عليه السلام تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلاة او صلى نزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي ووضعناه ليصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم وصلى عليه ثم مشى معه وقام على قبره حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيراً حتى نزلت ولا تصل الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه السلام لان الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال بالكرم على انه مكافأة لقميصه الذي كان البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما ينبئ عنه معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الآباء والامهات والاولاد في كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سيأتي في سورة الكهف انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد في شأنها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر في العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان آمنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استأذنك اولوا الطول منهم اي ذوو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا فيه يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استئناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا الامرين وان لم يرد في الاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي شأنهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم بسبب ذلك فهم لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين آمنوا معه بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد باستئذانهم في القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المذكورة الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور كقوله عز وجل فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشأنهم وربأ بمكانهم اعد الله لهم استئناف لبيان كونهم مفلحين اي هيأ لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع في بيان احوال

احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا لجهدا فأذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقو الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر انهم كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب او من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اي اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتأكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤكد لمضمون ما ذكر مشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم لعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتي انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عامة لما سألوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اي تسيل بشدة من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع مجرورها في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اي يحزنون حزنا فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا له او حزنين او يحزنون حزنا فتكون جملة حالية من الضمير في تفيض الا يجدوا على حذف اللام متعلق بحزنا او بتفيض اي لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم اغنياء واجدون لأهبة الغزو مع سلامتهم رضوا استئناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اي خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا كما لم يعلموا بخساسته عاجلا يعتذرون اليكم استئناف لبيان ما يتصدون له عند القفول اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام جاؤوا يعتذرون بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى رسول الله فقط اي يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم من الغزو ومنتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع

البها قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عم بعد تعميمه فيما سبق لاصحابه ايضا لما ان الجواب و
ظيفته عم واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع لهم لا تعتذروا اي لا تفعلوا الاعتذار لكونه
نوع احسن ابنها ولا تتكلون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبها فلا يساعده قوله
تعالى لن نؤمن لكم اي لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استئناف تعليلي للنهي مبني على سؤال من جانبهم متفرع
على ادعاء الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا ولا نعتد بكم لعدم اذ لا ترتب
عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم
المنافية للتصديق مما انتم عليه من الشر والفساد واضمرتموه في ضمائركم وهيأتموه للايمان في معرض الاعتذار من
الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق رأسا ببيان عدم رواج اعتذارهم
عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول ايضا صلى الله عليه وسلم بواسطة
المصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتي اتتوبون اليه تعالى مما
انتم فيه من النفاق ام تثبتون وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على
فاعله من قوله تعالى ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وقعا وتعلقا وللاشعار بان مدار الوعيد
هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون يوم القيامة الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال
ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته
باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم
تعملون اي بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة
والعائد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها عليها لمراعاة
ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله الخ فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان بانهم ما كانوا
عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله لكم تأكيدا لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا
لها والسين للتأكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الاكاذيب والجملة
بدل من يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم اي انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع
والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم
النبي صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو امر مبتدأ لتعرضوا عنهم وتصفحوا عنهم صفح رضى
فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضى
كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله تعالى انهم رجس فانه صريح في ان المراد بالاعراض
عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود
بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بهما وقوله عز وعلا ومأواهم
جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات ترك الاستصلاح
باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم في ذلك جزاء نصب
على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اي يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة فانها
مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل مجزيون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات او على انه
مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره اي يحلفون به تعالى لترضوا عنهم
بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فان
الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله ساخط عليهم ولا اثر لرضا
من سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل
بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار
بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ وجه واكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل
انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين من دواعي رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير
واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم

تكلموهم وقد جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب
قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادي
ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من سكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب على لفظه فقيل
اعرابي قال اهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع
فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي ويجمع على الاعراب والاعاريب اي اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم ونشئهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا
من باب وصف الجنس بوصف افراده كما في قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما
ستحيط به خبرا واجدر ان لا يعلموا اي احق واخلق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله
لبعدهم عن مجلسه عم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف
الكتاب والسنة والله عليم باحوال كل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم
من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى الفريقين وعدم انحصارهم في
الفريق المذكور كما يتراءى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق
بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون ما حكي حاله بعضا
منهم وهم الذين يصدرون الانفاق من اهل النفاق دون فقرائهم او اعراب اسد وغطفان وتميم كما
قيل لكن لا يساعده ما سيأتي من قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن الخ فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا
وانما هم من الجنس اي من جنس الاعراب الذي نعت بنعت بعض افراده من يتخذ ما ينفق من المال اي يعد
ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا
ورجاء لثواب الله تع ليكون له مغنما وانما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ
من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والتقية لا باعتبار ذات
النفقة اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص
عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما
ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت
ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما
يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل
بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله عز وعلا ما كان ابوك امرأ سوء وقيل معنى الدائرة
يقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو
العذاب كما قيل له سيئة والله سميع بما يقولونه عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما يضمرونه من
الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى ومن الاعراب
من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ اي ياخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار
ما ينفق في سبيل الله قربات اي ذرائع اليها [illegible]
كانه نفس القربات [illegible]
عند الله صفة لقربات او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اي وسائل الى صلواته فانه كان يدعو للمتصدقين بالخير و
البركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه
كما فعله عم حين قال اللهم صل على آل ابي اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف
الايمان بالله تعالى واليوم الآخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن
اتخاذ ما ينفقانه حالا ومآلا [illegible]
الا انها قربة لهم [illegible]
[illegible]
[illegible]

باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد لهم ولمن عقيب الدعاء عليهم وفي السين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستيناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة لما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة من غنيم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي متلبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين المهاجرين والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدأ اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا واعد لهم في الآخرة جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواضع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم الدرجة من مؤمني الاعراب وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدأ المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي مقامه وهو مبتدأ خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمرنوا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الآخر خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شأنه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عم باعيانهم على عدم علمه عم بعد هذا البيان على انه عم يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا تخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم ان المقصود بيان تعلقه بحالهم كما مر في تعليق نفيه بهم وقوله عز شأنه سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته مرتين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل

القتل واما القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير الاسلوب باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت طبقات عذابهم وآخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي وممن يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما هو من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا واما الاعتراف بها من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم المألوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة وامرهم كذلك فسأل عنهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عم وانا اقسم ان لا احلهم حتى او مر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وندمهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وقد زادت تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا واخرا وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روي انه عم اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا او صفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلاتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر

بالصلوة عليهم والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم
من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك لهم عليم بما تقتضيه
الحكمة والجملة ح تذييل للتعليل مقررة لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من الايتين محقق لما فيهما
ألم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها
لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه
وان اسناد الاخذ والتطهير والتزكية اليه عم اي ألم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة
الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما ينبئ عنه كلمة عن والمراد بهم اما
اولئك التائبون ووضع المظهر في موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم
داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه
او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ
الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر
ورفع شأن النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تع ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى وان
الله هو التواب الرحيم تأكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى ليس فيه اي ألم
يعلموا انه المختص المستأثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشأن
دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا بسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين
فقد روي انهم قالوا لما تيب على الاولين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون
فما لهم فنزلت اي ألم يعلموا ما للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك
المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا
زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة وللاولين في الثبات على ما هم عليه اي قل لهم
بعدما بان لهم شأن التوبة اعملوا ما تشاؤون من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب و
ترهيب وقوله عز وجل فسيرى الله عملكم اي جزاءكم خيرا او شرا تعليل لما قبله وتأكيد للترغيب والترهيب
والسين للتأكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتأخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من
التفاوت والمؤمنون في الخبر ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى
ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رأيتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر
وان اريد بها ما لها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز
ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة في وضع الظاهر
موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه
وزيادة خطره على الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس علل او كالعلل
للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة
وعن ابن عباس الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون
فالتقديم ح لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكده بايهام ان علمه تعالى بما
يسرونه اقدم منه بما يعلنونه فكيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة
بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور
البارزة والكامنة واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو
او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم
على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة
بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة به المجازاة بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر
فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة ومن حولها
من الاعراب قوم آخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجئون من ارجيته وارجأته اي اخرته

مطلب مسجد

اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شأنهم قال ابن عباس هم كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال بن امية رضي الله عنهم لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة
واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم رسول الله
ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم او يكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فهجرهم الناس في شأنهم على
اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم
ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من
المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم
هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره
والله عليم باحوالهم حكيم بما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا
مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها
ضرارا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر
مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل
وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعله صلى الله عم حسدتهم اخوتهم
بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله عم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا
اذا قدم من الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عم
يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت
هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح
فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا
وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان
تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله
تعالى صلينا فيه فلما انقفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعى بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام
بقنسرين وكفرا تقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد
قبا مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا وتختلف كلمتهم وارصادا اعدادا وانتظارا وترقبا
لمن حارب الله ورسوله وهو الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله
من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة تبوك
او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الحسنى
الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى والله يشهد انهم
لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم فيه اي في ذلك المسجد للصلوة ابدا حسبما دعوك اليه
لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عم وصلى فيه ايام مقامه بقبا
وهو يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عم
بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ
حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام اما للابتداء او للقسم اي والله
لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتدأ وما بعده صفته وقوله تعالى من اول يوم اي من ايام تأسيسه
متعلق باسس وقوله تعالى احق ان تقوم فيه للصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال
جملة مستأنفة مبينة لاحقيته لقيامه عم فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او
صفة اخرى لمسجد او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه

والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار رأسا وانما عبر عنه بصيغة التفضيل
لتفضيله وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني ومن يتابعه
من الاعتقاد وهو الانسب بما سياتي **يحبون ان يتطهروا** من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله سبحانه
وتعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها **والله يحب المطهرين** اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب
حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا
الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون
وانا معهم فقال عم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عم اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا
نعم قال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم
فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا
يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة
لذنوبهم فحموا عن آخرهم **افمن اسس بنيانه** على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ على البناء للمفعول والرفع
وقرئ أسس بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس بالفتح والكسر جمع أس وقرئ اساس بنيانه جمع أس وقرئ
وأس بنيانه وهي جملة مستأنفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء
للعطف على مقدر اي أبعد ما علم حالهم من اسس بنيانه دينه **على تقوى من الله ورضوان** اي على قاعدة محكمة
هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل ما يؤثم من فعل
او ترك وقرئ تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التأنيث **خير ام من اسس بنيانه** ترك الاضمار للايذان
باختلاف البنائين ذاتا واختلافهما وصفا واضافة **على شفا جرف هار** الشفا الحرف والشفير والجرف ما
جرفه السيل اي استأصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار الهائر المتصدع المشرف على السقوط
من هار يهور ويهار او هار يهير قدمت لامه على عينه فصار كغاز ورام وقيل حذفت عينه اعتباطا اي بغير
موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه **فانهار به في نار جهنم** مثل ما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة
الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه
من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار
ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء **والله لا يهدي القوم الظالمين** اي لانفسهم
او الواضعين للاشياء في غير مواضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا موجبا له لا محالة
واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق بلا اشتباه **لا يزال بنيانهم الذي بنوا**
البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعل للايذان بكيفية بنائهم له وتأسيسه
على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما **ريبة في قلوبهم**
اي سبب ريبة وشك في الدين كأنه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم
في مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في
ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه
رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم
ووهى اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم بعد ابتنائه اكثر مما كانوا يظهرونه قبل
ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى
وصار دوام تأمرهم في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم
وقال الكلبي معناه حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا
في قلوبهم **الا ان تقطع** من التفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تتقطع **قلوبهم** قطعا وتتفرق اجزاء
بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار وهو استثناء من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على
الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فح

فح يسلون عنها واما ما دامت سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز
ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع على بناء المجهول من التفعيل
وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول
من الثلاثي مذكرا او مؤنثا وقرئ الى ان تقطع والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم
على اسناد الفعل مجهولا الى قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد
يصلح للخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة يتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم **والله عليم** بجميع
الاشياء التي من جملتها ما ذكر من احوالهم **حكيم** في جميع افعاله التي من جملتها امره الوارد في حقهم
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر بيان
حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين
انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة
التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة
في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على
ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق
كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل **بان لهم الجنة** مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم
واختصاصه بهم كأنه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا
انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل
بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة
ما عليه النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بأن فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال
بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولم يساء ذلك يكون العوض الجنة الموعودة لا الوعد بها **يقاتلون**
في سبيل الله استئناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشتراء
الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشتراء المذكور كأنه
قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله تعالى
وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى **فيقتلون ويقتلون** بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل
في سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا
اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد
الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجد
المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة
والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا
لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا
بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت
قومهم * وليسوا مجازيعا اذا نيلوا * لا يقع الطعن الا في نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل
وقيل في يقاتلون الخ معنى الامر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم **وعدا عليه** مصدر
مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا **حقا** نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تأخر لكان صفة له
وقوله تعالى **في التورية والانجيل والقرآن** متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التورية
والانجيل كما هو مثبت في القرآن **ومن اوفى بعهده من الله** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد
على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام
الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان
كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود
قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد حتما انه اكرم

من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اى فاذا كان كذلك فسروا بنهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم فى الجهاد الذى عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشراء لان ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذى بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفانى بالباقى ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضى الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروى ان الانصار لما بايعوه عم على العقبة قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال عم اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عم اعرابى وهو يقرؤ قال كلام من قال كلامه عز وجل قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اى الجنة التى جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذى لا فوز اعظم منه وما فى ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته فى الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذى امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا فى نفسه والجملة على الاول تذييل للاية الكريمة وعلى الثانى لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اى التائبون بعض المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اى المخلصون فى عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عم سياحة امتى الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السائحون فى الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون فى الصلوة الامرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصى والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلئلا يتوهم اختصاصه بالاخير وبشر المؤمنين اى الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للايذان بخروجه عن حد البيان وفى تخصيص الخطاب بالاول من الاظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتنشيط ما كان للنبى والذين امنوا بالله وحده اى ما صح لهم فى حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين به سبحانه ولو كانوا اى المشركون اولى قربى اى ذوى قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما فى قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روى انه عم قال لعمه ابى طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها عند الله تعالى فابى فقال عم لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استاذنت ربى فى زيارة قبر امى فاذن لى فاستاذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن وانزل على الايتين من بعد ما تبين لهم اى للنبى عم والمؤمنين انهم اى المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحى بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابرهيم لابيه بقوله واغفر لابى بان توفقه للايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابرهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى الا عن موعدة استثناء مفرغ من اعم العلل اى لم يكن استغفاره عم لابيه آزر ناشئا عن شىء من الاشياء الا عن موعدة وعدها ابرهيم عم اياه اى اباه

اى اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك وقوله ساستغفر لك ربى بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كما قيل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما تبين له اى لابرهيم بان اوحى اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اى تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس فى تركه ونظائره ان ابرهيم لاواه لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استئناف لبيان ما كان يدعوه عم الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابرهيم عم كان اواها حليما فى ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبين بانه عم تبرأ منه بعد التبين وهو فى كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبريا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان محظورا لما استثنى عن الايتساء به فى قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق فى سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اى ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجرى عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بالوحى صريحا او دلالة ما يتقون اى ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به ففيه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شىء عليم تعليل لما سبق اى انه تعالى عليم بجميع الاشياء التى من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل فى معرفته فيبين لهم ذلك كما فعل ههنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم راسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولى اموره والغالب عليه ولا يتأتى لهم نصرة ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبى قال ابن عباس رضى الله عنه هو العفو عن اذنه للمنافقين فى التخلف عنه والمهاجرين والانصار وقيل هو فى حق ذلك سبق منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبى صلى الله عم لما صدر عنه فى بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره فى ساعة العسرة اى فى وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وشربوا وفى شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له عم فى مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة فى بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغنى عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهى الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءه وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبى صلى الله عم وفى كاد ضمير الشأن او ضمير القوم الراجع اليه الضمير فى منهم وقرئ بتاء تأنيث الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين من المؤمنين كابى لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم استئناف تعليلى فان صفة الرأفة والرحمة من دواعى التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثانى عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اى وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابى لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولم يقطع فى شأنهم شىء الى ان نزل فيهم الوحى وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وقرئ خلفوا اى خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم

وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لان قوله تعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول اى خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اى اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بها لعدم الانس والسرور وامتلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه اى علموا انه لا ملجأ من سخطه تع الا الى استغفاره ثم تاب عليهم اى وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب البالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لانواع العقاب روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عم عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما ابطأني وخلفني الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبط زاده ولحق به عم قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عم ماشيا فقال عم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عم رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلفك فقلت له ما خلفني الا حسن بردتي والنظر في عطفيه قال عليه السلام ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة ابن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلى علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين آمنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شأن من الشؤون فيدخل فيه ما ذكروا في توبتهم واناباتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنه خطاب لمن آمن من اهل الكتاب اى كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه عم الى الغزو ولا يرغبوا نصب وقد جوز الجزم بانفسهم عن نفسه اى لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المتابعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اى عطش يسير ولا نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اى مجاعة ما لا اما يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان

الظما والنصب المترتبين حين لم يخلو من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى فلا حاجة الى تأكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد بها تفاوت المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظما اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا حينئذ ليس لتأكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به في سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار اى لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا كائنا بالباس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اى شيئا ينال من قتلهم الا كتب لهم به اى بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجزيل وقيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب بعض ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية المأخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتأكيد النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اى لا يجتازون في مسيرهم واديا وهو في الاصل كل منعرج من الجبال والآكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اى اثبت لهم ذلك الذي يعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اى ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اى طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اى جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اى ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اى وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر اخبارهم لما افاد ذلك وقد قيل للآية وجه آخر وهو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اى ولينذروا البواقي من قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اى شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيه واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سور القرآن فمنهم اى من المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم على تقدير

فعل بنفسه المذكور اي ابكم زادته هذه الخ واراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا باعتبار اعتقاد
المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته
زادتهم ايمانا **فاما الذين آمنوا** جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتبيين لحالهم عاجلا وآجلا
اي فاما الذين آمنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده **فزادتهم ايمانا** بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر
فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بها الى ايمانهم السابق **وهم يستبشرون** بنزولها لما انه
سبب من المنافع الدينية والدنيوية **واما الذين في قلوبهم مرض** اي كفر وسوء عقيدة **فزادتهم رجسا**
الى رجسهم اي كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقائد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك **وماتوا وهم**
كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه **اولا يرون** الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر
اي الا ينظرون ولا يرون **انهم** اي المنافقين **يفتنون في كل عام** من الاعوام **مرة او مرتين** والمراد مجرد
التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة مما يذكر الذنوب
والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون
ما ينزل عليه من الآيات لا سيما القوارع الزائدة للايمان الناعية عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم **ثم لا**
يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى **ولا هم يذكرون** والمعنى او لا يرون
افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون عما هم عليه من النفاق ولا هم يذكرون بتلك الفتن الموجبة
للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجيب اي الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة
التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله ثم لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على
يفتنون **واذا ما انزلت سورة** بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان لها لانهم
وهم غائبون عنه **نظر بعضهم الى بعض** تغامزوا بالعيون انكارا لها او سخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم
هل يراكم من احد اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين لننصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها و
يغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم
من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز الفرصة فان المرء بشأنه اكثر
اهتماما منه بشأن اصحابه كما في قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذا ما انزلت سورة
ضمنوا للمنافقين **ثم انصرفوا** عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم
رؤية احد من المؤمنين اي انصرفوا جميعا عن محفل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك **صرف الله قلوبهم**
عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية **بانهم** اي بسبب انهم **قوم لا يفقهون**
لسوء الفهم او لعدم التدبر **لقد جاءكم** الخطاب للعرب **رسول** اي رسول عظيم الشأن **من انفسكم** من
جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم **عزيز عليه ما عنتم** اي
شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتائج
ما سلف من المجانسة **حريص عليكم** اي على ايمانكم وصلاح حالكم **بالمؤمنين** منكم ومن غيركم **رؤوف رحيم**
قدم الابلغ منهما وهي الرأفة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل **فان تولوا** تلوين للخطاب
وتوجيه له الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك **فقل حسبي الله** فانه يكفيك ويعينك
عليهم **لا اله الا هو** استئناف مقرر لمضمون ما قبله **عليه توكلت** فلا ارجو ولا اخاف الا منه **وهو**
رب العرش العظيم اي الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ
العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا
ما خلا سورة التوبة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة والله اعلم

سورة يونس مكية مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للالف الاصلية مجرى المنقلبة عن الياء وقرئ بين بين وهو اما
مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل لها

لها من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة
مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع
لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح
الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام
نحو اذكر او اقرأ وكلمة **تلك** اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزل
حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس
هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونها اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها
بتعيين اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في
الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره قوله تعالى **آيات الكتاب** وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان
او بدل من الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضيتها منه وصفها
بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن العظيم وان لم
ينزل الكل حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وعلا او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة
الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبأم القرآن في عهد النبوة ولما
يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات المذكورة واما
جميع القرآن النازل وقتئذ اذ عطف على قوله اما جميع القرآن العظيم المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما
يطلق على المجموع الشخصي يطلق على جميع ما نزل في كل عصر الا يرى الى ما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهما اكثر اخذا للقرآن فاذا
اشير له الى احدهما قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على النفاد
في الاخذ انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله سبحانه او في اللوح ولا
لنزوله جملة الى السماء الدنيا **الحكيم** ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو
من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم
الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما في ضمنها من الآي فانها
في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغي ان
يكون المشار اليه حينئذ كل واحدة منها لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه
ولا للتخصيص بوصف المضاف اليه بالحكمة فائدة لان ما قصد من مدح المضاف بالمضاف اليه من صفات الكمال
ولان في بيان اتصاف كل منها بالكمال لما ان ما فيه بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر اليه من
الكتاب عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيه
والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف
كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القرآن الكريم
اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله وداخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف
اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما
عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله تعالى قال الكافرون
الخ لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطئهم
واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجيب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على
التوسع المشهور في الظروف وقيل بالمصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه وقيل
متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان الناقصة على الحدث **ان اوحينا** اسم كان قدم عليه الخبر وقيل متعلقة بكان
وهو مبني على دلالة لا اجرها اهتماما بشأنه لكونه مدار الانكار والتعجيب وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم
تفصيلا ففي مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر
ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تأويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار ان عجبا

كان تامة وان اوحينا متعلق بعجبا على حذف حرف التعليل اى لان اوحينا او بعجب اى من ان اوحينا او بدل
من عجبا لكن لا على توجيه الانكار والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحية المبدل منه
ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا لهم للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح
حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اى الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من افنائهم من حيث المال
لا من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا
مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو كان في
الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق
مفاوضة الملائكة كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك
التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية
المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب
واما الثاني فلما ان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة و
الصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم
في انه عم في ذلك الشأن في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم في الرياسة
الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنيئة فلا دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا فالعجب كل العجب لو
كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ان انذر الناس ان مصدرية وتجويز كون
صلتها امرا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ وقوع
الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى
المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل
لا لقصور في دلالة الانشاء على المصدر او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من
الثقيلة على حذف ضمير الشأن والقول عن الخبر والمعنى ان الشأن قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة
لا اربابهم بالاول وهو النكتة في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول عند اعادة المعرفة ليس
على الاطلاق وبشر الذين آمنوا بما اوحيناه وصدقوه ان لهم اى بان لهم قدم صدق اى سابقة وفضلا ومنزلة
رفيعة عند ربهم وانما عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة
باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق
للدلالة على تحققها وثباتها والتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق
لا ينفك عن الصدق قال الكافرون هم المتعجبون وايرادهم ههنا بعنوان الكفر لما لا حاجة الى ذكر سببيته وترك
العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار ولكونه استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل
ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة
التأكيد ان هذا يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على الانذار
والتبشير لسحر مبين اى ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة الى رسول الله عم وقرئ ما هذا الا سحر مبين
وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر
ولكنهم سموه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب المفحم المحجوج ان ربكم كلام
مستأنف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة عقيب الاشارة اليه
بالانكار والتعجيب وتحقيق حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه الاجمالي على بعض ما
يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكير
لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل
افلا تتقون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض الى قوله ومن يدبر الامر فسيقولون الله اى ان
ربكم ومالك امركم الذي تعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحي اليه من
الكتاب الحكيم سحرا هو الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما من اصول الكائنات في ستة ايام اى

في ستة اوقات او في مقدار ستة ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس
فوق الارض مما لا يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها
دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الاحوال والاطوار واما تخصيص
ذلك بالعدد المعين فأمر قد استأثر بعلمه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار
صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والاحكام
ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه
او استواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه سبحانه استوى
على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد
بيان عظمة شأنه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار
الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت
السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى واحوال لا تكاد
تحصى من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات اى يقدر ما ذكر من امر الكائنات
الذي من جملته ما تعجبوا منه امر البعث والوحي فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا
وبقاء في اوقاتها المعينة ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما تقتضيه الحكمة
ويستدعيه المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوز كونها خبرا ثانيا او مستأنفة
لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء على العرش المنبي عن اجراء احكام الملك وعلى
كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد التدبير واستمراره ودوامه وقوله تعالى ما من شفيع بيان لاستبداده
سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع على الاستغراق
يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله يدبر
الامر جار مجرى قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تعالى الا من
بعد اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه
المبني على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة
كقوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة
على عظم جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك العظيم الشأن المنعوت
بما ذكر من نعوت الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله تعالى ربكم بيان له او بدل منه
جريان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربكم الذي خلق السموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير
ولتفريع الامر بالعبادة عليه بقوله تعالى فاعبدوه اى وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا
عن جماد لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وآمنوا بما انزله اليكم افلا تذكرون اى تعلمون ان الامر كما
فصل فلا تتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه
استقلالا او اشتراكا مرجعكم اى بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه
فاعلا في المعنى اى اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه
لان قوله عز وجل اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اى وعد الله وايا ما كان فهو دليل
على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة
الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدأ الخلق وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استئناف
علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة
او سيئة وقرئ بالفتح اى لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدء الخلق ثم
اعادته ومرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بدء الخلق الخ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بالقسط اى بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اى ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم

اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر وبقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم الاعمال
الصالحات وهو الأنسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول
لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان
بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية لخلق بدائه ولعادته وانما
يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو الاثابة هو الذي جعل
الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته بآثار صنعه في النيرين
بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض
افراد التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير
البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرائق الهدى وتعيين
مهاوي الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من مفعوله اي خلقها حال
كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي
جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بمعنى انها كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك
كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة من
الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام
في الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وفيه اشعار بان نوره مستفاد من
الشمس وقدره اي قدر له وهيأ منازل او قدر مسيره في منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير
معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة
في تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاه
ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثمانية والعشرين فاذا كان
في آخر منازله دق واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس في كل منزلة منها ثلاثة
عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطان والبطين
الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة
العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع
سعد السعود سعد الاخبية فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت لتعلموا
بتفاوت الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما في تلك المنازل عدد
السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اي حساب الاوقات من
الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات
لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان
الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص
وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك
من اربعة وعشرين ساعة مثلا والعدد مجرد احصائه بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شيء كذلك
ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي مراتب الاعداد وحكم مستقل
اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود
نفعا وحيث اعتبر في الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها
الحساب المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذي يتعلق به العدد
طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها
من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد تحصل كل طائفة منها بطائفة من الساعات فان ذلك
وظيفة الحساب بل من حيث ان كل فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير ان يعتبر معه شيء غير ذلك وتقديم

وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين
علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهتان او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر آخر
حسبما حقق آنفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب ما خلق الله ذلك اي ما
ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما
كذلك كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما
هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل الا بالحق استثناء مفرغ من اعم
احوال الفاعل والمفعول اي ما خلق ذلك ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة
او مراعيا فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم
يفصل الآيات اي الآيات التكوينية المذكورة او جميع الآيات فيدخل فيها الآيات المذكورة دخولا اوليا
او يفصل الآيات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون الحكمة في ابداع الكائنات
فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الآيات المنزلة فيؤمنون بها
وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه آخر اجمالي على ما ذكر اي
في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون
الارض او في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس
بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر
فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة
منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله
نهارا وما خلق الله في السموات والارض من اصناف المصنوعات لآيات عظيمة او كثيرة دالة على وجود
الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول وانزال
الكتاب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى والحذر
من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات آيات دون غيرهم وكأين من آية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات
الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى يعيدهم بعد بدئهم ليجزيهم بالحق ثوابا وعقابا وتفصيل بعض
الآيات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما في قوله تعالى
اني ظننت اني ملاق حسابيه واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة تهويل الامر والمراد
بعدم الرجاء عدم التوقع المطلق المنتظم لعدم الأمل وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع
المأمول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء العقاب
فلا يأملون الاول ولا يخافون الثاني وبقوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا فانه منبئ عن ايثار الادنى الخسيس على
الاعلى النفيس كما لا يخفى كأنه قيل ورضوا بالحياة الدنيا بدل الآخرة واطمأنوا بها
اي سكنوا فيها سكون من لا ازعاج له منها آمنين من [illegible]
وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة
الابدية ورضوا بدلا منها بالحيوة الدنيا الدنية من الكرامات السنية [illegible]
اليها مكبين عليها قاصرين مجامع همهم على لذائذها وزخارفها من غير [illegible]
اشارة [illegible] عن مجرد الوصول والانتهاء [illegible] ودوام المصاحبة
والمؤانسة وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضى بالحيوة الدنيا فانها [illegible]
واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار
صيغة المستقبل في الاولى للدلالة على الاستمرار على عدم الرجاء والذين هم عن آياتنا المفصلة في صحائف الاكوان
حسبما [illegible] او آياتنا المنزلة المنبهة على ذلك [illegible]
من اللقاء المرتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمأنوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها

اصلا وان نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما صدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير
الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير
الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب
هذا واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات
راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الاخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من
انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل فكلام ناء عن السداد
فتأمل اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء مأواهم اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه النار
لا ما اطمأنوا بها من الحيوة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من
اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي
والباء متعلقة بمضمون الجملة الجزء الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى
لقاءنا الخ ان الذين آمنوا اي فعلوا الايمان او آمنوا بما يجب ان يؤمن به من الايات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب
ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان
وترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء يهديهم ربهم ايراد الالتفات تشريفا باضافة الرب اليهم مع
الاشعار بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم يذكر تعويلا
على ظهورها واشتياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما اداهم اليه من الاعمال
السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي
في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم
لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو الايمان الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة
لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك بمعزل من الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة
من ان الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة بالجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الاية الكريمة
ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة
لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون
ناطق بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على
ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجري
من تحتهم الانهار اي من بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري وهم على سرر مرفوعة
وارائك مصفوفة والجملة مستأنفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقدير كون المهدى
اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب
والجنة وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة في
حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العملية كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه
الله علم ما لم يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد
بالمهدى اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتدأ وقوله عز وجل فيها
متعلق به وقوله تعالى سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو مفعول القول المقدر لا يجوز اظهاره اي
اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند ما عاينوا فيها من تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته
ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان
وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله
حيوة طيبة او ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة من كل مكروه وآخر
دعواهم اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات
الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء

الدعاء وان هي المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله فخفف وضمير الشان كما في قوله ان هالك كل من
يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين
دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق
ودعوى كون ترتيبها الوقوعي ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه
مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم
بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه يأباه اضافة الآخر الى دعواهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء
العبادة كما في قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون الخ ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم
الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه ينطقون به تلذذا ولا يساعده تعميم الخاتمة
ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء
اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا
واستهزاء وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق
الاستدراج اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم
بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي ووضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب
المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير
نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم
به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم
واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء مع
الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط
وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع
موقع الماضي ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام
كما حقق في موضعه واعلم ان مدار الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه
مترتبا عليه في الوجود كما في قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة
والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا من البقية بامر
يخصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقوله ولو ترى اذ وقفوا
على النار وقوله ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرأيت امرا هائلا فظيعا او نحو ذلك وكما
في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذ المراد الجواب بالاستئصال
فانه فرد كامل من افراد مطلق المؤاخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة
يحسن موقعه في معرض التالي للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر
في نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزء منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر في
مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة
مصححة لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور
وجودا وعدما كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل
العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزء من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا
او عدما مزيد فائدة واما الفائدة في بيان ترتبه على ارادتها خصوصا ما ذكر والنص في ترتيب التالي على ارادة
المقدم ما ليس في ترتبه على نفسه من الدلالة على المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور المنوطة
بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد بكل
الوعيد وهو عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما لا يقتضيه الحكمة فنتركهم
امهالا واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك

من اعمالهم السيئة وفقا لانهماكهم فيها يعمهون يترددون ويتحيرون ففي وضع الموصول موضع الضمير نوع بيان
للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس الانسان الضر اي اصابه جنس
الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعى بشهادة
ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اي دعانا كائنا على جنبه اي
مضطجعا او قاعدا او قائما اي في جميع الاحوال بما ذكر وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم
خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع الاحوال من مرضه على ان المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن
القعود وقاعدا لعجز قادر على النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه غب ما
دعانا كما ينبئ عنه الفاء مر اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسي حالة
الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كأن لم يدعنا اي كأنه لم يدعنا فخفف وحذف
ضمير الشأن كما في قوله كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل
مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا الى ضر اي الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن
هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي وما فيه من معنى
البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في
غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اي
للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها
الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فاذا صرفوها الى ما لا ينبغي وهي رأس مالهم
فقد اسرفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهته تعالى على طريقة التخلية والخذلان او من
الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الآية
الكريمة بما قبلها من حيث ان في كل منهما املاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر
في الاولى ومن الضر المقدر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون اي القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد و
اضرابهم وفي قوله تعالى من قبلكم متعلق باهلكنا اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة
الالتفات للمبالغة في تشديد التهديد بعد تأييده بالتوكيد القسمي لما ظلموا ظرف للاهلاك اي اهلكناهم
حين فعلوا الظلم بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير وجاءتهم رسلهم الواو للحال من ضمير ظلموا
وقوله وجاءتهم رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية
او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم
رسلهم بالآيات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون العطف
على ظلموا وقد جوز ان يكون قوله وجاءتهم عطفا على ظلموا فلا محل له من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله
الجر لانه معطوف على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس الظلم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار
بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما في قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا
له سجدا بل هو محمول على سائر انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ
وجه وآكده فان اللام لتأكيد النفي اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله
تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لا على جاءتهم لاخلاله باحداث التكذيب ومدلول
بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني
قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع اي الاهلاك الذي
هو الاستئصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد
لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون
ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز
ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام
ويأباه كل الاباء قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض لامورهم

وانهم ما يتبين به انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر بان ما لهم نحو الايمان
والطاعة فجاز ان يكون ذلك ازديادا الى ان ينتهي امرهم وخطابهم بتشديد القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى
ثم استخلفناكم في الارض بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون آثارها استخلاف
من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهي استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية
بتعملون لا بننظر فان ماله الصدر من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او على الحالية اي على
اي حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه
اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة
واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا
آثارها بعضها فضلا عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول
به اي اي عمل تعملون خيرا ام شرا فيعاملكم بحسبه فلا يكون في كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء
جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو رأي القائل بل تكون حينئذ مستعارة لمعنى اي شيء واذا
تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالآيات البينات وغير
ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الآتي حسب تجدد
التلاوة آياتنا الدالة على حقية التوحيد وبطلان الشرك والاضافة للتشريف والترغيب في الايمان
به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول
مسندا الى الآيات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعيين التالي
وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع
الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم انما اجترؤوا عليها لعدم خوفهم من
عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مباديه من البعث وذمهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها
عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعيينه ائت بقرآن غير هذا اشارة بهذا
الى القرآن المشتمل على تلك الآيات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب آخر
نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم آلهتنا ومعايبها والوعيد
على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى خالية عنها
وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء به قل لهم ما يكون لي اي ما
يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل
ظرفا وفي ترك التعرض للاول وقصر الجواب على بيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة
ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل
المجاراة مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة الثاني يدل على
استحالة الاول بالطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما آتي واذر الا ما يوحى الي من غير تغيير
له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر
من ظاهر العبارة كأنه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام وهو تعليل
لصدر الكلام فان من شأنه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه قطعا وفيه جواب للنقض
بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذه المسألة من ان القرآن كلامه عليه السلام ولذلك
قيد التبديل في الجواب بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى اني
اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره عليه السلام
على اتباع الوحي اي اخاف ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن
اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة او يوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوا
بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته

وأراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظم لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه والإشاعة بحمل مقترحهم
على التبديل والإتيان بقرآن آخر من جهة الوحي بتفسير قوله تعالى ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي بأنه لا
يحل لي أن أبدله بالاستدعاء من جهة الوحي ما أتبع إلا ما يوحى إلي من غير صنع ما من الاستدعاء وعن
أن لا نرده التعليل المذكور لا لأن المقترح ح ليس فيه معصية أصلا كما توهم فإن استدعاء تبديل
الآيات النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه
معصية بل لأنه ليس فيه معصية الاقتراء مع أنها المقصودة بما ذكر في التعليل الأحرى إلى ما بعد من الآيتين
الكريمتين فإنه صريح في أن مقترحهم الإتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وأن زعمهم في الأصل
أيضا كذلك وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن وكونه من عند الله
تعالى إثر بيان بطلان ما اقترحوا الإتيان به واستحالته عبارة ودلالة وإنما صدر بالأمر المستقل مع كونه
تحت الأمر السابق إظهارا لكمال الاعتناء بشأنه وإيذانا باستقلاله مفهوما وأسلوبا فإن تنزيهه عن ذلك
منوط به بأمر الله تعالى ومشيئته كما سيأتي وما سبق مجرد إخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف
ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فإن مفعول المشيئة إنما يحذف إذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون
الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله • ولو شئت أن أبكي دما لبكيته • حيث لم يحذف لفقدان
الشرط الأخير ولأن المستلزم للجزاء أعني عدم تلاوته عم للقرآن عليهم إنما هو مشيئته تع لا مشيئته لغيره
والمعنى أن الأمر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لأن شاء
تلاوتي له من تلقاء نفسي بأن لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته كما ينبئ عنه إيثار التلاوة على القراءة ما
تلوته عليكم ولا أدراكم به أي ولا أعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والإدراء منتف فينتفي
المقدم أعني مشيئة عدم التلاوة ولا يخفى أنها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم
لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشيئة التلاوة إنما يكون بتحقق مشيئة التلاوة فثبت أن تلاوته عم للقرآن بمشيئته
تعالى وأمره وإنما قيدنا الإدراء بكونه بواسطته عم لأن عدم الإعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو
مشيئة عدم تلاوته عم فلا يجري نظمه في سلك الجزاء وفي إسناد عدم الإدراء إليه تعالى المنبئ عن استناد
الإدراء إليه تع إيذان بأن لا دخل له عم في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولأدرأكم بالهمزة فيهما على
لغة من يقول أعطأت وأرضأت في أعطيت وأرضيت وعلى أنه من الدرء بمعنى الدفع أي ولا أجعلكم بتلاوته
خصماء تدرءونني بالجدال وقرئ ولا أنذرتكم به وقرئ ولأدراكم بلام الجواب أي لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولأعلمكم به على لسان غيري على معنى أنه الحق الذي لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيري ألبتة أو على
أنه تعالى يمن على من يشاء بهذه الكرامة فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته
بمشيئة الله عز وجل وأمره حسبما تبين آنفا لا بطريق الاستدلال لأن علمهم بعدم تلاوته عم فيما سبق مشيئته
إياه بل بطريق الاستشهاد وعلمهم بما شاهدوه منه عم في تلك المدة الطويلة من الأمور الآتية علة
لكون التلاوة من جهته عم بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد أقمت فيما
بينكم دهرا مديدا مقدار أربعين سنة تحفظون تفاصيل أحوالي طرا وتحيطون بما لدي خبرا من قبله
أي من قبل نزول القرآن لا أتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن
أسرار الحقائق وأحكام الشرائع أفلا تعقلون أي ألا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي
ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فإنه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد عنه
أن من له أدنى مسكة من العقل إذا تأمل في أمره عم وأنه نشأ فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة
العلماء في شأن من الشئون ولا مراجعة إليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار
ولا خوض معهم في إنشاء الخطب والأشعار ثم أتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته
كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى بحاؤه بدائع أصناف العلوم كاشفا عن أسرار الغيب من وراء
أستار الكمون ناطقا بأخبار ما قد كان وما سيكون مصدقا لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمنا عليها في
أحكامها المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في أنه وحي منزل من عند الله تعالى هذا هو الذي نعت

انتفت عليه كلمة الجمهور ولكن الأنسب بشأنه الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه
لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصاره على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير
تعرض هنالك ولا هاهنا لكون القرآن في نفسه أمرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عم غير قادر على
الإتيان بمثله أن يستشهد هاهنا على المطلب بما لا يرتاب فيه من أحواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة
من كمال نزاهته عما يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه فهو أبعد كائنا من كان بالكلية
عنه فتعقبه بتظليم المفترين على الله تعالى والمعنى
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا
[illegible]
أو كذب بآياته
[illegible]
إنه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله
[illegible]
ما لا يضرهم ولا ينفعهم
[illegible]
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
عن النضر بن الحارث إذا كان يوم القيامة يشفع لي اللات
[illegible]
قل أتنبئون الله بما لا يعلم

بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاء لهم عند الله تع اذ لو كان لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم
بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى
في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي لان ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة
سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين يعتقدونهم
شفعاء لهم عند الله تع وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض
تذييلي من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة
اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور و
لعصا الجماعة واما حمل اتخاذهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع
والاصرار فمما لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف
وذلك من عهد ادم عم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمان ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما السلام وقيل
من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابرهيم
الى ان اظهر عمرو بن لحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الاية الكريمة اثر
حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت اخرون
على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة لملة
الاخر فان الكلام ليس في ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضى بينهما بابقاء المحق
واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان وقوع الاختلاف عقيب
انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير
العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن
الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية للدلالة على الاستمرار ويقولون
حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء
والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا اية من الايات التي
اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد وغاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات النازلة عليه عم من
جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الايات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى
الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمي دون
التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم
النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله تعالى لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين
اي لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن
الصارف عن انزال الايات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا
الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى
الضراء بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الاداب القرانية كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ف
نظائره قيل سلط الله على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون
في اياته تعالى ويعادون رسوله عم ويكيدونه وذلك قوله تعالى اذا لهم مكر في اياتنا اي بالطعن فيها وعدم
الاعتداد بها والاحتيال في دفعها واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجؤا وقوع المكر منهم
تنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اي اعجل عقوبة اي
عذابه اسرع وصولا اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم
وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون اعمالكم يكتبون ما تمكرون اي مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق
للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة
الاستقبال في الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره سبحانه
غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم

عليهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلعم
اليهم للتشديد في التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون تعليلا لما ذكر اولا هو الذي يسيركم
كلام مستانف مسوق لبيان جناية اخرى مبنية على ما مر انفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف
ما يعتريهم من السراء والضراء اي يمكنكم من السير ويمكنكم منه تمكينا مستمرا على الملابسة به وقتيا في البر مشاة
وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وجل بشر تنتشرون والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
اي السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد لا على وزن قفل وغاية التسيير ليست ايضا ركوبهم ث
فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث
وجرين اي السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض
عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات
بل معنى قوله تع حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون في
البر كالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه
اي او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح
الطيبة وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اي تلقتها واستولت عليها
من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا لريح اخرى عادة بل هو اشتداد للريح الاولى
وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزامه الثاني من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة يعد ن
مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولا
التهويل في بيان استيلائها على ما فرحوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اي ذات عصف
وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى فارق وقيل الريح قد يذكر وجاءهم الموج في الفلك من كل مكان
اي من امكنة مجيء الموج عادة ولا يعهد في مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة
هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم
اي هلكوا فان ذلك مثل في الهلاك اصله احاطة العدو بالحي او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا
الله بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استيناف مبني على سؤال ينساق اليه
الاذهان كانه قيل فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم
لا مخلصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون
مخلصين له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا من
هذه الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة المسؤلة
وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثاني للاقتصار
دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في
الشكر مثابرين عليه منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن نه
فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم يبغون في الارض اي
فاجؤا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين في ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حد و(البغي) من قولهم
بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع هـ
للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تعالى بغير الحق تاكيد لما يفيده البغي او معناه انه بغير الحق عند
ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير
الحق واما ما قيل من الاحتراز عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم
فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من
المعنى اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه للخطاب الى اولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة
في الوعيد انما بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدا وقوله تعالى على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على
الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة

شاعر معناه به سريع الزوال داع الوبال وهو نصب على انه مصدر موكد لفعل مقدر بطريق الاستيناف اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اى متمتعين بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذى فى الخبر لا نفس البغى لانه يؤدى الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس فى تقييد كون بغيهم على انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اى زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اى تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغى بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكى عنهم من البغى المفرط بالانفاد والمفرط اللاتى بحالهم فاى مناسبة بينه وبين البغى بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغى لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اى تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستانفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور وظاهر الفساد ونحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغى بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه فى الجملة لكن الحق الذى تقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف اى هو متاع الخ كما فى قوله عز وجل الا ساعة من نهار بلاغ اى هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال لحمله على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حتى يقتضيه ما حكى عنهم ولم يجر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصود الافادة على ان عنوان كونه وبالا عليهم قادح فى كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادى ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق واما كون البغى على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادى التمتع من اخذ المال والاستيلا على الناس وغير ذلك واما على الوجهين الاخرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدأ اما نفس البغى والضمير العائد اليه من حيث هو هو لا من حيث كونه عليهم كما فى صورة كون الظرف صلة للمصدر وتقدير وقرئ متاعا الحيوة الدنيا اما نصب متاعا فعلى ما مر واما نصب الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل الاشتمال وقيل انه مفعول به لمتاعا اذ لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فمن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه عليه السلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كأنه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون فى الدنيا على الاستمرار من البغى وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة ابية وهى ان كل ما يظهر فى هذه النشاة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التى بها يظهر فى النشاة الآخرة فان المعاصى سموم قاتلة وقد برزت فى الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فالبغى فى هذه النشاة وان برز بصورة تستحسنها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفى من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع فى الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وانما يظهرهم عند ذلك ابراز ما كانوا يعملونه من البغى بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا يرونه فيها على

على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف مسوق لبيان شأن الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبهت حالها العجيبة الشأن البديعة المثال المنتظمة لغرابتها فى سلك الامثال فى سرعة تقضيها وانصرام نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات فى زوال رونقها ونضارتها فجاءة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعدما كانت غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف فى قوله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما يأكل الناس والانعام من البقول والزروع والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض فى تزينها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة آخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التى قد اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا جواب اذا اى ضرب زرعها ما يجتاحه من الآفات والعاهات ليلا او نهارا فجعلناها اى زرعها وسائر ما عليها حصيدا اى شبيها بما حصد من اصله كأن لم تغن كأنه لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اى فيما قبل زمان قريب فان الامس مثل فى ذلك كأنه قيل لم تغن آنفا كذلك اى مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الآيات اى الآيات القرآنية التى من جملتها هذه الآيات المنبهة على احوال الحيوة الدنيا اى نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون فى تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات ما ذكر فى اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكى ايجادا واعداما فانها آيات وعلامات يستدل بها على من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس فى الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اى يدعو الناس الى دار السلامة عن كل مكروه وآفة وهى الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للآفات او الى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة التشريف بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله او الملائكة فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدى من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا اى اعمالهم اى عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اى المثوبة الحسنى وزيادة اى وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله عز اسمه ويزيدهم من فضله مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم اى لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اى اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اى شىء منهما والجملة مستانفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب فى الثانى وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذكارا بما ينقذهم الله تعالى برحمته وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فى الفاعل ضرب تفصيل كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله تعالى وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اى اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين كسبوا

بعينه

ن

السيئات اي الشرك والمعاصي وهو مبتدا بتقدير المضاف خبره قوله جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين
كسبوا السيآت ان يجازوا سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة وتغيير السبك
حيث لم يقل وللذين كسبوا السيئات السوآى لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافي والتباين وايراد الكسب
للايذان بان ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جناياتهم على انفسهم او الموصول معطوف على الموصول الاول
كانه قيل وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على
ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى
انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم بالياء التحتانية
ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم
كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفة او حال من ضمير
ترهقهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل
فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او
معنى الفعل من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال

افتحي الباب وانظري في النجوم ۝ كم علينا من قطع ليل بهيم ۝

فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها
مستانفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب
النار هم فيها خالدون وحيث كانت الآية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها
تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستانف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتاخيره في
الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق واللاحق
بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما
قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اي انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين احسنوا
والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى
ثم نقول للذين اشركوا اي نقول للمشركين من بينهم ولان توبيخهم وتهديدهم على رؤس الاشهاد
افظع والاخبار بحشر الكل في تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر في حيز الصلة من بين
سائر ما ارتكبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم
وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفا مكانكم
نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو راي الفارسي
اي الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه ازيله اي ازلته
والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لزيادة التوبيخ والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التزييل
ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة
اي فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب
العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجيء فخابت آمالهم وانصرمت عرى اطماعهم
وحصل لهم الياس الكلي من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين
الموت والابتلاء بالعقاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل
المراد بالتزييل التفريق الحسي اي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم
كما في قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو ح في قوله تع وقال شركاؤهم
حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول لاستدعائه
المجاورة المحاضرة بالغاية المباعدة وليس في ترتيب التزييل بهذا المعنى على الامر بلزوم المكان وما في

في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة لبعضها لاجل رعايتها الى تغيير الترتيب الخارجي
فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس كذلك بل ابتداؤه حاصل
من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما اشير اليه
فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لا سيما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تاخر جميع مراتبه
عن المحاورة فمراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان تكون حالية على
هذا التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم
فيفيد تاييد رجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون عبارة عن تبريهم من
عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم لانها الآمرة لهم بالاشراك
دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم الآية وقيل الاصنام ينطقها الله تعالى الذي انطق
كل شيء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال
الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وفي
تقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما لا ريب فيه وان لم يكونوا
مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اي في ذلك المقام الدهش او في ذلك
الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان تبلوا اي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت او كافرة
سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع او ضر وخير او شر واما ما
علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ بنون العظمة ونصب كل وابدال
ما عنه اي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من
العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة بنزع
الخافض وقرئ تتلو اي تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرا في صحيفة
اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا وما عطف عليه
وقوله تعالى هنالك تبلوا الخ اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى الله اي الى جزائه
وعقابه مولاهم ربهم الحق اي المتحقق الصادق ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا وقرئ الحق بالنصب
على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد وعلى المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع اي ظهر ضياعه لا انه كان
[illegible] ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا [illegible]
انها آلهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلوا وان
العدول الى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى
يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه الغرض من وصف الجنة في قوله تعالى مولاهم الحق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] تهويل المقام والله تعالى اعلم قل [illegible]
يؤدي اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم من السماء
والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة
عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار
ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لا على طريقة الابطال بل على وجه الانتقال
وصرف الكلام عنه الى استفهام آخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على
هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شيء يصيبهما ومن يخرج
الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت او ومن ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان

ومن يدبر الامر اى ومن يلى تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور
الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخر الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف
اى الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند ذلك تبكيتا لهم أفلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقا
بمعنى انكار الواقع كما فى اتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما فى أأضرب أبى والفاء للعطف على مقدر ينسحب
عليه النظم الكريم اى اتعلمون ذلك فلا تقون انفسكم عذابه الذى ذكرتكم بما تتعاطونه من اشراككم به ما لا
يشاركه فى شىء مما ذكر من خواص الالهية فذلكم فذلكة لما تقدم اى ذلكم الذى اعترفتم باتصافه
بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تعالى الله خبره وقوله ربكم اى مالككم ومتولى اموركم على الاطلاق
بدل منه او بيان له وقوله تعالى الحق صفة له اى ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب
فيه فماذا يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى
الذى اى ما الذى بعد الحق اى غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة
التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع ونفيه اى ليس
غير الحق الا الضلال الذى لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجميلة
حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من
اعمال الجوارح لابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأى هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد
واما على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فما ذا بعد الرب الحق
الثابت ربوبيته الا الضلال اى الباطل الضائع المضمحل وانما سمى بالمصدر مبالغة كأنه نفس الضلال و
الضياع وهو انسب بقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون وعلى التفسير الثانى فأنى تصرفون استفهام
انكارى بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس فى توجيه الانكار الى نفس الفعل
لان كل موجود لا بد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد
انتفى وجوده على الطريق البرهانى كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اى كيف تصرفون من الحق
الذى لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة
ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضياعه فى الآخرة وفى ايثار صيغة المبنى
للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه
بالقسر من جهة صارف خارجى كذلك اى كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال
او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا اى تمردوا فى الكفر وخرجوا
من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم
احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان
اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله فى
اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعل اهلية الاعادة وتحققها لوضوح مكانها وسنوح برهانها
بمنزلة بدء الخلق فنظمت فى سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما
يستلزم الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر عليه السلام بان يبين لهم من يفعل
ذلك فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اى هو يفعلهما لا غيره كائنا من كان لا بان ينوب عنهم فى
ذلك كما قيل لان المقول المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤول عنه من يبدأ
الخلق ثم يعيده كما فى قوله تعالى قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين
الجواب الذى اريد منهم ويكون ذلك نيابة عنهم فى ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم
فالجواب المطلوب منهم لا غير نعم امر عليه السلام بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم
لا يجترئون على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا وتقدير واعادة الجملة فى الجواب بتمامها
غير محذوفة الخبر كما فى الجواب السابق لمزيد التأكيد والتحقيق فأنى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشىء
وقد يخص بالقلب عن الرأى وهو الانسب بالمقام اى كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر فى تصرفون

تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم عقيب الزام وافحاما اثر افحام وفصله عما
قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدى الى الحق اى بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية
هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم واما تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال
الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل فمخل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية
على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل
باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل ههنا
اسنادها الى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدى للحق اى هو يهدى له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب
الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون الهدايات والكلام
فى الامر والسؤال والجواب كما مر فيما سبق أفمن يهدى الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدى
بكسر الهاء اصله يهتدى فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها بحركة الهاء وقرئ
بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اى لا يهتدى بنفسه فضلا عن هدايته لغيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى
وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق نفى الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدى
الى الحق لا يخلو عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما فى الجملة وادناها كونه قدوة له بان
يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدرى والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم
هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب
الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع فى بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكارى كما فى قوله تعالى
أفمن اتبع رضوان الله الخ ونحوه والهمزة متأخرة فى الاعتبار وانما تقديمها فى الذكر لاظهار عراقتها فى
اقتضاء الصدارة كما هو رأى الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اى لاخرت حتما الا ترى الى قوله تعالى فاى الفريقين
احق بالامن ان كنتم تعلمون بما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ لا يهدى
بمعنى لا يهتدى لمجيئه لازما او لا يهدى غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف
كما اختاره ابو حيان واياما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع فى حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف
المعروف اى بان يتبع الا ان يهدى استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا يهتدى او لا يهدى غيره فى حال
من الاحوال الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة
والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا
ان ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة
فما لكم اى اى شئ لكم فى اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه والاستفهام للانكار التوبيخى وفيه تعجيب
من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اى بما يقضى صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منه
وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادى الى الحق ان قلت
التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر فى حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدى بالاتباع دون
من يهدى وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا
مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقهما للاتباع بطريق
الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم
له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل فى حيز الامر مسوق من قبله
تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما الجمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادى الى الحق الناعى
عليهم بطلان حكمهم وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اى ما يتبع اكثرهم فى
معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا
مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها
ويقفوا على صحتها وبطلان ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع
مطلق الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من انه لا يكون

ش وانتقد بان السكاكى [illegible]

لهم في اثباته اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان
بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل
بالنسبة اليهم النائر من البرهان المزبور وانهم بظهوره وكونهم اشد كفرا واكثرهم عذابا من الفريق الاول
لا يقدح فيما بينهم من نحوى الكلام عرفا من كون اولئك اسوء حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم
والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف
النفي الداخل على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع ح هو الاذعان والانقياد
والعقد باعتبار الزمان ح ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم في ذلك التلويح
عما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سيأتي في هذا وتكميل المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله
تع الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة الا ظنا والمراد
بالاكثر الجميع فتامل وقيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق من العلم
اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه
والجملة استيناف لبيان شان الظن وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء
بالتقليد ان الله عليم بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من الاعراض
عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب
لتشديد الوعيد وما كان هذا القرآن شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم للادلة
العقلية المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن المشحون بفنون الهدايات
المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى
من دون الله اي افتراء من الخلق اي مفترى من الخلق سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه
من الكتب الالهية المشهود على صدقها اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها
ونصبه بانه خبر لكان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ
بالرفع على تقدير المبتدا اي ولكن هو تصديق الى اخره وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي
وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب فيه خبر ثان داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا
عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب
من رب العالمين خبر اخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما
ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الاية
الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه بل ايقولون افتراه محمد صلى الله عليه وسلم
والهمزة لانكار الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما
تقولون فاتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في
العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم والعبارة وقرئ بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله
وادعوا للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في المهمات
والملمات ومدار الهتكم الذين تلجاون اليهم في كل ما تاتون وما تذرون من دون الله متعلق بادعوا
ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا
سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على
براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان
ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم صادقين اي في اني افتريته فان ذلك مستلزم
لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي
الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشانه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء
وما يخالف دينهم كما قيل فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا الى تكذيبه اثر ذي اثير من

غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصفنا انفا ويعلموا انه
ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل
كذبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان
عدم العلم به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعر بعلية
ما في حيز الصلة له ولما ياتهم تاويله عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على
تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شانه والتعبير عن ذلك باتيان التاويل
للاشعار بان تاويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه او لم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب
وهم قد فاجؤا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من
الامور المستقبلة ونفي اتيان التاويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم
لتاكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه اتخس منها
في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما
ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا عند ذلك ايضا على ما هم عليه او لا فلا تعرض له ههنا
والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم
التدبر فتدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدي بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدي الوارد في
سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذي يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى
ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى كذلك الخ وصف لحالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من
العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني على بادي الراي والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من
قبلهم اي فعلوا التكذيب او كذبوا ما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا
انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر
موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم من سوء العاقبة وبدخول
هؤلاء الظالمين في زمرتهم جرما ووعيدا دخولا اوليا وقوله تعالى ومنهم الخ وصف لحالهم بعد
اتيان التاويل المتوقع اذ ح يمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان به من
غير علم به واشتراك الكل في التكذيب والكفر قبل ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته بعد ما
سعوا في المعارضة ودروا قوتهم بها فتضاءلت دونها قدرهم او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به
مرارا ومعنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند
ويكابر وهؤلاء هم الذين اشير بقصر اتباع الظن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول فيما سلف
واما الايمان الحقيقي اي سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير اليهم بتقييد اكثرهم المذكور على التفسير الثاني
اي انهم سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا
لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان ذلك فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او
لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها
فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا هو القسم من الاحاطة واتيان التاويل كائن في مقابلة ما سبق
من عدم الاحاطة بالمرة وهؤلاء هم الذين اريدوا بالاكثر فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا
على التفسير الاول او لا يؤمن به فيما سياتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع
الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق واتباع له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا الفريقين على
الوجه الاول لا بالمعاندين فقط لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي لاشتراكهما في الوعيد
بالمصرين الباقين على الكفر على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين وان كذبوك
تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم

أعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل انى برئ مما تعملون والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الاتحاد النوعى ولمراعاة كمال المقابلة **انتم بريئون مما اعمل وانا برئ مما تعملون** تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله اى لا تؤاخذون بعملى ولا اواخذ بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف **ومنهم من يستمعون اليك** بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما سياتى محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اى ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك الشرائع **افانت تسمع الصم** همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة دخلت الجملة بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو راى سيبويه والجمهور على ان يحمل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر فى موضعه بل الانكار مترتب عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة او صفة واياما كان فالعطف عليه يستدعى دخول المعطوف فى حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب فى فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمع لا لانكار الاستماع فانه امر محقق بل انكار لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم بعدم التعقل بقوله تعالى **ولو كانوا لا يعقلون** اى ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع والعقل جميعا فقد تم الامر **ومنهم من ينظر اليك** ويعاين دلائل نبوتك الواضحة **افانت** اى اعقيب ذلك انت تهدى وانما قيل **تهدى العمى** تربية لانكارها بتنزيلهم وابرازا لوقوعها فى معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل **ولو كانوا لا يبصرون** اى ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك هى البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو فى الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم وتهدى العمى وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها فى المعنى وكلتاهما فى موضع الحال من مفعول الفعل السابق اى افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدى العمى لو كانوا يبصرون ولو كانوا لا يبصرون اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوى فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام فى قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره مرارا **ان الله لا يظلم الناس** اشارة الى ان ما حكى عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم عن الادراك ليس لامر مستند الى الله تعالى من خلقهم مؤفى المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اى لا ينقصهم **شيئا** مما ينوط به مصالحهم الدينية والدنيوية كالاهتمام الاولوية والاخروية من مبادى ادراكاتهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشئ اصلا **ولكن الناس** وقرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التعيين والتقرير اى لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب **انفسهم يظلمون** اى ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادى كمالهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينه وقوله عز وجل انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل فى قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين فى قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع فى سائر المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راى من لا يجوز التقديم موجبا للقصر فيكون كما فى قوله سبحانه وتعالى

وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصد للظلم لا على الفاعل ولا على المفعول واما على راى من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم للمبالغة فى بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان انحصار الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل ونفرة لذى الطبع حيث ان ما عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية على ان قصر الاولى عليهم مستلزم لما يقتضيه الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انه اذا لم يظلم احد من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احد الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثانى مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النفى اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفى لا نفى الاستمرار الا يرى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفى لا على نفى الاختصاص ومساق الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفى للاستقبال والمثبت للاستمرار والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق **ويوم يحشرهم** منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اى اذكر لهم او انذرهم يوم يحشرهم **كان لم يلبثوا** اى كانهم لم يلبثوا **الا ساعة من النهار** اى شيئا قليلا منه فانها مثل فى غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة فى موقع الحال من ضمير المفعول اى يحشرهم مشبهين فى احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث فى الدنيا ولم يتقلب فى نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض اثار نعمه واحكام بحيث ينافيه لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او عن من لم يلبث فى البرزخ الا ذلك القدر وفائدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشاتين فى الاشكال والصور فان قلة اللبث فى البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون قوله عز وجل **يتعارفون بينهم** بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استئنافا اى يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم ح على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله** شهادة من الله سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزاء او حلول اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والغبن وضعوا فى تجاراتهم ومعاملاتهم واشترائهم الكفر بالايمان والضلال بالهدى ومعنى قوله تعالى **وما كانوا مهتدين** ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسران الهلاك والضلال اى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة **واما نرينك** اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة اكد الفعل بالنون اى نبصرنك بان نظهر لك **بعض الذى نعدهم** اى وعدناهم من العذاب وتعجيله فى حياتك فتراه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار اى نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفى تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر **او نتوفينك** قبل ذلك **فالينا مرجعهم** اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم فى الدنيا والاخرة فنريكه فى الاخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اى فذاك **ثم الله شهيد على ما يفعلون** من الافعال السيئة التى حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهى معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقرئ ثمة اى هنالك **ولكل امة** من الامم الخالية **رسول** يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق **فاذا جاء رسولهم** فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه **قضى بينهم**

ربع

اى بين كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهم لا يظلمون فى ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتائج
اعمالهم او لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف يشهد عليهم
بالكفر والايمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجال
لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه
على وجه الالزام كما فى سورة الملك ان كنتم صادقين اى فى انه يأتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين الذين يتلون عليهم الآيات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم
حسبما حذف فى مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال فى قوة الامر بالاتيان
عجلة كانه قيل فليأتنا بعجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبى صلى الله عليه وسلم
قيل قل لا املك لنفسى ضرا ولا نفعا اى لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان
مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع فى سورة الاعراف
من تقديم النفع للاعتناء بأهميته والمقام مقامه والمعنى انى لا املك شيئا من شؤونى ردا وايرادا مع ان
ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم حتى اتسبب فى اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثناء منقطع
اى ولكن ما شاء الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرى عن ان يكون له
دخل فى اتيان الوعد فان ذلك يستدعى بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعله عبارة
عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسى
شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا
تعسف ظاهر وقوله تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم فى الاستثناء وتقييد لما فى القضاء السابق من الاطلاق
المشعر بكون المقضى به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اى لكل امة ممن قضى
بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله اذا جاء
اجلهم ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان
فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار
الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بخصوصها من
بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء آجالهم بان يجيء كل
واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار فى موقع الاضمار
لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اى اذا جاءها اجلها الخاص بها فلا يستأخرون
عن ذلك الاجل ساعة اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لا يتأخرون عنه
اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اى لا يتقدمون عليه وهو
عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه فى نفسه كالتأخر بل للمبالغة فى انتفاء التأخر
بنظمه فى سلك المستحيل عقلا كما فى قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا
حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة
له رأسا قد نظم فى عدم قبول التوبة فى سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوى وجود التوبة
حينئذ وعدمها بالمرة كما مر فى سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم فى
الجملة كمجيء اليوم الذى ضرب لهلاكهم ساعة منه لكن ليس فى تقييد عدم الاستئخار بدنوه مزيد
فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم
خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر واما ما فى قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون
من تقديم السبق فى الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ
عنه قوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق
كما ذكر هناك قل لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله تعالى فيما بين الامم على الاطلاق وبعثهم على

ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه
حقيقة ارأيتم اى اخبرونى ان اتاكم عذابه الذى تستعجلون به بياتا اى وقت بيات واشتغال
بالنوم او نهارا اى عند اشتغالكم بمعاشكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة
كما عين لسائر الامم المهلكة وقوله تعالى ماذا يستعجل منه المجرمون جواب للشرط بحذف الفاء
كما فى قولك ان اتيتك ماذا تطعمنى والمجرمون موضوع موضع المضمر لتأكيد الانكار ببيان مباينة
حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية
متعلقة بأرأيتم والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه تعالى اى شيء تستعجلون منه سبحانه والشيء لا يمكن
استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة فى انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله
فى الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة
كما اشير اليه ومدار الانكار بمنزلة النهى فى قوله عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك
صريح وههنا ضمنى كما فى قول من قال لغريمه الذى يتقاضاه حقه ارأيت ان اعطيتك حقك فماذا
تطلب منى يريد المبالغة فى انكار التقاضى بنظمه فى سلك التقاضى بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره
منزلة نفسه وقوله تعالى اثم اذا ما وقع آمنتم به انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة
داخل مع ما قابله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المأمور به اى ابعد ما وقع العذاب
وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا لتأخيره الى هذا الحد وايذانا باستتباعه
للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف
للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بأرأيتم وجواب الشرط محذوف اى تندموا على الاستعجال او تعرفوا
خطأه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار وقيل الجواب قوله تعالى اثم اذا ما وقع الخ والاستفهام
الاول اعتراض والمعنى اخبرونى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جيء بكلمة
التراخى دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى الاول كالتمهيد
له وجيء باذا مؤكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان
البتة وقوله تعالى الآن استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون
ما سبق على ارادة القول اى قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به انكارا للتأخير وتوبيخا
عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتأمل والتدبر فى شأنه ولا لشيء آخر مما يعد عذرا
فى التأخر بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء وقرىء آلان بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اى تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل
آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل
لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى ثم قيل الخ تأكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب
وهو عطف على ما قدر قبل الآن للذين ظلموا اى وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا
انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعليته
لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون فى
الدنيا من اصناف الكفر والمعاصى التى من جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك اى يستخبرونك فيقولون
على طريقة الاستهزاء او الانكار احق هو خبر قدم على المبتدأ الذى هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى
انه الحق او مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة فى موقع النصب بيستنبئونك وقرىء آلحق هو تعريضا
بانه باطل كانه قيل أهو الحق لا الباطل او هو الذى سميتموه الحق قل لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضيا
عما قصدوا وبانيا للامر على اساس الحكمة اى وربى اى من حروف الايجاب بمعنى نعم فى القسم خاصة كما ان هل
بمعنى قد فى الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواو القسم انه اى العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب
باتم وجوه التأكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين
اى بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب القسم او مستأنف سيق لبيان

عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو أن لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير
او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الارض اي ما في الدنيا من خزائنها
واموالها ومنافعها قاطبة مما كثرت لافتدت به اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه
واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا
لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى
من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص
لتغليب ذكور مدلوله على اناثه الندامة على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار
والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما رأوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة
الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف
شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرها رؤساؤهم ممن اضلوهم حياء منهم وخوفا من
توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان
اسرارها اخلاصها او لان سر الشيء خالصه حيث تخفى ويضن بها ففيه تهكم بهم وقيل اظهروها من
قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره حين عيل صبرهم وفني تجلدهم وقضي بينهم اي اوقع القضاء بين الظالمين من
المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد
من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة
بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما
كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اي الظالمون لا يظلمون فيما فعل
بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض اي
ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو
تقرير لكمال قدرته سبحانه وتعالى على جميع الاشياء وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء
ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا ان وعد الله اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار
بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه
وما ذكر في اثناء بيان حاله اندراجا اوليا او بمعناه المصدري اي وعده بجميع ما ذكر فهو في قوله حق على
الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على
تحقق مضمونيهما المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة
عليه ولكن اكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعقولة لا يعلمون ذلك
فيقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون
في الآخرة بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم الى قبوله واتباعه
غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك
مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي والوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر
والترهيب او بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية
من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع
فانه كاشف عن احوال الاعمال حسنها وسيئها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف
الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد
الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس
وفي تجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات
النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليأمر الناس بان يغتنموا ما في مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته المراد بهما اما

اما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف
واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في رحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح
ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله
وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني
عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشيء فبذلك ليفرحوا لا
بشيء آخر ثم ادخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة
على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا
ويجوز ان يتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك بمجيئها فليفرحوا وقرئ
فلتفرحوا وقرئ ابي فافرحوا وعن ابي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل
بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اي
ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون
فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارأيتم اي اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوب به
المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر
في السماء محصل بها وما يتوقف عليه وجودا او بقاء باسباب سماوية من المطر والكواكب في الانضاج
والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام وحلالا اي وجعلتم بعضه حلالا
اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجعل فيه ودوران
التوبيخ عليه قل تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار اي اخبروني آلله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه
متمسكون بامره تعالى ام على الله تفترون ام منقطعة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق
الاخير قطعا كانه قيل ام لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة
على كمال قبح افترائهم وتاكيدا للتبكيت مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام متصلة
ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده همزتها من التوبيخ على
الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان للقصر كانه قيل بل اعلى الله تعالى
خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه
غير داخل تحت القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد
والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه
كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية مبتدأ وقعت خبر وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله
تعالى يوم القيمة ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال و
المجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل
هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيمة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال لكمال وضوح
امره في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اي اي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيمة ايحسبون انهم لا يسألون
عن افترائهم او لا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي
اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضي اي اي
ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضي لانه كائن فكأنه قد كان ان الله لذو فضل اي عظيم لا
يكتنه كنهه على الناس اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم
بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من
امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما
خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم
ببيان ما سيلقون يوم القيمة ولا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه

وما تكون في شان اي في امر من شانت شانه اي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلو
منه الضمير للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشان اذ هي معظم شونه عم
او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن ابتدائية
في قوله تع من قرآن مزيدة لتاكيد النفي او ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني
والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بالكل وقد روعي في كل من المقامين ما يليق
به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا
استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا
كنا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة
الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي
ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تقيد المضارع معنى الماضي وما يعزب
عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف
ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاء من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل
نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما
ممكنا ليس في احدهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان
على احاطة علمه تع بتفاصيلها وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام
براسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف
على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار وجعل الاستثناء منقطعا كانه قيل
لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء
متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يصدر عنه تع شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين
اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المومنين وغاية لما ذكر
قبله من كونه تع مهيمنا على نبيه عم وامته في كل ما ياتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما
في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى
يوم القيمة وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرفي
التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد باولياء الله خلص المومنين لقربهم الروحاني
منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف
وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله
سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد
بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان
النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم
طاعة الله تع ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب
الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدى ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل
من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها
وقوله تعالى الذين آمنوا اي بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يجب وقايتها عنه
من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة
الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستيناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه
قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين
الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح
في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التقوى عن الشرك التي

انه يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما
يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى الحقيقي المامور بها في قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والتقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم
وهكذا كان حال كل من دخل معه عم تحت الخطاب بقوله تعالى ولا تعملون من عمل خلا ان لهم في شان
التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفايضة عليهم حتى جمعوا
بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح
ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المويدة بالقوة
القدسية خلا ان امر الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المومنون المتقون ويقرب منه
ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا
يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله تعالى برويتهم لما روى عن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عم
سئل من اولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برويتهم اي بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما
قيل من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله
تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام
بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف
الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب في
الله سبحانه من الاحكام الدينية اللازمة للايمان والتقوى والاثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص
بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس قد اورد رسول الله صلى الله عم كلا من ذلك حسبما يقتضيه
مقام الارشاد والتذكير تعيينا للسائلين او غيرهم من الحاضرين بما خص بالذكر هناك من احكامهما ليجعل
فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك
والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المومنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة
النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها
ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يوافقهم في الدين من ارحامهم واما ما ذكر من انهم يغبطهم الانبياء فمسوق
لتحسين حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض بهذه الصفة لكانوا هولا
وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا
يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز وجل لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لتفسير توليه
تعالى اياهم ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المومنين في
تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم بآثارها ونتايجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاثبات
لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم
لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا بمحاسن آثارها بل التولي بالكرامة عين
نتيجة الولاية فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل
الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء [illegible] شرح والثاني بيان لما اولاهم
من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستانفة كما سبق كانه قيل
ما لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة
على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بين حسن حال المومنين وسوء حال المفترين وليدخل
ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبين
بشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتبشير الاولياء مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لاتقائهم
عما يودي اليهما من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة
وغير ذلك والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل

والظرفان في موقع الحال منه والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا
وحال كونها في الآخرة اي عاجلة وآجلة او من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة الخ ومن البشرى العاجلة
الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس
فقال عم تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي
البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عم هي الرؤيا الصالحة
يراها المؤمن او ترى له وعنه عم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملئكة
بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي
الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن
منها وغير ذلك من البشارات فتكون هذه بشارة بما سيقع من المبشرات العاجلة والآجلة المطلوبة لغاياتها لا
لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما لا يساعده جلالة شأن
التنزيل لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل
فيها البشارات الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاختلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون
المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى عدم الخلف بينها وبين نتايجها الدنيوية
والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سياتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم
البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وهذه
تقرير لما ثم في ما سبق وما تلك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون
بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابق اعتراض ولا يحزنك قولهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان
يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة عن مقالاتهم الموحشة وتبشير له عم بانه تعالى ينصره ويعزه عليهم اثر بيان
ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عم
عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر
ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة في نهيه عم عن الحزن لما ان النهي عن
التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك
لا ارينك ههنا وتخصيص النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام
شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عم في بعض الاوقات نوع حزن فسلي عن ذلك وقوله تعالى
ان العزة تعليل للنهي على طريقة الاستيناف اي الغلبة والقهر لله جميعا اي في ملكه وسلطانه لا يملك
احد منها شيئا اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة
البشرى العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله هو السميع العليم يسمع ما يقولون في
حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض اي العقلاء من
الملئكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم
كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قهره وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد
لما سبق من اختصاص العزة بالله تع الموجب لسلوته عم وعدم مبالاته بالمشركين ومقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله
تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء برهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما
اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبعون الذين يدعون من دون الله شركاء
شركاء في الحقيقة وانما سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول
يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا انما
يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء
اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم
وفساد ما بنوه عليه من ظنهم شركاءهم معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه وتعالى واما استفهامية مبتدا اي واي
يتبعون اي لا يتبعون شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء

م اسماء سميتموها الخ وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم
شركاء من الملئكة والنبيين وتقريرا لكونهم متبعين لله تع مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في
ذلك كقوله تع اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل
ن ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملئكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون يكذبون
فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تع بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق
العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة
به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا فمفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه
الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة
الغائية منها محذوف اكتفاء بما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
لتتحركوا فيه لمصالحكم كما سيجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله الاية فحذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد
الابصار الى النهار مجازي كالذي في نهاره صائم ان في ذلك اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما وما في
اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته لآيات عجيبة او آيات اخر
غير ما ذكر لقوم يسمعون اي هذه الآيات المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة
بالتامل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل
لما انهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه اتخذ الله ولدا
اي تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن
كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله تعالى له ما في
السموات وما في الارض اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى ان
٥ عندكم من سلطان اي حجة بهذا اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان
الساطع عن المعارض فمن في من سلطان زائدة لتاكيد النفي وهو مبتدا والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه
فاعل للظرف لاعتماده على النفي وهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة
له واما بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب
لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتاكيد ما في قوله اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع
على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان قطعي
وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء
مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على الله الكذب اي في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء
ب بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب
اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسب
مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدنيا كلام مستانف سيق لبيان ان ما يتراءى
بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون
من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بمطلوب
ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون [illegible]
[illegible]
[illegible]

متاع دالابد اما سوقه من جهة الله تعالى لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام المامور به كما يقتضيه ظاهر
قوله تعالى ثم الينا وقوله ثم نذيقهم واما داخلة فيه فينبه على ان النبي صلى الله عم مامور بنقله وحكايته عنه
تعالى واتل عليهم اى على المشركين من اهل مكة دعوتهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به
على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح اى خبره الذي له شان وخطر مع قومه الذين
هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبروا ما فيه من زوال ما يتمتعون به من النعيم وحلول عذاب الغرق
الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر وتنكسر شدة شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة
نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من
احد ليس الا بطريق الوحي وهذه من تقرير ما سبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف
والحزن من اوليائه تعالى قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وبافعالهم واقوالهم
ما لا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه بدل اشتمال او ما كان فالمراد بعض نبأه عم لا كل ما جرى بينه
وبين قومه واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اى عظم وشق عليكم مقامي اى نفسي كما
يقال فعلته لمكان فلان اى لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اى خاف ربه او قيامي ومكثي بين
ظهرانيكم مدة طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم
والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اى دمت على تخصيص التوكل
به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء
لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة معترضة والاجماع
العزم قيل هو متعد بنفسه وقيل بحرف الجر والايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه
وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل
كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اى جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه
القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريق التهكم
وقيل على انه عطف على امركم بحذف المضاف اى امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اى وادعوا شركاءكم
وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اى فاعزموا على امركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واحتشدوا
فيه على اى وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اى مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني
به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب او نحوه حيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر
وجه وانما خاطبهم بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه
وبما وعده من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة تقرير لمقتضيات
مقام الامر بالاظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم من جهته عم من
الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن
حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا
الي ولا تنظرون اى ادوا الي اى احكموا ذلك الامر الذي تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تعالى وقضينا اليه
ذلك الامر او ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد
الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضائه به من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا
بالفاء اى انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتيب التولي
على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي المخصوص اى ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري
اثر ما شاهدتم في مخايل صحة ما اقول ودلائل التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون
بي من السوء غير مبال بكم وبما ياتي منكم واحجامكم من الاجابة علما منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند الله
العزيز فما سالتكم من اجر تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك الى توليكم اما لاتهامكم
اياي بالطمع والسؤال واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضر في توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار
بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عم بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء

فالفاء الجزائية لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس في مصحح له
ولا تاثر منه وقوله تعالى ان اجري الا على الله ينتظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول تاكيد وعلى الثاني
تعليل لاستغنائه عم عنهم اى ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبني به امنتم او توليتم
وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل ما يصيب من
البلاء في طاعة الله تعالى فكذبوه فاستمروا على ما هم عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق
ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك
من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف عن الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى بالطوفان
وتاخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين
امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الايات الكريمة لاظهار كمال العناية بشان
المقدم ولتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو
من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن
كذب بالرسول صلى الله عم وتسلية له عم ثم بعثنا اى ارسلنا من بعده اى من بعد نوح عم
رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اى رسلا كراما ذوي عدد كثير الى قومهم اى الى اقوامهم لكن لا بان
ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم ما اى قوم كانوا بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود
الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص فجاؤهم اى جاء كل رسول قومه
المخصوصين به بالبينات اى المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل
المذكور على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اى ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي كل
رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام
الاحاد الى الاحاد انما هي فيما بين ضميري جاؤهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم
ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم لما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اى فامتنع
وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة
شكيمتهم في الكفر والعناد ثم انه ان كان المحكي اخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد
بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله تعالى بما كذبوا
به من قبل تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات
كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم
بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب
العقول والموصول الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا
كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الخ وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول
المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثرا ذي اثير لاستحالة
تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن
الجاهلية بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا
من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء الرسل
كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور
حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به
بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب عند
اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضمائر
الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عم والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا

ما كذبوا به قبل قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق
وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل ما الموصولة من قبيل
الاسم الظاهر راي الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير وفي ارجاعه الى الحق باعتبار كونه مركوزا
في الاذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على
ان الضمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد المتجافين عن
قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم لانهماكهم في الغي والضلال وفي
امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم
بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة من بعدهم اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام
موسى وهرون خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراجها فيما اشير اليه آنفا رعاية
اجمالا في اخبار الرسل عم مع اقوامهم واوثر في ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها
كما في بيان نوح عم الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح
والمهمات ورجوع الكل اليهم في النوازل والملمات باياتنا اي ملتبسين بها وهي الايات المفصلات في
الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة
فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عم الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الى آخره
وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام
فان الاجرام مؤذن بعظم الذنوب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا عليه من الاستهانة
برسالة الله تعالى وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الايات لا يساعده قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا
قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سموه سحرا
اعني العصا واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عم من الايات العظام
والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا
من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ
لساحر قال موسى استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى ح فقيل
قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي أتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت
لما جاءكم اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تامل وتدبر وكلا المعنيين مما
ينبئ عن القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به
ولو على نهج الحكاية اتقولون له ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم
او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما
يسوؤه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغني عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون
فيه وعلى الوجهين فقوله تعالى أسحر هذا انكار مستانف من جهته عم لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ
لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه
سحرا على انكار كونه معيبا بان يقال مثلا أفيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد
عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على انه ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا
من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات
الله تعالى المنادية على امتناع كونه سحرا اي أسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشانه مشاهد معروف
بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا
كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل بقوله تعالى ولا يفلح الساحرون
وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست اهبه عدة
وكقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب

بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل
مطلوب الناجين عن كل محذور وفي قوله تعالى أسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها أكد بها الانكار
السابق بيانه استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عم
هذا واما ما قيل من ان يكون الكلام على ان المعنى أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحر
فلا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو المحكي بانه سحر مبين لا بانه سحر يكون ذلك مقولا
[illegible]
بعد تربية النظم الترتيبي يحمل على اثنائه واما ثالثا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق
من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عم ولو كان
ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على ما يرونه من صورة السحر
واما ثالثا فلان قوله تعالى قالوا أجئتنا الخ مسوق لبيان انه عم الزمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام
متعلق بكلامه عم فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز
محجوج وديدن كل مغلوب لجوج على انه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عم على طريقة
قوله تعالى قال موسى كانه قيل فماذا قالوا لموسى عم عندما قال لهم ما قال فقيل
قالوا عاجزين عن المحاجة أجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا فان اللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا
اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عم على الوجه الذي شرح
اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابهم خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة
ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم أجئتنا لتلفتنا الخ وبين انكاره عم لما حكي عنهم ليكون جوابا عنه
وتكون لكما الكبرياء اي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله
تعالى في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف
وقع حالا من الكبرياء او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية
الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام
التصديق لاحدهما التصديق للآخر واما اللفت والمجيء له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند
الى موسى عم خاصة وقال فرعون توحيد الفعل لان الامر وظيفة فرعون اي قال لملائه امرا لهم بترتيب
مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعدما ايس عن الزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر عليم يتقنون السحر
حاذق ماهر فيه وقرئ بكل سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام وينحذف ايذانا بسرعة
امتثالهم بامر فرعون كما هو شان الفاء الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاءوا قال لهم موسى لكن لا
في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عم ما حكي عنهم في السورة الاخرى من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر فلما القوا ما القوا من
العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤوا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم
به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه
او هو من جنس السحر اظهارا لحاله بين الانبياء به كانه قيل ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ
آلسحر على الاستفهام فما استفهامية مبتدأ اي اي شيء جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له
عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني في القراءة المشهورة اظهر
ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر
بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل
فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار
بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاحه عدم جعل فسادهم صلاحا بل عدم اثباته وادامته اي لا يثبته
ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله تعالى ان الله سيبطله
والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله سيبطله

اى يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل فى المقام من الاضمار لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر قد فصل فى مواضع اخر اى فالقى عصاه فاذا هى تلقف ما يافكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا مثل ما فى قوله تعالى فاتبعوا امر فرعون وما فى قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر فى ذلك ان الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اى فما آمن له عليه السلام بمشاهدة تلك الآيات القاهرة الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعيد على خوف اى كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد فى ضمائر العظماء او لاباه مقام بيان علوه فى الفساد وغلوه فى التمرد والتسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم اى على خوف من فرعون ومن اشراف بنى اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اى يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول لخوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما فى قوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد الفعل الى فرعون خاصة لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال فى الارض لغالب فى ارض مصر وانه لمن المسرفين فى الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلى مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اى صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم فى ذلك على الله توكلنا كانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اى موضع فتنة للقوم الظالمين اى لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا او يفتنونا عن ديننا او يفتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفى ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بان الداعى حقه ان يبنى دعاءه على التوكل على الله واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ ان مفسرة لان فى الوحى معنى القول اى اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة فان موسى عليه السلام كان يصلى اليها واقيموا الصلوة اى فيها امروا بذلك فى اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة فى الدنيا اجابة لدعوتهم وبالجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة فيها مما يفعله كل احد ثم وحد لان التبشير بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار فى التبشير وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة اى ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا وانواعا كثيرة من المال فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت او للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرئ اطمس بضم الميم اى اهلكها واشدد على قلوبهم اى اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان [illegible] فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهى وعطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى

حتى يروا العذاب الاليم اى يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعنى موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى ضمير المتكلم مع الغير فى المواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فانما طلبتما كائن فى وقته لا محالة روى انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اى بعادات الله سبحانه وتعالى فى تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة فى الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اى جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع فى قول الاعشى كما جوز السكى فى الباب فيتق ولا لقيل وجوزنا بنى اسرائيل فى البحر والخلا النظم الكريم عن الايذان بانفصالهم عن البحر ومقارنة العناية الالهية لهم عند الجواز كما هو المفهوم فى الفرق بين اذهب وذهب به فاتبعهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقه فلحقته اى ادركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء اى باغين وعادين او للبغى والعدوان وقرئ وعدوا وذلك ان موسى عليه السلام خرج ببنى اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل آخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى اذا ادركه الغرق اى لحقه والجمه قال آمنت انه اى بانه والضمير للشان وقرئ انه على الاستيناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل لم يقل كما قاله السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بنى اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا فى القبول والانتظام معهم فى سلك النجاة وانا من المسلمين اى الذين اسلموا نفوسهم لله اى جعلوها سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بنى اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة على الاول عطف على آمنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى تحتمل الحالية ايضا من ضمير المتكلم اى آمنت مخلصا لله منتظما فى سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول المفضى الى نيل ما هو ابتغاه وقوله عز وجل آلآن مقول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل له آلآن وهو الى قوله تعالى آية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه الانكار التوبيخى على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفى حذف الفعل المذكور وابراز الخبر المحكى فى صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما ينبئ عنه ما روى من ان جبريل عليه السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه تاكيد للرد القولى بالرد الفعلى ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة لما نقل انه قال للنبى عليهما السلام فلو رايتنى يا محمد وانا آخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اى النجاة التى هى طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور فى شان جبريل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة اليأس والبأس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل فى الظرف ان يقدر موخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اى الآن تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالممات وقوله تعالى وقد عصيت قبل حال من فاعل الفعل المقدر جئ به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر فى آياته وآياته ولا لشئ آخر مما عسى يعد عذرا فى التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد كما ينبئ عنه قوله تعالى وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من الغالين فى الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب

فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارى الى غيره من الظلم والتعدى وصد
بنى اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك اى نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر
البحر ونجعلك طافيا وفى التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو النجاة كما مر وتهكم به او نلقيك على
نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننحيك من الانحاء وننحيك بالحاء من التنحية اى نلقيك بناحية الساحل
ببدنك فى موضع الحال من ضمير المخاطب اى ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا روح فيه كما هو مطلوبك فهو
تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت درعا من الذهب
يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه مظاهرا بينها لتكون
لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى
يروى انهم لم يصدقوا موسى عم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او تكون لمن
ياتى بعدك من الامم اذا اسمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان وان
بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد من مظان الربوبية
وقرئ لمن خلفك فعلا ماضيا اى لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك بالقاف اى لتكون لمن خلقك
آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك
واماطة الشبهة فى امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة
المشهورة ايضا وفى تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال
الاستهانة به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده فى الاسواق او يدار
براسه فى البلاد واللام متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اى كاينة لمن خلفك وان
كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلى جىء به عند الحكاية
تقريرا لمضمون الكلام المحكى ولقد بوأنا بنى اسرائيل كلام مستانف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر
نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واذا حققتها اى اسكناهم وانزلناهم بعدما انجيناهم
واهلكنا اعداءهم مبوأ صدق اى منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة
وتمكنوا فى نواحيهما حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها التى باركنا فيها ورزقناهم من الطيبات اى اللذائذ فما اختلفوا فى امور دينهم حتى جاءهم
العلم اى الا بعدما جاءهم العلم بقراءتهم التورية وعلمهم باحكامها او فى امر محمد صلى الله عم الا من بعد
ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عم
ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب
فان كنت فى شك اى فى شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شىء بشىء
من غير تعرض لامكان شىء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فانا
اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما انزلنا اليك من القصص التى
من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بنى اسرائيل فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فان
ذلك محقق عندهم ثابت فى كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته عم بشهادة الاحبار حسبما هو
المسطور فى كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة نبوته عم او تهييجه
وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عم ولذلك قال عم لا اشك ولا
اسأل وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب واضرابهم وقيل
الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما نزلنا اليك على
لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ
فاسأل الذين يقرؤن الكتب لقد جاءك الحق الذى لا محيد عنه ولا ريب فى حقيته من ربك وظهر ذلك بالآيات
القاطعة التى لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من
التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت

من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من
القبح والمحذورية بحيث ينبغى ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به
وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع فى
بيان سر اصرار الكفرة على ماهم عليه من الكفر والضلال اى ثبتت ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة
البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى النار كقوله تعالى ولكن حق القول
منى لاملان جهنم الخ لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا
واقعا فى اوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باتيا عند الموت فيدخل فيهم
المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة المدلول مقبولة لذى العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادة
تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس بمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بالسوء اختيارهم المتفرع على عدم
استعدادهم لذلك حتى يروا العذاب الاليم كدأب آل فرعون واضرابهم فلولا كانت كلام مستانف
لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك او لتكون
الاستثناء الآتى بيانا لكون قوم يونس عم ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك فى وقته ولولا
بمعنى هلا وقرئ كذلك اى فهلا كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
ايمانها الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه
العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اى لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب
ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز
ان يكون الجملة فى معنى النفى كما ينبئ عنه حرف التخصيص فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها
كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عم فيكون قوله تعالى لما
آمنوا استينافا لبيان نفع ايمانهم ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف
العذاب عنهم الى حين مقدر لهم فى علم الله سبحانه روى ان يونس عم بعث الى نينوى من ارض
الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين
ليلة وقيل قال لهم يونس عم اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت
خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى
مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا
بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان
والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
رضى الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه
فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال
لهم قولوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض
قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن
اهله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على
حسب مشيئته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود
من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان لا يكون فى تعلقها به غرابة كما هو المشهور اى لو شاء سبحانه
ايمان من فى الارض من الثقلين لآمن من فيها كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان
لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التى عليها بنى اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان
من شاء الله ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع
فى الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم
حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على مشيئته تعالى ويجوز ان يكون الفاء
لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة متأخرة فى الاعتبار وانما قدمت لاقتضائها

الصادقة كما هو رأي الجمهور واياما كان فالمشيئة على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئة الالجاء
خاصة في انكار الترتيب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر
ممكن لكن الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشارك فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم
الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه **وما كان لنفس**
بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيئته تعالى وجودا بعد بيان الدوران الكلي عليها وجودا وعدما اي ما
صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله انها تؤمن **ان تؤمن الا باذن الله** اي بتسهيله ومنحه الالطاف
وانما خصت النفوس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ
من اعم الاحوال اي ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذنه تعالى فلا بد من كون
الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر
فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى تستثنى تلك الحال عن غيرها **ويجعل الرجس**
اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح و
الاستكراه او قيل هو العذاب او الخذلان المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاء اي ويجعل الكفر ويبقيه **على
الذين لا يعقلون** لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من
الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او مقهورين بالعذاب
والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كأنه قيل فيأذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الخ **قل**
مخاطبا لاهل مكة بعدما بين لهم على التدبر في ملكوت السموات والارض وما فيهما من تعاجيب الآيات الانفسية والآفاقية
ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم الكلمة **انظروا** اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام قل
ماذا في السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا
ان جعل بالتركيب اسما واحدا فعلقه بنية الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز ان يكون ما
مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ والخبر في محل النصب باسقاط الخافض
وفعل النظر معلق بالاستفهام **وما تغني** اي ما تنفع وقرئ بالتذكير **الآيات** وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ما
ذا في السموات والارض **والنذر** جمع نذير على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي الانذارات او الرسل المنذرة
او الانذارات **عن قوم لا يؤمنون** في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز
كون ما استفهامية مبتدأ انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي شيء اغنى تغني الخ فالجملة ح اعتراضية
فهل ينتظرون اي مشركو مكة واضرابهم **الا مثل ايام الذين خلوا** اي الا يوما مثل ايام الذين خلوا **من قبلهم**
من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها
قل تهديدا لهم **فانتظروا** ما هو عاقبتكم **اني معكم من المنتظرين** لذلك **ثم ننجي رسلنا** بالتشديد
وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله تعالى مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء
به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة
اليهم **والذين آمنوا** وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير
حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظائره الواردة
في مواقع عديدة ليتصل به قوله تعالى **كذلك** اي مثل ذلك الانجاء **حقا علينا** اعتراض بين العامل والمعمول
اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة
بقوله تعالى **ننج المؤمنين** اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما
الجنس المتناول للرسل عليهم السلام والاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه
واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان **قل** لجمهور المشركين **يا أيها الناس** اوثر الخطاب باسم
الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم **ان كنتم في شك من
ديني** الذي اعبد الله تعالى به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته **فلا اعبد الذين تعبدون من دون
الله** في وقت من الاوقات **ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم** ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة

العبادة به ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته
تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر وان كنتم في شك
من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل
منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه
حق لا ريب فيه وفيه تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم مع ما فيه من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع
كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما
القطع بعدمها فمما لا سبيل اليه وان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا **وامرت ان اكون
من المؤمنين** بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف
بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من أن يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع
أن وأنّ وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به **وان اقم وجهك للدين**
عطف على ان اكون خلا ان صلة أن محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان مناط جواز وصلها
بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة خبرية في
الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا بالجمل الخبرية وليس الموصول
الحرفي كذلك اي وامرت باستقبال القبلة في الصلوات وعدم الالتفات الى اليمين والشمال **حنيفا** حال
من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة **ولا تكونن من المشركين** عطف على أقم داخل تحت الامر اي
لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله تعالى **ولا تدع** عطف على قوله تعالى قل يا أيها الناس غير داخل تحت
الامر وقيل على ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل الى آخر الآيات منسقة لا يمكن فصل
بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج الكل تحت الامر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا
لكمال العناية بالامر وكشفا عن وجه بطلان ما عليه المشركون **من دون الله** استقلالا ولا اشتراكا **ما لا
ينفعك** اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب **ولا يضرك** اذا تركته بسلب المحبوب دفعا او رفعا او
بايقاع المكروه وتقديم النفع على الضر غني عن بيان السبب **فان فعلت** اي ما نهيت عنه من دعاء
ما لا ينفع ولا يضر كني به عنه تنويها لشأنه عليه السلام وتنبيها على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله
سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية **فانك اذا من الظالمين** جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن
تبعة ما نهي عنه **وان يمسسك الله بضر** تقرير لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع عن الاصنام وتصوير لاختصاصه
به سبحانه **فلا كاشف له** عنك كائنا من كان **الا هو** وحده فيثبت عدم كشف الاصنام بالطريق
البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا فان رفع المكروه
ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكلية **وان يردك بخير** تحقيق لسلب الضر الوارد في حيز الصلة
اي ان يرد ان يصيبك بخير **فلا راد لفضله** الذي من جملته ما اراده بك من الخير وهو دليل على جواب الشرط
لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اي
لا احد يقدر على رده كائنا ما كان فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع
المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة
مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما يمس من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا بالقصد الاولي او اريد
معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان
ذكر في احدهما المس وفي الآخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك في الجانب الآخر على انه قد صرح
بالاصابة حيث قيل **يصيب به** اظهارا لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي
يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون
من باب وضع المظهر في موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله تعالى **من يشاء من عباده** فان ذلك ينادي بعموم
الفضل وقوله عز قائلا **وهو الغفور الرحيم** تذييل لقوله تعالى يصيب به الخ مقرر لمضمونه والكل تذييل
للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها **قل** مخاطبا لاولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما اوحي اليك **يا أيها الناس**

قد جاءكم الحق من ربكم وهو القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر آنفا من اصول الدين
واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في مطاويه
فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل عليها اي فوبال
الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عم من جلب نفع او دفع ضر كما
يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطة وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي
امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق
المذكور الثابت كما يومئ وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عم بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين
من التباين واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصرة عليهم او بالامر بالقتال وهو خير
الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والله اعلم

سورة هود مكية مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف ودخل على انه مبتدأ والاول هو الاظهر كما أشير اليه في سورة يونس عم
او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر
او لا محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه
الثاني ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت
حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ابدت بالحجج القاطعة
الدالة على كونها من عند الله تعالى او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه
من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا اريد بالاحكام المنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي
خاصة والتعبير بالمنع من الفساد أخذ من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه
ايهام ما لا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة
الى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه
في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص او فصل
فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد المجازي والتفصيل بجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك
من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فهما وان كانا
مع الاحكام زمانا حسبما نزلت الآيات محكمة مفصلة لا انها احكمت او فصلت بعدما لم تكن كذلك اذ الفعلان
من قبيل قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها
الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يتأخر في
رتبتهما عن رتبة الاحكام وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل الا انه
ليس فيه ما يتحقق في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل منجمة بحسب المصالح
فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها منجما
حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يترتب على وصف احكامها
وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين
الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعدما وصف باحكام آياته و
تفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر
المذكور والمحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة
بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية
حسن الطباق بين الجزالة والدلالة على تحققهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه الا تعبدوا الا
الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن

القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية كأنه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا
الا الله اي لتتركوا عبادة غير الله تعالى وتتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني
مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى
القول اي قيل لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهة الله تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم
عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما ذكر شأن
الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلك الغاية
او الامر من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني الاستغفار والتوبة ذكر ان من
نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وتزيينها بالموعدات من الوعد والوعيد
للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر واتى ايجابه بالخطاب عقب الكتاب
مع التلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للتحكم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن
الآخر وقد روعي في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب من تقديم النهي
على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون قوله تعالى الا تعبدوا الا
الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عم اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كأنه عم قال ترك
عبادة غير الله اي الزموا على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهته الله نذير وبشير او نذير
انذركم من عقابه على تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير تركه له وتوحيدكم ولما
سيق اليهم حديث التوحيد واكد ذلك بخطاب الرسول صلى الله عم على وجه الانذار والتبشير شرع
في ذكر ما هو من تتمته على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير فقيل وان استغفروا ربكم
وهو معطوف على ان لا تعبدوا على كلا الوجهين فعلى الاول ان مصدرية بجواز كون صلتها امرا او نهيا
كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالتها على المصدر
وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل
وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة
على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسبما ساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر
[illegible] ثم توبوا اليه [illegible]
[illegible]
[illegible] يمتعكم متاعا حسنا [illegible]
[illegible] الى اجل مسمى [illegible] ويؤت كل ذي فضل فضله [illegible]
[illegible] وان تولوا [illegible]

سابقه ذكره وقرئ تولوا من ولى فاني أخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة اي أتوقع عذاب يوم كبير
هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما
لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى ثقلت في السموات و
الارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بقحط حتى اكلوا فيه الجيف وايا ما كان ففي اضافة العذاب اليه
تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا
لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم
وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما انتهى اليهم نحو الكتاب
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع
انهم بعدما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا عليه من
الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما بعدها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب
منه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي
والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق
وقد نحى نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله تعالى ليستخفوا منه
احتاج الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم
وجعله في نحو المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق
ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثني الصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه
الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها
من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف
الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء الى ان ظهوره مغن
عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم
عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فيظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن
عباس رضي الله عنه انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي عليه السلام لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما
يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل
من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنه لتثنوني وقرئ تثنون واصله
تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاء يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني
الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ يثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما
قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي الا حين يستغشون ثيابهم اي يتغطون بها
للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين يأوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث
النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول
هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون اي يستوي بالنسبة الى علمه
المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر
ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه
فكان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه
يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منه بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس
واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما

كونهما على السوية كيف وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم
بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تعالى واعلم ما
تبدون وما كنتم تكتمون حيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه مقامهم عن
اقتضاء التأكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك
مع انه وقع الغيب عنه بما قبله من قوله تعالى اني اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار
ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب
فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل
لما سبق وتقرير له والواقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق
التعبير عن الضمائر بعنوان صاحبيتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة
بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما
يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي
في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعي او ارادي
لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها
البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها
في الاصلاب ومستودعها موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين
بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشئها الخلقي واما بالنسبة
الى الارحام وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل
ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة
بينها وبين عنوان كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت
من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعداد المتفاوتة المنطوية
في الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل مرتبة ما يليق بها من مبادي وجودها
وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع بالاماكن في الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها
كل من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين اي مثبت في اللوح المحفوظ البين
لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى ذكر احاطة علمه
باحوال ما في الارض من المخلوقات التي من جملتها المكلفون اقتضى الحال التعرض
لمبدأ خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما
فصل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه
تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما
في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في ستة اوقات مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف زمان كون
الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها
دفعة دليل على انه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد
المعين فامر استأثر بعلمه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور
من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبائع ومتفاوتة الآثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقهما
على الماء ليس تحته شيء سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة فيه على
امكان الخلاء كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم
بعد العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم
متعلق بخلق اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه

من مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنائع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم «أيكم أحسن عملا» فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلائل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عليه السلام بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله تعالى الواجبة على العباد آثر ذي اثير وانما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنائع الملك الخلاق والتدبر في آياته البينات المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله تعالى الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظائره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللائقة واكمل الانحاء الرائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينتظم ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضهما والله تعالى اعلم «ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت» على ما يوجبه قضية الابتلاء المترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال «ليقولن الذين كفروا» ان وجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم «ان هذا الا سحر مبين» اي مثله في الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القرآن لانه بدعة عندهم في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل هو اشارة الى نفي البعث والايلاء به والتسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهر لا اصل له في الحقيقة ونفي البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الآية الكريمة بما قبلها اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلعثمون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هو من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتلاء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان بمعنى عل اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ريثما قرع اسماعهم بت القول بخلاف ما الفوا وعكفوا عليه آباءهم من انكار البعث وليكون ذلك ادعى لهم الى التأمل والتدبر وما فعلوه فقاتلهم الله انى يؤفكون «ولئن اخرنا عنهم العذاب» المترتب على بعثهم او

او العذاب الموعود في قوله تعالى فاني اخاف عليكم عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قتل جبريل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص ببعض منهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون «الى امة معدودة» الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد قليل «ليقولن ما يحبسه» اي اي شيء يمنعه من المجيء فكانه يريد فيمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزئون ومرادهم انكار المجيء والحبس راسا لا الاعتراف به والاستبعاد عن حابسه «الا يوم ياتيهم» ذلك «ليس مصروفا عنهم» على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الآخرة او لا يدفعه عنهم دافع بل هو واقع بهم ان اريد به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على جواز تقديم خبر ليس اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبانه قد يتقدم المعمول حيث لا يجوز تقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معمولها الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر

فيأبى فما يزداد الا لجاجة ۝ وكنت ابيا في الخنا لست اقدم ۝

«وحاق بهم» اي احاط بهم «ما كانوا به يستهزئون» اي العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنها بالماضي وارد على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير وقوع المخبر به ما لا يخفى «ولئن اذقنا الانسان منا رحمة» اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة ونحوها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها «ثم نزعناها منه» اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة تعلقه بها وحرصه عليها «انه ليؤوس» شديد اليأس قنوط من روح الله تعالى قطوع رجاءه من عود امثالها عاجلا او آجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به «كفور» عظيم الكفران لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانه بما كانوا يستقبلون فيه من نعم الله تعالى وتاخيره عن وصف يأسه لرعاية الفواصل على ان اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عنه من آثار الكفران ايضا «ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته» كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق وكونها مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في ادنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها وفي اسناد الاول الى ضمير المتكلم دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير الى عباده على احسن ما يكون وانه انما يصيبهم ما يصيبهم باختيارهم «ليقولن ذهب السيئات عني» اي المصائب التي ساءتني ولن يعتريني بعد امثالها «انه لفرح» بطر بالنعم مغتر بها «فخور» على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط «الا الذين صبروا» على الضراء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه «وعملوا الصالحات» شكرا لآلائه سابقها ولاحقها واللام في الانسان اما للاستغراق الجنسي فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع «اولئك» اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل «لهم» بسبب ذلك «مغفرة» عظيمة لذنوبهم وان جلت «واجر» ثواب لاعمالهم الحسنة «كبير» ووجه تعلق الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس

الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع التفصيل من الاجمال الواقع فى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا
والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدى الى سنن الصواب
بل يحيد فى كلتا الحالتين عنه الى مهاوى الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين
او من حيث ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان
طبيعة الانسان مجبولة على ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك لما تبين ان الدالة على حقية
نبوتك المنادية بكونها من عند الله تعالى لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اى عارض لك ضيق
صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم فى اثناء الدعوة والمحاجة أن يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك
البراهين التى لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا فى العناد على وجه الاقتراح لولا أنزل
عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه أو جاء معه ملك يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية المخزومى
وروى عن ابن عباس رض ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال آخرون
ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه عم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل
هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد
ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا نزل
حاله عم منزلة من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر
منه بما فى لعل من الاشفاق فقيل إنما أنت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك غير مبال بما صدر عنهم
من الرد والقبول والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه فى جميع امورك فانه فاعل
بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير فى اقصى غاية من اصابة المحز أم يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة
عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه
من عند الله تع وعلى حقية نبوته عم وشروع فى ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى
الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجب والضمير المستكن فى افتراه للنبى صلى الله عم والبارز لما يوحى اى بل ايقولون
افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا انتم ايضا بعشر سور مثله فى البلاغة وحسن
النظم وهو نعت لسور اى مماثلة له فى البلاغة وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط
حتى يوصف المثنى بالمفرد كما فى قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا او للايذان بان وجه الشبه ومدار المماثلة فى
الجميع شيء واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور
اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن
المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور عليه شيء فى مقام التحدى وانما ذكر على نهج المساهلة
وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما يتوهم ان المراد هو المماثلة فى الافتراء والمعنى بعشر سور مماثلة له
فى البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عندى فانكم اقدر على ذلك منى لانكم عرب
فصحاء بلغاء قد مارستم مبادى ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم
والنثر وادعوا للاستظهار فى المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من آلهتكم التى تزعمون
انها ممدة لكم فى كل ما تأتون وتذرون والكهنة ومدارسكم الذين تلجؤون الى رأيهم فى الملمات ليسعدوكم
بها من دون الله متعلق بادعوا اى متجاوزين الله تعالى إن كنتم صادقين فى انى افتريته فان ذلك
يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم
يستجيبوا لكم اى فان لم يفعلوا ما كلفتموه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء صالله عم
الى انه عم على كمال امن من امره كان امرهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والضمير فى لكم للرسول
والجمع للتعظيم كما فى قول من قال • وان شئت حرمت النساء سواكم • او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عم فى
الامر بالتحدى وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه فى الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد
الرسوخ فى الايمان والطمانينة فى الايقان ولذلك رتب عليه قوله تعالى فاعلموا اى فاعلموا حين ظهر لكم
عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال عنه لشائبة ريب بوجه من

من الوجوه وبه تنفصح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة
العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه اى فاثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من
العلم أنما أنزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والافهام متسما بخصائص الاعجاز
من جهتى النظم الرائق والاخبار بالغيب وأن لا إله إلا هو اى واعلموا ايضا ان لا شريك له فى الالوهية
واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه أحد فهل أنتم مسلمون اى مخلصون فى الاسلام او ثابتون عليه
وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب فى الكل للمشركين من جهة الرسول صالله عم
داخلا تحت الامر بالتحدى والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجب لكم آلهتكم وسائر من لجأتم
تجأرون فى مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل
من خالق القوى والقدر وايراد كلمة الشك ح مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة آلهتهم تهكم بهم وتسجيل
عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق
بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعد ما اضطررتم الى ذلك وضاقت
عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم فى اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعد
استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان آلهتكم بمعزل عن
رتبة الشركة فى الالوهية واحكامها فهل أنتم داخلون فى الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة فى
حقيته وفى بطلان ما كنتم فيه من الشرك فتدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى دخولا
اوليا او منقادون للحق الذى هو كون القرآن من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد
وفى هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط
من نجيرهم آلهتهم من باس الله عز سلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما
سياتى من قوله تعالى فلا تك فى مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها اى ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة فى الرزق وكثرة الاولاد والرياسة
وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى نوف
اليهم أعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم بحيث لا يكادون يريدون الاخرة
اصلا وليس المراد بها اعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال ما يهواه فان ذلك
منوط بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما
نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذى يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال
البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم فى الحيوة الدنيا كاملة وقرئ يوف
على الاسناد الى الله تعالى وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفى بالتخفيف و
الرفع لكون الشرط ماضيا كقوله • وان اتاه خليل يوم مسغبة • يقول لا غائب مالى ولا حرم
وهم فيها اى فى الحيوة الدنيا لا يبخسون اى لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذى هو نقص الحق
مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التى هى اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم
بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال ومبالغة فى
نفى النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا والمعنى انهم فيها
خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا كليا واما فى الاخرة
فهم فى الحرمان المطلق والياس المحقق كما ينطق به قوله تعالى أولئك الخ فانه اشارة الى المذكورين
باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم فى سوء الحال اى اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها
ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا
واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون بها شيئا آخر فلا جرم لم يكن لهم فى
الاخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اى ظهر فى الاخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال

الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة للآخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من اعمال البر اذ شرط
الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في نفسه ما كانوا يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان
الاول من شأنه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني ليس له
جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان
المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة
كان في الثاني دون الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام
كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنيوية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك
ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ وباطلا
ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وعن انس رضي الله عنه
ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الحياة اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك
في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عم فاسهم لهم في الغنائم
وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال
فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله
تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم
ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وجل لما امر نبيه عم
والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله تعالى وبان لا قدرة لغيره على شيء اصلا وهيجهم
على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على
شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم
على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه ولقد بين ذلك اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما
ذكر من الايمان فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل أفمن كان على بينة من ربه اي
برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن وباعتباره او بتأويل البرهان
ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في
نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد
بكونه من عند الله تعالى عز اسمه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي من القرآن غير خارج عنه
او من جهته تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات
الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة من جهته تعالى
فالمراد بمن في قوله تعالى افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله تعالى فاعلموا فهل
انتم دخولا اوليا وقيل هو النبي صلى الله عم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد
بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله تعالى او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل عم او لسان النبي صلى الله عم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والاول هو الاول لما
كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه
مستشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي يشهد بامرها الى يوم القيامة
عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله تعالى ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما
عليه في النزول فكأنه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى
وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في
بينة وشاهد للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان
تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شأن المتلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من نزل اليهم ومن بعدهم الى يوم
القيامة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك

بتلك الصفة الحميدة وهي الكون على بينة من اصولها ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون
بطريق التقليد لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق ووصفهم بانهم يؤمنون به اي
يصدقونه حق التصديق بوجه ما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقرآن ولم يصدق
بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عم فالنار موعده
يردها لا محالة حسبما نطق به قوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان لهم فيها
ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر القرآن وكونه من عند الله عز وجل
عما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه الحق من ربك الذي يربيك في دينك
ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم
واستكبارهم ومن في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدأ خبره محذوف لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان
على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني ان بينهما تفاوتا وتباعدا بعيدا
لا يكاد يترايا ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب توهم المماثلة على ما ذكر من صفاتهما وعد
من هنالهم كأنه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان
على احسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى أفاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان علمتموه
رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن
هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق به كقولهم الملائكة بنات الله تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون
عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة
ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما
سيتلى من قوله تعالى لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد
منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء
على الله تعالى وفي هذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفي باسناده اليهم حيث قيل
يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل
بعمله افظع من عرض عمله مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من
دون الله تعالى ويقول الاشهاد عند العرض من الملائكة والنبيين ومن جوارحهم وهو جمع شاهد
او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني
عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لم يقولوا هؤلاء
كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار ويعم جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل
ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم [illegible] لا للشهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون
ويشهد الخ وتوطئة لما يعقبه من قوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز
ان يكون هذا على الوجه الاول من كلام الله تعالى وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم
[illegible] الذين يصدون اي كل من يقدر على صده [illegible]
الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها عوجا [illegible]
[illegible] وهم بالآخرة هم كافرون [illegible]
[illegible]
[illegible] اولئك [illegible] لم يكونوا معجزين
[illegible] في الارض [illegible] وما كان لهم
من دون الله من اولياء [illegible]
[illegible]

بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامّهم عن الحق وبغضهم له كأنهم
لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم إذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع أشد منه في عدم
تدبرهم في الآيات المنوطة بالأبصار بالغ في نفي الأول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني
بنفي الإبصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الأنفس والآفاق وهو استئناف
وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فإنها لا تسمع ولا تبصر [illegible] وقوله
تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من أول الأمر سوء العاقبة أولئك المنعوتون بما ذكر
من القبائح الذين خسروا أنفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الآلهة وشفاعتها أو خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه
ثلاثة أوجه الأول أن لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل
حق أنهم في الآخرة هم الأخسرون وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله
وفاعله ما دل عليه الكلام أي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور خسرانهم والثالث أن لا
جرم بمعنى لا بد أي لا بد أنهم في الآخرة هم الأخسرون وأيا ما كان فمعناه أنهم أخسر من كل خاسر فتبين أنهم
أظلم من كل ظالم وهذه الآيات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من إنكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين
من كان يريد الحياة الدنيا أبلغ تقرير فإنهم حيث كانوا أظلم من كل ظالم وأخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم
وبين من هو على مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار وأعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع في بيان حال أضدادهم
أعني فريق المؤمنين وما يؤول إليه أمرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى
أفمن كان على بينة من ربه الآية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا فقيل إن الذين آمنوا أي بكل
ما يجب أن يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الإيمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من
الله وإنما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي إلى ذلك في الأنفس والآفاق أو فعلوا
الإيمان كما في يعطي ويمنع وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أي اطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخضوع
والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة ومعنى أخبت دخل في الخبت كأتهم وأنجد دخل في تهامة ونجد
أولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة أصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون وبعد بيان حاليهما عقلا
أريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين أي حالهما العجيب لأن المثل لا يطلق إلا على ما فيه
غرابة من الأحوال والصفات كالأعمى والأصم والبصير والسميع أي كحال هؤلاء [illegible]
وإن أمكن أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بالأعمى وبالأصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن
الأدخل في المبالغة والأقرب إلى ما يشير إليه لفظ المثل والأنسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة
السمع وبعدم الإبصار أن يحمل على تشبيه الفريق الأول بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع
بين البصر والسمع على أن تكون الواو في قوله تعالى والأصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة
كما في قول من قال: إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم * وأيا ما كان فالظاهر أن
المراد بالحال المدلول عليه بلفظ المثل وهي التي يدور عليها أمر التشبيه ما يلائم الأحوال المذكورة المعتبرة
في جانب المشبه به من تعامي الفريق الأول عن مشاهدة آيات الله المنصوبة في العالم والنظر إليها بعين
الاعتبار وتصامّهم عن استماع آيات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون والكلام وإن لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الأعمى أظهر وأشهر في سوء الحال من الأصم ومن
استعمال الفريق الثاني لكل من أبصارهم وأسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الإيمان
والعمل الصالح والإخبات حسبما فسر فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لا جميع الأحوال المعدودة لكل من
الفريقين مما ذكر وما يؤدي إليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في أحدهما ومن النعيم المقيم في الآخر
فإن اعتبار ذلك ينزع إلى كون التشبيه تمثيليا بأن ينتزع من حال الفريق الأول في تصامّهم وتعاميهم المذكورين
ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من

ممن فقد مشعري السمع والبصر فيتخبط في مسالكه فوقع في مهاوي الردى ولم يجد إلى مقصده سبيلا وينتزع من
حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في آيات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة
فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي إلى سبيله وينال مرامه هل يستويان
يعني الفريقين المذكورين والاستفهام إنكاري مقرر لما سبق من إنكار المماثلة في قوله تعالى أفمن كان
على بينة الآية مثلا أي حالا أو صفة وهو تمييز من فاعل يستويان أفلا تذكرون أي أتشكون في عدم
الاستواء وما بينهما من التباين أو تغفلون عنه فلا تتذكرون بالتأمل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الإنكار
واردا على المعطوفين معا أو أتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا إلى عدم التذكر بعد تحقق
ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما في قوله تعالى أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فإن
الفاء هناك لإنكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
أو أفلا تفعلون التذكر أو فلا تعقلون ومعنى إنكار عدم التذكر استبعاد صدوره عن المخاطبين وأنه ليس مما
يصح أن يقع لا من قبيل الإنكار في قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه الآية وقوله تعالى هل يستويان
فإن ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة إلى هذا المقام أنها كتاب
محكم الآيات مفصلها نازل في شأن التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وأن الذي نزل عليه نذير
وبشير من جهته تعالى وقرر في تضاعيف ذلك بما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب
وإلزام المعاندين بما يقارنه من التسجيل بالحجة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
عما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له ونسبتهم القرآن تارة إلى السحر وأخرى
إلى الافتراء وتثبيته عليه السلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على أبلغ وجه وأبدع أسلوب شرع في تحقيق ما
ذكر وتقريره بذكر قصص الأنبياء المشتملة على ما اشتملت عليه فاتحة السورة الكريمة ليتأكد ذلك بطريقين
أحدهما أن ما أمر به من التوحيد وفروعه مما أطبق عليه الأنبياء قاطبة والثاني أن ذلك إنما علمه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام أصلا وليتسلى بما شاهد من معاناة الرسل قبله
من أممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم فقيل ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه الواو ابتدائية واللام
جواب قسم محذوف وحرف التحقيق لا للعطف كما في سورة الأعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه
اللام إلا مع قد لأنها مظنة التوقع وأن المخاطب إذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لمك
بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليهما السلام وهو أول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنه بعث عليه السلام على
رأس أربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة
وكان عمره ألفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة
وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفا وأربعمائة وخمسين سنة إني لكم نذير
بالكسر على إرادة القول أي فقال أو قائلا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالفتح على إضمار حرف الجر
أي أرسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو أني لكم نذير بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كأن
والمعنى على الكسر وهو قولك إن زيدا كالأسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لأن دعوته عليه السلام كانت
بطريق الإنذار فقط [illegible]
[illegible] مبين أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص منه
لأن الإنذار إعلام المحذور [illegible]
نعبدوا إلا الله أي بأن لا تعبدوا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] إني أخاف عليكم عذاب
يوم أليم [illegible]

ووصفه بالأليم على الإسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم ومدة المقالة وما في معناها مما قاله عليه السلام في
أثناء الدعوة على ما عرف في سائر السور لما لم يصدر عنه عم مرة واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك
المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات عطف على فعل الإرسال
المقارن لها والقول المقدر بعده جواب لمن تعرض لأحوال قومه في الكيفية التي يتبعونه عم والفاء
التعقيبية فقيل فقال الملأ الذين كفروا من قومه أي الأشراف منهم من قولهم فلان مليء بكذا أي مطيق
له لأنهم ملؤوا الكفاية أي الأمور والأنهم ملؤوا القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء
الصائبة ووصفهم بالكفر لذمهم لا لأن بعض أشرافهم ليسوا بكفرة ما
نراك إلا بشرا مثلنا مرادهم ما أنت إلا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بالنبوة ووجوب
الطاعة ولو كان كذلك لرأيناه لا أن ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك
إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى إلا بشرا مثلنا حال من
المفعول وكذا قوله اتبعك في موضع الحال منه إما على حاله أو بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز أن
يكون من رؤية القلب وهو الظاهر فهو المفعول الثاني وتعلق الرأي في الأول بالمثلية لا بالبشرية فقط
وإنما لم يبتوا القول بذلك مع جزمهم به وإصرارهم عليه إراءة بأن ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التأمل
في الأمر والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما سيأتي ونفرهم ههنا من أول الأمر برأي المتبعين فكان
قولهم وما نراك جوابا عما يرد عليهم من أنه عليه السلام ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته واختصه بما ع
ن له لعين بنصر وقالت بدرك وزعموا أن هؤلاء أراذلنا أي أخساؤنا وأدانينا جمع أرذل فإنه صار
بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالأكبر والأكابر أو جمع أرذل جمع رذل كالكلب وأكلب وكلاب يعنون أنه لا عبرة
باتباعهم لك إذ ليس لهم رزانة عقل ولا أصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي أي ظاهره من غير
تعمق من البدو أو في أوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قرأه أبو عمرو بها وانتصابه
على الظرفية على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وإنما استرذلوهم مع كونهم
أولي الألباب الراجحة لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهر الحياة الدنيا كان الأشرف عندهم الأكثر منها حظا
والأرذل من حرمها ولم يفقهوا أن ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وأن النعيم إنما هو نعيم الآخرة
والأشرف من فاز به والأرذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم أي لك ولمتبعيك فغلب
المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون أن اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديهم فضيلة
تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على عدم ذكر رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار
حالهم الباقي والراجح ومرادهم أنهم كانوا أراذل قبل اتباعهم لك لا نرى بينهم وبينك بعد الاتباع فضيلة
علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة أو إياك في دعوى النبوة وإياهم
في تصديقك واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم إلى المجازفة ومجاراة معه عم بطريق
الإراءة على نهج الإنصاف قال يا قوم أرأيتم أي أخبروني وفيه إيماء إلى ركاكة رأيهم المذكور إن كنت
على بينة برهان ظاهر من ربي وشاهد يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز
أن يكون هي البينة نفسها جيء بها إيذانا بأنها مع كونها بينة من الله رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه
إفراد الضمير في قوله تعالى فعميت عليكم الخ ظاهر وإن أريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على
صحتها فالإفراد لإرادة كل واحدة منهما أو لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء
النبوة أو لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى عميت أخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته أن
الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة أبي فعماها عليكم
على الإسناد إلى الله تعالى أنلزمكموها أي أنكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب أرأيتم وساد مسد
جواب الشرط وقرأ أبو عمرو بإخفاء حركة الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد تقدم أعرفهما جاز
في الثاني الوصل والفصل فوصل كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله وأنتم لها كارهون لا تختارونها
ولا تتأملون فيها ومحصول الجواب أني إن كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي إلا أنها خافية عليكم

عليكم غير مسلمة عندكم أيمكننا أن نكرهكم على قبولها وأنتم معرضون عنها غير متدبرين فيها أي لا يكون ذلك
وظاهره مشعر بصدوره عنه عم بطريق إظهار اليأس عن إلزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم
نصحي الخ لكنه محمول على أن مراده عم ردهم عن الإعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الإنكار إلى
الإلزام حال كراهتهم لها لا إلى الإلزام مطلقا ويجوز أن يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك
الفضل وبحسبه يمتاز أفراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله تعالى والاجتباء للرسالة
وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة على أن يكون الضمير للبينة عدم إدراكهم
لكونه عم عليها وبالرحمة النبوة التي أنكروا اختصاصه عم بها بين ظهرانيهم والمعنى أنكم زعمتم أن عهد النبوة لا
ينالها إلا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم أخبروني إن امتزت عنكم بزيادة
مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها بينة من عنده فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها
ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها إلى الآن حتى زعمتم أني مثلكم وهي متحققة في نفسها أنلزمكم
قبول نبوتي التابعة لها والحال أنكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الإقرار وهو الأنسب بمقام
المحاجة وحينئذ يكون كلامه عم جوابا عن شبهتهم التي أدرجوها في خلال مقالهم من كونه عم بشرا قصارى
أمره أن يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة آرائهم الركيكة ويا قوم لا أسألكم عليه
أي على ما قلته في أثناء دعوتكم مالا تؤدونه إلي بعد إيمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك أجرا لي في مقابلة
اهتدائكم إن أجري إلا على الله الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حين نسب إليهم بالمال ما لا يخفى
من المزية وما أنا بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك إلا الذين هم
أراذلنا من أنه لو اتبعه الأشراف لوافقوهم وأن اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرحوا به في قولهم أنؤمن
لك واتبعك الأرذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لإيمانهم به عم بذلك أنفة من الانتظام
معهم في سلك واحد إنهم ملاقو ربهم تعليل لامتناعه عم عن طردهم أي إنهم فائزون في الآخرة بلقاء
الله تعالى كأنه قيل لا أطردهم ولا أبعدهم عن مجلسي لأنهم مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف
الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم أو مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به
عالمون أنهم ملاقوه لا محالة فكيف أطردهم وحمله على معنى أنهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان
صحيح ثابت كما ظهر لي أو على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء إيمانهم على بادي الرأي من غير نظر وتفكر
وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون يأباه الجزم
بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما سيأتي وأيضا فهم إنما قالوا إن اتباعهم لك إنما هو بحسب بادي الرأي
بلا تأمل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمؤاخذة في الآخرة غايته أن لا يكونوا في مرتبة الموقنين
وادعاء أن بناء الإيمان على ظاهر الرأي يؤدي إلى الرجوع عنه عند التأمل فكأنهم قالوا إنهم اتبعوك
بلا تأمل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكني أراكم قوما تجهلون لكل ما
ينبغي أن يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله تعالى وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما
سيأتي وبركاكة رأيهم في التماس ذلك وتوقيف إيمانهم عليه أنفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما
منهم أن الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وإيثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار وتسافهون
على المؤمنين بنسبتهم إلى الخساسة ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه عني إن طردتهم
فإن ذلك أمر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وإنما لم يصرح به إشعارا بأنه
غني عن البيان لا سيما بعد ما قدم ما يلوح به من أحوالهم فكأنه قيل من يدفع عني غضب الله تعالى إن
طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى أفلا تذكرون أي أتستمرون
على ما أنتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا أن ما تأتونه بمعزل عن
الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد أفردت عن
التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا أقول لكم حين ادعي النبوة عندي خزائن الله أي رزقه
وأمواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فإن

النبوة اعز من ان تنال باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اي لا ادعي
في قولي اني لكم نذير مبين اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد
ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني
انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلاثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك ولا الذي
ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم
كما تقولون للذين تزدري اعينكم اي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه واسنادا الازدراء الى
اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم
ولو تدبروا في شانهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شان الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن
يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الآخرة فعسى الله ان يؤتيهم خير الدارين ان قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة
ولا مما يتوهمون صدوره عنه عم اصالة او استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن
مما نفاه عم عن نفسه بطريق التبري والتنزه عنه فمن اي وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا
النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانما لا تنتفع
من ابتنى على تلك الصفات وان اتباعه على مكانها واغتنام مغانمها ليس من داب الاراذل فاجاب عم بنفي ذلك
جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه موانع الخير الله اعلم بما
في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عم جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما
في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم
وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على الشواهد
الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم
ونقص حقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في
ازدرائهم واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد
لان نفي تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيت بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه
بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله ولما حجهم عم وابرز لهم بينات
واضحة الدلول وحججا تتلقاها العقول بالقبول والقمهم الحجر وردّ شبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت
بهم العلل وقالوا فأتنا بما تعدنا من العذاب المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله تعالى اني اخاف
عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول
قال انما يأتيكم به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي
كفرتم به وعصيتموه يأتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل
الموعود فكانه قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله تعالى وما انتم بمعجزين
بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه
الخير من فعل او قول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام موضع الغي
ليتقى وموضع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان
اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى ان كان الله يريد
ان يغويكم والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا على ما ذهب
اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله تعالى ولا
ينفعكم نصحي جزاء للشرط الاول والجملة جزاء للشرط الثاني وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بقولهم قد
جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عم اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وايذانا
بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم وبانه لم يأل جهدا في
ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله

تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته تعالى انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن
للارادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم
وانما اقتصر في ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة في بيان
غلبة جنابه تعالى حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه
لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للاشعار بتقدم ارادته سبحانه زمانا
كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم
فاتنا بما تعدنا من قوله انما ياتيكم به الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب
مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده غير
واقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك
امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال ابن عباس رض يعني نوحا عم ومعناه
بل ايقول قوم نوح ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله تعالى قل يا نوح ان افتريته بالفرض البحت
فعلي اجرامي اي وبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده ان فسره الاولون بآثامي وانا
بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم عني ومعاداتكم لي وقيل معناه بل
يقولون مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عم خبر نوح فكانه انما جيء به
في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيته وتأكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها
لاسيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عم وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة بها ۷۰
واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عم من ايمانهم واعلام لكونه
كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد آمن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وهذا الاستثناء على
طريقة قوله تعالى الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم
بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت
الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا باعيننا اي بحفظنا وكلائتنا كأن معه من الله تعالى حفاظا وحراسا
يكلؤونه باعينهم من التعدي من الكفرة ومن الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن
ابن عباس رض انه لم يعلم صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر والامر للوجوب اذ لا
سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بالوحي الى
انه عم الله سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بامره تعالى ووحيه من شانه كيت وكيت واسمه كذا
واما للحقيقة وقيل صنعها في سنتين وقيل في اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلها ثلاثة بطون حمل
في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جلس
هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عم وقيل جعل في الاول الدواب والوحش
وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين
ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى
لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب
فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله
تعالى فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عم اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب
ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح فقال كان طولها الف ومائتي ذراع وعرضها
ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن
الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه
من المبالغة ما ليس في ان يقال ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بالسببية اكد التعليل فقيل انهم مغرقون
اي محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة
للمعتبرين ومثلا للآخرين ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ

يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وايا ما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره أعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية يهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عم كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما رأوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عم عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله عم في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن بصدده فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عم سخرية من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفي بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة في قوله تعالى فانا نسخر منكم الخ فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عم اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره وتشافهه عم اياهم بذلك والا فعده عم اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنه عم لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء لما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم به ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستيناف فكأن سائلا سأل فقال فما صنع نوح عم عند بلوغهم منه المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي ان تستجهلونا فيما نحن بصدده من التأهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الجهل ونسخر وانما لاجله فانا نستجهلكم فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله تعالى كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عنا ملأ عنه ملأ لا في الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشأن النبي صلى الله عليه وسلم فكلا الامرين واقع في الحال وقيل نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ولعل مراده تعالى معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا يساعده لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخرية او ما يجري مجراها فتأمل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم وهو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهي اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عم في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد استجهالهم فسوف تعلمون من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وابراز الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما وقال استيناف على تقدير سؤال سائل كما ذكرناه وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عم وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عم الى الجواب كلما وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روي انه قيل لنوح عم اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم عم وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس رضه وعكرمة والزهري ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله عنه فار التنور

التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لا بد منه في الارض زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للآخر وقرئ على الاضافة وانما قدم على ذلك اهله وسائر المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عم في تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج كما روي انه عم قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلهما في السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل او لانها تحمل بما يزيد البشر وهم انما يدخلونها بعد حملها اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول فانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما هو نافع لهم في قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في من محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله تعالى وما آمن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عم واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نساء وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح عم سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة وقال اي نوح عم لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله في الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج او ادخلها في الفلك وقال للمؤمنين اركبوا فيها كما يشعر به قوله تعالى وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عم جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة وقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او بارادة القول ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرساها جملة مستقلة من مبتدأ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها بسلام آمنين او جملة مقتضبة على ان نوحا عم امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله [illegible] وقيل انه عم كان اذا اراد ان تجري بها يقول بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست [illegible] وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجرورين صفتين لله تعالى [illegible] ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك [illegible] وهي تجري بهم [illegible]

الامر بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه
كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في جوفه كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا ولئن
صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك
انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح عم وبين ابنه من
المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته
وكان ربيبه ولا يقال من كان لغير رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فانه ارتكاب عظيمة لا يتقادر قدرها فان جناب
الانبياء صلوات الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في
الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائمه الاستدعاء
الى السفينة فانه صريح في انه عم لم ييأس من نجوته بعد وكان في معزل اي في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه
واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل في معزل من الكفار قد
انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن
وقيل كان يعلم انه كافر الا انه في ذلك الوقت لكنه عم ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه
ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذي تقدم من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا في كون ابنه داخلا
تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني بالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء
الاضافة في قولك يا بنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة او سقطت الالف والياء لالتقاء
الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا قرأه ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء في الميم لتقاربهما
في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض
مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين وان
كان ذلك مما يوجبه لما يوجبه ركوبه معه عم كونه معه في الايمان لانه عم بصدد التحذير عن المهلكة
فلا يلائمه النهي عن الكفر قال سآوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك
كساير المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربا وانى له ذلك وقد بلغ السيل
الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجا المؤمنين قال لك
اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما
ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه فعدل
لنفي وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف اصلا لكونه عم حيث قال لا
عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في قولهم ليس فيه
داع ولا مجيب اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم
للتنبيه على انه ليس كساير الايام التي تقع فيها الوقايع وتلم فيها الملمات المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء
الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذا
جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه كساير المياه التي يتقى
منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا للنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر
العصمة في جناب الله عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما
لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه
وكل ذلك لكمال عنايته عم بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة
وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا
مكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله وحال بينهما الموج اي بين نوح
وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المحاورة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع
على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه

بينه وبين الملتجى اليه موج وفيه دلالة على هلاك ساير الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقررا الوقوع
غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار مبالغة في كونه منهم وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له
من ازدراد الحيوان ما ياكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي ماءك اي ما على وجهك
من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف
بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن
ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اذا كفت وغيض الماء اي نقص ما بين
السماء والارض من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم
الامر واستوت استقرت الفلك على الجودي هو جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عم ركب في
الفلك في عاشر رجب ونزل في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين
اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله تعالى ولا تخاطبني في
الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها
وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز
الكلام في هذا الباب ونفوض الامر الى تأمل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه
اي اراد ذلك بدليل الفاء في قوله تعالى فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم في
ضمن الامر بحملهم في الفلك او النداء على حقيقته والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق
اي وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا
وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع
من الدرع وهذا الدعاء منه عم على طريقة دعاء ايوب عم اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم
الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عم بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفي اولا
كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية
ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه عنهم بالاستثناء
وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستيناف
التحقيقي بقوله تعالى انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول
الخنساء فانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد من
شانه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو غير قابل للصلاح بالكلية واما للتلويح بان نجاة من
نجا انما هي لصلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح ولما كان دعاؤه
عم مبنيا على ما ذكر من اعتقاده كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على
ذلك النهي عن سؤال انجائه الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا
فقيل فلا تسألن [illegible] ما ليس لك به علم اي مطلبا
لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على ان ما عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول
للسؤال او مطلبا لا تعلم ان الصواب [illegible] عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون
النهي واردا [illegible] معلوم الفساد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لا يستوجب بهلاكه وضلالا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله
ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عم ان يدعوه الى الفلك او يدعو ربه لانجائه
واعتزاله عنه عم وتفوهه الى الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون
ذلك لجهله باختصاص النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل يجري مجراه او لكراهة الاجتماع في الفلك
بل قوله ساوي الى جبل يعصمني من الماء بعد ما قاله نوح عم ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عم في ايمانه
حيث لم يقل لا اكون معهم او اسنادي او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما
يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عم الا انه عم لو تامل
في شانه حق التامل وتفحص عن احواله في كل ما ياتي ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى
من اهله ولذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين فتفرع عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا
تسألن بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب اني اعوذ بك ان اسألك اي
اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه
صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة مما
وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيه وتبركا
بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسألك لما فيه من الدلالة على كون ذلك
امرا هائلا محذورا لا محيص عنه الا بالعوذ بالله تع وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك
والا تغفر لي ما صدر عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان
الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء
والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله
تع في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء
وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين
مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء
بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض مهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان
لا يتقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين بناء على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر
الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا
اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك انما كان لتكرير التوبيخ
وتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال موسى
لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما
يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو
قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن
فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة
النسبية الخ لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء كما ترى مستدع
لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من توبته عم المودي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الوارد بنزوله
من الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما سيجيء مفصلا ولا ريب في ان هذه المعاني
اخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الايات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض وان ذلك
انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال ذكر تمامها قبل
هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع ايجاز
البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء الثاني عقيب قوله فكان من
المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله تعالى انه ليس من اهلك الخ انه ينجو بدعائه فنص على
هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية

الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم
بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء الفلك على الجودي فقصت القصة الى هذه
المرتبة وبين ذلك اي بيان ثم تعرض لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت
حكمته فذكر بعد توبته عم قبولها بقوله تع قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام
ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين
وبركات عليك اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة
وهذا اعلام وبشارة من الله تع بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه في كل
ما ياتي ويذر وعلى امم ممن معك ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة
المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة وامم سنمتعهم اي وممن معك امم سنمتعهم على انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه وان
ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم
ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا معذبون في الاخرة وعلى
هذا لا يكون الكائنون مع نوح عم مسلما ومباركا عليهم صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عم
ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك
وانما سموا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما تتشعب منهم فحينئذ يكون
المراد بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم
الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيمة ويبقى امر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما غير متعرض
له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على جزم المحذوف خفاء لان من المذكور بيانية
والمحذوف تبعيضية او ابتدائية فتامل ثم يمسهم اما في الاخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم
عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من
المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم
ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب
ما نزل بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عم اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد او للدلالة على
بعد منزلتها وهي مبتدا خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست من قبيل سائر الانباء بل هي
سبح وحدها متفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو
الخبر وما بعده متعلق به وايثار صيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب اي موحاة
اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر اخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا
اي من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت
او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على
انه عم لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوه فكيف بواحد منهم فاصبر متفرع على
الايحاء او العلم المستفاد منه والمدلول عليه بقوله تعالى ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي
واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح عم على
ما سمعته من انواع البلاء في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الاخرة للمتقين كما شاهدته
في نوح عم وقومه وذلك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر
فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه
ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما يعتريه من ضيق صدر وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى
الدرجة الاولى منه اعني التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة
التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثالثة منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطوية

الصبر المذكور فكأنه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين **والى عاد** متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا
في قصة نوح وهو الناصب لقوله تعالى **اخاهم** اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم
يا اخا العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار وقيل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور
فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى **هودا** عطف بيان لاخاهم وكان
عم من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ
بن ارفخشد ابن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب
في اقتفائه **قال** لما كان ذكر ارساله عم اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه
بطريق الاستئناف فقيل قال **يا قوم اعبدوا الله** اي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى **ما لكم من اله غيره**
فانه استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المأمور بها والتعليل للامر بها كأنه قيل خصوه بالعبادة
ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه
ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها **الا مفترون** عليه تعالى عن
ذلك علوا كبيرا **يا قوم لا اسألكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني** خاطب به كل نبي قومه
ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التأثير وايراد الموصول
للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذي
لا يتأتى الا بالجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها الاجر **افلا تعقلون**
اي تغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا
اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء **ويا قوم استغفروا ربكم** اي اطلبوا مغفرته لما سلف
منكم من الذنوب بالايمان والطاعة **ثم توبوا اليه** اي توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبري من الغير انما يكون
بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده **يرسل السماء عليكم مدرارا** اي كثير الدرور **ويزدكم قوة**
مضافة ومنضمة **الى قوتكم** اي يضاعفها لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات
قيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم عم كثرة الامطار وتضاعف
القوة بالتناسل على الايمان والتوبة **ولا تتولوا** اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه **مجرمين** مصرين على ما كنتم
عليه من الاجرام **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة** اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم
وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات الفائتة للحصر **وما نحن بتاركي آلهتنا** اي بتاركي عبادتها **عن**
قولك اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل
على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف
اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا **وما نحن لك بمؤمنين** اي بمصدقين في شيء مما
تأتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة على شدة
الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى **ان نقول الا اعتراك** اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك
بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية فمن ثمة
من قولك تكلم بمثله عن انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبغي غنية
نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام
متقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عم كما قالوا في
حاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه
يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة عن المجانين
فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى
الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عم حجة في نفسه وان لم تكن
واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عم بقولهم وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك مع امكان
تحقق ذلك بتصديقهم له عم في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عم بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه

كلامه عم مما يحتمل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا فقاتلهم الله انى يؤفكون
قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي من غير
ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله
بها من سلطان او مما تشركونه من آلهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم
مما يضر او ينفع وانها بمعزل من ذلك ولما كان ما وقع الامر به عم في حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية
انما وقع في ضمن الامر بعبادة الله تعالى واختصاصها به وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى
زعموا انها تصيبه عم بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عم بالحق وصدع به حيث اخبر ببراءته القديمة عنها
بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة
بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد مع آلهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض آلهتنا
والتعاون في ايصال الكيد اليه عم ونهاهم عن الانظار والامهال في ذلك فقال **فكيدوني جميعا ثم لا**
تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها او يصد عن عبادتها ولو
بطريق ضمني فاني بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك
فالفاء لتفريع الامر على زعمهم من قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عم كان
رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد ويحثهم على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم
على التصدي لاسباب المعاداة والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك
ظهورا بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال **اني توكلت على الله ربي**
وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى
وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام واثق بكلائته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي
ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله **ما من دابة الا هو**
آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ
بالناصية تمثيل لذلك **ان ربي على صراط مستقيم** تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره
اي هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار
على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان فائدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا
راجعة اليه عم **فان تولوا** اي تتولوا بحذف احدى التاءين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والا
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم
الحق فأبيتم الا التكذيب والجحود **ويستخلف ربي قوما غيركم** استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم
ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه
بالجزم عطفا على الموضع كأنه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصاره
اضافة الرب عليه عم رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين **ولا تضرونه** بتوليكم **شيئا** من الضرر لاستحالة
ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون **ان ربي على كل شيء حفيظ** اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه
اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل **ولما جاء امرنا**
اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم و
التهويل او ورد امرنا بالعذاب **نجينا هودا والذين آمنوا معه** وكانوا اربعة آلاف **برحمة** عظيمة كائنة
منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه **ونجيناهم من عذاب غليظ** اي كانت
تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم
فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وهذه
التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في
الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب الغليظ **وتلك عاد** انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة
او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم **جحدوا بآيات ربهم** كفروا بها بعد ما استيقنوها **وعصوا رسله**

جمع الرسل مع أنه لم يرسل إليهم غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم وإظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان أن عصيانهم
له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين أحد من رسله ويجوز
أن يراد بالآيات ما أتى به هود وغيره من الأنبياء عليهم السلام وفيه زيادة مبالغة لما تقدم من جحد الآيات وما
تأخر من قوله تعالى واتبعوا أمر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة إلى الضلال وإلى تكذيب
الرسل فكأنه قيل عصوا كل رسول واتبعوا أمر كل جبار عنيد وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان
الرسل في الشمول لكل فرد فرد منهم فإن الاتباع للأمر من أوصاف الأسافل دون الرؤساء وعنيد فعيل
من عند عندا وعنودا إذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم إلى الهدى وأطاعوا من دعاهم إلى الردى وأتبعوا
في هذه الدنيا لعنة إبعادا عن الرحمة وعن كل خير أي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية
للمبالغة فكأنها لا تفارقهم وإن ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا أو لوقوعه في صحبة اتباعهم
رؤساءهم يعني أنهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيامة أي أتبعوا يوم القيامة
أيضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الأولى عليها وللإيذان بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه
لم يجتمعا في قرن واحد بأن يقال وأتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في
هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إيذانا باختلاف نوعي الحسنتين فإن المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة
والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الأخروية الثواب والرحمة ألا إن عادا كفروا ربهم أي بربهم ونعمه
ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر أو جحدوه ألا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين
أي هلاك تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجابا للدمار وتكرير حرف التنبيه وإعادة عاد
للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد
الثانية عاد إرم والإيماء إلى أن استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه وإلى
ثمود أخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى وإلى عاد أخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا
باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن إرم بن سام وقيل سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل
وصالح عليه السلام من بني عبيد بن آسف بن ماسخ بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الإخبار بإرساله إليهم مظنة
لأن يسأل ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله أي وحده
وعلل ذلك بقوله تعالى ما لكم من إله غيره ثم زيد فيما يبعثهم على الإيمان والتوحيد ويحثهم على زيادة
الإخلاص فيه بقوله هو أنشأكم من الأرض أي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره [illegible]
فإن خلق آدم عليه السلام منها خلق لجميع أفراد البشر منها لما مر مرارا من أن خلقته عليه السلام لم تكن مقصورة على نفسه
كانت أنموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد إلى يوم القيامة انطواء إجماليا وقيل إن خلق آدم
وإنشاء مواد النطف التي منها خلق نسله من التراب إنشاء لجميع الخلق من الأرض فتدبر واستعمركم فيها أي
عمركم واستبقاكم فيها أو من العمارة أي أقدركم على عمارتها أو أمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى
أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم
معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لمن بعدكم فاستغفروه ثم توبوا إليه فإن ما فصل من فنون
الإحسان داع إلى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد
زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل إن ربي قريب أي قريب الرحمة كقوله تعالى إن رحمة الله قريب من
المحسنين مجيب لمن دعاه وسأله وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة
على الأمر بالاستغفار والتوبة وأخر عنه ذكر العلة المتأخرة عنهما في الوجود وهي الإجابة قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجوا أي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشاد أن تكون لنا سيدا
أو مستشارا في الأمور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو أن تدخل في ديننا
وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة إلى التوحيد وترك عبادة الآلهة أو قبل هذا
الوقت فكأنهم لم يكونوا إلى الآن على يأس من ذلك ولو بعد الدعوة إلى الحق فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا
وقرأ طلحة مرجوا بالمد والهمز أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا أي عبدوه والعدول إلى صيغة

المضارع لحكاية الحال الماضية وإننا لفي شك مما تدعونا إليه من التوحيد وترك عبادة الأوثان
وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب أي موقع في الريبة من أرابه أي أوقعه في الريبة أي قلق
النفس وانتفاء الطمأنينة أو من أراب إذا كان ذا ريبة وأيا ما كان فالإسناد مجازي والتنوين فيه وفي
شك للتفخيم قال يا قوم أرأيتم أي أخبروني إن كنت في الحقيقة على بينة أي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة
من ربي مالكي ومتولي أمري وآتاني منه من جهته رحمة نبوة وهذه الأمور وإن كانت محققة الوقوع لكنها
صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني
من الله أي ينجيني من عذابه والعدول إلى الإظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب إنكار النصرة على ما
سبق من إيتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى إن عصيته
أي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وما تذرون فإن العصيان ممن ذلك شأنه أبعد
والمؤاخذة عليه ألزم وإنكار نصرته أدخل فما تزيدونني إذا باستتباعكم إياي كما ينبئ عنه قولهم قد
كنت فينا مرجوا قبل هذا أي لا تفيدونني إذ لم يكن فيه أصل الخسران حتى تزيدونه غير تخسير أي غير أن
تجعلوني خاسرا بإبطال أعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى أو فما تزيدونني بما تقولون غير أن أنسبكم إلى
الخسران وأقول لكم إنكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم
من إنكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما يقتضيه من كونه على بينة من ربه وإيتائه النبوة ويا قوم هذه
ناقة الله الإضافة للتشريف والتنبيه على أنها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق
لكم آية معجزة دالة على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال
من آية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز أن يكون ناقة الله بدلا من هذه
أو عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في آية فذروها تأكل في أرض الله ترع نباتها
وتشرب ماءها وإضافة الأرض إلى الله تعالى لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الأمر بتركها وشأنها
ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي عن التعرض لها بما يضرها حيث نهي عن المس الذي هو من مبادي الإصابة
ونكر السوء أي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم
عذاب قريب أي قريب النزول روي أنهم طلبوا منه أن يخرج من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء تخرج
جوفاء وبراء وقالوا إن فعلت ذلك صدقناك فأخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن
فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما
وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من
الإيمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر
وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب
مواشيهم إلى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار
فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا فقال صالح لهم أدركوا الفصيل عسى
أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تمتعوا
أي عيشوا في داركم أي في منازلكم أو في الدنيا ثلاثة أيام قيل قال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة
وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك إشارة إلى ما يدل عليه الأمر
بالتمتع ثلاثة أيام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب
أي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا أو غير مكذوب على
المجاز وكأن الواعد قال له أفي بك فإن وفى به صدقه وإلا كذبه أو وعد غير كذب على أنه مصدر كالمجلود والمعقول
فلما جاء أمرنا أي عذابنا أو أمرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين آمنوا معه متعلق
بنجينا أو بآمنوا برحمة أي بسبب رحمة عظيمة منا وهي بالنسبة إلى صالح النبوة وإلى المؤمنين الإيمان
كما مر أو ملتبسين برحمة ورأفة منا ومن خزي يومئذ أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة

كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزي يومئذ اي من ذلته ومهانته او فضيحتهم يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه وفي المعارج في قوله تعالى من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب لرسول الله هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا عجزه ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لاسيما عند الانبا بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر لتسجيل عليهم بالظلم واشعارا بعلية نزول العذاب الصيحة اي صيحة جبريل عم وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي بلادهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عندما ابتدأ نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما رأوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت قلوبهم فهلكوا كأن لم يغنوا اي كأنهم لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم وهو في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام قط الا ان ثمودا وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفي النجم وقرأ حفص هنا وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد والهلاك في قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرأ الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم الملائكة عن ابن عباس رضي انهم جبريل وملكان وقيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عم بل الى قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عم ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اي ملتبسين بها قيل هي مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحق الاية وقوله وبشرناه بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا على مجيئها كما سيأتي وقيل هي البشارة بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عم في شأنهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف سر تفرع الجدال له على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اي سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما قال سلام اي عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم في حرام وقرأ ابن عبلة قالا سلاما وعنه انه قرأ بالرفع فيهما فما لبث اي ابراهيم ان جاء بعجل اي في المجيء به او ما ابطأ مجيئه بعجل حنيذ اي مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من حنذ الفرس اذا عرقته بالجلال فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم يأكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روي انهم كانوا ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه عم راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له برؤية عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من الناس الا يرى الى قوله تعالى

تعالى في سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم اي احس او اضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عم اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تأخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما رأوا منه مخايل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره عم له قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استئناف في معنى التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم آخرين يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤاله عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامرأته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق اي عقبنا سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحاق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها اي ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف اي من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى او واقع في الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عم وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استئناف ورد جوابا عن سؤال من سأل وقال فماذا قالت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت أألد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا بعلي اي زوجي واصل البعل القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل فيه الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر محذوف او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في أألد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي أألد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عم لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع من الولادة الى جانب ابراهيم عم وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصرت على الاستبعاد بما ذكر ولم يتعرض لحال النافلة لان المستبعد حصول الولادة فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستئناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله تعالى عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا أتعجبين من امر الله قدرته وحكمته او تكوينه او شأنه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والآيات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد مما يتعلق به مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتها عند الله سبحانه

كرامة سائر الناس وان تسبح الله تع وتحمده وتمجده والى ذلك اشار بقوله تعالى رحمت الله التى وسعت كل
شىء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اى خيراته النامية المتكاثرة فى
كل باب التى من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبيا
منهم وكلهم من ولد ابرهيم عليهم السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص لانهم اهل بيت
خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابرهيم عم ايضا ليكون جوابهم
لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار تعجبها كانه قيل
ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شىء قدير ولستم يا اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى
كسائر الطوايف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شىء وبركاته اى خيراته النامية الفايضة
بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير
الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله تعالى رحمت الله وبركاته عليكم فلما ذهب
عن ابرهيم الروع اى ما اوجس منهم من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء
لربط بعض احوال ابرهيم عم ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبى من كل وجه بل له مدخل تام فى السباق
والسياق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفايدة فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس منتظرة
الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى ان فسرت البشرى بقولهم لا تخف
فسببية ذهاب الخوف ومجى السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا فى قوم لوط اى
جادل رسلنا فى شانهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة
واما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمها فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمينان قلبه بسلامته
وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية ارايتم لو كان
فيها خمسون رجلا من المومنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة
قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابرهيم عم قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم
لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم فى شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب
عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا
الى قوم لوط قلنا كان لوط عم على شريعة ابرهيم عم وقومه مكلفين بها فلما راى من الملئكة ما راى
خاف على نفسه وعلى كافة امته التى من جملتهم قوم لوط ولا ريب فى تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف وانما
الذى علمه عم بعد النهى عن الخوف هو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل والله
الموفق ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على
الناس منيب راجع الى الله تع والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ان حمله عم ما صدر عنه
من المجادلة يا ابرهيم اى قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه اى الشان قد جاء امر
ربك اى قدره الجارى على وفق قضائه الازلى الذى هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية
الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشيا من اوقاتها وهو المعبر
بالقدر وانهم آتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا
قال ابن عباس رض انطلقوا من عند ابرهيم الى لوط عليهما السلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا
عليه فى صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سىء بهم اى ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان
يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرأ نافع وابن عامر والكسائى وابو عمرو ويعقوب باشمام
السين الضم وقد روى ان الله تعالى قال للملئكة لا تهلكوهم حتى يشهد لوط عليهم اربع شهادات فلما
مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها
لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت
امراته فاخبرت به قومها وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اى ضاق

ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه
والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل لوساعة وكذا قدر الذرع
مجازا او ان بدنه ضاق عن قدره من احتمال ما داخل فيه وقيل الذراع اسم للجارحة من المرفق الى الانامل
والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع فى قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها
طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع لا يتناول ما يتناوله الطويل الذرع فتقاصر عنه ويحرم
عن نفاده فضرب مثلا للذى قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من
عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه اى لوطا وهو فى بيته مع اضيافه يهرعون كانما يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله تعالى ومن قبل اى ومن قبل هذا
الوقت كانوا يعملون السيئات اى جاءوا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين فى عمل السيئات فتمرنوا
ومرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قبحها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال
يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم
لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا وقد زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته
من عتبة بن ابى لهب وابى العاص بن الربيع قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد
ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك
القول منه مجرى على الحقيقة بل كان ذلك مبالغة فى التواضع لهم واظهار الشدة
امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا فى ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما هم عليه
مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت
ما لنا فى بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون
فى ضيفى اى لا تفضحونى فى شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا تخجلونى من الخزاية
وهى الحيا اليس منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق الصريح ويرعوى عن الباطل القبيح قالوا
معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهى عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد
علمت ما لنا فى بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة
بيننا وبينك وما عرضك الا عرض سابرى ولا مطمع لنا فى ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكور
ولما يئس عم من ارعوائهم عما هم عليه من الغى قال لو ان لى بكم قوة اى لو ثبت ان لى بدفعكم قوة
بنفسى لفعلت بكم ما فعلت او آوى الى ركن شديد عطف على
ان لى بكم قوة لما فيه من معنى الفعل اى لو قويت على دفعكم بنفسى او اويت الى ناصر عزيز قوى اتمنع به عنكم
شبه به ركن الجبل فى الشدة والمنعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان ياوى الى
ركن شديد روى انه عم اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما
رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك باضرار ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا
ستاذن جبريل عم ربه رب العزة جل جلاله فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها
فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس
اعينهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان
فى بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء فى القران من
السرى والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهى من جنابه تعالى
البدء بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم اى لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه احد منك ومن
اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا فى السير فان من يلتفت الى ورائه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما
ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امراتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرى
فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وقرى بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى

النظر الى المخالف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونها غير مامورة
بالاسراء بها والرفع كونه مامورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا ينافي
الامر بالاسراء بها حتى يلزم التناقض لجواز ان تسري هي بنفسها كما يروى انه عم لما اسرى باهله تبعتهم
فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسرى بها عم من غير امر بذلك لان
موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عم بالاسراء بها مخالفا للنهي لا
يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مامورا
به قطعا وفي حمل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه
ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه من التناقض فالاولى جعل الاستثناء في القراءتين من
قوله تعالى لا يلتفت مثل الذي في قوله تع ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قراه بالنصب وان كان الافصح
الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم
نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله تعالى انه مصيبها ما اصابهم
من العذاب وهو امطار الحجر وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وقوله مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدا
والجملة خبر ان الذي اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا
على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات
المشعر بالحث على الاسراع اليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع في الاسراء
للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد
اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول
العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح
جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مداين فيها اربعمائة الف
سافلها اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب
بالعكس ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم
واشق من جعل سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي انه جعل جبريل عم جناحه في اسفلها ثم رفعها الى
السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى ضميره سبحانه
باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها على اهل المداين او شذاذهم حجارة من سجيل
من طين متحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته
والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل
اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل
بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز عن
حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره تع وما هي اي الحجارة
الموصوفة من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد
شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عم فقال يعني ظالمي امتك
ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من
ظالمي مكة يمرون عليها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه
على موصوف مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد من الارض
الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير
والصهيل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اي اولاد مدين بن ابرهيم عم
او جعل اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه اخاهم اي نسيبهم
شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة
معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا قال استينافا

استينافا وقع جوابا عن سؤال نشا من صدر الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل
عليهم السلام يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر به
وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه وقع
من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق
الناس اني اراكم بخير اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تع حقها ان تقابل بغير
ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو
على كل حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني قوله تعالى واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك
عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله
من احاطة العدو والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي
حال العذاب على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه
من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز
ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اي بالعدل
من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الالة
محظورة كالنقص فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر
بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها
على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم
وقانونا للعدوان ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما اشياءهم التي يشترونها بهما
وقد صرح بالنهي عن البخس بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشانه
وترغيبا في ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقضها ويجوز ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان
الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص
كما في قوله تع ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد و
قيل البخس المكس كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى

افي كل اسواق العراق اتاوة ۞ وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم

والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما
فعله الخضر عم من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر اخرتكم
ومصالح دينكم بقية الله اي ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون
بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء منثورا بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربا
ويربي الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط
بالايمان لا محالة او ان كنتم مصدقين لي في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله تعالى والباقيات
الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت
او لست بحافظ عليكم نعم الله تعالى لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان اجابوا به لما امرهم
بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى
مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الامر بذلك حتى ادعوا ان لا امر
من العقل والقلب اصلا وانه من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق
الاستهزاء صلواتك التي هي من نتائج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان
التي توارثناها اباء عن جد وانما جعلوه عم مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى
وغير ذلك من الشرائع لانه عم لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان يعلمهم

مأمور بتبليغه إليهم وتخصيصهم بإسناد الأمر إلى الصلاة من بين سائر أحكام النبوة لأنه كان عم كثير الصلاة
معروفا بذلك وكانوا إذا رأوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكانت هي من بين سائر شعائر الدين
ضحكة لهم وقرئ أصلواتك أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء جواب عن أمره عم بإيفاء الحقوق ونهيه عن
البخس والنقص معطوف على ما أي وأن نترك أن نفعل في أموالنا ما نشاء من الأخذ والإعطاء والزيادة و
النقص وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تأمرك أي أصلواتك تأمرك أن تفعل أنت في أموالنا ما تشاء
ويجوز العطف على ما قيل يستدعي أن يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عم إيجاب الإيفاء والعدل في
معاملاتهم لا نفس الإيفاء فإن ذلك ليس من أفعاله عم بل من أفعالهم وإنما لم يقل عطفا على أن نترك لأن
الترك ليس مأمورا به على الحقيقة بل المأمور به تكليفه عم إياهم وأمره بذلك والمعنى أصلواتك تأمرك أن
تكلفنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وحمله على معنى أصلواتك تأمرك بما ليس في سعيك وعهدتك من أفاعيل غيرك
ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه عم واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلاة دون
الأمر ويستدعي أن يصدر عنه عم في أثناء الدعوة ما يدل على ذلك أو يوهمه وأنى ذلك فتأمل وقرئ
بالنون في الأول والتاء في الثاني عطفا على أن نترك أي وأن نفعل نحن في أموالنا عند المعاملة ما تشاء
أنت من التسوية والإيفاء إنك لأنت الحليم الرشيد وصفوه عم بالوصفين على طريقة التهكم وإنما
أرادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة ذق إنك أنت العزيز الكريم ويجوز أن يكون تعليلا لما سبق
من استبعاد ما ذكر على معنى إنك لأنت الحليم الرشيد على زعمك وأما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام
الاستهزاء اللهم إلا أن يراد بالصلاة الدين كما قيل قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة أي حجة واضحة
وبرهان نير عبر بها عما آتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم أمره ونهيه غير
مستند إلى سند من ربي ومالك أموري وإيراد حرف الشرط مع جزمه عم بكونه على ما هو عليه من البينات
والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه أي من لدنه
رزقا حسنا هو النبوة والحكمة أيضا عبر عنهما بذلك تنبيها على أنهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف لا
وذلك مناط الحياة الأبدية له ولأمته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام أي أتقولون في
شأني ما تقولون والمعنى أنكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة أو عددتم ما صدر عني من الأوامر والنواهي
من قبيل ما لا يصح أن يتفوه به عاقل وجعلتموه من أحكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي وبأفعالي حتى قلتم
إن ما أمرتكم به من التوحيد وترك عبادة الأصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يأمر به آمر
العقل ويقضي به قاضي الفطنة وإنما يأمر به صلواتك التي هي من أحكام الوسوسة والجنون فأخبروني إن كنت
من جهة ربي ومالك أموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا مطمح لطامح ورزقني
بذلك رزقا حسنا أتقولون في شأني وشأن أفعالي ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه هذا هو الجواب
الذي يستدعيه السباق والسياق والنظم الكريم وأما ما قيل من أن المحذوف أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان
والكف عن المعاصي أو هل يسع لي مع هذا الإنعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون في وحيه
وأخالفه في أمره ونهيه ونحو ذلك فإنما يناسب تقديره لو حمل كلامهم على الحقيقة وأريد بالصلاة الدين على معنى
أدينك يأمرك أن تكلفنا بترك عبادة آلهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في أموالنا وتخالفنا في ذلك
وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي أن يصدر عنك فإنك أنت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا
كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مرويا على ذلك النمط فأجيبوا بما أجيبوا به وعلى هذا الوجه
يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى أخبروني إن كنت نبيا من عند الله تعالى
ورزقني مالا حلالا أستغني به عن العالمين أيصح أن أخالفه وأوافقكم فيما تأتون وما تذرون
وما أريد بنهيي إياكم عما أنهاكم عنه من البخس والتطفيف أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه أي أقصد بعد
ما وليتم عنه وأستبد به دونكم يقال خالفت زيدا إلى كذا إذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا إذا كان
الأمر على العكس إن أريد أي ما أريد بما أباشره من الأمر والنهي إلا الإصلاح أي إلا أن أصلحكم بالنصيحة والموعظة
ما استطعت أي مقدار ما استطعته من الإصلاح والتقييد به للاحتراز عن الاكتفاء بالإصلاح في الجملة لا

الجملة لا عن إرادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي أي كوني موفقا لتحقيق ما أنحيه من إصلاحكم إلا بالله
أي بتأييده ومعونته بل الإصلاح من حيث الخلق مستند إليه سبحانه وإنما أنا من مباديه الظاهرة فالله
تحقيقا للحق وإزاحة ما عسى يوهمه إسناد الاستطاعة إليه بإرادته من استبداده بذلك عليه توكلت
في ذلك معرضا عما عداه فإنه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط
عن درجة الاعتبار بمعزل عن مرتبة الاستمداد به والاستظهار وإليه أنيب أي إليه أرجع فيما أنا بصدده
ويجوز أن يكون المراد وما كوني موفقا لإصابة الحق والصواب في كل ما آتي وأذر إلا بهدايته ومعونته عليه
توكلت وهو إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ وإليه أنيب
وإيثار صيغة الاستقبال على الماضي الأنسب للتقرير والتحقيق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة
على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عم من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على
حسن المجادلة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله تعالى والاستعانة في أموره
وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع إلى الله
للجزاء فإن الإنابة إنما تتعلق بالرجوع الاختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري
للجزاء أو ما بعده ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي أي لا يكسبنكم من جرمه ذنبا كسبه أو لا يحملنكم معاداتي
وأصله أحد المتقاربين يكون في عدو وشق والآخر في آخر أن يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم أي لا
يكسبنكم شقاقكم إلى أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح
من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول
من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته
إياه لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه في المعنى إلا أن الأول أصح وأدور على ألسنة الفصحاء وقرأ
أبو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون
أوقال وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق عن كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن
مشاقته عم على ألطف أسلوب وأبدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم
الآية وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا
بهم فكأنه إنما غير أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذكر قربهم إيذانا بأن ذلك
مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر
والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم وإفراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما إهلاكهم على نية المضاف
أو وما هم بشيء بعيد لأن المقصود إفادة عدم بعدهم على الإطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما أو وما هم
في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد أن يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما أنذرهم
سوء عاقبة صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار
والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه مر تفسيره في فاتحة السورة إن ربي رحيم عظيم
الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والإحسان وهذا تعليل
للأمر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة
غرض المتكلم من كلامه أي ما نفهم مرادك وإنما قالوه بعدما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن وجه وأبلغه
وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته سبيلا سوى الصدود عن منهاج العقول والسلوك
إلى سبيل الشقاء كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد فجعلوا كلامه المشتمل
على فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وأدمجوا في ضمن
ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من
عواقب الأمم السالفة ولذلك قالوا وإنا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر
والنفع والإيقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لولا هم يمانعوننا ويدافعوننا لرجمناك فإن
مما نخشى الرهط وهو اسم للثلاثة إلى السبعة أو إلى العشرة هم وهم ألوف مؤلفة مما لا يكاد يشوهم وتنكير

ذكرك بقوله تعالى **وما انت علينا بعزيز** مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنك للمحافظة على حرمة
رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفي وان لم يكن
الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي الى الفاعل دون الفعل لاسيما بقرينة قوله تعالى ولولا رهطك
كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائدا الى نفي ما
فيه عم من القوة والعزة الربانية حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه طلب التوفيق
منه والتوكل عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار **قال** عم في جوابهم
يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز الا به تعالى استهانة بجنابه العزيز وانما
انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم منه تعالى مع الاشتراك
في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى و
ثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا
من العزة اصلا **واتخذتموه** بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر الا بامره **وراءكم ظهريا** شيئا منبوذا
وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى الامس **ان ربي بما تعملون**
من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه **محيط** لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها
ويحتمل ان يكون الرد للانكار والتكذيب فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عم لقوته وعزته بل لمراعاة
جانب رهطه رد عليهم ذلك بانكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون
جانب رهطي الاذلة **ويا قوم اعملوا** لما راى عم اصرارهم على الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى
اجترؤا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد
اعملوا **على مكانتكم** اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عم
ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم
عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر
[illegible]

اليها كما مر فيما قبل **فاصبحوا في ديارهم جاثمين** ميتين لازمين لاماكنهم لابراح لهم منها ولما كان محل التعلق
العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب الخ نفس مجيء العذاب بل من تحقيقه جعل مجيئه بعد
ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عم واهلاك الكفرة جوابا
له ومقصودا بالافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية
على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم **كان لم يغنوا** اي لم يقيموا **فيها** متصرفين في
اطرافها متقلبين في اكنافها **الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود** العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون
ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بشدة هلاكهم وانما
شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك
من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك
والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور **ولقد ارسلنا موسى باياتنا** وهي الايات التسع المفصلات
التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم
من جعلهما اخرة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التوراة حين اباه بنو اسرائيل
والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا
باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها **وسلطان مبين** هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر
لاظهار شرفها لكونها ابهرها والمراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه
بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما
ومتعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عم
في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق
اللائقة وجعله عبارة عن التوراة او ادراجها في جملة الايات يرده قوله تعالى **الى فرعون وملائه**
فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما ياتون وما يذرون
واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء
التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص
ملائه بالذكر مع عموم رسالته عم لقومه كافة لاصالتهم في الراي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في
الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال
بل اقتصر على ذكر شان ملائه فقيل **فاتبعوا امر فرعون** اي امره بالكفر بما جاء به موسى عم من الحق المبين
للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامره ملائه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا
وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم
وايراد الفاء في اتباعهم المترتب على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجاتهم
في الاتباع ومسارعة فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع
جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور وطريقته
الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به
فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان
فعل جديد وصنيع حادث فتامل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عم من اول الامر ولزيادة
تقبيح حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة
وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى **وما امر فرعون برشيد** الرشد ضد الغي وقد يراد به
محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني
مجاز والاسناد حقيقي **يقدم قومه** جميعا من الاشراف وغيرهم **يوم القيامة** اي يتقدمهم من قدمه بمعنى
تقدمه وهو استئناف لبيان حاله في الاخرة اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار
وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح مال امره وسوء عاقبته **فاوردهم النار** اي يوردهم وايثار

صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه
بالواردة والنار بالماء الذي يردونه ثم قيل وبئس الورد المورود اي بئس الورد الذي يردونه فانه
لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اي الملأ الذين اتبعوا
امر فرعون في هذه اي في الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيامة ايضا
حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا في الموقف فكما اتبعوا فرعون
اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ
حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم واوقعهم في مهاوي الضلال البعيد وحيث كان شأن
الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اي بئس
العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم
محذوف اي رفدهم وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة وممدة لصاحبتها
وتوبيخها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى
مقصوص عليك منها اي من تلك القرى قائم وحصيد اي ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما
بقي منها بالزرع القائم على ساقه وما عفي وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب وما
ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم
فما نفعتهم ولا دفعت بأس الله تعالى عنهم آلهتهم التي يدعون اي يعبدون من دون الله اوثر صيغة المضارع
حكاية للحال الماضية او للدلالة على استمرار عبادتهم لها من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما
جاء امر ربك اي حين مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء للمجهول
وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل
ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبره قوله اخذ ربك وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على
انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ
اذ اخذ وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ اجريت الحال
عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد
وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير ان في ذلك اي في اخذه
تعالى للامم المهلكة او في قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فانه المعتبر به حيث يستدل بما
حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة واما من انكر الآخرة
واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث
فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي تقترفها الامم
الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيامة المدلول عليه
بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق
وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اي يوم القيامة
مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود اي مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع
فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما في قوله ۞ في محفل من نواصي الناس مشهود ۞ اي كثير شاهدوه
ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر الايام
ايضا كذلك وما نؤخره اي ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود الا لاجل معدود الا لانقضاء مدة قليلة
مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اي حين يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى او
تأتيهم الساعة وقيل يوم يأتي الجزاء الواقع فيه وقيل اي الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شأن اليوم وقرئ
باثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء
المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه عز

عز سلطانه في التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه يوم
تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر منها والماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم
قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت
له النار بموجب الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة
بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او للناس وتقديم الشقي على السعيد لان
المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها
لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال الشماخ
يصف حمار الوحش ۞ بعيد مدى التطريب اول صوته ۞ زفير ويتلوه شهيق محشرج ۞ والمراد
بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه
صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم والجملة مستأنفة كأن سائلا قال ما شأنهم فيها فقيل لهم فيها كذا
وكذا او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها حال
انه ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي مدة دوامهما وهذا
التوقيت عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج قول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير
وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير ذلك من كلمات التأبيد لا تعليق قرارهم فيها
بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تأبيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان
اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير
الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل احد بان اهل الآخرة لابد
لهم من مظلة ومقلة دائمتين يكفي في تعليق دوام قرارهم بدوامهما ولا حاجة الى الوقوف على تفاصيل
احوالها وكيفياتها الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان
استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني
انهم يستقرون في النار في جميع الازمنة الا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان
لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة قرارهم فيها
[illegible] ان ربك
فعال لما يريد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] عذاب النار [illegible]
[illegible] سخط الله تعالى عليهم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض

الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه لم يذكر هنا ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفير
وشهيق لان المقام مقام التحذير والانذار الا ما شاء ربك ان حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله تعالى
عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي اعطاء وانعاما
فكأنه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من
الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة او تمييز فان نسبة
مشيئة الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ فهو رافع
للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا
بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا القسمين او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من
انقطاعه فلا تك في مرية اي في شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها
من العواقب الدنيوية والاخروية مما يعبد هؤلاء اي من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال
ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان
غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير
والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة
اليهم ما يتذكر به المتذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر هؤلاء المشركين في العاجل
والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم الذين قصصنا عليك
قصصهم من قبل اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيئا الا
مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
او مثل ما كانوا يعبدونه فحذف لدلالة قوله تعالى من قبل عليه وقد بلغك ما حل بآبائهم فسيحل بهم مثل
ذلك فان تماثل الاسباب يقتضي تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم
المعين لهم حسب جرائمهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم انصباءهم المقدرة لهم
او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة
من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة لدفع احتمال كونه
منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن كون العامل هو التوفية فتأمل ولقد آتينا موسى الكتاب
اي التوراة فاختلف فيه اي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف
قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتريته ولولا كلمة
سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيامة على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم
اي لاوقع القضاء بين المختلفين من قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين
وقيل بين قوم موسى وليس بذاك وانهم اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع اليهم ضمير بينهم للامن
من الالتباس لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر له ذكر فان ذكر اتيان كتاب موسى ووقوع الاختلاف
فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض
عن المضاف اليه اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع
الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي اجزية اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب
للقسم المحذوف ولما مركبة من الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت النون ميما للادغام
فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق والله ليوفينهم ربك وقرئ لما
بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين
اي جميعا كقوله سبحانه اكلا لما وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ
به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه
وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل يقتضي

تقتضي الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر فاستقم كما امرت
لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال
هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب
واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عم للتوراة وانه لولا سبق كلمة
القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل
وانهم موفون نصيبهم غير منقوص وان كلا من المؤمنين والكافرين موفى جزاء عمله امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر
المؤمنين ولا سيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء
الرسالة بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق
به صدرك الآية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية
والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعني بالمعية
وهو معطوف على المستكن في قوله تعالى فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه
وفي الحقيقة هو من عطف الجملة اذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه
كما قاله ابو البقاء والمعنى استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا عما حد لكم بافراط او تفريط
فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا او تغليبا لحال سائر
المؤمنين على حاله عم انه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الآية دلالة
على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد
التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب النصوص الآمرة بالاجتهاد ولا تركنوا
اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم في الجملة ومدار النهي هو الظلم والجمع
باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل من ان ذلك للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة
في مداهنتهم انما يتم ان لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم
بسبب ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى من وجد منه ظلم ما في الافضاء الى مساس
النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم
ومنادمتهم ويلقي شراشره على مؤانستهم ومحاورتهم ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم الفانية
ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف
بمعزل عن ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والآية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم
والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل
فان الميل الى احد طرفي الافراط والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا
على صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار يمنعون منكم النار والجملة
نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق نفي ان يكون لكل واحد منهم ولي
حتى يصدق مع ان يكون له ولي بل لما كان لكم بطريق انقسام الآحاد على الآحاد لكن لا على معنى
استقلال كل منهم بنصير بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهة
الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم لتراخي رتبة كونهم غير
منصورين من جهته تعالى بعدما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون منزلة الفاء
بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم
الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية وانتصابه على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا
من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطفه على طرفي النهار
والمراد بصلاتهما صلاة الغداة والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلاة الزلف

العذب والغث وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان
الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات التي قلما يخلو منها البشر اى
يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وقيل نزلت في ابي اليسر
الانصاري اذ قبل امراة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم
انتظر امر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اذهب فانها كفارة لما
عملت ويمنعن من اقترافها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله
فاستقم وما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين اى عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت
به في تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء
عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل
بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم فان الاحتراز عن
امثاله من المشقة بما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اى يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر
عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب
حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه
من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود
مع افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ما ذكر من باب
الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته
او كائنة من قبلكم اولو بقية من الرأي والعقل او اولو فضل وخير وسموا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه
عادة اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه
ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى اى
فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو
بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اى اولو مراقبة وخشية من عذاب الله
تعالى كانهم ينتظرون نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد في الارض الواقع منهم حسبما حكي عنهم الا قليلا
ممن انجينا منهم استثناء منقطع اى لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا
للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تحضيضا لاولي البقية
على النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرأ قومك القران الا الصلحاء منهم مريدا
لاستثناء الصلحاء من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه
قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح على البدلية واتبع الذين ظلموا
بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اى انعموا من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرون
فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير
بانه يلزم منه عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عبارة وكانوا مجرمين اى كافرين فهو بيان
لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر
وقوله تعالى واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اى فلم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج
المباشرين معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب وعلى استئناف
يترتب على قوله الا قليلا اى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشري
الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله تعالى وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اى
اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام واريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع
اى اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم بانهم قوم مجرمون
وقرئ واتبع اى اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقديم الانجاء
وما كان ربك ليهلك القرى اى ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها

اهلكها حسبما بلغك انباؤها وتعلم ذلك حال بانها من القرى الظالمة واللام لتاكيد النفي ونظم
بظلم اى ملتبسا بظلم فهو حال من الفاعل اى ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين
ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه والا فلا
ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة
آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى وأهلها مصلحون حال من المفعول والعامل
عامله ولكن لا باعتبار تقيده بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالته على تقيد نفي الاهلاك ظلما بحال
كون اهلها مصلحين ولا ريب في فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اى
لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر
وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد
الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت خبير بان
مقام النهي عن المنكرات التي اقبحها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا
اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولا عن الاشراك ثم عن سائر المعاصي التي
كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح
على اصلاحه والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على
ما هم عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق ودين
الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين على الحق ولا يزالون مختلفين
في الحق اى مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم
الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اى لم يخالفوه
وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اى ولما
ذكر من الاختلاف خلقهم اى الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او للترحم فالضمير
لمن واللام في معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة
ربك اى وعيده وقيل قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما لا من
احدهما وكلا اى وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من انباء
الرسل بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف
في كلا المفعول المطلق لنقص اى كل اقتصاص اى كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله
سبحانه ما نثبت به فؤادك مفعول لنقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة
يقينه عم وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل
احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك في
هذه السورة او الانباء المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اى
الجامع بين كونه حقا في نفسه وكونه موعظة وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في نفسه حلي
باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني في هذه على الفاعل لان المقصود بيان
منافع السورة او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها
لا في غيرها ولان عند تاخر ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن ولان
في الوجه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون
به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو
الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة
ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله يرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل الامور
من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع
الامور كلها الى الله تعالى وفي تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما تعملون

فيجازيهم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اى انت وهم فيجازى كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطى عشر حسنات بعدد من صدق بكل واحد من الانبياء المعدودين فيها عليهم الصلاة والسلام
وبعدد من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله وكرمه سبحانه وتعالى

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والآيات والكتاب في قوله تعالى تلك آيات الكتاب عين ما
سلف في مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان اى الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه
لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله
على لغتهم او بمعنى بيّن اى المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشأتين في
الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته انباؤه
عن قصة يوسف فانه قد روى ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل
آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل
براعة الاستهلال لما سيأتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب بما يدل على الشرف الاضافي
فقيل انا انزلناه اى الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب
بقوله تعالى قرآنا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المردف بهذا النعت المسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر
ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرآنا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل
يقع على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول اى انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم
تعقلون اى لكي تفهموا معانيه وتحيطوا بما فيه من البدائع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر
منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اى نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا
اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلى القرآن لانه يتبع ما حفظ منه آية
بعد آية احسن القصص اى احسن الاقتصاص فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما اقتص من
اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما للاعتماد على انبائه عنه من قوله تعالى بما اوحينا اى بايحائنا
اليك هذا القرآن اى هذه السورة فان كونها موحاة منبئ عن كون ما تضمنتها مقصوصا والتعرض لعنوان
قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحى غير المتلو واما لظهوره من سؤال المشركين بتلقين
علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابدع الطرائق الرائقة وانجع الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى
على من طالع القصة من كتب الاولين والآخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين
وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القرآن لما في قوله تعالى قرآنا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتأمل
او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبأ والحكم
او مصدر سمى به المفعول كالخلق والصيد وانتصاب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى
كمال حسنه وان كنت ان المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الواقع اسمها محذوف واللام فارقة والجملة خبر
والمعنى وان الشأن كنت من قبله اى من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر
ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شأن النبي صلى الله عليه وسلم
وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن
الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت
المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبرى لا عربى لخلوه عن
سبب آخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب به لا على انه مضارع بنى
للمفعول او للفاعل من آسف لشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام
وقد روى عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم يا ابت
اصله يا ابى فعوض عنها تاء التأنيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابى

عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لان
الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء
لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم
فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله تعالى لا تقصص رؤياك وقوله هذا
تأويل رؤياى ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء
دون راء فيكون طامة كبرى لا تخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر
ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى رآهن يوسف عليه السلام فسكت
النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه السلام
جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو
الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها
وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب
لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة
عليهم السلام وقد جوز ان يكون الواو بمعنى مع اى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك
اشارة الى تأخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام رأى وهو ابن سبع سنين
ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها
وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس
والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا
يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رأيتهم لى ساجدين استئناف لبيان حالهم
التى رآهم عليها كأن سائلا سأل فقال كيف رأيتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء في الضمير لوصفها
بوصف العقلاء اعنى السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه
من رعاية الفاصلة قال يا بنى صغره للشفقة او لصغر السن وهو ايضا استئناف مبنى على سؤال من قال
فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان يوسف يبلغه الله
تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه
حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان
واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام
كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصور
المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك
ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة
المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا
احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اى يفعلوا لك اى لاجلك ولاهلاكك كيدا
متينا راسخا لا تقدر على التفصى عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام
التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا
الاسلوب آكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصودا الايقاع وقد
قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال المتعدى باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتأكيد
اى فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من
بنى علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشجر ودينة بنو
يعقوب من بنت خالته ليا ودان ونفتالى وجاد واشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء
هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذى هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل التى تزوجها

يعقوب عم بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا
النهي اذ لا يتوهم غيرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الدنيا اذ لم يكن معهم في الجب وليوسف والمراد
بيد عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالوا
جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استيناف كان يوسف عليه السلام قال كيف
يصدر ذلك عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليه السلام
على ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع منافع وحذره اشاعتها المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور
اثارها وحصولها او يعوقوا سبيل وصولها شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي
ومثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت اثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرات
وتحيد وعلى وفقه يجتبيك ربك يجتبك لجنابه كريما به ويجتبيك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك
على افراد الخلائق وتراه الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير
قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة المتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقع
صورا واشباحا لها من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخرت لك تلك الاجرام العظام
يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان ان الطاعة
ابويه واخوته له لكنه ما لم يصرح به حذرا من اذاعته ويعلمك كلام مبتدا غير داخل تحت التشبيه اراد به
عم تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عم بما اخبره به على طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو
يعلمك من تاويل الاحاديث اي ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا
يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقي ما سياتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا
اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم
جمع للحديث كالاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع
على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وقيل هو تاويل غوامض كتب الله تع وسنن الانبياء عليهم السلام
والاول هو الاظهر وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي ايلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه
اليه فكانه عم اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عم من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك
وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف
يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عم على الاطلاق
فيجوز ان يكون معرفته عم بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات
والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز
ما هو افاقي منها مما هو نفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عم في عالم المثال وقوة تصرفها فيه فيكون
اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبه في عالم الشهادة
واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة
على وفقها في العالم الاخر وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به
ومدارا لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم السلام معجزة بها يظهر اثاره ويجري احكامه
ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط
ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا
اليه من كونه اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون
جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة وعلى ال يعقوب وهم اهله من بنيه
وغيرهم فان رؤية يوسف عم اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير
امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة
لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون اثاره من
العز والجاه والمال كما اتمها على ابويك نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك اتماما كائنا

كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابرهيم عم باتخاذه خليلا وانجائه
من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط
من صلبه وكل ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب
المشبه به مثل ما وقع في جانب المشبه من كل وجه من قبل اي من قبل هذا الوقت او من قبلك
ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال
ارتباطه بالانبياء الكرام عم وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير الاجمالي
لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب الاكتفاء فان اتمام
النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك عليم استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة
اي يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام
النعمة التامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل
ما يفعل كذلك جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع
ما ذكر من الافاعيل هنا وقد قيل في تفسير الاية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة
على شرف وعزة وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك والاعظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان
يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى
في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي لقد كان في يوسف واخوته آيات اي في
قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاته المعدودون
فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها آيات علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة و
حكمته الباهرة للسائلين لكل من سال عن قصتهم وعرفها او الطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم
الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من اية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة نفس المقصوص او على نبوته عم لمن سال من المشركين
او اليهود عن قصتهم فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شيء من الكتب فالمراد
بها اقتصاصها وجمع الايات ح للاشعار بان اقتصاص كل طائفة من القصة اية بينة كافية في الدلالة
على نبوته عم على نحو ما ذكر في قوله تعالى مقام ابرهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى ايات
بينات لا لما قيل من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرا ابن كثير اية وفي بعض المصاحف عبرة
وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه عليه
ليتاسى به اذ قالوا ليوسف واخوه اي شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة
اخوته ليوسف من الطرفين الا يرى الى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف من البين من غير تعرض له حيث
قالوا اقتلوا يوسف احب الى ابينا منا وحد الخبر مع تعدد المبتدا لان افعل من كذا لا يفرق فيه
بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران
وفائدة اللام في ليوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده ونحن عصبة اي والحال انا جماعة قادرون
على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور
تعصب بهم ان ابانا في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور
بالصغر والقلة لفي ضلال اي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته مبين
ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما راى
الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم
اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين
بقضية الصيغة فكانهم رضوا بذلك لكن روي ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين
الا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كانهم القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد
منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف

للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم
جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته
احد وذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان
او الواو مع مثل قوله تعالى وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان
اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف اي من الفراغ
من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح
ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم لانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم قال
قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الخ وقيل روبيل وهو
استيناف مبني على سؤال من سأل وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الضيم ام خالفهم في ذلك
احد فقيل قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او
استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة
الاخرى واحاله على اولوية ما عرض عليهم بقوله والقوه في غيابة الجب اي في قعره
وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر والجب البئر التي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا
من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرأ نافع في غيابات الجب وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه يأخذه
على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع بعض السيارة اي
بعض طائفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق
ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تنائي يوسف عنهم بحيث لا يدرى اثره
ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التأنيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة
من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتي لم يبت القول عليهم بل انما عرض
عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رأيه وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات اي ان
كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسؤال سائل يقول
فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه او لا فاجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيفه
ما وقع له بما سيجيء من قوله تعالى واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه
بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا
بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رأيه في حفظه منهم لما احس منهم بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا
ما لك اي اي شيء لك لا تأمنا اي لا تجعلنا امناء على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا
وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط والقراءة المشهورة
بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى
الصحراء يرتع اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل
ونظائرهما مما يعد من باب التأهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا
لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلائم حاله عليه السلام وقرئ نرتع ونلعب بالنون
وقرأ ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر
العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف
التأكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر
احتيالا في تحصيل مقصدهم قال استيناف مبني على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل
قال اني ليحزنني اللام للابتداء كما في قوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته
علي وقلة صبري عنه ومع ذلك واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة والحزن ألم القلب
بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت
لاستمرار مصاحبته ومواصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذئب وقيل رأى

في المنام ان الذئب قد شد على يوسف عليه السلام وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل
بالمنطق وقرأ ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر
وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو
اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب ولقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن
اكله الذئب ونحن عصبة والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب
بارائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم انا اذا لخاسرون جواب مجزئ عن
الجزاء اي انا اذا لكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او
مستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذئب بعضهم
وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شيء علينا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها
وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب لانه السبب القوي في الغم دون الحزن
لقصر مدته بناء على انهم يأتون به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي عزموا ان يجعلوه مفعول
اجمعوا يقال اجمع الامر وعليه ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي الى فعلها
في غيابة الجب قيل هو بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب
عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كان ما ذكر واما ما يقال من انها بئر بيت المقدس فيرده
التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت
المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله
فعلوا به من الاذية ما فعلوا يروى انهم لما برزوا الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا
يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فتعلق بثيابهم
فنزعوها من يده فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه
بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد
عشر كوكبا يؤنسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى
الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم
يهوذا وكان يأتيه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وجرد عن ثيابه اتاه
جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله
يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه من التميمة فالبسه اياه واوحينا اليه
عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قيل كان ذلك قبل ادراكه
كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة سنة لتنبئنهم
بامرهم هذا اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك
وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك
وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير للاشكال والاول ادخل في التسلية
روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم
نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم
وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان
يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على ان معنى انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه
وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على
انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤوا اباهم عشاء آخر النهار
وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين
روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي متسابقين في العدو او الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل

ونظايرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما فاكله الذئب
عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع عادة الا
في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عم عنده من باب الغفلة وترك الحفظ المستلزم لا سيما اذا
لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مأمننا
ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غاياته وما فارقناه الا ساعة
يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة
على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والثقة
لفرط محبتك ليوسف فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان
تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب والمنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال
بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع
غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى
ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفي عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة
لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى اولو كنا كارهين
وجاؤا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اي جاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على
جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا كذب
مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ
كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله عنها بالمهملة اي كدر
وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كأنه دم
قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عم
صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله
ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عم ثلاث
آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عم حين قد
من دبر قال استيناف مبني على سؤال كانه قيل فما قال يعقوب عم هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن
ذلك بل سولت لكم انفسكم امرا اي زينت وسهلت قال ابن عباس رض التسويل تقدير شيء في النفس مع
الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سول الانسان وهو امنيته التي يطلبها فزين لكم
الباطل وعزم واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف
فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل او امثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه
الى الخلق والا فقد قال يعقوب عم انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا قال لطول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تع اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب
خطيئة فاغفرها لي وقرئ ابي فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عم
للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم في الكذب
قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر جميل عسى الله
ان يأتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه
يأباه تكذيبه عم لهم في ذلك ولا ابياته الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه
وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف عم في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه
والتعبير بالمجيء بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بجانب المصري من مدين بل الى مكان يوسف عم وفي ايثاره
على المرور والاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عم في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب
كان في الامم الميتا فان المتبادر منا سنا ولمجيء الى السابقة مطلقا في قوله تعالى وجاءت سيارة اي رفقة

رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي يقتضيه قوله تعالى فيما سلف
يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق
فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عم فارسلوا واردهم الذي يرد الماء
ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء اعني الجب
للايذان بان ذلك معلوم ولا يخرب الذكر صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب ليملأها فتدلى
بها يوسف عم فخرج قال استيناف مبني على سؤال يقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كأنه نادى
البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واي نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء
وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرئ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة اثر حمزة
والكسائي وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراي على فصل الوقف
واسروه اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا
لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم
بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم
وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه
بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت عنه اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون
وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف عم وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما دبروا في ذلك
من الحيل وشروه اي باعوه الضمير للوارد واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن
اي لا دنانير معدودة غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه
المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن وعن ابن عباس رض انها كانت عشرين درهما وعن
السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البائعون فيه في يوسف من الزاهدين من
الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط
للشيء متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول مساوم باوكس
ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شرائه خشية
ذهاب مالهم اذا ما طهر في ان يحكم من الاباق والعهد وان عن صيغة الاتفاق الكلية على اتخاذه بالمرة
من ان اخذهم اياه انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل
اللام للتعريف وبيان ان جعلت موصولة كان متعلقا بما يدل عليه الزاهدين اي كانوا زاهدين فيه
لا بالزاهدين لان ما في حيز الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن
مصر واسمه قطفير او اطفير وبيان كونه من مصر لزيادة ... فانه لم يرحل عليه مما ... الامور مع الاشتغال بكونه بعيد
مما ... شراؤه ... بالمستفيضين ... ما ذكر من الثمن البخس ... وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي
مات في حيوة يوسف عم بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى وقيل
كان الملك في ايامه فرعون موسى عم عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء واختلف
في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل عشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في
السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فاشتراه
قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين سنة
وآتاه الله الحكم والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها فاللام متعلقة
بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا
واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل الرشد والنجابة
ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف
عمر رض اشتره بها وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما قبله من

البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع **مكنا ليوسف في الارض** اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الآخر قال تعالى وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها ومكنا لهم في الارض الخ والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر امرأته دون سائر حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا في قلوبهم كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى **ولنعلمه من تاويل الاحاديث** اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب عليه ما ترتب مما جرى بينه وبين امرأة العزيز ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث وهو تاويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي عليه يدور هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس كافة فتادية الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين آخر يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل آخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحمة للدلالة على فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهي من آثار ذلك التعليم ونتائجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد منه عم في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها حتى يصح جعله غاية له وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكنا له في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقائق سنن الانبياء فيقضي بها بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك صالح لان يكون غاية له **والله غالب على امره** لا يمتنع عليه امر ولا ينازعه شيء بل انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او على امر يوسف لا يكله الى غيره فقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة بعد مرة فلم يكن الا ما اراد الله تعالى له من العاقبة الحميدة **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان الامر كذلك فياتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله تعالى او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله **ولما بلغ اشده** اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله تعالى **آتيناه حكما** حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة **وعلما** اي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما وهما ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء لاعماله عم حيث قيل **وكذلك** اي مثل ذلك الجزاء العجيب **نجزي المحسنين** ان كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص بعلم تاويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء

لا يصح ان يجعل ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عم بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في اعماله متقيا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان **وراودته التي هو في بيتها** رجوع الى شرح ما جرى عليه في منزل العزيز بعد ما امر امرأته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عم من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عم محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء عن التقريب فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد لطالب الماء والكلأ وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا من باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى الصلوة وارادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل اذا قمتم الى الصلوة فاذا قرات القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الدائن لمماطلة التي هي من جانب الغريم وهي منه لمطالبة التي هي من جانب الدائن وكذا مداواة الطبيب لمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عم نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة باسناد الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة فالمعنى خادعته **عن نفسه** اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شيء لا يريد اخراجه من يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عم فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عم في اعلى معارج العفة والنزاهة **وغلقت الابواب** قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام **وقالت هيت لك** اي اقبل وبادر او تهيأت لك كما في قراءة من قرأ هئت لك وهو اسم فعل مبني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرئ هيت كحيث وهيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ **قال معاذ الله** اي اعوذ بالله معاذا مما تدعينني اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله للخلاص منه وما ذاك الا لانه قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله تعالى **انه ربي احسن مثواي** تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا تكاد تقبله لما سولته لها نفسها والضمير للشان ومدار التصدير بضمير الشان [illegible] التنبيه على فخامة مضمون الجملة مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم

لم يخطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكأنه قيل إن الشأن الخطير هذا وهو ربي أي سيدي العزيز أحسن مثواي أي أحسن تعهدي حيث أمرك بإكرامي فكيف يمكن أن أسيء إليه بالخيانة في حرمه وفيه إرشاد لها إلى رعاية حق العزيز بألطف وجه وقيل الضمير لله تعالى وربي خبر إن وأحسن مثواي خبر ثان أو هو الخبر والأول بدل من الضمير والمعنى أن الحال هذا فكيف أعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه تحذير لها عن عقاب الله تعالى وعلى التقديرين ففي الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضائها الامتناع عما دعته إليه إيذان بأن هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع أصلا وقوله تعالى **إنه لا يفلح الظالمون** تعليل للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقاء في الخير ومعنى أفلح دخل في الفلاح كأصبح وأخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كائنا من كان فيدخل في ذلك المجازاة للإحسان بالإساءة والعصاة لأمر الله تعالى دخولا أوليا وقيل الزناة لأنهم ظالمون أنفسهم وللمزني بأهله **ولقد همت به** بمخالطته إذ الهم لا يتعلق بالأعيان أي قصدتها وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعدما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق الأبواب ودعوته عليه السلام إلى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لأفعال أخر من بسط يدها إليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام إلى الهرب نحو الباب والتأكيد لدفع ما عسى يتوهم من احتمال إقلاعها عما كانت عليه بما في مقاله عليه السلام من الزواجر **وهم بها** بمخالطتها أي مال إليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا أنه قصدها قصدا اختياريا ألا يرى إلى ما سبق من استعصامه المنبئ عن كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم إفلاح الظالمين وهل هو إلا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السلام تسجيلا محكما وإنما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد أشير إلى تباينهما حيث لم يلزما في قرن واحد من التعبير بأن قيل ولقد هما بالمخالطة أو هم كل منهما بالآخر وصدر الأول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو أثره من قوله تعالى **لولا أن رأى برهان ربه** أي حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال إيقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة إلى مرتبة عين اليقين التي تتجلى هناك حقائق الأشياء بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فكان عليه السلام شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته أقبح ما يكون وأوجب ما يجب أن يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم إفلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام أي لولا مشاهدته برهان ربه في شأن الزنا لجرى على موجب ميله الجبلي ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان أن امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلية وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الأحكام الطبيعية هذا وقد نص أئمة الصناعة على أن لولا في أمثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم أصلا وقد جوز أن يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي والمعنى لولا أنه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكنه حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم رأسا وقد فسر همه عليه السلام بأنه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلس الختان وبأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وفسر البرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها فلم يكترث به فسمع ثانيا فلم يعمل به وتم إلى أن تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على أنملته وقيل ضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل إن كل ذلك إلا خرافات وأباطيل تمجها الآذان وتردها العقول والأذهان ويل لمن لاكها ولفقها أو سمعها وصدقها

كذلك الكاف منصوب المحل وذلك إشارة إلى الإراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه أي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل أو إلى التثبيت اللازم له أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه **لنصرف عنه السوء** على الإطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا أوليا **والفحشاء** والزنا لأنه مفرط القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على أنه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية ولا توجه إليها قط وإلا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وإنما توجه إليه ذلك من خارج فصرفه الله تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرئ ليصرف على إسناد الصرف إلى ضمير الرب **إنه من عبادنا المخلصين** تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته بأن عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين أخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من أول أمره بقضية الجملة الاسمية لا أن ذلك حدث له بعد أن لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية **واستبقا الباب** متصل بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه وقوله تعالى كذلك الخ اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض والمعنى لقد همت به وأبى هو واستبقا أي تسابقا إلى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر وأوصل الفعل إلى المجرور نحو وإذا كالوهم أو ضمن الاستباق معنى الابتدار وإسناد السبق في ضمن الاستباق إليها مع أن مرادها مجرد منع يوسف عليه السلام وذا لا يوجب الانتهاء إلى الباب لأنها لما رأته يسرع إلى الباب ليتخلص منها أسرعت هي أيضا لتسبقه إلى الباب وتمنعه عن الفتح والخروج أو عبر عن إسراعها إثره بذلك مبالغة **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما أن الشق عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله وجهه أنه كان إذا اعتلى قد وإذا اعترض قط وإسناد القد إليها خاصة مع أن لقوة يوسف أيضا دخلا فيه إما لأنها الجزء الأخير للعلة التامة وإما للإيذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت المحبوب أو لخوف الافتضاح **وألفيا سيدها** أي صادفا زوجها وإنما لم يكن ملكه ليوسف عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما قيل ألفياه مقبلا كان جالسا مع ابن عم المرأة **لدى الباب** أي البراني كما مر وروي أنه لما هرب يوسف عليه السلام جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب **قالت** استئناف مبني على سؤال سائل يقول فماذا كان حين ألفيا العزيز عند الباب فقيل قالت **ما جزاء من أراد بأهلك سوءا** من الزنا ونحوه **إلا أن يسجن أو عذاب أليم** ما نافية أي ليس جزاؤه إلا السجن أو العذاب الأليم قيل المراد به الضرب بالسياط أو استفهامية أي أي شيء جزاؤه غير ذلك أو ذلك ولقد أتت في تلك الحالة التي يدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عليه السلام عن رأيه في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بإلقاء الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين ثم إنها جعلت صدور الإرادة المذكورة عن يوسف عليه السلام أمرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الإخبار بوقوعه وأن ما هي عليه من الأفاعيل لأجل تحقيق جزائها فهي تريد إيقاعه حسبما يقتضيه قانون الإيالة وفي إبهام المريد تهويل لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا في حق كل أحد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان أهلية العزيز إعظام للخطب وإغراء له على تحقيق ما تتوخاه بحكم الغضب والحمية **قال** استئنافا وجوابا عما يقال فماذا قال يوسف عليه السلام فقيل قال **هي راودتني عن نفسي** أي طالبتني للمواتاة لا أني أردت بها سوءا كما قالت وإنما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما أسند إليه من الخيانة وعدم معرفته حق السيد ودفع ما عرضته له من الأمرين وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب أو اسم الإشارة مراعاة لحسن الأدب مع الإيماء إلى الإعراض عنها **وشهد شاهد من أهلها** قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وإنما ألقى الله سبحانه الشهادة إلى من هو من أهلها ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وأنفى للتهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا في المهد أنطقه الله

براءته وهو الأظهر فإنه روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد
يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن أبي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من
أهلها لبيان الواقع إذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم إن كان
قميصه قد من قبل أي إن علم أنه قد من قبل ونظيره إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من
قبل فإن معناه إن تعتد بإحسانك إلي فاعتد بإحساني السابق إليك فصدقت بتقدير قد لأنها تقرب الماضي
إلى الحال أي فقد صدقت وكذا الحال في قوله تعالى فكذبت وهي وإن لم تصرح بأنه عليه السلام أراد بها سوءا إلا
أن كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه أسند إليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فإنهما كما يعرضان
للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان الإنشاءات وهو من الكاذبين
وهذه الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وإنما ذكرت
توسيعا للدائرة وإرخاء للعنان إلى جانب المرأة بإجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بأن يقع القد من قبل
بدافعته لها عن نفسها عند إرادة المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود
بإقامة الشهادة أعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله تعالى وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت
وهو من الصادقين إلى التسليم والقبول عند السامع لكونه أقرب إلى الوقوع وأدل على المطلوب وإن لم يكن بين
طرفيها أيضا ملازمة وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الأقوال أو بتقدير القول أي شهد قائلا
الخ وتسميتها شهادة مع أنه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتأديتها مؤداها بل لأنها شهادة على الحقيقة
وحكم بصدقه وكذبها أما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر إذ هو إخبار بهما من قبل علام الغيوب
والتصوير بصورة الشرطية للإيذان بأن ذلك ظاهر من أهل الآية أيضا وأما على تقدير كونه غيره فلأن
الظاهر أن صورة الحال معلومة له على ما هي عليه إما مشاهدة أو إخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطية
الأولى وبوجود مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الأولى وبوقوع تالي الثانية فإذن هو جازم
بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساق ما يؤمن من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة
ظاهرا بين نفعه ونفعها وأما حقيقته فلا تردد فيها قطعا لأن الشرطية الأولى تعليق لصدقها بما يستحيل
وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقه
عليه السلام بأمر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأته زوجيني نفسك
فقالت لي زوج تكذيبا في ذلك فقالت إن لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الزوج فإذن لا زوج
لها فهو نكاح إذ تعليق الشيء بأمر محقق تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لأنهما قطعا عن الإضافة كقبل
وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتأنيث والعلمية وقرئ بسكون العين فلما
رأى قميصه قد من دبر كأنه لم يكن رأى ذلك بعد أو لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال قال
إنه أي الأمر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن إرادة السوء التي أسندت إلى يوسف عليه السلام وتدبير
عقوبته بقولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا الخ لكن لا من حيث صدورهما عنه بل من حيث الإرادة والإسناد وعنها
بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى من كيدكن أي من جنس حيلتكن ومكركن أيتها النساء
لا من غيركن عن الإفادة وتدبير العقوبة وإن لم يكن بحرجه عن الإضافة إليها إلا أنها الماضي رتبة تصور
الحق إفادة الحكم بكونه من كيدهن إفادة ظاهرة فتأمل وتعميم الخطاب للتنبيه على أن ذلك خلق لهن عريق

• ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها • سجية نفس كل غانية هند •

ورجع الضمير إلى قولها ما جزاء من أراد بأهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن أصل ما وقع فيه النزاع من
أن إرادة السوء ممن هي إلى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء أو للأمر المعبر به عن طمعها في يوسف
يأباه الخبر فإن الكيد يستدعي أن يعتبر مع ذلك هنات أخر من قبلها كما أشرنا إليه إن كيدكن عظيم فإنه ألطف
وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا في النفس وعن بعض العلماء أنا أخاف من النساء ما لا أخاف من الشيطان فإنه تعالى
يقول إن كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء إن كيدكن عظيم ولأن الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن
بها الرجال يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله أعرض

أعرض عن هذا أي عن هذا الأمر وعن التحدث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري أنت
يا هذه لذنبك الذي صدر عنك وثبت عليك إنك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم
المتعمدين للذنب أو من جنسهم يقال خطئ إذا أذنب عمدا وهو تعليل للأمر بالاستغفار والتذكير لتغليب
الذكور على الإناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة وقال
نسوة أي جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن
وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والثبة
وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله تاء التأنيث في المدينة ظرف لقال أي أشعن الأمر في مصر أو صفة
لنسوة امرأة العزيز أي الملك يريدن قطفير وإضافتهن لها إليه بذلك العنوان دون أن يصرحن باسمها أو اسمه
ليست لقصد المبالغة في إشاعة الخبر لأن النفوس إلى سماع أخبار ذوي الأخطار أميل إذ ليس مرادهن
تفضيح العزيز بل هي لقصد الإشباع في لومها بقولهن تراود فتاها أي تطالبه بمواقعتها لها وتتمحل في
ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وإيثارهن لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة
والفتى من الناس الشاب وأصله فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك
وهو المراد هنا في الحديث لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي والتعبير عن يوسف عليه السلام
بذلك مضافا إليها لا إلى العزيز الذي لا يستلزم الإضافة إليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لإبانة ما
بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما قصدن من المبالغة والإشباع
في اللوم فإن من لا زوج لها من النساء أو لها زوج دني قد تعذر في مراودة الأخدان لا سيما إذا كان
فيهم علو الجناب وأما التي لها زوج وأي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة
بينها وبينه أصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال قد شغفها حبا أي شق حبه شغاف
قلبها وهو حجابه أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل إلى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من
شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب
القاتل والشعف دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان أو حال
من فاعل تراود أو من مفعوله وأيا ما كان فهو تكرير للوم وتأكيد للعذل ببيان اختلال أحوالها القلبية
كأحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الإنباء مصير إلى الاستدلال على الأجلى
بالأخفى ومن حيث التمهيد مثل إلى تمهيد العذر من قبلها وليس من اللئام وانتصاب حبا على التمييز
لنقله عن الفاعلية إذ الأصل قد شغفها حبه كما أشير إليه إنا لنراها أي نعلمها علما متاخما للمشاهدة والعيان
فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد والصواب أو عن سنن العقل
مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على أحد أو مظهر لأمرها بين الناس والجملة مقررة لمضمون الجملتين
المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بأنها في أمرها على خطأ عظيم وإنما لم يقلن إنها لفي ضلال مبين
إشعارا بأن ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بأنهن متنزهات عن أمثال
ما هي عليه فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني
وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منهن كمكر الماكر وإن كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن
سرها فأفشينه عليها وقيل إنما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام أرسلت إليهن تدعوهن قيل دعت أربعين
امرأة منهن الخمس المذكورات وأعتدت أي أحضرت وهيأت لهن متكأ أي ما يتكئن عليه من النمارق
والوسائد أو رتبت لهن مجلس طعام وشراب لأنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين
ولذلك نهي الرجل أن يأكل متكئا وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان أي طعمنا قال جميل

• فظللنا بنعمة واتكأنا • وشربنا الحلال من قلله •

وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كأن المعنى
يعتمد بالسكين عند القطع لأن القاطع يتكئ على المقطوع وعن مجاهد بغير همز وقرئ بالمد بإشباع
حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الأترج وأنشد

• وأهدت متكة لبني أبيها • تخب بها العثمثمة الوقاح •

أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه ومتكا

من تكى اذا اتكى وآتت كل واحدة منهن سكينا لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن
من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكيات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقرب اليهن
وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها وقالت ليوسف
ان قولها اخرج عليهن اى ابرز لهن ولم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من استغفالهن والعطف بالواو ربما يشعر الى
عطف على مقدر ينبئ عنه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اى فخرج عليهن فرأينه فلما رأينه وانما حذف تحقيقا
لمفاجاة رؤيتهن كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله تعالى فلما رآه مستقرا
عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عم بامرها فيما لا يتعلق بمراودتها
من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان
كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر
ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على السماء وقيل معنى اكبرن حضن
والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عم على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبي

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ۞ فان لحت حاضت في الخدور العواتق

وقطعن ايديهن اى جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج
الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما عملن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن
ومع ذلك قربا ابين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات النقص والعجز وتعجبا
من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قرأ ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا
وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع موضعه
حاش لله تنزيه الله تعالى وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في
سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو وبحذف الالف
الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان الحرف مرخصا ببعض الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم
التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست عن يمينه وقوله غدت من عليه بعد ما تم ظمؤها منقلب الالف
الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل
حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار في ناحية من ان يقارف ما رمته به
لله اى لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله تعالى ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة
اهل الحجاز لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية
لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا
ملك كريم بناء على ما ركز في العقول من ان لا حي احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان
ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت
فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به الآن من الخروج في
الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان
الامر كما قلتن فذلكن الملك الكريم النائي عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني فيه اى عيرتنني في الافتتان
به حيث قلتن بمحل نسبتي الى العزيز ووضعتن قدري بكونه من المماليك او بالعنوان الذي وصفنه به
فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو خبر لمبتدأ محذوف اى فهو ذلك العبد الكنعاني
الذي صورتن في انفسكن وقلتن فيه وفيّ ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولي لكن فيه واما ما يقال من
انكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا يلائم المقام فان مرادها
بدعوتهن وتمهيد ما مهدت لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما صدر عنهن من اللوم وقد حصلت ذلك بما لا مزيد
عليه وما ذكر من المقال مختص بالمعتذر ربثما ظهور معذرتها وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال
الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذي لمتنني
فيه فان عنوان العصمة مما ينافي تشنيعها عليهن ثم بعد ما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد

وقد اصابهن من قبله عم ما اصابها باحت لهن بمكنون سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن
وسمعتن فاستعصم استعصم طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه
في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك واستجمع الراي وفيه برهان نير على انه لم يصدر
عنه عم شيء مخل باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم والعزم اعترفت لهن اولا بما كن يسمعنه من مراودتها
له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها
قط ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض
الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره اى ما آمر به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل
الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول او امري اياه اى موجب امري ومقتضاه فما مصدرية
والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاء للامتثال بامرها
ليسجنن بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك
على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينهما فاعل وليكونا من الصاغرين اى الاذلاء في السجن وقد
قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا على حكم الوقف واللام
الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي
على فنون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة من احد فتضيق عليه الحيل
ويعيي به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال
سائل يقول فما صنع يوسف ح قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب السجن الذي وعدتني بالالقاء فيه وقرئ
يعقوب بالفتح على المصدر احب الي اى آثر عندي لانه مشقة قليلة نافدة اثرها راحات جليلة
ابدية مما يدعونني اليه من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عم مبني على
ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ
ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن
الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار
من فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها
وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عم بالسجن لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك
رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف عني كيدهن اى وان لم تصرف عني في تحبيب
ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني على قضية الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عم
الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب
الله عز وجل وسلب القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار
ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة
والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن اصب اليهن اى اميل الى اجابتهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها
لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اى الذين لا
يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه
من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن
الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب
مضافا اليه عم ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة
انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اى ظهر للعزيز واصحابه
المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف عم بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما رأوا
الآيات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على براءته وفاعل بدا ما دل عليه مفسره
اعني قوله تعالى ليسجننه لا المصدر او الراي المفهوم من السياق
او يجعل المحذوف فاعلا واللام لليمين والقسم المحذوف وجوابه معمول القول المقدر حالا

بالمخففة

ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم باني راودته عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها قرونته لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الراي المباشرين للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الراي عند العزيز وذويه واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى بلغة هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من فتيان الملك وما لكيه احدهما شرابيه والآخر خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسمّا الملك في طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلما حضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه وتاخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة وتاخير السجن عن الظرف لما مر او لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا ويكون الجملة حالا من فاعل دخل فتامل قال احدهما استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي رايتني والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه اعصر عنبا وقال الآخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر آنفا وقوله تعالى تاكل الطير منه اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف مبني على السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤيين او ما رؤي باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله * فيها خطوط من سواد وبلق * كانه في الجلد توليع البهق * اوكان ذلك والسر في المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر وبما رؤي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي جرى عليه في الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما لتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئني بتاويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عم من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها تاويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك روي انه عم كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وعن الشعبي انهما تحالما له ليمتحناه فقال

فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما طعام ترزقانه في منامكما حسبما عادتكما المطردة الا نباتكما بتاويله استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نباتكما به بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق التاويل عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما رؤي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع في عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الشيء الآيل لا المآل فانه في الاصل جعل شيء آيلا الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول فالمعنى الا نباتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عم يقول لهما اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عم بذلك بيان كل ما ابهم عليهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيين المتعلقين بالشراب والطعام وقد جعل الضمير لما قصاه من الرؤيين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتاويل ما قصصتما علي قبل ان ياتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال في التنبيه وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد اتيان الطعام والاخبار بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله عم في فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تاويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف عم بمجرد تاويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه عم بالانتظام في سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين توسم عم فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذي اثير عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة بامره وتوقفا على علو طبقته في بدائع العلوم توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليها من كلامهما فكانه قال تاويل ما قصصتما علي من طرف الثمام حيث رايتما مثاله في المنام واني ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام الموظف الذي ياتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخذ يعلمهما ان ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال ذلكما اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة الى علو درجته وبعد منزلته مما علمني ربي بالوحي والالهام اي بعض منه او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حوله ادراك العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمني ربي وتعليلا له لا للتعليم الواقع صلة للموصول لتاديته الى ان معنى انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجزية لان ذكر تعداد التعليل ليس بعلة لكون التاويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني تركت ملة الكفرة اي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في اقتدائهما به عم والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى كما في زعمهم الباطل على نحو ما في قوله تعالى انه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب يعني انه لما جاء ذهن الكمالات

ومن تلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة ابائه الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه في التوحيد والايمان وتنفيرهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر اتباعه لملة اباءه لان التخلية متقدمة على التحلية ما كان اي ما صح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت ذلك اي التوحيد المدلول عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء من فضل الله علينا اي ناشئ من تأييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من اثار ما ذكر من التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموهم لعدم اختصاص عدم الشكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ويجوز ان تكون ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والافاق وقد اعطى ساير الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من دلائل التوحيد الافاقية والانفسية والعقلية والنقلية يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال ءارباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير مراقب للاخرين مع عدم استقلاله خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المنفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد وبعد ما بين لهما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط الهتهما عن درجة الاعتبار راسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اي من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهما لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسمى تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم واباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها اي بتلك التسمية للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استئناف مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشان فقيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام الا تعبدوا اي بان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقضي قضية العقل ايضا ذلك اي تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقدار رتبته الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذرا عن مشافهته بما يسوءه فيسقي ربه اي سيده خمرا روي انه عليه السلام قال له ما رايت من الكروم وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وفي قراءة عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول اي يسقى ما يروى به واما الاخر وهو الخباز فيصلب فتأكل الطير من راسه روي انه عليه السلام قال له ما رايت من السلال الثلاث ثلاثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل قضي اي تم واحكم الامر الذي فيه تستفتيان

وهو ما رأياه من الرؤيين قطعا لا ماله الذي هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الاخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه في الحادثة اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا ومما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتأويله بقولهما نبئنا بتأويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تأويله بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشأنه اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال ماله لانه في الحقيقة عين ذلك المآل وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتأويله لا لان الامر ما اتهما به وسجنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة لماله وعاقبته فتأمل وانما اخبر عليه السلام بذلك تحقيقا للتعبير وتأكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما راينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه وقال اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية عند الملك وعنوان التقريب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ادخل في ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به ليس بوصف فارق بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف عليه السلام وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه فان التعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادي اذكرني بما انا عليه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله تعالى والفاء للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اي يوسف عليه السلام بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث سبع سنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال الملك اي الريان اني ارى اي رايت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية سبع بقرات سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الاخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روي انه راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الافاقية او الانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا

نظمت وجاءت ربة وبحوم اولها اذا ذكرت مآلها وعبرت الرؤيا عبارة انتٰ من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي
والمستقبل للدلالة على الاستمرار كما اشرنا اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين
تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون الرؤيا خبر كان كما يقال
فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا آخر قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا أضغاث أحلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من
اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها
في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث
من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتني بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة
مبالغة في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة
فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات
فتأمل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شأن التنزيل وما نحن بتأويل الاحلام اي المنامات
الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تأويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تأويل لها وانما التأويل للمنامات
الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تأويل الاحلام مع ان
لها تأويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول
حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التأويل المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآيل
والمآل من البعد ويؤيده قوله تعالى انا انبئكم بتأويله وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي يوسف
وهو الشرابي وادّكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عم وشؤونه التي شاهدها
ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تأويلها على الملأ بعد أمة اي مدة طويلة وقرئ إمّة بالكسر
وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وأمه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل
معطوفة على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف والموصول
عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات
وانت تدري ان تذكره بعد أمة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة
انا انبئكم بتأويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا افتيكم
فيه وعقبه بقوله فأرسلون اي الى يوسف عم وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر وما لحق من قوله يوسف
أيها الصديق اي ارسل اليه فأتاه فقال يا يوسف ووصفه بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق
احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال أفتنا في
سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانما
لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما ولما لا تمحضون الخاذ له عليه حيث لا امكان لوقوعه
في عالم الشهادة اي بيّن لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عم في الفضل عبر عن ذلك بالانتفاع
لنبت له بالجزم مع ان ماله تعالى فيه بانوار الكرامة واتقه في ذلك عمرو وسفر كان ذلك بدلك حيث قال لعلي
أرجع إلى الناس اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج كما قيل لعلهم
يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه
وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين من الرجوع
فربما اخترم دونه ولعل المراد ... فاخترمته او لم يعلموا بذلك كما يرام ... قال استئناف مبني
على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عم في التأويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا قرئ بفتح
الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر دأب في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون
اي دائبين او تدأبون دأبا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال وانما عبر عنه بالمصدر اشارة ... والمبالغة
بجعل سنين مخاطبين ... سنين مجدبة فاخرجها بالظنون سبع سنين على الزراعة ويسقو

وبما نوى منها اذ به تأتى بتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتأويلها ويحصل في تضاعيف ذلك
على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه كيلا يأكله السوس كما هو شأن
غلال مصر ونواحيها ولعله عم استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم
حيث كانوا معتادين للزراعة ثم امرهم بها وجعلها امرا محققا الوقوع وتأويلا للرؤيا تمهيدا لما فيها من
البقرات السمان الا قليلا مما تأكلون في تلك السنين وفيه ارشاد منه عم لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار
على استثناء المأكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم به
شرع في بيان بقية التأويل التي يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال ثم يأتي وهو عطف على تزرعون فلا
وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من
بعد ذلك اي من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن فان
الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس يأكلن ما قدمتم لهن
من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عم بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن
مع انه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تأويل لاكل العجاف السمان واللام في
لهن ترشيح لذلك فكأن ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل
والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا مما تحصنون اي تحرزون لبذر الزراعة
ثم يأتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه
بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على ان اختلاف الحال بينه
وبين السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة
او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من
شأنه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر
مع جواز الاكتفاء عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفي به عن ذكر تقررهما في الحبوب اولا لان
استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادي اخرى غير المطر
والا لما علمت جانب المستفتي تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع
ونكريرفيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان
الغيث والغوث من فضل الله تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام
ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك
النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده التأخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان
غيثهم وعصرهم في سائر السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لرعاية الفواصل
وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة
ويجوز ان يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله تعالى
ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت
وتعديته تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام
المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عم من جهة الوحي فبشرهم بها بعدما اوّل الرؤيا
بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شأنه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما
لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما في منامهما
لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله وتمهيدا لما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عم في العلم بوقوعها
احد ولو برؤية ما يدل عليه في المنام وقال الملك بعدما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير
وقطمير ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف عم الرسول واستدعاه الى الملك قال
ارجع إلى ربك اي سيدك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن اي فتفتش عن شأنهن وانما
لم يقل فاسأله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح نزاهته اذ

السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتقصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه
ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامرأة العزيز مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاسجان
محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد
كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على
وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان
ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء قالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة
عن انفسهن متى سمعن بنسبته لهن الى الفساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فاذا كان بعد ذلك
فقيل قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شأنكن وهو الامر الذي يحق ان
يخاطب المرء به صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه في طاعة مولاته هل
وجدتن فيه ميلا الى سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه
من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز وكانت حاضرة في
المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته عن
نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاقرت قائلة الآن حصحص
الحق اي ثبت واستقر وتبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة
اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما تتبين حصص الارض وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا
استأصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير بركبته اي القاها في الارض
للاناخة قال ~ فحصحص في صم الصفا ثفناته ~ وناء بسلمى نوأة ثم صمما ~ والمعنى اقر الحق في
مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عم فيما احاط به
علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال
نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عم في محل النزاع
وخيانتها فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين
افتريت عليه هي راودتني عن نفسي وارادت بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل ايها
المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به الخصماء
وانما تصدى عم لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز قبل ان
يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عم لما رجع اليه الرسول وأخبره بكلامهن ذلك اي ذلك التثبت المؤدي
الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز اني لم اخنه في حرمته كما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعي
تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ذكر من نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان
المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات
على رايه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك تمحلا لامضاء ما قضاه فلا يليق بشأنه
في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم
اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما
كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اي
وليعلم انه تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا
للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا اي يضاهونهم في قولهم وفيه
تعريض بامرأته في خيانتها امانته وبه في خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعدما
راوا الآيات نزاهته عم ويجوز ان يكون ذلك لتأكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هداه الله تعالى امره واحسن
عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله عم هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربآ
بمكانها عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله عم انا سيد ولد آدم ولا
فخر وتحدثا بنعمة الله تعالى عليه واظهارا للسر المكنون في شأن افعال العباد اي لا انزهها عن السوء

السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله تعالى ان النفس
البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة الى الشهوات مستعملة للقوى والآلات
في تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تع وعصمته ورحمته كما يفيده قوله تعالى الا ما رحم ربي من النفوس
التي يعصمها من ان توقع في المهالك ومن جملتها نفسي او هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمته
لها وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون
الا رحمة ان ربي غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها
من الجريان بمقتضى ذلك وايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعرض لعنوان الربوبية لتربية مبادئ
المغفرة والرحمة وقيل الى هنا من كلام امرأة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم يوسف عم اني لم اخنه
ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت
في حقه ما قلت وفعلت به ما فعلت ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله تعالى
بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تأبيه في
الخروج عن السجن لعدم رضاه عم بملاقاة الملك وامره بين يدي فعلة ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه
انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال
وقد وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه اي فاتوا به فحذف
للايذان بسرعة الاتيان به فكأنه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في
كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف عليه السلام اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال
انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة المكث
بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما بعد حين روي انه عليه السلام لما جاءه
الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال
لسان ابي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال اني احب ان اسمع منك
رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل
توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرايم وميشا
ولعل ذلك انما كان بعد تعبيره عم لما عني له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله تعالى قال اجعلني على
خزائن الارض اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم
بوجوه التصرف فيه ودل به على كونه طالب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر على اقامة العدل
واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجبار او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده ولعل ايثاره
لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل
في التاويل لكونها من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وجموم العائدة كما قيل [illegible]
الملك الى ما سأله عم من جعله على خزائن الارض [illegible]
تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين والتنبيه على ان
كل ذلك من الله تعالى وانما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف
اي جعلنا له مكانا في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين والتمكين عبارة عن
الجعل المذكور والتمكن في الارض [illegible] في كل ولاية
والاتيان [illegible] حصل بعد السؤال [illegible] يتبوأ منها ينزل من بلادها
حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه
فكأنها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرئ بالنون [illegible] وان الملك توجه وختمه
بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عم اما السرير فاشد به
ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس ابائي فقال قد وضعته اجلالا لك

واقروا بفضله فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك أمره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم أملاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس **نصيب برحمتنا** بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم **من نشاء** بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة **ولا نضيع اجر المحسنين** بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من نصيبه الرحمة المذكورة وانما اجرله ولذنوبهم مختصا بمزات الاحسان بما ذكر من الاجر العاجل بل على سبيل التوكيد **ولاجر الآخرة** اي اجرهم في الآخرة فالاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له **خير** لهم اي المحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل **للذين آمنوا وكانوا يتقون** تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل **وجاء اخوة يوسف** ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب بمصر وكان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين **فدخلوا عليه** اي على يوسف وهو في مجلس ولايته **فعرفهم** لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له **وهم له منكرون** اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم **ولما جهزهم بجهازهم** اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم **قال ائتوني باخ لكم من ابيكم** لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قال له لما قيل من انهم سألوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك ولعله عليه السلام شرطهم ان يأتوا به لا لما قيل من انه لما رأوه وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان مما في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعللهم عند ابيهم بارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة ينسى عندها كل قيل وقال **الا ترون اني اوفي الكيل** اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة **وانا خير المنزلين** جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان في الانزال فقد مستمرا فيما سبق ويلحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء **فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي** من بعد فضلا عن ايفائه **ولا تقربون** بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الاتيان مرة بعد اخرى وان كان ذلك معلوما له عليه السلام **قالوا سنراود عنه اباه** اي سنخادعه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله **وانا لفاعلون** ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون عليه لا نتعايا به **وقال** يوسف **لفتيانه** لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته

وهي جمع قلة له **اجعلوا بضاعتهم في رحالهم** فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله تعالى **لعلهم يعرفونها** اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها وهو ظاهر التعلق بقوله تعالى **اذا انقلبوا الى اهلهم** فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما معرفة حق التكرم في ردها فهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها حينئذ قيدت به **لعلهم يرجعون** حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعله عليه السلام لما لم ير من الكرم ان يأخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل المذكور واما ان علة الجعل المذكور الرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فذلك حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين راوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا** قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع **يا ابانا منع منا الكيل** اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام **فارسل معنا اخانا** بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم **نكتل** بسببه من الطعام ما نشاء وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا **وانا له لحافظون** من ان يصيبه مكروه **قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه** يوسف **من قبل** وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله **فالله خير حافظا** وقرئ حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة **وهو ارحم الراحمين** فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما رأى فيه من المصلحة **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل قيل وكيل **قالوا** استئناف مبني على السؤال كأنه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح **يا ابانا ما نبغي** اذا فسر بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره [illegible] له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى **هذه بضاعتنا ردت الينا** جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الانكار [illegible] قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء به مطلقا او التقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به في استجلاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في استجلاب المزيد [illegible] **ونمير اهلنا** [illegible] معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة [illegible] **ونحفظ اخانا** [illegible] **ونزداد** [illegible] **كيل بعير** اي وسق بعير زائدا على اوساقنا [illegible] **ذلك كيل يسير** اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اي حاجة الى الازدياد [illegible] بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد باستصحابه [illegible]

ما بكتاله لأنفسنا كيل بعير فأي شيء نبتغي وراء هذه المباغي وقرئ بتبغي على خطاب يعقوب عم أي أي شيء
تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة أخينا وسعة ذات أيدينا أو وراء ما فعل بنا الملك من الإحسان
داعيا إلى التوجه إليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك أو أي شيء تبتغي منا شاهدا على صدقنا فيما وصفنا
لك من إحسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الإنكار وأما نافية فالمعنى ما نبغي
شيئا غير ما رأينا من إحسان الملك في وجوب المراجعة إليه أو ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة
أخرى والجملة المستأنفة تعليل له وأما إذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما
نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك إلينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستأنفة لبيان ما ادعوا من عدم
البغي وقوله تعالى ونمير أهلنا عطف على ما نبغي أي ما نبغي فيما ذكرنا من إحسانه ونحصل أمثاله من مير أهلنا
وحفظ أخينا فإن ذلك أهون شيء بواسطة إحسانه وتجوز أن يكون كلاما مبتدأ أي جملة اعتراضية
تذييلية على معنى وينبغي أن نمير أهلنا ونشتد ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب أن أسعى وأنت
خبير بأن شأن الجمل التذييلية أن تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وفي قولك فلان
ينطق بالحق والحق أبلج وأن قوله تعالى ونمير الخ وإن ساعدنا في حمله على معنى ينبغي أن نمير أهلنا بمعزل
من ذلك أو ما نبغي في الرأي وما نعدل عن الصواب فيما نشير به عليك من إرسال أخينا معنا والجمل إلى آخرها
تفصيل وبيان لعدم بغيهم وإصابة رأيهم أي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير أهلنا ونصنع كيت وكيت
فتأمل **قال لن أرسله معكم** بعدما عاينت منكم ما عاينت **حتى تؤتون موثقا من الله** أي ما تتوثق به
من جهته تعالى وإنما جعله موثقا منه تعالى لأن تأكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو إذن
منه عز وعلا **لتأتنني به** جواب القسم إذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به **إلا أن يحاط بكم** أي إلا أن تغلبوا
ولا تطيقوا به أو إلا أن تهلكوا وأصله من إحاطة العدو فإن من أحاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء
من أعم الأحوال أو أعم العلل على تأويل الكلام بالنفي الذي ينساق إليه أي لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال
من الأحوال أو لعلة من العلل إلا حال الإحاطة بكم أو لعلة الإحاطة بكم ونظيره قولهم أقسمت عليك لما فعلت
وإلا فعلت أي ما أريد منك إلا فعلك وقد جوز الأول بلا تأويل أيضا أي لتأتنني به على كل حال إلا حال
الإحاطة بكم وأنت تدري أنه حيث لم يكن الإتيان من الأفعال الممتدة الشاملة للأحوال على سبيل المعية
كما في قولك لألزمنك إلا أن تعطيني حقي ولم يكن مراده عم مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة
كما إذا قلت صل إلا أن تكون محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير إخلال به كما في قولك لأحجن العام
إلا أن أحصر فإن مرادك إنما هو الإخبار بعدم منع ما سوى حال الإحصار عن الحج لا الإخبار بمقارنته لتلك الأحوال
على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلوة كان اعتبار الأحوال معه من حيث عدم منعها منه فآل المعنى
إلى التأويل المذكور **فلما آتوه موثقهم** عهدهم من الله حسبما أراد يعقوب عم **قال الله على ما نقول وكيل**
أي على ما قلنا في أثناء طلب الموثق وإيتائه من الجانبين وإيثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته
المؤدي إلى تثبتهم ومحافظتهم على مراعاة ميثاقهم **وقال** ناصحا لهم لما أزمع على إرسالهم جميعا **يا بني لا
تدخلوا** مصر **من باب واحد** نهاهم عن ذلك حذارا من إصابة العين فإنهم كانوا ذوي جمال وشارة
حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة أكثر مما في المرة الأولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى
الملك بخلاف النوبة الأولى فكانوا مئنة لأن يتطاول إليهم كل ناظر ويطمح كل طامح وإصابة العين بتقدير العزيز
الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عم أن العين حق وعنه عم إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر
وقد كان عم يعوذ الحسنين رضي الله عنهما بقوله أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن
كل عين لامة وكان يقول كان أبي كان يعوذ بها إسمعيل وإسحق عليهم السلام رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت
بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من أبواب متفرقة وكان في دخولهم
من بابين أو ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحح لوقوع المحذور قال
وادخلوا من أبواب متفرقة بيانا لما هو المراد بالنهي وإنما لم يكتف بهذا الأمر مع كونه مستلزما له إظهارا
لكمال العناية وإيذانا بأنه المراد بالأمر المذكور لا تحقق شيء آخر **وما أغني عنكم** أي لا أنفعكم ولا أدفع عنكم

عند كم بتدبيري **من الله من شيء** أي شيئا مما قضى عليكم فإن الحذر لا يغني القدر ولم يرد به عم إلغاء الحذر بالمرة
كيف لا وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقال خذوا حذركم بل أراد بيان أن ما وصاهم به ليس
مما يستوجب المراد لا محالة بل هو تدبير في الجملة وإنما التأثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وأن
ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه إليه **إن الحكم** مطلقا **إلا لله** لا يشاركه
أحد ولا يمانعه شيء **عليه** لا على أحد سواه **توكلت** في كل ما آتي وأذر وفيه دلالة على أن ترتيب الأسباب
غير مخل بالتوكل **وعليه** دون غيره **فليتوكل المتوكلون** جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم
الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل نفسه وبالفاء
سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيهم بنوه دخولا أوليا وفيه ما لا يخفى من حسن
هدايتهم وإرشادهم إلى التوكل فيما هم بصدده على الله تعالى غير مغترين بما وصاهم به من التدبير **ولما دخلوا
من حيث أمرهم أبوهم** من الأبواب المتفرقة من البلد قيل كانت له أربعة أبواب فدخلوا منها وإنما اكتفى بذكره
لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه **ما كان** ذلك الدخول **يغني** فيما سيأتي عند وقوع ما وقع **عنهم** عن
الداخلين لأن المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة
بين جواب لما ومدخوله فإن عدم الإغناء بالفعل إنما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وإنما
المتحقق حينئذ ما أفاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سيأتي فتأمل **من الله** من جهته
من شيء أي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عم وعملوا
بموجبه واثقين بجدواه من فضل الله تع فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الإغناء كما في قوله
تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا فإن مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم
سببيته للإغناء مع كونه متوقعة في بادي الرأي كما في قولك حلف أن يعطيني حقي عند حلول الأجل
فلما حل لم يعطني شيئا فإن المراد بيان عدم سببية حلول الأجل للإعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف
لا بيان سببيته لعدم الإعطاء فالمآل بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود
لا بيان ترتب عدمه عليه ويجوز أن يراد ذلك أيضا بناء على ما ذكره عم في تضاعيف وصيته من أنه لا
يغني عنهم من الله شيئا فكأنه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الأمر حسبما قال عم فلحقوا ما
لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع فتأمل **إلا حاجة** استثناء منقطع أي ولكن حاجة وحزازة كائنة
في نفس يعقوب قضاها أي أظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد أن للتدبير تأثيرا في تغيير
القدر وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى أن ذلك الدخول قضى حاجة في نفس يعقوب
وهي إرادته أن يكون دخولهم من أبواب متفرقة فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله
شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه حسب إرادته فالاستثناء منقطع أيضا وعلى
التقديرين لم يكن للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة وأما إصابة العين فإنما لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم
لا لأنه وقعت بذلك مع كونها مقضية عليهم **وإنه لذو علم** جليل **لما علمناه** لتعليمنا إياه بالوحي ونصب
الأدلة حيث لم يعتقد أن الحذر يدفع القدر وأن التدبير له حظ من التأثير حتى يتبين الخلل في رأيه عند
تخلف الأثر أو حيث بت القول بأنه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الأمر كما قال وفي تأكيد الجملة بأن واللام
وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند إلى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة شأن يعقوب عم وعلو مرتبة
علمه وفخامته ما لا يخفى **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** أسرار القدر ويزعمون أنه يغني عنه الحذر وأما ما قيل
من أن المعنى لا يعلمون إيجاب الحذر مع أنه لا يغني شيئا من القدر فيأباه مقام بيان تخلف المطلوب عن المبادي
ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه ضم إليه بنيامين على الطعام أو في المنزل أو فيهما روي أنهم
دخلوا عليه فقالوا هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم وستجدون ذلك عندي فأكرمهم ثم أضافهم
وأجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال يوسف عم
بقي أخوكم فريدا وأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله ثم أنزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له
فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت

اسمائهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن
لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عم وقام اليه وعانقه وتعرف اليه وعند ذلك قال اني انا اخوك
يوسف فلا تبتئس اي فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا
بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رض وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك
المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا
لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا
يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي
ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية اي المشربة قيل كانت مشربة
جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب
وقيل من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلا تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله
الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر في رحل اخيه بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره
امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب
وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف
فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما في قوله عم يا خيل الله اركبي روي انهم ارتحلوا وامهلهم
يوسف عم حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا انكم لسارقون هذا
الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب
والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسباق وقرئ انكم سارقون بلا
لام قالوا اي الاخوة واقبلوا عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه
لمباينته لحالهم ماذا تفقدون اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل عنك لا بفعلك
والمآل ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا وعلى التقديرين فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم
باظهار انه لم يسرق منهم شيء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسألونهم انه
ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرآء الى ما لا خير فيه لاسيما
بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه او
سرق وقرئ صياع وصوع وصوع بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها من الصياغة ثم قالوا تربية
لما تلقوه من تكلمهم وازاحة لاعتقاد انه انما بقي في رحلهم اتفاقا ولمن جاء به اي من عند نفسه مظهرا
له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له على نية تحقيق الوعد بجزمهم بامتناع وجود الشرط
وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله وانا به زعيم كفيل اؤديه اليه وهو قول المؤذن
قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة والرب المضاف
الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وايا ما
كان ففيه تعجب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد في الارض اي لنسرق فانه من
اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها اي افساد كان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفي
المجيء للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب
عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم
وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد الدال
بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت
من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا لذلك مريدين
به تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه بعنوان انه قد شاع بينكم في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد
كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما يأتون ويذرون حتى روي انهم دخلوا مصر وافواه

وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد او كانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم
من ذلك انه لا يصدر عنا افساد وما كنا سارقين اي ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك
لان العلم باحوالهم المشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفي الامرين المذكورين بل
استشهدوا بعلمهم ذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا اي اصحاب يوسف
فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف اي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم ان كنتم كاذبين
لا في دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع فيهم
كما يؤذن به قوله تعالى قالوا جزاؤه من وجد اي اخذ من وجد الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان
دة الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها في اعتقادهم المبني على قواعد العادة
ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده
مال غيره كيف ما كان فتأمل واحمل كلام كل فريق على ما لا يزاحم رايه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من
الافتراء وقوله تعالى فهو جزاؤه تقرير لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم
فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر
والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول لمن والثاني للظاهر الذي وضع موضعه كذلك
اي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح السرقة
ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ يوسف عم بعد ما رجعوا
اليه للتفتيش باوعيتهم اي باوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفي
التهمة روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر
في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء
٥ اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان
وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح وشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة
على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة
الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا معنى
قوله تعالى كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع
وما يتلوه فاللام ليست كما في قوله تعالى فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال
الشائع وقوله تعالى ما كان لياخذ اخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير
وبيان له كما قيل كانه قيل لماذا فعل ذلك فقيل لانه لم يكن لياخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق
اي في سلطانه قاله ابن عباس رضي الله عنهما او في حكمه وقضائه قاله قتادة اذ لا جزاء للسارق
في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عم
فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا
حال مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد والاحال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان
يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف عم وقومه الى ما صدر عنهم من
الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى
غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا اخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عم عن اخذ اخيه في
دين الملك في شان السرقة قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك في امر السارق اصلا بل
بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف ببعض من ذلك لانه لم يكن
ياخذ اخاه في دين الملك به الاحال مشيئتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو
ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك
فقط الخ وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب

اى لم ياخذ اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب الا بعلة مشيئته تعالى او الا بسبب مشيئته تعالى وايا ما كان
فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لاسيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين
الملك بل بدينه وما عليه وح فتعبيره مخل بالانضباط وارادة مطلق ما يدين به اعم منه ومما يحدث تفضى الى كون الاستثناء
من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان عجز يوسف عم عن اخذ اخيه ح فلم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور
اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا تؤدى الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه عم
مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور فتدبر وقد جوز الانقطاع اى لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه فى
دين غير دين الملك نرفع درجات اى رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على
نزع الخافض اى الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء اى نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه
المصلحة كما رفعنا يوسف عم وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة
والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذى علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينالون شاوه وان علم
انه ان جعل الكيد عبارة عن التعليمين الاولين فالمراد رفع يوسف عم بما اعتبر فيه بالترتيب والسببية
من ارشاده عم الى دس الصاع فى رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المترتبة لاستبقاء اخيه مما
يتم من قبله والمعنى ارشدناه الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بدونه او ارشدنا
كلا منهم من يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من
اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا
يوجب تمام مراده اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه شىء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده
وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه يرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج
العلم ومدارجه وقد رفع يوسف عم الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان حوله دائرة علمه لا تفى بمرامه
فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عم لم يكن على ثقة من صدور الافتاء المذكور عن
اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة
الفوقية وفى صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وعلا وجلالة
مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك
التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عم لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحى والتعليم
والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذى سيصدر
عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله تعالى نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله تعالى
كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف عليه السلام برفعه اليها
وقوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم تذييل له اى نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم
هو اعلى درجة قال ابن عباس رضى فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف
كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسبت فيه
الرفع الى من يسند اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم فى هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل
اى وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق
يعنون بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عم وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل
من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عم انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة
ورثتها من ابيها اسحق عم فاحتالت لاستبقاء يوسف عم فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت
فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما
اشاء فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان فى صباه صنم لابى امه يعبده فسرقه والقاه فى الجيف وقيل دخل
كنيسة فاخذ تمثالا اصغر من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اى الحزازة الحاصلة
مما قالوا فى نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما فى قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم لا قولا ولا
فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق قال فى نفسه وهو استئناف مبنى على سؤال نشأ من الاخبار بالاسرار

بالاسرار كانه قيل فماذا قال فى نفسه فى تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا اى منزلة حيث
سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البرئ وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم
شر مكانا والله اعلم بما تصفون اى عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور
السرقة منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمهم كيف لا وليس لهم
بذلك من علم قالوا عندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا به
الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم فيما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا فى السن لا يكاد
يستطيع فراقه وهو علالته يتسلى به عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فلسنا عنده بمنزلته من المحبة
والشفقة انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه النعمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك
قال معاذ الله اى نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول
به بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال
بموجبها وايثار صيغة التكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن
الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس بيده بل هو منوط بآراء اولى الحل والعقد وايثار من
وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب فى الكلام مع تمام المرام فانهم
يحملون وجدان الصواع فى الرحل على محمل غير السرقة انا اذا اى اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده
ولو برضاه لظالمون فى مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذى اريد بالكلام فى اثناء الحوار وله معنى
باطن هو ان الله عز وجل انما امرنى بالوحى ان اخذ بنيامين لمصالح علمها الله فى ذلك فلو اخذت غيره كنت
ظالما وعاملا بخلاف الوحى فلما استيأسوا منه اى يئسوا من يوسف واجابته اياهم اشد يأس بدلالة صيغة
الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما شاهدوه من عوذه بالله تعالى مما طلبوه الدال على
كون ذلك عنده فى اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله تعالى ومن تسميته
ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اى ذوى نجوى على ان يكون بمعنى
النجوى والتناجى او متناجين تناجيا على ان يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله
تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجى كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير
قال كبيرهم فى السن وهو روبيل او فى العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا
عند التناجى على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن قبل
اى من قبل هذا الميثاق ما فرطتم فى يوسف قصرتم فى شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون
وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اى الم تعلموا اخذ
ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق فى شان يوسف عم ولا ضير فى الفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر فى يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم السابق
وقع فى شان يوسف عم او ان تفريطكم الكائن او كائنا فى شان يوسف عم وقع من قبل وفيه
ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا فى شان يوسف
كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن فى شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثانى على ان الظرف
المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند البعض كما تقرر فى موضعه وقيل محله
الرفع على الابتداء والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة او موصوفة ومحلها النصب او الرفع والحق هو
النصب عطفا على مفعول تعلموا اى ما فرطتموه بمعنى قدمتموه فى حق يوسف من الخيانة واما النصب عطفا على
اسم ان او الرفع على الابتداء فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكره وذكروا اى اباهم من ميثاق ابيه
وفى له لما تتنى به الا ان يحاط بكم اى فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق حتى ياذن لى ابى فى
البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عم او يحكم الله لى
بالخروج منها على وجه لا يؤدى الى نقض الميثاق او بخلاص اخى بسبب من الاسباب روى انهم كلموا العزيز فى

في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها و
وقفت كل شعرة في جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس
من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا
البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا
ان ابنك سرق على ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا
ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما ندري ان حقيقة الحال كما شاهدنا
ام بخلافه او ما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نبتلى بهذا الامر او انك تصاب به
كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي
ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما
من كنعان من جيران يعقوب عم وقيل من صنعا وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال اي يعقوب عم
وهو استيناف مبني على سوال نشأ مما سبق فكانه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما ذا قال فقيل
قال يعقوب عم عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبول راية
ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت
وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل
به وانه لم يصدر عنهم ما يودي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم
امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق لسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل
او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم
الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة وتولى اي اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف
الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من ياء فناداه اي يا اسفي تعالى فهذا اوانك
وانما تاسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزأه كان قاعدة الارزاء عضا عنده وان تقادم
عهده اخذ بمجامع قلبه لا ينساه لانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف عم
فلم يكن في شانه ما يحرك سلسلة رجائه سوى رحمة الله وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون
الا امة محمد صلى الله عم الا يرى الى يعقوب عم حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس
بين لفظي الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه
وقوله تعالى اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله تعالى ثم كلي من كل الثمرات وجئتك من سبا بنبا يقين
ونظايرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى
بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا روي انه ما جفت عينا يعقوب عم
من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من يعقوب عم
وعن رسول الله صلى الله عم انه سال جبريل عم ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال
فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التاسف
والبكاء عند النوايب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلى الله عم على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب
وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود
والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه
فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت
عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى
مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله تعالى والكاظمين
الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا
تفتؤ ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس

الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي البتة حتى تكون حرضا مريضا
مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يونث ولا
يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر ككتف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين
قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره فكانهم قالوا له ما
قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية
وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه في دفعه وقرئ بفتحتين وبضمتين
واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجوا ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجاي او اعلم وحيا
او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حيوة يوسف عم قيل راى ملك الموت عم في المنام فسأله عنه فقال
هو حي وقيل من رؤيا يوسف عم انه سيخر ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا
وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي فتطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر
الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ
بضم الراء اي من رحمته التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا
تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعد ما
رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر
محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال
من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته
اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل
الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا توخذ الا بوضيعة وانما
قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة
الرحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن
جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما
يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص
حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عم والمانع بعيد وايا ما اروا به استجلاب الرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة
الحال رقة القلب والحنو على ان ما سيق كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين
يحتمل الحمل على المعنيين فلعله عم حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم
من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض
لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله
بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سوال
عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته وانما
قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون
هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن
جميع المطالب والتمحض في طلب يوسف بل يجوز ان يقف عم بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه
وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما راهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب
يعقوب عم وقد كتب من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما
بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه فرمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت
النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان
احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا اكله الذيب
فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا

انه سرق وانك حبسته انا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك
السابع من ولدك والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب اصبر كما
صبروا تظفر كما ظفروا قالوا أئنك لأنت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكد بان واللام وقالوه استغرابا
وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع
التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ أئنك او انت
يوسف على معنى أئنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب
قال انا يوسف جوابا عن سؤالهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأنه
احيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حتى يبين قوله تعالى قد من الله علينا
بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه
اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف
التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى في جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه
ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين
اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا
تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان كنا
لخاطئين لمتعمدين للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار
ولذلك قال لا تثريب اي لا تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه
ازالة الثرب كالتجليد والتقريع لازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا
للتقريع الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عن وعلى اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبر للا اي لا اثربكم
او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او بيغفر له تعالى يغفر الله لكم لانه
صفح عن جريمتهم وعفى جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل
على التائب بالقبول ومن كرمه عم ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك ونزلك بكرة وعشيا
ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عم ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون
سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الآن وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم
اخوتي واني من حفدة ابرهيم عم اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي كان عليه وقيل هو القميص المتوارث
الذي كان في التعويذ امر جبريل عم بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي
فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا او يات الي بصيرا ويشهد له قوله واتوني باهلكم اجمعين
اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا نساؤكم وذراريكم وقيل انما حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته
بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما
مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه
وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس رض انفصلت العير قال ابوهم يعقوب عم لمن عنده اني لاجد ريح يوسف
اوجده الله سبحانه ما عبق بالقميص من ريح يوسف من مسيرة ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون
اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الراي من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم
تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده
تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره
ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا القاه اي القى البشير القميص
على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال
الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب لمن عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب
لبنيه وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي
يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى

الى مصر وامرتكم بالتحسس ونهيتكم عن الياس من روح الله واني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف
روي انه سال البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام
قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه
ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عم ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار
او ادرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وهذا يشعر بعفوه
قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة يتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل
لهم من يوسف عم او يعلم انه قد عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي انه استقبل
القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ
جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عم فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة فان صح فذلك دليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار
على الدعاء فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في
وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا
الى اخيهم فاوحى الله تعالى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا على يوسف روي انه
وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة آلاف
من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عم وهو يمشي متوكئا على يهوذا فنظر الى الخيل
والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال السلام عليك يا مذهب الاحزان
وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت
ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب عم وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين
رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية
والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه اي اباه وخالته ونزلها منزلة الام تنزيل
العم منزلة الاب في قوله تعالى واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحاق او لان يعقوب عم تزوجها بعد
امه وقال الحسين وابن اسحق كانت امه في الحيوة فلا حاجة الى التاويل ومعنى آوى اليه ضمهما اليه
واعتنقهما وكان عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فآواهما اليه وقال
ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من الشدائد والمكاره كافة والمشية متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه
عند نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته سجدا
تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد
ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير
الجباه ويأباه الخرور وقيل خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا ابت هذا
تاويل رءياي التي رايتها وقصصتها عليك من قبل في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا
بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة وجعل اللام كما في قوله اليس اول من صلى لقبلتكم
تعسف لا يخفى وتاخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب على كونه
على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تاخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبيرا للرءيا وما يتصل به من قوله وقد
احسن بي المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا
وقيل هذا يتضمن لطف وهو الاحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشاء وجعله فانه
لا يخفى اي لطف بي محسنا الي عز هذا الاحسان اذ اخرجني من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة
الجب حذرا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفاء بما
يتضمنه قوله تعالى وجاء بكم من البدو اي البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد
بيننا بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة وحملها على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولعله بالغ
في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على

وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل عليه السلام قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله قال جبريل عليه السلام الله امرني بذلك لقولك اخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال **رب قد آتيتني من الملك** اي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر **وعلمتني من تأويل الاحاديث** اي بعضا من ذلك ان اريد بتعليم تأويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه لما ان لا يعتام تعداد النعم انما يحسن عليه من الله سبحانه والملك اعرق في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ايضا نعمة جليلة في نفسه ولا يمكن عكسه هذا الاعتذار بما سبق لان التعليم ثمة لما انه وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك لزم تاخره عنه واما الواقع ههنا فمجرد انتاج في الذكر والعطف بحرف الواو لا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود **فاطر السموات والارض** مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادي او منادى آخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية بالغ في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله **انت وليي** مالك اموري **في الدنيا والآخرة** والذي يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد اتممت علي نعمة الدنيا **توفني** اقبضني **مسلما والحقني بالصالحين** من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعى توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فراوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في النيل بحيث يمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى عليهما السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله موسى عليه السلام **ذلك** اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف عليه السلام وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره **من انباء الغيب** الذي لا يحوم حوله احد وقوله تعالى **نوحيه اليك** خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك **وما كنت لديهم** يريد اخوة يوسف **اذ اجمعوا امرهم** وهو جعلهم اياه في غيابت الجب **وهم يمكرون** به ويبغون له الغوائل حتى تقف على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل في سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله تعالى وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن المراد الزام المكذبين والمعنى ان ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك الكتب من الاشياء التي لا يرتاب فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو وتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفرة فكانهم يشكون في ذلك فيهم شكهم فيه ايضا ايذانا بان ما ذكر من النبأ هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر **وما اكثر الناس** يريد به العموم او اهل مكة **ولو حرصت** اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الآيات الناطقة الدالة على صدقك **بمؤمنين** لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد وروي ان اليهود وقريشا لما سألوا

سألوه عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك **وما تسألهم عليه** اي على الانباء او على القرآن **من اجر** من جعل كما يفعله حملة الاخبار **ان هو الا ذكر** عظة من الله تعالى **للعالمين** كافة لا ان ذلك مختص بهم **وكأين من آية** اي كم عدد شئت من الآيات والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته من غير الآية التي جئت بها **في السموات والارض** اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر **يمرون عليها** اي يشاهدونها ولا يعبأون بها وقرئ برفع الارض على الابتداء ويمرون خبره وقرئ بنصبها على معنى ويطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من الآيات والعبر **وهم عنها معرضون** غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها **وما يؤمن اكثرهم بالله** في اقرارهم بوجوده وخالقيته **الا وهم مشركون** بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الآية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب **افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله** اي عقوبة تغشاهم وتشملهم **او تأتيهم الساعة بغتة** فجاءة من غير سابقة علامة **وهم لا يشعرون** باتيانها غير مستعدين لها **قل هذه سبيلي** وهي الدعوة الى التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله تعالى **ادعوا الى الله على بصيرة** بيان ووجه واضح غير عمياء او هي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة **انا** تأكيد للمستكن في ادعوا على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة **ومن اتبعني** عطف عليه **وسبحان الله وما انا من المشركين** مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا** رد لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة **نوحي اليهم** كما اوحينا اليك وقرئ بالياء **من اهل القرى** لانهم اعلم واحلم واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة **افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك **ولدار الآخرة** اي الساعة او الحيوة الآخرة **خير للذين اتقوا** الشرك والمعاصي **افلا تعقلون** فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيريتها دار الآخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت قل **حتى اذا استيأس الرسل** غاية لمحذوف دل عليه السياق اي لا يغرنهم تمادي ايام ما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع **وظنوا انهم قد كذبوا** كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا **جاءهم نصرنا** فجاءة وعن ابن عباس رض وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله تعالى من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الآخر فلا يتصور ذلك من آحاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون الله سبحانه منزلتهم وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضميرين للرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم **فنجي من نشاء** هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا **ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين** اذا نزل بهم وفيه بيان لمن نتعلق بهم المشيئة **لقد كان في قصصهم** اي قصص الانبياء واممهم ويبصره قراءة من قرأ بكسر القاف او قصص يوسف واخوته **عبرة لاولي الالباب** لذوي العقول المبرأة عن شوائب احكام الحس **ما كان** اي القرآن المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة **حديثا يفترى ولكن كان تصديق**

الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين
يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من أمر ديني الا وهو يستند الى القرآن بالذات
او بواسطة وهدى من الضلالة ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي يصدقونه لانهم
المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة

سورة الرعد مدنية وقيل مكية وهي خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من
الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى تلك على الوجه الاول مبتدأ مستقل
وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان او بدل من الاول اشير اليه ايذانا بفخامته واما النصب بتقدير فعل
يناسب المقام نحو اقرأ او اذكر فتلك مبتدأ كما اذا جعل المر مسرودا على نمط التعديد او بمعنى انا الله
اعلم وارى على ما روي عن ابن عباس رضي والجر على التقادير وقوله تعالى آيات الكتاب اي الكتاب
العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة
عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس من انه هو المتبادر من مطلق الكتاب
المستغني عن النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا
جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح
بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من
التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس والذي انزل اليك من ربك اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه
السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع في كل ما نطق به الحقيق بأن يخص به الحقية لعراقته
فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه
مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول
والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عم من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل
وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم
بالنظر والتامل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان
كونه منزلا كما قيل ولا امتناع في عطف الصفة على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذي رفع السموات اي خلقهن
مرتفعات على طريقة قوله سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم تكن كذلك والجملة
مبتدأ وخبر كقوله وهو الذي مد الارض بغير عمد اي بغير دعائم جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به
اي يسند يقال عمدت الحائط اي ادعمته وقرئ عمد على انه جمع عمود كرسل ورسول وايراد
صيغة الجمع لجمع السموات لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استئناف واستشهاد به
على ما ذكر من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جيء بها ايهاما ان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله
سبحانه ثم استوى اي استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على
العرش صفة لله عز وجل بلا كيف واياما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة
الى جعل كلمة ثم للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات
وغيرها كل من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس
والشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على مقدار معين من المدارات اليومية او المدة ينتهي فيها حركاتهما
ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكمة تسخيرهما يدبر
بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اي يقضي وينفذ حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر
ملكوته وربوبيته يفصل الآيات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اي يأتي بها مفصلة وهي ما ذكر من
الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة للآثار الغريبة

في السفليات على موجب التدبير والتقدير والجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله تعالى وسخر الشمس والقمر
من تتمة الاستواء واما مفسرتان له او الاول حال عنه والثانية من الضمير فيها او كلاهما من ضمائر الافعال التي
وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله تعالى الله خبر بعد خبر والموصول صفة للمبتدأ
جيء به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما في قول الفرزدق ٭ ان الذي سمك السماء بنى لنا ٭
بيتا دعائمه اعز واطول ٭ لعلكم عند معاينتكم لهذه وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بملاقاته
للجزاء توقنون فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء
قدير وان لهذه التدبيرات المتقنة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بينت على السنة الانبياء عليهم السلام
ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر الشواهد العلوية
اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذي مد الارض اي بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد
هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقيد لا الدالة على بعد مدارها وسعة اقطارها وجعل فيها رواسي
جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها
عن ذلك واختار مجيء فواعل جمعا لفاعل في فوارس وهوالك ونواكس انما هو في صفات العقلاء واما
في غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما في قوله تعالى اياما معدودات وقوله تعالى الحج اشهر معلومات الى غير
ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة لجمع القلة اعني اجبلا ويعبر في جمع الكثرة اعني جبالا لا استطالة
لطائفة من جموع القلة وتنزيل من صيغتي الجمعين انما هي باعتبار الافراد التي تحتهما لا باعتبار انتظام جمع
القلة للافراد واشتمال جمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع جبل لا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا الى
ان يلتجأ الى جعل الوصف المذكور بالغلبة في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما
ان الغلبة انما هي في الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها
وانهارا مجاري واسعة والمراد ما يجري فيها من المياه وفي نظمها مع الجبال في سلك واحد اشارة الى ان
الجبال منشأ للانهار وبيانا لغاية اخرى للجبال في كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات
الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلأ ومن كل الثمرات متعلق بجعل
في قوله تعالى جعل فيها زوجين اثنين اي تثنية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكد
به الزوجين لئلا يتوهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية
اعتبارية اي جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة في الدنيا ضربين وصنفين اما في اللون كالابيض
والاسود او في الطعم كالحلو والحامض او في القدر كالصغير والكبير او في الكيفية كالحار والبارد وما اشبه
ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثاني استئنافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشي الليل النهار استعير
تغشيته لتغطيته على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية اي يستر النهار
بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثاني على الاول فان ضوء النهار ايضا
ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشي وعد هذا في تضاعيف الآيات السفلية وان
كان تعلقه بالآيات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره في الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها
لا ليل اصلا وان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان
مثلها وقرئ يغشي من التغشية ان في ذلك اي فيما ذكر من مد الارض وايتادها بالرواسي واجراء الانهار وخلق
الثمرات واغشاء الليل والنهار وفي الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه في بابه لآيات باهرة
وهي آثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها فان على معناها فان تلك الآثار مستقرة في تلك
الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الآثار المدلول عليها بتلك الافاعيل فيجرد يدل لقوم
يتفكرون فان التفكر فيها يؤدي الى الحكم بان تكون كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق
لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحكيم الحميد وفي الارض قطع
جملة مستأنفة مشتملة على طائفة اخرى من الآيات اي بقاع كثيرة مختلفة في الاوصاف من طيبة الى سبخة
وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك متجاورات اي متلاصقة وفي بعض المصاحف قطعا متجاورة

اي جعل في الارض قطعا وجنات من اعناب اي بساتين كثيرة وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده
لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها في اختلافها وتباينها السابر
ورسوخ ذلك فيها وتاخير قوله تعالى ونخيل لئلا يقع بينها وبين صفتها وهي قوله تعالى صنوان وغير صنوان
ناصله والصنوان جمع صنو كقنوان وقنو وهي النخلة التي لها راسان واصلها واحد وقرئ بضم الصاد على
لغة بني تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات ولعل عدم نظم قوله تعالى
وفي الارض قطع متجاورات في هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات
بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة
لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات تسقى اي ما ذكر من القطع والجنات والزرع
والنخيل وقرئ بالتاء مراعاة للفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد الكل في حالة السقي بماء واحد لا
اختلاف في طبعه سواء كان السقي بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع تاخر اسباب التشابه بمحض قدرتنا
واختيارنا بعضها على بعض اخر منها في الاكل فيما يحصل منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا
على يدبر ويفصل ويغشي وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد
الفعل الى فاعل آخر مغن عن بناء الفعل على الفاعل ان في ذلك الذي فصل من احوال القطع والجنات
لآيات كثيرة عظيمة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم
في الجزم بان من قدر على ابداع هذه البدايع وخلق تلك الثمار المختلفة في الاشكال والالوان والطعوم
والروايح في تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هي اهون
في القياس وهذه الاحوال وان كانت هي الآيات انفسها لا انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة في
كونها آية فهي تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية والآيات افرادها
الحادثة شيئا فشيئا في الازمنة وآحادها الواقعة في الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها فيفي على معناها
وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها آيات بمحض التعقل ولذلك
لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض في الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك في الخواص والكيفيات مما يتوقف
العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة في ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين غير
عاقلين وان تعجب يا محمد من شيء فعجب لا اعجب منه حقيق بان يتعجب منه التعجب قولهم بعد مشاهدة
ما عدد ذلك من الآيات الشاهدة بانه تعالى على كل شيء قدير ءاذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكاري
المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو في محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المقول او في محل
النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالتعجب على الاول كلامهم وعلى الثاني تكلمهم بذلك والعامل في اذا
ما دل عليه قوله تعالى ءانا لفي خلق جديد وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث
بتوجيهه اليه في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ءانا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم
ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم
وتماديهم في النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم في انكار البعث فعجب في قولهم والمآل وان تعجب
في موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وتدبر وكون الخطاب
لكل من يصلح اي ان تعجب يا من ينظر في هذه الآيات ويعلم قدرة فاعلها فازدد تعجبا ممن ينكر مع
هذه الدلائل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة
هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدأ اعني قولهم والتنكير للتهويل بكون قولهم ذلك امرا عجيبا وجوز ان
يكون مبتدأ لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى وان تعجب فالعجب الذي لا عجب وراءه قولهم
هذا فاعجب منه وعلى الاول وان تعجب فقولهم هذا عجيب لا عجب فوقه اولئك مبتدأ والموصول خبره
اي اولئك المنكرون لقدرته على البعث رغما عما عاينوا ما فصل من الآيات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو
كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا في ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واي كفر
واولئك مبتدأ خبره قوله تعالى الاغلال في اعناقهم اي مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون

يوم القيمة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون لا
ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود بالكفرة خاصة بل بالمجموع المدلول عليه بقوله
تعالى اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التي هددوا بها وذلك حين سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اي العافية والاحسان اليهم
بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها ولا
يجوزون حلول مثلها بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رأيهم في الاستعجال بطريق الاستهزاء اي يستعجلونك
بها استهزاء بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على
امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بفتح الميم وضم الثاء العقوبة لانها مثل المعاقب عليه
من الجناية ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بفتحتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم
وسكون الثاء كما يقال الكثرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع مثلة
كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصي
ومحله النصب على الحالية اي ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل
لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء
منهم حين يشاء فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعن النبي عليه الصلاة والسلام
لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار
الى الموصول ذما لهم وتسجيلا عليهم بكفرهم بآيات الله التي تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها رأسا
ولم يعدوها من جنس الآيات وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل آيات موسى وعيسى عليهما السلام
عنادا ومكابرة والا فقد انزل عليه عليه الصلاة والسلام من الآيات ما يخر له صم الجبال انما انت
منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما ياتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك
الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر
بالاتيان بما اقترحوا من الآيات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية نبي لكل
قوم نبي مخصوص له هداية مخصوصة يقتضيها اختصاص كل منهم بما يختص به حكمة لا يعلمها الا الله
تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا
يهمنك عنادهم وانكارهم لكذا يات المنزلة عليك وازراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته
وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبي وكل نبي بجنس
معين من الآيات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدي الا من
تعلق بهدايته مشيئته التابعة للحكمة استئنافا بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي تحمله فما موصولة
اريد بها ما في بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد
او اي شيء تحمل وعلى اي حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهي استفهامية معلقة للعلم
او حملها فهي مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اي تنقصه وتزداده في الجثة كالخديج
والتام وفي المدة كالمولود في اقل مدة الحمل والمولود في اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك
ولد في سنتين وهرم بن حيان في اربع سنين ومن ذلك سمي هرما وفي العدد كالواحد فما فوقه
يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما في
قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد كيل بعير او لازمان قد اسند
الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شيء من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يمكن مجاوزته عنه كقوله تعالى
انا كل شيء خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين
ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية الحضور العلمي بل العلم
الحضوري فان تحقق الاشياء في نفسها في اي مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد لذلك
علم له بالنسبة الى الله تعالى عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر له عبر عنهما بالغيبة

وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى الله يعلم الى آخره الكبير العظيم الشأن الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او المنزه عن نعوت الخلق وبعد ما بين سبحانه انه عالم بجميع احوال الانسان في مراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة بين انه عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين السر والعلن فقال سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف مبالغ في الاختفاء كأنه مختف بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز يراه كل احد بالنهار من سرب سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله

فان عاهدتني لا تخونني ۞ نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

كأنه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية اسند الى من اسر ومن جهر او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في الآخرين وتقديم الاسرار والاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى وكأنه في التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى الكل سواء له اي لكل ممن اسر او جهر والمستخفي والسارب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم وأخر يحفظونه من امر الله من بأسه حين اذنب بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي هي فطرة الله التي فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم السوء الذي اراده الله تعالى بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الآيات قد غيروا ما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من الصاعقة وطمعا في المطر وتوجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لان المخوف عليه النفس او الرزق العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه كالخراف والحراث وياباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اي تخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او المخاطبين باضمار ذوي او جعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل على مبالغة او على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتأويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل العلة والفعل المعلل واما جعل الفعل هي الرؤية التي يتضمنها الاراءة على طريقة قول النابغة

وحلت بيوتي في يفاع ممنع ۞ تخال به راعي الحمولة طائرا
حذارا على ان لا تنال مقادتي ۞ ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا

اي احللت بيوتي حذارا فلا يستقيم لان ما وقع في معرض العلة الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالماء وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امرأة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد الراجين للمطر متلبسين بحمده او يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد

الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى ليس بملك والملائكة اي تسبح الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم لدى كل من يستحق الخطاب كأنه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين او الرعد نفسه او الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى وهم اي الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلك ومع ما بهم وحقارة شأنهم يجادلون في الله اي في شأنه حيث يتعلقون بما يقولون من انكار البعث واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الآيات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي يريكم البرق او على قوله تعالى الله يعلم ما تحمل الخ واما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استئناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظائره من استعجال العذاب وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل للحال اي فيصيب بالصواعق من يشاء وهم في الجدال وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه وفد مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصدان الغوائل فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من الاصحاب رضي الله عنهم فاستشرف لجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى الى اربد انه اذا رأيتني اكلم محمدا فدر من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه السلام فدار اربد من خلفه عليه السلام فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل في بيت امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض في الصحراء ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فارداه في التراب فخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبروني عما تدعونني اليه ما هو ومم هو من ذهب ام من فضة ام من نحاس ام من حديد ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله تعالى منه فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا اليه فما زاد الا مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه عليه السلام فبينما هم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر فجاؤوا يسعون ليخبروه عليه السلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو شديد المحال اي والحال انه شديد المماحلة والمكايدة والمماكرة لاعدائه من محله اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو مفعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق اي الدعوة التي هي الحق وافقه ومحلها الحاجة عنده ونوعها والاضافة للايذان لملابستها الحق واختصاصها به وكونها بمعزل من شائبة البطلان والضياع ق

والضلال كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اي الدعوة الملابسة بحقيته كما قال رح فمن كانت هجرته
الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والغرض لوصف الحقيقة لتربية معنى الاستجابة والاولى هو الاوفق
لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما من حيث ان هلاك اربد وعامر محال
من الله تعالى واجابة لدعوة رسول الله صلى الله عم عليهما ان كانت الاية نزلت في شانهما او من حيث انه وعيد
للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عم بحلول محاله بهم وتحذير لهم باجابة دعوته عليهم والذين يدعون اي
الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العائد من دونه من دون الله عز وجل لا يستجيبون لهم بشيء من
طلباتهم الا كباسط كفيه الى الماء اي الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة
مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول ويضاف
الى الباسط بناء على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل
لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة الا استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله

وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ◦ من المال الا مسحت او مجلف ◦

اي لم تدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ليبلغ فاه اي الماء بنفسه من غير ان يؤخذ بشيء من الاناء ونحوه فاه وما هو اي
الماء ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا ببسط يديه اليه فضلا عن الاستطاعة لما
اراد من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رايهم في
ذلك بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة
التشبيه في جميع مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف الهتهم والمراد نفي الاستجابة راسا الا
انه قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة الا استجابة كائنة في هذه الصورة
التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط
بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد يخضع
وينقاد لا لشيء غيره استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من
الملائكة والثقلين طوعا وكرها اي طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره او حال طوع وكره فان خضوع
الكل لعظمة الله تع وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاءوا او ابوا وعدم مداخلة
حكم غيره بل عزم حكمه تع في تلك الشئون مما لا يخفى على احد وظلالهم اي تنقاد له تعالى ظلال من ظل منهم اعني
الانس حيث تتصرف على مشيته وتتاتى لارادته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال بالغدو والآصال
ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع الاوقات لوضوح
ظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقنى في جمع قناة والآصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع
اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل هذا
وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعني بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به
سبحانه قال تعالى واذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال
افهاما وعقولا بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله
ابن الانباري ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان
اختصاص سجود الكافر بحالة الاضطرار والشدائد لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء
مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان تحقيق انقياد الكل
في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى
تخصيص انقياد العقلاء بالذكر [illegible]
على ان تبين ذلك بقوله عز وجل قل من رب السموات والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما
مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وتعالى وقوله تعالى قل الله امر بالجواب من قبله عم اشعارا بانه متعين
للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء وايذانا بانه امر لا يكاد [illegible]
احك اعترافهم وبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر

حذرا منا لالهم فانهم لا يملكون اذ ذاك ولا بعده ون على انكاره قل الزاما لهم وتبكيتا افاتخذتم
لانفسهم والهمزة للانكار والواقع كما في قولك اضربت اباك اي لا ينبغي ان يكون كما في قوله اضرب ابي والفاء
للعطف على مقدر بعد الهمزة اي اعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد له الامر فيهما كافة فاتخذتم من
دونه اولياء عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن
القدرة على جلب النفع للغير ودفع الضرر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في قوله
افلا تعقلون اذ قدر المعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب
عليه نقيضه والمعنى ابعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية
العلم ان تتخذوه وحده وذريته اولياء من دونه في وصف الاولياء هنا بعدم المالكية للنفع والضر في ترشيح
الانكار وتاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعني قوله تعالى وهم لكم عدو فان كلا منهما
مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره قل تصوير الآرائهم الركيكة بصورة المحسوس هل يستوي
الاعمى الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي هو الموحد العالم بذلك او الاول
عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم بكل شيء ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة
عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة التوحيد والايمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على ان
الكفرة بما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه في الضلال المحض والخطاء البحت بحيث لا
يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى الذي لا يهتدي الى شيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة يصلح
ان تكون منشأ لغلطهم وخطئهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اي بل اجعلوا له
شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لانكار الواقع مع والتوعد وقوله تعالى خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه
اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى
شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم بسبب ذلك قالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة
كما استحقها ليكون ذلك منشأ لخطئهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى
من التعريض بركاكة رايهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كائنة
لا خالق سواه ليشاركه في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار
لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك وبعدما مثل المشرك والمشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد
بالبصير والنور مثل الحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية عنه
متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة وفي ثباته
فيها مع كونه ممدا لحياتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية بالماء النازل من السماء
السائل في اودية بائسة لم يجر عادتها بذلك سيلا نافعا بقدر ما اقتضته الحكمة في احياء الارض وما
عليها الباقي في منابعه من عليه منافع الناس وفي كونه حلية يتحلى بها النفوس وتصل الى البهجة الابدية
ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسائر الفلزات التي يتخذ منها انواع الالات والادوات
وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة
له فيه واخلال بصفائهما من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء ماء اي من جهتها
كثيرا ونوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية بانحصار في مواضعه لا جميع الاودية اذ الامطار
لا تستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو مفرج بين جبال او تلال او آكام على الشذوذ كنادٍ وانديه وناج
وانجيه قالوا وجهه ان فاعلا يجي بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع
فعيل على افعلة كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها فمجاز فاسناد السيلان
اليها حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر وايثار التمثيل بها على الانهار المستمرة
الجريان لوضوح المماثلة بين شانها وشان ما مثل بها كما اشير اليه بقدرها اي سالت ملتبسة بمقدارها
الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة بحسب تفاوت محالها
صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة مواردها الماء وكثرتها

المسندى لكثرة الموارد فان مورد السيل الجارى فى الوادى الصغير اقل من موارد السيل الجارى فى الوادى الكبير
هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان اريد بها معناها الحقيقى فالمعنى سالت مياهها بقدرها تلك الاودية
على نحو ما عرفته آنفا او يراد بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر او لانتقاص المتبين
فاحتمل السيل الجارى فى تلك الاودية اى حمل معه زبدا اى غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى
رابيا اى عاليا منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المتحمل لكون الحميل غير طاف كالاحجار الثقيلة وانما
لم يدفع ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شان الزبد
لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذى شانه الظهور فى بادى الراى من غير
مداخلة فى الحق ومما يوقدون عليه فى النار اى يفعلون الايقاد عليه كائنا فى النار والضمير للناس اضمر مع
عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اى لطلب اتخاذ حلية وهى ما يتزين
ويتجمل به كالحلى المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع به من الاوانى والآلات المتخذة
من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله اى مثل ما ذكر من زبد الماء فى كونه رابيا
فوقه فقوله تعالى زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية دالة على مجرد كونه مبتدأ او ناشئا
منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال ذلك بالتمثيل وفى التعبير عن ذلك بالموصول
والتعرض لما فى حيز الصلة من ايقاد النار عليه جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما فى قوله تعالى
فاوقد لى يا هامان على الطين واشارة الى كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفى زيادة فى النار
اشعار بالمبالغة فى الاعتمال للاذابة وحصول الزبد كما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم
دخل ذلك العنوان فى التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل
له اخلال بذلك كذلك اى مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب الله الحق والباطل
اى مثل الحق ومثل الباطل والحذف للانباء عن كمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين
الحق والباطل وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء فى تضاعيف ذلك الى وجوه المماثلة على ابدع وجوه واتقنها
حسبما اشير اليه فى مواقعها بين عاقبة كل من المتماثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة
من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل
فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اى مرميا به وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع
الناس منهما كالماء الصافى والفلز الخالص فيمكث فى الارض اما الماء فيثبت بعضه فى منابعه ويسلك بعضه
فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار واما الفلز فيصاغ من بعضه انواع الحلى ويتخذ من بعضه اصناف
الآلات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفاع مدة طويلة فالمراد بالمكث فى الارض ما يعم
من المكث فى نفسه ومن البقاء فى ايدى المتقلبين فيها وتغيير ترتيب اللف الواقع فى الفذلكة لكونه الموافق الترتيب
الواقع فى التمثيل لرعاية الملاءمة بين حالتى الذهاب والبقاء وبين ذكرهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقى بعد
ذهاب الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله اى مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال فى كل باب اظهارا
لكمال اللطف والعناية فى الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد لقوله تعالى كذلك يضرب
الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين
شان كل من الحق والباطل حالا ومآلا اكمل بيان شرع فى بيان حال اهل كل منهما مآلا تكميلا للدعوة ترغيبا
وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق بفنون الدعوة التى من جملتها ضرب الامثال فانها
الطف ذريعة الى تفهيم القلوب المعنية واقوى وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير للمعقول
بصورة المحسوس وابراز لاوابد المعانى فى هيئة المانوس فاى دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى
اى المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلى لو ان لهم ما فى الارض من
اصناف الاموال جميعا بحيث لم يشذ منه شاذ فى اقطارها او مجموعها غير متفرق بحسب الازمان ومثله
معه لافتدوا به اى بما فى الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به
البيان فالموصول مبتدأ والشرطية كما هى خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوأى وقعت فى مقابلة الحسنى

الحسنى الواقعة فى القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوأى كما
توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوأى مصحوبا باللام
الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع فى تلك المقابلة سوء الحساب فى
قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدأ فى هذه الجملة عبارة عن الموصول
الواقع مبتدأ فى الجملة السابقة كان خبرها اعنى الجملة الظرفية خبرا عن الموصول فى الحقيقة ومبينا
لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار كانه قيل والذين لم يستجيبوا
لهم سوء الحساب وذلك فى قوة ان يقال والذين لم يستجيبوا له سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم
حسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بين مؤدى ذلك فقيل وماواهم اى مرجعهم جهنم وفيه
نوع تاكيد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد اى المستقر والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام فى قوله تعالى
للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله تعالى يضرب الله الامثال اى الامثال السالفة وقوله الحسنى صفة لمصدر
اى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله تعالى والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله تعالى
لو ان لهم الخ كلام مستانف مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله
الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اى هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة
وعدمها لا مناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد
تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل فى هذا المعنى ايضا كما فى قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة
فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين
بل مثل الحق والباطل ولا مساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان يجعل فى حكم ان يقال كذلك يضرب
الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتنويعهم الى المستجيبين فتأمل افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
من القرآن الذى مثل بالماء المنزل من السماء والابريز الخالص فى المنفعة والجدوى الحق الذى لا حق
وراءه والحق الذى اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن هو اعمى عمى القلب لا يشاهده وهو
على حاله ولا يقدره قدره وهو فى اقصى مراتب العلو والعظم فيبقى حائرا فى ظلمات الجهل وغياهب الضلال
او لا يتذكر بما ضرب من الامثال اى لكن لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى
وابراز الفائدة اهل العقول لتوجيه الانكار الى ترتيب توهم المماثلة بين حال كل من الفريقين
وبين حال كل من الفريقين بالمثال بتوبيخ ما سبق بما يستوقف فيتنبه
على ما بينهما من التفاوت والتباين انما يتذكر اولوا الالباب اى العقول الخالصة المبرأة عن شوائب الالف
ومعارضة الوهم بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله الذين يوفون بعهد الله
الله تعالى عليهم فى كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله تعالى وغيره
من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تاكيد لاستمرار المفهوم من صيغة
المستقبل والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين
على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل جميع حقوق كل ما يتعلق بهم
من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه فيما امر به ويخافون
سوء الحساب فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا
والذين صبروا على كل ما تكرهه النفس من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من
غير ان ينظر الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه
المذكور ملاكا للامر فى كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضى اعتناء بشانه
ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما فى نفس الصلات كما فيما عدا الاولى والرابعة
والخامسة او فى اظهار احكامها كما فى الصلات الثلاث المذكورات فانها لا تستغنى عن الصبر اصلا
حيث لا مشقة على النفس فى الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجرى على موجبها
غير خال عن الاحتياج اليه واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اى بعضه الذى يجب عليهم

انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند تعاقده واعطاء من يمنعه المروءة من اخذه
ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كما ذكر او الاول في التطوع والثاني في الفرض ويدرؤن بالحسنة السيئة اي
يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن
من الكلام ما يرد عليهم من سيئة غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا
وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار
كمال العناية بالحسنة اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتدأ خبره الجملة
الظرفية اعني قوله تعالى لهم عقبى الدار اي عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل امر اهلها وهي الجنة
وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدار فاعل الاستقرار وايا ما كان فليس فيه تقرير حتى يرد ان
بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات
المتعاطفة او استئناف لبيان ما استوجبوه بتلك الصفات ان جعلت الموصولات المتعاطفة صفات لاولي الالباب
على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن بدل من عقبى
الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنان اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان
الجنة ومن صلح من آبائهم جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم وازواجهم وذرياتهم
وهو عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق
بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة
وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة
في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة لهم
بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذه الكرامة لكم بما صبرتم اي بسبب صبركم
او بدل لما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص
الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا في كل منها ومزية زائدة من حيث ان ملاك
الامر في كل منها وان شانها لا يعتد به الا ان يكون لابتغاء وجه الرب تعالى وتقرير فنعم عقبى
الدار اي فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكنت العين بنقل حركتها الى النون تارة و
بدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربعة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والذين ينقضون عهد الله
اريد بهم من يقابل الاولين ويباينهم في الاتصاف بنقائض صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه
به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق حيث
يؤمنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه
من الامور المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفي الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على
ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة ليقع في عداد
الحسن فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفي الصلوة والزكوة ممن لا يحوم حول اصل
الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرائع وان اريد بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر
الله تعالى بوصله واما درء السيئة بالحسنة فانتفاؤه عنهم ظاهر مما سبق ولحق فان من يجازي احسان الله
عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد حسبما يحكيه قوله عز وعلا ويفسدون في
الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك يشعر بان له دخلا
في الافضاء الى العقوبة التي ينبئ عنها قوله تعالى اولئك الخ اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم
بسبب ذلك اللعنة اي الابعاد من رحمة الله تعالى ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب
جهنم فانها دارهم لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك
على اكثر التفاسير فان مجازاة السيئة بمثلها مما دون فيها ودفع الكلام السيئ بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع

المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة وانما اعتبر اندراجه تحت
الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا حرج في ذلك لان اعتباره من حيث انه من
متممات الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك سائر الحقوق الواجبة
وتكرير لهم للتاكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت الله يبسط الرزق اي يوسعه
لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه على من يشاء حسبما يقتضيه الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل
في ذلك ولا استغرابه بمكيده فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه على المؤمن
زيادة لاجره فلا يغتر ببسطه الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا اي اهل مكة فرح اشر وبطر
لا فرح سرور بفضل الله بالحيوة الدنيا وما بسط لهم فيها من نعيمها وما الحيوة الدنيا وما يتبعها من
النعم في الآخرة في جنب نعيم الآخرة الا متاع الا شيء نزر يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعي و
المعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما اشروا به في جنب ما اعرضوا عنه
في قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور
ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكي عنهم من قولهم لولا انزل
عليه آية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب المكابرة والعناد كان ما انزل عليه الصلوة والسلام من
الآيات العظام الباهرة ليس بآية حتى اقترحوا ما لا يقتضيه الحكمة من الآيات المحسوسة التي لا يبقى لاحد
بعدها طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من يشاء اضلاله
مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله ويدعه منهمكا فيه
لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد لكن كان على صفتكم في المكابرة والعناد وشدة
الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل آية ويهدي اليه اي الى جنابه العلي
الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من
تشريفهم ما لا يوصف من اناب اقبل الى الحق وتامل في تضاعيف ما نزل من دلائله الواضحة وحقيقة
الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشيئة كما في الصلة الاولى للتنبيه
على الداعي الى الهداية بل الى مشيئتها والاشعار بما دعى الى المشيئة الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة
على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد [illegible]
[illegible] الآيات [illegible]
مكابرتهم [illegible] الذين آمنوا [illegible]
[illegible] فالمراد بالذين آمنوا [illegible]
[illegible] او خبر مبتدأ محذوف [illegible] الذين آمنوا او
منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم تستقر وتسكن بذكر الله [illegible] كقوله تعالى
وهذا كتاب انزلناه [illegible] وقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون [illegible] ان لا آية اعظم
[illegible]
الا بذكر الله تطمئن القلوب [illegible] دون غيره من الامور [illegible] من الدنيا [illegible]
ظاهر [illegible] المعجزات [illegible]
[illegible] القرآن الحكيم [illegible] الى يوم القيامة [illegible] كل احد [illegible]
[illegible] الكفرة [illegible] قلوب [illegible]
اظهر الآيات [illegible]
[illegible] جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله [illegible]
وعلا [illegible]
من القلوب [illegible] الذين آمنوا وعملوا الصالحات
[illegible] طوبى لهم [illegible]

او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعل لان طوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة
من الياء كموقن وموسر وقرئ مكوزة الاعرابي طيبى ليسلم الياء والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسلاما
لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في
قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك كذلك مثل ذلك
الارسال العظيم الشان المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك في امة قد خلت اي مضت
من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلو لتقرأ عليهم الذي اوحينا اليك من الكتاب العظيم الشان
وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى و
وضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها
وهم اي والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت كل شيء رحمته واحاطت بنعمته والعدول
الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمه لا سيما ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال القرآن الذي هو
مدار المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن
قل هو ربي اي الرحمن الذي كفرتم به وانكرتم معرفته ربي الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء
الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب
الكمال وايراده قبل قوله تعالى لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق
العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى
المشركين فقال ان محمدا يدعو الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية
عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في النصرة عليكم لا على احد سواه واليه خاصة متاب اي توبتي
كقوله تعالى واستغفر لذنبك امر عليه السلام بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها
صفة الانبياء وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عليه السلام حيث امر بها وهو منزه عن
شائبة اقتراف ما يوجبها من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه
اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيشتد على
مصابرتكم فتامل ولو ان قرآنا اي قرآنا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو
محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود اما بيان عظم شان القرآن
العظيم وفساد راي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الآيات فاقترحوا غيره
مما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد
فالمعنى على الاول لو ان قرآنا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل
ذلك بالطور لموسى عليه السلام او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام
بعصاه او جعلت قطعا متصدعة او كلم به الموتى اي بعد ان احيي بقراءته عليها كما احييت لعيسى عليه السلام
لكان ذلك هذا القرآن لكونه الغاية القصوى في الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته
عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز
اذ لا مدخل له في هذه الآثار ولا في التذكير والانذار والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة
لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على
المرفوع لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التاخير تبقى النفس
مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في الموضعين
لمنع الخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا
بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق
نيط ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة لركاكة
رايهم في شانه الرفيع كانه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن

القرآن الذي لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شانه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى بل لله الامر
جميعا اي له الامر الذي عليه يدور فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوا
اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه
اي لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا القرآن ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه هذا الشان الآن
لان الامر كله له وحده فالاضراب ليس متوجها الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون
الشان على ما كان لما تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييأس الذين آمنوا اي افلم يعلموا على
لغة هوازن او قوم من النخع او على استعمال الياس في معنى العلم لتضمنه له ويؤيده قراءة علي وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف على مقدر
اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشان وتخفيف ان لهدى
الناس جميعا باظهار امثال تلك الآيات العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين جميعا او اعلموا كون الامر
جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف
العلم الثاني عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا
حسنا لا انكار الواقع كما في قولك الم تخف الله حتى عصيته ثم ان مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون
الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هداية الناس
لهداهم وانه لم يشاها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الآيات ليجتمعوا على الايمان
وعلى الثاني لو ان قرآنا فعل به ما فصل من التعاجيب لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى الاية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد على ما
شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يات به حسبما يستدعيه داعية
الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح والياس بمعنى القنوط اي الم يعلم الذين آمنوا حالهم هذه
فلم يقنطوا من ايمانهم حتى احبوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم
يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن العلم المذكور
والانكار على التقديرين انكار الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم
قنوطهم منهم مما لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله الخ متعلق بمحذوف اي افلم ييأسوا من ايمانهم
علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم وانه لم يشأ ذلك
او بآمنوا اي افلم يقنط الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم
المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما يحكيه كلمة لو فالوصف
المذكور يدعو الى انكار ياسهم وقيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت
نبيا سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطائع وقد سخرت لداود عليه السلام
فلست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر
عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا فنزلت
فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة الى الاعتذار في اسناد الافاعيل المذكورة
الى القرآن كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله تعالى وهم يكفرون
بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو في الحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت
به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا
يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه
اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما
في صيغة الصنع من الايذان برسوخهم في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من
انواع البلايا والمصائب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من
ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من جهتهم

أو تنزل ذي إثر أو تحل تلك القارعة **قريبا** أي مكانا قريبا **من دارهم** فيفزعون منها ويتطاير إليهم شررها شبهت القارعة بالعدو المتوجه إليهم فأسند إليها الإصابة تارة والحلول أخرى ففيه استعارة بالكناية وتخييل **حتى يأتي وعد الله** أي موتهم أو القيامة فإن كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه دلالة على أن ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وأن ما ذكر سابقا نفحة يسيرة بالنسبة إليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى **إن الله لا يخلف الميعاد** أي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله يبعثها وكانوا بين إغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم في ديارهم فالإصابة والحلول حينئذ من أحوالهم ويجوز على هذا أن يكون قوله تعالى أو تحل قريبا من دارهم خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة **ولقد استهزئ برسل** كثيرة جلت **من قبلك فأمليت للذين كفروا** أي تركتهم ملاوة من الزمان في أمن ودعة كما يملى للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء ووعيد لهم والمعنى أن ذلك ليس مختصا بك بل أمر مطرد قد فعل ذلك برسل كثيرة كائنة من قبلك فأمليت الذين والعدول في الصلة إلى وصف الكفر لأن المملي لهم غير المستهزئين لا لإرادة الجمع بين الوصفين أي فأمليت للذين كفروا مع استهزائهم لا لاستهزائهم فقط **ثم أخذتهم فكيف كان عقاب** أي عقابي إياهم وفيه من الدلالة على بلوغه في الشدة والفظاعة ما لا يخفى **أفمن هو قائم** أي رقيب مهيمن **على كل نفس** كائنة من كانت **بما كسبت** من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف أي كمن ليس كذلك إنكارا لذلك وإدخال الفاء لتوجيه الإنكار إلى توهم المماثلة عقيب ما علم من فعله تعالى بالمستهزئين من الإملاء المديد والأخذ الشديد ومن كون الأمر كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة حتى يأتي وعد الله كأنه قيل أالأمر كذلك فمن هذا شأنه كما ليس في عداد الأشياء حتى تشركوه به فالإنكار متوجه إلى ترتب المعطوف أعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر أعني كون الأمر كما ذكر كما في قولك أتعلم الحق فلا تعمل به لا إلى المعطوفين جميعا كما إذا قلت ألا تعلم فلا تعمل به وقوله تعالى **وجعلوا لله شركاء** جملة مستقلة جيء بها للدلالة على الخبر أو حالية أي أفمن هذه صفاته كما ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا أو معطوفة على الخبر إن قدر ما يصلح لذلك أي أفمن هذا شأنه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما والتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الإبهام بإيراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى **قل سموهم** تبكيت لهم إثر تبكيت أي سموهم من هم وماذا أسماؤهم أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة **أم تنبئونه** أي بل أتنبئون الله **بما لا يعلم في الأرض** أي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض وقرئ بالتخفيف **أم بظاهر من القول** بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بأفواههم وهاتيك الأساليب البديعة التي ورد عليها الآية الكريمة منادية على أنها خارجة عن قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين **بل زين للذين كفروا** وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر **مكرهم** تمويههم الأباطيل أو كيدهم للإسلام بشركهم **وصدوا عن السبيل** أي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليها وقرئ بفتحها أي صدوا الناس أو من صد صدودا **ومن يضلل الله** أي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره أو يخذله **فما له من هاد** يوفقه للهدى **لهم عذاب** شاق **في الحيوة الدنيا** بالقتل والأسر وسائر ما يصيبهم من المصائب فإنها إنما تصيبهم عقوبة على كفرهم **ولعذاب الآخرة أشق** من ذلك بالشدة والمدة **وما لهم من الله** من عذابه المذكورين **من واق** من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الأولى صلة للوقاية والثانية مزيدة للتأكيد **مثل الجنة** أي صفتها العجيبة الشأن التي هي في الغرابة كالمثل **التي وعد المتقون** عن الكفر والمعاصي وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى **تجري من تحتها الأنهار**

تفسير لذلك المثل على أنه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد إلى الجنة التي وعدها وهو الخبر عنده كقولك شأن زيد يأتيه الناس ويعظمونه أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري إلخ **أكلها دائم** لا ينقطع ثمرها **وظلها** أيضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا **تلك** الجنة المنعوتة بما ذكر **عقبى الذين اتقوا** الكفر والمعاصي أي مآلهم ومنتهى أمرهم **وعقبى الكافرين النار** لا غير وفيه ما لا يخفى من إطماع المتقين وإقناط الكافرين **والذين آتيناهم الكتاب** هم المسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة **يفرحون بما أنزل إليك** إذ هو الكتاب الموعود في التورية والإنجيل **ومن الأحزاب** أي من أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف والسيد والعاقب أسقفي نجران وأتباعهما **من ينكر بعضه** وهو الشرائع الحادثة إنشاء أو نسخا وما يوافق ما حرفوه وأما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه ولم يفرحوا به وقيل يجوز أن يراد بالموصول الأول عامتهم فإنهم أيضا يفرحون به لكونه مصداقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الأحزاب إلخ تتمة بمنزلة أن يقال ومنهم من ينكر بعضه **قل** إلزاما لهم ورد لإنكارهم **إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به** أي شيئا من الأشياء أو لا أفعل الإشراك به والمراد به قصر الأمر بالعبادة على الله تعالى لا قصر الأمر مطلقا على عبادته خاصة أي قل لهم إنما أمرت فيما أنزل إلي بعبادة الله تعالى وتوحيده وظاهر أن لا سبيل لكم إلى إنكاره لإطباق جميع الأنبياء والكتب على ذلك كقوله تعالى قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا أشرك به بالرفع على الاستئناف أي وأنا لا أشرك به **إليه** إلى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد أو إلى ما أمرت به من التوحيد **أدعو** الناس لا إلى غيره أو لا إلى شيء آخر مما لم يطبق عليه الكتب الإلهية والأنبياء عليهم السلام فما وجه إنكاركم **وإليه** إلى الله تعالى وحده **مآب** مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا أمر عليه الصلوة والسلام بأن يخاطبهم بذلك إلزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد إنكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء أو بدلا من الشرائع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل **وكذلك أنزلناه** أي ما أنزل إليك وذلك إشارة إلى مصدر أنزلناه أي أنزل إليك ومحله النصب على المصدرية أي مثل ذلك الإنزال البديع المنتظم لأصول مجمع عليها وفروع متشعبة إلى موافقة ومخالفة حسبما تقتضيه قضية الحكمة والمصلحة أنزلناه **حكما** حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق أو يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع أن بعضه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وتحتم المحافظة عليه **عربيا** مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك للإشارة إلى أن ذلك إحدى مواد المخالفة للكتب السابقة مع أن ذلك مقتضى الحكمة إذ بذلك يسهل فهمه وإدراك إعجازه والاقتصار على اشتمال الإنزال على أصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل إنما أمرت أن أعبد الله إلخ يأباه التعرض لاتباع أهوائهم وحديث المحو والإثبات وأن لكل أجل كتابا فإن المجمع عليه لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع **ولئن اتبعت أهواءهم** التي يدعونك إليها من تقرير الأمور المخالفة لما أنزل إليك من الحق كالصلوة إلى بيت المقدس بعد التحويل **بعد ما جاءك من العلم** العظيم الشأن الفائض من ذلك الحكم العربي أو العلم بمضمونه **ما لك من الله** من جنابه العزيز والالتفات من التكلم إلى الغيبة وإيراد الاسم الجليل لتربية المهابة قال الأزهري لا يكون إلها حتى يكون معبودا وحتى يكون لعابده خالقا ورازقا ومدبرا **من ولي** يلي أمرك وينصرك على من يبغيك الغوائل **ولا واق** يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم الثبات على الهدى نفي الولي نكاية أدخل أو لتيك من بأس الله تعالى من ناصر وواق لاتباعك أهواءهم وأمثال هاتيك القوارع إنما هي لقطع أطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في لئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي الشرط والقسم **ولقد أرسلنا رسلا** كثيرة كائنة **من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية** نساء وأولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا يعيبونه عليه السلام بالأزواج والأولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول

يأكل الطعام الى آخره وما كان لرسول منهم اى ما صح وما استقام ولم يكن فى وسعه أن يأتى بآية مما اقترح عليه وحكم مما التمس منه الا باذن الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح التى عليها يدور امر الكائنات لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما ذكرناه ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اى لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم فى المبدأ والمعاد ومن قضية ذلك ان يختلف حسب اختلاف احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات يمحو الله ما يشاء اى ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقى او يمحو سيئات التائب ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسمانى ويثبت الكائنات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل والسعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهم والقائلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل فى ذلك موارد الانتقاد دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اى اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شئ من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثم الحقت النون بالفعل بعض الذى نعدهم اى وعدناهم من انزال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسبما تقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفى ابراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك قبل ذلك فانما عليك البلاغ اى تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الذى هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمؤاخذة بها اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوى او لم نرك فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشير الظفر فقال او لم يروا استفهام انكارى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا او لم ينظروا فى ذلك ولم يروا انا نأتى الارض اى ارض الكفر ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه افلا يرون انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل نأتى او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفى لفظ الاتيان المؤذن بالاستيلاء عليها والحق والاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما فى قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار وفى الالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى العلة ما لا يخفى وهى جملة اعتراضية جئ بها لتاكيد فحوى ما تقدمها وقوله تعالى لا معقب لحكمه اعتراض فى اعتراض لبيان علو شأن حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء زيد لا عمامة على رأسه اى حاسرا والمعقب من يكر على الشئ فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم فى الآخرة بالعذاب الشديد بعد ما عذبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضى الله عنهما سريع الانتقام وقد مكر الكفار الذين خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه لا عبرة بمكرهم ولا تأثير بل لا وجود له فى الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعنى قوله تعالى فلله المكر جميعا اى جنس المكر جميعا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما يأتون وما يذرون بعلم

بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تأثير حسبما بينه بقوله عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان المكر كله لله تعالى حيث يواخذهم بما كسبوا من فنون المعاصى التى من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله المكر الذى باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السيئ الا باهله وسيعلم الكفار حين يقضى بمقتضى علمه فيوفى كل نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدار اى العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم به ح وقرئ سيعلم الكافر على ارادة الجنس والكافرون والكفر والذين كفروا وسيعلم على صيغة المجهول من الاعلام اى سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود وصيغة الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعاء تعجيبا منها وللدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم فانه قد اظهر على رسالتى من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اى علم القرآن وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه السلام فى كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اى كفى شاهدا بيننا بالذى يستحق العبادة فانه قد شهد كتابه بالدعوة الى عبادته وايدنى بانواع التأييد وبالذى يختص بعلم ما فى اللوح من الاشياء الكائنة التى من جملتها رسالتى وقرئ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدأ خبره الظرف وهو متعين على الثانى وقرئ ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله عز وجل

سورة ابراهيم مكية وهى احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر مر الكلام فيه وفى محله من الاعراب وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتدأ وللمبتدأ المضمر على تقدير كونه خبرا لمبتدأ محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدأ المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اى لتخرجهم كافة بما فى تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقائد الحقة وقرئ ليخرج الناس اى ليخرج به الناس من الظلمات من عقائد الكفر والضلال التى كلها ظلمات محضة وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذى هو نور بحت لكن لا كيفما كان فانك لا تهدى من احببت بل باذن ربهم بتيسيره وتوفيقه وللانباء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كما يفصح عنه قوله عز وجل ويهدى اليه من اناب استعير له الاذن الذى هو عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية الذى هو عبارة عن تبليغ الشئ الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل فى بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اى ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله باعتبار اضافة الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه فى نفسه وايضاحه لغيره موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واحلال البدل والمبدل بالاستعارة انما هو فى الحقيقة لا فى المجاز كما فى قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استئناف مبنى على سؤال كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب فى سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى العلم الغالبة

بالاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله اي العزيز الحميد الذي اضيف الصراط اليه
الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اي ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما
كما مر في اية الكرسي نعته على القراءتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس
قاطبة ويجوز الرفع على الابتداء بجعل الموصول خبرا مساه المنقول عن هذه النكتة ذلك له عز وجل وويل
للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالويل وهو نقيض الوال وهو النجاة
واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رعونا للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب شديد متعلق بويل
على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين يستحبون
الحيوة الدنيا اي يؤثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها
وافضل عندها من غيره على الاخرة اي الحيوة الاخرة الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين شانها
والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صد صدا وقرئ
يصدون من اصد المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده وقفه مندوحة
عن تكلف النقل ويبغونها اي يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اي يطلبون لها عوجا اي
زيغا واعوجاجا وهي ابعد شيء من ذلك اي يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة
غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلات الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعتبر كل وصف من
اوصافهم بازاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبئ عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب
الحيوة الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كونه سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء
كونه مامونا وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي ما لا يخفى والنصب على الذم او الرفع على الابتداء والخبر
قوله تعالى اولئك في ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستانفة وقعت تعليلا لما سبق من لحوق الويل
بهم تاكيدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اي اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا
على الاخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه بمنزه في ضلال عن طريق الحق
بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان احوال الضال الا انه قد وصف به وصفه
مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهيا ويجوز ان يكون المعنى في ضلال ذي بعد او فيه بعد فان الضال
قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا
يخفى من المبالغة وما ارسلنا اي في الامم الخالية من قبلك كما سيذكر اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه
متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة سواء بعث فيهم او لا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش
ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة
ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شان سيدنا
محمد صلى الله عم وعليهم اجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب
المنزل اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع ان
استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من المحال
وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبئ عن العزة وجلالة الشان المستتبعة لفوائد
غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة من معرفة توافق الكل
وتحاديهم حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا
او متعددا وفيه من التعذر ما يتاخم الامتناع ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عم قومه الذين
بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين
الامم اجمعين وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها
جبرائيل عم او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى ليبين لهم
فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم تنزل لتبيين العرب وفي رجعه الى قوم كل نبي كانه قيل وما ارسلنا
من رسول الا بلغة قوم محمد صلى الله عم ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل

فيضل الله من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال لمباشرة اسبابه المؤدية اليه او يخذله ولا يلطف به لما
يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال
الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط
كل منهما والفاء فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله
منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان بان مسارعة
كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غني عن الذكر والبيان
والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد
البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء لما كان على ما كان
والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل وان مدار الامر انما
هو مشيئته تعالى بايهام ان ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف
من تقييد الاخراج من الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم
الذي لا يفعل شيئا من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ
الرسالة وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل ما اجمل في قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم الاية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى
اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال
في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون
من الظلمات من الكفر والجهالات التي اداهم الحال الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة الى النور الى
الايمان بالله وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عم
اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم وعلى من قبلهم من الامم في الايام الخالية حسبما
ينبئ عنه قوله تعالى الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم الاية او بايامه المنطوية على ذلك كما يلوح
به قوله تعالى اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم الجليل للايذان بفخامة شانها
والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم
بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم قبلهم وايام العرب
وقائعها وحروبها وملاحمها اي انذرهم وقائعه التي دهمت الامم الدارجة ويرده ما تصدى له عم بصدد
الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما يتلى عليك ان في ذلك
اي في التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لايات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية
الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء
والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونها مناطا لظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى
الظرفية ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها
من حيث هو مجموع وكلمة في تجريدية مثلها في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور
لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق
بكمال الصبر والشكر والايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بها بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور من
ان يبعث على التذكير المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض او نزل عليه او على من قبله من النعماء
والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر والايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الايات بهم لانهم المنتفعون بها
لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق
الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع
في بيان تصديه عم لما امر به من التذكير لا لاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر سره

مرة اي اذكر لهم وقت قوله عم لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس
اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما
اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون
اي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه
اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه
خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد
به جنس العذاب السيء او استعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر
ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين وانما عطفه على يسومونكم اخراجا له من مرتبة
العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه
فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن في الحياة مع الذل والصغار
ولذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعا لان فيها ضمير
كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لان البلاء يكون بتلك
الافعال اللهم الا ان يجعل في تجريدها نسبتها الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين
عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح
به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن
تربية له واذ تأذن ربكم من جملة مقال موسى عم لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا نعمة الله عليكم
واذكروا حين تأذن ربكم اي آذن ايذانا بليغا لا تبقى معه شائبة شبهة لما في صيغة التفعل
من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ
انجاكم اي اذكروا نعمته تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم لما ينالون
بها خيري الدنيا والآخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام اولا
بنعمائه عليهم صريحا وضمنه تذكيرا لما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى من الله
سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بذكر الاوقات
تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها كانه مشاهد عيان
لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم والآلاء الفائتة
للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه ان عذابي لشديد
فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما
ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين
موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب
من القول او لقول مقدر بعده كانه قيل وان تأذن ربكم الخ وقال موسى ان تكفروا نعمه تعالى ولم تشكروها
انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم حميد
مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة
من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على
كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى غني
عن شكر الشاكرين ولعله عم انما قاله عندما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار على الكفر
والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله عند تذكيرهم بما ذكر من قول
الله عز سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب بتذكير ما جرى على الامم
الخالية فقال الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل واحد من حزبي المؤمنين والكافرين
فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابا للكفرة
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بتخصيص تذكير موسى عليه السلام بما اختص من بني اسرائيل من السراء والضراء والايام بالايام

بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد واما ما لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة لهم في الخلو بل هو اولى
قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي
من بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله اعتراض
او الموصول مبتدأ ولا يعلمهم الخ خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم
الا الله سبحانه وعن ابن عباس رضي الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان
ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن
العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبئهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة والبينات الباهرة فبين كل
رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور فردوا ايديهم في افواههم مشيرين
بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم بشأنها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها
واقناطا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي على
زعمكم وهي البينات التي اظهروها حجة على صحة رسالاتهم كقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم
بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالاتهم او نفضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى
عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء
وامرا لهم باطباق الافواه او ردوها في افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تخفيفا او تمثيلا او
جعلوا ايدي الانبياء في افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افي الله شك
وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا مواعظهم ونصائحهم وشرائعهم التي هي مدار النعم الدينية
والدنيوية لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وانا لفي شك عظيم
مما تدعوننا اليه من الايمان بالله تعالى والتوحيد فلا ينافي شكهم في ذلك كفرهم القطعي بما ارسل به الرسل
من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فأتونا بسلطان
وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة من اراب الرجل وهي قلق النفس
وعدم اطمئنانها بالشيء قالت رسلهم استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت
رسلهم فاجيب بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء أفي الله شك بادخال الهمزة على
الظرف للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا انتقادا
عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا أأنتم في شك مريب من الله تعالى مبالغة في تنزيه
ساحة السبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اي أفي شأنه سبحانه من وجوده
ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلي حتى تكونوا من
قبله في شك مريب وحيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد وكان اظهار البينات
وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا للجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية
القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجب من الشواهد الدالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض
اي مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقيق ما انتم منه في شك وهو صفة للاسم
الجليل او بدل منه وشك مرتفع بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يفضي الى
الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي اعني المبتدأ والفاعل ليس باجنبي من رافعه وقد جوز ذلك
ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايانا لا انا ندعوكم بالبعث من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا
ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرني من ذنوبكم اي بعضها وهو ما عدا المظالم
مما بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه قيل هكذا وقع في جميع القرآن في وعد الكفرة دون وعد المؤمنين
تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفي
شأن المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج عن المظالم وقيل
المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى

اعمارکم علی تقدیر الایمان قالوا استیناف کما سبق ان انتم ای ما انتم الا بشر مثلنا من غیر فضل
یوهلکم لما تدعونه من النبوة تریدون صفة ثانیة لبشر حملا علی المعنی کقوله تعالی ابشر یهدوننا او
کلام مستانف ای تریدون بما تتصدون له من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصیص العبادة بالله
سبحانه عما کان یعبد اباؤنا ای عن عبادة ما استمر اباؤنا علی عبادته من غیر شئ یوجبه والا فاتونا
ای ان لم یکن الامر کما قلنا بل کنتم رسلا من جهة الله تعالی کما تدعونه فاتونا بسلطان مبین یدل علی
فضلکم واستحقاقکم لتلك الرتبة او علی صحة ما تدعونه من النبوة حتی نترك ما لم نزل نعبده ابا عن جد
ولقد کانوا اتوهم من الایات الظاهرة والبینات الباهرة ما تخر له صم الجبال ولکنهم انما یقولون ما یقولون
من العظایم مکابرة وعنادا او ارادة لما وراءهم ان ذلك لیس من جنس ما ینطلق علیه السلطان المبین
قالت لهم رسلهم مجاراة معهم فی اول مقالتهم وانما قیل لهم لاختصاص الکلام بهم حیث اریدوا الزامهم بخلاف
ما سلف من انکار وقوع الشك فی الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما یعقبه ان نحن الا بشر
مثلکم کما تقولون ولکن الله یمن بالنبوة علی من یشاء من عباده یعنون ان ذلك عطیة من الله یعطیها
من یشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غیر داعیة توجبه قالوه تواضعا وهضما للنفس او ما
نحن من الملائکة بل نحن بشر مثلکم فی الصورة او فی الدخول تحت الجنس ولکن الله یمن بالفضائل والکمالات
والاستعدادات علی من یشاء الذی یختصها وما یشاء ذلك الا لعلمه باستحقاقه لها وتلك الفضائل والکمالات
والاستعدادات هی التی یدور علیها فلك الاصطفاء للنبوة وما کان وما صح وما استقام لنا ان ناتیکم
بسلطان ای بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبین بشئ من الاشیاء وسبب من الاسباب الا باذن الله
فانه امر یتعلق بمشیئته تعالی ان شاء کان والا فلا وعلی الله وحده دون ما عداه مطلقا فلیتوکل
المؤمنون امر منهم للمؤمنین بالتوکل ومقصودهم حمل انفسهم علیه اثر ذی اثیر الا تری الی قوله عز وجل
وما لنا ای ای عذر لنا ان لا نتوکل علی الله ای فی ان لا نتوکل علیه والاظهار لاظهار النشاط
بالتوکل علیه والاستلذاذ بذکر اسمه تع وتعلیل التوکل وقد هدانا ای والحال انه قد فعل بنا ما
یوجبه ویستدعیه حیث هدانا سبلنا ای ارشد کلا منا سبیله ومنهاجه الذی شرع له واوجب
علیه سلوکه فی الدین وحیث کانت اذیة الکفار مما یوجب القلق والاضطراب القادح فی التوکل
قالوا علی سبیل التاکید القسمی مظهرین لکمال العزیمة ولنصبرن علی ما آذیتمونا بالعناد واقتراح
الایات وغیر ذلك مما لا خیر فیه وعلی الله خاصة فلیتوکل المتوکلون ای فلیثبت المتوکلون علی ما
احدثوه من التوکل والمراد هو المراد مما سبق من ایجاب التوکل علی انفسهم والمراد بالمتوکلین المؤمنون
والتعبیر عنهم بذلك لسبق ذکر اتصافهم به ویجوز ان یراد وعلیه فلیتوکل من یتوکل دون غیره وقال
الذین کفروا لرسلهم لعل هؤلاء القائلین بعض المتمردین من العاتین الغالین فی الکفر من اولئك الامم الکافرة
التی نقلت مقالاتهم الشنیعة دون جمیعهم کقوم شعیب وامرائهم ولذلك لم یقل وقالوا لرسلهم
لنخرجنکم من ارضنا او لتعودن فی ملتنا لم یقنعوا بعصیانهم الرسل ومعاندتهم الحق بمکابرة
را والبینات الغالبة للحصر حتی اجترؤا علی مثل هاتیك العظیمة التی لا تکاد تحیط بها دائرة الامکان
فحلفوا علی ان یکون احد المالین والعود اما بمعنی مطلق الصیرورة او باعتبار تغلیب المؤمنین علی الرسل
وقد مر فی الاعراف وسیاتی فی الکهف فاوحی الیهم ای الرسل ربهم مالك امرهم عند تناهی کفر الکفرة وبلوغهم
من العتو الی غایة لا مطمع بعدها فی ایمانهم لنهلکن الظالمین علی اضمار القول او علی اجراء الایحاء مجری القول لکونه
ضربا منه ولنسکننکم الارض ای ارضهم ودیارهم عقیب اهلاکهم بقولهم لنخرجنکم من ارضنا کقوله تعالی واورثنا
القوم الذین کانوا یستضعفون مشارق الارض ومغاربها من بعدهم ای من بعد اهلاکهم وقری لیهلکن
ولیسکننکم بالیاء اعتبارا للوحی کقولك حلف زید لیخرجن غدا ذلك محقق ثابت لمن خاف مقامی موقفی
وهو الموقف الذی یقف فیه العباد یوم یقوم الناس لرب العالمین او قیامی علیه وحفظی لاعماله وقیل
لفظ المقام مقحم وخاف وعید وعیدی بالعذاب او عذابی الموعود للکفار والمعنی ان ذلك حق للمتقین
کقوله تعالی والعاقبة للمتقین واستفتحوا ای استنصروا الله تعالی علی اعدائهم کقوله تعالی ان تستفتحوا فقد

جاءکم الفتح او استحکموا وسالوا القضاء بینهم من الفتاحة وهی الحکومة کقوله تعالی ربنا افتح بیننا وبین قومنا
بالحق فالضمیر للرسل وقیل للکفرة وقیل للفریقین فانهم سالوا ان ینصر المحق ویهلك المبطل وهو معطوف علی اوحی
الیهم وقری بلفظ الامر عطفا علی لنهلکن ای اوحی الیهم ربهم لنهلکن وقال لهم استفتحوا وخاب ای
خسر کل جبار عنید [illegible] ای فنصروا واخذت استفتاحهم وظفروا بما سالوا وافلحوا
وخاب کل جبار عنید وهم قومهم المعاندون فالخیبة بمعنی مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او لانه
باعتبار انهم کانوا یزعمون انهم علی الحق او استفتح الکفار علی الرسل وخابوا ولم یفلحوا وافلح الرسل وخاب کل
جبار عنید وهو قومهم وتسجیلا علیهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم لیسوا کذلك وانهم لم یصبهم الخیبة او استفتحوا
جمیعا فنصر الرسل [illegible] وخاب کل عات متمرد فالخیبة بمعنی الحرمان عن المطلوب وفی اسناد
الخیبة الی کل منهم ما لا یخفی من المبالغة من ورائه جهنم ای بین یدیه فانه مرصد لها واقف علی شفیرها
فی الدنیا مبعوث الیها فی الاخرة وقیل من وراء حیاته وحقیقته ما توارى عنك ویسقی معطوف علی محذوف
جوابا عن سؤال سائل کانه قیل فماذا یکون اذن فقیل یلقی فیها ویسقی من ماء مخصوص [illegible]
صدید وهو قیح او دم مختلط بدم یسیل من الجروح [illegible] وهو ما یسیل من اجساد اهل النار
وهو عطف بیان لما ابهم اولا ثم بین بالصدید تهویلا لامره وتخصیصه بالذکر من بین عذابها یدل علی
انه اشد انواعه یتجرعه قیل هو صفة لماء والاظهر انه استیناف مبنی علی السؤال کانه قیل
فماذا یفعل به فقیل یتجرعه ای یتکلف جرعه مرة بعد اخری لغلبة العطش واستیلاء الحرارة علیه ولا یکاد
یسیغه ای لا یقارب ان یسیغه فضلا عن الاساغة بل یغص به فیشربه بعد اللتیا والتی جرعة غب
جرعة فیطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخری بشربه علی تلك الحالة فان السوغ انحدار الشراب
فی الحلق بسهولة وقبول نفس ونفیه لا یوجب نفی ما ذکر جمیعا وقیل لا یکاد یدخله فی جوفه وعبر عنه
بالاساغة لما انها المعهودة فی الاشربة وهو حال من فاعل یتجرعه او من مفعوله او منهما جمیعا ویاتیه الموت
ای اسبابه من الشدائد من کل مکان ویحیط به من جمیع الجهات او من کل مکان من جسده حتی من اصول
شعره وابهام رجله وما هو بمیت ای والحال انه لیس بمیت حقیقة کما هو الظاهر من مجیء اسبابه لا سیما من
جمیع الجهات حتی یتم بذلك ما عاینه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بین یدیه عذاب غلیظ یستقبل
کل وقت عذابا اشد واشق مما کان قبله وفیه دفع ما یتوهم من الخفة بحسب الاعتیاد کما فی عذاب الدنیا
وقیل هو الخلود فی النار وقیل هو حبس الانفاس وقیل المراد بالاستفتاح والخیبة استسقاء اهل مکة فی سنیهم التی
ارسلها الله تع علیهم بدعوة النبی صلی الله علیه وسلم وخیبتهم فی ذلك وقد وعدهم بدل ذلك صدید اهل النار مثل
الذین کفروا بربهم ای صفتهم وحالهم العجیبة الشان التی هی کالمثل فی الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله
تعالی اعمالهم کرماد کقولك صفة زید عرضه مصون وماله مبذول او هو استیناف مبنی علی سؤال من
قال ما بال اعمالهم التی عملوها فی وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاساری واغاثة
الملهوفین وقری الاضیاف وغیر ذلك مما هو من باب المکارم حتی الت امرهم الی هذا المال فاجیب بان ذلك
کرماد اشتدت به الریح حملته واسرعت الذهاب به فی یوم عاصف العصف اشتداد الریح وصف
به زمانها مبالغة کقولك لیلة ساکرة وانما السکور لریحها شبهت صنائعهم المعدودة لابتنائها علی
غیر اساس من معرفة الله تعالی والایمان به والتوجه بها الیه تع برماد طیرته الریح العاصفة او استیناف
مسوق لبیان اعمالهم للاصنام او مبتدأ خبره محذوف کما هو رای سیبویه ای فیما یتلی علیك مثلهم وقوله
تعالی اعمالهم جملة مستانفة مبنیة علی سؤال من یقول کیف مثلهم فقیل اعمالهم کیت وکیت سواء ارید بها
صنائعهم او اعمالهم للاصنام وقیل اعمالهم بدل من مثل الذین وقوله تعالی کرماد خبره لا یقدرون یوم
القیامة مما کسبوا اثر تلك الاعمال علی شیء ما ای لا یرون له اثرا من ثواب او تخفیف عذاب کداب
الرماد المذکور وهو فذلکة التمثیل والاکتفاء ببیان عدم رؤیة الاثر لاعمالهم للاصنام مع انها
عقوبات هائلة للتصریح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تع وفیه تهکم بهم
ذلك ای ما دل علیه التمثیل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم علی شیء هو الضلال البعید عن

عن طريق الحق والصواب وعن نيل الثواب ألم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل
احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات و
الارض ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق ان
يخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق جديد اي يخلق بدلكم
خلقا آخر لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض
على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان
على تبديل خلق آخر بهم اقدر ولذلك قال وما ذلك اي اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله
بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن
هذا شأنه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عذابه وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيامة وايثار
صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ولانه لا
مضي ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى او محاسبته او لله على
ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة
انكشفوا لله تعالى عند انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعاف الرأي وانما كتبت بالواو على
لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في الدنيا
في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة
او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد
التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية
للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو
بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا
بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار قالوا اي المستكبرون
جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له لهديناكم
ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب
لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء علينا
أجزعنا مما لقينا أم صبرنا على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وام لتأكيد
التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسندوهما ونسبوا استواءهما الى
ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية
لهم ويجوز ان يكون قوله تعالى سواء علينا الخ من كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون
تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع
ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى ومهرب من العذاب من
حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهي جملة مفسرة
لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذي اضل كلا
الفريقين واستتبعهما عندما عتباه بما قاله الاتباع للمستكبرين لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو
الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قام خطيبا في محفل الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم
وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم
اي وعدا باطلا وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه
قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كأنه
كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان لي عليكم من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي
الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليه وتسويله وهو وان لم يكن من باب السلطان لكنه ابرزه في معرضه على طريقة

طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في نفي السلطان عن نفسه كأنه قال انما يكون لي عليكم سلطان
اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا
تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على
وجه الالتفات كما في قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم
لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم
دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان
انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك
ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق
افعاله حسبما يختاره وعليه يترتب السعادة والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا
تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل
الحق وبين مسلك الجبرية ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا
فيه وانما تعرض لذلك مع انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اصراخه اياهم وايذانا
بانه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك آثر الجملة الاسمية
فكأن ما مضى كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في
استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتمون من قبل اي باشراككم
اياي بالله اي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم يعني ان اشراككم
بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا وكنت
اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه ومنكم فلم يبق بيني
وبينكم علاقة او كفرت من قبل ابيت السجود لادم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل كما في قوله سبحانه
ما سخر لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة والاعانة سواء
كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم اياه فلا وجه له اذ لا احتمال له
حتى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم بسبيل من ذلك لولا المانع من
جهته ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكايته قوله لطف
للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته
وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم والمدخلون هم الملائكة
عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم فيها
سلام اي يحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
وقد علق بما بعده من قوله تعالى كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة
طيبة منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد
والاستغفار والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها الا انه تم ضربها مثلا في الخارج
وهو تفسير لقوله تعالى ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز
ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي
ضرب اجراء له مجرى جعل فقد اخر عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفتها التي هي كشجرة وقد
قرئ بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض وقرأ انس بن مالك رضي الله عنه
كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقرينته اعني قوله وفرعها اي اعلاه
في السماء اي في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها
تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة
اما النخلة كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في

ضربها زيادة إفهام وتذكيرا له تصوير المعاني بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعاء
إليه أو تكذيب الحق أو ما يعم الكل وكل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة أي كمثل شجرة خبيثة قيل هي كل
شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الأسلوب للإيذان بأن ذلك غير مقصود التعرض
والبيان وإنما ذلك أمر ظاهر يعرفه كل أحد اجتثت استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية من فوق الأرض
لكون عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار عليها يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت
بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا فلا
يزالون عنه إذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمعون والذين فتنهم أصحاب الأخدود و
في الآخرة فلا يتلعثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في المواقف ولا يدهشهم أهوال القيمة أو عند سؤال
القبر روي أنه عم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره فيقولان
من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد
من السماء أنه صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت وهذا مثال إيتاء
الشجرة المذكورة أكلها كل حين قال الثعلبي في تفسيره أخبرني أبو القسم بن حبيب في سنة ست وثمانين
وثلاثمائة قال سمعت أبا الطيب محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رأيت يزيد بن هرون
في منامي بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال أتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما دينك ومن
نبيك فأخذت بلحيتي البيضاء فقلت ألمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة
ويضل الله الظالمين أي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت الله المؤمنين عليه حسبما أرادوه واختاروه
والمراد بهم الكفرة بدليل مقابلته ووصفهم بالظلم إما باعتبار وضعهم الشيء في غير موضعه وإما باعتبار
ظلمهم لأنفسهم حيث بدلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا إلى القول الثابت وكل من ظلم نفسه
بالاقتصار على التقليد والإعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت في مواقف الفتن ولا يهتدي إلى الحق
فالمراد بالذين آمنوا المخلصون في الإيمان الراسخون في الإيقان كما ينبئ عنه التثبيت بالقول الذي هو
كلمة التوحيد إذا كانت لا عن إيقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلا ويفعل الله ما يشاء
من تثبيت بعض وإضلال آخرين حسبما توجبه مشيئته التابعة للحكمة البالغة المقتضية لذلك وفي
إظهار الاسم الجليل في الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الإيذان بالتفاوت
في مبدأي التثبيت والإضلال فإن مبدأ صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما
هو مبدأ صدور الآخر ألم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد مما صنع الكفرة من الأباطيل
التي لا تكاد تصدر عمن له أدنى إدراك أي ألم تنظر إلى الذين بدلوا نعمة الله أي شكر نعمته تعالى بأن وضعوا
موضعه كفرا عظيما وغمطا لها أو بدلوا نفس النعمة كفرا فإنهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين
بها كفرا كأهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه وأسكنهم حرمه الآمن الذي يجبى إليه ثمرات كل شيء وجعلهم
قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر فصاروا ذوي
إذلال مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الأفجران من قريش بنو المغيرة
وبنو أمية أما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا إلى حين كأنهما تأولا ما يستملي
من قوله عز وجل قل تمتعوا الآية وأحلوا أي أنزلوا قومهم بإرشادهم إياهم إلى طريقة الشرك والضلال
وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الإحلال عليه إذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة
فأوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الإبهام ثم البيان
ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها أو من قومهم أي داخلين فيها مقاسين لحرها أو استئناف لبيان كيفية
الحلول أو مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم فالمراد بالإحلال المذكور ح تعريضهم للهلاك بالقتل والأسر
لكن قوله تعالى قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار أنسب بالتفسير الأول وبئس القرار على حذف المخصوص
بالذم أي بئس المقر جهنم أو بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان أن حلولهم وصليهم على وجه الدوام
والاستمرار وجعلوا عطف على أحلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب أي جعلوا

جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار أندادا أشباها
في التسمية أو في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي هو
التوحيد ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع أن مقتضى ظاهر النظم أن يذكر
كفرانهم نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الأنداد ثم إضلالهم لقومهم المؤدي إلى إحلال لهم
دار البوار لتثنية التعجيب في تكريره والإيذان بأن كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر وإحلال القوم
دار البوار واتخاذ الأنداد للإضلال أمر يقضى منه العجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما
فهم التعجب من مجموع الهنات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح وإياما كان فليس ذلك
غرضا حقيقيا لهم من اتخاذ الأنداد ولكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وأدخل عليه اللام
بطريق الاستعارة التبعية قل تهديدا لأولئك الضالين المضلين ونعيا عليهم وإيذانا بأنهم لشدة
إبائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال أحقاء بأن يضرب عنهم
صفحا ويعطف عنهم عنان الخطاب ويخلوا وشأنهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بما يزينه مباهتة في التخلية
والخذلان ومسارعة إلى بيان عاقبته الوخيمة ويقال لهم تمتعوا بما أنتم عليه من الشهوات
التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة الأصنام فإن مصيركم إلى النار
ليس إلا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ويقتضيه من أحوالكم بل هي في الحقيقة صورة لدخولها
ومثال لدخولها يلوح به قوله سبحانه وأحلوا قومهم دار البوار الخ فهو تعليل للأمر المأمور به
من النهي بدأ به تهديدا ووعيدا لا أكيد ما لا يوصف أو تقليلهم تصويرا لحالهم وتعبيرا عما يحبهم إلى
ذلك تمتعوا إيذانا بأنهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
مأمورون بذلك من قبل آمر الشهوة فيذعنون لحكمه منقادون لأمره كدأب مأمور ساع في طاعة
آمر مطاع فليس قوله تعالى فإن مصيركم إلى النار حينئذ تعليلا للأمر بل هو شرط ينسحب عليه الكلام
كأنه قيل ومن ذلك حالكم فإن دمتم عليه فإن مصيركم إلى النار ففيه النهي بدوا والوعيد لا في الأمر قل لعبادي
الذين آمنوا خصهم بالإضافة إليه تنويها لهم وتنبيها على أنهم المقيمون لوظائف العبودية الموفون
بحقوقها وترك العطف بين الأمرين للإيذان بتباين حاليهما باعتبار المقول فيه تهديدا وترتيبا والمقول
ههنا محذوف دل عليه الجواب أي قل لهم أقيموا وأنفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
أي يداوموا على ذلك وفيه إيذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم
إلى الامتثال بأوامره وقد جوزوا أن يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الأمر عنهما وإنما حسن
ذلك دون الحذف في قوله محمد تفد نفسك كل نفس إذا ما خفت من أمر تبالا لدلالة قل عليه
وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا قد أقيما مقامهما وليس بذاك سرا وعلانية منتصبان على
المصدرية من الأمر المقدر لا من جواب الأمر المذكور أي أنفقوا إنفاق سر وعلانية والأحب
في الإنفاق إخفاء المتطوع به وإعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه
بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون إليها كما هو صنيع الكفرة من قبل أن
يأتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره ويفتدي به نفسه والمقصود نفي عقد
المعاوضة بالمرة وتخصيص البيع بالذكر للإيجاز مع المبالغة في نفي العقد إذ انتفاء البيع يستلزم
انتفاء الشراء على أبلغ وجه وانتفاؤه ربما يتصور مع تحقق الإيجاب من قبل البائع ولا خلال ولا
مخالة فيشفع له خليل أو يسامحه بما يفتدي به نفسه أو من قبل أن يأتي يوم لا انتفاع فيه بما يتعاطونه
من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وإنما الانتفاع والارتفاق فيه بالإنفاق لوجه الله
سبحانه والظاهر أن من متعلقة بأنفقوا وتذكير إتيان ذلك اليوم لتأكيد مضمونه كما في سورة
البقرة من حيث أن كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار
البيع والخلال الواقعين في الدنيا وعدم الانتفاع بهما من أقوى الدواعي إلى الإتيان بما يبقى عوائده
ويدوم فوائده من الإنفاق في سبيل الله عز وجل أو من حيث أن ادخار المال وترك إنفاقه إنما يقع

غالبا بالتجارات والمهاداة بحيث لا يمكن ذلك في الآخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التأكيد
بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه والضنة به ولا يبعد ان يكون تأكيدا لمضمون الامر
باقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى
واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح فيهما على ارادة النفي العام ودلالة الرفع على ذلك
باعتبار خطابي هو وقوعه في جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدأ خبره الذي خلق السموات وما
فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر
المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا لنعمه شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على
الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين
موضعها الكفر والمعاصي وفي جعل المبتدأ الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق
هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية
المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اي السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك
فان المطر منه يبتدي الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير
الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن ابتدائية ماء اي نوعا منه
هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدأ لنزوله او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان
من خزانته مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات [illegible] جمع قلة
لان صيغ الجموع يتعاور بعضها موضع بعض او لانه اريد بمفردها جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة
بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن
للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا
من اخرج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء
فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل
كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيئته عز وجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة
صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب او اودع في الماء قوة فاعلية وفي الارض قوة
قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنايع وحكما يجددها لاولي الابصار عبرا وسكونا
الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعها دفعة وقوله تعالى لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق و
مفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها
بما الهمكم كيفية ذلك لتجري في البحر جريا تابعا لارادتكم بامره بمشيئته التي نيط بها كل شيء وتخصيصه بالذكر
للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يترآى من ظاهر الحال وسخر لكم الانهار
ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومي اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة
لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان اريد
بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة
وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم
ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحدة
منها في جملة مستقلة تنويها بشأنها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة
جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التقريب المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل
والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة المأخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال
ما لا يخفى وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات
من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها لذكر الارض المستدعي لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج
الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار وللتفادي عن توهم كون الكل اعني خلق

السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في سورة البقرة وآتاكم من كل ما سألتموه اي اعطاكم
بعض جميع ما سألتموه حسبما يقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او آتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ونيط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر
فكانكم سألتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سألتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير
كقولك فلان يعلم كل شيء وآتاه كل الناس وعليه قوله عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شيء وقيل الاصل
وآتاكم من كل ما سألتموه وما لم تسألوه فحذف الثاني لدلالة ما ابقي على ما القي وقرئ بتنوين كل على ان
ما نافية ومحل ما سألتموه النصب على الحالية اي آتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمت الله التي
انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا
بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها فيبتدي ابتداء يعدم بلوغ مرتبة معتد بها من
مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر
والافلاس منغمسا باصناف النعماء مستقلا بانواع الآلاء فهو بحيث لو تأملته الفيته متقلبا في نعم
تجل ومنن لا تحصى ولا تقل كانه قد اعطي كل ساعة وان من النعماء ما حواه حيطة الامكان وان
كنت في ريب من ذلك فقدر انه قد ملك اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته
البرية وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من
اصناف الاموال من غير تعب يزاحمه ولا ريب يساهمه بل قدر ان جميع ما فيها من حجر ومدر يواقيت
غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع من فقد شرب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم
فهل يشتري وهو في تلك الحال بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة تروي به
من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود اليه كلا
بل يبذل لذلك كل ما تحويه اليدان كائنا ما كان وليس في صفقته شائبة الخسران فاذن تلك
اللقمة والشربة خير مما في الدنيا بالف مرتبة انهما في طرف التمام ينالهما في شأن من الليالي
والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما دخل والحين
قد حان واتاه الموت من كل مكان اما يعطي ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطيه وهو لربه
حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها مع انه قد ابيح له كل آن من آنات
الليالي والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من
العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق فاعلم ان الانسان
بمقتضى حقيقة الحكمة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللائقة والكمالات
بحيث لو انقطع ما بينه وبين العنايات الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولما اطمأنت به الدار
الا مطرح العدم والبوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس من
تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي وكل آن يمر ويمضي من انواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده
وسائر صفاته الروحانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التقدير ولا يعلمه الا العليم
الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول
عز وجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود
بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لان الاستمرار والدوام من خصائص
الوجود الواجبي وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه
وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في
وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية وانما الاستحالة
في دخولها تحت الوجود فانسداد جميع انحاء الموانع التي لا تتناهى مما لا يتسنى الا على العدم مع امكان
وجودها في انفسها كل آن من آنات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال في وجود
علله وشرائطه القريبة والبعيدة في ابتداء وجوده وبقائه وكذا لانه التابعة لوجوده فاتضح بعض

عليه كل ان نعم لا تتناهى من وجوه شتى • فسبحانك سبحانك • ما اعظم سلطانك • لا تلاحظك العيون بانظارها • ولا تطالعك العقول بافكارها • شانك لا يضاهى • واحسانك لا يتناهى • ونحن في معرفتك حائرون • وفي اقامة مراسم شكرك قاصرون • نسالك الهداية الى مناهج معرفتك • والتوفيق لاداء حقوق نعمتك • لا تخطي بنا تغليبك • لا اله الا انت • نستغفرك ونتوب اليك • ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها في غير موضعها او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا واذ قال ابرهيم اي اذكر وقت قوله عم والمقصود في تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عم على نهج التفصيل والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيبه عم ببيان فن اخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعمة العامة وعصوا اباهم ابرهيم عم حيث اسكنهم بمكة شرفها الله تعالى لاقامة الصلوة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله وساله تعالى ان يجعله بلدا امنا ويرزقهم من الثمرات وتهوى قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله سبحانه دعاءه وجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعني مكة شرفها الله سبحانه امنا اي ذا امن او امنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤول هناك البلدية والامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عم سال اولا كلا الامرين فاستجيب له في احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر لما تقتضيه من الحكمة الداعية اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني للاستدامة والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي اولا واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم اذ المسؤول هويها اليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية وقد حكي بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عم مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عم لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا الله فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الاية وانما فصل بينهما تثنية للامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب بعيد اي ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ اجنبني من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبني شره واجنبني شره واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله عز وجل والظاهر ان المراد ببنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة على ان احدا من اولاد اسمعيل عم لم يعبد الصنم وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعري كيف ذهب عليه ما في القرآن العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كرا على ما فر منه رب انهن اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس اي تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما صدره بالنداء اظهارا للاعتناء به ورغبته في استجابته فمن تبعني منهم فيما ادعو اليه من التوحيد وملة الاسلام فانه مني اي بعضي قاله عم مبالغة في بيان اختصاصه به او متصل بي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني اي لم

يتبعني والتعبير عنه بالعصيان للايذان بانه عم مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك خلا ان الوعيد قضى بالفرق بينه وبين غيره ربنا اثر عم ضمير الجماعة لا لما قيل من تقدم ذكره وذكر بنيه والا لراعاه في قوله رب انهن الخ بل لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهيد مبادي اجابته من قوله اني اسكنت الاية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسؤول من ذريتي اي بعضهم او ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهو اسمعيل عم وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمينان متضمن لاسكانهم روي ان هاجر ام اسمعيل عم كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عم فلما ولدت له اسمعيل عم غارت عليها فناشدته ان يخرجها من عندها فاخرجها الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين زمزم بواد غير ذي زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادي مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون ذلك الاسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملتجا وعصمته عن المكاره في قوله تعالى المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به فلم يستول عليه الطوفان ولذلك سمي عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما سيؤول اليه الامر من بنائه عم فانه ينزع الى اعتبار علو الحرمة ايضا كذلك بل انما هي باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كيفية عدده وقد ذكرناها في سورة البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلوة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت وتخصيصها بالذكر من بين سائر شعائر الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال العناية باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان الغرض من اسكانهم بذلك الوادي البلقع ذلك المقصد الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادي اجابة دعائه واعطاء سؤله الذي لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس اي افئدة من افئدتهم من للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم واما ما زيد عليه من قولهم ولحجت اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ السؤال توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوي اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكي بعبارة اخرى كما مر او لابتداء الغاية كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة على القلب كآدر في ادؤر وعلى انه اسم فاعل من افدت الرحلة اي عجلت اي جماعات من الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة او على النعت من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ على البناء للمفعول من اهواه غيره وتهوى من باب علم اي تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع واول اثار هذه الدعوة ما روي انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل فقالوا ان هذا الطائر لعائف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك وانسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عم وماتت هاجر فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اي ذريتي الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر اكتفاء بذكر اقامة الصلوة من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم عم بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها رزقا للحرم وعن الزهري ان الله تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابرهيم عم لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الخ وفي دعائه عم من مراعاة حسن الادب

والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرأفة ما لا يخفى فانه عليه السلام
مذ ذكر كون الوادي غير ذي زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤول وبذكر كون اسكانهم عند البيت المحرم
اشار الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك الاسكان مع كمال اعوازه مرافق المعاش
لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البيت مهد جميع مبادي اجابة السؤال ولذلك قرنت دعوته عليه السلام
بحسن القبول ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفي ما يقابل ما نعلن سواء
تعلق به الاخفاء اولا اي تعلم ما نظهره وما لا نظهره فان علمه متعلق بما لا يخطر بباله مما فيه من الاحوال
الخفية فضلا عن اخفائه وتقديم ما نخفي على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ
وجه فكان تعلقه بما يخفى اقدم منه بما يعلن او لان مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من
شيء يعلن الا وهو قبل ذلك خفي فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية ومقصده
عليه السلام ان اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وتتماتها ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية
والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير
النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل بجميع
خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا
في السماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده
في ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله الخ دون ان يقول ويعلم ما في السموات
والارض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى وما يخفى من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء
بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء
اي من شيء كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما او بيخفى وتقديم
الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا
والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله
تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان بعمومه لانه ليس بشأن يختص به او بمن يتعلق به بل
شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى بعنوان مصحح لمبدئية الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل
وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن للاستغراق على الوجهين
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لما
لشكرها اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة
واثنتي عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي ومالك امري لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه
اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى
دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنته المستمرة
تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدعاء
بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد ضمير المتكلم وان كان عقيب ذكر
هبتهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب اجعلني مقيم الصلوة
مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا حيث قال ومن ذريتي اي
بعضهم من المذكورين ومن يسير بسيرتهما من اولادهما للاشعار بانه المقتدى في ذلك وذريته اتباع له
وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله ربنا اني اسكنت الخ فان اسكانه مع عدم تحققه بلا
ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا
الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة الله ان بعضا منهم لا يكون مقيم الصلوة كقوله تعالى ربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض
ذريتي مقيمي الصلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا
اغفر لي اي ما فرط مني من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولوالدي وقرئ

وقرئ بالتوحيد ولابوي وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل اراد بوالديه
آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه الآية وقد مر في سورة التوبة نوع
تحقيق للمقام وسيأتي تمامه في سورة مريم بفضل الله عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم ولذلك اي
لاشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة
اعمال المكلفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على
ساق والمراد بتوسيله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما
حكي عنه عليه السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي ولا على وجه المعية
بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة وارشاد
الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عز وجل كذلك نحو قوله
ولا تكونن من المشركين ونظائره مع ما فيه من الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من
لا يمكن تعاطيه منه او نهيه عليه السلام عن حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك
للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان عن حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك
مستوجب لعقابهم لا محالة لو تركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله
ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وسائر الظالمين شديد ولكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم لجهل
بصفاته تعالى والاغترار بامهاله وقيل معناه لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل
معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت
مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة
التأخير المنبي عنه قوله تعالى قل تمتعوا الآية او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما
يؤخرهم يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استئناف وقع تعليلا
للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتأخير ما تستوجبه
من العذاب الاليم اي انما تأخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم بما ترى من تأخيره
[illegible]
ليوم تشخص فيه الابصار [illegible]
[illegible] مهطعين [illegible]
[illegible] مقنعي رؤسهم [illegible]
[illegible] لا يرتد اليهم طرفهم [illegible]

من الاهطاع والاقناع مع ما بينه وبين الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى وأفئدتهم هواء خالية
من العقل والفهم لفرط الحيرة والدهشة كأنها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه
هواء اى لا قوة ولا رأى وقيل خالية عن كل خير لا يناسب المقام وهو اما حال عاملها لا يرتد مقيدة لكون
شخوص ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وأنذر الناس خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد اعلامه ان تأخيرهم لماذا وأمر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما
يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من
الظلم شفقة عليهم لا التخويف للازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان
الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان
لحوقه بالكفار خاصة اى انذرهم وخوفهم يوم يأتيهم العذاب المعهود وهو الذي وصف بما لا يوصف من
الاوصاف الهائلة اعنى يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا اى فيقولون والعدول عنه الى ما
عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة
الفاعل حسبما ذكر اولا للايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من غير حاجة
الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم المسلمين ايضا فالمعنى
الذين ظلموا منهم وهم الكفار او يقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين وغيرهم من الامم الخالية
فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا أخرنا ردنا الى الدنيا وامهلنا الى
أجل قريب الى مدة وحد من الزمان قريب نجب دعوتك اى الدعوة اليك والى توحيدك او دعوتك
لنا على ألسنة الرسل ففيه ايماء الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع الرسل فيما جاؤنا به
اى نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون
عصيانهم للرسول عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما باعتبار ان المحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود
بيان وعد كل امة باتباع رسولها أولم تكونوا أقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اى فيقال
لهم توبيخا وتبكيتا ألم تؤخروا في الدنيا ولم تكونوا أقسمتم اذ ذاك بألسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها
ما لكم من زوال مما انتم عليه من التمتع بالحظوظ الدنيوية او بألسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم
بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال عنها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التأخير وبعد مداه
او ما لكم من زوال من هذه الدار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من
يموت وصيغة الخطاب في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في أقسمتم كما في قوله حلف بالله ليخرجن
وهو ادخل في التوبيخ من ان يقال ما لنا لمراعاة حال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي انه قال لاهل
النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا يقولون ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي
الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الآية ثم يقولون ربنا اخرنا الى اجل قريب
نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا أقسمتم من قبل الآية ثم يقولون ربنا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا
فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فيجيبهم الله اخسئوا فيها
ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم
ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك
وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والاوطان وانما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا أنفسهم
جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث اى قررتم في مساكنهم
مطمئنين سائرين سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب ما

ما اقترفوا من الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم آيلة
الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب بالسابق
بالمنذرين واما اوائلهم من قوم نوح وهود على تقدير عمومهما للكل وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال
اواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الآثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا
من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين
بل فاعله ما دلت هي عليه دلالة واضحة اى فعلنا العجيب بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ
ونبين وضربنا لكم الأمثال اى بينا لكم في القرآن العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على
ألسنة الانبياء عليهم السلام على تقدير عمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي هي
في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلوا
من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الآجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصي او بينا لكم
مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلاث في موقع الحال من ضمير اقسمتم اى اقسمتم بالخلود و
الحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا العجيب بهم ونبهناكم على جلية الحال بضرب
الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا
وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اى فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم
قد مكروا في ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل
حد معهود بحيث لا يقدر عليه غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعل بهم او قد مكروا مكر
المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم
وحقارتهم عند قدرة الله تعالى وعند الله مكرهم اى جزاء مكرهم الذي فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله
او اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا او ذكرا او لكونه
في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف
فعلنا بهم لا انه وعيد مستأنف والجملة حال من الضمير في مكروا اى مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما
هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رأيهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه وان كان مكرهم
في العظم والشدة لتزول منه الجبال اى وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر عن ذلك بكونه
مسوى لازالة الجبال عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان الوصلية معطوفة على
جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان
كان وقد حذفت ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود
المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان الوصلية من التأكيد للمعنى
والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتأكيدها
كما في قوله وما كان الله ليعذبهم ويعضده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وما كان مكرهم فالجملة
حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن
لتزول منه الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدي الرسل
السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة عن امر النبي صلى الله عليه وسلم
وامر القرآن العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في مساكنهم من المخاطبين
وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال في
الثبات مما ذكر من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا مكرهم المعهود وان الشأن
كان مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شأن الآيات
والشرائع مانعا من مباشرة المكر لازالتها وقد قرأ الكسائي لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم
مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم
بحيث تزول منه الجبال اى في غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان

كاد مكرهم هذا هو الذي يقتضيه النظم الكريم وينساق إليه الطبع السليم وقد قيل إن الضمير في مكروا لنمرود ومن تبعه والمراد بمكرهم ما أفاده قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية وغيره من أنواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الأوجه أن يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من القول المقدر أي فيقال لهم ما يقال والحال أنهم مع ما فعلوا من الإقسام المذكور مع ما بيناه من السكون في مساكن المهلكين وتبين أحوالهم وضرب الأمثال قد مكروا مكرهم العظيم أي لم يكن الصادر عنهم مجرد الإقسام الذي وبخوا به بل اجترؤوا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا حسبما ذكرنا من قبل وقوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت الحال في تحقيق الجزاء بين كون مكرهم قويا أو ضعيفا كما مر هنالك وعلى تقدير كون إن نافية فهو حال من ضمير مكروا والجبال عبارة عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم أي وقد مكروا والحال أن مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة يكون حالا منه أيضا على معنى أن ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى أنه لم يكن يصح أن يكون منهم مكر كذلك لما أن تلك الشرائع أعظم من أن يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل قلبنا مال **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** لم يرد به والله سبحانه أعلم ما وعده بقوله تعالى إنا لننصر رسلنا الآية وقوله تعالى كتب الله لأغلبن أنا ورسلي كما قيل فإنه لا اختصاص له بتعذيب الأمم الأخروي بل ما سلف آنفا من وعده تعالى بتعذيب الظالمين بقوله تعالى إنما يؤخرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي أريد به تثبيته عليه السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بإنجاز وعده المذكور المقرون بالأمر بإنذارهم يوم إتيان العذاب المنتظم لما ذكر بعد من الأمم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعدما وعدهم بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القرآن العظيم وكأنه قيل وإذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم القيامة وأخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسألونه من الرد إلى الدنيا وبما أجبناهم به وقرعناهم بعدم تأملهم في أحوال من سبقهم من الأمم الذين أهلكناهم بظلمهم بعدما وعدنا رسلهم بإهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم إخلافنا رسلنا وعدنا **إن الله عزيز** غالب لا يماكر وقادر لا يدافع **ذو انتقام** لأوليائه من أعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيب خاصتهم لم يقل إن الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما أشير إليه بالفعل وعبر عنه بالمكر **يوم تبدل الأرض غير الأرض** ظرف لمضمر مستأنف ينجلي عنده النهي المذكور أي يجزيهم يوم الخ أو معطوف فعلية نحو وارتقب يوم تبدل الأرض غير الأرض أو لانتقام وهو يوم يأتيهم العذاب بعينه ولكن لما أحوال جمة يذكر كل مرة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه للأوقات كلها للإفصاح عما هو المقصود من تعذيب الكفرة المؤخر إلى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية إليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب أو نصب باذكر أو بإضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وبذلك يتبين ما في الوجه الثالث من الحاجة إلى الاعتذار ولا يجوز أن ينتصب بقوله مخلف وعده لأن ما قبل إن لا يعمل فيما بعده وقيل هو ظرف لانتقام لأن قوله تعالى إن الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا تبالي بها فاصلا واعلم أن التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما إذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الأقوال والآية الكريمة ليست بنص في أحد الوجهين فعن علي رضي الله عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود رضي الله عنه تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الأرض وإنما تغير صفاتها وأنشد:

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ● وما الدار بالدار التي كنت تعلم ●

وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا ويدل عليه ما روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الأرض غير الأرض **والسموات** أي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الأرض لقربها منا ولكون تبديلها أعظم أثرا بالنسبة إلينا **وبرزوا** أي الخلائق أو الظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من أجداثهم التي في بطون الأرض أو ظهورهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون أنها لا تظهر أو يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل إسناد البروز إليهم مع أنه لأعمالهم للإيذان بتشكلهم بأشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول إلى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه أو حال من الأرض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو **لله الواحد القهار** للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة وإظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق إتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم يأتيهم العذاب فإن الأمر إذا كان لواحد غلاب لا يغادر وقادر لا يضار ولا يجار كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة **وترى المجرمين** عطف على برزوا والعدول إلى صيغة المضارع لاستحضار الصورة أو للدلالة على الاستمرار وأما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدم على تقدير كونه يجزيهم **يومئذ** يوم إذ برزوا لله عز وجل أو يوم إذ تبدل الأرض أو يوم إذ يجزيه وعده **مقرنين** قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر أو قرنوا مع الشياطين الذين أغووهم أو قرنوا مع ما اقترفوا من العقائد الزائغة والملكات الردية والأعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والأشكال الهائلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم وهو حال من المجرمين **في الأصفاد** في القيود أو الأغلال وهو إما متعلق بقوله تعالى مقرنين أو حال من ضميره أي مصفدين **سرابيلهم** أي قمصانهم **من قطران** جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين أو من ضميرهم في مقرنين رابطها الضمير فقط كما في كلمته فوه إلى في أو مستأنفة والقطران ما يتحلب من الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحرقة الشديدة وقد تصل حرارته إلى الجوف وهو أسود منتن يسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الألوان الأربعة من العذاب لذعه وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش والنتن على أن التفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين لا يكاد يقادر قدره فكأنما هو من أسماء مسمياتها في الآخرة فكم الهمم بعوذ وبكنفه الواسع نلوذ ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات الموحشة فتجلب إليها الآلام والغموم بل لا أن يكون القطران المذكور عين ما لابسوه في هذه النشأة وجعلوه شعارا لهم من العقائد الباطلة والأعمال السيئة المستتبعة لاستتباعه العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطرآن أي نحاس مذاب متناه حره **وتغشى وجوههم النار** أي تعلوها وتحيط بها النار التي تمس جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لسائر أعضائهم لكونها أعز الأعضاء الظاهرة وأشرفها كقوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لإدراك الحق وقد أعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما أن الفؤاد أشرف الأعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤوها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الأفئدة أو لخلوها عن القطران المغني عن ذكر غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب أحيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤوس الأشهاد وقرئ وتغشى أي تتغشى بحذف إحدى التاءين والجملة نصب على الحالية لا على أن الواو حالية لأنه مضارع مثبت بل على أنها معطوفة على الحال قاله أبو البقاء **ليجزي الله** متعلق بمضمر أي يفعل بهم ذلك ليجزي **كل نفس مجرمة ما كسبت** من أنواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه إيذان بأن جزاءهم مناسب لأعمالهم أو بقوله تعالى برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله تعالى وترى المجرمين الخ اعتراض بين المتعلق والمتعلق به أي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس مطيعة أو عاصية ما كسبت من خير أو شر وقد اكتفي بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة **إن الله سريع الحساب** إذ لا يشغله شأن عن شأن فيتمه في أعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه أو سريع المجيء يأتي عن

قريب وسريع الانتقام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وهو سريع الحساب **هذا** اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله تعالى وهو سريع الحساب **بلاغ** كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القرآن المجيد من فنون العظات والقوارع **للناس** للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرع مختصا بالظالمين **ولينذروا به** عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم في ان ينصحوا وينذروا به او هذا بلاغ ليفهموه ولينذروا او على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ ولينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له **وليعلموا** بالتأمل فيما فيه من الدلائل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان آخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق ذكره **انما هو اله واحد** لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التأمل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى **وليذكر أولوا الألباب** اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته تعالى مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقائد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشأنهم لا كل السورة المشتملة عليه وعلى ما سيق للمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيدهم فائدة جديدة وحيث كان ما يفيده البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثابتين على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختمنا الله بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز برضاه في الاولى والعقبى عن النبي من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قد مر الكلام فيه وفي محله في مطلع سورة الرعد واخواتها **تلك** اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشأن **آيات الكتاب** الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القرآن او عن الجميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتبادر الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فائدة وصف الآيات بنعت ما اضيف اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكلف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الفرقان **وقرآن** اي قرآن عظيم الشأن **مبين** مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شأنه العظيم مع ما جمع فيه من وصفي الكتابية والقرآنية على طريقتين احداهما اشتماله على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكأنه كلها والثانية طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيجا وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واخرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه عن سائر الكتب بعد التنبيه على انطوائه على كمالات غيره من الكتب ادخل في المدح لئلا يتوهم من اول الامر ان امتيازه عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتماله على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القرآن على الكتاب لما سيذكر هنالك ولما بين كون السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقرآن لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تضمنه فقيل **ربما** بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ بالتشديد وفتح الراء مخففا وبزيادة التاء مشددا وفيه ثماني لغات فتح الراء وضمها مشددا ومخففا وبزيادة التاء ايضا مشددا ومخففا ورب حرف جر لا يدخل الا على الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى **يود الذين كفروا** لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكأنه قيل ربما ود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقرآن وبكونه من عند الله تعالى **لو كانوا مسلمين** منقادين لحكمه ومذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود وبعد ما علموا كونه من عند الله تعالى وتلك الودادة يوم القيامة او عند موتهم او عند معاينتهم حالهم وحال المسلمين او عند رؤيتهم خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا الى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل آن يمر عليهم وان المراد بيان ذلك على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وبمزيد طريقة انما يشاك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب تنصيصا والا فمعنى للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين الاسلام في كل آن من آنات اليوم الآخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد ولو جيء بكلام يدل على ضده وعلى ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق لمقام بيان حقارة شأن الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله تعالى ذرهم يأكلوا الآية او ذهابا الى الاشعار بان من شأن العاقل اذا عن له امر يكون مظنة الحمد او قليلا ما يكون كذلك ان لا يباشره ولا يقارف ضده فكيف اذا كان تيقن الحمد كما في قولهم لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم مرجو الوجود بلا شك فيه او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم او يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه فكيف وهم يودونه كل آن وهذا اوفق بمقام استنزالهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان متغايران ذاتا ووقتا فان ظهرهما واحد فقد نأى عن توفية المقام حقه **ذرهم** دعهم عن النهي عما هم عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشأنهم بل مرهم بتعاطي ما يتعاطونه **يأكلوا ويتمتعوا** بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع البهائم بالماكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا استمتاع بما يبغض عيشهم من القوارع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح ان يكون مترتبا على تخليتهم وشأنهم **ويلههم** ويشغلهم عن اتباعك او عن التفكر فيما يصيرون اليه او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك **الأمل** والتوقع لطول الاعمار وبلوغ الاوطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمآل الا خيرا فالافعال الثلاثة مجزومة على انها جواب الامر حسبما عرفت من نفس الامر بتركهم للامر بهما على طريقة المجاز او على ان يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على

الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم
فامر عليه الصلوة والسلام بتركهم ليتمرغوا فيما هم فيه من حظوظهم فيذهبهم ما بدهتهم وهم عندها فلوث
فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبتهم او حقيقة الحال التي الجاتهم الى التمني المذكور حيث لم
يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا اثر وعيد وتهديدا عقب تهديد تعليل للامر بالترك فان
علمهم ذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد
الا بعد تكرار الانذار وتقرر الجحود والانكار وكذلك ما رتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا
شروع في بيان سر تاخير عذابهم الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب
اي ما اهلكنا من قرية من القرى بالخسف بها وباهلها كما فعل ببعضها او باخلائها عن اهلها كما
كما فعل باخرين الا ولها في ذلك الشان كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث
لا يمكن تبديله لوقوعه حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه
بالتقدم والتاخر فكتاب مبتدا خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تاكيده بكلمة
من في حكم المعرفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون لها
كتاب اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه حتى يمكن مخالفته بالتقدم
والتاخر او مرتفع بالظرف والجملة كما هي حال اي ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا وقد كان
لها في حق هلاكها كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا للقرية المذكورة
بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة للمذكورة اي ما اهلكنا قرية
من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن فان قوله لا يسمن
صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على تخصيص طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك
بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين
الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسط الواو وبينهما فلتاكيد الجمع والربط فان ما نحن فيه من الصفة
اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون فان امتناع انفكاك
الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية ولما بين ان الامم المهلكة
كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم وان هلاكهم لم يكن الا حينما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من
الامم منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التاخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة
وغيرهم اجلها المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق
اذا كان واقعا على زماني فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جاوزه وخلفه
وراءه واذا كان واقعا على زماني كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه
الى المتكلم فما سبقه يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سياتي من
الزمان فالسابق ما تقدم الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان
الكتاب المعلوم باعتبار ما يوجبه من الاهلاك وما يستاخرون اي وما يتاخرون وصيغة الاستفعال للاشعار
بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان
المقصود بيان دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد
الاهلاك الى القرية لما ان السبق والاستيخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك
القرى وغيرهم ممن اخرت عقوباتهم الى الآخرة وتاخير ذكر عدم تاخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع
كون المقام مقام المبالغة في بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان
المراد بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى
مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تاخير
عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه لما بينا ومداهتهم للاسلام اذ ذاك وبالامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا
حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان

ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان
كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون مشركوا مكة لغاية تماديهم في العتو والغي يا ايها الذي
نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا بل استهزاء به عليه السلام واشعارا
بعلة حكمهم الباطل في قولهم انك لمجنون كما قال فرعون اذ قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون
يا من يدعي مثل هذا الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى او بسبب ما يعتريك عند ما
تدعي انه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لان انكارهم متوجه
الى كون النازل عليه تعالى كما في قوله تعالى لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فان
الانكار هناك متوجه الى كون المنزل عليه رسول الله وايراد الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك
ليس بفعل له فاعل ولتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى استناده الى الفاعل لوما تاتينا كلمة
لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التخصيص
خلا انه عند ارادة المعنى الاول لا يليها الا فعل ظاهر او مضمر او عند ارادة المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهر
او مقدر عند البصريين والمراد هنا هو الثاني اي هلا تاتينا بالملئكة يشهدون بصحة نبوتك
ويعضدونك في الانذار كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يعاقبوننا على
التكذيب كما تاتي الامم المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك فان قدرة الله تعالى على ذلك
مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون ذلك او كنت من جملة تلك
الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم ما تنزل الملئكة بالنون على بناء الفعل لضمير
الجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة البناء للمفعول ومن التنزل
بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن التنزيل ومن التلاقي وهو كلام مسوق من النبي صلى الله عليه وسلم
جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعاء ذلك للجواب قدم رده على ما هو
جواب عن اولها اعني قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الآية كما فعل في قوله تعالى قال انما ياتيكم
به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فاتنا بما تعدنا قدم على قوله ولا ينفعكم نصحي الآية مع كونه
جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا كما ذكر من شدة اقتضائه للجواب ولكون
احد الجوابين منفصلا بالسؤال وفي العكس يلزم انفكاك من الجواب عن سؤاله والعدول عن تطبيقه
لظاهر كلامهم صدا الى الاعراض وهو ان يقال ما ناتيهم بالملئكة لانا لا نفعل ما فيه خطأ وفي التعبير
حينما احتطوا في الاقتراح وان الملئكة اعلى رتبة من ان ينتهم مطلق الاتيان التأمل
للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الآخر بل من مكانه العالي الى الاسفل ... ان يكون نقص
واولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر واما الذي يليق بشانهم من مقامهم
العالي فكون ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل الا بالحق اي ملتبسا بالوجه الذي يحق ملابسة
التنزيل به مما تقتضيه الحكمة ويجري به السنة الالهية كقوله سبحانه وما خلقنا السموات والارض وما
بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان
منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد
يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال اولئك الكفرة اللئام وانما الذي
يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستيصال كما فعل باضرابهم من الامم
السالفة ولو فعل ذلك لاستوصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء الشرط مقدر وقد بينه اذن بالتاخر
مقدما اي ولو نزلناهم ما كانوا منظرين كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا قال صاحب النظم
لفظ اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ جئتني ثم ضم اليه ان [illegible]
[illegible] ما كانوا اذ ان كان ما طلبوه انتهى والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين [illegible]
سائر الامم المكذبة في الاستيصال [illegible] حسبما [illegible]

استيصالهم لتعلق العلم والإرادة بازدياد عذابهم وبإيمان بعض ذراريهم وأما نظر إيمان بعضهم في
سمط الحكمة فيأباه مقام بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد هذا هو الذي
يستدعيه إعجاز التنزيل الجليل وأما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من أنهم حينئذ يكونون
مصدقين عن اضطرار أو لأنه لا حكمة في أن تأتيكم بصور تشاهدونها فإنه لا يزيدكم إلا لبسا أو أن
إنزال الملائكة لا يكون إلا بالحق وحصول الفائدة بإنزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء الكفار
أنه لو أنزل إليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير إنزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع إخلال كل
من ذلك بقطعية التالي لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده قوله تعالى وما
كانوا إذا منظرين هذا على تقدير كون اقتراحهم لإتيان الملائكة لأجل الشهادة وأما على تقدير كون ذلك
لتعذيبهم فالمعنى إنا ما ننزل الملائكة للتعذيب إلا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي يقتضيه الحكمة ويستدعيه
المصلحة حتما حيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا لما كان ذلك التنزيل ملتبسا بمقتضى الحكمة الموجبة
لتأخير عذابهم إلى يوم القيامة لا رفقا بهم بل تشديدا عليهم كما مر من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب
إلى عدم موافقة الحكمة نوع إيهام لعدم استحقاقهم التعذيب عدل عما يقتضيه الظاهر إلى ما عليه النظم
الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عذابهم
وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر **إنا نحن نزلنا الذكر** رد لإنكارهم التنزيل واستهزائهم
برسول الله صلى الله عم بذلك وتسلية له أي نحن بعظم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه وأنكروا
نزوله عليك ونسبوك بذلك إلى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول إيماء إلى أنه أمر لا مصدر له وفعل لا فاعل
له **وإنا له لحافظون** من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا أوليا فيكون وعيدا
للمستهزئين وأما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص وأمثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل
على الحفظ من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز أن يراد حفظه بالإعجاز
دليلا على التنزيل من عنده تعالى إذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف
وفي سبك الجملتين من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي إيراد
الثانية بالجملة الاسمية دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه أعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عم
كقوله تعالى والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وإن كان جوابا عن أول كلامهم الباطل
رد له لما ذكر آنفا ولارتباط ذلك بما يعقبه من قوله تعالى **ولقد أرسلنا** أي رسلا وإنما لم يذكر لدلالة
ما بعده عليه **من قبلك** متعلق بأرسلنا أو بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف أي رسلا كائنة من قبلك
في شيع الأولين أي فرقهم وأحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه إذا
تبعه وإضافته إلى الأولين من إضافة الموصوف إلى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين
أي شيع الأمم الأولين ومعنى إرسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل
ما يأتي ويذر من أمور الدين **وما يأتيهم من رسول** المراد نفي إتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا
نفي إتيان كل رسول لكل واحدة من تلك الشيع جميعا أو على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة على طريقة حكاية الحال الماضية فإن ما لا تدخل في الأغلب على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على
ماض إلا وهو قريب من الحال أي ما أتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها **إلا كانوا به يستهزئون**
كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة في محل النصب على أنها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم إذا كان المراد
بالإتيان حدوثه أو في محل الرفع على أنها صفة رسول فإن محله الرفع على الفاعلية أي إلا رسول كانوا به
يستهزئون وأما الجر على أنها صفة باعتبار لفظه فيفضي إلى زيادة من الاستغراقية في الإثبات ويجوز
أن يكون منصوبا على الوصفية بأن يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وإن كان المختار الرفع على البدلية
وهذا كما ترى تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن هذه عادة الجهال مع الأنبياء عليهم الصلوة والسلام وحيث
كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تعالى تضمن ذكر استهزائهم بالرسول استهزاءهم بالكتاب ولذلك قيل
كذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام السابق من إلقاء الوحي مقرونا بالاستهزاء أي مثل ذلك السلك الذي

الذي سلكناه في قلوب أولئك المستهزئين برسلهم وبما جاءوا به من الكتب **نسلكه** أي الذكر **في قلوب**
المجرمين أي أهل مكة أو جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا أوليا ومحله النصب على أنه نعت لمصدر محذوف
أو حال منه أي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك أو نسلك السلك حال كونه مثله أي مقرونا بالاستهزاء غير
مقبول لما يقتضيه الحكمة فإنهم من أهل الخذلان ليس لهم استحقاق لتلقيهم الحق وصيغة المضارع لكون
المشبه به مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الأمم السالفة أو للدلالة على استحضار الصورة
والسلك إدخال الشيء في آخر يقال سلكت الخيط في الإبرة والرمح في المطعون **لا يؤمنون به** أي بالذكر
حال من ضمير نسلكه أي غير مؤمن به أو بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فيتعين
البيانية إلا أن يجعل الضمير المجرور فيها له على أن الباء للملابسة أي نسلك الاستهزاء في قلوبهم حال كونهم
غير مؤمنين بملابسته والحال إما مقدرة أو مقارنة للإيذان بأن كفرهم مقارن للإلقاء كما في قوله تعالى
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به **وقد خلت سنة الأولين** أي قد مضت طريقتهم التي سنها الله تعالى في
إهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استئناف جيء به تكملة للتسلية وتصريحا
بالوعيد والتهديد **ولو فتحنا عليهم** أي على هؤلاء المقترحين المعاندين **بابا من السماء** أي بابا ما لا
بابا من أبوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود إليه **فظلوا فيه** في ذلك الباب
يعرجون بآلة أو بغيرها ويرون ما فيها من العجائب عيانا كما يفيده الظلول أو فظل الملائكة الذين
اقترحوا إتيانهم يعرجون في ذلك الباب وهم يرونهم عيانا مستوضحين طول نهارهم **لقالوا** لفرط
عنادهم وغلوهم في المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق **إنما سكرت أبصارنا** أي سدت من الإحساس
من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف أو حيرت كما يعضده قراءة من قرأ سكرت أي حارت **بل نحن قوم**
مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عم كما قالوه عند ظهور سائر الآيات الباهرة وفي كلمتي الحصر والإضراب
دلالة على أنهم يبتون القول بذلك وأن ما يرونه لا حقيقة له وإنما هو أمر خيل إليهم بنوع من السحر وفي
اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وإيرادها بعد تسكير الأبصار لبيان إنكارهم لغير ما
يرونه فإن عروج كل منهم وإن كان مرئيا لغيره فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الإبصار
فهم يدعون أن ذلك نوع آخر من السحر غير تسكير الأبصار **ولقد جعلنا في السماء بروجا** قصورا
ينزلها السيارات وهي البروج الاثنا عشر المشهورة المختلفة الهيئات والخواص حسبما يدل عليه الرصد
والتجربة مع ما اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل إن جعل بمعنى الخلق والإبداع وهو الظاهر
فالجار متعلق به وإن جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف أي جعلنا بروجا كائنة
في السماء **وزيناها** أي السماء بتلك البروج المختلفة الأشكال والكواكب سيارات كانت أو ثوابت
للناظرين إليها بمعنى التزيين ظاهرا وللمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة
مدبرها فإن بينها بترتيبها على نظام بديع مستتبع للآثار الحسنة **وحفظناها من كل شيطان**
رجيم مرمي بالنجوم فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس في أهلها ويتصرف فيها ويقف على أحوالها **إلا من**
استرق السمع محله النصب على الاستثناء المتصل إن فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض لها على
الإطلاق والوقوف على ما فيها في الجملة أو المنقطع إن فسر ذلك بالمنع عن دخولها والتصرف فيها عن
ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عم منعوا من ثلاث سموات فلما ولد
النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من
قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر أو بالاستدلال من الأوضاع **فأتبعه** أي تبعه ولحقه **شهاب** لهب
محرق وهي شعلة نار ساطعة وقد تطلق على الكوكب والسنان لما فيهما من البريق **مبين** ظاهر أمره للمبصرين
قال معمر قلت لابن شهاب الزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم وإن النجم ليتبع ويرمى به
الشيطان فيقتله أو يخبله لئلا يعود إلى استراق السمع ثم يعود إلى مكانه قال أفرأيت قوله تعالى
إنا كنا نقعد منها مقاعد الآية قال غلظت وشدد أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عم قال ابن قتيبة
إن الرجم كان قبل مبعثه عم ولكن لم يكن في شدة كما بعد مبعثه عم لما قال ابن عباس رضي الله عنهما أن

ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا يخطئ ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشاء الله تعالى ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي قال القرطبي اختلفوا في ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس رضي الله عنهما يجرح ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو بالنصب على شريطة التفسير ولم يقرأ بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعني قوله تعالى ولقد جعلنا الخ وليوافق ما بعده اعني قوله تعالى والقينا فيها رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر بيانه في اول الرعد وانبتنا فيها اي في الارض او فيها وفي رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرهما مما يتعلق به البقاء وهي بياء صريحة وقرئ بالهمزة تشبيها له بالشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كأنه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرهم بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذي يرزقهم واياهم او جعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وان من شيء ان للنفي ومن مزيدة للتاكيد وشيء في محل الرفع على الابتداء اي ما من شيء من الاشياء الممكنة فيدخل فيها ما ذكر دخولا اوليا الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدأ وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدأ الاول والخزائن جمع الخزانة وهي ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب في العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الغائبة لخصم المندرجة تحت قدرته الشاملة في كونها مستورة عن علوم العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهيأة متأتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تأخر بنفائس الاموال المخزونة في الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله اي ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشياء ملتبسا بشيء من الاشياء الا بقدر معلوم اي الا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشيئة التابعة لها لا بما تقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عدا ذلك مع استواء الكل في الامكان واستحقاق تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضي اختصاص كل من ذلك بما اختص به وبهذا تبين سر عدم تكوين الاشياء على وجه الكثرة حسبما هو في خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر اي ننزله وما ننزله الخ او حال مما سبق اي عندنا خزائن كل شيء والحال انا ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثاني لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوي الى العالم السفلي كما في قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح عطف على جعلنا لكم فيها معايش وما بينهما اعتراض لتحقيق ما سبق وترشيح ما لحق اي ارسلنا الرياح لواقح اي حوامل شبهت الريح التي تجيء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله * ومختبط مما تطيح الطوائح * اي المهلكات وقرئ وارسلنا الريح على ارادة الجنس فانزلنا من السماء بعد ما انشأنا بتلك الرياح سحابا ماطرا ماء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاؤوا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه كأنه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه في السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل ما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه في الغدران والآبار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء تقتضي الغور وانا لنحن نحيي بايجاد الحيوة في بعض الاجسام ونميت بازالتها عنها وقد يعمم الاحياء والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير للحصر وهو اما تاكيد للاول

للاول او مبتدأ خبره الفعل والجملة خبر لانا ولا يجوز كونه ضمير الفصل لا لان اللام لا تدخل عليه كما قيل فان النحاة جوزوا دخول لام التاكيد على ضمير الفصل كما في قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اي الباقون بعد فناء الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازي الحاكمون في الكل اولا واخرا وليس لهم الا التصرف الصوري والملك المجازي وفيه تنبيه على ان المتأخر ليس بوارث للمتقدم كما يتراءى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستأخرين من تأخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تأخر في ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وفي تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتأخر آخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم اي للجزاء وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه القادر على حشرهم والمتولي له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيي العظام وهي رميم اي هو يحشرهم لا غير وفي الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفي الاضافة الى ضميره عليه السلام دلالة على اللطف به عليه السلام انه حكيم بالغ الحكمة متقن في افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشياء على ما هي عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغي عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضائها للحشر والجزاء ولقد خلقنا الانسان اي هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على خلق سائر افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه في سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اي يصوت عند نقره قيل اذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حمأ من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اي كائن من حمأ مسنون اي مصور من سنة الوجه وهي صورته او مصبوب من سن الماء صبه او مفرغ على هيئة الانسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في القوالب وقيل منتن فهو صفة لحمأ وعلى الاول كان حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حمأ تنبيها على ان ابتداء مسنونيته ليس في حال كونه صلصالا بل في حال كونه حمأ كأنه سبحانه افرغ الحمأ فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت ثم غيره الى جوهر آخر فتبارك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف على الجملة الفعلية من قبل من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد الثقلين وبالمستأخرين الآخر والخطاب بقوله تعالى منكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا امتناع في خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الجزء الارضي وقوله تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب وسياق الآية الكريمة كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بعلة الحكم وتشريف له صلى الله عليه وسلم اي اذكر وقت قوله تعالى للملائكة اني خالق فيما سيأتي وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على

انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه بشرا اى انسانا وقيل ليس هذا عين
العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان يكون قد قيل لهم انى خالق خلقا من صفته كيت وكيت
ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما كثيفا يلاقى ويباشر وقيل خلقا بادى البشرة بلا
صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اى بشرا كائنا من صلصال كائن
من حمإ مسنون تقدم تفسيره ولعل فى هذا ما فى قوله تعالى فى سورة ص من قوله بشرا من طين من
عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا ينافى
عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكى غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا فاذا سويته
اى صورته بالصورة الانسانية والخلقة البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبايعه ونفخت فيه
من روحى النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ
وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحيوة بالفعل على المادة القابلة لها اى فاذا اكملت استعداده وافضت عليه
ما يحيى به من الروح التى هى من امرى فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المأمور به مجرد
الانحناء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة القبلة
حيث ظهرت فيه تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضى الله عنه

أليس اول من صلى لقبلتكم • واعلم الناس بالقرآن والسنن •

فسجد الملائكة اى فخلقه فسواه فنفخ فيه فسجد له الملائكة كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث
لم يتأخر فى ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا
فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والاصل فى الخطابات التنزيلية
على اكمل الاحوال ولا ريب فى ان السجود معا اكمل اصناف السجود لكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام
كل فى افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة
الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتاكيدين مبالغة فى التعميم هذا واما ان سجودهم هذا هل
ترتب على ما حكى من الامر التعليقى كما يقتضيه هذه الآية الكريمة والتى فى سورة ص او على الامر التنجيزى كما
يشهد به ما فى غيرها فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه فى تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء
متصل اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا
يتوالدون وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استئناف مبين لكيفية عدم السجود
المفهوم من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار
او منقطع فيتصل به ما بعده اى لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رأيه حيث ادمج
فى معصية واحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام ومفارقة الجماعة
والاباء عن الانتظام فى سلك اولئك المقربين الكرام قال استئناف مبنى على سؤال من قال فماذا قال الله تعالى عند
ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اى اى سبب لك او اى غرض لك كما قيل لقوله تعالى ما منعك ان لا تكون
فى ان لا تكون مع الساجدين لآدم مع انهم هم ومنزلتهم فى الشرف منزلتهم وما كان التوبيخ ووقوعه لمجرد
تخلفه عنهم بل لكل من المعاصى الثلاث المذكورة قال تعالى فى سورة الاعراف قال ما منعك الا
تسجد اذ امرتك وفى سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى ولكن اقتصر عند الحكاية
فى كل موطن على ما ذكر فيه اجتزاء بما ذكر فى موطن آخر واشعارا بان كل واحدة من تلك المعاصى الثلاث
كافية فى التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ رأسا فى سورة البقرة وسورة
بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال اى ابليس وهو ايضا استئناف مبنى على السؤال الذى ينساق
اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفى اى ينافى حالى ولا يستقيم منى لانى مخلوق من اشرف
العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اى جسم كثيف خلقته من صلصال من حمإ مسنون اقتصر ههنا
على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به حين قال انا خير منه خلقتنى
من نار وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذى هو اخس العناصر

واسفلها بل تعرض لكونه مخلوقا منه فى اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى فى سورة الاعراف وسورة
ص بما حكى عنه ههنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا فى سورة بنى اسرائيل حيث قيل
أأسجد لمن خلقت طينا وفى جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ليس لاستفسار عن الغرض بل هو استفسار عن
السبب فى عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال روم للتفصى عن المناقشة وانى له ذلك كانه قال لم امتنع
عن امتثال الامر ولا عن الانتظام فى سلك الملائكة بل عما لا يليق بشأنى من الخضوع للمفضول ولقد جرى
خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلى بالمعارف
الربانية والتخلى عن الملكات الردية التى افحشها التكبر والاستعصاء عن امر رب العالمين جل جلاله قال
فاخرج منها اى من زمرة الملائكة المعززين لا من السماء فان وسوسته لآدم عليه السلام فى الجنة انما كانت بعد
هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها ليس نصا فى ذلك فان الخروج من بين الملأ الاعلى هبوط واى هبوط
او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روى عن الحسن البصرى او بطريق المشافهة
بعد ان احتال فى دخولها وتوسل اليه بالحية كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ولا ينافى الخروج على
رؤوس الاشهاد لما تقتضيه من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم
بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان من عارض النص بالقياس
فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد عن الرحمة وحيث كان ذلك من جهة الله تعالى وان كان
جاريا على السنة العباد قيل فى سورة ص وان عليك لعنتى الى يوم الدين الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه
اشعار بتأخر عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ
وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها تنقطع هنالك بل لانه عند ذلك يعذب
بما ينسى به اللعنة من افانين العذاب فتصير هى كالزائل وقيل انما حد به لانه ابعد غاية يضربها
الناس كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض وحيث امكن كون تأخير العقوبة مع الموت كسائر
من اخرت عقوبته الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تأخير موته كما حكى عنه بقوله تعالى قال رب
فانظرنى اى امهلنى واخرنى ولا تمتنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اى اذا جعلتنى رجيما فامهلنى
الى يوم يبعثون اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم
ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية
مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا لهم فى ذلك دليل على انه اخبار
بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة لدعائه اى انك من جملة الذين اخرت
آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور
به كما فى قوله فان ترحم فانت اهل لذلك فانه لا امكان لجعل الفاء لربط ما فيه تعالى من الاهلية
للرحمة بوقوع الرحمة بل لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره
كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل ونظمه فى سلك
من اخرت عقوبتهم الى الآخرة فى علم الله تعالى من سبق من الجن والانس من التقاعس لا يلائم مقام الانظار
مع السجود ولان ذلك التأخير معلوم من اضافة اليوم الى الدين مع اعتقاده فى السؤال الى البعث كما عرفته
وفى سورة الاعراف قال انظرنى الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء فى
الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفى سورة ص فان ذلك مما لا يلائم مقتضى المقام منفردة
عز عزيز فى كتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب النظم الكريم لابد ان يكون لمقام يقتضيه مغاير
لمقام غيره وان ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا جوابه لم يقع الا مرة فمقتضى المقام انما
احد هذه الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة
فضلا عن الارتقاء الى معارج الاعجاز فقد مر تحقيقه بتوفيق الله تعالى فى سورة الاعراف الى يوم
الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التى علم انه يصعق عندها من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله
ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف فى العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث

الا ان غرض اللعين لم يتحقق بيوم الدين لما ذكر في الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر ولا استبعاد انه تعالى يعلمه
فلعل كلا من هلاك الخلق جميعا وبعثهم وجزائهم في يوم واحد يموت اللعين في اوله ويبعث في اواسطه
ويعاقب في بقيته يروى ان بين موته وبعثه اربعين سنة من سني الدنيا مقدار ما بين النفختين وروي
عن الاحنف بن قيس انه قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضي الله عنه فاذا انا بحلقة عظيمة
وكعب الاحبار فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عم الوفاة قال يا رب سيشمت بي عدوي ابليس
اذا رآني ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الى الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق
الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب
حسبي فضج الناس وقالوا يا ابا اسحق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب
النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات واهل الارضين السبع واني ألبستك اليوم اثواب السخط
والغضب كلها فانزل بغضبي وسطوتي على رجيم ابليس فاذقه الموت واحمل عليه فيه مرارة الاولين والآخرين
من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا وغضبا وليكن
مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف كلاب من كلاليبها وناد
مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات والارضين لماتوا بغتة من
هولها فينتهي الى ابليس فيقول قف لي يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا
هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا
هو به بين عينيه فيغوص البحار فتنزوي منه البحار فلا تقبله فلا يزال يهرب في الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم
يقوم في وسط الدنيا عند قبر آدم ويتمرغ في التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا
كان في الموضع الذي اهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة
احتوشته الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى في النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم
وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب فيقولان
ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم اي اقسم
باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى اخلد الى الارض
واقسامه بعزة الله تعالى المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافي اقسامه بهذا فانه فرع من فروعها واثر من
آثارها فلعله اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه بهذا واخرى بذاك او للسببية وقوله لازينن لهم
جواب قسم محذوف والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم
بتزيين المعاصي وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود
لآدم عم واعتذروا عن امهال الله له وتسليطه له على اغواء بني آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم
يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب
ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم
من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرئ بكسر اللام اي الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط
اي حق علي اي اراعيه مستقيم لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من
اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك
لما وقع في عبارة ابليس حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم
الآية وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي وهم المشار اليهم بالمخلصين ليس لك عليهم سلطان تسلط
وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان
لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له
بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم اي موعد المتبعين والغاوين والاول انسب وادخل في الزجر عن
اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف في الفظاعة اجمعين تاكيد
للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان

مكان لها سبعة ابواب يدخلونها لكثرتهم او سبع طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في الغواية والمتابعة وهي
جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة
جزء مقسوم حزب معين مفرز من غيره حسبما يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود
والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام
وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها في السبع لانحصار
المهلكات في المحسوسات بالحواس الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاي وبحذف
والقاء حركتها الى ما قبلها مع تشديد بعدها في الوقت والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره في الظرف لا
في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها
مكفرة في جنات وعيون اي مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما
كقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع في القرآن العظيم ادخلوها على
ارادة القول امرا من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن
ادخلوها مبنيا للمفعول على صيغة الماضي من الادخال سالمين طيبين بسلام اي سالمين او مسلما عليكم
آمنين من الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل اي حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله عنه
ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم رضوان الله عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير في قوله
تعالى في جنات او من فاعل ادخلوها او من الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة
وكذلك قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى
متصافين وكون الثاني حالا من المستكن في الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم
متقابلون في جميع احوالهم لا يمسهم فيها نصب اي تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد في تحصيل
ما لا بد لهم منه لحصول كل ما يريدونه من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا
الحركات العنيفة لكمال قوتهم وهو استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين
وما هم منها بمخرجين ابد الآباد لان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي وهم الذين عبر عنهم بالمتقين
اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير
له وفي ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين من يتقي جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفي وصف
ذاته تعالى بهما وبالرحمة على وجه القصر دون التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات
وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف على نبئ عبادي والمقصود اعتبارهم بما
جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى في تضاعيف الخوف وبما حل بقوم لوط عم من العذاب ونجاة مع
اهله التابعين له في ضمن الخوف وتنبيههم لحلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو
العذاب الاليم عن ضيف ابرهيم عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل وملكان معه عم وقال محمد بن كعب
وسبعة معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن السدي كانوا
احد عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكا عليهم السلام وانما لم
يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابرهيم عم بل الى قوم لوط حسبما يأتي ذكره اذ دخلوا
عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اي واذكر وقت دخولهم عليه او جر بتقدير مضاف الى الضيف اي
خبر ضيف ابرهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف على انه مصدر في الاصل فقالوا عند ذلك سلاما اي
نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم وجلون اي خائفون فان الوجل اضطراب النفس
لتوقع مكروه قاله عم حين امتنعوا من اكل ما قربه اليهم من العجل الحنيذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا
نزل بهم ضيف فلم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم
لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة فلا مجال لكون خوفه عم بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت
اذ لو كان كذلك لاجابوا بما اجابوا به ولم يتصد عم لتقريب الطعام اليهم ولما لم يذكر ههنا اكتفى بما بين

في غير هذا الموضع الا يرى الى ما ذكر في هود من رده عم لسلامهم قالوا لا توجل لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل
من اوجله اي اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف لتعليل النهي عن الوجل فان
المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا وهو بشارة ببقائه وبقاء اهله في عافية وسلامة
زمانا طويلا بغلام هو اسحق عم لقوله تعالى فبشرناها باسحق ولم يتعرض هنا لبشارة يعقوب عم اكتفاء
بما ذكر في سورة هود عليم اذا بلغ وفي موضع بغلام حليم قال ابشرتموني بذلك على ان مسني الكبر واثر
فيّ تعجب عم من بشارتهم بالولد في حالة منافية للولادة وزاد في ذلك فقال فبم تبشرون اي باي
اعجوبة تبشروني او باي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء او باي طريقة
تبشروني وقرئ بتشديد النون المكسورة على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي
بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله فلا تكن من
القانطين من الآيسين من ذلك فان الله قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز
عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عم استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني
على سنة الله المسلوكة فيما بين عباده لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه
قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا من الممترين او نحوه قال ومن يقنط استفهام انكاري اي
لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال
علمه وقدرته كما قال يعقوب عم لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون على ابلغ وجه اي ليس بي قنوط من رحمته تعالى وانما الذي اقول لبيان
منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة علي وفي التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة
وقرئ بضم النون وكسرها من قنط بالفتح ولم يكن هذه المفاوضة من الملائكة مع ابراهيم عم خاصة بل مع
سارة ايضا حسبما شرح في سورة هود ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر
هناك اكتفاء بما ذكر ههنا قال اي ابراهيم عم وتوسيطه بين قوله السابق وبين قوله فما خطبكم
اي امركم وشانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقالة مطوية
لهم اشير به الى مكانها كما في قوله تعالى أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الآية
فان قوله الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط
قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ثم خطابهم عليهم السلام
بعنوان الرسالة بعدما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان مقالتهم المطوية
كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس بمجرد البشارة بل لهم شأن آخر لاجله ارسلوا فكأنه قال عليه السلام
ان لم يكن شأنكم مجرد البشارة ~~بل لكم شأن آخر لاجله ارسلتم~~ فما هو فلا حاجة الى الالتجاء الى ان علمه عم
بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى
بالواحد في زكريا عم ومريم ولا الى انهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود
لابتدؤا بها فتأمل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم
بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا آل لوط استثناء متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا
جميعا الا آل لوط فالقوم والارسال شاملان للمجرمين وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا
آل لوط لنهلك الاولين وننجي الآخرين ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي لوطا وآله اجمعين اي
مما يصيب القوم فانه استئناف للاخبار بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من
مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد يكون بكون حالهم بين بين او لتعليقه فان من تعلق
التنجية بمعنى من شمول العذاب او منقطع من قوم وقوله تعالى انا لمنجوهم متصل بآل لوط جار مجرى
خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول من الضمير خاصة
لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين
مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال
القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره

غيره واسناده اياه الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء آل لوط المرسلون
شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين وتنجية آل لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل
ووضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء
مجيئهم بل مطلق كينونتهم عند آل لوط فان ما حكي عنه عم بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله
بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند مقاساته الشدائد
ومعاناته المكابدة من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد من الاعانة والامداد
فيما يأتي ويذر عند تجشمه في تخليصهم انكارا لخذلانهم له وترك نصرته في مثل تلك المضايقة المعترية له
بسببهم حيث لم يكونوا مباشرين معه للاسباب المدافعة والممانعة حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة
او آوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه
بشر كما قيل كيف لا وهم بجوابهم المحكي بقوله تعالى قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب
الذي كنت تتوعدهم به فيمترون فيه ويكذبونك قد قشروا العصا وبينوا له عليه السلام جلية الامر فاني يمكن
ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست كلمة بل اضرابا عن موجب الخوف المذكور على معنى ما
جئناك بما تنكرنا لاجله بل بما يسرك ويقر به عينك بل هي اضراب عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة
له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك
حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه المقاولة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة
للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام باهلاك قومه وتنجية آله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عم
بهما وحيث كان ذلك مستدعيا لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل
القوم وما فعل بهم ولم يبال بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب
اليه عم مع انه نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤه به وفوضوا امره
اليه ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجال فيه للامتراء والشك
وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه وقوله تعالى وانا لصادقون تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق
اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه وعلى
الاول تاكيد اثر تاكيد وقوله تعالى فاسر باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم
في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة
منه او من آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع الليل فقيل هو بعد ما مضى
منه شيء صالح واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع
على السوق مع انه المقصود بالامر المبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقدم على بعض مع التاخر
عن بعض ويلزمه عادة الغفلة عن حال المتاخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم اي
منك ومنهم احد فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم احد ولا
يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط
القلب بما خلفوه او هو الاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المرأة
عن الاسراء او الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك كما عرفت مرارا للاكتفاء بما ذكر في مواضع اخر
وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على
الاتساع المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة
المناسبة بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك
الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة
على اتصافهم بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابر هؤلاء المجرمين وايراد صيغة المضارع
لكونها ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك
وتأخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامته وفظاعته ما لا يخفى

وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في
الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء
وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر من القوم عند وقوفهم على مكان الاضياف من الفعل
والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه اى جاء اهل سدوم منزل لوط عم
يستبشرون اى مستبشرين باضيافه طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في
الاصل اطلق على الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عم لكونهم في
زي الضيف والتأكيد ليس لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بهم وتشميره
لمراعاة حقوقهم وحمايتهم عن السوء ولذلك قال فلا تفضحون اى عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا
انه ليس لي عندكم قدر وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اساء الى ضيفه فقد اساء اليه
يقال فضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم لما يسوءني
ولا تخزون اى لا تذلوني ولا تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان
التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تأثيرا في جانبه عليه السلام
واجلب للعار اذ التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة
لحمايته والذب عنه فذاك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب
لجاجهم ومجاهرتهم بمخالفته بالخزي وامرهم بتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك
الفاحشة لانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله في ركوب الفاحشة ولا يناسبه
توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عم وكذلك قوله تعالى قالوا اولم ننهك عن
العالمين اى عن التعرض لهم بمنعهم عنا وضيافتهم والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر اى الم نتقدم
اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء وكان عليه السلام ينهاهم عن
ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عم عن ان يجير احدا فكأنهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزي
انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما نتصدى له لما اعتراك تلك الحالة ولما رأى انهم لا يقلعون
عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اى
فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية المناكحة
بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة هود ان كنتم فاعلين اى قضاء الوطر او ما اقوله لكم
لعمرك قسم من الله تعالى بحياة النبي صلى الله عليه وسلم او من الملائكة بحياة لوط عليهم السلام و
التقدير لعمرك قسمي وهي لغة في العمر يختص به القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم
لفي سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء والصواب يعمهون يتحيرون
ويتمادون فكيف يسمعون النصح وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اى الصيحة
العظيمة الهائلة وقيل صيحة جبريل عم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها
عالي المدينة او عالي قراهم وهو المفعول الاول لجعلناه وقوله سافلها مفعول ثان له وهو ادخل في الهول
والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة
من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اى فيما
ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اى المتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اى المدينة او القرى لبسبيل مقيم
اى طريق ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك اى فيما ذكر من المدينة او القرى او في
كونها بمرأى من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين
يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب الذي ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم
فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد
هاهنا بقية الآثار لا كل القصة كما فيما سلف وان كان ان مخففة من انّ وضمير الشان الذي هو اسمها

اسمها محذوف واللام هي الفارقة اى وان الشان كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عم والايكة والليكة
الشجرة الملتفة المتكاثفة وكانت عامة شجرها المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى اليهم لظالمين متجاوزين
الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روي ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا
اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو عذاب يوم الظلة وانهما يعني
سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر
لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه
لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء
فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح
ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبيون لخبيب بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام ٢
كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا وهي الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقبها وشربها
ودرها او الادلة المنصوبة لهم فكانوا عنها معرضين اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة
ما فعلوا وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها
او من العذاب لحسبانهم ان ذلك يحميهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله صلى الله عم
على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم
زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة مصبحين وهكذا وقع في سورة
هود وقيل صاح بهم جبريل عم وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض
فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة ولعلها من اوائل الصيحة
المستتبعة لتموج الهواء تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل
بهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء لترتيب
عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب بحسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق فانه امر مستمر وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار
الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقي
الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ عنه قوله تعالى وان الساعة
لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك فاصفح اى اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل
اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة باية السيف ان ربك
الذي يبلغك الى غاية الكمال هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم باحوالك
واحوالهم بتفاصيلها فلا يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم
او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو
تعليل للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل
والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا اى سبع آيات وهي الفاتحة وهو قول عمر وعلي وابن
مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة رحمهم الله
وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل
بينهما بالتسمية وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل الصحائف السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع
والمثاني من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة
واما لتكرر نزولها او لانها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلوة
في الصلوات واما لتكرر ما فيها من الثناء ووجه التسمية لانها مشتملة على الثناء
اذ السورة مكية بالاتفاق وان كان المراد السور
او قصص ومواعظ او لتثنيتها
صفة للآية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك

ولما فيها من الثناء على الله تعالى كما بها تثنى عليه سبحانه بأفعاله وصفاته الحسنى ويجوز أن يراد بالمثاني القرآن لما
ذكر ولأنه مثنى عليه بالإعجاز أو كتب الله تعالى كلها فمن للتبعيض وعلى الأول للبيان **والقرآن العظيم**
إن أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وإن أريد به الأسباع أو كل
القرآن فهو عطف أحد الوصفين على الآخر كما في قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم
أي ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم **لا تمدن عينيك** لا تطمح ببصرك طموح راغب
ولا تدم نظرك **إلى ما متعنا به** من زخارف الدنيا وزينتها ومحاسنها وزهرتها **أزواجا منهم** أصنافا
من الكفرة فإن ما في الدنيا من أصناف الأموال والذخائر بالنسبة إلى ما أوتيته مستحقر لا يعبأ به أصلا وفي
حديث أبي بكر رضي الله عنه من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم
صغيرا وروي أنه وافت من بصرى وأذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب و
الجواهر وسائر الأمتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها في سبيل الله تعالى فقيل
لهم قد أعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع **ولا تحزن عليهم** حيث لم يؤمنوا ولم ينتظموا في سلك
أتباعك ليتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل أو إنهم المتمتعون به فيأباه كلمة على فإن تمتعهم به لا يكون مدار الحزن
عليهم **واخفض جناحك للمؤمنين** أي تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك لهم وطب نفسا عن إيمان الأغنياء
وقل إني أنا النذير المبين أنا المنذر المظهر لنزول عذاب الله وحلوله **كما أنزلنا على المقتسمين** قيل إنه متعلق
بقوله ولقد آتيناك الخ أي أنزلنا عليك كما أنزلنا على أهل الكتاب **الذين جعلوا القرآن عضين** أي قسموه
إلى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما
واقتسموه لأنفسهم استهزاء حيث كان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وهكذا أو اقتسموا
ما قرؤوا من كتبهم وحرفوه فأقروا ببعضه وكذبوا ببعضه وحمل توسط قوله تعالى لا تمدن عينيك على الإمداد
ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بأنه حمل للمقام على التشبيه ولعله أو نحو مما لم يؤت أحد قبله و
بعده مثله وقيل إنه متعلق بقوله تعالى وقل إني أنا النذير المبين فإنه في قوة الأمر بالإنذار كأنه قيل أنذر قريشا
مثل ما أنزلنا على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على بني قريظة والنضير بأن جعل المتوقع كالواقع وقد كان
وقع كذلك وأنت خبير بأن ما يشبه به العذاب المنذر لا بد أن يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند المنذر
إذ به يتحقق فائدة التشبيه وهي تأكيد الإنذار وتشديده وعذاب بني قريظة والنضير مع عدم وقوعه إذ ذاك
لم يسبق به وعد ووعيد لأنهم في غفلة محضة وشك مريب وتنزيل المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من
الإعجاز لكن إذا صادف مقاما يقتضيه كما في قوله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا ونظيره على أن تخصيص الاقتسام
باليهود ومجرد اختصاص العذاب المذكور بهم مع شركتهم للنصارى في الاقتسام المتفرع على الموافقة
والمخالفة وفي الاقتسام بمعنى التحريف الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونه من نتائج
الاقتسام تخصيص من غير مخصص وقد جعل الموصول مفعولا أول لأنذر أي أنذر المعضين الذين يجزؤن
القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام
الموسم فقعد كل منهم في مدخل لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا
فإنه ساحر ويقول الآخر شاعر والآخر كذاب فأهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات ويرد عليه مع ما فيه من الاشتراك
المسبوق في عدم كون العذاب المشبه به العذاب المنذر واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعدا لو توقع أنه لا داعي
إلى تخصيص وصف التعضية بهم وإخراج المقتسمين من بينهم مع كونهم أسوة لهم في ذلك فإن وصفهم لرسول الله
بما وصفوا من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقرآن بذلك وما هو إلا نفس التعضية ولا إلى إخراجهم
من حكم الإنذار على أن ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا بهم
بل عاما للكل الفريقين وغيرهم مع أن بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب قد
هلكوا قبل مهلك أكثر المقتسمين يوم بدر ولا إلى تقديم المفعول الثاني على الأول كما ترى وقيل إنه وصف لمفعول
النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون في مداخل مكة كما حرر وفيه ما مر أن قوله تعالى كما أنزلنا
صريح في أنه من قول الله تعالى لا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم والاعتذار بأن ذلك من باب ما يقوله بعض خواص الملك

الملك أمرنا بكذا وإن كان الآمر هو الملك حسبما سلف في قوله تعالى قدرنا إنها لمن الغابرين تعسف لا يخفى
وأن إعمال الوصف الموصوف مما لا يجوزه البصريون فلا بد من الهرب إلى مسلك الكوفيين أو المصير إلى جعله مفعولا
غير صريح أي أنا النذير المبين بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا
على أن يبيتوا صالحا عليه السلام فأهلكهم الله تعالى وأنت تدري أن عذابهم حيث كان محققا ومعلوما للمنذرين
حسبما نطق به القرآن العظيم صالح لأن يشبه به العذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم
يمكن كونه صفة للمقتسمين حينئذ جعلناه مفعولا أول للنذير أو لما دل هو عليه في أنذر لا يكون للتعرض
لعنوان التعضية في حيز الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المزبور في حيز المفعول والموصول الثاني فائدة
لما أن ذلك إنما يكون للإشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للمفعول والموصوف فلا يكون هناك
وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم في السبب فإن المعضين بمعزل من
التقاسم على التبييت الذي هو السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين السببين مصححة ولا موجود إيجاد وقوع
أحدهما في جانب والآخر في جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق وعلى الشر المزبور من الاتفاق على
الشر المخصوص الذي هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد إذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك
وإنما يدل عليه اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدأ على أن خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة
التنزيل وجلالة شأنه الجليل إذا عرفت هذا فاعلم أن الأقرب من الأقوال المذكورة أنه متعلق
بالأول وأن المراد بالمقتسمين أهل الكتابين وأن الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل
الكاف النصب على المصدرية وحيث جلالة المقام عن التشبيه من لوائح النظر الجليل والمعنى لقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم إيتاء مماثلا لإنزال الكتابين على أهلهما وعدم التعرض لذكر ما
أنزل عليهم من الكتابين لأن الغرض بيان المماثلة بين الإيتاءين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق
ما في جانب المشبه به على ما في جانب المشبه بأن يقال كما آتينا المقتسمين حسبما وقع في قوله تعالى الذين آتيناهم
الكتاب الخ للتنبيه على ما بين الإيتاءين من التنافي فإن الأول على وجه التكرمة والامتنان لتشابه
بينه وبين الثاني ولا يقدح ذلك في وقوعه مشبها به فإن ذلك إنما هو المسلمية عندهم وتقدم وقوعه
على المشبه زمانا لا المزية تعود إلى ذاته كما في الصلوات الخليلية فإن التشبيه فيها ليس لكون رحمة الله
تعالى الفائضة على إبراهيم عليه السلام وآله أتم وأكمل مما فاض على النبي صلى الله عليه وسلم وآله وإنما ذاك للتقدم
في الوجود والتنصيص عليه في القرآن العظيم فليس في التشبيه شائبة إشعار بأفضلية المشبه به
[illegible]

والتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذي الروح المستلزم لإزالة حياته وإبطال اسمه
دون مطلق التجزئة والتفريق اللذين ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما
فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي فعلة من عضهته إذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش
فنقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء **فوربك لنسألنهم أجمعين** أي لنسألن يوم القيمة أصناف
الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ وتقريع **عما كانوا يعملون** في الدنيا من قول وفعل وترك
فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية دخولا أوليا ولنجزينهم بذلك جزاء موفورا وفيه من التشديد
وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء لترتيب الوعيد على أعمالهم التي ذكر بعضها وفي التعرض لوصف الربوبية مضافا
إليه عم إظهار للطف به عم **فاصدع بما تؤمر** فاجهر به من صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا أو افرق
بين الحق والباطل وأصله الإبانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والعائد محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع
المودعة في تضاعيف ما أوتيته من المثاني السبع والقرآن العظيم **وأعرض عن المشركين** أي لا تلتفت إلى
ما يقولون ولا تبال بهم ولا تتصد للانتقام منهم **إنا كفيناك المستهزئين** بقمعهم وتدميرهم قيل
كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس ابن الطلاطلة والأسود
بن عبد يغوث والأسود بن المطلب يبالغون في إيذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فنزل جبريل
عم فقال أمرت أن أكفيكهم فأومى إلى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما
لأخذه فأصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات وأومى إلى أخمص العاص فدخلت فيها شوكة فقال لدغت
وانتفخت رجله حتى صارت كالرحا فمات وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي وإلى أنف الحارث
فامتخط قيحا فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب
وجهه بالشوك حتى مات **الذين يجعلون مع الله إلها آخر** وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عم
وتهوينا للخطب عليه بإعلام أنهم لم يقتصروا على الاستهزاء به عم بل اجترؤوا على العظيمة التي هي الإشراك
بالله سبحانه **فسوف يعلمون** عاقبة ما يأتون ويذرون **ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون**
من كلمات الإشراك والطعن في القرآن والاستهزاء بك وتحلية الجملة بالتأكيد لإفادة تحقيق ما تتضمنه
من التسلية وصيغة الاستقبال لإفادة استمرار العلم حسب استمرار متعلقه باستمرار ما يوجبه من أقوال
الكفرة **فسبح بحمد ربك** فافزع إلى الله تعالى فيما نابك من ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا
بحمده وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من إظهار اللطف به عم
والإشعار بعلة الحكم أعني الأمر بالتسبيح والحمد **وكن من الساجدين** المصلين يكفك ويكشف الغم عنك
أو فنزهه عما يقولون ملتبسا بحمده على أن هداك للحق المبين وعنه عم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى
الصلوة **واعبد ربك** دم على ما أنت عليه من عبادته تعالى وإيثار الإظهار بالعنوان السالف آنفا
لتأكيد ما سبق من إظهار اللطف به عليه السلام والإشعار بعلة الأمر بالعبادة **حتى يأتيك اليقين**
أي الموت فإنه متيقن اللحوق بكل حي مخلوق وإسناد الإتيان إليه للإيذان بأنه متوجه إلى الحي طالب
للوصول إليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير إخلال بها لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله أي الساعة أو ما يعمها وغيرها من العذاب الموعود للكفرة عبر عن ذلك بأمر الله للتفخيم
والتهويل وللإيذان بأن تحققه في نفسه وإتيانه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب وإتيانه عبارة
عن دنوه واقترابه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع أو عن إتيان مباديه القريبة على نهج إسناد حال
الأسباب إلى المسببات وأيا ما كان ففيه تنبيه على كمال قربه من الوقوع وإنما قاله به وتكميل لحسن موقع التفريع
في قوله تعالى **فلا تستعجلوه** فإن النهي عن استعجال الشيء وإن صح تفريعه على قرب وقوعه أو على وقوع
أسبابه القريبة لكنه ليس بمثابة تفريعه على وقوعه إذ بالوقوع يستحيل الاستعجال رأسا لا بما ذكر من قرب

قرب وقوعه ووقوع مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهي الغائب
واستعجالهم وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء
أريد بأمر الله ما ذكر أو العذاب أو ما يعمهما من العذاب حتى يعمهم النهي عنه وأما الثاني فلأن استعجالهم
له بطريق الحقيقة واستعجال الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والإلجاء
إلى إرادة معنى مجازي يعمهما معا من غير أن يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل
الجليل وما روي عن ابن عباس لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن القيمة قد
قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب
للناس حسابهم فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به
فنزلت أتى أمر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع الناس رؤوسهم فلما نزل فلا تستعجلوه اطمأنوا فليس
فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل إلا أن توهم من أن التصدير بالفاء يأباه فإنه بمعزل من أن يحتمل
تحققه بل لأن مناط طمأنينتهم إنما هو وقوفهم على أن المراد بالإتيان هو الإتيان الادعائي لا الحقيقي
الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزمة لامتناع النهي عنه لما أن النهي عن الشيء يقتضي إمكانه في الجملة
ومدار ذلك الوقوف إنما هو النهي عن الاستعجال المستلزم لإمكانه المقتضي لعدم وقوع المستعجل بعد ولا
يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة على عدم العموم لأن المراد بأمر الله
إنما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على
تقدير كون أمر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن الذي يقتضيه الإعجاز التنزيلي أن يخص
بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من نتائج إشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل إلى ما لا يليق عبقه
به من العجز والاحتياج إلى الغير واعتقاد أن أحدا يحجزه عن إنجاز وعده أو إمضاء وعيده وقد قالوا [illegible]
إن صح مجيء العذاب فالأصنام تخلصنا عنه بشفاعتهم عقب ذلك بقوله بطريق الاستئناف **سبحانه**
وتعالى عما يشركون أي تنزه وتقدس بذاته وجل عن إشراكهم المؤدي إلى صدور أمثال هذه الأباطيل
عنهم أو عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد
إشراكهم واستمراره والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم للإعراض عنهم وطرحهم عن رتبة
الخطاب وحكاية شنائعهم لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت
ارتباط المنزه عنه بالمنزه عنه وقرئ على صيغة الخطاب **ينزل الملائكة** بيان لتحتم التوحيد حسبما
نبه عليه تنبيها إجماليا ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن أن يحوم حوله شائبة أن يشاركه شيء في
شيء وإيذان بأنه دين أجمع عليه جمهور الأنبياء عليهم السلام ولم يدعوا الناس إليه مع الإشارة
إلى سر البعثة والتشريع وكيفية إلقاء الوحي والتنبيه على طريق علم الله بإتيان ما أوعدهم به عم وما
قرب به إزاحة لاستبعادهم اختصاصه عم بذلك وإظهارا لبطلان رأيهم في الاستعجال والتكذيب
وإيثار صيغة الاستقبال للإشعار بأن ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملائكة إما جبريل
قال الواحدي يسمى الواحد بالجمع إذا كان رئيسا وهو ومن معه من حفظة الوحي بأمر الله تعالى
وقرئ ينزل من الإنزال وتنزل بحذف إحدى التاءين وعلى صيغة المبني للمفعول من التنزيل **بالروح**
أي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فإنه يحيي القلوب الميتة بالجهل ويقوم في
الدين مقام الروح في الجسد والباء متعلقة بالفعل أو بما هو حال من مفعوله أي ملتبسين بالروح
من أمره بيان للروح الذي أريد به الوحي فإنه أمر بالخير أو حال منه أي حال كونه ناشئا ومبتدأ
منه أو صفة له على رأي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته أي بالروح الكائن من أمره أو
الناشئ منه أو متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم أي ينزلهم بأمره
على من يشاء من عباده أن ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك **أن أنذروا** بدل
من الروح أي ينزلهم ملتبسين بأن أنذروا أي بهذا القول والمخاطبون به الأنبياء الذين نزلت الملائكة
عليهم عليهم السلام والآمر هو الله سبحانه والملائكة نقلة الأمر كما يشعر به الباء الداخلة على المبدل منه وأن إما مخففة

بين ان وضمير الشان الذى هو اسمها المحذوف اى ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على ان
تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول لانه قيل يقول بواسطة الملائكة لمن يشاء من عباده انذروا فلا محل
لها من الاعراب او مصدرية بجواز كون صلتها انشائية كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك حسبما ذكر فى
اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام المحذور من نذر
بالشئ اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اى اعلمه وحذره وخوفه فى ابلاغه كذا فى القاموس اى
اعلموا الناس **انه لا اله الا انا** فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ما ادعاه شهرته المغنية عن التصريح
به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير له فى الذهن فان الضمير
لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن
كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وانما تضمينه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين
بما يضاده من الاشراك وذلك كاف فى كون اعلامه انذارا وقوله تعالى **فاتقون** خطاب للمستعجلين على
طريقة الالتفات والفاء فصيحة اى اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملائكة على الانبياء
وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له فى الالوهية فاتقون فى الاخلال بمضمونه ومباشرة ما ينافيه
من الاشراك وفروعه التى من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل السمعى للتوحيد شرع
فى تحرير الادلة العقلية فقيل **خلق السموات والارض بالحق** اى اوجدهما على ما هما عليه من الوجه اللائق
والنمط اللائق **تعالى** وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التى من جملتها ابداع هذين المخلوقين **عما يشركون**
عن اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذى لا يبدئ ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه
الكلى المنطوى على تفاصيل مخلوقاته شرع فى تعداد ما فيه من جلائل بعد ما بدئ بفعله المتعلق بالانفس فقال
خلق الانسان اى هذا النوع غير الفرد الاول منه **من نطفة** جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا
ولا وضعا **فاذا هو** بعد الخلق **خصيم** منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم **مبين** لحجته لقن بها وهذا انسب
بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال به لبيت على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر
له قائل من يحيى العظام وهى رميم وهذا انسب بمقام تعداد هنات الكفرة روى ان ابى بن خلف الجمحى اتى النبى
بعظم رميم فقال يا محمد اترى الله تعالى يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت **والانعام** وهى الازواج الثمانية من
الابل والبقر والضان والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى **خلقها** او بالعطف على الانسان
وما بعده بيان ما خلق لاجله والذى بعده تفسير لذلك وقوله تعالى **لكم** اما متعلق بخلقها وقوله تع
فيها خبر مقدم وقوله تعالى **دفء** مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقى من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف
الاول خبر للمبتدأ الكون فيها حال من دفء اذ لو تاخر لكان صفة **ومنافع** هى درها وركوبها وحملها
والحراثة بها وغير ذلك وانما عبر بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء
على المنافع لرعاية اسلوب الترقى الى الاعلى **ومنها تاكلون** اى تاكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك
وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما فى السابق واللاحق فان الدفء والمنافع والجمال يحصل منها
وهى باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف للايذان بان الاكل منها هو
المعتاد المعتمد فى المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر من قبيل التفكه مع
مراعاة الفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة
تكتسب بكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها **ولكم فيها** مع ما فصل من انواع المنافع الضرورية
جمال اى زينة فى اعين الناس ووجاهة عندهم **حين تريحون** تردونها بالعشى من مراعيها الى مراحها
وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها وتقديم الاراحة على التسريح لان الجمال فيها اظهر مع مراعاة
الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه امر الجمال من تزيين الافنية بها وتجاوب ثغائها
ورغائها انما هو عند ذهابها ورجوعها [illegible]
[illegible]
[illegible]

والبهجة اذ بها حصول رهد عينه وافتال بعداد با ر على احسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حاملة
الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون
فيه **وتحمل اثقالكم** جمع ثقل وهو متاع المسافر وقيل انفسكم واجرامكم **الى بلد** قال ابن عباس رضى الله عنهما اريد به
اليمن ومصر والشام ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان
اثقالهم واحمالهم عندها لقفولهم من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد
سحيق **لم تكونوا بالغيه** واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل **الا بشق الانفس** فضلا عن
استصحابها معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من
شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذى هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف
القوة لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اى الا بشق قوى الانفس وهو
استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى لم تكونوا بالغيه بشئ من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم الكريم
الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث للاشعار بان هذه
النعمة ليست فى العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفى الشمول للاوقات والاطراد فى الاحيان المعهودة بمثابة
النعم السالفة فانها بحسب المنشأ خاصة بالابل وبحسب المتعلق بالضاربين فى الارض المتقلبين فيها للتجارة
وغيرها فى احايين غير مطردة واما سائر النعم المعدودة فموجودة فى جميع اصناف الانعام وعامة لكافة
المخاطبين دائما او فى عامة الاوقات **ان ربكم لرؤف رحيم** ولذلك اسبغ عليكم هذه النعمة الجليلة
ويسر لكم الامور الشاقة **والخيل** هو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اى
خلق الخيل **والبغال والحمير لتركبوها** تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب فى تحققه
وزينة عطف على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتاخيره لان
الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اى وتتزينوا بها زينة وقرئ بغير واو اى خلقها زينة لتركبوها
ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اى متزينين بها او متزينا بها
ويخلق ما لا تعلمون اى يخلق فى الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا تعلمون كنهه وكيفية خلقه
فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او لاستحضار الصورة اى يخلق لكم
فى الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اى ما ليس من شانكم ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عم
حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه سبحانه يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة
للتوحيد كنعمه الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات
السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عم كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا
الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل
منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون اليه الى يوم القيمة
وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم على طريقة الاستعارة
وعلى بناء السبيل حال سالكها كانه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه اى حق عليه سبحانه
وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذى هو التوحيد
بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو
البقاء اى عليه عز وجل تقويمها وتعديلها اى جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت فى نفسها منحرفة
عنه بل ابداعها ابتداء كذلك على نهج قوله سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما
ذكر من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التى كل واحد منها لاحب يهتدى بمناره
وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحى الناطق بحقيقة
الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادى الى سبيل الاستدلال بتلك الادلة المفصلة الى معالم
الهدى المنجية عن التردى فى الضلالة ومهاوى الردى الابدى كيف بين انه لا [illegible] وتعالى [illegible]

عما يحوم حوله شائبة توهم الاشراك ثم اوضح سر القاء الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار
الناس ودعوتهم الى التوحيد ونهيهم عن الاشراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى
طريقة الاستدلال مبتدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى
عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما مبتدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما يتعلق بما لا بد لهم
منه في معايشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وكان ذلك
كالرمز الى بيان سبيل التوحيد عقبه ببيان وتعديل له ايما تعديل فالمراد بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة
القصد اليه وقوله تعالى ومنها في محل الرفع على الابتداء اما باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله
تعالى ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر الخ اي بعض السبيل
او بعض من السبيل فانها تؤنث وتذكر جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق
الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم والضمير في منها
راجع اليها بتقدير المضاف اي من جنسها لما عرفت من ان تعديل السبيل وتقويمه ابداعه ابتداء على وجه
الاستقامة والعدالة لا تقويمه بعدما عراه نوع اعوجاج وايا ما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر
مطلوب كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه
كما في قوله سبحانه الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال والذي يمرضني
ويشفين ولكن غير الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه سبحانه وليس المراد ببيان قصد
السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يتوهم اسناد انه جائر اليه تعالى ويحتاج الى الاعتذار عن عدم ذلك على انه
لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة وقد تبين ذلك في مواضع عديدة بل المراد ما مر من
نصب الادلة لهداية الناس اليه ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها
حتى يعرف ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى يقتضي الحال دفع ذلك
بان يقال لا جائرها ثم تغيير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية اعتراضية جيء بها
لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة والمعنى على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل
الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكها الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة
بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته
ولا بحسب رحمته بل هو مخل بالحكمة حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي بحسب الاستعداد واليه اشير
بقوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين اي لو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة اليه
البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيئته تابعة للحكمة الداعية اليها ولا
حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه يتسق الثواب والعقاب انما هو الاختيار
الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها يناط الجزاء هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام
وقد فسر كون السبيل عليه تعالى بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة
الانتهاء لتأكيد الاستقامة على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه
علوا كبيرا كما في قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس
كما مر وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى بالاستقامة
وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم جميعا الى الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه ولكنه بمعزل عن نكتة
موجبة لتوسيطه ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين الطريق السمعي للتوحيد على وجه اجمالي
وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب ذلك ببيان السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التأمل
فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل هو الذي انزل
بقدرته القاهرة من السماء اي من السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتأخيره عن المجرور
لما مر مرارا من ان المقصود هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل الماء من السماء والرتبة
كما سلف من ان عند تأخر ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا له مستعدا اليه فيتمكن لديه عند وروده

عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدأ وهو خبره والجملة
صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه ايهام حصر المشروب
فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع
في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة
لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب بين المجرورين وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته
مما لا يليق بجزالة نظم التنزيل الجليل ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد
به ما ينبت من الارض سواء كان له ساق اولا وتبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل
كأنه منه كقوله اسنمة الآبال في ربابه يعني به المطر الذي ينبت به الكلأ الذي تأكل منه الابل
فتسمن اسنمتها وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون ترعون من
سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض
ينبت اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد
والاستمرار وانما اسندت الجارية على سنن الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم الظرفين
على المفعول الصريح لما مر آنفا مع ما في تقديم ثانيهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء وتقديم الزرع
على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من الشرف من حيث انه ادام
من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها وبقائها وجمع الاعناب للاشارة
الى ما بها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله
تعالى ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من
البشر او للارشاد الى مكارم الاخلاق فان مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه
بامر نفسه او لان اكثر المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا ثمر وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم
غذائه فانه غذاء حيواني للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من التفعيل مسند الى الزرع وما
عطف عليه ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى
بالالوهية لاشتمالها على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة او النواة
تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في اعماق الارض
وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الاوراق والازهار
والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة
لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد واستواء نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات
العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله وآثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال
فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى
عن ذلك علوا كبيرا وحيث احتاج سلوك هذه الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة
بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس
والقمر يدأبان في سيرهما وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات
التي من جملتها ما فصل واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم من تصريفها
كيف شاؤوا كما في قوله تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه
منافعهم ومصالحهم كأن ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف
بالتسخير ايماء الى ما في المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة
على ان ذلك امر واحد مستمر وان تجدد آثاره والنجوم مسخرات بامره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم
في حركاتها واوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقن له بارادته ومشيئته
وحيث لم يكن عود منافع النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والنيرين لم ينسب تسخيرها اليهم

باداة الاختصاص بل ذكر على وجه يؤذن بكونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الافلاك واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقد رددنا اختياره وانت تدري ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها ليقولن الله الاية وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا شأنه لا يتوهم ان يشاركه شيء في شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملا ومفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التأمل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار اليه حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير التي لا يتصدى لمعرفتها الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله تعالى والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان ونبات حال كونه مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها غالبا باختلاف اللون مسخرة لله تعالى او لما خلق له من الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان الاول لا يستلزم الثاني لزوما عقليا لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وفيه كلام او منصوب بفعل مقدر اي خلق وانبت على ان قوله تعالى مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات ونحوها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شأنه واحد لا ند له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج الا الى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما اوجبه من حمل ما ذكر دليلا على اثبات الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان اريد ما بدلالته على تفرده سبحانه بما ذكر من صفات الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة جيء به للاستدلال به على ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية وهو الذي سخر البحر شروع في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتأكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وفي اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى ان من حلف لا يأكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم من اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا يرى ان الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن لبس نسائهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة تشقه بجريها في البحر وهو شق الماء وقيل هو صوت جري

الفلك ولتبتغوا عطف على لتستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادي الابتغاء ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اي لتنتفعوا بذلك ولتبتغوا ذكره ابن الانباري او متعلقة بفعل محذوف اي وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداءها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة في مدة قليلة من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها في تضاعيف المهالك وعدم توسيط الفوز بالمطلوب بين الابتغاء والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه في اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب ولئلا تميد بكم فان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا اي وجعل فيها انهارا لان في القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون الى مقاصدكم وعلامات معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب ويعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرئ بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش فانهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في اسفارهم وحرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم أفمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شيء كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو هاتيك للكفرة وابطال لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد ما يقتضي ذلك اقتضاء ظاهرا وتعيين العجزة بالفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة على ما فصل من الامور العظام الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما يؤذن به ما تلوناه من قوله تعالى ولئن سألتهم الاية والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها واستتباعه اياها او لكون كل منها خلقا مخصوصا اي ابعد ظهور اختصاصه بمبدئية هذه الشئون الدالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما هو قضية اشراكهم ومدار هذا وما كان على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه [illegible] النظم الكريم مراعاة لحق الملكة على العدم [illegible] تنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث انه ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها بل هو حط لمنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب في انه افحش من الاول والمراد بمن لا يخلق [illegible] بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلاء خاصة [illegible] حيثما يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلاء [illegible] عدم الخالقية [illegible] اما بطريق الاندراج تحت الموصول العام واما بطريق [illegible] النعي على الطريقة البرهانية [illegible] المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون اي ألا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه بحيث لا يفتقر الى شيء سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله [illegible] اجمالا [illegible] تعالى بعد تعداد طائفة منها [illegible] وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة [illegible] تعالى ويخلق ما لا تعلمون ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق [illegible]

الى الزام الحجة والقام الحجر اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التي هي ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهور دلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا لكنها حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى استغنى عن التصريح به ثم بين ما لها بطريق الاجمال اى ان تعدوا نعمة الله الفائضة عليكم بما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا بحصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه في سورة ابرهيم بفضل الله سبحانه ان الله لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تاتون وتذرون من اصناف الكفر التي من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة وايما نعمة فالجملة تعليل للحكم بعدم الاحصاء وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون اى تظهرونه منهما وحذف العائد لمراعاة الفواصل اى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه سبحانه بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه في سورة البقرة وسورة هود من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان كل شئ يعلن فهو قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته الثانية والذين يدعون شروع في تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد اوصافها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون ذلك الا بالتصريح اى والالهة الذين يعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وقرئ على صيغة المبني للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشياء اصلا اى ليس من شانهم ذلك ولما لم يكن بين نفي الخالقية والمخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما في الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل وهم يخلقون اى شانهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهياتها ووجوداتها الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بما اثبت لهم وبين ما نفى عنهم من وصفي المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثاني عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول ومبالغة في كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستدع لنفي الحياة عنهم لما ان بعض المخلوقين احياء صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحياة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التي ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احياء اى لا يعتريها الحياة اصلا فهي اموات على الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون اى ما يشعر اولئك الالهة ايان يبعث عبدتهم ففيه تهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة بديهي الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه في الالوهية الهكم اله واحد لا شريك له في شئ وهو تصريح بالمدعى وتلخيص للنتيجة غب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالآخرة واحوالها التي من جملتها ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزاء المستلزم لعقوبتهم وذلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها او للآيات الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الآيات الدالة عليها والفاء للايذان بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع

موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه فكان من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول للاشعار بكونه معللا بما في حيز الصلة فان الكفر بالآخرة وبما فيها من البعث والجزاء المتنوع الى الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدى الى قصر النظر على العاجل والاعراض عن الدلائل السمعية والعقلية الموجبة لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعو لا محالة الى التأمل في الدلائل والآيات رغبة ورهبة فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اى حقا وقد مر تحقيقه في سورة هود ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم للقرآن اساطير الاولين وغير ذلك من قبائحهم فيجازيهم بذلك انه لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من الوعيد اى لا يحب المستكبرين عن التوحيد اى عن الآيات الدالة عليه او لا يحب جنس المستكبرين فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا قيل لهم اى لاولئك المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غب بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وماذا منصوب بما بعده او مرفوع اى اى شئ انزل او ما الذي انزله قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل بطريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال في شئ قيل هؤلاء القائلون هم المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله عند سؤال وفود الحاج عما انزل عليه عليه السلام ليحملوا متعلق بقالوا اى قالوا ما قالوا ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهي اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شئ بنكبة اصابتهم في الدنيا كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر واللام للتعليل في نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار الاضلال او باعتبار حال تعلق الحمل بغير علم حال من الفاعل اى يضلونهم غير عالمين بان ما يدعون اليه طريق الاضلال واما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال والاضلال على ان يكون القائلين في الحال قالوا وتاييده بما سياتي من قوله تعالى واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب من حيث لا يشعرون فمردود لان الحمل المذكور انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو العذاب الدنيوي كما ستعرف عليه او حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذي لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق الحقيق بالاتباع وبين المبطل الا ساء ما يزرون اى بئس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة مكرهم الى انفسهم كدأب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم من العذاب العاجل اى قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله اى امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهي الاساطين التي تعمده او اساسه فضعضعت اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اى سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين في تسويتهم المكايد والمنصوبات التي ارادوا بها الايقاع برسل الله سبحانه وفي ابطاله تعالى تلك الحيل والمكايد وجعله اياها اسبابا لهلاكهم بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اى الهلاك والدمار من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان نقيضه مما يريدون ويشتهون والمعنى ان هؤلاء الماكرين القائلين للقرآن العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف على مقدر ينبئ عليه الكلام اى هذا الذي فعل بهم من التنكيل من عذاب هؤلاء او ما هو اعم منه ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم في الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اى يذلهم بعذاب الخزي على رؤوس الاشهاد واصل الخزي ذل يستحيى منه وكم

للايما الى ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل عليه من التراخي الزماني وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس
لقصر الخزي على يوم القيمة كما هو المتبادر من تقديم الظرف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم في الدنيا
موذن بان لهم جزاء اخرويا ينبغي النفس مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا فسيق بانه في
الاخرة فسيق الكلام على وجه يوذن بان المقصود بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين
في حق القرآن الكريم اولهم ولمن مثلوا بهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم يأباه السابق والسياق
كما استحق عليه ويقول لهم تفضيحا وتوبيخا وبيانا لخزيهم اين شركاي اضافهم اليه سبحانه حكاية
لاضافتهم الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ مع الاستهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم اى تخاصمون
الانبياء والمومنين في شانهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها
للشفاعة او المدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة
حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدتهم حينئذ ليتفقدوها في ساعة علقوا بها الرجاء
فيها او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون
انهم متصفون به من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا اماكنهم على ان قوله ليتفقدوا ليس بسديد
فانه قد يتبين عندهم الامر فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ بكسر
النون اى تشاقونني على ان مشاقة الانبياء والمومنين لاسيما في شان متعلق به سبحانه مشاقة له عز وجل
قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمومنون الذين اوتوا علما بدلائل التوحيد
وكانوا يدعونهم في الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اى يقولون في محالهم اظهارا لهم
للشماتة وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به واتيان صيغة الماضي للدلالة على
تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد في اخباره سبحانه وتعالى كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى
اصحاب الاعراف ان الخزي الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزي على راي من يرى اعمال المصدر
المصدر باللام او بالاستقرار في الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر في الظرف
وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق والسوء العذاب على الكافرين بالله تعالى وباياته
ورسله الذين تتوفاهم الملائكة بتانيث الفعل وقرئ بتذكيره وبادغام التاء في التاء والعدول الى
صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيه من الهول والموصول في محل الرفع على انه نعت للكافرين
او بدل منه او في محل النصب او الرفع على الذم وفائدته تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفرهم الى حين الموت
دون من آمن منهم ولو في آخر عمره اى على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم
اى حال كونهم مستمرين على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واى ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة
الله تبديلا فالقوا السلم اى فيلقون والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على
قوله تعالى فيقول اين شركاي وما بينهما جملة اعتراضية جيء بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزي وعلى رؤس
الاشهاد اى فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة قائلين
ما كنا نعمل في الدنيا من سوء اى من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
وانما عبروا عنه بالسوء اعترافا بكونه سيئا لا انكارا لكونه كذلك مع الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون
تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال عليه وعلى التعذير فهو جواب عن قوله سبحانه اين
شركاي كما في سورة الانعام لا عن قول اولي العلم ادعاء لعدم استحقاقهم لما دهمهم من الخزي والسوء
بلى رد عليهم من قبل اولي العلم واثبات لما نفوه اى بلى كنتم تعملون ما تعملون ان الله عليم بما كنتم
تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اى كل صنف بابه المعد له وقيل ابوابها
اصناف عذابها فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وان اريد
مطلق الكون فيها فهي مقارنة خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين اى عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم منكرة وهم
مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف اى جهنم وتأويل
قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك في اعتقادنا ورده بما فيه على ان كذبهم برده الرد

اثر المذكور وما في سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم وقيل للذين اتقوا اى المومنين
وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ عن التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا
سلكوا في الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تغيير في الصورة والمعنى اى انزل خيرا فانه جواب مطابق
للسؤال سبكا وللواقع في نفس الامر مضمونا واما الكفرة فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب عن نهج
الحق الواقع الذي ليس له من دافع غيروا صورته وعدلوا بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير
لما مر من انكار النزول روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد
ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد وان اراه فيلقى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
فيخبرونه بحقيقة الحال فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اى اعمالهم او فعلوا الاحسان في هذه الدار
الدنيا حسنة اى مثوبة حسنة مكافاة فيها ولدار الآخرة اى مثوبتهم فيها خير مما اوتوا في الدنيا من
المثوبة او خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الآخرة ولنعم دار المتقين اى دار الآخرة
حذف لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعد جوابهم المحكي من جملة
احسانهم ووعدهم بذلك ثوابي الدنيا والآخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا وتفسير له
اى انزل خيرا وهو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف
اى لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك
تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤن الظرف
الاول خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول او متعلق به اى حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات
وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشية او لما مر مرارا من ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب
النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى يجزي الله المتقين
اللام للجنس اى كل من يتقي من الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون دخولا اوليا ويكون فيه بعث
لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفاهم الملائكة نعت للمتقين وقوله تعالى
طيبين اى طاهرين من دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفايدته الايذان بان ملاك الامر في التقوى
هو الطهارة عما ذكر اى وقت توفيهم ففيه حث للمومنين على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله
وقيل فرحين طيبي النفوس ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم
بالكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملائكة اى قائلين لهم سلام عليكم قال القرطبي اذا استدعيت
نفس المومن جاءه ملك الموت عم فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقرأ عليك السلام ويبشرك بالجنة
ادخلوا الجنة اللام للعهد اى جنات عدن الخ ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته فان ذلك
بشارة عظيمة وانه احق التبشير به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في البشارة به ما في
البشارة بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم تعملونه من
ذلك وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون اى ما ينتظر كفار مكة
المار ذكرهم الا ان تاتيهم الملائكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين لذلك وشتان بينهم وبين
انتظاره لا لانهم يطلبونه بل لحوق الامر المنتظر بل لمباشرتهم لاسبابه الموجبة له المودية اليه فكانهم يتقصدون
اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ بتذكير الفعل او ياتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى
ضميره عم اشعار بان اتيانه لطف به عم وان كان عذابا عليهم والمراد بالامر العذاب الدنيوي لا القيامة
لكن لا لان انتظارها يجامع انتظار اتيان الملائكة فلا يلايمه العطف باو ولانها ليست نصا في العذاب
اذ يجوز ان يعتبر فيه الخلق ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في عذابهم بل لان قوله تعالى
بما سياتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح في ان المراد به ما اصابهم من العذاب الدنيوي
كذلك اى مثل فعل هولاء من الشرك والظلم والتكذيب والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم
وما ظلمهم الله بما سيحل بهم من عذابهم ولكن كانوا بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك

أنفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم
الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم آيلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على
نفسه من حيث الوقوع اقتصاره عليه من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف
على قوله تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا اى
اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف المضاف وحاق بهم
من الحيق الذى هو احاطة الشر وهو ابلغ من الاصابة وافظع ما كانوا به يستهزءون من العذاب وقال الذين
اشركوا اى اهل مكة وهو بيان لفن آخر من كفرهم والعدول الى الموصول لتقريعهم بما في حيز الصلة
وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ اى لو شاء عدم عبادتنا لشئ غيره كما تقول
لما عبدنا ذلك نحن ولا آباؤنا الذين نقتدى بهم في ديننا ولا حرمنا من دونه من شئ من السوائب و
البحائر وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول صلى الله عليه وسلم وطعنا في الرسالة رأسا متمسكين بان ما
شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما يقوله
الرسل وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفى الاشراك وما يتبعهما وحيث لم يكن
كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه بقوله عز وجل
كذلك اى مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اى اشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله
وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم الى الحق فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله
وعزائم امره ونهيه الا البلاغ المبين اى ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة
طريق الحق واظهار احكام الوحى التى من جملتها تحتم تعلق مشيئة الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره
الى تحصيل الحق لقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم
شاءوا او ابوا كما هو مقتضى استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التى عليها يدور امر التكليف في شئ
حتى يستدل بعدم ظهور آثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيئته تعالى بذلك فان ما يترتب
الثواب والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق مشيئته تعالى بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم
الجزئى الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين والفاء للتعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم وذلك
باطل فان الرسل ليس شأنهم الا تبليغ اوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونهما واجراء موجبهما على الناس قسرا
والجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك مأمورون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم يؤدونه اليهم وبهذا
ظهر انه لا يحمل قولهم لو شاء الله الى آخره على الاستهزاء لا يلائم الجواب والله تعالى اعلم بالصواب ولقد بعثنا في
كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيئته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان الالجاء ليس من وظائف الرسالة
ولا من باب المشيئة المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من الافعال الاختيارية لهم اى بعثنا في كل امة من الامم
الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز ان تكون ان مفسرة لما في البعث من معنى القول وان تكون
مصدرية اى بعثنا بان اعبدوا الله وحده واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعو الى الضلالة
فمنهم اى من تلك الامم والفاء فصيحة اى فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت
فتفرقوا فمنهم من هدى الله الى الحق الذى هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئى
الى تحصيله ومنهم من حقت عليه الضلالة اى وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم
صرف قدرته الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت فهو
يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه لا بطريق القسر
والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيئته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده فسيروا يا معشر قريش في
الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن سار سيرتهم ممن حقت عليه
الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار
بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب للايذان بانه غنى عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب
النظر على السير لما انه بعده وان ملاك الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من

من دونه من شئ ان تحرص خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح الراء وهى لغة على هداهم اى ان تطلب
هدايتهم بجهدك فان الله لا يهدى من يضل اى فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية جبرا وقسرا فيمن يخلق
فيه الضلالة لسوء اختياره والمراد بهم قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على انهم ممن
حقت عليهم الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف اى ان تحرص
على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدى من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدى على
بناء المفعول اى لا يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ يهدى بفتح الهاء وادغام تاء يهتدى
في الدال ويجوز ان يكون يهدى بمعنى يهتدى وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادى لمن يضل ولمن
اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار
الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضى انقسام الآحاد الى الآحاد لا لان المراد نفى طائفة من
الناصرين من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم
مصدر في موقع الحال اى جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله عليهم ابلغ رد بقوله
الحق بلى اى بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله سبحانه او لمحذوف
اى وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اى وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث
مقتضى الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اى حق حقا ولكن اكثر الناس لجهلهم بشئون
الله عز شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم
على سر التكوين والغاية المقصودة منه وعلى ان البعث مما يقتضيه الحكمة التى جرت عادته
تعالى بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد عليه حق فيكذبونه قائلين لقد
وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ليبين لهم غاية لما دل عليه بلى من البعث والضمير
لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح
الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اى يبعثهم ليبين لهم بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال
كما هى ومعاينتها بصورها الحقيقية الشأن الذى يختلفون فيه من الحق للتنظيم الجميع ما خالفوه مما جاء به
الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه بالاشراك وانكار البعث
وتكذيب وعده الحق انهم كانوا كاذبين في كل ما يقولون لا سيما في قولهم لا يبعث الله من يموت والتعبير عن
الحق بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر في حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه وجعلهما
غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده في معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين المستدعى
للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان تحقيق البعث اذا كان
لتبيين انه حق وليعلموا انهم كانوا كاذبين في انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره وادعى الى الاعتراف به
ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك تصلى لاصلين رغما لانفك واظهارا
لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته
انما هو الجزاء الذى هو الغاية القصوى لخلق الخلق المغيا بمعرفته عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره
في مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بينى
بل حكى بصيغة العلم لان ذلك ليس مما يتعلق به التبيين الذى هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك
بان يخبر به فيختلف فيه كالبعث الذى نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين فليس من
هذا القبيل فانما يتعلق به علم ضرورى حاصل لهم من تلقاء انفسهم وقد مر تحقيقه في سورة التوبة عند قوله
حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل وليعلموا ان الكافرين الآية لان علم المؤمنين
بذلك حاصل قبل ذلك ايضا انما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق ابداء واعادة بعد
التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفيته فما كافة وقولنا مبتدأ وقوله تعالى لشئ اى اى شئ كان مما عز وهان
متعلق به على ان اللام للتبليغ كهى في قولك قلت له قم فقام وجعلها الزجاج سببية اى لاجل شئ وليس
بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك

إذا أردناه ظرف لقولنا أي وقت إرادتنا لوجوده أن نقول له كن خبر للمبتدأ فيكون إما عطف على نقول
يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام أي فنقول ذلك فيكون كقوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون
وإما جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا ذلك فهو يكون وليس هناك قول ولا مقول له ولا آمر ولا مأمور
حتى يقال إنه يلزم منه أحد المحالين إما خطاب المعدوم أو تحصيل الحاصل ويقال إنما يستدعي ذلك اختصاص
قوله تعالى في قوله تعالى كن وليس يلزم منه اختصاص أسباب التكوين به كما يفيده قوله تعالى إنما أمره إذا أراد
شيئا أن يقول له كن فيكون فإن المراد بالأمر هو الشأن الشامل للقول والفعل ومن ضرورة اختصاصه في كلمة
كن اختصاص أسبابه على الإطلاق فيه بل إنما هو تمثيل لسهولة تأتي المقدورات حسب تعلق مشيئته تعالى
بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم في ذلك من طاعة المأمور المطيع لأمر الآمر المطاع فالمعنى إنما إيجادنا
لشيء عند تعلق مشيئتنا به أن نوجده في أسرع ما يكون ولما عبر عنه بالأمر الذي هو قول مخصوص وجب
أن يعبر الإيجاد بالقول المطلق فتأمل وفي الآية الكريمة من الفخامة والجزالة ما تحار فيه العقول والألباب
وقرئ بنصب يكون عطفا على نقول أو تشبيها له بجواب الأمر والذين هاجروا في الله أي في شأن الله
ورضاه وفي حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا ولعلهم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله صلى الله عم
وأخرجوهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه
لنبوئنهم في الدنيا حسنة أي مباءة حسنة أو تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الأنسب لما
هو المشهور من كون السورة غير آيات من آخرها مكية وأما ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنها
نزلت في صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبر وأبي جندل بن سهيل رضي الله عنهم أخذهم المشركون
يعذبونهم بعد بوئهم ليردوهم عن الإسلام فأما صهيب فقال لهم أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت
عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال
عمر رضي الله عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فإنما يناسب ما حكي عن الأصم من كون كل السورة
مدنية وما نقل عن قتادة من كون هذه الآية إلى آخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول
الآية في أصحاب الهجرتين على أن يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين وأما جعل رسول الله صلى الله عم
من جملتهم فلا يساعده نظم التنزيل ولا شأنه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه إثواءة حسنة وهي الغلبة
على من ظلمهم من أهل مكة وعلى العرب قاطبة وأهل المشرق والمغرب كافة ولأجر الآخرة أي أجر أعمالهم
المذكورة في الآخرة أكبر مما يعجل لهم في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلا من المهاجرين
عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى في الدنيا وما ادخر في الآخرة أفضل
لو كانوا يعلمون الضمير للكفار أي لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم في الدين
وقيل للمهاجرين أي لو علموا ذلك لزادوا في الاجتهاد ولما تألموا لما أصابهم من المهاجرة وشدائدها
الذين صبروا على الشدائد من أذية الكفار ومفارقة الأهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب أو الرفع
على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين إليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين إليه الأمر
كله والجملة إما معطوفة على الصلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة
الاستقبال للدلالة على دوام التوكل أو حال من ضمير صبروا وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم
وقرئ بالياء مبنيا للمفعول وهو رد لقريش حين قالوا الله أجل من أن يكون له رسول من البشر كما هو مبني
قولهم لو شاء الله ما عبدنا الخ أي جرت السنة الإلهية حسبما اقتضته الحكمة بأن لا يبعث للدعوة العامة
إلا بشرا يوحي إليهم بواسطة الملك أوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصود من الخطاب لرسول
الله صلى الله عم تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب إليهم فقيل فاسألوا أهل الذكر أي أهل الكتاب
علماء الأحبار أو كل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك إن كنتم لا تعلمون حذف جوابه لدلالة ما قبله
عليه وفيه دلالة على أنه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا
إلى الملائكة أو إلى الرسل ولا امرأة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عم وهو في المهد لأنها أعم من الرسالة
والإشارة إلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر

يقتضيه وقع جوابا عن سؤال من قال بم أرسلوا فقيل أرسلوا بالبينات والزبر أو بما أرسلنا داخلا تحت الاستثناء مع
رجالا أي وما أرسلنا إلا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت إلا زيدا بالسوط أو على نية التقديم
قبل أداة الاستثناء أي وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالا عند من يجوز تأخير صلة ما قبل إلا
إلى ما بعده أو بما وقع صفة للمستثنى أي إلا رجالا ملتبسين بالبينات أو بنوحي على المفعولية أو الحالية من القائم
مقام فاعله أو بنوحي وهو إليهم على أن قوله تعالى فاسألوا اعتراض أو بقوله لا تعلمون على أن الشرط للتبكيت
كقول الأجير إن كنت عملت لك فأعطني حقي وأنزلنا إليك الذكر أي القرآن وإنما سمي به لأنه تذكرة
وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل فيه أهل مكة دخولا أوليا ما نزل إليهم في ذلك الذكر
من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم الموجبة لذلك على
وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ عنه صيغة التفعيل في الفعلين لا سيما بعد ورود الثاني أولا على صيغة
الإفعال ولما أن التبيين أعم من التصريح بالمقصود ومن الإرشاد إلى ما يدل عليه دخل تحت القياس على
الإطلاق سواء كان في الأحكام الشرعية أو في غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون إشارة إلى
ذلك أي إرادة أن يتأملوا فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدي إلى مثل ما أصاب
الأولين من العذاب أفأمن الذين مكروا السيئات هم أهل مكة الذين مكروا برسول الله صلى الله عم
وراموا صد أصحابه عن الإيمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الأنبياء كما قيل ولا من
يعم الفريقين لما أن المراد تحذير هؤلاء عن إصابة مثل ما أصاب أولئك من فنون العذاب المعدودة
والسيئات نعت لمصدر محذوف أي مكروا المكرات السيئات التي قصت عنهم أو مفعول به للفعل المذكور
على تضمينه معنى العمل أي عملوا السيئات وقوله تعالى أن يخسف الله بهم الأرض مفعول لأمن أو السيئات
صفة لما هو المفعول أي فأمن الماكرون العقوبات السيئة وقوله تعالى أن يخسف الخ بدل منه
وعلى كل حال فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم أي أنزلنا إليك الذكر لتبين لهم مضمونه
الذي من جملته أنباء الأمم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا في ذلك ألم يتفكر الذين مكروا
السيئات أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون على توجيه الإنكار إلى المعطوف على أن الأمن بعد
التفكر مما لا يكاد يفعله أحد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه الصلة أي أمكروا فأمن الذين مكروا
الخ أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بإتيانه أي في حالة غفلتهم أو من مأمنهم أو من حيث يرجون إتيان
ما يشتهون كما حكي فيما سلف مما نزل بالماكرين أو يأخذهم في تقلبهم أي في حالة تقلبهم في مسايرهم
ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين أو فائتين بالهرب والفرار على ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء إما
لتعليل الأخذ أو لترتيب عدم الإعجاز عليه دلالة على شدته وفظاعته حسبما قال عم إن الله يمهل
الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وإيراد الجملة الاسمية للدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام أو يأخذهم
على تخوف أي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بأن يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب
وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف مظنة للهرب عبر عن إصابة العذاب فيهما بالأخذ
وعن إصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون بالإتيان وقيل التخوف التنقص قال قائلهم

تخوف الرحل منها تامكا قردا ۝ كما تخوف عود النبعة السفن ۝

أي يأخذهم على أن ينقصهم شيئا بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر الأحوال الثلاث
بيان قدرة الله تعالى على إهلاكهم بأي وجه كان لا الحصر فيها فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها أولم يروا استفهام إنكاري وقرئ على صيغة الخطاب والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام أي ألم ينظروا ولم يروا متوجهين إلى ما خلق الله من شيء أي من كل شيء يتفيأ ظلاله
أي يرجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه الخالق فإن التفيؤ مطاوع الإفاءة وقرئ بالتاء عن اليمين
والشمائل أي ألم يروا الأشياء التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها
استعيرا لهما من يمين الإنسان وشماله سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال
والمراد بسجودها تصرفها على مشيئة الله تعالى سبحانه وتأتيها لإرادته تعالى في الامتداد والتقلص

وغيرهما مستقرة عليه فيما سخرها له وقوله تعالى وهم داخرون اى صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فان كل يوم من ايام السنة تتحرك على مدار معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والابنية والاشجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها او اختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك بحركته وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي منها وبعدما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال اولا فقيل ولله يسجد اى له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الارض كائنا ما كان من دابة بيان لما في الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجمع لافادة وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال مثله والملائكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيما واجلالا او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملائكة السموات وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم وهم اى الملائكة مع علو شانهم لا يستكبرون عن عبادته عز وجل والسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من ضمير الفاعل في يسجد مسند الى الملائكة او استئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اى مالك امرهم وفيه تربية لمهابته واشعار بعلة الحكم من فوقهم اى يخافونه عز وجل خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اى يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول جريا على سنن الجلالة وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة اسناده الى غيره سبحانه وفيه ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعدما بين ان جميع الموجودات يخصه الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملائكة بحيث لا يتصور منهم عدم الانقياد اصلا لله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله عطف على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيص لفظة الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك بل لان المنهي عنه مطلق اتخاذ الهين بحيث لا يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اى قال لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هو الاثنينية وانها منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما هو اله واحد للدلالة على المقصود اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية واما الالهية فامر مسلم الثبوت له سبحانه واليه اشير حيث اسند اليه القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على راى من اكتفى في تحقق الالتفات بكون الاسلوب الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فاياي فارهبون التفات من الغيبة الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اى ان كنتم راهبين شيئا فاياي ارهبوا لا غير فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات

والارض وله ما في السموات والارض خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله وله الدين اى الطاعة والانقياد واصبا اى واجبا ثابتا لا زوال له لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل واصبا من الوصب اى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يستدعيه السياق اى اعقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود له تعالى وكون ذلك كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله الذي شانه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اى اى شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اية نعمة كانت فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مساسا يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى • يراوح من صلوات المليك طورا • سجودا وطورا جؤارا • وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن الحدوث مع ثم الدالة على وقوعه بعد برهة من الدهر وتحلية الضر بلام الجنس المفيدة لمساس ادنى ما ينطلق عليه اسم الجنس مع ايراد النعمة بالجملة الاسمية الدالة على الدوام والتعبير عن ملابستها للمخاطبين بباء المصاحبة وايراد ما المعربة عن العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجأة الاشراك المدلول عليها بقوله سبحانه اذا فريق منكم بربهم يشركون كما ان ترتبها على ذلك في ابعد غاية من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد [illegible] والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون الكفران والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للتعقيب فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد [illegible] ويجعلون عطف على ما سبق بحسب المعنى [illegible] كشفه ويجعلون لما لا يعلمون [illegible] نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما تقربا اليها تالله لتسألن سؤال توبيخ وتقريع عما كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان يتقرب اليها وفي تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب [illegible] من كمال الغضب [illegible] ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراتهم على التفوه بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين [illegible] والظرف المقدم خبر والجملة

جانبه سبحانه اعتراض في حاق تنزيهه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اى يجعلون لانفسهم ما يشتهون
من البنين يؤدي الى جعل الجعل بمعنى الزعم والاختيار واذا بشر احدهم بالانثى اى اخبر بولادتها
ظل وجهه اى صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية
عن الاغتمام والتشويش وهو كظيم مملوء حنقا وغيظا يتوارى يستخفي من القوم من سوء ما بشر به
من اجل سوئه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه اى مترددا في امره محدثا نفسه في شأنه
ايمسكه على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه يخفيه في التراب بالوأد والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ
بالتأنيث الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شأنه عندهم من الهوان والحقه لله المتعالي
عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون لانفسهم البنين فمدار الخطأ جعلهم
ذلك لله سبحانه مع اباءهم اياه لا جعلهم البنين لانفسهم ولا عدم جعلهم له سبحانه ويجوز ان
يكون مداره التعكيس كقوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالآخرة ممن
ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذي هو كالمثل في القبح وهي الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم
عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادي كل
ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم
بتلك القبائح هو الكفر بالآخرة ولله سبحانه وتعالى المثل الاعلى اى الصفة العجيبة الشأن التي هي
مثل في العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الواسع والنزاهة عن صفات
المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوا علوا كبيرا وهو العزيز المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم
بذنوبهم الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة
تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما عدد من قبائحهم
وهذا تصريح بما افاده قوله تعالى وهو العزيز الحكيم وايذان بان ما اتوه من القبائح قد تناهى الى
امد لا غاية وراءه ما ترك عليها على الارض المدلول عليها بالناس وبقوله تعالى من دابة اى ما
ترك عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالمرة بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه
فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد الجعل
يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء لم يكن الابناء فيلزم ان لا
يكون في الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا او
يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستأخرون عن ذلك الاجل اى لا يتأخرون وصيغة الاستفعال
للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهي مثل في قلة المدة ولا يستقدمون اى لا يتقدمون
وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الاجل مبالغة في بيان عدم الاستئخار
بنظمه في سلك ما يمتنع كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة له رأسا
قد نظم في سمط من لم تقبل توبته للايذان بانهما سيان في ذلك وقد مر في تفسير سورة يونس
ويجعلون لله اى يثبتون له سبحانه وينسبون اليه في زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر وهو
تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اى يجعلون له تعالى
ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله كقوله
تعالى ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه صفة الالسنة
لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اى حقا ان لهم مكان ما املوا من الحسنى النار التي
ليست وراء عذابها عذاب وهي علم في السوأى وانهم مفرطون اى مقدمون اليها من افرطته اى قدمته
في طلب الماء وقيل منسيون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته وقرئ بالتشديد وفتح الراء من

من فرطته في طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط في الطاعات وبكسر المخففة من الافراط في المعاصي
فلا يكونان من احوالهم الاخروية كما عطف عليه تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يناله من جهالات الكفرة ووعيد لهم على ذلك اى ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم
الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اى
قرينهم وبئس القرين اليوم اى يوم زين لهم الشيطان اعمالهم عبر عنه باليوم على طريقة حكاية الحال الماضية
او في الدنيا او يوم القيامة على طريقة حكاية الحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار والولي
بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة في نفي الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير
عائدا الى مشركي قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم وان يكون على
حذف المضاف اى ولي امثالهم ولهم في الآخرة عذاب اليم هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب
اى القرآن الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اى ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين
لهم اى للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحكام الافعال واحوال المعاد وهدى
ورحمة معطوفان على محل لتبين اى وللهداية والرحمة لقوم يؤمنون وانما انتصبا لكونهما اثرى فاعل
الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه في الوجود
وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين لانهم المغتنمون آثارهما والله انزل من السماء من السحاب
او من جانب السماء حسبما مر وهكذا التقدير لما سبق تأكيد لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد
ماء نوعا خاصا من الماء هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر
فاحيى به الارض بما انبت به فيها من انواع النباتات بعد موتها اى بعد يبسها وما يفهم من الفاء
من التعقيب العادي لا ينافيه ما بين المعطوفين من المهلة ان في ذلك اى في انزال الماء من السماء واحياء
الارض الميتة به لآية واية آية دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا
التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم في الانعام لعبرة عظيمة
واى عبرة يحار في دركها العقول ويتيه في فهمها الباب الفحول نسقيكم استينافا قيل بيانا لها كانه
اولا من العبرة مما في بطونه اى بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم
جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق كان تأنيثه في سورة
المؤمنين لرعاية جانب المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لجميعها اولانه على
المعنى فان المراد به الجنس وقرئ بفتح النون ههنا وفي سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا
الفرث فضالة ما يبقى من العلف في الكرش المنهضمة بعد الانهضام وكثيف ما يبقى في المعاد عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه
لبنا واعلاه دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذو البدن
لان عدم تكونهما في الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى
ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك
المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع
الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان كان الحيوان
انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا لاجل
الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض
فيطيب طعمه فيصير لبنا ومن تدبر في بدائع صنع الله تعالى فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها
ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف
بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهي رأفته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض
ما في بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث حسبما
فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم مبدأ الاسقاء وهي

ومن متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا من ان تقديم ما حقه التأخير يبعث النفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده عليها لاسيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذي نحن فيه فان بين وصفي المقدم والمؤخر تنافيا وتنائيا بحيث لا يتراءى ناراهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف الى المؤخر كما في قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وحال من لبنا لتقدمه عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة ما في الدم والفرث من الاوصاف من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغي احدهما عليه مع كونهما مكتنفين له سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما بعده عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المنتظم الاعطاء المطعوم والمشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اي ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استيناف لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون ومنه وتكرير الظرف للتأكيد او خبر لمبتدأ محذوف صفته تتخذون اي من ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وحذف الموصوف اذا كان في الكلام كلمة من شايع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعني العصير او لان المراد هو الجنس والسكر مصدر سمي به الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعم ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والآية ان كانت سابقة النزول على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان في ذلك لآية باهرة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل واوحى ربك الى النحل اي الهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذي اي بان اتخذي على ان ان مصدرية ويجوز ان تكون مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى او لانه جمع نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اي اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء ومن الشجر ومما يعرشون اي يعرشه الناس اي يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذي لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذي ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها حلوها ومرها فاسلكي ما اكلت منها سبل ربك اي مسالكه التي برأها بحيث يحيل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اي اسلكي منقادة لما امرت به يخرج من بطونها استيناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من تعاجيب صنع الله تعالى التي هي موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت شراب اي عسل لانه مشروب واحتج به وبقوله تعالى كلي من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل في بطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار والاوراق وتضعها في بيوتها فاذا اجتمع فيها شيء كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واسود واصفر واحمر حسب اختلاف سن النحل والفصل او الذي اخذت منه العسل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال عم اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن ولما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء لكل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقرآن ان في ذلك الذي ذكر من اعاجيب آثار قدرة الله تعالى لآية عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصنعة وصحة

وصحة القسمة التي لا يقدر عليها حذاق المهندسين الا بآلات رقيقة وادوات انيقة وانظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا حكيما يلهمها ذلك ويحملها عليه جل جلاله والله خلقكم لما ذكر سبحانه من عجائب احوال ما ذكر من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجائب احوال البشر من اول عمره الى آخره وتطوراته فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر في اربع الاولى سن النشو والنماء والثانية سن الوقوف وهي سن الشباب والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهي سن الشيخوخة ثم يتوفاكم حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على حكم بالغة بآجال مختلفة اطفالا وشبانا وشيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه اي يعاد الى ارذل العمر اخسه واحقره وهو خمس وسبعون سنة على ما روي عن علي رضي الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة وقيل خمس وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع في الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق ولا عمر اسوأ حالا من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم بعد علم كثير شيئا من العلم او من المعلومات او لكيلا يعلم شيئا بعد علم ذلك الشيء وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم بمقادير اعماركم قدير على كل شيء يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت الآجال ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبايع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق اي جعلكم متفاوتين فيه فاعطاكم منه افضل مما اعطى مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادي رزقهم الذي رزقهم اياه على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية فهم اي الملاك والمماليك فيه اي في الرزق سواء اي لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم في التصرف ويشاركونهم في التدبير والفاء للدلالة على ترتب التساوي على الرد اي لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوي وانما يردون عليهم منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم في البشرية والمخلوقية لله عز سلطانه في شيء لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذي هم اسوة لهم في استحقاقه فما بالهم يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته بعض مخلوقاته الذي هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريعا عليهم كقوله تعالى هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الآية افبنعمة الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضي ان يضيفوا نعم الله سبحانه الفائضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من الله تعالى او من حيث انكروا امثال هذه الحجج البالغة بعد ما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل اي يشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب اذ ليس الموالي برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم بل انا الذي رزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما هو رزقي اجريه على ايديهم فهم جميعا في ذلك سواء لا مزية لهم على مماليكهم الا انهم يمنون ذلك فيجحدون نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين او على فعلهم المؤذن بذلك اوما المفضلون برادي بعض فضلهم على مماليكهم فيتساووا في ذلك فيجيئا مراد التفضيل ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون لا يجربون ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردوا عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم على عدم الرد يحكى عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالح الحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم عم وجعل لكم من ازواجكم وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان نتيجة الازدواج هو التوالد وحفدة جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد اي جعل لكم خدما يسرعون في خدمتكم

نبه

ن

وطاعتكم وقيل المراد بهم اولاد الاولاد وقيل البنات عبّر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن في
البيوت اتم خدمة وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل
الاختان على البنات وتاخير المنصوب في الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام
على المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اى جعل
لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبتهم لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات
من اللذايذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق في الدنيا انموذج لما في الآخرة أفبالباطل يؤمنون
وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحاير ونحوها حرام والفاء في المعنى داخلة على الفعل وهي للعطف
على مقدر اى يكفرون بالله الذى شانه هذا فيؤمنون بالباطل او أبعد تحقيق ما ذكر من نعم الله تعالى
بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وبنعمت الله تعالى الفايضة عليهم مما ذكر ومما لا يحيط به دايرة البيان
هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام او لايهام الاختصاص
مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب حالهم للاعراض عنهم وصرف
الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون الله الاصنام عطف على
يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخي اى أيكفرون بنعمة الله ويعبدون من دونه ما لا يملك لهم رزقا
من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب على المفعولية اى ما لا يقدر على ان يرزقهم
شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وان جعل اسما للمرزوق فنصبه على البدلية منه بمعنى
قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اى كاينا منهما ويجوز كونه تاكيدا للايملك اى لا يملك رزقا
ما شيئا من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه اذ لا استطاعة لهم راسا لانها اموات لا حراك بها والضمير للآلهة
ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف
بالجماد الذى لا حس به فلا تضربوا لله الامثال التفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشان النهى
اى لا تشركوا به شيئا والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهى عن الاشراك به تعالى في شان من
الشؤون فان ضرب المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اى لا تشبهوا شانه تعالى بشان من الشؤون
واللام مثلها في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت
فرعون لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظايره والفاء للدلالة على ترتب النهى
على ما عدد من النعم الفايضة عليهم من جهته سبحانه وكون ما يشركون به سبحانه بمعزل عن ان يملك
لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق
ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهى المذكور ووعيد على المنهى عنه اى انه تعالى
يعلم كنه ما تاتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون ذلك والا لما فعلتموه
او انه تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم وقفوا مواقف الامتثال بما ورد عليكم من
الامر والنهى ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون
ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوى الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال في هذا
الباب فقال ضرب الله مثلا اى ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل
وبين ما اشركوا به وعلى تباعد ما بينهما بحيث ينادى بفساد ما ارتكبوه ندآء جليا عبدا مملوكا لا يقدر
على شيء بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام
وبحسبها ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبدا لله سبحانه
وقد ادمج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والماذون اللذين لهما تصرف في
الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر مما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة
معطوفة على عبدا اى رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب المثل
والرزق منا من جانبنا الكبير المتعالى رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا فهو
ينفق منه تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا

رزقا حسنا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات
الانفاق واستمراره التجددى سرا وجهرا اى حال السر والجهر او انفاق سر وانفاق جهر والمراد
بيان عمومه انفاقه للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم
الله تعالى الباطنة والظاهرة وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق
القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع كونه ادل على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي
تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه وتعالى وان ما هيتهم لما يملكونه
ليست الا بان رزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك مع محاولة المبالغة في
الدلالة على تضاد المثلين وتباين الحال فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون
جمع الضمير للايذان بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان
معينان منهما اى هل يستوى العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان
في البشرية والمخلوقية لله سبحانه وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم دخل في ايجاده ولا في تملكه
بل هو مما اعطاه الله تعالى اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث
تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام الحمد لله اى كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد
غيره وان ظهرت على ايدى بعض الوسايط فضلا عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق
من ان ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع اليه سبحانه كما لوح به قوله تعالى رزقناه
بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى غيره ويعبدونه لاجلها ونفي العلم عن
اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمت
الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا اى مثلا آخر يدل على ما دل عليه المثل
السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لتنتظر النفس الى وروده وتترقبه حتى يتمكن
لديها عند وروده فضل تمكن فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر على شيء من الاشياء
المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل ثقل وعيال على مولاه
على من يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه بعد ذكر عدم قدرته على
شيء مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اى حيث يرسله مولاه في امر وهو على البناء للمفعول او على صيغة الماضي من التوجه
بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة لا يات بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوى هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر
بالعدل اى من هو منطيق فهم ذو رأى وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل
وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابلة الصفات
المذكورة بهذين الوصفين لما انهما كمال ما يقابلها وملخص هذا من استحقاق كمال الامر المستتبع لحيازة الحق
باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل والآخر يأمر بالعدل الخ لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما
هو المقصود من بيان التباين بين القرينين واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية
الضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان يقال ان الله تعالى ضرب مثلا لحال
الفريقين على ما هما عليه فكان خلقهما هكذا ...
بينه سبحانه وبين ما يشركون به في كون كل من الفعلين حكاية للضرب الماضي ولله تعالى خاصة
لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اى الامور الغائبة عن علوم المخلوقين
قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة اليهما التعلق بهما اما باعتبار
الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان الاختصاص به تعالى من حيث
المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وان كان الامر كذلك
في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضورى فان تحقق الغيوب في انفسها علم بالنسبة اليه
تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض وما امر الساعة التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة

من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما او ظهور آثارها فيهما عند وقوعها فان وقت وقوعه
بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان آتيها من الغيوب التي نصبت عليها الادلة اي ما
شانها في سرعة المجيء الا كلمح البصر اي كرجع الطرف من اعلا الحدقة الى اسفلها او هو اي بل امرها
فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زمانا بان يقع في بعض من زمانه فان ذلك وان قصر حركة
آنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى ابعاض هي
ازمنة ايضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او لما امرها الا
كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها
حسبما عبر عنها في فاتحة السورة الكريمة بالاتيان ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشياء
ان يجيء بها اسرع ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها
من الغيوب الخاصة به سبحانه وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل
صور الاكوان اجمعين وقد انكرها المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة
من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ذلك لا محالة وقيل غيب السموات والارض عبارة
عن يوم القيامة بعينه لما ان علمه مخصوص به غائب عن اهلهما وفي وضع الساعة موضع الضمير تقوية لمضمون
الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا
منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله خلقكم
وقوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام زيدت الهاء
فيه كما زيدت في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون
شيئا في موقع الحال اي غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف
على اخرجكم وليس فيه دلالة على تاخر الجعل المذكور من الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا
لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها
العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من
المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل
العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو
من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والتقديم المجرور على المنصوبات لما مر من الايذان من اول
الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم
تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه وتقديم السمع على البصر لما انه طريق
تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم يروا
وقرئ بالتاء الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة
والاسباب المساعدة له وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء منقادا لآخر يتصرف فيه كيف
يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للانسان والواقع هاهنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيفما تشاء
فكان تقتضي طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى
طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى في جو السماء اي في الهواء المتباعد من الارض والسكاك واللوح
ابعد منه واضافته الى السماء لما انه في جانبها من الناظر ولاظهار كمال القدرة ما يمسكهن في الجو
حين قبض اجنحتهن وبسطها ووقوفهن الا الله عز وجل بقدرته الواسعة فان ثقل جسدها ورقة
قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهو حال من الضمير
المستتر في مسخرات او من الطير او استئناف ان في ذلك الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بان خلقها
خلقة تتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من الخفة بحيث اذا
بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها خرق ما تحتها من الهواء الرقيق القوام وتخرق ما بين
يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير لآيات ظاهرة لقوم يؤمنون اي من شانهم ان يؤمنوا

يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم المنتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على ما سيأتي
من المجرور والمنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم لتشويق النفس الى وروده وقوله
تعالى من بيوتكم اي من بيوتكم المعهودة التي تبنونها من الحجر والمدر تبيين لذلك المجعول المبهم
في الجملة وتاكيد لما سبق من التشويق سكنا فعل بمعنى مفعول اي موضعا تسكنون فيه وقت ٥
اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان تنتقل من مكانه الى جعل من بيوتكم بحيث تسكنون اليه وتطمئنون
به وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اي بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هي الخيام والقباب
والاخبية والفساطيط تستخفونها تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم وقت ترحالكم
في النقض والحمل والنقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم في الضرب والبناء ومن
اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلود والضمائر للانعام على وجه التنويع يع
اي وجعل من اصواف الضأن واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اي متاع البيت واصله الكثرة والاجتماع
ومنه شعر اثيث ومتاعا اي شيئا يتمتع به بفنون التمتع الى حين الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان
يبلى ويفنى فانه في معرض البلاء والفناء وقيل الى ان تموتوا والكلام في ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل
والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا اشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل
وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع
تسكنون فيها من الكهوف والغيران والسروب والكلام في الترتيب الواقع بين المفاعيل كالذي مر غير
مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اي جعل لكم ثيابا من القطن والكتان والصوف
وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الآخر او لان وقايته هي
الاهم عندهم لما مر آنفا وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم باسكم اي البأس الذي يصل الى
بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حيث ذكر جميع نعمه الفائضة
على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص المسافرين
ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الخ ثم بما يعم من لا يقدر على
ذلك ولا يؤويه الا الظلال حيث قال والله جعل لكم مما خلق ظلالا الخ ثم بما لا بد منه لاحد حيث
قال وجعل لكم سرابيل الخ ثم بما لا غنى عنه في الحروب حيث قال وسرابيل تقيكم باسكم ثم قال
كذلك اي مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي ارادة ان تنظروا
فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعمها فتؤمنوا
به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد بها المصدر او
لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء شيء قليل وقرئ تسلمون اي تسلمون من العذاب او من
الشرك وقيل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب
عنهم الى رسول الله صلى الله عم تسلية له اي فان اعرضوا عن الاسلام ولم يقبلوا منك ما القي
اليهم من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اي فلا قصور من جهتك لان وظيفتك
هي البلاغ الموضح او الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب
يعرفون نعمة الله استئناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بما عدد
من نعم الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم
حيث يعبدون غير منعمها او بقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة
محمد صلى الله عم عرفوها بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم الاستبعاد
الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع ع
عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان
قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا كذلك لقوله سبحانه واكثرهم الكافرون
اي المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر المؤذن بالكمال من حيث

الكيفية لا ثباتها في كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقد قيل ذكر الاكثر اما لان بعضهم لم
يعرفوا لنقصان العقل والتفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر ويوم
نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن
للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط
الكلي وهو عندما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام عليهم والختم
ولا هم يستعتبون يسترضون اي لا يقال لهم ارضوا ربكم اذ الآخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصابه بالظرف بمحذوف
تقديره اذكر او خوفهم يوم نبعث الخ او يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما لا يوصف وكذا في قوله تعالى واذا رأى
الذين ظلموا العذاب اي ليتوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون
اي يمهلون كقوله تعالى بل تأتيهم بغتة فتبهتهم واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم الذين كانوا
يدعونهم في الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه وقارنوهم في الغي
والضلال قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اي نعبدهم او نطيعهم ولعلهم
قالوا ذلك طمعا في توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه فالقوا اي شركاؤهم اليهم القول انكم
لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد
كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لانهم كانوا راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة
بل كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا نحن او كذبوهم في تسميتهم شركاء
والهة تنزيها لله سبحانه من الشريك والشياطين وان كانوا راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين
لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فكأنهم
قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا اي الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام
والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار عنه في الدنيا وضل عنهم اي ضاع وبطل ما كانوا يفترون
من ان لله سبحانه شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا في
انفسهم وصدوا غيرهم عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذي
كانوا يستحقونه بكفرهم قيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد
صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار بما
كانوا يفسدون متعلق بقوله تعالى زدناهم اي زدناهم عذابا بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد
المذكور ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد في كل امة شهيدا عليهم اي نبيا من انفسهم من
جنسهم قطعا لمعذرتهم وفي قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم وجئنا
بك ايثار لفظ المجيء على البعث لكمال العناية بشأنه عليه الصلاة والسلام وصيغة الماضي للدلالة على
تحقق الوقوع شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل في الظرف محذوف كما مر والمراد به يوم القيمة ونزلنا
عليك الكتاب الكامل في الكتابية الحقيق بان يخص باسم الجنس وهو اما استيناف او حال بتقدير قد
تبيانا بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم فيكون
كالدليل على كونه عم شهيدا عليهم وكذا من جملة ما اخبر به هذه الكريمة من بعث الشهداء وبعثه
عم شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء في كسر اوله وكونه تبيانا لكل شيء من
امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة حيث امر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم
وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم
لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا
طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء
في كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية كما قيل في قوله تعالى وما انا بظلام
للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار

انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب و
بشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم المنتفعون بذلك ان الله يأمر اي فيما نزله
تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبال فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار
بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة
القوة العقلية الملكية من الحكمة المتوسطة بين الجربزة والبلادة وفضيلة القوة الشهوية البهيمية
من العفة المتوسطة بين الخلاعة والجمود وفضيلة القوة الغضبية السبعية من الشجاعة المتوسطة
بين التهور والجبن فمن الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد
باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير
والاحسان اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب
الكيفية كما يشير اليه قوله عم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى
اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه وينهى عن الفحشاء الافراط
في متابعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا من الافراط في اظهار آثار القوة
الغضبية والبغي الاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم وهو من آثار القوة الوهمية الشيطانية
التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية والغضبية وليس في البشر شر الا وهو مندرج
في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية
في القرآن للخير والشر ولو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى
يعظكم بما يأمر وينهى وهو اما استيناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلب
لان تتعظوا بذلك واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه
لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم
الله عليه وبايعتم به رسوله عم ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند المعاهدة بعد توكيدها
حسبما هو المعهود في اثناء العهود ... وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل مراع لحال المكفول به محافظ عليه ان الله يعلم ما تفعلون من نقض
الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها اي
غزلها بعد ابرامه المغزول من بعد قوة متعلق بنقضت اي كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه
واحكامه انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول
ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة
وهي ريطة بنت سعد كانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا
او الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي لا تكونوا متشابهين بامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة بان تكون جماعة هي اربى اي ازيد
عددا واوفر مالا من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيكم وقوتهم
كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما
يبلوكم الله به اي بان تكون امة اربى من امة اي يعاملكم معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم
بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء
الله مشيئة قسر والجاء لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما
لقضية الحكمة يضل من يشاء اضلاله لما له يخلق به الضلال حسبما يعرف اختياره الجزئي اليه ويهدي من
يشاء هدايته حسبما يعرف اختياره الى تحصيلها ولتسئلن جميعا يوم القيمة عما كنتم تعملون في الدنيا

وهذا اشارة الى ما نوح به من الكسب الذى عليه يدور امر الهداية والضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا
بينكم تصريح بالنهى عنه بعدما تضمن تاكيدا ومبالغة فى بيان قبح المنهى عنه وتمهيدا لقوله سبحانه
فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها للايذان بان
زلل قدم واحدة اى قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف باقدام الكثيرة وتذوقوا السوء
اى العذاب الدنيوى بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم عن سبيل الله الذى ينتظم الوفاء بالعهود
والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم فى الاخرة عذاب عظيم ولا تشتروا
بعهد الله اى لا تاخذوا بمقابلة عهده وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم او اياته الناطقة بايجاب
المحافظة على العهود والايمان ثمنا قليلا اى لا تستبدلوا بها عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون
ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا ان ما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم
والثواب الاخروى هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون اى ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو
تعليل للنهى على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم تعليل للخيرية بطريق الاستيناف اى ما
تتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها جميعا ينفد وان جم عدده وينقض وان
طال امده وما عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية باق لا نفاد له اما الاخروية فظاهرة
واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية ومستتبعة لها فقد انتظمت فى سمط الباقيات
الصالحات وفى ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى
ولنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد من قوله تعالى ان ما عند الله
هو خير لكم على نهج التوكيد القسمى مبالغة فى الحمل على الثبات فى الدين والالتفات عما يقتضيه ظاهر
الحال من ان يقال وليجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم والاشعار بعليتها
للجزاء اى والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التى من جملتها الوفاء بالعهود
والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اى لنعطينهم اجرهم الخاص بهم بمقابلة
صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اى لنجزينهم بما كانوا يعملونه من
الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما فى قوله سبحانه وحسن ثواب الاخرة
لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله
اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة
ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطى الاجر بحسب افرادها المتفاوتة فى مراتب
الحسن بان نجزى الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار
ما عسى يعتريهم فى تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه فى سلك الصبر الجميل او لنجزينهم بجزاء احسن من
اعمالهم واما التفسير بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما ترجح تركه ايضا كالمحرمات
والمكروهات على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوى فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده مقام الحث
على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب فى تحصيل ثمراتها بل التعرض
لاخراج بعض اعمالهم من مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة فى مقام توسيع حماها من عمل صالحا
اى عملا صالحا اى عمل كان وهذا شروع فى تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترغيب طائفة
منهم فى الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم
وبعملهم المذكور وقوله تعالى من ذكر او انثى مبالغة فى بيان شموله وهو مؤمن قيد به اذ لا اعتداد
باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب او تخفيف العذاب كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه فى سلك الصلة لافادة وجوب دوامه
ومقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حيوة طيبة فى الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر واما
ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بملاحظة
نعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا

بتهنا بعيشه ولنجزينهم فى الاخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما نفعل بالصابرين فليس
فيه شائبة تكرار والجمع فى الضماير العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف
لرعاية جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع المناسب للجمعية
ووقوع ما فى حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الانفراد والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر ٤
الى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل الصالح
ويخلص عن شوب الفساد فقيل فاذا قرات القران اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها على طريقة
اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هى الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ بالله فاسال الله عز
جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القراءة فان له همة
بذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته الاية
وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة القران من بين الاعمال الصالحة
بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره عليه السلام وفى سائر الاعمال الصالحة اهم فانه عليه السلام حيث
امر بها عند قراءة القران الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فما ظنكم بمن عداه عليه السلام
فيما عدا القراءة من الاعمال والامر للندب وهذا هو مذهب الجمهور وعند عطاء للوجوب وقد اخذ
بظاهر النظم الكريم فاستعاذ عقيب القراءة ابو هريرة رضى الله عنه ومالك وابن سيرين وداود
وحمزة من القراء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم فقال عليه السلام قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل
عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشان او للشيطان ليس له سلطان تسلط وولاية
على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون اى اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون فى كل ما ياتون وما يذرون
فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضى فى الصلة الاولى للدلالة
على التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال فى الثانية لافادة الاستمرار التجددى وفى التعرض
لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه المنوى
اى يعذك او نحوه انما سلطانه اى تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاجابة لا سلطانه بالقسر والالجاء
فانه منتف عن الفريقين لقوله سبحانه حكاية عنه وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لى وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه اى يتخذونه وليا ويستجيبون دعوته
ويطيعونه فان المقهور بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون او بسبب الشيطان
مشركون اذ هو الذى حملهم على الاشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين
المتوكلين دليل على ان لا واسطة فى الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين تولى الشيطان وان كان
بينهما واسطة فى المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم فى سلك من يتولى الشيطان من حيث
لا يحتسب اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة فى الحمل على التوكل والتحذير عن مقابلته وايثار الجملة
الفعلية الاستقبالية فى الصلة الاولى لما مر من افادة الاستمرار التجددى كما ان اختيار الجملة
الاسمية فى الثانية للدلالة على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية
حالية مفيدة لعدم دخول غير مشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على
الثانية التى هى بمقابلة الصلة الاولى فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من
التوكل على الله تعالى ولو روعى الترتيب السابق لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها واذا
بدلنا اية مكان اية اى اذا انزلنا اية من القران مكان اية منه وجعلناها بدلا منها بان ننسخها
بها والله اعلم بما ينزل اولا واخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت حيثما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة فان كل وقت له مقتضى غير مقتضى الاخر فكم من مصلحة فى وقت تنقلب فى وقت اخر مفسدة وبالعكس
لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد فى المعاش والمعاد تدور حسبما
تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد رايهم وفى الالتفات الى الغيبة

مع اسناد الجزاء الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او جاء
وقرئ بالتخفيف من الانزال قالوا اي الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اي متقول على الله
تع تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك كفرة ناشئة
من نزغات الشيطان وانه وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان
في النسخ حكما بالغة واسناد هذا الحكم الى الاكثر لما ان فيهم من يعلم ذلك وانما ينكر عنادا قل نزله اي
القرآن المدلول عليه بالآية روح القدس يعني جبريل عم اي الروح المطهر من الادناس البشرية واضافة
الروح الى القدس وهو المطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف
كانه طبع منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين ح اشعار بان التدريج في الانزال مما يقتضيه
الحكمة البالغة من ربك في اضافة الرب الى ضميره عم من الدلالة على تحقيق افاضة آثار الربوبية عليه
ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المسند على التلقين المحض بالحق اي ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة
المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت الذين آمنوا على
الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح بالحال رسخت
عقائدهم واطمانت قلوبهم وقرئ ليثبت من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى
وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة
لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون عن ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اي القرآن
بشر على طريقة البت مع ظهور انه نزله روح القدس عم وتحلية الجملة بنون التاكيد لتحقيق ما
تتضمنه من الوعيد وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب استمرار التجدد في متعلقه
فانهم مستمرون على تفوه تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عم يمر عليهما ويسمع
ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي
وانما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في ظهور كذبهم للايذان بان مدار خطئهم ليس
بنسبته عم الى التعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع كونه عم معدنا لعلوم الاولين والآخرين
لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد الامالة من الحد القبر اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر
في شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه اي لغة
الرجل الذي يميلون اليه القول عن الاستقامة اعجمية غير بينة وقرئ بفتح الياء والحاء وبتعريف
اللسان وهذا القرآن الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان
لابطال طعنهم وتقريره ان القرآن معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف
يعلمه هذا النظم الذي اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في انشاء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات
الركيكة دليل على كمال عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله اي لا يصدقون انها من عند الله تعالى بل
يقولون فيها ما يقولون يسمونها تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى
سبيل النجاة هداية موصلة الى المطلوب لما علم انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الآخرة
عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد على ما هم عليه من الكفر بآيات الله تع ونسبته رسول الله صلى الله عم
الى الافتراء والتعلم من البشر بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين
لا يؤمنون بآيات الله رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق
انه منزل من عند الله تعالى بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الآية
لما لا يخفى من شدة اتصاله بالرد الاول والمعنى والله تعالى اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بآيات
الله ويقول انه افتراء ومعلم من البشر اي تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان
حقيقة الكذب والحكم بان ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما
ليس من كلامه تعالى كلامه تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية

لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يفتري الكذب
ويليق ذلك بمن لا يؤمن بآيات الله لانه لا يترقب عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها
ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر
من عدم الايمان بآيات الله هم الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب اذ لا كذب
اعظم من تكذيب آياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان الكذب
الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الامر بخلق الله تعالى او بوقوع ع
ما لم يقع كذلك مدافعة له سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم
عنه وازع من دين او مروءة وقيل الكاذبون في قولهم انما انت مفتر من كفر بالله اي تلفظ بكلمة
الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر بآيات الله تعالى بعد ما آمن بها بعد
بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر
الآتي عليه او هو خبر لهما معا او النصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف على نفسه او على
عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يعم بالقول
كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه ٥
لا نفس الاكراه لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر
الواقع به اي الا من كفر باكراه او الا من اكره فكفر والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم يتغير عقيدته وانما لم
يصرح به ايماء الى انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم
يبق كذلك بل شرح بالكفر صدرا اي اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه
من الله اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم
اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين لمراعات جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة
لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه
ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انما اسلمت من اجل الرجال فقتلوها
وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه ما اكرهوا عليه فقيل يا رسول
الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عم كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط
الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله عم يمسح عينيه
وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه الملجئ وان
كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما
ما تقول في محمد صلى الله عم قال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في
محمد صلى الله عم قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فاعاد ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله
صلى الله عم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان
او الى الوعيد المذكور بانهم استحبوا الحيوة الدنيا اي آثروها على الآخرة وان الله لا يهدي
الى الايمان والى ما يوجبه من الثبات عليه هداية قسر القوم الكافرين اي في علمه المحيط فلا يعصمهم
عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا احد الامرين اما ايثار الحيوة الدنيا على
الآخرة واما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بان آثروا الآخرة على الدنيا او بان
هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع
واليه اشير بقوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح ع
وسمعهم وابصارهم فابوا عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون اي الكاملون في
الغفلة اذ اغفلتهم الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا
اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا الى دار الاسلام وهم
عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوحيه ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور

خبر لان ويجوز ان يكون خبرها محذوفا لدلالة الخبر الآتي عليه ويجوز ان يكون ذلك خبرا لها ويكون
ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم هذه عن رتبة حالهم التي يفيدها
الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة لا عن رتبة حال الكفرة
من بعد ما فتنوا اى عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل
اى عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا في سبيل الله وصبروا
على مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به
بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له او من بعد الفتنة المذكورة فهو بيان لعدم اخلال ذلك
بالحكم لغفور لما فعلوا من قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعرض لعنوان
الربوبية في الموضعين ايماء الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم مع ظهور الاثر
في الطائفة المذكورة اظهار لكمال اللطف به عم واشعار بان افاضة آثار الربوبية عليهم من المغفرة
والرحمة بواسطته عم ولكونهم اتباعا له يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او بما رتب عليه او باذكر
وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها بالاعتذار
لا يهمها شان غيرها تقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اى تعطى وافيا كاملا ما عملت اى جزاء ما
عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار
الاظهار على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في
يوم واحد وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عذابهم على ذنوبهم
وضرب الله مثلا قرية قيل ضرب المثل صنعه واعتماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى
مفعول واحد وانما عدي الى الاثنين لتضمينه معنى الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول
المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التاخير عن الكل مخل بتجاوب اطراف النظم وتجاوبها
ولان تاخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم
ما يدعو اليه فان المثل مما يدعو الى المحافظة على تفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتاخر عند وروده
لديها فضل تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اى جعلها مثلا لاهل مكة خاصة
او لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل
فيهم اهل مكة دخولا اوليا كانت آمنة ذات امن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج ياتيها رزقها
اقوات اهلها صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها آمنة
مطمئنة ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت اى كفر اهلها بانعم الله اى بنعمه
جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس والمراد بها نعمة الرزق و
الامن المستمر وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك
بكفران نعم كثيرة فاذاقها الله اى اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شدائد الجوع والخوف واثرهما
المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة
عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة على نهج التجريد فانها لشيوع استعمالها
في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا ۞ غلقت لضحكته رقاب المال

فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان الاستعمال في المعروف المشبه بالماء الكثير
جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا او تشبيههما وقد شبههما
من حيث الاحاطة بهم والكراهية لديهم تارة باللباس الغاشي للابس المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم
تشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة تصريحية واخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشئ
من فقد الرزق بجامع الكراهية فاومي اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة لايصال المنبئة
عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراكي اللامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان

فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق لكونه انسب بالاذاقة
او لمراعاة المقارنة بينها وبين اتيان الرزق وقد قرئ بتقديم الخوف وبنصبه ايضا عطفا على المضاف
او اقامة له مقام مضاف محذوف واصله ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار
وهو الكفران المذكور واسند ذلك الى اهل القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة
عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة
ولقد جاءهم من تتمة التمثيل جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل
فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله تعالى على الخلق ايضا اى ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم
اى من جنسهم يعرفونه باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما ياتون
وما يذرون فكذبوه في رسالته او فيما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بانه
بمفاجاتهم بالتكذيب من غير تلعثم فاخذهم العذاب المستاصل لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك
وهم ظالمون اى حال التباسهم بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله
غير مقلعين عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم
في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جرى على سنة الله حسبما يرشد اليه قوله
سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه يتم التمثيل فان حال اهل مكة سواء ضرب المثل لهم خاصة
او لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة
فذة كيف لا وقد كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت
تجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم واي رسول تحار في ادراك سمو رتبته العقول
صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم
فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم بدعائه عم بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع
يوسف ما اصابهم من جدب شديد وازمة حصت كل شيء حتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب
الميتة والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر
ما اخذهم من العذاب هذا هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه
اكثر اهل التفسير من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعدما ذكر
مثلهم وان المراد بالرسول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة
بدر فبعيد من التحقيق كيف لا وقوله تعالى فكلوا مما رزقكم الله متفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم
عما يؤدي الى مثل عاقبته والمعنى واذ قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله وما حل
بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا واخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول كيلا
يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم في امره ونهيه
وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من تحريم البحاير ونحوها واشكروا
نعمت الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر بالشكر وانما ادخلت
على الامر بالاكل لكون الاكل ذريعة الى الشكر فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا
وقد ادمج فيه النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستاصل
متوقعا بعد [illegible]
[illegible]
لاستيصال احوالهم بالامر والنهي وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين يرده ما سلكوا من خطاب
[illegible] الكفار كما افصح عنه الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله [illegible]
مما لا يليق بشان التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون او تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون
بعبادة الالهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تفصيل لحال ما

نا أمرهم بالكلية عاد زجرهم اى انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب ونحوها
فمن اضطر بما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اى على مضطر آخر ولا عاد اى متجاوز
قدر الضرورة فان الله غفور رحيم اى لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه مقامه وفى التعرض لوصف الربوبية
ايماء الى علة الحكم وفى الاضافة الى ضميره عم اظهار لكمال اللطف به عم ولقد بين الحصر بانما المحرم
المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهى عن التحريم
والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم اللام صلة مثل ما فى قوله تعالى ولا تقولوا
لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى لا تقولوا فى شأن ما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا
عن استناده الى وحى يبنى عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا حرام بدل
منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اى لا تقولوا لما تصف ألسنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام
وان يكون القول المقدر حالا من ألسنتكم اى قائلة هذا حلال الخ ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف
ويتعلق هذا حلال الخ بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف
ألسنتكم الكذب اى لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف ألسنتكم الكذب وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها
له فى المسامع كأن ألسنتهم لكونها منشأ للكذب ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه
للناس ويعرفه أوضح وصف وأبين تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال
وعينه تصف السحر وقرئ بالجر صفة لما مع مدخولها كأنه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى
بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للألسنة
وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب وهو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره ابن جنى لتفتروا
على الله الكذب فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى
الله سبحانه من غير ان يكون ذلك منه واللام للعاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب فى امر من الامور
لا يفلحون لا يفوزون بمطالبهم التى ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اى منفعتهم
فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم فى الآخرة عذاب أليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين
هادوا خاصة دون غيرهم من الاولين والآخرين حرمنا ما قصصنا عليك اى بقوله تعالى حرمنا
كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الآية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما
سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم فى ذلك فانهم كانوا يقولون
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما
ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الآية ولقد القمهم الحجر بقوله تعالى كل الطعام كان
حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان
كنتم صادقين روى انه عم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها
ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا أوضح بيان وفيه تنبيه على
الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اى بسبب جهالة او ملتبسين
بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله تعالى
وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اى من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة
وأصلحوا اى اصلحوا اعمالهم او دخلوا فى الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء
رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتأكيد الوعد واظهار كمال العناية بانجازه
والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره مع ظهور الاثر فى التائبين للايماء الى ان افاضة
آثار الربوبية من المغفرة والرحمة عليهم بتوسطه عم وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان
ابرهيم كان امة على حياله لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد الا متفرقا فى امة جمة

جمة حسبما قيل ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب
التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات باهرة لا تبقى ولا تذر وابطل مذاهبهم الزائغة
بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه عم كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هى فعلة
بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امّه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون
بسيرته كقوله تعالى انى جاعلك للناس اماما وايراد ذكره عم عقيب تزييف مذاهب المشركين من
الشرك والطعن فى النبوة وتحريم ما احل الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك
وفروعه امر ثابت لا ريب فيه قانتا لله مطيعا له قائما بامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل
الى الدين الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا
صرح بذلك مع ظهوره لارد على كفار قريش فى قولهم نحن على ملة ابينا ابرهيم بل عليهم
وعلى اليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله فى افترائهم وادعائهم انه عم كان على ما هم عليه كقوله
سبحانه ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين اذ به ينتظم
امر ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة وانما اوثر صيغة جمع
القلة للايذان بانه عم كان لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة وللتصريح بكونه عم على خلاف
ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما اشير اليه بضرب المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط
مستقيم موصل اليه سبحانه وهو ملة الاسلام وليست نتيجة هذه الهداية مجرد اهتدائه عم بل مع
ارشاد الخلق ايضا بمعونة قرينة الاجتباء وآتيناه فى الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل
والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل هى الخلة والنبوة وقيل
قول المصلى منا كما صليت على ابرهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال الاعتناء بشأنه وتفخيم مكانه
عليه السلام وانه فى الآخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية فى الجنة حسبما سأله بقوله
والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم ثم اوحينا
اليك مع علو طبقتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابرهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى لعباده
على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن لا باعتبار الطاعة
له وتحقيقه ان الوضع الالهى مهما نسب الى من يؤديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب الى من يقيمه
ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبى ولا تكاد توجد
مضافة الى الله سبحانه ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا فى جملة الشرائع دون آحادها
والمراد بملته عم الاسلام الذى عبر عنه آنفا بالصراط المستقيم حنيفا حال من المضاف اليه
لما ان المضاف لشدة اتصاله به عم جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت وجه هند
قائمة والمأمور به الاتباع فى الاصول دون الشرائع المتبدلة بتبدل الاعصار وما فى ثم من
التراخى فى الرتبة للايذان بان هذه النعمة اجل النعم الفائضة عليه عم وما كان من المشركين
تكرير لما سبق لزيادة تأكيد وتقرير لنزاهته عم عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه
انما جعل السبت اى فرض تعظيمه والتخلى فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفى
الكلى وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه قادحا فى كليته حسبما سلف فى قوله تعالى وعلى الذين
هادوا حرمنا الخ فان اليهود كانوا يدعون ان السبت من شعائر الاسلام وان ابرهيم عليه السلام
كان محافظا عليه اى ليس السبت من شعائر ابرهيم وشعائر ملته التى امرت باتباعها حتى يكون بينه عم
وبين بعض المشركين علاقة فى الجملة وانما شرع ذلك لبنى اسرائيل بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا
للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى
الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعبر عنهم بالموصول
باختلافهم فقيل انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد والابتلاء
المؤدى الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم فى شأنه قبل الوقوع ايثارا وعلى ما امر الله تعالى به

واختيار للعكس لكن لا باعتبار شمول العلية لطرفي الاختلاف وعموم القابلية للفريقين بل باعتبار حال
منشأ الاختلاف من الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عم امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما
واحدا للعبادة وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى
فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى
لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون
واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله سبحانه قردة دون اولئك المطيعين وان ربك
ليحكم بينهم اى بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اى يفصل
ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازي كل فريق بما يستحقه من الثواب والعقاب وفيه ايماء
الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الآخر بالنسبة الى ما سيقع في الآخرة لا
يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقيل المعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ
على الذين اختلفوا فيه اى احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى وكان حتما عليهم ان يتفقوا على
تحريمه حسبما امر الله سبحانه به وتنزيل الحكم بينهم بالمجازاة باختلاف افعالهم بالاحلال تارة والتحريم
اخرى ووجه ايراده ههنا ما اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على العصاة والمخالفين
لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة بينهم تحكم بان المراد
بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار بالمذكورين حكاية
امر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عم وبين امره عم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر
ولحائه فتامل ادع اى من بعثت اليهم من الامة قاطبة بحذف المفعول للتعميم او افعل الدعوة
كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع قصدا للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا
بان عموم الدعوة غني عن البيان وانما المقصود الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك
الى الاسلام الذي عبر عنه تارة بالصراط المستقيم واخرى بملة ابراهيم عم وفي التعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية وتبليغ الشيء الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم
في مقام الامر بدعوة الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة من الدلالة على اظهار
اللطف به صلى الله عم والايماء الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة المحققة وهو الدليل
الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اى الخطابيات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى
عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية
لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القرآن المجيد فانه جامع لكلا الوصفين وجادلهم اى
ناظر معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة والمناظرة من الرفق
واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهبهم كما
فعله الخليل عم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الذي امرك بدعوة الخلق اليه واعرض
عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم بالمهتدين اليه بذلك
وهو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله اعلم اسلك في الدعوة والمناظرة الطريقة المذكورة فانه
تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوي عن الضلال بموجب استعداده المكتسب وبحال من يصير امره الى
الاهتداء لما فيه من خير جبلي فما شرعه لك في الدعوة هو الذي يقتضيه الحكمة فانه كاف في هداية
المهتدين وازالة عذر الضالين واما حصول الهداية او الضلال والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه
اذ هو اعلم بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدي اليه فيجازي كلا منهما بما يستحقه وتقديم الضالين
لما ان مساق الكلام لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله
التي فطر الناس عليها واعراض عن الدعوة وذلك امر عارض بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات
على الفطرة والجريان على موجب الدعوة ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير
هو اعلم للتاكيد والاشعار بتباين حال الفريقين وما لهما من العقاب والثواب وبعد ما امره عم فيما

فيما يختص به من شأن الدعوة بما امر به من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن شايعه فيما يعم
الكل فقال وان عاقبتم اى ان اردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحتمي ان اكلت فكل قليلا
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اى بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اطلاق اسم
المسبب على السبب نحو كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع من
يناصبهم من غير تجاوز حين ما آل الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المامور
بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف لا وهي موجبة لصرف الوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق
في قلادة غير معهودة قاضية عليهم بفساد ما يأتون وما يذرون وببطلان دين استمرت عليه
آباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة
وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رأى حمزة رضي الله عنه
يوم احد قد مثل به قال لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف
عما اراده وقرئ وان عقبتم فعقبوا اى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غير متجاوزين
عنه والامر وان دل على اباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله وان عاقبتم
حثا على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الآكد فقيل ولئن صبرتم اى عن المعاقبة بالمثل
لهو اى لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر
او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه
بالفعل فيندرج فيه صبرهم كدخول انفسهم في جنس الصابرين دخولا اوليا ثم امره صلى الله عليه وسلم
صريحا بما ندب اليه غيره تعريضا من الصبر لانه اولى الناس بعزائم الامور لزيادة علمه بشؤونه سبحانه
ووفور وثوقه به فقيل واصبر اى على ما اصابك من جهتهم من فنون الآلام والاذية وعاينت
من اعراضهم عن الحق بالكلية وما صبرك الا بالله استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى وما صبرك
ملابسا ومصحوبا بشيء من الاشياء الا بالله اى بذكره والاستغراق في مراقبة شؤونه والتبتل اليه
بمجامع الهمة وفيه من تسليته عم وتهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه ما لا مزيد عليه او الا بمشيئته
المبنية على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث اشتماله على غاية جميلة
وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن عليهم اى على الكافرين
بوقوع اليأس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تأس على القوم الكافرين وقيل على المؤمنين
وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم الكريم ولا تك في ضيق بالفتح وقرئ بالكسر
وهما لغتان كالقول والقيل اى لا تكن في ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق
كهين من هين اى في امر ضيق مما يمكرون اى من مكرهم بك فيما يستقبل فالاول نهي عن التألم
بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التألم بمحذور من جهتهم آت والنهي عنهما مع ان انتفاءهما
من لوازم الصبر المامور به لا سيما على الوجه الاول لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية
بشأن التسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه بشراشر نفسه متنزها عن كل ما سواه
من الشواغل شيء مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او محذور فيكف عن كل ما الخوف من وقوعه
ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهي والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا
يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والخوف وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع
من متبوعية المتقين انما هي من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال في قوله سبحانه
ان الله مع الصابرين ونظائرهما كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها
من مرتبة التوقي عن الشرك ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك اعني التنزه عن كل
ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه وهو التقوى الحقيقي المورث لولاية الله تعالى
المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى ان الله
تعالى ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم

شئ من مطلوب او محذور فضلا عن الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما بعد الصبر المأمور به
حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم التعليل كما في قوله تعالى فاصبر ان العاقبة للمتقين على احد
التقريرين كما حقق في مقامه ولا مجرد التوقي عن المعاصي لا يكون مدارا لشئ من العزايم المرخص في تركها
فكيف بالصبر المشار اليه وردعه وانما مداره المعنى المذكور فكأنه قيل ان الله مع الذين صبروا وانما
اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة في الحث على الصبر والتنبيه على انه من خصايص اهل التقوى
الجليلة وقد ورد نحوه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه من باب الاحسان
الذي يتنافس فيه المتنافسون على ما نعل ذلك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان في قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا
يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي
المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره عم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وتكرير الموصول
للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه من غير ان يكون احداهما تتمة للاخرى وايراد
الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها شيمة
راسخة لهم وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة على التحلية والمراد بالموصولين اما
جنس المتقين والمحسنين وهو صلى الله عم داخل في زمرتهم دخولا اوليا واما هو عم ومن شايعه عبر
عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز الى ان صنيعه صلى الله عليه وسلم
مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية

اصبر نكن بك صابرين فانما ۞ صبر الرعية عند صبر الراس

عن هرم بن حيان انه قيل له حين الاستحضار اوص فقال انما الوصية من المال واوصيكم
بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم
يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا
وان مات في يوم تلاها او ليلته كان
له من الاجر كالذي
مات واحسن
الوصية

والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة بني اسرائيل مكية وهي مائة وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده سبحان اسم علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا
وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما في زيد المعارك او حاتم طي وانتصابه بفعل متروك الاظهار
تقديره اسبح الله سبحان الخ وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح
الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومنه فرس سبوح اي واسع الجري ومن جهة النقل الى التفعيل ومن
جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن
ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه فيفيد مبالغة من حيث اضافة
التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه في قوله تعالى سبحانه وتعالى لانه
قيل تنزه بذاته وتعالى والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسراء
بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت
ليلا كما يفيد بعضيته زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت الليل
فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اي بعضه وايثار لفظ
العبد للايذان بتمحضه عم في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه او التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعليته لما في
حيز الصلة لمضاف فان ذلك من ادل الدلائل على كمال قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من
المسجد الحرام اختلف في مبدأ الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عم بالبراق وقيل
هو دار ام هانئ بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله
مسجد فانه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلوة العشا فكان ما كان فقصه
عليها فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عليه السلام لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عليه السلام وان
كذبوني فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عليه السلام بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر كعب بن لوي بن غالب
هلم فحدثهم فمن مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رض
فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا انصدقه على ذلك قال اني اصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا
اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال يقدم يوم كذا مع طلوع
الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت
فقال آخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا فانهم الله انى يؤفكون واختلف
في وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه في اليقظة او في
المنام فعن الحسن انه كان في المنام واكثر الاقاويل بخلافه والحق انه كان في المنام قبل البعثة وفي اليقظة بعدها
واختلف ايضا انه كان جسمانيا او روحانيا فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن عرج بروحه وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه
وما في ضمنه من التعجب فان الروحاني ليس في الاستبعاد والاستنكار وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك

ولعل ان يتعجب منه من بين واستحالوه والاستحالة مدفوعة فانه قد ثبت في الهندسة ان قطر الشمس ضعف
قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك
الاعظم مع معاوقة فلكها لها في اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض التي من
جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على كل ما يحيط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة
السريعة بل اسرع منها في جسد النبي صلى الله عم او فيما يحمله ولو لم يكن مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد
الاقصى اي بيت المقدس سمي به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد وفي ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا
يخفى الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء عليهم السلام لنريه غاية
للاسراء من آياتنا العظيمة التي من جملتها ذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح في ذلك كونه قبل الوصول
الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عليهم السلام والالتفات
الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقواله عليه السلام البصير بافعاله
بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسراء المذكور ليس الا لتكرمته عم
ورفع منزلته والا فالاحاطة باقواله وافعاله حاصلة من غير حاجة الى التقريب وفي الالتفات الى الغيبة
تربية المهابة وآتينا موسى الكتاب اي التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور وما وقع فيه
من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين في المعنى ولم يذكرها هنا العروج بالنبي صلى الله عليه وسلم الى السماء
وما كان فيها مما لا يكتنهه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسراء الى قبول السامع اي آتيناه
التوراة بعدما اسرينا به الى الطور وجعلناه اي ذلك الكتاب هدى لبني اسرائيل يهتدون بما في مطاويه
الا تتخذوا على ان لا تتخذوا نحو كتبت اليه ان افعل كذا وقرئ بالياء على ان ان مصدرية والمعنى آتينا
موسى الكتاب لهداية بني اسرائيل لئلا يتخذوا من دوني وكيلا اي ربا تكلون اليه اموركم والافراد لما ان
فعيل مفرد في اللفظ جمع في المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهي
والمراد تاكيد الحمل على التوحيد بذكر انعامه تعالى عليهم في ضمن انجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح عم
او على انه احد مفعولي لا تتخذوا على قراءة النفي ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يامركم
ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا
[illegible] كما هو مذهب بعض النحاة وقرئ ذرية بكسر الذال انه اي نوحا عم
كان عبدا شكورا كثير الشكر في مجامع حالاته [illegible]
[illegible]
وقضينا [illegible] الى بني اسرائيل في الكتاب [illegible]
[illegible] لتفسدن في الارض [illegible]
[illegible] مرتين [illegible]
[illegible]
[illegible] ولتعلن علوا كبيرا [illegible]
[illegible] فاذا جاء وعد اولاهما [illegible]
[illegible] بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد ذوي قوة
[illegible]
فجاسوا [illegible] خلال الديار [illegible]
[illegible]
[illegible] وكان وعدا مفعولا [illegible]
[illegible]
[illegible] ثم رددنا لكم الكرة [illegible]
[illegible]
[illegible]

ابن بهراسف القى الله تعالى في قلبه الشفقة عليهم فرد أسراءهم الى الشام وملك عليهم دانيال عم فاستولوا
على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هي قتل داود عليه السلام لجالوت وأمددناكم بأموال كثيرة بعد ما
نهبت أموالكم وبنين بعد ما سبيت أولادكم وجعلناكم أكثر نفيرا مما كنتم من قبل أو من عدوكم والنفير من
ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعين إن أحسنتم
أعمالكم سواء كانت لازمة لأنفسكم أو متعدية الى الغير أي عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد
أن يكون الأعمال حسنة في أنفسها أو ان تعلم الاحسان أحسنتم لأنفسكم لأن ثوابها لها وإن أسأتم أعمالكم
بأن عملتموها لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتي وتعلم الاساءة فلها اذ عليها وبالها وعن علي كرم الله وجهه
ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه وتلاها فإذا جاء وعد الآخرة حان وقت ما وعد من عقوبة المرة
الآخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أي بعثناهم ليسوءوا ومعنى ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوا آثار الاساءة والكآبة بادية في وجوهكم كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء
على أن الضمير لله تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بنون العظمة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن
بالنون الخفيفة وقرئ ليسوءن واللام في قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطفا على ليسوءوا متعلق بما
تعلق هو به كما دخلوه أول مرة أي في أول مرة وليتبروا أي يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه
أو مدة علوهم تتبيرا فظيعا لا يوصف بأن سلط الله عز سلطانه عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك
الطوائف اسمه جودرز وقيل جردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي
فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل فقال لم تصدقوني فقتل على ذلك ألوفا فلم يهدأ الدم ثم قال
ان لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال لمثل هذا ينتقم منكم ربكم
ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقي منهم
أحدا فهدأ عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة أخرى وانزجرتم عما كنتم عليه
من المعاصي وإن عدتم الى ما كنتم فيه من الفساد مرة أخرى عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله
سبحانه عليهم النقمة بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الاتاوة ونحو ذلك وعن الحسن
عادوا فبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة مثله
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا أي محبسا لا يستطيعون الخروج منها أبد الآبدين وقيل بساطا كما
يبسط الحصير وانما عدل عن أن يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذما لهم بذلك
واشعارا بعلة الحكم إن هذا القرآن الذي آتيناكه يهدي أي الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم ككتاب
الكتاب الذي آتيناه موسى للتي للطريقة التي هي أقوم أي أقوم الطرائق وأسدها أعني ملة الاسلام والتوحيد
وترك ذكرها ليس لقصد التعميم لها وللحالة والخصلة ونحوها مما يعبر به عن المقصد المذكور بل للايذان
بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التي هي من روادفها والمراد بهدايته
لها كونه بحيث يهتدي اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين ح ويبشر
المؤمنين بما في تضاعيفه من الأحكام والشرائع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التي شرحت
فيه أن لهم أي بأن لهم بمقابلة تلك الأعمال أجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات
فصاعدا وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها
بالذكر من بين سائر ما كفروا به لكونها معظم ما أمروا بالايمان به ولمراعاة التناسب بين أعمالهم وجزائها الذي
أنبأ عنه قوله عز وجل أعتدنا لهم عذابا وهو عذاب جهنم أي أعتدنا لهم فيما كفروا به وأنكروا وجوده
من الآخرة عذابا أليما وهو أبلغ في الزجر لما أن اتيان العذاب من حيث لا يحتسب أفظع وأفجع والجملة معطوفة
على جملة يبشر باضمار يخبر أو على قوله تعالى أن لهم داخلة معه تحت التبشير المراد به مجازا مطلق الاخبار
المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبأ الضار حقيقة فيكون ذلك بيانا لهداية القرآن بالترغيب والترهيب
ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم وقوله تعالى
ويدع الانسان بالشر بيان لحال المهدي اثر بيان حال الهادي واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان

بالانسان الجنس أسند اليه حال بعض أفراده أو حكي عنه حاله في بعض أحيانه فالمعنى على الأول أن القرآن
يدعو الانسان الى الخير الذي لا خير فوقه من الأجر الكبير ويحذره من الشر الذي لا شر وراءه من العذاب
الأليم وهو أي بعض منه وهو الكافر يدعو لنفسه بما هو الشر من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب
من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
ومن قال فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك مما حكي عنهم واما بأعمالهم السيئة المفضية
اليه الموجبة له مجازا كما هو ديدن كلهم دعاءه بالخير أي مثل دعائه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا
فانهم بمعزل من الدعاء به وفيه رمز الى أنه اللائق بحاله وكان الانسان أي من أسند اليه الدعاء
المذكور من أفراده عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن ضرره أو مبالغا في العجلة يستعجل
العذاب وهو آتيه لا محالة ففيه نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعاء على أعمالهم يحمل العجولية على
اللج والتمادي في استيجاب العذاب بتلك الأعمال وعلى الثاني أن القرآن يدعو الانسان الى ما هو
خير وهو في بعض أحيانه كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه وأهله وماله بما هو شر وكان
الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتأنى الى أن يزول عنه ما يعتريه روي أنه عليه السلام دفع الى سودة
أسيرا فأرخت كتافه رحمة لأنينه بالليل من ألم القد فهرب فلما أخبرته النبي صلى الله عليه وسلم قال
اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال عم اني سألت الله تعالى أن يجعل دعائي على
من لا يستحق من أهلي عذابا رحمة أو يدعو بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير
مستبصر لا يتدبر في أموره حق التدبر ليتحقق ما هو خير حقيق بالدعاء به وما هو شر جدير بالاستعاذة
منه وجعلنا الليل والنهار آيتين شروع في بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك
الاستدلال بالآيات والدلائل الآفاقية التي كل واحدة منها برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل
من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف عليه من محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات
التكوينية لكن الاخبار بذلك من الهدايات القرآنية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة
الترتيب الوجودي اذ منه ينسلخ النهار وفيه تظهر غرر الشهور ولو أن الليلة أضيفت الى ما قبلها من
النهار لكانت من شهر وصاحبها من شهر آخر ولترتيب غاية آية النهار عليها بلا واسطة أي جعلنا الملوين
بهيئاتهما وتعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر على وتيرة عجيبة يحار في فهمها العقول آيتين تدلان
على أن لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القرآن الكريم من ملة الاسلام والتوحيد
فمحونا آية الليل الاضافة اما بيانية كما في اضافة العدد الى المعدود أي محونا الآية التي هي الليل
وفائدتها تحقيق مضمون الجملة السابقة ومحوها جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد أن لم يكن
كذلك بل ابداعها على ذلك كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي أنشأهما كذلك والفاء
تفسيرية لأن المحو المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين آيتين بل هما من جملة
ذلك الجعل ومتمماته وجعلنا آية النهار أي الآية التي هي النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة
يبصر فيها الأشياء وصفها بحال أصلها أو مبصرة للناس من أبصره فبصر واما حقيقية وآية الليل والنهار
نيراهما ومحو القمر اما جعله مطموس النور في نفسه فالفاء كما ذكر واما نقص ما استفاده من الشمس شيئا
فشيئا الى المحاق على ما هو معنى المحو فالفاء للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضيئة بالذات ذات
أشعة تظهر بها الأشياء المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا آية النهار كما أشير اليه أي
وجعلناها مضيئة لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار فضلا من ربكم أي رزقا اذ لا يتسنى
ذلك في الليل وفي التعبير عن الرزق بالفضل وعن الكسب بالابتغاء والتعرض لصفة الربوبية المنبئة عن
التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب وانما الاعطاء
الى الله تعالى سبحانه لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين
أعني محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة لا بأحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور
أي لتعلموا بتفاوت الجديدين أو نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما أو حركاتهما

واوضاعهما وسائر احوالهما عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب
اي الحساب المتعلق بما في ضمنها من الاوقات اي الاشهر والليالي والايام وغير ذلك مما نيط به شئ من المصالح المذكورة
ونفس السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب وانما الذي تعلق به العدد طائفة منها وتعلقه في ضمن ذلك
بكل واحدة منها ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد
منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من الساعات مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث
انها فرد من تلك الطائفة المعدودة بعدها اي بتعيينها من غير ان يعتبر في ذلك تحصل شئ معين
وتحقيقه ما مر في سورة يونس من ان الحساب احصاء ماله كمية منفصلة بتكرير امثاله من حيث يتحصل
بطائفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل كما اشير اليه انفا والعدد احصاء مجرد
تكرير امثاله من غير ان يتحصل منه شئ كذلك ولما ان السنين لم يعتبر فيها حد معين له اسم خاص وحكم
مستقل اضيف اليها العدد وعلق الحساب بما عداها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة
واحكام مستقلة وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمئات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل
المعدود وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس للتنبيه من
اول الامر على ان متعلق الحساب ما في تضاعيف السنين من الاوقات او لان العلم المتعلق بعدد السنين علم
اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا او لان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شئ اخر منه حسبما ذكر نازل
من الحساب المعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب او لان العلم المتعلق بالاول اقصى المراتب فكان جديرا
بالتقديم في مقام الامتنان والله سبحانه اعلم وكل شئ تفتقرون اليه في المعاش والمعاد سوى ما ذكر
من جعل الليل والنهار ايتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى
فصلناه تفصيلا اي بيناه في القرآن الكريم بيانا بليغا لا التباس معه كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب
تبيانا لكل شئ فظهر كونه هاديا للتي هي اقوم ظهورا بينا وكل انسان مكلف الزمناه طائره اي
ما طار عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من عش الغيب ووكر القدر او ما وقع له في القسمة
الازلية الواقعة حسب استحقاقه في العلم الازلي من قولهم طار له سهم كذا في عنقه تصوير لشدة اللزوم
وكمال الارتباط اي الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه
بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل
وللمفعول والضمير للطائر كما في قراءة يخرج من الخروج يوم القيمة والبعث للحساب كتابا سطر
فيه ما ذكر من عمله نقيرا وقطميرا وهو مفعول لنخرج على القراءتين الاوليين او حال من المفعول المحذوف
الراجع الى الطائر وعلى الاخريين حال من المستتر في الفعل من ضمير الطائر يلقاه اي يلقى الانسان
او يلقاه الانسان منشورا وهما صفتان للكتاب او الاول صفة والثاني حال منها وقرئ يلقاه
من لقيته كذا اي يلقى الانسان اياه قال الحسن بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن
يمينك وعن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك
حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك اي قائلين
له ذلك عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئا وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة
باثار اعماله فان كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه في جوهر الروح امر مخصوص الا انه
يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن
قامت قيامته لان النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى
العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شئ عمله في مدة عمره
وهذا معنى الكتاب والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف
لكفى وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي
وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال
او لانه مبني على تأويل النفس بالشخص كقول جبلة بن حريث يا نفس انك باللذات مسرور فاذكر

فاذكر فهل ينفعنك اليوم تذكير من اهتدى فانما يهتدي لنفسه فذلكة لما تقدم من بيان كون القرآن
هاديا لاقوم الطرائق ولزوم الاعمال لاصحابها اي من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من
الاحكام وانتهى عما نهاه عنه فانما يعود منفعة اهتدائه الى نفسه لا تتخطاه الى غيره ممن لم يهتد ومن
ضل عن الطريقة التي يهديه اليها فانما يضل عليها اي فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه
ممن لم يباشره حتى يمكن مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية
اي لا تحمل نفس حاملة للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل ما
بين العامل وعمله من التلازم بل انما تحمل كل منها وزرها وهذا تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل
انسان الزمناه طائره في عنقه واما ما يدل عليه قوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له
نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة
ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو في
الحقيقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فان جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل لازم
له وانما الذي يصل الى من يشفع جزاء شفاعته لا جزاء اصل الحسنة والسيئة وكذلك جزاء الضلال
لا جزاء الضلال وانما خص التأكيد بالجملة الثانية قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون
انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين قلدوهم وما كنا معذبين بيان للعناية الربانية
اثر بيان اختصاص اثار الهداية والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدي عن ثمرات هدايته
وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اي وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على
الحكم البالغة وما كان في حكمنا الماضي وقضائنا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال والاوزار
اكتفاء بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج
ويمهد الشرائع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه والمراد بالعذاب المنفي اما عذاب الاستئصال
كما قاله الشيخ ابو منصور الماتريدي وهو المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوي والاخروي
وهو من افراده واياما كان فالبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه
مطلقا كيفما والاخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي ايضا لا يحصل بعد تحقق ما
يوجبه من الفسق والعصيان الا يرى الى قوم نوح كيف تأخر عنهم ما حل بهم زهاء الف سنة
وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية بيان لكيفية وقوع التعذيب بعد البعث التي جعلت
غاية لعدمه محققة وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا يتخلف عنه المراد والارادة الازلية
المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر له اذ لا يبقى لما بعده من الجزاء الآتي من قوله تعالى فحق
امرنا بدا اي واذا دنا وقت تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب
الاستئصال الذي بينا انه لا يصح قبل البعث او بنوع مما ذكرنا شأنه من مطلق العذاب
اعم من عذاب الاستئصال الملحق من الظلم والمعاصي دنوا تقتضيه الحكمة من غير ان يكون له حد
معين امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبابرتها وملوكها خصهم بالذكر
مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ولان توجه الامر اليهم اكد عدم
التعرض للمأمور به لظهور ان المراد به الحق والخير لان الله لا يأمر بالفحشاء لاسيما بعد ذكر هداية
القرآن للتي هي اقوم واما لان المراد وجدنا الامر كما يقال فلان يعطي ويمنع ففسقوا فيها اي خرجوا
عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول اي كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم
فيها فدمرناها تدميرا لا يكتنه كنهه ولا يوصف هذا ولما يناسب المساق وقيل
الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسق وقيل
هو بمعنى التكثير يقال امرت الشئ وامرته فأمر اذا كثرته وفي الحديث خير المال مهرة مأمورة
اي كثيرة النتاج ويعضده قراءة امرنا وامرنا وقرئ امرنا اي جعلناهم امراء وفيه اي جعلناهم
اي جعلناهم امراء وكل ذلك لا يلائم مقام الزجر عن الضلال والحث على الاهتداء فانه مؤدى

ذلك أن طغيانهم منوط بإرادة الله سبحانه وإنعامه عليهم بنعم وافرة أبطرتهم وحملتهم على الفسق حملاً
حقيقياً بأن يعبر عنه بالأمر به وكم أهلكنا أي وكثيراً ما أهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له والقرن مدة
من الزمان يخترم فيها القوم وهي عشرون أو ثلاثون أو أربعون أو ستون أو مائة وقد أيد ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم
دعى لرجل فقال عش قرناً فعاش مائة سنة أو مائة وعشرون من بعد نوح من بعد زمنه عم كعاد وثمود
ومن بعدهم ممن قصت أحوالهم في القرآن العظيم ومن لم تقص وعدم نظم قومه عم في سلك القرون المهلكة
لظهور أمرهم على أن ذكره عم رمز إلى ذكرهم وكفى بربك أي كفى ربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً
محيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي
مبادي الأعمال الظاهرة أو لعمومه حيث يتعلق بغير المبصرات أيضاً وفيه إشارة إلى أن البعث والأمر
وما يتلوهما من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فإن ذلك حاصل قبل ذلك وإنما لقطع الأعذار
وإلزام الحجة من كل وجه من كان يريد بأعماله التي يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كأعمال البر
أو بطريق ترتب المعلولات على العلل كالأسباب أو بأعمال الآخرة فالمراد بالمريد على الأول الكفرة وأكثر
الفسقة وعلى الثاني أهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة فقط من غير أن
يريد معها الآخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان ههنا مع الاقتصار على مطلق الإرادة
في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبإرادتها إرادة ما فيها من فنون مطالبها كقوله تعالى من كان
يريد حرث الدنيا ويجوز أن يراد الحياة العاجلة كقوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
لكن الأول أنسب بقوله تعالى عجلنا له فيها أي في تلك العاجلة فإن الحياة واستمرارها من جملة ما عجل له
فلا يناسب ذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء أي ما نشاء تعجيله له من
نعيمها لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل من الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع
إلى الموصول المنبئ عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على أن الضمير له سبحانه وقيل لمن فيكون مخصوصاً بمن أراد به
ذلك وهو واحد من الدهماء وتقييد المعجل والمعجل له بما ذكر من المشيئة والإرادة لما أن الحكمة التي عليها
يدور فلك التكوين لا يقتضي وصول كل طالب إلى مرامه ولا استيفاء كل واحد لما يطلب بتمامه وأما ما يرى
من قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل
مؤمل لجميع آماله ووصول كل عامل إلى نتيجة أعماله فقد أشير إلى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل
الله تعالى ثم جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من أصناف العذاب يصلاها يدخلها وهو حال من
الضمير المجرور أو من جهنم أو استئناف مذموماً مدحوراً مطروداً من رحمة الله تعالى وقيل الآية في
المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم إلا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ويأباه ما يقال أن
السورة مكية سوى آيات معينة ومن أراد بأعماله الآخرة الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم وسعى لها
سعيها أي السعي اللائق بها وهو الإتيان بما أمر والانتهاء عما نهى لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة
اللام اعتبار النية والإخلاص وهو مؤمن إيماناً صحيحاً لا يخالطه شيء قادح فيه وإيراد الإيمان بالجملة
الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فأولئك إشارة إلى الموصول بعنوان اتصافه
بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم والجمعية لمراعاة جانب المعنى
إيماءً إلى أن الإثابة المفهومة من الخبر تقع على وجه الاجتماع أي أولئك الجامعون لما مر من الخصال
الحميدة من إرادة الآخرة والسعي الجميل والإيمان كان سعيهم مشكوراً مقبولاً عند الله تعالى بحسن القبول
مثاباً عليه وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينيه إشعار بأنه العمدة فيها كلاً التنوين عوض عن
المضاف إليه أي كل واحد من الفريقين لا الفريق الأخير المريد للجزاء الحقيق بالإسعاف فقط نمد أي نزيد
مرة بعد مرة بحيث يكون الآنف مدداً للسالف وما به الإمداد ما عجل لأحدهما من العطايا العاجلة
وما أعد للآخر من العطايا الآجلة المشار إليها بمشكورية السعي وإنما لم يصرح به تعويلاً على ما سبق تصريحاً
وتلويحاً واتكالاً على ما لحق عبارة وإشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء بدل من كلاً وهؤلاء عطف
عليه أي نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فإن الإشارة متعرضة لذات المشار إليه بما له من العنوان

العنوان لا للذات فقط كالإضمار فيفيد تذكير ما به الإمداد وتعيين للمضاف إليه المحذوف دفعاً لتوهم
كونه أفراداً للفريق الآخر وتأكيد للقصر المستفاد من تقديم المفعول وقوله تعالى من عطاء ربك أي
من عطائه الواسع الذي لا تناهي له متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الإمداد ومنبئ على أن الإمداد المذكور
ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل وما كان عطاء ربك أي دنيوياً كان أو أخروياً
وإنما أظهر إظهاراً لمزيد الاعتناء بشأنه وإشعاراً بعليته للحكم محظوراً ممنوعاً عمن يريده بل هو فائض على
من قدر له بموجب المشيئة المبنية على الحكمة وإن وجد منه ما يقتضي الحظر كالكفر وهو في معنى التعليل
لشمول الإمداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين للإشعار بمبدئيتها لما ذكر من الإمداد
وعدم الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح
من الإمداد وعدم محظورية العطاء بالتنبيه على استحضار مراتب أحد العطاءين والاستدلال بها على مراتب
الآخر أي انظر بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما أمددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع
ورفيع وظالع وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك لتعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات
تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الأدنى على حال الأعلى كما أوضح عنه قوله تعالى وللآخرة
أكبر أي هي وما فيها أكبر من الدنيا وقرئ أكثر درجات وأكبر تفضيلاً لأن التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها
العالية التي لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر هذا ويجوز أن يراد بما به الإمداد العطايا العاجلة فقط ويجعل القصر المذكور على توهم
اختصاصها بالفريق الأول فإن تخصيص إرادتهم بها ووصولهم إليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها
وبين الفريق الثاني إرادة ووصولاً مما يوهم اختصاصها بالأولين فالمعنى كل واحد من الفريقين نمد
بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا إرادته لها فقط من الفريق الأول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه
الدنيوي محظوراً من أحد ممن يريده وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين
على بعض آخر منهما وللآخرة الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة إلى الفريق الأول تحقيقاً لشمول
الإمداد له كما فعله الجمهور حيث قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضي كون القصر لتوقع توهم اختصاص
الإمداد الدنيوي بالفريق الثاني مع أنه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلاً من إيهام اختصاصه
لا تجعل مع الله إلهاً آخر الخطاب للرسول عم والمراد به أمته وهو من باب التهييج والإلهاب أو لكل
أحد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جواباً للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة معاً
حتى قعدت كأنها حربة أو بمعنى العجز من قولهم قعد عنه أي عجز عنه مذموماً مخذولاً خبران أو حالان أي جامعاً
على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه إشعار بأن الموحد جامع بين المدح
والنصرة وقضى ربك أي أمر أمراً مقطوعاً به وقرئ وأوصى ربك ووصى ربك أن لا تعبدوا أي بأن لا
تعبدوا إلا إياه على أن أن مصدرية ولا نافية أو أي لا تعبدوا على أنها مفسرة ولا ناهية لأن العبادة
غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام وهو كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين
أي وبأن تحسنوا بهما أو وأحسنوا بهما إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما
إما مركبة من إن الشرطية وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخلت الفعل نون
التوكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وتقديمه على المفعول مع أن حقه التأخر عنه للتشويق إلى
وروده فإنه مدار تضاعف الرعاية والإحسان وأحدهما فاعل الفعل وتأخره عن الظرف والمفعول
لئلا يطول الكلام وما عطف عليه وقرئ يبلغان فأحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا يصلح
أن يجعل كلاهما تأكيداً للضمير وتوجيه ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن
التباس المراد فإن المقصود نهي كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل
هذا المرام فلا تقل لهما أي لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع أف صوت ينبئ عن تضجر أو اسم فعل
هو أتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منوناً وغير منون أي لا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل
من مؤنهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما بدلالة النص وقد خص (?) ذكر بعضه إظهاراً

دلا عنهما بشانه فضلا **ولا تنهرهما** أي لا تزجرهما عما لا يعجبك بإغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم أخوات **وقل لهما** بدل التأفيف والنهر **قولا كريما** ذا كرم أو هو وصف له بوصف صاحبه أي قولا صادرا عن كرم ولطف وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الأدب ويستدعيه النزول على المروة مثل أن يقول يا أبتاه ويا أماه كدأب إبرهيم عم إذ قال لأبيه يا أبت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفا وسوء الأدب ودأب الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل وقيل أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر إليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه **واخفض لهما جناح الذل** عبارة عن إلانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فإن إعزازهما لا يكون إلا بذلك فكأنه قيل واخفض لهما جناحك الذليل وجعل للذل جناح كما جعل لبيد في قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ۞ إذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للقرة زماما وللشمال يدا تشبيها له بطائر يخفض جناحه لأفراخه تربية لها وشفقة وأما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام **من الرحمة** من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله تعالى إليهما ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادع الله لهما برحمته الواسعة الباقية **وقل رب ارحمهما** برحمتك الدنيوية والأخروية التي من جملتها الهداية إلى الإسلام فلا ينافي ذلك كفرهما **كما ربياني** الكاف في محل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي رحمة مثل تربيتهما لي أو مثل رحمتهما لي على أن التربية رحمة ويجوز أن يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر أحدهما في أحد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني **صغيرا** ويجوز أن يكون الكاف للتعليل أي لأجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الأمر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع ما له من موجبات الضجر ما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بأن جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وروي أن شيخا أتى النبي عم فقال إن ابني هذا له مال كثير وإنه لا ينفق علي من ماله فنزل جبريل عم وقال إن هذا الشيخ قد أنشأ في ابنه أبياتا ما قرع سمع بمثلها فاستنشدها الشيخ فقال

غذوتك مولودا ومنتك يافعا ۞ تعل بما أجني عليك وتنهل
إذا ليلة ضافتك بالسقم لم أبت ۞ لسقمك إلا ساهرا أتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي ۞ طرقت به دوني وعيني تهمل
فلما بلغت السن والغاية التي ۞ إليها مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظة ۞ كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك إذ لم ترع حق أبوتي ۞ فعلت كما الجار المجاور يفعل

فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أنت ومالك لأبيك **ربكم أعلم بما في نفوسكم** من البر والعقوق **إن تكونوا صالحين** قاصدين للصلاح والبر دون العقوق والفساد **فإنه تعالى كان للأوابين** أي الرجاعين إليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر **غفورا** لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية فعلية أو قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الأمر بمراعاة حقوقهما ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على أبويه اندراجا أوليا **وآت ذا القربى** أي ذا القرابة **حقه** توصية بالأقارب إثر التوصية ببر الوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى **والمسكين وابن السبيل** فإن المأمور به في حقهما المواساة المالية لا محالة أي وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكوة وكذا النهي عن التبذير وعن الإفراد

في القبض والبسط فإن الكل من التصرفات المالية **ولا تبذر تبذيرا** نهي عن صرف المال إلى من سواهم ممن لا يستحقه فإن التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تفريق الحبات وإلقائها كيف ما كان من غير تعهد لمواقعه لا عن الإكثار في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها وكلاهما مذموم **إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين** تعليل للنهي عن التبذير ببيان أنه يجعل صاحبه ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالأخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي من جملتها التبذير أي كانوا بما فعلوا من التبذير أمثال الشياطين أو الصداقة أو الملازمة أي كانوا أصدقاءهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فإنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي أو المقارنة أي قرناءهم في النار على سبيل الوعيد **وكان الشيطان لربه كفورا** من تتمة التعليل أي مبالغا في كفران نعمته تعالى لأن شأنه أن يصرف جميع ما أعطاه الله تعالى من القوى والقدر إلى غير ما خلقت هي له من أنواع المعاصي والإفساد في الأرض وإضلال الناس وحملهم على الكفر بالله وكفران نعمه الفائضة عليهم وصرفها إلى غير ما أمر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين سائر أوصافه القبيحة للإيذان بأن التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له والتعرض لوصف الربوبية للإشعار بكمال عتوه فإن كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من أقوى الدواعي إلى شكرها غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان **وإما تعرضن عنهم** أي إن اعتراك أمر اضطرك إلى أن تعرض عن أولئك المستحقين **ابتغاء رحمة من ربك** أي لفقد رزق من ربك إقامة للمسبب مقام السبب فإن الفقد سبب للابتغاء **ترجوها** من الله تعالى لتعطيهم وكان عم إذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء فأمر بتعهدهم بالقول الجميل لئلا تعتريهم الوحشة بسكوته عم فقيل **فقل لهم قولا ميسورا** سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا من يسر الأمر نحو سعد أو قل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم **ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط** تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي قصد الأمور ذميم وحيث كان قبح الشح مقارنا له معلوما من أول الأمر روعي ذلك في التصوير بأقبح الصور ولما كان غائلة الإسراف في آخره بين قبحه فقيل **فتقعد ملوما** أي فتصير ملوما عند الله وعند الناس وعند نفسك إذا احتجت وندمت على ما فعلت **محسورا** نادما أو منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا أثقله وعن جابر رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد إذ أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه الصلوة والسلام داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا فأذن بلال وانتظروه للصلوة فلم يخرج فنزلت وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فأنشأ يقول

أتجعل نهبي ونهب العبيد ۞ بين عيينة والأقرع
وما كان حصن ولا حابس ۞ يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ۞ ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال عم يا أبا بكر اقطع لسانه عني أعطه مائة من الإبل وكانوا جميعا من المؤلفة قلوبهم فنزلت **إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** تعليل لما مر أي يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين حسبما تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة [illegible] **إنه كان بعباده خبيرا بصيرا** تعليل لما سبق [illegible]

ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اى مخافة فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا
عن ذلك نحن نرزقهم واياكم لا انتم فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو
ضامن لرزقهم وتعليل للنهى المذكور بابطال موجبه فى زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس
ما وقع فى سورة الانعام للاشعار باصالتهم فى افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك الاملاق
الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق فكانه قيل نرزقهم من
غير ان ينتقص من رزقكم شئ فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا
تعليل آخر ببيان ان المنهى عنه فى نفسه منكر عظيم والخطء الذنب والاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما
وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر والحذر وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها
ممدودا وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة
فضلا عن مباشرته وانما نهى عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة فى النهى عن نفسه ولان قربانه
داع الى مباشرته وتوسيط النهى عنه بين النهى عن قتل الاولاد والنهى عن قتل النفس المحرمة على الاطلاق
باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما انه كان فاحشة فعلة ظاهرة
القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اى بئس طريقا طريقه فانه غصب الابضاع المؤدى الى اختلاط
الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال النبى صلى الله عم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان فوق
راسه كالظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال عم لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن وعن حذيفة رضى الله عنه
انه قال عم اياكم والزنا فان فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فاما الذى فى الدنيا
فذهاب البهاء ودوام الفقر وقصر العمر واما التى فى الآخرة فسخط الله وسوء الحساب والخلود فى النار
ولا تقتلوا النفس التى حرم الله قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اى لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق
او ملتبسين او ملتبسة بشئ من الاشياء ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اى لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا
ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر اباحته لغير القاتل
فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول الولى انا امرته بذلك ما لم يكن
الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلى امره من الوارث او السلطان عند عدم الوارث سلطانا تسلطا
او استيلاء على القاتل يواخذه بالقصاص او بالدية حسبما يقتضيه جنايته او حجة غالبة فلا يسرف وقرئ فلا
تسرف فى القتل اى لا يسرف الولى فى امر القتل بان يتجاوز الحد المشروع بان يزيد عليه بالمثلة او بان
يقتل غير القاتل من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل
فى مادة الدية وقرئ بصيغة النفى مبالغة فى افادة معنى النهى انه كان منصورا تعليل للنهى والضمير
للولى على معنى ان الله تعالى نصره بان اوجب له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته فى استيفاء حقه
فلا يبلغ وراء حقه ولا يبتز ما عليه ولا يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على معنى ان الله تعالى نصره
بما ذكر فلا يسرف وليه فى شانه او للذى يقتله الولى ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان
الضمير فى لا يسرف للقاتل الاول ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران فى التعليل عائدان الى الولى او المقتول
فالمراد بالاسراف اسراف القاتل على نفسه بتعريضها للهلاك العاجل والآجل لا اسراف وتجاوز الحد
فى القتل اى لا يسرف على نفسه فى شان القتل كما فى قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم ولا تقربوا
مال اليتيم نهى عن قربانه لما ذكر من المبالغة فى النهى عن التعرض له ومن افضاء ذلك اليه وللتوسل الى الاستثناء
بقوله تعالى الا بالتى هى احسن اى الا بالخصلة والطريقة التى هى احسن الخصال والطرائق وهى حفظه
واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول عليه بالاستثناء لا للوقف المذكور
فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم وبين غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام
بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل الا بالباء فرقا بينه وبين الايفاء الحسى كايفاء الكيل والوزن
ان العهد اظهر فى مقام الاضمار اظهارا لكمال العناية بشانه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد

المعهود كان مسؤلا اى مسؤلا عنه على حذف الجار وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا فى اسم المفعول
كقوله تعالى وذلك يوم مشهود اى فيه ونظيره فى قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله
فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا فى الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد
المعهود لم نكثت وهلا وفى بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باى ذنب قتلت واوفوا الكيل اى اتموه
ولا تخسروه اذا كلتم اى وقت كيلكم للمشترين وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون واما فى
وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا اكتالوا على الناس يستوفون الآية
وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل كل ميزان صغيرا كان او كبيرا رومى معرب ولا يقدح ذلك فى عربية
القرآن لانتظام المعربات فى سلك الكلم العربية وقرئ بضم القاف المستقيم اى العدل السوى ولعل
الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل
فان كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه
لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمه ايضا فى قوله تعالى اوفوا الكيل والميزان بالقسط
ذلك اى ايفاء الكيل والوزن بالميزان السوى خير فى الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة فى معاملته
والذكر الجميل بين الناس واحسن تأويلا عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف
ولا تتبع من قفا اثره اى تبعه وقرئ ولا تقف من قاف اثره اى قفاه ومنه القافة فى جمع القائف
ما ليس لك به علم اى لا تكن فى اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدرى انه يوصله
الى مقصده واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
قطعيا كان او ظنيا واستعماله بهذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى
وشهادة الزور ويؤيده قوله عم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى فى ردغة الخبال حتى
ياتى بالمخرج ومنه قول الكميت ۞ ولا ارمى البرئ بغير ذنب ۞ ولا اقفو الحواصن ان رمينا ۞ ان
السمع والبصر والفؤاد وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اى كل واحد
من تلك الاعضاء فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان
اولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا الذى يعم القبيلين جاء لغيرهم ايضا قال ۞
۞ ذم المنازل بعد منزلة اللوى ۞ والعيش بعد اولئك الايام ۞
كان عنه مسؤلا اى كان كل من تلك الاعضاء مسؤلا عن نفسه على ان اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا
الضمير المجرور وقد جوز ان يكون الاسم ضمير القافى بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال كنت عنه مسؤلا
وقيل الجار والمجرور فى محل الرفع قد اسند اليه مسؤلا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ
وهو سبب فى منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقديم القائم
مقام الفاعل اذا كان جارا او مجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار
من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا فى قوله تعالى يوم مشهود ويجوز ان يكون مسؤلا مسندا الى المصدر
المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه فى محل النصب وسال ابن جنى ابا على عن
قولهم فيك يرغب وقال لا يرتفع بما بعده فاين المرفوع فقال المصدر اى فيك يرغب الرغبة بمعنى يفعل
الرغبة كما فى قولهم يعطى ويمنع اى يفعل الاعطاء والمنع ويجوز ان يكون اسم كان او فاعله كل بحذف المضاف
اى كان صاحبه عنه مسؤلا او مسؤلا صاحبه ولا تمش فى الارض التقييد لزيادة التقرير والاشعار
بان المشى عليها مما لا يليق بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اى ذا مرح
او يمرح مرحا او لاجل المرح وقرئ بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهى وفيه تهكم بالمختال وايذان
بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اى لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطأتك وقرئ بضم الراء
ولن تبلغ الجبال اى بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكن لك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة
وعظم الجثة وكلاهما مفقود وفيه تعريض بما عليه المختال من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه كل
ذلك اشارة الى ما علم فى تضاعيف ذكر الاوامر والنواهى من الخصال الخمس والعشرين كان سيئه الذى

نهي عنه وهي اثنتان عشرة خصلة عند ربك مكروها مبغوضا غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشياء واقعة بارادته وهو تتمة لتعليل الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكبائر للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون توجيهها اليه ابتداء لما ان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه وقيل الاضافة بيانية كما في اية الليل واية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة وصفتها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او مجرى على موصوف مذكر اي امرا مكروها او مجرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيأته وقرئ شأنه ذلك اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اي بعض منه او من جنسه من الحكمة التي هي علم الشرائع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الايات الثماني عشرة كانت في الواح موسى عم اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر ايات في التورية ومن متعلقة باوحى على انها تبعيضية او ابتدائية وبمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره المحذوف في الحكمة اي كائنا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول عم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه وانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وان بذ فيها اساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عائدة الاشراك اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه ههنا نتيجة في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقاء مبنيا للمفعول جري على سنن الكبرياء وازدراء بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة ياخذها اخذ بكفه فيطرحها في التنور افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة اناثا خطاب للقائلين بان الملئكة بنات الله سبحانه والاصفاء بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص وآثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون وقد نص ههنا بالتعرض لعنوان الربوبية لتشديد النكير وتاكيده واشير بذكر الملئكة عليهم السلام وايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم اخرى وهي وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث تجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد الصمد ثم تضيفون اليه ما تكرهون من اخس اصناف الحيوان دنيا لها من خصلة ما اقبحها وكفرة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القرآن على وجوه من التقرير في مواضع منه واما ترك الضمير فتعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويتفقوا على بطلان ما يقولونه والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء الحال ان يعرض عنهم ويحكي للسامعين هناتهم وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القرآن ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الايات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله يجرح في عراقيبها نصلي وقد جوز ان يراد به ابطال اضافتهم اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من افراد القران وتابعها وما يزيدهم اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التقرير البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه وبعدا عن التذكر المودي الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبائح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه تعالى الهة كما يقولون اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي

صلى الله عليه وسلم والكاف في محل النصب على انها نعت لمصدر محذوف اي كونا مشابها لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جواب عن مقالتهم الشنعاء وجزاء للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغاء السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه رأسا اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه الهة وان يكون معه بنات علوا تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من ان له تعالى شركاء واولادا في ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه الهة ولا ريب في ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من شانه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقرئ سبحت له السموات السبع والارض ومن فيهن من الملائكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شيء من الاشياء حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل انه كان حليما ولذلك لا يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر من الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القران الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك وغير ذلك من الشرائع جعلنا بقدرتنا ومشيئتنا المبنية على دواعي الحكم الخفية بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالاخرة من بين سائر ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيدا لما سينقل عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم عن ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت العوراء ام جميل امراة ابي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه فلما راها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه واخاف ان تراك قال عم انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب اخر او مستورا كونه حجابا حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه او مفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يفقهوا على كنهه ويعرفوا انه من عند الله تعالى وفي اذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري المشاعر فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذا ابلغ من حالهم السابق لا حكاية لما قالوا وقلوبنا في اكنة

مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقصدهم بذلك انما هو الاخبار بما اعتقدوه
في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون
القرآن سحرا وشعرا واساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراءها ادركوه وقد
حال بينهم وبين ادراكها مانع من قبلهم ولا ريب في ان ذلك المعنى مما لا يكاد يلايم المقام واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع بآلهتهم وهو مصدر وقع موقع الحال اصله يحد وحده ولوا
على ادبارهم نفورا اي هربوا ونفروا نفورا او ولوا نافرين نحن اعلم بما يستمعون به من اللغو والاستخفاف بك
وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه عم رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان منهم فيصفقون
ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفايدته تاكيد الوعيد بالاخبار
بانه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد هناك من احد وكذا قوله تعالى
واذ هم نجوى لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن
اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم او الاول
ظرف ليستمعون والثاني ليتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تاخير وبما به التناجي
وقت تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذوو نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل اي متناجون
اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون به وانما وضع الظالمون
موضع الضمير اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون الحد اي يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ان
تتبعون ما تتبعون ان وجد منكم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللغو والهزء الا رجلا مسحورا اي سحر
فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال اي مثلوك بالشاعر
والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان
يقبله احد فيتهافتون ويخبطون ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد
وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد
لكمال الاستبعاد والاستنكار للبعث بعدما آل الحال الى هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من
التنافي كان استحالة الامر من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته
وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر والعامل فيها
ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث او نعاد
وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون للاحياء بعد الموت وان كان البدن على
حاله بل لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى البعث في حالة منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتاكيد النكير
وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فان تقديم الهمزة
لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره على راي الجمهور فان المعنى عندهم
تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال
كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه
الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد
عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه او الحال على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا
لهم وتقريبا لما استبعدوه كونوا حجارة او حديدا او خلقا آخر مما يكبر في صدوركم اي يعظم
عن قبول الحيوة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا
مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا
لهم الى طريق الاستدلال الذي يعيدكم القادر العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال
يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شممتم رايحة الحيوة اليس الذي يقدر على ذلك بقادر على ان
يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير فسينغضون اليك رؤسهم اي سيحركونها
نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك

ذلك قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها اما
نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير عايد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او عسى البعث
يقع في زمان قريب او رفع على انه فاعل لعسى وهي تامة اي عسى كونه قريبا او وقوعه في زمان قريب
يوم يدعوكم منصوب بفعل مضمر اي اذكروا او على انه بدل من قريبا على انه ظرف او بيكون تامة بالاتفاق
او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او بضمير المصدر المتمكن في عسى او يكون اعني البعث عند
من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قول زهير ٭ وما الحرب الا ما علمتم وذقتم ٭ وما هو عنها بالحديث المرجم
فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء
والاجابة ايذانا بكمال سهولة التاني وبان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال من ضمير
تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم غير مستعصين او حامدين له تعالى على كمال قدرته عند
مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي لا تظنون عندما ترون من الامور
الهايلة ان لبثتم اي ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما لبثتم في الدنيا وقل لعبادي
المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويهيج الشر والمراء ويغري
بعضهم على بعض ليقع بينهم المشاقة والمشارة والمعارة والمضارة فلعل ذلك يؤدي الى تاكيد العناد وتمادي الفساد
فهو تعليل للامر السابق وقرئ بكسر الزاي ان الشيطان كان قديما للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة
وهو تعليل لما سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان او ان
يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة وما
يشاكلها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه
فعسى يهديهم الى الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك
بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل نزول آية
السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين بالمؤمنين فشكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله وربك
اعلم بمن في السموات والارض وبتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي بها يستاهلون الاصطفاء
والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي
طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من الاكابر والصناديد وذكر من في السموات
لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض لرد قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق
الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع وآتينا داود زبورا بيان لحيثية تفضيله عم فان ذلك ايتاء
الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل النبي صلى الله عليه وسلم فان نعوته الجليلة وكونه خاتم
النبيين مسطور في الزبور وان المراد بعبادي الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي
الصالحون هو النبي صلى الله عليه وسلم وامته وتعريف الزبور تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول
بمعنى المفعول كالحلوب والركوب [illegible] واما لان المراد آتينا داود بعض الزبور او بعضا
من الزبور فيه ذكره عم وقرئ بضم الزاي جمع زبر بمعنى مزبور قل ادعوا الذين زعمتم انهم
آلهة من دونه تعالى من الملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض
والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا ولا تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون اي اولئك الآلهة الذين
يدعونهم المشركون من المذكورين يبتغون يطلبون لانفسهم الى ربهم الوسيلة اي القربة
بالطاعة والعبادة ايهم اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى
الوسيلة فكيف بغير الاقرب [illegible] ليكون اقرب الى الله تعالى
بالطاعة والعبادة ويرجون رحمته ويخافون عذابه كدأب سائر العباد فانهم من

كشفا لضرهم فضلا عن آلهتهم إن عذاب ربك كان محذورا حقيقا بأن يحذره كل أحد حتى الملائكة والرسل عليهم السلام
وهو تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما أن المقام مقام التحذير من العذاب وأن
بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وإن من قرية بيان لتحتم حلول عذابه تعالى بمن لا يحذره إثر بيان أنه حقيق
بالحذر وأن أساطين الخلق من الملائكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة إن نافية ومن استغراقية
والمراد بالقرية القرية الكافرة أي ما من قرية من قرى الكفار إلا نحن مهلكوها أي مخربوها البتة بالخسف
بها أو بإهلاك أهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظائم الموبقات المستوجبة لذلك وفي صيغة الفاعل وإن
كانت بمعنى المستقبل باعتبار ما فيه من الدلالة على التحقق والتقرر وإنما قيل قبل يوم القيامة لأن الإهلاك
يومئذ غير مختص بقرى الكفرة ولا هو بطريق العقوبة وإنما هو لانقضاء عمر الدنيا أو معذبوها أي معذبوا
أهلها على الإسناد المجازي عذابا شديدا إما بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بل بما لا يكتنه
كنهه من فنون العقوبات الأخروية أيضا حسبما يفصح عنه إطلاق التعذيب عما قيد به الإهلاك من
القبلية بيوم القيامة كيف لا وكثير من القرى العاتية العاصية قد أخرت عقوباتها إلى يوم القيامة كان
ذلك الذي ذكر من الإهلاك والتعذيب في الكتاب أي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شيء
إلا بين فيه بكيفياته وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة
والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها أما مكة فيخربها
الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف وأما
خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا وقال الحافظ أبو عمرو الداني في كتاب الفتن أنه روي
عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب
مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا يكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فإذا كانت الملحمة الكبرى
فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم وخراب الأندلس من قبل الزنج وخراب أفريقية
من قبل الأندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من الجوع وخراب
الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من
قبل الغرق وخراب الأبلة من قبل عدو يحصرهم برا وبحرا وخراب الري من الديلم وخراب خراسان
من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب
مكة من الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
آخر قرية من الإسلام خرابا المدينة وقد أخرجه العمري من هذا الوجه وأنت خبير بأن تعميم القرية لا يناسب
المقام ولا السياق وما منعنا أن نرسل بالآيات أي الآيات التي اقترحتها قريش من إحياء الموتى وقلب الصفا
ذهبا ونحو ذلك إلا أن كذب بها الأولون استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي وما منعنا إرسالها
شيء من الأشياء إلا تكذيب الأولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم إرساله تعالى بها وإن كان بمشيئته
المبنية على الحكم الباهرة لا لمنع مانع عن ذلك من التكذيب أو غيره لاستحالة المنع عليه تعالى لكن تكذيبهم
المذكور بواسطة استتباعه لاستئصالهم بحكم السنة الإلهية مستلزما لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك
في العتو والعناد وإفضائه إلى أن يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريمة لما كان منافيا للإرسال لما اقترحوه
من الآيات لتعينه التكذيب المستدعي للاستئصال المخالف لما جرى به قلم القضاء من تأخير عقوبات هذه
الأمة إلى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوقع من إيمان بعض أعقابهم عبر عن تلك المنافاة بالمنع على
نهج الاستعارة إيذانا بتعاضد مبادي الإرسال كما زعموا من عدم إرادته تعالى لتأييده عليه السلام بالمعجزات
وهو السر في إيثار الإرسال على الإيتاء لما فيه من الإشعار بتداعي الآيات إلى النزول لولا أن تمسكها يد التقدير
وإسناد هذا المنع إلى تكذيب الأولين لا إلى علمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله
فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون لإقامة الحجة عليهم بإبراز الأنموذج وللإيذان بأن
مدار عدم الإجابة إلى إيتاء مقترحهم ليس إلا صنيعهم وآتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه النظم
الكريم كأنه قيل وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات

الآيات الباهرة فكذبوها وآتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل أي بينة ذات إبصار أو
بصائر يدركها الناس أو أسند إليها حال من يشاهدها مجازا أو جاعلتهم ذوي بصائر من أبصره جعله بصيرا وقرئ
على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي نصب على الحالية وقرئ بالرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف
فظلموا بها فكفروا بها ظالمين أي لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر وظلموا أنفسهم وعرضوها
للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما أن ثمود عرب مثلهم وأن لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه
حيث يشاهدون آثارهم ورودا وصدورا أو لأنها من جنس آياتهم أخرج من الحجر أوضح دليل
على تحقق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة أو حديدا وما نرسل بالآيات المقترحة إلا تخويفا لمن أرسلت
هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستأصل كالطليعة له وحيث لم يخافوا ذلك فعل بهم ما فعل فلا محل
للجملة من الإعراب ويجوز أن يكون حالا من ضمير ظلموا أي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال أنا ما
نرسل بالآيات التي من جملتها الناقة إلا تخويفا من العذاب الذي يعقبها فنزل بهم ما نزل وإذ قلنا لك إن
ربك أحاط بالناس أي علما كما نقله الإمام الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما فلا يخفى عليه شيء من
أفعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب وقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا
فتنة للناس إلى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال عليها بما صدر عنهم عند مجيء بعض الآيات لاشتراك
الكل في كونها أمورا خارقة للعادات منزلة من جناب الله سبحانه لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم
ببعض مستلزم لتكذيب الباقي كما أن تكذيب الآخرين بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة
والمراد بالرؤيا ما عاينه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء حسبما ذكر في فاتحة
السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا إما لأنه لا فرق بينها وبين الرؤيا أو لأنها وقعت بالليل أو لأن الكفرة
قالوا لعلها رؤيا أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناكها عيانا مع كونها آية عظيمة وأية آية حقيقة بأن لا
يتلعثم في تصديقها أحد ممن له أدنى بصيرة إلا فتنة للناس افتتن بها ناس حتى ارتد بعضهم والشجرة
الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعميها على الإسناد المجازي أو إبعادها عن
الرحمة فإنها تنبت في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة أي وما جعلناها إلا فتنة لهم حيث أنكروا
ذلك وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا
حيث كابروا قضية عقولهم فإنهم يرون النعامة تبتلع الجمر فلا تضرها ويرون أن في كل شجر نارا وقرئ
بالرفع على حذف الخبر كأنه قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بذلك وبنظائرها من الآيات
فإن الكل للتخويف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف إلا طغيانا
كبيرا متجاوزا عن الحد فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما
فعل بأشياعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الأمة إلى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه
النظم الكريم وقد حمل أكثر المفسرين الإحاطة على الإحاطة بالقدرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما عسى يعتريه من عدم الإجابة إلى إنزال الآيات التي اقترحوها لأن الطاعنين بصدده من نوع حزن
من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لأتيت بهذه المعجزات كما أتى بها موسى وغيره من
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه قيل اذكر وقت قولنا إن ربك اللطيف بك قد أحاط بالناس فهم
في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيئته فهو يحفظك منهم فلا تهتم بهم وامض لما أمرتك
به من تبليغ الرسالة ألا ترى أن الرؤيا التي أريناك من قبل جعلناها فتنة للناس مورثة للشبهة
مع أنها ما أورثت ضعفا لأمرك وفتورا في حالك وقد فسر الإحاطة بإهلاكه قريشا يوم بدر وإنما
عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وغير ذلك جريا على عادته سبحانه في أخباره وأولت
الرؤيا بما عسى رآه عليه السلام في المنام من مصارعهم لما روي أنه عليه السلام لما ورد ماء بدر قال والله لكأني أنظر إلى
مصارع القوم وهو يومي إلى الأرض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا
منه وبما رآه عليه السلام أنه سيدخل مكة وأخبر به أصحابه فتوجه إليها فصده المشركون عام الحديبية وعند

وقطع الكبد الجماد لا انقضاضها وبتا هلك
التأويل الثقة معوذين السدنة تلقيح الثاب

عن كون ما ذكر مدنيا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكون الرؤيا واقعة بمكة وذكر الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وأنت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد الهجرة وان يكون ازديادهم طغيانا ناشئا عنه واقعا عند نزول الآية وقد قيل الرؤيا ما رآه عم في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولا ريب ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ قلنا للملائكة تذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملائكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وبعلم من حال الملائكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام في الطاعة وابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس حال من يعاند الحق ويخالف الامر اي واذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لآدم تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا له من غير تلعثم امتثالا بالامر واداء لحقه عم الا ابليس وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود قال اي عندما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر أأسجد وانا مخلوق من العنصر العالي لمن خلقت طينا نصب على نزع الخافض اي من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او من نفس الموصول اي أأسجد له واصله طين والتعبير عنه عم بالموصول لتعليل انكاره بما في حيز الصلة قال اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره كما في قوله تعالى قال فما خطبكم بعد قوله قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون أرأيتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ حذف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته خبره ومقصوده الاستصغار والاستحقار اي اخبرني أهذا من كرمته علي وقيل معنى أرأيتك اتأمل كان المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه لئن اخرتن الى يوم القيامة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه قوله لأحتنكن ذريته اي لأستأصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لأقودنهم حيث ما شئت ولأستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها اذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها به ومنه كقوله لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم اجمعين وانما علم تسني ذلك المطلب لهم تلقيا من جهة الملائكة عليهم السلام واستنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وتوسما من خلقته الا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب اي امض لشانك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي وفر وهو نصب على انه مصدر مؤكد كما في قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او بالفعل المقدر او حال وهو موطئة لقوله موفورا واستفزز استخف من استطعت منهم ان تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العيث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله تعالى فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله تع فهو من رجال ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب بمعنى تاعب ويجمع مثل حذر وحذر وندس وندس ونظائرهما اي تجمع الراجل

الراجل ليطابق الخيل وقرئ رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتا يزعجهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس ومن الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ذلك من تبعه ليس منهم وان الاضافة لثبوت الحكم من تعلقه تعالى ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويستمدون به في الخلاص عن اغوائك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضميره عم للاشعار بكيفية كفايته تعالى لهم اعني سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لنفعكم ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الربح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكملة لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الآية انه كان بكم أزلا وأبدا رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون اي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله تعالى من الملائكة والمسيح وغيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وتدعوه لكشفه استقلالا او اشتراكا او ضل كل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله تعالى على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد واتسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا تعليل لما سبق من الاعراض أفأمنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر الذي هو مأمنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي زيادة الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب أم أمنتم ان يعيدكم فيه في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى اسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان القصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي ثائرا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثأر من جهتنا كقوله ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني آدم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المعتدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعات وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من تركه القرد له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول لذ

بل

ذكم

مة

برجله التي يطأ بها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له
ما يركبه وليس من المخلوقات شئ كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم يخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء وانت خبير
بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اى فنون النعم وضروب
المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة
التي بها يتميز الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم من عدى الملائكة عليهم السلام تفضيلا
عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا
ماهم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدى الملائكة الذين
هم العقول المحضة وانما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطاء والخلل و
ليس فيه دلالة على افضليتهم بالمعنى الذي نحن فيه فان المراد ههنا بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد
البشر صالحها وطالحها ولا يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه
ان قيل اى حاجة الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثناء الملائكة عليهم السلام
من تفضيل جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناءهم من تفضيل بعض افراده عليهم قلنا لابد من تعيين الشئ
اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات بما هو المتنازع فيه اصلا بل هم ادنى من
كل دني حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا يوم ندعو نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا يظلمون وقرئ
بالياء على البناء للفاعل وللمفعول ويدعو بقلب الالف واوا على لغة من يقول في افعى افعو ويدعون
كون الواو علامة الجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة
بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى كل اناس من بني ادم الذين فعلنا بهم في الدنيا
ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت احوالهم في الاخرة بحسب احوالهم واعمالهم في
الدنيا بامامهم اى بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها
فيقال يا اصحاب كتاب الخير يا اصحاب كتاب الشر او يا اهل دين كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع ام
كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عم وتشريف الحسنين رضي الله عنهما والستر على اولاد
الزنا فمن اوتي يومئذ من اولئك المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب المؤتى
وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم
حزب مجتمعون على شأن جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد
كما في حال الايتاء وما فيه من معنى البعد للاشعار برفعة درجاتهم اى اولئك المختصون بتلك الكرامة
التي يشعر بها الايتاء المذكور يقرءون كتابهم الذي اوتوه على الوجه المبين مبتهجين بما سطر فيه من الحسنات
المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اى لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها
مضاعفة فتيلا اى قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شئ فان الفتيل مثل في القلة
والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون التكريم و
التفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة والتفضيل
فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعناه فيه من العقول والقوى فيما خلقن له من العلوم
والمعارف الحقة فهو في الاخرة التي عبر عنها بيوم ندعو اعمى كذلك اى لا يهتدي الى ما ينجيه ولا يظفر بما
يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى التفضيل على ان عماه في الاخرة اشد
من عماه في الدنيا ولذلك قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما واضل سبيلا اى من الاعمى لزوال
الاستعداد والممكن وتعطل الالات بالكلية وهذا بعينه هو الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق
من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة هو الواقع
في سورة الحاقة وسورة الانشقاق للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين
الضالين بعد قوله تعالى فاما ان كان من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في فاتحة

احد الجانبين المسبب وفي الاخر السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الاخر تعويلا على شهادة العقل
كما في قوله عز وعلا وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا
ليفتنونك نزلت في ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على
العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا
باللات سنة وان تحرم وادينا وج كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك
وقيل في قريش حيث قالوا اجعل لنا اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة او قالوا لا نمكنك من
استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وان مخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي
الفارقة بينها وبين النافية اى ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اى يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا
اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما
اقترحته ثقيف وقريش حسبما نقل واذا لاتخذوك خليلا اى لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا ولخرجت
من ولايتي ولولا ان ثبتناك على ما انت عليه من الحق بعصمتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
من الركون الذي هو ادنى ميل اى لو لا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل لقوة خدعهم و
احتيالهم لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون
وهذا صريح في انه عم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله تعالى وعنايته
اذا لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب
الاخرة ضعف ما نعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير خطير وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه
ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة
وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه
كما في الاولى اى كاد اهل مكة ليستفزونك اى ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض اى الارض التي
انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا
بالنصب باعمال اذا على ان الجملة معطوفة على جملة وان كادوا ليستفزونك خلافك اى بعد
خروجك وقرئ خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا
ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقد كان كذلك
فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عم وقيل نزلت الاية في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عم
بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة
واجلي بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدرية اى سن الله تعالى سنة
وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولها من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل
لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل ولا تجد لسنتنا تحويلا اى تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله عم اتاني جبريل عم لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه
من الدلك لان من نظر اليها يدلك عينيه وقيل لغروبها الى غسق الليل
الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء والمراد اقامتها ما بين الوقتين على وجه الاستمرار
اقامة كل صلوة في وقتها المعين لها ببيان جبريل عم كما ان اعداد ركعات كل صلوة موكولة الى
بيانه عم ولعل الاكتفاء ببيان المبدأ والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها لما ان الانسان
بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف وقت العشاء والفجر فانه
بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الاخر ولذلك فصل وقت الفجر عن سائر الاوقات وقيل المراد بالصلوة
صلوة المغرب والتحديد
وقوله تعالى وقران الفجر اى صلوة الفجر نصب عطفا على مفعول اقم او على الاغراء قاله الزجاج وانما

وكما سميت قرانا لانه ركنها كما تسمى ركوعا وسجودا واستدل به على ركنيته ولكن لا دلالة له على ذلك لجواز كون
مدار التجوز كون القراءة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا
وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقران الفجر حثا على تطويل القراءة في صلوة الفجر ان قران الفجر اظهر
في مقام الاضمار بانتظام مزيد الاهتمام كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة
من تبدل الضياء بالظلمة والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان
يشهده الجم الغفير فالاية على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا
الظهر والعصر ومن الليل قيل هو نصب على الاغراء اي الزم بعض الليل وقيل لا يكون المغرى به حرفا ولا
يجدي نفعا كون معناها التبعيض فانه لم يثبت اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح بل هو
منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل فتهجد به اي ازل واترك الهجود اي النوم فان صيغة التفعل
تجيء للازالة كالتحرج والتحنث والتأثم ونظائرها والضمير المجرور للقران من حيث هو لا بقيد اضافته الى
الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض على ان الباء بمعنى في وقيل بنفس
تهجد اي تهجد بالقران بعض الليل على طريقة واياي فارهبون نافلة لك فريضة زائدة على الصلوات
الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تأخير ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم
وقتها على وقتها او تطوعا لكن لا لكونها زيادة على الفرائض بل لكونها زيادة له عم في الدرجات
على ما قال مجاهد والسدي فانه عم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته
بخلاف من عداه من الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم وانتصابها اما
على المصدرية بتقدير تنفل او بجعل تهجد بمعناه او بجعل نافلة بمعنى تهجدا فان ذلك عبادة زائدة
واما على الحالية من الضمير الراجع الى القران اي حال كونها صلوة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل
بمعنى صل وجعل الضمير المجرور للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الله
يبلغك الى كمالك اللائق بك بعد الموت الاكبر كما بعثك من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلوة والعبادة
مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد من ان يكون العامل في
في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير مضاف اي يبعثك ذا مقام محمودا
عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال المقام المحمود هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون
والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة
رضي الله عنه يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم فيه نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك
وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك
الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني اي القبر مدخل صدق اي ادخالا
مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة وهو تلقين للدعاء بما وعده
من البعث المقرون بالاقامة المحمودة التي لا كرامة فوقها وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة
وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصود وقيل ادخال مكة ظاهرا عليها واخراجه منها
آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه
منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح
على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا كقوله

وعض دهر يا بن مروان لم تدع * من المال الا مسحة او مجلف

اي لم تدع فلم يبق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني وملكا وعزا ناصرا
للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيبت دعوته عم بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم
الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق اي الاسلام والوحي الثابت
الراسخ وزهق الباطل اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج

ان الباطل كائنا ما كان كان زهوقا اي شأنه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعاء
بالسلطان النصير الذي لقنه عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون
صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت في يده في عين واحد واحد ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب
لوجهه حتى القي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به
فكسره وننزل من القرآن وقرئ ننزل من الانزال ما هو شفاء لما في الصدور من ادواء الريب واسقام
الاوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان كل القران كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم
يستشف بالقران فلا شفاه الله او تبعيضية لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه
كل نوبة ما تستدعيه الحكمة نزوله وبتبع ذلك من نزل عليهم بسببه مما تقتضيه احوالهم الداعية الى نزوله
بوقع الدواء الشافي المصادف لاباته من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تأخير فكل بعض
منه متصف بالشفاء لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفاء الجسماني كما في الفاتحة
وآيات الشفاء لا يناسب قوله سبحانه ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي لا يزيد القرآن كله او كل بعض
منه الكافرين المكذبين به الواضعين الاشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الاسقام الا خسارا
اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه
بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادئ الاسلام فيهم وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث
انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالآيات النازلة تدريجا ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان
ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من
الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة المذكورة الى القرآن مع انهم هم المزدادون في ذلك
بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفاء والهلاك واذا
انعمنا على الانسان بالصحة والنعمة اعرض عن ذكرنا فضلا عن القيام بمواجب الشكر ونأى بجانبه تباعد
عن طاعتنا بجانبه الثاني بالجانب ازيل عن الشيء عطفه وبوليه عرض وجهه فهو تأكيد للاعراض
عبارة عن الاستكبار لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل
وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر ليس
كذلك كان يؤوسا شديد اليأس من روح الله وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو على هذه الصفة
ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظائره فان ذلك شان بعض آخر منهم
وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ وناء اما على القلب او على انه بمعنى نهض
قل كل يعمل على شاكلته اي كل واحد منكم ومن هو على خلاف حالكم يعمل عاملا على شاكلته اي طريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي براكم
على هذه الطبائع اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا واقوم منهجا وقد فسرت الشاكلة
بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو
مدبر البدن الانساني ومبدأ حياته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم
القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة قل الروح
من امر ربي كلمة من بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي لاشتراك
الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي هو من جنس
ما استأثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من العلم الا
قليلا روي انه عم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب
ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة
وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية وانما قالوا ذلك لسوء فهمهم لان الحكمة

الانسانية ان يعلم من الخير ما تستعد له طاقته البشرية بل ما ينيط به المعاش والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا
نهاية له من معلوماته سبحانه قليل ينال به خير كثير في نفسه او بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكاينة
بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وماله
انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا من قبيل قوله سبحانه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
فان ذلك عبارة من سرعة التكوين سواء كان الكاين من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه
مما لا يحيط بكنهه دائرة ادراك البشر وانما الممكن هذا القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثنى بقوله تعالى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا اى الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو
من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من
احواله التي يدور عليها معرفة ذاته واما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه
اى كاين بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملايمته لحال السائلين لا يساعده التعرض لبيان
قلة علمهم فان ما سألوا عنه مما يحيط به علمهم ح وقد اخرجه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم
من الملك وقيل جبريل عم وقيل القرآن ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك من القرآن الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها وتبتنى عليه حين
كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما لشانه ووصفا له بما
في حيز الصلة ابتداء واعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام المخلوق واللام موطئة للقسم ولنذهبن
جوابه النائب مناب جزاء الشرط وبذلك حسن حذف مفعول المشيئة والمراد من الاذهاب عن ابن مسعود
رضى الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان
هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا
نعلمه ابناءنا وابناؤهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب ثم لا
تجد لك به اى بالقرآن علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك
فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير
مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا
يعد قدره الجليل ويفرط في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارساله
وانزال الكتاب عليك وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفقهون فخامة
شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت الانس والجن اى اتفقوا على ان ياتوا بمثل هذا القرآن
المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى وتخصيص الثقلين بالذكر
لان المتحدى كونه من عند الله تعالى منهما لا لان غيرهما قادر على المعارضة لا ياتون بمثله اوثر
الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا عن ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد
نفي الاتيان بمثل ما اى لا ياتون بكلام مماثل له فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة
والبيان وهو جواب للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جوابا له بغير
جزم لكون الشرط ماضيا كما في قول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالي ولا حرم
وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل القرآن مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي للمعارضة
من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتالبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار وتعاضد
الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اى في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو عطف
على مقدر اى لا ياتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا لبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف عليه حذفا مطردا
لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثله حيث انتفى عند التظاهر فلان ينتفي عند عدمه
اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير مرة ومحله النصب على الحالية حسبما
عطف اى لا ياتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه الحال المنافية لعدم الاتيان فضلا عن غيرها
وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل بعض اياته ببعض ولا مساغ لكون الاية تقريرا لما قبلها من

من قوله تعالى ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كما قيل لكن لا لما قيل من ان الاتيان بمثله اصعب من استرداده
عينه ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا نفي ما فوقه فان اصعبية الاسترداد بعزامره تعالى من الاتيان بمثله
مما لا اشتباه فيه بل لان الجملة القسمية ليست مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله عليه السلام
ولقد صرفنا كررنا ورددنا على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووكادة رسوخ واطمينان للناس في
هذا القرآن المنعوت بما ذكر من النعوت الفاضلة من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب
النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس اوثر الاظهار على الاضمار تاكيدا وتوضيحا الا كفورا اى الا جحودا
وانما صح الاستثناء من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه قيل ما قبل اكثرهم الا
كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا بخصلة سوى الكفور من
الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك وانهم بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة الاباء وقالوا عند ظهور
عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيلي وغيره من المعجزات الباهرة متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده
ولا يقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ بالتشديد
لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا
زخر او يكون لك جنة اى بستان يستر اشجاره ما تحته من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار
اى يجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها عند سقيها او ادامة اجرائها كما
ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع كسفة كقطعة وقطع لفظا
ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهي حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على انه صفة
مصدر محذوف اى اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من
السماء او تاتي بالله والملائكة قبيلا اى مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال
من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اى والملائكة قبيلا كما حذف الخبر في قوله
فاني وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد
قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء اى في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي
الدرج ولن نؤمن لرقيك اى لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل منها علينا
كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله
بن امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتي معك بصك
منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقتراحات
الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الايات ما زادهم ذلك الا مكابرة والا
فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم
وتنزيها لساحته سبحانه عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات الشنيعة التي تكاد السموات
يتفطرن منها او عن طلبك ذلك وتنبيها على بطلان ما قالوه سبحان ربي وقرئ قال سبحان ربي هل
كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور مني الرقي في السماء ونحوه رسولا مامورا من قبل ربي بتبليغ الرسالة
من غير ان يكون لي جرأة في الامر كسائر الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله تعالى على ايديهم
حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله سبحانه بشيء منها وقوله تعالى
بشرا خبر لكنت ورسولا صفته وما منع الناس اى الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله
تعالى اذ جاءهم الهدى اى الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اى وما منعهم وقت مجيء الوحي المقرون بالمعجزات
المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقرآن وبنبوتك او ما منعهم ان يؤمنوا بذلك وقت مجيء ما ذكر الا ان
قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع اى الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله من
جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن بعضهم فمنع بعضا آخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل
للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما عبر عنه بالقول ايذانا بانه مجرد قول يقولونه بافواههم من غير
ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها اولانه

هو المانع بحسب الحال أعني عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون به
من غير ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان
الجواب المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجئا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه مانعا منه قل
لهم اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر في الارض بدل
البشر ملائكة يمشون مطمئنين قاطنين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يجب علمه لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع والتلقي منه واما عامة
البشر فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة كيف لا وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك
اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس
الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب
ويلقوا الى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا
في قوله تعالى ابعث الله بشرا رسولا والاول اولى قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا
ما قلت وبينت لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه رأسا كفى بالله وحده شهيدا على
اني اديت ما علي من موجب الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم ما فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه
الشهادة الى كونه عليه السلام رسولا باظهار المعجزات على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى
بيني وبينكم وما بعده من التعليل واعلام بتقابل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا اما
حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم
على ذلك وهو تعليل للكفاية وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله
كلام مبتدأ مفصل لما اشار اليه الكلام السابق من مجازاة العباد واشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق
بما جاء من قبله من الهدى فهو المهتد اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب ومن
يضلل اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر ضمير الجماعة اعتبارا لمعنى من
حسبما اوثر في مقابله الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل
الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى اي انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى
طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية او الاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه
ضلالهم على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما يقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الآحاد الى
الآحاد ونحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتناء بامر الحشر يوم القيامة
على وجوههم حال من الضمير المنصوب اي كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم
او مشيا فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على
اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير المجرور في الحال السابقة وبكما وصما
لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا
لا يستبصرون بالآيات ولا ينطقون بالحق ولا يستمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار
مؤفي القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم تعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر
في بعض المواطن مما لا ريب فيه مأواهم جهنم اما حال او استئناف وكذا قوله كلما خبت زدناهم سعيرا
اي كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما يتعلق به النار وتحرقه زدناهم توقدا
بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة ومستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على انكارهم الاعادة
بعد الفناء بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما يفصح عنه قوله
تعالى ذلك اي ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اي بسبب انهم كفروا بآياتنا العقلية والنقلية الدالة على
صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم
خبره والجملة خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين
اشد الانكار أإذا كنا عظاما ورفاتا أإنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير

غير لفظه اي لمبعوثون بعثا جديدا واما حال اي مخلوقين مستأنفين أولم يروا اي الم يتفكروا ولم يعلموا
ان الله الذي خلق السموات والارض من غير مادة مع عظمهما قادر على ان يخلق مثلهم في
الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل
لهم اجلا عطف على اولم يروا فانه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض
فهو قادر على خلق امثالهم من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو القيامة فابى
الظالمون وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اي جحودا قل لو انتم
تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه التي افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره
المذكور كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص
اذا لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة النفاد بالانفاق اذ ليس في الدنيا احد الا وهو
يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوته فاذن هو بخيل بالاضافة الى جود الله سبحانه
وكان الانسان قتورا مبالغا في البخل لان مبنى امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة
العوض عما يبذله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به
من عند الله تعالى وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص
الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بني اسرائيل وانفلاق البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه
ان هذه الثلاث لم تكن متنزلة اذ ذاك وان الاوليين لا تعلق لهما بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن
صفوان بن عسال ان يهوديا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا
ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى
ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت ولعل
جوابه عليه السلام بذلك لما انه المهم للسائل وقبوله لما انه كان في التوراة مسطورا وقد علم
انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من جهة الوحي فاسأل بني اسرائيل وقرئ فسل اي فقلنا له
سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او [illegible]
ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضي وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي فاسألهم
عن تلك الآيات لتزداد يقينا وطمأنينة ولتظهر صدقك اذ جاءهم متعلق بقلنا او بسأل على القراءة
المذكورة وباتينا او بمضمر هو يخبروك [illegible] فقال له
فرعون الفاء فصيحة اي فاظهر عند فرعون ما آتيناه من الآيات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له
فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء
الآيات التي اظهرتها الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والغرض انه تعالى هو الذي انزلها
بانه لا يقدر على انشاء مثلها الا الله اي بتلك الآيات العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الآيات اي
بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا
[illegible] العلم بانه عليه السلام على كمال رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ
علمت على صيغة التكلم اي لقد علمت ان هذه الآيات الباهرة انزلها الله عز سلطانه فكيف
يتوهم في مثلي ان يكون مسحورا واني لاظنك يا فرعون مثبورا [illegible]
[illegible] فاراد اي فرعون ان يستفزهم اي يخرجهم
ويزعجهم من الارض ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل [illegible]
فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده
من بعد اغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة
الآخرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة اي قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم
واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه

وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي
اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من تخليط الشياطين
ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب
ونذيرا للعاصي من العقاب وهو تحقيق لحقيته بعد تحقيق حقية انزال القرآن وقرانا منصوب
بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد لدلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس على مكث
على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم
لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا ان الذين اوتوا العلم من قبله اي العلماء الذين قرؤا
الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق
والباطل والمحق والمبطل او رأوا فيها نعتك ونعت ما انزل عليك اذا يتلى اي القرآن عليهم يخرون
للاذقان اي يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به في تلك
الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ ح يتحقق الخرور عليها
وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما في قوله • فخر صريعا لليدين وللفم • وهو
تعليل لما يفهم من قوله تعالى آمنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اي ان لم تؤمنوا به فقد
آمن به احسن ايمان من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون في سجودهم
سبحان ربنا عما يفعل الكفرة من التكذيب او عن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة
من المثقلة واللام فارقة اي ان الشان هذا ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان
لاختلاف السبب فان الاول لتعظيم امر الله تعالى او للشكر لانجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من
مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم اي القرآن بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما
ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر
الرحمن وقد اكثره الله تعالى في التورية والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان
عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما
سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اوفق لقوله تعالى ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير
والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان
التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى
للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين وكونها
حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك
بحيث تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها اي بقراءتها بحيث لا تسمع من
خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك اي بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا
مقتصدا فان خير الامور اوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون ويؤمه
المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم
حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها
ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل بصلاتك بدعائك وذهب
قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا كما
زعم اليهود والنصارى وبنو مليح حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى

تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك في الملك اي الالوهية كما يقوله الثنوية القائلون بتعدد
الالهة ولم يكن له ولي من الذل ناصر ومانع منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها
به ونفى التعرض في اثناء الحمد لهذه الصفات الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره
اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه
ناقص مملوك او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد
وان بالغ في التنزيه والتحميد واجتهد في الطاعة والتمجيد ينبغي ان يعترف بالقصور في ذلك روي انه
عليه الصلوة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عم من قرا سورة بني
اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والله اعلم

سورة الكهف مكية مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اي الكتاب الكامل الغني عن الوصف
بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القرآن
او عن الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا وفي وصفه تعالى بالموصول اشعار بعليته لما في حيز الصلة لاستحقاق
الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفي التعبير عن الرسول
بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه عم الى اعلى معارج العبادة وتشريف له اي تشريف واشعار
بان الرسول لا يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عم وتاخير المفعول الصريح عن الجار
والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اي شيئا من العوج بنوع اختلال
في النظم وتناف في المعنى او انحراف عن الدعوة الى الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان واما قوله تعالى
لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة
البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به
المشاعر الظاهرة عد من قبيل ما في المعاني وقيل العوج في اعوجاج المنتصب كالعود والحائط والكسر في
اعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبغي عنده فما بعده
من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا
بصحتها ومهيمنا عليها [illegible] فيكون تاكيدا لما دل عليه نفي العوج مع افادة كون ذلك
من صفاته الذاتية اللازمة له [illegible] وانتصابه
على الحال [illegible] تقدير جعله قيما او على
تقدير كونها حالية [illegible] بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف [illegible]
قيما لينذر [illegible] الذين كفروا [illegible] والاطلاق عن ذكر المفعول
الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثاني وان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اي انزل
الكتاب لينذر به الذين كفروا باسا شديدا من لدنه اي صادرا من عنده [illegible]
[illegible] لالتقاء الساكنين
وكسر الهاء للاتباع ويبشر [illegible] المؤمنين الذين يعملون الصالحات
الاعمال الصالحة [illegible] صيغة الاستقبال في الصلة للاشعار بتجدد الاعمال
الصالحة واستمرارها [illegible] ان لهم
اي بان لهم [illegible] اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى
ماكثين فيه [illegible] ابدا [illegible]
[illegible]
[illegible] وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
[illegible]

لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اى وينذر من بين سائر الكفرة هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة
وهم كفار العرب الذين يقولون الملائكة بنات الله تعالى واليهود القائلون عزير ابن الله والنصارى القائلون
المسيح ابن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما فعل في قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما
في حيز الصلة في الكفر على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضي في الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة
القبيحة عنهم فيما سبق وجعل المفعول المحذوف فيما سلف عبارة عن هذه الطائفة يؤدي الى خروج سائر
اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هناك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر
الضار من غير اعتبار حلول المنذر به كما في قوله ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا يفضي الى خلو النظم
الكريم عن الدلالة على حلول البأس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل في الافعال
الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول عم ما لهم به اى باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع
على الابتداء او الفاعلية لاعتماد الظرفية ومن مزيدة لتأكيد النفي والجملة حالية او مستأنفة لبيان حالهم
في مقالهم اى ما لهم بذلك شيء من علم اصلا لا لاخلالهم بطريقه مع تحقق المعلوم او امكانه بل لاستحالته
في نفسه ولا لآبائهم الذين قلدوهم فتاهوا جميعا في تيه الجهالة والضلالة او ما لهم علم بما قالوه
اهو صواب ام خطأ بل انما قالوه رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما في قوله
وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقة ما قالوه وبعظم رتبته في الشناعة كما في قوله تعالى
وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو الانسب بقوله
كبرت كلمة اى عظمت مقالتهم هذه في الكفر والافتراء لما فيها من نسبته سبحانه الى ما لا يكاد يليق
بجناب كبريائه والفاعل في كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير
مبهم مفسر بما بعده من النكرة المنصوبة تمييزا كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت
هي كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشمام الضم وقرئ كلمة بالرفع تخرج من
افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها والخروج من الفم مع ان الخارج
هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسته بها ان يقولون ما يقولون في ذلك الشأن الا كذبا
الا قولا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضميران لهم ولآبائهم مثل حاله عم
في شدة الوجد على اعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه
اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تأسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل
على طريقة التمثيل حملا له عم على الحذر والاشفاق من ذلك فلعلك باخع اى مهلك نفسك على
آثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اى القرآن الذي عبر عنه
في صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اى
لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بجعله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما في قوله عز وجل
باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اى لفرط الحزن والغضب او حال مما فيه من الضمير اى متأسفا
عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل التشبيه بين احوال الطرفين لا بين الهيئتين
المنتزعتين منهما كما في التمثيل وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انا جعلنا
ما على الارض استئناف وتعليل لما في لعل من معنى الاشفاق اى انا جعلنا ما عليها مما عدا من وجه
اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا زينة مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام في لها
متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اى كائنة لها اى ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا
بها نظرا واستدلالا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما لعذاب الآخرة من قبيل المنافع بل كل حادث
داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة
الحيوة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم
داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلين تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اى جعلنا

جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فنجازيهم بالثواب والعقاب حسبما تبين المحسن
والمسيء وامتازت تحققات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت
درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما قررناه في مطلع سورة هود واى اما استفهامية مبتدأ مرفوع [illegible]
واحسن خبرها والجملة في محل النصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال
والنظر ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذي واحسن
خبر مبتدأ مضمر والجملة صلة لها وهي في حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذي هو
احسن عملا فحينئذ يحتمل ان يكون الضمة في ايهم للبناء كما في قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة
ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذي هو الاضافة لفظا وحذف صدر
الصلة وان يكون للاعراب لما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار
بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغي والتأمل في شأنها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها
والتمتع بها حسبما اذن له الشرع واداء حقوقها والشكر لها لا اتخاذها وسيلة الى الشهوات والاغراض
الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار
اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان الغاية الاصلية
للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن
عملا وانا لجاعلون فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة بافنائها بالكلية
وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل
والصعيد التراب او وجه الارض قال ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق
الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف
بمشاهدته الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت
الارض فهي مجروزة اى ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اى اكلت
ما عليها وهذه الجملة لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن بما عاينت من القوم من تكذيب
ما انزلنا عليك من الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم
فنجازيهم بحسبها وانا لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم ام حسبت الخطاب
لرسول الله صلى الله عم والمراد انكار حسبانه عم وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من
حديث الى حديث لا للابطال وبالهمزة للاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اى
بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر
من آياتنا من بين آياتنا التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار
اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا كأن لم تغن بالامس عجبا اى آية ذات عجب وضعا له موضع
المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه اى ان قصتهم خارقة
للعادات ليست بعجيبة بالنسبة الى سائر الآيات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل
هي عندها كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم كلبهم في قول امية بن ابي الصلت
وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف همد
وقيل هو لوح رصاص او حجري رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي
فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان
وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم آخرون وكانوا ثلاثة اطبق عليهم الغار فنجا
كل منهم بذكر احسن عمله على ما فصل في الصحيحين اذ اوى ظرف لعجبا لا لحسبت او مفعول
لاذكر اى حين اوى الفتية اى اصحاب الكهف اوثر الاظهار على الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه
في انفسهم من حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك
فهربوا منه بدينهم ولأن صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا يناسب اعتبارها معهم

قيل بيانه إلى الكهف ملجئين إليه بجلوس واتخذوه مأوى فقالوا ربنا آتنا من لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل العادات فمن ابتدائية متعلقة بآتنا أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له أي آتنا كائنة من لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء وهيئ لنا من أمرنا الذي نحن عليه من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك وأصل التهيئة إحداث هيئة الشيء أي أصلح ورتب وأتمم لنا من أمرنا رشدا إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بهما وإبراز الرغبة في الموخر بتقديم أحواله فإن تأخير ما حقه التقديم عما هو من أحواله المرغبة فيه كما يورث تشوق السامع إلى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على رحمة وتقديم لنا على من أمرنا للإيذان من أول الأمر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم أو لجعل أمرنا رشدا كله على أن من تجريدية مثلها في قولك رأيت منك أسدا فضربنا على آذانهم أي أنمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الإنامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاج إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق وقيل الضرب على الآذان كناية عن الإنامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الأمير على يد الرعية أي منعهم من التصرف مع عدم ملايمته لما سيأتي من البعث لا يدل على النوم مع أنه المراد قطعا والفاء في فضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله إذ نادى فإن الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعث وغير ذلك إيتاء رحمة لدنية خافية عن أبصار المتمسكين بالأسباب العادية استجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له أي ضربنا عليها سنين عددا أي ذوات عدد أو تعد عددا على أنه مصدر أو معدودة على أنه بمعنى المفعول ووصف السنين بذلك إما للتكثير وهو الأنسب بإظهار كمال القدرة أو للتقليل وهو الأليق بمقام إنكار كون القصة عجبا من بين سائر الآيات العجيبة فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم أي أيقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق الالتفات وأيا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الإظهار والتمييز أو بحمله على ما يصح وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله تعالى إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا ونظائرهما لما أن تحقق ذلك العلم يتحقق متعلقه قطعا فإن تحويل القبلة قد ترتب عليه تحزب الناس إلى متبع ومنقلب وكذا مداولة الأيام بين الناس ترتب عليه تحزبهم إلى الثابت على الإيمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم الحالي والإظهار والتمييز وأما بعث هؤلاء فلم يترتب عليه تفرقهم إلى المحق وغيره حتى يتعلق بهما العلم أو الإظهار والتمييز ولم ينتظم شيء من ذلك في سلك الغاية وإنما الذي ترتب عليه تفرقهم إلى مقدر تقديرا غير مصيب ومفوض إلى العلم الرباني وليس شيء منهما من الإحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به عن المختبر قطعا بل قد يكون لإظهار عجزه عنه على سنن التكاليف التعجيزية كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله وهو المراد ههنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم أي الحزبين أي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي أحصى أي أضبط لما لبثوا أي للبثهم أمدا أي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك إلى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم من حفظ أبدانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم وقد اقتصر ههنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر عنه عز وجل وفيما سيأتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي إليه وهذا أولى من تصوير التمثيل بأن يقال بعثناهم بعث من يريد أن يعلم الخ حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين آمنوا على أحد الوجوه حيث حمل على معنى

فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الإيمان من غير الثابت إذ ربما يتوهم منه استلزام الإرادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار إلى جعل إرادة العلم عبارة عن الاختبار فاختر هذا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الإعلام على أن المفعول الأول محذوف والجملة المصدرة بأي في موقع المفعول الثاني فقط إن جعل العلم عرفانيا أو في موقع المفعولين إن جعل يقينيا أي ليعلم الله الناس أي الحزبين أحصى الخ وروى عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحد الحزبين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم والأمد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية وانتهاء الغاية وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى إحصاء تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فإنه لا يسمى إحصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة العارضة لها باعتبار قسمتها إلى السنين وبلوغها من تلك الجنسية إلى مراتب الأعداد على ما يرشدك إليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز أن يراد بالأمد معناه الوضعي بتقدير المضاف أي لزمان لبثهم وبدونه أيضا فإن اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فباعتبار الامتداد والعارض له بسببه يكون له أمد لا محالة لكن ليس المراد به ما يتم غاية ومنتهى لذلك الكون المستمر باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو آن انبعاثهم من نومهم فإن معرفته من تلك الجنسية لا تخفى على أحد ولا تسمى إحصاء كما مر بل باعتبار كميته المنفصلة العارضة له بسبب عروضها لزمانه المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه إلى السنين ووصوله إلى مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الأولى والفرق بين الاعتبارين أن ما تعلق به الإحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة إلى السنين فهو مجموع ثلاثمائة وتسع سنين وفي الصورة الأخيرة منتهى تلك المنقسمة إليها أعني السنة التاسعة بعد الثلاثمائة وتعلق الإحصاء بالأمد بالمعنى الأول ظاهر وأما تعلقه به بالمعنى الثاني فباعتبار انتظامه لما تحته من مراتب العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز أن يكون موصولة حذف عائدها من الصلة أي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فالأمد بمعناه الوضعي على ما تحققته وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وأمدا نصب على التمييز وأما ما قيل من أن أحصى اسم تفضيل لأنه الموافق لما وقع في سائر الآيات الكريمة نحو أيهم أحسن عملا أيهم أقرب لكم نفعا إلى غير ذلك مما لا يحصى ولأن كونه فعلا ماضيا يشعر بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم على البعث لا بالإحصاء المتأخر عنه وليس كذلك وادعاء أن مجيء أفعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي مردود بأنه عند سيبويه قياس مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في أن ما نحن فيه من ذلك القبيل واستناع عمله إنما هو في غير التمييز من المعمولات وأما أن التمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلما نع أن يمنعه لصحة أن يقال أيهم أحفظ لهذا الشعر وزنا أو تقطيعا أو يقال إن العامل في أمدا كما في قوله • وأضرب منا بالسيوف القوانسا • وحديث الوقوع في المحذور بلا فائدة مدفوع بما أشير إليه من فائدة الموافقة للنظائر مع ما فيه من الاعتناء والخلل بمعزل من السداد لأن مؤداه أن يكون المقصود بالاختبار إظهار أفضل الحزبين وتمييزه عن الأدنى مع تحقق أصل الإحصاء فيهما ومن البين أن لا تحقق له أصلا وأن المقصود بالاختبار إظهار عجز الكل عنه بالمرة وهو فعل ماض قطعا وتوهم إيذانه بأن غاية البعث هو العلم بالإحصاء المتقدم عليه مردود بأن صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية والله تعالى أعلم

نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما أجمل فيما سلف من قوله تعالى إذ أوى الفتية الخ أي نحن نخبرك بتفاصيل أخبارهم وقد مر بيان استغنائه في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم النبأ الخبر الذي له شأن وخطر بالحق إما صفة لمصدر محذوف أو حال من ضمير نقص أو من نبأهم أو صفة له على رأي من يرى حذف الموصول مع بعض صلته أي نقص قصصا ملتبسا بالحق أو نقصه ملتبسين به أو نقص نبأهم ملتبسا به أو نبأهم الملتبس به وبنا وهم حسبما ذكره محمد بن إسحق بن يسار أنه قد مرج أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتى عتوا كبيرا دقيانوس فإنه غلا فيه غلوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعيث والفساد وقتل

من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عم وكان يخيّر الناس فيخيّرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب
في الحيوة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن آثر عليها الحيوة الابدية قتله وقطع آرابه وعلّقها في سور المدينة
وابوابها فلما رأى الفتية ذلك وكان عظما اشتد حزنهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى
الله عز وجل واشتغلوا بالصلوة والدعاء فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروا بين يديه
فقال لهم ما قال وخيّرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمته
وجبروته لن ندعو من دونه احدا ولن نقرّ بما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما
عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شأنه وامهلهم الى رجوعه
ليتأملوا في امرهم فان يتبعوه والا فعل بهم ما فعل بسائر المسلمين فأزمعت الفتية على الفرار بالدين والالتجاء
الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فأووا الى الكهف
فجعلوا يصلّون فيه آناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله تعالى بالانين والجؤار وفوضوا امر
نفقتهم الى يمليخا فكان اذا اصبح يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس لباس المساكين ويدخل المدينة ويشتري ما يهمهم
ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر
آباءهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق وفروا الى الجبل فلما رأى يمليخا
ما رأى من الشر رجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله
عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم وجلسوا يتحدثون في امرهم فبينما هم كذلك اذ ضرب الله تعالى على
آذانهم فناموا ونفقتهم عند رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدوهم قد دخلوا الكهف
فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قائل منهم أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم
قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شأنهم
ما قص الله عز وعلا انهم فتية استيناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب والفتية جمع
قلة للفتى كالصبية للصبي آمنوا بربهم اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة
ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين
واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سابقا ولاحقا من التكلم
وربطنا على قلوبهم اي قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان
واجترؤا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد
بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم
اني لاجد في نفسي شيئا ان ربي رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك نجد فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب
السموات والارض ضمّنوا دعواهم ما يحقق فحواها ويقتضي مقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضي ربوبيته
لما فيهما أي اقتضاء وقيل المراد قيامهم بين يدي الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام
فح يكون ما سيأتي من قوله تعالى هؤلاء الخ منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعو
من دونه الها لن نعبد ابدا من دونه الها معبودا آخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على
رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم آلهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية وللايذان
بان ربوبيته تعالى بطريق الالهية لا بطريق المالكية المجازية لقد قلنا اذا شططا اي قولا ذا
شطط اي تجاوز عن الحد او قولا هو عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف
مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية المعبود والتضرع
اليه قيل لقد قلنا واذن جواب وجزاء اي لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد
المعقول مفرطا في الظلم هؤلاء مبتدأ وفي اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا
من دونه آلهة خبره وفيه معنى الانكار لولا يأتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز اي هلا
يأتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها آلهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم
وهو تبكيت لهم والقام حجر فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى

والمعنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك النظم على انكار الاظلمية من غير تعرض لانكار المساواة كما مر تحقيقه
في سورة هود واذ اعتزلتموهم اي فارقتموهم في الاعتقاد او اردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون الا
الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اي اذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله او وعبادتهم الا
عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثناء متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير
تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض
بين اذ وجوابه فأووا اي التجئوا الى الكهف قال الفراء هو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا
وقيل هو دليل على جوابه اي اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا او اذا اردتم
اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجاء الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته
في الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذي انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون و
تنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفاء مصدرا كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين لما مر مرارا من الايذان
من اول الامر بكون الموخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعدما أووا الى
الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر لكونه صادرا عن رأي صائب
وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه اذ اوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في
فجوة منه والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وليس المراد به الاخبار بوقوع
الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اي تتزاور وتتنحى
بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء في الزاي وتزور كتحمر وتزوار كتحمار وكلاهما من
الزور وهو الميل عن كهفهم الذي اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اي جهة ذات يمين
الكهف عند توجه الداخل الى قعره اي جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت
اي تراها عند غروبها تقرضهم اي تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اي جهة ذات
شمال الكهف اي جانبه الذي يلي المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه على منهاج خرق العادة كرامة
لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اي تراها تميل عنهم يمينا وشمالا
ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرّض لاصابتها لولا ان كفّتها عنهم يد التقدير ذلك اي ما صنع الله
بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها من آيات الله العجيبة
الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى [illegible]
دخلوا في كنف من الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات النعش واقرب المشارق والمغارب
الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو
الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه
ولا يقع عليهم فيؤذي اجسادهم ويبلي ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان لذلك ولذلك اوثر
التزاور على كهفهم والقرض على انفسهم فذلك ح اشارة الى ايوائهم الى كهف هذا شأنه واما جعله
اشارة الى حفظ الله سبحانه اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه
رسوله صلى الله عليه وسلم على احوالهم فلا يساعده المقام من يهد الله فهو المهتد الى الحق
بالتوفيق له مثل اولئك الفتية فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد اما الثناء عليهم والشهادة لهم باصابة المطلوب
والاخبار بتحقق ما املوه من نشر الرحمة وتهيئة المرافق والتنبيه على ان امثال هذه الآية كثيرة ولكن
المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه
فلن تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء وليا ناصرا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح
لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف
والخطاب فيه كما فيما سبق وهم رقود نيام
على هيئة الناظر وقيل لكثرة تقلبهم
بذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره الآن ونقلبهم ذات اليمين

الظرف ذات اليمين اي جهة تلي ايمانهم وذات الشمال اي جهة تلي شمائلهم كيلا تاكل الارض ما يليها من ابدانهم قال
ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة
يوم عاشوراء وقيل في تسع سنين وقرئ يقلبهم على الاسناد الى ضمير الجلالة وتقلبهم على المصدر منصوبا بمضمر ينبئ
عنه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله
فقال لا تخشوا جانبي فاني احب احباء الله تعالى فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع قد تبعهم على دينهم و
يؤيده قراءة كالبهم اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او زرعه او غنمه واختلف في لونه فقيل
كان احمر وقيل اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل نقود وقيل قطمور
وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم
يكن من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل وعند الكسائي
وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى راس الاصبع الوسطى بالوصيد
اي بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة
والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا مما شاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى
ما قبله اذ التولية والفرار من واد واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا وبجعل الفاعل
مصدرا مبالغة كما في قولها فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولملئت منهم رعبا وقرئ
بضم العين اي خوفا يملأ الصدر وقرئ رعبا وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل
من الهيبة والهيئة كانت اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم
ولا يبعد عنه قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله تعالى ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم
اختلاف احوالهم من انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تاخير هذا عن ذكر التولية للايذان باستقلال
كل منهما في الترتب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو هو عليه
وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد وعن معاوية انه لما غزا الروم مر بالكهف فقال لو كشف
لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك حيث
قال لو اطلعت عليهم الاية فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما
دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم وقرئ بتشديد اللام على التكثير وبابدال الهمزة ياء مع التخفيف و
التشديد وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم وحفظنا اجسادهم من البلى والتحلل اية دالة على كمال قدرتنا
بعثناهم من النوم ليتساءلوا بينهم اي ليسال بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية
للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه
لسائر اثاره قال استئناف لبيان تساؤلهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم
لعله قاله لما راى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما
قالوه لانهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم اخر النهار فقالوا لبثنا يوما فلما راوا ان الشمس لم تغرب بعد
قالوا او بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اي بعض اخر منهم بما سنح
لهم من الادلة او بالهام من الله سبحانه ربكم اعلم بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه
وهذا رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعاة حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين
فيما سبق وقد قيل القائلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستيناف في الحكاية
والخطاب في المحكي يقضي بان الكلام جار مجرى المحاورة والمجاوبة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما لبثنا
فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم بحسب
الحال كما ينبئ عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة يشعر بان القائل
ناولها بعض اصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف في الكاف وبكسر الواو و
بسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله تعالى فلينظر ايها اي
اهلها ازكى طعاما احل واطيب واكثر وارخص فلياتكم برزق منه اي من ذلك الازكى طعاما وليتلطف

وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفاء لئلا يعرف ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه
يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي على الاول تاسيس وعلى الثاني تاكيد للامر
بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اي
يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم ان ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم
في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها كرها من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا
اولا على دينهم وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شيء عندهم كراهة وتقديم
احتمال الرجم على احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين المؤدي اليه وضمير الخطاب
في المواضع الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفاء وحث الباقين على الاهتمام بالتوصية فان امحاض
النصح ادخل في القبول واهتمام الانسان بشان نفسه اكثر واوفر ولن تفلحوا اذا اي ان دخلتم فيها ولو بالكره
والالجاء لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة وفيه من التشديد في التحذير ما لا يخفى وكذلك اي
كما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم ليعلموا اي
الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي وعده بالبعث او موعوده الذي هو
البعث او ان كل وعده او كل موعوده فيدخل فيه وعده بالبعث او البعث الموعود دخولا اوليا حق صادق
لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان الساعة اي القيامة التي هي
عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعا للحساب والجزاء لا ريب فيها لا شك في قيامها فان من شاهد انه جل
وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلاثمائة سنة واكثر حافظا ابدانها من التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى
له شائبة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجزيهم بحسب
اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا قدم عليه الغاية اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا
كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار وليس كذلك اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون
بينهم امرهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقر
له وجاحد به وقائل يقول ببعث الارواح دون الاجساد واخر يقول ببعثهما معا قيل كان ملك المدينة حينئذ
رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس
مسحا وجلس على رماد وسال ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد
دقيانوس باب الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى و
ان المبعوث لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه بانه وجد
كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم
من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت
الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فالقى الملك
عليهم ثيابه وجعل لكل منهم تابوتا من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب
الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي
عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قبل بعثهم اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون
بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال والاهوال ويتلقون ذلك من الاساطير وافواه
الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله تعالى فقالوا فصيحة اي اعثرناهم عليهم فراوا ما راوا ثم ماتوا فقال بعضهم
ابنوا عليهم اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى
ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم لما راوا عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث النسب
ومن حيث العدد ومن حيث اللبث في الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر الى علام الغيوب او من كلام الله
سبحانه رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم
او شانهم في الموت والنوم حيث اختلفوا في انهم ماتوا او ناموا كما في اول مرة فاجيب بانه متعلق بقوله
قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف

على بيتنا تدعون وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان هذا القول ليس مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق
باذكر مضمرا واما تعلقه باعثرنا فيأباه ان اعثارهم ليس في زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وجعل وقت التنازع
ممتدا يقع في بعضه الاعثار وفي بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا مخصص لاضافته الى التنازع وهو
موجز في الوقوع سيقولون الضمير في الافعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم اي
هم ثلاثة اشخاص رابعهم اي جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل قاله اليهود وقيل قاله السيد من
نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاث بادغام الثاء في التاء ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل
قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من
قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين جميعا اي راجمين او على المصدر من
منهما فان الرجم والقول واحد او من محذوف مستانف او واقع موقع الحال من ضمير الفعلين معا اي يرجمون
رجما وعدم ايراد السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما يقوله
المسلمون بطريق التلقي من هذا الوحي وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه في سلك الرجم بالغيب
وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا بوحي آخر كما قيل قل تحقيقا للحق
وردا على الاولين ربي اعلم اي اقوى علما بعدتهم ما يعلمهم اي ما يعلم عدتهم او يعلمهم فضلا عن
العلم بعدتهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد بتلك الشواهد قال ابن عباس رضي الله عنهما
حين وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار قوله رضي الله عنه انا من ذلك القليل ولو كان في ذلك وحي
آخر لما خفي عليه ولما احتاج الى الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له في العلم بذلك وعن علي كرم
الله وجهه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان
عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي
وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفيشطيطيونش فلا تمار فيهم الفاء لتفريع النهي على ما قبله
اي اذا قد عرفت جهل اصحاب القولين الاولين فلا تجادلهم في شأن الفتية الا مراء ظاهرا الا بقدر
ما تعرض له الوحي من وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالي وتفويض العلم الى الله سبحانه
من غير تعريض بجهلهم وتفضيح لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم في شأنهم منهم من
الخائضين احدا فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك [illegible] الا
قليل من اهل الكتاب والضمائر الثلاثة في الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين
الى صحة القول الثالث وفيه تخليص عما في الاول من التكلف في جعل احد الاقوال المحكية المنظومة
في سمط واحد ناشئا عن الحكاية مع كون الآخرين على خلافه ووضوح في سبب حذف المقول في الابتداء
والمعترض واذ قد وقفت على ان كلهم ليسوا على خطاء في ذلك فلا يجادلهم الا جدالا ظاهرا ينطق به
الوحي المبين من غير تجهيل لجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهي عن الاستفتاء لرفع ما عسى يتوهم من
احتمال جوازه او احتمال وقوعه بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم في شأن الفتية ولا
تصدق القول الثالث من حيث صدوره عنهم بل من حيث التلقي من الوحي ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء
تعزم عليه اني فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل فيه الغد دخولا
اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه
فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان
المدلول بالعبارة هو الغد وما بعد ذلك مفهوم بطريق دلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه في
مناط النهي فان وسعة المجال دليل القدرة فليتأمل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهي اي لا تقولن
ذلك في حال من الاحوال الا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله
او في وقت من الاوقات الا وقت ان يشاء الله ان تقوله لا مطلقا بل مشيئته اذن فان النسيان ايضا
بمشيئته تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشيئة بالفعل ومنافاته استثناء

استثناء اعتراضها النهي وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما
كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذا فرط
منك نسيان ثم ذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير
الاستثناء وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار وطلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق
ولا كذب قال القرطبي هذا في تدارك التبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للحكم فلا
يكون الا متصلا ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة
في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك او اذكره
اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان
يهدين ربي اي يوفقني لاقرب من هذا اي لشيء اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف من الآيات والدلائل
الدالة على نبوتي رشدا اي ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وعلا ذلك حيث آتاه
من البينات ما هو اعظم من ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة في الاعصار
المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم احياء مضروبا على
آذانهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا وهي جملة مستأنفة مبينة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزته
عند الله وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم
هكذا وبعضهم ثلاثمائة وثلاث وعن علي رضي الله عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلثمائة
سنة شمسية والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلثمائة
وتسع سنين وسنين عطف بيان لثلثمائة وقيل بدل وقرئ على الاضافة وضعا للجمع موضع المفرد
ومما يحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف في الواحد وان الاصل في العدد اضافته الى
الجمع قل الله اعلم بما لبثوا اي بالزمان الذي لبثوا فيه له غيب السموات والارض اي ما غاب
فيهما وخفي من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمي دون التكويني فانه غير مختص بالغيب ابصر به
واسمع دل بصيغة التعجب على ان شأن علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه ادراك المدركين
لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي
والجلي والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار
ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في كفى
به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة
للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذي نحن بصدده من قبيل
المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولي يتولى امورهم ويدبرهم استقلالا ولا
يشرك في حكمه في قضائه او في علم الغيب احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وهو كما ترى ابلغ في
نفي الشريك من ان يقال من ولي ولا شريك وقرئ على صيغة النهي على انه خطاب للنبي عليه الصلاة
والسلام ولما دل اشتمال القرآن الكريم على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم
على انه وحي معجز من عند الله لطيف مر على رأسه قال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك
ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا قادر على تبديلها وتغييرها غيره
ولن تجد ابدا لو بالغت في الطلب من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر
نفسك احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اي دائبين على الدعاء
في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقرئ بالغدوة وعلى ان غدوة علم
على تأويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب وعمار وخباب ونحوهم رضي الله عنهم وقيل اصحاب
الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل ان قوما من رؤساء الكفرة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
نح هؤلاء الموالي الذين كأن ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه السلام أنؤمن لك واتبعك
الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر بما في حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة

العجز يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من المستكن في يدعون اى مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اى لا تجاوزهم نظرك الى غيرهم من عداه اى جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبو او لا تصرف عيناك النظر عنهم الى غيرهم من عدوته عن الامر اى صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من الاعداء والتعدية والمراد نهيه عليه السلام عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى زي الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا اى تطلب مجالسة الاشراف والاغنياء واصحاب الدنيا وهي حال من الكاف على الوجه الاول من القراءة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منه وضمير تريد للعينين واسناد الارادة اليهما مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله لمن زحلوقة زل بها العينان تنهل ومن المستكن في الفعل على القراءتين الاخريين ولا تطع في تنحية الفقراء عن مجلسك من اغفلنا قلبه اى جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة او وجدناه غافلا كقولك اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اى لم نسمه بالذكر عن ذكرنا كاولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعاء غفلة قلبه عن جناب الله تعالى وجهته وانهماكه في الحسيات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اى حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة من اغفله اذا وجده غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اى متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان الغفلة عن ذكره تعالى تؤدي الى اتباع الهوى المؤدي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة وقل لاولئك الغافلين المتبعين هواهم الحق من ربكم اى ما اوحي الي الحق لا غير كائنا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهتي حتى يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر اما من تمام القول المأمور به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لتفريعه عليه كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين اى عقيب تحقق ان ما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يؤمن به فليؤمن كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من التهديد واظهار الاستغناء عن متابعتهم وعدم المبالاة بهم وبايمانهم وجودا وعدما ما لا يخفى واما تهديد من جهة الله تعالى والفاء لترتيب ما بعدها من التهديد على الامر لا على مضمون المأمور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يؤمن به او ان يصدقك فيه فليؤمن ومن شاء ان يكفر به او ان يكذبك فيه فليفعل وقوله تعالى انا اعتدنا وعيد شديد وتأكيد للتهديد وتعليل لما يفيده من الزجر عن الكفر او لما يفهم من ظاهر التخيير من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء والامهال وعلى الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اى قل لهم ذلك انا اعتدنا للظالمين اى هيأنا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان مشيئة الكفر واختياره تجاوز عن الحد ووضع للشيء في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم اى يحيط بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اى فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب اشتوى الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو لمقابلة قوله تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين آمنوا في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كأنه قيل وللذين آمنوا ولعل تغيير سبكه للايذان بكمال تنافي مآلي الفريقين اى ان الذين آمنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات

حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اى من احسن منهم عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا في الحقيقة هو الذي من وعمل الصالحات اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار استئناف لبيان الاجر وهو الخبر وما بينهما اعتراض او هو خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهي جمع اسورة او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق اى مما رق من الديباج وما غلظ جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر على ما هو شأن المتنعمين نعم الثواب ذلك وحسنت اى الارائك مرتفقا اى متكأ واضرب لهم اى للفريقين الكافر والمؤمن مثلا رجلين مفعولان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اى اضرب للكافرين والمؤمنين لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر آنفا من ان للاولين في الآخرة وللآخرين كذا بل من حيث عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله تعالى وطاعة الآخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر مثلا حال رجلين مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل او شريكان كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا اقتسما ثمانية آلاف دينار فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المؤمن نصيبه الى وجوه البر فآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر هو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن هو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام سلمة رضي الله عنها جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بستانين من اعناب من كروم متنوعة والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اى جعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا به وحففته بهم جعلتهم حافين حوله فيزيد الباء مفعولا آخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الهيئة الرائقة والوضع الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ثمرها وبلغ بلوغا صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه لم تنقص من اكلها شيئا كما يعهد ذلك في سائر البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في آخر وكذا بعض الاشجار يأتي بالثمر في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بينهما نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتاء الاكل مع ان الترتيب الخارجي على العكس للايذان باستقلال كل من ايتاء الاكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين كما في قصة البقرة ونحوها ولو عكس لانفهم ان المجموع خصلة واحدة بعضها مرتب على بعض فان ايتاء الاكل متفرع على السقي عادة وفيه ايماء الى ان ايتاء الاكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قال ابن عباس رضي الله عنهما وهو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المؤمن وهو اى القائل يحاوره اى صاحبه المؤمن وان جاز العكس اى يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا او اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت احوالهما وعددهما وصفا بهما وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احداهما بالاخرى واما لان الدخول يكون في واحدة فواحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من ذكر دخول جنته حال ظلمه لنفسه كأنه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة اى تفنى ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنتيه ونهيه عن الاغترار بهما وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة قائمة كائنة فيما سيأتي ولئن رددت بالبعث عند قيامها كما تقوله الى ربي لاجدن يومئذ خيرا منها من هذه الجنة وقرئ منهما اى من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاده

انه تعالى اغنا اولاه في الدنيا لاستحقاقه لذلك اي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان ذلك استدراج
قال له صاحبه استئناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فائدتها التنبيه من اول الامر على ان ما يتلوه
كلام معتنى بشانه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة قائمة بالذي خلقك اي في ضمن خلق
اصلك من تراب فان خلق آدم عليه السلام منه متضمن لخلقه لما ان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام
اذ لم يكن فطرته الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء
اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه من التراب خلقا للكل منه وقيل خلقك
منه لانه اصل مادتك اذ به يحصل الغذاء الذي منه يحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هي مادتك
القريبة فالمخلوق واحد والمبدأ متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك
رجلا والتعبير عنه تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث
الذي نطق به قوله عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب لكنا
هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونان فكان الادغام
وهو ضمير الشان وهو مبتدأ خبره الله ربي والجملة خبر انا والعائد منها اليه الضمير وقرئ باثبات
الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالهاء وقرئ لكن بطرح انا ولكن انا
لا اله الا هو ربي والاستدراك من قوله تعالى اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن موحد ولا
اشرك بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي
هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للايذان بتحتم القول في آن الدخول من
غير ريث لا للقصر ما شاء الله اي الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة مرفوعة
المحل او اي شيء شاء الله كان على ان ما شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف
بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اي هلا قلت ذلك
اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبي صلى الله عليه وسلم
من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما
مؤكد لياء المتكلم او ضمير فصل بين مفعولي الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية
فيكون انا حينئذ تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر او ما اصله المبتدأ والخبر
وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر
النفر بالولد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترن افقر منك
فانا اتوقع من صنع الله سبحانه ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا
من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب
كالبطلان والغفران اي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان
وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيما سياتي
للاول اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر اريد به المفعول مبالغة اي رمادا املس يزلق
عليه لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات او يصبح عطف على قوله فتصبح وعلى الوجه الثالث
على يرسل ماؤها غورا اي غائرا في الارض اطلق عليه المصدر مبالغة فلن تستطيع له اي للماء الغائر
طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره اهلكت امواله المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة
العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور واهلكت امواله وانما حذف
لدلالة السباق والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن
وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم
به دون ما هلك الآن من الجنة لما انه انما يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق في عمارتها
كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان وقد صرفه الى مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به
وكان يرى انه لا ينالها ايدي الردى ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها

انهما مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره في مثل هذا الشيء
السريع الزوال وهي اي الجنة من الاعناب المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اي دعائمها
المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهي
من بينهما واما لان ذكر هلاكها مغن عن ذكر هلاك الباقي لانها حيث هلكت وهي مشيدة بعروشها
فهلاك ما عداها بطريق الاولى واما لان الانفاق في عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا
فاحرقتها وغار ماؤها ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اي وهو يقول يا ليتني لم اشرك بربي
احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه انما اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يصبه ما اصابه
قيل ويحتمل ان يكون ذلك توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية
فئة ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار
المعنى كما في قوله عز وجل [illegible] من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا في نفسه
ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه هنالك في ذلك المقام وفي تلك الحال الولاية لله الحق اي النصرة
له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر
اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها
الملك والسلطان اي هنالك السلطان له عز وجل لا يغلب ولا يمتنع منه او لا يعبد غيره كقوله تعالى واذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك الخ كان عن
اضطرار وجزع عما دهاه على اسلوب قوله تعالى الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك
اشارة الى الآخرة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ برفع الحق على انه صفة للولاية وبنصبه
على انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحياة الدنيا
اي واذكر لهم ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها ولا يضربوا
عن الآخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التي هي في الغرابة كالمثل كماء استئناف لبيان
المثل اي هي كماء انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير فاختلط به
لتشتبك بسببه نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع الماء في النبات
حتى روي ورف فيقتضي الظاهر فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه النظم الكريم عليه للمبالغة
في الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح ذلك النبات الملتف اثر بهجته ونضارته
هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه
به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما
تطيره الرياح كان لم يغن بالامس وكان الله على كل شيء من الاشياء التي من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا
قادرا على الكمال المال والبنون زينة الحياة الدنيا بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة
الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم
المال على البنين مع كونهم اعز منه كما في الآية المحكية آنفا وفي قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير
ذلك من الآيات الكريمة لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وعزة ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد
والاوقات فانه زينة وممد لكل احد من الآباء والبنين في كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم
انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنين لبقاء النوع ولان الحاجة
اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم في الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان من له بنون
بلا مال فهو في ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها مصدر في الاصل
اطلق على المفعول مبالغة كانها نفس الزينة والمعنى ان ما يفتخرون به من المال والبنين شيء يتزين به
في الحياة الدنيا وقد علم شانها في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو من اوصافها التي
شانها ان تزول بزوالها والباقيات الصالحات هي اعمال الخير وقيل هي الصلوات الخمس وقيل
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير فيدخل فيه الاعمال

فقراء المومنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه دخولا اوليا اما صلاحها فظاهر واما بقاؤ
فبقاء عوايدها عند فنا كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا خير اى مما نعت شانه من المال والبنين و
اخراج ابقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج الصفات المفروغ عنها مع ان حقهما ان يكونا مقصودى الافادة
لاسيما فى مقابلة اثبات الفنا لما يقابلهما من المال والبنين على طريقة قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله
باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر
الموصوف وانما الذى يحتاج الى التعرض لخيريتها عند ربك اى فى الآخرة وهو بيان لما يظهر فيه آثار
خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحيوة الدنيا لا لافضليتها من المال والبنين مع مشاركة الكل فى الاصل اذ لا مشاركة
لهما فى الخيرية فى الآخرة ثوابا عائدة تعود الى صاحبها وخير املا حيث ينال بها صاحبها فى الآخرة
كل ما كان يومله فى الدنيا واما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه امل ينال له وتكرير خير للاشعار
باختلاف حيثيتى الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير الجبال منصوب بمضمر اى اذكر حين نقلعها من اماكنها
ونسيرها فى الجو على هيآتها كما ينبئ عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب
او نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهى وقيل
هو معطوف على ما قبله من قوله عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرئ
تسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد
الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الارض لجميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عم او لكل احد
ممن يتأتى منه الرؤية وقرئ ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروز ما تحت الجبال فظاهر واما
ما عداه فكانت الجبال تحول بينه وبين الناظر قبل ذلك فالآن اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا
ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب وايثار صيغة الماضى بعد نسير وترى للدلالة على
تحقق الحشر المتفرع على البعث الذى ينكره المنكرون وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف
عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان حشرناهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال
كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر اى لم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه
الغدر بالنذر هو ترك الوفاء والغدير الذى هو ترك السيل فى الارض للغابرة وقرئ بالياء وبالفوقانية
على اسناد الفعل الى ضمير الارض كما فى قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك شبهت
حالهم بحال جند عرضوا على السلطان ليأمر فيهم بما يأمر وفى الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول
مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره عم تربية المهابة والجرى على سنن الكبرياء واظهار
اللطف به عم ما لا يخفى صفا اى غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه لوحدة الصف وتعدده وقد
ورد فى الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والآخرين فى صعيد واحد صفوفا لقد جئتمونا على اضمار القول
على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اى مقولا لهم او وقلنا لهم واما كونه عاملا فى يوم نسير كما قيل فبعيد من
جلالة التنزيل الجليل كيف لا ويلزم منه ان هذا القول هو المقصود بالاصالة دون سائر القوارع مع ان ما
التعلق بما قبله من العرض والحشر دون تسيير الجبال وبروز الارض كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر اى
مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقنا لكم اول مرة او حال من ضمير جئتمونا اى كائنين كما خلقناكم اولا
مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شئ مما تفتخرون به من الاموال والانصار كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب وانتقال
من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اى زعمتم فى الدنيا انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ينجز فيه ما
وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل بحرف النفى بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية
متصرفة غير دعاء والظرف اما مفعول ثان للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا او حال من موعدا
وهو بمعنى الخلق والابداع ووضع الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التى اريد تذكيرها
بتذكير وقتها واورد هنا ما اورد فى امثاله من صيغة الماضى دلالة على التقرر ايضا اى وضع صحائف
الاعمال وايثار الافراد للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها فى ايدى اصحابها يمينا وشمالا واما

واما فى الميزان فترى المجرمين قاطبة يدخل فيهم الكفرة المنكرين ... ث دخولا اوليا مشفقين خائفين
مما فيه من الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما فى تضاعيفه نقيرا وقطميرا يا ويلتنا منادين
لهلكتهم التى هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا اهول مما لاقوه اى يا ويلتنا احضرى
فهذا اوان حضورك مال هذا الكتاب اى اى شئ له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
اى حواها وضبطها جملة حالية محققة فى الجملة الاستفهامية من التعجب او استئنافية مبنية على سؤال نشأ
من التعجب كانه قيل ما شأنه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر سيئة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما
عملوا فى الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك احدا فيكتب ما لم يعمل
من السيئات او يزيد فى عقابه المستحق فيكون اظهارا للعدالة لقلم الازلى واذ قلنا للملائكة اى اذكر وقت
قولنا لهم اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم وتذكر تفضيل فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه
لم يسجد بل ابى واستكبر وقوله تعالى كان من الجن كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين
من الساجدين كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه اى خرج عن طاعته كما ينبئ
عنه الفاء او صار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية النافية للفسق
لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديد النكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم واموالهم المستنكفين
عن الانتظام فى سلك فقراء المومنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم فى ذلك تابعون لتسويله كما
ينبئ عنه قوله تعالى افتتخذونه الخ فان الهمزة للانكار والتعجب والفاء للتعقيب اى اعقيب علمكم بصدور
تلك القبائح عنه تتخذونه وذريته اى اولاده واتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون
كما يتوالد بنو آدم وقيل يدخل ذنبه فى دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين
اولياء من دونى فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى وهم اى والحال ان ابليس وذريته
لكم عدو اى اعداء كما فى قوله تعالى فانهم عدو لى الا رب العالمين وقوله تعالى هم العدو وانما فعل
به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوغ وتقييد الاتخاذ بالجملة الحالية لتأكيد الانكار وتشديده
فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف له قطعا بئس للظالمين اى الواضعين للشئ فى غير
موضعه بدلا من الله سبحانه ابليس وذريته وفى الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع
الضمير من الايذان بكمال السخط والاشارة الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف
مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور فى انفسهم بعد بيان الصوارف عن ذلك من جنايتهم
الجناية والفسق والعداوة اى ما احضرت ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم
ولا خلق انفسهم اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه
الجمهور حذرا من تفكيك الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثانى الى
الظالمين وتلتزم التفكيك بناء على عود المعنى اليه فان نفى اشهاد الظالمين خلق الذين يتولونهم
هو الذى يدور عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان مدار صحة التولى حضور الولى خلق المتولى وحيث
لا حضور لا مصحح للتولى قطعا واما نفى اشهاد بعض الشياطين خلق بعض منهم فليس من مدار
الانكار المذكور فى شئ على ان اشهاد بعضهم خلق بعض ان كان مصححا لتولى الشاهد بناء على
دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا فى خلق المشهود فى الجملة فهو مخل بتولى المشهود بناء على قصوره
عمن يشهد خلقه فلا يكون نفى الاشهاد المذكور متمحضا فى نفى الكمال المصحح للتولى عن الكل وهو المناط
للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اى متخذهم وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم
بالاضلال وتأكيدا لما سبق من انكار اتخاذهم اولياء عضدا اعوانا فى شأن الخلق او فى شأن
من شئونى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة فى بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان
بكمال ركاكة عقولهم وسخافة آرائهم حيث لا يفهمون هذا الامر الجلى الذى لا يكاد يشتبه على البله
والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفى الاشهاد على نفى شهودهم ونفى اتخاذهم اعوانا على
نفى كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته تعالى تابعون لمشيئته وارادته فيهم وانهم بمعزل

من استحقاق الشهود والمعونة من تلقاء أنفسهم من غير إحضار وإتخاذ وإنما قصارى ما ينبؤهم في شأنهم أن يبلغوا
ذلك المبلغ بأمر الله عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما أشهدتهم خلق ذلك وما
أطلعتهم على أسرار التكوين وما خصصتهم بفضائل لا يحوزها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا بإيمانهم كما
يزعمون فلا تلتفت إلى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فإنه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين ويعضده القراءة بفتح
التاء خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك الاعتضاد بهم ووصفهم بالإضلال لتعليل نفي
الاتخاذ وقرئ متخذ المضلين على الأصل وقرئ عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح وسكون بالتخفيف
وبضمتين بالإتباع وبفتحتين على أنه جمع عاضد كرصد وراصد ويوم يقول أي الله عز وجل للكافرين توبيخا
وتعجيزا وقرئ بنون العظمة نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد كل ما عبد من دونه
تعالى وقيل إبليس وذريته فدعوهم أي نادوهم للإغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم بإغاثتهم على طريقة
الشفاعة إذ معلوم أن لا طريق إلى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم إذ لا إمكان لذلك وفي إيراده
مع ظهوره تهكم بهم وإيذان بأنهم في الحماقة بحيث لا يفهمون ذلك إلا بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين و
المدعوين موبقا اسم مكان أو مصدر من وبق وبوقا كوثب وثوبا أو وبق وبقا كفرح فرحا إذا
هلك أي مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك
كلفا ولا بغضك تلفا وقيل البين الوصل أي وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا في الآخرة ويجوز أن يكون
المراد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام ومريم وبالموبق البرزخ البعيد أي جعلنا بينهم أمدا
بعيدا يهلك فيه الأشواط لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في أعلا الجنان ورأى المجرمون النار وضع
المظهر مقام المضمر تصريحا بإجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا أي فأيقنوا أنهم مواقعوها مخالطوها واقعون
فيها أو ظنوا إذ رأوها من مكان بعيد أنهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا أو معدلا
ينصرفون إليه ولقد صرفنا أي كررنا وأوردنا على وجوه كثيرة من النظم في هذا القرآن للناس لمصلحتهم و
نفعهم من كل مثل من جملته ما مر من مثل الرجلين ومثل الحيوة الدنيا أو من كل نوع من أنواع المعاني
البديعة الداعية إلى الإيمان التي هي في الغرابة والحسن واستجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوا
وكان الإنسان بحسب جبلته أكثر شيء جدلا أي أكثر الأشياء التي يتأتى منه الجدل وهو ههنا شدة الخصومة
بالباطل والمماراة من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاواة لأن كلا من المجادلين يلتوي على صاحبه
وانتصابه على التمييز والمعنى أن جدله أكثر من جدل كل مجادل وما منع الناس أي أهل مكة الذين حكيت أباطيلهم
أن يؤمنوا من أن يؤمنوا بالله تعالى ويتركوا ما هم فيه من الإشراك إذ جاءهم الهدى أي القرآن العظيم الهادي
إلى الإيمان بما فيه من فنون المعاني الموجبة له ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من أنواع الذنوب التي من
جملتها مجادلتهم للحق بالباطل إلا أن تأتيهم سنة الأولين أي إلا طلب إتيان سنتهم أو إلا انتظار إتيانها
أو إلا تقدير فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وسنتهم الاستيصال أو يأتيهم العذاب أي عذاب
الآخرة قبلا أي أنواعا جمع قبيل أو عيانا كما في قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين أي مستقبلا
يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير أو العذاب والمعنى أن ما تضمنه القرآن
الكريم من الأمور المستوجبة للإيمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة التوبيخية لا تمنع الناس من الإيمان وإن كانوا
مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين إلى الأمم ملتبسين بحال من الأحوال إلا حال كونهم مبشرين
للمؤمنين بالثواب ومنذرين للكفرة والعصاة بالعقاب ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات
بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به أي بالجدال الحق أي ليزيلوه
عن مركزه ويبطلوه من إدحاض القدم وهو إزلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما أنتم إلا بشر مثلنا
ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحوهما واتخذوا آياتي التي تخر لها صم الجبال وما أنذروا أي إنذارهم أو الذي
أنذروا من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب أو إنذارهم هزوا استهزاء وقرئ بسكون الزاء وهو ما يستهزأ
به ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه وهو القرآن العظيم فأعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكر بها وبهذا البيان
وإن كان مدلوله الوضعي نفي الأظلمية من غير تعرض لنفي المساواة في الظلم إلا أن مفهومه العرفي أنه أظلم

أظلم من كل ظالم وبناء الأظلمية على ما في حيز الصلة من الإعراض عن القرآن للإشعار بأن ظلمهم في جادل
فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد ونسي ما قدمت يداه أي عمله من الكفر والمعاصي التي من جملتها ما
ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم يتفكر في عواقبها إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أغطية
كثيرة جمع كنان وهو تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم أن يفقهوه مفعول لما دل عليه
الكلام أي منعناهم أن يفقهوا عن كنهه أو مفعول له أي كراهة أن يفقهوه وفي آذانهم أي جعلنا في
وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا أي فلن يكون منهم
اهتداء البتة مدة التكليف وإذا جزاء الشرط وجواب عن سؤال النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليه
بكمال عنايته بإسلامهم كأنه قال عليه السلام ما لي لا أدعوهم فقيل إن تدعهم الخ وجمع الضمير الراجع إلى الموصول
في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما أن إفراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه
وربك مبتدأ وقوله تعالى الغفور خبره وقوله تعالى ذو الرحمة أي الموصوف بها خبر بعد خبر
وإيراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب ولأن المغفرة ترك المضار وهو
سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب وأما الرحمة فهي فعل وإيجاد ولا يدخل تحت الوجود
إلا ما يتناهى وتقديم الوصف الأول لأن التخلية قبل التحلية أو لأنه أهم بحسب الحال إذ المقام مقام
بيان تأخر العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم أي لو يريد مؤاخذتهم
بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل وإعراضهم عن آيات ربهم وعدم
المبالاة بما اجترحوا من الموبقات لعجل لهم العذاب لاستيجاب أعمالهم لذلك وإيثار المؤاخذة المنبئة عن
شدة الأخذ بسرعة على التعذيب والعقوبة ونحوهما للإيذان بأن النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق
بوصف السرعة كما ينبئ عنه تاليها وإيثار صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على المضي لإفادة أن انتفاء تعجيل
العذاب لهم بسبب استمرار عدم إرادة المؤاخذة فإن المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار الفعل
فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان هو يوم بدر أو يوم القيامة والجملة معطوفة على
مقدر كأنه قيل لكنهم ليسوا بمؤاخذين بغتة لن يجدوا من دونه موئلا منجى وملجأ يقال وأل أي
نجا ووأل إليه أي لجأ إليه وتلك القرى أي قرى عاد وثمود وأضرابها وهي مبتدأ على تقدير المضاف
[illegible] خبره قوله تعالى أهلكناهم [illegible] لما ظلموا أي وقت ظلمهم [illegible]
قريش بما حكي عنهم [illegible]
ولما حرف كما قال ابن عصفور [illegible]
عمل فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم إلى آخره وجعلنا لمهلكهم موعدا أي
وقتا معينا [illegible] وهذا استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك
ولا يغتروا بتأخر العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام [illegible] وإذ قال موسى نصب
بمضمر أي اذكر وقت قوله لفتاه يوشع بن نون [illegible] عليه السلام سمي فتاه
إذ كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم [illegible] لا أبرح
عقيب بيان [illegible]
لا أبرح من برح الناقص كزال [illegible] حتى أبلغ
[illegible]
[illegible]
المضاف إليه مقامه [illegible]
التكلم [illegible] حتى أبلغ مجمع البحرين هو
ملتقى بحري فارس والروم [illegible]
[illegible] أو أمضي حقبا [illegible]
سنة [illegible]

الفقط أمره الله عز وجل أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فخطبهم بخطبة رقت بها القلوب وذرفت
العيون فقالوا له من أعلم الناس قال أنا فعتب الله تعالى عليه إذ لم يرد العلم إليه عز وجل فأوحى إليه
بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي
إلى أيام موسى وقيل إن موسى عم سأل ربه أي عبادك أحب إليك قال الذي يذكرني ولا ينساني
قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم
الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال إن كان في عبادك من
هو أعلم مني فدلني عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على ساحل البحر عند الصخرة قال يا رب
كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدته فهو هناك فأخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه
إذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان **فلما بلغا** الفا فصيحة كما أشير إليه **مجمع بينهما** أي مجمع البحرين
وبينهما ظرف أضيف إليه اتساعا أو بمعنى الوصل **نسيا حوتهما** الذي جعل فقدانه أمارة وجدان المطلوب
أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه وقيل نسي يوشع أن يقدمه وموسى عليهما السلام أن يأمره فيه بشيء وذلك أنهما
لما بلغا مجمع البحرين ودنا الصخرة وعين الحيوة التي لا يصيب ماؤها ميتا إلا حيي وضعا رؤوسهما على
الصخرة فناما فلما أصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كانا أكلا منه وكان ذلك بعد ما
استيقظ يوشع عم وقيل توضأ من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء **فاتخذ سبيله
في البحر سربا** مسلكا كالسرب وهو النفق قيل أمسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه
معجزة لموسى أو للخضر عليهما السلام وانتصاب سربا على أنه مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال منه أو من السبيل
ويجوز أن يتعلق باتخذ **فلما جاوزا** أي مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل ذلك ليلة
والغد إلى الظهر وألقي على موسى عم الجوع فعند ذلك **قال لفتاه آتنا غداءنا** أي ما نتغدى به
وهو الحوت كما ينبئ عنه الجواب **لقد لقينا من سفرنا هذا** إشارة إلى ما سارا بعد مجاوزة الموعد
نصبا تعبا وإعياء قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للأمر بإيتاء الغداء إما باعتبار
أن النصب إنما يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع وإما باعتبار ما في أثناء التغدي من استراحة ما
قال أي فتاه عليهما السلام **أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة** أي التجأنا إليها وأقمنا عندها وذكر الإيواء إليها
مع أن المذكور فيما سبق هو بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادثة فإن المجمع محل متسع لا يمكن تحقيق
المراد والمذكور بنسبة الحادثة إليه ولتمهيد العذر فإن الإيواء إليها والنوم عندها مما يؤدي إلى النسيان
عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده بالاستفهام تعجيب موسى عم مما اعتراه
هناك من النسيان مع كون ما شاهده من العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقدانه علامة لوجدان المطلوب
وهذا أسلوب معتاد فيما بين الناس يقول أحدهم لصاحبه إذا نابه خطب أرأيت ما نابني يريد بذلك
تهويله وتعجيب صاحبه منه وأنه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف
اعتمادا على ما يدل عليه من قوله عز وجل **فإني نسيت الحوت** وفيه تأكيد للتعجيب وتربية لاستعظام
المنسي وإيقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع أنه المأمور بإيتائه للتنبيه من أول الأمر على أنه
ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وأن ما شاهده ليس من قبيل الأحوال المتعلقة بالغداء من حيث
هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة أي نسيت أن أذكر لك أمره وما شاهدت
منه من الأمور العجيبة **وما أنسانيه إلا الشيطان** بوسوسته الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى **أن أذكره**
بدل اشتمال من الضمير أي أنساني أن أذكره لك وفي تعليق الإنساء بضمير الحوت أولا وبذكره له ثانيا على
طريق الإبدال المنبئ عن تنحية المبدل منه إشارة إلى أن متعلق النسيان ليس نفس الحوت بل ذكر أمره
وقرئ أن أذكره وإيثار أن أذكره على المصدر للمبالغة فإنه لا يدل على نفس الحدث عند وقوعه والحال وإن
كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما تعود مشاهدة أمثالها عند موسى عم وألفها قل اهتمامه بالمحافظة
عليها **واتخذ سبيله في البحر عجبا** بيان لطرف من أمر الحوت منبئ عن طرف آخر منه وما بينهما اعتراض قدم
عليه للاعتناء بالاعتذار كأنه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني

مفعولي اتخذ والظرف حال من أولهما أو ثانيهما أو هو ... ثاني وعجبا صفة مصدر محذوف
أي اتخاذا عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب أو مصدر لفعل محذوف أي أتعجب منه عجبا وقيل إنه
من كلام موسى عم وليس بذاك **قال** أي موسى عم **ذلك** الذي ذكرت من أمر الحوت **ما كنا نبغ** وقرئ
بإثبات الياء والضمير العائد إلى الموصول محذوف أصله نبغيه أي نطلبه لكونه أمارة للفوز بالمرام
فارتدا أي رجعا **على آثارهما** طريقهما الذي جاءا منه **قصصا** يقصان قصصا أي يتبعان آثارهما
اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة **فوجدا عبدا من عبادنا** التنكير للتفخيم والإضافة للتشريف
والجمهور على أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل إلياس عليهم السلام **آتيناه رحمة
من عندنا** هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب الكبرياء **وعلمناه من لدنا علما**
خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب **قال له موسى** استئناف مبني على سؤال نشأ
من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى **هل أتبعك على أن تعلمن** استئذان
منه في اتباعه له على وجه التعلم **مما علمت رشدا** أي علما ذا رشد أرشد به في ديني والرشد إصابة الخير
وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمن ومفعول علمت محذوف وكلاهما منقول من علم المتعدي إلى مفعول
واحد ويجوز كونه علة لأتبعك أو مصدرا بإضمار فعله ولا ينافي نبوته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم
من نبي آخر ما لا يتعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع
معه عليهما السلام **قال** أي الخضر **إنك لن تستطيع معي صبرا** نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه
التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم وعلله بقوله **وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا** إيذانا بأنه يتولى
أمورا خفية المدار منكرة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك أن يشمئز عند
مشاهدتها وفي صحيح البخاري قال الخضر يا موسى إني على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وأنت
على علم من علم الله تعالى علمكه الله لا أعلمه وخبرا تمييز أي لم يحط به خبرك **قال** موسى عم **ستجدني
إن شاء الله صابرا** معك غير معترض عليك وتوسيط الاستثناء بين مفعولي الوجدان لكمال الاعتناء
بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر **ولا أعصي لك أمرا** عطف على صابرا أي ستجدني صابرا وغير عاص
وفي وعد هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان أو على ستجدني
فلا محل له من الإعراب والأول أولى لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثناء وفيه دليل على أن أفعال
العباد بمشيئة الله سبحانه **قال فإن اتبعتني** أذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع
الشرطية على ما مر من التزام موسى عم للصبر والطاعة **فلا تسألني عن شيء** تشاهده من أفعالي
أي لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض **حتى أحدث لك منه ذكرا** أي حتى
ابتدئ ببيانه وفيه إيذان بأن كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من أدب
المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألني بالنون المثقلة **فانطلقا** أي موسى والخضر عليهما السلام
على الساحل يطلبان السفينة وأما يوشع فقد صرفه موسى إلى بني إسرائيل وقيل إنهما مرا بسفينة فكلما
أهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول **حتى إذا ركبا في السفينة** استعمال الركوب في أمثاله
الواقع بكلمة في مع تجريده عنها في مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما يقتضيه بعد تقدمه
لما أشرنا إليه في قوله تعالى وقال اركبوا فيها إلا ما قيل من أن في ركوبها معنى الدخول **خرقها** قيل
خرقها بعد ما لججوا أخذ فأسا فقلع من ألواحها لوحين مما يلي الماء فعند ذلك **قال** موسى
أخرقتها لتغرق أهلها من الإغراق وقرئ بالتشديد وليغرق أهلها من الثلاثي **لقد جئت
شيئا إمرا** أي عظيما هائلا من أمر الأمر إذا عظم قيل الأصل أمر مخفف **قال** أي الخضر
ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما قاله من قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للإنكار على عدم
الوفاء بوعده **قال لا تؤاخذني بما نسيت** بنسياني أو بالذي نسيته أو بشيء نسيته وهو وصيته بأن لا
يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الأفعال الخفية الأسباب قيل أراد أنه نسي وصيته ولا
مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري من أن الأول كان من موسى نسيانا أو أخرج الكلام في

معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهم انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقي
بها الكذب مع التوسل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة
ولا ترهقني اي لا تغشني ولا تحملني من امري وهو اتباعه اياه عسرا اي لا تعسر علي متابعتك ويسرها
علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا الفاء فصيحة اي فقبل عذره فخرجا
من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان الغلام يلعب بالغلمان ففتل
عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اي موسى عم اقتلت نفسا زكية
طاهرة عن الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس اي بغير قتل نفس محرمة وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر
من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى
حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن الخضر عم ههنا من جملة الشرط وابراز ما صدر
عن موسى عم في معرض الجزاء المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عم
من الخوارق البديعة لاستشراف النفس الى ورود خبرها لغرابته ووقوعها في نفس الامر وندرة وصول
خبرها الى الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة في الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه
خرج بوقوعه مرة مخرج العادة فانصرفت النفس عن ترقبه الى ترقب احوال موسى عم هل يحافظ
على مراعاة موجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق آخر او يسارع الى المناقشة كما في المرة
الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عم ففعل ولله در شأن التنزيل واما ما قيل من ان
القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة في الكلام فليس في دفع الشبهة في شيء
بل هو مؤيد لها فان كون القتل اقبح من مبادي قلة صدوره عن المؤمن العاقل وندرة وصول خبره
الى الاسماع وذلك مما يستدعي جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض عليه ادخل من موجبات
كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضي جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا قيل معناه
انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل الامر اعظم من النكر
لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيد لك
لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار
ولم يرعو بالتذكير حتى زاد في التكير في المرة الثانية قال اي موسى عم ان سألتك عن شيء بعدها
اي بعد هذه المرة فلا تصاحبني وقرئ من الافعال اي لا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا اي قد
اعذرت ووجدت من قبلي عذرا حيث خالفتك ثلاث مرات عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله
اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدني بتخفيف النون
وقرئ بسكون الدال كعضد في عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل ابلة
وهي ابعد ارض الله من السماء وقيل هي برقة وقيل بلدة بالاندلس عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف فيها الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى
استطعما اهلها في محل الجر على انه صفة لقرية ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة لاهل
لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع
روي انهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا
له وحقيقته ضاف مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا
يريد ان ينقض اي يدنو ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة في ذلك
والانقضاض الاسراع في السقوط وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير
والكوكب لسقوطه بسرعة وقيل هو افعلال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض
وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه
وقيل اقامه بعمود عمده به قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا له على

على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة
واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ
عند البصريين وقرئ لتخذت اي لاخذت وقرئ بادغام الذال في التاء قال اي الخضر عم هذا فراق
بيني وبينك على اضافة المصدر الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق
كما في هذا اخوك او الوقت الحاضر اي هذا الوقت وقت فراق بيني وبينك او السؤال الثالث اي
هذا سبب ذلك الفراق حسبما هو الموعود سأنبئك السين للتاكيد لعدم تراخي التنبيه بتاويل
ما لم تستطع عليه صبرا المآل وقيل رجع الشيء المآله والمراد به ههنا المآل والعاقبة اذ هو
المتأخر دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص ابوي الغلام من شره
مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج اليتيمين للكنز وفي جعل صلة الموصول عدم استطاعة
موسى عم للصبر دون ان يقال بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رأيت ونحوهما نوع تعريض به عم وعتاب ب
اما السفينة التي اخرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق
التغليب ولان عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اي اجعلها ذات عيب وكان وراءهم
ملك اي امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر
وقيل منولة بن جلندى الازدي يأخذ كل سفينة غصبا اي صالحة وقد قرئ كذلك غصبا
من اصحابها وانتصابه على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة
على مسكنة اصحابها قبل بيان خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتناء بشانها اذ
هي المحتاجة الى التاويل وللايذان بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لا يبالي بتخليص
سفن سائر الناس مع تحقق خوف الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها
مع توهم رجوعه الى الاقرب واما الغلام الذي قتلته فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفره اشعارا
بعدم الحاجة الى الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما
وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه فيلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع
في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه وانما خشي
الخضر عليه السلام ذلك لان الله سبحانه اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف
ربك اي كره سبحانه كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون القراءة المشهورة
على الحكاية بمعنى فكرهنا كقوله تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه
بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة وفي التعرض لعنوان الربوبية
والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما واقرب رحما رحمة
وعطفا عليهما قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى على يديه امة من
الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد رحما
بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل زكوة واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة
هي القرية المذكورة ولعل التعبير عنها بالمدينة لاظهار نوع اعتداد بها باعتداد ما فيها
من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسور وكان تحته كنز لهما
من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله عز وجل والذين يكنزون الذهب
والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب فيه
عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها
باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم وكان ابوهما
صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه
سبعة آباء فاراد ربك اي مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضمير موسى عم

دون ضميرهما تنبيه له عم على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه ووجوب الاحتراز عن
المنافسة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة أن يبلغا أشدهما اى حلمهما وكمال رأيهما ويستخرجا كنزهما
من تحت الجدار ولولا انى اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع
بالكلية رحمة من ربك مصدر فى موقع الحال اى مرحومين منه عز وجل او مفعول له او مصدر مؤكد لاراد فان
ارادة الخير رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون قوله عز وجل وما
فعلته عن امرى اى عن رأيى واجتهادى تأكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة فى سلك البيان
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها فى الفخامة تأويل ما لم تسطع اى لم تستطع فحذف التاء تخفيفا
عليه صبرا من الامور التى رأيته اى مآله وعاقبته فيكون انجازا للتنبئة الموعودة او الى البيان نفسه فيكون
التأويل بمعناه وعلى كل حال فهو فذلكة لما تقدم وفى جعل الصلة عين ما مر تكرير وتقرير للعتاب تنبيه
اختلفوا فى حيوة الخضر فقيل انه حى وسببه انه كان على مقدمة ذى القرنين فلما دخل الظلمات أصاب الخضر
عين الحيوة فنزل واغتسل فيها وشرب من مائها واخطأ ذو القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا فى الحيوة
يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل انه ميت لما روى ان النبى صلى الله عم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال أرأيتكم ليلتكم
هذه فان رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حيا لعاش بعد مائة
سنة روى ان موسى عم اراد ان يفارقه قال له اوصنى قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به
ويسألونك عن ذى القرنين هم اليهود سألوه على وجه الامتحان او سأله قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال
للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب وهو ذو القرنين الاكبر واسمه الاسكندر بن فيلقوس اليونانى
وقال ابن اسحق اسمه مرزبان بن مردبه من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله
بن الضحاك وقيل مصعب بن عبد الله بن قنان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان
بن سبا بن يعرب بن قحطان وقال السهيلى قيل ان اسمه مرزبان بن مدركة ذكره ابن هشام وهو اول التبابعة
وقيل انه افريدون بن اثفيان الذى قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيرونى فى كتابه المسمى بالآثار الباقية
عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب سمى بن عبير بن افريقش الحميرى وان ملكه بلغ مشارق
الارض ومغاربها وهو الذى افتخر به التبع اليمانى حيث قال

قد كان ذو القرنين جدى مسلما ۞ ملكا فى الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغى ۞ اسباب امر من حكيم مرشد

وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذى المنار وذى نواس وذى النون وذى رعين
وذى يزن وذى جدن قال الامام الرازى والاول هو الاظهر لان من بلغ ملكه من السعة والقوة الى
الغاية التى نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليونانى كما تشهد به كتب التواريخ يروى انه لما
مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك العرب وقهرهم ثم امعن حتى انتهى الى
البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل وورد
بيت المقدس وذبح فى مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودان له العراقيون والقبط والبربر
ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند
وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع
الى خراسان وبنى بها مدنا كثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات انتهى كلام الامام وروى
ان اهل النجوم قالوا له انك لا تموت الا على ارض من حديد وتحت سماء من خشب وكان يدفن كنز كل بلدة
فيها ويكتب ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها
فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات
وهو ابن الف وستمائة سنة وقيل ثلاثة الاف سنة قال ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قاله
ابن عساكر من انه بلغنى انه عاش ستا وثلاثين سنة او ثنتين وثلاثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان
عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذى القرنين الثانى كما ستعرفه قلت وكذا ما ذكره الامام من

من قصد بنى اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح فى مذبحه فانه مما لا يكاد ينسب الى الاول
واختلف فى نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له فى الارض
وظاهره انه متناول للتمكين فى الدين وكماله بالنبوة ولقوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا ومن جملة الاشياء
النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك وقيل كان ملكا لما روى ان عمر رضى الله عنه سمع
رجلا يقول لآخر يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء
الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم
وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد وانه كان داعيا الى الله تعالى سائرا فى الخلق بالمعدلة
التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة المستشار الذى هو من الملك بمنزلة
الوزير وقد ذكر الازرقى وغيره انه اسلم على يدى ابرهيم الخليل عليه السلام فطاف معه بالكعبة
هو واسمعيل وروى انه حج ماشيا فلما سمع ابرهيم بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال
انه اتى بفرس ليركب فقال لا اركب فى بلد فيها الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب
وبشره ابرهيم عم بذلك فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم اذا ارادوا غزوة قوم وقال
ابو الطفيل سئل عنه على كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب
الله فاحبه وناصح الله فنصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف فى وجه تسميته بذى القرنين
فقيل لانه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك
وقيل لانه كان فى رأسه او فى تاجه ما يشبه القرنين وقيل لانه كان له ذؤابتان وقيل لانه كانت صفحتا
رأسه من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تع فضرب
بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تع وقيل لانه رأى فى منامه انه صعد الفلك فاخذ بقرنى الشمس وقيل
لانه انقرض فى عهده قرنان وقيل لانه سخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه
الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثانى فقد قال ابن كثير انه الاسكندر
ابن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومى بن ليطى بن يونان بن يافث بن يونه بن شرخون بن
رومة بن [illegible] بن الاصفر بن العيص بن اسحق بن ابرهيم الخليل عليهما السلام
كذا نسبه ابن عساكر المقدونى اليونانى المصرى بانى الاسكندرية الذى يؤرخ بايامه الروم وكان متأخرا
عن الاول بدهر طويل [illegible] كان هذا قبل المسيح عم بنحو من ثلثمائة سنة وكان وزيره
ارسطاطاليس الفيلسوف وهو الذى قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم قال
وانما بينا هذا لان كثيرا من الناس يعتقد انهما واحد وان المذكور فى القرآن العظيم هو هذا المتأخر
فيقع بذلك خطأ كبير وفساد كثير كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا وزيره الخضر
وقد قيل انه كان نبيا واما الثانى فقد كان كافرا وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما
من الزمان اكثر من الفى سنة فاين هذا من ذاك انتهى قلت [illegible]
[illegible] دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ويسألونك عن ذى القرنين قل لهم فى الجواب سأتلوا عليكم اى سأذكر لكم منه
اى من ذى القرنين ذكرا اى نبأ مذكورا وحيث كان ذلك بطريق الوحى المتلو حكاه بعنوان التلاوة
[illegible] والسين للدلالة
على التحقيق المناسب لمقام تأييده عم وتصديقه بانجاز وعده اى لا اترك التلاوة البتة كما فى قول من قال

سأشكر عمرا ان تراخت منيتى ۞ ايادى لم تمنن وان هى جلت

لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الآية ما نزلت بانفرادها قبل الوحى بتمام القصة

بل يوصله بما بعدها بما سالوه عم عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم عم ابتوني غدا اخبركم
فابطا عليه الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض
شروع في تلاوة الذكر الموعود وحيما هو الموعود والتمكين هاهنا الاقدار وتمهيد الاسباب مكنه ومكن له
ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في
المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله عز وجل مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي جعلناهم قادرين
من حيث القوى والاسباب والآلات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار
بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم وهذا اذا كان التمكين ماخوذا من المكان بناء على توهم ميمه اصلية كما اشار اليه في سورة
يوسف والمعنى انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأي والاسباب حيث
سخر له السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الارض
وذلل له طرقها وآتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه سببا اي
طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع بالقطع اي فاراد بلوغ
المغرب فاتبع سببا يوصله اليه ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من
الافتعال والفرق ان الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى
الارض من جهة المغرب بحيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط الغربي الذي يقال له اوقيانوس
الذي فيه الجزائر المسميات بالخالدات التي هي مبدأ الاطوال على احد القولين وجدها اي الشمس تغرب في
عين حمئة اي ذات حمأة وهي الطين الاسود من حمئت البئر اذا كثرت حمأتها وقرئ حامية اي حارة
وقرأ معاوية رضي الله عنه حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما فقال حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو
بن العاص رضي الله عنهم كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب
قال في ماء وطين وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية
لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون الياء في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها
واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضي الله عنهم بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا
فلكون قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط رآها كذلك اذ ليس
في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله تعالى وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل
كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله جل ذكره بين ان يعذبهم بالقتل
وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر
واما ان تتخذ فيهم حسنا او امرا ذا حسن على حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على
الموصوف مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام والارشاد الى الشرائع ومحل ان مع صلته اما الرفع على
الابتداء او الخبرية واما النصب على المفعولية اي اما تعذيبك واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل
تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ ومن لم يقل بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك
العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك التخيير موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي
ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعدما تلقى امره تعالى مختارا الشق الاخير اما من ظلم
نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم العظيم الذي هو الشرك فسوف نعذبه
بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن اعطاه وكساه ثم يرد الى ربه في الآخرة
فيعذبه عذابا نكرا منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة على ان الخطاب لم يكن
بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي او مع من عنده من اهل مشورته واما من آمن بموجب
دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في الدارين جزاء الحسنى او فعلته الحسنى
او الفعلة الحسنى جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب
بمضمر اي يجزى بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين المبتدأ والخبر المتقدم عليه او حال اي مجزيا بها

او تمييز

او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على انه سقط تنوينه لالتقاء الساكنين وقرئ مرفوعا منونا على انه مبتدأ
والحسنى بدل والخبر الجار والمجرور وقيل خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم
لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال اما الكافر فيحق فيه نوع الاسلام واما المؤمن فلا الا باحسان
الا انه يجوز ان يكون اما واما للتوزيع دون التخيير اي ليكن شأنك معهم اما التعذيب واما
الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما نامر به يسرا
اي سهلا ميسرا غير شاق وتقديره ذا يسر واطلق عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع
سببا اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع
الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس
فانه مصدر قيل بلغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في اقل من ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب
وطوى له الاسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان
قيل كانت ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع
النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه الواحدة ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم
فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي
ثم افقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا
لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد
من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين
كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ب
ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب
عليهم الشمس في الكفر والحكم او سترا مثل سترتكم من اللباس والاكنان والجبال وغير ذلك وقد احطنا
بما لديه من الاسباب والعدد والعدد خبرا يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف
الخبير هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما صدر
عنه ثم اتبع سببا اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب
الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين الذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما
يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى
فهو مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصاب بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من
الظروف التي تستعمل اسماء ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم وانجر في قوله تعالى هذا فراق
بيني وبينك وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون يفقهون
قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا في انهم
من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية من ياجوج وماجوج
خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنتان
وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم فبقيت واحدة فسموا الترك لانهم
تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب
والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة
وياجوج وماجوج قالوا اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذو القرنين كلامهم وافهامهم
كلامه من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج قد
ذكرنا انهما من اولاد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل واختلف في صفاتهم
فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم
وطول القامة يبلغ قدهم مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب

واغراض كالسباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أجّ الظليم اذا أسرع واصلهما
الهمزة كما قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مفسدون في الأرض اي في
ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه
ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجا اي جعلا من اموالنا والفاء
لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج ما
على الارض والذمة والخرج المصدر وقيل الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد وقيل
الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بالضم قال ما مكني
بالادغام بالفك اي ما مكنني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب
خير اي مما تريدون ان تبذلوه اليّ من الخرج فلا حاجة بي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع يحسنون
البناء والعمل وبالآلات لابد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه الله فيه من
مالهم او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة الظرف الى ضمير
المخاطبين على اضافته الى ضمير يأجوج ومأجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوه في قولهم بيننا
وبينهم ردما اي حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم اي
فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف
في غرفة وهي القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد خرجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن او المناولة
كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك على العمل
ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها
أمس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر
والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما
وكان ما بينهما فرسخ وذلك قوله تعالى عز قائلا حتى اذا ساوى بين الصدفين اي آتوه اياها فاخذ
يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا لهما في السمك على النهج المحكي
قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من التسوية وسووي على البناء
للمفعول قال للعملة انفخوا اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله اي المنفوخ فيه نارا
اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل العملة للتنبيه على انه
العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون أمر النحاس من الاذابة ونحوها آتوني افرغ
عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وقرئ بالاصل اي جيئوني كأنه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه للسر
الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى فما اسطاعوا بحذف تاء الافتعال
تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب
السين صادا والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان فافرغ عليه فاختلط
والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا ان يعلوه وينقبوه فما
استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوا فيه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته و
ثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان ان يحوم حولها
فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار وعن افراغ القطر عليها فكأنه سبحانه وتعالى صرف تأثير تلك
الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير وقيل بناه
من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا
قال اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكينه
من بنائه والفضل للمتقدم اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل بمباشرتي من السد الذي شأنه ما ذكر من
المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة عظيمة عبر عنه بها مبالغة من ربي على كافة العباد ولا

ولا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان
الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر
بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل اذ لا يساعده النظم الكريم والمراد
بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى عم ونحو ذلك لا
دنوه ووقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التي ستحكى يقع بعد مجيئه حتما جعله اي السد المشار
اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه الاشارة السابقة الى التمكين المذكور
دكا اي ارضا مستوية وقرئ دكاء اي مدكوكا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك
ومنه الجمل الادك اي المنبسط وهذا الجعل وقت مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم
قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه
ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره
من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته وقوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام
مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق
يومئذ اي يوم اذ جاء الوعد بمجيء مباديه يموج في بعض آخر منهم يضطربون اضطراب امواج البحر
ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى او تركنا بعض يأجوج
ومأجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد روي انهم يأتون البحر
فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا
يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا في اقفائهم فيدخل
آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا فيغسل
الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها البركة وذلك بعد نزول المسيح
وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بقضية الفاء في قوله تعالى فجمعناهم ولعل
عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة بالكفار ولئلا يقع الفصل
بين ما يقع في النشأة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها في النشأة الآخرة اي جمعنا
الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء جمعا اي
جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها يومئذ اي يوم اذ جمعنا الخلائق
كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا اي عرضا
فظيعا هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم
خاصة الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من
جميع الجوانب عن ذكري عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد و
التمجيد او كانت اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشأني او عن القرآن الكريم
وكانوا مع ذلك لا يستطيعون لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا استماعا
لذكري وكلامي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة
السمعية كما ان الاول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين
او بدل منه او بيان جيء به لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض
جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات واعراضهم
عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا به في الآخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب
عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على
معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك أضربت اباك لا انكار الوقوع كما في قوله أأضرب أبي
والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على توجيه الانكار والتوبيخ الى المعطوفين جميعا
كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى أفلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون فلا تعقلون لا الى

المعطوف فقط كما اذا قلت ربنا أي تسمعون فلا تعقلون والمعنى أكفروا بي مع جلالة شأني فحسبوا أن يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني وملكوتي أولياء معبودين ينصرونهم من بأسي وما قيل من أنها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى كانت الخ وكانوا الخ دلالة على أن الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليهما همزة الانكار ذمّا على ذم وقطعا لهما عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف غير التعامي والتصام على أنهما اخرجا مخرج الاحوال الجبلية لهم ولم يذكرا من حيث انهما من افعالهم الاختيارية الحادثة كحسبانهم ليحسن تفريعه عليهما وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص الانكار بحسبانهم المتأخر عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة أن ساد مسد مفعولي حسب كما في قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة أي أفحسبوا أنهم يتخذونهم أولياء على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما أنه إنما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف أي أفحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان في هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به في الجملة وقرئ أفحسب الذين كفروا أي أفكافيهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو الفعل والفاعل فان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل في العمل فالهمزة حينئذ بمعنى انكار الوقوع إنا أعتدنا جهنم أي هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذمّا لهم واشعارا بأن ذلك الاعتداد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا أي شيئا يتمتعون به عند ورودهم وهو ما يقام للنزيل أي الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم في حسبانهم وتهكم بهم حيث كان اتخاذهم إياهم أولياء من قبيل اعتاد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكأنه قيل إنا اعتدنا لهم مكان ما أعدوا لأنفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفي ايراد النزل ايماء الى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هي أنموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثاني للكفرة على وجه التوبيخ والجمع في صيغة المتكلم لتعيين من أول الامر وللايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين أيضا بالأخسرين أعمالا نصب على التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة في أنفسها وفي حسبانهم أيضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار الاعمال السيئة في أنفسها مع كونها حسنة في حسبانهم الذين ضل سعيهم في اقامة تلك الاعمال أي ضاع وبطل بالكلية في الحياة الدنيا متعلق بالسعي لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا قيل المراد بهم أهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أجمعين ومجاهد رحمه الله ويدخل في الاعمال ح ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهابنة الذين يحبسون أنفسهم في الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كأنه قيل من هم فقيل الذين الخ وجعله مجرورا على أنه نعت للأخسرين أو بدل منه أو منصوبا على الذم على أن الجواب ما سيأتي من قوله تعالى أولئك الخ يأباه أن صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعي كما يستدعيه مقام الجواب والتفريع الاول وإن دل على حبوطها لكنه ساكت عن انباء ما هو العمدة في تحقيق معنى الخسران من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على أن التفريع الثاني مما يقطع ذلك الاحتمال رأسا إذ لا مجال لادراجه تحت الامر بتضمينه نون العظمة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي أي يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم بأعمالهم التي سعوا في اقامتها وكابدوا في تحصيلها والجملة حال من فاعل ضل أي بطل سعيهم المذكور والحال أنهم يحسبون في ذلك وينتفعون بآثاره أو من المضاف اليه لكونه في محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا أي بطل سعيهم والحال أنهم الخ والفرق بينهما أن المقارن لحال حسبانهم المذكور في الاول ضلال سعيهم وفي الثاني نفس سعيهم والاول أدخل في بيان خطائهم أولئك كلام

مستأنف من جنابه تعالى مسوق لتكميل تعريف الاخسرين وتبيين سبب خسرانهم وضلال سعيهم وتعيينهم بحيث ينطبق على المخاطبين غير داخل تحت الامر أي أولئك المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم في الكفر المذكور ولقائه بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه فحبطت لذلك أعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم أي لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الاعمال وقد قرئ بالياء يوم القيامة وزنا أي فنزدريهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع وأما ما هو من أجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك أو لا نضع لأجل وزن أعمالهم ميزانا لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليترتب عليه التكفير أو عدمه لان ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعا ذلك بيان لمآل كفرهم وسائر معاصيهم اثر بيان مآل أعمالهم المحبطة بذلك أي الامر ذلك وقوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة له أو ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أي جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره أو جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بأن ما ذكر جزاء لكفرهم المتضمن لسائر القبائح التي أشنعها ما تضمنه قوله تعالى واتخذوا آياتي ورسلي هزوا أي مهزوا بهما فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل ارتكبوا مثل تلك العظيمة أيضا إن الذين آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا بأضداد ما اتصف به الكفرة اثر بيان مآلهم بطريق الوعيد أي آمنوا بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده وفيه ايماء الى أن أثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد أن الفردوس هو البستان بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار وقيل هي الجنة التي تنبت ضروبا من النبات وقيل هي الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والأغلب عليه أن يكون من العنب وعن كعب ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة وفيها الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة نزلا خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على أنه حال من نزلا أو على البيان أو حال من جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور وإن جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس أو جعلت نفس الجنات نزلا مبالغة في الاكرام وفيه ايذان بأنها عند ما أعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وإن جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعود والصغر أي لا يطلبون تحولا عنها اذ لا يتصور أن يكون شيء أعز عندهم وأرفع منها حتى تنازعهم اليه أنفسهم وتطمح نحوه أبصارهم ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين أو من ضميره فيه فيكون حالا متداخلة قل لو كان البحر أي جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته التي من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذرة من الاشراك لنفد البحر مع كثرته ولم يبق منه شيء لتناهيه قبل أن تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير أن تنفد كلمات ربي لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفي اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف الى ضميره صلى الله عليه وسلم في الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار البحر والكلمات في موضع الاضمار لزيادة

التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة أي لنفد البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم يجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة لأن مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهيا لقيام الأدلة القاطعة على تناهي الأبعاد وقرئ مددا جمع مدة وهو ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى إنما أنا بشر مثلكم لا أدعي الإحاطة بكلماته التامة يوحى إلي من تلك الكلمات أنما إلهكم إله واحد لا شريك له في الخلق ولا في سائر أحكام الألوهية وإنما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير في المستقبل والمراد بلقائه تعالى كرامته وإدخال الماضي على المستقبل للدلالة على أن اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة على رجاء اللقاء أي فمن استمر على رجاء كرامته تعالى فليعمل عملا صالحا لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا في نفسه لائقا بذلك المرجو كما فعله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه أحدا إشراكا جليا كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا إشراكا خفيا كما يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجرا وإيثار وضع المظهر موضع المضمر في الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللإشعار بعلية العنوان للأمر والنهي ووجوب الامتثال فعلا وتركا روي أن جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إني لأعمل العمل لله تعالى فإذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام إن الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وروي أنه عليه السلام قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية وذلك إذا قصد أن يقتدى به وعنه عليه السلام اتقوا الشرك الأصغر قيل وما الشرك الأصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الأرض إلى السماء وعنه عليه السلام من قرأ عند مضجعه قل إنما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

سورة مريم عليها السلام مكية إلا آية السجدة وهي ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص بإمالة الهاء والياء وإظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وإمالة الياء وبتفخيمهما وبإخفاء النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف أن ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة ولا موازنا لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الأعجاز على الوقف سواء جعلت أسماء للسور أو مسرودة على نمط التعديد وإن لزمها التقاء الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة أن يوقف عليها جريا على الأصل وقرئ بإدغام الدال فيما بعدها لتقاربهما في المخرج فإذا جعلت اسما للسورة على ما عليه إطباق الأكثر فمحلها الرفع إما على أنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أي مسمى به وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان أو على أنه مبتدأ خبره ذكر رحمة ربك أي المسمى به ذكر رحمة الخ فإن ذكرها لما كان مطلع السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كأنها نفس ذكرها والأول هو الأولى لأن ما يجعل عنوانا للموضوع حقه أن يكون معلوم الانتساب إليه عند المخاطب وإذ لا علم بالتسمية من قبل فحقها الإخبار بها كما في الوجه الأول وإن جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح إليه أهل التحقيق فذكر الخ خبر لمبتدأ محذوف وهو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كأنه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الخ وأشار إليه تنزيلا لحضور المادة منزلة حضور المؤلف منها أو هذا ذكر رحمة الخ وقيل هو مبتدأ قد حذف خبره أي فيما يتلى عليك ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير أي هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة الأمر والتعرض لوصف

الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عم للإيذان بأن تنزيل السورة عليه عم تكميل له عم وقوله تعالى عبده مفعول لرحمة ربك على أنها مفعول لما أضيف إليها وقيل للذكر على أنه مصدر أضيف إلى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان أي بلغني وقوله عز وجل زكريا بدل منه أو عطف بيان له إذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على أنه مضاف إلى فاعله اتساعا لا على الوجه الأول لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت ولقد راعى عم حسن الأدب في إخفاء دعائه فإنه مع كونه بالنسبة إليه عز وجل كالجهر أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على مباد لا يليق به تعاطيها في أوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان ذلك منه عم لضعف الهرم قالوا كان سنه حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل خمسا وسبعين وقيل ثمانين وقيل أكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران قال جملة مفسرة لنادى لا محل لها من الإعراب رب إني وهن العظم مني إسناد الوهن إلى العظم لما أنه عماد البدن ودعام الجسد فإذا أصابه الضعف والرخاوة أصاب كله أو لأنه أشد أجزائه صلابة وقواما وأقلها تأثرا من العلل فإذا وهن كان ما وراءه أوهن وإفراده للقصد إلى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من أفراده ومني متعلق بمحذوف هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها أيضا وتأكيد الجملة لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمونها واشتعل الرأس شيبا شبه عم الشيب في البياض والإنارة بشواظ النار وانتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل مأخذ باشتعالها ثم أخرجه مخرج الاستعارة ثم أسند الاشتعال إلى محل الشعر ومنبته وأخرجه مخرج التمييز وأطلق الرأس اكتفاء بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الأصل اشتعل شيب رأسي فأسند الاشتعال إلى الرأس كما ذكر لإفادة شموله لكلها فإن وزانه بالنسبة إلى الأصل وزان اشتعل بيته نارا بالنسبة إلى اشتعل النار في بيته ولزيادة تقريره بالإجمال أولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيمه بالتنكير وقرئ بإدغام السين في الشين ولم أكن بدعائك رب شقيا أي لم أكن بدعائي إياك خائبا في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي والجملة معطوفة على ما قبلها أو حال من ضمير المتكلم إذ المعنى واشتعل رأسي شيبا وهذا توسل منه عم بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة إثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فإنه تعالى بعدما عود عبده بالإجابة دهرا طويلا لا يكاد يخيبه أبدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة عن إفاضة ما فيه صلاح المربوب مع الإضافة إلى ضميره عم لا سيما توسيطه بين كان وخبرها لتحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته وإني خفت الموالي عطف على قوله تعالى إني وهن مترتب مضمونه على مضمونه فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عم من يلي أمره بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا شرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم وقوله تعالى من ورائي أي بعد موتي متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن أي فعل الموالي من بعدي أو جور الموالي وقد جوز تعلقه بما في الموالي من معنى الولاية أي خفت الذين يلون الأمر من ورائي لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراي بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي أي قلوا وعجزوا عن القيام بأمور الدين بعدي أو خفت الموالي القادرون على إقامة مراسم الملة ومصالح الأمة من خف القوم أي ارتحلوا مسرعين أي درجوا قداما ولم يبق من به تقو واعتضاد فالظرف حينئذ متعلق بخفت وكانت امرأتي عاقرا أي لا تلد من حين شبابها فهب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا وتقديم الأول لكون مدلوله أهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول

ولدنه فيا الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوايل سورة آل عمران اي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية وليا ولدا من صلبي وتاخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتنا بكون الهبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر بقيت النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عنده فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتاخيرهما عن الكل او توسيطهما بين الموصوف والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عم من كبر السن وضعف القوى وعقر المراة موجب لانقطاع رجائه عن حصول الولد بتوسط الاسباب العادية فاستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك داع اخر الى الاقبال على الدعا المذكور من مشاهدته عم للخوارق الظاهرة في حق مريم كما يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الاية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هناك كما ان عدم ذكر مقدمة الدعا هناك للاكتفا بذكرها ههنا فان الاكتفا بما ذكر في موطن عما ترك في موطن اخر من النكت التنزيلية وقوله تعالى يرثني صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعا اي يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبيا عليهم السلام لا يورثون المال قال صلى الله عم نحن معاشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا ويرث من آل يعقوب يقال ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته الذين يؤول اليه امرهم للقرابة او الصحبة او الموافقة في الدين وكانت زوجة زكريا اخت ام مريم اي ويرث منهم الملك قيل هو يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عم وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا عليهما السلام قال الكلبي كان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم وقرئ ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ اويرث آل يعقوب بالتصغير ففيه ايما الى وراثته عم لما يرثه في حال صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اي يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب عم انبيا ولا علما واجعله رب رضيا مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل للمبالغة في الاعتنا بشان ما يستدعيه يا زكريا على ارادة القول اي قال تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان يحكي له عم هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عم ووعد باجابة دعائه لكن لا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الخ بل بعضا حسبما يقتضيه المشية الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبيا عليهم السلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات الا يرى الى دعوة ابرهيم عليه السلام في حق ابيه والى دعوة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وجل ان يهبه يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاوه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال ح وفي تعيين اسمه عم تاكيد للوعد وتشريف له عم وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا اي شريكا له في الاسم حيث لم يسم احد قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عم فان التسمية بالاسامي البديعة الممتازة عن اسما ساير الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها في الفضل والكمال كما في قوله تع هل تعلم له سميا فان المتشاركين في الوصف بمنزلة المتشاركين في الاسم قالوا لم يكن له عليه السلام مثل فانه لم يعص الله تع ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل بعده من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا

وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمي وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لانه حيي دين الله تعالى بدعوته قال استيناف مبني على السوال كانه قيل فماذا قال عم ح فقيل قال رب ناداه تع بالذات مع وصول خطابه تعالى اليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوقف على توسطه كما ان علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة الاوقات انى يكون لي غلام كلمة انى بمعنى كيف او من اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتنا بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة اي انى يحدث كاينا لي غلام او ناقصة اسمها ظاهر وخبرها اما انى ولي متعلق بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى وكانت امراتي عاقرا حال من ضمير المتكلم بتقدير قد وكذا قوله تع وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكدة للاستبعاد اثر تاكيد اي كانت امراتي عاقرا لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي الان عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر السن جساوة وقحولا في المفاصل والعظام او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا يعتو واصله عتو كقعود فاستثقل توالي الضمتين والواوين فكسرت التا فانقلبت الاولى يا لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو واليا وسبق احديهما بالسكون وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها وتعليل البداية ههنا بذكر حال امراته على عكس ما في سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله في تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق في الدعا ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال امراته لما ان المسارعة الى بيان قصور شانه انسب وانما قاله عم مع سبق دعائه بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لا سيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة في سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته تع عليه في ذلك باظهار انه من محض لطف الله عز وعلا وفضله مع كونه في نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب فيزداد المومنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه عم استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل بل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعا والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاه وهو بعيد قال استيناف كما مر مبني على سوال نشا مما سلف والكاف في قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما في مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه مصدر تشبيهي لقال الثاني وذلك اشارة الى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول اخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى هو علي هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة في حيز قال الاول كانه قيل قال الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وان كان في العادة مستحيلا وقرئ وهو علي هين فالجملة ح حال من ربك والبا عبارة عن ضميره كما ستعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهي مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثاني مخرج الالتفات جريا على سنن الكبريا لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفاء امير المومنين يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسنده الى اسم الرب المضاف الى ضميره عم تشريفا له واشعارا بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عم من ايجاده من العدم وتصريفه في اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللايق به مما يقلع اساس استبعاده عليه لحصول الموعود ويورثه عم الاطمينان بانجازه لا محالة ثم التفت من ضمير الغايب العايد الى الرب الى يا العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة الذاتية لا ربوبيته تعالى له عم خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله تعالى هو علي هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولا مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراة بالواو لانها

لانه حل بين المفسر والمفسر واما الرفع فعلى انه خبر مبتدا محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده
اى قال عز وجل الامر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مقرر لمضمونه
والجملة المحكية على القراءة الثانية معطوفة على المحكية الاولى وحالها من السكون كحالها والمجرود روايتا
ما كان فتوسيط قال بينهما مشعر بمزيد الاعتناء بكل منهما والكلام في اسناد القول الى الرب ثم الالتفات
الى التكلم كالذي مر انفا وقيل ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه السلام اى قال تعالى الامر كما ذكرت
تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة في نفسه وفي امراته وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف
مسوق لازالة استبعاده بعد تقريره اى قال تعالى هو مع بعده في نفسه علي هين والقراءة الثانية
ادخل في افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فمخل بسداد المعنى لان مآله تقرير
صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه مع صعوبته في نفسه وقوله
تعالى **وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا** جملة مستانفة مقررة لما قبلها والمراد به ابتداء خلق البشر اذ هو
الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم ينسب ذلك الى آدم عليه السلام
وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم من قبل ولم يك شيئا مع كفايته في ازالة
الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله لتاكيد الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس من حيث نبه على
ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السلام من العدم اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة
على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان
آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على ذلك الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما
كان خلقه عم على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على
نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته
وكان عدم زكريا ح اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق
المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم توفية
لمقام الامتنان حقه فكانه قيل وقد خلقتك من قبل في تضاعيف خلق آدم ولم تك اذ ذاك شيئا
اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا هذا واما حمل الشيء على المعتد به اى ولم تك شيئا معتدا به فيأباه
المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك **قال رب اجعل لي آية** اى علامة تدلني على تحقق
المسؤول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتاكيد البشارة وتحقيقها كما قيل فان ذلك
مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريف وقت العلوق حيث كانت البشارة مطلقة عن
تعيينه وهذا امر خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى ليتلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر
من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة في تفسير سورة آل عمران
الى ان هذا السؤال ينبغي ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي ان يحيى كان
اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب في ان دعاء زكريا عم كان في صغر
مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهي انما ولدت عيسى عم وهي بنت عشر سنين او بنت
ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعي واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تاخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير
المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه لا مسوغ لكون آية مبتدا عند انحلال الجملة
الى مبتدا وخبر سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ **قال آيتك ان لا تكلم الناس**
اى ان لا تقدر على ان تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح **ثلاث ليال** مع ايامهن للتصريح
في سورة آل عمران **سويا** حال من فاعل تكلم لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار
اى تمنع الكلام فلا تنطق به حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس **فخرج**
على قومه من المحراب اى من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب
فيدخلوه ويصلوا اذ خرج عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا له ما لك **فاوحى اليهم** اى اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا

الا رمزا وقيل كتب على الارض **ان سبحوا** ان مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى
او صلوا اى بان صلوا **بكرة وعشيا** هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابي العالية ان المراد بهما صلوة الفجر
وصلوة العصر او نزهوا ربكم طرفي النهار ولعله كان مامورا بان يسبح شكرا ويامر قومه بذلك **يا يحيى**
استيناف طوي قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اى قلنا يا يحيى **خذ الكتاب**
اى التورية **بقوة** اى بجد واستظهار بالتوفيق **وآتيناه الحكم صبيا** قال ابن عباس رضي الله عنهما
الحكم النبوة استنبئ وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التورية والفقه في الدين روي
انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا **وحنانا من لدنا** عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو
التحنن والاشتياق ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على
ابويه وغيرهما **وزكوة** اى طهارة من الذنوب او صدقة تصدق بها على ابويه او وفقناه للتصدق
على الناس **وكان تقيا** مطيعا متجنبا عن المعاصي **وبرا بوالديه** عطف على تقيا اى بارا بهما لطيفا بهما
محسنا اليهما **ولم يكن جبارا عصيا** متكبرا عاقا لهما او عاصيا لربه **وسلام عليه** من الله عز وجل
يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني آدم **ويوم يموت** من عذاب القبر **ويوم يبعث حيا**
من هول القيمة وعذاب النار **واذكر في الكتاب** كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وامر
بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن
اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر قصتها وقصص الانبياء المذكورين فيها اى واذكر
للناس **مريم** اى نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان وقوله **اذ انتبذت** ظرف لذلك المضاف لكن
لا على ان يكون المامور به ذكر نبأها عند انتباذها فقط بل كل ما عطف عليه وحكي بعده بطريق الاستئناف
داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها فان الظرف
مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كما في
قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اى لان لم تكرمني فهو بدل اشتمال لا محالة وقوله تعالى **من اهلها** متعلقة
بانتبذت وقوله تعالى **مكانا شرقيا** مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الاتيان المترتب وجودا
واعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر في تاخيره عنه اى اعتزلت وانفردت
منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى هنالك للعبادة وقيل قعدت في مشرفة
لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط او بشيء يسترها وذلك قوله تعالى **فاتخذت من دونهم حجابا** وكان موضعها
المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها واذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل اتاها الملك
في صورة آدمي شاب امرد وضئ الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى **فارسلنا اليها روحنا** اى
جبريل عم عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي هو
عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان **فتمثل لها بشرا سويا** سوي
الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه
يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستانس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى اليها من كلماته تعالى اذ لو بدا
لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر
نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى **قالت**
اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه فضلا عما ذكر
من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق
لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية
للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى
ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة السياق
عليه اى فاني عائذة به او فتتعظ بتعوذي او فلا تتعرض لي **قال انما انا رسول ربك** يريد عليه السلام

اى لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذى استعذت به لاهب لك غلاما
اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ويجوز ان يكون ذلك حكاية لقول الله تعالى ويويده القراءة بالياء
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها للتشريف والتسلية والاشعار بعلة الحكم فان هبة
الغلام لها من احكام تربيتها وفى بعض المصاحف امرنى ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب
او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لى غلام كما وصفت ولم
يمسسنى بشر اى والحال انه لم يباشرنى بالنكاح رجل وانما قيل بشر مبالغة فى بيان تنزهها من مبادى الولادة
ولم اك بغيا عطف على لم يمسسنى وداخل معه فى حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة
بالنكاح اى ولم اكن فاجرة تبغى الرجال وهى فعول بمعنى الفاعل اصلها بغوى فادغمت الواو بعد قلبها
ياء وكسرت الغين وقيل هى فعيل بمعنى الفاعل والا لقيل بغو كما يقال فلان نهو عن المنكر وانما لم
تلحقه التاء لانها من باب النسب كطالق او بمعنى المفعول اى يبغيها الرجال للفجور قال اى الملك تقريرا
لمقالته وتحقيقا لها كذلك اى الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الخ استيناف مقرر له اى
قال ربك الذى ارسلنى اليك هو اى ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر اصلا على
خاصة هين وان كان مستحيلا عادة لما انى لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى
ولنجعله آية للناس اما علة لمعلل محذوف اى ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به
على كمال قدرتنا نفعل ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اى لنبين به عظم قدرتنا نفعل ذلك
او معطوف ولنجعله آية الخ والواو وعلى الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة
ورحمة عظيمة كائنة منا عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا
مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا الازلى او قدر وسطر فى اللوح لابد من جريانه عليك البتة
او كان امرا حقيقيا بان يقضى ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه السلام فى درعها
فدخلت النفخة فى جوفها وقيل انه عم رفع درعها فنفخ فى جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح
اليها فحملت فى الحال وقيل ان النفخة كانت فى فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش
مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملت وضعته
وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به اى فاعتزلت
وهو فى بطنها كما فى قوله تدوس بنا الجماجم والتريبا فالجار والمجرور فى حيز النصب على الحالية اى
فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار وهو الانسب
بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اى فالجاها وهو فى الاصل منقول من جاء لكنه استعمل فى غيره
كاتى فى اعطى وقرى المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج
الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العرق والغصن وكانت نخلة
يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها و
كانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها
الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتنى مت بكسر الميم من مات يمات وقد قرئ
وقرى بضمها من مات يموت قبل هذا اى هذا الوقت لقيت فيه ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما
جرى بينها وبين جبريل عم من الوعد الكريم استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع
الناس فى المعصية بما تكلموا فيها او جريا على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روى عن
عمر رضى الله عنه انه اخذ تبنة من الارض فقال يا ليتنى هذه التبنة ولم اكن شيئا وعن بلال انه قال
ليت بلالا لم تلده امه وكنت نسيا اى شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتنى به اصلا وقرى بالكسر قيل
هما لغتان فى ذلك كالوتر والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمى
به المفعول مبالغة وقرى بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرى
نسا كعصا منسيا لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرى منسيا بكسر الميم اتباعا للسين

بالتين فناداها اى جبريل عم من تحتها قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها من مكان اسفل منه
تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عم وقرئ فخاطبها من تحتها بفتح الميم الا تحزنى
على ان ان مفسرة او بان لا تحزنى على انها مصدرية قد حذف عنها الجار قد جعل ربك تحتك
اى بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرت بالجرى جرى وان امرت بالامساك امسك سريا اى
نهرا صغيرا حيا روى مرفوعا قال ابن عباس رضى الله عنهما ان جبريل عم ضرب برجله الارض
فظهرت عين ماء عذب تجرى جدولا وقيل فعله عيسى عم وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل
فيه الماء حينئذ كما فعل مثله بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان
الوقت شتاء فجعل الله تعالى لها اذ ذاك رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو
الموافق لمقام بيان ظهور الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا اى سيدا نبيلا رفيع
الشان جليلا وهو عيسى عم والتنوين للتفخيم والجملة تعليل لانتفاء الحزن المفهوم من النهى عنه والتعرض ص
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتأكيد التعليل وتكميل التسلية وهزى هز
الشئ تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب
والدفع لقوله تعالى اليك اى الى جهتك والباء فى قوله عز وعلا بجذع النخلة صلة للتأكيد
كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال الفراء تقول العرب هزه وهز به واخذ
الخطام واخذ بالخطام او لالصاق الفعل بمدخولها اى افعلى الهز به او هزى الثمرة بهز
وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اى هزى اليك الرطب كائنا بجذعها تساقط
اى تتساقط النخلة عليك اسقاطا متواترا حسب تواتر الهز وقرئ تسقط من الاسقاط بالتاء والياء
وتتساقط باظهار التائين وتساقط بحذف الثانية وتساقط بادغامها فى السين وتساقط بالياء
كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على ان التاء فى الكل للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على
القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى البواقى تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل
يبسه فعيل بمعنى مفعول اى رطبا مجنيا اى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اى طريا طيبا وقرئ
جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلى واشربى اى من ذلك الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره وقرى
عينا وطيبى نفسا وارفضى عنها ما احزنك واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج فى صدر
المتقيدين بالاحكام العادية بان ظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق
العادات التكوينية ويرشدهم الى الوقوف على سر امرك وقرى وقرى بكسر القاف وهى
لغة نجدية واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره
او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها
للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا اى فان ترى آدميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول
لبأت بالحج بالهمز تأخيا بين الهمزة وحرف اللين فقولى له ان استنطقك انى نذرت للرحمن صوما
او صمتا وقد قرئ كذلك او صياما وكانوا لا يتكلمون فى صيامهم بالسكوت فلن اكلم اليوم انسيا اى بعد
ان اخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة واناجى ربى وقيل امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر
قال الفراء العرب تسمى كل ما وصل الى الانسان كلاما باى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن
الا حقيقة الكلام وانما امرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء والاكتفاء بكلام عيسى عم
فانه نص قاطع فى قطع الطعن فأتت به قومها اى جاءتهم مع ولدها حاملة اياه عندما طهرت من
نفاسها تحمله اى حاملة له قالوا مؤنبين لها يا مريم لقد جئت اى فعلت شيئا فريا اى عظيما
بديعا منكرا من فرى الجلد اى قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشئ تحقيقا للاستغراب يا اخت
هرون استيناف لتجديد التعيير وتأكيد التوبيخ عنوا به هرون النبى عم وكانت من اعقاب من
كان معه فى طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح
كان فى زمانهم شبهوها به اى كنت عندنا مثله فى الصلاح او شبهوها به تهكما ما كان ابوك امرأ سوء

وما كانت أمك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد
الصالحين أفحش فأشارت إليه أي إلى عيسى عم أن كلموه والظاهر أنها بينت حينئذ نذرها وأنها بمعزل عن
محاورة الإنس حسبما أمرت ففيه دلالة على أن المأمور به بيان نذرها بالإشارة لا بالعبارة والجمع
بينهما بما لا عهد به قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد
فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وقيل لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده
وهو هنا لقريبه خاصة بدليل أنه مسوق للتعجب وقيل هي زائدة والظرف صلة من وصبيا حال
من المستكن فيه أو هي تامة أو دائمة كما في قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال إني عبد الله استئناف
مبني على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عم
إني عبد الله أنطقه الله عز وجل بذلك أولا تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل
كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام وعن السدي لما أشارت إليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا أشد
علينا مما فعلت وروي أنه عليه السلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ
على يساره وأشار إليهم بسبابته فقال ما قال وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه
الصبيان آتاني الكتاب أي الإنجيل وجعلني نبيا وجعلني مع ذلك مباركا نفاعا معلما
للخير والتعبير بلفظ الماضي في الأفعال الثلاثة إما باعتبار ما سبق في القضاء المحتوم أو بجعل ما في
شرف الوقوع لا محالة واقعا وقيل أكمله الله تعالى عقلا واستنبأه طفلا أينما كنت أي حيثما كنت
وأوصاني بالصلوة أي أمرني بها أمرا مؤكدا والزكوة زكاة المال إن ملكته وبتطهير النفس عن الرذائل
ما دمت حيا في الدنيا وبرا بوالدتي عطف على مباركا أي جعلني بارا بها وقرئ بالكسر على أنه مصدر
وصف به مبالغة أو منصوب بفعل دل عليه أوصاني أي وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا
على الصلوة والزكوة والتنكير للتفخيم ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله لفرط تكبر والسلام علي يوم
ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا كما هو على يحيى على أن التعريف للعهد والأظهر أنه للجنس
والتعريض باللعن على أعدائه فإن إثبات جنس السلام لنفسه تعريض بإثبات ضده لأضداده كما في
قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى ذلك إشارة
إلى من فصلت نعوته الجليلة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه
بتلك المناقب الحميدة عن غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى ابن مريم لا ما يصفه النصارى
وهو تكذيب لهم فيما يزعمونه على الوجه الأبلغ والمنهاج البرهاني حيث جعله موصوفا بأضداد ما يصفونه
قول الحق بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقال إني عبد الله الخ وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو قول الحق الذي لا ريب فيه والإضافة
للبيان والضمير للكلام السابق أو لتمام القصة وقيل صفة عيسى أو بدل أو خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرئ
قال الحق وقول الحق فإن القول والقول والقال في معنى واحد الذي فيه يمترون أي يشكون
أو يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وقرئ بتاء الخطاب ما كان لله أي
ما صح وما استقام له تع أن يتخذ من ولد سبحانه تكذيب النصارى وتنزيه له تعالى عما بهتوه
وقوله تعالى إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان أن شأنه تعالى إذا قضى أمرا
من الأمور أن يتعلق به إرادته فيكون حينئذ بلا تأخر فمن هذا شأنه كيف يتوهم أن يكون له ولد وقرئ
فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وإن الله ربي وربكم فاعبدوه من تمام كلام عيسى وقيل هو
عطف على قوله إني عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام
أي ولأنه تعالى ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وقيل عطف
على الصلوة هذا أي الذي ذكرته من التوحيد صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء في قوله تعالى
فاختلف الأحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب
الاتفاق منشأ للاختلاف فإن ما حكي من مقالات عيسى عم مع كونها نصوصا قاطعة في كونه عبده

عبده تعالى ورسوله قد اختلفت اليهود والنصارى بالتفريط والإفراط أو فرق النصارى فقالت
النسطورية هو ابن الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول
إيذانا بكفرهم جميعا وإشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم أي من شهود يوم عظيم الهول والحساب
والجزاء وهو يوم القيمة أو من وقت شهوده أو من مكان الشهود فيه أو من شهادة ذلك اليوم عليهم
وهو أن تشهد عليهم الملائكة والأنبياء عليهم السلام وألسنتهم وآذانهم وأيديهم وأرجلهم وسائر
آرابهم بالكفر والفسوق أو من وقت الشهادة أو من مكانها وقيل هو ما شهدوا به في حق عيسى عم وأمه
أسمع بهم وأبصر تعجب من شدة سمعهم وأبصارهم يومئذ ومعناه أن أسماعهم وأبصارهم يوم يأتوننا
للحساب والجزاء أي يوم القيمة جدير بأن يتعجب منها إن كانوا في الدنيا صما عميا أو تهديد بما
سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل أمر بأن يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه
والجار والمجرور على الأول في موقع الرفع وعلى الثاني في حيز النصب لكن الظالمون اليوم أي في
الدنيا في ضلال مبين لا يدرك غايته حيث أغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع الظالمين
موضع الضمير للإيذان بأنهم في ذلك ظالمون لأنفسهم وأنذرهم يوم الحسرة أي يوم يتحسر الناس
قاطبة أما المسيء فعلى إساءته وأما المحسن فعلى قلة إحسانه إذ قضي الأمر أي فرغ من الحساب
وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال حين
يجاء بالموت على صورة كبش أملح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا أهل الجنة خلود
فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرح وأهل النار غما إلى غم
وإذ بدل من يوم الحسرة أو ظرف للحسرة فإن المصدر المعرف باللام يعمل في المفعول الصريح عند بعضهم
فكيف بالظرف وهم في غفلة أي عما يفعل بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان حاليتان
من الضمير المستتر في قوله تعالى في ضلال مبين أي مستقرون في ذلك وهم في تينك الحالتين وما بينهما
اعتراض أو من مفعول أنذرهم أي أنذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة لمعنى التعليل إنا
نحن نرث الأرض ومن عليها لا يبقى لأحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك أو نتوفى الأرض ومن عليها
بالإفناء والإهلاك توفي الوارث لإرثه وإلينا يرجعون أي يردون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالا أو
اشتراكا واذكر عطف على أنذرهم في الكتاب أي في السورة أو في القرآن إبراهيم أي اتل على الناس
قصته وبلغها إياهم كقوله تعالى واتل عليهم نبأ إبراهيم فإنهم ينتمون إليه عم فلعلهم باستماع
قصته يقلعون عما هم فيه من القبائح إنه كان صديقا ملازما للصدق في كل ما يأتي ويذر
أو كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته وكتبه ورسله والجملة استئناف مسوق
لتعليل موجب الأمر فإن وصفه عم بذلك من دواعي ذكره نبيا خبر آخر لكان مقيد للأول
مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين أي كان جامعا بين الصديقية
والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن توهم تخصيص الصديقية بالنبوة فإن كل نبي صديق
إذ قال بدل اشتمال من إبراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله ومتعلق بكان أو بنبيا وتعليق
الذكر بالأوقات مع أن المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا أي كان جامعا
بين الخصلتين حين قال لأبيه متلطفا في الدعوة مستميلا له يا أبت أي يا أبي فإن التاء
عوض من ياء الإضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا أبتا لكون الألف بدلا من الياء لم تعبد ما لا
يسمع ثناءك عليه عند عبادتك له وجؤارك إليه وخضوعك بين يديه ولا يبصر
خشوعك وخضوعك ولا يغني عنك شيئا في جلب نفع أو دفع ضر لعله دعاه إلى الهدى على
أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه أبدع احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا
ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادة ما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل

وأي ركون أبعد منه عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه على أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بإيصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع ليس له من أوصاف الأحياء عين ولا أثر ثم دعاه إلى أن يتبعه ليهديه إلى الحق المبين لما أنه لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك ولم يسم أباه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل أبرز نفسه في صورة رفيق له أعرف بأحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني أهدك صراطا سويا أي مستقيما موصلا إلى أسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي إلى مهاوي الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان أنه مع عرائه عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فإنه في الحقيقة عبادة الشيطان لما أنه الآمر به فقال يا أبت لا تعبد الشيطان فإن عبادتك للأصنام عبادة له إذ هو الذي يسولها لك ويغريك عليها وقوله إن الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان أنه مستعص على ربك الذي أنعم عليك بفنون النعم ولا ريب في أن المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق بأن تسترد منه النعم وينتقم منه وللإظهار في موقع الإضمار لزيادة التقرير والاقتصار على ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لأنه ملاكها أو لأنه نتيجة معاداته لآدم وذريته فتذكيره داع لأبيه إلى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه وقوله يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفادته التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية وإظهار الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا أي قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف للمجاملة وإبراز الاعتناء بأمره قال استئناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما سمع منه عليه السلام هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصرا على عناده أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم أي أمعرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لأرجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة والتذكير أي والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لأرجمنك بالحجارة وقيل باللسان واهجرني أي فاحذرني واتركني مليا أي زمانا طويلا أو مليا بالذهاب مطيقا به قال استئناف كما سلف سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة أي لا أصيبك بمكروه بعد ولا أشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي أي أستدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لأبي بقوله إنه كان من الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحظور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فإنه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى أنه عليه السلام قال لعمه أبي طالب لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ولا اشتباه في أن هذا الوعد من إبراهيم عليه السلام وكذا قوله لأستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله واغفر لأبي الآية إنما كان قبل انقطاع رجائه عن إيمانه لعدم تبين أمره لقوله تعالى فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه كما مر في تفسير سورة التوبة واستثناؤه عما يؤتسى به في قوله تعالى إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك لا يقدح في جوازه لكن لا لأن ذلك كان قبل ورود النهي والموعدة وعدها إياه كما قيل لما أن النهي إنما ورد في شأن الاستغفار بعد تبين الأمر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين

فلم يكن منهيا عنه أصلا وأن الوعد بالمحظور لا يدفع خطره بل لأن المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن ذلك إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان للكافر المرجو إيمانه لاسيما وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما لا يرتاب فيه أحد من العقلاء وأما عدم جوازه قبل تبين الأمر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار لا إلى نفس الاستغفار بقوله ولأغفر لأبي الآية لأنها كانت هي الحاملة له عليه وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمي وأما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبري على تبين الأمر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة التوبة وقوله تعالى إنه كان بي حفيا أي بليغا في البر والألطاف تعليل لمضمون ما قبله وأعتزلكم أي أتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي وأدعو ربي أعبده وحده وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد أيضا بقوله رب هب لي من الصالحين حسبما يأتي عنه البيان عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا أي خائبا ضائع السعي وفيه تعريض بشقائهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير الكلام بعسى من إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب والتنبيه على حقيقة الحق من أن الإجابة والإثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وأن العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة إلى الشام وهبنا له إسحاق ويعقوب بدل من فارقهم من أقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فإن المشهور أن الموهوب حينئذ إسماعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم إثر دعائه بقوله رب هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي أعطاها الله تعالى إياه بمقابلة من اعتزلهم من الأهل والأقرباء فإنهما شجرتا الأنبياء ولهما أولاد وأحفاد أولو شأن خطير وذوو عدد كثير هذا وقد روي أنه عليه السلام لما قصد الشام أتى أولا حران وتزوج بسارة وولدت له إسحاق وولد لإسحاق يعقوب والأول هو الأقرب الأظهر وكلا أي كل واحد منهما أو منهم وهو مفعول أول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم أي كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد ذكر جعلهم أنبياء للإيذان بأنها من باب الرحمة وقيل هي المال والأولاد وما بسط لهم من سعة الرزق وقيل هو الكتاب والأظهر أنها عامة لكل خير ديني ودنيوي أوتوه مما لم يؤت أحد من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم وإضافته إلى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة على أنهم أحقاء بما يثنون عليهم وأن محامدهم لا تخفى على تباعد الأعصار وتبدل الدول وتحول الملل والنحل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر إسماعيل لئلا ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام إنه كان مخلصا موحدا أخلص عبادته عن الشرك والرياء أو أسلم وجهه لله تعالى وأخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على أن الله تعالى أخلصه وكان رسولا نبيا أرسله الله تعالى إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه أعم وأعلى وناديناه من جانب الطور الأيمن الطور جبل بين مصر ومدين صفة للجانب أي ناديناه من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى عليه السلام أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه أنه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا أي مناجيا حال من أحد الضميرين في ناديناه أو قربناه وقيل مرتفعا لما روي أنه رفع فوق السماوات حتى سمع صريف القلم ووهبنا له من رحمتنا أي من أجل رحمتنا ورأفتنا له أو بعض رحمتنا أخاه أي معاضدة أخيه وموازرته إجابة لدعوته بقوله واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي لا نفسه لأنه كان أكبر منه عليهما السلام وهو على الأول مفعول لوهبنا وكذلك

وعلى الثاني بدل وقوله تعالى هرون عطف بيان وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر في الكتاب
اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه لابراز كمال الاعتناء بامره بايراده مستقلا وقوله تعالى انه كان
صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف لكمال شهرته به وناهيك انه
وعد الصبر بقوله ستجدني ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا
يجب ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابرهيم عليهم السلام كانوا على شريعته وكان يامر اهله
بالصلوة والزكوة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه قال
تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلوة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل
الكل بتكميلهم لانهم قدوة يوتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبياء عليهم السلام اباء الامم وكان عند ربه
مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة التي من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر في الكتاب
ادريس وهو سبط شيث وجد ابي نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليهم السلام
واشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه في تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب
به لكثرة دراسته روي انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم
والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق في جميع احواله نبيا خبر آخر لكان مخصص للاول اذ ليس
كل صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر
الجميل في الدنيا كما في قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة
وروي عن كعب وغيره في سبب رفع ادريس عم انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال
يا رب اني قد مشيت فيها يوما وقد اصابني منها ما اصابني فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في
يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف
فقال يا رب ما الذي قضيت فيه قال ان عبدي ادريس قد سالني ان اخفف عنك حملها وحرها
فاجبته قال يا رب اجعل بيني وبينه خلة فاذن الله تعالى له فرفعه الى السماء اولئك اشارة الى المذكورين
في السورة الكريمة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا
وقوله تعالى الذين انعم الله عليهم صفته اي انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير
اليه مجملا وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى من ذرية آدم بدل منه باعادة الجار
ويجوز ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا
مع نوح اي من ذرية من حملنا معه خصوصا وهم من عدا ادريس عليه السلام فان ابرهيم كان من ذرية
سام ابن نوح ومن ذرية ابرهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابرهيم اي ومن ذرية اسرائيل وكان
منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية
وممن هدينا واجتبينا اي ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى
اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا
استينافا مسوقا لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة في
شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله سبحانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اي ساجدين باكين
عن النبي صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكي جمع باك كالسجود جمع ساجد
واصله بكوي فاجتمع الواو والياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء
وحركت الكاف بالكسر للمجانسة للياء وقرئ يتلى بالياء التحتانية لان التانيث غير حقيقي وقرئ بكيا بكسر الباء
للاتباع قالوا ينبغي ان يدعو الساجد في سجوده بما يليق باياتها فهنا يقول اللهم اجعلني من عبادك
المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وفي آية الاسراء يقول اللهم اجعلني
من الباكين اليك الخاشعين لك وفي آية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين
بحمدك واعوذ بك من ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال لعقب الخير خلف
بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون اي فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا الصلوة وقرئ الصلوات اي

صوابه من الصابرين

اي تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك
في فنون المعاصي وعن علي رضي الله عنه هم من بني الشديد وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون
غيا اي شرا فان كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد كقوله
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما
وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى يلق اثاما اي جزاء اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي
واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها وقوله تعالى الا من تاب وآمن وعمل صالحا يدل على ان الاية في
حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلته اي فاولئك المنعوتون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم
وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ولا يظلمون شيئا اي لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون
شيئا من النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من
الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض او نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدأ
محذوف اي هي او تلك جنات الخ او مبتدأ وخبره وعد الخ وقرئ جنة عدن نصبا ورفعا وعدن
علم لمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفها اعلام لمعاني الفينة وهي الساعة
التي انت فيها والسحر والامس فجرى لذلك مجرى العدن او هو علم لارض الجنة خاصة ولولا ذلك لما
ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى التي وعد
الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف الظاهر فان الموصول في حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل
بالمشتق ضعيف والتعرض لعنوان الرحمة للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والباء
في قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر هو حال من المضمر العائد الى الجنات او من عباده اي وعدها اياهم
ملتبسة او ملتبسين بالغيب اي غائبة عنهم غير حاضرة او غائبين عنها لا يرونها وانما آمنوا بها
بمجرد الاخبار او بمضمر هو سبب للوعد اي وعدها اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اي موعوده كائنا
ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هي مثابة يرجع اليها قيل ماتيا اي ياتيه
من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل ماتيا اي مفعولا منجزا من اتى اليه
احسانا اي فعله لا يسمعون فيها لغوا اي فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو
عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغي ان يجتنب عنه في هذه الدار ما امكن الا سلاما استثناء
منقطع اي لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل بطريق التعليق
بالمحال اي لا يسمعون لغوا الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال سماعهم له بالكلية
كما في قوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب *
او على ان معناه الدعاء بالسلامة وهم اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام وقوله تعالى ولهم
رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين في هذه الدار وقيل المراد دوام الرزق
ودروره والا فليس فيها بكرة ولا عشي تلك الجنة مبتدا وخبر جيء به لتعظيم شان الجنة وتعيين
اهلها فان ما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التي نورث اي
نورثها من عبادنا من كان تقيا اي نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم ونمتعهم بها كما يبقى على الوارث مال
مورثه ويتمتع به والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب
بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا
واطاعوا زيادة في كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية لقول جبريل
حين استبطأه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر
كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه اربعين يوما او خمسة عشر حتى قال المشركون
ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك وانزل الله عز وجل هذه الاية وسورة والضحى
والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل

والمعنى وما نتنزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير
للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة فلا ننتقل من مكان
الى مكان ولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا اي تاركا لك يعني
ان عدم النزول لم يكن الا لعدم الامر به لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت
الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللائق مضافا الى ضميره عليه السلام من تربيته والاشعار
بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق
التبجح والابتهاج والمعنى وما نتنزل الجنة الا بامر الله تعالى ولطفه وهو مالك الامور كلها سالفها ومترقبها
وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير من قولهم ومن
جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب
السموات والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض وما
بينهما كيف يتصور ان يحوم حول ساحته سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدأ محذوف او بدل من ربك
والفاء في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من
كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له عليه السلام او غير ناس لاعمال
العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الخ فان ايجاب معرفته تعالى
كذلك لعبادته مما لا ريب فيه او حين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كائنا من كان
فاقبل على عبادته واصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطاء الوحي وهزء الكفرة فانه يراقبك ويراعيك
ويلطف بك في الدنيا والآخرة وتعدية الاصطبار باللام لا بعلى الذي هو صلته كما في قوله تعالى واصطبر
عليها لتضمنه معنى الثبات في العبادة فيما تورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر
لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شدائده هل تعلم له سميا السمي هو الشريك في الاسم والظاهر
ان يراد به هاهنا الشريك في اسم خاص وقد عبر عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما
والمراد بانكار العلم ونفيه انكار المعلوم ونفيه على ابلغ وجه واكده فالجملة تقرير لما افادته الفاء
من علية ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى ببيان استقلاله عز وجل
وقيل المراد هو الشريك في الاسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة
اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيئا يسمى
بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة حينئذ باعتبار
ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة فتدبر ويقول الانسان المراد به اما
الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا
وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها
فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحال اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد
أئذا ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف
الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد
اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هاهنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام
للتعويض في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرئ اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر
اولا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار
بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شئون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور
وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف
الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول اي أيقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي
من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث
خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة

المتفرقة وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض اولى واظهر فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرئ
يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسام باسمه عز اسمه مضافا الى ضميره عليه السلام لتحقيق الامر
بالاشعار بعليته وتفخيم شأنه عليه السلام ورفع منزلته لنحشرنهم بجمعهم القائلين بالسوق الى المحشر بعدما اخرجناهم
من الارض احياء ففيه اثبات البعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني عن
التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب
او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه
في سلسلة وهذا وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين
بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القائل بعض افراده
ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعداء ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا
وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب
وشماتتهم بهم والجثي جمع جاث من جثا اذا قعد على ركبتيه واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما
بعد ضمتين فكسرت الثاء للتخفيف فانقلبت الواو الاولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو وياء
وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت فيها الياء الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها
وقرئ بضمها ونصبه على الحالية من الضمير اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين على ركبهم لما يدهمهم
من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف
جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان
المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطئ جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن
القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا من الاديان
ايهم اشد على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على
انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من كل
طائفة منهم اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا
منهم طبقتها اللائقة به وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب
حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه ومنصوب
المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتداء على انه استفهام وخبره اشد والجملة محكية
والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز
اللازم للعلم او مستانفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة
كقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فيتعلق بمحذوف كان سائلا قال على من عتوا فقيل
على الرحمن او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي هم
اولى بصليها او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان
عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم والصلي كالعتي صيغة واعلالا وقرئ بضم الصاد وان منكم التفات
لاظهار مزيد الاعتناء بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول
انه قرئ وان منهم اي ما منكم ايها الانسان الا واردها اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي
خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر رضي الله عنه انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض
أليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها
مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان اي ورودهم
اياها على ربك حتما مقضيا اي امرا محتوما اوجبه الله عز وجل على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة
وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي
يساقون الى الجنة وقرئ ننجي بالتخفيف وينجي وينجى على البناء للمفعول وقرئ ثمة ننجي بفتح الثاء اي هناك
ننجيهم ونذر الظالمين بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قيل فيه دليل على ان المراد بالورود

الجثو حولها وان المومنين يفارقون الفجرة بعد تجاثيهم حولها وتلقى الفجرة على هياتهم وقوله تعالى واذا
تتلى عليهم الاية الى آخرها حكاية لما قالوا عند سماع الآيات الناعية فظاعة حالهم ووخامة مآلهم
اذا تتلى على المشركين آياتنا التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بحسن حال المومنين وسوء حال
الكفرة وقوله تعالى بينات اى مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول عم او بينات
الاعجاز حال موكدة من آياتنا قال الذين كفروا اى قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم
قالوا ما قالوا كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد
وهم النضر بن الحارث واتباعه الفجرة واللام في قوله تعالى للذين آمنوا للتبليغ كما في مثل قوله تعالى
وقال لهم نبيهم وقيل لام الاجل كما في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه اى قالوا لاجلهم وفي حقهم والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق المومنين فقط كما ينطق به قوله
تعالى اى الفريقين اى المومنين والكافرين كانهم قالوا اينا خير نحن او انتم مقاما اى مكانا وقرئ
بضم الميم اى موضع اقامة ومنزل واحسن نديا اى مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم
ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزينة الفاخرة ثم يقولون ذلك لفقراء المومنين يريدون
بذلك ان خيريتهم حالا واحسنيتهم منالا مما لا يقبل الانكار وان ذلك لكرامتهم على الله سبحانه
وزلفاهم عنده اذ هو العيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورة هوان المومنين
عليه تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والراي السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون الا
ظاهرا من الحيوة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته تعالى بقوله تعالى وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اى كثيرا من القرون التي كانوا افضل منهم فيما يفتخرون
به من الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب
ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى
كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل عصر
قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم احسن
اثاثا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي
ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن وقرئ ريا على قلب الهمزة
ياء وادغامها او على انه من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على القلب وريا بحذف
الهمزة وزيا بالزاي المعجمة من الزي وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة قل من كان في الضلالة
فليمدد له الرحمن مدا لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ
العاجلة امر رسول الله صلى الله عم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان مآل الفريقين
اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المنهمكين في اللذة الفانية المبتهجين بها على ان من على
عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم ووصفهم بالتمكن لذمهم والاشعار بعلة الحكم
اى من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن عواقب الامور فليمدد له الرحمن اى
يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان
بان ذلك مما ينبغي ان يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء
بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال
يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تع
حتى اذا راوا ما يوعدون غاية للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الذات
وهو ظاهر ولا استمرار بحسب التكرار لوقوعه في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى
من كما ان الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة
تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم

عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال على طريقة منع الخلو
دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى فسيعلمون جواب الشرط والجملة
محكية بعد حتى اى حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي او الاخروي فقط فسيعلمون
حين من هو شر مكانا من الفريقين بان يشاهدوا الامر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون
انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا اى فئة وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس
المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك رد
لما كانوا يزعمون ان لهم اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى كلام مستانف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين
وقيل عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة يمد الله ويزيد
المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية المحكية
بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحظوظ ليس لفضله عقب ذلك ببيان ان قصور
حظ المومن منها ليس لنقصه بل لان الله تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات الصالحات
خير على تقديري الاستيناف والعطف كلام مستانف وارد من جهته تعالى لبيان فضل اعمال المهتدين
غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك اى الطاعات التي تبقى فوائدها وتدوم عوائدها
ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم للتشريف ثوابا اى عائدة
مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التي يفتخرون بها لا سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه
الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير اليه بقوله تعالى وخير مردا اى مرجعا وعاقبة وتكرير
الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتاكيد لها وفي التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية في
العاقبة تهكم بهم افرايت الذي كفر باياتنا اى باياتنا التي من جملتها آيات البعث نزلت في
العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا
ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئتني فيكون لي ثم مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر
[illegible]
تعالى اطلع الغيب رد لكلمته واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجيب منها اى قد بلغ
من عظمة الشان الى ان ارتقى الى علم الغيب الذي استاثر به العليم الخبير حتى ادعى ان يوتى في الآخرة
مالا وولدا واقسم عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به
الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه وقيل

بيدها

العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعد الله تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذه المجاراة مع
اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه مع خباب كان كذلك وقوله كلا ردع له عن التفوه
بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه سنكتب ما يقول اى سنظهر له انا كتبنا قوله كقوله
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اى يتبين انى لم تلدني لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة
الجاني وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتأخر عن القول لقوله عز وعلا ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد فمبنى الاول تنزيل اظهار الشيء الخفي منزلة احداث الامر المعدوم بجامع ان كلا منهما
اخراج من الكمون الى البروز فيكون استعارة تبعية مبنية على تشبيه اظهار الكتابة على رؤس الاشهاد
باحداثها ومدار الثاني تسمية الشيء باسم سببه فان كتابة جريمة المجرم سبب لعقوبته قطعا ونمد له
من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اى نطول له من العذاب ما يستحقه
او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر
دلالة على فرط الغضب ونرثه بموته ما يقول اى مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتي في الدنيا
من المال والولد وفيه ايذان بانه ليس لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر اى ننزع عنه ما آتيناه
ويأتينا يوم القيمة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل
نزوي عنه ما زعم انه ينال له في الآخرة ونعطيه من يستحقه ويأباه معنى الارث وقيل المراد بما
يقول نفس القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين
ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبني على ان صدور القول المذكور عنه
بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به لو نوقع مضمونه ولا ريب في ان ذلك مستحيل من منكر البعث
وانما قاله بطريق الاستهزاء وتعليق اداء دينه بالمحال واتخذوا من دون الله آلهة
حكاية لجناية عامة للكل مستتبعة لضدها من ترتبه عليها اثر حكاية مقالة الكافر المعهود و
استتباعها لنقيض مضمونها اى اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اى
ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد
الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اى سيجحد الالهة عبادتهم
لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم
عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا
على الاول تكون الالهة التي كانوا يرجون ان يكون لهم عزا ضد العز اى ذلا وهوانا او تكون عونا
عليهم وآلة لعذابهم حيث تجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم
واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه باعانته له عليه وعلى الثاني
يكون الكفرة ضدا واعداء للالهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد
الضد لوحدة المعنى الذي عليه تدور مضادتهم فانهم بذلك كشيء واحد كما في قوله عم وهم يد
على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا في الوقف قلب الف الاطلاق في قوله

اقلي اللوم عاذل والعتابن ٭ وقولي ان اصبت لقد اصابن ٭

او على معنى كل هذا الرأي كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون كلا سيكفرون الخ ألم تر انا
أرسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله عم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكته
عن هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادي في الغي
والانهماك في الضلال والافراط في العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم
والاجماع على مدافعة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال
الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا ما في الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم
عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه عم من ارسالهم عليهم كما يوهمه
تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله

قوله تعالى تؤزهم ازا فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استئناف وقع جوابا عما نشأ من صدر
الكلام كانه قيل ماذا يفعل الشياطين بهم فقيل تؤزهم اى تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهييجا
شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الأز والهز والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج
فلا تعجل عليهم اى بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فسادهم
والفاء للاشعار بكون ما قبلها مظنة لوقوع المنهي عنه محوجة الى النهي كما في قوله تعالى ان هذا عدو
لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة وقوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهي ببيان
اقتراب هلاكهم اى لا تستعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين
منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه لكمال فظاعة
ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اى نجمعهم الى الرحمن
الى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم
وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده
الا لعطش او كالدواب التي ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال وقيل
منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عم اى اذكر لهم بطريق الترغيب والترهيب يوم
نحشر الخ وقيل على الظرفية ليملكون في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذي يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه
جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما في ذلك اليوم من الامور
الدالة على هوله وضمير عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل
الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبني
للفاعل وعلى الثالث ينبغي ان يكون مصدرا للمفعول وقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا
على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى
لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلي بالايمان والتقوى او من امر بذلك من
قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس في تحصيل الايمان والتقوى المؤدي
الى نيل هذه الرتبة وعلى الثاني استثناء من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل
او على اصل الاستثناء اى لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون
ترغيبا في الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل ومنصوب
على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان منهم مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية
لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا
اثر حكاية تبجحهم بعبادة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا
ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب
المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر
والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اى فعلتم امرا منكرا
شديدا لا يقادر قدره فان جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى
تكاد السموات الخ صفة لادا او استئناف لبيان عظم شأنه في الشدة والهول وقرئ يكاد بالياء
يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل
مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض اى وتكاد
تنشق الارض وتخر الجبال اى تسقط وتنهدم وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو
حال من الجبال اى تهد هدا او مصدر من المبني للمفعول مؤكد لتخر على غير الصدر لانه بمعنى
التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اى
مهدودة او مفعول له اى لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة
الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها تلك الاجرام العظام

وتنشق من شدة تجافيا او ان فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلم الله تعالى
لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها أن دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف
اللام المتعلقة بتكاد او مجرور باضمارها اي تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال
تخر لان دعوا له سبحانه ولدا او قيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور
في منه كما في قوله • على جوده لضن بالماء حاتم • وقيل خبر مبتدا محذوف اي الموجب
لذلك ان دعوا الخ وقيل فاعل هدا اي هدها دعاء الولد والاولى هو الاول ودعوا
من دعى بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له ولدا او من دعى
بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى الى فلان اي انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغي للرحمن أن
يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها
اي قالوا اتخذ الرحمن ولدا وان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد
ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته في نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم
بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يليق به ان يجانس من هو مبدأ النعم
ومولي اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به بقوله عز قائلا ان كل من في
السموات والارض اي ما منهم احد من الملئكة والثقلين الا آتي الرحمن عبدا الا وهو مملوك
له ياوي اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم اي حصرهم
واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم
عدا اي عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فكل شيء عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم
القيمة فردا اي كل احد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفي صيغة الفاعل
من الدلالة على اتيانهم كذلك البتة ما ليس في صيغة المضارع لو قيل ياتيه فاذا كان شأنه
تعالى وشأنهم كما ذكر فاني يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين سيجعل
لهم الرحمن ودا اي سيحدث في القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من
الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا احب الله عبدا يقول لجبريل اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادي في
اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة في الارض والسين
لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين دجا
الاسلام او لان الموعود في القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد وينزع ما في صدورهم
من الغل الذي كان في الدنيا ولعل افرادها بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيمة
من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع بينهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن
فانما يسرناه اي القرآن بان انزلناه على لغتك والباء بمعنى على وقيل ضمن التيسير معنى
الانزال اي يسرنا القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل امر ينساق اليه النظم الكريم كأنه
قيل بعد ايحاء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي
المبين لتبشر به المتقين اي الصائرين الى التقوى بامتثال ما فيه من الامر والنهي وتنذر
به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة
اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له عليه السلام على الانذار اي قرنا كثيرا اهلكنا قبل
هؤلاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استئناف مقرر لمضمون ما قبله
اي هل تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا واصل التركيب هو الخفاء ومنه
ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى اهلكناهم بالكلية

بالكلية واستأصلناهم بحيث لا ترى منهم احدا ولا تسمع منهم صوتا خفيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى و
مريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى في الدنيا ومن لم يدع لله

سورة طه مكية مائة واحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طه فخمهما قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطاء وحده ابو عمرو وورش
لاستعلائه واما لهما الباقون وهو من الفواتح التي تصدرت بها السورة الكريمة وعليه جمهور المتقنين
وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة
والكلبي الا انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند قتادة على السريانية وعند عكرمة على
الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا ان صح فلعل اصله يا هذا
فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا وما استشهد به من قول الشاعر •
• ان السفاهة طه في خلائقكم • لا قدس الله اخلاق الملاعين •
ليس بنص في ذلك لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طاها بصيغة
الامر من الوطء فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قول من قال • لا هناك المرتع •
وها ضمير الارض على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم في
التهجد على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما يأباه التفسير
بيا رجل فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ بخلافه من خصائص حروف المعجم وقرئ
طه اما على ان اصله طا فقلبت همزته ها كما في امثال هرقت او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما
مر ثم بني منه الامر والحق به هاء السكت واما على انه اكتفي في التلفظ بشطري الاسمين واقيما
مقامهما في الدلالة على المسميين فكأنهما اسماهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول
من قال اكتفي بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسميهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان
لاسميهما ليتعين معرفهما بل من حيث انهما جزآن لهما قد اكتفي بذكرهما عن ذكرهما ولذلك
وقع التلفظ بانفسهما لا باسميهما بان يراد بضمير التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان
لا من حيث هما جزآن للاسمين ويراد باسميهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى
اكتفي في التلفظ بشطري الكلمتين اي الاسمين فعبر عنهما اي عن الشطرين من حيث هما مسميان بهما
من حيث هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على انه اكتفي في الكتابة بشطري الكلمتين بعني
طا على تقديري كونه امرا وكونه حرف نداء وها على تقديري كونها كناية عن الارض وكونها
حرف تنبيه وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسميهما فبين البطلان كيف وطاوها على ما
ذكر من التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر او حرف نداء والثاني ضمير
الارض او حرف تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر
فالحق ما سلف من انها من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في
مطلع سورة البقرة فلا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك
القرآن لتشقى فانه استئناف مسوق لتسليته عليه السلام عما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب
فان الشقاء شائع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رائض مهر اي ما انزلناه عليك لتتعب
بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التأسف على كفرهم
به والتحسر على ان يؤمنوا كقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية بل للتبليغ وقد فعلت
فعليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لم يرفع عم عما كان عليه من المبالغة في المجاهدة في العبادة
كما روي انه عليه السلام كان يقوم بالليل حتى ترم قدماه فقال له جبريل عليه السلام ابق على نفسك
فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك وتحملها على الرياضات الشاقة

والشدايد لتفادحة وابعثت الاباطيل الحنيفية السمحة وقيل ان اباجهل والنضر بن الحارث قالا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين آبائك وان القرآن نزل عليك لتشقى به فرد ذلك بانا ما
انزلناه عليك لما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به الاستثناء الآتي هذا واما اسم للقرآن محله
الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر وقع موقع العائد الى المبتدأ كانه قيل القرآن ما انزلناه
عليك لتشقى او النصب على اضمار القسم او الجر بتقديره حرفه وما بعده جوابه وعلى كل من الوجهين
يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يبتنى على ذلك التقدير لكن لا لان
المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه فان القرآن صادق على السورة لا محالة اما بطريق الاتحاد
بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل بل لان نفي
كون انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة كما اريد
به معنى التعب او بحسب زعم الكفرة كما اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور
في انزال ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه
حتى يتصدى لنفيه عنه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ما له ان يقال
هذه السورة ما انزلنا القرآن المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها من اجزائه مع انه لا دخل
لانزالها في الشقاء السابق اصلا مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى **إِلَّا تَذْكِرَةً** نصب على انه
مفعول له لانزلنا لكن لا من حيث انه معلل بالشقاء على معنى عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة
الا تذكرة كقولك ما ضربتك للتأديب الا اشفاقا لما انه يجب في امثاله ان يكون بين العلتين ملابسة
بالسببية والمسببية حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتأذى الا لزجر
لغيرك فان التأديب في الاول سبب عن الاشفاق والتأذي في الثاني سبب لزجر الغير وقد
عرفت ما بين الشقاء والتذكرة من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة الجامع للتذكرة
لظهور ان لا ملابسة بينهما بما ذكر من السببية والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان
الا تذكرة الا لتكثير ثوابك فان الاجر بقدر التعب ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله
تعالى ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين وقد عرفت حالها بل من حيث انه معطوف
عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع كانه قيل ما انزلنا
عليك القرآن لتتعب بتبليغه ولكن تذكرة **لِمَنْ يَخْشَى** وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا
لفاعل الفعل المعلل اي لمن من شأنه ان يخشى الله عز وجل ويتأثر بالانذار لرقة قلبه ولين
عريكته او لمن علم الله تعالى انه يخشى بالتخويف وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم
المنتفعون بها وقوله تعالى **تَنْزِيلًا** مصدر مؤكد لمضمر مستأنف مقرر لما قبله اي نزل تنزيلا
او لما يفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه للتذكرة والاول هو الانسب
بما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو منصوب بيخشى على المفعولية
اي يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية والخوف ونظائرهما بمطلق التنزيل
غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظائره كما في قوله تعالى
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا على
انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع
موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن اذ لا مساغ له الا بان يكون قيد الانزلنا بعد تقيده
بالقيد الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر لمبتدأ محذوف ومن في قوله
تعالى **مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى** متعلقة بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى
الغيبة بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب الذات
بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد خلقهما

خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض الآية لاصالتهما
واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات بالعلا
وهو جمع العليا تأنيث الاعلى لتأكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى قوله
تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شأن المنزل الداعي الى تربية المهابة وادخال الروع المؤدي
الى استنزال المتمرد عن رتبة العتو والطغيان واستمالته نحو الخشية المفضية الى التذكر
والايمان **الرَّحْمَنُ** رفع على المدح اي هو الرحمن وقد عرفت في صدر سورة البقرة ان المرفوع مدحا
في حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له في الاعراب ولذلك التزموا حذف المبتدأ
ليكون في صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة صريحة للموصول وما قيل من
ان الاسماء الناقصة لا يوصف منها الا الذي وحده مذهب الكوفيين وايا ما كان فوصفه بالرحمانية
اثر وصفه بخالقية السموات والارض للاشعار بان خلقهما من آثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى
رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى
الى ان تنزيل القرآن ايضا من احكام رحمته تعالى كما ينبئ عنه قوله عز وجل الرحمن علم القرآن واللام
للعهد والاشارة الى الموصول والجر قوله تعالى **عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى** وجعل الرحمة عنوان الموضوع
الذي شأنه ان يكون معلوم الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به
غني عن الاخبار به صريحا وعلى متعلقة باستوى قدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على
الاول خبر مبتدأ محذوف كما في قراءة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستواء على العرش
مجاز عن الملك والسلطان متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان
على سرير الملك يراد به ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد
الكائنات وتدبير امرها **لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** سواء كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول
فيهما **وَمَا بَيْنَهُمَا** من الموجودات الكائنة في الجو دائما كالهواء والسحاب او اكثريا كالطير له وحده
دون غيره لا شركة ولا استقلالا ملكا وتصرفا واحياء واماتة وايجادا واعداما **وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**
اي ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما في الارض لزيادة التقرير وروي عن محمد بن كعب انه
ما تحت الارضين السبع وعن السدي ان الثرى هو الصخرة التي عليها الارض السابعة **وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ**
بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشياء اثر بيان سلطنته وشمول قدرته لجميع الكائنات اي وان
تجهر بذكره تعالى ودعائه فاعلم انه تعالى غني عن جهرك **فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** اي ما اسررته
الى غيرك وشيئا اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك
واخفى منه وهو ما ستسره فيها فيما سيأتي وتنكيره للمبالغة في الخفاء وهذا اما نهي عن الجهر كقوله
تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما ارشاد للعباد الى ان
الجهر ليس لاسماعه سبحانه بل لغرض آخر من تصوير النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعها من الاشتغال
بغيره وقطع الوسوسة وهضمها بالتضرع والجؤار وقوله تعالى **اللَّهُ** خبر مبتدأ محذوف والجملة
استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر من صفات الكمال موصوفها ذلك المعبود بالحق اي ذلك
المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** تحقيق للحق وتصريح
بما تضمنه ما قبله من اختصاص الالوهية به سبحانه فان ما اسند اليه تعالى من خلق جميع الموجودات
والرحمانية والمالكية للكل والعلم الشامل مما يقتضيه اقتضاء بينا وقوله تعالى **لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**
بيان لكون ما ذكر من الخالقية والرحمانية والمالكية والعالمية اسماءه وصفاته من غير تعدد في
ذاته تعالى فانه روي ان المشركين حين سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا
ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر والحسنى تأنيث الاحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع
من المذكر والمؤنث كمآرب اخرى وآياتنا الكبرى **وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى** استئناف مسوق لتقرير
امر التوحيد الذي اليه انتهى مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبياء كابرا عن كابر

وقد خوطب به موسى عم حيث قيل له انى أنا الله لا اله الا أنا وبه ختم عليه السلام مقاله حيث قال
انما الهكم الله الذى لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك لترغيب النبى صلى الله عليه وسلم فى الايتسا
بموسى عم فى تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب فى تبليغ احكام الرسالة فيأباه ان مساق
النظم الكريم لصرفه عم عن اقتحام المشاق وقوله تعالى اذ رأى نارا ظرف للحديث وقيل لمضمر مؤخر اى
حين رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر مقدم اى اذكر وقت رؤيته نارا روى انه عليه السلام
استأذن شعيبا عم فى الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك
الشام فلما وافى وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية مثلجة
وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فبينما
هو فى ذلك اذ رأى نارا على يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اى اقيموا مكانكم امرهم
بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا ينتقلوا الى موضع آخر
فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمرأة والولد والخادم وقيل لها وحدها والجمع اما لظاهر لفظ الاهل
او للتفخيم كما فى قول من قال وان شئت حرمت النساء سواكم انى آنست نارا اى ابصرتها ابصارا بينا
لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بما يؤنس به والجملة تعليل للامر والمأمور به لعلى آتيكم
منها اى اجيئكم من النار بقبس اى بشعلة مقتبسة من معظم النار وهى المرادة بالجذوة فى سورة
القصص وبالشهاب القبس او اجد على النار هدى هاديا يدلنى على الطريق على انه مصدر سمى به
الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اى ذا هداية او على انه اذا وجد الهادى فقد وجد الهدى
وقيل هاديا يهدينى الى ابواب الدين فان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى عامة احوالهم لا
يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه فى سورة
القصص حيث قيل لعلى آتيكم منها بخبر وكلمة او فى الموضعين لمنع الخلو دون منع
الجمع ومعنى الاستعلاء فى قوله تعالى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند
الاصطلاء يكتنفونها قياما وقعودا فيشرفون عليها ولما كان الاتيان بهما مترقبا غير محقق الوقوع صدر
الجملة بكلمة الترجى وهى اما علة لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس
النار وتفاديا عن التصريح بما يوحشهم اى فاذهب اليها لآتيكم او كى آتيكم او راجيا ان آتيكم منها بقبس
الاية وقد مر تحقيق ذلك مفصلا فى تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين
من قبلكم لعلكم تتقون فلما اتاها اى النار التى آنسها قال ابن عباس رضى الله عنهما رأى شجرة خضراء
اطافت بها من اسفلها الى اعلاها نار بيضاء تتقد كاضوأ ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها
وشدة خضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ماء الشجرة تغير ضوءها قالوا النار اربعة اصناف
صنف يأكل ولا يشرب وهى نار الدنيا وصنف يشرب ولا يأكل وهى نار الشجر الاخضر وصنف يأكل ويشرب
وهى نار جهنم وصنف لا يأكل ولا يشرب وهى نار موسى عليه السلام وهى نار الدنيا ونوع لا نور له
ولا احراق وهى نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهى نار موسى عليه السلام ونوع له احراق
بلا نور وهى نار الجحيم روى ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودى يا موسى اى نودى فقيل
يا موسى انى انا ربك او عومل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اى بانى وتكرير الضمير
لتأكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال عليه السلام من المتكلم
فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى
بانى اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضاء قيل وذلك لان اسماع ما ليس من شأنه ذلك من الاعضاء
ليس الا من آثار قدرة الخلاق العليم وتقدس وقيل تلقى عليه السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا
ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع
نعليك امر عليه السلام بذلك لان الحفوة ادخل فى التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون
يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر الوادى بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كانتا من جلد

حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال والفاء لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته
تعالى له عم من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى انك بالواد المقدس تعليل لوجوب الخلع
المأمور به وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقد روى انه عم خلعهما والقاهما
وراء الوادى طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله
بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى او المقدس اى نودى نداءين او قدس مرة
بعد اخرى وانا اخترتك اى اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك بالفتح والكسر والفاء
فى قوله تعالى فاستمع لترتيب الامر او المأمور به على ما قبلها فان اختياره عم لما ذكر من موجبات الاستماع
والامر به واللام فى قوله تعالى لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اى فاستمع للذى
يوحى اليك او للوحى لا باخترتك كما قيل لكن لا لما قيل من انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد حينئذ من
اعادة الضمير مع الثانى بل لان قوله تعالى انى انا الله لا اله الا انا بدل مما يوحى ولا ريب فى
ان اختياره عم ليس لهذا الوحى فقط والفاء فى قوله تعالى فاعبدنى لترتيب المأمور به على ما قبلها
فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل واقم الصلوة
خصت الصلوة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها فى الامر بالعبادة لفضلها وانافتها على سائر
العبادات بما نيط به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك قوله تعالى لذكرى اى
لتذكرنى فان ذكرى كما ينبغى لا يتحقق الا فى ضمن العبادة والصلوة او لتذكرنى فيها لاشتمالها على الاذكار
او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى وابتغاء وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا
آخر او لتكون ذاكرا لى غير ناس وقيل لذكرى اياها وامرى بها فى الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء
وقيل لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة او لذكر صلوتى لما روى انه عم قال من نام عن صلوة او نسيها
فليصلها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلوة لذكرى وقرئ لذكرا بالف التأنيث وللذكرى
معرفا والذكر بالتعريف والتنكير وقوله تعالى ان الساعة آتية تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلوة
اى كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها فى معرض امر محقق متوجه
نحو المخاطبين اكاد اخفيها اى لا اظهرها بان اقول انها آتية ولولا ان فى الاخبار بذلك من اللطف
وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه اذا اظهره بسلب خفائه ويؤيده القراءة
بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد يجئ بمعنى الاظهار والستر وقوله تعالى لتجزى
كل نفس بما تسعى متعلق بآتية وما بينهما اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اى
لتجزى بسعيها فى تحصيل ما ذكر من الامور المأمور بها وتخصيصه فى معرض الغاية لاتيانها مع انه لجزاء
كل نفس بما صدر عنها سواء كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة او سعيا فى تحصيل ما يضاده
للايذان بان المراد بالذات من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب فترتبه من مقتضيات
اختيار العصاة وبان المأمور به فى قوة الوجوب والساعة فى شدة الهول والفظاعة بحيث
يوجبان على كل نفس ان تسعى فى الامتثال بالامر وتجد فى تحصيل ما ينجيها من الطاعات وتحترز
عن اقتراف ما يرديها من المعاصى وعليه مدار الامر فى قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض
فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة
المكلفين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخير
لما ذكر من المقصود الاصلى من ابداع تلك البدائع على ذلك النمط الرائع انما هو ظهور كمال احسان
المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرائقة واكمل الانحاء اللائقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد
احد من سنة المستنين بل يهتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة وانما التفاوت
بينهم فى مراتبهما بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع فى مهاوى الضلال فبمعزل
من الوقوع فضلا عن ان ينتظم فى سلك الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله
بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعى مطلق العمل فلا يصدنك عنها

اي عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول هو الاليق بشأن موسى عم وان كان النهي بطريق
التهييج والالهاب وتقديم الجار والمجرور على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مشتوقة له فيتمكن عند وروده
لها فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وهذا وان كان بحسب
الظاهر نهيا للكافر عن صد موسى عم عن الساعة لكنه في الحقيقة نهي له عم عن الانصداد عنها
على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال
للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر حيث كان سببا للانصداد عم
كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان يكون من باب النهي عن المسبب وارادة
النهي عن السبب على ان يراد نهيه عم عن اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه كما في قوله
لا ارينك ههنا فان المراد نهي المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه اي ما يهواه نفسه
من اللذات الحسية الفانية فتردى اي فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي عن اهوالها
مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
اي فانت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما كلفه عم من الامور المتعلقة بالخلق
اثر حكاية ما اريد به من الشؤون الخاصة بنفسه فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره
او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى واوفق بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اي وما تلك قارة او
ماخوذة بيمينك والعامل معنى الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلي شيخا وقيل تلك موصولة
اي ما التي هي بيمينك واياما كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عم على ما سيبدو له من
التعاجيب وتكرير النداء لزيادة التأنيس والتنبيه قال هي عصاي نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها
بيمينه وتمهيدا لما يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه وقرئ عصي على لغة هذيل اتوكؤ عليها اي اعتمد
عليها عند الاعياء او الوقوف على رأس القطيع واهش بها اي اخبط بها الورق واسقطه على غنمي و
قرئ اهش بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من غير المعجمة وهو
زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانحاء والاقبال اي ازجرها منحيا ومقبلا عليها ولي فيها
مآرب اخرى اي حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روي انه عم كان اذا سار القاها على عاتقه
فعلق بها اداوته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على
شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها
وقيل ومن جملة المآرب انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا اراد كسره
لواه بالشعبتين وكأنه عم فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء
حتى اذا ظهرت على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها آيات باهرة ومعجزات
قاهرة احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل والاجمال
على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض الذي فهمه من سؤال
العليم الخبير قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عز وجل فقيل قال
القها يا موسى لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك من الامور وتكرير النداء لما مر من التنبيه فالقاها على الارض
فاذا هي حية تسعى روي انه عم حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت و
عظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل
قد انقلبت من اول الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما
شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان
عند من يجوز كونه جملة قال استيناف كما سبق خذها ولا تخف عن ابن عباس رضي الله عنهما انقلبت
ثعبانا ذكرا يبتلع كل شيء من الصخر والشجر فلما رآه كذلك خاف ونفر ولكنه عما يملك البشر عند مشاهدة
الاهوال والمخاوف من الفزع والنفار وفي عطف النهي على الامر اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته

لذاته لا لتحقيق المأمور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استينافا مسوقا لتعليل
الامتثال بالامر والنهي فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم الخوف منها علة
كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عم وايذان بكونها مسخرة له ليكون على طمأنينة من امره ولا تعتريه
شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اي سنعيدها بعد الاخذ الى حالتها الاولى التي هي
الهيئة العصوية قيل بلغ عم عند ذلك من الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها
ويأخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار اي الى
سيرتها او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية اي سنعيدها في طريقتها
او على تقدير فعلها وايقاعها حالا من المفعول اي سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها
اي سائرة سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل واضمم يدك الى جناحك امر عم
بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اي ادخلها تحت عضدك فان جناحي الانسان
جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لانه يجنحهما
اي يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب الامر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه
وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف هو حال من الضمير في بيضاء اي كائنة من غير عيب وقبح كني
به عن البرص كما كني بالسوأة عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روي انه عم كان آدم فاخرج
يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس تغشي البصر آية اخرى اي معجزة اخرى غير العصا
وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من الضمير في بيضاء
وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو خذ او دونك وقوله تعالى
لنريك من آياتنا الكبرى متعلقة بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كأنه قيل فعلنا ما فعلنا من
الامر والاظهار لنريك بذلك بعض آياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة لآياتنا او لنريك بذلك من
آياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان لنريك ومن آياتنا متعلق بمحذوف هو حال من
ذلك المفعول واياما كان فالآية الكبرى عبارة عن العصا واليد جميعا واما تعلقه بما دل عليه آية اي
دللنا بها لنريك الخ او بقوله تعالى واضمم او بقوله تخرج او بما قدر من نحو خذ ودونك كما
قال بكل من ذلك قائل فيؤدي الى عود آية العصا عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص
الى ما هو المقصود من تمهيد المقدمات السالفة فصل عما قبله من الاوامر ايذانا باصالته اي اذهب
اليه بما رأيته من الآيات الكبر وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقوله انه طغى تعليل للامر
او لوجوب المأمور به اي جاوز الحد في التكبر والعتو والتجبر حتى تجاسر على العظيمة التي هي
دعوى الربوبية قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا قال عم حين
امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل رب اشرح لي صدري
ويسر لي امري لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل واظهر عجزه بقوله
ويضيق صدري ولا ينطلق لساني وسأله تعالى ان يوسع صدره ويفسح قلبه ويجعله عليما بشؤون
الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد والمكاره بجميل الصبر وحسن
الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجأش رابط وان يسهل عليه مع ذلك امره الذي هو اجل
الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب ورفع الموانع وفي زيادة كلمة لي
مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا
وفي تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتناء بشأن كل من المطلوبين وفضل اهتمام باستدعائهما
له واختصاصهما به واحلل عقدة من لساني روي انه كان في لسانه عم رتة من جمرة ادخلها
فاه في صغره وذلك ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته ونتفها لما كان فيها من الجواهر
فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ
الجمرة فوضعها في فيه وقيل واحترقت يده فاجتهد فرعون في علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اي رب

تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف فى زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك
بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح منى وقوله ولا يكاد يبين
واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها ووصفها
بقوله من لسانى اى عقدة كائنة من عقد لسانى وجعل قوله تعالى يفقهوا قولى جواب الامر وغرضا
من الدعاء فبحلها فى الجملة يتحقق ايتاء سؤله عم والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها فى الجملة اما قوله عم
هو افصح منى فلانه عم قاله قبل استدعاء الحل كما ستعرفه على ان افصحيته منه عليهما السلام لا يستدعى
بقاءها اصلا بل يستدعى عدم البقاء لما ان الافصحية توجب ثبوت اصل الفصاحة فى المفضول
ايضا وذلك مناف للعقدة راسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن باب غلو اللعين فى العتو والطغيان
والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد قلتها فى نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير
وتعلق كلمة من فى قوله تعالى من لسانى بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل
فان المحلول اذا كان متعلقا بشئ ومتصلا به فكما يتعلق الحل به يتعلق بذلك الشئ ايضا باعتبار ازالته
عنه او ابتداء حصوله منه واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اى موازرا يعاوننى فى تحمل اعباء ما
كلفته على ان اشتقاقه من الوزر وهو الملجأ وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل
كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها فى موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول
الذى هو قوله تعالى هرون اعتناء بشان الوزارة ولى صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو
صفة له فى الاصل ومن اهلى اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لى وزيرا وهرون عطف بيان
للوزير ومن اهلى كما مر من الوجهين واخى فى الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل مفعولاه وزيرا
من اهلى ولى تبيين كما فى قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط المفعولين فى باب النواسخ صحة
انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ ويخبر عنه بما بعده اشدد به ازرى واشركه فى امرى
كلاهما على صيغة الدعاء اى احكم به قوتى واجعله شريكى فى امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغى وفصل
الاول عن الدعاء السابق لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك فى الامر
فحيث كان من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للادعية
الثلاث الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الآخر ومضاعفا له بسبب
انضمامه اليه مكثر له فى نفسه ايضا بسبب تقويته وتاييده اذ ليس المراد بالتسبيح والذكر ما يكون منهما
بالقلب او فى الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون منهما بالكلية فى تضاعيف
اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب فى اختلاف حاله فى حالتى التعدد والانفراد
فان كلا منهما يصدر عنه بتأييد الآخر من اظهار الحق ما لا يكاد يصدر عنه مثله حال الانفراد وكثيرا فى
الموضعين نعت لمصدر محذوف او زمان محذوف اى ننزهك عما لا يليق بك من الصفات والافعال التى من
جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته الباغية من دعاء الشركة فى الالوهية ونصفك
بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان
دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كى نصلى لك كثيرا ونحمدك ونثنى عليك
فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا اى عالما باحوالنا وبان ما دعوتك به مما يصلحنا ويفيدنا
فى تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هرون نعم الردء فى اداء ما امرت به والباء متعلقة
ببصيرا وتقديمه عليه لمراعاة الفواصل قال قد اوتيت سؤلك اى اعطيت سؤلك فعل بمعنى مفعول
كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها
له عم البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له عم وان كان وقوع بعضها بالفعل مترتبا بعد كتيسير
الامر وشد الازر وباعتباره قيل سنشد عضدك باخيك وقوله تعالى يا موسى تشريف له عم بشرف
الخطاب اثر تشريفه بشرف قبول الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا عليك كلام مستانف مسوق لتقرير
ما قبله وزيادة توطين نفس موسى عم بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير

غير سابقة دعاء منه وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى ولتصديره بالقسم
لكمال الاعتناء بذلك اى وبالله لقد مننا عليك مرة اخرى اى فى وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر عن
هذا فان اخرى تانيث آخر بمعنى غير والمرة فى الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة
من الفعلات متعدية كانت او لازمة ثم شاع فى كل فرد من افراد ما له افراد متجددة فصار علما
فى ذلك حتى جعل معيارا لما فى معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة
والمراد بها هاهنا الوقت الممتد الذى وقع فيه ما سيأتى ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى اذ
اوحينا الى امك ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء اما الايحاء على لسان نبى فى وقتها كقوله تعالى
واذ اوحيت الى الحواريين الاية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم واما
الالهام كما فى قوله تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة فى المنام والمراد بما يوحى ما سيأتى من
الامر بقذفه فى التابوت وقذفه فى البحر ابهم اولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون اقر عند النفس
وقيل معناه ما ينبغى ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحى وفيه
انه لا يلائم المعنيين الاخيرين للوحى اذ لا تفخيم لشانه فى ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة فى
المنام وان فى قوله تعالى ان اقذفيه فى التابوت مفسرة لان الوحى من باب القول او مصدرية حذف
عنها الباء اى بان اقذفيه ومعنى القذف هاهنا الوضع واما فى قوله تعالى فاقذفيه فى اليم فالالقاء وهذا
التفصيل هو المراد بقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم لا القذف بلا تابوت فليلقه اليم بالساحل
لما كان القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة الربانية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع
امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضمائر كلها لموسى عليه السلام والمقذوف فى البحر والملقى بالساحل
وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له فى ذلك ياخذه
عدو لى وعدو له جواب للامر بالالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار بان عداوته
له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدى الى المحبة فان الامر بما هو سبب للهلاك صورة من قذفه فى البحر
ووقوعه فى يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا تحت قهر صورى وقيل
الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار التوقع وليس المراد بالساحل نفس الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما
يلى الساحل من البحر حيث يجرى ماؤه الى نهر فرعون لما روى انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه
ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاتى به الى بركة
فى البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج فاذا هو صبى اصبح الناس وجها
فاحبه عدو الله حبا شديدا بحيث لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى والقيت عليك محبة منى
كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة مؤكدة لما فى تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اى محبة عظيمة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك
عدو الله وآله وقيل هى متعلقة بالقيت اى احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله
ع ولتصنع على عينى متعلق بالقيت معطوف على علة له مضمرة اى ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة
بمراقبتى وحفظى او بمضمر مؤخر هو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتدأة اى ولتصنع على عينى
فعلت ذلك وقرئ ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب اى وليكون
عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى اذ تمشى اختك ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه
مشيها الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى امه وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق
لقوله تعالى ولتصنع على عينى اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنيعها على موجب مراعاته تعالى وقيل
هو بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سيأتى من قوله
تعالى فنجيناك من الغم الخ فان جميع ذلك من المنن الالهية ولا تعلق لشئ منها بالصنع المذكور واما كونه
ظرفا لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب فى ان معظم آثار القائها ظهر
عند فتح التابوت فتقول اى لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له عم مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل

ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم على من يكفله اي يضمه الى
نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها يروى انه فشى الخبر بان آل فرعون اخذوا غلاما
في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره فجاءتهم
متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فجاءت بامه فقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى فرجعناك
الى امك فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت
بامك فرجعناك اليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن اي لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك والا
فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل
ولا تحزن انت بفقد اشفاقها وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه
فنجيناك من الغم اي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء منه
بالمهاجرة الى مدين وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او
فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى
وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد
روي ان سعيد بن جبير سأل عنه ابن عباس رضي الله عنهما فقال خلصناك من محنة بعد محنة
ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله
وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند
عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما
بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله عم الى مدين بقضية الفاء في قوله
تعالى فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب في ان الاجارة المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول
اليهم وقد اشير بذكر لبثه عم فيهم دون وصوله اليهم الى جميع ما قاساه في تضاعيف تلك السنين
العشر من فنون الشدائد والمكاره التي كل واحد منها فتنة واي فتنة ومدين بلدة شعيب عم على
ثماني مراحل من مصر ثم جئت اي الى المكان الذي اونس فيه النار ووقع فيه النداء والجواب وفي كلمة
التراخي ايذان بان مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في
الليلة المظلمة الشاتية وغير ذلك على قدر اي على تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في
وقت قد عينته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستأخر وقيل على مقدار من
الزمان يوحى فيه الى الانبياء عليهم السلام وهو رأس اربعين سنة يا موسى تشريف له عم وتنبيه على
انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك
لنفسي تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عم الى فرعون مؤيدا باخيه حسبما استدعاه
بعد تذكير المنن السابقة تأكيدا لوثوقه عم بحصول نظائرها اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وعلا
من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض اموره الجليلة
والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك ونظيريه لتمهيد افراد لفظ
النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع والاستخلاص اي اصطفيتك برسالاتي
وبكلامي وقوله تعالى اذهب انت واخوك اي ليذهب اخوك حسبما استدعيت استئناف
مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي اي بمعجزاتي التي اريتكها من اليد والعصا فانهما
وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما آيات شتى كما في قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم فان
انقلاب العصا حيوانا آية وكونها ثعبانا عظيما لا يقادر قدره آية اخرى وسرعة حركته مع
عظم جرمه آية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عم بحيث كان يدخل يده في فمه فلا يضره آية
اخرى ثم انقلابها عصا آية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه آية وشعاعها آية ثم رجوعها
الى حالتها الاولى آية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما الى فرعون ملتبسين بالآيات
متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها وايصالها اليه ولا تنيا

ولا تنيا الانتيا والانتصار وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري اي بما يليق بي من الصفات
الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي فان الذكر
يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنسياني حيثما تقلبتما واستمدا بي العون والتأييد
واعلما ان امرا من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما في صيغة امر الحاضر مع غيبة
هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الى هرون وهو بمصر ان يتلقى
موسى عليهما السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه انه طغى تعليل لموجب الامر والفاء في قوله تعالى فقولا له
قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين عريكة
الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول اللين مثل هل لك الى ان تزكى
واهديك الى ربك فانها دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده ما سيجيء من قوله تعالى فقولا انا
رسولا ربك الآيتين وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه
شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح وملكا لا يزول الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر
بما بلغناه من ذكري ويرغب فيما رغبناه فيه او يخشى عقابي ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير
التثنية اي فقولا له قولا لينا راجيين ان يتذكر او يخشى وكلمة او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة من
يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارساله
اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة قالا ربنا اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو
موسى عم بطريق التغليب ايذانا باصالته في كل قول وفعل وتبعية هرون عليه السلام في كل ما
يأتي ويذر ويجوز ان يكون هرون قد قال ذلك بعد تلاقيهما فحكي ذلك مع قوله عم عند نزول
الآية كما في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فان الخطاب قد حكي لنا بصيغة الجمع مع ان كلا
من المخاطبين لم يخاطب الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في
الخطاب اننا نخاف ان يفرط علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا
تقدم ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف
ان يحمله حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة بالعقاب او ان يطغى اي
يزداد طغيانا الى ان يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب
واظهار كلمة ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقق الخوف
من كل منهما قال استئناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير
الغيبة للاشعار بانتقال الكلام من مساق الى مساق آخر فان ما قبله من الافعال الواردة على
صيغة التكلم حكاية لموسى عم بخلاف ما سيأتي في قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى
فانه حكاية لما قاله تعالى له عم وان دار حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند
تضرعهما اليه فقيل قال لا تخافا ما توهمتما من الامرين وقوله تعالى انني معكما تعليل لموجب
النهي ومزيد تسلية لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى اسمع وارى اي ما
يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضر وشر وجلب نفع
وخير ويجوز ان لا يقدر شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك
فقد تم وبلغت النصرة غايتها فأتياه امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امر
بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك
امرا بذلك تحقيقا للحق من اول الامر ليعرف الطاغية شأنهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض
لربوبيته تعالى له فارسل معنا بني اسرائيل اي اطلقهم من الاسر واخرجهم من تحت يدك
اي خلهم يذهبوا معنا الى الشام ولا تعذبهم اي
بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة القبط يستخدمونهم في الاعمال الصعبة

القادحة من الحجر ونقل الاحجار وغيرهما من الامور الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء باية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الاية نوع طول كما ترى فتاخيره عن حكم الارسال مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان فكلا **قد جئناك باية من ربك** تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل لوجوب الارسال فان مجيئهما بالاية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتاكيد ما ذكر من التقرير والتعليل وتوحيد الاية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى فات باية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها اية من الايات **والسلام** المستتبع لسلامة الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين **على من اتبع الهدى** بتصديق ايات الله تعالى الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى **انا قد اوحي الينا** من جهة ربنا **ان العذاب** الدنيوي والاخروي **على من كذب** اي باياته تعالى **وتولى** اي اعرض عن قبولها وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه **قال** اي فرعون بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا به سارعا الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به **فمن ربكما يا موسى** لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك باية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لما ان المرسل لا بد ان يكون ربا للرسول او لانهما قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص النداء بموسى عم مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره وتابعه او لما انه قد عرف ان له عم رتة فاراد ان يفحمه ويرده وما شاهده منه عم من حسن البيان القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر **قال** اي موسى عم مجيبا له **ربنا** اما مبتدا وقوله تعالى **الذي اعطى كل شيء خلقه** خبره او هو خبر لمبتدا محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريدا بضمير المتكلم انفسهما فقط حسبما اراد اللعين بل جميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمراة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني اما للاقتصار على الاول اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يحرمه من عطائه وانعامه او للاختصار من كونه منويا مدلولا عليه بقرينة الحال اي اعطى كل شيء خلقه تعالى ما يحتاج اليه **ثم هدى** اي الى طريق الانتفاع والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما في الجمادات والقوى الطبيعية النباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عم جوابه على نمط رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها

بجميع ما يليق بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد ان هداه الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والالات الظاهرة والباطنة **قال فما بال القرون الاولى** لما شاهد اللعين ما نظمه عم في سلك الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عم وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عم عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال فما حال القرون الماضية والامم الخالية وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عم بان العلم باحوالهم مفصلة مما لا ملابسة له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله عز وجل واما ما قيل من انه سأله عن حال من خلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فيأباه قوله تعالى **قال علمها عند ربي** فان معناه انه من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة والسعادة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الاية **في كتاب** اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة كما يلوح به قوله تعالى **لا يضل ربي ولا ينسى** اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه شيء بل هو ثابت ابدا فانهما محالان عليه سبحانه وهو على الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته تعالى اليه في العلم به ابتداء او بقاء واظهار ربي في موقع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلية الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عم عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن حقيقة الحق حجابه مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص الى ما هو بصدده حيث قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات **الذي جعل لكم الارض مهدا** على ان الموصول اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدا محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل موضع منها مهدا لكل واحد منكم **وسلك لكم فيها سبلا** اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها ماربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها **وانزل من السماء ماء** هو المطر **فاخرجنا به** اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت الى التكلم للتنبيه على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتاتى الا من قادر مطاع عظيم الشان تنقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قبل الالتفات هناك صريح كلامه عز وعلا وما ههنا محكي عنه تعالى وجعل قوله فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عم خلاف الظاهر مع انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم اتحاد المتكلم **ازواجا** اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض **من نبات** بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى **شتى** اي متفرقة جمع شتيت ويجوز ان يكون صفة لنبات لما انه في الاصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل الانعام جعل علفها مما يفضل عن حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى **كلوا وارعوا انعامكم** حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم اي معديها لانتفاعكم بالذات وبالواسطة اذنين في ذلك **ان في ذلك** اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى وافعاله وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد

نزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى لآيات للتفخيم كمًا وكيفًا اي لآيات كثيرة جليلة واضحة الدلالة
على شئون الله تعالى في ذاته وصفاته وافعاله وعلى صحة نبوة موسى عم وهرون لأولي النهى جمع نهية
سمي بها العقل لنهيه عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اي
لذوي العقول الناهية عن الاباطيل التي من جملتها ما يدعيه الطاغية ويقبله منه فئته الباغية وتخصيص
كونها آيات بهم مع انها آيات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اي في ضمن خلق ابيكم آدم عم
منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عم اذ لم يكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه عم
بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعة لجريان آثارها على الكل
فكان خلقه عم منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة
من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم ياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه المولود فيبددها
على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى
للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها نخرجكم تارة اخرى بتاليف اجزائكم المتفتتة المختلطة
بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من
الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهي
الجريان ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة كما مر في المرة ولقد اريناه حكاية
اجمالية لما جرى بين موسى عم وبين فرعون اثر حكاية ما ذكره عم بجلائل نعمائه الداعية له الى قبول
الحق والانقياد وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة
نظرا الى الحقيقة لا الى موسى نظرا الى الظاهر لتهويل امر الآيات وتفخيمها واظهار كمال شناعة
اللعين وتماديه في المكابرة والعناد اي وبالله لقد بصرنا فرعون وعرفناه آياتنا حين قال لموسى عم
ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده
فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور
التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك باياتي وقد
ظهر عند فرعون امور اخر كل واحد منها داهية دهياء فانه روي انه عم لما القاها انقلبت ثعبانا
اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه
نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح
فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروي انها انقلبت حية وارتفعت
في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك
الخ ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حدود العادات قد غلب شعاعه
شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الآيتين آيات جمة لكنها لما كانت
غير مذكورة صراحة اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه آياتنا بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها على
قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ لعد بقية الآيات التسع منها لما انها انما ظهرت على
يده عم بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر
السحرة قد ترتب بعدما بعد من ذلك ان يعد منها ما جعل اهلاكهم لارشادهم الى الايمان من فلق البحر وما
ظهر بعد مهلكه من الآيات الظاهرة لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر الذي اريد به الحجر الذي فر بثوبه او
الذي انفجرت منه العيون وكذا ان يعد منها الآيات الظاهرة على الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عم
اياها لفرعون في حكم اظهارها بين يديه واراءته اياها لاستحالة الكذب عليه فان حكايته اياها
لفرعون مما لم يجر ذكره ههنا على ان ما سيأتي من جملة ما اظهره عم على السحرة والتصدي للمعارضة بالمثل
يأباه اباء بينا وينطق بان المراد بها ما ذكرناه قطعا ولولا ذلك لجاز جعل ما فصله عم من
افعاله تعالى الدالة على اختصاصه تعالى بالربوبية واحكامها من جملة الآيات فكذب موسى عم
من غير تردد وتأخير مع ما شاهد في يده من الشواهد الناطقة بصدقه جحودا وعنادا وابى اي

اي الايمان والطاعة لعتوه واستكباره وقيل كذب بالآيات جميعا وابى ان يقبل شيئا منها او ابى
قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى استئناف مبين لكيفية
تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادعاء انه امر محال والمجيء اما حقيقة او بمعنى
الاقبال على الامر والتصدي له اي اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا
لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما
قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عم بابراز ان مراده عم ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل
اخراج القبط من وطنهم وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد و
يبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمى ما اظهره عم من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة
ثم ادعى انه يعارضه بمثل ما اتى به عم فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما
قبلها واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فاجعل
بيننا وبينك موعدا اي وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى لا نخلفه فانه المناسب لا المكان و
الزمان اي لا نخلف ذلك الوعد نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى موسى عم للاحتراز
عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة وارادة انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة
وترتيب آلات المغالبة طال الامد ام قصر كما ان تقديم ضميره على ضمير موسى عم وتوسيط كلمة النفي
بينهما للايذان بمسارعته الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عم ولذلك اكد
النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف او بانه بدل
من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون مطابقة الجواب في قوله تعالى قال موعدكم يوم
الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه يومئذ او باضمار مثل
مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر
في ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوي مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم
عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين وقيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في
كل عام وانما خصه بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك
اليوم وقت ظهور غاية شوكتهم وليكون ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الاشهاد
ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء
للفاعل على خطاب فرعون وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او لليوم فتولى فرعون اي انصرف
عن المجلس فجمع كيده اي ما يكاد به من السحرة وادواتهم ثم اتى اي الموعد ومعه ما جمعه من كيد
وفي كلمة التراخي ايماء الى انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد بطء وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى
الخ بطريق الاستئناف المبني على السؤال يقتضي ان اتيانه عم ح والاحتياج الى السؤال ولات
ليس الا لكون اتيانه عم معلوما من الكلام واما ان يقال ابيانه اولا ثم ما يحقق عند التفريع فلا فاذا
صنع موسى عم عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ويلكم لا تفتروا على
الله كذبا بان تدعوا آياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون فيسحتكم اي يستأصلكم بسببه
بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ فيسحتكم من الثلاثي على لغة اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم
وعد وقد خاب من افترى اي على الله كائنا من كان باي وجه كان فيدخل فيه الافتراء الذي نهوا عنه
دخولا اوليا او وقد خاب فرعون المفتري فلا تكونوا مثله في الخيبة والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبلها فتنازعوا اي السحرة حين سمعوا كلامه عم كان ذلك غاظهم فتنازعوا امرهم الذي اريد
منهم من مغالبته عم وتشاوروا وتناظروا بينهم في كيفية المعارضة وتجاذبوا اهداب القول في
ذلك واسروا النجوى اي من موسى عم لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله
قالوا اي بطريق التناجي والاسرار ان هذان لساحران الخ فانه تفسير لنجواهم ونتيجة لتنازعهم وخلاصة
ما استقر عليه آراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة

وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي ما هذان الا ساحران وقرئ ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بني الحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة **يريدان ان يخرجاكم من ارضكم** اي ارض مصر بالاستيلاء عليها **بسحرهما** الذي اظهراه من قبل **ويذهبا بطريقتكم المثلى** اي بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان مدة المقاولة لكلا الفريقين بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون الاخذ بأشد المكاره واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم آمنون في ديارهم ليس كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا يرتضيه وقوله تعالى **فاجمعوا كيدكم** تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اي اذا كان الامر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاخراج والاذهاب فازمعوا كيدكم واجعلوه مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اي فاجمعوا ادوات سحركم ورتبوه كما ينبغي **ثم ائتوا صفا** اي مصطفين امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعمائة ثلاثمائة من الفرس وثلاثمائة من الروم وثلاثمائة من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا والله تعالى اعلم ولعل الموعد كان مكانا متسعا خاطبهم موسى عليه السلام بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في قطر آخر منه ثم امروا بان يأتوا وسطه على الوجه المذكور وقد فسر الصف بالمصلى لاجتماع الناس فيه في الاعياد والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود واما ارادة مصلى من المصليات بعينه للمكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى **وقد افلح اليوم من استعلى** اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اي فاز بالمطلوب من غلب يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى قال نعم وانكم لمن المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاوب اطراف النظم الكريم وقد قيل كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقالة موسى عليه السلام ما هذا بقول ساحر وقيل كان ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل كان ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر ويكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه وحمل قولهم ان هذان لساحران الخ على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر واستقرت آراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة واما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على انهم قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامروهم بالاجماع والازماع واظهار الجلادة ومواجهتهم بالاتيان على وجه الاصطفاف فمخل بجزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم **قالوا** استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية ما جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فيما بينهم ما قالوا فقيل قالوا **يا موسى** وانما لم يتعرض لاجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهور امرهما وغنائهما عن البيان **اما ان تلقي** اي ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزل منزلة اللازم **واما ان نكون اول من القى** ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء خيروه عليه السلام بما ذكر مراعاة للادب لما رأوا منه عليه السلام ما رأوا من مخايل الخير ورزانة الرأي واظهارا للجلادة باراءة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير وان مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او القاؤنا **قال** استئناف كما سلف ناشئ من حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام كانه قيل فماذا قال عليه السلام فقيل قال **بل القوا** انتم اولا مقابلة للادب بأحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالاة بهم ومسارعة لما اوحوا من الميل الى البدء بذكرهم في تقديمهم وليستفرغوا اقصى جهدهم وسعيهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه لما علم ان ما سيظهر بيده سيلقف ما يصنعون من مكايد السحرة **فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى** الفاء فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بكون متعلقها فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ يخيل باسناده الى الله تعالى وقرئ تخيل بحذف احدى التاءين من تتخيل **فاوجس في نفسه خيفة موسى** اي اضمر بعض خوف من مفاجأته بمقتضى البشرية الجبلية على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها المعتاد من اللسع ونحوه وقيل من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه وليس بذاك كما ستعرفه وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل **قلنا لا تخف** اي ما توهمت **انك انت الاعلى** تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه الاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل **والق ما في يمينك** اي عصاك كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشأنها وايذانا بانها ليست من جنس العصي المعهودة المستتبعة للآثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس مبهمة الكنه مستتبعة لآثار غريبة وعدم مراعاة النكتة عند حكاية الامر في موضع آخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي هنا وجعل الابهام للتحقير بان يراد لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته وكثرتها وصغره وعظمها يأباه ظهور حالها فيما مر على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان وقوله تعالى **تلقف ما صنعوا** بالجزم جواب الامر من لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا اي تبتلع ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل اليك سعيها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير وقرئ تلقف بالرفع على الحال او الاستئناف والجملة الامرية معطوفة على النهي **انما صنعوا كيد ساحر** بالرفع على ان ما موصولة او مصدرية وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر **ولا يفلح الساحر** اي هذا الجنس **حيث اتى** اي حيث كان واين اقبل **فالقي السحرة سجدا** كما سلف

معه بدعون بحق وفين بيناق اليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح بهما لعدم احتمال تردد موسى عم في
الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف الموعود اى فالقاه عم فوقع ما وقع من اللقف فالقى سجدا
لما تيقنوا ان ذلك ليس من باب السحرة وانما هي ايه من ايات الله عز وجل روى ان رئيسهم قال كنا نغلب
الناس وكانت الالات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القيناه من الالات فاستدل بتغير احوال
الاجسام على الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عم على صحة رسالته لاجرم القاهم ما
شاهدوه على وجوههم وتابوا وامنوا واتوا بما هو غاية الخضوع قيل لم يرفعوا رؤسهم حتى راوا الجنة
والنار والثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة
ولا ينافيه قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الخ لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور
هذا القول عنهم **قالوا** استيناف كما مر غير مرة **امنا برب هرون وموسى** تاخير موسى عند حكاية
كلامهم لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عم واما
للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى عم في
صغره فلو قدموا موسى لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان مرادهم فرعون **قال** فرعون للسحرة
آمنتم له اى لموسى عم واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع وقرئ على الاستفهام التوبيخي **قبل ان اذن لكم**
اى من غير اذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن
لهم في ذلك واقع بعده او متوقع **انه** اى موسى عم **لكبيركم** اى في فنكم واعلمكم به واستاذكم **الذي
علمكم السحر** فتواطأتم على ما فعلتم او فعلكم مستاذون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها
اللعين والقاها على قومه واراهم ان امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به
وانهم من تلامذته فلا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان
بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال **فلاقطعن** اى فوالله لاقطعن **ايديكم وارجلكم
من خلاف** اى اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدأ من مخالفة العضو العضو
فان المبتدأ من المعروض مبتدأ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اى لاقطعنها
مختلفات وتعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة في باب
السياسة لا لانها اقطع من غيرها **ولاصلبنكم في جذوع النخل** اى عليها وايثار كلمة في للدلالة
على ابقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل
عليه قالوا هو اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئا بالتخفيف **ولتعلمن اينا**
يريد به نفسه وموسى عم لقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم واللام مع الايمان في كتاب الله تعالى لغير تع
وهذا اما لقصد توضيع موسى عم والهزء به لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما لارادة ان ايمانهم لم يكن
عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان عن خوف من قبل موسى عم حيث راوا ابتلاع عصاه
لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل اراد به رب موسى الذي امنوا به بقولهم امنا برب
هرون وموسى **اشد عذابا وابقى** اى ادوم **قالوا** غير مكترثين بوعيده **لن نؤثرك** لن نختارك
بالايمان والاتباع **على ما جاءنا** من الله تعالى على يد موسى عم **من البينات** من المعجزات الظاهرة فانه ما
ظهر بيده عم من العصا كان مشتملا على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين
بجلائلها ودقائقها **والذي فطرنا** اى خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتاخيره لان
ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهدوه آية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تع
لهم للاشعار بعلة الحكم فان خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم
ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بقوله آمنتم له قبل ان آذن لكم
وقيل هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه اى وحق الذي فطرنا لا نؤثرك الخ ولا مساغ لكون
المذكور جوابا لما عند من يجوز تقديم الجواب لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى
فاقض ما انت قاض جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الخ اى فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم

حاكم به وقوله تعالى **انما تقضي هذه الحيوة الدنيا** مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفاد مما سبق
من الامر بالقضاء اى انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الحيوة الدنيا فحسب وما لنا من رغبة في
عذبها ولا رهبة من عذابها **انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا** التي اقترفناها من الكفر
والمعاصي ولا يواخذنا بها في الدار الاخرة لا ليمتعنا بتلك الحيوة الفانية حتى نتاثر بما اوعدتنا
به من القطع والصلب وقوله تعالى **وما اكرهتنا عليه من السحر** عطف على خطايانا اى ويغفر لنا
السحر الذي عملناه في معارضة موسى عم باغرائك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر
مع اندراجه في خطايانا اظهارا لغاية نفرتهم عنه ورغبتهم في مغفرته وذكر الاكراه للايذان
بانه مما يجب ان يفرد بالاستغفار مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب
المغفرة وقيل اراد والاكراه على تعلم السحر حيث روى ان رؤساهم كانوا اثنين وسبعين اثنان
منهم من القبط والباقي من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على
المعارضة حيث روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا
ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه ويأباه تصديهم للمعارضة على
الرغبة والنشاط كما يعرب عنه قولهم ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون **والله خير** اى في حد ذاته وهو ناظر الى قولهم والذي فطرنا **وابقى** اى جزاء ثوابا كان
او عذابا او خير ثوابا وابقى عذابا وقوله تعالى **انه** الى اخره الشرطيتين تعليل من جهته تع لكونه
تعالى جزاء وابقى جزاء وتحقيق له وابطال لما ادعاه فرعون وتصدير بضمير الشان للتنبيه على
فخامة مضمونها لان مناط وضع الضمير موضعه ادعاؤه عزته المغنية عن ذكره مع ما فيه من زيادة
التقرير فان الضمير لا يفهم منه اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن
عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اى قوله تعالى **من يات ربه مجرما** بان
مات على الكفر والمعاصي **فان له جهنم لا يموت فيها** فينتهي عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى
ولا يحيى حيوة ينتفع بها **ومن ياته مؤمنا** به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه
قد عمل الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف
وهي ما كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل **فاولئك** اشارة الى من والجمع باعتبار معناه
كما ان الافراد في الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد
منزلتهم اى فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات **لهم** بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة **الدرجات
العلى** اى المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل الصالح في استتباع
الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا بالثواب مطلقا
وهل التشاجر الا فيه **جنات عدن** بدل من الدرجات العلى او بيان وقد مر ان عدنا علم لمعنى
الاقامة او لارض الجنة فقوله تعالى **تجري من تحتها الانهار** حال من الجنات وقوله تعالى **خالدين
فيها** حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة **وذلك** اشارة الى ما اتيح لهم من الفوز
بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم **جزاء من تزكى** اى تطهر من دنس الكفر والمعاصي
بما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى وتقديم ذكر حال المجرم
للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون بقوله اينا اشد عذابا
وابقى وقد قيل هذه الايات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل قالوا ليس في القران ان فرعون
فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم به ولم يثبت في الاخبار **ولقد اوحينا الى موسى** حكاية اجمالية
لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوى في البين ذكر ما جرى عليهم من الايات المفصلات الظاهرة
على يد موسى عم بعد ما غلب السحرة في نحو من عشرين سنة حسبما فصل في سورة الاعراف وتصدير
بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها وان في قوله تعالى **ان اسر بعبادي** اما مفسرة لان
الوحي فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان كونهم عبادا له تع

لاظهار الرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على قبح صنيع فرعون بهم حيث استعبدهم وهم عباده عز وجل
وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل اي وبالله لقد اوحينا اليه عم ان اسر بعبادي الذين ارسلناك
لانقاذهم من ملكة فرعون اي سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم اي فاجعل لهم او فاتخذ لهم طريقا في
البحر يبسا اي يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف
كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد للمبالغة او لتعدده حسب تعدد الاسباط لا تخاف
دركا حال من المامور اي آمنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى لطريقا والعائد محذوف وقرئ
لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على لا تخاف داخل في حكمه اي ولا تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف
اي وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم
نفي الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم
فرعون بجنوده اي تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال اتبعتهم اي تبعتهم وذلك اذا كانوا
سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه وحذف
المفعول الثاني وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون جنوده اي ساقهم خلفهم وايا ما كان
فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوي ذكره ثقة بغاية ظهوره وايذانا بكمال مسارعة موسى عم
الى الامتثال بالامر اي ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده
برا وبحرا روي ان موسى عم خرج بهم اول الليل وكانوا ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك
فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك
ضرب عم بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم فعبر موسى عم ومن معه
من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي علاهم منه وغمرهم ما
غمرهم من الامر الهائل الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك
فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم
ما غشاهم اي غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وعلا او ما غشاهم وقيل فرعون لانه الذي
ورطهم للهلكة ويأباه الاظهار في قوله تعالى واضل فرعون قومه اي سلك بهم مسلكا اداهم
الى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل
بالعذاب الخالد الاخروي وقوله تعالى وما هدى اي ما ارشدهم قط الى طريق موصل الى مطلب
من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتاكيد له اذ رب مضل قد يرشد من يضله الى بعض
مطالبه وفيه نوع تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفي الهداية عن شخص مشعر
بكونه ممن يتصور منه الهداية في الجملة وذلك انما يتصور في حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال والهداية
على ما يختص بالديني منهما يأباه مقام بيان سوقه بجنوده الى مساق الهلاك الدنيوي وجعلهما عبارة
عن الاضلال في البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم يا بني اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله
تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعدما افاض عليهم من فنون
النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سيأتي من قوله تعالى وما
اعجلك الآية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على
اوحينا اي وقلنا يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم
الغوائل ويسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيناكم وانجيتكم وواعدناكم
جانب الطور الايمن بالنصب على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اي واعدناكم بواسطة نبيكم
اتيان جانبه الايمن نظرا الى السالك من مصر الى الشام اي اتيان موسى عم للمناجاة وانزال التورية
عليه ونسبة المواعدة اليهم مع كونها لموسى عم خاصة اوله وللسبعين المختارين نظرا الى ملابستها
اياهم وسراية منفعتها اليهم وايفاء لمقام الامتنان حقه كما في قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم

ثم صورناكم حيث نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المخلوق المصور بالذات هو آدم
عم وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني حيث
كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع ويبعث الجنوب
عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا مرارا كلوا جملة مستأنفة مسوقة لبيان
اباحة ما ذكر لهم واتمام النعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم اي من لذائذه او حلالاته وقرئ
رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم
لطف الترتيب ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم
فيه كالسرف والبطر والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي فيلزمكم عقوبتي
ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي تردى وهلك
وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل اذا نزل واني لغفار لمن تاب من
الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اي عملا صالحا
مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على التوبة والايمان
وقوله تعالى ثم اهتدى اي استقام على الهدى اشارة الى ان من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران
وثم للتراخي المرتبي وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه تعالى وبين موسى عم من
الكلام عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة اي وقلنا له اي شيء اعجلك منفردا
عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقباء مسوق لانكار انفراده عنهم لما في ذلك
بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مامورا باستصحابهم واحضارهم معه
لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عم لكونه نقيصة منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك
اجاب عم بنفي الانفراد المنافي للاستصحاب والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني
انهم معي وانما سبقتهم بخطا يسيرة ظننت انها لا تخل بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك
مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر عم ان تقدمه ذلك ليس لامر منكر ذكر انه لامر
مرضي حيث قال وعجلت اليك رب لترضى عني بمسارعتي الى الامتثال بامرك واعتنائي بالوفاء بعهدك
وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبة في قبول العذر قال استئناف مبني على سؤال نشأ
من حكاية اعتذاره عم وهو السر في وروده على صيغة الغائب لا لما قيل من الالتفات من التكلم الى الغيبة
لان المقدر فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كما دل عليه من جهة السامعين فاذا قال له ربه
ح فقيل قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم
وهم الذين خلفهم مع هرون عم وكانوا ستمائة الف ما نجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا
والفاء لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلاء على اخبار موسى عم بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب
للاخبار به بل لما بينهما من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الآخر من حيث ان مدار
الابتلاء المذكور عجلة القوم فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عم عشرين ليلة بعد ذهابه
فحسبوها مع ايامها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عين ولا اثر واضلهم السامري
حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عم ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام
عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخبره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه [illegible]
[illegible] في علمه تعالى [illegible]
اولان السامري كان قد عزم على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عم وتصدى لترتيب مباديها
فكانت الفتنة واقعة عند الاخبار وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل
اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة
وقيل علج من كرمان وقيل من اهل باجرمى واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام
وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه عند رجوعه المعهود اي بعدما استوفى الاربعين

فأخذ التوراة لا عقيب الإخبار بالفتنة فسببية ما قبل الفاء لما بعدها إنما هي باعتبار قيد الرجوع المستفاد
من قوله تعالى غضبان أسفا لا باعتبار نفسه وإن كانت داخلة عليه حقيقة فإن كون الرجوع بعد
تمام الأربعين أمر مقرر مشهور لا يذهب الوهم إلى كونه عند الإخبار بالفتنة كما إذا قلت شايعت الحجاج
ودعوت لهم بالسلامة فرجعوا سالمين فإن أحدا لا يرتاب في أن المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم إثر
الدعاء وأن سببية الدعاء باعتبار وصف السلامة لا باعتبار نفس الرجوع والأسف الشديد الغضب
وقيل الحزين قال استئناف مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كأنه قيل فإذا فعل بهم
فقيل قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى
والهمزة لإنكار عدم الوعد ونفيه وتقرير وجوده على أبلغ وجه وآكده أي وعدكم بحيث لا سبيل لكم
إلى إنكاره والفاء في قوله تعالى أفطال عليكم العهد أي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لإنكار
المعطوف ونفيه فقط أي أوعدكم ذلك فطال زمان الإنجاز فأخطأتم بسببه أم أردتم أن يحل
أي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره كائن من ربكم أي من مالك أمركم على الإطلاق فأخلفتم
موعدي أي وعدكم إياي بالثبات على ما أمرتكم به إلى أن أرجع من الميقات على إضافة المصدر إلى
مفعوله للقصد إلى زيادة تقبيح حالهم فإن إخلافهم الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث إضافته
إليه عليه السلام أشنع منه من حيث إضافته إليهم والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل
البدل كأنه قيل أنسيتم الوعد بطول العهد فأخلفتموه خطأ أم أردتم حلول الغضب عليكم فأخلفتموه
عمدا وأما جعل الموعد مضافا إلى فاعله وحمل إخلافه على معنى وجدان الخلف فيه أي فوجدتم الخلف
في موعدي لكم بالعود بعد الأربعين فمما لا يساعده السياق ولا السباق أصلا قالوا ما أخلفنا موعدك
أي وعدنا إياك الثبات على ما أمرتنا به وإيثاره على أن يقال موعدنا على إضافة المصدر إلى فاعله
لما مر آنفا بملكنا أي بأن ملكنا أمورنا يعنون أنا لو خلينا وأمورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله
مع مساعدة بعض الأحوال لما أخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت الشيء
ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ
حملنا بالتخفيف أي حملنا أحمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم
العرس وقيل كانوا استعاروا لعيد كان لهم ثم لم يردوها إليهم عند الخروج مخافة أن يقفوا على
أمرهم وقيل هي ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوه ولعل تسميتهم لها أوزارا لأنها آثام
وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها أي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك أي فمثل
ذلك القذف ألقى السامري أي ما كان معه منها وقد كان أراهم أنه أيضا يلقي ما كان معه من
الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وإنما كان الذي ألقاه التربة التي أخذها من أثر الرسول كما سيأتي
روي أنه قال لهم إنما تأخر موسى عنكم لما معكم من الأوزار فالرأي أن نحفر حفرة ونسجر فيها نارا ونقذف
فيها كل ما معنا ففعلوا فأخرج أي السامري لهم للقائلين عجلا من تلك الحلي المذابة وتأخيره مع
كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من
نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم فإن قوله تعالى جسدا أي جثة ذا دم ولحم أو
جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار أي صوت عجل نعت له فقالوا أي السامري ومن
افتتن به أول ما رآه هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا
حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا إلى زيادة تقريرها ثم ترتيب الإنكار
عليها لا من جهة القائلين وإلا لقيل فأخرج لنا والحمل على أن عدولهم إلى ضمير الغيبة لبيان أن الإخراج
والقول المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع أنه مخل باعتذارهم فإن مخالفة بعضهم
للسامري وعدم افتتانهم بتسويله مع كون الإخراج والخطاب لهم مما يهون مخالفة المعتذرين
وافتتانهم بعد ذلك أعظم جناية وأكثر شناعة وأما ما قيل من أن المعتذرين هم الذين لم يعبدوا
العجل وأن نسبة الإخلاف إلى أنفسهم وهم برآء منه من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا مع أن القاتل

القاتل واحد منهم كأنهم قالوا ما وجد الإخلاف فيما بيننا بأمر كنا نملكه بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة
حيث فعل السامري ما فعل فأخرج لهم ما أخرج وقال لهم ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم
مخافة ازدياد الفتنة يقضي ببطلانه سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى أفلا يرون الخ إنكار
وتوبيخ من جهته تعالى لحال الضالين والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما أقدموا عليه من المنكر
الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على أحد وهو اتخاذه إلها والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام أي ألا يتفكرون فلا يعلمون أن لا يرجع إليهم قولا أي أنه لا يرجع إليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف
يتوهمون أنه إله وقرئ يرجع بالنصب فالرؤية حينئذ بصرية فإن أن الناصبة لا تقع بعد أفعال اليقين
أي ألا ينظرون فلا يبصرون عدم رجعه إليهم قولا من الأقوال وتعليق الإبصار بما ذكر مع كونه أمرا عدميا
للتنبيه على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا
ولا نفعا عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية أي أفلا يرون أنه لا يقدر على أن يدفع عنهم
ضرا أو يجلب لهم نفعا أو لا يقدر على أن يضرهم إن لم يعبدوه أو ينفعهم إن عبدوه ولقد قال لهم
هرون من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الإنكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على
الرسول إثر بيان مكابرتهم لقضية العقول أي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الأمر من
قبل رجوع موسى عليه السلام إليهم وخاطبهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري كأنه أول
ما أبصره حين طلع من الحفرة توهم منهم الافتتان به فسارع إلى تحذيرهم وقال لهم يا قوم إنما فتنتم به
أي أوقعتم في الفتنة بالعجل أو أضللتم على توجيه القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالقياس إلى
مقابله الذي يدعيه القوم لا إلى قيده المذكور بالقياس إلى غيره على معنى إنما فعل بكم الفتنة لا الإرشاد
إلى الحق لا على معنى إنما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وإن ربكم الرحمن تكرير عطفا على إنما
إرشادهم إلى الحق إثر زجرهم عن الباطل والتعرض لعنوان الربوبية والرحمة للاعتناء باستمالتهم
إلى الحق كما أن التعرض لوصف العجل للاهتمام بالزجر عن الباطل أي إن ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن
لا غير والفاء في قوله تعالى فاتبعوني لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين أي إذا كان
الأمر كذلك فاتبعوني في الثبات على الدين وأطيعوا أمري هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه
قالوا في جواب هرون عليه السلام لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع إلينا موسى
جعلوا رجوعه عليه السلام غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه
عليه السلام بل بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك أنه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين تعويلا على مقالة
السامري روي أنهم لما قالوا ذلك اعتزلهم هرون عليه السلام في اثني عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل
فلما رجع موسى عليه السلام وسمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت
الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
جوابهم لهرون كأنه قيل فماذا قال موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعد ما شاهد منهم فقيل
قال له وهو مغتاظ قد أخذ بلحيته ورأسه يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل
وبلغوا من المكابرة إلى أن شافهوك بتلك المقالة الشنعاء ألا تتبعني أي أن تتبعني على أن لا مزيدة
وهو مفعول ثان لمنع وعامل في إذ أي أي شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من أن تتبعني في الغضب
لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على أن لا تتبعني فإن المنع عن الشيء مستلزم للحمل
على مقابله وقيل ما منعك أن تلحقني وتخبرني بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وليس بذاك فإن نصائح هرون
حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلأن لا يزجرهم مفارقته إياهم عنه أولى والاعتذار بأنهم إذا علموا أنه
يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع موسى عليه السلام فينزجرون عن ذلك بمعزل من حيز
القبول كيف لا وهم قد صرحوا بأنهم عاكفون عليه إلى حين رجوعه عليه السلام أفعصيت أمري أي
بالصلابة في الدين والمحاماة عليه فإن قوله له اخلفني متضمن للأمر بهما حتما فإن الخلافة لا
تتحقق إلا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضرا والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف

على موجب ما يقتضيه المقام اى ألم تتبعنى او أخالفتنى فعصيت امرى قال يا ابن أم خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لامه فان الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى اى بشعر رأسى روى انه عم اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عم حديدا متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى انى خشيت الخ استئناف سيق لتعليل موجب النهى بتحقيق الداعى الى ترك المقاتلة وتحقيق انه غير عاص لامره بل ممتثل به اى انى خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل برأيك مع كونهم ابناء واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان دون القوم ونحوه واراد عم بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذى لا يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولى يريد به قوله اخلفنى فى قومى واصلح الخ اى انى رأيت ان الاصلاح فى حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك استأنيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رأيت لاسيما وقد كانوا فى غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى قال استئناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامرى واعتذار هرون عم كأنه قيل فماذا صنع موسى بعد سماع ما حكى من الاعتذارين واستقرار اصل الفتنة على السامرى فقيل قال موبخا له هذا شأنهم فما خطبك يا سامرى اى ما شأنك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه بذلك ليظهر للناس بطلان كيده باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم قال اى السامرى مجيبا له عم بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها فى الاول وفتحها فى الثانى وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عم وقومه اى علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له او رأيت ما لم يروه وهو الانسب بما سيأتى من قوله وكذلك سولت لى نفسى لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء علم ما لم يعلمه موسى عليه السلام جرأة عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاء رؤية ما لم يره عم فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان رأى ان جبريل عم جاء راكب فرس وكان كلما رفع الفرس يديه او رجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات فى الحال فعرف ان له شأنا فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول اى من تربة موطئ فرس الملك الذى ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تأكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ بجميع الكف والثانى باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم فنبذتها اى فى الحلى المذابة فكان ما كان وكذلك سولت لى نفسى اى ما فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده ومحل الكاف فى الاصل النصب على انه مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر محذوف والتقدير سولت لى نفسى تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة لافادة تأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المؤكد لا نعتا له اى ذلك التزيين البديع زينت لى نفسى ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء واغوائها لا لشئ آخر من البرهان العقلى والالهام الالهى فعند ذلك قال فاذهب اى من بين الناس وقوله تعالى فان لك فى الحيوة الخ تعليل لموجب الامر وفى متعلقة بالاستقرار فى لك اى ثابت لك فى الحيوة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف المذكور لاعتماده على ما هو مبتدأ معنى لا بتقول لفساد المعنى ان تقول لا مساس اى ثابت لك كائنا فى الحيوة اى مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا او يمسه احد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح باقصى طوقه لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته

ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار بين الناس اوحش من القاتل اللاجئ الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة ولعل السر فى مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحيوة الموات عوقب بما يضاده من حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التى هى من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا فى الآخرة لن تخلفه اى لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعد ما عاقبك فى الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت الموعد اى وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا اى ظلت مقيما على عبادته فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه جواب قسم محذوف اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اى لنذرينه وقرئ بضم السين فى اليم رمادا او مبرودا كأنه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عم ذلك كله حينئذ كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف فى وعده المؤكد باليمين انما الهكم الله استئناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه الى الكل اى انما معبودكم المستحق للعبادة الله الذى لا اله الا هو فى الوجود لشئ من الاشياء اصلا وحده من غير ان يشاركه شئ من الاشياء بوجه من الوجوه التى من جملتها احكام الالوهية وقرئ الله الذى لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل شئ علما اى وسع علمه كل ما من شأنه ان يعلم بدل من الصلة كأنه قيل انما الهكم الذى وسع كل شئ علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا اوليا وقرئ وسّع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كأنه قيل وسع علمه كل شئ وبه تم حديث موسى عم المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت خاتمته وقوله تعالى كذلك نقص عليك كلام مستأنف خوطب به النبى صلى الله عم بطريق الوعد الجميل بتنزيل امثال ما مر من انباء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مقدر اى نقص عليك من انباء ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية على الامم الخالية قصصا مثل ذلك القص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن فى قوله تعالى من انباء فى حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف هو صفة للمفعول كما فى قوله تعالى ومنا دون ذلك اى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك بعض انباء ما قد سبق او بعضا كائنا من انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ وتأخيره عن عليك لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى مثل ذلك القص البديع الذى سمعته نقص عليك ما ذكر من الانباء لا قصصا ناقصا عنه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا اى كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة بآتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتأخيره عن الجار والمجرور لما ان مرجع الافادة فى الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا وقرآنا كريما جامعا لكل كمال لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه يذهب برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم الشأن المستتبع لسعادة الدارين وقيل عن الله عز وجل ومن اما شرطية او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا فانه اى المعرض عنه يحمل يوم القيمة وزرا اى عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزرا اما لتشبيهها فى ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سيأتى من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيها اى فى الوزر او فى احتماله المستمر حال من المستكن فى يحمل

والجمع بالنظر الى معنى من لما ان الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر الثلاثة بالنظر الى لفظها **وساء لهم يوم القيمة حملا** اي بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اي ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر **يوم ينفخ في الصور** بدل من يوم القيمة او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه حسبما مر في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله عز وجل او لاسرافيل عم وان لم يجر ذكره لشهرته **ونحشر المجرمين يومئذ** اي يوم ينفخ في الصور وذكره مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون **زرقا** اي حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين او عميا لان حدقة الاعمى تزرق وقرئ عميا **يتخافتون بينهم** اي يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اي يقول بعضهم لبعض بطريق المخافتة **ان لبثتم** اي ما لبثتم في الدنيا **الا عشرا** اي عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر وهو الانسب بحالهم فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتمالكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كأنهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم في القبر الا مدة يسيرة والاخفات لهم افظع من تمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة والسرور واستقصارها والتأسف عليها **نحن اعلم بما يقولون** وهو مدة لبثهم **اذ يقول امثلهم طريقة** اي اعدلهم رأيا او عملا **ان لبثتم الا يوما** ونسبة هذا القول الى امثلهم استرجاح منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول **ويسألونك عن الجبال** اي عن مآل امرها وقد سأل عنه رجل من ثقيف وقيل مشركو مكة على طريق الاستهزاء **فقل ينسفها ربي نسفا** اي يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفاء للمسارعة الى ازالة ما في ذهن السائلين **فيذرها** الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي مقارها ومراكزها اي فيذر ما انبسط منها وساوى بسطحه سطوح سائر اجزاء الارض بعد نسف ما نتأ منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين يذر الكل **قاعا صفصفا** لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مسامتا لسطوح سائر اجزاء الارض فقد جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل السهل وقيل المنكشف من الارض وقيل المستوي الصلب منها وقيل ما لا بناء فيه ولا نبات والصفصف الارض المستوية الملساء كأن اجزاءها صف واحد من كل جهة وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى **لا ترى فيها** اي في مقار الجبال او في الارض على ما مر من التفصيل **عوجا** بكسر العين اي اعوجاجا ما كأنه لغاية خفائه من قبيل ما في المعاني اي لا تدركه ان تأملت بالمقاييس الهندسية **ولا امتا** اي نتوا يسيرا استئناف مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم **يومئذ** اي يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى **يتبعون الداعي** وقيل بدل ثان من يوم القيمة وليس بذاك اي يتبع الناس داعي الله عز وجل الى المحشر وهو اسرافيل عم يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن فيقبلون من كل اوب الى صوبه **لا عوج له** لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه

وخشعت الاصوات للرحمن اي خفضت لهيبته **فلا تسمع الا همسا** اي صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر **يومئذ** اي يوم اذ يقع ما ذكر من الامور الهائلة **لا تنفع الشفاعة** من الشفعاء احدا **الا من اذن له الرحمن** ان يشفع له **ورضي له قولا** اي ورضي لاجله قول الشافع في شأنه او رضي قوله لاجله وفي شأنه واما من عداه فلا تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لان حكم الشفاعة ممن لم يؤذن له ان لا يملكها ولا تصدر هي عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها عمن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى مقام تهويل اليوم واما قوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها **يعلم ما بين ايديهم** اي ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا **وما خلفهم** وما بعدهم مما يستقبلونه وقيل من امر الآخرة **ولا يحيطون به علما** اي لا تحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته اي من حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه **وعنت الوجوه للحي القيوم** اي ذلت وخضعت خضوع العناة اي الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى **وقد خاب من حمل ظلما** قال ابن عباس رضي الله عنهما خسر من اشرك بالله تعالى ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كأنه قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على العموم فالمعنى حينئذ خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى **ومن يعمل من الصالحات** الخ قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى وعنت الوجوه الخ كما انه كذلك على الوجه الاول اي ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من اساور فيما قد سبق **وهو مؤمن** فان الايمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات **فلا يخاف ظلما** اي منع ثواب مستحق بموجب الوعد **ولا هضما** ولا كسرا منه بنقص او لا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم حتى يخافه وقرئ فلا يخف على النهي **وكذلك** عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيمة واهوالها اي مثل ذلك الانزال **انزلناه** اي القرآن كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شأنه وكونه مركوزا في العقول حاضرا في الاذهان **قرآنا عربيا** ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر **وصرفنا فيه من الوعيد** اي كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه آنفا **لعلهم يتقون** اي كي يتقوا الكفر والمعاصي بالفعل **او يحدث لهم ذكرا** اتعاظا واعتبارا مؤديا بالآخرة الى الاتقاء **فتعالى الله** استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله واحواله **الملك** النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده **الحق** في ملكوتيته والوهيته لذاته او الثابت في ذاته وصفاته **ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه** اي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القى اليه جبريل عليه السلام الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهي عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد اذ ربما يشغله التلفظ الالفاظ في الاذهان ثم لا يستقر معانيها ربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل **وقل** اي في نفسك **رب زدني علما** اي سل الله عز

زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهي عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان
يأتي بيانه وليس بذاك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب في صحته ومشروعيته ولقد
عهدنا الى آدم كلام مستأنف مسوق لتقرير ما سبق من تصريف الوعيد في القرآن وبيان ان اساس
بني آدم على العصيان وعرقه راسخ في النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود في قوله تعالى كذلك نقص عليك
من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه
والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم محذوف اي واقسم او وبالله او وتالله
لقد امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل هذا الزمان فنسي اي العهد ولم يهتم به حتى غفل
عنه او تركه ترك المنسي عنه وقرئ فنُسّي اي نساه الشيطان ولم نجد له عزما تصميم رأي وثبات
قدم في الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولا استطاع ان يغره وقد كان ذلك منه عم
في بدء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها وقارها ويذوق شريها واريها عن النبي صلى الله عليه وسلم
لو وزنت احلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على
الذنب فانه اخطأ ولم يتعمد وقوله تعالى ولم نجد له ان كان من الوجود العلمي فله عزما مفعولاه
قدم الثاني على الاول لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة
هو المفعول وليس في الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما مر
مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كأنه قيل ولم نصادف
له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم شروع في بيان المعهود وكيفية
نسيانه وفقدان عزمه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر وقت
قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث لما مر مرارا من المبالغة
في ايجاب ذكرها فان الوقت مشتمل على تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على
اعيان الحوادث فاذا ذكر صارت الحوادث كأنها موجودة في ذهن المخاطب بوجوداتها العينية
اي اذكر ما وقع في ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس
قد سبق الكلام فيه مرارا أبى جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن الاخبار بعدم سجوده
كأنه قيل فما باله لم يسجد فقيل ابى واستكبر ومفعول ابى اما محذوف اي ابى السجود كما في قوله تعالى
ان يكون مع الساجدين او غير منوي رأسا بتنزيله منزلة اللازم اي فعل الاباء واظهره فقلنا
عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا آدم ان هذا الذي رأيت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما
اي لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما
منها بالطريق البرهاني كما في قولك لا ارينك ههنا والفاء لترتيب موجب النهي على عداوته لهما
او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهي واسناد الشقاء اليه خاصة بعد تعليق الاخراج الموجب له
بهما معا لاصالته في الامور واستلزام شقائه لشقائها مع ما فيه من مراعاة الفواصل وقيل
المراد بالشقاء التعب في تحصيل مبادي المعاش وذلك من وظائف الرجال ان لك الا تجوع فيها
ولا تعرى وانك لا تظمؤ فيها ولا تضحى تعليل لما يوجبه النهي فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما
يوجب المبالغة في الاهتمام بتحصيل مبادي البقاء فيها والجد في الانتهاء عما يؤدي الى الخروج عنها
والعدول عن التصريح بان له عم فيها تنعما بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس
البهية والمساكن المرضية مع ان فيه من الترغيب في البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفي نقائضها
التي هي الجوع والعطش والعري والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع
الشقوة التي حذره عنها ليبالغ في التحامي عن السبب المؤدي اليها على ان الترغيب قد حصل بما سوغ
له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثني من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا آدم اسكن انت
وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر في موضع آخر
واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الخ الا يصيبه شيء من

من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والري والكسوة والكن قد تحصل بعد عروض اضدادها بالعوز من
الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كل ما وقع فيها شهوة وميل الى شيء من الامور
المذكورة يتمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه افراده عم بما ذكر ما مر آنفا وفصل الظمأ
عن الجوع في الذكر مع تجانسهما وتقارنهما في الذكر عادة وكذا حال العري والضحو المتجانسين لتوفية
مقام الامتنان حقه بالاشارة الى ان نفي كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين
الجوع والظمأ لربما توهم ان نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو على منهاج
قصة البقرة ولزيادة التقرير بالتنبيه على ان نفي كل واحد من الامور المذكورة مقصود بالذات
مذكور بالاصالة لا ان نفي بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفي بعض آخر كما عسى يتوهم
لو جمع بين كل من المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور على الفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع
الجملة المصدرة بان المفتوحة اسما للمكسورة المشاركة لها في افادة التحقيق مع امتناع ذلك
في نوعها خبرا لها لما ان المحذور اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه
لاختلاف مناط التحقيق في ما في حرفيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط ح مما لا ريب
فيه بيانه ان كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة
من اسمها وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابي والسلبي وان مناط ذلك
الحكم خبرها لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها في نفسه فاللازم
من وقوع الجملة المؤولة بالمصدر واما تحقيق ثبوتها في نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم
يلزم اجتماع حرفي التحقيق في مادة واحدة قطعا واما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم
حق مع اختلاف المناط بل اشترطوا الفصل بالخبر كقولنا ان عندي ان زيدا قائم للتجافي عن صورة
الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة عن المكسورة التي يمتنع دخولها على المفتوحة بلا فصل
وقائمة مقامها في اقتضاء معناها واجراء احكامها على مدخولها لكنها حيث لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق
لم يلزم من دخولها على المفتوحة اجتماع حرفي التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع وعدم
العري وعدم الظمأ خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عم عدم الظمأ والضحو مطلقا كما
فعل مثله في المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عم تحقق عدمهما فوضع موضع الحرف
المصدري المحض ان المفيدة له كأنه قيل ان لك فيها عدم ظمئك على التحقيق فوسوس اليه الشيطان
اي انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال اما بدل من وسوس او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه
كأنه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اي شجرة من اكل
منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا لقوله الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
وملك لا يبلى اي لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضي
عريا عن النور الذي كان الله تعالى البسهما حتى بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة قد مر تفسيره في سورة الاعراف وعصى آدم ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه
الذي هو الخلود او عن المامور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوي من غوي الفصيل
اذا اتخم من اللبن وفي وصفه عم بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده
عن امثالها ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه اليه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى
الشيء بمعنى جباه لنفسه اي جمعه كقولك اجتمعته او من جبى الي كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس
فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم مزيد تشريف
له عم فتاب عليه اي قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين وافراده عم بالاجتباء وقبول التوبة قد مر وجهه وهدى اي الى
الثبات على التوبة والتمسك باسباب العصمة قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الاخبار بانه تعالى
قبل توبته وهداه كأنه قيل فماذا امره تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا

أي انزلا من الجنة إلى الأرض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب في اهبطا والجمع لما
أنهما أصل الذرية ومنشأ الأولاد أي متعادين في أمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب
فإما يأتينكم مني هدى من كتاب ورسول فمن اتبع هداي وضع الظاهر موضع المضمر مع
الإضافة إلى ضميره تعالى لتشريفه والمبالغة في إيجاب اتباعه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
ومن أعرض عن ذكري أي عن الهدى الذاكر لي والداعي إلي فإن له في الدنيا معيشة ضنكا ضيقا
مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لأن مجامع همته
ومطامح نظره مقصورة على أعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف
المؤمن الطالب للآخرة مع أنه قد يضيق الله تعالى بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان كما قال تعالى وضربت
عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض
ولو أن أهل الكتاب آمنوا إلى قوله تعالى لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل هو الضريع والزقوم
في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فإن له معيشة
ضنكا لأنه جواب الشرط يوم القيامة أعمى فاقد البصر كما في قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على
وجوههم عميا وبكما وصما لا أعمى عن الحجة كما قيل قال استئناف كما مر رب لم حشرتني أعمى وقد
كنت بصيرا أي في الدنيا وقرئ أعمى بالإمالة في الموضعين وفي الأول فقط لكونه جديرا بالتغيير
لكونه رأس الآية ومحل الوقف قال كذلك أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بقوله تعالى أتتك
آياتنا واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد فنسيتها أي عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر
أصلا وكذلك ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب
جزاء وفاقا لكن لا أبدا كما قيل بل إلى ما شاء الله تعالى ثم يزيله عنه فيرى أهوال القيامة ويشاهد
مقعده من النار ويكون ذلك عذابا له فوق العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم
وأبصر يوم يأتوننا وكذلك أي مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزي من أسرف بالانهماك في الشهوات
ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وأعرض عنها ولعذاب الآخرة على الإطلاق أو عذاب النار أشد
وأبقى أي من ضنك العيش أو منه ومن الحشر على العمى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون
كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزي الآية والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء
للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام إما لتنزيلها منزلة اللازم فلا حاجة إلى
المفعول أو لأنها بمعنى التبيين والمفعول محذوف وأياما كان فالفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها
وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى أغفلوا فلم يفعل الهداية لهم أو أفلم
يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا للقرون الأولى وقد مر في قوله تعالى أولم يهد للذين يرثون
الأرض من بعد أهلها الآية وقيل الفاعل الضمير العائد إلى الله عز وجل ويؤيده القراءة بنون العظمة
وقوله تعالى كم أهلكنا الخ إما معلق للفعل ساد مسد مفعوله أو مفسر لمفعوله المحذوف هكذا قيل
والأوجه أن لا يلاحظ له مفعول كأنه قيل أفلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات
كم أهلكنا الخ بيانا لتلك الهداية ومن القرون في محل النصب على أنه وصف لمميز كم أي كم قرنا
كائنا من القرون وقوله تعالى يمشون في مساكنهم حال من القرون أو من مفعول أهلكنا أي أهلكناهم
وهم في حال أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير في لهم مؤكد للإنكار والعامل يهد والمعنى أفلم يهد
لهم إهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم
إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب أن يهتدوا إلى الحق فيعتبروا
لئلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول أي يمكنون من المشي إن في ذلك
تعليل للإنكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك إشارة إلى مضمون قوله تعالى كم أهلكنا
الخ وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد منزلته وعلو شأنه في بابه لآيات كثيرة عظيمة
واضحات الهداية ظاهرات الدلالة على الحق فإذن هو هاد وأيما هاد ويجوز أن تكون كلمة

كلمة في تجريدية فإذن هم لأولي النهى لذوي العقول الناهية عن القبائح التي من أقبحها ما يتعاطاه
كفار مكة من الكفر بآيات الله تعالى والتعامي عنها وغير ذلك من فنون المعاصي وفيه دلالة على
أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستأنف
سيق لبيان حكمة عدم وقوع ما يشعر به قوله تعالى أفلم يهد لهم من أن يصيبهم مثل ما أصاب القرون
المهلكة أي ولولا الكلمة السابقة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة لحكمة تقتضيه
ومصلحة تستدعيه لكان عقاب جناياتهم لزاما أي لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتأخر عن
جناياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة
إلى ضميره عليه السلام تلويح بأن ذلك لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت
فيهم واللزام إما مصدر لازم وصف به مبالغة وإما فعال بمعنى مفعل جعل آلة اللزوم لفرط
لزومه كما يقال لزاز خصم وأجل مسمى عطف على كلمة أي ولولا أجل مسمى لأعمارهم أو
لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لما تأخر عذابهم أصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة
إلى بيان جواب لولا وللإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل
الآي الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن في كان العائد إلى الأخذ العاجل المفهوم من
السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التأكيد أي لكان الأخذ العاجل وأجل مسمى لازمين
لهم كدأب عاد وثمود وأضرابهم ولم ينفرد الأجل المسمى دون الأخذ العاجل فاصبر على ما
يقولون أي إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخر عذابهم ليس بإهمال وإنه لازم لهم البتة فاصبر
على ما يقولون من كلمات الكفر فإن علمه عليه السلام بأنهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر
وسبح ملتبسا بحمد ربك أي صل وأنت حامد لربك الذي يبلغك إلى كمالك على هدايته
وتوفيقه أو نزهه تعالى عما ينسبونه إليه مما لا يليق بشأنه الرفيع حامدا له على ما ميزك بالهدى
معترفا بأنه مولى النعم كلها والأول هو الأظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع الشمس الخ فإن
توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر وقبل غروبها يعني صلاتي الظهر والعصر لأنهما في
غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله تعالى قبل طلوع الشمس وقيل صلاة العصر
ومن آناء الليل أي من ساعاته جمع إنى بالكسر والقصر وإناء بالفتح والمد فسبح أي فصل
والمراد به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فإن القلب فيهما
أجمع والنفس إلى الاستراحة أميل فتكون العبادة فيهما أشق ولذلك قال تعالى إن ناشئة الليل
هي أشد وطأ وأقوم قيلا وأطراف النهار تكرير لصلاتي الفجر والمغرب إيذانا باختصاصهما
بمزيد مزية ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الإلباس كقول من قال ظهراهما مثل ظهور الترسين
أو أمر بصلاة الظهر فإنه نهاية النصف الأول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه
باعتبار النصفين أو لأن النهار جنس أو أمر بالتطوع في أجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح
أي سبح في هذه الأوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة
البناء للمفعول من أرضى أي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك أي لا تطل نظرهما بطريق الرغبة
والميل إلى ما متعنا به من زخارف الدنيا وقوله تعالى أزواجا منهم أي أصنافا من الكفرة مفعول
متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به أو هو حال من الضمير والمفعول منهم أي الذي
متعنا به وهو أصناف وأنواع بعضهم على أنه بمعنى التبعيضية أو بعضا منهم على حذف
الموصوف كما مر مرارا زهرة الحياة الدنيا منصوب بمحذوف يدل عليه متعنا أي أعطينا
أو به على تضمين معناه أو بالبدلية من محل به أو من أزواجا بتقدير مضاف أو بدونه
أو بالذم وهي الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهي لغة كالجهرة في الجهر أو جمع
زاهر وصف لهم بأنهم زاهرو الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون
الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا إثر إظهار بهجته

أي لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه أو لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك أي ما ادخر لك
في الآخرة أو ما رزقك في الدنيا من النبوة والهدى خير مما منحهم في الدنيا لأنه مع كونه في نفسه
أجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه وأبقى فإنه لا يكاد ينقطع نفسه أو
أثره أبدا كما عليه زهرة الدنيا وأمر أهلك بالصلوة أمر صلى الله عليه وسلم بأن يأمر أهل بيته أو
التابعين له من أمته بالصلوة بعدما أمر هو بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا
يهتموا بأمر المعيشة ولا يلتفتوا لفت أرباب الثروة واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بأمر
المعاش لا نسألك رزقا أي لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك نحن نرزقك أي لا نكلفك
أن ترزق نفسك ولا أهلك وإياهم ففرغ بالك لأمر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى أي لأهل التقوى
على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيها على أن ملاك الأمر هو التقوى روي أنه عليه السلام
كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلوة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه حكاية
لبعض أقاويلهم الباطلة التي أمر عليه السلام بالصبر عليها أي هلا يأتينا بآية تدل على صدقه في
دعوى النبوة أو بآية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من
المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الآيات حتى اجترءوا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء
وقوله تعالى أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى أي التوراة والإنجيل وسائر الكتب السماوية
رد من جهته عز وعلا لمقالتهم القبيحة وتكذيب لهم فيما دسوا تحتها من إنكار إتيان الآية بإتيان
القرآن الكريم الذي هو أم الآيات وأس المعجزات وأعظمها وأبقاها لأن حقيقة المعجزة اختصاص
مدعي النبوة بنوع من الأمور الخارقة للعادات أي أمر كان ولا ريب في أن العلم أجل الأمور وأعلاها
إذ هو أصل الأعمال ومبدأ الأفعال ولقد ظهر مع حيازته لجميع علوم الأولين والآخرين على يد أمي
لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس أحدا من أهلها أصلا فأي معجزة تراد بعد وروده وأي آية ترام
مع وجوده وفي إيراده بعنوان كونه بينة لما في الصحف الأولى من التوراة والإنجيل وسائر الكتب
السماوية أي شاهدا بحقية ما فيها من العقائد الحقة وأصول الأحكام التي أجمعت عليها كافة
الرسل وبصحة ما نطق به من أنباء الأمم من حيث إنه غني بإعجازه عما يشهد بحقيته حقيق بإثبات
حقية غيره ما لا يخفى من تنويه شأنه وإنارة برهانه ومزيد تقرير وتحقيق لإتيانه وإسناد الإتيان
إليه مع جعلهم إياه مأتيا به للتنبيه على أصالته فيه مع ما فيه من المناسبة للبينة والهمزة
لإنكار الوقوع والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل ألم تأتهم سائر الآيات ولم تأتهم خاصة
بينة ما في الصحف الأولى تقريرا لإتيانه وإيذانا بأنه من الوضوح بحيث لا يتأتى منهم إنكاره أصلا
وإن اجترءوا على إنكار سائر الآيات مكابرة وعنادا وقرئ أولم يأتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف
بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب إلى آخر الآية جملة مستأنفة سيقت
لتقرير ما قبلها من كون الآية بينة لا يمكن إنكارها ببيان أنهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى
لو أنا أهلكناهم في الدنيا بعذاب مستأصل من قبله متعلق بأهلكنا أو بمحذوف هو صفة لعذاب
أي بعذاب كائن من قبل إتيان البينة أو من قبل محمد صلى الله عليه وسلم لقالوا أي يوم القيمة ربنا
لولا أرسلت إلينا في الدنيا رسولا مع كتاب فنتبع آياتك التي جاءنا بها من قبل أن نذل
بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم نهلكهم قبل إتيانها فانقطعت معذرتهم فعند
ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء قل لأولئك الكفرة المتمردين كل
أي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول إليه أمرنا وأمركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون
عن قريب من أصحاب الصراط السوي أي المستقيم وقرئ السواء أي الوسط الجيد وقرئ السوء والسوى
والسوءى تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء
خبرهما ما بعدهما والجملة سادة مسد مفعولي العلم أو مفعوله ويجوز كون الثانية موصولة
بخلاف الأولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على أن العلم

العلم بمعنى المعرفة أو على أصحاب أو على الصراط وقيل العائد في الأولى محذوف والتقدير من هم
أصحاب الصراط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طه أعطي يوم القيمة ثواب
المهاجرين والأنصار وقال صلى الله عليه وسلم لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا سورة طه ويس

سورة الأنبياء مكية مائة وست عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان
قال ابن عباس المراد بالناس المشركون وهو الذي ينبئ عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه
في ضمن اقتراب الساعة وإسناد الاقتراب إليه لا إلى الساعة مع استتباعها له ولسائر ما فيها من الأحوال
والأهوال الفظيعة لانسياق الكلام إلى بيان غفلتهم عنه وإعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة
بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة إلى إدخال الروعة فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوءهم
ويورثهم رهبة وانزعاجا من المقترب كما أن تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو
الذي خلق لكم ما في الأرض لتعجيل المسرة لما أن بيان كون الخلق لأجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة
فيما خلق لهم وشوقا إليه وجعلها تأكيدا للإضافة على أن الأصل المتعارف فيما بين الأوساط اقترب حساب
الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم مع أنه تعسف تام بمعزل مما يقتضيه المقام
وإنما الذي يستدعيه حسن النظام ما قدمناه والمعنى دنا منهم حساب أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب
وفي إسناد الاقتراب المنبئ عن التوجه نحوهم إلى الحساب مع إمكان العكس بأن يعتبر التوجه والإقبال من
جهتهم نحوه تفخيم لشأنه وتهويل لأمره لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم
ويصيبهم لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فإنه في كل ساعة من ساعات
الزمان أقرب منهم إليه في الساعة السابقة هذا وأما الاعتذار بأن قربه بالإضافة إلى ما مضى من
الزمان أو بالنسبة إلى الله عز وجل أو باعتبار أن كل آت قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد
من صيغة الماضي ولا حاجة إليه في تحقيق أصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه
فيصار حينئذ إلى التوجيه بالوجه الأول دون الأخيرين أما الثاني فلا سبيل إلى اعتباره ههنا لأن قربه
بالنسبة إليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما وإنما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة
قريب ونظائره مما لا دلالة فيه على الحدوث وأما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة
إلى شيء آخر وهم في غفلة أي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا أنهم غير مبالين به مع اعترافهم
بإتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم أن الأعمال لا بد لها من الجزاء معرضون أي عن الآيات
والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة أمرا جبليا لهم جعل
الخبر الأول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الإعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف
حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم ذلك أكمل تذكير
وتنبههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بيأتيهم أو بمحذوف هو صفة لذكر وأيا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا
به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع حملا على محله
أي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى إلا استمعوه استثناء مفرغ محله النصب على
أنه حال من مفعول يأتيهم بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم يلعبون حال
من فاعل استمعوه وقوله لاهية قلوبهم إما حال أخرى منه أو من واو يلعبون والمعنى ما يأتيهم ذكر
من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعبين مستهزئين به لاهين عنه أو
لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكر
في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على أنه خبر بعد خبر وأسروا النجوى كلام مستأنف مسوق لبيان جناية
خاصة إثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا سرا

انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا
بدل من واو اسروا منبئ عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما اسروا به وهو مبتدا خبره اسروا النجوى
قدم عليه اهتماما به والمعنى هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب
على الذم وقوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم الخ في حيز النصب على انه مفعول لقول مضمر هو جواب عن سوال
نشا عما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الخ او بدل من اسروا او معطوف عليه او على
انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى النفي والهمزة في قوله افتاتون السحر للانكار والفا
للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله وانتم تبصرون حال من فاعل تاتون مقررة للانكار ومؤكدة
للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر اتعلمون ذلك فتاتونه وتحضرونه
على وجه الاذعان والقبول وانتم تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزائغ ان
الرسول لا يكون الا ملكا وان كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وذهل عنهم ان ارسال
البشر الى عامة البشر هو الذي يقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يوفكون وانما اسروا ذلك
لانه كان على طريق توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في
هدم امر النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قال ربي يعلم القول في السماء
والارض حكاية من جهته تعالى لما قاله عليه السلام بعدما اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم
وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على النهج البرهاني
مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى بالسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء قطعا
كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الخ وقوله في السماء والارض متعلق بمحذوف وقع حالا من القول اي
كائنا في السماء والارض وقوله تعالى وهو السميع العليم اي المبالغ في العلم بالمسموعات والمعلومات التي
من جملتها ما اسروه من النجوى فيجازيهم باقوالهم وافعالهم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله متضمن
للوعيد بل قالوا اضغاث احلام اضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية
قول اخر مضطرب في بطلان اي لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عم هل هذا الا بشر وفي حق
ما ظهر على يده من القران الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه من
تلقاء نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع
معاني لا حقيقة لها وهكذا شان المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب بين فاسد
وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد قيل الكل من
قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى ثم الى انه قول شاعر ولا
ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال قالوا بل اضغاث احلام والاعتذار بان بل قالوا مقول لقالوا المضمر
قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر الخ كانه قيل واسروا النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام
وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فلياتنا باية جواب شرط
محذوف يفصح عنه السياق كانه قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله تعالى فلياتنا باية كما ارسل
الاولون اي مثل الاية التي ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة
ومحل الكاف الجر على انها صفة لاية ويجوز ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة على مصدر تشبيهي اي
نعت لمصدر محذوف اي فلياتنا باية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث
ان الاتيان بالاية من فروع الارسال بها اي مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم
على انه اريد كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه
ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن الاخر حسبما
مر في اخر سورة يونس ما امنت قبلهم من قرية كلام مستانف مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه
خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان انهم في اقتراح تلك الايات كالباحث
عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا

نطقا لوجب استيصالهم لجريان سنة الله عز وجل في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما
اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستيصال لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه
الامة لا يعذبون بعذاب الاستيصال فقوله من قرية اي من اهل قرية في محل الرفع على الفاعلية ومن
مزيدة لتاكيد العموم وقوله تعالى اهلكناها اي باهلاك اهلها لعدم ايمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من
الايات صفة لقرية والهمزة في قوله تعالى افهم يؤمنون لانكار الوقوع والفاء للعطف اما على مقدر
دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم
يؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه من الايات اهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو اجيبوا
الى ما سالوا واعطوا ما اقترحوا مع كونهم اعتى منهم واطغى واما على امنت على ان الفاء متقدمة
على الهمزة في الاعتبار مفيدة لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها
الهمزة لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور وقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب
لقولهم هل هذا الا بشر الخ متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض بعدم كونه
عم مثل اولئك الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب قولهم فلياتنا باية ولانهم
قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما مر في تفسير قوله تعالى قل انما
ياتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان
في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم والحق ان ما اتخذوه سببا للتكذيب
موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى الحكمة ان يرسل الى البشر البشر والى الملك الملك حسبما
ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
فان عامة البشر بمعزل من استحقاق القاء وصحبة الملائكة لتوقفهما على التناسب بين الفيض والمستفيض
فبعث الملك اليهم مزاحم للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذي يقتضيه الحكمة
ان يبعث الملك منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا
العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويبلغوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم
استئناف مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول
لعدم القصد الى خصوصه والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك اليهم الا رجالا مخصوصين
من افراد الجنس متاهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما نوحي من الشرائع والاحكام
وغيرها من القصص والاخبار كما نوحي اليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله
كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون انك لست بدعا من الرسل وان ما اوحي اليك
ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون وقرئ يوحى اليهم على صيغة المبني للمفعول جريا على
سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل وقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكفرة لتبكيتهم واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تحقيق
الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان الامر الحقيق بخطاب في امثال تلك الحقائق
الانيقة [illegible]
[illegible] وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسئلوا اهل
الكتاب الواقفين على احوال الرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام لتزول شبهتكم امروا بذلك
لان اخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته ويشاورونهم في
امره ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شان النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وما جعلناهم
جسدا بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لسائر افراد الجنس في احكام الطبيعة البشرية
[illegible]

ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل كما في قوله وجعلنا آية النهار مبصرة واما حال من
الضمير والجعل ابداعي وافراده لارادة الجنس المنتظم للكثير وقيل بتقدير المضاف اي ذوي جسد
وقوله تعالى لا ياكلون الطعام صفة له اي وما جعلناهم جسدا مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا
الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان مآل التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار
ما كانوا على ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم
الخ لا بالجعل المستفاد والمراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شان الملائكة او الابدية وهم معتقدون
انهم لا يموتون والمعنى جعلناهم اجسادا متغذية صائرة الى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا
اجسادا مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لهم خلود كخلودهم فالجملة مقررة
لما قبلها من كون الرسل عليهم السلام بشرا اكالا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسول
ياكل الطعام وقوله ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار
التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي
باهلاك اعدائهم فانجيناهم ومن نشاء من المومنين وغيرهم ممن يستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو
او بعض فروعه بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين اي المجاوزين
الحدود في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كلام مستانف مسوق لتحقيق حقية القرآن العظيم الذي
ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما ياتيهم من آياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة سحرا
وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالة النبي عليه السلام ببيان انه
كسائر الرسل الكرام عليهم السلام وقد صدر بالتوكيد القسمي اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا
بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اي والله لقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشان
نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا موكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل
القدر بانه جميل الآثار مستجلب لهم منافع جليلة اي فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك
وقيل ما تحتاجون اليه في امور دينكم ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن النظم الكريم وسيادتها
قوله تعالى افلا تعقلون انكار توبيخي فيه بعث لهم على التدبر في امر الكتاب والتامل فيما في تضاعيفه
من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب
عليه الكلام اي الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك او تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله
تعالى وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل لاجمال قوله واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية محلها النصب على انها
مفعول لقصمنا ومن قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة
تاليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل
الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه التقدير الآتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا
ظالمين بآيات الله تعالى كافرين بها كدابكم وانشانا بعدها اي بعد اهلاكها قوما آخرين اي ليسوا منهم نسبا
ولا دينا ففيه تنبيه على استيصال الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء
هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك اولئك بقوله تعالى فلما احسوا باسنا اي ادركوا عذابنا الشديد
ادراكا تاما كانه ادراك المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم
مشبهين بهم في فرط الاسراع لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من
المومنين بطريق الاستهزاء والتوبيخ لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه من النعم والتلذذ والاتراف
ابطار النعمة ومساكنكم التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسألون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير
في المهمات والنوازل او تسألون اذا رئيت مساكنكم خالية وتسألون اين اصحابها او يسالكم الوافدون
نوالكم على انهم كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء او بخلا فيقال لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا
من الخلاص بالهرب وايقنوا بنزول العذاب يا ويلنا اي هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب
وهذا اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه العذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم

دعواهم اي فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوى اي دعوة لان المولول كانه يدعو الويل
قائلا يا ويل تعال فهذا اوانك حتى جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت
ولذلك لم يجمع خامدين اي ميتين من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل
كقولك جعلته حلوا حامضا والمعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير
المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا او صفة لحصيدا لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم
امثال حصيد وما خلقنا السماء والارض اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني آدم موسس
على قواعد الحكم البالغة المستتبعة للغايات الجليلة وتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب
النازل باهل القرى من مقتضيات تلك الحكم ومتفرعاتها حسب اقتضاء اعمالهم اياها وان للمخاطبين المقتدين
باثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها
ولا تحصر انواعها وآحادها على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك
باللعب واللهو حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا
يرتاب احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما لتكون مبدأ لوجود الانسان
وسببا لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا
كما ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم
ايكم احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ
لهوا استيناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه
من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة
والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن
يستحيل ارادتنا له لمنافاته الحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وقوله تعالى ان كنا فاعلين جوابه
محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اي ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين
اي لاتخاذ اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالي لانتفاء المقدم او لارادة اتخاذه
فيكون بيانا لانتفاء المقدم المستلزم لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة
والمراد الرد على النصارى ولا يخفى بعده بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو بل عن
ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من
جملته اللهو وتخصيص شانه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما سياتي من الوعيد
فيدمغه اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق على الباطل القذف
الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه الباطل الدمغ الذي هو كسر الشيء الرخو الاجوف
وهو الدماغ بحيث يشق غشاءه المودي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك وقرئ فيدمغه بالنصب
وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي اذا الفجائية
والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فزاهق من
الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب والعقاب ومن
تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل او من ضميره في
الخبر وما مصدرية او موصولة او موصوفة اي واستقر لكم الويل والهلاك من اجل وصفكم له سبحانه
بما لا يليق بشانه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه به من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به
وله من في السموات والارض استيناف مقرر لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام
كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اي له تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتدبيرا
وتصرفا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما استقلالا او استتباعا
ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم بذلك اثر ما عبر عنهم بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم
عليه عز وعلا منزلة المقربين عند الملوك بطريق التمثيل وهو مبتدا خبره لا يستكبرون

عن عبادته اى لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم كبراء **ولا يستحسرون** ولا يكلون ولا يعيون وصيغة
الاستفعال المنبئة عن المبالغة فى الحسور للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها
ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة نفى المبالغة فى الحسور مع ثبوت اصله فى الجملة كما ان نفى الظلامية
فى قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفى المبالغة
فى الظلم مع ثبوت اصل الظلم فى الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم
فى من فى السموات والارض للتعظيم كما فى قوله تعالى وجبريل وميكال فقوله لا يستكبرون حال
من الثانية **يسبحون الليل والنهار** اى ينزهونه فى جميع الاوقات ويعظمونه ويحمدونه دائما وهو
استئناف وقع جوابا عما نشأ عما قبله كانه قيل ماذا يصنعون فى عبادتهم او كيف يعبدون فقيل
يسبحون الخ او حال من فاعل يستحسرون وكذا قوله تعالى **لا يفترون** اى لا يتخلل تسبيحهم فترة اصلا
بفراغ او بشغل آخر **ام اتخذوا آلهة** حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب والانتقال من فن الى
فن آخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت
ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون على عبادته منزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه
من الامور التى من جملتها الانداد ومعنى الهمزة فى ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله
تعالى **من الارض** متعلق باتخذوا او بمحذوف هو صفة لآلهة واياما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص
وقوله تعالى **هم ينشرون** اى يبعثون الموتى صفة لآلهة وهو الذى يدور عليه الانكار والتجهيل و
التشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة اى بل اتخذوا آلهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم
ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها آلهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث
ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا لها الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص فى تقديم
الضمير ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما فى قوله تعالى
افى الله شك وقوله اباالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على
كمال مباينة امره تعالى لان يشك فيه ويستهزأ به ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل
فان الالوهية مقتضية للاستقلال بالابداء والاعادة بحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا
لها الاستقلال بالانشار كما انهم جعلوا بذلك مدعين لاصل الانشار **لو كان فيهما آلهة الا الله**
ابطال لتعدد الاله باقامة البرهان على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ
الآلهة لا لان للجمعية مدخلا فى الاستدلال وكذا فرض كونها فيهما والا بمعنى غير على انها صفة للآلهة
ولا مساغ للاستثناء لاستحالة شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان
الفساد لكونها فيهما بدونه تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون فى كلام غير
موجب اى لو كان فى السموات والارض آلهة غير الله تعالى كما هو اعتقادهم الباطل **لفسدتا** اى لبطلتا
بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالى علم انتفاء المقدم قطعا ببيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة
على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما
على ما هما عليه اما بتأثير كل منها وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير
واحد منها فالبواقى بمعزل من الالهية قطعا واعلم ان جعل التالى فسادهما بعد وجودهما لما انه اعتبر
فى المقدم تعدد الآلهة فيهما والا فالبرهان يقتضى استحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد
الاله فان توافق الكل فى المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجد
اصلا وحيث انتفى التالى تعين انتفاء المقدم والفاء فى قوله تعالى **فسبحان الله** لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من ثبوت الوحدانية بالبرهان اى فسبحوه سبحانه اللائق به ونزهوه عما لا يليق من الامور
التى من جملتها ان يكون له شريك فى الالوهية وايراد الجلالة فى موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم
فان الالوهية مناط لجميع صفات كماله التى من جملتها تنزهه تعالى عما لا يليق به ولتربية المهابة وادخال
الروعة وقوله تعالى **رب العرش** صفة للاسم الجليل مؤكدة لتنزهه عز وجل **عما يصفون** متعلق

متعلق بالتسبيح اى سبحوه عما يصفونه من ان يكون من دونه آلهة **لا يسئل عما يفعل** استئناف ببيان انه
تعالى لقوة عظمته وعزة سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل
من افعاله اثر بيان ان ليس له شريك فى الالوهية **وهم** اى العباد **يسئلون** عما يفعلون نقيرا وقطميرا
لانهم مملوكون له تعالى مستعبدون ففيه وعيد للكفرة **ام اتخذوا من دونه آلهة** اضراب وانتقال
من اظهار بطلان كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التى من
جملتها الانشار واقامة البرهان القاطع على استحالة تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية
الى اظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة كما تدرع سلطانه
وتبكيتهم بالجائهم الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة
بحقية التوحيد وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن
متعلقة باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شئونه الجليلة الموجبة لتفرده
بالالوهية مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية **قل** لهم بطريق التبكيت والقام الحجر **هاتوا
برهانكم** على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه فى الامور الدينية
لا سيما فى مثل هذا الشأن الخطير وما فى اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا
ضرب من التهكم بهم وقوله تعالى **هذا ذكر من معى وذكر من قبلى** انارة لبرهانه واشارة الى انه
مما نطقت به الكتب الالهية قاطبة وشهدت به السن الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على
اقامة البرهان لاظهار كمال عجزهم اى هذا الوحى الوارد فى شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع
العقلى ذكر امتى اى عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاتوا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى
هذا كتاب انزل على امتى وهذا كتاب انزل على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف
فراجعوها وانظروا هل فى واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك ففيه تبكيت لهم متضمن
لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى مسغبة
يتيما ذا مقربة وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وقوله تعالى **بل اكثرهم لا يعلمون الحق**
اضراب من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان الى بيان
انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا يميزون
بينه وبين الباطل **فهم** لاجل ذلك **معرضون** اى مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع الرسول
لا يرعوون عما هم عليه من الغى والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما القى عليهم من
البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وسط بين السبب والمسبب
تأكيدا للسببية وقوله تعالى **وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا
فاعبدون** استئناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية واجمعت عليه
الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول واياما كان فصيغة المضارع لحكاية
الحال الماضية استحضارا لصورة الوحى **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا** حكاية لجناية فريق من
المشركين جئ بها اظهارا لبطلانها وبيانا لتنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه
عن الشركاء على الاطلاق وهم حى من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدى ان
قريشا وبعض اجناس العرب جهينة وبنى سلمة وخزاعة وبنى مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان
الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له تعالى نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة
مقالتهم الباطلة **سبحانه** اى تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اى
بعد او اسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله
تعالى **بل عباد** اضراب وابطال لما قالوا كانه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى **مكرمون**
مقربون عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى **لا يسبقونه
بالقول** صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اى لا يقولون شيئا حتى يقوله

أو يأمرهم به وأصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فأسند السبق إليهم منسوبا إليه تعالى تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى
منزلة سبقهم إياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون
ما لا يقوله الله تعالى وجعل القول محلا للسبق وأداة له ثم أنيب اللام عن الإضافة للاختصار والتجافي
عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء من سابقته فسبقته أسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق وإشعار بأن
من سبق قوله قوله تعالى فقد تصدى لمغالبته تعالى في السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى
وزيادة تنزيه لهم عما نفي عنهم ببيان أن ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فأنى يتوهم صدوره
عنهم وهم بأمره يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى في الأعمال إثر بيان تبعيتهم له تعالى في الأقوال
فإن نفي سبقهم له تعالى بالقول عبارة عن تبعيتهم له تعالى فيه كأنه قيل هم بأمره يقولون وبأمره يعملون
لا بغير أمره أصلا فالقصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فإنهم لعلمهم بإحاطته تعالى بما قدموا
وأخروا من الأقوال والأعمال لا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره ولا
يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع ذلك من خشيته تعالى مشفقون مرتعدون
وأصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها العلماء والإشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته
بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر وعند تعديته بعلى ينعكس الأمر ومن يقل منهم أي من الملائكة إذ الكلام
فيهم في كونهم بمعزل مما قالوا في حقهم إني إله من دونه متجاوزا إياه تعالى فذلك الذي فرض
قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية
وفيه من الدلالة على قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم في حقهم
ما توهمه أولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزي الظالمين مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله أي
مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون أطوارهم والقصر
المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان دون الزيادة أي لا جزاء أنقص منه أولم ير الذين
كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم في التدبر في الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالألوهية وكون
جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير واو والرؤية
قلبية أي ألم يتفكروا ولم يعلموا أن السموات والأرض كانتا أي جماعتا السموات والأرضين كما
في قوله تعالى إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام والمعنى إما على
حذف المضاف أو هو بمعنى المفعول أي كانتا ذواتي رتق أو مرتوقتين وقرئ رتقا أي شيئا
رتقا أي مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس في رواية عكرمة والحسن البصري وقتادة وسعيد
بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض وقال
كعب خلق الله تعالى السموات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحا فتوسطتهما ففتقتهما وعن الحسن
خلق الله الأرض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق
منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدي كانت
السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتتقة طبقة واحدة
ففتقها فجعلها سبع أرضين قال ابن عباس في رواية عطاء وعليه أكثر المفسرين إن السموات كانت رتقا
مستوية صلبة لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات فيكون المراد بالسموات
السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق والسموات جميعا على أن لها مدخلا في الأمطار وعلم الكفرة الرتق
والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به وأما بالمعاني الأول فهم وإن لم يعلموها لكنهم متمكنون من علمها إما
بطريق النظر والتفكر فإن الفتق عارض مفتقر إلى مؤثر قديم وإما بالاستفسار من العلماء ومطالعة
الكتب وجعلنا من الماء كل شيء حي أي خلقنا من الماء كل حيوان كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء
وذلك لأنه من أعظم مواده أو لفرط احتياجه إليه وانتفاعه به أو صيرنا كل شيء حي من الماء أي بسبب منه لا بد له
من ذلك وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به لا لمجرد أن المفعولين في الأصل مبتدأ وخبر وحق الخبر

عند كونه ظرفا أن يتقدم على المبتدأ فإن ذلك مصحح محض لا مرجح وقرئ حيا على أنه صفة كل أو مفعول
ثان والظرف كما في الوجه الأول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق إلى المؤخر أفلا يؤمنون
إنكار لعدم إيمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآيات الآفاقية والأنفسية الدالة
على تفرده عز وجل بالألوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورا تحت ملكوته وقدرته والفاء
للعطف على مقدر يستدعيه الإنكار السابق أي أيعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي
أي جبالا ثوابت جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت ورسخ ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير
العقلاء مما لا ريب في صحته كقوله تعالى أشهر معلومات وأياما معدودات أن تميد بهم أي كراهة
أن تتحرك وتضطرب بهم أو لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الإلباس وجعلنا فيها أي في الأرض و
تكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه أو في الرواسي لأنها المحتاجة إلى الطرق
فجاجا مسالك واسعة وإنما قدم على قوله تعالى سبلا وهو وصف له ليصير حالا فيفيد أنه
تعالى حين خلقها خلقها كذلك أو ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على أنه تعالى خلقها ووسعها
للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون أي إلى مصالحهم ومهامهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا
من الوقوع بقدرتنا القاهرة أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيئتنا أو استراق السمع بالشهب
وهم عن آياتها الدالة على وحدانيته تعالى وحكمته وقدرته وإرادته التي بعضها محسوس وبعضها
معلوم بالبحث عنه في علمي الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون فيها فيبقون على ما هم عليه
من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر اللذين هما
آيتاهما بيان لبعض تلك الآيات التي هم عنها معرضون بطريق الالتفات الموجب لتأكيد الاعتناء
بفحوى الكلام أي هو الذي خلقهن وحده كل أي كل واحد منهما على أن التنوين عوض عن المضاف
إليه في فلك يسبحون أي يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء والمراد بالفلك الجنس كقولك كساهم
الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما والجمع باعتبار
المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لأن السباحة حالهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أي في الدنيا
لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية أفإن مت بمقتضى حكمتنا فهم الخالدون نزلت حين
قالوا نتربص به ريب المنون والفاء لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة لإنكار مضمونها بعد تقرر القاعدة
الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بإنكار خلودهم ونفيه إنكار ما هو مدار له وجودا وعدما من
شماتتهم بموته عليه السلام فإن الشماتة بما يعتريه أيضا مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل كأنه قيل أفإن مت
فهم الخالدون حتى يشمتوا بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت أي ذائقة مرارة مفارقتها
جسدها برهان على ما أنكر من خلودهم ونبلوكم الخطاب إما للناس كافة بطريق التلوين أو
للكفرة بطريق الالتفات أي نعاملكم معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون ٥
أو لا فتنة مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وإلينا ترجعون لا إلى غيرنا لا استقلالا ولا
اشتراكا فنجازيكم حسبما يظهر منكم من الأعمال فهو على الأول وعد ووعيد وعلى الثاني
وعيد محض وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب
وقرئ يرجعون بالياء على الالتفات وإذا رآك الذين كفروا أي المشركون إن يتخذونك إلا هزوا
أي ما يتخذونك إلا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معك على اتخاذهم إياك هزوا لا على معنى
قصر اتخاذهم على كونه هزوا كما هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون بك إلا اتخاذك هزوا وقد مر
تحقيقه في قوله إن أتبع إلا ما يوحى إلي في سورة الأنعام أهذا الذي يذكر آلهتكم على إرادة
القول أي ويقولون أو قائلين ذلك أي يذكرهم بسوء كما في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ وقوله
تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون في حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر والمعنى أنهم يعيبون
عليه عليه السلام أن يذكر آلهتهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال أنهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من
التوحيد أو بإرشاد الخلق بإرسال الرسل وإنزال الكتب أو بالقرآن كافرون فهم أحق بالعيب والإنكار

فالضمير الاول مبتدأ خبره كافرون وبذكر متعلق بالخبر والتقديم وهم كافرون بذكر الرحمن والضمير الثاني تأكيد
لفظي للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من
عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع منه من
الاركان ايذانا بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد
روي انها نزلت في النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر الآية وعن ابن عباس ان المراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه
اراد ان يقوم وروي انه لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل
خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل غيبتها فالمعنى خلق
الانسان خلقا ناشئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعي عجلته في الامور والاظهر ان المراد به الجنس وان
كان خلقه عليه السلام سارية الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب له ههنا وقوله تعالى سأريكم
آياتي تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اى المستعجلين بطريق التهديد والوعيد اى
سأريكم نقماتي في الآخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهي عما جبلت عليه نفوسهم
ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اى وقت مجيء الساعة التي كانوا يوعدون
وانما كانوا يقولون استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين
وقته بطريق الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اى في وعدكم بانه يأتينا والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الآيات الكريمة المنبئة عن مجيء الساعة وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
فان قولهم متى هذا الوعد استبطاء منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذلك في قوة الامر
بالاتيان عجلة كأنه قيل فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا استئناف مسوق لبيان
شدة هول ما يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب وانهم انما يستعجلونه لجهلهم بشأنه وايثار صيغة المضارع
في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار عدم العلم فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي
ليس بنص في افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قولك
لو تحسن الي لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار الاحسان لا لانتفاء استمرار الاحسان
ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على علة استعجالهم وقوله تعالى حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت الموعود الذي كانوا يستعجلونه
واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند
المخاطب مع انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور بحيث لا حاجة له الى الاخبار به
وانما حقه الانتظام في سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب لو محذوف اى لو استمر عدم علمهم بالوقت
الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين الذي يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص
الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف لكونهما اشرف الجوانب واستلزام الاحاطة بهما
للاحاطة بالكل بحيث لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة
الغير في دفعها الخ لما فعلوا ما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة
اللازم اى لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله حين الخ استئناف مقرر لجهلهم ومبين لاستمراره
الى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على لا
يكفون اى لا يكفونها بل تأتيهم اى العدة او النار او الساعة بغتة فتبهتهم اى تغلبهم او تحيرهم وفي
القراءة بالتذكير على ان الضمير للوعد او للحين وكذا الهاء في قوله تعالى فلا يستطيعون ردها
تأويل الوعد بالنار او العدة والحين بالساعة ويجوز عوده الى النار وقيل الى البغتة اى لا يستطيعون
ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اى يمهلون ليتوبوا او يعتذروا وفيه تذكير لامهالهم في الدنيا
ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به عليه السلام في ضمن الاستعجال

الاستعجال وعدة ضمنية بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم السلام وتصديرها
بالقسم لزيادة تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اى
وبالله لقد استهزئ برسل اولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على
حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق اى احاط عقيب ذلك او نزل او حل او نحو ذلك
فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان
من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم اى من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه
على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزءون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة
مفيدة للتهويل والضمير المجرور عائد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل اى
فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير المجرور راجع الى
جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه يحيق بهم جزاء استهزائهم
بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث هو كل فقط اى نزل بهم جزاء
استهزائهم على وضع السبب موضع المسبب ايذانا بكمال الملابسة بينهما او عين استهزائهم ان اريد بذلك
العذاب الاخروي بناء على تجسم الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة
بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وعلى ذلك بني الوزن وقد مر تفصيله في سورة الاعراف
وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية الى آخرها قل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسليته بما
ذكر من مصير امرهم الهلاك وامر له عليه السلام بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم
اى يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن اى من بأسه الذي تستحقون نزوله ليلا او نهارا وتقديم الليل
لما ان الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا
رحمته العامة وبعد ما امر عليه السلام بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه حالهم لانهم
بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين لحل بهم فنون الآفات فهم احقاء بان يكلفوا الاعتراف
بذلك فيرجعوا عما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم
معرضون ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم لا يخطرون ذكره تعالى ببالهم فضلا
ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا عن الكالئ على طريقة
قول من قال: عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار وفي تعليق
الاعراض بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت ملكوته وتدبيره وتربيته
تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى
ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عما قبله من بيان
ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكره تعالى بالكلية الى بيان [illegible]
على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة للانكار [illegible] ان يكون لهم آلهة تقدر على ذلك
[illegible] تمنعهم من العذاب تجاوز منعنا وحفظنا او من عذاب كائن من عندنا [illegible]
[illegible]
[illegible]
قوله عز وعلا لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف مقرر لما قبله من الانكار
وموضح لبطلان اعتقادهم [illegible] اى لا يستطيعون ان ينصروا انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف
ينصرونهم [illegible] بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموه
ببيان ان الداعي الى حفظهم تمتيعنا اياهم بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان
[illegible] اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم [illegible] بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا [illegible]
[illegible] افلا يرون
[illegible] انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها [illegible]

وهو تمثيل وتصوير لما يجريه الله تعالى من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام أفهم الغالبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفا لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما مر في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وفي قوله تعالى قل اتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون قل انما انذركم بعدما بين من جهته تعالى غاية هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعي عليهم جهلهم واعراضهم عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم امر عم بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاهوال اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهاني لا عياني وقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد امر عم بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والندا على الكلام لذلك فان الانذار عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كانه قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو عم وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة ادنى شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها وبنائها فان اصل النفح هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعن على انفسهم بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيمة اي لجزائه او لاجل اهله او فيه كما في قولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها او شيئا ما من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفا لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين وان كان العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي مقدار حبة كائنة من خردل اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان كان تامة أتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتانيث لاضافته الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب وقرئ جئنا بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم الى قوله واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره بالتوكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء والذكر اي والله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية وذكرى يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المغتنمون لمغانم آثاره او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التوراة فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون وقرئ ضياء بغير واو على

على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من المفعول اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي خائفون منها بطريق الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتصريح على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصفه بالوصف الاخير للتوراة لمناسبة المقام وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما صفة ثانية لذكر او خبر آخر أفانتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كونه كالتوراة كانه قيل أبعد ان علمتم ان شأنه كشأن التوراة في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا ابراهيم رشده اي الرشد اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهو لغة كالحزن والحزن من قبل اي من قبل موسى وهرون وتقديم ذكر ايتائهما لما بينه وبين انزال القرآن من الشبه التام وقيل من قبل استنبائه او قبل بلوغه وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من الدلالة على انه تعالى مختار في افعاله اذ قال لابيه وقومه ظرف لآتينا على انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله وقيل مفعول لمضمر مستأنف وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت قوله لهم ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبه بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه عم حيث سألهم عن اصنامهم بما التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح الاسم كأنه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن عبادتها بالعكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا الى تحقير شأنها وتوبيخ لهم على اجلالها واللام في لها للاختصاص دون التعدية والا لجيء بكلمة على والمعنى انتم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابوا بذلك لما ان مآل سؤاله عم الاستفسار عن سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عم اياهم بالعكوف لها كانه قال ما هي هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ما يعتد به التجؤوا الى التقليد فابطله عم على طريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة في ضلال مبين لا يقادر قدره بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه كذلك ومعنى كنتم مطلق استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول لهم ولآبائهم والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل ما والتقليد انما يجوز فيما يحتمل الحقية في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته عم استبعادا لكون ما هم عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عم اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك منه عم على وجه الجد أجئتنا بالحق اي بالجد فتقول ما تقول على وجه الداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم قال عم اضرابا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تع بايجادهن اثر وصفه تع بربوبيته تع لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل من الربوبية اي انشأهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم وآباؤكم وما تعبدون من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ورجع الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم

واظهر في الزام الحجة عليهم لما فيه من التصريح المغني عن التامل في كونه كما بينه وانه من جملة المخلوقات وانا على
ذلكم الذي ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي
العالمين به على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشي من تحققه وحققه وشهد به وعلى ذلك
ادلى او بالحجة عليه واثباته بها كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهو
الاصل والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم اي لاجتهدن في كسرها وفيه
ايذان بصعوبة الانتهاز وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عم سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد ان
تولوا مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التائين ويعضدها قوله
تعالى فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اي فتولوا فجعلهم جذاذا اي
قطاعا فعال بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة
او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة روي ان
آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤوا ببيت الاصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما
خرجوا به معهم وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابرهيم عم فنظر الى الاصنام
وكانت سبعين صنما مصطفا وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان
تضيئان فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى
الا كبيرا لهم اي للاصنام لعلهم اليه اي الى ابرهيم عم يرجعون فيحاجهم بما سياتي فيحجهم
وقيل يرجعون الى الكبير فيسالونه عن الكاسر لان من شان المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل
يرجعون الى الله تعالى وتوحيده عند تحققهم عجز الهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم
قالوا اي حين رجعوا من عيدهم ورأوا ما رأوا من فعل هذا بالهتنا على طريقة الانكار والتوبيخ
التشنيع وانما عبروا عنها بما ذكر ولم يشيروا اليها بهولاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى
انه لمن الظالمين استينافا فعقر لذابله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبرها
والمعنى ان فاعل هذا الكسر والحطم بالهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجراته على اهانتها وهي
حقيقة بالاعظام او للافراط في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها او بتعريض نفسه للهلكة قالوا
بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله يذكرهم اما
مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا ان كان القائلون سمعوه اللهم
بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عم يذكرهم بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال له ابرهيم
صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم قالوا اي السايلون فاتوا به على اعين الناس اي بمراى
منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان مرتفع لا يكاد يخفى على احد لعلهم يشهدون اي يحضرون عقوبتنا
له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله ذلك فالضمير ليس للناس بل للبعض منهم او بعقوده فاتوا به
استيناف مبني على سوال نشا من حكاية قولهم كانه قيل فاذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل
قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم اكتفاء بذكر مخاطبتهم عم للتنبيه على ان اتيانهم
به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان قال بل فعله كبيرهم هذا مشيرا الى الذي بكره
سلك عم مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه واحسنه يحملهم
على التامل في شان الهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير في معرض المباشر للفعل
باسناد ما اليه كما ابرزه في ذلك المعرض بجعل الفاس في عنقه وقد قصد اسناده الى نفسه بطريق
التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عم حين ابصرها مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله
سبحانه وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل
عليه وقيل هو حكاية لما يقود الى تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان حق
من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من ذلك ويحكى انه عم قال فعله كبيرهم هذا غضب ان
تعبد معه هذه الصغار وهو اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عم تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم

لاشراكهم بعبادتهم الاصنام واما ما قيل من انه عم لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما
قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم ومثل له بما
لو قال لك امي فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط اانت كتبت هذا فقلت له بل انت كتبته
كان قصدك تقرير الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل لا نفيها عنك واثباتها له فبمعزل من التحقيق
لان خلاصة المعنى في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل
وتجهيله في السوال لابتنائه على تصورها عن غيرك مما يحتمل عنده مع استحالته عندك ولا ريب في
ان مراده عم من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سوالهم لابتنائه على احتمال
صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عم توجيههم نحو التامل في احوال اصنامهم كما ينبي عنه قوله تع
فاسألوهم ان كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عم ان كانوا يسمعون او يعقلون
مع ان السوال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان نتيجة السوال هو الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم
بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا حسبما نطق به قوله تع فرجعوا الى انفسهم اي راجعوا عقولهم وتذكروا
ان ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة
من غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا فقالوا اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم انكم انتم الظالمون
اي بهذا السوال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمواخذة او بعبادة الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن
الظالمين او انتم الظالمون بعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا على رؤوسهم اي انقلبوا الى المجادلة بعد ما
استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشي اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا
على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما هولاء ينطقون على ارادة القول اي قائلين والله
لقد علمت ان ليس من شانهم النطق فكيف تامرنا بسوالهم على ان المراد استمرار نفي النطق لا نفي استمراره كما
يوهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم اتعبدون اي اتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اي متجاوزين
عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا من النفع ولا يضركم فان العلم بحالة المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب
عن عبادته قطعا اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عم من اصرارهم على الباطل البين
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام
لبيان المتافف له افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اي قال بعضهم لبعض حين عجزوا
عن المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة
وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا آلهتكم بالانتقام لها ان كنتم
فاعلين للنصر او شيئا يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن السنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام
بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هدير خسف به الارض روي انهم لما اجمعوا على
احراقه عم بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في
الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب مدة اربعين يوما واوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم
حولها احد حتى ان الطائر ليمر بها وهو في اقصى الجو فيحترق من شدة وهجها ولم يكن احد يحوم حولها فلم
يعلموا كيف يلقونه عم فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف الله
به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة ثم عمدوا الى ابرهيم عم فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها
فقال له جبريل عليه السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسأل ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي
فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم اي
كوني ذات برد وسلام اي ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته تعالى مامورة
مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما
بفعله اي وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابرهيم واقعدوه على الارض فاذا عين ماء
عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار الا وثاقه وروي انه مكث فيها اربعين يوما او خمسين وقال ما
كنت اطيب عيشا مني اذ كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه

ونظر نمرود من صرحه فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من
الهيئة والنار محيطة به فناداه يا ابرهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال فقم فاخرج فقام يمشي
فخرج منها فاستقبله نمرود وعظمه وقال من الرجل الذي رايته معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي ليونسني فقال
اني مقرب الى الهك قربانا لما رايت من قدرته وعزته فيما صنع بك فقال عم لا يقبل الله منك ما دمت على
دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابرهيم عم وكان
اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وهذا كما ترى من بدائع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان امكن بدعاء من قدرة
الله عز وجل ولكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار على حالها لكنه تعالى
دفع عنه عم اذاها كما نراه في السمندر كما يشعر به ظاهر قوله تعالى على ابرهيم واردوا به كيدا مكرا
عظيما في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين اي اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء نور الحق برهانا قاطعا
على انه عم على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اي من العراق الى الشام وبركاتها العامة ان اكثر الانبياء بعثوا
فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم و
الخصب الغالب روي انه عم نزل بفلسطين ولوط عم بالموتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة اي عطية وهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سال وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا
لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اي كل واحد من هولاء الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين
بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة
لدعائه عم بقوله ومن ذريتي يهدون اي الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين
واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات
ثم فعلا الخيرات وكذا قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله وانما
حذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا خاصة دون غيرنا
عابدين لا يخطر ببالهم غير عبادتنا ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى آتيناه اي وآتينا لوطا
وقيل باذكر حكما اي حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه
من القرية التي كانت تعمل الخبائث اي اللواطة وصفت بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف
واقامتها مقامه كما يوذن به قوله تعالى انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا
اي في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اي اذكر نوحا اي
خبره وقوله تعالى اذ نادى اي دعا الله تعالى على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اي اذكر نبأه الواقع وقت
دعائه من قبل اي من قبل هؤلاء المذكورين فاستجبنا له اي دعاءه الذي من جملته قوله اني مغلوب فانتصر
فنجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه
نصرا مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا بآياتنا وحمله على فانتصر بآباه
على ما ذكر من دعائه عم فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل الامر وقوله
تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم اجمعين فان الاصرار
على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا وداود وسليمان اما عطف على نوحا
معمول لعامله واما مفعول لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف وقوله تعالى اذ يحكمان ظرف للمضاف
المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها اي اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اي
في حق الزرع او الكرم المتدلي عناقيده كما قيل او بدل اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اي تفرقت وانتشرت
فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اي لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان
الاضافة لمجرد الاختصاص المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما
والجملة اعتراض مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشانه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي
وقرئ فافهمناها والضمير للحكومة والفتيا روي انه دخل على داود رجلان فقال احدهما ان غنم هذا دخلت

في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم فخرجا فمرا على سليمان عم فاخبراه بذلك فقال غير
هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق الابوة والنبوة الا اخبرتني بالذي ارفق بالفريقين
فقال ارى ان تدفع الغنم الى صاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها وصوفها والحرث الى ارباب
الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم بذلك
والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عم غير هذا ارفق بالفريقين
ثم قوله ارى ان تدفع الخ صريح في انه ليس بطريق الوحي والا لبت القول بذلك ولما ناشده داود عم
لاظهار ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بداهة وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء
السابق ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راي سليمان
عم استحسان كما ينبئ عنه قوله ارفق بالفريقين وراي داود عم قياس كما ان العبد اذا جنى على النفس
يدفعه المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك او يفديه عند الشافعي وقد
روي انه لم يكن بين قيمة الغنم وقيمة الحرث تفاوت واما سليمان عم فقد استحسن حيث جعل
الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك من الغنم واوجب
على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من قبله كما قال اصحاب الشافعي
فيمن غصب عبدا فابق منه انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع
فاذا ظهر الآبق ترادا وفي قوله تعالى ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود
اليه مع ان الحكم المبني على الاجتهاد لا ينقض باجتهاد آخر وان كان اقوى منه لما ان ذلك من خصائص
شريعتنا على انه ورد في الاخبار ان داود عم لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما
حكم المسئلة في شريعتنا فعند ابي حنيفة لا ضمان اذا لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي يجب الضمان
ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا آتيناه حكما وعلما لدفع ما عسى يوهمه تخصيص سليمان عم
بالتفهيم من عدم كون حكم داود عم حكما شرعيا اي وكل واحد منهما آتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده
وهذا انما يدل على ان خطاء المجتهد لا يقدح في كونه مجتهدا وقيل يدل على ان كل مجتهد مصيب
وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله تعالى ففهمناها
سليمان لاظهار ما تفضل عليه في صغره فانه عم كان حين اذ ابن احدى عشرة سنة وسخرنا مع داود الجبال
شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كراماته تعالى اثر ذكر الكرامة العامة لهما يسبحن اي يقدسن
الله عز وعلا معه بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيها الكلام وقيل يسرن معه من السباحة وهي حال
من الجبال او استيناف مبين لكيفية التسخير ومع متعلقة بالتسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير
عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والطير مسخرات وقيل على
العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التأكيد والفصل وكنا فاعلين اي من شأننا ان نفعل امثاله
فليس ذلك ببديع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اي عمل الدرع وهو في الاصل
اللباس قال البس لكل حالة لبوسها اما نعيمها واما بوسها وقيل كانت صفائح فحلقها و
سردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة للبوس لتحصنكم اي اللبوس وقرئ بالياء وقرئ
بالنون على ان الضمير لداود او لله عز وعلا وهو بدل اشتمال من لكم باعادة الجار
مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم من باسكم اي من حرب عدوكم وقيل
من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد في صورة الاستفهام لما فيه من المبالغة والتقريع ولسليمان
الريح اي وسخرنا له الريح وايراد اللام هاهنا دون الاول للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت
فان تسخير ما سخر له عم من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية
تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عم فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له والاقتداء
به في عبادة الله عز وعلا عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اي وسخرنا له الريح حال
كونها شديدة الهبوب بحيث انها كانت تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال الله تعالى

عدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى
حسب ما يريده عم وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حال من ضمير
المستكن في الخبر والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وقرئ الرياح نصبا ورفعا تجري بامره بمشيئته
حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعد ما
سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عم وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء
ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اي وسخرنا له من
الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفايسه وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله
والاول هو الاظهر ويعملون عملا دون ذلك اي غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع
الغريبة لقوله يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم
كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما رشح جانبه بقوله تعالى
ومن الشياطين روي ان السخر كان لكفارهم لا لمؤمنيهم لقوله ومن الشياطين وقوله تعالى وكنا
لهم حافظين اي من ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وقيل وكل بهم جمعا من
الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يفسدوا
بالليل ما عملوا بالنهار وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اي واذكر خبر
ايوب اذ نادى ربه اني اي باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه
والضر شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه
تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السوال وكان
عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحق استنباه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله بهلاك اولاده
بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر
وسبعة ايام وسبع ساعات روي ان امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف عم فقال لها كم كانت مدة الرخاء قاله لو دعوت الله عم
فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها
على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجدت لي سجدة لرددت عليه و
عليك جميع ما اخذت منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت
الى ايوب وكان ملقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عم كانك افتتنت بقول اللعين
لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا من طعامك وشرابك فطردها
فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر
وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين
ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت
عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع اليه شبابه وجماله ثم كسي حلة
وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من
الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله واتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك
بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امرأته قالت في نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وياكله
السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رأت تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف
حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تاتيه وتسال عنه فارسل اليها ايوب ودعاها
فقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة فقال لها
ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال اتعرفينه اذا رايتيه قالت وهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك
فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اي اتيناه لرحمتنا ايوب
وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين من جملتهم ايوب في
ذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسمعيل وادريس وذا الكفل اي واذكرهم وذو الكفل الياس

الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل بنبيه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابه
فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اي كل واحد من هؤلاء من الصابرين اي على مشاق
التكاليف وشدائد النوب والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ من الامر بذكرهم وادخلناهم
في رحمتنا اي في النبوة او في نعمة الاخرة انهم من الصالحين اي الكاملين في الصلاح الكامل الذي لا يحوم
حوله شائبة الفساد وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اي واذكر صاحب
الحوت وهو يونس عم اذ ذهب مغاضبا اي مراغما لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم
وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يومر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال
فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق
العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اي لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة
من القدر ويويده انه قرئ مشددا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر
عليه اي نعامله معاملة من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى
يحسب ان ماله اخلده اي نعامل معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة الشيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا
للمبالغة وقرئ بالياء مخففا ومثقلا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اي فكان ما
كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن
الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل
ان لا اله الا انت اي بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اي لا اله الا انت
على ان ان مفسرة سبحانك انزهك تنزيها لا يليق بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب
من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اي دعاءه
الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من
مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات
كان في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام وقيل الغم الالتقام وقيل الخطيئة وكذلك اي ومثل ذلك
الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام
نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم على ان اصله
ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء الثانية في تظاهرون وهو ضعيف
المضارعة وقيل اختلاس حركة النون [illegible] اجتماع النونين
الادغام فامتنع الحذف [illegible] مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن
اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن اخره وزكريا اي
واذكر زكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا اي وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين
فان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث فاستجبنا له دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفيته في
سورة مريم واصلحنا له زوجه اي اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها
للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل وكانت
من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين اي انهم كانوا يبادرون الى وجوه الخيرات مع ثباتهم
واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعر بخلاف المقصود من كونهم
خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة
ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة
وخائفين العقاب او المعصية والرغب والرهب مصدران وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائمي
الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتي
احصنت فرجها من الحلال والحرام يعني مريم فنفخنا فيها [illegible]

من روحنا من الروح الذي هو امر بتاويل وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عم وجعلناها وابنها اي قصتهما او حالهما آية للعالمين فان من تامل حالهما تحقق كمال قدرته عز وجل فالمراد بالآية ما حصل بهما من الآية التامة مع تكثر آيات كل واحد منهما وقيل اريد بالآية الجنس الشامل لما لكل واحد منهما من الآيات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها آية وابنها آية فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام اشير اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرائع المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله غيري فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم التفات الى الغيبة لينعى عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره قطعا موزعة وينهى قبائح افعالهم الى الآخرين كانه قيل الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي اجمعت عليه كافة الانبياء كل اي كل واحدة من الفرق المتقطعة او كل واحد من آحاد كل واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات الخ تفصيل للجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي الجنس للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا له اي لسعيه كاتبون اي مثبتون في صحائف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا به لغاية طغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله كل الينا راجعون وما في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله كل الينا راجعون لانهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا يرجعون بالكسر على انه استئناف تعليلي لما قبله فحرام خبر مبتدأ محذوف اي حرام عليها ذلك وهو ما ذكر في الآية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة ايضا على هذا المعنى بحذف اللام عنها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج الخ هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون يا ويلنا الخ وعلى الثاني غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت القيمة يرجعون اليها حين لا ينفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيمة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اي ياجوج وماجوج من كل حدب اي نشز من الارض ينسلون اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف على فتحت والمراد به ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد

الفاء الجزائية كما في قوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعال فهذا اوان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث والرجوع اليه تعالى ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم خطاب لكفار مكة وتصريح بمآل امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار وازاحة الاعذار وما تعبدون عبارة عن اصنامهم لانها التي يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي ان رسول الله صلى الله عم حين تلا الآية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست اليهود عبدوا عزيرا والنصارى المسيح وبنو مليح الملائكة فرد عليه بقوله عم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه عم رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لآلهتنا خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عم بل لكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شيء منهما نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص في خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شموله لهم بطريق دلالة النص بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله عم بعد ما بين مدلول النظم الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم في الحكم المذكور دلالة بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما معبودهم الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية فهم الداخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دونه تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سيأتي من قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخ بيانا للتجوز او التخصيص فمما لا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى به وتهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر للمبالغة انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من اللام للدلالة على الاختصاص وان ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اي اصنامهم آلهة كما يزعمون ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها آلهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعون وهم انما يدعون آلهية الاصنام لا آلهية الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم آلهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع بطريق التكملة باجراء الكلام اليه غب بيان ما سبق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث سأل ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عندهم اجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم داخلون في حكم النص لكن بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لئلا يلزم التدافع بين الخبرين وكل اي من العبدة والمعبودين فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا في قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال

المؤمنين اثر شرح حال الكفرة حسبما جرت به سنة التنزيل من شفع الوعد بالوعيد وايراد الترغيب مع الترهيب
اى سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال وهي السعادة وقيل التوفيق للطاعة
او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر الادخل في الحمل عليها لما ان الاول مع خفائها
ليس مما يعده من المكلفين والجملة مع ما بعدها تفصيل لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان ما قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون الخ تفصيل لما اجمل
في قوله وحرام الخ اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اى اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها اى عن
جهنم مبعدون لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وروي ان عليا رضي الله عنه خطب يوما فقرأ
هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
وابو عبيدة بن الجراح رضوان الله عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون
حسيسها ليس بنص في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اى لا يسمعون
صوتها سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا او كان صوته في غاية الشدة لا انهم لا يسمعون
صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره سيقت للمبالغة في ابعادهم عنها
وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك
والمعاطب اى دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع
الاكبر بيان لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم اكبر الافزاع لا يحزنهم
ما عداه بالضرورة عن الحسن انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين
يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الاخيرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض
وليس بذاك فان الامن من ذلك الفزع مما استثناه الله تعالى بقوله تعالى الا من شاء الله لا يختص بالمؤمنين
الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون الاخيرة كما سيأتي
في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اى تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول اى قائلين هذا
اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الايمان والطاعات
هذا كما ترى صريح في ان المراد بالذين سبقت لهم منا الحسنى كافة المؤمنين الموصوفين بالايمان والاعمال
الصالحة لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء منصوب
العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله لا يحزنهم الفزع وقيل لتتلقاهم وقيل حال مقدرة من الضمير
المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل المحو اى طيا كطي الطومار وقرئ السجل كلفظ الدلو
وبالكسر والسجل على وزن العتل وهما لغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف وهو حال
من السجل او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى كطي السجل كائنا للكتب او
الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها وبه يتعلق الطي
حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل اى كما يطوى الطومار للكتابة او اسم كالامام
فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال بني آدم اذا رفعت اليه وقيل هو كاتب لرسول الله
كما بدأنا اول خلق نعيده اى نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونها ايجادا بعد العدم
او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية
وتناول القدرة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة
والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اى نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من
ضمير الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا
اى علينا انجازه انا كنا فاعلين لما ذكر لا محالة ولقد كتبنا في الزبور وهو كتاب داود عليه السلام وقيل هو اسم
لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اى التورية وقيل اللوح المحفوظ اى وبالله لقد
كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التورية او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما كتبنا واثبتنا

واثبتنا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادي الصالحون اى عامة المؤمنين بعد اجلاء الكفار وهذا
وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس ان المراد ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة
عل يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اى فيما ذكر في السورة الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد
والوعيد والبراهين القاطعة الدالة على التوحيد وصحة النبوة لبلاغا اى لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية
لقوم عابدين اى لقوم همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام
وغير ذلك من الامور التي هي مناط لسعادة الدارين الا رحمة للعالمين هو في حيز النصب على انه استثناء
من اعم العلل او من اعم الاحوال اى ما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة
م او ما ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فانما بعثت بما هو سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام
مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط في نفسه وحرمه حقه لا انه تعالى حرمه مما
يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستيصال حسبما ينطق به قوله تعالى وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الي الا انه لا اله لكم الا اله واحد
لان المقصود الاصلي من البعثة هو ما عداه من الاحكام المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشئ كقولك
انما يقوم زيد اى ما يقوم الا زيد والثانية لقصر الشئ على الحكم كقولك انما زيد قائم اى ليس له الا صفة القيام
فهل انتم مسلمون اى مخلصون العبادة لله تعالى مخصصون لها به تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها
موجب لما بعدها قالوا انه دال على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام
ولم يلتفتوا الى ما يوحى من الوحي فقل آذنتكم اى اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء كائنين على
سواء في الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا
على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اى عدل واستقامة راى بالبرهان وان ادري اى ما ادري اقريب
ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم الجهر من القول
اى ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق بمجيء الموعود ويعلم ما تكتمون
من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وان ادري لعله فتنة لكم اى ما ادري لعل تأخير
جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين اى وتمتيع
لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق
حكاية لدعائه وقرئ قل رب على صيغة الامر اى اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل
العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه عليه السلام حيث عذبوا ببدر اى تعذيب وقرئ رب احكم
بضم الباء وربي احكم على صيغة التفضيل وربي احكم من الاحكام وربنا الرحمن مبتدأ وخبر اى كثير الرحمة
على عباده وقوله تعالى المستعان اى المطلوب منه المعونة خبر آخر للمبتدأ واضافة الرب فيما سبق الى
ضميره عليه السلام خاصة لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة به عليه السلام كما ان اضافته هنا الى ضمير الجمع المنتظم للمؤمنين
ايضا لما ان الاستعانة من الوظائف العامة لهم على ما تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة
تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه
فاستجاب الله عز وجل دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم
يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقتربت حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن

سورة الحج مكية ثمان وسبعون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين
القاصرين عن رتبة التكليف والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان خطاب المشافهة مختصا
بالفريق الاول على الوجه الذي مر تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث

حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها للاناث حقيقة الا عند الحنابلة والمامور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به ترهيبا وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعة ما هي من مباديه ومقدماته من الاحوال والاهوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كانها هي التي تزلزل الاشياء واضافته الى الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن ابن عباس زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها قبل طلوع الشمس من مغربها فاضافتها الى الساعة لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير للزلزلة اي وقت رؤيتكم اياها ومعاينتكم لهول مطلعها تذهل كل مرضعة اي مباشرة للارضاع عما ارضعت اي تغفل وتذهل هي مع دهشة عما هي بصدد ارضاعه من طفلها الذي ألقمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأكيد الذهول وكونه بحيث لا يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئيته لكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ تذهل من الاذهال مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل مع نصب كل اي تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اي تلقي جنينها لغير تمام كما ان المرضعة تذهل عن ولدها لغير فطام وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي واما على ما روي عن ابن عباس فقد قيل انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف واطم وقيل ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا في النفخة الاولى فتقوم المرضعة على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب في ان قيام الناس عن قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة والاختلاف بالجمعية والافراد لما ان المرئي في الاول هي الزلزلة التي يشاهدها الجميع وفي الثاني حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل واحد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه بتلك الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة في المرئي لا في الرائي باختلاف مشاعره لان مداره حيثية رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل ويصير الناس سكارى وانما اوثر عليه ما في التنزيل للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اي يراهم كل احد سكارى اي كانهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فرهقهم هوله وسلب عقولهم هو الذي جعلهم كما وصفوا وقرئ ترى بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اراءتك قائما او رؤيتك قائما والناس منصوب اي تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتانيث على تاويل الجماعة وقرئ ترى بضم التاء وكسر الراء اي ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى وجرحى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس كلام مبتدأ جيء به اثر بيان عظم شان الساعة المنبئة عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اي وبعض الناس او وبعض كائن من الناس من يجادل في الله اي في شانه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من الاباطيل وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما تشعر به المجادلة من الجهل اي ملابسا بغير علم روي انها نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي عامة له ولاضرابه

من العتاة المتمردين ويتبع اي فيما يتعاطاه من المجادلة او في كل ما ياتي وما يذر من الامور الباطلة التي من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات متمرد متجرد للفساد واصله العري المنبئ عن التمحض له كالتشمير ولعله ماخوذ من تجرد المصارع عند المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اي على الشيطان صفة اخرى له وقوله انه فاعل كتب والضمير للشان اي رقم به لظهور ذلك من حاله ان الشان من تولاه اي اتخذه وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية وخبرها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اي من تولاه فشانه انه يضله عن طريق الجنة او طريق الحق او فحق انه يضله قطعا وقيل فانه معطوف على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل ما لا يخلو عن التمحل والتأويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب كما هو مثل ما في قولك كتبت ان الله يامر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه على راي من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدي اليه من السيئات يا ايها الناس اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقق ما جادلوا فيه من البعث ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب في الجلب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم في ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان ارتبتم في البعث قد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فانا خلقناكم اي فانظروا الى مبدأ خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اي خلقنا كل فرد منكم من تراب في ضمن خلق آدم منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني من النطف الذي هو الصب ثم من علقة اي قطعة من الدم جامدة متكونة من المني ثم من مضغة اي قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهي في الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اي مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة اي لم يستبن خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها شيء من الاعضاء ثم ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبني على التدرج من المبادي البعيدة الى القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة وفي تفسيرها بالمسواة وغير المسواة وبالتامة والساقطة نظر بين لان في جعل كل واحد من هذه المراتب مبدا خلقهم لا خلقها بعضهم من المراتب كما في قوله تعالى ثم خلقنا النطفة علقة مخالفا للمعلقة ... على عظم قدرته تعالى وبيان لسورة استعدادهم لنبين لكم متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما ذكر اي خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم بذلك ما لا تحصره العبارة من الحقايق والدقائق التي من جملتها سر البعث فان من تامل فيما ذكر من الخلق التدريجي تاملا حقيقيا جزم جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحيوة قط وانشائه على وجه مصحح لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه في اطوار الخلقة وتحويله من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون في القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء استيناف سيق لبيان حالهم بعد تمام خلقهم وعدم نظمه هنا وما عطف عليه في سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما من متممات ومبادي التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اي ونحن نقر في الارحام بعد ذلك ما نشاء ان نقره فيها الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه

ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان بعض ما في الارحام لا يقره الله تعالى
الى اوانه فيسقطه بعد تكامل خلقته او يسقطه والتعرض للاول لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق
وهذا صريح في ان المراد بغير المخلقة ليس من ولد ناقصا او معيبا وان ما فصل ههنا هي الاطوار المتواردة
على المولود قبل الولادة وقرئ ويقر بالياء ونقر وقرئ بضم القاف من قررت الماء اذا صببته ثم نخرجكم
اي من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها عند تمام الاجل المسمى طفلا اي حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار
كل واحد منهم او بارادة الجنس المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا
اشدكم علة لنخرجكم معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا
ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الخ وما قيل انه معطوف على
نبين مخل بجزالة النظم الكريم هذا وقد قرئ ما قبله من الفعلين بالنصب حكاية وغيبة فهو حينئذ عطف
على نبين مثلهما والمعنى خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احداهما ان نبين
شئوننا والثانية ان نقركم في الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما
بعده مع ان حصوله بالفعل بعد الكل للايذان بانه غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة اللام
ههنا مع تجريد الاولين عنها للاشعار باصالته في الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف
المؤدي الى السعادة والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال
السابقة لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الآثار والافعال والاشد
من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسرة والقتود وكانها شدة في غير شيء بنيت على
لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اي بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اي يتوفاه الله تعالى ومنكم
من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفي على صيغة المبني
للمفعول للجري على سنن الكبرياء لتعين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اي علم كثير شيئا اي شيئا من
الاشياء او شيئا من العلم مبالغة في انتقاص علمه وانتكاس حاله اي ليعود الى ما كان عليه في اوان
الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما قدر عليه
وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث والخطاب
لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهي بصرية
وهامدة حال من الارض اي ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء
اي المطر اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اي ارتفعت وانبتت من
كل زوج اي صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستأنف جيء به اثر
تحقيق حقية البعث واقامة البرهان عليه من العالمين الانساني والنباتي لبيان ان ذلك من آثار
الوهيته تعالى واحكام شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما ينكرون من وجوده بل امكانه
من اتيان الساعة والبعث من اسباب تلك الآثار العجيبة التي يشاهدونها في الانفس والآفاق
ومبادي صدورها عنه تعالى وفيه من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول في التحقق واظهار بطلان
انكاره ما لا يخفى فان انكار تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضي ببطلانه بداهة العقول والحق
هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من
خلق الانسان على اطوار مختلفة وتصريفه في احوال متباينة واحياء الارض بعد موتها وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدأ خبره الجار والمجرور اي ذلك الصنع البديع
حاصل بسبب ان الله تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشياء وانه يحيي
الموتى اي شأنه وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدءا واعادة والا لما احيى
النطفة والارض الميتة مرارا بعد مرار وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار
تعلق القدرة وتعلقها لا باعتبار نفسها وانه على كل شيء قدير اي مبالغ في القدرة والا لما
اوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التي من جملتها ما ذكر وانما الاستدلال على ذلك بان قدرته

تعالى لذاته الذي نسبته الى الكل سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم
اقتداره على احياء كلها لتساوي العقول عما سبق له النظم الكريم من بيان كون الآثار الخاصة المذكورة
من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشياء
المذكورة عليه للتصريح بما فيه النزاع والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لابراز الاعتناء به وان الساعة
آتية اي فيما سيأتي وايثار صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة
لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة وتعليله بان التغير من مقدمات الانقراض وطلائعه مبني على ما ذكر من
العقول وقوله تعالى لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى نفي
الريب عنها انها في ظهور امرها ووضوح دلائلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة
ان يرتاب في اتيانها حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالباء كما قبلها
من الجملتين داخلة مثلهما في حيز السببية وكذا قوله تعالى وان الله يبعث من في القبور لكن لا من
حيث ان اتيان الساعة وبعث الموتى موثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيه بل من حيث
ان كلا منهما سبب داع له عز وعلا بموجب رأفته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم
ومن احياء الارض الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتأملوا في ذلك ويستدلوا
به على وقوعهما لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحي المبين وينالوا به السعادة الابدية
ولولا ذلك لما فعل تعالى ما فعل بل لما خلق العالم رأسا وهذا كما ترى من احكام حقيته تعالى
في افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة كما ان ما قبله من احكام حقيته تعالى في صفاته وكونها
غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن
كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب ان الله تعالى قادر على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه
حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما وعد وانت خبير بان ما له الاستدلال
بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما ذكر من خلق
الانسان واحياء الموتى دنيا فتأمل وكن على الحق المبين وقيل قوله تعالى وان الساعة آتية ليس بمعطوف
على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر والمبتدأ محذوف لفهم المعنى والتقدير
والامر ان الساعة آتية وان الثانية معطوفة على الاولى وقيل المعنى ذلك لتعلموا بان الله هو
الحق المبين ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام حسبما روي عن ابن عباس وقيل هو
من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان كما ان الاول من يقلدهم على ان الشيطان عبارة
عن المضل المغوي على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من ضمير يجادل اي كائنا بغير علم
والمراد بالعلم العلم الضروري كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى هو الاستدلال والنظر
الصحيح الهادي الى المعرفة ولا كتاب منير ذي نور بالحق اي يجادل في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة
ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعي كما في قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به
سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل الاول والتكرير للتأكيد والتمهيد لما
بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحي فلا يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه
باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغني عن وصفه بالعراء عن الدليل العقلي والسمعي ثاني عطفه
حال اخرى من فاعل يجادل اي عاطفا لجانبه وطاويا كشحه معرضا متكبرا فان ثني العطف
كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اي مانعا لتعطفه ليضل عن سبيل الله متعلق بيجادل فان
غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد به اما الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول
من يجادل من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال او الزيادة
عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان
المراد به الضلال المبين الذي لا هدى بعده مع تمكنه منه قبل ذلك له في الدنيا خزي جملة مستانفة
مسوقة لبيان نتيجة ما سلكه من الطريقة اي ثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزي وهو ما اصابه

يوم بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي النار المحرقة ذلك اي ما ذكر من العذاب
الدنيوي والاخروي وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره
قوله تعالى بما قدمت يداك اي بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصي واسناده الى يديه لما ان الاكتساب
عادة يكون بالايدي والالتفات لتأكيد الوعيد وتشديد التهديد ومحل ان في قوله عز وجل وان الله
ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من
قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة
فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها
واما ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في سورة الانفال ومن الناس من
يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اثر بيان حال المجاهرين اي ومنهم من يعبده تعالى
على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون في طرف الجيش فان احس بظفر قر والا فر فان اصابه خير اي
دنيوي من الصحة والسعة اطمأن به اي ثبت على ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمأن به اطمئنان المؤمنين
الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم عاطف وان اصابته فتنة اي شيء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه
واهله او ماله انقلب على وجهه روي انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه
ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته ولدا سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في
ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا
اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال عم ان الاسلام لا يقال فنزلت
وقيل نزلت في المؤلفة قلوبهم خسر الدنيا والآخرة فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد
وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على
انه خبر مبتدأ محذوف ذلك اي ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية ما يكون
هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا اذ لا خسران مثله يدعو من دون الله استئناف مبين لعظم الخسران
اي يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه ان عبده اي جمادا ليس من شأنه الضر
والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد عن الحق والهدى مستعارا من ضلال
من ابعد في التيه ضالا عن الطريق يدعو لمن ضره اقرب من نفعه استئناف سيق لبيان مآل دعائه
المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم من نفي الضرر عن معبوده بطريق المباشرة بنفيه
عنه بطريق التسبب ايضا فان الدعاء بمعنى القول واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتدأ وخبره
مبتدأ ثان خبره اقرب والجملة صلة للمبتدأ الاول وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب لقسم
مقدر وجوابه خبر للمبتدأ الاول وايثار من على ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه
عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان في ذمه اي يقول ذلك الكافر يوم القيامة بدعاء وصراخ
حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله
لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو
الثاني اعادة للاول لا تأكيدا له فقط بل وتمهيدا لما بعده من بيان سوء حال المعبود اثر بيان سوء حال
عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل من جهته تعالى بعد ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه
يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس المولى ولبئس العشير فكلمة من وصيغة التفضيل
للتهكم به وقيل اللام زائدة ومن مفعول يدعو ويؤيده القراءة بغير لام اي يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد
كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به ايضا والجملة القسمية مستأنفة ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات استئناف جيء به لبيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى وان الله تعالى
يتفضل عليهم بالاغاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات اثر بيان حال الكفرة وما لهم من فريقي المجاهرين
والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته
ويذمونه مذمة تامة وقوله تعالى تجري من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار الملتفة

الملتفة تحت اغصانها فالمراد بجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اي من
تحت اشجارها وان جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر
المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل كما مر تفصيله في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما
يريد تعليل لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق اي يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية
على الحكم الرائقة التي من جملتها اثابة من آمن به وصدق رسوله عم وعقاب من اشرك به وكذب برسوله عم
ولما كان هذا من آثار نصرته تعالى له عم عقب بقوله عز وجل من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا
والآخرة تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه واكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى
انه تعالى ناصر لرسوله في الدنيا والآخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه فمن كان يغيظه
ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته ببعض الامور ومباشرة ما يرده
من المكائد فليبالغ في استفراغ المجهود وليجاوز في الجد كل حد معهود فقصارى امره وعاقبة مكره ان
يختنق خنقا مما يرى من ضلال مسعاه وعدم انتاج مقدماته ومباديه فليمدد بسبب الى السماء
فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اي ليختنق من قطع اذا اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه
وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض القطع وتقديره كما ان المراد بالنظر في قوله تعالى
فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تقدير النظر وتصويره اي فليصور في نفسه النظر هل يذهبن
كيده ذلك الذي هو اقصى ما انتهت اليه قدرته في باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصرة كلا
ويجوز ان يراد فلينظر الآن انه ان فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء
المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع الوحي وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ الى عنانها فيجتهد في دفع نصره ويأباه
ان مساق النظم الكريم بيان ان الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ
ومن البين ان لا معنى لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحي فان فرض
وقوعه مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون
ما وعد الله رسوله عم من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه عم ويخشون ان لا يثبت امره
فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا
بقسمته فمن ظن ان الله تعالى غير رازقه ولم يصبر ولم يستسلم فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان
ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اي مثل ذلك الانزال البديع المنطوي على الحكم البالغة
انزلناه اي القرآن الكريم كله آيات بينات اي واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال
من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك وان الله يهدي به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيد
فيه من يريد هدايته او تثبيته او زيادته والجملة في حيز الرفع على الخبر محل الجار المتعلق بمحذوف
مؤخر اي والامر ان الله يهدي من يريد او اثر ذكر الآيات البينات بهداية الله
تعالى او محل نصب على العطف على ما ذكر ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين
والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر وقيل قوم من النصارى اعتزلوا
عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن دين اليهود شيئا وهم القائلون بان
للعالم اصلين نور وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم
القيامة في حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفي الجملة بحرف التحقيق لزيادة التقرير
والتأكيد اي يقضي بين المؤمنين وبين الفرق المتفقة على ملة الكفر والحق من المبطل
ويوفي كلا منهم ما يليق به من الجزاء فيثيب الاولين ويعاقب الثاني بحسب استحقاق افرادهم وقوله
تعالى ان الله على كل شيء شهيد تعليل لما قبله اي عالم بكل شيء من الاشياء ومراقب لاحواله
ومن قضيته الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق المذكورة واجراء جزائه اللائق
به عليه وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض الخ بيان لما يوجب
الفصل المذكور ومن احكام الفرق المذكورة من كيفيته وكونه من طريق التعذيب والاثابة والاكرام

والاهانة اثر بيان ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع الاشياء التي من جملتها احوالهم وافعالهم و
المراد بالرؤية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية بنا
على تناسي الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق
الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال المكلف في باب الطاعة ايذانا بكونها في اقصى مراتب التسخير
والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام
لافادة شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك
منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول سجود الطاعة لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر يدل عليه المذكور اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة
ومن قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم وقيل هو مرفوع على الابتداء حذف خبره ثقة بدلالة خبر قسيمه
عليه نحو حق له الثواب والاول هو الاولى لما فيه من الترغيب في السجود والطاعة وقد جوز ان يكون
من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون وان يكون
قوله تعالى وكثير معطوفا على كثير الاول للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم باستحقاق العذاب كانه
قيل وكثير وكثير من الناس حق عليه العذاب اي بكفره واستعصائه وقرئ حُقّ بالضم وحقا اي حق
عليه العذاب حقا ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر فما له
من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمي ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التي
من جملتها الاكرام والاهانة هذان خصمان شروع في بيان حال الخصام واراحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه
بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقي وتحرير لمحله اي فريق المؤمنين وفريق الكفرة المنقسم الى الفرق
الخمس خصمان اي فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا في ربهم حملا على المعنى اي اختصموا في شأنه
عز وجل وقيل في دينه وقيل في ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد كل من الفريقين
بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة للفريق الاخر وان
لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود نحن احق بالله واقدم
منكم كتابا ونبيا وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت
فالذين كفروا تفصيل لما اجمل في قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيامة قطعت لهم اي قدرت على مقادير
جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اي نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب
من فوق رؤسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته قال ابن عباس لو قطرت قطرة منها
على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستانفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اي يذاب
ما في بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ يصهّر بالتشديد والجلود عطف على ما وتأخيره عنه
لمراعاة الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تأثيرها في الباطن اقدم من تأثيرها في
الظاهر مع ان ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم للكفرة اي لتعذيبهم واجلهم مقامع من
حديد جمع مقمعة وهي آلة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي اشرفوا على الخروج من النار ودنوا
منها حسبما روي انها تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعاليها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا
من غم اي من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء باعادة الجار والرابط محذوف كما
اشير اليه او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اي في قعرها بان ردوا من اعاليها الى اسفلها من غير ان
يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا اي وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اي
الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري
من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد
الادخال الى الله تعالى وتصدير الجملة بحرف التحقيق ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا
لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد

من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس اي يحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من
حليت اذا لبست حليها ومن في قوله تعالى من اساور اما للتبعيض اي بعض اساور وهي جمع اسورة
جمع سوار او للبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن الحلي المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف
ليحلون فانه بمعنى يلبسون من ذهب بيان للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور او على المفعول
المحذوف او منصوب بفعل مضمر يدل عليه يحلون اي ويؤتون وقرئ بالجر عطفا على اساور وقرئ
لولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما ياء بعد قلبهما واوا وليليا بقلبهما ياء
ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا لكن للدلالة على ان الحرير
ثيابهم المعتادة او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للايذان بان ثبوت اللباس امر محقق
غني عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها
مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا
الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الجنة الاية وهدوا الى صراط
الحميد اي المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة ووجه تأخير هذه الهداية عن ذكر الهداية الى القول المذكور
المتأخر عن دخول الجنة المتأخر عن الهداية الى طريقها لرعاية الفواصل وقيل المراد بالحميد الحق
المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير حينئذ ان ذكر الحمد يستدعي
ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا استقبالا وانما هو استمرار
الصد ولذلك حسن عطفه على الماضي كما في قوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل
هو حال من فاعل كفروا اي وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة آخر الآية الكريمة عليه فان
من الحد في الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه الكفر والصد عن سبيل الله
باشد من ذلك احق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل الله قيل المراد به مكة بدليل وصفه بقوله
تع الذي جعلناه للناس اي كائنا من كان من غير فرق بين مكي وآفاقي سواء العاكف فيه والباد
اي المقيم والطارئ وسواء اي مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع به واللام متعلق به ظرف لغو
وفائدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف
مبتدأ والجملة مفعول ثان لجعل وقرئ والعاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك
مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدول عن القصد بظلم بغير حق
وهما حالان مترادفان والثاني بدل من الاول باعادة الجار او صلة له اي ملحدا بسبب الظلم كالاشراك
واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوأنا اي واذكر وقت جعلنا
لابراهيم مكان البيت وعليه مبني قول ابن عباس جعلنا له
وقت جعلنا مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا وقيل اللام زائدة ومكان
ظرف كما في اصل الاستعمال اي انزلناه فيه قيل ان الله تعالى رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة
حمراء فاعلم الله تعالى ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها فكنست ما حوله فبناه على اسه
القديم روي ان الكعبة الكريمة بنيت خمس مرات احداها بناء الملائكة وكانت من ياقوتة حمراء
ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء قريش في الجاهلية وقد حضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير والخامسة بناء الحجاج وهذا هو
الذي هو اليوم ان في التأويل في تفسير قوله تعالى وان في قوله
تعالى ان لا تشرك بي شيئا مفسرة لبوأنا من حيث انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او
مصدرية موصولة بالنهي وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود اي فعلنا ذلك لئلا تشرك بي في العبادة
شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود اي وطهر بيتي من الاوثان والاقذار لمن يطوف
به ويصلي فيه ولعل التعبير عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف

وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء وأذن في الناس اي ناد فيهم وقرئ آذن بالحج بدعوة الحج والامر به روي
انه عم صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من في اصلاب الرجال وارحام
النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق في علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عم امر بذلك
في حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب للامر رجالا اي مشاة جمع راجل كقيام جمع قائم
وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا اي وركبانا
على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة فهزل او زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ
يأتون على انه صفة لرجالا والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق واسع عميق بعيد
وقرئ معيق يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق بيأتوك لا بأذن
اي ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه العبادة
واللام في قوله تعالى لهم متعلقة بمحذوف هو صفة لمنافع اي منافع كائنة لهم ويذكروا اسم الله عند
اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وفي جعله غاية للاتيان ايذان بانه الغاية القصوى دون غيره وقيل
هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه في ايام معلومات هي ايام النحر كما ينبئ عنه قوله تعالى على ما
رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هي عشر ذي الحجة وقد علق الفعل
بالمرزوق وبين بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها التفات الى الخطاب والفاء
فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج الى التصريح به كما في قوله
تعالى فانفجرت اي فاذكروا اسم الله على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر للاباحة وازاحة ما كانت عليه
اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم واطعموا البائس اي الذي اصابه بؤس
وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به في الاول ايضا ثم ليقضوا تفثهم اي ليؤدوا
ازالة وسخهم او ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا
نذورهم ما ينذرون من البر في حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا
طواف الركن الذي به يتم التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اي القديم لانه
اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكاين من جبار سار اليه ليهدمه فقصمه الله عز وجل
واما الحجاج الثقفي فانما قصد اخراج ابن الزبير رضي الله عنهما منه لا التسلط عليه ذلك اي الامر ذلك
وهذا واشباهه يطلق للفصل بين الكلامين او بين وجهي كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اي احكامه
وسائر ما لا يحل هتكه بالعلم بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل
الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام فهو خير له اي فالتعظيم خير له ثوابا عند ربه اي
في الآخرة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره من التشريف والاشعار بعلة الحكم واحلت لكم
الانعام وهي الازواج الثمانية على الاطلاق فقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم آية تحريمه
استثناء منفصل منها على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة
اعتراض جيء به تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرمه كما
يحرم الصيد وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحمل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا
المعهودة خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعاة حسن
التخلص الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان كانه قد رتب على ما يفيده قوله تعالى ومن
يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعي التعاطي لا من
مبادي الاجتناب عقبت بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو اقصى الحرمات كانه
قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه
مما يجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التي يجب الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول
الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك
ردا لما كانت الكفرة عليه في تحريم البحائر والسوائب ونحوها والافتراء على الله تعالى بانه حكم بذلك وقيل

وقيل شهادة الزور لما روي انه عم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه
الآية والزور من الزور وهو الانحراف كالافك الماخوذ من الافك الذي هو القلب والصرف فان الكذب منحرف
مصروف عن الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما
ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به اي شيئا من الاشياء
فيدخل في ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله جملة مبتدأة
مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك فكانما خر من
السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء توزع افكاره وقرئ فتخطفه
بفتح الخاء وتشديد الطاء وبكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما واصلهما تختطفه او تهوي به الريح
اي تسقطه وتقذفه في مكان سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما
في او كصيب او للتنويع ويجوز ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك
نفسه هلاكا شبيها بهلاك احد الهالكين ذلك اي الامر ذلك او امتثلوا ذلك ومن يعظم شعائر
الله اي الهدايا فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله
وهو الاوفق لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية
الاثمان روي انه عليه الصلوة والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب
وان عمر رضي الله عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها اي فان تعظيمها من تقوى القلوب
اي من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من او فان تعظيمها ناشئ من
تقوى القلوب وتخصيصها بالاضافة لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر
الاعضاء لكم فيها اي في الهدايا منافع هي درها ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى هو وقت
نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية الى البيت العتيق
اي الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني والرتبي اي لكم فيها منافع دنيوية الى وقت نحرها ثم منافع دينية
اعظم منها في النحر محلها اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها الى البيت العتيق اي منتهية اليه
هذا وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك
واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج ثم محل الناس من احرامهم الى البيت العتيق
اي منتهية اليه بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد اداء المناسك
ولكل امة اي لكل اهل دين جعلنا منسكا اي متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر
السين اي موضع نسك
لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم الله خاصة دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه الكريم على
الجعل تنبيها على ان المقصود الاصلي من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام
عند ذبحها وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى فالهكم
اله واحد للكل تغليبا والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل
على وحدانيته تعالى وانما اختص بالذكر اسمه الجليل لان المراد ان الله تعالى واحد في ذاته كما
انه واحد في الهيته للكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على
وحدانيته تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اي فاذا كان الهكم اله واحد فاخلصوا له التقرب
او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات
النوائب والمقيمي الصلوة في اوقاتها وقرئ بنصب الصلوة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة
على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخيرات والبدن جمع بدنة وسكون الدال وقرئ بضمها
وهما جمعا بدنة وقيل الاصل ضم الدال كخشب وخشبة والتسكين تخفيف منه وقرئ بتشديد النون

على لفظ الوقف وإنما سميت بها الإبل لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة وحيث شاركها البقر في الإجزاء
عن سبعة بقوله عليه السلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا وانتصابه بمضمر يفسره
جعلناها لكم وقرئ بالرفع على أنه مبتدأ والجملة خبره وقوله تعالى من شعائر الله أي من أعلام دينه التي
شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله تعالى لكم فيها خير أي منافع دينية ودنيوية
جملة مستأنفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله عليها بأن تقولوا عند ذبحها الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر
اللهم منك وإليك صواف أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس إذا قام
على ثلاث وعلى طرف سنبك الرابعة لأن البدنة تعقل إحدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافيا
بإبدال التنوين من حرف الإطلاق عند الوقف وقرئ صوافي أي خوالص لوجه الله عز وجل وصواف
على لغة من يسكن الياء على الإطلاق كما في قوله لعلي أرى باق على الحدثان فإذا وجبت جنوبها سقطت
على الأرض وهي كناية عن الموت فكلوا منها وأطعموا القانع أي الراضي بما عنده وبما يعطى من غير مسألة
ويؤيده أنه قرئ القنع أو السائل من قنع إليه قنوعا إذا خضع له في السؤال والمعتر أي المتعرض للسؤال وقرئ
المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير البديع المفهوم من قوله صواف
سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي عليكم حتى إنكم تأخذونها منقادة فتعقلونها
وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم تشكرون لتشكروا إنعامنا عليكم بالتقرب والإخلاص
لن ينال الله أي لن يبلغ مرضاته ولن يقع موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من
حيث إنها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم إلى امتثال أمره
تعالى وتعظيمه والتقرب إليه والإخلاص له وقيل كان أهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدمائها فهم به
المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير والتعليل بقوله تعالى لتكبروا الله أي لتعرفوا عظمته
باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الإحلال أو الذبح على ما هداكم
أي أرشدكم إلى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية أو موصولة أي على هدايته إياكم أو على ما
هداكم إليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين أي المخلصين في كل ما يأتون وما يذرون
في أمور دينهم إن الله يدافع عن الذين آمنوا كلام مستأنف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان أن الله تعالى
ناصرهم على أعدائهم بحيث لا يقدرون على صدهم عن الحج ليتفرغوا إلى أداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق
لإبراز الاعتناء التام بمضمونه وصيغة المفاعلة إما للمبالغة أو للدلالة على تكرر الدفع فإنها قد تجرد عن
وقوع الفعل المتكرر من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة أي يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي
من جملته الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه أو يدفعها عنهم مرة بعد أخرى حسبما يتجدد منهم القصد
إلى الإضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله وقرئ يدفع والمفعول محذوف
وقوله تعالى إن الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما في ضمن الوعد الكريم من الوعيد للمشركين وإيذان بأن
دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض أي إن الله يبغض كل خوان في أمانة الله وهي أوامره
ونواهيه أو في جميع الأمانات التي هي معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان أنهم كذلك لا لتقييد
البغض بغاية الخيانة والكفر أو المبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي أولا وإيراد معنى المبالغة ثانيا
أذن أي رخص وقرئ على البناء للفاعل أي أذن الله تعالى للذين يقاتلون أي يقاتلهم المشركون والمأذون
فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فإن مقاتلة المشركين إياهم دالة على مقاتلتهم إياهم دلالة نيرة وقرئ
على صيغة المبني للفاعل أي يريدون أن يقاتلوا المشركين فيما سيأتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف
أظهر بأنهم ظلموا أي بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا
يأتونه عليه السلام بين مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول عليه السلام لهم اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزلت
وهي أول آية نزلت في القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية وإن الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر
وتأكيد لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بأن المراد به ليس مجرد تخليصهم من أيدي المشركين بل تغليبهم
وإظهارهم عليهم والإخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتأكيده بكلمة التحقيق واللام لمزيد

لمزيد تحقق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم في حيز الجر
على أنه صفة للموصول الأول أو بيان له أو بدل منه أو في محل النصب على المدح أو في محل الرفع بإضمار
مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق بأخرجوا أي أخرجوا
بغير ما يوجب إخراجهم وقوله تعالى إلا أن يقولوا ربنا الله بدل من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي
ينبغي أن يكون موجبا للإقرار والتمكين دون الإخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ۞ بهن فلول من قراع الكتائب ۞

وقيل الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر
وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على أهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع
للرهابنة وبيع للنصارى وصلوات أي وكنائس لليهود وسميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلوثا
بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا أي ذكرا كثيرا أو وقتا كثيرا صفة للأربع
وليس كذلك فإن بيان ذكر الله تعالى في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه
المقام ولا يرتضيه الأفهام ولينصرن الله من ينصره أي وبالله لينصرن الله من ينصر أولياءه أو من ينصر دينه
ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم
وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم إن الله لقوي على كل ما يريده من أفعاله التي من جملتها
نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز وجل للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم
من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم في الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام منبئ عن عدة كريمة
على أبلغ وجه وألطفه وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أنه تعالى أثنى عليهم
قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا قالوا وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله تعالى لم يعط
التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للأنصار والطلقاء
وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله عاقبة
الأمور فإن مرجعها إلى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد بإظهار أوليائه وإعلاء كلمته وإن يكذبوك
فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة للوعد الكريم بإهلاك
من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى ولينصرن الله من ينصره
وبيان لرجوع عاقبة الأمور إليه تعالى وصيغة المضارعة في الشرط مع تحقق التكذيب لما أن
المقصود تسليته عليه السلام عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع أي وإن تحزن على تكذيبهم إياك
فاعلم أنك لست بأوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك قوم نوح وعاد وثمود وقوم
إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين أي رسلهم ممن ذكر ومن لم يذكر وإنما حذف لكمال ظهور المراد
أو لأن المراد نفي الفعل أي فعلت التكذيب قوم نوح الخ وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر
المفعول وبناء الفعل له لا لأن قومه بنو إسرائيل وهم لم يكذبوه وإنما كذبه القبط لما أن ذلك إنما
يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان آخر على أن بني إسرائيل أيضا قد كذبوه مرة
بعد أخرى حسبما ينطق به قوله تعالى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة
بل للإيذان بأن تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون آياته في كمال الوضوح وقوله تعالى فأمليت
للكافرين أي أمهلتهم حتى انصرمت حبال آجالهم والفاء لترتيب إمهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب
ذلك الفريق لا لترتيب إمهال الكل على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد إلى المكذبين
لذمهم بالكفر والتصريح بمكذبي موسى عليه السلام حيث لم يذكر فيما قبل صريحا ثم أخذتهم أي أخذت كل فريق من
فرق المكذبين بعد انقضاء مدة إملائه وإمهاله فكيف كان نكير أي إنكاري عليهم بالإهلاك أي
فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكأين من قرية منصوب بمضمر يفسره
قوله أهلكناها أي فأهلكنا كثيرا من القرى بإهلاك أهلها والجملة بدل من قوله فكيف كان نكير أو مرفوع على

المبتدا واهلكناها خبره اى فكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها على وفق قوله فامليت للكافرين ثم اخذتهم
فكيف كان نكير وهى ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكناها وقوله تعالى فهى خاوية عطف على اهلكناها
لا على وهى ظالمة لانها حال والاهلاك ليس فى حال خوائها فعلى الاول لا محل له من الاعراب كالمعطوف عليه
وعلى الثانى فى محل الرفع لعطفه على الخبر والخواء اما بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهى ساقطة
حيطانها على عروشها اى سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق
السقوف واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدته واما بمعنى
الخلو من خوى المنزل اذا خلا من اهله فالمعنى فهى خالية وهى على عروشها اى قائمة مشرفة على
عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى الارض وبقيت الحيطان قائمة فهى مشرفة على السقوف الساقطة
واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر آنفا وبئر معطلة عطف على قرية اى وكم بئر
عامرة فى البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر
مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه عن ساكنيه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على عروشها خالية
مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم
حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا فى الارض
حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم
يسافروا للاعتبار جعلوا غير مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه
المقام اى أغفلوا فلم يسيروا فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار
قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد او آذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحى او
من اخبار الامم المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار وفى تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب التى فى
الصدور اى ليس الخلل فى مشاعرهم وانما هو فى عقولهم باتباع الهوى والانهماك فى الغفلة وذكر الصدور
للتاكيد ونفى توهم التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقى ليس المتعارف الذى يختص بالبصر قيل
لما نزل قوله تعالى ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا فى الدنيا
اعمى افاكون فى الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين لمجئ العذاب المتوعد به
اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجيزا له على زعمهم فحكى
عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار فقوله تعالى ولن يخلف الله وعده اما جملة حالية جئ بها
لبيان انكارهم لمجيئه فى ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه كانه قيل كيف ينكرون مجئ العذاب الموعود
والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر
وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون جملة مستانفة ان كانت الاولى حالية
ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم فى الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة
حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدة طوالا عندهم
حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة
الى انكاره ويجترؤن على الاستعجال به ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا
ما عنده تعالى من المقدار وقرئ يعدون على صيغة الغيبة اى يعده المستعجلون ووفق لهذا المعنى
وقد جعل الخطاب فى القراءة المشهورة لهم ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه للرسول عم ومن معه
من المؤمنين وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما فى
قوله ويستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فيكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية
مبينة لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخرى بيانا
لبطلانه ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذى مر بيانه فلا يكون فى
النظم الكريم ح تعرض لانكارهم الذى دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر مقالهم

مقالهم ويكتفى فى رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم هذا وحمل المستعجل به على عذاب الآخرة و
جعل اليوم عبارة عن يوم العذاب المستطال لشدته او عن ايام الآخرة الطويلة حقيقة او المستطالة
لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سياقه فان كلا منهما ناطق بان المراد هو العذاب
الدنيوى وان الزمان الممتد هو الذى مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء والامهال لا الزمان المقارن
له الا يرى الى قوله تعالى وكأين من قرية الخ فانه كما سلف من قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم
صريح فى ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء المديد اى وكم من اهل قرية فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فى الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة فى التعميم والتهويل امليت
لها كما امليت لهؤلاء حتى انكروا مجئ ما وعدوا من العذاب واستعجلوا به استهزاء برسلهم كما فعل هؤلاء
وهى ظالمة جملة حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة بطريق التعريض بظلم المستعجلين اى امليت
لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كدأب هؤلاء ثم اخذتها بالعذاب والنكال بعد طول
الاملاء والامهال وقوله تعالى والى المصير اعتراض تذييلى مقرر لما قبله ومصرح بما افاده ذلك
بطريق التعريض من ان مآل امر المستعجلين الى ما ذكر من الاخذ الوبيل اى الى حكمى مرجع الكل جميعا
لا الى احد غيرى لا استقلالا ولا اشتراكا فافعل بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم
نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحى الى من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لى دخل فى اتيان
ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلونى به والاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير
اليه من ان مساق الحديث للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة فى غيظهم فالذين آمنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم من الذنوب ورزق كريم هى الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع
فضائله ويحوز كمالاته والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اى مسابقين او مسابقين فى زعمهم وتقدير
طامعين ان يدركهم الاسلام بينهم واصله من عاجزه وعجزه فاعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين
يريد اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اى مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك
الموصوفون بما ذكر من السعى والمعاجزة اصحاب الجحيم اى ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة
من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة يدعو
الناس اليها والنبى يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بنى اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عم
ولذلك شبه النبى عم علماء امته بهم فالنبى اعم من الرسول ويدل عليه انه عم سئل عن الانبياء فقال مائة الف
الف واربعة وعشرون الفا قيل فالرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل
الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبى غير الرسول من لا كتاب له وقيل الرسول من ياتيه الملك بالوحى
والنبى يقال له ولمن يوحى اليه فى المنام الا اذا تمنى اى هيأ فى نفسه ما يهواه القى الشيطان فى امنيته فى
تشهيه ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال عم وانه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم سبعين
مرة فينسخ الله ما يلقى الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه
ثم يحكم الله آياته اى يثبت آياته الداعية الى الاستغراق فى شئون الحق وصيغة المضارع
فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى واظهار الجلالة فى موضع الاضمار لزيادة التقرير
والايذان بان الالوهية من موجبات احكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ فى العلم بكل ما من شانه
ان يعلم ومن جملته ما صدر عن العباد من قول وفعل عمدا او خطا حكيم فى كل افعاله والاظهار
ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من الاستقلال اللائق بالاعتراض التذييلى وقيل حدث نفسه بزوال
المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى
كان فى ناديهم فنزلت عليه سورة النجم فاخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه
الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به
المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد فى آخرها بحيث لم يبق فى المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم
نبهه جبريل عليه السلام فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين وان صح

فابتلاءً يتميز به الثابت على الإيمان عن المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله: تمنى كتاب الله أول ليله، تمنى داود الزبور على رسل. وأمنيته قراءته وإلقاء الشيطان فيها أن يتكلم بذلك رافعاً صوته بحيث ظن السامعون أنه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رُدّ بأنه أيضاً يخل بالوثوق بالقرآن ولا يندفع بقوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لأنه أيضاً يحتمله وفي الآية دلالة على جواز السهو من الأنبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة إليهم ليجعل ما يلقي الشيطان علة لما ينبئ عنه ما ذكر من إلقاء الشيطان من تمكينه تعالى إياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما أن تمكينه إياه من الإلقاء في حق سائر الأنبياء عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وقيد الكلام على ما يلقيه أمر ظاهر يعرف به المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية والقاسية قلوبهم أي المشركين وإن الظالمين أي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد أي عداوة شديدة ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع أن الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين أوتوا العلم أنه أي القرآن الحق من ربك أي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا أن تمكين الشيطان من الإلقاء هو الحق المتضمن للحكمة البالغة والغاية الجميلة لأنه مما جرت به عادته في جنس الإنس من لدن آدم عليه السلام فلا حاجة إلى تخصيص التمكين بما سبق من الإلقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله تعالى فيؤمنوا به أي بالقرآن أي يثبتوا على الإيمان به أو يزدادوا إيماناً برد ما يلقي الشيطان فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والإذعان لما فيه من الأوامر والنواهي ورجع الضميرين لا سيما الثاني إلى تمكين الشيطان من الإلقاء مما لا وجه له وإن الله لهادي الذين آمنوا أي في الأمور الدينية خصوصاً في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر إلى صراط مستقيم هو النظر الصحيح الموصل إلى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا في مرية أي في شك وجدال منه أي من القرآن وقيل من الرسول عليه السلام والأول هو الأظهر لأنه ذو ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله أنه الحق من ربك فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا وأما تجويز كون الضمير لما ألقى الشيطان في أمنيته فمما لا مساغ له لأن ذلك ليس مما هم لهم يستمرون إلى الأمد المذكور بل إنما هي مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على السببية دون الابتدائية لما أن مريتهم المستمرة كما أنها ليست مبتدأة من ذلك ليست ناشئة منه ضرورة أنها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم حتى تأتيهم الساعة أي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة أي فجأة فإنها الموصوفة بالإتيان كذلك لا أشراطها وقيل الموت أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لا يوم بعده لأن كل يوم يلد ما بعده من الأيام فما لا يوم بعده يكون عقيماً والمراد به الساعة أيضاً كأنه قيل أو يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل إلى حمل الساعة على أشراطها لما عرفته وأما ما قيل من أن المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لأن أولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن أو لأن المقاتلين أبناء الحرب فإذا قتلوا صارت عقيماً أي ثكلى فوصف اليوم بوصفها اتساعاً أو لأنه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم تنشئ مطراً ولم تلقح شجراً أو لأنه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم أصلاً كيف لا وأن تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الأخروي يقتضي بأن المراد به يوم القيامة قطعاً بيناً لا ريب فيه الملك أي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الإطلاق يومئذ لله وحده بلا شريك أصلاً بحيث لا يكون فيه لأحد تصرف من التصرفات في أمر من الأمور لا حقيقة ولا مجازاً ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فإن للبعض فيها تصرفاً صورياً في الجملة وليس التنوين نائباً عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عما يستلزمه ذلك من إيمانهم كما قيل لما أن القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة يجب أن يكون مداراً لحكمها أعني كون الملك لله عز وجل وما يتفرع عليه من الإثابة والتعذيب ولا ريب في أن إيمانهم وزوال

مريتهم ليس مما له تعلق ما بما ذكر من المدار ربة له فلا سبيل إلى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعاً وإنما الذي يدل عليه ما ذكر إتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور أحكام الملك الحق جل جلاله فالتنوين هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم إذ تأتيهم الساعة أو عذابها لله تعالى وقوله يحكم بينهم جملة مستأنفة وقعت جواباً عن سؤال نشأ من الإخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فماذا يصنع بهم فقيل يحكم بين فريقي المؤمنين به والممارين فيه بالمجازاة وقوله تعالى فالذين آمنوا إلخ تفسير للحكم المذكور وتفصيل له أي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه وعملوا الصالحات امتثالاً لما أمروا في تضاعيفه في جنات النعيم أي مستقرون فيها والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي أصروا على ذلك واستمروا فأولئك إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم عذاب جملة اسمية من مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبراً لأولئك أو لهم خبر لأولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية بالاستقرار في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ وأولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء للدلالة على أن تعذيب الكفار بسبب أعمالهم السيئة كما أن تجريد خبر الموصول الأول عنها للإيذان بأن إثابة المؤمنين بطريق التفضل لا لإيجاب الأعمال الصالحة إياها وقوله تعالى مهين صفة لعذاب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين هاجروا في سبيل الله أي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى ثم قتلوا أو ماتوا أي في تضاعيف المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبراً للمبتدأ يضمر قولاً هو الخبر والجملة محكية به وقوله تعالى رزقاً حسناً إما مفعول ثان على أنه من باب الرعي والذبح أي مرزوقاً حسناً أو مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع أبداً من نعيم الجنة وإنما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في القصد وأصل العمل على أن مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت الأرزاق الحسنة وروي أن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا في سبيل الله قد علمنا ما أعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا إن متنا معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة إلى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم وإن الله لهو خير الرازقين فإنه يرزق بغير حساب مع أن ما يرزقه لا يقدر عليه غيره والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلاً يرضونه بدل من قوله ليرزقنهم الله أو استئناف مقرر لمضمونه ومدخلاً إما اسم مكان أريد به الجنة فهو مفعول ثان للإدخال أو مصدر ميمي أكد به فعله قال ابن عباس إنما قال يرضونه لأنهم يرون فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وإن الله لعليم بأحوالهم وأحوال معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر ذلك والجملة لتقرير ما قبله والتنبيه على أن ما بعده كلام مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب به أي لم يزد في الاقتصاص وإنما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو جزاء الجناية للمشاكلة أو لكونه سبباً له ثم بغي عليه بالمعاودة إلى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة إن الله لعفو غفور أي مبالغ في العفو والغفران فيعفو عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر المندوب إليهما بقوله تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك من عزم الأمور فإن ما ذكر من الصبر والمغفرة من عزم الأمور فإن فيه حثاً بليغاً على العفو والمغفرة فإنه تعالى مع كمال قدرته لما كان يعفو فغيره أولى بذلك وتنبيهاً على أنه قادر على العقوبة إذ لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده ذلك إشارة إلى النصر وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي بسبب أنه تعالى من شأنه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض والمداولة بين الأشياء المتضادة وعبر عن ذلك بإدخال أحد الملوين في الآخر بأن يزيد فيه ما ينقص عن الآخر أو بتحصيل

احدهما في مكان الآخر لكونه اظهر المواد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات التي من جملتها قول
المعاقب بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال القدرة والعلم
وما فيه من معنى البعد لما مر آنفا وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق الواجب لذاته الثابت في
نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان كونه مبدأ لكل ما يوجد من الموجودات
عالما بكل المعلومات او الثابت الهيته فلا يصلح لها الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه
الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه عبارة عن الالهة وقرئ بالتاء على خطاب المشركين هو
الباطل اي المعدوم في حد ذاته او الباطل الوهيته وان الله هو العلي على جميع الاشياء الكبير عن ان
يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا ألم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير
كما يفصح عنه الرفع في قوله تعالى فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار
بتجدد اثر الانزال واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف يصل لطفه او علمه الى كل
ما جل ودق خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
وتصرفا وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله ألم تر ان الله سخر لكم ما في
الارض اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر
ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر
مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ
بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الآخر ويمسك السماء ان
تقع على الارض اي من ان تقع وكراهة ان تقع بان خلقها على هيئة متداعية الى الاستمساك الا باذنه
اي بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية في الجسمانية لسائر الاجسام القابلة
للميل الهابط فتقبله كقبول غيرها ان الله بالناس لرؤوف رحيم حيث هيأ لهم اسباب معاشهم وفتح
عليهم ابواب المنافع واوضح لهم مناهج الاستدلال بالآيات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم
بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجيء آجالكم ثم
يحييكم عند البعث ان الانسان لكفور اي لجحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده
لكل امة كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه عليه السلام من اهل الاديان السماوية عن منازعته ببيان حال
ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا اي
وضعنا وعينا منسكا اي شريعة خاصة لا لامة اخرى منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم
بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى
هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار
خصوصها اي تلك الامة المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى
مبعث عيسى عليهما السلام منسكهم التوراة هم ناسكوها والعاملون بها لا غيرهم والتي كانت من مبعث عيسى
الى مبعث النبي عليهما السلام منسكهم الانجيل هم ناسكوه والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة عند مبعث
النبي صلى الله عم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيامة فهم امة واحدة منسكهم الفرقان ليس الا كما مر
في تفسير قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب
النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم التي من جملتهم هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى
امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين
زعما منهم ان شريعتهم ما عين لآبائهم الاولين من التوراة والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما
وهؤلاء امة مستقلة منسكهم القرآن المجيد فحسب والنهي اما حقيقة او كناية عن نهيه عم عن الالتفات الى
نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عم عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا
ينزعنك على تهييجه عم والمبالغة في تثبيته وايا ما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسائك
وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وهم مسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالى مما لا سبيل

سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون اكل الميتة وسائر ما يدينونه من الاباطيل من جملة المناسك التي
جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع اي وادعهم او وادع الناس كافة على انهم داخلون
فيهم دخولا اوليا الى ربك الى توحيده وعبادته حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم
اي طريق موصل الى الحق سوي والمراد به اما الدين والشريعة او ادلتها وان جادلوك بعد ما ظهر الحق بما
ذكر من التحقيق ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من جملتها
المجادلة الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيامة بالثواب والعقاب كما فصل في الدنيا بالحجج
والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين ألم تعلم استئناف مقرر لمضمون ما قبله والاستفهام للتقرير
اي قد علمت ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شيء من الاشياء التي من جملتها ما يقوله الكفرة وما يعملونه
ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب هو اللوح قد كتب فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به
وحفظنا له ان ذلك اي ما ذكر من العلم والاحاطة به واثباته في اللوح او الحكم بينكم على الله يسير فان علمه
وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء ولا يعسر عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض
اباطيل المشركين واحوالهم الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم من بناء امرهم على غير مبنى
من دليل سمعي او عقلي واعراضهم عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض
اي يعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي بجواز
عبادته علم من ضرورة العقل واستدلاله وما للظالمين اي للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم العظيم الذي
تقضي ببطلانه وكونه ظلما بداهة العقول من نصير يساعدهم بنصرة مذهبهم وتقرير رأيهم او بدفع العذاب
الذي يعتريهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم آياتنا عطف على يعبدون وما بينهما اعتراض وصيغة المضارع
للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام
الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على كونها من عند الله عز وجل تعرف في وجوه
الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه
بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب بقوله تعالى يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم
آياتنا ان يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم
واطم من ان يعبدوا ما لا يتوهم صحة عبادته شيئا اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا
لمن يرشدهم الى الحق المبين بالسلطان المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا وعليه وضع الذين كفروا موضع الضمير قل
ردا عليهم واقناطا عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين أفانبئكم اي أأخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم
الذي فيكم من غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونه من الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما
تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب سؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى
وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فيكون الجملة الفعلية
استئنافا كالوجه الاول او حالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار يا ايها الناس ضرب مثل
اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائقة حقيقة بان تسمى مثلا وتسير في الامصار والاعصار او
جعل لله مثل في استحقاق العبادة واريد بذلك ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل
نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون
الله الخ بيان للمثل وتفسير له على الاول وتعليل لبطلان جعلهم الاصنام مثلا لله سبحانه في استحقاق العبادة
على الثاني وقرئ بياء الغيبة مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف
لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة
على منافاة ما بين المنفي والمنفي عنه ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه
والجملة معطوفة على شرطية اخرى محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اي لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو
اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر تحقيقه مرارا وهما في موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال
وان يسلبهم الذباب شيئا بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اي

اى ان ياخذ الذباب منهم شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولعلهم جهلوا غاية التجهيل فى اشراكهم بالله
القادر على جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر
على اقل الاحياء واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل وتعجز عن ذبه عن نفسها
واستنقاذ ما يختطفه منها قيل كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب
من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب اى عابد الصنم ومعبوده او الذباب الطالب لما يسلبه عن
الصنم من الطيب والصنم المطلوب منه ذلك او الصنم والذباب كان يطلبه ليستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت
وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال ما قدروا الله
حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوى
على خلق الممكنات باسرها وافناء الموجودات عن اخرها عزيز غالب على جميع الاشياء وقد عرفت حال
الهتهم المقهورة لاذلها العجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها اى نفى معرفتهم له تعالى الله يصطفى من الملئكة
رسلا يتوسطون بينه وبين الانبيا عليهم السلام بالوحى ومن الناس وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون
بالقوة القدسية المتعلقون بكلى العالمين الروحانى والجسمانى يتلقون من جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم
التعلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرايعه واحكامه
كانه تعالى لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه فيها شىء من الاشياء بين ان له عبادا مصطفين
للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله عز وجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه
من الموجودات تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة وقولهم انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى
وقولهم الملئكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات والمبصرات فلا يخفى عليه
شىء من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور لا الى احد غيره ولا اشتراكا
ولا استقلالا يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اى فى صلاتكم امرهم بها لما انهم ما كانوا يفعلونها اول الاسلام
او صلوا عبر عن الصلوة بهما لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر
ما تعبدكم به وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فى كل ما تاتون وما تذرون كنوافل الطاعات وصلة الارحام
ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها الفلاح غير متيقنين له
واثقين باعمالكم والاية اية سجدة عند الشافعى لظاهر ما فيها من الامر بالسجود ولقوله عم فضلت سورة
الحج بسجدتين من لم يسجدهما فلا يقراها وجاهدوا فى الله اى لله تعالى ولاجله اعداء دينه الظاهرة
كاهل الزيغ والباطنة كالهوى والنفس وعنه عم انه رجع عن غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر حق جهاده اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك
هو حق عالم واضيف الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله هو
اجتباكم اى هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعو اليه وما جعل عليكم
فى الدين من حرج اى ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه
او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله عم اذا امرتكم بشىء فاتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم
الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ملة ابيكم ابرهيم نصب على المصدر بفعل
دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اى وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص
وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم
على الوجه المعتد به فى الاخرة او لان اكثر العرب كانوا من ذريته عم فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من
قبل فى الكتب المتقدمة وفى هذا اى فى القران والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابرهيم وتسميتهم
بالمسلمين فى القران وان لم تكن منه عم كانت بسبب تسميته من قبل فى قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك
وقيل فى هذا تقديره فى هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا
عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى

من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى فتقربوا الى الله تعالى
بانواع الطاعات وتخصيصهما بالذكر لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اى ثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا
الاعانة والنصرة الا منه هو مولاكم ناصركم ومتولى اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له فى الولاية
والنصرة بل لا ولى ولا نصير فى الحقيقة سواه عز وجل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطى
من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وما بقى والله اعلم

سورة المؤمنون مكية مائة وثماني ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه وقيل البقاء فى الخير وافلح دخل فى
ذلك كابشر الذى هو الدخول فى البشارة وقد يجى متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرا
على البناء للمفعول وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع الثبوت من قبل لا لتوقع الاخبار به فالمعنى
قد فاز وا بكل خير ونجوا من كل شر حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم فان ايمانهم وما تفرع عليه من
اعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم خلا انه ان اريد بالفلاح حقيقة الدخول فى
الفلاح الذى لا يتحقق الا فى الاخرة فالاخبار به على صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله
منزلة الثابت وان اريد كونهم بحال تستتبعه البتة فصيغة الماضى فى محلها وقرى افلحوا على الابهام والتفسير
او على لغة اكلونى البراغيث وقرى افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما فى قول من قال فلو ان الاطبا كان حولى
والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا عم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء
ونظايرها فقوله تعالى الذين هم فى صلوتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الاتون
بفروعه ايضا كما ينبى عنه اضافة الصلوة اليهم فهى صفات موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر فى حيز
الصلة من المعانى مع الايمان اجمالا او تفصيلا كما مر فى اوايل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل
اى خائفون من الله عز وجل متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روى انه عم كان اذا صلى رفع راسه
الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه
والذين هم عن اللغو اى عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اى فى عامة اوقاتهم كما ينبى عنه
الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه حال اشتغالهم بالصلوة دخولا اوليا وما
اعراضهم عنه ما ابعد من الحالة التى هى الداعية الى الاشتغال بالجد فى الامور الدنيوية والاخروية
فان ذلك يقتضى ان لا يكون فى اللغو نفسه فان جرهم عن مقاطعه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون
من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة
الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون
فى عرض غير عرضه والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلوة ليدل
على انهم بلغوا الغاية فى القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر
ما توجب المروة اجتنابه والزكوة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث
لا المحل الذى هو موقعه والثانى على تقدير مضاف والذين هم
لفروجهم حافظون ممسكوها الا على الاستثناء فى قوله تعالى الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
الذى يبنى عنه الحفظ اى لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوة الشهوة داعية
لهم الى ما لا يجمل وانهم حافظون لها عن استيفائها مقتصرين على ما يتحقق كمال العفة
على عصمتهم والمراد منهن حفظ الفرج فى قوله تعالى والحافظين فروجهم والحافظات
وقيل هى متعلقة بمحذوف اى حافظون لها فى جميع الاحوال الا حال كونهم
والا على ازواجهم وقيل بحذف ... غير ملومين وحمل الحفظ على الغير عليهن ليكون المعنى حافظين فروجهم على

الازواج لا يتعدى بعلى ثم يقال غير حافظين الا على نسائهن تاكيدا على تكلف او ما ملكت ايمانهم اى سراريهم
غير عنهن بما اجراءهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى فانهم غير ملومين
تعليل لما يفيده الاستثناء من عدم حفظ فروجهم منهن اى فانهم غير ملومين على عدم حفظها منهن فمن ابتغى
وراء ذلك الذى ذكر من الحد المستثنى وهو اربع من الحرائر وما شاء من الاماء فاولئك هم العادون الكاملون
فى العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل حتما على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها
ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له اما انها ليست زوجة له فلانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة
له لحصل التوارث لقوله تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم لانهم لا يقولوا انها زوجة فى الجملة واما ان
كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها واما ما قيل من انه ان اريد لو كانت زوجة حال الحيوة لم يفد وان اريد بعد
الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم
لما يأتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون اى قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح
وقرئ لامانتهم والذين هم على صلواتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها فى اوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما فى الصلوة من التجدد والتكرر وهو السر فى جمعها وليس فيه تكرير لما ان الخشوع فى
الصلوة غير المحافظة عليها وفصلهما للايذان بان كلا منهما فضيلة مستقلة على حيالها ولو قرنا فى
الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة اولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم
بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليهم
حسا وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم فى الفضل والشرف اى اولئك المنعوتون
بالنعوت الجليلة المذكورة هم الوارثون اى الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث رغائب
الاموال والذخائر وكرائمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها
وتفسيرها بعد ابهامها تفخيما لشانها ورفعا لمحلها وهى استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما
يقتضيه الوعد الكريم للمبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى
خلق لكل انسان منزلا فى الجنة ومنزلا فى النار هم فيها اى فى الفردوس والتأنيث لانه اسم للجنة او لطبقتها
العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر روى انه تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل
خلالها المسك الاذفر وفى رواية ولبنة من مسك وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون
منها ابدا والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر كل منهما
ومعنى الكلام لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع فى بيان مبدأ خلق الانسان وتقلبه فى
اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده السعداء واللام جواب قسم والواو
ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان الجنس اى وبالله لقد خلقنا جنس الانسان فى ضمن
خلق آدم عم خلقا اجماليا حسبما تحققته فى سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت
نطفا بعد ادوار واطوار فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشئ واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل
من الفعل فتارة تكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصود منه كالقلامة والكناسة والسلالة
من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق ومن فى قوله تعالى من طين بيانية
متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اى خلقناه من سلالة كائنة من طين ويجوز ان تتعلق بسلالة
على انها بمعنى مسلولة فهى ابتدائية كالاولى وقيل كائنة من طين المراد بالانسان آدم عم فانه الذى خلق
من صفوة سلت من الطين وقد وقفت على التحقيق ثم جعلناه اى الجنس باعتبار افراده المغايرة لادم عم
او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان آدم عم نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا
السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او المسلول او الماء فى قرار اى مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذى
هو مصدر مبالغة وقوله تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها فى نفسها
فانها مكنت بحيث هى واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة اى دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء
علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة اى قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اى غالبها

ومعظمها او كلها عظاما بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها
الحكمة فكسونا العظام المعهودة من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا مما يصل اليها اى كسونا
كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه
على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط
وبتوحيد الثانى فحسب ثم انشأناه خلقا آخر وهى صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال
التفاوت بين الخلقين واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة فقط لا الفرخ
لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شانه فى علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات الى الاسم الجليل لتربية
المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافاعيل العجيبة من احكام الالوهية وللايذان بان حق كل من
سمع ما فصل من آثار قدرته عز وجل او لاحظه ان يبادر الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن
الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدأ محذوف اى هو احسن
الخالقين خلقا اى المقدرين تقديرا حذف المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف المأذون فيه فى قوله تعالى
اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه اى احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق قيل نظيره قوله عم ان
الله جميل يحب الجمال اى جميل فعله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن روى ان
عبد الله بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى فلما انتهى عم الى قوله خلقا آخر سارع عبد الله
الى النطق به قبل املائه عم فقال عم اكتب هكذا نزلت فشك عبد الله فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك
فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه
الاية قال عمر رض فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عم هكذا انزلت يا عمر وكان رضى الله عنه يفتخر
بذلك ويقول وافقت ربى فى اربع الصلوة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولى له او ليبدلنه الله خيرا منكن
فنزل قوله عسى ربه ان طلقكن الاية والرابع فتبارك الله احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة
سببا لسعادة عمر رض وشقاوة ابن ابى سرح حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ولا يقدح فى ذلك التكلم
ابتداء بمثل نظم القرآن وذلك قادح فى اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان
اعجاز هذه الاية الكريمة منوط بما قبلها كما يعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم
بعد ذلك اى بعد ما ذكر من الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما فى اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل والكمال وكونه بذلك مما لا منزل الامور الحسنة لميتون لصائرون
الى الموت لا محالة كما يؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث اى يقيل صيغة الفاعل وقد قرئ
لمائتون ثم انكم يوم القيمة اى عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب والمجازاة بالثواب والعقاب
ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اى خلقنا فى جهة العلو من
غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم سبع طرائق هى السموات السبع سميت بها
لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة او
الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذى هو السموات او عن جميع المخلوقات التى من جملتها
او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر
لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشية ويصل الى ما فى الارض منافعها كما ينبئ عنه قوله
وانزلنا من السماء ماء هو المطر او الانهار النازلة من الجنة قيل هى خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر
بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها
الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى فنون معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على
المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعدول عن الاضمار لان الانزال لا يعتبر
فيه عنوان كونها طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم
او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه فى الارض اى جعلناه ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب
به اى ازالته بالافساد او التصعيد او التغوير بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله

وفي تنكير هيهات ايما الى كثرة طرقه ومبالغة في الابعاد ولذلك جعل ابلغ من قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا
فمن يأتيكم بماء معين فأنشأنا لكم به اي بذلك الماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون
بها ومنها ومن الجنات تأكلون تغذيا او ترزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يعود
الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمراتها انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير
ذلك وطعام تأكلون وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف دل عليه
ما قبله اي ومما انشئ لكم به شجرة وتخصيصها بالذكر من بين سائر الاشجار لاستقلالها بمنافع معروفة قيل هي اول
شجرة نبتت بعد الطوفان وقوله تعالى تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى عم بين مصر وايلة وقيل بفلسطين
ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس
ومنع صرفه على قراءة من كسر السين للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من
السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التأنيث بخلاف سيناء
فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة صفة لشجرة وتخصيصها
بالخروج مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشأ الاصلي لها وقوله تعالى تنبت بالدهن
صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها اي تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية لتنبت
تنبت بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من
الانبات بمعنى النبات كما في قول زهير ۞ رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم ۞ قطينا لهم حتى اذا انبت البقل ۞ او
تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتنبت
بالادهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف لاحد وصفي الشيء على الآخر اي تنبت بالشيء
الجامع بين كونها دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اي يغمس للائتدام وقرئ وصباغ
كدباغ في دبغ وان لكم في الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم
من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها في نفسها نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا
بها ويستدلوا باحكامها على عظيم قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هذا بالحيوان
لما ان محل العبرة فيه اظهر مما في النبات وقوله تعالى نسقيكم مما في بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما

او مبتدأ خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غيره تعالى وقرئ
بالجر باعتبار لفظه افلا تتقون اي افلا تخافون عذابه الذي يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته
تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقوله عذاب يوم اليم وقيل افلا تخافون ان
ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم الخ وليس بذاك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الخ وقيل وما فيه
والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اتعرفون ذلك اي مضمون قوله
من اله غيره فلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به في العبادة ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه
فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقون فالمنكر
كلا الامرين فالمبالغة في الكمية وفي الاول في الكيفية فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه
وصف الملأ بما ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم في الكفر وشدة شكيمتهم فيه قالوا لعوامهم
ما هذا الا بشر مثلكم اي في الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عم بذلك مبالغة في وضع
رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اي يريد ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء
الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين عليه عم واغراء لهم على معاداته وقوله تعالى ولو
شاء الله لانزل ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عم اي ولو
شاء الله ارسال الرسل لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال
فمفعول المشيئة مطلق الارسال المفهوم من الجواب لا نفس مضمونه كما في قوله تعالى ولو شاء لهداكم ونظائره
ما سمعنا بهذا اي بمثل هذا الكلام الذي هو الامر بعبادة الله تع خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل
بمثل نوح عم في دعوى النبوة في آبائنا الاولين اي الماضين قبل بعثته عم قالوه اما لكونهم وآباؤهم في فترة
متطاولة واما لفرط غلوهم في التكذيب والعناد وانهماكهم في الغي والفساد وايا ما كان فقولهم هذا ينبغي ان
يكون هو الذي صدر عنهم في مبادي دعوته عم كما ينبئ عنه الفاء في قوله تعالى فقال الملأ الخ وقيل
معناه ما سمعنا به عم انه نبي فالمراد بآبائهم الاولين الذين مضوا قبلهم في زمن نوح عم وقولهم المذكور هو
الذي صدر عنهم في اواخر امره عم وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عم وقولهم ان هو اي ما هو الا رجل
به جنة اي جنون او جن يخيلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اي احتملوه واصبروا عليه وانتظروا
حتى حين لعله يفيق مما به محمول على ترامي احوالهم في المكابرة والعناد واضرابهم عما وصفوه عم من البشرية
وارادة التفضل الى وصفه عم بما ترى وهم يعرفون انه عم ارجح الناس عقلا وارزنهم قولا وعلى الاول
على تناقض مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
كلام الكفرة كأنه قيل فماذا قال عم بعدما سمع منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما رآهم قد اصروا على الكفر
والتكذيب وتمادوا في الغواية والضلال حتى يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحي اليه انه لن يؤمن من
قومك الا من قد آمن رب انصرني باهلاكهم بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عم رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا الخ بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي او بدل تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك
ان اصنع الفلك ان مفسرة لما في الوحي من معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلائتنا كأن معه عم منه
عز وعلا حفاظا وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدي او من الزيغ في الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا
لكيفية صنعها والفاء في قوله تعالى فاذا جاء امرنا للترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بامرنا
العذاب كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل وبمجيئه كمال اقترابه او ابتداء
ظهوره اي اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجيء الامر روي انه قيل له عم اذا
فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنور آدم عم فصار الى نوح عم فلما نبع منه الماء اخبرته امرأته
فركبوا واختلف في مكانه فقيل كان في مسجد الكوفة اي في موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم
وقيل كان في عين وردة من الشام وقد مر تفسيره في سورة هود فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلك
فيه اي دخل فيه وسلكه فيه اي ادخله فيه ومنه قوله تعالى ما سلككم في سقر من كل اي من كل امة زوجين
اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى اثنين فانه نص في الفردين دون الجمعين او الفريقين

وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اي من كل امتي زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن
والرماك وهذا صريح في ان الامر كان قبل صنعة الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل
فيها من كل زوجين فالوجه ان يحمل اما على انه حكاية لامر آخر تنجيزي ورد عند فوران التنور الذي نيط به
الامر التعليقي اعتناء بشان المامور به او على ان ذلك هو الامر السابق بعينه لكن لما كان الامر التعليقي قبل
تحقق المعلق به في حق ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث عند تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد
مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وأهلك منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا
بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال المعنى اي واسلك اهلك والمراد به امرأته وبنوه
وتاخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى
مزاولة الاعمال منه عم بل الى معاونة من اهله واتباعه واما هم فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك
ولان في المؤخر ضرب تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يؤدي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا
من سبق عليه القول منهم اي القول باهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله تع
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم مغرقون تعليل
للنهي او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي
ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يتشفع فيه كيف لا وقد امر بالحمد على النجاة منهم باهلاكهم بقوله تعالى فاذا استويت
انت ومن معك اي من اهلك واتباعك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين على
طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او منها
منزلا مباركا اي انزالا او موضع انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول وانت خير المنزلين
امر عم بان يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عم بالامر مع شركة
الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عم والاشعار بان في دعائه وثنائه مندوحة عما عداه ان في
ذلك الذي ذكر مما فعل به عم وبقومه لآيات جليلة يستدل بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار
وان كنا لمبتلين ان مخففة من ان واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشان محذوف اي وان الشان كنا
مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله
تعالى ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد حسبما
روي عن ابن عباس رض وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة من ايراد قصتهم اثر
قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا موضعا للارسال كما في قوله تعالى كذلك ارسلناك في امة
ونحوه لا غاية كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم
لم ياتهم من غير مكانهم بل انما نشأ فيما بين اظهرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى رسولا منهم اي من جملتهم نسبا
فانهما عليهما السلم كانا منهم وان في قوله تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا لتضمنه معنى القول اي قلنا
لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المامور بها او للامر بها او
لوجوب الامتثال به افلا تتقون اي عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في
العطف كالذي مر في قصة نوح عم وقال الملأ من قومه حكاية لقولهم الباطل اثر حكاية القول الحق
الذي نطق به حكاية ارسال الرسول بطريق العطف على ان الواو حكاية لنطق تكذيبهم له عم اجمالا لا
حكاية ما جرى بينه وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني على السؤال كما
ينبئ عنه ما سياتي من حكاية سائر الامم اي قال الاشراف من قومه الذين كفروا في محل الرفع على انه صفة للملأ
وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتاخيره من قوله لعطف قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة وما
عطف عليه على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب او بمعادهم الى الحيوة
الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين لهم
ما هذا الا بشر مثلكم اي في الصفات والاحوال وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة في تهوين امره عم
وتوهينه ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثاني منصوب

منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اي فيما ذكر من الاحوال
والصفات اي ان امتثلتم باوامره انكم اذا اي على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم
حيث اذللتم انفسكم انظر كيف جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا
دون عبادة الاصنام التي لا خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذن واقع بين اسم ان وخبرها لتاكيد
مضمون الشرط والجملة جواب لقسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اي والله لئن اطعتم
بشرا مثلكم انكم اذن لخاسرون ايعدكم استئناف مسوق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عم بانكار
وقوع ما يدعوهم الى الايمان به واستبعاده انكم اذا متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت
وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم والاعصاب اي كان بعض اجزائكم من اللحوم ونظائره ترابا
وبعضها عظاما وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الاجزاء البادية او كان متقدموكم
ترابا صرفا ومتأخروكم عظاما وقوله تعالى انكم تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو
قوله مخرجون اي من القبور احياء كما كنتم وقيل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم
ثم اخبر بالجملة عن انكم وقيل رفع على انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم
ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم انكم
اذا متم الخ هيهات هيهات تكرير لتاكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان
المستبعد ما هو كما في هيت لك كانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما ذا هذا الاستبعاد فقيل لما
توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا
على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء
ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحيوة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا
من التكرار واشعارا باغنائها عن التصريح كما في هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت وحيث
كان الضمير بمعنى الحيوة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله تعالى نموت
ونحيى جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحيوة هي الحيوة الدنيا اي يموت بعضنا ويولد بعض الى انقراض
العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله
وفيما يعدنا من ان الله يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما يقوله قال اي هود عم عند يأسه
من ايمانهم بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم
بما كذبون اي بسبب تكذيبهم اياي واصرارهم عليه قال تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما
قليل اي عن زمان قليل وما مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة او نكرة موصوفة
ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند
معاينتهم العذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة هائلة
ايضا وقد روي ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم قال قائلهم

صاح الزمان بآل برمك صيحة * خروا لشدتها على الاذقان

بالحق متعلق بالاخذ اي بالامر الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم
غثاء اي كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبار ودعاء وبعدا من المصادر التي لا يكاد
يستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع الضمير
للتعليل ثم انشانا من بعدهم اي من بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم
بان تهلك قبل مجيء اجلها وما يستأخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف على
انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال كل رسول
متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين قد ارسلنا

كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوفين بالجملة المعترضة الناطقة بعدم تقدم الامم اجلها المقدر
لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترا اى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد
والتاء بدل من الواو كما في تولج ويتقور والالف للتانيث باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر
بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كلما جاء امة رسولها كذبوه استيناف مبين لمجيء كل رسول لامته
ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد بالمجيء اما التبليغ واما حقيقة المجيء للايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة
واضافة الرسول الى الامة مع اضافة كلهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امته الخاصة
به لا ان كلهم جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها
المعين لها وقيل لان الارسال لائق بالمرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما
تبع بعضهم بعضا في مباشرة اسبابه التي هي الكفر والتكذيب وسائر المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق
منهم الا حكايات يعتبر بها المعتبرون وهي اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا كالاعاجيب
جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه اى جعلناهم احاديث يتحدث بها تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم لا يؤمنون
اقتصر ههنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون الاولون فحيث نقل
عنهم ما فرط من العتو والتجاوز عن الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون
باياتنا هي الايات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والطاعون
ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الايات التي كذبوها واستكبروا عنها وسلطان مبين اى حجة
واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها في الايات لما انها ام آياته عم واولاها
وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة
طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة
خضراء مثمرة ودلوا ورشاء وغير ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم
لمقتضى المقام واما نفس الايات كقوله الى الملك القرم وابن الهمام الخ عبر عنها بذلك على طريقة العطف
تنبيها على جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اى اشراف
قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بآرائهم لا بآراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد وتمردوا
وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض مقرر للاستكبار اى
كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اى قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة انؤمن لبشرين مثلنا ثني
البشر لانه يطلق على الواحد كقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر
احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين
للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات
افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية
المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب
ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك
الجهلة الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل لنا عابدون اى خادمون منقادون
لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشانهما عليهما السلام وحط رتبتهما العلية عن منصب الرسالة
من وجه آخر غير البشرية واللام في لنا متعلقة بعابدون قدمت عليه رعاية للفواصل والجملة حال من
فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسة
الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو
السبق في حيازة ما ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات السنية جبلة واكتسابا فكذبوهما اى فتموا
على تكذيبهما واصروا واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا اى بعد
اهلاكهم وانجاء بني اسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب اى التوراة حيث كان ايتاؤه عم اياها للارشاد توجه الى

الى الحق كما هو شأن الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون الى طريق الحق بالعمل بما فيها
من الشرائع والاحكام وقيل اريد آتينا قوم موسى بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى
على خوف من فرعون وملائهم اى من آل فرعون وملائهم ولا سبيل الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التوراة
انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل واما الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما
اهلكنا القرون الاولى فمما لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم
من الامم المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم لوط كما سيأتي في سورة القصص وجعلنا ابن
مريم وامه آية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالآية امر واحد نسب اليهما
او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد فظهرت منه معجزات جمة وامه آية بان ولدته من غير مسيس فحذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه عم ابنها وكونها امه للايذان
من اول الامر بحيثية كونهما آية فان نسبته عم اليها مع ان النسب الى الآباء دالة على ان لا اب له اى جعلنا
ابن مريم وحدها من غير ان يكون له اب وامه التي ولدته خاصة من غير مشاركة الاب آية وتقديمه عم
لاصالته فيما ذكر من كونه آية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها وابنها آية للعالمين لاصالتها فيما
نسب اليها من الاحصان والنفخ وآويناهما الى ربوة اى ارض مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها
مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها
وقيل فلسطين والرملة وقيل مصر فان قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها ورباوة بالكسر والضم ذات
قرار مستقر من ارض منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها
ساكنوها ومعين اى وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشي او من الماعون
وهو النفع لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون وصف ماء هاتيك
الربوة بذلك لكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره
المونق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول الله صلى الله عم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول
في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء عيسى عم وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم تكن من
خصائصه عم بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اى وقلنا لكل
رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة الجمع عند الحكاية
اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهابنة من رفض الطيبات ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر
لعيسى عم واقاله عندنا واتى آواه الى الربوة ليقتدي بها الرسل في تناول ما رزقوا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم
وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والكلبي انه خطاب لرسول الله صلى الله عم وحده على دأب العرب في مخاطبة
الواحد بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل في حيازة كمالاتهم والطيبات ما يستطاب ويستلذ
من مباحات الماكل والفواكه كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وسباقه واعملوا صالحا اى عملا صالحا
فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة عليم فاجازيكم عليه وان
هذه استيناف داخل فيما خوطب به الرسل عم على الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما
امر به كافة الرسل عم والامم وانما اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد وانتظامها
بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة امتكم اى ملتكم وشريعتكم ايها الرسل امة واحدة اى ملة وشريعة متحدة
في اصول الشرائع التي لا تتبدل بتبدل الاعصار وقيل هذه اشارة الى الامم المؤمنة للرسل والمعنى ان هذه
جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة وانا ربكم من غير ان يكون لي شريك في الربوبية
وضمن ذلك اختصاص العبادة بي فاتقون اى في شق العصا والمخالفة بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص
الربوبية بي والخطاب للرسل والامم جميعا على ان الامر في حق الرسل للتهييج والالهاب وفي حق الامم للتحذير والايجاب
والفاء لترتيب الامر او وجوب الامتثال به على ما قبله من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما
موجب للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اى ولان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم
فاتقون اى فاتقون كما مر في قوله تعالى فاياي فارهبون وقيل هو عطف على ما اى اني عليم بان امتكم امة واحدة

الخ وقيل على حذف فعل عامل فيه اى واعلموا ان هذه امتكم الخ وقرئ وان هذه على انها مخففة من أنّ فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على التفسيرين والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة تقبيح حالهم اى تقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا اى قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء جمع زبرة وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا او مفعول ثان له فان تقطع بمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير المضاف اى مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من اولئك المتحزبين بما لديهم من الدين الذى اختاروه فرحون معجبون معتقدون انه الحق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم فيه من الجهالة بالماء الذى يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ غمراتهم والخطاب لرسول الله عم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اى اتركهم على حالهم حتى حين هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والاخرة وتسلية لرسول الله عم ونهى له عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وفي التنكير والابهام ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما نمدهم به اى نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله تعالى من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف لاجزائه وانما الخبر قوله تعالى نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اى ايحسبون ان الذى نمدهم به من المال والبنين نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار الواقع واستقباحه وقوله تعالى بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى كلا لا نفعل ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان ذلك الامداد استدراج لهم واستجرار الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون استئناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار عنها وابطال حسبانهم الكاذب اى من خوف عذابه حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك عبر عن الايمان بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان وعدم الاشراك والذين يؤتون ما آتوا اى يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اى يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة حال من فاعل يؤتون او يأتون اى يؤتون ما آتوه او يفعلون ما فعلوه من العبادات والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف انهم الى ربهم راجعون اى من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كأنه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون وبآيات ربهم يؤمنون الخ وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات بأمرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اى اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اى في نيل الخيرات التي من جملتها الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الاية وهم لها سابقون اى اياها سابقون واللام لتقوية العمل كما في قوله تعالى هم لها عاملون اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد بالخيرات الطاعات والمعنى

والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون السبق او لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستأنفة سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدى الى نيل الخيرات ببيان سهولته وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اى عادتنا جارية على ان لا نكلف نفسا من النفوس الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان ان الله تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء ولدينا كتاب الخ تتمة لما قبله ببيان احوال ما كلفوه من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من الحساب والثواب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤ عند الحساب حسبما يعرب عنه قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اى عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال الاولين والاخرين ومن جملتها اعمالكم ايضا وقوله بالحق متعلق بينطق اى يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب او بزيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما قبله من التكليف وكتب الاعمال اى لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب اعمالهم التي من جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل يكتب كل منها على مقدارها وطبقاتها والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى نعد الاثابة بما دونها نقصا وكذا الاعمال السيئة لا توجب درجة معينة من العذاب حتى نعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذا التكليف بما في الوسع وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحانية عنها بتصويرها بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قيل اى بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذى بين في القرآن من ان لديه تعالى كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سبق من قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الآية وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة من دون ذلك الذى ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما سبق من طعنهم في القرآن حسبما ينبئ عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به اولئك من الاعمال الحسنة المؤمنين وقيل متخطية لما هم عليه من الشرك هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اى متنعميهم الذين امدهم الله تعالى بما ذكر من المال والبنين وحتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام المذكور بعدها غاية لما قبلها من معنى الرغبة اى لا يزالون يعملون اعمالهم السيئة الى حين اخذنا مترفيهم بالعذاب قيل هو القتال والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين دعا رسول الله عم عليهم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والحق انه العذاب الاخروي اذ هو الذي يفاجئون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله عم لكن لم يرد عليه بالاقناط حيث روى انه عم دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم يجأرون اى فاجأوا الصراخ بالاستغاثة من الله تعالى وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم ايضا لغاية ظهور انعكاس حالهم وانتقالهم ومن كون ذلك اشق عليهم ولانهم مع كونهم متمنعين محميين بحماية غيرهم من المنتصب

والجئير حين لقوا ما لقوا من الحالة الفظيعة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى وادوم لا تجأروا
اليوم على اضمار القول مسوقا لردهم وتبكيتهم واقناطهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاغاثة والاعانة
من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه جواب الشرط
وانت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجأتهم الى الجؤار غير
مقصود اصلي وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا يلحقكم من جهتنا
نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لان جؤارهم ليس الى غيره
تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الخ صريح
في انه تعليل لما ذكر من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النصر المنفي من
الغير لعلل بعجزه وذلته او بعزة الله تعالى وقوته اي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على اعقابكم
تنكصون اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
مستكبرين به اي بالبيت الحرام او بالحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم بانهم خدامه وقوامه
او بآياتي الذي عبر عنه بآياتي على ان الاستكبار بمعنى التكذيب او لان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب
استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامرا اي تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه حيث كانوا يجتمعون
حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا والسامر كالحاضر في
الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق بقوله تعالى تهجرون
من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اي تهذون في شأن القرآن او تتركونه او من الهجر بالضم وهو الفحش و
يؤيده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش فيه وقرئ تهجّرون من هجّر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى
افلم يدبروا القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي افعلوا ما
فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يدبروا القرآن ليعرفوا بما فيه من اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار
عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوا في شأنه من القبائح وام في قوله تعالى ام جاءهم ما لم يأت
آباءهم الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بآخر والهمزة لانكار
الوقوع لا لانكار الواقع اي بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الاولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا
فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجيء الكتب من جهته تعالى الى الرسل عليهم السلام سنة قديمة له تعالى
لا يكاد يتسنى انكاره وان مجيء القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى
ما لم يأت آباءهم الاولين كاسمعيل عم واعقابه من عدنان ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد
بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فآمنوا به تعالى وبكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم
اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر والهمزة لانكار الوقوع ايضا اي بل ألم يعرفوه عم بالامانة
والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة
بالانبياء عليهم السلام فهم له منكرون اي جاحدون بنبوته فجحودهم بها مترتب على عدم معرفتهم بشأنه
عم ومن ضرورة انتفاء المبني بطلان ما بني عليه اذ هم عارفون به عم فهو تأكيد لما قبله ام يقولون
به جنة انتقال الى توبيخ آخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل أيقولون به جنة اي جنون مع انه ارجح
الناس عقلا واثقبهم ذهنا واتقنهم رأيا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي
اثنان منها يتعلقان بالقرآن واثنان به عم الترقي من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر
وذلك يتحقق مع كون القول غير متعرض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشيء لو اتصف به القول لكان سببا لعدم
تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول عم من عدم معرفتهم به وذلك يتحقق بعدم المعرفة به بخصوصه
ثم بما لو كان فيه عم ذلك لقدح في رسالته بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر
كما زعموا في حق القرآن والرسول عم بل جاءهم بالحق اي الصدق الثابت الذي لا محيد عنه اصلا ولا مدخل
فيه للباطل بوجه من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار
في موضع الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج

الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي الا عدم كراهة الباقين لكل حق
من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتأمل وقيل تقييد الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان
استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا لكراهة الحق وانت خبير بان التعرض لعدم
كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم
استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته اياها مقتضية للطامة
اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به عم موافقا لاهوائهم الباطلة لفسدت السموات و
الارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام ليس الا ذلك وفيه من
تنويه شان الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به عم اهواءهم
وانقلب شركا لجاء الله تع بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه انه لا يلائم فرض مجيئه عم به وكذا
ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية مما لا احتمال
له اصلا بل اتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم بكراهة الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما
جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم حسبما ينطق
به قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه
اكمل اقبال فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم اي فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك
مما لا يوجب الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع المضمر مزيد تشنيع لهم وتقريع والفاء
لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من ايتاء ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الايتاء مطلقا فان
المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو ايتاء ذكرهم لا الايتاء مطلقا وفي اسناد الايتاء بالذكر الى
نون العظمة بعد اسناده الى ضميره عم تنويه لشان النبي عم وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل
وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عم بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر
من النكتة السرية والحكمة العبقرية ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية ما جاء به هو الذي
يقتضيه مقام حكاية ما قال المبطلون في شأنه واما التذكير فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله صلى
الله عليه وسلم
احد المشرفين وقيل المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم وايد ذلك
بانه قرئ بذكراهم والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن وعظهم ليس في مثابة اعراضهم عن شرفهم
وعن ذكرهم الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم
ام يقولون به جنة الى التوبيخ بوجه آخر كأنه قيل ام يزعمون انك تسألهم على اداء الرسالة خرجا
اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون بك قوله تعالى فخراج ربك خير اي رزقه في الدنيا وثوابه في الآخرة
تعليل لنفي السؤال المستفاد من الانكار اي لا تسألهم ذلك فان ما رزقك الله تعالى في الدنيا والعقبى خير لك
من ذلك وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من تعليل الحكم وتشريفه عم ما لا يخفى
والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخرج اخص من الخراج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم
وقيل خرجا فخرج وخراجا فخراج وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه تع وانك لتدعوهم الى
صراط مستقيم تشهد العقول السليمة باستقامته ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من
الوجوه ولقد الزمهم الله عز وجل وازاح عللهم في هذه الآيات حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار
والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون بالآخرة وصفوا بذلك
تشنيعا لهم بما هم عليه من الانهماك في الدنيا وزعمهم ان لا حيوة الا الحيوة الدنيا واشعارا بعلة الحكم
فان الايمان بالآخرة وخوف ما فيها من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط
اي عن جنس الصراط لناكبون لعادلون فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي تدعوهم
اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم لما انه ينبئ عن كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه
اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي قحط وجدب للجوا لتمادوا في

طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عم والمؤمنين يعمهون اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عم فقال له انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين ثم قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب استيناف مسوق للاستشهاد على مضمون الشرطية والمراد بالعذاب ما نالهم يوم بدر من القتل والاسر وما اصابهم من فنون العذاب التي من جملتها القحط المذكور واللام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بعد ذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه اما استفعال من الكون لان الخاضع ينتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله وما يتضرعون اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم التضرع اليه تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد هو عذاب الآخرة كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون اي متحيرون آيسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما رؤي منهم لين مقادة وتوجه الى الاسلام قط واما ما اظهره ابو سفيان من الاستكانة له تعالى والتضرع اليه في شيء انما هو نوع خنوع الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا واذا شبع طغى واكثرهم مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الآخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من القتل والاسر والمعنى اخذناهم اولا بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار لتشاهدوا بها الآيات التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها فيما تشاهدونه وتعتبروا اعتبارا لائقا قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا لا يعتد به تلك النعم الجليلة لان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها نعم باهرة الى ما خلقت هي له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون يوم القيامة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شيء من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار اي هو المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او في اختلافهما ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون او اتتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الممكنات التي من جملتها البعث وقرئ يعقلون على الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء الخطاب لغيرهم وقيل على الخطاب الاول لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون اي آباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا اي البعث من قبل متعلق بالفعل من حيث اسناده الى آبائهم لا اليهم اي ووعد آباؤنا من قبل او بمحذوف وقع حالا من آباؤنا اي كائنين من قبل ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين اي اكاذيبهم التي سطروها جمع اسطورة كاحدوثة واعجوبة وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه اي ان كنتم تعلمون شيئا ما فاخبروني به فان ذلك كاف في الجواب وفيه من المبالغة في وضوح الامر وفي تجهيلهم ما لا يخفى او ان كنتم تعلمون ذلك فاخبروني وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث قيل سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اي عند اعترافهم بذلك تبكيتا لهم افلا تذكرون اي اتعلمون ذلك او تقولون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء

ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس في قياس العقل وقرئ تذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد لفظ الرب تنويها لشان العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعي في الامر بالسؤال الترقي من الادنى الى الاعلى سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو في معنى واحد وقرئ بغير اللام نظرا الى لفظ السؤال قل افحاما لهم وتوبيخا افلا تتقون اي اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث وتثبتون له شريكا في الربوبية قل من بيده ملكوت كل شيء مما ذكر وما لم يذكر اي ملكه التام القاهر وقيل خزائنه وهو يجير اي يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اي ولا يغيث احد عليه اي لا يمنع احد منه بالنصر عليه ان كنتم تعلمون اي شيئا ما وذلك فاجيبوني على ما سبق سيقولون لله اي لله ملك كل شيء وهو الذي يجير ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اي فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم به الى ما انتم عليه من الغي فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث وانهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما يقوله النصارى والقائلون ان الملئكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من اله يشاركه في الالوهية كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم اذا لذهب كل اله بما خلق جواب لمحاجتهم وجزاء لشرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه آلهة كما يزعمون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه من ملك الآخر ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجاري فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شيء وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون اي يصفونه من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وايا ما كان فهو دليل آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم في تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى عما يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني اي ان كان لابد من ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوي المستأصل واما العذاب الاخروي فلا يناسبه المقام رب فلا تجعلني في القوم الظالمين اي قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياه واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به عم هضما لنفسه وقيل لان شؤم الكفرة قد يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروي انه تعالى اخبر نبيه عم بان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط والجزاء به لابراز كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم من العذاب لقادرون ولكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم او بعض اعقابهم سيؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا هائلا مستأصلا لا يظهر على يديه عم للحكمة الداعية اليه ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن لا بحيث يؤدي الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم الجار والمجرور على المفعول في الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عم وارشاد له الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اي وساوسهم المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التي من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصي بهمز الرائض الدواب على الاسراع والوثب والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون

امرهم بان يعوذ به تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ به من همزاتهم للمبالغة في التحذير عن ملابستهم واعادة
الفعل مع تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال في الاستدعاء اي اعوذ بك
من ان يحضروني في حال من الاحوال وتخصيص حال الصلوة وقراءة القرآن كما روي عن ابن عباس
وحال حلول الاجل كما روي عن عكرمة لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء احدهم الموت
حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ودخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة بيصفون وما
بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة به تعالى من الشياطين ان يزلوه عن الحلم ويغروه على الانتقام
لكن لا بمعنى انه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول لمحذوف يدل عليه ذلك وتعلقها بكاذبون
في غاية البعد لفظا ومعنى اي يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم اي احد كان الموت الذي لا
مرد له وظهرت احوال القيمة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعة رب ارجعون اي ردني
الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا نبك ونظائره لعلي اعمل
صالحا فيما تركت اي في الايمان الذي تركته لم انظمه في سلك الرجاء كسائر الاعمال الصالحة بان يقول
لعلي اومن فاعمل الخ للاشعار بانه امر مقرر الوقوع غني عن الاخبار بوقوعه قطعا فضلا عن كونه
مرجو الوقوع اي لعلي اعمل في الايمان الذي آتي به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركت من المال او من الدنيا
وعنه عم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما
الى الله تبارك وتعالى واما الكافر فيقول ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها اي
قوله رب ارجعون الخ كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم اي امامهم والضمير للاحد
والجمع باعتبار المعنى لانه في حكم كلهم كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ برزخ حائل بينهم وبين
الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلي عن الرجعة الى الدنيا لما علم انه لا رجعة بعد البعث الى الدنيا
وانما الرجعة يومئذ الى الحيوة الاخروية فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة وهي النفخة الثانية التي تقع
عند البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ في الاجساد ارواحها على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده
القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة واستيلاء
الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون بها يومئذ كما هي بينهم
اليوم ولا يتساءلون اي لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا يناقضه قوله تعالى فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذاك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه موزونات
حسناته من العقائد والاعمال اي فمن كانت له عقائد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن وقدر عند الله
تعالى فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب ومن خفت موازينه ومن لم
يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عنده تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
وقد مر تفصيل ما في هذا المقام من الكلام في تفسير سورة الاعراف فاولئك الذين خسروا انفسهم ضيعوها
بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة في الموضعين عبارة عن الموصول
وجمعه باعتبار معناه في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها
واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا منه وتخصيص الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن
المعاصي المؤدية الى النار وهو السر في تقديمها على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص
الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن آياتي تتلى عليكم على اضمار القول اي يقال لهم تعنيفا
وتوبيخا وتذكيرا لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم بها تكذبون
ح قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا التي اقترفناها بسوء اختيارنا كما ينبئ عنه اضافتها الى انفسهم
وقرئ شقاوتنا بالفتح وشقاوتنا بالكسر وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا
ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف منهم بان ما اصابهم قد اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه
اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية مع انه باطل في نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة
والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا

ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اي اخرجنا من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى
ما كنا عليه من الكفر والمعاصي فانا متجاوزون الحد في الظلم ولو كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر
عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعة وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا
الشأن لا يفعلها لا احدهما قال اخسئوا فيها اي اسكتوا في النار سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار
الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته فخسأ اي انزجر ولا تكلمون اي باستدعاء الاخراج
من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون في رفع العذاب ويرده التعليل الآتي وقيل لا تكلمون راسا وهو
آخر كلام تكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلب لا يفهمون ولا يفهمون
ويرده الخطابات الآتية قطعا وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر عن الدعاء اي ان الشأن
وقرئ بالفتح اي لان الشأن كان فريق من عبادي وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة
رضوان الله عليهم اجمعين يقولون في الدنيا ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم
سخريا اي اسكتوا عن الدعاء بقولكم ربنا الخ لانكم كنتم تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا آمنا وتشاغلوا
باستهزائهم حتى انسوكم اي الاستهزاء بهم ذكري من فرط اشتغالكم باستهزائهم وكنتم منهم تضحكون وذلك
غاية الاستهزاء وقوله تعالى اني جزيتهم اليوم استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما آذوهم بما
صبروا بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم هم الفائزون ثاني مفعولي الجزاء اي جزيتهم فوزهم
بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه تعليل للجزاء وبيان لكونه في غاية ما يكون من الحسن على
قال اي الله تعالى عز وجل او الملك المأمور بذلك تذكيرا لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه
استحالته بقوله تعالى اخسئوا فيها الخ وقرئ قل على الامر للملك كم لبثتم في الارض التي تزعمون ان ترجعوا
اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسأل العادين اي المتمكنين
من العد فانا بما دهمنا من العذاب بمعزل من ذلك او الملائكة العادين لاعمار العباد واعمالهم وقرئ العادين
بالتخفيف اي الظلمة فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم
وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اي الله تعالى او الملك وقرئ
قل كما سبق ان لبثتم الا قليلا تصديقا لهم في ذلك لو انكم كنتم تعلمون اي تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم
والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه
ولم تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم بغير حكمة بالغة حتى انكرتم
البعث فعبثا حال من نون العظمة اي عابثين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون
عطف على انما اي فحسبتم ان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنتعبدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ ترجعون
بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التي تصرف عليها عباده من البدء والاعادة و
الاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اي ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وافعاله
واحواله وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذي يحق له الملك على الاطلاق
ايجادا واعداما بدأ واعادة احياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك له مقهور تحت ملكوته لا
اله الا هو فان كل ما عداه عبيده فكيف يتخذ ومحاط به من الموجودات كائنا ما
كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحي الذي منه القرآن الكريم او الخير والبركة والرحمة او لنسبته الى
اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة الرب كما في قوله تعالى ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله
الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة لازمة لالها كقوله تعالى يطير بجناحيه جئ
بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت بديهة العقول
بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان فالله مثيبه فانما
حسابه عند ربه فهو مجاز له على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اي ان الشأن الخ وقرئ بالفتح
على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون موضع الضمير
لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم انهم لا يفلحون بدئت السورة الكريمة

تقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفي الفلاح عن الكافرين ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام
فقيل وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين إيذانا بأنهما من أهم الأمور الدينية حيث أمر به من قد غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف بمن عداه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح
والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد أنزلت علي عشر
آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر وروي أن أولها وآخرها
من كنوز الجنة من عمل بثلاث آيات من أولها واتعظ بأربع من آخرها فقد نجا وأفلح والله أعلم

سورة النور مدنية أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف أي هذه سورة وإنما أشير إليها مع عدم سبق ذكرها لأنها باعتبار كونها في شرف الذكر
في حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى أنزلناها مع ما عطف عليه صفات لها مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة
من حيث الصفات وأما كونها مبتدأ محذوف الخبر على أن يكون التقدير فيما أوحينا إليك سورة أنزلناها فيأباه أن
مقتضى المقام بيان شأن هذه السورة الكريمة أنها كذا وكذا وحملها على السورة الكريمة بمعونة المقام يوهم أن غيرها من
السور الكريمة ليست على تلك الصفات وقرئ بالنصب على إضمار فعل يفسره أنزلناها فلا محل له من الإعراب أو على
تقدير اقرأ أو نحوه أو دونك عند من يسوغ حذف أداة الإغراء فمحل أنزلنا النصب على الوصفية وفرضناها
أي أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجابا قطعيا وفيه من الإيذان بغاية وكادة الفرضية ما لا يخفى وقرئ فرّضناها
بالتشديد لتأكيد الإيجاب أو لتعدد الفرائض أو لكثرة المفروض عليهم من السلف والخلف وأنزلنا فيها أي في تضاعيف السورة
آيات بينات إن أريد بها الآيات التي نيطت بها الأحكام المفروضة وهو الأظهر فكونها في السورة ظاهر ومعنى
كونها بينات وضوح دلالتها على أحكامها لا على معانيها على الإطلاق فإنها أسوة لسائر الآيات في ذلك وتكرير
أنزلنا مع استلزام إنزال السورة لإنزالها لإبراز كمال العناية بشأنها وإن أريد جميع الآيات فالظرفية باعتبار
اشتمال الكل على كل واحد من أجزائه وتكرير أنزلنا مع أن جميع الآيات عين السورة وإنزالها عين إنزالها لاستقلالها
بعنوان رائق داع إلى تخصيص إنزالها بالذكر إبانة لخطرها ورفعا لمحلها كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب
غليظ بعد قوله نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف إحدى التاءين وقرئ
بإدغام الثانية في الذال أي لكي تتذكروا فتعملوا بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية إلى إجراء أحكامها
وفيه إيذان بأن حقها أن يكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة إليها استحضروها الزانية والزاني شروع
في تفصيل ما ذكر من الآيات البينات وبيان أحكامها والزانية هي المرأة المطاوعة للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه
الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزاني لأنها الأصل في الفعل لكون الداعية فيها أوفر ولولا تمكينها
منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمن المبتدأ
معنى الشرط إذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التي زنت والذي زنى كما في قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما
وقيل الخبر محذوف أي فيما أنزلنا أو فيما فرضنا الزانية والزاني أي حكمهما وقوله تعالى فاجلدوا إلخ بيان
لذلك الحكم وكان هذا عاما في حق المحصن وغيره وقد نسخ في حق المحصن قطعا ويكفينا في تعيين الناسخ
القطع بأنه عليه السلام قد رجم ماعزا وغيره فيكون من باب نسخ الكتاب بالسنة المشهورة وفي الإيضاح الرجم حكم
ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه جلدتها
بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ بآية منسوخة التلاوة هي الشيخ والشيخة إذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه ما روي عن علي رضي الله عنه ولا تأخذكم بهما رأفة
وقرئ بفتح الهمزة وبالمد أيضا على فعالة أي رحمة ورقة في دين الله في طاعته وإقامة حده فتعطلوه أو تسامحوا
فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سرقت فاطمة لقطعت يدها إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من
باب التهييج والإلهاب فإن الإيمان بهما يقتضي الجد في طاعته تعالى والاجتهاد في إجراء أحكامه وذكر اليوم الآخر
لتذكير ما فيه من العقاب في مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ولتحضره زيادة
في التنكيل فإن التفضيح قد ينكل أكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن أن تكون حافة حول الشيء من

من الطوف وأقلها ثلاثة أو أربعة وروي عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أربعة إلى أربعين وعن الحسن عشرة والمراد جمع
يحصل به التشهير والزجر الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك حكم مؤسس
على الغالب المعتاد جيء به لزجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا بهن وقد رغب من ضعفة المهاجرين
في نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنفروا عنه ببيان
أنه من أفعال الزناة وخصائص المشركين كأنه قيل الزاني لا يرغب إلا في نكاح إحداهما والزانية لا يرغب في
نكاحها إلا أحدهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا في سلكهما أو تتسموا بسمتهما فإيراد الجملة الأولى مع أن مناط التنفير
هي الثانية إما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استأذنوا في نكاحهن أو لتأكيد العلاقة بين الجانبين
مبالغة في الزجر والتنفير وعدم التعرض في الجملة الثانية للمشركين للتنبيه على أن مناط الزجر والتنفير هو
الزنا لا مجرد الإشراك وإنما تعرض لها في الأولى إشباعا في التنفير عن الزانية بنظمها في سلك المشركة وحرم
ذلك أي نكاح الزواني على المؤمنين لما أن فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء المقالة والطعن
في النسب واختلال أمر المعاش وغير ذلك من المفاسد ما لا يكاد يليق بأحد من الأداني والأراذل فضلا عن المؤمنين
ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة في الزجر وقيل النفي بمعنى النهي وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم
إما مخصوص فإنه متناول للمسافحات ويؤيده ما روي أنه عليه السلام سئل عن ذلك فقال أوله سفاح وآخره نكاح
والحرام لا يحرم الحلال وما قيل من أن المراد بالنكاح هو الوطء فبين البطلان والذين يرمون المحصنات
بيان لحكم العفائف إذا نسبن إلى الزنا بعد بيان حكم الزواني وفي التعبير بالإحصان ههنا مع مدلوله الوضعي الذي هو
العفة عن الزنا الحرية والبلوغ والإسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة
الآلة وإيلام المرمي وبعده عن الرامي إيذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد به رميهن بالزنا
لا غير وعدم التصريح به للاكتفاء بإيرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالإحصان الدال بالوضع على نزاهتهن عن
الزنا خاصة فإن ذلك بمنزلة التصريح بكون رميهن به لا محالة ولا حاجة في ذلك إلى الاستشهاد باعتبار
الأربعة من الشهداء على أن فيه مصادرة لبيان تأخر نزول الآية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن أربعة ولا بعدم
وجوب الحد بالرمي بغير الزنا على أن فيه شبهة المصادرة كأنه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين
به من الزنا ثم لم يأتوا بأربعة شهداء يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم إشعار بجواز تأخير
الإتيان بالشهود كما أن في كلمة لم إشارة إلى تحقق العجز عن الإتيان بهم وتقرره خلا أن اجتماع الشهود لا
بد منه عند الأداء خلافا للشافعي رحمه الله فإنه يجوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ولا
يجوز أن يكون أحدهم زوج المقذوفة خلافا له وقرئ بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور
كذبهم وافترائهم بعجزهم عن الإتيان بالشهداء لقوله تعالى فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون
وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع أن حكم رمي
المحصنين أيضا ذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة عطف على اجلدوا وداخل
في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لأنه مؤلم للقلب كما أن الجلد مؤلم للبدن وقد آذى المقذوف بلسانه
فعوقب بإهدار شهادته جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها
نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن أهليتهم الثابتة
لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والإسلام لأنها ليست ناشئة
لها الرد فبه يندفع عنك ما قيل من أن المسلمين لا يعبأون بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر
من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فإن ذلك بدون ما مر من الاعتبار [illegible] النص ولا يخفى حاله
فالمعنى لا تقبلوا لهم شهادة من الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي أبدا أي مدة حياتهم وإن تابوا
وأصلحوا لما عرفت من أنه تتمة للحد كأنه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم أي فاجمعوا لهم الجلد والرد
فيبقى كأصله وأولئك هم الفاسقون كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل
وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد أي أولئك هم المحكوم عليهم
بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كأنهم هم المستحقون لإطلاق اسم الفاسق

عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى **الا الذين تابوا** استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل الآتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب وقوله تعالى **من بعد ذلك** لتهويل المتوب عنه اي من بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل **واصلحوا** اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي والتدارك ومن الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف **فان الله غفور رحيم** تعليل لما يفيده الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه تعالى مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وقد علق الشافعي رحمه الله الاستثناء بالنهي فمحل المستثنى ح الجر على البدلية من الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه قاذفا فتنتهي بالتوبة فتقبل شهادته بعدها **والذين يرمون ازواجهم** بيان لحكم الرامين لازواجهم خاصة بعد بيان حكم الرامين لغيرهن لكن لا على ان يكون هذا مخصصا لتلك مخصصا بالاجنبيات ليلزم بقاء الاية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط التخصيص ان لا يكون المخصص متراخي النزول بل يكون ناسخا للعموم فمر تراخيه وههنا كما سياتي فينبغي الاية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما بين في موضعه ان دليل النسخ غير معلل **ولم يكن لهم شهداء** يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتاء بتأنيث الفعل **الا انفسهم** بدل من شهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر بعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمهم في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله تعالى **فشهادة احدهم** اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى **اربع شهادات** خبره اي فشهادتهم المشروعة اربع شهادات **بالله** متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع شهادات بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انه اما خبر لمبتدأ محذوف اي فالواجب شهادة احدهم واما مبتدأ محذوف الخبر اي فشهادة احدهم واجبة **انه لمن الصادقين** اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه الخ فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنها للتاكيد **والخامسة** اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق الخبر واظهار الصدق وهي مبتدأ خبره **ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين** فيما رماها به من الزنا فاذا لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن **ويدرأ عنها العذاب** اي العذاب الدنيوي وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب **ان تشهد اربع شهادات بالله انه** اي الزوج **لمن الكاذبين** اي فيما رماني به من الزنا **والخامسة** بالنصب عطفا على اربع شهادات **ان غضب الله عليها ان كان** اي الزوج **من الصادقين** اي فيما رماني من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتداء وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي ان اية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال لعاصم ما وراءك قال شر وجدت على امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فنزلت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا **ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم** التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وانه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته

انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعدما شرع لهم ذلك لو جعل شهاداته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة وآثار التفضل والرحمة ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فهو امهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان توابيته تعالى سبحانه ما اعظم شانه واوسع رحمته وادق حكمته **ان الذين جاءوا بالافك** اي بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله الافك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله عنها وفي لفظ المجيء اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله عنها فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه بعد نزول اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت اني سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينا انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما رآني عرفني فاستيقظت باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينما الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض الناس في حديثي فهلك من هلك وقوله تعالى **عصبة منكم** خبر ان اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقوله تعالى **لا تحسبوه شرا لكم** استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان رضي الله عنهم تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك **بل هو خير لكم** لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله عز وجل بانزال ثماني عشرة اية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شانكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا **لكل امرئ منهم** اي من اولئك العصبة **ما اكتسب من الاثم** بقدر ما خاض فيه **والذي تولى كبره** اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه **منهم** من العصبة وهو ابن ابي فانه بدأ به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو حسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به فافراد الموصول ح باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما **له عذاب عظيم** اي في الآخرة او في الدنيا ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى **لولا اذ سمعتموه** تلوين للخطاب وصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول عنه الى الغيبة في قوله تعالى **ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا** لتاكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه

الدالة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان بالمحضض عليه ويقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم
عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اى
بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله تعالى
ولا تلمزوا انفسكم مما لا ريب فيه فاخلالهم بموجب ذلك الوصف اقبح واشنع والتوبيخ عليه ادخل مع ما
فيه من التوسل به الى التصريح بتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الايمان الكامل الحقيقي
فايجابه لما ذكر واضح والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا
فايجابه له من حيث انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ متوجه الى الكل وتوسيط
الظرف بين لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تاخر الاتيان بالمحضض
عليه عن ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به رأسا في غاية ما يكون من القباحة
والشناعة اى كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة
من غير تلعثم وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك الآن هذا افك مبين
اى ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف بالصديقة ابنة الصديق رضي الله عنهما ام المؤمنين
حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاءوا عليه باربعة شهداء اما من تمام القول
المحضض مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر تكذيب ما سمعوه منهم بقولهم هذا
افك مبين وتوبيخهم على تركه اى هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فاذ لم ياتوا
بهم وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلوهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اى اولئك المفسدون عند الله اى في حكمه وشرعه
المؤسس على الدلائل الظاهرة المتقنة هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون
لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة واما كلام مبتدأ مسوق من جهته
تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل اصلا ولولا فضل الله عليكم
ورحمته خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا من فنون النعم التي من جملتها الامهال
للتوبة والآخرة من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة بعد التوبة لمسكم عاجلا فيما
افضتم فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره
يقال افاض في الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ
والجلد اذ تلقونه بحذف احدى التاءين ظرف لمسكم اى لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم
اياه من المخترعين بالسنتكم فالتلقي والتلقف والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى
الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف والاخذ بسرعة وفي الثالث معنى الحذق والمهارة وقرئ
تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه
بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه اذا طلبتموه
فوجدتموه وتقفونه اى تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اى تقولون
قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم
به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا
تبعة له او ليس له كثير عقوبة وهو عند الله والحال انه عنده عز وجل عظيم لا يقادر
قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخترعين والمشايعين لهم قلتم
تكذيبا لهم وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا
ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة والاستقامة
والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسيط الظرف بين لولا وفعلها لما مر من تخصيص
التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تاخير القول المذكور عن ذلك
الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه واما ترك القول نفسه

فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعليها ايضا ينبغي ان
يحمل ما قيل ان المعنى انه كان الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم
به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما ما قيل من ان ظروف الاشياء
منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فهي [illegible]
تستعمل فيما اذا وقع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا صريحا لفعل مذكور كما في قوله تعالى واذكروا
اذ جعلكم خلفاء او وقع خبرا كما في الظروف المنصوب باضمار اذكر واما فيما نحن فيه فلا حاجة اليها اصلا لما
تحققت من مناط التقديم وتوجيه التخصيص اليه وذلك يتحقق في جميع متعلقات الفعل كما في قوله تعالى
[illegible] سبحانك تعجب ممن تفوه به واصله ان يذكر عند معاينة العجيب
٥ من صنائعه تعالى تنزيها له تعالى عن ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه او
تنزيه له تعالى من ان يكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل بمقصود الزواج بخلاف
كفر الزوجة [illegible] هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة صدقه فان
حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله اى كراهة
ان تعودوا او [illegible] ابدا اى
مدة حياتكم ان كنتم مؤمنين فان الايمان [illegible] ويبين الله لكم الآيات
الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب [illegible]
[illegible] والله عليم [illegible] حكيم [illegible]
[illegible] ان الذين يحبون
[illegible] ان تشيع الفاحشة [illegible]
[illegible] في الذين آمنوا [illegible]
[illegible] لهم عذاب اليم في الدنيا [illegible]
[illegible] والآخرة [illegible] والله يعلم [illegible] وانتم لا تعلمون [illegible]
[illegible]
[illegible] ولولا فضل الله عليكم ورحمته [illegible]
[illegible] وان الله رؤوف رحيم [illegible]

تحقيق لما ان المراد بيان اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة وبالرحيمية التي هي المبالغة
فيها على الدوام والاستمرار لا بيان حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما ان المراد بالمعطوف عليه وجواب
لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اى لا تسلكوا
مسالكه في كل ما تأتون وما تذرون من الافاعيل التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات
بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان وضع الظاهران موضع ضميرهما حيث لم يقل
ومن يتبعها او ومن يتبع خطواته لزيادة التقرير والمبالغة في التنفير والتحذير فانه يأمر بالفحشاء
والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كأنه قيل فقد ارتكب الفحشاء والمنكر لان دأبه المستمر ان
يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بأمره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه كالفاحشة والمنكر ما ينكره
الشرع وضمير انه للشيطان وقيل للشأن على رأى من لا يوجب عود الضمير من الجملة الجزائية الى اسم
الشرط او على ان الاصل بأمره وقيل هو عائد الى من اى فان ذلك المتبع يأمر الناس بهما لان شأن
الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال والافساد
ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملتها هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحية للذنوب
وتشريع الحدود المكفرة لها ما زكى اى ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى بالتشديد اى ما طهر الله تعالى
منكم من احد من الاولى بيانية وفي قوله تعالى من احد زائدة واحد في حيز الرفع على الفاعلية
على القراءة الاولى وفي محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ابدا لا الى نهاية ولكن الله
يزكي يطهر من يشاء من عباده بافاضة آثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه
كما فعل بكم والله سميع مبالغ في سمع الاقوال التي من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات
التي من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص في التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية
للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولا يأتل اى لا يحلف افتعال من الالية وقيل
لا يقصر من الألو والاول هو الاظهر لنزوله في شأن الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على
مسطح بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل
أولو الفضل منكم في الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضي الله عنه والسعة في المال ان
يؤتوا اى على ان لا يؤتوا وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات أولي القربى والمساكين والمهاجرين في
سبيل الله صفات لموصوف واحد جيء بها بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاق
الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هي مقامها وحذف المفعول الثاني لغاية ظهوره اى على ان لا يؤتوهم شيئا
وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء عنه وقد قرئ الامران بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى الا تحبون
ان يغفر الله لكم اى بمقابلة عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مبالغ في
المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب
عظيم في العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل الا تحبون ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روي
انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابي بكر رضي الله عنه فقال بلى احب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح نفقته
وقال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اى العفائف مما رمين به من الفاحشة الغافلات
عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شيء منها ولا من مقدماتها اصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة
ما ليس في المحصنات او السليمات الصدور والنقيات القلوب عن كل سوء المؤمنات اى المتصفات بالايمان
بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرها ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه
تأخير المؤمنات عما قبلها مع اصالته وصف الايمان فانه للايذان بان المراد بها المعنى الوصفي المعرب
عما ذكر لا المعنى الاسمي المصحح لاطلاق الاسم في الجملة كما هو المتبادر على تقدير التقديم والمراد بها
عائشة الصديقة رضي الله عنها والجمع باعتبار ان رميها رمي لسائر ازواج المؤمنين لاشتراك الكل
في العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين
ونظائره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيهن الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من ان المراد هي

هي

هي الصديقة والجمع باعتبار استتباعها للمتصفات بالصفات المذكورة من نساء الامة فيأباه ان العقوبات
المرتبة على رمي هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب في ان رمي غير امهات المؤمنين
ليس بكفر فيجب ان يكون المراد بها امهات المؤمنين على احد الوجهين فانهن قد خصصن من بين سائر المؤمنات
فجعل رميهن كفرا ابرازا لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله احد
ليتوجه ان ابن عباس جعله اغلظ من سائر افراد الكفر حين سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب
ذنبا ثم تاب منه قبلت توبته الا من خاض في امر عائشة رضي الله عنها وهل هو منه رضي الله عنه
الا للتهويل امر الافك والتنبيه على انه امر غليظ لعنوا بما قالوا في حقهن في الدنيا والآخرة
حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين والملائكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الابدي عذاب عظيم هائل
لا يقادر قدره لغاية عظم ما اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم الخ اما متصل
بما قبله مسوق لتقرير العذاب المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة
له مع سائر جناياتهم المستتبعة لعقوباتها على كيفية هائلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف
لما في الجار والمجرور المتقدم من معنى الاستقرار لا للعذاب وان اعتبرنا عن وصف الاخلال له بجزالة
المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه
الذكر صفحا للايذان بان قصور العبارة عن تفصيل ما يقع فيه من الطامة التامة والداهية العامة
كانه قيل يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يكون من الاحوال والاهوال
ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة
لا عن جناياتهم المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها انه تعالى ينطقها بقدرته
فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا منها يخبر بجناياتهم المعهودة فحسب
والموصول المحذوف عبارة عنها من فنون العقوبات المترتبة عليها كافة لا عن احداها خاصة
ففيه من ضروب التهويل بالاجمال والتفصيل ما لا مزيد عليه وجعل الموصول المذكور عبارة عن
خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل بها فقط تحجير للواسع وتهوين
لامر الوازع والتعبير بصيغة الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها في الدنيا وتقديم
عليهم للمسارعة الى بيان ان الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر
كما مر مرارا وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اى يوم اذ تشهد جوارحهم باعمالهم
القبيحة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذي يحق ان يثبت لهم وافيا كاملا كلام مبتدأ سيق
لبيان ترتب حكم الشهادة عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز
ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ بدل منه وقيل هو منصوب على انه مفعول فعل مضمر
اى اذكر يوم تشهد وقرئ يشهد بالياء للفصل ويعلمون عند معاينتهم الاهوال والخطوب
حسبما نطق به القرآن الكريم ان الله هو الحق الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لذاته وصفاته
وافعاله التي من جملتها كلماته التامات المنبئة عن الشؤون التي يشاهدونها منطبقة عليها
المبين المظهر للاشياء كما هي في انفسها او الظاهر انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته
وعدم مشاركة الغير له فيها وعدم قدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة
للمقام كما ان تفسير الحق بذي الحق المبين اى العادل الظاهر عدله كذلك ولئن تتبعت ما في القرآن
المجيد من آيات الوعيد الوارد في حق كل كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق
هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما ذاك الا لاظهار منزلة النبي
صلى الله عليه وسلم
في علو الشان والنباهة وابراز رتبة الصديقة رضي الله عنها في العفة والنزاهة وقوله تعالى
الخبيثات الخ كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة الالهية الجارية فيما بين الخلق على
موجب ان لله تعالى ملكا يسوق الاهل الى الاهل اى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال اى
مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص والخبيثون ايضا للخبيثات

لأن المجانسة من دواعي الانضمام والطيبات منهن للطيبين منهم والطيبون أيضاً للطيبات
منهن بحيث لا يكادون يتجاوزونهن إلى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب
الأطيبين وخيرة الأولين والآخرين تبين كون الصديقة رضي الله عنها من أطيب الطيبات بالضرورة
واتضح بطلان ما قيل في حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى أولئك مبرؤون مما يقولون على
أن الإشارة إلى أهل البيت المنتظمين للصديقة انتظاماً أولياً وقيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصديقة وصفوان وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليهم وبعد منزلتهم
في الفضل أي أولئك الموصوفون بعلو الشأن مبرؤون مما يقوله أهل الإفك في حقهم من الأكاذيب
الباطلة وقيل الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال والنساء أي مختصة ولائقة بهم لا ينبغي أن تقال
في حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين أحقاء بأن يقال في حقهم خبائث القول والطيبات
من الكلم للطيبين من الفريقين مختصة وحقيقة بهم وهم أحقاء بأن يقال في شأنهم طيبات الكلم أولئك
الطيبون مبرؤون مما يقول الخبيثون في حقهم فماله تنزيه الصديقة أيضاً وقيل خبيثات القول مختصة
بالخبيثين من فريقي الرجال والنساء لا تصدر عن غيرهم والخبيثون من الفريقين للطيبين من الفريقين
أي مختصة بهم لا تصدر عن غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها
أولئك الطيبون مبرؤون مما يقوله الخبيثون من الخبائث أي لا يصدر عنهم مثل ذلك فآله تنزيه
القائلين سبحانك هذا بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لا يخلو عنها البشر من الذنب ورزق كريم هو
الجنة يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم إثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمي العفائف
عنه شرع في تفصيل الزواجر عما عسى يؤدي إلى أحدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن
في أوقات الخلوات وتعليم الآداب الجميلة والأفاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف
البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التي هي سكنى كل أحد في ملكه وإلا فالآجر والمعير أيضاً
منهيان عن الدخول بغير إذن وقرئ بيوتاً غير بيوتكم بكسر الباء لأجل الياء حتى تستأنسوا أي تستأذنوا من
يملك الإذن من أصحابها من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشيء إذا أبصره فإن المستأذن مستعلم للحال
مستكشف أنه هل يؤذن له أو من الاستئناس الذي هو خلاف الاستيحاش لما أن المستأذن مستوحش
خائف أن لا يؤذن له فإذا أذن له استأنس وتسلموا على أهلها عند الاستئذان روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
أن التسليم أن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات فإن أذن له دخل وإلا رجع ذلكم أي الاستئذان
مع التسليم خير لكم من أن تدخلوا بغتة أو على تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل
بيتاً غير بيته يقول حييتم صباحاً حييتم مساء فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف وروي أن
رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أأستأذن على أمي قال نعم قال ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما
دخلت قال عليه السلام أتحب أن تراها عريانة قال لا قال عليه السلام فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر
أي أمرتم به أو قيل لكم هذا كي تتذكروا وتتعظوا وتعملوا بموجبه فإن لم تجدوا فيها أحداً أي ممن يملك
الإذن على أن مدلول النص الكريم عبارة عن النهي عن دخول البيوت الخالية لما فيه من الاطلاع على
ما يعتاد الناس إخفاءه مع أن التصرف في ملك الغير محظور مطلقاً وأما حرمة دخول ما فيه النساء
والولدان فثابتة بدلالة النص لأن الدخول حين حرم مع ما ذكر من العلة فلأن يحرم عند انضمام
ما هو أقوى منه إليه أعني الاطلاع على العورات أولى فلا تدخلوها واصبروا حتى يؤذن لكم أي من
جهة من يملك الإذن عند إتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتي من يأذن لكم أو حتى تجدوا من يأذن لكم
فقد أبرز القطعي في معرض الاحتمال ولما كان جعل النهي مغيا بالإذن مما يوهم الرخصة في الانتظار
على الأبواب بل في تكرير الاستئذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا
أي إن أمرتم من جهة أهل البيت بالرجوع سواء كان الآمر ممن يملك الإذن أو لا فارجعوا ولا تلحوا
بتكرير الاستئذان كما في الوجه الأول ولا تلحوا بالإصرار على الانتظار إلى أن يأتي الإذن كما في الثاني
فإن ذلك مما يجلب الكراهة في قلوب الناس ويقدح في المروءة أي قدح هو أي الرجوع أزكى لكم

أي أطهر لكم مما لا يخلو عنه اللج والعناد والوقوف على الأبواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما
تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح أن تدخلوا
أي بغير استئذان بيوتاً غير مسكونة أي غير موضوعة لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل ليتمتع بها
من يضطر إليها كائناً من كان من غير أن يتخذها سكناً كالربط والخانات والحوانيت والحمامات ونحو
ها فإنها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم فإنه صفة للبيوت أو استئناف
جار مجرى التعليل لعدم الجناح أي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الأمتعة
والرحال والشري والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها فلا بأس بدخولها
بغير استئذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى أمرها ويقوم بتدبيرها من قوام الرباطات
والخانات وأصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم روي أن أبا بكر رضي الله عنه قال
يا رسول الله إن الله تعالى قد أنزل عليك آية في الاستئذان وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل
هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فنزلت وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر
أنها من جملة ما ينتظمه البيوت لا أنها المرادة فقط وفي قوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما
تكتمون وعيد لمن يدخل مدخلاً من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع
في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجاً
أولياً وتلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الأوامر و
النواهي إلى رأيه عليه السلام لأنها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بأن يكون الآمر بها
والمتصدي لتدبيرها حافظاً ومهيمناً عليهم ومفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلاً على دلالة
جوابه عليه أي قل لهم غضوا يغضوا من أبصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا فروج جهم
هم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في أمر النظر
من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة هو الستر ذلك أي ما ذكر من الغض والحفظ أزكى
لهم أي أطهر لهم من دنس الريبة إن الله خبير بما يصنعون لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من
الأفاعيل التي من جملتها إجالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك الجوارح وما يقصدون
بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات يغضضن من
أبصارهن فلا ينظرن إلى ما لا يحل لهن النظر إليه ويحفظن فروجهن بالتستر أو التصون عن الزنا
وتقديم الغض لأن النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما
يتزين به وفيه من المبالغة في النهي عن إبداء مواضعها ما لا يخفى إلا ما ظهر منها عند مزاولة الأمور
التي لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فإن في سترها حرجاً بيناً وقيل المراد بالزينة
مواضعها على حذف المضاف أو ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان
لأنها ليست بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن إرشاد إلى كيفية إخفاء بعض مواضع الزينة
بعد النهي عن إبدائها وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو
نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لوسعها فأمرن بإرسال خمرهن إلى جيوبهن ستراً لما يبدو منها
وقد ضمن الضرب معنى الإلقاء فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي
لاستثناء بعض مواد الرخصة عنه باعتبار الناظر بعدما استثني عنه بعض مواد الضرورة
باعتبار المنظور إلا لبعولتهن فإنهم المقصودون بالزينة ولهم أن ينظروا إلى جميع بدنهن حتى
الموضع المعهود أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني
إخوانهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما في طباع
الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم أن ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة
وعدم ذكر الأعمام والأخوال لما أن الأحوط أن يتسترن عنهم حذاراً من أن يصفوهن لأبنائهم
أو نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فإن الكوافر لا يتحرجن عن

عن وصفهن للرجال **أو ما ملكت أيمانهن** اى من الاما فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبى منها وقيل من الاما والعبيد لما روى انه عم اتى فاطمة رضى الله عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال عم انه ليس عليك باس انما هو ابوك وغلامك **او التابعين غير اولى الاربة من الرجال** اى اولى الحاجة الى النسا وهم الشيوخ الهرم والممسوحون وفى المجبوب والخصى خلاف وهم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيا من امور النسا وقرى غير بالنصب على الحالية **او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا** لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفا بدلالة الوصف **ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين** اى ما يخفينه عن الروية **من زينتهن** اى لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفى النهى عن ابدا صوت الحلى بعد النهى عن ابدا عينها من المبالغة فى الزجر عن ابدا مواضعها ما لا يخفى **وتوبوا الى الله جميعا** تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما فى حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الامر بها لما لا يكاد يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط فى اقامة مواجب التكاليف كما ينبغى ولا سيما بقوله عم شيبتنى هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المامور به الكف عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكن يجب الندم عليه والعزم على تركه كلما خطر بباله وفى تكرير الخطاب بقوله تعالى **ايها المومنون** تاكيد للايجاب وايذان بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرى ايه المومنون **لعلكم تفلحون** تفوزون بذلك بسعادة الدارين **وانكحوا الايامى منكم** بعد ما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناطا لبقا النوع خير مزجرة عن ذلك وايامى مقلوب ايايم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنسا بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال

فان تنكحى وان تتايمى ۞ وان كنت افتى منكم اتايم

اى زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر **والصالحين من عبادكم وامائكم** على ان الخطاب للاوليا والسادات واعتبار الصلاح فى الارقا لان من لا صلاح له منهم بمعزل من ان يكون خليقا بان يعتنى مولاه بشانه ويشفق عليه ويتكلف فى نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح فى الاحرار والحرائر فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم مستبدون فى التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح فلا بد من مساعدة الاوليا لهم اذ ليس عليهم فى ذلك غرامة حتى يعتبر فى مقابلتها غنيمة عائدة اليهم عاجلة او اجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه **ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله** ازاحة لما عسى يكون وازعا من النكاح من فقر احد الجانبين اى لا يمنعهن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشا من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه بالاغنا لقوله عم اطلبوا الغنا فى هذه الاية لكنه مشروط بالمشية كما فى قوله تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شا **والله واسع** غنى ذو سعة لا يرزوه اغنا الخلائق اذ لا نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك **عليم** يبسط الرزق لمن يشا ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة **وليستعفف** ارشاد للعاجزين عن مبادى النكاح واسبابه الى ما هو اولى لهم واحرى بهم بعد بيان جواز مناكحة الفقرا اى ليجتهد فى العفة وقمع الشهوة **الذين لا يجدون نكاحا** اى اسباب نكاح او لا يتمكنون مما ينكح به من المال **حتى يغنيهم الله من فضله** عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنا ولطف بهم فى استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفا وادنى من الصلحا **والذين يبتغون الكتاب** بعد ما امر بانكاح صالحى المماليك الاحقا بالانكاح امر

بكتابة من يستحقها منهم والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اى الذين يطلبون المكاتبة **مما ملكت ايمانكم** عبدا كان او امة وهى ان يقول المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تودبه الى وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسى ان تعتق منى اذا وفيت بالمال وكتبت لى على نفسك ان تفى بذلك او كتبت عليك الوفا بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم للعقد الحاصل من مجموع كلاميهما كسائر العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب فى ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين وليس وظيفة كل منهما فى الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر عنه من الفعل الخاص به من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كان بحيث لا يمكن تحققه فى نفسه الا منوطا بتحقق الاخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذى هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البائع لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشترى لم يكن بد من تضمين احدهما الاخر وتنزيله منزلته فكان قول البائع بعت انشا لعقد البيع على معنى انه ايقاع لما يتم من قبله اصالة ولما يتم من قبل المشترى ضمنا ايقاعا متوقفا على رايه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولى كذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشا لعقد الكتابة اى ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول الرفع على الابتدا خبره **فكاتبوهم** والفا لتضمنه معنى الشرط والنصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا يجب كغيره ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم وعند الشافعى رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل فى موضعه **ان علمتم فيهم خيرا** اى امانة ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يوذى الناس بعد العتق واطلاق العنان **واتوهم من مال الله الذى اتاكم** امر للموالى ببذل شى من اموالهم وفى حكمه حط شى من مال الكتابة ويكفى فى ذلك اقل ما يتمول وعن على رضى الله عنه حط الربع وعن ابن عباس الثلث وهو للندب عندنا وعند الشافعى رحمه الله للوجوب ويرده قوله عم المكاتب عبد ما بقى عليه درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقى حتما والظاهر لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون العقد موجبا ومسقطا معا والحط نوع معاوضة فلا يجبر عليه كالبيع وقيل معنى اتوهم اسلفوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يودوا ويعتقوا وهذا كله مبنى على ان الخطاب للموالى وقيل هو امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم من الصدقات ويحل ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما نطق به قوله عم فى حديث بريرة هو عليها صدقة ولنا هدية **ولا تكرهوا فتياتكم** اى اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة عن العبد والامة وعلى ذلك مبنى قوله عم ليقل احدكم فتاى وفتاتى ولا يقل عبدى وامتى ولهذه العبارة فى هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلى حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى **على البغا** وهو الزنا من حيث صدوره عن النسا لانهن اللاتى يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجائز والصغائر وقوله تعالى **ان اردن تحصنا** ليس لتخصيص النهى بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج ما عداها من حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزانى او لخصوص الزمان او لخصوص المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه فى الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا يكرهونهن على البغا وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الامرة بالفجور وقصورهن فى معرفة الامور الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطى القبائح فان عبد الله بن ابى كانت له ست جوار يكرههن على الزنا وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت

وفيه من زيادة تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبائح ما لا يخفى فإن من له أدنى مروءة
لا يكاد يرضى بفجور من يحويه حرمه من إمائه فضلاً عن أمرهن به أو إكراههن عليه لا سيما عند إرادتهن
التعفف فتأمل ودع عنك ما قيل من أن ذلك لأن الإكراه لا يتأتى إلا مع إرادة التحصن وما قيل من
أنه إن جعل شرطاً للنهي لا يلزم من عدمه جواز الإكراه لجواز أن يكون ارتفاع النهي لامتناع المنهي عنه
فإنهما بمعزل من التحقيق وإيثار كلمة إن على إذا مع تحقق الإرادة في مورد النص حتماً للإيذان
بوجوب الانتهاء عن الإكراه عند كون إرادة التحصن في حيز التردد والشك فكيف إذا كانت محققة
الوقوع كما هو الواقع وتعليله بأن الإرادة المذكورة منهن في حيز الشاذ النادر مع خلوه عن الجدوى
بالكلية يأباه اعتبار تحققها إباءً ظاهراً وقوله تعالى **لتبتغوا عرض الحياة الدنيا** قيد للإكراه
لكن لا باعتبار أنه مدار للنهي عنه بل باعتبار أنه المعتاد فيما بينهم كالذي جيء به تشنيعاً لهم فيما هم
عليه من احتمال الوزر الكبير لأجل النزر الحقير أي لا تفعلوا ما أنتم عليه من إكراههن على البغاء لطلب المتاع
السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه بالفعل
إذ هو الصالح لكونه غاية للإكراه مترتباً عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه ومن
يكرههن الخ جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص المكرهات عن
عقوبة المكره عليه عبارة ورجوع غائلة الإكراه إلى المكرهين إشارة **ومن يكرههن** على ما ذكر من البغاء
فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم أي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله
وكما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد إكراههن أي كونهن مكرهات على أن الإكراه مصدر من المبني للمفعول
فإن توسيطه بين اسم إن وخبرها للإيذان بأن ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري
إذا قرأ هذه الآية يقول لهن والله لهن وفي تخصيصهما بهن وتعيين مدارهما مع سبق ذكر المكرهين أيضاً
في الشرط دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير
اكتفي به عن العائد إلى اسم الشرط فتجويز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالاً أو معهن إخلال بجزالة
النظم الجليل وتهوين لأمر النهي في مقام التهويل وحاجتهن إلى المغفرة المنبئة عن سابقة الإثم إما
باعتبار أنهن وإن كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية
وإما باعتبار أن الإكراه قد يكون قاصراً عن حد الإلجاء المزيل للاختيار بالمرة وإما لغاية تهويل الزنا
وحث المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان أنهن حيث كن عرضة للعقوبة
لولا أن تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب
ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات كلام جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة
لبيان جلالة شؤونها المستوجبة للإقبال الكلي على العمل بمضمونها وصدر بالقسم الذي تعرب عنه
اللام لإبراز كمال العناية بشأنه أي وبالله لقد أنزلنا إليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات
لكل ما بكم حاجة إلى بيانه من الحدود وسائر الأحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادئ بيانها
على إسناد التبيين إليها مجازاً أو آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على أن
مبينات من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين وقرئ على صيغة المفعول أي التي
بينت وأوضحت في هذه السورة أو في معاني الأحكام والحدود وقد جوز أن يكون الأصل مبيناً فيها
الأحكام فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول **ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم** عطف على آيات أي
ومثلاً كائناً من قبيل أمثال الذين مضوا من قبلكم من القصص العجيبة والأمثال المضروبة
لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على ألسنة الأنبياء عم فينتظم قصة عائشة رضي الله عنها
المحاكية لقصة يوسف عم وقصة مريم رضي الله عنها وسائر الأمثال الواردة في السورة الكريمة
انتظاماً واضحاً وتخصيص الآيات بالمبينات والسوابق وحمل المثل على القصة العجيبة فقط يأباه
تعقيب الكلام بما سيأتي من التمثيلات **وموعظة** تتعظون بها وتنزجرون عما لا ينبغي من المحرمات
والمكروهات وسائر ما يخل بمحاسن الآداب وهي عبارة عما سبق من الآيات والمثل لظهور كونها من المواعظ

المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير الذاتي وقد خصت
الآيات بما بين الحدود والأحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في
دين الله وقوله تعالى لولا إذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب وأما قوله **للمتقين**
مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الإنزال لقوله تعالى لقد أنزلنا إليكم كالخطابين على الانتفاع
فلبيان أنهم المنتفعون بها المقتبسون من أنوارها المحظوظون من آثارها وقيل المراد بالآيات
المبينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والأمثال والمواعظ فقوله تعالى
الله نور السموات والأرض الخ استئناف مسوق لتقرير ما فيها من البيان مما من الاتصاف بكونه
في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه وأما على الأول فللتحقيق أن بيانه تعالى ليس مقصوراً على ما
ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاجه الناس من الأحكام والشرائع وما يتعلق بها في
معاشهم في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان والنور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً
عبر عنه بالتنوير الذي هو موافق ومرادف للبيان وأجراه عليه تعالى وعبر عن المنور بنفس النور تنبيهاً على قوة
التنوير وشياع التأثير والإيذان بأنه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر بإظهاره
ومظهر لغيره وإضافته إلى السموات والأرض للدلالة على كمال شيوع البيان المستعار له وغاية
شموله لكل ما يليق به من الأمور التي لها نور بواسطة بيان
الجميع ما ينبغي له ويستحقه من الأجرام العلوية والسفلية فإنهما قطرا العالم الجسماني الذي لا منظر وراءه
الحسي سواء أريد بهما أنفسهما أو جهتاهما وعلى هذا يدخل تحت البيان حقائق الموجودات
من أحوالها ما يستحق البيان أما تفصيلاً أو إجمالاً لا كيف لا وأن ريب فيما يكون به دلالة على وجود الصانع
وصفاته ما تضمنته البعث وعلى هذا قال ابن عباس هادي أهل السموات
والأرض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة الضلالة ينجون وأما حمل التنوير على إخراجه
الماهيات من العدم إلى الوجود إذ هو الأصل في الإظهار كما أن العدم هو الأصل في الإخفاء وعلى تزيين
السموات بالنيرين وسائر الكواكب وما يفيض منها من الأنوار وتزيين الأرض
بالأنبياء عليهم السلام والعلماء والمؤمنين أو بالنبات والأشجار وعلى تدبيره تعالى لأمورهما
فيما لا يلائم المقام ولا يساعده حسن النظام **مثل نوره** أي نوره الفائض منه تعالى على
الأشياء المستنيرة به وهو القرآن المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف آياته بالإنزال والتبيين
وقد صرح بكونه نوراً أيضاً في قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وبه قال ابن عباس والحسن
وزيد بن أسلم وجعل الإضافة إلى ضميره تعالى دليل على أنه إطلاق النور عليه باعتبار
بيان شأن الآيات ووصفها بما ذكر من التبيين مع ما سبق من ذكر الحق ولأن المتبادر بالنور
هو الظهور والإظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة أي صفة نوره العجيبة الشأن **كمشكاة** أي كصفة كوة غير نافذة
في الجدار في الإنارة والتنوير **فيها مصباح** سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الأنبوبة في وسط
القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة **المصباح في زجاجة** أي قنديل من الزجاج الصافي
الأزهر وقرئ بفتح الزاي وكسرها في الموضعين **الزجاجة كأنها كوكب دري** متلألئ
وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته ودراري الكواكب عظامها المشهورة وقرئ دِرِّيء
بدال مكسورة وراء مشددة وياء ممدودة بعدها همزة على أنه فعيل من الدرء وهو الدفع أي
يدافع في دفع الظلام بضوئه أو في دفع بعض أجزاء ضيائه لبعض عند البريق واللمعان وقرئ
بضم الدال والباقي على حاله وفي إعادة المصباح والزجاجة معرفين إثر سبقهما منكرين و
الإخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بأن يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كأنها كوكب دري
من تفخيم شأنهما ورفع مكانهما بالتفسير إثر الإبهام والتفصيل بعد الإجمال وبإثبات ما بعدهما
لهما بطريق الإخبار المنبئ عن القصد الأصلي دون الوصف المبني على الإشارة إلى الثبوت في الجملة

ما لا يخفى وجعل الجملة الاولى الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام
مغنية عن الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة هي كانها كوكب دري **توقد من شجرة** اى
يبتدأ ايقاد المصباح من شجرة **مباركة** اى كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت
بالبركة لانها تنبت في الارض التي بارك الله تعالى فيها للعالمين **زيتونة** بدل من شجرة وفي ابهامها
ووصفها بالبركة ثم الابدال عنها تفخيم لشأنها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام الفاعل
للزجاجة دون المصباح وقرئ توقّد على صيغة الماضي من التفعل اى ابتدأ ثقوب المصباح منها وقرئ
يوقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة **لا شرقية ولا غربية** تقع الشمس
عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتي على قلة او صحراء واسعة فتقع الشمس عليها
حالتي الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية
وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اى يصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها
فتكون شرقية غربية تأخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اضوأ وقيل لا نابتة في شرق المعمورة
ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها دائما
فتحرقها ولا في مقنأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في
مقنأة ولا خير فيهما في مضحى **يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار** اى هو في الصفاء والانارة
بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء
شيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه
ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما
يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا
بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في
بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في هذه الآية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه
مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط
فلأن يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء آخر من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر
الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها
وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفي
فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطي ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء
في الاول وعدم تحققه في الثاني في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان
فقيرا ولا يعطي لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت هي عليه في حيز النصب على الحالية من
المستكن في الفعل الموجب والمنفي اى يعطي ولا يعطي كائنا على جميع الاحوال وتقدير الآية الكريمة
يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اى يضيء كائنا على كل حال من وجود الشرط وعدمه
وقد حذفت الجملة الاولى حذفا مطردا في الباب لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة **نور**
خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى **على نور** متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افادة التنكير من
الفخامة والجملة فذلكة للتمثيل وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اى ذلك النور الذي عبر به
عن القرآن ومثلت صفته العجيبة الشأن بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كائن على نور كذلك
لا على انه عبارة عن نور واحد معين او غير معين فوق نور آخر مثله ولا عن مجموع نورين اثنين
فقط بل عن نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه بحد معين وتحديد مراتب تضاعف ما شبه به
من نور المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة
كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع
فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس
وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى عادة هذا وجعل النور

عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل **يهدي الله لنوره** اى يهدي
هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشأن واظهاره في
مقام الاضمار لزيادة تقريره وتأكيد فخامته الذاتية بفخامة الاضافية الناشئة من اضافته
الى ضميره عز وجل **من يشاء** هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلائل حقيته وكونه من
عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار عن الغيب وغير ذلك من موجبات الايمان به وفيه
ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها
بمعزل من الافضاء الى المطالب **ويضرب الله الامثال للناس** في تضاعيف الهداية حسبما تقتضي
حالهم فان له دخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لأوابد
المعاني بصورة المانوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القرآن المبين بنور المشكاة واظهار الاسم
الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف ما اسند اليه تعالى من الهداية الخاصة وضرب الامثال
الذي هو من قبيل الهداية العامة كما يفصح عنه تعلق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة **والله**
بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيئته بهداية
من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفته الحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع
وان يكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرائق شتى حسبما يقتضيه احوالهم والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتأكيد استقلالها والاشعار بعلة الحكم وبما ذكر
من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا **في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه** لما ذكر
شأن القرآن الكريم في بيانه للشرائع والاحكام ومباديها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب
والعقاب وغير ذلك من احوال الآخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار
حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدي
بهداه من تعلقت مشيئة الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير
بعض اعمالهم المعربة عن كيفية حالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما
روي عن ابن عباس وقيل المساجد التي بناها نبي من انبياء الله تعالى الكعبة التي بناها ابراهيم
واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذي بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا
اللذان بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها
رفيعة لا كسائر البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليه
من قبيل العطف التفسيري وايا ما كان ففي التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللائق بحال المأمور
ان يكون متوجها الى المأمور به قبل ورود الامر به ناويا لتحقيقه كانه مستأذن في ذلك فيقع الامر
به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى **يسبح له**
وقوله تعالى **فيها** تكرير لها للتأكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام
لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التقديس والتنزيه ويستعمل باللام وبدونها
ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى لو اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين
الاوقات بقوله تعالى **بالغدو والآصال** اى بالغدوات والعشيات على ان الغدو اما جمع غداة كقني
في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالآصال وهو جمع اصيل وهو
العشي وهو شامل للاوقات ما عدا صلوة الفجر المؤداة بالغداة ويجوز ان يراد نفس التنزيه على
عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوات واوقاتها لزيادة شرفه وانافته على سائر افراده وما يقع
في جميع الاوقات وافراد طرفي النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيها بكونهما مشهودين
وكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال بالاشتغال وقرئ بالايصال وهو الدخول
في الاصيل وقوله تعالى **رجال** فاعل يسبح وتأخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر ولان في وصفه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرئ يسبح على البناء للمفعول

باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة
قوله ليبك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرئ تسبح بالتاء
مبنيا للفاعل لان جمع التكسير قد يعامل معاملة المؤنث ومبنيا للمفعول على اسناده الى اوقات
الغدو والآصال بزيادة الباء وتجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اى
تسبح له التسبيحة على المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزى قوما اى
ليجزى الجزاء قوما بل هذا اولى من ذلك اذ ليس هنا مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال
مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة مفيدة لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكى عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم
واشهرها اى لا يشغلهم نوع من انواع التجارة ولا بيع اى ولا فرد من افراد البياعات وان كان في غاية
الربح وافراده بالذكر مع اندراجه تحت التجارة للايذان بانافته على سائر انواعها لان ربحه متيقن
ناجز وربح ما عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهائه نفي الهاء ما عداه ولذلك
كررت كلمة لا لتذكير النفي وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشرى لانه اصلها ومبدؤها
وقيل هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اى جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتحميد
واقام الصلوة اى اقامتها لمواقيتها من غير تأخير وقد سقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال
وعوض عنها الاضافة كما في قوله واخلفوك عدى الامر الذي وعدوا اى عدة الامر وايتاء الزكوة
اى المال الذي فرض اخراجه للمستحقين وايراده ههنا وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا
تكاد تفارق اقامة الصلوة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في
المساجد وكذلك قوله تعالى يخافون الخ فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم واياما
ما كان فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله
تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اى تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع وتشخص
كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر او تتغير احوالها وتتقلب فتتفقه القلوب
بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين توقع النجاة وخوف
الهلاك والابصار من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه
ما حكى من اعمالهم المرضية اى يفعلون ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكوة
والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم الله احسن ما عملوا اى احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم
بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله اى يتفضل عليهم باشيا
لم يعدهم بخصوصياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم كيفياتها ولا كمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال
في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقوله عم حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي
من جملتها قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة ووعد كريم
بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد
بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه ما فيأباه نظمها في سلك الغاية والموصول
عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه
بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور محض مشيئته تعالى لا اعمالهم المحكية كما انها المناط لما سبق
من الهداية لنوره تعالى لا لظاهر الاسباب وللايذان بانهم ممن شاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن شاء الله
تعالى ان يهديهم لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح
واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وخوف اليوم الاخر واهواله ورجاء الثواب مقتبس من القرآن العظيم
الذي هو المعني بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وتعلق
قوله تعالى في بيوت الخ من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكاة اى كائنة في بيوت

بيوت وقيل بمصباح وقيل بزجاجة وقيل بتوقد والكل مما لا يليق بشان التنزيل الكريم كيف لا وان ما
بعد قوله تعالى ولو لم تمسسه نار على ما هو الحق او ما بعد قوله نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى
بكل شيء عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
بالاجنبي يؤدي الى كونه ذكر حال المنتفعين بالتمثيل المهديين بنور القرآن بطريق الاستتباع والاستطراد
مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا يعهد به في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه
الكلام المعجز والذين كفروا عطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين آمنوا اعمالهم حالا وما لا
كما وصف والذين كفروا اعمالهم اى اعمالهم التي هي من اعمال البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية
الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع
الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد الاية كسراب وهو ما يرى في الفلوات
من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجري بقيعة متعلق بمحذوف هو
صفة لسراب اى كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرئ
بقيعات بتاء ممدودة كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان الاصل قيعة قد اشبعت فتحة
العين فتولد منها الف يحسبه الظمآن ماء صفة اخرى لسراب وتخصيص الحسبان بالظمآن
مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه
في وجه الشبه الذي هو المطلع المطمع والمقطع المؤيس حتى اذا جاءه اى اذا جاء العطشان ما حسبه
ماء وقيل موضعه لم يجده اى ما حسبه ماء وعلق به رجاءه شيئا اصلا لا محققا ولا متوهما
كما كان يراه من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى
ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد
ذلك بطريق التكملة لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان الظمآن ويظهر
انه يعتريهم بعد ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا
بل على ما يفهم منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله
تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه
الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم في الاخرة اذا
جاؤها لم يجدوها شيئا كانه قيل حتى اذا جاء الكفرة يوم القيامة اعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها
نافعة لهم في الاخرة لم يجدوها شيئا ووجدوا الله اى حكمه وقضاءه عند المجيء وقيل عند العمل
فوفاهم اى اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اى حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها
بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب للعقاب قطعا وافراد الضمير في الراجعين الى الذين كفروا
اما لارادة الجنس كالظمآن الواقع في التمثيل واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم
هذا وقد قيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين
فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون
عليها اقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب
مثلت اعمالهم القبيحة التي ليست فيها شائبة خير يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي
عميق كثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه يغشاه صفة اخرى
اى يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على
انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والكلام فيه
كما مر في قوله نور على نور اى يغشاه امواج مترادفة متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى من
فوقه سحاب صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين اى من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني
ستر اضواء النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى كانها بلغت السحاب ظلمات
خبر مبتدا محذوف اى هي ظلمات بعضها فوق بعض اى متكاثفة متراكمة وهذا بيان لكمال شدة

الظلمات كما ان قوله نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق بالمشبه وهذا بالمشبه به
كما يعرب عنه ما بعده وقرئ بالجر على الابدال من الاولى وقرئ باضافة السحاب اليها اذا اخرج اى من ابتلى
بها فاضمار من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها بمرأى منه قريبة من عينه
لينظر اليها لم يكد يراها وهي اقرب شيء منه فضلا عن ان يراها ومن لم يجعل الله له نورا الخ اعتراض
تذييلي جيء به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته
اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة الى علة الحكم وانهم ممن لم يشأ الله تعالى هدايتهم
اى ومن لم يشأ الله ان يهديه لنوره الذى هو القرآن هداية خاصة مستتبعة للاهتداء حتما
ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اى فما له هداية ما من احد اصلا وقوله تعالى الم تر الخ استيناف
خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه عم اعلى مراتب النور واجلاها وبين له
من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اى قد علمت علما يقينا شبيها بالمشاهدة
في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله يسبح له اى ينزهه تعالى على الدوام في
ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل من نقص وخلل من في السموات والارض اى ما
فيهما اما بطريق الاستقلال فيهما من العقلاء وغيرهم كائنا ما كان او بطريق الجزئية منهما تنزيها معنويا
تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته
ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق
بشان من شؤونه الجليلة وقد نبه على كمال قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص
العقلاء من التسبيح الذى هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد
ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقلا ناطقا
ومخبرا صادقا بعلو شانه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيهما على اتصافه تعالى
بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في
الالوهية ونسبتهم الى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع
من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازى شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى
كل قد علم صلاته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى
قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التى يشاركهم فيها غير العقلاء ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتعيير
انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التى هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار اشرف جهاتهم
التى هي الانسانية والطير بالرفع عطفا على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم
استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها
عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات اى تسبحه
تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو
والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط
حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدئ
المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه
ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن
اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر
من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه ان
كل احد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض
عليه منه تعالى ما يليق بشانه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه
تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به
نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن

عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلوة التى هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة المزايا المذكورة
بتمامها على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز ان يكون العلم
على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه الشعور في كل انواع الطير وافرادها بالصلوة
والتسبيح ما الهمها الله كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير معطوفا
على كلمة من مرفوعا بارتفاعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازى شامل للتسبيح المقالى والحالى
من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوفا على المذكور
كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اى ويسبح الطير تسبيحا خاصا به حال كونها صافات اجنحتها
وقوله كل قد علم صلاته وتسبيحه اى دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه دليل ان كل واحد
منهما انما يصدر عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشيء منهما
حسبما الهمه الله تعالى فان الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا يكاد يهتدي
اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك
قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحرها حتى روي انه كان بقسطنطينية
قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره
بتدارك امورهم بسدها وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل باحواله
على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على
التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اى ما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله واما على الوجه
الاول عبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها بالفعل مسند
الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني اما عبارة عنهما وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح
الطير فقط فانه محمول على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض ح مقرر لتسبيح الطير فقط
وعلى الاولين لتسبيح الكل هذا وقد قيل ان الضمير في قوله تعالى قد علم لله عز وجل وفي صلوته وتسبيحه
لكل اى قد علم الله تعالى صلوة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه والاعتراض ح مقرر
لمضمونه على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلوته وتسبيحه بل عن
جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيها دخولا اوليا ولله ملك
السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها
ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى والى الله اى اليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اى
رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به
تع في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم الم تر ان
الله يزجي سحابا الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه
البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه
اى بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اى متراكما بعضه فوق
بعض فترى الودق اى المطر اثر تراكمه وتكاثفه وقوله تعالى يخرج من خلاله اى من فتوقه
حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة
في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق ومن الاعتناء بتقرير الرؤية
ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل
من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء من جبال اى من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة
فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على
ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد
وقيل المفعول محذوف ومن بيانية اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد
بردا والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح بتبعيضية المنزل وقيل المفعول من جبال

على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد اي
شبيهة بالجبال في الكثرة وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من
الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في
الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها
حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم
يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا
نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل
ذلك مستند الى ارادة الله تعالى ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح فيصيب به اي بما
ينزل من البرد من يشاء ان يصيبه به فيناله ما يناله من ضرر في نفسه وماله ويصرفه عن من يشاء
ان يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء
والتاليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه
عن التصريح به وقرئ بالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بضم الراء على انه
جمع برقة وهي المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط
الاضاءة وسرعة ورودها وفي اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لشدة تاثيره فيها
كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه
توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار
بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما
من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل
آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة لدلالة
واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته
وتنزهه عما لا يليق بشانه تعالى لاولي الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل حيوان
يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو
النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل لان من الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة وقيل
من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا
مع كونها زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم
من يمشي على اربع كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات
لعدم الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق
التفصيل الاجمال والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا
كان او مركبا على ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافاعيل مع اتحاد
العنصر واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام
الالوهية ان الله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء كما يشاء واظهار الجلالة لما ذكر مع تأكيد استقلال
الاستئناف التعليلي لقد انزلنا آيات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية
والاسرار التكوينية والله يهدي من يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى
التامل في مطاويها الى صراط مستقيم موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله
وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم يشأ الله هدايته الى الصراط المستقيم قيل انها نزلت
في المنافقين الذين كانوا يظهرون الايمان ويضمرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه
الى كعب بن الاشرف واليهودي يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه
في ارض وماء فابى ان يحاكم الى الرسول صلى الله عليه وسلم وايا ما كان فصيغة الجمع للايذان بان للقائل
طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم

منهم واطعنا اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى اي يعرض عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد ما
صدر عنهم من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على التفصيل وما في ذلك من معنى البعد
للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك اشارة الى القائلين لا الى الفريق المتولي منهم
فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف العكس فان نفيه عن القائلين يقتضي نفيه
عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الكفر والفساد اي وما اولئك
الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين اي
المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المعهودون بالاخلاص في الايمان
والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول بينهم لانه المباشر للحكم حقيقة وان كان ذلك
حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بجلالة محله عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون
اي فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه عليه السلام لكون الحق عليهم وعلمهم بانه عليه السلام يحكم بالحق وهو شرح
للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم بانه عليه السلام يحكم لهم
والى صلة ليأتوا فان الاتيان والمجيء يعديان بالى او لمذعنين على تضمين معنى الاسراع والاقبال كما
ضم في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم
المذكور وبيان لمنشئه بعد استقصاء عدة من القبائح المحققة فيهم والموهومة منهم وترديد المنشئية
بينها وهذا الاستفهام ليس بمعنى ما وليست الهمزة وام فيه للعطف بل للانكار لانهم ارتابوا في امر نبوته
عليه السلام مع ظهور حقيقتها ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ثم اضرب عن الكل وابطلت
منشئيته وحكم بان المنشأ شيء آخر من شنائعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشيء
مما ذكر اما الاولان فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه عليه السلام عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه عليه السلام مذعنين
لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه بالمرة حيث لا يخافون الحيف
اصلا لمعرفتهم بتفاصيل احواله عليه السلام في الامانة والثبات على الحق بل لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من
له الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيأبون المحاكمة اليه عليه السلام لعلمهم بانه عليه السلام يقضي عليهم بالحق فمناط
النفي المستفاد من الاضراب في الاولين هو وصف منشئيتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما
وفي الثالث هو الاصل والوصف جميعا هذا وقد حصر الاتيان بماله منشأ معنى لهم وحدهم في
الجملة والمعنى ارتيابا بانهم ارادوا به عم [illegible]
ومنشئيته [illegible] بما ذكر على التفصيل ودع [illegible] النظر الجليل
انما كان قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس
الاول اولى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان اذ لا
سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا حذفت عنه الاضافة لكن قراءة الرفع احق
بحسب المعنى واوفق لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو
اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة عن الوقوع في الخارج
وفي ذهن السامع ولا ريب في ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل فاذن هو الاحق بالخبرية
واما ما تفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول
خارجا وذهنا كان حقيقيا بان يلاحظ ملاحظة مجملة ويجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول
الصادر عن المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول عليه السلام بينهم اي وبين خصومهم سواء كانوا
منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا آخر اصلا واما
قراءة النصب فمعناها انما كان قولا للمؤمنين خصوصية قولهم سمعنا واطعنا ففيه
من جعل اخفى الامرين [illegible]
للموضوع وابراز ما هو [illegible]
مسند الى مصدره مجازا كانه قيل اذا دعوا الى [illegible] واولئك اشارة

الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم
في الفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلوب والناجون
عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله استئناف جيء به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين و
ترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اي ومن يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة
والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن والاول هو الانسب للمقام ويخش الله ويتقه باسكان القاف المبني على
تشبيهه بكتف وباسكان الهاء اي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك الموصوفون
بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم واقسموا بالله حكاية
لبعض آخر من اكاذيبهم مؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله
الذي هو في حيز النصب على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى
جهد اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين
بالغين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين
قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن امرتهم اي بالخروج الى الغزو ولا عن ديارهم واموالهم كما ينبئ
لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا وان اقمت
اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية قولهم
حيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر عم بردها فقيل قل اي ردا عليهم وزجرا لهم عن
التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا اي على ما ينبئ عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى
طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم
طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطأة من القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك
مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى تطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة
الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدأ وخبر او فعل مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية
او طاعة معروفة مثل او لتكن طاعة معروفة او اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام ان الله خبير بما
تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما
تضمرونه في قلوبكم من الكفر والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة
تعليل للحكم بان طاعتهم طاعة نفاقية مشعر بان مدار شهرة امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك
ووعيد لهم بانه تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
كرر الامر بالقول لابراز كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول نهي بطريق الرد
والتقريع كما في قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة
المأمور بها عن وصفها بالصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من
الطاعة في شيء اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمأمورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتأكيد
الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترغيب والترهيب لما ان تغيير الكلام المسوق لمعنى من
المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من السامع
كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب
بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم بوساطته عم وتصديه تعالى لبيان حكم الامتثال
بالامر والتولي عنه اجمالا وتفصيلا من افادة ما ذكر من التأكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل
تحت القول مأمور بحكايته من جهته عم وانه ابلغ في التبكيت تعكيس للامر والفاء لترتيب ما بعدها على تبليغه
للمأمور به اليهم وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته عم الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة
الى الذكر اي ان تتولوا عن الطاعة اثر ما امرتم بها فانما عليه اي فاعلموا انما عليه عم ما حمل اي ما امر به
من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم اي ما امرتم به من
الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد كانه قيل وحيث توليتم

توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقوله ما حمل محمول على المشاكلة وان
تطيعوه اي فيما امركم به من الطاعة تهتدوا الى الحق الذي هو المقصد الاصلي الموصل الى كل خير
والمنجي عن كل شر وتأخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه
مما هو من بابه من الوعد الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض
تقرير لما قبله من ان غائلة التولي وفائدة الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له عم
انتظاما اوليا او للعهد اي ما على جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه عم الا التبليغ الموضح لكل
ما يحتاج الى الايضاح او الواضح على ان المبين من ابان بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد
عليه وانما بقي ما حملتم وقوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم استئناف مقرر لما في قوله وان تطيعوه
تهتدوا من الوعد الكريم ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادة
الدينية والدنيوية التي هي من آثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء
والمراد بالذين آمنوا كل من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان وفي اي وقت كان
لا من آمن من طائفة المنافقين فقط ولا من آمن بعد نزول الآية الكريمة فقط ضرورة عموم الوعد
الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات
عطف على آمنوا داخل في حيز الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب عليها ما انتظم في سلك الوعد
الكريم كما اشير اليه وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته في استتباع الآثار
والاحكام والايذان بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تأخيره عنهما في قوله وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه عم من
خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة مثابرون عليها فلا بد من ورود
بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته عموما على ان من
تبعيضية او له عم ولمن معه من المؤمنين خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما يقتضيه سياق
النظم الكريم وسياقه بمراحل وبعد عما يليق بشانه عم بمراحل ليستخلفنهم في الارض جواب القسم
[illegible] اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك
في مما لكهم [illegible] كما استخلف الذين من
قبلهم هم بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة [illegible]
الامم [illegible] في قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم
الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي [illegible]
[illegible]

* وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع * من المال الا مسحت او مجلف

[illegible] وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخيره عنه
[illegible]

نزاله قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورصانة احكامه وسلامته عن التغيير والتبديل
لابتنايه على تشبيهه بالارض فى الثبات والقرار مع ما فيه من مراعاة المناسبة بينه وبين الاستخلاف فى
الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم ترغيبا
لهم فى قبوله عند وروده ولان فى توسيطها بينه وبين وصفه اعنى قوله تعالى الذى ارتضى لهم وتاخيرها
عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفى اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام ثم وصفه بارتضايه
لهم تاليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الابدال
من بعد خوفهم اى من الاعداء امنا حيث كان اصحاب النبى صلى الله عم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر
خايفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون فى السلاح ويمسون كذلك حتى قال رجل منهم ما ياتى علينا
يوم نامن فيه فقال عم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم فى الملا العظيم محتبيا ليس معه حديدة
فانجز الله عز وجل هذه الابد وانجز وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد المشرق والمغرب وصادفوا
الحال بخافهم كل من يراهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه
ما لا يخفى وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه فى الاخرة يعبدوننى حال من الموصول الاول مفيدة
لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد او استيناف ببيان المقتضى للاستخلاف وما انتظم معه فى سلك الوعد
لا يشركون بى شيئا حال من الواو اى يعبدوننى غير مشركين بى فى العبادة شيئا ومن كفر اى اتصف بالكفر
بان ثبت واستمر عليه ولم يتاثر بما مر من الترهيب والترغيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة دلايل
التوحيد كفر مستانف زايد على الاصل وقيل كفر بعد الايمان وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو
الانسب بالمقام بعد ذلك اى بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام
بتحصيلها والسعى الجميل فى حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التايهون فى تيه الغواية والضلال هم الفاسقون
الكاملون فى الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على مقدر ينبى
عنه الكلام ويستدعيه النظام فان خطابه تعالى للمامورين بالطاعة على طريق الترهيب من التولى بقوله
تعالى فان تولوا الخ وترغيبه تعالى اياهم فى الطاعة بقوله وان تطيعوه تهتدوا الخ ووعده تعالى اياهم
على الايمان والعمل الصالح بما فصل من الاستخلاف وما يتلوه من الرغايب الموعودة ووعيده على الكفر
مما يوجب الامر بالايمان والعمل الصالح والنهى عن الكفر فكانه قيل فامنوا واعملوا صالحا واقيموا او فلا تكفروا
واقيموا وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول امرهم الله سبحانه
بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول عم من طاعته التى هى طاعته تعالى فى الحقيقة تاكيدا للامر
السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية المنتظمة للاداب المرضية
ايضا اى واطيعوه فى كل ما يامركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين الخاصين المتعلقين بالصلوة
والزكوة على ان المراد بالمطاع فيه ما عداهما من الشرايع اى واطيعوه فى ساير ما يامركم به الخ وقوله تعالى
لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثانى بالاوامر الثلاثة اى افعلوا ما
ذكر من الاقامة والايتاء والطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال من اطاعه عم
واشار الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب ذلك ببيان حال من عصاه عم
ومآل امره فى الدنيا والاخرة بعد بيان تناهيه فى الفسق تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب
لكل احد ممن يصلح له كاينا من كان واما للرسول صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله فلا تكونن من المشركين ونظايره
للايذان بان الحسبان المذكور من القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك
منه ومحل الموصول النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله فى الارض ظرف لمعجزين
لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفى فيها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم
الاعجاز لجميع اجزايها اى لا تحسبنهم معجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم فى قطر من اقطار الارض
بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرى بالياء على ان الفاعل كل احد او الرسول [illegible]
[illegible] الكافرين معجزين [illegible] المفعول الاول [illegible] فى الارض مفعولا

مفعولا ثانيا بنعم لزمن المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفايدة هو المفعول الثانى ولا فايدة فى بيان
كون المعجزين فى الارض وقد مر فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قوله تعالى وماويهم النار معطوف
على جملة النهى بتاويلها بجملة خبرية لان المقصود بالنهى عن الحسبان تحقيق نفى الحسبان كانه قيل الذين كفروا
معجزين وماويهم الخ او على جملة مقدرة وقعت تعليلا للنهى كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الارض
فانهم مدركون وماويهم الخ وقيل الجملة المقدرة بل هم مقهورون ومدبرون ولبئس المصير جواب لقسم مقدر
والمخصوص بالذم محذوف اى وبالله لبئس المصير هى النار والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله وفى
ايراد النار بعنوان كونها ماوى ومصيرا لهم اثر نفى فوتهم بالهرب فى الارض كل مهرب من الجزالة ما لا
غاية وراءه فتدبر دريشان التنزيل يا ايها الذين امنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد
ما يوجب الامتثال بالاوامر والنواهى الواردة فيها وفى الاحكام اللاحقة من التمثيلات والترغيب
والترهيب والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات فى الحكم بدلالة النص او للفريقين
جميعا بطريق التغليب روى ان غلاما لاسماء بنت ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت وقيل ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما وقت الظهيرة ليدعو عمر رضى الله عنه
فدخل عليه وهو نايم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله عنه لوددت ان الله تعالى نهى اباءنا وابناءنا
وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد والجوارى والذين لم
يبلغوا الحلم اى الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهودة والتعبير عنه بالحلم لكونه اظهر دلايله
منكم اى من الاحرار ثلث مرات اى ثلاثة اوقات فى اليوم والليلة والتعبير عنها بالمرات للايذان بان
مدار وجوب الاستيذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستاذنين بالمخاطبين لا انفسها من قبل
صلوة الفجر لظهور انه وقت القيام عن المضاجع وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب
على انه بدل من ثلث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى احدها من قبل الخ وحين تضعون
ثيابكم اى ثيابكم التى تلبسونها فى النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى من الظهيرة وهى شدة
الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعنى وضع الثياب فى هذا الحين دون الاول
والاخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها كما ينبى عنه ايراد الحين مضافا الى
فصل حادث منقض ووقوعها فى النهار الذى هو مئنة لكثرة الورود والصدور ومظنة لظهور الاحوال
وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما فى الوقتين المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما
امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلوة العشاء ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف
باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين مطلقهما المتحقق فى الوقت الممتد المتخلل بين الصلاة
كما فى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى بل ما
يعرض منهما لطرفى ذلك الوقت الممتد المتصلين بالصلوتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى
ثلث عورات لكم خبر مبتدأ محذوف وقوله لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلث عورات اى كائنة لكم
والجملة استيناف مسوق لبيان علة وجوب الاستيذان اى هى ثلاثة اوقات يختل فيها التستر عادة
والعورة فى الاصل هو الخلل غلب فى الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت على الاوقات
المشتملة عليها مبالغة كانها نفس العورة وقرى ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم
ولا عليهم اى على المماليك والصبيان جناح اى اثم فى الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من
مخالفة الامر والاطلاع على العورات بعدهن اى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهى
الاوقات المتخللة بين كل اثنتين منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات
قبل كل عورة من العورات كما انها بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذى هو عبارة
عن رفعه اذ الرخصة انما تتصور فى فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين
مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها بالطرد والعكس وقد جوز على القراءة الاولى كونها فى محل الرفع على انها

إما صفة أخرى لثلاث عورات وإما على القراءة الثانية فهي مستأنفة لا غير إذ لو جعلت صفة لثلاث عورات
وهي بدل من ثلاث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء في ثلاث عورات لا إثم في ترك الاستئذان بعدهن
وحيث كان انتفاء الإثم مما لم يعلمه السامع إلا بهذا الكلام لم يتبين إبرازه في معرض الصفة بخلاف قراءة الرفع
فإن انتفاء الإثم معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استئناف ببيان العذر المرخص
في ترك الاستئذان وهي المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الأحكام وكذا في الفرق
بين الأوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم على بعض أي بعضكم طائف على بعض طوافا كثيرا أو
بعضكم يطوف على بعض كذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا
من تفخيم شأن المشار إليه والإيذان ببعد منزلته وكونه في الوضوح بمنزلة المشار إليه حسا أي مثل ذلك
التبيين يبين الله لكم الآيات الدالة على الأحكام أي ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها
لا أنه تعالى يبينها بعد أن لم تكن كذلك والكاف مقحمة وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم
أمة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق
إلى المؤخر وقيل يبين علل الأحكام وليس بواضح مع أنه مؤد إلى تخصيص الآيات بما ذكر ههنا والله
عليم مبالغ في العلم بجميع المخلوقات بجميع أحوالهم حكيم في جميع أفعاله فيشرع لكم ما فيه صلاح أمركم
معاشا ومعادا وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم لما بين فيما مر آنفا حكم الأطفال في أنه لا جناح في
ترك الاستئذان فيما عدا الأوقات الثلاثة عقب ببيان حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى يتوهم أنهم وإن كانوا
أجانب ليسوا كسائر الأجانب بسبب اعتيادهم الدخول أي إذا بلغ الأطفال الأحرار الأجانب فليستأذنوا
إذا أرادوا الدخول عليكم وقوله تعالى كما استأذن الذين من قبلهم في حيز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد
للفعل السابق والموصول عبارة عمن قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم
بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم قبل ذكرهم لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لما أن المقصود بالتشبيه
بيان كيفية استئذان هؤلاء وزيادة إيضاحه ولا يتسنى ذلك إلا بتشبيهه باستئذان المعهودين
عند السامع ولا ريب في أن بلوغهم قبل بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال أحد وإن كان الأمر كذلك في الواقع
وإنما المعهود المعروف ذكرهم قبل ذكرهم أي فليستأذنوا استئذانا كائنا مثل استئذان المذكورين قبلهم
بأن يستأذنوا في جميع الأوقات ويرجعوا إن قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم
آياته والله عليم حكيم الكلام فيه كالذي سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة في الأمر بالاستئذان وإضافة
الآيات إلى ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء أي العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون
نكاحا أي لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن أي الثياب الظاهرة كالجلباب ونحوه
والفاء لأن اللام في القواعد بمعنى اللاتي أو للوصف بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات لزينة مما أمر
بإخفائه في قوله تعالى ولا يبدين زينتهن وأصل التبرج التكلف في إظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا
غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا أنه خص بكشف المرأة زينتها
ومحاسنها للرجال وأن يستعففن بترك الوضع خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ في سمع
جميع ما يسمع فيسمع ما يجري بينهن وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا
يخفى ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هؤلاء الطوائف يتحرجون
من مواكلة الأصحاء حذارا من استقذارهم إياهم وخوفا من تأذيهم بأفعالهم وأوضاعهم فإن الأعمى
فإن الأعمى ربما سبقت يده إلى ما سبقت إليه عين أكيله وهو لا يشعر به والأعرج يتفسح في مجلسه
فيأخذ أكثر من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو عن حالة تؤذي قرينه وقيل كانوا يدخلون
على الرجل لطلب العلم فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو إلى بعض من سماهم
الله عز وجل في الآية الكريمة فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا إلى بيت غيره ولعل أهله كارهون
لذلك وكذا كانوا يتحرجون من الأكل من أموال الذين كانوا إذا خرجوا إلى الغزو وخلفوا هؤلاء الضعفاء
في بيوتهم ودفعوا إليهم مفاتيحها وأذنوا لهم أن يأكلوا مما فيها مخافة أن لا يكون إذنهم عن طيب نفس منهم وكانوا

وكانوا غير هؤلاء أيضا يتحرجون من الأكل في بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة ولا على
أنفسكم أي عليكم وعلى من يماثلكم في الأحوال من المؤمنين حرج أن تأكلوا أي تأكلوا أنتم وهم
معكم وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة أيضا يأباه ما قبله وما بعده فإن الخطاب فيهما لغير
أولئك الطوائف حتما من بيوتكم أي البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الأولاد
لأن بيتهم كبيته لقوله عم أنت ومالك لأبيك وقوله عم إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه أو بيوت
آبائكم أو بيوت أمهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الأولى وفتح الثانية أو بيوت إخوانكم
أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم
أو ما ملكتم مفاتحه من البيوت التي تملكون التصرف فيها بإذن أربابها على الوجه الذي مر
بيانه وقيل هي بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه أو صديقكم
أي أو بيوت صديقكم وإن لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فإنهم أرضى بالتبسط وأسر به من كثير
من الأقرباء روي عن ابن عباس أن الصديق أكبر من الوالدين إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا
بالآباء والأمهات بل قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط
والقطين وأضرابهما وهذا فيما إذا علم رضا صاحب البيت بصريح الإذن أو بقرينة دالة عليه ولذلك
خصص هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا
جميعا أو أشتاتا كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤ
كبني ليث بن عمرو بن كنانة يتحرجون أن يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث
يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين
يديه لا يتناوله من الصباح إلى الرواح وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى
يجد من يشاربه فإذا أمسى ولم يجد أحدا أكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته
وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول إني أتحرج أن آكل معك وأنا غني وأنت فقير وقيل كان
قوم من الأنصار لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاؤوا وقيل
كانوا إذا اجتمعوا ليأكلوا طعاما عزلوا للأعمى وأشباهه طعاما على حدة فبين الله تعالى أن
ذلك ليس بواجب وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تأكلوا وأشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو
جمع شت على أنه صفة كالحق يقال أمر شت أي متفرق أو على أنه في الأصل مصدر وصف به مبالغة
أي ليس عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين فإذا دخلتم شروع في بيان الآداب التي يجب رعايتها
عند مباشرة ما رخص فيه إثر بيان الرخصة فيه بيوتا أي من البيوت المذكورة فسلموا على أنفسكم
أي على أهلها الذين بمنزلة أنفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية
من عند الله أي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز أن يكون صلة للتحية فإنها طلب الحياة التي
هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لأنها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير والثواب
ودوامهما طيبة يطيب بها نفس المستمع وعن أنس رضي الله عنه أنه عم قال متى لقيت أحدا يكثر خير
وصل صلاة الضحى فإنها صلاة الأبرار الأوابين كذلك يبين الله لكم الآيات تكرير لتأكيد
الأحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون أي ما في تضاعيفها من الشرائع والأحكام وتعملون بموجبها
وتفوزون بذلك بسعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية القصوى بعد تذييل
الأوليين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله استئناف جيء
به في أواخر الأحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها ببيان بعض آخر من
جنسها وإنما ذكر الإيمان بالله ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع خبرا للمبتدأ مع تضمنه له قطعا
تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وإيذانا بأنه حقيق بأن يجعل قرينا للإيمان بهما منتظما في سلكه
فقوله تعالى وإذا كانوا معه على أمر جامع الخ معطوف على آمنوا داخل معه في حيز الصلة أي إنما
الكاملون في الإيمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم وأطاعوهما في جميع الأحكام التي من

من جملتها ما فصل من قبل من الاحكام المتعلقة بها مذ اخواتهم المطردة في الوقوع واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه عم على امر جامع يجب اجتماعهم في شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولي الآراء والتجارب ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما لا يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستاذنوه عم في الذهاب لا على ان نفس الاستيذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الاذن المنوط برأيه عم والاقتصار على ذكره لانه الذي من قبلهم وهو المعتبر في كمال الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه ولاعتباره في ذلك لما انه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص عن النفاق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه عم من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فقضى بان المستاذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاولى بان الكاملين في الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستيذان وفي اولئك من تفخيم شأن المستاذنين ما لا يخفى فاذا استاذنوك بيان لما هو وظيفته عم في هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين وان الاذن عند الاستيذان ليس بامر محتوم بل مفوض الى رأيه عم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعدما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستاذنون فاذا استاذنوك لبعض شأنهم اي لبعض امرهم المهم وخطبهم الملم فأذن لمن شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة واستغفر لهم الله فان الاستيذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الآخرة ان الله غفور مبالغ في مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشأنه اي لا تجعلوا دعوته عم اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاءه عم اياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه والرجوع عن مجلسه عم بغير استيذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه عم كدعاء بعضكم لبعض يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد له عند الله عز وجل وتقرير الجملة ح لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه عم مما يوجب امتثالهم باوامره عم ومتابعتهم له في الورود والصدور بالكل ايجاب واما من حيث انها موجبة للاحتراز عن التعرض لسخطه عم المؤدي الى ما يوجب هلاككم من دعائه عم عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا دعاءه عم كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي الله مع غاية التوقير والتفخيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام قد يعلم الله الذين يتسللون منكم الخ وعيد للمخالفين امره عم فيما ذكر من قبل فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق كما ان رب تجيء للتكثير حسبما بين في مطلع سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا على خفية لواذا ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج او بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه من اتباعه وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اي ملاوذين او على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر او الامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن اما لتضمينه معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لما ان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة اي محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم اي في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فان ترتيب العذاب على مخالفته كما يترتب عنه التحذير عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال واعداما بدأ واعادة حتما ألا إن لله ما في السموات والارض من الموجودات بأسرها خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدءا واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال والاوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص

والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه عطف على ما انتم عليه اي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشيء مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه وآكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الامر فيرتب عليه ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد جرد وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الآية والله بكل شيء عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء عن النبي عم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي والله اعلم

سورة الفرقان مكية سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة التفاعل للمبالغة فيما ذكر فانما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا تنسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما على الانسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية والصيغة ح يجوز ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجب المناسب للانشاء والانباء عن غاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اي فصل بينهما سمي به القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه من بعض في نفسه او في انزاله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم وايراده عم بذلك العنوان لتشريفه والايذان بكونه في اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ليكون غاية التنزيل عليه ليكون هو عليه السلام او الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا اي منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على حال الكفرة وايراد تنزيل الفرقان في معرض الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى لا ريب فيه الذي له ملك السموات والارض اي له خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستانفة مقررة لما قبلها او على انه نعت للموصول الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام صلة ومعلومية مضمونه لكون الكفرة مقرين به كما قال تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره او مدح له تعالى بالرفع او النصب ولم يتخذ ولدا كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون سبحانه عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايذان بان معناه من الوضوح والظهور بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرير ما قبله ولم يكن له شريك في الملك اي ملك السموات والارض وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر مع ان ما ذكر من اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الالهة والرد في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله وكونه تتمة الاول وخلق كل شيء اي احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته

للتسنة على الحكم البالغة بان خلق كلا منها من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص
مختلفة الآثار والاحكام فقدره اى هيأه لما اراد به من الخصائص والافعال اللائقة به تقديرا
بديعا لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر فى امور
المعاد والمعاش واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع و
قيل اريد بالخلق مطلق الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير وان لم يخل عنه فى
نفس الامر فالمعنى اوجد كل شئ فقدره فى ذلك الايجاد تقديرا واما ما قيل من انه سمى احداثه تعالى
خلقا لانه تعالى لا يحدث شيئا الا على وجه التقدير من غير تفاوت ففيه ان ارتكاب المجاز بحمل
الخلق على مطلق الاحداث لتجريده عن معنى التقدير باعتباره بغير وجه من الوجوه مخل بالمرام قطعا
وقيل المراد بالتقدير الثانى هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وايا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل
لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها فى سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع
كما يقتضى استقلاله تعالى بالاتصاف بصفات الالوهية يقتضى انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت
ملكوته القاهرة بحيث لا يشذ منها شئ من ذلك قطعا وما كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه
او شريكا فى ملكه **واتخذوا من دونه آلهة** بعدما بين حقيقة الحق فى مطلع السورة الكريمة بذكر
تنزيله تعالى الفرقان العظيم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزيهه عما لا
يليق بشأنه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين فى حق المنزل سبحانه والمنزل والمنزل عليه على
الترتيب واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكر للكفرة بدلالة ما قبله من نفى الشريك عليهم
اى اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله الذى ذكر بعض شؤونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض
به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير آلهة **لا يخلقون شيئا** اى
لا يقدرون على خلق شئ من الاشياء اصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون على ان
يختلقوا شيئا **وهم يخلقون** حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى **ولا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا** لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض المخلوقين العاجزين عن
الخلق ربما يملكان دفع الضر وجلب النفع فى الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون على التصرف فى ضر
ليدفعوه عن انفسهم ولا فى نفع فيجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان
دفعه مع كونه اهم فى نفسه اول مراتب النفع واقدمها والتنصيص على قوله تعالى **ولا يملكون موتا ولا
حياة ولا نشورا** اى لا يقدرون على التصرف فى شئ منها باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم لبيان
عجزهم عما هو اهون من هذه الامور من دفع الضر وجلب النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على
التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية
جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفى عن آلهتهم من الامور المذكورة مفتقرون الى
التصريح بذلك **وقال الذين كفروا ان هذا الا افك** شروع فى حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل
والمنزل عليه معا وابطالها والموصول عبارة عن غلاتهم فى الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث
وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم وروى عن الكلبى ومقاتل ان القائل هو النضر
بن الحارث والجمع لمشايعة الباقين له فى ذلك اى ما عن كلهم ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم
فى حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفى كلمة هذا حط لرتبة المشار اليه اى ما هذا
الا كذب مصروف عن وجهه **افتراه** يريدون انه اختلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم **واعانه عليه** اى على اختلاقه
قوم آخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار الامم الدارجة وهو يعبر عنها بعبارته وقيل هما
جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وقيل هو عابس وقد مر تفصيله فى
سورة النحل **فقد جاؤا ظلما** منصوب بجاؤا فان جاء واتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته
او بنزع الخافض اى بظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اى جاؤا بما قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر
قدره حيث جعلوا الحق البحت الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه افكا مفترى من

قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت الانس والجن على مباراته
لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام المستتبعة
للسعادات الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناله عقول البشر ولا تفى بفهمه
القوى والقدر **وزورا** اى كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه عليه السلام ما هو برئ منه والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع احدهما عقيب الآخر
او يحصل بسببه بل على ان الثانى هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتبارى
وقد تحقق ذلك فان ما جاؤا به من الظلم والزور هو عين ما حكى عنهم لكنه لما كان مغايرا له فى
المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره **وقالوا
اساطير الاولين** بعدما جعلوا الحق الذى لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر بينوا على زعمهم
الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهى ما سطره المتقدمون
من الخرافات **اكتتبها** اى كتبها لنفسه على الاسناد المجازى او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه
عم امى واصله اكتتبها له كاتب فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف
الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمى بخصوصه وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه **فهى تملى عليه** اى تلقى عليه
تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر
على ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتابها
ورجع الضمير اليه عليه السلام لاسناد الكتابة فى ضمن الاكتتاب اليه عليه السلام **بكرة واصيلا** اى دائما
او خفية قبل انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الرتبة من الجرأة العظيمة قاتلهم
الله انى يؤفكون **قل** لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق **انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض**
وصفه تعالى باحاطة علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية
عن عقول البشر مع ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التى هى من جملة معلوماته تعالى
اى ليس ذلك مما يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين
بل هو امر سماوى انزله الله الذى لا يعزب عن علمه شئ من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار على وجه
بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته واخبركم بمغيبات مستقبلة وامور مكنونة
لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه افكا مفترى من قبيل الاساطير
استوجبتم بذلك ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى **انه كان غفورا رحيما** تعليل
لما هو المشاهد من تأخير العقوبة اى انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة والرحمة المستتبعتين للتأخير
فلذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون فى حقه مع كمال استيجابه اياها وغاية قدرته تعالى عليها **وقالوا ما
لهذا الرسول** شروع فى حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل عليه وما استفهامية بمعنى انكار
الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء وخبرها ما بعدها من الجار والمجرور وفى هذا تصغير لشأنه عليه السلام
وتسميته رسولا بطريق الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذى ارسل اليكم وقوله تعالى **يأكل
الطعام** حال من الرسول والعامل فيها ما عمل فى الجار من معنى الاستقرار اى اى شئ واى سبب حصل
لهذا الذى يدعى الرسالة حال كونه يأكل الطعام كما نأكل **ويمشى فى الاسواق** لابتغاء الارزاق كما
نفعله على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب الذى هو مضمون الجملة الحالية كما فى
قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء
امر محقق قد انكر واستبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل
والمشى امر محقق قد استبعد تحققه لانتفاء سببه بل لوجود سبب عدمه خلا ان استبعاد
المسبب وانكار السبب ونفيه فى عدم الايمان وعدم الرجاء بطريق التحقيق وفى الاكل والمشى بطريق
التهكم والاستهزاء فانهم لا يستبعدونهما ولا ينكرون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق
سببهما وانما الذى يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم يعنون انه ان صح ما يدعيه فما باله لم

يخالف حاله حالنا وهل هو الا لقصور فهمهم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل
عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر
مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك اي على صورته وهيئته فيكون معه نذيرا
تنزل منهم عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه ويكون
ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه ويفسر ما يقوله للعامة وقوله تعالى او يلقى اليه كنز تنزل من
تلك المرتبة الى اقتراح ان يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا الى طلب المعاش ويكون دليلا على
صدقه وقوله تعالى او تكون له جنة ياكل منها تنزل من ذلك الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من
الوقوع وقرئ ناكل بنون الحكاية بتوقيفه مزيد مكابرة وفرط تحكم وقال الظالمون هم القائلون الاول
وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه اضلالا خارجا عن حد
الضلال مع ما فيه من نسبته عليه السلام الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا
مسحورا قد سحر فغلب على عقله وقرئ ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير
والاول هو الانسب بحالهم انظر كيف ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا على التفوه
بها وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية
لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك تلك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا اي عن
طريق المحاجة حيث لم ياتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين فلا يستطيعون
سبيلا الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في نفسه او فضلوا عن الحق
ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد استعمال هذه الاباطيل لا يكاد يهتدي
الى استعمال المقدمات الحقة تبارك الذي اي تكاثر وتزايد خير الذي ان شاء جعل لك في الدنيا
عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة تاكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك
في الآخرة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار بدل من خيرا ومحقق لخيريته مما قالوا لان ذلك
كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ
بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط اذا كان ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كما في قول القائل

۞ وان اتاه خليل يوم مسغبة ۞ يقول لا غائب مالي ولا حرم ۞

ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو وتعليق
ذلك بمشيئة الله تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح وعدم التعرض
لجواب الاقتراحين الاولين للتنبيه على ان خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب
لظهور بطلانهما ومنافاتهما للحكمة التشريعية وانما الذي له وجه في الجملة هو الاقتراح الاخير
فانه غير مناف للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتي في الدنيا مع النبوة ملكا عظيما
بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى توبيخهم بحكاية
جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله تعالى واعتدنا
لمن كذب بالساعة سعيرا الخ اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال شانها كيت وكيت بسبب
تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم اي لكل من كذب بها كائنا من كان وهم داخلون
في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن
مجرد تكذيبهم بالساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما جاءت به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة
القريبة لدخولهم السعير اشير الى سببية تكذيبها لدخولها وقيل هو عطف على قالوا ما لهذا الخ على
معنى بل اتوا باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب
بها سعيرا فان جراءتهم على التكذيب بها وعدم خوفهم مما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب
من القول السابق وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المنبئ عن الوعد بالجنات في الآخرة
مسوق لبيان ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحلى بطائل على طريقة قول من قال ۞ عوجوا

۞ عوجوا لنعم فنحيي دمنة الدار ۞ ماذا تحيون من نؤي واحجار ۞

والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك
في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست
الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله تعالى اذا راتهم الخ صفة للسعير اي اذا
كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما اي لا تتقاربان بحيث تكون احداهما
بمرأى من الاخرى على المجاز كان بعضها يرى البعض ونسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بان
التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى
من مكان بعيد اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من المسافة حين راتهم خارج عن حدود البعد
المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها قال الكلبي والسدي من مسيرة عام
وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي صوت تغيظ على تشبيه صوت غليانها
بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحيوة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية
امكن ان يخلق الله تعالى فيها حيوة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها
على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه في الاصل
صفة له ضيقا صفة لمكانا مقيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة
وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم تضيق جهنم
عليهم كما يضيق الزج على الرمح وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم
ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب والاعلون يحطهم
الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء مقرنين حال من مفعول القوا اي اذا القوا
منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل مقرنين مع
الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك اي في ذلك
المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا اي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك
واوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا
اي دعوا مقولا لهم ذلك حقيقة بان يخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم وانهم لا
يجابون الى ما يدعونه ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال
له ذلك من غير ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوه حال كونهم احقاء بان يقال لهم
ذلك واما مستانف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا يكون عند دعائهم
المذكور فقيل يقال لهم ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ
لهم الى استدعاء الهلاك بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبور واحد وادعوا
ثبورا كثيرا اي بحسب كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد
في حد ذاته لكنه كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كانه ثبور مغاير لما تعلق به
دعاء آخر منها وتحقيقه لا تدعوه دعاء واحدا وادعوه ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من
العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب لتكرير الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب
وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتعدد العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده
بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو
ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت
جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم المقام كيف لا وهم انما يدعون هلاكا ينهي عذابهم
وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا لهم عن ذلك ببيان استحالته ودوام ما يوجب استدعاءه
من العذاب الشديد وتقييد النهي والامر باليوم لمزيد التهويل بالتفظيع والتنبيه على انه ليس
كسائر الايام المعهودة قل تقريعا لهم وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم اذلك اشارة الى ما ذكر

من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من الاحوال الهائلة وما فيه من معنى التفضيل للاشعار بكونها في غاية
القاصية من الهول والفظاعة اي قل لهم اذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة
وشأنها كيت وكيت وشأن اهلها ذيت وذيت **خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون** اي
وعدها المتقون واضافة الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين
المتصفون بمطلق التقوى لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط **كانت** تلك الجنة **لهم** في علم
الله تعالى او في اللوح او لان ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة فحكى تحققه ووقوعه **جزاء** على
اعمالهم حسبما مر من الوعد الكريم **ومصيرا** ينقلبون اليه **لهم فيها ما يشاؤون** اي ما يشاؤونه من فنون
الملاذ والمشتهيات وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم
يقنع بما اتيح له من درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا
يلزم الحرمان ولا التساوي في مراتب اهل الجنان **خالدين** حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده
على المبتدأ وقيل من فاعل يشاؤون **كان** اي ما يشاؤونه وقيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد
المتقون **على ربك وعدا مسؤولا** اي موعودا حقيقيا بان يسأل ويطلب لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون
او مسؤولا يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا
وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا
يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز
وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم من تشريفه والاشعار بانه عم هو الفائز
بآثار ذي بتر عام الوعد الكريم ما لا يخفى **ويوم يحشرهم** نصب على انه مفعول لمضمر مقدم معطوف
على قوله تعالى قل اذلك الخ اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق
التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث الهائلة قد مر وقيل على انه ظرف لمضمر
مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه اي
يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق
الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا **وما يعبدون من دون الله** اريد به ما يعم
العقلاء وغيرهم اما لان كلمة ما موضوعة للكل كما ينبئ عنه انك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما
هو ولانه اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبوديهم او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها
على انهم مثلها في السقوط عن مرتبة المعبودية او اعتبارا لغلبة عبدتها او اريد به الملائكة والمسيح
وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله تعالى او تتكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة
الايدي والارجل **فيقول** اي الله عز وجل للمعبودين اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتبكيتا لهم وقرئ
بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء والاول بالنون على طريقة الالتفات الى الغيبة **أأنتم
اضللتم عبادي هؤلاء** بان دعوتموهم الى عبادتكم كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله **ام هم ضلوا السبيل** اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم
عن المرشد فحذف الجار واوصل الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او
للسبيل وتقديم الضميرين على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال هو المتصدي للفعل لا نفسه **قالوا** استئناف
مبني على سؤال نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا **سبحانك**
تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء واشعارا بانهم الموسومون
بتسبيحه تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده او تنزيها له تعالى عن الانداد **ما كان ينبغي
لنا** اي ما صح وما استقام لنا **ان نتخذ من دونك** اي متجاوزين اياك **من اولياء** نعبدهم لما بنا
من الحالة المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا غيرك فضلا ان يتخذنا اولياء او ان
نتخذ من دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المتبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على
الاعلى والاسفل ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى مفعولين كما في

قوله تعالى واتخذ الله ابرهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء على ان من للتبعيض اي ان نتخذ بعض اولياء
وهي على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام **ولكن متعتهم وآباءهم**
استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم وقد نعى عليهم سوء صنيعهم
حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم ليعرفوا حقها ويشكروا
فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها **حتى نسوا الذكر** اي غفلوا عن ذكرك وعن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك
فجعلوا اسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية **وكانوا** اي في قضائك المبني على علمك الازلي
المتعلق بما سيصدر عنهم فيما لا يزال باختيارهم كالاعمال السيئة **قوما بورا** هالكين على ان بورا مصدر
وصف به الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعوذ في جمع عائذ والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى **فقد كذبوكم** حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق
تلوين الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على
تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة **بما تقولون**
في قولكم انهم آلهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا وباباه ان تكذيبهم في هذا القول لا تعلق له بما بعده من عدم
استطاعتهم الصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم آلهتهم وناصروهم والباء كما
بالباء بمعنى في او هي صلة التكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب وقرئ بالياء اي كذبوكم
بقولهم سبحانك الآية **فما تستطيعون** اي ما تملكون **صرفا** اي دفعا للعذاب عنكم بوجه من الوجوه
كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف في اموره اي يحتال فيها
وقيل توبة **ولا نصرا** اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة
على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا
يزعمون انهم يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة
اي فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم وترتيب ما بعد الفاء على ما قبلها كما
مر بيانه **ومن يظلم منكم** ايها المكلفون كدأب هؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم
عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج كل حد معتاد **نذقه** في الآخرة **عذابا كبيرا** لا يقادر قدره وهو عذاب
النار وقرئ يذقه على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم
اشتراك الفاسق للكافر في اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا
وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا **وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق** جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق
والجملة الواقعة بعد الا صفة لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين وماشين وقيل
هي حال والتقدير الا وانهم ليأكلون الخ وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي يمشيهم حوائجهم والناس **وجعلنا
بعضكم** تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم
فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا بعضا منهم وبما في قوله **لبعض** رسلهم لكن لا على
معنى جعلنا مجموع البعض الاول **فتنة** اي ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من
افراد البعض الاول فتنة لكل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا بعضا معينا من الاولين
فتنة لبعض معين من الآخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير مفتون بمجموع الامم ولا
لكل فرد منهم بكل فرد من الامم ولا البعض منهم من الاولين ببعض منهم من الآخرين بل على معنى جعلنا
كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا كل امة مخصوصة من الامم الكافرة
فتنة لرسولها المعين المبعوث اليها وانما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة الحال هذا واما تعميم الخطاب
لجميع المكلفين وابقاء البعض على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم ايها الناس فتنة لبعض آخر
منكم فيأباه قوله تعالى **أتصبرون** فانه غاية للجعل المذكور ومن البين ان ليس ابتلاء كل احد من آحاد الناس

مضيا بالصبر بما يناسب حاله على ان الاقتصار على ذكره من غير تعرض لما دله مما يدل على ان اللائق بحال المفتونين
والمتوقع صدوره عنهم والصبر لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل ليحصل به تسلية عم فالمعنى جرت سنتنا
بموجب حكمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم واقاويلهم الخارجة عن حدود الانصاف
لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول صلى الله عم بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد
تشريف له عم بالالتفات الى اسم الرب مضافا الى ضميره عم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض
آخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على قوله تعالى وقالوا
مال هذا الرسول الخ ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة على ان ما يحكى عنهم في الشناعة
بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة عن مصادفته من غير ان يمنع مانع من ادراكه
بوجه من الوجوه والمراد بلقائه اما الرجوع اليه تعالى بالبعث والحشر او لقاء حسابه كما في قوله اني ظننت
اني ملاق حسابيه وبعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لا عدم
املهم حسن اللقاء ولا عدم خوفهم سوء اللقاء لان عدمهما غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار وانكار
البعث والحساب راسا اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا او حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي
يستوجبه مقالتهم لولا انزل علينا الملائكة اي هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عم وقيل هلا
انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب لقولهم او نرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناشئ عن غاية غلوهم
في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم اي في شأنهم حتى اجترؤا على
التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان عتوا كبيرا بالغا
اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسول والملك كما قالوا لولا يكلمنا الله
ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا في الاقتراح كل مذهب حتى منتهم
انفسهم الخبيثة اماني لا تكاد ترنو اليها احداق الامم ولا تمتد اليها اعناق الهمم ولا ينالها الا اولو العزائم
الماضية من الانبياء عليهم السلام واللام جواب قسم محذوف اي والله لقد استكبروا الآية وفيه من الدلالة
على غاية قبح ما هم عليه والاشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملائكة استئناف
سيق لبيان ما يلقونه عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملائكة عم بعد استعظامه وبيان كونه في غاية
ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم ينزل الملائكة ايذانا من اول الامر بان رؤيتهم
لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه آخر غير معهود ويوم منصوب على الظرفية بما يدل
عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون والعدول الى نفي الجنس للمبالغة
في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى
وفقدانها مشعران بان هناك بشرى يمنعونها او يفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها
كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت
دل على ثبوت النذرى لهم على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يؤكده بشرى على ان لا غير نافية للجنس
وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم رؤيتهم الملائكة ويومئذ على كل حال تكرير للتاكيد
والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا لقصر نفي البشرى على ذلك الوقت فقط
فان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين على انه مظهر وضع موضع الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم
عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث يتناول فساق المؤمنين ثم الالتجاء في اخراجهم عن الحرمان الكلي
الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت آخر
بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف على ما ذكر من الفعل المنفي المنبئ عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من
الشر وغاية هول مطلعه ببيان انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها
عند لقاء عدو موتور وهجوم نازلة هائلة يضعونها موضع الاستعاذة يطلبون من الله ان يمنع المكروه
فلا يلحقهم فكان المعنى نسأل الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحاء تصرف فيه لاختصاصه بموضع
واحد كما في قعدك وعمرك وقد قرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون نزول الملائكة عليهم السلام ويقترحونه

ويترجونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا منهم فزعا شديدا وقالوا ما كانوا
يقولونه عند نزول خطب وحلول باس فظيع ومحجورا صفة لحجرا وارادة للتاكيد كما قالوا
ذيل ذائل وليل أليل وقيل يقولها الملائكة اقناطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم
الغفران او الجنة او البشرى اي جعل الله تعالى ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما
عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة
ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان
لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه
فقدم الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافنى عليها بالافساد والتمزيق وفرقها كل ممزق ولم
يترك لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون
هناك قدوم ولا شيء يقصد تشبيهه به والهباء شبه غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من
الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفة شبه به اعمالهم المحبطة في الحقارة وعدم الجدوى بالمنثور منه
في الانتثار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا
قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون المشار اليهم في قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد
التي وعد المتقون يومئذ خير مستقرا المستقر المكان الذي يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث
واحسن مقيلا المقيل المكان الذي يؤوى اليه للاسترواح الى الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي به
لما ان التمتع به يكون وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل
اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر
رمز الى انه مزين بفنون الزين والزخارف والتفضيل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق
اي هم في اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او
الى ما لهم في الآخرة بطريق التهكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الآية هذا وقد جوز ان يراد
باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة
ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذفت احدى التاءين كما في تلظى وقرئ بادغام
التاء في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا
ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل
ونزل الملائكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود وينزل الملائكة
ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملائكة ونزل وتنزل على صيغة المتكلم من الانزال
والتنزيل وتنزل الملائكة ونزل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من
ننزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلي العام الثابت صورة ومعنى
ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق صفته وللرحمن خبره
ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدا وفائدة التقييد ان ثبوت الملك المذكور له تعالى خاصة يومئذ
واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في الجملة وقيل الملك مبتدا والحق خبره
وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف على التبيين ويومئذ معمول للملك وقيل الخبر يومئذ والحق
نعت للملك وللرحمن على ما ذكر واياما كان فالجملة عاملة في
الظرف اي ينفرد الله تعالى بالملك يوم تشقق وقيل الظرف منصوب بما ذكر والجملة استئناف مسوق
لبيان احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون
على الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان الملك
الحقيقي يومئذ كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم للرحمن ذلك اليوم وكان
يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما المؤمنون
فيكون عليهم يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه اخف

من صلوته وتكنوته صلاحها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض الظالم على يديه
عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات من الغيظ والحسرة لانها من
روادفها والمراد بالظالم اما عقبة بن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم
فدعاه عم يوما الى ضيافته فابى عم ان يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن
خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن الآن لا يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه
فشهدت له فقال اني لا ارضى منك الا ان تاتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار
الندوة ففعل ذلك فقال عم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر
عليا رضي الله عنه فقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن عم ابيا يوم احد في المبارزة
فرجع الى مكة فمات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول الخ حال من فاعل
يعض وقوله تعالى يا ليتني الخ محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى
محذوف اي يا هؤلاء ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي طريقا واحدا منجيا من مهالك الورطات
وهو طريق الجنة ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت في صحبته عم طريقا ولم اكن ضالا لا طريق
لي قط يا ويلتا بقلب ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري وقرئ على الاصل يا ويلتي اي هلكتي تعالى واحضري
فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا كناية عن الاعلام
كما ان الهن كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم اناثهم وفل
كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة عن غير العاقل ويختص
فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله في لجة امسك فلانا عن فل وقوله حدثنا عن فل وفلان وليس فل
مرخما من فلان خلافا للفراء واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء هذا فان اريد بالظالم
عقبة ففلان كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كائنا من كان من شياطين
الانس والجن وهذا التمني منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن لنوع تعلل واعتذار
بتوريك جنايته الى الغير وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور وتوضيح لتعلله و
تصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطائه واظهار ندمه وحسرته اي والله لقد اضلني عن ذكر
الله تعالى او عن القرآن او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه
وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان حيث يواليه حتى يورده الى
الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى او من تمام كلام الظالم
على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف الشيطانية او على انه اراد
بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول الهادي بوسوسته واغوائه فان
وصفه بالخذل لا يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بانه ينفعه في الآخرة وهو ادق لحال ابليس و
قال الرسول عطف على قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه
وبيان ما يحيق بهم في الآخرة من الاهوال والخطوب وايراده عم بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على
نحورهم حيث كان ما حكي عنهم قدحا في رسالته عم اي قالوا كيت وكيت وقال الرسول اثر ما شاهد منهم
غاية العتو ونهاية الطغيان بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومي يريد الذين حكي عنهم ما حكي
من الشنائع اتخذوا هذا القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون
العقاب كما ينبئ عنه كلمة الاشارة مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه رأسا
ولم يتأثروا بوعيده وفيه تلويح بان من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقرآن كيلا يندرج تحت
ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء
يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر
اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم الباطل واما بانهم هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم
من قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وقد جوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول

والمعقول فالمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف ما لا يخفى فان الانبياء اذا شكوا الى
الله عز وجل قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل عليه عم مسليا فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء بمن قبله من الانبياء عليهم السلام اي كما جعلنا لك
اعداء من المشركين يقولون ما يقولون ويفعلون ما يفعلون من الاباطيل جعلنا لكل نبي من الانبياء
الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مرتكبي الجرائم فاصبر كما صبروا وقوله تعالى وكفى
بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له عم بالهداية الى كافة مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك
مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية الغايات التي من جملتها تبليغ
الكتاب اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيامة وناصرا لك على جميع من يعاديك وقال
الذين كفروا حكاية لنوع آخر من اباطيلهم الخاص بالقرآن الكريم بعد حكاية اباطيلهم وهم القائلون
القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار بعلة الحكم لولا نزل عليه القرآن المنزل
هنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز
انه اريد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله جملة واحدة كما انزلت الكتب الثلاثة وبطلان
هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها
من عند الله تعالى اعجازها واما القرآن الكريم فبينة صحته وآية كونه من عند الله عز وجل
نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدرة بمقدار اقصر السور حسبما
وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الاحوال ومن
ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوائد جمة قد اشير الى بعض منها بقوله
كذلك لنثبت به فؤادك فانه استئناف وارد من جهته تعالى لرد مقالتهم الباطلة وبيان
الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انه صفة لمصدر مؤكد بمضمر معلل بما بعده وذلك
اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي قدحوا فيه واقترحوا خلافه نزلناه
لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسيرا لحفظ النظم وفهم
المعاني وضبط الاحكام والوقوف على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة
على انها منطوية باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تبديلا بالنسخ من احوال المكلفين وكذلك
عامة ما ورد في القرآن المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل
ومن قضية تجددها تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها
وابطالها وبيان ما يؤول اليه حالهم في الآخرة على انهم في هذه الاقتراح كالباحث عن حتفه
بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت
عليهم الارض بما رحبت فكيف لو تحدوا بكله وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا
للتفخيم اي كذلك نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه آية بعد آية
قاله النخعي والحسن وقتادة وقيل بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبيت وقال السدي فصلناه تفصيلا وقال
مجاهد جعلنا بعضه في اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته بقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وقيل
قرأناه عليك بلسان جبريل عليه السلام شيئا فشيئا في عشرين او في ثلاث وعشرين سنة على تؤدة وتمهل ولا
يأتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دائرة العقول الجارية
لذلك مجرى الامثال اي لا يأتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك
وحق القرآن الا جئناك في مقابلته بالحق اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحى عليه بالابطال ويحسم
مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة القالعة لعروق اسولتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية
وقوله تعالى واحسن تفسيرا عطف على الحق اي جئناك باحسن تفسيرا او على محل بالحق اي اتيناك
الحق واحسن تفسيرا اي بيانا وتفصيلا على معنى انه في غاية ما يكون من الحسن في حد ذاته لا ان ما
يأتون به له حسن في الجملة وهذا احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية اي لا

ياتونك بمثل الا اتيناك اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطالها
اثر ابه وتثبيت فؤاده عم ما لا يخفى وهذا بعبارته ناطق ببطلان جميع الاسئلة وبصحة جميع الاجوبة
وباشارته ينبئ عن بطلان السؤال الاخير وصحة جوابه اذ لولا ان تنزيل القرآن على التدريج لما امكن
ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة والحاصل تثبيت فؤاده عم من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان
يكون المثل عبارة عن الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عم عليها من مقارنة الملك والاستغناء
عن الاكل والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القرآن عليه جملة واحدة على معنى لا يأتونك بحالة عجيبة
يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة ما يحق
لك في حكمتنا ومشيئتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي
انت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله تعالى من
الحق مرتبا على ما اتوا به من الاباطيل دامغا لها ولا ريب في ان ما اتاه الله تعالى بمقابلة ما حكى عنهم من
الاقتراحات لاجل دمغها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي يحشرون كائنين على
وجوههم يسحبون عليها او يحشرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي انه
عم قال يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث
على اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فيعنى بما لا
هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل الموصول اما
النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله تعالى اولئك بدل منه او بيان له وقوله تعالى شر
مكانا واضل سبيلا خبره او اسم الاشارة مبتدأ ثان وشر خبره والجملة خبر للموصول او وصف السبيل
بالاضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عم على منهاج قوله تعالى
قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات
تحقير مكانه عم وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل
بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا ولقد آتينا موسى الكتاب جملة مستانفة مسوقة
لتاكيد ما مر من التسلية والوعد بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى
بين من ذكر من الانبياء عم وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف
اي وبالله لقد آتينا موسى التوراة اي انزلناها عليه بالآخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا وقوله
تعالى اخاه مفعول اول وقوله هرون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما وقع في سورة طه
وقوله وزيرا مفعول ثان له وقد مر معنى الوزير اي جعلناه في اول الامر وزيرا له فقلنا لهما
اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا هم فرعون وقومه والآيات هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة
على يد موسى عم ولم يوصف القوم لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف ضرورة تاخر تكذيب الآيات عن اظهارها
المتاخر عن ذهابهما المتاخر عن الامر به بل انما وصفوا بذلك عند الحكاية لرسول الله صلى الله عم
بيانا لعلة استحقاقهم لما يحكي بعده من التدمير اي فذهبا اليهم فارياهم آياتنا كلها فكذبوها تكذيبا
مستمرا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستمر تدميرا عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه
فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم
مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة معتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع وانقضى والتعرض
في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الآيات
للايذان من اول الامر ببلوغه عم غاية الكمال ونيله نهاية الآمال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة
فرعون وارشادهم الى طريق الحق بما في التورية من الاحكام اذ به يحصل تاكيد الوعد بالهداية على
الوجه الذي مر بيانه وقرئ فدمرتهم فدمرا وفدمراهم على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح
منصوب بمضمر يدل عليه قوله فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل عطف على مفعول فدمرناهم وليس من
ضرورة ترتب تدميرهم على ما قبله ترتب تدميرهم لا عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى

لما كذبوا الرسل اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على
التوحيد والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يستقيم ذلك على تقدير
كون كلمة لما ظرف زمان واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لان اغرقناهم جواب لما لا يفسر ما
قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الآتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق فالوجه
ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اي جعلنا اغراقهم
او قصتهم للناس آية اي آية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهي مفعول ثان لجعلنا و
للناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تأخر عنها لكان صفة لها واعتدنا للظالمين
اي لهم والاظهار في موضع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب عذابا اليما هو
عذاب الآخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتاد العذاب الذي يحتزوا بما جرى عليهم من العذاب وقيل
في ديارهم قريش دخولا اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل
على المفعول الاول لجعلناهم وقيل على محل للظالمين اذ هو في معنى وعد الظالمين وكلاهما بعيد وثمود
الكلام فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمودا على تأويل الحي او على انه اسم الاب الاقصى واصحاب
الرس هم قوم يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم شعيبا عم فكذبوه فبينما هم حول الرس وهي
البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان
فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هو الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها
حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عم ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان
فيه من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ تنقض
على صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عم فاصابتها
الصاعقة ثم انهم قتلوه عم فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم فرسوه اي دسوه في بئر وقرونا
اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اي بين ذلك
المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب
اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب كثيرا لا يعلم
مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي لما ان
كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل
عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين عبارة
اما عن الامم التي لم يذكر اسباب هلاكهم واما عن الكل فانما حكي عن قوم نوح وقوم فرعون تكذيبهم
للآيات والرسل لا عدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل واحد من المذكورين
ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر والمعاصي بواسطة
الرسل وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا لما انهم لم يشابهوا بذلك
ولم يرفعوا له راسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر والعدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج
كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ومنه التبر لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستانفة مسوقة
لبيان مشاهدتهم لآثار هلاك بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير
مضمونها اي وبالله لقد اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت اي اهلكت بالحجارة
وهي قرى قوم لوط وكانت خمس قرى ما نجت منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما
البواقي فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المرادة بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر
مؤكد بحذف الزوائد كما قيل في انبتها الله نباتا حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول ثان
اذ المعنى اعطيت او اوليت مطر السوء افلم يكونوا يرونها توبيخ لهم على تركهم التذكر عند مشاهدة ما
يوجبه والهمزة لانكار نفي استمرار رؤيتهم لها وتقرير استمرارها حسب استمرار موجبه من اتيانهم
عليها لا لانكار استمرار نفي رؤيتهم وتقرير رؤيتهم لها في الجملة والفاء للعطف على مقدر

بتقصير المقام اي لم يكونوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها او كانوا ينظرون اليها فلم يكونوا يرونها
في مدار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من آثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر
وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق النظر الموجب لها وقوله تعالى **بل كانوا لا يرجون
نشورا** اما اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لآثار ما جرى على اهل القرية من العقوبات وبيان لكون عدم
اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لآثارها خلا انه اكتفى عن التصريح
بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من انكارهم للجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد
كنى عن ذلك بعدم رجاء النشور اي عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي
ولا يرون لنفس من النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف
يعترفون بالجزاء الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى
يتذكروا ويتعظوا بما شاهدوه من آثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق واما انتقال من التوبيخ
بما ذكر من ترك التذكر الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور **واذا راوك ان يتخذونك
الا هزوا** اي ما يتخذونك الا مهزوا به على معنى قصر معاملتهم معه عم على اتخاذهم اياه هزوا لا على
معنى قصر يفعلون بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من
سورة الانعام وقوله تعالى **اهذا الذي بعث الله رسولا** محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك
اي يستهزئون بك قائلين اهذا الذي الخ والاشارة للاستحقار وابراز بعث الله رسولا في معرض التسليم
بجعله صلة للموصول الذي هو صفته عم مع كونهم في غاية النكير لبعثه بطريق التهكم والاستهزاء والا
لقالوا ابعث الله هذا رسولا او اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا **ان كاد** ان مخففة من ان وضمير
الشان محذوف اي انه كاد **ليضلنا عن آلهتنا** اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا بحيث يبعدنا عنها لا
عن عبادتها فقط والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي **لولا ان
صبرنا عليها** ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام يجري مجرى التقييد للحكم المطلق
من حيث المعنى كما اشير اليه في قوله تعالى ولقد همت به الخ وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عم قد بلغ من
الاجتهاد في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم
لولا فرط لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل **وسوف يعلمون** جواب من جهته تعالى لآخر
كلامهم ورد لما ينبئ عنه من نسبته عم الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون البتة وان تراخى
حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم **من اضل سبيلا** ودينه ما لا يخفى من الوعيد
والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم **ارايت من اتخذ الهه هواه** تعجيب لرسول الله صلى الله عم
من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمآل وتنبيه على
ان ذلك من الغرابة بحيث يجب ان يرى ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء
به لانه الذي يدور عليه امر التعجب ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد زل عنه
ان المفعول الثاني في هذا الباب هو المتلبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الها لنفسه
ان يلاحظه ويبني عليه امر دينه معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى
انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى **افانت تكون عليه وكيلا** انكار واستبعاد لكونه عم حفيظا
عليه يزجره عما هو عليه من الضلال ويرشده الى الحق طوعا او كرها والفاء لترتيب الانكار على ما قبله
من الحالة الموجبة له كانه قيل ابعد ما شاهدت غلوه في طاعة الهوى وعتوه عن اتباع الهدى تقسره
على الايمان شاء او ابى وقوله تعالى **ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون** اضراب وانتقال
عن الانكار المذكور الى انكار حسبانه عم لهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده عليه السلام في الدعوة
واهتمامه بالارشاد والتذكير لكن لا على انه يتم كالاول بل على انه لا ينبغي ان يقع اي بل اتحسب ان اكثرهم
يسمعون ما تتلو عليهم من الآيات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن
القبائح الداعية الى المحاسن فتعتني بشأنهم وتطمع في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناها كما

كما ان الافراد في الضمائر الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف هو اليه وقد
قوله تعالى **ان هم الا كالانعام** الخ جملة مستانفة مسوقة لتقرير النفي المذكور وتاكيده وحسم مادة
الحسبان بالمرة اي ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع آذانهم من قوارع الآيات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه
من الدلائل والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة **بل هم اضل سبيلا** منها لانها
تنقاد لصاحبها الذي يعلفها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب
ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتاوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون الى ربهم وخالقهم ورازقهم
ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا
يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب
الخير لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها احكام
الشرور ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة هؤلاء مؤدية
الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما بين العباد
ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة فيها بل صارفة لها الى ما خلقت هي له فلا تقصير من قبلها في
طلب الكمال واما هؤلاء فهم معطلون لقواهم العقلية مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها
مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال **الم تر الى ربك** بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان
جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتقرير والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لتشريفه وللايذان بان ما يعقبه من آثار ربوبيته تعالى
ورحمته اي الم تنظر الى بديع صنعه تعالى **كيف مد الظل** اي كيف انشأ ظل اي مظل كان من جبل
او بناء او شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى
غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح بكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه يأباه سياق النظم الكريم واما
ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وانه اطيب الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر
عنها الطباع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود
فغير سديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظيم قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه
فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس
وما ذكر وان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه المعهودة
ولعل توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد تقرير رؤيته عم للكيفية من الظل المنبئة على ان
نظره عم غير مقصور على ما يطالعه من الآثار والصنائع بل مطمح انظاره معرفة شؤون الصانع المجيد
وقوله تعالى **ولو شاء لجعله ساكنا** جملة اعتراضية بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل
فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة
المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي ولو شاء سكونه لجعله ساكنا اي ثابتا على
حاله من الطول والامتداد وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير
الاوضاع بين المظل وبين الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله انه لا يعتريه اختلاف
حال بان لا تنسخه الشمس واما التقليد بان تجعل الشمس مقيمة على وضع واحد [illegible]
الكريم ونطق به صريحا بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بسبب تنجيم الامور الحادثة [illegible]
بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية بالكلية والقول بانه
التغير في مقام واحد على انها اعظم من ارتفاع الظل على حاله على ان الظل لا ذكر من كمال القدرة
والحكمة **ثم جعلنا الشمس عليه دليلا** عطف على مد داخل في حكمه
على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير قطعا حسبما نطقت به الشرطية المعترضة والالتفات
الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران

عن التسبيب من مزيد دلالة على عظم القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى
ثم قبضناه عطف على مد داخل في حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان كون القبض والمد مرتبين
دائرين على قطب مصالح المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون التراخي الرتبي اي
ازلناه بعد ما انشأناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان
يكون له تأثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه
بالمد الذي هو البسط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه
عز وجل قبضا يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة
لمصالح المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها
القت القبة ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك
الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل
في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير
او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام
اسبابه كما ذكر انشاؤه بانشائها ووصفه باليسير على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير
وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع وهو الذي جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدائع آثار
قدرته تعالى وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان
حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعوليه للاعتناء ببيان كون ما بعده من منافعهم وفي تعقيب
بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه اي هو الذي
جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستركم اللباس والنوم سباتا اي وجعل النوم الذي يقع في الليل
غالبا قطعا عن الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت لما بينهما من المشابهة التامة
في انقطاع احكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله الله يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا اي زمان بعث من ذلك السبات كبعث الموتى على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس البعث على طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة
انموذج للموت والنشور وعن لقمان عم يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل
الرياح وقرئ بالتوحيد على ان المراد هو الجنس بشرا تخفيف بشر جمع بشور اي مبشرين وقرئ نشرا
بالنون جمع نشور اي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف وبفتح النون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة
وقوله تعالى بين يدي رحمته استعارة بديعة اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله
تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح
اي انزلنا بعظمتنا بما رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما قيل انه ما يكون
طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى وينزل عليكم من السماء
ماء ليطهركم به فان الطهور في العربية اما صفة كما تقول ماء طهورا واسم كما في قوله عم التراب طهور
المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله عم
لا صلاة الا بطهور ووصف الماء به اشعار بتمام النعمة فيه وتتميم للنعمة فيما بعده فان الماء الطهور
اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم
احق بذلك واولى لنحيي به اي بما انزلنا من الماء الطهور بلدة ميتا باثبات النبات والتذكير لان البلدة
بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد القطعة من الارض
عامرة كانت او غامرة ونسقيه اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه في الحياض
والمنابع والآبار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام
والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما لهم من
الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان

ان سياق الآيات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت
قنية للانسان وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة بها تقدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه
سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واسقى وسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او
انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل
كاناعم في اناعيم ولقد صرفناه اي وبالله لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر
لما ذكر من الغايات الجميلة في القرآن وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين
ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكر نعمته حق قيام
وقيل الضمير للمطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون غيرها او في بعض الاوقات دون بعض
او جعله تارة وابلا واخرى طلا واحيانا ديمة ووقتا رهمة والاول هو الاظهر فابى اكثر الناس ممن
سلف وخلف الا كفورا اي لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا مطرنا
بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف من يرى ان
الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا نبيا ينذر
اهلها فيخفف عليك اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعل بل قصرنا الامر عليك حسبما ينطق به قوله تعالى
ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع الكافرين اي فقابل
ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة واظهار الحق والتشدد معهم كانه نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عن المداراة معهم والتلطف في الدعوة لما انه عم كان يود ان يدخلوا في الاسلام ويجتهد في ذلك تأليفا
قلوبهم اشد الاجتهاد وجاهدهم به اي بالقرآن بتلاوة ما في تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ
وتذكير احوال الامم المكذبة جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر
قدره كما وكيفا وقيل الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهي عن الطاعة وانت خبير بان مجرد
ترك الطاعة بلا دعوة اصلا ليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء
للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل جاهدهم
بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما في قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وقد جعل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا من كونه عم نذير كافة
القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله
تلك المجاهدات كلها فكثر من اجل ذلك جهاده وعظم فقيل له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة
القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس
فيه مزيد فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها في الكيفية وهو
الذي مرج البحرين اي خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها
هذا عذب فرات قامع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح
فلعله تخفيف مالح كبرد في بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئي من قدرته كما في قوله تعالى
بغير عمد ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كان كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا
محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه وتجري في خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد
بالبحر العذب النهر العظيم وبالملح البحر الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر القدرة في الفصل
واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل عنصر التضام والتلاصق والتشابه في الكيفية وهو الذي
خلق من الماء بشرا هو الماء الذي خمر به طينة آدم عم او جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس
ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله نسبا وصهرا اي قسمه قسمين ذوي
نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر
والانثى وكان ربك قديرا مبالغا في القدرة حيث قدر على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا
اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى

ويعبدون من دون الله الذي شأنه ما ذكر ما لا ينفعهم ولا يضرهم اي ما ليس من شأنه النفع والضر اصلاً
وهو الاصنام او كل ما يعبد من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه
الذي ذكرت آثار ربوبيته ظهيراً يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل
وقيل هيناً مهيناً لا اعتداد به عنده تعالى من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى
ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين قل ما اسألكم عليه
اي على تبليغ الرسالة الذي ينبئ عنه الارسال من اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلاً
اي فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليهما فصور ذلك
بصورة الاجر من حيث انه مقصود الاتيان به واستثنى منه قلعاً كلياً لشائبة الطمع واظهاراً لغاية الشفقة
عليهم حيث جعل ذلك مع كون نفعه عائداً اليهم عائداً اليه عليه السلام وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلاً فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت في الاستكفاء عن شرورهم والاغناء
عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من
توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنياً عليه بنعوت الكمال طالباً لمزيد الانعام بالشكر على
سوابغ نعمه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيراً اي مطلعاً عليها بحيث لا يخفى عليه شيء منها فيجزيهم
جزاءً وافياً الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش قد
سلف تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحي وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه بالابدية التي
هي من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه تعالى وتأكيده
فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير متين وترتيب رصين
في اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة لا يتقف على تفاصيلها
العقول احق من يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اي هو الرحمن وهو في
الحقيقة وصف آخر للحي كما قرئ بالجر مفيد لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه تعالى
وان لم يتبعه في الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحاً وان خرجا عن التبعية لما قبلهما
صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا قطعاً لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزم
حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع روماً لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيهاً
على شدة الاتصال بينهما وقد عرفت تمام التحقيق في تفسير قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب الآية وقيل
الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن في استوى فاسأل به اي بتفاصيل ما ذكر اجمالاً
من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد بيانهما لا يبقى الى السؤال حاجة ولا في تعديته بالباء فانها
مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعي لكون المسؤول امراً خطيراً مهتماً بشأنه غير حاصل للسائل
وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به
خبيراً على ان الخطاب له عليه السلام والمراد غيره بمعزل من السداد بل التقدير ان شئت تحقق ما ذكر او تفصيل
ما ذكر فاسأل معتنياً به خبيراً عظيم الشأن محيطاً بظواهر الامور وبواطنها وهو الله سبحانه
يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل من وجده في الكتب المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ
الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل
الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبره وقرئ فسل
واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لما انهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى او لانهم
ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا أنسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرنا بسجوده او لامرك ايانا من غير
ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معرباً لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض
وزادهم اي الامر بسجود الرحمن نفوراً عن الايمان تبارك الذي جعل في السماء بروجاً هي البروج
الاثنا عشر سميت به وهي القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه
من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجاً هي الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجاً وقرئ سرجاً وهي الشمس

الشمس والكواكب الكبار وقمراً منيراً مضيئاً بالليل وقرئ قمراً اي ذا قمر وهي جمع قمراء ولعل ان الليالي
بالقمر يكون قمراً فاضيفا اليها ثم حذف واجري حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما في قول حسان رضي
بردى يصفق بالرحيق السلسل اي ماء بردى ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب
والعرب وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه السلام
فيما ينبغي ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وهي اسم للحالة من خلف
كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن اراد ان يذكر اي يتذكر آلاء الله عز وجل ويتفكر في بدائع
صنعه فيعلم انه لابد لها من صانع حكيم واجب الذات رحيم للعباد او اراد شكوراً اي ان يشكر الله تعالى
على ما فيهما من النعم وليكونا وقتين للذاكرين من فاته ورده في احدهما تداركه في الآخر وقرئ ان
يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن
بف واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته والسجود له والاضافة للتشريف
وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما في آخر السورة الكريمة من الجملة
المصدرة باسم الاشارة والاول هو الاولى لما فيه من اثبات الاوصاف المذكورة لهم قصداً والاشعار
بكون من عداهم الموصوفين بها خارجين عن رتبة العبودية وفيه من المبالغة في الحث على الاتصاف
بها ما لا يخفى وقرئ عباد الرحمن اي عباده المقبولون الذين يمشون على الارض هوناً اي بسكينة
وتواضع وهوناً مصدر وصف به والنصب اما على انه حال من فاعل يمشون او على انه نعت لمصدره اي
يمشون هينين لينين الجانب من غير فظاظة او مشياً هيناً او في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
اي السفهاء كما في قول من قال ألا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا
سلاماً بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم في انفسهم اي اذا خاطبوهم بالسوء قالوا تسلماً منكم
ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سداداً من القول يسلمون به من الاذية والاثم وليس فيه
تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن ابي العالية وقوله تعالى
والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً بيان لحالهم في معاملتهم مع ربهم اي يكونون ساجدين لربهم
وقائمين اي يحيون الليل كلاً او بعضاً بالصلوة وقيل من قرأ شيئاً من القرآن في صلوة وان قل
فقد بات ساجداً وقائماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وتقديم السجود على
القيام لرعاية الفواصل والذين يقولون اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً اي شراً دائماً وهلاكاً لازماً وفيه مزيد مدح
لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى
الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم
الى ربهم راجعون انها ساءت مستقراً ومقاماً تعليل لاستدعائهم المذكور بسوء حالها في نفسها اثر تعليله
بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلاً للاولى وليس بذاك وساءت في حكم بئست وفيها
ضمير مبهم يفسره مستقراً والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقراً ومقاماً هي وهذا الضمير
هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبراً لها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت وفيها ضمير
اسم ان ومستقراً حال او تمييز وهو بعيد لما في الاول من المبالغة في بيان سوء حالها وكذا
حال التعليلين من جهة كونهما من كلام الله تعالى او حكاية لقولهم والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
لم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والقتر منع الواجبات وقرئ يقتروا بكسر
التاء ويقتروا بالتشديد وكان بين ذلك
قواماً وسطاً وعدلاً سمي به لاستقامة الطرفين كما سمي سواء لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو
ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثان او حال مؤكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقيل
يجوز ان يكون اسم كان على انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه لانه بمعنى القوام فيكون
كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر شروع في بيان اجتنابهم المعاصي بعد

بعد بيان ابتنائهم بالطاعات وذكر نفي الاسراف والقتر لتحقيق معنى الاقتصاد والقرح بوصفهم بنفي الاشراك
مع ظهور ايمانهم لاظهار كمال الاعتناء بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه وللتعريض
بما كان عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها آخر **ولا يقتلون النفس التي حرم الله** اي حرمها
بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه مبالغة **الا بالحق** اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق
المزيل لحرمتها وعصمتها او لا يقتلون قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها بحال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين
بالحق **ولا يزنون** اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظائم القبيحة التي جمعهن الكفرة حيث كانوا مع اشراكهم به
سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموؤدة مكبين على الزنا لا يرعوون عنه اصلا **ومن يفعل ذلك**
اي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين **يلق** في الآخرة وقرئ يلقى وقرئ يلقّ بالتشديد مجزوما **أثاما** وهو جزاء
الاثم كالوبال والنكال وزنا ومعنى وقيل هو الاثم اي يلق جزاء الاثم والتنوين على القدرين للتفخيم وقرئ اياما
اي شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم الصعب **يضاعف له العذاب يوم القيامة** بدل من يلق لاتحادهما في المعنى
كقوله ● متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا ● تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ● وقرئ بالرفع على الاستئناف
او على الحالية وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعّف ونضعّف له العذاب بالنون ونصب العذاب **ويخلد فيه** في ذلك
العذاب المضاعف **مهانا** ذليلا مستحقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلّد مبنيا للمفعول
من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبئ عن شدة الغضب وتضاعف العذاب لانضمام المعاصي
الى الكفر كما يفصح عنه قوله تعالى **الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا** وذكر الموصوف مع جريان الصالح و
الصالحات مجرى الاسم للاعتناء به والتنصيص على مغايرته للاعمال السابقة **فاولئك** اشارة الى الموصول والجمع باعتبار
معناه كما ان الافراد في الافعال الثلاثة باعتبار لفظه اي اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح
يبدل الله سيئاتهم حسنات بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة المعصية
ودواعيها في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان
يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل بدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا
وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات **ومن تاب** اي عن المعاصي بتركها بالكلية
والندم عليها **وعمل صالحا** يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل في الطاعات **فانه** بما فعل **يتوب
الى الله** اي يرجع اليه تعالى **متابا** اي متابا عظيم الشأن مرضيا عنده تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا
الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم او فانه يرجع الى الله تعالى والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص
والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه
واذا مروا على طريق الاتفاق **باللغو** اي ما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه **مروا كراما** معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن
التصريح به **والذين اذا ذكروا بآيات ربهم** المنطوية على المواعظ والاحكام **لم يخروا عليها صما وعميانا** اي
اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا بما يفعله الكفرة
والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو **والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين**
بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شاركه اهله في طاعة الله تعالى وشاركوه فيها يسر بهم
قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من مشايعتهم له في مناهج الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى
ألحقنا بهم ذريتهم ومن ابتدائية او بيانية وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها
لان المراد اعين المتقين ولا ريب في قلتها نظرا الى غيرها **واجعلنا للمتقين اماما** اي اجعلنا بحيث يقتدون
بنا في اقامة مراسم الدين بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله تعالى
ثم يخرجكم طفلا او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم
قالوا وانت خبير بان مدار الكل صدور هذا الدعاء اماما عن الكل بطريق المعية وانه محال لاستحالة اجتماعهم
في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة واما عن كل واحد منهم بطريق تشريك
غيره في استدعاء الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل

كل واحد منهم عند الدعاء واجعلني للمتقين اماما خلا انه حكيت عبارات الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد
الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وابقي اماما على حاله وقيل الامام
جمع آم بمعنى قاصد كصائم وصيام [illegible]
[illegible]
[illegible] **اولئك** [illegible]
[illegible] **يجزون الغرفة** [illegible] **بما صبروا** [illegible]
[illegible] **ويلقون فيها تحية وسلاما** [illegible]
[illegible] **خالدين فيها** [illegible]
حسنت مستقرا ومقاما [illegible]
[illegible] **قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم** [illegible]
[illegible] **فقد كذبتم** [illegible]
[illegible] **فسوف يكون لزاما** [illegible]
[illegible] والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الشعراء مكية مائتان وعشرون وسبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم [illegible]
[illegible] **تلك آيات الكتاب المبين** [illegible]

وعلى تقدير كون طسم مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القرآن المبين الظاهر
اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل
والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما اشتهر به
الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك اى قاتل واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو
عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق
اى اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ألا يكونوا مؤمنين اى لعدم
ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى إن نشأ الخ استئناف مسوق لتعليل
ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما تعلقت به مشيئة الله تعالى
حتما فلا وجه للطمع فيه والتألم من فواته ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اعني قوله
ننزل عليهم من السماء آية اى ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليهم وتقديم الظرفين على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فظلت أعناقهم لها خاضعين اى منقادين
واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر
على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم في الصيغة ايضا كما في قوله تعالى
رأيتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء والجماعات من قولهم جاءنا عنق من الناس اى فوج
منهم وقرئ خاضعة وقوله تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما يأتيهم
من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا
عليه من الكفر والتكذيب بغير ما ذكر من الآية الملجئة لقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على
اسلامهم وقطع رجائه عنه ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة
بيأتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به
والتعرض لعنوان الرحمة لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما يأتيهم من جنابه عز وجل
على الاطلاق شنيع قبيح وعما يأتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اى ما يأتيهم من
موعظة من المواعظ القرآنية او من طائفة نازلة من القرآن تذكرهم اكمل تذكير وتنبههم عن الغفلة
اتم تنبيه كأنها نفس الذكر من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة مجدد تنزيله حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من
الكفر والضلال والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على الحالية من مفعول يأتيهم باضمار
قد او بدونه على الخلاف المشهور اى ما يأتيهم من ذكر في حال من الاحوال الا حال كونهم معرضين
عنه فقد كذبوا اى كذبوا بالذكر الذي يأتيهم تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض
عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى فسيأتيهم لترتيب ما
بعدها على ما قبلها والسين لتأكيد مضمون الجملة وتقريره اى فسيأتيهم البتة من غير تخلف اصلا
أنباء ما كانوا به يستهزئون عدل عما يقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان
بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما يأتيهم من آية من آيات
ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون والانباء
ما سيحيق بهم مما انبأ بها القرآن الكريم واما لانهم عند مشاهدتها يقفون على حقيقة القرآن كما يقفون
على الاحوال الخافية باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبأ لا يطلق الا على خبر خطير له وقع عظيم اى
فسيأتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزئون به من قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها
أولم يروا الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى افعلوا ما فعلوا من الاعراض
عن الآيات والتكذيب والاستهزاء بها ولم ينظروا الى الارض اى الى عجائبها الزاجرة عما فعلوا الداعية
الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان به وقوله تعالى كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم استئناف
مبين لما في الارض من الآيات الزاجرة عن الكفر الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على

على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة والكثرة معا ومن كل زوج اى صنف مميز والكريم
من كل شئ مرضيه ومحموده اى كثيرا من كل صنف مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص انباته بالذكر
دون ما عداه من الاصناف لاختصاصه بالدلالة على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف
النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل بالكرم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه
فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا
الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفة كنهها العاقلون إن في ذلك
اشارة الى مصدر انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته في الفضل لآية اى آية عظيمة دالة على كمال قدرة منبتها وغاية وفور علمه وحكمته و
نهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر وما كان أكثرهم اى اكثر قومه عليه السلام مؤمنين
قال اى في علم الله وقضائه حيث علم ازلا انهم سيصرفون فيما لا يزال اختيارهم الذي عليه يدور
امر التكليف الى جانب الشر ولا يتدبرون في هذه الآيات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى
وما اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام بيان غلوهم في المكابرة والعناد مع تعاضد موجبات
الايمان من جهته تعالى واما نسبة كفرهم الى علمه تعالى وقضائه فربما يتوهم منها كونهم معذورين
فيه بحسب الظاهر لان ما اشير اليه من التحقيق مما خفي على مهرة العلماء المتقنين كانه قيل ان في
ذلك لآية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية تماديهم في الكفر والضلالة
وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من سيؤمن وإن ربك لهو العزيز
الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من هؤلاء الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك
يمهلهم ولا يؤاخذهم بغتة بما اجترؤوا عليه من العظائم الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من تشريفه والعدة الخفية بالانتقام من الكفرة ما لا يخفى وإذ
نادى ربك موسى كلام مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما يأتيهم من الآيات
التنزيلية وتكذيبهم بها اثر بيان اعراضهم عما يشاهدونه من الآيات التكوينية واذ منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اى واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه
تعالى اياه وذكرهم بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب
وتحذيرا من ان يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما
يأتيهم من الآيات لكن لا بطريق ان يكون هؤلاء ... فقط بل باستماع احوالهم عليه السلام
الوحي الناطق بتفصيلهم وعدم انقطاعهم بذلك بلوغه تكرير قوله تعالى في ذلك لآية وما كان اكثرهم
مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث
قد مر سره مرارا أن ائت بمعنى اى ائت على ان ان مفسرة او بان ائت على انها مصدرية حذف منه
الجار القوم الظالمين اى بالكفر والمعاصي واستعباد بني اسرائيل وذبح ابنائهم وليس هذا مطلع
ما ورد في حيز النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك الى قوله تعالى لنريك من
آياتنا الكبرى وانما اوردها ما جرى في قصة واحدة من المقالات تفننا في الاختصار واساليب مختلفة قد
حققت في اول سورة الاعراف عند قوله تعالى انظر في قوم فرعون بدل من الاول او عطف
بيان له جئ به للايذان بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون ولا
فيقتصر على ذكره للايذان بانهم اشهر به اول داخل في الحكم ألا يتقون استئناف جئ به
اثر ارساله عليه السلام اليهم للانذار تعجيبا له عليه السلام من غلوهم في الظلم وافراطهم في العدوان وقرئ بتاء الخطاب على
طريقة الالتفات المنبئ عن زيادة الغضب عليهم كان ذكر ظلمهم ادى الى مشافهتهم بذلك وهم
وان كانوا غيبا لكنهم اجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه
مبتدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها
عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال استئناف مبني

على سؤال نشأ من حكاية ما مضى كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا إلى الله تعالى رب
إني أخاف أن يكذبون من أول الأمر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان على أخاف فأرسل
أي جبريل عليه السلام إلى هرون ليكون معي وأتعاضد به في تبليغ الرسالة رتب عليه السلام استدعاء ذلك على الأمور
الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازديادها فإن كان فيه عليه السلام من حبسة اللسان بانقباض الروح
إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لا سيما إذا اجتمعت تمس الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب
منابه إذا اعتراه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الأمر
في شيء وإنما هو استدعاء لما يعينه على الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب
عطفا على يكذبون فيكونان من جملة ما يخاف منه ولهم علي ذنب أي تبعة ذنب فحذف المضاف
وأقيم المضاف إليه مقامه أو سمي باسمه والمراد به قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ
عنه قوله لهم وهذا إشارة إلى قصة مبسوطة في غير موضع فأخاف أي إن أتيتهم وحدي أن يقتلون بمقابلته قبل
أداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا أيضا تعللا وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله
تعالى قال كلا فاذهبا بآياتنا حكاية لإجابته تعالى إلى الطلبتين الدفع المفهوم من الردع عن
الخوف وضم أخيه المفهوم من توجيه الخطاب إليهما بطريق التغليب فإنه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع
كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت ومن استدعيته وفي قوله تعالى بآياتنا رمز إلى أنها
تدفع ما يخافه وقوله تعالى إنا معكم مستمعون تعليل للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما بضمان كمال
الحفظ والنصرة كقوله تعالى إنني معكما أسمع وأرى وحيث كان الموعود بمحضر من فرعون اعتبر هنا
في المعية وقيل أجريا مجرى الجماعة وبإذنهما قبله وما بعده من ضميرا لتثنية أي سامعون ما يجري بينكما
وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي شوكة قد حضر مجادلة قوم يستمع ما يجري بينهم ليمد
أولياءه ويظهرهم على أعدائهم مبالغة في الوعد بالإعانة أو استعير الاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء
للسمع الذي هو العلم بالحروف والأصوات وهو خبر ثان أو خبر وحده ومعكم ظرف لغو والفاء في قوله تعالى
فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس
هذا مجرد تأكيد للأمر بالذهاب لأن معناه الوصول المأتي لا مجرد التوجه إليه كالذهاب وإفراد الرسول
إما باعتبار رسالة كل واحد منهما أو لاتحاد مطلبهما أو لأنه مصدر وصف به وأن في قوله تعالى أن
أرسل معنا بني إسرائيل مفسرة لتضمن الإرسال المفهوم من الرسول معنى القول ومعنى إرسالهم تخليتهم وشأنهم
ليذهبوا معهما إلى الشام قال أي فرعون لموسى عليه السلام بعدما أتياه وقالا له ما أمرا به روي أنهما
انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنسانا يزعم أنه رسول رب العالمين
فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك ألم نربك فينا
في حجرنا ومنازلنا وليدا أي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة ولبثت فينا من عمرك سنين
قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين وأقام به عشر سنين ثم دعاهم إلى الله تعالى
ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على أثر
ذلك والله أعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي بعدما عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه
مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه وقيل فعلتك بكسر الفاء لأنها كانت
نوعا من القتل وأنت من الكافرين أي بنعمتي حيث عمدت إلى قتل رجل من خواصي أو أنت حينئذ ممن تكفرهم
الآن وقد افترى عليه عليه السلام أو جهل أمره حيث كان يعايشهم بالتقية والأظهر أنه عليه السلام من عشائرهم في الدين
فالجملة حال من إحدى التاءين ويجوز أن يكون حكما مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بالنعم المعتادين
ومن اعتاد ذلك لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه
إليه من الكفر فعلتها إذا وأنا من الضالين أي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت
افتراء أي من الفاعلين فعل الجهلة والسفهاء أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله بل أراد تأديبه أو الذاهبين عما
يؤدي إليه الوكز أو الناسين كقوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ففررت منكم إلى ربي

ربي لما خفتكم أن تصيبوني بمضرة وتؤاخذوني بما لا أستحقه بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما
أي حكمة أو نبوة وجعلني من المرسلين ردا أولا بذلك ما وبخه به قدحا في نبوته ثم كر على ما عدده
عليه من النعمة ولم يصرح برده حيث كان صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على أن ذلك كان في
الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل أي تلك التربية نعمة تمن بها
علي ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وقصدك إياهم بذبح أبنائهم فإنه السبب في وقوعي
عندك وحصولي في تربيتك وقيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن
عبدت بني إسرائيل ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو بدل من نعمة أو الجر بإضمار
الباء أو النصب بحذفها وقيل تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيان لها
والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب في تمنها وجمعه فيما قبله لأن المنة منه
خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما سمع منه عليه السلام تلك المقالة المتينة وشاهد
تصلبه في أمره وعدم تأثره بما قدمه من الإبراق والإرعاد وشرع في الاعتراض على دعواه عليه السلام
فبدأ بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب العالمين حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام أي أي شيء رب العالمين
الذي تدعي أنك رسوله منكرا لأن يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله أنا ربكم الأعلى وقوله
ما علمت لكم من إله غيري ونطق به وعلمه عند تمام أجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب
السموات والأرض وما بينهما بتعيين ما أراد بالعالمين وتفصيله لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة
تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته إن كنتم موقنين بالأشياء محققين لها علمتم
ذلك أو إن كنتم موقنين بشيء من الأشياء فهذا أولى بالإيقان لظهوره وإنارة دليله قال أي فرعون
عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تأثيره في قلوب قومه وإذعانهم له لمن حوله من أشراف قومه قال ابن
عباس كانوا خمسمائة عليهم الأساور وكانت للملوك خاصة ألا تستمعون مريدا لهم أنا نسمعه
من جوابه عليه السلام مع كونه مما لا يليق بأن يعتد به أمر حقيق بأن يتعجب منه كأنه قال ألا تستمعون ما يقول
فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف أمر محقق لا اشتباه فيه يريد به ربوبية نفسه قال عليه السلام
تقريبا بما كان منه رجما تحت جوابه السابق ربكم ورب آبائكم الأولين وحطا له من
ادعاء الربوبية إلى مرتبة المربوبية قال أي فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر غاظه ذلك
وخاف من تأثر قومه منه فأراهم أن ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء وصدا لهم عن قبوله
مؤكدا لمقالته الشنعاء بحرفي التوكيد إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ليفتنهم بذلك
ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق الاستهزاء وأضافه إلى مخاطبيه ترفعا من أن يكون مرسلا
إلى نفسه قال عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما قال عليه السلام تكميلا لجوابه الأول وتفسيرا له وتنبيها على
جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته فإن بيان ربوبيته تعالى للسموات والأرض وما بينهما وإن كان متضمنا
لبيان ربوبيته تعالى للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وما
فيها وتغيرات أحوالها وأوضاعها وكون الأرض تارة مظلمة وأخرى منورة إلى الله تعالى رشدهم
إلى طريق معرفة ربوبيته تعالى لما ذكر فإن ذكر المشرق والمغرب منبئ عن شروق الشمس وغروبها المنوطين
بحركات السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الأوضاع الرصينة وكل ذلك أمور حادثة
مفتقرة إلى محدث قادر عليم حكيم لا كذوات السموات والأرض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين باستمرارها
واستغنائها عن الموجد المتصرف إن كنتم تعقلون أي إن كنتم تعقلون شيئا من الأشياء وإن كنتم من
أهل العقل علمتم أن الأمر كما قلته وفيه إيذان بغاية وضوح الأمر بحيث لا يشتبه على من له عقل في الجملة
وتلويح بأنهم بمعزل من دائرة العقل وأنهم المتصفون بما رموه عليه السلام به من الجنون قال لما سمع اللعين منه عليه السلام
تلك المقالات المبنية على أساس الحكم البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية أمره
وأنه ممن لا يجاري في حلبة المحاورة ضرب صفحا عن المقاولة بالإنصاف ونأى بجانبه إلى العتو والجور
والاعتساف فقال مظهرا لما كان يضمره عند السؤال والجواب لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من

المسجونين لم يقنع منه عم بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض له حتى كلفه عم ان يتخذه الها لغاية عتوه وغلوه فيما يدعيه من دعوى الالوهية وهذا صريح في ان تحيره وتحييره من الجواب الاول ونسبته عم الى الجنون في الجواب الثاني كان لنسبته عم الربوبية الى غيره واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة المرسل وتحيره من جوابه كان لعدم مطابقته له لكونه بذكر احواله فلا يساعده النظم الكريم ولا حال فرعون ولا ينفك له واللام في المسجونين للعهد اى لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اى اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اى موضح لصدق دعواي يريد به المعجزة فانها جامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته وبين الدلالة على صدق دعوى من ظهرت على يده والتعبير عنها بالشيء للتهويل قالوا الواو في اولو جئتك للحال دخلت عليها همزة الاستفهام اى جائيا بشيء مبين وقد سلف منا مرارا انها للعطف وان كلمة لو ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فلا يلاحظ له جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبله عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر ثبوته او انتفاؤه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر العاطف للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر بما ذكرنا من تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله المفروضة لتعلق الحكم بابعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي لا منافاة بينها وبين الحكم بطريق الاولوية المصححة للاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان جواد يعطي لو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اى يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال وتصدير المجيء بما ذكر من كلمة لو دون ان ليس لبيان استبعاده في نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى اتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين وحال المجيء به قال فأت به ان كنت من الصادقين اى فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اى ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اى فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وسورة طه ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الاية الاولى قال فهل لك غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق قال للملأ حوله اى مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عم قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اى شرطا يحشرون السحرة يأتوك اى الحاشرون بكل سحار عليم فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو ما عينه موسى عم بقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء في الاجتماع وحث لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين اى نتبعهم في دينهم ان كانوا هم الغالبين لا موسى وليس مرادهم بذلك ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما هو ان لا يتبعوا موسى عم لكنهم ساقوا كلامهم مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا اى اجرا عظيما ان كنا

ان كنا نحن الغالبين لا موسى عم قال نعم [illegible] وانكم مع ذلك اذا لمن المقربين عندي فقال لهم تكونون اول من يدخل علي واخر من يخرج عني وقرئ نعم بكسر العين وهما لغتان قال لهم موسى بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى القوا ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اى وقت القائهم وقالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اى وقد قالوا ذلك لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف اى تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التائين من تتلقف ما يأفكون اى ما يقلبونه من وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة فالقي السحرة ساجدين اى اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد غير متمالكين كأن ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر على يده عم لتصديقه وفيه دليل على ان منتهى ما ينتهي اليه همم السحرة هو التمويه والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له قالوا امنا برب العالمين بدل اشتمال من القى او حال باضمار قد وقوله رب موسى وهارون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك وللاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من المعجزة القاهرة قال اى فرعون للسحرة آمنتم له قبل ان آذن لكم اى بغير اذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الاذن منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم اراد بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرئ أآمنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اى وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له او عدهم به قالوا اى السحرة لا ضير اى لا ضرر علينا انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اى لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا في الصبر على ما توعدنا به من القتل انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اى لان كنا اول المؤمنين اى من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان [illegible] وقرئ ان كنا [illegible] كقول العامل المدل باجره لمن اخر اجرته ان كنت عملت لك فوفني حقي واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة الاعراف [illegible] وقرئ ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اى يتبعكم فرعون وجنوده [illegible] فارسل فرعون [illegible] في المدائن حاشرين [illegible] ان هؤلاء لشرذمة قليلون [illegible] وانهم لنا لغائظون [illegible] وانا لجميع حاذرون [illegible] وقرئ حادرون بالدال المهملة [illegible] في السلاح [illegible] فاخرجناهم

للخروج بهذا السبب تحملهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كانت لهم جملة ذلك كذلك اما
مصدر تشبيهي لاخرجنا اي مثل ذلك الاخراج العجيب اخرجناهم او صفة لمقام كريم اي ومن مقام كريم
كائن كذلك او خبر لمبتدأ محذوف اي الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل اي ملكناها اياهم على طريقة
تمليك مال المورث للوارث كأنهم ملكوها من حين خروج اربابها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم
اي فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا
بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤوا بالجملة
الاسمية مؤكدة بحرفي التأكيد للدلالة على تحقق الادراك واللحاق وتنجزهما وقرئ لمدّركون بتشديد
الدال من ادّرك الشيء اذا تتابع ففني اي لمتتابعون في الهلاك على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك
فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين البتة الى طريق النجاة منهم بالكلية روي ان
يوشع عم قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال عم ههنا فخاض يوشع الماء
وضرب موسى عم بعصاه البحر فكان ما كان وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عم فقال
اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اومر بما اصنع فامر بما امر به
وذلك قوله تعالى فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم والنيل فانفلق الفاء فصيحة اي
فضرب فانفلق فصار اثني عشر فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم
كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا في شعابها كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا ثم الآخرين اي
فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة
الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما صدر عن
موسى عم وظهر على يديه من المعجزات القاهرة ومما فعل فرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل
بهم من الافعال لعذاب والنكال وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل امر المشار اليه وتعظيمه كتنكير
الآية في قوله تعالى لآية اي آية آية وآية عظيمة لا تكاد توصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا
شأن النبي صلى الله عليه وسلم بشأن موسى عم وحال انفسهم بحال اولئك المهلكين ويجتنبوا تعاطي ما
كانوا يتعاطونه من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله ويطيعوا رسوله كيلا يحل بهم مثل ما حل
باولئك او ان فيما فصل من القصة من حيث حكايته عم اياها على ما هي عليه من غير ان يسمعها من احد
لآية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للايمان بالله تعالى وحده وطاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه عم مؤمنين لا بان يقيسوا شأنه
بشأن موسى عم وحال انفسهم بحال اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عم لقصتهم
من غير ان يسمعها من احد ليحكوا من كل من الطريقين مما يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى ما كان اكثرهم
مؤمنين وما اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة كما هو رأي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو
حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تع بما سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الآيات الناطقة بالقصة تقرير
لما مر من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الخ وايثار
الجملة الاسمية للدلالة على استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يحمل كان على
ما فعل في ذلك في قوله تعالى وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من
الآية العظيمة الموجبة له بما ذكر من الطريقين فيكون الاخبار بعدم ايمانهم قبل الحدوث للدلالة على
كمال تحققه وتقرره كقوله تعالى اتى امر الله الآية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريد من
الامور التي من جملتها الانتقام من المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل
عقوبتهم بعدم ايمانهم بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا
هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم من مطلع السورة الكريمة الى آخر القصص السبع بل الى آخر السورة الكريمة
اقتضاء بينا لا ريب فيه وان المعنى وما كان اكثرهم اهل مصر مؤمنين حيث لم يؤمن منهم الا آسية وحزقيل
ومريم ابنة ياموشا التي دلت على تابوت يوسف عم وبنو اسرائيل بعد ما نجوا سألوا البقرة يعبدونها واتخذوا

واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل من التحقيق كيف لا وسياق كل قصة
من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عم انما هو لبيان تصدرها لطائفة
معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم
المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم من الآيات العظام ما يوجب عليهم الايمان ويزجرهم عن
الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فجعلهم الله لذلك بالعقوبة الدنيوية
وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم
وعد المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منها آخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من
الجنايات اصلا مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر المقدر عاملا
لاذ نادى الخ اي واتل على المشركين نبأ ابراهيم اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك ليقفوا
على ما ذكر من عدم ايمانهم بما يأتيهم من الآيات باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية
للنبأ اي نبأه وقت قوله لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبأ اي واتل
عليهم وقت قوله لهم ما تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سألهم عم عن ذلك
ليبني على جوابهم ان ما يعبدونه بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما
فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسألونك
ماذا ينفقون قل العفو وقوله ماذا انزل ربكم قالوا الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار
الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا الى ابراز ما في نفوسهم الخبيثة من الابتهاج و
الافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وصلة العكوف
كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كأنهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها ومستديرين
حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم قال استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل جوابهم هل يسمعونكم
اي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا يقول كيت وكيت
فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليه وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع اي هل يسمعونكم شيئا
من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على حكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها كأنه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها
واجيبوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها او يضرون بترككم لعبادتها
اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من الملازمة لها من جلب نفع او دفع ضر قالوا
بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل عما ذكر من السمع والمنفعة والمضرة بالمرة
واضطروا الى اظهار ان لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما رأينا منهم ما ذكر من الامور بل وجدنا
آباءنا كذلك يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم اي
انظرتم فابصرتم او تأملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون حق الابصار وحق العلم
وقوله فانهم عدو لي بيان لحال ما يعبدونه بعد التنبيه على عدم علمهم بذلك اي
فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر
الرجل من جهة عدوه او لان المغري بعبادتهم والحامل لهم عليها هو الشيطان الذي هو
اعدى اعداء الانسان لكنه عم صور الامر في نفسه تعريضا بهم فانه انفع في النصيحة من التصريح و
اشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول والعدو والصديق يجيئان في معنى
الواحد والجمع ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو تشبيها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل
الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا والآخرة
لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية وقيل متصل وهو قول
الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من آبائهم من يعبد الله تعالى وقوله تعالى الذي خلقني
صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبرا غير حقيق بجزالة التنزيل وانما وصفه تعالى بذلك

عطفه عليه مع اندراج الكل تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عم وتفصيلا لها لكونها ادخل في اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة عليه تعالى فهو يهدين اى فهو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا هداية متصلة بحين الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه يهدي كل ما خلقه لما خلق له من امور المعاش والمعاد هداية متدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب منافعه ودفع مضاره اما طبعا واما اختيارا مبدؤها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين لامتصاص دم الطمث ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بنعيمها المقيم والذي هو يطعمني ويسقين عطف على الصفة الاولى وتكرير الموصول في المواقع الثلاثة مع كفاية عطف ما وقع في حيز الصلة من الجمل الست على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى مستقل في استيجاب الحكم حقيق بان يجري عليه تعالى بحياله ولا يجعل من روادف غيرها واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين نظمهما في سلك الصلة لموصول واحد لما ان الصحة والمرض من متفرعات الاكل والشرب غالبا ونسبة المرض الى نفسه والشفاء الى الله تعالى مع انهما منه تعالى لمراعاة حسن الادب كما قال الخضر عم فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما واما الاماتة فحيث كانت من معظم خصائصه تعالى كالاحياء بدأ واعادة وقد نيطت امور الآخرة جميعا بها وبما بعدها من البعث نظمهما في سمط واحد في قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين على ان الموت لكونه ذريعة الى نيله عم للحيوة الابدية بمعزل من ان يكون غير مطبوع عنده عم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكره عم هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافيا لما عسى يندر منه عم من الصغائر وتنبيها لابيه وقومه على ان يتأملوا في امرهم فيقفوا على انهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها فان حاله عم مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة فما ظنك بحال اولئك المغمورين في الكفر وفنون المعاصي والخطايا وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اعني قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة هي اختي مما لا سبيل اليه لانها معاريض لا من قبيل الخطايا المفتقرة الى الاستغفار وانما صدرت عنه عم بعد هذه المقاولة الجارية بينه وبين قومه واما الثالثة فظاهرة لوقوعها بعد مهاجرته عم الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يتبين يومئذ ولان في ذلك تهويلا له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر رب هب لي حكما بعد ما ذكر عليه السلام فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم الحكمة التي هي الكمال في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني من العلوم والاعمال والملكات لما يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها واجمع بيني وبينهم في الجنة ولقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اى جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له ومثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كانت عليه من التوحيد وهو النبي صلى الله عم ولذلك قال عم انا دعوة ابي ابراهيم عم واجعلني من ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين اى طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب لو الذي او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان

للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون اى الناس كافة والاضمار مع عدم الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه بالضالين مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل اى لا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة احدا الا من اتى الله بقلب سليم اى عن مرض الكفر والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره عم لابيه طلبا لهدايته الى الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عم بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اى الا مال من او بنو من اتى الله الاية وقيل المضاف المحذوف ليس من جنس المستثنى منه حقيقة بل هو من الاعتبار في قولهم تحية بينهم ضرب وجيع اى الا حال من اتى الله بقلب سليم على نهج قول من قال وما الفتى الا كذا وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلب من اتى الله الاية وازلفت الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة الماضي فيه وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على التحقق والتقرر كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه مقام التهويل والتفظيع اى قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق الحق الذي هو الايمان والتقوى اى جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اى اين الهتكم التي كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل فكبكبوا فيها اى القوا في الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها هم اى الهتهم والغاوون الذين كانوا يعبدونهم وفي تأخير ذكرهم عن ذكر الهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم وجنود ابليس اى شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ويسولون لهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه وقيل متبعوه من عصاة الثقلين والاول هو الوجه اجمعون تأكيد للضمير وما عطف عليه قالوا الخ استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قالوا اى العبدة وهم فيها يختصمون اى قالوا معترفين بخطئهم في انهماكهم في الضلال متحسرين معيرين لانفسهم والحال انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوديهم على ان الله تعالى يجعل الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على الفهم والنطق تالله ان كنا لفي ضلال مبين ان مخففة من الثقيلة قد حذف اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام فارقة بينها وبين النافية اى ان الشأن كنا في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان لعظم خطئهم في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اى ضللنا وقيل للضلال المذكور وان كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر الموصوف لا يعمل بعد الوصف وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية اى بالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وما اضلنا الا المجرمون بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على طريق قصر الاضلال على المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم من غير ان يستقلوا في تحققه او يكونه بسبب اضلال الغير كانه قيل وما

صدر عنا ذلك الضلال الفاحش لا بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في
قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدوا بهم
واياما كان ففيه اوفر نصيب من التعريض للذين قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج
ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من
الملئكة والانبياء لانه اول من سن القتل عليهم السلام ولا صديق حميم كما نرى لهم اصدقاء او فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية عن عدم وثمّا كما ان عدم
المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق على ان
المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة
اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى فلو ان لنا كرة
للتمني كليت لما ان بين معنييهما تلاقيا في معنى الفرض والتقدير كانه قيل فليت لنا كرة اى رجعة
الى الدنيا وقيل هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كانه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات
كيت وكيت ورباه قوله تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتيب ايمانهم على
وقوع الكرة البتة بلا تخلف كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني
كما يستدعيه كون لو على اصلها انما يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم معا من غير
دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا مع ان المقصود حتما ان في ذلك اى فيما ذكر من نبأ ابرهيم عم
المشتمل على بيان بطلان ما كان عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها
يوم القيمة من اعترافهم بخطئهم الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة
الى الدنيا ليكونوا اول المؤمنين عند مشاهدتهم لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم و
غشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب لآية اى آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على
عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون انهم على ملة ابرهيم عم ان يجتنبوا كل
الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك
فيما يوجبه وان في ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو عليه من غير ان يسمعه من احد لآية عظيمة
دالة على ان ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى موجبة للايمان به قطعا وما
كان اكثرهم مؤمنين اى اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين بل هم مصرون على ما كانوا عليه من
الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابرهيم عم كما توهموا فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم
ما ازدادوا بما فعله عم الا طغيانا وكفرا حتى اجترؤا على تلك العظيمة التي فعلوا به عم فكيف يعبر عنهم
بعدم ايمان اكثرهم وانما آمن لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام وقد مر تحقيقه الكلام في آخر قصة
موسى عم وان ربك لهو العزيز الرحيم اى هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم
رحمته الواسعة ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر
على قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول
الشرائع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان يركب
الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبردة واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب على انه
عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما صدر عنهم
من حين ابتداء دعوته عم الى انتهائها اخوهم اى نسيبهم نوح الا تتقون الله حيث تعبدون غيره
اني لكم رسول من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به
من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسألكم عليه اى على ما انا متصد له من الدعاء والنصح من اجر
ان اجري فيما اتولاه الا على رب العالمين والفاء في قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون لترتيب ما
بعدها على ما قبلها من تنزهه عم من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما بعدها على امانته والتكرير

والتكرير للتأكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة فكيف اذا اجتمعا وقرئ
ان اجري بسكون الياء قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اى الاقلون جاها ومالا جمع الارذل
على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل جمع رذل كالاكالب
واكلب وكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال يعنون انه
لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة راي وقد كان ذلك منهم في بادي الراي كما
هم ذكر في موضع آخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا وكون الاشرف عندهم
من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم بانها لا تزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم هو نعيم
الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون جواب عما اشير اليه
من قولهم انهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة اى وما وظيفتي الا اعتبار الظاهر وبناء الاحكام عليه دون التفتيش
عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ان حسابهم اى ما محاسبة اعمالهم والتنقير عن كيفياتها البادية والكامنة
الا على ربي فانه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اى بشيء من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم
ذلك ولكنكم لستم كذلك تقولون ما تقولون وما انا بطارد المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم
من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا عنه وقوله ان انا الا نذير
مبين كالعلة له اى ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم عن الكفر والمعاصي سواء
كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما علي الا انذاركم
بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي ان استرضي بعضكم بطرد الآخرين قالوا لئن لم تنته يا نوح عما
تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرميين بالحجارة قالوه فا... لعنهم الله تعالى في اواخر الامر
ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون تموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما دعوتهم هذه
الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم فتحا
اى احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه حكاية اجمالية لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني
ومن معي من المؤمنين اى من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه ومن معه حسب دعائه في
الفلك المشحون اى المملوء بهم وبما لا بد لهم منه ثم اغرقنا بعد اى بعد انجائهم الباقين اى من قومه
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر
خلا ان حال اكثرهم على الكفر في قوم نوح ... كذبت عاد المرسلين انث عاد
باعتبار القبيلة وهو اسم ابيهم الاقصى اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون الكلام فيه كما مر في صدر قصة نوح اى الا تتقون الله تعالى فتتقوا
ما تفعلون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين الكلام فيه كالذي مر والتصدير في القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة هو الدعاء الى
معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الانبياء مجمعون على
ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار وانهم منزهون ص
عن المطامع الدنيوية والاغراض الدنيئة اتبنون بكل ريع اى مكان مرتفع ومنه ريع الارض
لارتفاعها آية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فلا يحتاجون اليها
او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمر عليهم او قصورا عالية يفتخرون بها وتتخذون
مصانع اى مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اى راجين ان تخلدوا
في الدنيا او عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف
بطشتم جبارين مسلطين غاشمين بلا رافة ولا قصد تاديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا
هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون من انواع
النعماء واصناف الآلاء اجمالا ثم فصلها بقوله امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير
فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم

ان لم تقوموا بشكر هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة فان كفران النعمة مستتبع للعذاب كما
ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد قالوا سواء
علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير الشق الثاني عن مقابله
للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كأنهم قالوا أم لم تكن من أهل الوعظ ومباشريه أصلا ان
هذا ما هذا الذي جئتنا به الا خلق الأولين اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه او ما هذا الذي نحن
عليه من الدين الا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الموت والحياة
الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وقرئ خلق الأولين بفتح الخاء اي اختلاق الأولين كما قالوا أساطير
الأولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين
على ما نحن عليه من الأعمال فكذبوه اي أصروا على ذلك فأهلكناهم بسببه بريح صرصر ان في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم
أخوهم صالح ألا تتقون الله تعالى اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر
ان أجري الا على رب العالمين أتتركون فيما هاهنا آمنين انكار ونفي لأن يتركوا فيما هم فيه
من النعمة او تذكير للنعمة في تخلية الله تعالى اياهم واسباب تنعمهم آمنين وقوله تعالى في جنات
وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر او لأن
النخل انثى وطلع الاناث الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل لكثرة
في كثرة الحمل وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لأن المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون
من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط
وطيب قلب وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين استعير الطاعة
التي هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا الذين يفسدون في
الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن
مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر
اي الرئة اي من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تأكيدا له فأت بآية ان كنت من
الصادقين اي في دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما أخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام
حسبما مر تفصيله في سورة الأعراف وسورة هود لها شرب اي نصيب من الماء كالسقي والقيت
للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموها على شربها ولا تمسوها
بسوء كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من
تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لما ان عاقرها عقرها برأيهم ولذلك عمهم العذاب
فأصبحوا نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينته لم ينفعهم الندم وان
كان بطريق التوبة فأخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الايمان عن أكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه لو آمن
أكثرهم او شطرهم لما أخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم وانت خبير
بان قريشا هم المشهورون بعدم ايمان أكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم أخوهم
لوط ألا تتقون اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري
الا على رب العالمين أتأتون الذكران من العالمين اي أتأتون من بين بني آدم من العالمين
الذكران لا يشارككم فيه غيركم او أتأتون من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كونهن أليق
بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما
خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى من أزواجكم للبيان ان اريد بها جنس
الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن تعريضا بانهم كانوا يفعلون
بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعدون متجاوزون الحد في جميع المعاصي وهذا من

جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات قالوا لئن لم تنته يا لوط
اي عن تقبيح امرنا او نهينا عنه او عن دعوى النبوة التي من جملة احكامها التعرض لنا لتكونن من المخرجين
اي من المنفيين من قريتنا وكأنهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف وسوء حال قال اني لعملكم
من القالين اي من المبغضين غاية البغض كأنه يقلي الفؤاد والكبد لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني
لعملكم قال لدلالته على انه عليه السلام من جملة الراسخين في بغضه المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام اراد اظهار الكراهة
من مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى قائلا
رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤم عملهم وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعه
في الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة حلول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط استثنيت من اهله فلا
تضره كونها كافرة لانها شركتهم في الاهلية بحق الزواج في الغابرين اي مقدرا كونها من الباقين في
العذاب لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر في الطريق فاهلكها كما مر في سورة
الحجر وسورة هود وقيل كانت ممن بقي في القرية ولم تخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم
اشد اهلاك وافظعه وامطرنا عليهم مطرا اي مطرا غير معهود قيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة
فاهلكتهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف اليه فاعلا لساء والمخصوص بالذم
محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب
اصحاب الأيكة المرسلين الايكة الغيضة التي تنبت ناعم الشجر وهي غيضة بقرب مدين يسكنها طائفة
وكانوا ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ولم يقل أخوهم
وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام
وقرئ كذلك مفتوحة على انها ليكة وهي اسم بلدهم وانما كتبت هاهنا وفي ص بغير الف اتباعا للفظ
اللافظ اني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر ان أجري الا على رب
العالمين أوفوا الكيل اي أتموه ولا تكونوا من المخسرين اي حقوق الناس بالتطفيف وزنوا اي الموزونات
بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين
والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا الناس أشياءهم اي لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اي حق كان وهذا
تعميم بعد تخصيص بعض الموارد بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا في الارض مفسدين بالقتل والغارة
وقطع الطريق واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين اي وذوي الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من
الخلائق وقرئ بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا
بشر مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة في التكذيب
وان نظنك لمن الكاذبين اي فيما تدعيه من النبوة فأسقط علينا كسفا من السماء اي قطعا وقرئ بسكون
السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة والمراد بالسماء اما السحاب
او المظلة ولعله جواب لما أشعر به الامر بالتقوى من التهديد ان كنت من الصادقين في دعواك ولم يكن
طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربي اعلم بما
تعملون من الكفر والمعاصي وبما تستحقون بسببه من العذاب فينزله عليكم في وقته المقدر له لا محالة فكذبوه
اي فتموا على تكذيبه واصروا عليه فأخذهم عذاب يوم الظلة حسبما اقترحوا اما ان اريد بالسماء السحاب
فظاهر واما ان اريد بها المظلة فلان نزول العذاب من جهتها وفي اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها
ايذان بان لهم يوما عذابا آخر غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فأخذ
بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها بردا ونسيما
فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روي ان شعيبا عليه السلام بعث الى امتين اصحاب مدين و
اصحاب الأيكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم
عظيم اي في الشدة والهول وفظاعة ما وقع فيه من الطامة والداهية التامة ان في ذلك لآية وما كان
أكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع التي اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثم رفعه عن الحرص الى اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا لمضمون ما مر في مطلع السورة
الكريمة من قوله تعالى وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الاية فان
كل واحدة من هذه القصص ذكر مستقل متجدد النزول قد اتاهم من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة فضية
بعد قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بل بما في كل واحدة منها من الدواعي الى الايمان والزواجر عن الطغيان
ولا بان يتاملوا في شان الايات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هي عليه مع علمهم بانه عم لم يسمع شيئا
منها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا
كما حقق في خاتمة قصة موسى عم وانه اي ما ذكر من الايات الكريمة الناطقة بالقصص الحكية او القران
الذي هي من جملته لتنزيل رب العالمين اي منزل من جهته تعالى سمي به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية
العالمين للايذان بان تنزيله من احكام تربيته تعالى ورافته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين نزل به اي انزله الروح الامين اي جبريل عليه السلام فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام
وقرئ بتشديد الزاي ونصب الروح والامين اي جعل الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك اي روحك
وان اريد به العضو فتخصيصه به لان المعاني الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما
بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة لتكون من المنذرين متعلق بنزل به اي انزله
لتنذرهم بما في تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه عم في
سلك اولئك المنذرين المشهورين في حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربي مبين
واضح المعنى ظاهر المدلول لئلا يبقى لهم عذر ما وهو ايضا متعلق بنزل به وتاخيره للاعتناء بامر الانذار ٥
وللايماء الى ان مدار كونه من جملة المنذرين المذكورين عليهم السلام مجرد انزاله عليه عم لا انزاله باللسان
العربي وجعله متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدي الى ان غاية الانزال كونه عم من جملة المنذرين
باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب عليهم السلام ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى في
باب الانذار ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزواجر تاثيرا في قلوب المشركين ما انذره ابراهيم
عم لانتمائهم اليه وادعائهم انهم على ملته عم وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة
فان احكامه التي لا تحتمل النسخ والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات
مسطورة فيها وكذا ما في تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح
اولم يكن لهم آية الهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك
ولم يكن لهم آية دالة على انه تنزيل من رب العالمين وانه في زبر الاولين على ان لهم متعلق بالكون قدم على اسمه
وخبره للاهتمام به او بمحذوف هو حال من آية قدمت عليها لكونها نكرة وآية خبر للكون قدم على اسمه الذي هو
قوله تعالى ان يعلمه علماء بني اسرائيل لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي ان يعرفوه بنعوته
المذكورة في كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتاء وجعلت آية اسما وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع
النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم
آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلا من آية ويجوز مع نصب آية تانيث تكن كما في قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم
الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على
التكلم بالعربية وهو جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفي لفظ البعض اشارة
الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من كان فقراه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات
ما كانوا به مؤمنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم في المكابرة
وقيل المعنى ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم
من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد كذلك سلكناه
اي مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اي ادخلنا القران في قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته
وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل
الكتب المنزلة قبله على تضمنها البشارة بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله تعالى لا يؤمنون به جملة

جملة مستانفة مسوقة لبيان انهم لا يتاثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما هم
عليه حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فياتيهم بغتة اي فجاة في الدنيا
والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال
لتلافي ما فرطوه وقيل معنى كذلك سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر به والتكذيب له
وضعناه في قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون به في موضع الايضاح والتلخيص له او في موضع الحال اي
سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة
الايمان وتاخذ مبادي الهداية والارشاد وانقطاع اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول
عليه بما قبله من قوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن ابن عباس والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك
والتكذيب في قلوب المجرمين افبعذابنا يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم وقولهم فائتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند نزول العذاب كما وصف من طلب الانظار فالفاء
ن للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي ايكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون
بعذابنا الخ وانما قدم وبينهما من التنافي ما لا يخفى على احد او ايغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره
فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه
مع ما فيه من رعاية الفواصل افرايت لما كانت الرؤية من اقوى اسباب الاخبار بالشيء واشهرها شاع
استعمال ارايت في معنى اخبرني والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على
قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ والتبكيت وهي متقدمة في المعنى على الهمزة وتاخيرها
عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو راي الجمهور اي فاخبرني ان متعناهم سنين متطاولة بطول
الاعمار وطيب المعاش ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم اي شيء واي اغناء اغنى
عنهم ما كانوا يمتعون اي كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على ان ما مصدرية او ما كانوا يمتعون به
من متاع الحياة الدنيا على انها موصولة حذف عائدها واياما كان فالاستفهام للانكار والنفي
وقيل ما نافية اي لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه والاول هو الاولى لكونه اوفق
لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من من شانه الخطاب قد
كلف ان يخبر بان تمتيعهم ماذا افادهم واي شيء اغنى عنهم فلم يخبر احد بشيء من ذلك اصلا
وقرئ يمتعون من الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها
الزاما للحجة ذكرى اي تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار كانه قيل مذكرون
ذكرى او على الحال من الضمير في منذرون او الرفع على انها خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية
او صفة بمعنى منذرون ذوو تذكرة او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها وما كنا ظالمين
فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار اليهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم
اصلا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وما تنزلت به الشياطين
رد لما زعمه الكفرة في حق القران الكريم من انه من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان
انه نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم اي وما يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون ذلك اصلا
انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون اي ممنوعون بالشهب وفيه تحقيق ان القران لا يتصور ان يكون من قبيل
ما يلقيه الشياطين فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة صدوره

المنهي عنه عنه عم تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والسوء
بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن عداه **وانذر** العذاب الذي يستتبعه الشرك والمعاصي **عشيرتك**
الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا
فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم فاني لا اغني
شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد صلى الله عم ويا صفية عمة محمد اشترين
انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** اي لين جانبك لهم مستعار من
حال الطائر فانه اذا اراد ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او لغيره
او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان فحسب **فان عصوك** ولم يتبعوك
فقل اني بريء مما تعملون اي مما تعملونه او من اعمالكم **وتوكل على العزيز الرحيم** الذي يقدر على قهر اعدائه
ونصر اوليائه يكفيك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط **الذي**
يراك حين تقوم اي الى التهجد **وتقلبك في الساجدين** وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض
قيام الليل طاف عليه السلام تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها
كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام
والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله تعالى ذاته بعلمه بحاله عليه السلام التي بها يستاهل
ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهر اعدائه ونصر اوليائه من وصفي العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل
وتطمينا لقلبه عليه **انه هو السميع** بما تقوله **العليم** بما تنويه وتعمله **هل انبئكم على من تنزل الشياطين** اي
تتنزل بحذف احدى التاءين وهو استئناف مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عم
بعد بيان امتناع تنزلهم بالقرآن ودخول حرف الجر على من الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام
بل الاصل ان تحذف من حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل وقوله تعالى
تنزل على كل افاك اثيم فتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكبير من الكهنة والمتنبئة
وتخصيصه بهم بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عم منزهة من ان يحوم حولها
شائبة شيء من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه السلام **يلقون** اي الافاكون **السمع** الى
الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق
اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى **واكثرهم كاذبون** فيما قالوه من الاقاويل وقد ورد في الحديث الكلمة يخطفها
الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون السمع اي المسموع من الشياطين الى
الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا اليهم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى
ان هؤلاء قلما يصدقون فيما يحكون عن الجني واما في اكثره فهم كاذبون وما له ان اكثر اقوالهم كاذبة لا باعتبار
ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا
بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك فلا ينافيه ان يصدق نادرا في بعض الاحايين وقيل
الضمير للشياطين اي يلقون السمع اي المسموع من الملأ الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم
كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او
ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه
الجمهور لما ان يلقون كما صرحوا به اما حال من ضمير تنزل مفيدة لمقارنة التنزل للالقاء او استئناف مبين للغرض
من التنزل مبني على السؤال عنه ولا ريب في ان القاء السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن
التنزل او يكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقدير
كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه من الملأ الاعلى وعلى تقدير كونه جوابا
عن سؤال من قال لم تنزل عليهم وماذا يفعلون بهم يلقون اليهم ما سمعوه وحمله على استئناف الاخبار
كما فعله بعضهم عن حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله عن حلية الجزالة التنزيل وافنا

واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع سواء اريد بالقاء السمع
الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استئنافا اخبارا بحالهم على كلا التقديرين
لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزل وان يكون استئنافا مبنيا على السؤال
على التقدير الاول فقط كانه قيل ما يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا
ما يوحون به اليهم وقوله تعالى واكثرهم كاذبون على التقدير الاول استئناف فقط وعلى الثاني
يحتمل الحالية من ضمير يلقون اي يلقون ما سمعوه من الشياطين الى الناس والحال انهم في اكثر
اقوالهم كاذبون فتدبر **والشعراء يتبعهم الغاوون** استئناف مسوق لابطال ما قالوا في حق القرآن عليه السلام
العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله
بعد ابطال ما قالوا انه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة
لاحواله عليه السلام والمعنى ان الشعراء يتبعهم اي يجاريهم ويسلك مسلكهم ويكون من جملتهم الغاوون الضالون
عن السنن الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة في الافعال والاقوال والاحوال
لا غيرهم من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى **الم تر انهم في كل واد يهيمون**
استشهاد على ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية للقصد
الى ان حالهم من الجلاء والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اي الم تر ان الشعراء في كل واد من
اودية القيل والقال وفي كل شعب من شعاب الوهم والخيال وفي كل مسلك من مسالك الغي والضلال يهيمون
على وجوههم لا يهتدون الى سبيل معين من السبل بل يتحيرون في فيافي الغواية والسفاهة ويتيهون في
تيه المجون والوقاحة ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح في الانساب الطاهرة السنية والنسيب
بالحرم والغزل والابتهار والتردد بين طرفي الافراط والتفريط في المدح والهجاء **وانهم يقولون ما لا يفعلون**
من الافاعيل غير مبالين بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم في مسلكهم ذلك ويلتحق بهم وينتظم
في سلكهم من تنزهت ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشيء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن
الصفات الجليلة وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات
الانسية مستقرا على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط
العزيز الحميد مؤيدا بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف
الزاهرة مستقلة بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل في تنزيهه
عن ان يكون من الشعراء ان اتباع الشعراء الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك ولا ريب في
ان تعليل عدم كونه منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشأنه العالي وقيل الغاوون
الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعري وهبيرة بن ابي وهب المخزومي
ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد
وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعهم بسكون العين
تشبيها لبعه بعضد **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا**
من بعد ما ظلموا استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون اكثر
اشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد في الدنيا
والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع
منهم في بعض الاوقات هجو وقع ذلك منهم بطريق الانتصار ممن هجاهم وقيل المراد بالمستثنين عبد
الله بن رواحة وحسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير بن ابي سلمى الذين كانوا ينافحون
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام
قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان رضي الله عنه قل
وروح القدس معك **وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون** تهديد شديد ووعيد اكيد
لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون

من الابهام والتهويل وقد قال ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منفلت ينفلتون
من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس
لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من
صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى عم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية ثلث وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كالذي مر في نظائره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه
اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا طس اي مسمى به وانما صحت الاشارة
اليه قبل ذكره قد مر وجهه في فاتحة سورة يونس وغيرها ورفعه بالابتداء على ان ما بعده خبره والاول اولى
لما ذكر هناك تلك اشارة الى نفس السورة لانها التي نوهت بذكر اسمها اولا على ان الاشارة الى ما في ضمن
صريحا ولان اضافتها اليها تأبى اضافتها الى القرآن كما سيأتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد
العهد بالمشار اليه لا بدانه ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتداء خبره آيات القرآن
والجملة مستأنفة مقررة لما افاده التنبيه من نباهة شأن المشار اليه والقرآن عبارة عن الكل او عن الجميع
المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب وفي فاتحة سورة الحجر اي تلك آيات القرآن المعروف بعلو الشان
اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص وكتاب اي كتاب عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من
الحكم والاحكام واحوال الآخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق
والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان وتنكيره للتفخيم ثم عطفه على
من وصف القرآنية المنبئة عن كونه مقروءا ... بالنظم المعجز
قرآنا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية كما ...
وتقديم الوصف الاول هاهنا نظرا الى تقدم حال القرآنية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر
نظرا الى ما ذكر هناك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو
كائن فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الآيات اليه اذ لا عهد باشتماله على الآيات ولا وصفه
بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته ولا بد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون
لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وآيات
كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين في حيز النصب على الحالية من الآيات على انهما مصدران اقيما مقام
الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما
بدلان من الآيات او خبران آخران لتلك او لمبتدأ محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها
تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم
فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم وقوله تعالى الذين يقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينا الايمان وقطرا العبادات
البدنية والمالية مستتبعان لسائر الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالآخرة هم يوقنون جملة
اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة حق الايقان لا من
عداهم لان تحمل مشاق العبادات لخوف العاقبة ورجاء الثواب او هي حالية او
عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمه للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم اوحديون فيه ان الذين
لا يؤمنون بالآخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على
الاعمال الصالحة والعقاب على السيئات حسبما ينطق به القرآن زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث جعلناها مشتهاة
للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله عم حفت النار بالشهوات او الاعمال الحسنة ببيان حسنها فانهمكوا
خلالا واستتباعها لفنون المنافع ما لا واصفا لا ... فهم يعمهون
ويترددون على التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع

نفع وضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد
المسبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور اولئك
اشارة الى المذكورين وهو مبتدأ خبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم
سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اي اشد الناس
خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العقاب وانك لتلقى القرآن كلام مستأنف قد سيق بعد بيان
شؤون القرآن الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التأكيد لابراز كمال العناية بمضمونه
اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم
لشأن القرآن وتنصيص على علو طبقته عم في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلائل والدقائق فان
من تلقى العلوم والحكم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والجمع بينهما مع
دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل وللاشعار بما في القرآن من
العلوم منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى
اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عم وامر بتلاوة بعض من القرآن
الذي يلقاه عم من لدنه عز وجل تقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله عم لاهله في
وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدى له من جانب الطور نارا اني آنست
نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتأكيد
الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عم الا امرأته لما كني عنها بالاهل او للتعظيم مبالغة في التسلية او
آتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي شعلة نار
مقبوسة اي مأخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة وعلى التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو
القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمر وكلتا العدتين منه عم بطريق
الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما
لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين
لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور
ان بورك معناه اي بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية
حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان العوض
بلا وقد والسين وسوف لما ان الدعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام من في النار ومن حولها
اي من في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الواد الايمن
في البقعة المباركة ومن حول مكانها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في
ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم
احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون
وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني ينتشر بركاته في اقطار الشام وهو
تكليمه تع اياه عم واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى
من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم
الشؤون ومن احكام تربيته تع للعالمين يا موسى انه انا الله استئناف مسوق لبيان آثار البركة المذكورة
والضمير للشأن وانا الله جملة مفسرة له او راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى
العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزة اي انا القوي القادر على
ما لا يناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة
بالغة وتدبير رصين والق عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان
بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول
كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة

تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما رأينه
اكبرنه بعد قوله اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فلما ابصرها تتحرك بسرعة واضطراب
وقوله تعالى كأنها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول رأى مثل تهتز
كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل وقرئ جأن على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين
ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفر وانما اعتراه الرهب
لظنه ان ذلك لامر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اي من غير ثقة بي او مطلقا
لقوله تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون فانه يدل على نفي الخوف عنهم مطلقا لكن لا في جميع الاوقات
بل حين يوحى اليهم كوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون في مطالعة شؤون الله تعالى لا يخطر ببالهم خوف
من احد اصلا واما في سائر الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندي سوء عاقبة ليخافوا
منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما عسى
يختلج في الخلد من نفي الخوف عن كلهم مع ان منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم
فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة
وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عم من وكزه القبطي والاستغفار وتسميته ظلما لقوله عم رب
اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له وادخل يدك في جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل
الجيب القميص لانه يجاب اي يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اي آفة كبرص ونحوه في تسع آيات
جملتها او معها على ان التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب
في بواديهم والنقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع ان يعد الاخيرين واحدا ولا يعد
الفلق منها لانه لم يبعث بها الى فرعون او اذهب في تسع آيات على انه استيناف بالارسال متعلق به
الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل
للارسال اي خارجين عن الحدود في الكفر والعدوان فلما جاءتهم آياتنا وظهرت على يد موسى عم
مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط وضوحها وانارتها كانها تبصر نفسها
لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدي والعمي لا تهتدي فضلا عن الهداية او مبصرة كل من
ينظر اليها ويتأمل فيها وقرئ مبصرة اي مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته
وجحدوا بها اي كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال اي وقد استيقنتها اي علمتها انفسهم
علما يقينيا ظلما اي للآيات كقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد ظلموا بها اي ظلم حيث حطوها
عن رتبتها العالية وسموها سحرا وقيل ظلما لانفسهم وليس بذاك وعلوا اي استكبارا عن الايمان
كقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا او على الحالية
من فاعله اي جحدوا بها ظالمين مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق
على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهور فيما بين
كل باد وحاضر ولقد آتينا داود وسليمان علما كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من انه عم
يلقى القرآن من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القرآن الكريم الذي لقيه عم من لدنه
تعالى كقصة موسى عم وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمونه اي آتينا كل واحد منهما
طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس
ومنطق الطير او علما سنيا عزيزا وقالا اي قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذي
فضلنا بما آتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلني الا انه عبر عنهما
عند الحكاية بصيغة التكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم
او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا وقد مر في سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر
من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ما اوتي كل منهما لا على ما اوتي نفسه فقط وقيل في العطف

بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم
عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد آتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله
الآية وتأمل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما وياباه تبيين الكثير بالمؤمنين
فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفي تخصيصهما الاكثر بالذكر رمز الى ان البعض مفضلون
عليهما وفيه اوضح دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا
دونه ما اوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما وتحريض للعلماء على ان يحمدوا الله تعالى على ما آتاهم
من فضله وان يتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذي علم
عليم ونعما قال امير المؤمنين عمر رضي الله عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود اي
النبوة والعلم والملك بان قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله
تعالى وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزات الباهرة التي اوتيها يا ايها الناس علمنا
منطق الطير واوتينا من كل شيء المنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفردا او مركبا
وقد يطلق على ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف
الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان عم من منطق الطير هو ما يفهم بعضه عن بعض من معانيه واغراضه
ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا قالوا
الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها
تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال
استغفروا الله يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف
فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت قمري فاخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وقال
الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه
والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت آخرك الموت
والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واورد عليه السلام بنون
العظمة او تنبيها على ان الذي [illegible] او احد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا
لكن لا للتجبر والكبر بل لما اراه منهم من حسن الطاعة والانقياد له في الاوامر والنواهي حيث
كان على عزيمة التسيير ويقوله من كل شيء كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ويراد
به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقال ابن عباس ما يهمه من
امر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ان هذا
اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان من الله تعالى المبين الواضح الذي لا
يخفى على احد او ان هذا الفضل الذي اوتيته لهو الفضل المبين على انه عم قاله على سبيل الشكر
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا
لا فخرا ولعله عم رتب على كلامه ذلك [illegible]
[illegible] الحرب واسباب الغزو [illegible] وحشر لسليمان جنوده جمع له
عساكره من الجن والانس والطير [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فهم يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي
فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف
كما هو المعتاد في العساكر [illegible] وتخصيص حبس اوائلهم بالذكر دون
سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه
اوائلهم من السير السريع وهذا اذا لم يكن سيرهم بتسيير الريح [illegible]

فرسخ في مائة فرسخ خمسة وعشرون فرسخا للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير
وخمسة وعشرون للوحش وكان له عم الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة
سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من
ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء عليهم السلام على كراسي
الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس والجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع
عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله
ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد
بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في
اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله تعالى خير مما اوتي آل داود حتى اذا اتوا على واد النمل حتى هي التي يبتدأ بها الكلام ومع
ذلك هي غاية لما قبلها كالتي في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها الاية وهي هنا
غاية لما ينبئ عنه قوله فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الخ وواد النمل واد
بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطائف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم
وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من
قولهم اتى على الشيء اذا انفذه وبلغ آخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادي وحيث يخافهم
ما في الارض لا عند مسيرهم في الهواء وقوله تعالى قالت نملة جواب اذا كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادي
فرت عنهم مخافة حطمهم فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعتها في الفرار فشبه ذلك بمخاطبة
العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هي قائلة وما عداها من النمل معا لهم حيث قيل يا ايها النمل
ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم
الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم وقيل كانت
عرجاء تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عم كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية
وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي في الحقيقة للنمل عن التاخر في دخول مساكنهم
وان كان بحسب الظاهر نهيا له عم ولجنوده عن الحطم كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من
الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا والا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم
بالنون الخفيفة وقرئ لا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال
من فاعل يحطمنكم مفيدة لتقييد الحكم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت
بذلك الايذان بانها عارفة بشؤن سليمان وسائر الانبياء عليهم السلام في عصمتهم عن الظلم والايذاء وقيل
هو استئناف اي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها
واهتدائها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة
فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من
ادراك همسها وفهم مرادها روي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمان عم الريح فوقفت
لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي
واكفه وارتبطه بحيث لا ينفلت عني حتى لا انفك عن شكرك اصلا وقرئ بفتح الياء اوزعني التي انعمت علي
وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر وان اعمل صالحا
ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في جملتهم الجنة التي
هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان
من الغائبين كانه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه غائب فاضرب عنه فاخذ
يقول اهو غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير بنتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله
مع ضده في قفص وقيل بالتفريق بينه وبين الفه او لاذبحنه ليعتبر ابناء جنسه او لياتيني بسلطان مبين بحجة

بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ اوليأتينني اوليأتيني
مشددة قيل انه عم لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب
كل يوم طول مقامه بخمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على السير الى اليمن
فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسناء تعجبه
خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا الماء وكان الهدهد مهندسه وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى
الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان
حين نزل سليمان عم حلق الهدهد فرأى هدهدا واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عم وما
سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت يد كل قائد
مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اي زمانا
غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد
خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به
فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال بحق الذي قواك واقدرك علي
الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى
قال او لياتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان عم ارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا
له فلما دنى منه اخذ عم برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد
سليمان عم وعفى عنه ثم سأله فقال احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته
وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق ولا خفاء في انه لم يرد بما ادعى الاحاطة به ما هو
من حقائق العلوم ودقائق المعارف التي يكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة
لتوقفها على غرض بين وفضل مبين حتى يكون ابتهاجه بنفسه بين يدي نبي الله سليمان عم تعديا عن طوره
وتجاوزا عن دائرة قدره ونفيها عنه عم جناية على جنابه يحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك منه كان
بطريق الالهام فكافحه عم بذلك مع ما اوتي عم من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عم في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما
بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء
بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم
توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عم لم يشاهده ولم يسمع خبره
من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه وترغيبه في الاصغاء اليه اعتذارا واستمالة لقلبه نحو
قبوله فان النفس للاعتذار الى المنبئ عن امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله وجئتك
من سبإ بنبإ يقين حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عم انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة
له حيث عبر عما جاء به بالنبإ الذي هو الخبر الخطير والشأن الكبير ووصفه بما وصفه والاخبار الصادر
عنه عم مع ما حكى عنه من الحمد والشكر واستدعاء الايزاع حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيهه عليه
على تركه وسبا منصرف على انه اسم لحي سمي باسم ابيهم الاكبر وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان
قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت
مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وهي على هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة والمدينة
وعلى القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم وقوف سليمان عم بنبائهم قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع
لا بد له من حكمة داعية اليه البتة وان استحال خلو افعاله تعالى من الحكم والمصالح لما ان المسافة بين
محطه عم وبين مارب وان كانت قصيرة لكن اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه على حكم
بالغة بينه بها علام الغيوب وقوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم استئناف لبيان ما جاء به من
النبإ وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها
وورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هي وقومها

مجوساً يعبدون الشمس وإيثار وجدت على رأيت لما أشير إليه من الإيذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بإبراز نفسه في معرض من يتفقد أحوالها ويتعرفها كأنها طلبته وضالته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبأ على أنه اسم الحي أو لأهلها المدلول عليهم بذكر مدينتهم على أنه اسم لها وأوتيت من كل شيء أي من الأشياء التي يحتاج إليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثلاثين ذراعاً في ثلاثين عرضاً وسمكاً وقيل ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكللاً بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان إما بالنسبة إلى حالها أو إلى عروش أمثالها من الملوك وقد جوز أن لا يكون لسليمان مثله وأياما كان فوصفه بذلك بين يديه لترغيبه في الإصغاء إلى حديثه وتوجيه عزيمته نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله أي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من أصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل أي سبيل الحق والصواب فإن تزيين أعمالهم لا يتصور بدون تقويم طرق كفرهم وضلالهم ومن ضرورته تنكبهم عن طريق الحق إلى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون إليه وقوله تعالى ألا يسجدوا لله مفعول له إما للتزيين على حذف اللام منه أي زين لهم لأن لا يسجدوا لله تعالى أو زين لهم أعمالهم لأن لا يسجدوا أو بدل على حاله من أعمالهم وما بينهما اعتراض أي زين لهم أن لا يسجدوا وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون بإسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا لله وقرئ ألا يا اسجدوا على التنبيه والنداء والمنادى محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا كما في قوله ألا يا اسلمي يا دار مي على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل أن يكون استئنافاً من جهته عز وجل أو من سليمان ويوقف على لا يهتدون فيكون أمراً بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذماً على تركه وأياما ما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا تسجدون بمعنى ألا تسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والأرض أي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كائناً ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود من بين سائر أوصافه الموجبة لذلك لما أنه أرسخ في معرفته والإحاطة بأحكامه بمشاهدة آثاره التي من جملتها ما أودعه الله تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الأرض وأشار بعطف قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون معطوف على يخرج أي أنه تعالى يخرج ما في العالم الإنساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما أن المراد يظهر ما تخفونه من الأحوال فيجازيكم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم وللتنبيه على تساويهما بالنسبة إلى العلم الإلهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات وإخراج الخبء يعم إشراق الكواكب وإظهارها من آفاقها بعد استتارها وراءها وإنزال المطر وإنبات النبات بل الإنشاء الذي هو إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع الذي هو إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب ونحو ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب تخفيفاً بحذف الهمزة وقرئ الخبا بتخفيفها ألفاً بالقلب وقرئ ألا يسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والأرض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم الذي هو أول الأجرام وأعظمها وقرئ العظيم بالرفع على أنه صفة الرب واعلم أن ما حكي من الهدهد من قوله ولها عرش عظيم إلى هنا ليس داخلاً تحت قوله أحطت بما لم تحط به وإنما هو من العلوم والمعارف التي اقتبسها من سليمان عليه السلام أورده بياناً لما هو عليه وإظهاراً لتصلبه في الدين وكل ذلك لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته إلى غزوها وتسخير ولايتها قال استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية كلام الهدهد كأنه قيل فماذا فعل سليمان عليه السلام عند ذلك فقيل قال سننظر أي فيما ذكر من النظر بمعنى التأمل والسين للتأكيد أي سنتعرف بالتجربة البتة أصدقت أم كنت

من الكاذبين كان مقتضى الظاهر أم كذبت وإنما عدل عنه لمحافظة النظم الكريم للإيذان بأن كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه فإن مساق هذه الأقاويل الملفقة على ترتيب أنيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير أن يكون لها مصداق أصلاً لا سيما بين يدي نبي عظيم لا يكاد يصدر إلا عمن له قدم راسخ في الكذب والإفك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم استئناف مبين لكيفية النظر الذي وعده قاله بعدما كتب كتابه في ذلك المجلس أو بعده وتخصيصه عليه السلام إياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من أمناء الجن الأقوياء على التصرف والتعرف لما عاينه فيه من مخايل العلم والحكمة ولئلا يبقى له عذر أصلاً ثم تول عنهم أي تنح إلى مكان قريب تتوارى فيه فانظر أي تأمل وتعرف ماذا يرجعون أي ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول وجمع الضمير لما أن مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل إلى الإسلام قالت أي بعدما ذهب الهدهد بالكتاب فألقاه إليهم وتنحى عنهم حسبما أمر به والمطوي ذكره إيذاناً بكمال مسارعته إلى إقامة ما أمر به من الخدمة وإشعاراً باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي أنه عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل أتاها والقادة والجنود حولها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت رأسها فألقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع الحميري فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لأشراف قومها يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه أو لكونه من عند ملك كريم أو لكونه مختوماً أو لغرابة شأنه ووصوله إليها على منهاج غير معتاد إنه من سليمان استئناف وقع جواباً لسؤال مقدر كأنه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت إنه من سليمان وإنه أي مضمونه أو المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه إشارة إلى السبب في وصفها إياه بالكرم وقرئ أنه وأنه بالفتح على حذف اللام كأنها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره بالتسمية وقيل على أنه بدل من كتاب وقرئ أن من سليمان وأن بسم الله على أن المفسرة ألا تعلوا علي أن مفسرة ولا ناهية أي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها الرفع على أنها بدل من كتاب أو خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام أي مضمونه أن لا تعلوا أو النصب بإسقاط الخافض أي بأن لا تعلوا وقرئ أن لا تغلوا بالغين المعجمة من الغلو أي لا تتجاوزوا حدكم وأتوني مسلمين أي مؤمنين وقيل منقادين والأول هو الأليق بشأن النبي عليه السلام على أن الإيمان مستتبع للانقياد حتماً روي أن نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وليس الأمر فيه بالإسلام قبل إقامة الحجة على رسالته من حيث إن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالته دلالة بينة قالت كررت حكاية قولها للإيذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها يا أيها الملأ أفتوني في أمري أي أجيبوني في أمري الذي حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالباً تهويلاً للأمر ورفعاً لمحلهم بالإشعار بأنهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة أمراً أي من الأمور المتعلقة بالملك حتى تشهدون أي إلا بمحضركم وبموجب آرائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا يخالفوها في الرأي والتدبير قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامها كأنه قيل فماذا قالوا في جوابها فقيل قالوا نحن أولوا قوة في الأجساد والآلات والعدد وأولوا بأس شديد أي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء في الحرب والأمر إليك أي هو موكول إليك فانظري ماذا تأمرين ونحن مطيعون لك فمرينا بأمرك نطعك ولا نخالفك كأنهم أشاروا عليها بالقتال أو أرادوا نحن من أبناء الحرب لا من أبناء الرأي والمشورة وأنت ذات الرأي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبعك في الحال

فلما احست منهم الميل الى الحراب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف مقالتهم المبنية على الغفلة
عن شأن سليمان عليه السلام وذلك قوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية من القرى على منهاج المقاتلة
والحراب افسدوها بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا اعزة اهلها اذلة بالقتل
والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من
حالهم بطريق الاعتراض التذييلي وتقرير له بان ذلك عادتهم المستمرة وقيل تصديق لها من جهة الله
عز وجل على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي
واني مرسلة اليهم بهدية تقرير لرأيها بعدما زيفت آراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات
المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رأيها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اي واني
مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي انها
بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة
بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان
والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة
عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو وآخر ذا رأي
وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة
خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رأيته بشا لطيفا
فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان
بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وامر باحسن
الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير
فاقيموا على اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ
والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا ورأوا
الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه
طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليهما السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا
ثم امر بالارضة فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء
الخيط بفيها ونفذت في الجزعة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء
بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية
وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان اي الرسول قال مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على
الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده انه قرئ فلما جاءوا والاول اولى لما انه من تتمة الانكار
والتوبيخ وتعميمها بلقيس دونهما ويؤيده الافراد في قوله تعالى ارجع اليهم أتمدونن بمال وهو
انكار لامدادهم اياه عليه السلام بالمال مع علو شأنه وسعة سلطانه وتوبيخ لهم بذلك وتنكير مال للتحقير وقوله
تعالى فما آتاني الله اي مما رأيتم آثاره من النبوة والملك الذي لا غاية وراءه خير مما آتاكم اي
من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة لي الى هديتكم ولا وقع لها عندي تعليل للانكار
ولعله عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة الى آخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة الحق وغيره
كما اشير اليه لا انه عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاءوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء الخ وقرئ اتمدون
بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف الياء وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون اضراب
عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام فرح افتخار
وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان والجواري
وغير ذلك وفائدة الاضراب التنبيه على ان امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر
له عنده مما يتنافس فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف الى المهدى اليه والمعنى بل
انتم بما يهدى اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع افرد

افرد الضمير هنا بعد جمع الضماير المخاطب ... لاختصاص الرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه
للكل اي ارجع ايها الرسول اليهم اي الى بلقيس وقومها فلنأتينهم اي فوالله لنأتينهم بجنود لا قبل
لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقابلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب
القسم منها من سبأ اذلة اي حال كونهم اذلة بعدما كانوا فيه من العز والتمكين وفي جمع القلة
تأكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى مفيدة لكون اخراجهم
بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف عند الحكاية ثقة بدلالة
الحال عليه كأنه قيل ارجع اليهم فليأتوا مسلمين والا فلنأتينهم الخ قال يا ايها الملأ ايكم
يأتيني بعرشها قاله عليه السلام لما دنا مجيء بلقيس اليه يروى انه رجعت رسلها اليها بما حكي من خبر سليمان
عليه السلام قالت قد علمت والله ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان اني قادمة عليك بملوك
قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه من دينك ثم آذنت بالرحيل الى سليمان عليه السلام فشخصت
اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف وروي انها امرت فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات
بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله
اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله عز سلطانه به
من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرته تعالى وصحة نبوته عليه السلام ويختبر عقلها بان
ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى قبل ان يأتوني مسلمين لما ان ذلك
ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه السلام وليكون
اختبارها واطلاعها على بدائع المعجزات في اول مجيئها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له اخذ مالها بغير
رضاها قال عفريت اي مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان
اسمه ذكوان او صخرا انا آتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك للحكومة وكان
يجلس الى نصف النهار وآتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعاء الاتيان به لا محالة
واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي انا آت به في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان
به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختلس منه شيئا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب
فصل عما قبله للايذان بما بين القائلين ومقاليهما وكيفية قدرتهما على الاتيان به من كمال التباين
او لاسقاط الاول عن درجة الاعتبار وقيل هو آصف بن برخيا وزير سليمان وقيل رجل كان عنده
اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به اجاب وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله عز وجل به عليه السلام
وقيل هو سليمان نفسه وفيه بعد والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب المنزلة او اللوح
وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود انا آتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شيء وارتداده انضمامها ولكونه امرا طبيعيا غير
منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد [illegible]
[illegible]

في مدة المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي اى تفضله على من
غير استحقاق لى من قبلي ليبلوني أأشكر بان أراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا قوة وأقوم بحقه
ام أكفر بان أجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شأن سائر النعم الفائضة على
العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها ويحط به عن ذمته
عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اى لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم بترك
تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا قال اى سليمان عم كررت الحكاية مع كون المحكي سابقا والاتصال
من كلامه عم تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب الشكر لله تعالى والثاني
أمر لخدمه نكروا لها عرشها اى غيروا هيئته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه جواب الامر
وقرئ بالرفع على الاستئناف أتهتدي الى معرفته او الى الجواب اللائق بالمقام وقيل الى الايمان بالله
تعالى ورسوله عند رؤيتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه
الابواب موكلة عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليق النظر المتعلق بالاهتداء بالتنكير فان ذلك مما لا
دخل فيه أم تكون بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اى الى ما ذكر من معرفته او الجواب
الصواب فان كونها في نفس الامر منهم وان كان امرا مسلما لكن كونها منهم عند سليمان عم وقومه امر
حادث يظهر بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان اى فلما جاءت
بلقيس سليمان وقد كان العرش بين يديه قيل اى من جهة سليمان عم بالذات او بالواسطة
أهكذا عرشك لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز
العرش في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عم بسخافة عقلها قالت
كأنه هو فاثبتت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه من
التنكير من نوع مغايرة في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عم وأوتينا العلم
من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كأنها ظنت انه عم أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة
لها فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما
سمعناه من المنذر من الآيات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة
رأيها ورصانة فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته
تعالى لما كان يمنعها من اظهار ما ادعته من الاسلام الى الآن اى صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس
وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اى انها كانت من قوم
راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملكة
سليمان وقرئ انها بالفتح على البدلية من فاعل صد او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من
ان قوله تعالى وأوتينا العلم الى قوله من قوم كافرين من كلام سليمان عم وملائه كأنهم لما سمعوا قولها كأنه
هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا لشأنها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة
بما سمعت من المنذر من الآيات المتقدمة وبما عاينت من هذه الآية الباهرة من امر عرشها ورزقت
الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم الخ اى أوتينا نحن العلم بالله تعالى وبقدرته وبصحة ما
جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله تعالى على فضلهم عليها وسبقهم الى العلم بالله تعالى
والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفى
ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر وقيل صحن الدار روي ان سليمان عم
أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري من تحته الماء والقي فيه من دواب
البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل
ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها
فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن
والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها

كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فلما رأته وهو حاضر
بين يديه كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله حسبته لجة وكشفت عن
ساقيها وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعراء قيل هي السبب في
اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها عم وأمر الجن فبنوا لها سلحين وغمدان وكان
يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن
وأمر زوبعة أمير جن اليمن ان يطيعه فبنى له المصانع وقرئ ساقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤوق وأسؤق
قال عم حين رأى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اى ما توهمته ماء صرح ممرد اى مملس
من قوارير من الزجاج قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي بما كنت عليه الى
الآن من عبادة الشمس وقيل بظني بسليمان حيث ظننت انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد
وأسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما في قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى
الاسم الجليل ووصفه بربوبية العالمين لاظهار معرفتها بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق
العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل ذلك من الشمس ولقد أرسلنا
عطف على قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه عم يتلقى
القرآن من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القرآن الكريم الذي تلقاه عم واللام جواب
قسم محذوف اى وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا وان في قوله تعالى أن
اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها الباء وقرئ بضم النون
اتباعا لها للباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق
والواو لمجموع الفريقين قال عم للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو
والعناد حتى بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عم يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اى بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اى التوبة فتؤخرونها الى حين نزولها
حيث كانوا من جهلهم وغوايتهم يقولون ان وقع ايعاده تبنا حينئذ والا فنحن على ما كنا عليه لولا تستغفرون
الله هلا تستغفرونه تعالى قبل نزوله وقوله لعلكم ترحمون بقبولها اذ لا امكان للقبول عنده
النزول قالوا اطيرنا اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا
مسافرين فمروا بطائر يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا تشاءموا فلما نسبوا الخير
والشر الى الطائر استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد اى تشاءمنا بك
ومن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدائد وقد كانوا قحطوا او لم نزل في اختلاف وافتراق
منذ اخترعتم دينكم قال طائركم اى سببكم الذي منه ينالكم من الشر عند الله وهو قدره او
اعمالكم المكتوبة عنده وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون بتعاقب السراء والضراء
او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم التطير اضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ
ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعي اليه وكان في المدينة وهي الحجر تسعة رهط اى اشخاص وبهذا
الاعتبار وقع تمييزا للتسعة لا باعتبار لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة
الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب
وغنم بن غنم ورباب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط
بن صدقة وسمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم
صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض لا في المدينة فقط افسادا بحتا لا يخالطه
شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون اى لا يفعلون شيئا من الاصلاح او لا يصلحون
شيئا من الاشياء قالوا استئناف لبيان بعض ما فعلوا من الفساد اى قال بعضهم لبعض في اثناء
المشاورة في امر صالح عم وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
تقاسموا بالله اما امر مقول لقالوا او ماض وقع بدلا منه او حالا من فاعله باضمار قد وقوله تعالى

لنبيتنه وأهله اى لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم لبعض
وقرئ بالياء على الغيبة وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض ثم لنقولن لوليه اى لولي صالح وقرئ
بالتاء والياء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اى ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم
فضلا ان نتولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول اى ونقول
اى نقول لما نقول والحال انا صادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا ما
شهدنا مهلكه وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رأيت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا
بهذه المواضعة ومكرنا مكرا اى اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون اى جازيناهم مكرهم من حيث
لا يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما ترتب على ما باشروه من المكر وكيف
معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اى فتفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله
تعالى انا دمرناهم اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل كان وهي تامة وكيف حال اى فانظر كيف حصل
اى على اى وجه حدث تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدأ محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم
من الابهام اى هي تدميرنا اياهم وقومهم الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت اجمعين بحيث
لم يشذ منهم شاذ واما تعليل لما ينبئ عنه الامر بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول و
الفظاعة بحذف الجار اى لانا دمرناهم الخ وقيل كان ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان
فالاوجه ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الخ تعليلا لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الخ بالكسر على الاستئناف
روى انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث
فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا
الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب
فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن
معه وقيل جاؤوا بالليل شاهري سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة
يرون الحجارة ولا يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى خاوية اى خالية
او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط بما ظلموا اى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى الاشارة
وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف ان في ذلك اى فيما ذكر من التدمير العجيب بظلمهم لآية
لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اى ما من شأنه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا الذين
آمنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون اى الكفر والمعاصي تقاة مستمرة فلذلك خصوا بالنجاة
ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اى وارسلنا
لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى
بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل بالعطف
على الذين آمنوا اى وانجينا لوطا وهو بعيد اتأتون الفاحشة اى الفعلة المتناهية في القبح
والسماجة وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تأتون مفيدة لتأكيد الانكار وتشديد
التوبيخ فان تعاطي القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب اى تعلمونها والحال انكم تعلمون
علما يقينيا بكونها كذلك وقيل يبصرها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها ائنكم لتأتون الرجال شهوة
تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما يأتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي التأكيد
للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان الرجولية
لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التي علل بها الاتيان من دون النساء متجاوزين
النساء اللاتي هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او يجهلون العاقبة
او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اى بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة لقوم لكونهم في
حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس انه استهزاء وقولهم في

في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذي صدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر
والنهي لا انهم لم يصدر عنهم كلام آخر غيره فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها اى قدرنا انها من
الغابرين اى الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود فساء مطر المنذرين تقدم بيانه
كيفية ما جرى عليهم من العذاب بغير مرة قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اثر ما
قص الله تعالى على رسوله عليه السلام قصص الانبياء المذكورين عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته
تعالى وعظم شانه وما خصهم به من الآيات القاهرة والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم
وصحة اخبارهم وبين على ألسنتهم حقية الاسلام والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم
فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى وشرح صدره عليه السلام بما في تضاعيف تلك
القصص من فنون المعارف الربانية ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس
وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله عز وجل وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم امره عليه السلام بان
يحمده على ما افاض عليه من تلك النعم التي لا مطمع في احصائها لطامع ولا مطمح دونها لطامح وبان يسلم على كافة
الانبياء الذين من جملتهم الذين قصت عليه اخبارهم التي هي من جملة المعارف التي اوحيت اليه عليه السلام
اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه السلام بان يحمده تعالى على اهلاك كفرة قومه
ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة عن الهلاك ولا يخفى بعده آلله خير اما يشركون
اى آلله الذي ذكرت شؤونه العظيمة خير اما يشركون به تعالى من الاصنام ومرجع الترديد الى التعريض
بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه آرائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان ليس فيما اشركوه به
تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من هو خير الخير ولا اله غيره وقرئ تشركون بالتاء
الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده من سياق النظم الكريم
المبني على خطابهم وجعله من جملة القول المأمور به يأباه قوله تعالى فانبتنا الخ فانه صريح في ان
التبكيت من قبله عز وعلا بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام لما امر به بعبارته كما في قوله تعالى يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع اليه واما في قوله تعالى أمن خلق السموات و
الارض منقطعة وما فيها من كلمة بل على القراءة الاولى للاضراب والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح
به خطابا على وجه اظهر منه لمزيد التأكيد والتشديد واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت و
تكرير الالزام لتنظير هذا الانية والهمزة لتقريرهم اى حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار
فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل
منها ما يليق به من ... بل بانه لا خيرية فيه بوجه من الوجوه
ومن مبتدأ خبره محذوف ... الهمزة ... الاول خلا ان التشركون
هنا بالتاء الخطاب على القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الآتية والمعنى بل أمن خلق وفطر
الفلك الجسماني ... وانزل لكم اى لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اى نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق
... ذات بهجة اى ذات حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اى
ما صح وما امكن لكم ان تنبتوا شجرها فضلا عن ثمرها وسائر صفاتها البديعة ... تشركون وقرئ
أمن بالتخفيف على انه بدل من الله وتقديم صلة الانزال على مفعوله لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر
والالتفات الى التكلم في قوله فانبتنا لتأكيد اختصاص الفعل بذاته تعالى والايذان بان انبات تلك
الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع ما لها من الحسن
البارع والبهاء الرائع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه الا هو وحده ... بقوله تعالى
ما كان لكم ... حدائق ذات بهجة ... أإله مع الله اى أإله آخر
مع الله تعالى الذي ذكر بعض افعاله التي لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في

في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفي الالوهية عما يشركون به تعالى في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية
بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه بما ذكر من الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء
الخيرية عنه بالمرة لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها
عما سواه تعالى وهكذا الحال في المواقع الاربعة الآتية وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى اله آخر فيما ذكر
من الخلق وما عطف عليه لكنه لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط كيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به
قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل باشراكهم به تعالى في العبادة ما يعترفون بعدم
مشاركته له تعالى فيما ذكر من لوازم الالوهية كانه قيل أإله آخر مع الله في خواص الالوهية حتى يجعل شريكا له
تعالى في العبادة وقيل المعنى أغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع تفرده تعالى بالخلق والتكوين
فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى
وما كان معه من اله والا وفق بحق المقام لافادته نفي وجود اله آخر معه تعالى رأسا لا نفي معيته في الخلق وفي فروعه
فقط وقرئ أإلها باضمار فعل يناسب المقام
مثل أتدعون او أتشركون بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج الثانية بين بين وقرئ أإلها باضمار فعل يناسب المقام
مثل أتدعون او أتشركون **بل هم قوم يعدلون** اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء
حالهم وحكايته لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم العدول عن طريق الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف
على الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل يعدلون به تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة **أمن جعل
الارض قرارا** وما بعده بدل من أمن خلق السموات الخ وكذا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد
والاظهر ان كل واحدة منها اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه آخر ادخل في الالزام بجهة
من الجهات اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما
يدور عليه منافعهم **وجعل خلالها** اوساطها **انهارا** جارية ينتفعون بها **وجعل لها رواسي** اي جبالا ثوابت
تمنعها ان تميد باهلها ويتكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من المصالح ما لا
يحصى **وجعل بين البحرين** اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم **حاجزا** برزخا مانعا من الممازجة وقد
مر في سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلاثة الاخيرة ابداعي وتأخير مفعوله عن الظرف لما مر مرارا من
التشويق **أإله مع الله** في الوجود او في ابداع هذه البدائع على ما مر **بل اكثرهم لا يعلمون** اي شيئا من
الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك مع كمال ظهوره **أمن يجيب المضطر اذا
دعاه** وهو الذي احوجه شدة من الشدائد والجائه الى اللجأ والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من
الاضطرار الذي هو افتعال من الضرورة وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي من لا حول له ولا قوة
وقيل المذنب اذا استغفر الله واللام للجنس لا للاستغراق حتى يلزم اجابة كل مضطر **ويكشف السوء** وهو الذي
يعتري الانسان مما يسوءه **ويجعلكم خلفاء الارض** اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم
وقيل المراد بالخلافة الملك والتسلط **أإله مع الله** الذي لا يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام **قليلا ما
تذكرون** اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتأكيد معنى القلة التي اريد بها العدم
او ما يجري مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر منهم ايذان بان مضمونه مركوز
في ذهن كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون
على الاصل ويذكرون بالتاء والياء مع الادغام **أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر** اي في ظلمات
الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهي المطر ولئن صح ان السبب الاكثري في تكون الريح معاودة
الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتمويجها للهواء فلا ريب في ان الاسباب الفاعلية
والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا **أإله مع الله** نفي لان يكون
معه اله آخر وقوله تعالى **تعالى الله عما يشركون** تقرير وتحقيق له واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
للاشعار بعلة الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال
والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركونه به تعالى

تعالى لا مطلقا فان وجوده مما لا مرد له بل عن وجوده بعنوان كونه الها وشريكا له تعالى وعن اشراكهم
أمن يبدأ الخلق ثم يعيده اي بل ام من يبدأ الخلق ثم يعيده بعد الموت بالبعث **ومن يرزقكم من
السماء والارض** اي باسباب سماوية وارضية قدرتها على ترتيب بديع تقتضيه الحكمة التي عليها بني
امر التكوين خير ام ما تشركونه في العبادة من جماد لا يتوهم قدرته على شيء اصلا **أإله** آخر موجود
مع الله حتى يجعل شريكا له في العبادة وقوله تعالى **قل هاتوا برهانكم** امر له عليه السلام بتبكيتهم اثر تبكيت
هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من
افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها في تحقيقه
مطالبتهم بالبرهان عليه لا على صحيح دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم
لما فيه من ايهام ان لهم برهانا وانى لهم ذلك **ان كنتم صادقين** اي في تلك الدعوى **قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله** بعد ما حقق تفرده تعالى بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة
التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله
وتمهيدا لما بعده من امر البعث والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة
علم الغيب من اهل السموات والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كانه قيل ان كان الله تعالى ممن
فيهما ففيهم من يعلم الغيب ومتصل على ان المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع
الحاضر فيهما كان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة **وما
يشعرون ايان يبعثون** اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان
مركبة من اي وآن وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم التفكيك
بينه وبين ما سيأتي من الضمائر الخاصة بهم قطعا وقيل الكل لكن اسناد خواص الكفرة الى الجميع من قبيل
قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم **بل ادارك علمهم في الآخرة** لما نفى عنهم علم الغيب
واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تأكيده وتقريره بان اضرب عنه وبين انهم
في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الآخرة مطلقا مع تعاضد اسباب معرفتها
على ان معنى ادارك علمهم في الآخرة تدارك وتتابع علمهم في شأن الآخرة التي ما ذكر من البعث حال
من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على معنى انه كان لهم علم بذلك على
الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل العقلية
والسمعية منزلة نفسه واجراء تساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى الانقطاع
ثم اضرب وانتقل عن بيان عدم علمهم بها الى بيان ما هو اسوأ منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل
بل هم في شك منها اي في شك مريب من نفس الآخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد عليه دليلا فضلا
عن الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اشد وافظع من الشك حيث قيل
بل هم منها عمون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادرك
علمهم بمعنى انتهى وفني وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر
اي تكامل واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيامة كائنة لا محالة من الآيات القاطعة والحجج الساطعة
وتمكنوا من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله بل هم في شك منها اضراب وانتقال
من وصفهم بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله بل هم منها عمون اضراب من وصفهم بالشك الى وصفهم
بما هو اشد وافظع منه العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة
النظم الكريم على جهلهم ليست بواضحة وقيل المراد بوصفهم باستحكام العلم وتكامله التهكم بهم
فيكون وصفا لهم بالجهل مبالغة والاضرابات على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرأ ابي فابدلت
التاء دالا وسكنت فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل ادرك واصله
افتعل وبل ادرك بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادرك بفتح
اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام وبلى ادرك وبلى ادرك وام تدارك وام ادرك

فيه ثنتا عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او متضمن من ذلك فهو انكار ونفي وما فيه بل فاثبات لشعورهم
وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي والانكار وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة
في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون اورد وانكار لشعورهم وقال الذين
كفروا بيان لجهلهم بالاخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما
في حيز صلته والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون اي انخرج
من القبور اذا كنا ترابا كما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل في اذا لاجتماع موانع لو
تفرد واحد منها لكفى في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم
منكرون للاحياء بعد الموت وان البدن على حاله بل لتقوية الانكار بتوجيهه الى الاخراج في حالة منافية
له وقوله واباؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل مع الخبر مقام الفصل بالتاكيد وتكرير الهمزة في ائنا للمبالغة
والتشديد في الانكار وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه ظاهر النظم
فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله افلا تعقلون ونظائره على راي الجمهور فان المعنى
عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ انا لمخرجون
على الخبر لقد وعدنا هذا اي الاخراج نحن واباؤنا من قبل اي من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم الموعود على نحن
لانه المقصود بالذكر وحيث اخر قصد به المبعوث والجملة استئناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها
بالقسم لزيادة التاكيد وقوله تعالى ان هذا الا اساطير الاولين تقرير اثر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم
الاخر الذي تنكرونه فان في مشاهدة عاقبتهم كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين
لطف بالمؤمنين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في حرج
صدر مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهو لغة فيه ويجوز ان يكون
المفتوح مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب
العاجل الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك
قل عسى ان يكون ردف لكم اي تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد كالباء في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يتعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون
وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا للوقار
واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك جرى وعد الله تعالى ووعيده وانما رتب
عليه النظم على ان يقال عسى ان يردفكم الخ لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك لذو فضل على الناس
اي لذو افضال وانعام على كافة الناس ومن جملة انعاماته تاخير عقوبة هؤلاء على ما يرتكبونه من
المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه
بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه وقرئ
بفتح التاء من كننت الشيء اي سترته وما يعلنون من الافعال والاقوال التي من جملتها ما حكي عنهم من استعجال
العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر على العلن قد مر
سره في سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون وما من غائبة في
السماء والارض اي من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في الرواية او اسمان لما
يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن يطالعه وهو اللوح
المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي
هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا في شان المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العلو والغلو
في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكر فاشتجروا حتى بلغ التناكر الى حيث لعن بعضهم
بعضا وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
على الاطلاق فيدخل فيهم من اتى منهم باياته دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم اي بين بني اسرائيل

اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه وقضاؤه العليم
بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضى به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر على ما ذكر من شؤونه
عز وجل فانها موجبة للتوكل عليه وداعية الى الامر به اي فتوكل على الله الذي هذا شانه فانه موجب على كل
احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه
تعالى بكونه عليه السلام على الحق البين او الفاصل بينه وبين الباطل او بين المحق والمبطل فان كونه عليه السلام
كذلك مما يوجب الوثوق بحفظه تعالى ونصرته وتأييده لا محالة وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى الخ
تعليل اخر للتوكل الذي هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر اليه والاعراض عن التشبث بما
سواه وقد علل اولا بما يوجبه من جهته تعالى اعني قضاءه بالحق وعزته وعلمه تعالى وثانيا بما يوجبه من
جهته عليه السلام على احد الوجهين اعني كونه عليه السلام على الحق ومن جهته تعالى على الوجه الاخر اعني اعانته تعالى
وتأييده للمحق ثم علل ثالثا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان
كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم ومعاضدتهم راسا وداع الى تخصيص الاعتضاد
به تعالى وهو المعنى بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا بالموتى لعدم تاثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق
الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم لشئ من المسموعات ولعل المراد تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور
فان القلب مشعر من المشاعر اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها والا لما تعين تشبيه انفسهم بالموتى
لا يظهر لتشبيههم بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي
بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتاكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون
عن الداعي مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي مقابلا له صائحا قريبا
منه فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هداية
موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر وعن متعلقة بالهداية
باعتبار تضمنها معنى الصرف وقيل بالعمي يقال عمي عن كذا اي عنه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة في نفي الهداية
وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا الا من يؤمن باياتنا اي من
من شانهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدي الا من
يؤمن لما ان طريق الهداية هو اسماع الايات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها كانه قيل فانهم
منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله بلى من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم بيان لما
اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما يستعجلونه من الساعة ومباديها والمراد بالقول
ما نطق من الايات الكريمة بمجيء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها
وحصولها عبر عن ذلك به للايذان بشدة وقعها وتاثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان
وقوعها من حيث انها مصداق القول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله تعالى
اتى امر الله اي اذا دنا ووقع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه اخرجنا لهم
دابة من الارض وهي الجساسة وفي التعرض لها باسم الجنس وتاكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة
على غرابة شانها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان طولها ستون
ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم وله زغب وريش وجناحان وعن ابن
جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر
وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام وقال
وهب وجهها وجه رجل وباقي خلقها خلق الطير وروي عن علي رضي الله عنه انه قال ليست بدابة
لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي لا يخرج الا راسها وراسها يبلغ
عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله عنه فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن
الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون

ولا تخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله
تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج باقصى اليمن ثم تتكمن ثم تخرج بالبادية
ثم تتكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة عند الله تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها
من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل
تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم وتحرك
القنديل وتنشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام
فتضرب المؤمن في مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه مؤمن
وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول
لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس انه قرع الصفا
بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة
فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين فتتكلم بالعربية بلسان ذلق وذلك قوله تعالى
تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اي تكلمهم بانهم كانوا لا يوقنون بايات الله تعالى الناطقة
بمجيء الساعة ومباديها او بجميع اياته التي من جملتها تلك الايات وقيل باياته التي من جملتها خروجها
بين يدي الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بان الناس الاية وباضافة الايات
الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها حكاية منها لقول الله عز وجل
وقيل لاختصاصها به تعالى واثرتها عنده كما يقول بعض خواص الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل والبلاد
لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بايات ربنا ووصفهم بعدم الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين
بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس
بالكسر على اضمار القول واجراء الكلام مجراه والكلام في الاضافة كالذي سبق وقيل هو استئناف مسوق
من جهته تعالى لتعليل اخراجها وتكليمها ويرده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه
حكاية لعدم ايقانهم الباقي في الدنيا والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركوا مكة وقد
روي عن وهب انها تخبر كل من تراه ان اهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم
الذي هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد يجوز كون القراءة المشهورة ايضا منه لمعنى
التكثير ولا يخفى بعده **ويوم نحشر من كل امة فوجا** بيان اجمالي لحال المكذبين عند قيام الساعة بعد
بيان بعض مباديها او يوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب
بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه
من الحوادث قد مر بيانه مرارا اي واذكر لهم وقت حشرنا اي جمعنا من كل امة من امم الانبياء عليهم السلام
او من اهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب
وقوله تعالى **ممن يكذب باياتنا** بيان للفوج اي فوجا مكذبين بها **فهم يوزعون** اي يحبس اولهم على
آخرهم حتى يتلاحقوا ويجتمعوا في موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد
اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي
اهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار **حتى اذا جاؤ** الى موقف السؤال والجواب
والمناقشة والحساب **قال** اي الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب والالتفات لتربية المهابة **اكذبتم**
باياتي الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى **ولم تحيطوا بها علما** جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة
التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اي اكذبتم بها بادي الراي غير ناظرين فيها نظرا يؤدي
الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا نص في ان المراد بالايات فيما سلف في الموضعين
هي الايات القرآنية لانها هي المنطوية على دلائل الصحة وشواهد الصدق التي لم يحيطوا بها علما
مع وجوب ان يتاملوا ويتدبروا فيها لا نفس الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم اي اجمعتم بين

بين التكذيب وعدم التدبر فيها **اماذا كنتم تعملون** اي اي شيء كنتم تعملون بها او اي شيء كنتم تعملون
غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصي مع انهم انما خلقوا للايمان
والطاعة يخاطبون بذلك تبكيتا ثم يكبون في النار وذلك قوله تعالى **ووقع القول عليهم** اي
حل بهم العذاب الذي هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله **بما ظلموا** بسبب ظلمهم الذي هو تكذيبهم
بايات الله **فهم لا ينطقون** لانقطاعهم عن الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم
الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كانا من المبصرات
لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اي الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام ليستريحوا فيه بالنوم
والقرار **والنهار مبصرا** اي ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب في امور المعاش فبولغ حيث جعل الابصار
الذي هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه التي جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك في الليل
هذا المسلك لما ان تاثير ظلام الليل في السكون ليس بمثابة تاثير ضوء النهار في الابصار **ان في**
ذلك اي في جعلهما كما وصفنا وما في اسم الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته في الفضل
لايات اي عظيمة كثيرة **لقوم يؤمنون** دالة على صحة البعث وصدق الايات الناطقة به دلالة واضحة
كيف لا وان من تامل في تعاقب الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة
يحار في فهمها العقول ولا يحيط بها الا الله عز وعلا وشاهد في الافاق تبدل ظلمة الليل المحاكية
للموت بضياء النهار المضاهي للحياة وعاين في نفسه تبدل النوم الذي هو اخو الموت بالانتباه الذي هو مثل
الحياة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور قضاء متقنا وجزم بانه تعالى
قد جعل هذا انموذجا له ودليلا يستشهدون به على تحققه وان الايات الناطقة به وبكون حال الليل
والنهار برهانا عليه وسائر الايات كلها حق نازل من عند الله **ويوم ينفخ في الصور** اما معطوف على
يوم نحشر منصوب بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور
فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا رسول الله ما الصور
قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذي نفسي بيده ان عظم دارة فيه كعرض السموات والارض
فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها في الحياة احد غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة
لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذي يستدعيه
سياق النظم الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ ههنا هي النفخة الثانية وبالفزع في قوله تعالى
ففزع من في السموات ومن في الارض ما يعتري الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة
للعادات في الانفس والافاق من الرعب والتهيب الضروريين الجبليين وايراد صيغة الماضي مع كون
المعطوف عليه اعني ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق وقوعه اثر النفخ ولعل تاخير بيان الاحوال الواقعة
عند ابتداء النفخة عن بيان ما يقع بعدها من حشر المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتكرير
التذكير ايذانا بان كل واحدة منهما طامة كبرى وداهية دهياء حقيقة بالتذكير على حيالها ولو
روعي الترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما مر في سورة البقرة
الا من شاء الله اي ان لا يفزع قيل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل عليهم السلام وقيل الحور والخزنة
وحملة العرش **وكل** اي كل واحد من المبعوثين عند النفخة **اتوه** حضروا الموقف بين يدي رب العزة
جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى
باعتبار معناه وقرئ اتوه اي حاضروه **داخرين** اي صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى **وترى**
الجبال عطف على ينفخ داخل في حكم التذكير وقوله عز وعلا **تحسبها جامدة** اي ثابتة في اماكنها
اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى **وهي تمر مر السحاب** حال من ضمير
الجبال في تحسبها او في جامدة اي تراها راي العين ساكنة والحال انها تمر في الجو مر السحاب التي تسيرها الرياح

سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا يكاد يتبين حركتها وعليه قول من قال

۞ بارعن مثل الطود تحسب انهم ۞ وقوف لحاج والركاب تهملج ۞

وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما في قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هيآتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئة الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية وقد قالوا في تفسير قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم ان صيغة الماضي في المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هي النفخة الاولى والفزع هو الذي يستتبع الموت لغاية شدة الهول كما في قوله تعالى فصعق من في السموات ومن في الارض الخ فيختص اثرها بمن كان حيا عندئذ وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين حقيق أن ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التي تكون قبل نفخة الصعق وهي التي اريدت بقوله تعالى ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترج الارض باهلها رجا فتكون كالسفينة الموثقة في البحر او كالقنديل المعلق ترجحه الارياح فانه مما لا ارتباط له بالمقام قطعا والحق الذي لا محيد عنه ما قدمناه ومما هو نص في الباب ما سياتي من قوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ في الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شان تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية ويكون لها عاقبة بل هي من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة التي لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادي الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب عنه قوله تعالى الذي اتقن كل شيء اي احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هي عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحققوا مشاهدة ذلك ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اي من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه تعالى بالحسنة فله من الجزاء ما هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الحسنة كلمة الشهادة وهم اي الذين جاءوا بالحسنات من فزع اي عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور الحسنات والسيئات وهو الذي في قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن حين يؤمر بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي المنادي يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يومئذ اي يوم اذ ينفخ في الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره اصلا واما الفزع الذي يعتري كل من في السموات ومن في الارض غير من استثناه الله تعالى فانما هو التهيب والرعب الحاصل في ابتداء

النفخة من معاينة فنون الدواهي والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر والامن يستعمل بالجار وبدونه كما في قوله تعالى افامنوا مكر الله وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور في القراءة الاولى لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة قيل هو الشرك فكبت وجوههم في النار اي كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها انفسهم على طريقة ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد او على اضمار القول اي مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امر صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم ذلك بعدما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيامة تنبيها لهم على انه قد اتم امر الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له عليه السلام بعد ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله عز وجل والاستغراق في مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا واصلحوا او فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور انفسهم ولا يتوهموا من شائبة اعتنائه عليه السلام بامر دعوتهم انه عم يظهر لهم ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من الآيات الباهرة والبلدة هي مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه تعالى اياها تشريف لها بعد تشريف وتعظيم اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به كما في قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية شناعة ما فعلوا فيها الا يرى انهم مع كونهم محرمين من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطي افجر افراد الفجور واشنع آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله تعالى انى يؤفكون وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شيء اي خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شيء في شيء من ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اي اثبت على ما كنت عليه من كوني من جملة الثابتين على ملة الاسلام والتوحيد اي الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وان اتلو القرآن اي واواظب على تلاوته لينكشف لي حقائقه الرائقة المخزونة في تضاعيفه شيئا فشيئا او على تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته في الهداية والارشاد من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه حينئذ فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياي فيما ذكر من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الي ومن ضل بالكفر به والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتي فيما ذكر فقل في حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الانذار فليس علي من وبال ضلاله شيء وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اي على ما افاض علي من نعمائه التي اجلها نعمة النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقني لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المامور به اي سيريكم البتة في الدنيا آياته الباهرة التي نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها وقعة بدر ويأباه قوله تعالى فتعرفونها اي فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا ينفعكم المعرفة لانهم لا يعرفون بكونها آيات الله تعالى في الآخرة وقيل سيريكم في الآخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولا بهم وتعميمه ثانيا للتغليب اي وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من

الآيات فيجازي كلا منكم بعمله لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى
وما ربك بغافل عن أعمالهم فيعذبهم البتة ولا يحسبوا أن تأخير عذابهم لغفلته تعالى عن أعمالهم الموجبة
له والله تعالى أعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان
وهود وصالح وابراهيم وشعيب عليهم السلام وبعدد من كذب بهم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

سورة القصص مكية ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم تلك آيات الكتاب المبين تقدم ما يتعلق به من الكلام بالإجمال والتفصيل في أشباهه
نتلو عليك أي نقرأ بواسطة جبرائيل عم ويجوز أن يكون التلاوة مجازا من التنزيل من نبإ موسى
وفرعون مفعول نتلوا أي بعض نبئهما بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل نتلوا ومن مفعوله أو صفة
لمصدره أي نتلو عليك بعض نبئهما ملتبسين أو ملتبسا بالحق أو تلاوة ملتبسة بالحق لقوم يؤمنون
متعلق بنتلو وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لأنهم المنتفعون به إن فرعون علا
في الأرض استئناف جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التأكيد للاعتناء بتحقيق
مضمونه أي إنه تجبر وطغى في أرض مصر وجاوز الحدود المعهودة في الظلم والعدوان وجعل
أهلها شيعا أي فرقا يشيعونه في كل ما يريده من الشر والفساد أو يشيع بعضهم في طاعته أو أصنافا
في استخدامه يستعمل كل صنف في عمل ويسخر منه من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الأعمال الشاقة
ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق كلمتهم
يستضعف طائفة منهم وهم بنو إسرائيل والجملة إما حال من فاعل جعل أو صفة لشيعا أو استئناف
وقوله تعالى يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لما أن كاهنا قال له يولد في
بني إسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك إلا لغاية حمقه إذ لو صدق فما فائدة القتل
وإن كذب فما وجهه إنه كان من المفسدين أي الراسخين في الإفساد ولذلك اجترأ على مثل تلك
العظيمة من قتل المعصومين من أولاد الأنبياء عليهم السلام ونريد أن نمن أي نتفضل على الذين
استضعفوا في الأرض على الوجه المذكور بإنجائهم من بأسه وصيغة المضارع في نريد حكاية
حال ماضية وهو معطوف على إن فرعون علا الخ لتناسبهما في الوقوع في حيز التفسير للنبإ أو حال من
يستضعف بتقدير المبتدأ أي يستضعفهم فرعون ونحن نريد أن نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة
الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما أن تعلق الإرادة تعلق استقبالي على أن منة
عليهم بالخلاص لما كانت في شرف الوقوع جاز إجراؤها مجرى الواقع المقارن له ووضع الموصول موضع
الضمير لإبانة قدر النعمة في المنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم أئمة يقتدى بهم في أمور
الدين بعد أن كانوا أتباعا مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما في سلك ملك
فرعون وراثة معهودة فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر
جعلهم أئمة مع تقدمها عليه زمانا لانحطاط رتبتها عن الإمامة ولئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه
من روادفه أعني قوله تعالى ونمكن لهم في الأرض الخ أي نسلطهم على مصر والشام يتصرفون فيهما
كيفما يشاؤون وأصل التمكين أن تجعل للشيء مكانا يتمكن فيه ونري فرعون وهامان وجنودهما
منهم أي من أولئك المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون في دفعه من ذهاب ملكهم وهلكهم
على يد مولود منهم وقرئ يرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية وأوحينا إلى أم موسى بإلهام
أو رؤيا أن أرضعيه ما أمكنك إخفاؤه فإذا خفت عليه بأن يحس به الجيران عند بكائه
وينموا عليه فألقيه في اليم في البحر وهو النيل ولا تخافي عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزني إنا
رادوه إليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين والجملة تعليل للنهي عن
الخوف والحزن وإيثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق مضمونها أي إنا فاعلون لرده
وجعله من المرسلين لا محالة روي أن بعض القوابل الموكلات من قبل فرعون بحبالى بني إسرائيل كانت

كانت مصافية لأم موسى عم فقالت لها لينفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين
عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه في قلبها ثم قالت ما جئتك إلا لأقتل مولودك وأخبر فرعون
ولكني وجدت لابنك في قلبي محبة ما وجدت مثلها لأحد فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته في
خرقة فألقته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا فلم يلفوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري
مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فلما ألح فرعون
في طلب الولدان أوحى الله تعالى إليها ما أوحى وقد روي أنها أرضعته ثلاثة أشهر في تابوت من بردي مطلي
بالقار من داخله والفاء في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مرتبة على ما
قبلها من الأمر بالإلقاء قد حذفت تعويلا على دلالة الحال وإيذانا بكمال سرعة الامتثال أي فألقته في اليم
بعد ما جعلته في التابوت حسبما أمرت به فالتقطه آل فرعون أي أخذوه أخذ اعتناء به وصيانة له عن
الضياع قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس إليه وكان
بها برص شديد عجزت الأطباء عن علاجه فقالوا لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد منه شبه الإنس يوم كذا وساعة
كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون في
مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في
زمن يوسف الصديق عم وقيل كانت من بني إسرائيل من سبط موسى وقيل كانت عمته حكاه السهيلي وأقبلت بنت
فرعون في جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فإذا بتابوت في النيل تضربه الأمواج فتعلق بشجرة فقال فرعون
ائتوني به فابتدروا بالسفن فأحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا كسره فأعياهم
فنظرت آسية فرأت نورا في جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فإذا هو بصبي صغير في مهده وإذا نور
بين عينيه وهو يمص إبهامه لبنا فألقى الله تعالى محبته عم في قلوب القوم وعمدت ابنة فرعون إلى ريقه فلطخت
به برصها فبرأت من ساعته وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت الغواة من قوم فرعون إنا نظن أن هذا هو الذي
نحذر منه رمي في البحر خوفا منك فاقتله فهم فرعون بقتله فاستوهبته آسية فتركه كما سيأتي واللام في قوله
تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام العاقبة أبرز مدخولها في معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له في الترتب
عليه بالغرض الحامل عليه وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عم نفس الحزن إيذانا بقوة سببيته لحزنهم
إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين أي في كل ما يأتون وما يذرون فليس ببدع منهم أن قتلوا لأجله
ألوفا ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روي أنه ذبح في طلبه عم تسعون ألف وليد أو كانوا
مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا
به وقرئ خاطين على تخفيف خاطئين أو على أنه بمعنى متعدين الصواب إلى الخطأ وقالت امرأت فرعون أي
لفرعون حين أخرجته من التابوت قرت عين لي ولك أي هو قرة عين لنا لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه
أو لما كشف عنه التابوت وقيل لما رأته ابنته برأت من برصها وروي أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى
كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعدها فيما تريده عسى أن ينفعنا فإن فيه مخايل اليمن
ودلائل النجابة وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه إبهامه لبنا أو نتخذه ولدا أي نتبناه فإنه خليق بذلك وهم
لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأته كذا
وكذا وهم لا يشعرون بأنهم على خطأ عظيم فيما صنعوا من الالتقاط ورجاء النفع منه والتبني وقوله تعالى إن
فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتأكيد خطئهم أو حال من أحد ضميري نقتله على أن الضمير للقبط
وهم لا يشعرون أنه الذي نحذره وأصبح فؤاد أم موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة
حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى وأفئدتهم هواء أي خلاء لا عقول فيها ويعضده أنه قرئ فرغا من
قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى أو لسماعها
أن فرعون عطف عليه وتبناه وقرئ مؤسى بالهمزة إجراء للضمة في جارة الواو مجرى ضمتها في
وجوه إن كادت لتبدي به أي إنها كانت لتظهر بموسى أي بأمره وقصته من فرط الحيرة والدهش أو الفرح
بتبنيه لولا أن ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين المصدقين بوعد الله تعالى أو من

او الثقة بحفظه لا بتبني فرعون وتعطفه وهو علة الربط وجواب لو محذوف دل عليه ما قبله وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخته دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار المحبة الموجبة للامتثال بالامر قصيه اي اتبعي اثره وتتبعي خبره فبصرت به اي ابصرته عن جنب عن بعد وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه وتعرف حاله او انها اخته وحرمنا عليه المراضع اي منعناه ان يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه اعني الثدي من قبل اي من قبل قصها اثره فقالت عندما رأتهم لعدم قبوله الثدي واعتناء فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي ان هامان لما سمعه منها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان تأتي بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فدفعه اليها فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى امه كي تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اي جميع ما وعده من رده وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون ولما بلغ اشده اي المبلغ الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ روي انه لم يبعث نبي الا على رأس الاربعين واستوى اي اعتدل قده او عقله آتيناه حكما اي نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو اوفق لنظم القصة لانه تعالى استنباه بعد الهجرة في المراجعة وكذلك مثل ذلك الذي فعلنا بموسى وامه نجزي المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اي مصر من قصر فرعون وقيل منف او حابين او عين الشمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها في وقت لا يعتاد دخولها او لا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته اي ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اي من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذي من شيعته اي سأله ان يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ استعانه على الذي من عدوه فوكزه موسى اي ضرب القبطي بجمع كفه وقرئ فلكزه اي فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيما بينهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين في استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغائر انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال قال توسيط كلامه عم لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعاء بخلاف الاول رب اني ظلمت نفسي بقتله فاغفر لي ذنبي فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اي البالغ في مغفرة ذنوب عباده ورحمتهم قال رب بما انعمت علي اما قسم محذوف الجواب اي اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ابدا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اي بحق انعامك علي اعصمني فلن اكون معينا لمن يؤدي معونته الى الجرم وعن ابن عباس انه عم لم يستثن فابتلي به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت علي من القوة اعين اولياءك فلن استعملها في مظاهرة اعدائك فاصبح في المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة او الاجناد فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوي مبين اي بين الغواية تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد موسى عم ان يبطش بالذي هو عدو لهما اي لموسى وللاسرائيلي اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم الطاء قال اي الاسرائيلي ظانا انه عم يبطش به حسبما يوهمه تسميته اياه غويا يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطي قول الاسرائيلي علم ان موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني فانطلق الى فرعون فاخبره

فاخبروا بذلك وامر فرعون بقتل موسى عم وقيل قاله القبطي ان تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض وهو الذي يفعل كل ما يريد من الضرب والقتل ولا ينظر في العواقب وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اي كائن من آخرها او جاء من آخرها يسعى اي يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق بجاء فان تخصيصه يلحقه بالمعارف قيل هو مؤمن آل فرعون واسمه حزبيل وقيل شمعون وقيل سمعان قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدمها فخرج منها اي من المدينة خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجني من القوم الظالمين خلصني منهم واحفظني من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين اي نحو مدين وهو قرية شعيب عم سميت باسم مدين بن ابرهيم ولم تكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر ثمانية ايام قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطرق فعنت له ثلاث طرق فاخذ في الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا في الآخرين وقيل خرج خائفا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاءه ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين اي وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه اي فوق شفيرها امة جماعة كثيرة من الناس يسقون اي مواشيهم ووجد من دونهم في موضع اسفل منهم امرأتين تذودان اي تمنعان ما معهما من الاغنام عن التقدم الى البئر كيلا تختلط باغنامهم او لعدم الفائدة في التقدم قال عم لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود ما خطبكما ما شأنكما فيما انتما عليه من التأخر والذود ولم لا تباشران السقي كاصحاب هؤلاء قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء اي عادتنا ان لا نسقي حتى يصرف الرعاة مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال لا انا لا نسقي اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقي والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان تلك الافعال انفسها اذ هي التي دعت موسى عم الى ما صنع في حقهما من المعروف فانه عم انما رحمهما لكونهما على الذياد والعجز وكونهم على السقي غير مبالين بهما وما رحمهما لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا مثلا وقرئ لا نسقي من الاسقاء ويصدر من الصدور والرعاء بضم الراء وهو اسم جمع كالرخال واما الرعاء فجمع كصيام وقيام وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ابلاء منهما العذر اليه عم في توليهما السقي بانفسهما كأنهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير السقي الى ان يقضي الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام في حذف مفعوله كما مر آنفا روي ان الرعاة كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقلبه الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع ولعله عم زاحمهم في السقي لهما فوضعوا الحجر على البئر لتعجيزه عن ذلك فان الظاهر انه عم عقيب ما شاهد حالهما سارع الى السقي لهما وقد روي انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك بئر اخرى عليها الصخرة المذكورة وروي انه عم سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما ثم تولى الى الظل الذي كان هناك فقال رب اني لما انزلت الي اي اي شيء انزلت الي من خير قل او كثر وحمله الاكثر على الطعام بمعونة المقام فقير اي محتاج ولتضمنه معنى السؤال والطلب جيء بلام الدعامة لتقوية وقيل المعنى لما انزلت الي من خير عظيم هو خير الدارين صرت فقيرا في الدنيا لانه كان في سعة من العيش عند فرعون قاله عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما قيل هي كبراهما واسمها صفورا او صفراء وقيل صغراهما واسمها صفيرا اي جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما

اذ يمشي باد عبدك فقوله تعالى تمشي حال من فاعل جاءت وقوله تعالى على استحياء متعلق بمحذوف هو حال من ضمير تمشي اي جاءته تمشي كائنة على استحياء معناه انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم وقيل جاءته متخفرة اي شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها قالت استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عم كانه قيل فماذا قالت له عم فقيل قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزاء سقيك اسندت الدعوة الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة ما لا يخفى روي انه عم اجابها فانطلقا وهي امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليهما السلام فلما جاءه وقص عليه القصص اي ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمي به المفعول كالعلل قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين الذي يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى انما اجاب المستدعية من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عم ويستظهر برايه لا لياخذ بمعروفه اجرا حسبما صرحت به الايه حتى روي ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا ولم يتناول حتى قال شعيب عليهما السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف لا وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما في دار نبي من انبياء الله تعالى عليهم السلام وقيل ليس بمستنكر منه عم ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روي عن عطاء بن السائب انه عم رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل له ليجزيك الخ ولعله عم انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا الى استيفاء الاجر قالت احديهما وهي التي استدعته الى ابيها وهي التي زوجها من موسى عليهما السلام يا ابت استاجره اي لرعي الغنم والقيام بامرها ان خير من استاجرت القوي الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة في ذلك جعل خير اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضي للدلالة على انه امين مجرب روي ان شعيبا عم قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه عم من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه قال اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني اي تكون اجيرا لي او تثيبني من اجرته كذا اذا اثبته اياه فقوله تعالى ثماني حجج على الاول ظرف وعلى الثاني مفعول به على تقدير المضاف اي رعية ثماني حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت داري ومملوكي غير ممدود وآجرت ممدود والاول اكثر فعلى هذا يكون المفعول الثاني محذوفا والمعنى على ان تاجرني نفسك وقوله ثماني حجج ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا في الخدمة فمن عندك اي فهو من عندك بطريق التفضل لا من عندي بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عرض لرايه على موسى عليهما السلام واستدعاء منه للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة في مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في اطاقته ويوزع رايك في مزاولته ستجدني ان شاء الله من الصالحين في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالعهد ومراده عليه السلام بالاستثناء التبرك به وتفويض امره الى توفيقه تعالى لا تعليق صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك بيني وبينك مبتدا وخبر اي ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت على نفسك وقوله ايما الاجلين اي اكثرهما او اقصرهما قضيت اي وفيتك باداء الخدمة فيه فلا عدوان علي تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اي لا يعتدى علي بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء العدوان بكلا الاجلين بصدد المشارطة مع تحقق عدم العدوان في اكثرهما راسا للقصد الى التسوية بينهما في الانتفاء اي كما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمان او ايما الاجلين قضيت فلا اثم علي كما لا اثم علي في قضاء الاكثر لا اثم علي في قضاء الاقصر فقط وقرئ ايما الاجلين ما قضيت فما مزيدة لتاكيد القضاء كما انها في القراءة الاولى مزيدة

مزيدة للتاكيد ابهام اي وشياعا وقرئ ايما بسكون الياء كقول من قال

تنظرت نصرا والسماكين ايهما * علي من الغيث استهلت مواطره

والله على ما نقول من الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكي عنهما عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام في انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة وايقاعهما بل هو بيان لما عزما عليه واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين في تلك الشريعة تفصيلا روي انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي وكانت عنده عصي الانبياء فاخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عم فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل عم بعد موت آدم عم فكانت معه حتى لقي موسى عم وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب عم اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ عن يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عم دامية

فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عم مس الغنم فوجدها ملاء البطون ٥

غزيرة اللبن فاخبره موسى عم بالشان ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء في قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اي فعقدا العقدين وباشر موسى ما التزمه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عم روي انه عم قضى ابعد الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا اخرى ثم عزم على الرجوع الى مصر فاستاذنه في ذلك فاذن له فخرج باهله آنس من جانب الطور اي ابصر من الجهة التي تلي الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر اي عن الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة اي عود غليظ سواء كانت في راسه نار او لا قال

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها * جزل الجذا غير خوار ولا دعر

وقال

والقى على قبس من النار جذوة * شديدا عليها حرها والتهابها

ولذلك بين بقوله تعالى من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون اي تستدفئون بها فلما اتاها اي النار التي آنسها نودي من شاطئ الواد الايمن اي اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عم في البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودي من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ الواد لانها كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا لما في طه والنمل لكنه موافق له في المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودي والفاء في قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا بغاية سرعة تحقق مدلولاتها فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كانها جان في سرعة الحركة مع غاية عظم جثتها ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب لم يرجع يا موسى اي فقيل يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من المخاوف فانه لا يخاف لدي المرسلون اسلك يدك في جيبك اي ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء اي عيب واضمم اليك جناحك اي يديك المبسوطتين لتتقي بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى

بحت لا من اوبا دخالها فى الجيب فيكون تكرير الغرض آخر هو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة
ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة
من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا امن واطمأن ضمهما اليه من الرهب اى من اجل الرهب
اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات
فذانك اشارة الى العصا واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك
برهانان حجتان نيرتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل
اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها
وقيل هو فعلال لقولهم برهن ومن فى قوله تعالى من ربك متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان اى كائنان
منه تعالى الى فرعون وملائه واصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود
الظلم والعدوان فكانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب انى قتلت منهم
نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا اى معينا
وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقنى بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها
وتزييف الشبهة انى اخاف ان يكذبون ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم
لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقنى بالجزم على انه جواب الامر
قال سنشد عضدك باخيك اى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك
يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس بذاك
فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة بآياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به فى مواضع اخر اى اذهبا بآياتنا
او بنجعل اى نسلطكما بآياتنا او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم بها وقيل هو قسم جوابه لا يصلون وقيل
هو بيان للغالبون فى قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان
اللام للتعريف لا بمعنى الذى فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات اى واضحات الدلالة على صحة رسالته
عم والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عم اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة الجمع قد
مر سره فى سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اى سحر مختلق لم يفعل قبل هذا مثله او سحر تعمله ثم
تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر اصناف السحر وما سمعنا بهذا اى السحر او ادعاء النبوة
فى آبائنا الاولين اى واقعا فى ايامهم وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به نفسه
وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار اى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها
الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب
فمن نتائج اعمال العصاة وسيئات الغواة وقرئ يكون بالياء التحتانية انه لا يفلح الظالمون اى لا
يفوزون بمطلوب ولا ينجون عن محذور وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى
قاله اللعين بعدما جمع السحرة وتصدى للمعارضة وكان من امرهم ما كان فاوقد لى يا هامان على
الطين اى اصنع آجرا فاجعل لى منه صرحا اى قصرا رفيعا لعلى اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو
كان لكان جسما فى السماء يمكن الرقى اليه ثم قال وانى لاظنه من الكاذبين او اراد ان يبنى له
رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول الله وتبدل دولته وقيل المراد
نفى العلم بنفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس
وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها
ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم
الصنعة مع ما فيه من تعظم ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام واستكبر هو وجنوده
فى الارض ارض مصر بغير الحق بغير استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح
الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول من رجع رجعا وهو انسب بالمقام فاخذناه وجنوده عقيب ما

ما بلغوا من الكفر والعتو اقصى الغايات فنبذناهم فى اليم قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شان الآخذ
وتهويله واستحقار المأخوذين المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم فى كف وطرحهم
فى البحر ونظيره قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اى صيرناهم
فى عهدهم ائمة يدعون الناس الى النار اى الى ما يؤدى اليها من الكفر والمعاصى اى قدوة يقتدى
بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار
كما فى قوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فالاسبح ان يكون الجعل بعد
فيما بين الامم ويكون الدعوة الى نفس النار وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم
القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة طردا
وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث لا يزال يلعنهم الملئكة عم والمؤمنون خلفا عن سلف
ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة
العيون وسواد الوجوه قاله ابن عباس يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من
المقبوحين من المهلكين ويوم القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى
او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل وقبحوا يوم القيمة نحو قوله لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى
الكتاب اى التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى هم اقوام نوح وهود وصالح ولوط
عليهم السلام والتعرض لبيان كون ايتائها بعد اهلاكهم للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيدا
لما يعقبه من بيان الحاجة الداعية الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عم فان اهلاك
القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤديين الى اختلال
نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعيين للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية على مر الدهور
وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة للاعتبار كانه قيل
ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة اليها بصائر للناس اى انوارا لقلوبهم بتبصر بها
الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور القلب
الذى به يستبصر كما ان البصر نور العين الذى به تبصر وهدى اى الى الشرائع والاحكام التى
هى سبل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل بها رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من
الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصائر الخ وقيل
على العلة اى آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى
منهم التذكر وقد مر تحقيق القول فى ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون من سورة البقرة وقوله
تعالى وما كنت بجانب الغربى شروع فى بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع فى زمان
شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله
عز وجل ببيان ان الوقوف على ما فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها
وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحى من علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت بجانب الغربى اى الجبل الغربى الذى
وقع فيه الميقات على ان يكون من حذف الموصوف واقامة صفته مقامه او المكان الغربى على ان يكون من اضافة
الصفة الى الجامع اذ قضينا الى موسى الامر اى عهدنا اليه وكتبنا له امر نبوته بالوحى وايتاء
التوراة وما كنت من الشاهدين اى من جملة الشاهدين للوحى وهم السبعون المختارون للميقات
حتى تشاهد ما جرى من امر موسى فى ميقاته وكتبة التوراة له فى الالواح فتخبره للناس ولكنا انشانا
قرونا اى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد
فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم الانباء لاسيما على آخرهم فاقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا
اليك فحذف المستدرك اكتفاء بذكر ما يوجبه ويدل عليه وقوله تعالى وما كنت ثاويا فى اهل مدين

نفي لاحتمال كون معرفته عم للقصة بالسماع ممن شاهدها اي وما كنت مقيما في اهل مدين من شعيب
والمؤمنين به وقوله تعالى تتلو عليهم اي تقرا على اهل مدين بطريق التعلم منهم آياتنا الناطقة بالقصة
اما حال من المستكن في ثاويا او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الآيات
ونظايرها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي وقت ندائنا موسى اني انا الله رب العالمين
واستنبائنا اياه وارسالنا له الى فرعون ولكن رحمة من ربك اي ولكن ارسلناك بالقرآن الناطق بما ذكر
وبغيره لرحمة عظيمة كائنة منا لك وللناس وقيل علمناك وقيل عرفناك ذلك وليس بذاك كما ستعرفه
والالتفات الى اسم الرب للاشعار بعلية الرحمة وتشريفه عم بالاضافة وقد اكتفى عن ذكر المستدرك
هنا بذكر ما يوجبه من جهته تعالى كما اكتفى في الاول بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به
فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بانه المراد فيهما ايضا ولله در شأن التنزيل وقوله
تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة وهو ما ذكرنا من ارساله عم بالقرآن حتما لا المعلل بـ
التعليم ما ذكر وقرئ رحمة بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك
صفة لقوما اي لم يأتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين
اسمعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اي يتعظون بانذارك
وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثواء في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان كلا من ذلك برهان مستقل
على ان حكايته عم للقصة بطريق الوحي الالهي ولو ذكر اولا نفي ثوائه عم في اهل مدين ثم نفي حضوره عم
عند النداء ثم نفي حضوره عند قضاء الامر كما هو الموافق للترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد
على ما ذكر كما مر في قصة البقرة ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة بما قدمت ايديهم اي بما
اقترفوا من الكفر والمعاصي فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار امتناع ما يجاب
به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وانما ذكر في حيزها للايذان بانه السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا اي هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالآيات فنتبع آياتك الظاهرة على يديه
جواب لولا التحضيضية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال عليه
والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة بجناياتهم التي قدموها ما ارسلناك لكن لما كان قولهم ذلك
محققا لا محيد لهم عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اي اهل مكة الحق من عندنا وهو
القرآن المنزل عليه عم قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى يعنون به عم من
الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عم وقوله تعالى اولم يكفروا
بما اوتي موسى من قبل رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اي الم
يكفروا من قبل هذا القول بما اوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استيناف مسوق
لتقرير كفرهم المستفاد من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى ساحران خبر لمبتدأ محذوف اي
هما يعنون ما اوتي محمد وما اوتي موسى عليهما السلام سحران تظاهرا اي تعاونا بتصديق كل واحد منهما
الآخر وذلك انهم بعثوا رهطا منهم الى رؤساء اليهود في عيد لهم فسألوهم عن شأنه عم فقالوا انا نجده في
التورية بنعته وصفته فلما رجع الرهط واخبروهم بما قالت اليهود قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا انا بكل
اي بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما وتأكيد لكفرهم المفهوم من تسميتهما سحرا وذلك لغاية
عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليهما وسلم
هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الجليل فتأمل ودع عنك ما قيل وقيل الاثري الى قوله تعالى
قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما اوتيناه من التورية والقرآن وسميتموهما
سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه جواب الامر اي ان تأتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما يأتي
به من يدل بوضوح حجته وسنوح محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين امر بين الاستحالة فيوسع
دائرة الكلام للتبكيت والافحام ان كنتم صادقين اي في انهما سحران مختلقان وفي ايراد كلمة ان مع
امتناع صدقهم نوع تهكم بهم فان لم يستجيبوا لك اي فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب

بكتاب اهدى منهما كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه عم على كمال امن
من امره كان امره عم لهم بالاتيان بما ذكر دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى الدعاء
بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعاء عند ذكره غالبا ولا يكاد يقال استجاب الله له دعاءه فاعلم انما
يتبعون اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك ما اصلا اذ لو كان لهم ذلك لأتوا به ومن اضل ممن اتبع
هواه استفهام انكاري للنفي اي لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اي هو اضل من كل ضال وان كان
ظاهر السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من
الله تعالى لزيادة التقرير والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة
ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الآيات الهادية
الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول وقرئ بالتخفيف اي انزلنا القرآن عليهم متواصلا بعضه اثر بعض
حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون
فيؤمنون بما فيه الذين آتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل ايتاء القرآن هم به يؤمنون وهم مؤمنو
اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية
من الشام واذا يتلى اي القرآن عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا اي الحق الذي
كنا نعرف حقيته وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم به وقوله تعالى انا كنا من قبله اي من
قبل نزوله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب المتقدمة
وانهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون اجرهم
مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين
او على الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين
ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالطاعة المعصية لقوله عم اتبع الحسنة السيئة
تمحها ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن
اللغو تكرما كقوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا لهم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام
عليكم متاركة وتوديع لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي
هداية موصلة الى البغية لا محالة من احببت صحبتهم من الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام
وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء ان يهديه
فيدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب
فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله قال
يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك
غضاضة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني
سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف
من ارضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف حيث اتى النبي صلى الله عم فقال نحن نعلم
انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد عليهم
بقوله تعالى اولم نمكن لهم حرما آمنا اي الم نعصمهم ونجعل مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الحرام
الذي تتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه يجبى اليه وقرئ تجبى اي تجمع وتحمل اليه ثمرات كل شيء من
كل اوب والجملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع الميرة رزقا من لدنا
فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة اصنام فكيف يخافون التخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة
التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون اي جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك وقيل هو متعلق
بقوله تعالى من لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى اذ لو علموا
لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى او حال من ثمرات على انه بمعنى مرزوقا
لتخصصها بالاضافة ثم بين ان الامر بالعكس وانهم احقاء بان يخافوا باس الله تعالى بقوله وكم اهلكنا

من قرية بطرت معيشتها اي وكثير من اهل قرية كانت حالهم كحال هولاء في الامن وخفض العيش والدعة
حتى اشروا فدمرنا عليهم وخربنا ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن من بعدهم من
بعد تدميرهم الا قليلا اي الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق من يسكنها الا قليلا
من شوم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب
معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم او باضمار زمان مضاف اليها او بجعله
مفعولا لبطرت بتضمين معنى كفرت وما كان ربك مهلك القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك
القرى المذكورة اي وما صح وما استقام بل استحال في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان في
حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث في امها
اي في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها لكون اهلها افطن وانبل رسولا يتلو عليهم آياتنا
الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك والالتفات الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى
وما كنا مهلكي القرى عطف على ما كان ربك ونفي لدنا لي الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من
اعم الاحوال اي وما كنا مهلكين لاهل القرى بعدما بعثنا في امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه في
حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك
بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه في سورة
بني اسرائيل وما اوتيتم من شيء من امور الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي فهو شيء شانه ان يتمتع
ويتزين به اياما قلائل وما عند الله وهو الثواب خير في نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب
الالم وبهجة كاملة عارية عن سمة الهم وابقى لانه ابدي افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا
الامر الواضح فتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرى بالياء على الالتفات المبني على اقتضاء
سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم افمن وعدناه وعدا حسنا اي وعدا بالجنة فان حسن الوعد
بحسن الموعود فهو لاقيه اي مدركه لا محالة لاستحالة الخلف في وعده تعالى ولذلك جيء بالجملة الاسمية
المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء المنبئة عن معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا
الذي هو مشوب بالآلام منغص بالاكدار مستتبع للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار
التشابه بين اهل الدنيا واهل الآخرة على ما قبلها من ظهور التفاوت بين متاع الحيوة الدنيا وبين ما
عند الله تعالى اي ابعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم
القيمة من المحضرين عطف على متعناه داخل معه في حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه ومقرر له كانه قيل
كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على التحقق حتما وفي جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخي في الزمان
او في الرتبة وقرى ثم هو بسكون الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم
القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحدا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تفسير للنداء اين شركائي الذين كنتم
تزعمون اي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان معا لدلالة الكلام عليهما قال استئناف
مبني على حكاية السؤال كانه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم
من الشياطين ورؤساؤهم الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم في كل ما امروهم به
ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لاصالتهم
في الكفر واستحقاق العذاب حسبما يشعر به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وسارعوا
الى الجواب مع كون السؤال للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال
وجزمهم بان العبدة سيقولون هولاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوا اعتذارا وهولاء الهنا فانما
قالوا ردا لقولهم الا انه لم يحك قول العبدة ايجازا لظهوره ربنا هولاء الذين اغوينا اي هم الذين اغويناهم

فحذف الراجع الى الموصول وقوله تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اي ما اكرهناهم على الغي وانما اغويناهم بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصي هوى منهم وهو تقرير لما قبله ولذلك لم يعطف عليه وكذا قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اي ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اي تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم اي الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم على الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمني اي تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فعميت عليهم الانباء يومئذ اي صارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدي اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل واذا كانت الرسل عليهم السلام يتتعتعون في الجواب عن مثل ذلك المقام الهائل ويفوضون العلم الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة المسؤول فما ظنك باولئك الضلال من الامم فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او للعلم بان الكل سواء في الجهل فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا اي جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اي الفائزين بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجي من قبل التائب بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ويختار اي يخلقه ويختاره من غير ايجاب عليه ولا منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اي التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفي الاختيار المؤثر عنهم وذلك مما لا ريب فيه وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي انه نزل في قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والمعنى لا يبعث الله تعالى الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح سبحان الله اي تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والآخرة لانه المولي للنعم كلها عاجلها وآجلها على الخلق كافة يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اي القضاء النافذ في كل شيء من غير مشاركة فيه لغيره واليه ترجعون بالنشور قل ارأيتم اي اخبروني ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما في دلامص من الدلاص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله صفة اخرى لاله يأتيكم بضياء صفة اخرى له افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار قل ارأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال

لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع لما نيط به من المنافع أفلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التي لا تخفى
على من له بصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه أي في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار
بأنواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل أو لتعرفوا نعمته تعالى وتشكروه عليها ويوم
يناديهم منصوب باذكر فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع إثر تقريع للإشعار بأنه لا شيء
أجلب لغضب الله عز وجل من الإشراك كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيده سبحانه وتقدس
ونزعنا عطف على يناديهم وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أو حال من فاعله بإضمار قد والالتفات
إلى نون العظمة لإبراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله أي أخرجنا من كل أمة من الأمم شهيدا نبيا
يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد فقلنا لكل من تلك الأمم هاتوا
برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا يومئذ أن الحق لله في الإلهية لا يشاركه فيها أحد وضل
عنهم أي غاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون في الدنيا من الباطل إن قارون كان من قوم
موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عم بن عمران بن قاهث وقيل كان موسى عم
ابن أخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان أقرأ بني إسرائيل للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري
وقال إذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون فما لي وروي أنه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت
الرسالة والحبورة والقربان لهارون وجد قارون لنفسه وحسدهما فقال لموسى الأمر لكما ولست على
شيء إلى متى أصبر قال موسى عم هذا صنع الله تعالى قال لا أصدق حتى تأتي بآية فأمر رؤساء بني إسرائيل
أن يجيء كل واحد بعصاه فحزمها وألقاها في القبة التي كان الوحي ينزل إليه فيها فكانوا يحرسون
عصيهم بالليل فأصبحوا فإذا بعصا هرون تهتز ولها ورق أخضر فقال قارون ما هو بأعجب مما تصنع من
السحر وذلك قوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وأن يكونوا تحت أمره أو ظلمهم قيل وذلك حين
ملكه فرعون على بني إسرائيل وقيل حسدهم وذلك ما ذكر منه في حق موسى وهرون عليهما السلام
وآتيناه من الكنوز أي الأموال المدخرة ما إن مفاتحه أي مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح
به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح بالفتح لتنوء بالعصبة أولي القوة خبر إن والجملة صلة
ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ
لينوء بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه كما في قوله تعالى إن رحمة الله قريب من المحسنين
إذ قال له قومه منصوب بتنوء وقيل ببغى ورد بأن البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل بآتيناه
ورد بأن الإيتاء لم يكن مقيدا به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو أظهر الفرح ويجوز أن يكون
منصوبا بما بعده من قوله تعالى قال إنما أوتيته ويكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح أي لا تبطر
والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لأنه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها
من اللذة مفارقة لا محالة توجب الترح حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي
ههنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا إن الله لا يحب الفرحين أي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ
واتبع فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة أي ثواب الله تعالى فيها بصرفه إلى ما يكون وسيلة إليه
ولا تنس أي لا تترك ترك المنسي نصيبك من الدنيا وهو أن تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما
يكفيك وأحسن أي إلى عباد الله تعالى كما أحسن الله إليك فيما أنعم به عليك وقيل أحسن بالشكر
والطاعة كما أحسن الله إليك بالإنعام ولا تبغ الفساد في الأرض نهي عما كان عليه من الظلم والبغي
إن الله لا يحب المفسدين لسوء أفعالهم قال مجيبا لناصحيه إنما أوتيته على علم عندي
كأنه يريد به الرد على قولهم كما أحسن الله إليك لإنبائه عن أنه تعالى أنعم عليه بتلك الأموال والذخائر
من غير سبب واستحقاق من قبله أي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى
علم في موقع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة
وسائر المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفائن وعندي صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا
عندي أي في ظني ورأيي أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا

جمعا تقريع له من جهة الله عز وجل على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التوراة
وتلقيا من موسى عم وسماعا من حفاظ التواريخ وتعجيب منه فالمعنى ألم يقرأ التوراة ولم يعلم ما
فعل الله تعالى بأضرابه من أهل القرون السابقة حتى لا يغتر بما اغتر به أو رد لادعائه العلم وتعظمه
به بنفي هذا العلم منه فالمعنى أعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل
عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها بغتة كأن قارون لما هدد بإهلاك من قبله
ممن كانوا أقوى منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أن ذلك لم يكن مما يختص بأولئك المهلكين بل الله تعالى
مطلع على ذنوب كافة المجرمين يعاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه عطف على قال وما بينهما
اعتراض وقوله تعالى في زينته إما متعلق بخرج أو بمحذوف هو حال من فاعله أي فخرج عليهم كائنا
في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه
وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعلى يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض
عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيه المعصفر قال
الذين يريدون الحياة الدنيا من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة
واليسار يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وعن قتادة أنهم تمنوه ليتقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه
في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما كفارا إنه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتأكيد له وقال
الذين أوتوا العلم أي بأحوال الدنيا والآخرة كما ينبغي وإنما لم يوصفوا بإرادة ثواب الآخرة تنبيها
على أن العلم بأحوال النشأتين يقتضي الإعراض عن الأولى والإقبال على الثانية حتما وأن تمني المتمنين
ليس إلا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله
في الآخرة خير مما تتمنونه لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم أن تتمنوه غير مكتفين بثوابه تعالى
ولا يلقاها أي هذه الكلمة التي تكلم بها العلماء أو الثواب فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو الإيمان والعمل
الصالح فإنهما في معنى السيرة والطريقة إلا الصابرون أي على الطاعات وعن الشهوات فخسفنا به
وبداره الأرض روي أنه كان يؤذي موسى عم كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكوة فصالحه عن
كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد إلى أن يفضح موسى عم بين بني إسرائيل فجعل لبغي من بغايا بني إسرائيل
ألف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى عم خطيبا فقال من
سرق قطعناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه ومن زنى وهو محصن رجمناه فقال قارون ولو كنت
قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها عم أن تصدق فقالت جعل لي
قارون جعلا على أن أرميك بنفسي فخر موسى ساجدا لله يبكي ويقول يا رب إن كنت رسولك فاغضب
لي فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله تعالى بعثني إلى قارون كما بعثني إلى
فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين ثم قال يا أرض
خذيهم فأخذتهم إلى الركب ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق
وهم يناشدونه بالله تعالى وبالرحم وهو لا يلتفت إليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت
عليهم فأصبحت بنو إسرائيل يتناجون بينهم إنما دعا عليه موسى عم ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله
تعالى حتى خسف بداره وأمواله فما كان له من فئة جماعة ينصرونه من دون الله بدفع
العذاب عنه وما كان من المنتصرين أي الممتنعين منه بوجه من الوجوه يقال نصره من عدوه فانتصر
أي منعه فامتنع وأصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالأمس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله
يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر أي يفعل كل واحد من البسط والقدر بمحض مشيئته لا لكرامة
توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى
ما أشبه الأمر أن الله يبسط الرزق وعند الكوفيين من ويك بمعنى ويلك وأن وتقديره ويلك اعلم أن الله
وإنما يستعملان عند التنبه على الخطأ والتندم والمعنى أنهم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وتندموا على ذلك
لولا أن من الله علينا بعدم إعطائه إيانا ما تمنيناه وأعطاه إياه وقرئ لولا من الله علينا

لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لانخسف بنا
كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسله وبما
وعدوا من ثواب الآخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها وبلغك
وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض اي غلبة وتسلطا ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد
كداب فرعون وقارون وفي تعليق الموعد بترك ارادتهما لا بتركهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله عنه
ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة المحمودة للمتقين
اي الذين يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الافعال والاقوال من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا
ووصفا وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير
لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم
مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه
والعمل به لرادك الى معاد اي معاد تمتد اليه اعناق الهمم وترنو اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي
وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى اذ وعدك ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المشرفة
على انه تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية وشدة من اهلها انه يهاجر به منها ثم يعيده اليها بعز ظاهر و
وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد ابائه وحرم ابراهيم
فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له اتشتاق الى مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى
وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منصوب بفعل يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن
هو في ضلال وما استحقه من العذاب والاذلال يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق
وكذا قوله تعالى وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب اي سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب
وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى
كانه قيل وما القى اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم
والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن آيات الله اي عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت
اليك وفرضت عليك وقرئ يصدنك من اصد المنقول من صد اللازم وادع الناس الى ربك الى عبادته
وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامور ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج
وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشرية بحيث ينهى
عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا لا اله الا هو وحده كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه
كائنا ما كان ممكن في حد ذاته عرضة للهلاك والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق
واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق
بموسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا

سورة العنكبوت بسم الله الرحمن الرحيم مكية تسع وستون آية

الم الكلام فيه كالذي مر مرارا في نظائره من الفواتح الكريمة خلا ان ما بعده لا يحتمل ان
يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظائره لا تتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة
لثبوت شيء لشيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث يحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما في عامة المواقع واما بنوع تصرف
فيه كما في الجمل المصدرة بان وان المقدرة صلة الموصول الاسمي او الحرفي فان كلا منها صالح لان يسبك
منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون في قوة ان يقال
احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا آمنا او ان يقال احسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا
حاصلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف
كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والاموال
ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب اعمالهم فان مجرد الايمان

الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس من الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه
وامرأته وهو اول من استشهد يوم بدر من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع
وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله تعالى احسب
او بقوله لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم الباهرة جارية فيما بين الامم
كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن ما هو
اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون
كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا الآيات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد
كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط
الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا
اي في قولهم آمنا وليعلمن الكاذبين في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما يفصح عنه ما قبلها
من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة
وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به
الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه
اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي
وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيامة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب
الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو
ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب
والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ بانكار ما هو ابطل من الحسبان
الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بمساويهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى ولم يحدثوا نفوسهم
بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من يطمع في ذلك كما في
[illegible] ساء ما يحكمون [illegible]
[illegible] من كان يرجو لقاء الله [illegible]
[illegible]
فان اجل الله [illegible]
[illegible]
وهو السميع العليم [illegible]
فانما يجاهد لنفسه [illegible] ان الله لغني عن العالمين [illegible]
[illegible] والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم [illegible]
[illegible] ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون [illegible]
[illegible] ووصينا الانسان بوالديه حسنا [illegible]

فعلا ذا حسن أو ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه كقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى يجري مجرى
أمر معنى وتصرفا غير أنه يستعمل فيما كان في المأمور به نفع عائدا إلى المأمور أو غيره وقيل هو بمعنى قال كأنه
وقلنا أحسن إلى والديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر للتوصية أي وقلنا أولها
أو أفعل بهما حسنا وهو أوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا وإحسانا وإن جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم أي بإلاهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها للإيذان بأن ما لا يعلم صحته لا يجوز
اتباعه وإن لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق ولا بد من إضمار القول إن لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما في التكليف
إشعار بأن موجب النهي فيما دونها من التكليف ثابت بطريق الأولوية إلي مرجعكم أي مرجع من آمن منكم
ومن أشرك ومن بر بوالديه ومن عق فأنبئكم بما كنتم تعملون بأن أجازي كلا منكم بعمله إن
خيرا فخير وإن شرا فشر والآية نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عند إسلامه حيث حلفت
أمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية أن لا تنتقل من الضح إلى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت
ثلاثة أيام كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الأحقاف وقيل نزلت في عياش بن أبي ربيعة
المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل و
أخوه لأمه أسماء فنزلا بعياش وقالا له إن من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الأرحام وبر الوالدين وقد
تركت أمك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب
واستشار عمر رضي الله عنه فقال هما يخدعانك ولك علي أن أقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى أطاعهما
وعصى عمر فقال له عمر أما إذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منهما ريب فارجع فلما
انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل إن ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه وشداه وثاقا
وجلده كل واحد مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين
آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين أي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال منتهى
درجات المؤمنين وغاية مأمول أنبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وأدخلني
برحمتك في عبادك الصالحين وهي الجنة ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله
في الله بأن عذبهم الكفرة على الإيمان جعل فتنة الناس أي ما يصيبه من أذيتهم كعذاب الله
في الشدة والهول فرجع عن الدين مع أنه لا قدر لها عند نفحة من عذاب الله تعالى أصلا ولئن جاء نصر من
ربك أي فتح وغنيمة ليقولن بضم اللام نظرا إلى معنى من كما أن الإفراد فيما سبق بالنظر إلى لفظها وقرئ
بالفتح إنا كنا معكم أي مشايعين لكم في الدين فأشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا إذا
مسهم أذى من الكفار وافقوهم وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى أوليس الله بأعلم
بما في صدور العالمين أي بأعلم منهم بما في صدورهم من الإخلاص والنفاق حتى يعملوا ما يفعلون
من الارتداد والإخفاء عن المسلمين وادعاء كونهم منهم لنيل الغنيمة وهذا هو الأوفق لما سبق
وما لحق من قوله تعالى وليعلمن الله الذين آمنوا أي بالإخلاص وليعلمن المنافقين سواء كان كفرهم
بأذية الكفرة أو لا أي ليجزينهم بما لهم من الإيمان والنفاق وقال الذين كفروا للذين آمنوا بيان
لحملهم المؤمنين على الكفر بالاستمالة بعد بيان حملهم لهم عليه بالأذية والوعيد ووصفهم بالكفر
ههنا دون ما سبق لما أن مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان جناية من أطاعوهم واللام للتبليغ
أي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا أي اسلكوا طريقتنا التي نسلكها في الدين عبر عن ذلك بالاتباع
الذي هو المشي خلف ماش آخر تنزيلا للمسلك منزلة السالك فيه أو اتبعونا في طريقتنا ولنحمل خطاياكم
أي إن كان ذلك خطيئة يؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين له
على أمرهم بالاتباع للمبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزار عنهم إن كان ثمة وزر
فرد عليهم بقوله تعالى وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم من شيء وقرئ من خطيئتهم أي وما
هم بحاملين شيئا من خطاياهم التي التزموا أن يحملوها كلها على أن من الأولى للتبيين والثانية مزيدة للاستغراق

[illegible] ابراهيم عليه الصلاة والسلام
ة في الآخرة لمن الصالحين أو في
[illegible] مدخل الصالحين صح

والجملة اعتراض أو حال إنهم لكاذبون حيث أخبروا في ضمن وعدهم بالحمل بأنهم قادرون على إنجاز ما وعدوا
فإن الكذب كما يتطرق إلى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق إليه باعتبار ما يلزم مدلوله كما مر في قوله تعالى
أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين وليحملن أثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الآخرة
من المضرة لأنفسهم بعد بيان عدم منفعته لمخاطبيهم أصلا والتعبير عن الخطايا بالأثقال للإيذان
بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب قسم مضمر أي والله ليحملن أثقال أنفسهم كاملة وأثقالا
أخر مع أثقالهم لما تسببوا له بالإضلال والحمل على الكفر والمعاصي من غير أن ينتقص من أثقال من
أضلوه شيء ما أصلا وليسألن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون أي يختلقون
في الدنيا من الأكاذيب والأباطيل التي من جملتها كذبهم هذا ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم
ألف سنة إلا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الأنبياء عليهم السلام بأذية أممهم إثر بيان
افتتان المؤمنين بأذية الكفار تأكيدا للإنكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الإيمان بلا ابتلاء
وحثا لهم على الصبر فإن الأنبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره
وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء أولى وأحرى قالوا كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين عاما وعاش
بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة ولعل ما عليه النظم الكريم
للدلالة على كمال العدد فإن تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الألف من تخييل
طول المدة فإن المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه مما يكابده
مما ناله من الكفرة وإظهار ركاكة رأي الذين يحسبون أنهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في التكرير
من نوع بشاعة فأخذهم الطوفان أي عقيب تمام المدة المذكورة والطوفان قد يطلق على كل ما
يطوف بالشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون
أي والحال أنهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما
هم عليه من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فأنجيناه أي نوحا عليه السلام وأصحاب السفينة أي
ومن ركب فيها معه من أولاده وأتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل
ثمانية نصفهم ذكور ونصفهم إناث وجعلناها أي السفينة أو الحادثة والقصة آية للعالمين
يتعظون بها وإبراهيم نصب بالعطف على نوحا وقيل بإضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين
إبراهيم إذ قال لقومه ظرف للإرسال أي أرسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال
وترقى من رتبة الكمال إلى درجة التكميل حيث تصدى لإرشاد الخلق إلى طريق الحق وعلى الثاني بدل
اشتمال من إبراهيم اعبدوا الله أي وحده واتقوه أن تشركوا به شيئا ذلكم أي ما ذكر من العبادة والتقوى
خير لكم أي مما أنتم عليه ومعنى التفضيل مع أنه لا خيرية فيه قطعا باعتبار زعمهم الباطل إن
كنتم تعلمون أي الخير والشر وتميزون أحدهما من الآخر أو إن كنتم تعلمون شيئا من الأشياء بوجه
من الوجوه فإن ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى إنما تعبدون من دون
الله أوثانا بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة إلى الدين الحق أي إنما
تعبدون من دونه تعالى أوثانا هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير ذلك
وتخلقون إفكا أي وتكذبون كذبا حيث تسمونها آلهة وتدعون أنها شفعاؤكم عند الله تعالى
أو تعملونها وتنحتونها للإفك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء و
تخلقون بحذف إحدى التاءين من تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرئ أفكا على أنه مصدر كالكذب
واللعب أو نعت بمعنى خلقا ذا إفك إن الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من
حيث إنه لا يكاد يجديهم نفعا لا يملكون لكم رزقا أي لا يقدرون على أن يرزقوكم شيئا من الرزق
فابتغوا عند الله الرزق كله فإنه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على
نعمائه متوسلين إلى مطالبكم بعبادته مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد إليه ترجعون
أي بالموت ثم البعث لا إلى غيره فافعلوا ما أمرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعا وإن تكذبوا أي

اي تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون بالبعث فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اي فلا تضروني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئا وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الذي لا يبقى معه شك وما عليه ان يصدقوه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك اصلا اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجبة لتقريرها والواو للعطف على مقدر اي الم ينظروا ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله تعالى ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار وتأكيده وقرئ يبدأ قوله ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو اخبار بانه يعيد الخلق قياسا على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ بتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشأه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة على الله يسير اذ لا يفتقر فعله الى شيء اصلا قل سيروا في الارض امر لابرهيم عم ان يقول لهم ذلك اي سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع متغايرة واخلاق شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين في اقطارها ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على انهما شأن واحد من شؤون الله تعالى حقيقة واسما من حيث ان كلا منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود لا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل الانشاءة او بحذف العامل اي ينشئ فينشؤون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا والجملة معطوفة على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول واظهار الاسم الجليل وايقاعه مبتدأ مع اضماره في بدأ لابراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل لما قبله بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما اخبر به يعذب اي بعد النشأة الآخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها حتما ويرحم من يشاء واليه تقلبون ان يرحمه وهم المصدقون بها والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب وما انتم بمعجزين له تعالى عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي بالتواري في الارض والهبوط في مهاويها ولا بالتحصن في السماء التي هي افسح منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف معطوف على انتم اي ولا من في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله اي بدلائله التكوينية والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيها النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث والآيات الناطقة به دخولا اوليا وتخصيصها بدلائل وحدانيته تعالى لا يناسب المقام ولقائه الذي ينطق به تلك الآيات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه يئسوا من رحمتي اي ييأسون منها يوم القيمة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها في الدنيا لانكارهم البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك الموصوفون بالكفر بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته الممتازون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك الاوصاف القبيحة

العقيم عذاب لا يقادر قدره في الشدة والايلام فما كان جواب قومه بالنصب على انه خبر كان واسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه في نظائره ليس المراد انهم لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابرهيم عم الا هذه المقالة الشنيعة كما هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة الآخرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يحصى فانجاه الله من النار الفاء فصيحة اي فالقوه في النار فانجاه الله تعالى منها بان جعلها عليه بردا وسلاما حسبما بين في [illegible] وقد مر في سورة الانبياء بيان كيفية القائه عليه السلام فيها وانجائه تعالى اياه تفصيلا قيل لم ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلا ان في ذلك اي في انجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها غافلون ومن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال اي ابرهيم عم مخاطبا لهم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني مفعولي اتخذتم محذوف اي اوثانا آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتأويلها بالمودودة او بجعلها نفس المودة مبالغة اي اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم او مودودة او نفس المودة وقرئ مودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئ بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي هي مودودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم ليس الا في الحيوة الدنيا وقد اجريتم احكامها حيث علمتم ما علمتم لاجل مودتكم لها انتصار امنية كما ينبئ عنه قوله تعالى واتخذوا آلهتهم ثم يوم القيمة ينقلب الامور ويتبدل التواد بالتباغض والتلاطف بالتلاعن حيث يكفر بعضكم وهم العبدة ببعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضا اي يلعن كل فريق منكم ومن الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ومأواكم النار اي هي منزلكم الذي تأوون اليه ولا ترجعون منه ابدا وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم من ناصر اصلا فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في نبوته وما دعا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه آمن له حين رأى النار لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منه وهي التي لا يرتقي اليها الا همم الافراد الكمل ولوط هو ابن اخته عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني انه هو العزيز الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يأمرني الا بما فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين ايس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اي جنس الكتاب المتناول للكتب الاربعة وآتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى آخر الدهر وانه في الآخرة لمن الصالحين اي الكاملين في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا او على ابرهيم والكلام في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي في قصة ابرهيم عم انكم لتأتون الفاحشة اي الفعلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لكمال قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها مما تشمئز منه الطباع وتنفر منه النفوس ائنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة حيث روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغرباء وقيل تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وقيل

تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتاتون في ناديكم اى تفعلون في مجلسكم الجامع لاصحابكم المنكر
كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لاخير فيه من الافاعيل المنكرة وعن ابن عباس هو الحذف بالحصى
والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح
وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا
بعذاب الله ان كنت من الصادقين اى فما كان جوابا من جهتهم بشيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة
اى لم يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عم وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب واما ما في
سورة الاعراف من قوله تعالى وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الآية وما في
سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم الآية فهو الذي
صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه عم وقد مر تحقيقه
في سورة الاعراف قال رب انصرني اى بانزال العذاب الموعود على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة
وسنها فيما بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق الاستهزاء وانما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال
العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى اى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اى لابرهيم عم في
تضاعيف الكلام حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اى قرية سذوم
والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم
على الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عم فيها بل عما لم يتنبه له
ابرهيم عم من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشانهم اتم اعتنا حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد بالتنجية
بالقسم اى والله لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين اى الباقين في العذاب او القرية
ولما ان جاءت رسلنا المذكورون بعد مفارقتهم ابرهيم عم لوطا سيء بهم اعتراه المساءة بسببهم
مخافة ان يتعرض لهم قومه بسوء وكلمة ان صلة لتاكيد ما بين الفعلين من الاتصال وضاق بهم ذرعا
اى ضاق بشانهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا
اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع قالوا ربما
شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا والتي
حتى آلت به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد لا تخف اى من قومك علينا
ولا تحزن اى على شيء وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امرأتك
كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء وايا ما كان فمحل الكاف الجر على المختار وقيل
نصب هاهنا باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا
من السماء استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب
الذي يقلق المعذب اى يزعجه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اى من القرية آية بينة هي قصتها العجيبة وآثار
ديارها الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض
لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين
اخاهم شعيبا متعلق بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة نوح اى وارسلنا الى مدين شعيبا
فقال يا قوم اعبدوا الله وحده وارجوا اليوم الآخر اى توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال
وافعلوا اليوم من الاعمال ما تامنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب
وقيل الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة الشديدة
وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عم فانها الموجبة للرجفة بسبب
تموجها الهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا في دارهم جاثمين اى بلدهم او منازلهم والافراد
لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله اى

اى اهلكنا وقرئ ثمودا بالتنوين بتاويل الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اى وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من جهة
مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان اعمالهم
من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين متمكنين من
النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او متبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل عليهم السلام
لهم ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا وقيل تقديم قارون
لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين مفلتين فائتين
من قولهم سبق طالبه اذا فاته فلم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اى ادراك فتداركوا نحو
الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اى فكل واحد من المذكورين
اخذنا بذنبه اى عاقبناه بجنايته لا بعضهم دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا تفصيل للاخذ اى ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم قوم لوط ومنهم
من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح
وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالاستمرار على مباشرة ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من
دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا او متكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن
والخور بل ذلك اوهن من هذا لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد
كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
والغالب في الاستعمال التانيث وتاؤه كتاء طاغوت وتجمع على عناكب وعنكبوتات واما العكاب
والعكب والاعكب فاسماء الجموع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا يرى شيء يدانيه في الوهن
والوهي لو كانوا يعلمون اى شيئا من الاشياء لجزموا ان هذا مثلهم وان دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى
وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء على اضمار القول
اى قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون معلقة ليعلم والياء للتبيين او نافية ومن مزيدة
وشيء مفعول يدعون او مصدرية وشيء عبارة عن المصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول يدعون
عائده المحذوف وقرئ بالتاء والكلام على الاولين تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخرين
وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه من فرط
الغباوة وان الجماد بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية
كالمعدوم البحت وان من هذه صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اى هذا المثل ونظائره نضربها
للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هي عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون
الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه عم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله
فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السماوات والارض بالحق اى محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه
حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه
حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى
المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ان في ذلك لآية للمؤمنين دالة على ما ذكر من شؤونه
سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك
اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته وتذكرا لما في تضاعيفه من المعاني
وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الاداب ومكارم الاخلاق واقم الصلاة
اى داوم على اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة المؤداة بالجماعة وكان امره
عليه السلام باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر
كانه قيل وصل بهم ان الصلاة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها عنهما انها سبب للانتهاء عنهما
لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض كلي عن معاصيه قال ابن مسعود وا

ينفع ح

وابن عباس رضي الله عنهم في الصلوة منتهى ومزدجر عن معاصي الله تعالى فمن لم تأمره صلوته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلوته من الله إلا بعداً وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر فصلوته وبال عليه وروى أنس رضي الله عنه أن فتى من الأنصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له عليه السلام حاله فقال إن صلوته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله ولذكر الله أكبر أي وللصلوة أكبر من سائر الطاعات وإنما عبر عنها به كما في قوله تعالى فاسعوا إلى ذكر الله للإيذان بأن ما فيها من ذكر الله تعالى هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات وقيل ولذكر الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر في الزجر عنهما وقيل ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم إياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها أحسن المجازاة ولا تجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالتي هي أحسن أي بالخصلة التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والثورة بالأناة على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي إلى إعطاء الدنية وقيل منسوخ بآية السيف إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء والعناد وبإثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فإنه يجب ح المدافعة بما يليق بحالهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا من القرآن وأنزل إليكم أي وبالذي أنزل إليكم من التورية والإنجيل وقد مر تحقيق كيفية الإيمان بهما في خاتمة سورة البقرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وبكتبه ورسله فإن قالوا باطلاً لم تصدقوهم وإن قالوا حقاً لم تكذبوهم وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له في الألوهية ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض بحال الفريقين حيث اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله وكذلك تجريد للخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه في الفضل أي مثل ذلك الإنزال البديع الموافق لإنزال سائر الكتب أنزلنا إليك الكتاب أي القرآن الذي من جملته هذه الآية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحق فالذين آتيناهم الكتاب من الطائفتين يؤمنون به أريد بهم عبد الله بن سلام وأضرابه من أهل الكتابين خاصة كأن من عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه أو من تقدم عهد الرسول عليه السلام منهم حيث كانوا مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا في كتابيهما وتخصيصهم بإيتاء الكتاب للإيذان بأن من بعدهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إيمانهم به مترتب على إنزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء أي ومن العرب أو أهل مكة على الأول أو ممن في عصره عليه السلام على الثاني من يؤمن به أي بالقرآن وما يجحد بآياتنا عبر عن الكتاب بالآيات للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى وأضيفت إلى نون العظمة لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المصممون عليه فإن ذلك يصدهم عن التأمل فيما يؤديهم إلى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه وما كنت تتلو من قبله أي ما كنت قبل إنزالنا إليك الكتاب تقدر على أن تتلو شيئاً من كتاب ولا تخطه ولا تقدر على أن تخطه بيمينك حسبما هو المعتاد وما كانت عادتك أن تتلوه ولا أن تخطه إذاً لارتاب المبطلون أي لو كنت ممن يقدر على التلاوة والخط أو ممن يعتادهما لارتابوا بي وقالوا لعله التقطه من كتب الأوائل وحيث لم تكن كذلك لم يبق في شأنك منشأ ريب أصلاً وتسميتهم به مبطلين في ارتيابهم على التقدير المفروض لكونهم مبطلين في اتباعهم للاحتمال المذكور مع ظهور نزاهته عليه السلام عن ذلك بل هو أي القرآن آيات بينات واضحات ثابتة راسخة في صدور الذين أوتوا العلم من غير أن يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر أحد على تحريفه وما يجحد بآياتنا مع كونها كما ذكر إلا الظالمون المتجاوزون للحدود في الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ آية قل إنما الآيات عند الله ينزلها حسبما يشاء من غير دخل لأحد في ذلك قطعاً وإنما أنا نذير مبين ليس من شأني إلا الإنذار بما أوتيت

أوتيت من الآيات أولم يكفهم كلام مستأنف وارد من جهته تعالى رداً على اقتراحهم وبياناً لبطلانه والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أقصر ولم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات أنا أنزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وأنت بمعزل من مدارستها يتلى عليهم في كل زمان ومكان فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان دون مكان أو يتلى على اليهود بتحقيق ما في أيديهم من نعتك ونعت دينك إن في ذلك الكتاب العظيم الشأن الباقي على مر الدهور لرحمة أي نعمة عظيمة وذكرى أي تذكرة لقوم يؤمنون أي لقوم همهم الإيمان لا التعنت كأولئك المقترحين وقيل إن ناساً من المؤمنين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيه بعض ما يقوله اليهود فقال كفى به ضلالة قوم أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً بما صدر عني وعنكم يعلم ما في السموات والأرض أي من الأمور التي من جملتها شأني وشأنكم فهو تقرير لما قبله من كفايته تعالى شهيداً والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله تعالى وكفروا بالله مع تعاضد موجبات الإيمان به أولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان بأن ضيعوا الفطرة الأصلية والأدلة السمعية الموجبة للإيمان والآية من قبيل المجادلة بالتي هي أحسن حيث لم يصرح بنسبة الإيمان بالباطل والكفر بالله والخسران إليهم بل ذكر على منهاج الإبهام كما في قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد وقولهم أمطر علينا حجارة أو ائتنا بعذاب ونحو ذلك ولولا أجل مسمى قد ضربه الله تعالى لعذابهم وبينه في اللوح لجاءهم العذاب المعين لهم حسبما استعجلوا به وقيل المراد بالأجل يوم القيامة لما روي أنه تعالى وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعذب قومه بعذاب الاستئصال وأن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم بآجالهم وفيه بعد ظاهر لما أنهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعي ولا كانوا يستعجلون به وليأتينهم جملة مستأنفة مبينة لما أشير إليه في الجملة التي قبلها من مجيء العذاب عند محل الأجل أي وبالله ليأتينهم العذاب الذي عين لهم عند حلول الأجل بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون أي بإتيانه ولعل المراد بإتيانه كذلك أن لا يأتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والإجابة إلى مسؤولهم فإن ذلك إتيان برأيهم وشعورهم لا أنه يأتيهم وهم غارون آمنون لا يخطر ببالهم كدأب بعض العقوبات النازلة على بعض الأمم بياتاً وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون لما أن إتيان عذاب الآخرة وعذاب يوم بدر ليس من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين استئناف مسوق لغاية تجهيلهم وركاكة رأيهم وفيه دلالة على أنما استعجلوه عذاب الآخرة أي يستعجلونك بالعذاب والحال أن محل العذاب الذي لا عذاب فوقه محيط بهم كأنه قيل يستعجلونك بالعذاب وإن العذاب لمحيط بهم أي سيحيط بهم وإنما جيء بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الإحاطة واستمرارها أو تنزيلاً لحال السبب منزلة حال المسبب الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل إن الكفر والمعاصي هي النار في الحقيقة لكنها ظهرت في هذه النشأة بهذه الصورة وقد مر تفصيله في سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام في الكافرين إما للعهد ووضع الظاهر موضع المضمر للإشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم داخلون فيه دخولاً أولياً يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر قد طوي ذكره إيذاناً بغاية كثرته وفظاعته كأنه قيل يوم يغشاهم العذاب الذي أشير إليه بإحاطة جهنم بهم يكون من الأحوال والأهوال ما لا يفي به المقال وقيل ظرف للإحاطة من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي من جميع جهاتهم ويقول أي الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة أو بعض ملائكته بأمره ذوقوا ما كنتم تعملون أي جزاء ما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من السيئات التي من جملتها الاستعجال بالعذاب يا عبادي الذين آمنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا

ب

لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغي لهما نعتهم من جهة الكفرة وارشاد لهم الى الطريق الأسلم ان ارضي
واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى
حيث يتيسر لكم ذلك وعنه عم من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق
ابرهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة
لي في ارض فاخلصوها في غيرها ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه
معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستانفة تخويفا
حثا على المسارعة في الامتثال بالامر اي كل نفس من النفوس واجدة مرارة الموت وكربه وراجعة الى حكمنا
وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا اي علالي وهو مفعول ثان
للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة فانتصاب غرفا اما باجرائه مجرى لننزلنهم او
بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت بالمبهم كما في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها
الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اي في الغرف او في الجنة نعم اجر العاملين اي الاعمال الصالحة
المخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقرئ فنعم الذين صبروا اما صفة للعاملين
او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدائد المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق وعلى
ربهم يتوكلون اي ولم يتوكلوا فيما يأتون ويذرون الا على الله تعالى وكأين من دابة لا تحمل
رزقها روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة الى المدينة
قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها لضعفها او لا
تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم
مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها
وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا العليم البالغ في
العلم فيعلم ضمائركم ولئن سألتهم اي اهل مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن
الله اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التردد فيه فأنى يؤفكون انكار واستبعاد من جهته تعالى لتركهم
العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم بتفرده فيما
ذكر من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له من عباده ويقدر له اي يقدر لمن
يشاء ان يقدر له منهم كائنا من كان على ان الضمير مبهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن يبسط له
على التعاقب ان الله بكل شيء عليم يعلم من يليق ببسط الرزق فيبسطه له ومن يليق بقدره
فيقدر له او يعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته
ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد
للممكنات باجمعها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه
القدرة على شيء ما اصلا قل الحمد لله على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وان اظهر
حجتك عليهم وقيل على ان عصمك من امثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده بل اكثرهم لا يعقلون اي شيئا
من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته وقيل
لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم ذلك وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وازدراء لها
وكيف لا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما
سقى الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان يجتمعون
عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي لهي دار الحيوة
الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هي في ذاتها حيوة للمبالغة والحيوان مصدر حي
سمي به ذو الحيوة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا لما في بناء فعلان من معنى الحركة و
الاضطراب اللازم للحيوان ولذلك اختير على الحيوة في هذا المقام المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون

اي لم يؤثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحيوة ثم ما يحدث فيها من الحيوة عارضة سريعة الزوال
وشيكة الاضمحلال فاذا ركبوا في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب
هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
واستعماله ههنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب في نفسه من قبيل الامكنة وحركته
قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك فاذا ركبوا في
البحر ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له الدين اي كائنين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين
حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد عنهم الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم
يشركون اي فاجئوا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا اي يفاجئون الاشراك
ليكونوا كافرين بما آتيناهم فسوف يعلمون اي عاقبة ذلك وغايته حين يرون العذاب اولم يروا
اي الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اي بلدهم حرما آمنا مصونا عن النهب والتعدي سالما
اهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم اي والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ
كانت العرب حوله في تغاور وتناهب أفبالباطل يؤمنون اي ابعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه
بالباطل خاصة يؤمنون دون الحق وبنعمة الله يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره
وتقديم الصلة في الموضعين للاهتمام او لاظهار كمال شناعة ما فعلوا ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بان زعم ان له شريكا اي هو اظلم من كل ظالم وان سبك النظم للاعلى نفي الاظلم من غير تعرض لنفي
المساوي وقد مر مرارا او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول والقرآن وفي لما تسفيه لهم بان
لم يتوقفوا ولم يتأملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ذي بدء أليس في جهنم مثوى
للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال ألستم خير من ركب المطايا اي ألا يستوجبون
الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح او انكار واستبعاد
لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا ان في جهنم مثوى للكافرين
حتى اجترؤوا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا اي في حقنا ولوجهنا خالصا اطلق المجاهدة
ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى
جنابنا ولنزيدنهم هداية الى سبل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم
هدى وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة و
المعونة وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الكلام فيه كالذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم في ادنى الارض اي ادنى ارض
العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم من العرب على ان اللام
عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس
الاردن وفلسطين وقرئ في ادنى ارض وهم اي الروم من بعد غلبهم اي من بعد مغلوبيتهم وقرئ
بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب سيغلبون اي سيغلبون فارس في بضع سنين روي ان
فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح
المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل الكتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا
على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم
على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه
على عشر قلائص من كل منهما وجعل الاجل ثلاث سنين فاخبر به ابو بكر رسول الله صلى الله عم فقال
البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادة في الاجل فجعلها مائة قلوص الى تسع سنين ومات
ابي من جرح رسول الله صلى الله عم وظهرت الروم على فارس عند رأس سبع سنين وذلك يوم الحديبية

وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخطر ابو بكر رضي الله عنه بالخطر من قريب ابي فجابه رسول الله عم
فقال تصدق به وكان ذلك قبل تحريم القمار ومن الآيات البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة
وكون القرآن من عند الله عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غَلَبت على البناء
للفاعل وسيُغلبون على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في السنة التاسعة
من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين
وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت
كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضائه وتلك
الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبلٍ ومن بعدٍ بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل
قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ اي يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله تعالى من غلبتهم
يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليب من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون
ذلك من دلائل غلبة المؤمنين على الكفار وقيل نصر الله اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة
الروم على فارس وقيل نصره تعالى انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتفانوا
وفلّ كل منهما شوكة الآخر وفي ذلك فرح وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه وافق ذلك يوم بدر وفيه من
نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم بذلك ما لا يخفى والاول هو الانسب لقوله تعالى ينصر من يشاء اي من يشاء
ان ينصره من عباده على عدوه ويغلبه عليه فانه استئناف مقرر لمضمون قوله لله الامر من قبل ومن بعد
وهو العزيز البالغ في العزة والغلبة فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم المبالغ في الرحمة
فينصر من يشاء ان ينصره اي فريق كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر
لان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة الاخروية واما على القراءة الاخيرة فلان المسلمين وان كانوا مستحقين لها
لكن المراد هنا نصرهم الذي هو من آثار الرحمة الدنيوية وتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله في معنى الوعد كانه قيل وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده
اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والآخرة لاستحالته لكن عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار
لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استئناف مقرر لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر
الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شؤونه يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهو ما يشاهدونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها الموافقة لشهواتهم
الملائمة لاهوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها كما قيل
فانهما ليسا مما علموه بل من افعالهم المرتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون الوحدة كما
توهم اي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة التي هي الغاية القصوى والمطلب الاسنى
هم غافلون لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها ولا يتفكرون فيها
كما سيأتي والجملة معطوفة على يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها وهم الثانية
تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين هنا وعلى تمكن غفلتهم عن الآخرة
المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة من تقرير جهالتهم وتشبيهها لهم بالبهائم المقصور ادراكها من الدنيا على ظواهرها
الخسيسة دون احوالها التي هي مبادئ العلم بامور الآخرة واشعارا بان العلم المذكور وعدم العلم رأسا
سيان اولم يتفكروا انكار واستقباح لقصر نظرهم على ما ذكر من ظاهر الحياة الدنيا مع الغفلة عن الآخرة والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع اصالة كونه فيها
لتحقيق وتصوير حال المتفكرين وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الخ متعلق اما بالعلم
الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه او بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات
والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اي اعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط اولم يتفكروا النظر عليه ولم يحدثوا
التفكر في قلوبهم فيعلموا ان الله تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي هم من جملتها ملتبسة بشيء من
الاشياء الا ملتبسة بالحق او يقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما علموا والمراد بالحق هو الثابت

الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح الذي هو استشهاد المكلفين
بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته وعلمه وقدرته وحكمته و
اختصاصه بالعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفناء بالحيوة الابدية ومجازاتهم
بحسب اعمالهم عندما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات
علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب في المصنوعات من الآيات والدلائل والامارات والمخايل
كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم
احسن عملا فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره عم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم
الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه في اوائل سورة هود وقوله تعالى واجل مسمى عطف على
الحق اي وباجل معين قدره الله تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة
هذا وقد جوز ان يكون قوله تعالى في انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب
المخلوقات اليهم وهو اعلم بشؤونها واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله ظاهرا
وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها الحكيم الذي
دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك
امرها جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد
الانسان ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله
ذريعة الى اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الاجراء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى وان كثيرا
من الناس بلقاء ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان ان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن
احوال الآخرة والاعراض عن الافكار فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من
المصنوعات بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم
بمشاهدة احوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة لتقرير المنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض وقوله تعالى فينظروا عطف على يسيروا داخل في حكم النفي
والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم
المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الخ بيان لمبدأ احوالهم ومآلها يعني انهم كانوا اقدر
منهم على التمتع بالحيوة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل
لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك وعمروها اي عمروا الارض اولئك بفنون العمارات من الزراعة
والغرس والبناء وغيرها اكثر مما عمروها اي عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء
اياها كيف لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا
مفتخرين بمتاعها مع ضعف حالهم فيها وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتصرف في اكناف الارض بانواع العمارات وهم ضعفة ملجأون الى واد لا نفع فيه يخافون ان
يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او الآيات الواضحات فما كان الله ليظلمهم
فكذبوهم فاهلكهم فما كان الله ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك بالظلم لبيان
امتلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته
تعالى عن ذلك بالابراز في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى وقد مر في سورة الانفال وسورة
آل عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث اجترؤا على ما اوجب تدميرهم من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة
الذين اساءوا اي عملوا السيئات ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم
السوأى اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تأنيث الاسوأ كالحسنى تأنيث
الاحسن او مصدر كالبشرى وصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها
عاقبة وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بآيات الله علة لما اشير اليه من
تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي لان كذبوا او بان كذبوا بآيات الله المنزلة على رسله عم ومعجزاتهم الظاهرة

على ايديهم وقوله تعالى وكانوا بها يستهزءون عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلة وايراد الاستهزاء بصيغة
المضارع للدلالة على استمراره وتجدده هذا هو اللائق بجزالة النظم الجليل وقد قيل الله يبدأ الخلق
اي ينشئهم ثم يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون الى موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في
الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه يبلس المجرمون
اي يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وآيس من ان يحتج وقرئ بفتح اللام من ابلسه
اذا حيره واسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى كما كانوا يزعمونه وصيغة
الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا بشركائهم كافرين اي بالهتهم وشركتهم
لله سبحانه حيث وقفوا على كنه امرهم وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم
وليس بذاك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها ويوم تقوم الساعة اعيد لتهويله وتفظيع ما يقع فيه
وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل له اثر تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع في بعض منه وضمير
يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجوعهم لا المجرمون خاصة وليس المراد
بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الآخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين كما في قوله تعالى فريق في
الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال الفريقين والروضة كل ارض ذات نبات وماء ورونق
ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبر السرور يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل
الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس
ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم
وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي
فقال يا رسول الله هل في الجنة سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية
يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي فسألت ابا الدرداء بم يتغنين
قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى
ريحا من تحت العرش فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا
بآياتنا التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل ولقاء الآخرة صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب
الآيات للاعتناء بامره وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر
والتكذيب بآياته تعالى وبلقاء الآخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك المشاهد
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم في الشر اي اولئك الموصوفون بما
فصل من القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان
الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال
فريقي المؤمنين العاملين بالصالحات والكافرين المكذبين بالآيات وما لهما من الثواب والعذاب امروا بما ينجي
من الثاني ويفضي الى الاول من تنزيه الله تعالى عز وجل عن كل ما لا يليق بشانه سبحانه ومن حمده
تعالى على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني لما ان التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه عما ذكر سبحانه اي بتسبيحه
اللائق به في هذه الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل
السموات والارض في معنى الامر به على ابلغ وجه وآكده وتوسيطه بين اوقات التسبيح للاعتناء بشانه
والاشعار بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك
وقوله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان
كانت مثل زبد البحر وقوله عليه السلام من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم
القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه وقوله عليه السلام كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الآيات والاحاديث

والاحاديث وتخصيصهما بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من آيات قدرته تعالى واحكام
رحمته ونعمه شواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله
تعالى وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب
لما انه لا يجيء منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمساء والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك انه
ليس من الاوقات التي تختلف فيها احوال الناس وتتغير تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج عما قبلها
والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت يتغير فيه الاحوال تغيرا ظاهرا اما في المساء والصباح
فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب للقيلولة كما مر في سورة النور
وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلوة لاشتمالها عليهما وقد روي عن ابن عباس ان الآية جامعة للصلوات
الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وحين تظهرون صلاة
الظهر ولذلك ذهب الحسن الى انها مدنية اذ كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا
وانما فرضت الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث المعراج وفي آخره هن خمس
صلوات كل يوم وليلة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون الآية وعنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين يمسي ادرك ما فاته في
ليلته وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطير من
البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض بالنبات بعد موتها يبسها
وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون بفتح التاء وضم الراء وهذا نوع
تفصيل لقوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده ومن آياته الباهرة الدالة على انكم تبعثون دلالة
واضحة مما سبق فان دلالة بدء خلقهم على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج الميت
من الحي ومن دلالة احياء الارض بعد موتها عليها ان خلقكم اي في ضمن خلق آدم عليه السلام لما مر مرارا
من ان خلقه منطو على خلق ذرياته انطواء اجماليا من تراب لم يشم رائحة الحياة قط ولا مناسبة
بينه وبين ما انتم عليه في ذاتكم وصفاتكم ثم اذا انتم بشر تنتشرون اي ثم فاجأتم بعد ذلك
وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الآية ومن آياته الدالة على ما ذكر من البعث وما بعده
من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم من انفسكم ازواجا فان خلق اصل ازواجكم حواء من ضلع
آدم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسهم على ما عرفته من التحقيق او من جنسكم لا من جنس آخر وهو الاوفق لقوله
تعالى لتسكنوا اليها اي لتألفوها وتميلوا اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف
كما ان المخالفة من اسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم اي بين الازواج اما على تغليب الرجال على
النساء في الخطاب او على حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله
تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى
مودة ورحمة فان المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرع
لكم توادا وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم
قيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا ان في ذلك اي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق ازواجهم
من انفسهم والقاء المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للاشعار
ببعد منزلته لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون في تضاعيف
تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه
على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن آياته بل هي مشتملة على آيات شتى اي ومن
آياته الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتعلق به من الجزاء خلق السموات والارض فان من حيث

ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعملة لها اظهر قدرة على اعادة ما كان حيا قبل ذلك
واما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا وقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم
احسن عملا واختلاف ألسنتكم اي لغاتكم بان علم كل صنف لغته او الهمه وضعها واقدره عليها او اجناس نطقكم
واشكاله فانك لا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه وألوانكم بياض الجلد وسواده وتوسطه
فيما بينهما او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز بين الاشخاص حتى ان التوأمين
مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما في حيز التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة
وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والارض مع كونه من الآيات
الانفسية الحقيقية بالانتظام في سلك ما سبق من خلق انفسهم وازواجهم للايذان باستقلاله والاحتراز عن
توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان
لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها للعالمين اي المتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون
وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على كمال وضوح الآيات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن آياته منامكم
بالليل والنهار لاستراحة القوى النفسانية وتقوي القوى الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام
وابتغاء الفضل يقع في الملوين وان كان الغالب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني او منامكم بالليل وابتغاؤكم
بالنهار كما هو المعتاد والموافق لسائر الآيات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخيرين
لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
اي شأنهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار حيث يتأملون في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك
على شؤونه تعالى ومن آياته يريكم البرق الفعل اذا قدر بأن كما في قول من قال

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • اي ان احضر الوغى او نزل منزلة المصدر وبه فسر المثل المشهور تسمع بالمعيدي
خير من ان تراه وهو على حاله صفة لمحذوف اي آية يريكم بها البرق كقول من قال

وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي الكدح •

تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او من آياته شيء او سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة او للمسافر وطمعا في الغيث
للمقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق تستلزم رؤيتهم اياه او للمذكور نفسه على تقدير
مضاف نحو اراءة خوف وطمع او على تأويل الخوف والطمع بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على
الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان
في ذلك لآيات لقوم يعقلون فانها من الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها
وكيفية تكونها ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره اي بارادته تعالى والتعبير عنها بالامر للدلالة على
كمال القدرة والغنى عن المبادي والاسباب وليس المراد باقامتهما انشاؤهما لانه قد بين حاله بقوله تعالى ومن
آياته خلق السموات والارض ولا اقامتهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من تتمات انشائهما وان لم يصرح به
تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها الآية بل قيامهما واستمرارهما
على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى ما خلق الله السموات والارض الا بالحق واجل مسمى
وحيث كانت هذه الآية متأخرة عن سائر الآيات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت
متصلة به في الذكر ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون فانه كلام مسوق للاخبار بوقوع
البعث ووجوده بعد انقضاء اجل قيامهما مترتب على تعداد آياته الدالة عليه غير منتظم في سلكها كانه قيل
كانه قيل ومن آياته قيام السموات والارض على هيئتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله تعالى لقيامهما ثم
اذا دعاكم اي بعد انقضاء الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بأن قال ايها الموتى اخرجوا فاجأتم
الخروج منها وذلك قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو
فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من في
السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون

العيش ح

وما بينهما

قانتون اي منقادون لفعله لا يمتنعون عليه في شأن من شؤونه تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده بعد
موتهم وتكرير لزيادة التقرير والتمهيد لما بعده من قوله تعالى وهو اهون عليه اي بالاضافة الى قدركم والقياس
على اصولكم والا فهما عليه سواء وقيل اهون بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما انها مؤولة
بان يعيد وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشاء بطريق التفضل الذي يتخير فيه
الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان اقرب الى الحصول من
الانشاء المتردد بين الحصول وعدمه فبمعزل من التحصيل اذ ليس المراد بالاهونية اقربيته الى الوجود با
عتبار كثرة الامور الداعية للفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها لتعلق قدرته به بل الاسهلية تأتيه وصدوره
عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا بالغير ولا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق
الايجاب او بطريق الاختيار وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى العجيب الشأن من القدرة العامة والحكمة
التامة وسائر صفات الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقوله لا اله الا الله اراد
به الوصف بالوحدانية في السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على معنى انه تعالى قد وصف
به وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلائل وقيل متعلقة بالاعلى وقيل بمحذوف هو حال منه
او من المثل او من ضميره في الاعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري
الافعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يتبين به بطلان الشرك من انفسكم اي منتزعا من احوالها
التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق
الاولوية وقوله تعالى هل لكم الخ تصوير للمثل اي هل لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركاء
فيما رزقناكم من الاموال وما يجري مجراها مما تتصرفون به فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة
مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من الاستفهام وقوله تعالى فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة وبيان لكونهم وشركا بهم
متساوين في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لا انه عام للفريقين
بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عبيدكم امثالكم في البشرية واحكامها ان يشاركوكم فيما رزقنا كم
وهو مستفاد لكم فانتم فيه سواء تتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم تخافونهم خبر آخر
لانتم او حال من ضمير الفاعل في سواء اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه بدون رأيهم كخيفتكم انفسكم
اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون ما فصل من الجملة الاستفهامية
اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معد لكم مماليككم وهم امثالكم في البشرية غير مخلوقين لكم بل لله تعالى
فكيف تشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصائصه الذاتية مخلوقه بل مصنوع مخلوقه حيث تصنعونه
بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات اي نبينها ونوضحها تفصيلا لا
منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة بصورة المحسوس وابراز لاوابد الاذهان في معرض المألوف فيكون في
غاية الايضاح والبيان لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم
تفصيل الآيات للكل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا اعراض عما ذكر من مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم
الى الحق بضرب المثل وتفصيل الآيات واستعمال المقدمات الحقة المعقولة وبيان لاستحالة تبعيتهم للحق كأنه
قيل لم يعقلوا شيئا من الآيات المفصلة بل اتبعوا اهواءهم الزائغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بانهم في ذلك الاتباع ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب
الخالد بغير علم اي جاهلين بانهم على ضلال لا يكفهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع
الباطل علمه ببطلانه فمن يهدي من اضل الله اي خلق فيه الضلال بصرف اختياره الى كسبه لا يقدر
على هدايته احد وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلال
ويحفظونهم من تبعاته وآفاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع
بالجمع فاقم وجهك للدين تمثيل للاقبال على الدين والاستقامة والثبات عليه والاهتمام بترتيب
اسبابه فان من اهتم بشيء محسوس بالبصر عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه
اي فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المأمور او من الدين

فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها على الاغراء اى الزموا او عليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما
يفصح عنه قوله تعالى منيبين اليه وافراد ما في اقم لما ان رسول الله صلى الله عم امام الامة
فامره عم مستتبع لامرهم والمراد بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل
الشياطين وقيل على المصدر اى فطر الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله
موكدة لوجوب الامتثال بالامر فان خلق الله الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه
او عن ملة الاسلام من موجبات لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا
عليها دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عم حكاية عن رب العزة كل عبادى
خلقت حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بى غيرى وقوله عم كل مولود يولد على
الفطرة حتى يكون ابواه اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله تعليل للامر بلزوم
فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اى لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال بموجبه وعدم ترتيب
مقتضاه عليه باتباع الهوى وقبول وسوسة الشياطين وقيل لا يقدر احد على ان يغيره فلا بد حينئذ من
حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها راسا ووضع فطرة اخرى مكانها غير مصححة لقبول الحق و
التمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا فالتعليل من جهة ان سلامة
الفطرة متحققة في كل احد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها عليها وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى
وخطوات الشيطان ذلك اشارة الى الدين المامور باقامة الوجه له او الى لزوم فطرة الله المستفاد من
الاغراء او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير بتاويل المذكور او باعتبار الخبر الدين القيم المستوى الذى لا
عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال من الضمير في الناصب
المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه للامة حسبما اشير اليه وما بينهما اعتراض اى راجعين اليه من اناب اذا
رجع مرة بعد اخرى وقوله تعالى واتقوه اى من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى
واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل
من المشركين باعادة الجار وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال
التحذير عن الانتماء الى حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اى تركوا
دينهم الذى امروا به وكانوا شيعا اى فرقا تشايع كل منها امامها الذى اضلها كل حزب بما لديهم من الدين
المعوج المؤسس على الراى الزائغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك والجملة
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان
الخبر هو الظرف المتقدم اعنى من الذين فرقوا ولا يخفى بعده واذا مس الناس ضر اى شدة دعوا ربهم
منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم
بربهم الذى كانوا دعوه منيبين اليه يشركون اى فاجا فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم
لما ان بعضهم ليسوا كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم على طريق القصد او
متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدى لقوله
تعالى فتمتعوا غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان
تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد
جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اى حجة واضحة وقيل ذا سلطان اى ملكا معه برهان فهو يتكلم
تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون واذا اذقنا
الناس رحمة اى نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطرا واشرا لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما
قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤوا القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا
اى الم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء
والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فآت ذا
القربى حقه من الصلة والصدقة وسائر المبرات والمسكين وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبى صلى الله عم

او لمن بسط له كما يؤذن به الفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اى يقصدون بمعروفهم
اياه تعالى خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم
وما آتيتم من ربا زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اى غشيتموه او رهقتموه من اعطاء
ربا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله اى لا يبارك فيه وقرئ لتربوا اى لتزيدوا
او لتصيروا ذوى ربا وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله اى تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك
هم المضعفون اى ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار او الذين
ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى
الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له تعالى
لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام وغيرها موكدا بالانكار على
ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج منه تنزهه عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى
عما يشركون وقد جوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط قوله من ذلكم لانه بمعنى من افعاله
ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفى وكل منها
مستقلة بالتاكيد وقرئ تشركون بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة
الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار او الضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى
السواحل وقرئ والبحور بما كسبت ايدى الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياها وقيل ظهر الفساد في البر بقتل
قابيل اخاه هابيل وفي البحر بان جلندا كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذى عملوا اى بعض
جزائه فان تمامه في الاخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما كانوا عليه
قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا آثارهم كان اكثرهم مشركين
استيناف للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصى
في قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اى البليغ الاستقامة من قبل ان ياتى يوم لا مرد له لا يقدر على
رده من الله متعلق بياتى او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة بمجيئه
يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اى يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه كفره او
وبال كفره وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اى يسوون منزلا في الجنة وتقديم
الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله متعلق
بيصدعون وقيل بيمهدون اى يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزى كل منهما بحسب اعمالهم وحيث
كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة
بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الاخر بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم محبته
تعالى كناية عن بغضه الموجب للغضب المستتبع للعقوبة لا محالة ومن آياته ان يرسل الرياح اى الشمال والصبا
والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا
وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته وهى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع
لنزول المطر المسبب عنها او الروح الذى هو مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات
على المعنى لانه قيل ليبشركم وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا
يرسلها لا لامر اخر لا تعلق له بمنافعكم ولتجرى الفلك بسوقها بامره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم
تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم كما ارسلناك
الى قومك فجاؤوهم بالبينات اى جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك والفاء في قوله
تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اى فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع ضميرهم الموصول
للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين
مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم واشعار بان الانتقام
من الكفرة لاجلهم وقد يوقف على حقا على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الاية الكريمة بطريق الاعتراض

بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بمواجب الشكر المطلوب
بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل ما حل باولئك الامم
من الانتقام الله الذي يرسل الرياح استيناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال الرياح فتثير سحابا فيبسطه
متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير
ذلك ويجعله كسفا تارة اخرى اي قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع كسفة او مصدر وصف به فترى
الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اي بلادهم واراضيهم اذا هم
يستبشرون فاجؤوا الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
اي وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير للتاكيد والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام
يأسهم منه وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال وقيل للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك
ان يكون الضمير للاستبشار ومن متعلقة بينزل ليفيد سرعة تقلب قلوبهم من الياس الى الاستبشار بالاشارة الى غاية
تقارب زمانيهما ببيان اتصال الياس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية لمبلسين خبر كانوا
واللام فارقة اي آيسين فانظر الى آثار رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات والاشجار وانواع الثمار والفاء
للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى كيف يحيي اي الله تعالى الارض بعد موتها
في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظر اي فانظر الى احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على
الحالية بالتاويل واياما كان فالمراد بالامر بالنظر التنبيه على عظم قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما
فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ تحيي بالتانيث على الاسناد الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم
الشان الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى
الحيوانية كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو
على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في القدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان
نسبة قدرته تعالى الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه اي الاثر المدلول عليه بالاثار او النبات المعبر عنه بالاثار
فانه اسم جنس يعم القليل والكثير مصفرا بعد خضرته وقد جوز ان يكون الضمير للسحاب لانه اذا كان مصفرا
لم يمطر ولا يخفى بعده واللام في لئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فرأوه فصيحة واللام في
قوله تعالى لظلوا لام جواب القسم الساد مسد الجوابين اي وبالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت
زرعهم بالصفار فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعدم تثبيتهم وسرعة تزلزلهم
بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله تعالى في كل حال ويلجؤوا
اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم المطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى ويبادروا الى الشكر بالطاعة اذا
اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا اعترى زرعهم آفة ولا يكفروا بنعمائه
فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق
ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون
لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم عن الاصغاء له ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف
وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما يفطن من اوضاعه وحركاته لشيء من كلامه وان لم يسمعه
اصلا واما اذا كان معرضا عنه اصلا فلا يكاد يفهم منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما
انت بهادي العمي عن ضلالتهم سماهم عميا اما لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم
وقرئ تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها
بالقبول او الا من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لا الالقاء فهم مسلمون منقادون لما تأمرهم به
من الله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف مبتدأ وخبر اي ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم
كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل من بعد ضعف قوة
وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق ابدانكم بالروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم
السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله عنهما قرأتها على رسول الله صلى الله

كما قرأتني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان المتقدم غير المتأخر يخلق ما يشاء من الاشياء التي
من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما
ذكر من الاطوار المختلفة من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيامة سميت بها
لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة
يقسم المجرمون ما لبثوا اي في القبور او في الدنيا والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتي
وليس لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين
فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم اهي اربعون سنة او
اربعون الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل
ذلك الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا
من الملائكة والانس لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ما كتبه وعينه او في اللوح او القرآن
وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين كما هم من فرط
حيرتهم لم يبهوا وان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون بعد فناء
الخلق كافة ويقدرون لذلك زمانا مديدا وان لم يعتقدوا تحققه فرد العالمون مقالتهم ونبهوهم
على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويبكتونهم بالايعاد بقولهم قالوا
فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون به
استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال ۞ قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ۞
ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ تنفع بالتاء
محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضي اعتابهم اي ازالة
عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني
فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي بالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم
كل صفة كأنها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة
وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم بآية من آيات القرآن الناطقة
بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين ان انتم الا مبطلون اي مزورون كذلك مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على قلوب
الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون الحق بل يصرون على خرافات اعتقدوها وترهات
ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال
الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من
انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا يحملنك على الخفة الذين لا يوقنون بما تتلو عليهم من
الآيات البينة بتكذيبهم اياها وايذائهم لك باباطيلهم التي من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم
شاكون ضالون ولا يستبدع منهم امثال ذلك وقرئ بالنون الخفيفة وقرئ لا يستحقنك من الاستحقاق
اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا
للكفرة عن استخفافه عليه السلام واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التاثر من استخفافهم والافتتان
بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمان مكية اربع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تلك آيات الكتاب سلف في نظائره الحكيم اي ذي الحكمة لاشتماله عليها او هو وصف له بنعت
تعالى او اصله الحكيم قائله او قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن
في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اي معقد وهو قليل

وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة وقرئا بالرفع على أنهما خبران آخران لاسم الإشارة أو لمبتدأ محذوف للمحسنين أي العاملين للحسنات فإن أريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون بيان لما عملوه من الحسنات على طريقة قول من قال الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وإن أريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث بالذكر من بين سائر شعبها لإظهار فضلها وإنافتها على غيرها وتخصيص الوجه الأول بصورة كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الآخر بصورة كونه مبتدأ مما لا وجه له أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مرهوب لحيازتهم قطري العلم والعمل وتقدم ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن الناس محله الرفع على الابتداء باعتبار مضمونه أو بتقدير الموصوف ومن في قوله تعالى من يشتري لهو الحديث موصولة أو موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس أو وبعض من الناس الذي يشتري أو فريق يشتري على أن مناط الإفادة والمقصود بالأصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة أو الصفة لا كونهم ذوات أولئك المذكورين كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الآية ولهو الحديث ما يلهي عما يعني من المهمات كالأحاديث التي لا أصل لها والأساطير التي لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والإضافة بمعنى من التبيينية إن أريد بالحديث المنكر وبمعنى التبعيضية إن أريد به الأعم من ذلك وقيل نزلت الآية في النضر بن الحارث اشترى كتب الأعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول إن كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فأنا أحدثكم بحديث رستم وإسفنديار والأكاسرة وقيل كان يشتري القيان ويحملهن على معاشرة من أراد الإسلام ومنعه منه ليضل عن سبيل الله أي دينه الحق الموصل إليه تعالى أو عن قراءة الكتاب الهادي إليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء أي ليثبت ويستمر على ضلاله أو يزيد فيه بغير علم أي بحال ما يشتريه أو بالتجارة حيث استبدل الشر البحت بالخير المحض ويتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فإنها مما يذكر ويؤنث وهو دين الإسلام أو القرآن أي ويتخذها هزوا مهزوا به وقرئ ويتخذ بالرفع عطفا على يشتري وقوله تعالى أولئك إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم في الشرارة أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الاشتراء للإضلال لهم عذاب مهين لما اتصفوا به من إهانتهم الحق بإيثار الباطل عليه وترغيب الناس عنه وإذا تتلى عليه أي على المشتري إفراد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلاثة الأول باعتبار لفظه من بعد ما جمع فيما بينهما باعتبار معناها آياتنا التي هي آيات الكتاب الحكيم وهدى ورحمة للمحسنين ولى أعرض عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر كأن لم يسمعها حال من ضمير ولى أو من ضمير مستكبرا والأصل كأنه فحذف ضمير الشأن وخففت المثقلة أي مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه رمز إلى أن من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الأمور الموجبة للإقبال عليها والخضوع لها على طريقة قول من قال كأنك لم تجزع على ابن طريف كأن في أذنيه وقرا حال من ضمير لم يسمعها أي مشبها حاله حال من في أذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز أن يكونا استئنافين وقرئ أذنيه بسكون الذال فبشره بعذاب أليم أي فأعلمه بأن العذاب المفرط في الإيلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة للتهكم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال المؤمنين بآيات الله تعالى إثر بيان حال الكافرين بها أي الذين آمنوا بآياته وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذكر من إيمانهم وأعمالهم جنات النعيم أي نعيم جنات فعكس للمبالغة والجملة خبر إن والأحسن أن يجعل لهم هو الخبر لأن جنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم أو من جنات النعيم لاشتماله على ضميرهما والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الأول لنفسه والثاني لغيره لأن قوله تعالى لهم جنات النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فأكد معنى الوعد وأما حقا فدال على معنى الثبات أكد به معنى الوعد ومؤكدهما جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء ليمنعه من إنجاز وعده أو تحقيق وعيده الحكيم الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد الخ استئناف مسوق للاستشهاد بما فصل فيه

على عزته تعالى التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم وتمهيد قاعدة التوحيد وتقريره وإبطال أمر الإشراك وتبكيت أهله والعمد جمع عماد كأهب جمع إهاب وهو ما يعمد به أي يسند يقال عمدت الحائط إذا دعمته أي بغير دعائم على أن الجمع لتعدد السموات وقوله تعالى ترونها استئناف جيء به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى لها غير معمودة بمشاهدتهم لها كذلك أو صفة لعمد أي خلقها بغير عمد مرئية على أن التقييد للرمز إلى أنه تعالى عمدها بعمد لا ترى هي عمد القدرة وألقى في الأرض رواسي بيان لصنعه البديع في قرار الأرض إثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات أي ألقى فيها جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد أي كراهة أن تميد بكم فإن بساطة أجزائها تقتضي تبدل أحيازها وأوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته أو لشيء من لوازمه بحيز معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من أنواعها وأنزلنا من السماء ماء هو المطر فأنبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات إلى نون العظمة في الفعلين لإبراز مزيد الاعتناء بأمرهما هذا أي ما ذكر من السموات والأرض وما تعلق بهما من الأمور المعدودة خلق الله أي مخلوقه فأروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه في العبادة حتى استحقوا به المعبودية وماذا نصب بخلق أو ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته وأروني متعلق به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين إضراب عن تبكيتهم بما ذكر إلى التسجيل عليهم بالضلال البين المستدعي للإعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة أن يفهموا منها شيئا فيهتدوا به إلى العلم ببطلان ما هم عليه أو يتأثروا من الإلزام والتبكيت فينزجروا عنه ووضع الظاهر موضع ضميرهم للدلالة على أنهم بإشراكهم واضعون للشيء في غير موضعه ومتعدون عن الحد وظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد آتينا لقمان الحكمة كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من أولاد آزر ابن أخت أيوب عليه السلام أو خالته وعاش حتى أدرك داود عليه السلام وأخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بني إسرائيل والجمهور على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الإنسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الأفعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته أنه صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها فقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال له داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وأن داود قال له يوما كيف أصبحت فقال أصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وأنه أمره مولاه أن يذبح شاة ويأتي بأطيب مضغتين منها فأتى باللسان والقلب ثم بعد أيام أمره بأن يأتي بأخبث مضغتين منها فأتى بهما أيضا فسأله عن ذلك فقال هما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا أن اشكر لله أي اشكر له تعالى على أن أن مفسرة فإن إيتاء الحكمة في معنى القول وقوله تعالى ومن يشكر الخ استئناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال بالأمر أي ومن يشكر له تعالى فإنما يشكر لنفسه لأن منفعته التي هي ارتباط العتيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها ومن كفر فإن الله غني عن كل شيء فلا يحتاج إلى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وإن لم يحمده أحد أو محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى مشكورا لما أن الحمد متضمن للشكر بل هو رأسه كما قال عليه السلام الحمد رأس الشكر لم يشكر الله عبد لم يحمده فإثباته له تعالى إثبات للشكر له قطعا وإذ قال لقمان لابنه أنعم وقيل أشكم وقيل ماثان وهو يعظه يا بني تصغير إشفاق وقرئ يا بني بإسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه كافرا فلم يزل به حتى أسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما إن الشرك لظلم عظيم تعليل للنهي أو للانتهاء عن الشرك ووصينا الإنسان بوالديه الخ كلام مستأنف اعترض به على نهج الاستطراد في أثناء وصية لقمان تأكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته أمه إلى قوله في عامين اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من أمه أي ذات وهن أو مصدر مؤكد لفعل هو الحال أي تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر أي كائنا على وهن أي تضعف ضعفا فوق ضعف فإنها لا تزال يتضاعف ضعفها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك

يتزايد وهنا بعد وهن ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي وعند ابي حنيفة رحمهما الله هي ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ فصله ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض مؤكد للوصية ولذلك قال عليه السلام لمن قال له من ابر امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير تعليل لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع لا الى غيري فاجازيك على ما صدر عنك من الشكر والكفر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به اي بشركته له تعالى في استحقاق العبادة علم فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه المروة واتبع سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى يا بني الخ شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقرير ما في مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيده بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل وقرئ برفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة المثقال الى الحبة كما في قول من قال

شرقت صدر القناة من الدم

اولان المراد به الحسنة والسيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يات بها الله اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعدما امره بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علم الله تعالى وقدرته امره بالصلوة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل بعد تكميله من حيث الاعتقاد فقال مستميلا له يا بني اقم الصلوة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى كل ما ذكر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى وقطعه على عباده من الامور بمعنى مفعول مصدر اطلق على المفعول وقد جوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصعر خدك للناس اي لا تملها ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو الصيد وهو داء يصيب البعير فيلوي منه عنقه وقرئ ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر من الافعال والكل بمعنى مثل علاه وعالاه واعلاه ولا تمش في الارض مرحا اي فرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر مؤكد للفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي او موجبه وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده عن المختال وهو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه عم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة في عمر رضي الله عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة من اقصده الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل على ابلغ وجه واكده مبني على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التحذير عن رفع الصوت والتنفير وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان حال صوت هذا الجنس من بين اصوات ساير الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع الى سنن ما سلف قبل قصة لقمن من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع مشاهدتهم لدلائل التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بحيث ينفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه كيف يشاء ويستعمله حسبما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة له من الجماد والحيوان او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع ما في السموات من

من الاشياء التي نيطت بها مصالح العباد معاشا ومعادا واما جعله منقادا للامر فهذا الاعلى على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان مسخرا له بحسب الظاهر فهو في الحقيقة مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنت الغين او الخاء او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سابغ صابغ وقرئ نعمة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا كتاب منير انزله الله سبحانه بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يريدون به عبادة الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم اي اباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون انفسهم كذلك اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير فهم متوجهون اليه حسب دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون في سورة البقرة بما لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض اليه مجامع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص وقرئ بالتشديد وهو محسن اي في اعماله اتيا بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي وقد مر في اخر سورة النحل فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يرقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلي منه والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء وليس بمستفيض الينا مرجعهم لا الى غيرنا فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب والعقاب والجمع في الضماير الثلثه باعتبار معنى من كما ان الافراد في الاول باعتبار لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبئة المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق الضغط والتضييق ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر بحيث اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله على ان جعل دلائل التوحيد بحيث لا يكاد ينكرها المكابرون ايضا بل اكثرهم لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات وما في الارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن العالمين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام اي ولو ثبت ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر اي والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقرئ يمده من الامداد للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته وحكمته ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها انما امره لشيء اذا اراده ان يقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن علم بعض فكذلك الخلق والبعث

ألم تر قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عام لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الاوفق لما سبق وما
يلحق اى ألم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل
اى يدخل كل واحد منهما في الآخر ويضيفه اليه فيتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر الشمس و
القمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد في كل حين واما
تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في آثاره وقد اشير الى ذلك حيث قيل
كل يجري اى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتخالفة المتعددة حسب
تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى لجريهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن
فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع
بطريق الاستطراد وعلى تقدير اختصاصه به عليه السلام يجوز ان تكون حالا من الشمس والقمر فان جريانهما الى
يوم القيمة من جملة ما في حيز رؤيته عليه السلام هذا وقد جعل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في
فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهرا فالجملة ح بيان لحكم
تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين في الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس على
مداراتها اليومية فكلما كان جريانها متوجها الى سمت الراس تزداد القوس التي هي فوق الارض كبرا
فيزداد النهار طولا بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الراس
وذلك عند بلوغها الى راس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الراس فلا تزال القسي التي
فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار قصرا بانضمام بعض اجزائه الى الليل الى ان يبلغ المدار الذي هو ابعد
المدارات اليومية عن سمت الراس وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى وان الله بما تعملون
خبير عطف على ان الله يولج الخ داخل معه في حيز الرؤية على تقدير خصوص الخطاب وعمومه فان
من شاهد مثل ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل
اعماله ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلي من الآيات الكريمة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله هو الحق اى بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط
ولاجله او لكونها ناطقة بحقيقة التوحيد وان ما يدعون من دونه الباطل اى ولاجل بيان بطلان الهية
ما يدعون من دونه لكونها شاهدة بذلك شهادة بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان
الدلالة على اختصاص حقيقة الالهية مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتنا
بامر التوحيد والايذان بان الدلالة على بطلان ما ذكر ليس بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال
ايضا وان الله هو العلي الكبير اى وبيان انه تعالى هو المترفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف
الآيات الكريمة مبينة لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى اى بيان هذا وقيل ذلك اى ما ذكر من سعة
العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص الباري به تعالى بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من
جميع جهاته او الثابت الهيته وانت خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما
ذكر من الاحكام المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل لها في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في
سلك الاسباب بل هو منعكس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا ان بطلانها
يقتضيها ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد
آخر على باهر قدرته وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمقدر هو حال من فاعله
اى ملتبسة بنعمته تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الكسر والفتح و
السكون ليريكم من آياته اى بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار
شكور تعليل لما قبله اى ان فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على
المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الانفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قيل
لكل مؤمن واذا غشيهم اى علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما
وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلال وقلة دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة

الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الدواهي والشدائد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى مقيم
على القصد السوي الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد باياتنا الا كل
ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري او رفض لما كان في البحر والختر اشد الغدر والجملة كفور مبالغ
في كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده اى لا يقضي عنه
وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والعائد الى الموصول محذوف اى لا يجزي فيه ولا مولود عطف على
الوالد وهو مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود احرى بان
يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله حق بالثواب والعقاب
حق لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اى الشيطان المبالغ في
الغرور بان يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم الساعة علم
وقت قيامها لما روي ان الحارث ابن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد
القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امراتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عم
مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه الذي قدره والى محله الذي عينه في علمه
وقرئ ينزل من الانزال ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى او تام او ناقص وما تدري نفس من النفوس
ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما يعزم على شيء منهما فيفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت
كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان عم فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر فقال
الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني فتلقيني ببلاد الهند ففعل ثم قال
الملك لسليمان عليه السلام كان دوام نظري اليه تعجبا منه حيث كنت امرت ان اقبض روحه بالهند
وهو عندك ونسبة العلم الى الله تعالى والدراية الى العبد للايذان بانه ان عمل حيلته وبذل في التعرف وسعه
لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه وقرئ باية ارض وشبه
سيبويه تانيثها بتانيث كل في كلتهن ان الله عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من الاشيا
التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لقمان كان
لقمان رفيقا له يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى هذا مسمى بالم والاشارة قبل جريان
ذكرها قد عرفت سره مرارا واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل
الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف
[illegible] تنزيل الكتاب وقيل خبر لالم [illegible]
[illegible] لا ريب فيه [illegible]
[illegible] من رب العالمين [illegible]
[illegible] ام يقولون افتراه [illegible]
[illegible] بل هو الحق من ربك [illegible]
[illegible] قوما ما اتاهم من نذير من قبلك [illegible]

غاية حيرة مستتبعة لمنافع جليلة فى وقت شدة الحاجة اليه مما يقرر وجود النبى ويؤكده لا محالة ولقد كانت
قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث اليهم من رسول قبله
عم اى ما اتاهم من نذير من قبلك انذرهم او من قبل زمانك والترجى معتبر من جهته عم اى لتنذرهم راجيا
لاهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التأييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل الكتاب مبتدأ واما على سائر الوجوه
فلا تأييد اصلا لان قوله تعالى من رب العالمين خبر راجع على الاوجه الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين
واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد للحكم اخر تنديد الله الذى خلق السموات
والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه فيما سلف ما لكم من دونه من
ولى ولا شفيع اى ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم ويجيركم من بأسه اى ما لكم سواه
ولى ولا شفيع بل هو الذى يتولى مصالحكم وينصركم فى مواطن النصر على ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا
فاذا خذلكم لم يبق لكم ولى ولا نصير افلا تتذكرون اى لا تسمعون هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او
اتسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى عدم السماع وعدم التذكر معا وعلى الثانى
على عدم التذكر مع تحقق ما يوجبه من السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا
باسباب سماوية من الملائكة وغيرها نازلة اثارها واحكامها الى الارض ثم يعرج اليه اى يثبت فى علمه
موجودا بالفعل فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اى فى برهة من الزمان متطاولة
والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث اليومية
باثباتها فى اللوح المحفوظ فينزل بها الملائكة ثم ترجع اليه فى زمان هو كالف سنة مما تعدون فان ما
بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضى قضاء الف سنة فينزل بها الملك ثم يعرج بعد الالف
لالف اخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله عند قيامها وقيل
يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحى ثم لا يعرج اليه خالصا الا فى مدة متطاولة
لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضى بطوء عروجها الى
السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة الى الله عز وجل باعتبار اتصافه بما ذكر من خلق السموات
والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر الكائنات على ما ذكر من الوجه
البديع وهو مبتدأ خبره ما بعده اى ذلك العظيم الشأن عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما
يقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما خبران اخران وفيه ايماء الى انه تعالى
يتفضل فى جميع ما ذكر فاعل بالاحسان الذى احسن كل شىء خلقه خبر اخر او نصب على المدح اى حسن
كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق خلقه الا وهو مرتب على ما تقتضيه وتوجبه المصلحة فجميع المخلوقات
حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وقيل علم كيف
يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اى يحسن معرفته ويعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ
خلقه على انه بدل اشتمال من كل شىء والضمير للمبدل منه اى حسن خلق كل شىء وقيل بدل الكل على ان الضمير
لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اى احسن كل مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه
معنى اعطى اى اعطى كل شىء خلقه اللائق بطريق الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شىء مفعوله
الثانى وضميره لله سبحانه على تضمين الاحسان معنى الالهام والتعريف والمعنى الهم خلقه كل شىء مما يحتاجون
اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شىء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله تعالى الذى اعطى كل
شىء خلقه ثم هدى وبدأ خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه بديع تحار العقول
فى فهمه حيث برأ آدم عم على فطرة عجيبة منطوية على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا
لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله
تعالى ثم جعل نسله الخ اى ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه من سلالة من ماء مهين
هو المنى الممتهن ثم سواه اى عدله بتكميل اعضائه فى الرحم وتصويرها على ما ينبغى ونفخ فيه من
روحه اضافه الى نفسه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شأنا له مناسبة الى

الحضرة الربوبية وان اقصى ما ينتهى اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذى يعبر عنه تارة بالاضافة
اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما فى قوله تعالى قل الروح من امر ربى وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة الجعل ابداعى واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة النظم الكريم اى خلق لمنفعتكم
تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها فى انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها وسائل الى التمتع بسائر
النعم الدينية والدنيوية الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها الى ما خلق هو له فتدركوا
بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة بالتوحيد والبعث وبابصاركم الايات التكوينية الشاهدة بهما
وتستدلوا بافئدتكم على حقيقتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم بتلك النعم بطريق
الاعتراض التذييلى على ان القلة بمعنى النفى كما ينبئ عنه ما بعده اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون
وفى حكاية احوال الانسان من مبدأ فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة وحكاية احواله بعد
ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته للخطاب من الجزالة ما لا غاية وراءه وقالوا كلام
مستأنف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم شكرهم بتلك
النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة ءاذا ضللنا فى الارض اى
صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من باب
علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهى الارض اى صرنا من جنس الصلة
قيل القائل ابى بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل فى اذا ما يدل عليه قوله تعالى
ءانا لفى خلق جديد وهو نبعث او نجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق وتأكيده وقرئ انا
على الخبر وايا ما كان فالمعنى على تأكيد الانكار لا انكار التأكيد كما هو المتبادر من تقديم الهمزة على
ان فانها مؤخرة عنها فى الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم كافرون
اضراب وانتقال عن بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول الى العاقبة
وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل يتوفاكم
ملك الموت الاجاز يعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اى يقبض ارواحكم
[illegible]
[illegible] ثم الى ربكم ترجعون بالبعث
للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون وهم القائلون ءاذا ضللنا فى الارض الاية او جنس المجرمين وهم
من جملتهم ناكسوا رءوسهم عند ربهم من الحياء والخزى عند ظهور قبائحهم التى اقترفوها فى الدنيا
ربنا اى يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا اى صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الايات
المبصرة والايات المسموعة وكنا من قبل عميا صما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل صالحا
حسبما تقتضيه تلك الايات وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معانى
الايات والعمل بموجبها [illegible]
[illegible] وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم [illegible]
[illegible] طمعا فى الاجابة الى ما سألوه من الرجعة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لرأيت أمراً فظيعاً لا يقادر قدره والخطاب لكل أحد ممن يصلح له كائناً من كان إذ المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الفظاعة إلى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الأمور البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتأتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا ومن عموم الخطاب بالقصد إلى بيان أن حالهم قد بلغت من الظهور إلى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا يختص برؤية راء دون راء بل كل من يتأتى منه الرؤية فله مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق الحق لأن المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فإنه مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على ما قدر قبل قوله تعالى ربنا أبصرنا الخ أي ونقول لو شئنا أي لو تعلقت مشيئتنا تعلقاً فعلياً بأن نعطي كل نفس من النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به إلى الإيمان والعمل الصالح لأعطيناها إياه في الدنيا التي هي دار الكسب وما أخرناه إلى دار الجزاء ولكن حق القول مني أي سبقت كلمتي حيث قلت لإبليس عند قوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهو المعني بقوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ إعطاء الهدى على العموم بل منعناه من أتباع إبليس الذي أنتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم إلى الغي بإغوائه ومشيئتنا لأفعال العباد منوطة باختيارهم إياها فلما لم يختاروا الهدى واختاروا الضلال لم نشأ إعطاءه لكم وإنما أعطيناه الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سيأتي من قوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا الآية فيكون مناط عدم مشيئته إعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وإنما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق الفعلي بأفعال العباد عند حدوثها لأن المشيئة الأزلية من حيث تعلقها بما سيكون من أفعالهم إجمالاً متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطاً بتحققها وإنما مناطه علمه تعالى أنه لا يصرف اختيارهم فيما سيأتي إلى الهدى وإيثارهم له على الهدى فلو أريدت هي من كلمة الجملة الشرطية لاستدرك بعدها ونيط ذلك بما ذكر من المناط على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم فمن توهم أن المعنى ولو شئنا لأعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم لما علمنا منهم اختيار الكفر وإيثاره فقد اشتبه عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الأمر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع إلى الدنيا أو على الوعيد المحكي والباء في قوله تعالى بما نسيتم لقاء يومكم هذا للإيذان بأن تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به فقط بل هو وسبق الوعيد أيضاً بسبب موجب له من قبلهم كأنه قيل لا رجع لكم إلى الدنيا أو حق وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية إنا نسيناكم أي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وفي استئنافه وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون تكرير للتأكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والإشعار بأن سببه ليس مجرد ما ذكر من النسيان بل له أسباب أخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا وعدم نظم الكل في سلك واحد للتنبيه على استقلال كل منها في استيجاب العذاب وفي إبهام المذوق أولاً وبيانه ثانياً بتكرير الأمر وتوسيط الاستئناف المنبئ عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى إنما يؤمن بآياتنا استئناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم لإيتاء الهدى والإشعار بعدم إيمانهم لو ردوا بتعيين من يستحقه بطريق القصر كأنه قيل إنكم لا تؤمنون بآياتنا ولا تعملون بموجبها عملاً صالحاً ولو رجعناكم إلى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنما يؤمن بها الذين إذا ذكروا بها أي وعظوا خروا سجداً أي خروا ساجدين من غير تردد ولا تلعثم فضلاً عن التسويف إلى معاينة ما نطقت به من الوعد والوعيد أي سقطوا على وجوههم وسبحوا بحمد ربهم أي نزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الأمور التي من جملتها العجز عن البعث ملتبسين بحمده على نعمائه التي أجلها الهداية بإيتاء الآيات والتوفيق للاهتداء بها والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الإضافة إلى ضميرهم للإشعار

للإشعار بعلة التسبيح والتحميد بأنهم يفعلونهما بملاحظة ربوبيته تعالى لهم وهم لا يستكبرون أي والحال أنهم خاضعون له تعالى لا يستكبرون عما فعلوا من الخرور والتسبيح والتحميد تتجافى جنوبهم أي ترتفع وتتنحى عن المضاجع أي عن الفرش ومواضع المنام والجملة مستأنفة لبيان بقية محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال أنس رضي الله عنه نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضاً أنه قال نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وهي صلاة الأوابين وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة والمشهور أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة لقوله عليه السلام أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه السلام إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم حال من ضمير جنوبهم أي داعين له تعالى على الاستمرار خوفاً من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته وطمعاً في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه البر والحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عمن عداهم ما أخفي لهم أي لأولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من قرة أعين مما تقر به أعينهم وعنه عليه السلام يقول الله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما أطلعتهم عليه اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقرئ ما أخفي لهم وما نخفي لهم وما أخفيت لهم على صيغة المتكلم وما أخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وقرئ قرات أعين لاختلاف أنواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة أو استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون أي جزوا جزاء أو أخفي لهم للجزاء بما كانوا يعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً أي أبعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت أوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت أحواله لا يستوون التصريح به مع إفادة الإنكار لنفي المشابهة بالمرة على أبلغ وجه وآكده لبيان التفصيل الآتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى تفصيل لمراتب الفريقين في الآخرة بعد ذكر أحوالهما في الدنيا وأضيفت الجنة إلى المأوى لأنها المأوى الحقيقي وإنما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلاً أي ثواباً وهو في الأصل ما يعد للنازل من الطعام والشراب والصلة وانتصابه على الحالية بما كانوا يعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة وأما الذين فسقوا أي خرجوا عن الطاعة فمأواهم أي ملجؤهم ومنزلهم النار مكان جنات المأوى للمؤمنين كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها استئناف لبيان كيفية كون النار مأواهم يروى أنه تضربهم لهب النار فيرتفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضربهم اللهب فيهوون إلى قعرها وهكذا يفعل بهم أبداً وكلمة في للدلالة على أنهم مستقرون فيها وإنما الإعادة من بعض طبقاتها إلى بعض وقيل لهم تشديداً عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون على الإسرار في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الأدنى أي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والأسر دون العذاب الأكبر الذي هو عذاب الآخرة لعلهم أي لعل من بقي منهم يتوبون عن الكفر روي عن الوليد بن عقبة أنه فاخر علياً رضي الله عنه يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن

اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها بيان اجمالي لمن قابل آيات الله تعالى بالاعراض بعد
بيان حال من قابلها بالسجود والتسبيح والتحميد وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية
وضوحها وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة ۞ يرى غمرات الموت ثم يزورها ۞

اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا
انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون فكيف ممن هو اظلم
من كل ظالم واشد جرما من كل جرم ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية عبر عنها باسم الجنس لتحقيق
المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كايتائها لموسى عم
فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان كقوله تعالى وانك لتلقى القرآن والمعنى
انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه من الوحي مثل ما لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك
لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عم رأيت ليلة اسري بي موسى
رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي الكتاب الذي آتيناه موسى هدى
لبني اسرائيل وقيل لم يتعبد بما في التورية ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف
الكتاب من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرايعه بامرنا اياهم
بذلك او بتوفيقنا له لما صبروا هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير
للائمة تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد
صبرهم على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي
لصبرهم وكانوا بآياتنا التي في تضاعيف الكتاب يوقنون لامعانهم فيها النظر والمعنى كذلك لنجعلن
الكتاب الذي آتيناك هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو يفصل
اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة فيميز بين المحق والمبطل
فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو للعطف على منوي يقتضيه
المقام وفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس الفعل بلا ملاحظة المفعول واما
بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية
لهم او ولم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ
نهد لهم بنون العظمة وقد جوز ان يكون الفاعل على القراءة الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله
تعالى كم اهلكنا الخ استئنافا مبينا لكيفية هدايته تعالى يمشون في مساكنهم اي يمرون في
متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون آثار هلاكهم والجملة حال من ضميرهم وقرئ يمشون للتكثير
ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا للامم الخالية العاتية في مساكنهم لآيات عظيمة في
انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الآيات سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى
الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل بالمرة وقيل هو اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض
زرعا تأكل منه اي من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصيل والورق وبعض الحبوب المخصوصة
بها وقرئ يأكل بالياء وانفسهم كالحبوب التي يقتاتها الانسان والثمار افلا يبصرون اي الا ينظرون
فلا يبصرون ذلك ليستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله ويقولون اي كان المسلمون يقولون ان
الله سيفتح لنا على المشركين او يفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال
تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اي النصر او الفصل بالحكومة ان كنتم صادقين في ان الله ينصركم او
يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم
ينظرون يوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو
يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه
على انه ليس مما ينبغي ان يسأل عنه لكونه امرا بينا غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ

وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك الايمان وعدم الانظار كانه قيل لا تستعجلوا فكاني بكم قد آمنتم
فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن
المقتولين يومئذ لا عن كافة الكفرة كما في الوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح
وناسا آمنوا يوم بدر فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون
قيل اي الغلبة عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون هلاكهم
كما في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام الآية ويقرب منه ما قيل وانتظر
عذابنا انهم منتظرون فان استعجالهم المذكور ودعوتهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي في حكم انتظارهم
العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او فان الملائكة
ينتظرونه عن النبي صلى الله عم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيى
ليلة القدر وعنه عم من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله في ندائه عم بعنوان النبوة تنويه بشأنه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى
المأمور به الثبات عليه والازدياد منه فان له بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع
الكافرين اي المجاهرين بالكفر والمنافقين المضمرين له اي فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية
فيما بين المسلمين روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي نزلوا عليه عم
في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر آلهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على
النبي صلى الله عم وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تساعد الكافرين من
اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة
فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يأمرك الا بما فيه مصلحة ولا ينهاك الا عما فيه مفسدة ولا يحكم
الا بما تقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل للامر والنهي مؤكد لوجوب الامتثال بهما واتبع اي في كل
ما تأتي وتذر من امور الدين ما يوحى اليك من ربك من الآيات التي من جملتها هذه الآية الآمرة بتقوى
الله الناهية عن مساعدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتأكيد وجوب الامتثال
بالامر ان الله كان بما تعملون خبيرا قيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له
وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب من التغليب
واياما كان فالجملة تعليل للامر وتأكيد لموجبه واما على الوجهين الاولين فبطريق الترغيب والترهيب
كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه ثوابا وعقابا واما على
الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا الفريقين فيرشدك الى ما فيه
صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد والمفاسد ويأمرك بما ينبغي
لك ان تعمله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحي والعمل بمقتضاه حتما وتوكل على الله اي فوض
جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه
شروع في القاء الوحي الذي امر عم باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى
وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وتنبيها على ان كون
المظاهر منها اما والدعي ابنا اي بمنزلة الام والابن في الآثار والاحكام المعهودة فيما بينهم
في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب تزعم من ان اللبيب
الاريب له قلبان ولذلك قيل لابي معمر او لجميل بن اسد الفهري ذو القلبين
وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ولا وحدة وامومة
في امرأة ولا امومة وبنوة في شخص لكن لا بعينه بل لانه الجمع بين حكمين متنافيين

حقيقة الدعوة والبنوة كما في الفلك ولا بمعنى نفي الجمع بين احكام الزوجية واحكام الامومة ونفي الجمع بين احكام
الدعوة واحكام البنوة لابطال ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة على المظاهر منها واجراء احكام البنوة
على الدعي ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت علي كظهر امي ماخوذ من الظهار باعتبار اللفظ كالتلبية من
لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضي الطلاق او
الحرمة الى اداء الكفارة كما عدي آلى بمن وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذي هو عموده
فان ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء
وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التائين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام
التاء الثانية في الظاء وتظهرون من اظهر بمعنى تظاهر وتظهرون من تظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد
وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعي وهو الذي يدعى ولدا على الشذوذ لاختصاص افعلاء بفعيل
بمعنى فاعل كتقي واتقياء كانه شبه به في اللفظ فجمع جمعه كقتلى واسرى ذلكم اشارة الى
ما ذكر من الظهار والادعاء او الى الاخير الذي هو المقصود من مساق الكلام اى دعاءكم بقولكم هذا ابني
قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذن هو بمعزل من استتباع
احكام البنوة كما زعمتم والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدي السبيل اى سبيل الحق لا غير فدعوا قولكم
وخذوا بقوله عز وجل ادعوهم لآبائهم اي انسبوهم اليهم وخصوهم بهم وقوله تعالى هو اقسط عند الله
تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى واقسط افعل تفضيل قصد به
الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اى الدعاء لآبائهم بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى
وقضائه فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومواليكم واولياؤكم فيه اى
فادعوهم بالاخوة الدينية والمولوية وليس عليكم جناح اى اثم فيما اخطأتم به اى فيما فعلتموه
من ذلك مخطئين بالسهو او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اى ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم
بعد النهي او ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبني بقوله هو
ابني ان كان عبدا للقائل العتق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد
مثله لمثل المتبني ولم يقر بنسبه من غيره النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم اى في كل امر من امور الدين
والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون عليه السلام احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من
حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها روي انه عليه السلام اراد غزوة تبوك
فامر الناس بالخروج فقال اناس منهم نستاذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى في الدين فان كل نبي
اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اى
منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها
لسنا امهات النساء واولوا الارحام اى ذووا القرابات بعضهم اولى ببعض في التوارث وهو نسخ لما كان في
صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله في اللوح او فيما انزله وهو هذه الآية
او آية المواريث او فيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولي الارحام او صلة لاولى اى
اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين ومن المهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا
الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما تقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف الوصية او
منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اى كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح او القرآن وقيل في
التورية واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم اى اذكر وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة
والدعاء الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم
في النبيين للايذان بمزيد مرتبتهم وفضلهم وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولي
العزم من الرسل وتقديم نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا
غليظا اى عهدا عظيم الشان او مؤكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه والعطف
مبني على تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي تفخيما لشانه كما في قوله تعالى ونجيناهم من

عذاب غليظ اثر قوله فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا وقوله تعالى ليسأل
الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية
له لا باخذنا فان المقصود من تذكير نفس الميثاق ثم بيان الغرض منه بيانا مقصودا كما ينبئ عنه تغيير
الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اى فعل الله ذلك ليسال يوم القيامة الانبياء ووضع الصادقين موضع
ضميرهم للايذان من اول الامر بانهم صادقون فيما سئلوا عنه وانما السؤال لحكمة تقتضيه اى ليسال
الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم كما في قوله تعالى
يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق وتصديقه
صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسال المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن
صدقهم عهدهم فيأباه مقام تذكير ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما
عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوجيه بان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين
او بان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة الى دينه لاجل اثابة المؤمنين تعسف ظاهر مع انه
مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل
عليه قوله تعالى ليسال الصادقين كانه قيل فاثاب المؤمنين واعد للكافرين الآية يا ايها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال
منها اى كائنة عليكم اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا
على انه بدل اشتمال من نعمة الله والمراد بالجنود الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة
والنضير وكانوا زهاء اثني عشر الفا فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على
المدينة باشارة سلمان الفارسي ثم خرج في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه
وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق
في المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب الى الغائط
ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود
وعكرمة بن ابي جهل ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بني محارب قد ركبوا خيولهم
وتيمموا من الخندق مكانا مضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بينهم وبين الخندق وسلع فخرج
علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين رضي الله عنهم حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فاقبلت الفرسان
نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال له علي رضي الله عنه يا عمرو اني ادعوك الى الله تعالى ورسوله
والاسلام قال لا حاجة لي اليه قال فاني ادعوك الى النزال قال يا ابن اخي والله لا احب ان اقتلك
قال علي لكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك وكان عمرو مشهورا بالشجاعة واقتحم
عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على علي رضي الله عنه فتنازلا وتجاولا وظفر به علي رضي الله عنه
ضربة بها نفسه فلما قتله انهزمت خيله حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه
ابن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي قتله ايضا علي رضي الله عنه وقيل
لم يكن بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا
عطف على جاءتكم مسوق لبيان النعمة اجمالا وسياتي تفصيلها في آخر القصة وجنودا لم تروها وهم
الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب
في وجوههم وامر الملائكة فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور
وماجت الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال
طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما
تعملون من حفر الخندق وترتيب مبادي الحراب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء
اى بما يعمله الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصي بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم
عليهم وجعله اعتراض مقرر لما قبله اذ جاؤكم من فوقكم بدل من اذ جاءتكم من اعلا الوادي من جهة

المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من أهل نجد قائدهم عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومن أسفل منكم أي من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش ومن شايعهم من الأحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان وكانوا عشرة آلاف وإذ زاغت الأبصار عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير أي حين مالت عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر لأن الرئة تنتفخ من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة وهي منتهى الحلقوم وقيل هو مثل في اضطراب القلوب ووجيبها وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب في قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن يظهر الإيمان على الإطلاق أي تظنون بالله تعالى أنواع الظنون المختلفة حيث ظن المخلصون الثبت القلوب أن الله تعالى منجز وعده في إعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله الآية أو ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير ألف وهو القياس وزيادتها لمراعاة الفواصل كما زاد في القوافي هنالك ظرف زمان أو ظرف مكان لما بعده أي في ذلك الزمان الهائل أو المكان الدحض ابتلي المؤمنون أي عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاي وإذ يقول المنافقون عطف على إذ زاغت وصيغة المضارع لما ذكر من الدلالة على الاستمرار بالقول واستحضار صورته والذين في قلوبهم مرض أي ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من إعلاء الدين والظفر إلا غرورا أي وعد غرور وقيل قولا باطلا والقائل معتب بن قشير وأضرابه راضون به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقا ما هذا إلا وعد غرور وإذ قالت طائفة منهم هم أوس بن قيظي وأتباعه وقيل عبد الله بن أبي وأشياعه يا أهل يثرب هو اسم المدينة المطهرة وقيل اسم بقعة وقعت المدينة في ناحية منها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تسمى بها كراهة لها وقال هي طيبة أو طابة كأنهم ذكروها بذلك الاسم مخالفة له عم ونداؤهم بعنوان أهليتهم لها ترشيح لما بعده من الأمر بالرجوع إليها لا مقام لكم لا موضع إقامة لكم أو لا إقامة لكم ههنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم أي لا قيام أو لا موضع قيام لكم فارجعوا أي إلى منازلكم بالمدينة مرادهم الأمر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وإيذانا بأنه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا مقام لكم في دين محمد عم فارجعوا إلى ما كنتم عليه من الشرك أو فارجعوا عما بايعتموه عليه وأسلموه إلى أعدائه أو لا مقام لكم في يثرب فارجعوا كفارا ليتسنى لكم المقام بها والأول هو الأنسب لما بعده فإن قوله تعالى ويستأذن فريق منهم النبي يقولون بدل من يقول أو حال من فاعله أو استئناف مبني على السؤال عن كيفية الاستئذان إن بيوتنا عورة أي غير حصينة معرضة للعدو والسراق فأذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع إلى العسكر والعورة في الأصل الخلل أطلقت على المختل مبالغة وقد جوزوا أن يكون تخفيف عورة من عورت الدار إذا اختلت وقد قرئ بها والأول هو الأنسب بمقام الاعتذار كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هي بعورة والحال أنها ليست كذلك إن يريدون ما يريدون بالاستئذان إلا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم أسند الدخول إلى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقا كما هو المفهوم لو أسند إلى الجار والمجرور من أقطارها أي من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة والفساد ثم سئلوا الفتنة من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة لآتوها لأعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء وقرئ لأتوها بالقصر أي لفعلوها وجاءوها وما تلبثوا بها بالفتنة أي بما ألبثوها وما أخروها إلا يسيرا ريثما يسع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت مع سلامتها كما فعلوا الآن وقيل

وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد إلا يسيرا والأول هو اللائق بالمقام هذا وأما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمنافاة للعموم المستفاد من تجريد الدخول عن الفاعل وتقييده ضرب من فساد الوضع لما عرفت أن مساق النظم الكريم لبيان أنهم إذا دعوا إلى الحق تعللوا بشيء يسير وإن دعوا إلى الباطل سارعوا إليه آثر ذي أثير من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم فرض الدخول عليهم من جهة العساكر المذكورة وإسناد سؤال الفتنة والدعوة إلى الكفر إلى طائفة أخرى مع أن العساكر هم المعروفون بعداوة الدين المباشرون لقتال المؤمنين المصرون على الإعراض عن الحق المجدون في الدعاء إلى الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار فإن بني حارثة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا أن لا يعودوا لمثله وقيل هم قوم غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وكان عهد الله مسؤولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسؤولا عن الوفاء به ومجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل فإنه لا بد لكل شخص من حتف أنف أو قتل سيف في وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم وإذا لا تمتعون إلا قليلا أي وإن نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع إلا تمتيعا قليلا أو زمانا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة أي أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة فاختصر الكلام أو حمل الثاني على الأول لما في العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم أي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لإخوانهم من منافقي المدينة هلم إلينا وهو صوت سمي به فعل متعد نحو احضر أو قرب ويستوي فيه الواحد والجماعة على لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل وهلموا يا رجال أي قربوا أنفسكم إلينا وهذا يدل على أنهم عند هذا القول خارجون من المعسكر متوجهون نحو المدينة ولا يأتون البأس أي الحرب والقتال إلا قليلا أي إتيانا أو زمانا قليلا فإنهم يعتذرون ويثبطون ما أمكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم أنهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون إلا شيئا قليلا إذا اضطروا إليه كقوله تعالى ما قاتلوا إلا قليلا وقيل إنه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتي أصحاب محمد حرب الأحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلا أشحة عليكم أي بخلاء عليكم بالمعاونة أو النفقة في سبيل الله أو الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبه على الحالية من فاعل يأتون أو من المعوقين أو على الذم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم في أحداقهم كالذي يغشى عليه من الموت صفة لمصدر ينظرون أو حال من فاعله أو لمصدر تدور أو حال من أعينهم أي ينظرون نظرا كائنا كنظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخوفا ولواذا بك أو ينظرون كائنين كالذي الخ أو تدور أعينهم دورانا كائنا كدوران عين الذي أو مدورة أعينهم كائنة كعينه فإذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بألسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فإنا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد أو باللسان وقرئ صلقوكم أشحة على الخير نصب على الحالية أو الذم ويؤيده القراءة بالرفع أولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالإخلاص فأحبط الله أعمالهم أي أظهر بطلانها إذ لم تثبت لهم أعمال فتبطل أو أبطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا لمنفعة دنيوية أصلا وكان ذلك الإحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع أن كل شيء عليه تعالى يسير لبيان أن أعمالهم حقيقة بأن يظهر حبوطها لكمال تعاضد الدواعي وعدم الصوارف بالكلية يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي هؤلاء لجبنهم يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ففروا إلى داخل المدينة وإن يأت الأحزاب كرة ثانية يودوا لو أنهم بادون في الأعراب تمنوا أنهم خارجون إلى البدو وحاصلون بين الأعراب وقرئ بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما يقال رأيت الهلال وتراءيناه فإن صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى ما أسندت إليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكفي تعدد

الفاعل كما في المثال المذكور ونظاره عن أنبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا إلى
المدينة وكان قتال ما قاتلوا إلا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة
خصلة حسنة حقها أن يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحق التأسي
به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة
فيها لمن كان يرجو الله واليوم الآخر أي ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل
هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر من أيام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها
وقيل بدل من لكم والأكثرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله أي وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا
أي ذكرا كثيرا فإن المثابرة على ذكره تعالى تؤدي إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم
ولما رأى المؤمنون الأحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاط الظنون
بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين إلى ما شاهدوه من
حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ كما مر
في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وجعله إشارة إلى الخطب أو البلاء من نتائج النظر
الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر الذي هو ما وعدنا الله ورسوله فإن ذلك العنوان أول ما يخطر
ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء إلى قوله تعالى ألا إن نصر الله قريب وقوله عم إن الأحزاب
سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله أي ظهر صدق خبر الله
تعالى ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم وما زادهم أي ما
رأوه إلا إيمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لأوامره ومقاديره من المؤمنين أي المؤمنين بالإخلاص مطلقا
لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول صلى الله عليه وسلم
والمقاتلة لإعلاء الدين وهم رجال من الصحابة رضي الله عنهم نذروا أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل
وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ومعنى صدقوا أتوا بالصدق
من صدقني إذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب إما بطرح الخافض عنه وإيصال الفعل إليه كما في
قولهم صدقني سن بكره أي في سنه وإما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب
من قال لكرمائه نخرج إلى الأعداء إن لم تخرج وقالوا له سنفي بك وحث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا
نكثوا لكذبوه ولكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل لحال الصادقين وتقسيم لهم إلى قسمين والنحب
النذر أي التزام الإنسان شيئا من أعماله وإيجابه على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحل الجار
والمجرور بالرفع على الابتداء على أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله
أي فبعضهم أو فبعض منهم من خرج عن العهدة كحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر عم أنس بن مالك
وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين فإنهم قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بأن يكون ما نذروه
أفعالهم الاختيارية التي هي التعرض لمقاساة الشدائد مما ليس منها ولا يدخل تحت النذر وهو الموت شهيدا أو كان
مستعارا لالتزامه على ما سيأتي ومنهم أي وبعضهم أو وبعض منهم من ينتظر أي قضاء نحبه لكونه موقتا
كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد بعد ذلك رضوان الله عليهم أجمعين فإنهم مستمرون على نذورهم قد
قضوا بعضها وهو الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقتال إلى حين نزول الآية الكريمة ومنتظرون
قضاء بعضها الباقي وهو القتال إلى الموت شهيدا ويجوز أن يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا
إما بتنزيل التزام أسبابه التي هي أفعال اختيارية للناذر منزلة التزام نفسه وإما بتنزيل نفسه منزلة أسبابه
وإيراد الالتزام عليه وهو الأنسب بمقام المدح وأيا ما كان ففي وصفهم بالانتظار المنبئ عن الرغبة في المنتظر
شهادة حقة بكمال اشتياقهم إلى الشهادة وأما ما قيل من أن النحب استعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل
حيوان فمسخ للاستعارة وإذهاب برونقها وإخراج للنظم الكريم عن مقتضى المقام بالكلية وما بدلوا عطف

عطف على صدقوا وفاعله فاعله أي وما بدلوا عهدهم وما غيروه تبديلا أي تبديلا ما لا أصلا
ولا وصفا بل ثبتوا عليه راغبين فيه مراعين لحقوقه على أحسن ما يكون أما الذين قضوا فظاهر وأما
ن الباقون فيشهد به انتظارهم أصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الأول مع ظهور حالهم للإيذان
بمساواة الفريق الثاني لهم في الحكم ويجوز أن يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على أن المحتاج إلى البيان
حالهم وقد روي أن طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى أصيبت يده فقال عم أوجب طلحة
الجنة وفي رواية أوجب طلحة وعنه عم في رواية جابر من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر
إلى طلحة بن عبيد الله وفي رواية عائشة رضي الله عنها من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض وقد
قضى نحبه فلينظر إلى طلحة وهذا تشير إلى أنه من الأولين حكما ليجزي الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر
مستأنف مسوق بطريق الفذلكة لبيان ما هو داع إلى وقوع ما حكي من الأحوال والأقوال على التفصيل
فتن وغاية له كما مر في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم كأنه قيل وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين
بما صدر عنهم من الصدق والوفاء قولا وفعلا ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الأعمال والأقوال المحكية
إن شاء تعذيبهم أو يتوب عليهم إن تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفي التبديل المنطوق وإثباته المعرض به
كأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى
وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما فهم من قوله تعالى وما زادهم إلا إيمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من
قوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب كأنه قيل ابتلاهم الله برؤية ذلك الخطب ليجزي الآية تأمل
وبالله التوفيق إن الله كان غفورا رحيما أي لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث إلى التوبة وقوله تعالى ورد
الله رجوع إلى حكاية بقية القصة وتفصيل لتتمة النعمة المشار إليها إجمالا بقوله تعالى فأرسلنا عليهم
كورة ريحا وجنودا لم تروها معطوف إما على المضمر المقدر قبل قوله ليجزي الله كأنه قيل إثر حكاية الأمور
وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الخ وإما على أرسلنا وقد وسط بينهما بيان كون ما نزل بهم واقعة
طامة تحيرت منها العقول والأفهام وداهية تحاكت منها الركب وزلت الأقدام وتفصيل ما صدر عن فريقي
أهل الإيمان وأهل الكفر والنفاق من الأحوال والأقوال لإظهار عظم النعمة وإبانة خطرها الجليل ببيان
وصولها إليهم عند غاية احتياجهم إليها أي فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين
كفروا والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وإدخال الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول
أي متلبسين به وكذا قوله تعالى لم ينالوا خيرا حال متداخلة أو بدل من الأولى
أو استئناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر من إرسال الريح والجنود وكان الله قويا على إحداث
كل ما يريده عزيزا غالبا على كل شيء وأنزل الذين ظاهروهم أي عاونوا الأحزاب المردودة من أهل
الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن
الثور والظبي وشوكة الديك وقذف في قلوبهم الرعب الخوف الشديد بحيث أسلموا أنفسهم للقتل وأهليهم
وأولادهم للأسر حسبما ينطق به قوله تعالى فريقا تقتلون وتأسرون فريقا من غير أن يكون من جهتهم
حراك فضلا عن المخالفة والاستعصاء وروي أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة
التي انهزم فيها الأحزاب ورجع المسلمون إلى المدينة ووضعوا السلاح فقال أتنزع لأمتك والملائكة ما
وضعوا السلاح إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر
إلا ببني قريظة فحاصروهم إحدى وعشرين أو خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونسائهم فكبر
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة مقاتل وقيل من ثمانمائة
إلى تسعمائة وأسر سبعمائة وتقديم المفعول في الجملة
الثانية لتشريف نسق الكلام للتفصيل وتقسيمه كما في قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون
لمراعاة الفواصل وأورثكم أرضهم مزارعهم وديارهم حصونهم وأموالهم نقودهم
ومواشيهم وأثاثهم روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الأنصار فقالت الأنصار

في ذلك فقال عم انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله وأرضا لم تطؤها
اي وأورثكم في علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد كفارس والروم وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر
وكان الله على كل شيء قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته من ايراث الاراضي التي تسلمتموها فقيسوا على ما
عداها يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا اي السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها
فتعالين اي اقبلن بارادتكن واختياركن لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني
أمتعكن بالجزم جوابا للامر وكذا واسرحكن اي اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار
وقرئ بالرفع على الاستيناف روي انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت
الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله تعالى ذلك فنزلت لا يحل لك
النساء من بعد واختلف في ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى يقع الطلاق بنفس الاختيار او لا فذهب
الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان ردن
الدنيا فارقهن عم كما ينبئ عنه قوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب آخرون الى انه كان تفويضا
للطلاق اليهن حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء اصلا ولو اختارت نفسها وقعت طلقة
بائنة عندنا ورجعية عند الشافعي وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفين وروي عن زيد بن
ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت نفسها يقع ثلاث طلقات وهو قول الحسن ورواية
عن مالك وروي عن علي رضي الله عنه انها ان اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة بائنة
وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها لا يقع شيء اصلا وعليه فقهاء الامصار وقد روي عن عائشة رضي الله عنها
خيرنا رسول الله صلى الله عم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن
من اول الامر والمتعة في المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما
عداهن مستحبة وهي درع وخمار وملحفة بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك
فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اي تردن رسوله وذكر
الله عز وجل للايذان بجلالة محله عم عنده تعالى والدار الآخرة اي نعيمها الذي لا قدر عنده للدنيا وما فيها
جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ومن للتبيين
لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة في تحقيق معنى التخيير والاحتراز عن شائبة الاكراه
وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفي وصف السراح بالجميل يا نساء النبي تلوين للخطاب وتوجيه
له اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن هنا وفيما بعده بالاضافة اليه عم لانها التي يدور عليها ما يرد
عليهن من الاحكام من يأت منكن بفاحشة كبيرة مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح اليا
والمراد بها كل ما اقترفن من الكبائر وقيل هي عصيانهن لرسول الله صلى الله عم ونشوزهن وطلبهن ما يشق
عليه او ما يضيق ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تأت بالفوقانية يضاعف لها العذاب ضعفين اي يعذبن
ضعفي عذاب غيرهن او مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة فضل المذنب والنعمة
عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء عليهم السلام بما لا يعاتب به الامم وقرئ
يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان
ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي عم بل يدعوه اليه لمراعاة حقه ومن يقنت
منكن وقرئ بالتاء اي ومن يدم على الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة
والتقوى واخرى على طلبهن رضى رسول الله صلى الله عم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا
على لفظ من ويؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها في الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا
كريما مرضيا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع في النفي مستويا
فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء في الفضل والشرف
ان اتقيتن مخالفة حكم الله تعالى ورضى رسوله او ان تصفتن بالتقوى كما هو اللائق بحالكن فلا تخضعن بالقول

بالقول عند مخاطبة الناس اي لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات والمومسات فيطمع
الذي في قلبه مرض اي فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انه نهي لمريض القلب عن
الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل لا تخضعن بالقول فلا يطمع مريض القلب
وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بجد وخشونة من غير تخنث او قولا حسنا مع كونه خشنا
وقرن في بيوتكن امر من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من راءي اقررن ونقلت كسرتها الى القاف
فاستغني به عن همزة الوصل وقرئ بفتح القاف من قررت اقر وهو لغة فيه او من قار يقار اذا
اجتمع ونقلت حركة العين الى الفاء فاستغني عن همزة الوصل ولا تبرجن ولا تتبخترن في مشيكن تبرج الجاهلية
الاولى اي تبرجا مثل تبرج النساء في الجاهلية القديمة وهي ما بين آدم ونوح وقيل ما بين
ادريس ونوح عليهم السلام وقيل الزمان الذي ولد فيه ابراهيم عم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ
فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقيل ما بين داود وسليمن عليهما السلام والجاهلية
الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في
الاسلام ويؤيده قوله عم لابي الدرداء رضي الله عنه ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية
اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة وآتين الزكوة امرهن بهما لانافتهما على غيرهما وكونهما اصلي
الطاعات البدنية والمالية واطعن الله ورسوله اي في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرن
به ونهين عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اي الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل
لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود حيث
قيل بطريق النداء والمدح اهل البيت مرادا بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار الاوزار
والمعاصي تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه كما
ترى آية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبي صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان
رأي الشيعة في تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضوان الله عليهم واما ما تمسكوا
به من ان رسول الله صلى الله عم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود وجلس فاتت
فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانما يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم ليسوا كذلك
ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها في مقابلة النص واذكرن ما يتلى في بيوتكن
اي اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين
كونه آيات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون العلوم
والشرايع وهو تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن من
برحاء الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه
والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع الآيات
ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول وعدم
تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي عليهما السلام وتلاوتهن وتلاوة غيرهن تعليما
وتعلما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر
والنهي او يعلم ما يصلح للنبوة ومن يصلح لان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في
السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق
به من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات القائمين بها والصادقين و
الصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصي والخاشعين
والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين
والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا

والذاكرات بقلوبهم وألسنتهم أعد الله لهم بسبب ما عملوا من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا
من الصغائر لأنهن مكفرات بما عملوا من الأعمال الصالحة وأجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات
والآية وعد لهن ولأمثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال الحميدة روي أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير أفما فينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا
طاعة فنزلت وقيل السائلة أم سلمة وروي أنه لما نزل في نساء النبي عليه السلام ما نزل قال نساء المؤمنين
فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف الإناث على الذكور لاختلاف الجنس وهو ضروري وأما عطف الزوجين على
الزوجين فلتغاير الوصفين فلا يكون ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفائدته
الدلالة على أن إعداد ما أعد لهم لجمعهم بين هذه النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة أي ما
صح وما استقام لرجل ولا امرأة من المؤمنين إذا قضى الله ورسوله أمرا أي إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر الله تعالى لتعظيم أمره والإشعار بأن قضاءه عليه السلام قضاء الله عز وجل لأنه نزل في زينب بنت جحش
بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فأبت هي وأخوها عبد الله وقيل
في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد فسخطت هي وأخوها
وقالا إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده أن تكون لهم الخيرة من أمرهم أي أن يختاروا من أمرهم
ما شاؤوا بل يجب عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه عليه السلام واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضمير من لفظ
مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير الثاني للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم وقرئ
تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله في أمر من الأمور ويعمل فيه برأيه فقد ضل طريق الحق ضلالا
مبينا أي بين الانحراف عن سنن الصواب وإذ تقول أي واذكر وقت قولك للذي أنعم الله عليه بتوفيقه
للإسلام وتوفيقك لحسن تربيته وإعتاقه وأنعمت عليه بالعتق بما وفقك الله له من فنون الإحسان التي من
جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة والمراد بالعنوان المذكور بيان منافاة حاله لما صدر عنه عليه السلام من
إظهار خلاف ما في ضميره إذ هو إنما يقع عند الاستحياء والاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد
أمسك عليك زوجك أي زينب وذلك أنه عليه السلام أبصرها بعدما أنكحها إياه فوقعت في نفسه حالة
جبلية لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد
ففطن له ووقع في نفسه كراهة صحبتها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أريد أن أفارق صاحبتي فقال
ما لك أرابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال أمسك عليك
زوجك واتق الله في أمرها فلا تطلقها إضرارا وتعليلا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه وهو
نكاحها إن طلقها وتخشى الناس تعييرهم إياك به والله أحق أن تخشاه إن كان فيه ما يخشى والواو للحال
وليست المعاتبة على الإخفاء وحده بل على الإخفاء مخافة قالة الناس وإظهار ما ينافي إضماره
فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر إلى رأيه فلما قضى زيد منها وطرا بحيث لم يبق له
فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك
زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الأمر بتزويجها منه عليه السلام وقيل جعلها زوجته بلا واسطة عقد
ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى تولى تزويجي وأنتن زوجكن أولياؤكن
وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل بقوة إيمانه لكيلا يكون على المؤمنين
حرج ضيق ومشقة في أزواج أدعيائهم أي في حق تزوجهن إذا قضوا منهن وطرا فإن لهم في
رسول الله أسوة حسنة وفيه دلالة على أن حكمه عليه السلام وحكم الأمة سواء إلا ما خصه الدليل وكان أمر الله
أي ما يريد تكوينه من الأمور أو مأموره الحاصل بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر
لما قبله ما كان على النبي من حرج أي ما صح وما استقام في الحكمة أن يكون له ضيق فيما فرض الله
له أي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العساكر لأعطياتهم سنة الله
اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لما قبله من نفي الحرج أي سن الله ذلك سنة
في الذين خلوا من قبل من الأنبياء عليهم السلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد

كان لداود عليه السلام مائة امرأة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية وكان أمر الله
قدرا مقدورا أي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا اعتراض وسط بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد
للمسارعة إلى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه في كل ما يأتون ويذرون
لا سيما في أمر تبليغ الرسالات حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون
أحدا إلا الله في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه عليه السلام من الاحتراز عن لائمة الخلق
بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي
أن لا يخشى غيره أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد أبا
أحد من رجالكم أي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة
وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه عليه السلام أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا
رجالا له عليه السلام لا لهم ولكن رسول الله أي كان رسول الله وكل رسول أبو أمته لكن لا حقيقة بل بمعنى أنه
شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الأبدية وزيد واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم وبينه عليه السلام فحكمه
حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين أي كان آخرهم
الذي ختموا به وقرئ بكسر التاء أي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولكن نبيا
ختم النبيين وأيا ما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام
لأن معنى كونه خاتم النبيين أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل إنما ينزل عاملا
على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته وكان الله بكل شيء عليما
ومن جملته هذه الأحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم في شك مريب يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله
بما هو أهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الأوقات والأحوال وسبحوه ونزهوه
عما لا يليق به بكرة وأصيلا أي أول النهار وآخره على أن تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون
سائر الأوقات بل لإبانة فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين وإفراد التسبيح من بين الأذكار
لأنه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه إليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة
وقيل المراد بالتسبيح الصلاة هو الذي يصلي عليكم الخ استئناف جار مجرى التعليل
لما قبله من الأمرين فإن صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب
عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف
على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التأكيد بالمنفصل لكن لا على أن يراد بالصلاة الرحمة
أولا والاستغفار ثانيا فإن استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على
أن يراد به معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم
وصلاح أمرهم فإن كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له أو الترحم والانعطاف المعنوي
المأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في أن
استغفار الملائكة ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم وأما أن ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي
الدعوة كما قيل فاعتبار له ينزع إلى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات إلى
النور متعلق بيصلي أي يعتني بأمركم هو وملائكته ليخرجكم بذلك من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة
وقوله تعالى وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله أي كان بكافة المؤمنين الذين
أنتم من زمرتهم رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتناء بإصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم
إلى الإيمان والطاعة أو كان بكم رحيما على أن المؤمنين مظهر وضع موضع المضمر مدحا لهم وإشعارا
بعلة الرحمة وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للأحكام الآجلة لرحمته تعالى بهم بعد
بيان آثارها العاجلة التي هي الاعتناء بأمرهم وهدايتهم إلى الطاعة أي ما يحيون به على أنه
مصدر أضيف إلى مفعوله يوم لقائه عند الموت أو عند البعث من القبور أو عند دخول الجنة
تسليم عليهم من الله عز وجل تعظيما لهم أو من الملائكة بشارة لهم بالجنة أو تكرمة لهم كما في قوله تعالى

والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى
وأعد لهم أجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته
الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال مثلا واجرهم
اجر كريم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود ببيان ان الامر الذي هو المقصد الاقصى
من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيأ لهم مع ما فيه من مراعاة الفواصل يا أيها النبي إنا أرسلناك
شاهدا على من بعثت اليهم تراقب احوالهم وتشاهد اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق
والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى والضلال وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو
حال مقدرة ومبشرا ونذيرا تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفرة بالنار وداعيا إلى الله اي الى
الاقرار به وبوحدانيته وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله بإذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا
لما انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتأتى الا
بامداد من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال للاعناق في قلادة غير معهودة
وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد والهداية وبشر
المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال الناس وبشر المؤمنين
منهم بأن لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف او زيادة على اجور اعمالهم
بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين والمنافقين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة ولين الجانب في
التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر والتنفير عن المنهي عنه بنظمه
في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق بمراحل ودع أذاهم
اي لا تبال باذيتهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر من
الشؤون التي من جملتها هذا الشأن فانه تعالى يكفيكهم وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور في
كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ولما
وصف عليه السلام بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب يناسبه خلا انه لم يذكر ما قابل الشاهد صريحا وهو الامر
بالمراقبة ثقة بظهور دلالة ما قابل المبشر عليه وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي
عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة في انذارهم كما حققته وقوبل الداعي اليه باذنه بالامر بالتوكل
عليه من حيث انه عبارة عن الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى
فان من ايده الله تعالى بالقوة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي
الى نور الرشاد حقيق بان يكتفي به عن كل ما سواه يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل أن تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها بانفسهن
تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه وكذلك كلته فاكتاله
والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال
احدى التاءين بالدال او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والخلوة الصحيحة في حكم المس وتخصيص
المؤمنات مع عموم الكتابيات للتنبيه على ان المؤمن شأنه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم
ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فمتعوهن
اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد فان الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة فانها مستحبة
عندنا وفي رواية عن احمد غير مستحبة وسرحوهن اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا
جميلا من غير ضرار ولا منع حق ولا مساغ لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بهن يا أيها
النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن اي مهورهن فانها اجور الابضاع وايتاؤها
اما اعطاؤها معجلا او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له عليه السلام به ليس لتوقف الحل عليه
اذ ينعقد العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل او المتعة على تقديري الدخول وعدمه بل لايثار الافضل والاولى
له عليه السلام كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك فان

فان المرأة لا تستحق بدون امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد
الحل بذلك في حقه عليه السلام خاصة ويعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها خطبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من
الطلقاء وامرأة مؤمنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال الناجز بل اعلام
مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره محذوف اي احللناها لك ايضا
إن وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما ينبئ عنه تنكيرها
لكن لا مطلقا بل عند ارادته عليه السلام استنكاحها كما نطق به قوله تعالى إن أراد النبي أن يستنكحها اي
ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار منه عليه السلام مجرى القبول وحيث لم يكن هذا نصا في كون تمليكها
بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في
اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس لم يكن عنده عليه السلام احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة بنت
الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده عليه السلام في
الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت الحكم فيختص به
عليه السلام حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك اي خلص لك احلالها خالصة اي خلوصا
فان الفاعلة في المصادر غير عزيز كالعافية والكاذبة او خلص حلال ما احللنا لك من المذكورات
على القيود المذكورة خالصة وقوله تعالى من دون المؤمنين على الاول ان الاحلال المذكور على المادة
المعهودة غير متحقق في حقهم بل المتحقق في احلال البعض المعدودة على الوجه المعهود وقرئ خالصة
بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك خلوص لك وخصوص او هي اي تلك المرأة او الهبة خالصة
لك لا تتجاوز المؤمنين حيث لا تحل لهم بغير مهر المثل ولا تصح الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا
ما فرضنا عليهم اي على المؤمنين في أزواجهم اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور
لرسول الله عليه السلام وعدم تجاوزه للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض عليه
عليه السلام تكرمة له وتوسعة عليه اي قد علمنا ما ينبغي ان يفرض عليهم في حق ازواجهم وما ملكت أيمانهم
وعلى اي حد واي صفة يحق ان يفرض عليهم ففرضنا ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض
الخصائص لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق واللام متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت
الاحلال وحصوله له عليه السلام لا باعتبار اختصاصه به عليه السلام لان مدار انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني
الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما ولذلك وسع الامر في
مواقع الحرج ترجي من تشاء منهن اي تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي إليك من تشاء وتضم اليك
من تشاء منهن وتضاجعها او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن
ابتغيت ممن عزلت طلبت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه
اما ان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او لم يقسم واذا طلق فاما ان يخلي المعزولة او
يبتغيها وروي انه ارجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء
كما شاء وكانت ممن آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجأ خمسا وآوى اربعا وروي انه
عليه السلام كان يسوي بينهن مع ما اطلق له وخير الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني
حتى احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك أدنى أن تقر أعينهن ولا
يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اقرب الى قرة عيونهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان
سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى فتطمئن به نفوسهن
وقرئ تقر بضم التاء ونصب اعينهن وتقر على البناء للمفعول وكلهن تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب
على انه تأكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما
مبالغا في العلم فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعجل بالعقوبة فلا تغتروا بتأخيرها فانه امهال لا اهمال

لا يحل لك النساء بالياء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي ولو وجد الفصل وقرئ بالتاء من بعد اي من بعد التسع
وهو في حقك كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن فاخترنك و
قيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل اي تتبدل بحذف
احدى التائين بهن اي بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتاكيد
الاستغراق اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن التسع اللاتي توفي
عم عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة
وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش
الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة
اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء
بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فان معنى احلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا
بد ان يكون معنى التبدل بهن احلال نكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي
ليس من الوظائف البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل لا
من مفعوله وهو من التوغل في التنكير وقيل تقديره مفروضا اعجابك وقد مر تحقيقه في قوله
تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب
اي هي ممن اعجبه عم حسنهن واختلف في ان الآية محكمة او منسوخة قيل بقوله تعالى ترجي من تشاء
منهن وتؤوي على ترتيب المصحف وقيل بالسنة عن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احل له النساء وقال انس مات عم على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج
والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا فاحذروا مجاوزة حدوده وتخطي حلاله
الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من
حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته عم من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى
الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها في حال من الاحوال الا حال كونكم
مأذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا تدخلوها في وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد
عليه بان النحاة نصوا على ان الواقع موقع الظرف مختص بالمصدر الصريح دون المؤول لا يقال آتيك
ان يصيح الديك وانما يقال آتيك صياح الديك وقوله تعالى الى طعام متعلق بيؤذن بتضمينه
معنى الدعاء للاشعار بانه لا ينبغي ان يدخلوا على الطعام بغير دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله
تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء
واقع على الوقت والحال معا [illegible] او من المجرور في لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا
على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير سائغ عند البصريين وقرئ بالامالة لانه مصدر انى الطعام
اي ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة على ان
المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم
كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم
والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته عم باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا
مستأنسين لحديث اي لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او
مقدر بفعل اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا مستأنسين الخ ان ذلكم اي الاستئناس الذي كنتم تفعلونه
من قبل كان يؤذي النبي لتضييق المنزل عليه وعلى اهله وايذائه بالاشتغال بما لا يعنيه وصده
عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من اخراجكم لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فان
يستدعي ان يكون المستحيا منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم وما ذاك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك
حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي
بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن الضمير لنساء النبي صلى الله عليه وسلم المدلول عليهن

عليهن بذكر بيوته عم متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب اي
ستر روي ان عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب
فنزلت وقيل انه عم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها
فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستيناس
للحديث عند الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر
الشيطانية وما كان لكم اي وما صح وما استقام ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه
ويتأذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اي من بعد وفاته او فراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر
من ايذائه عم ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد
كان عند الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره وفيه من تعظيمه تعالى لشأن
رسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا ما لا يخفى ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان
تبدوا شيئا مما لا خير فيه كنكاحهن على ألسنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما
فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود
مزيد تهويل وتشديد ومبالغة في الوعيد لا جناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن
ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استئناف لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت
آية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله اونكلمهن ايضا من وراء الحجاب فنزلت وانما لم يذكر
العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمي العم ابا في قوله تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل
واسحق او لانه اكتفى عن ذكرهما بذكر ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن
وبين الفريقين عين ما بينهن وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لما انهن عمات لابناء الاخوة وخالات
لابناء الاخوات وقيل لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن اي نساء المؤمنات
ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله
في كل ما تأتين وما تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه
خافية ولا تتفاوت في علمه الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين
وحملا على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده عليه على رأي البصريين يصلون على النبي قيل الصلاة من
الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه ايضا
يصلون يبركون وقال ابو العالية صلاة الله عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم دعاؤهم له
فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا
له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه
بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك
فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم او نحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد
امره والآية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه مطلقا من غير تعرض لوجوب التكرار وعدمه وقيل
يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله عم من ذكرت
عنده فلم يصل علي دخل النار فابعده الله ويروى انه صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بي ملكين فلا
اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك
الملكين آمين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته
جوابا لذينك الملكين آمين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره عم كما قيل في آية
السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا
قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه عم ان يصلى
عليه كلما جرى ذكره الرفيع واما الصلاة عليه في الصلاة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابرهيم وعلى آل ابرهيم انك حميد مجيد فليست بشرط في جواز الصلاة عندنا وعن ابرهيم

النخعي أن الصحابة كانوا يكتفون عن ذلك بما في التشهد وهو السلام عليك أيها النبي وأما الشافعي رحمه الله
فقد جعلها شرطا وأما الصلوة على غير الأنبياء عليهم السلام فيجوز تبعا ويكره استقلالا لأنه في العرف شعار
ذكر الرسل ولذلك كره أن يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾
أريد بالإيذاء ما يعم فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة حقيقة التأذي في حقه تعالى
وقيل في أذية الله تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح
ابن الله والملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقيل قول الذين يلحدون في آياته
وفي أذية الرسول صلى الله عليه وسلم قولهم شاعر ساحر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه
الكريم يوم أحد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما وأما إيذاؤه عم خاصة بطريق
الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والإيذان بجلالة مقداره عنده تعالى وأن إيذاءه عم إيذاء له
سبحانه ﴿لعنهم الله في الدنيا والآخرة﴾ طردهم وأبعدهم عن رحمته بحيث لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها
﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿عذابا مهينا﴾ يصيبهم في الآخرة خاصة ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات﴾
﴿بغير ما اكتسبوا﴾ أي بغير جناية يستحقون
بها الأذية بعد إطلاقه فيما قبله للإيذان بأن أذى الله ورسوله لا يكون إلا غير حق وأما أذى هؤلاء
فمنه ومنه ﴿فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ أي ظاهرا بينا قيل إنها نزلت في منافقين كانوا يؤذون
عليا رضي الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل في أهل الإفك وقيل في زناة كانوا
يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن وكانوا لا يتعرضون إلا للإماء ولكن ربما كان يقع منهم
التعرض للحرائر أيضا جهلا أو تجاهلا لاتحاد الكل في الزي واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سيأتي
من أراجيف المرجفين ﴿يا أيها النبي﴾ بعد ما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الإيذاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم
بأن يأمر بعض المؤذين منهم بما يدفع إيذاءهم في الجملة من التستر والتميز عن مواقع الإيذاء فقيل ﴿قل لأزواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء
تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يتستر به أي يغطين بها
وجوههن وأبدانهن إذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبعيض لما مر من أن المعهود التلفع ببعضها
وإرخاء بعضها وعن السدي تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من
التغطي ﴿أدنى﴾ أقرب ﴿أن يعرفن﴾ ويميزن من الإماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وإيذائهم ﴿فلا يؤذين﴾
من جهة أهل الريبة بالتعرض لهن ﴿وكان الله غفورا﴾ لما سلف منهن من التفريط ﴿رحيما﴾ بعباده حيث
يراعي من مصالحهم أمثال هاتيك الجزئيات ﴿لئن لم ينته المنافقون﴾ عما هم عليه من النفاق وأحكامه الموجبة
للإيذاء ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾ عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه ﴿والمرجفون في المدينة﴾
من الفريقين عما هم عليه من نشر أخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك من الأراجيف الملفقة المستتبعة
للأذية وأصل الإرجاف التحريك من الرجفة التي هي الزلزلة وصفت به الأخبار الكاذبة لكونها متزلزلة
غير ثابتة ﴿لنغرينك بهم﴾ لنأمرنك بقتالهم وإجلائهم بما يضطرهم إلى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ﴿ثم لا
يجاورونك﴾ عطف على جواب القسم وثم للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول صلى الله عليه وسلم أعظم ما
يصيبهم ﴿فيها﴾ أي في المدينة ﴿إلا قليلا﴾ زمانا قليلا أو جوارا قليلا ريثما يتبين حالهم من الانتهاء وعدمه ﴿ملعونين﴾
نصب على الشتم أو حال على أن الاستثناء وارد عليها أيضا على رأي من يجوزه كما مر في قوله تعالى غير ناظرين
إناه ولا سبيل إلى انتصابه عن قوله تعالى ﴿أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ لأن ما بعد كلمة الشرط
لا يعمل فيما قبلها ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ أي سن الله ذلك في الأمم الماضية سنة وهي أن يقتل
الذين نافقوا الأنبياء عليهم السلام وسعوا في توهين أمرهم بالإرجاف ونحوه أينما ثقفوا ﴿ولن تجد لسنة الله
تبديلا﴾ أصلا لابتنائها على أساس الحكمة التي عليها يدور فلك التشريع ﴿يسألك الناس عن الساعة﴾ أي
عن وقت قيامها كان المشركون يسألونه عليه السلام عن ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا
لما أن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وسائر الكتب ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ لا يطلع عليه ملكا مقربا

ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى ﴿وما يدريك﴾ خطاب مستقل له عم غير داخل تحت الأمر مسوق لبيان
أنها مع كونها غير معلومة للخلق مرجوة المجيء عن قريب أي أي شيء يعلمك بوقت قيامها أي لا يعلمك به شيء
أصلا ﴿لعل الساعة تكون قريبا﴾ أي شيئا قريبا أو تكون الساعة في وقت قريب وانتصابه على الظرفية
ويجوز أن يكون التذكير باعتبار أن الساعة في معنى اليوم أو الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت
للمتعنتين والإظهار في حيز الإضمار لزيادة التقرير وتأكيد استقلال الجملة كما أشير إليه ﴿إن الله
لعن الكافرين﴾ على الإطلاق أي طردهم وأبعدهم من رحمته العاجلة والآجلة ﴿وأعد لهم﴾ مع ذلك ﴿سعيرا﴾
نارا شديدة الاتقاد يقاسونها في الآخرة ﴿خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا﴾ يحفظهم ﴿ولا نصيرا﴾
يخلصهم ﴿يوم تقلب وجوههم في النار﴾ ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل لنصيرا وقيل مفعول لاذكر
أي يوم تصرف وجوههم فيها من جهة إلى جهة كاللحم يشوى في النار أو يطبخ في القدر فيدور به الغليان
من جهة إلى جهة أو من حال إلى حال أو يطرحون فيها مقلوبين منكوسين وقرئ تقلب بحذف إحدى
التاءين من تتقلب ونقلب بإسناد الفعل إلى نون العظمة ونصب وجوههم وتقلب بإسناده إلى السعير
وتخصيص الوجوه بالذكر لما أنها أكرم الأعضاء ففيه مزيد تفظيع للأمر وتهويل للخطب ويجوز أن يكون عبارة
عن كل الجسد وقوله تعالى ﴿يقولون﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم الفظيعة كأنه قيل
فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون متحسرين على ما فاتهم ﴿يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ فلا
نبتلى بهذا العذاب أو حال من وجوههم أو من ضميرها أو هو العامل في يوم ﴿وقالوا﴾ عطف على يقولون
والعدول إلى صيغة الماضي للإشعار بأن قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار أرادوا به
ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة وإن علموا عدم قبوله في حق خلاصهم
منها ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا للدلالة على
الكثرة والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار وإلا فهم في مقام التحقير والإهانة ﴿فأضلونا
السبيلا﴾ بما زينوا لنا من الأباطيل والألف للإطلاق كما في وأطعنا الرسولا ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾
أي مثلي العذاب الذي آتيتناه لأنهم ضلوا وأضلوا ﴿والعنهم لعنا كثيرا﴾ أي شديدا عظيما وقرئ كبيرا
وتصدير الدعاء بالنداء تكرير للمبالغة في الجؤار واستدعاء للإجابة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين آذوا موسى﴾ قيل نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من مقالة الناس ﴿فبرأه الله مما قالوا﴾ أي
فأظهر براءته مما قالوا في حقه من مضمون القول ومؤداه الذي هو الأمر المعيب وذلك أن قارون أغوى
مومسة على قذفه عم بنفسها بأن دفع إليها مالا عظيما فأظهر الله نزاهته عن ذلك بأن أقرت المومسة
بالمصانعة الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل في سورة القصص وقيل اتهمه ناس
بقتل هارون عند خروجه معه إلى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى رأوه غير مقتول
وقيل أحياه الله تعالى فأخبرهم ببراءته وقيل قرفوه بعيب في بدنه من برص أو أدرة لفرط تستره حياء فأطلعهم
الله تعالى على براءته بأن فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله والقصة مشهورة ﴿وكان عند
الله وجيها﴾ ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ أي في كل ما
تأتون وما تذرون لا سيما في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذي رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿وقولوا﴾ في كل
شأن من الشؤون ﴿قولا سديدا﴾ قاصدا إلى الحق من سد يسد سدادا يقال سدد السهم نحو الرمية إذا لم يعدل
به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب الجائر عن العدل والقصد ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾
يوفقكم للأعمال الصالحة أو يصلحها بالقبول والإثابة عليها ﴿ويغفر لكم ذنوبكم﴾ ويجعلها مكفرة باستقامتكم
في القول والعمل ﴿ومن يطع الله ورسوله﴾ في الأوامر والنواهي التي من جملتها هذه التكليفات ﴿فقد فاز﴾ في
الدارين ﴿فوزا عظيما﴾ لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال
فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ لما بين عظم شأن طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها
من العذاب الأليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شأن ما يوجبها
من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الإيذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة وتركها

صدور عنهم بعد القبول والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية أودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها واداءها من غير اخلال بشيء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة في قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لقبولها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام الثقيلة التي يستعمل فيها القوى الجسمانية التي اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى ان تلك الامانة في عظم الشان بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التي هي مثل في القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن منها ولكن صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل وتوضيحه **وحملها الانسان** اي عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه اياها يوم الميثاق اي تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما عبارة عن قبوله لها بموجب استعداده الفطري او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى **انه كان ظلوما جهولا** اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من الظلم مبالغا في الجهل اي بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول اشير بقوله عز وجل **ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات** اي حملها الانسان ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه بالنسبة الى بعض افراده ترتب الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز في معرض الغرض اي كان عاقبة حمل الانسان لها ان يعذب الله تعالى هؤلاء من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني اشير بقوله تعالى **ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات** اي كان عاقبة حمله لها ان يتوب الله تعالى على هؤلاء من افراده اي يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة عن رقابهم بالمرة وتلافيهم لما فرط منهم من فرطات قلما يخلو عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم لها بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شانها ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل من التقريب وحمل الكلام على تقرير الوعد الكريم الذي ينبئ عنه قوله تعالى من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما بجعل تعظيم شان الطاعة ذريعة الى ذلك بان من قام بحقوق مثل هذا الامر العظيم الشان وراعاها فهو جدير بان يفوز بخير الدارين ياباه وصفه بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق وتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء عبارة عن الامتناع عن الخيانة واتيانها بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لامانتنا واتين بما امرناهن به كقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما امرناه به انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني فيها ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل او التكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله بالرفع على الاستئناف **وكان الله غفورا رحيما** مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز طاعاتهم [illegible] من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة السبا مكية اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اي له تعالى خلقا وملكا وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فكان حقيقا بان يحمده جميع المخلوقات كما مر في آية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده تعليق الحمد المعلق بلام الحقيقة باسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين في فاتحة الفاتحة ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات التي من جملتها الانسان تحت ملكوته ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فمن هذا شانه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى وقوله تعالى **وله الحمد في الآخرة** بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه ليس للاكتفاء بذكر كونه في الآخرة عن التعيين كما اكتفي فيما سبق بذكر كون المحمود عليه في الدنيا عن ذكر كون الحمد ايضا فيها بل ليعم النعم الاخروية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة من فضله الآية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والآخرة بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس **وهو الحكيم** الذي احكم امور الدنيا ودبرها حسبما تقتضيه الحكمة **الخبير** ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى **يعلم ما يلج في الارض** الخ تفصيل لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدنيوية والدينية اي يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفائن والاموات ونحوها **وما يخرج منها** كالحيوان والنبات وماء العيون ونحوها **وما ينزل من السماء** كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما ننزل بالتشديد ونون العظمة **وما يعرج فيها** كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة **وهو الرحيم** للحامدين على ما ذكر من نعمه **الغفور** للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه **وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة** ارادوا بصيغة المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا بنفي اتيانها نفي وجودها بالكلية لا عدم حضورها مع تحققها في نفس الامر وانما عبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ولان وجود الامور الزمانية المستقبلة لاسيما اجزاء الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور [illegible] **قل بلى وربي لتاتينكم** [illegible] **عالم الغيب** [illegible] **لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين** [illegible] **ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات**

وبيان لما يقتضي اتيانها أولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اي اولئك الموصوفون بالصفات الجميلة لهم بسبب ذلك مغفرة
لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في آياتنا
بالقدح وصد الناس عن التصديق بها معاجزين اي مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اي مثبطين عن
الايمان من اراده أولئك لهم عذاب الكلام فيه كالذي مر آنفا ومن في قوله تعالى من رجز للبيان
قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى أليم بالرفع صفة عذاب اي اولئك الساعون لهم عذاب من جنس
سوء العذاب الشديد الايلام وقرئ أليم بالجر صفة لرجز ويرى الذين أوتوا العلم اي يعلم اولوا العلم
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تابعهم من علماء الامة او من آمن من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن
سلام وكعب واضرابهما رضي الله عنهم الذي انزل اليك من ربك اي القرآن هو الحق بالنصب على انه مفعول
ثان ليرى والمفعول الاول هو الموصول الثاني وهو ضمير الفصل وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر والجملة [illegible]
المفعول الثاني ليرى وقوله ويرى الخ مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات
وقيل منصوب عطفا على ليجزي اي وليعلم اولو العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن
برهانا ويحتجوا به على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار اي ليعلموا يومئذ
انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في
قوله تعالى صافات ويقبضن اي وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك الحق و
هاديا الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل مستانف وقيل
حال من الذي انزل على اضمار مبتدأ اي وهو يهدي كما في قول من قال نجوت وارهنهم مالكا
وقال الذين كفروا هم كفار قريش قالوا مخاطبا بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم
وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية قاتلهم الله تعالى ينبئكم اي يحدثكم بعجب عجاب وقرئ ينبئكم
من الانباء اذا مزقتم كل ممزق اي اذا متم ومزقت اجسادكم كل تمزيق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم
ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اي مستقرون فيه وعدل اليه عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث
مثل تبعثون او تخلقون خلقا جديدا للاسباغ في الاستبعاد والتعجيب وكذلك تقديم الظرف والعامل
فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد
النساج الثوب اذا قطعه ثم شاع أفترى على الله كذبا فيما قاله أم به جنة اي جنون يوهمه ذلك ويلقيه
على لسانه والاستدلال بهذا الترديد على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون مع الاخبار عن
بصيرة بين الفساد لظهور كون الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب
والضلال البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام بالاضراب عن
شقيه وابطالهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلائهم بما قالوا
في حقه عم كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم في كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم والادراك
الذي هو الجنون حقيقة وفيما يؤدي اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب
على ما يوجبه ويستتبعه للمسارعة الى بيان ما يسوؤهم ويفت في اعضادهم والاشعار بغاية سرعة
ترتبه عليه كانه يسابقه فيسبقه ووصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول
موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان علة ما ارتكبوه واجترؤا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم
بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى أفلم يروا الى ما
بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استئناف مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله
واستعظام ما قالوا في حقه عم وانه من العظائم الموجبة لنزول اشد العقاب وحلول افظع العذاب من
غير ريث وتاخير والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى ان نشأ الخ بيان لما ينبئ عنه ذكر
احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة به
اي افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة فلم ينظروا الى ما احاطهم من جميع جوانبهم بحيث لا

مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم نخسف بهم الارض كما خسفناها بقارون
او نسقط عليهم كسفا اي قطعا من السماء كما اسقطناها على اصحاب الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من
الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه
افتراء وهزوا وتهديد عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم
اشد خلقا ام هي وان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات
وتمام ركون على الحق المبين وقرئ يخسف ويسقط بالياء لقوله تعالى أفترى على الله وكسفا بسكون السين ان في
ذلك اي فيما ذكر من السماء والارض من حيث احاطتهما بالنظر من جميع الجوانب او فيما تلي من الوحي الناطق
بما ذكر لآية واضحة لكل عبد منيب شانه الانابة الى ربه فانه اذا تأمل فيهما او في الوحي المذكور
ينزجر عن تعاطي القبائح وينيب الى الله تعالى وفيه حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله
تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا اي آتيناه بحسن انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام
اي نوعا من الفضل وهو ما ذكر بعد فانه معجزة خاصة به عم او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة
والكتاب والملك والصوت الحسن فتنكيره للتفخيم ومنا لتاكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما في
قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه
التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال أوبي
معه من التاويب اي رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بان يخلق الله فيها صوتا
مثل صوته كما خلق الكلام في الشجرة او بان يتمثل له ذلك وقرئ أوبي من الاوب اي ارجعي معه في
التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عم يسمع من الجبال ما يسمع من التسبيح معجزة له عم وقيل كان ينوح على
ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا
باضمار قلنا او من فضلا باضمار قولنا والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه
عم تسخيرها له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائي ولا الى تقدير مضاف اي تسبيح الطير كما نقل عنه
في رواية وقيل عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على
لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول
معه والاول هو الاظهر وفي تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه
المشعرة بانه ما من حيوان وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من
الفخامة المعربة عن غاية عظمة شانه تعالى وكمال كبريائه ما لا يخفى على اولي الالباب وألنا
له الحديد جعلناه لينا في نفسه كالشمع يصرفه في يده كيف يشاء من غير احماء ولا ضرب بمطرقة او جعلناه
بالنسبة الى قوته التي آتيناه اياها لينا كالشمع بالنسبة الى قوى سائر البشر أن اعمل امرناه ان اعمل على ان ان
مصدرية حذف منها الباء وقيل مفسرة لما في الانة الحديد من معنى الامر سابغات اي دروعا واسعات وقرئ صابغات
وهو اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح قالوا كان عم حين ملك على بني اسرائيل يخرج متنكرا فيسأل
الناس عنه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى له ملكا
في صورة آدمي فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا انه
يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه تعالى
صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء
وقدر في السرد اي اقتصد في نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر مساميرها
فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا [illegible]
[illegible] واعملوا صالحا [illegible]
[illegible] بما تعملون بصير [illegible] ولسليمان الريح
الريح اي وسخرنا لسليمان الريح وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر اي جريها بالغداة

مسير شهر وجريها بالعشي كذلك والجملة اما مستانفة او حال من الريح وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن
كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه ببابل وقيل كان يتغدى بالري ويتعشى
بسمرقند ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان عم نحن نزلناه
وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون عنه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى
واسلنا له عين القطر اى النحاس المذاب اساله من معدنه كما الان الحديد لداود عليهما السلام فنبع
منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام
وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه اما جملة من مبتدا وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن
الجن حال متقدمة باذن ربه بامره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اى ومن يعدل
منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير
اى عذاب النار في الاخرة وروى عن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه
من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب الخ بيان لما
يشاء اى من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها وقيل هي المساجد
وتماثيل وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ في المساجد ليراها الناس
ويعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروى انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه
ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان
جمع جفنة وهي الصحفة كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء فيها وهي من
الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور راسيات
ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا
نصب على انه مفعول له او مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له او لفعله المحذوف اى اشكروا شكرا
او حال شاكرين او مفعول به اى اعملوا شكرا وقليل من عبادي الشكور اى المتوفر على اداء الشكر بقلبه
ولسانه وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر
لا الى نهاية له ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروى ان داود عم جزأ ساعات الليل والنهار
على اهله فلم تكن تاتي ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلي فلما قضينا عليه الموت
اى على سليمان عم ما دلهم اى الجن او آله على موته الا دابة الارض اى الارضة اضيفت الى فعلها
وقرئ بفتح الراء وهو تاثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت
القوادح اسنانه اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته اى عصاه من نسات البعير اذا طردته لانه يطرد
بها ما يطرد وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف
ومنساته على مفعالة كميضاة في ميضاءة ومن ساته اى من طرف عصاه من سية القوس وفيه لغتان
كما في قحة بالكسر والفتح وقرئ اكلت منساته فلما خر تبينت الجن من تبينت الشيء اذا علمته بعد
التباسه عليك اى علمت الجن علما بينا بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين اى انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته عم حينما وقع فلم يلبثوا بعده
حولا في تسخيره الى ان خر او من تبين الشيء اذا ظهر وتجلى اى ظهرت الجن وان مع ما في حيزها بدل الاشتمال
من الجن اى ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الخ وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين
في الحقيقة هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى
ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى
ان داود اسس بنيان بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عم فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان
عليهما السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سال ربه ان يعمي عليهم
موته حتى يفرغوا منه ولتبطل دعواهم علم الغيب فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب
فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا به من الاعمال حتى

اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عم فلم يكن ينظر اليه
شيطان في صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا
العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في
يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وبقي في ملكه اربعين سنة وابتدا
بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبا بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى
اثر بيان احوال الشاكرين اى لاولاد سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه
اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخرجها بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد
وقرئ بلفظ الجمع اى مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مارب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال
آية دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على ما يشاء من الامور
البديعة المجازي للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام
جنتان بدل من آية او خبر لمبتدا محذوف اى هي جنتان او في معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح
جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة من تينك
الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن
شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا
لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب
غفور استئناف مبين لما يوجب الشكر المامور به اى بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم ما فيها
من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كان طيب
هواها وخصبها وكانت المراة تخرج وعلى راسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ
المكتل مما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيها من موذيات الهوام شئ فاعرضوا عن الشكر بعد ابانة الايات
الداعية لهم اليه قيل ارسل الله اليهم ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم بنعمه وانذروهم
عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم سيل العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم
اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر
الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس
بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في
سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفار الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه
الله على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقرئ العرم بسكون الراء قالوا كان
ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ونبينا عليهما السلام وبدلناهم بجنتيهم اى اذهبنا جنتيهم وآتيناهم
بدلهما جنتين ذواتي اكل خمط اى ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله
وقيل هو الحامض والمر من كل شئ وقيل ثمرة شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا
ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجرة ذي شوكة والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف اكل واثل وشئ من سدر قليل معطوفات
على اكل لا على خمط بالاضافة وبتخفيف اكل فان الاثل هو الطرفا وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر
له وقرئ واثلا وشيئا على جنتين وقيل وصف السدر بالقلة لما ان جناه وهو النبق مما يطيب اكله
ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يوكل من ثمره وينتفع بورقه لغسل
اليد وصنف له ثمرة عفصة لا توكل اصلا ولا ينتفع به وهو الضال والمراد ههنا هو الثاني حتما وقال
قتادة كان شجرهم خير الشجر [illegible] الى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة
والتهكم ذلك اشارة [illegible] ه تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى
البعد للايذان ب [illegible] ه في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر موكد للفعل
المذكور وعلى الثاني النصب على انه مفعول ثان له اى ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر

وذلك التبديل جزيناهم لا بغيره بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ضدها
أو بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازي إلا الكفور أي وما نجازي هذا الجزاء إلا المبالغ في الكفران أو الكفر
وقرئ يجازى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجزى
على البناء للمفعول أيضا وهذا بيان ما أوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران
وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما أوتوا من النعم
البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم و
بيانا لعاقبتهم وإنما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرار من زيادة تنبيه وتذكير وهو عطف
على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل الناطقة بإغفالهم أو بأجزيتها أي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم
من فنون النعم بينهم أي بين بلادهم وبين القرى التي باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة متواصلة يرى
بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين أهلها أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة بعيدة عن
مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير أي جعلناها في نسبة بعضها إلى بعض على مقدار معين
يليق بحال أبناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في أخرى والرائح منها يبيت في أخرى إلى أن يبلغ
الشام كل ذلك تكميلا لما أوتوا من أنواع النعماء وتوفيرها في الحضر والسفر سيروا فيها على إرادة القول
أي وقلنا لهم سيروا في تلك القرى ليالي وأياما أي متى شئتم من الليالي والأيام آمنين من كل ما تكرهونه
لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين وإن تطاولت مدة سفركم وامتدت أياما
وليالي كثيرة أو سيروا فيها ليالي أعماركم وأيامها لا تلقون فيها إلا الأمن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل
تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه وأسبابه على الوجه المذكور منزلة أمرهم بذلك فقالوا ربنا
باعد بين أسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد
والتعب كما طلب بنو إسرائيل الثوم والبصل مكان المن والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا أبعد لكان
أجدر أن نشتهيه وسألوا أن يجعل الله تعالى بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل
ويتزودوا الأزواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله تعالى لهم الإجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة
وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعّد وربنا بعّد بين سفرنا وبعّد بين أسفارنا على
النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد
بين أسفارنا وبين سفرنا وبعّد برفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الأول وهو استبعاد مسايرهم
قصرها ودنوها وسهولة سلوكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كأنهم
يتشاكون على الله ويتحازنون عليه وظلموا أنفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة
أو غمطوها فجعلناهم أحاديث أي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين
بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق أي فرقناهم كل تفريق على أن الممزق مصدر أو كل مطرح ومكان
تفريق على أنه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الأمر والدلالة على
شدة التأثير والإيلام ما لا يخفى أي مزقناهم تمزيقا لا غاية وراءه بحيث يضرب به الأمثال في كل
فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة والأزد بعمان وأصل قصتهم
على ما رواه الكلبي عن أبي صالح أن عمرو بن عامر من أولاد سبأ وبينهما اثنا عشر أبا وهو الذي يقال
له مزيقيا بن ماء السماء أخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتغريق سيل العرم الجنتين
وعن أبي زيد الأنصاري أن عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم أنه لا بقاء له بعد وقيل إنه كان كاهنا
وقد علمه بكهانته فباع أملاكه وسار بقومه وهم ألوف من بلد إلى بلد حتى انتهى إلى مكة المعظمة
وأهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني إسماعيل عليه السلام وغيرهم فأرسل إليهم ثعلبة بن
عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم إلى أن يرجع إليه رواده الذين أرسلهم إلى أصقاع البلاد يطلبون له
موضعا يسعه ومن معه من قومه فأبوا فاقتتلوا فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم إلا الشريد وأقام ثعلبة
بمكة وما حولها في قومه وعساكره حولا فأصابتهم الحمى فاضطروا إلى الخروج وقد رجع إليه رواده فافترقوا

فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الأزد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل
الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بالمدينة وهم الأنصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت
خزاعة بمكة فأقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي أمر مكة وحجابة البيت ثم جاءهم
أولاد إسماعيل عم فسألوهم السكنى معهم وحولهم فأذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس أن فروة بن مسيك
القطيفي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال عم هو رجل كان له عشرة أولاد ستة منهم سكنوا اليمن
وهم مذحج وكندة والأزد والأشعريون وحمير وأنمار منهم بجيلة وخثعم وأربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم
وجذام وعاملة وغسان لما هلكت أموالهم وخربت بلادهم تفرقوا أيدي سبأ شذر مذر فنزلت طوائف
منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت الأوس والخزرج بيثرب فكانوا أول من سكنها ثم نزل عندهم
لت ثلاث قبائل من اليهود بنو قينقاع وبنو قريظة والنضير فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم ونزلت
أخرى منهم بالشام وهم الذين تنصروا فيما بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبأ
تجمع هذه القبائل كلها والجمهور على أن جميع العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبأ
وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة ومضر وأما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها إلى قحطان و
بعضهم إلى عدنان والله أعلم إن في ذلك أي فيما ذكر من قصتهم لآيات عظيمة لكل صبار شكور
أي شأنه الصبر عن الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك
لأنهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم إبليس ظنه أي حقق عليهم ظنه أو وجده صادقا وقرئ بالتخفيف
أي صدق في ظنه أو صدق ظنا ظنه ويجوز تعدية الفعل إليه بنفسه لأنه نوع من القول وقرئ بنصب إبليس
ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال له الصدق حين خيله إغواءهم و
بالتخفيف على الإبدال وذلك ما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات أو ببني آدم حين شاهد آدم
عم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته أضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند إخبار الله تعالى الملائكة
أنه يجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وقال لأضلنهم ولأغوينهم فاتبعوه أي أهل سبأ أو الناس
إلا فريقا من المؤمنين أي فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه على أن من بيانية وتقليلهم بالإضافة إلى الكفار
أو إلا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان أي تسلط واستيلاء
بالوسوسة والاستغواء وقوله تعالى إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك استثناء مفرغ منها
من أعم العلل ومن موصولة أي ما كان تسلطه عليهم إلا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزا ممن هو في شك
منها تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء أو ليتميز المؤمن من الشاك أو ليؤمن من قدر إيمانه ويشك
من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وربك على كل شيء حفيظ أي محافظ
عليه فإن فعيلا وفاعلا متآخيان قل أي للمشركين إظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا
لهم ادعوا الذين زعمتم أي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الأول تخفيفا لطول
الموصول بصلته والثاني لقيام صفته أعني قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل إلى جعله
مفعولا ثانيا لأنه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لأنهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم
من جلب نفع أو دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم إن صح دعواكم ثم أجاب عنهم إشعارا بتعين الجواب وأنه
لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع وضر في السموات ولا في الأرض أي
في أمر ما من الأمور وذكرهما للتعميم عرفا أو لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها
أرضية كالأصنام أو لأن الأسباب القريبة للخير والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم
وما لهم فيهما من شرك أي شركة لا خلقا ولا ملكا ولا تصرفا وما له أي لله تعالى منهم من
ظهير [illegible] ولا تنفع الشفاعة عنده أي لا توجد رأسا كما في قوله
ولا ترى الضب بها ينجحر [illegible] الذي تقع عنده إلا لمن أذن له تعلق النفي بنفعها لا بوقوعها
تفريع على نفي ما هو [illegible] وقوله تعالى إلا لمن أذن له استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي
لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له في الشفاعة من النبيين والملائكة ونحوهم من

المستأهلين لمقام الشفاعة فتبين حرمان الكفرة منها بالكلية أما من جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الإذن
لها مع ضرورة استحالة الإذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق وأما من جهة من يعبدونه من الملائكة
فلأن إذنهم مقصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا
ومن البين أن الشفاعة للكفرة بمعزل من الصواب ولا تنفع الشفاعة من الشفعاء المستأهلين لها في حال من
الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أي لأجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة وأما من عداهم من غير المستحقين لها
فلا تنفعهم أصلا وإن فرض وقوعها وصدورها من الشفعاء إذ لم يؤذن لهم في شفاعتهم بل في شفاعة
غيرهم فعلى هذا يثبت حرمانهم عن شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الأصنام بدلالته إذ حين
حرموها من جهة القادرين على شفاعة بعض المحتاجين إليها فلأن يحرموها من جهة العجزة عنها أولى وقرئ
أذن مبنيا للمفعول حتى إذا فزع عن قلوبهم أي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة
فهم من موقف الاستشفاع بمعزل من التفزيع عن قلوبهم بألف منزل والتفزيع إزالة الفزع ثم ترك ذكر
الفزع وأسند الفعل إلى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاستعداد بوقوع الإذن لمن
أذن له فإنه مسبوق بالاستيذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كأنه سئل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون
في موقف الاستيذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى إذا أزيل الفزع عن قلوبهم بعد
اللتيا والتي وظهر لهم تباشير الإجابة قالوا أي المشفوع لهم إذ هم المحتاجون إلى الإذن والمهتمون بأمره
ماذا قال ربكم أي في شأن الإذن قالوا أي الشفعاء لأنهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون
بينهم وبينه عز وجل بالشفاعة الحق أي قال ربنا القول الحق وهو الإذن في الشفاعة للمستحقين لها وقرئ
الحق مرفوعا أي ما قاله الحق وهو العلي الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب
العزة عز وجل وقصور شأن كل من سواه أي هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لأحد من أشراف الخلائق أن يتكلم
إلا بإذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ فزع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء
المهملة والغين المعجمة أي نفي الوجل عنها وأفني من فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء وهو من الإسناد المجازي لأن
الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فأسند إليه على عكس قولهم جرى النهر وعن الحسن تخفيف الراء
وأصله فرغ الوجل وفني ثم حذف الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ افرنقع
عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من يرزقكم من السموات والأرض أمر عليه السلام بتبكيت المشركين بحملهم على الإقرار
بأن آلهتهم لا يملكون مثقال ذرة فيهما وأن الرازق هو الله تعالى فإنهم لا ينكرونه كما ينطق به قوله تعالى
قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون أحيانا
في الجواب مخافة الإلزام قيل له عليه السلام قل الله إذ لا جواب سواه عندهم أيضا وإنا أو إياكم لعلى هدى
أو في ضلال مبين أي وإن أحد الفريقين من الذين يوحدون المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية
ويخصونه بالعبادة والذين يشركون به في العبادة الجماد النازل في أدنى المراتب الإمكانية لعلى
أحد الأمرين من الهدى والضلال المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو
على الهدى ومن هو في ضلال أبلغ من التصريح بذلك لجريانه على سنن الإنصاف المسكت للخصم الألد وقرئ
وإنا وإياكم إما على هدى أو في ضلال مبين واختلاف الجارين للإيذان بأن الهادي كمن استعلى منارا
ينظر الأشياء ويتطلع عليها والضال كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئا أو محبوس في مطمورة لا يستطيع
الخروج منها قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون وهذا أبلغ في الإنصاف وأبعد من
الجدل والاعتساف حيث أسند فيه الإجرام وإن أريد به الزلة وترك الأولى إلى أنفسهم ومطلق العمل
إلى المخاطبين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عند الحشر والحساب ثم يفتح
بيننا بالحق أي يحكم بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين
النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي أن يقضى به قل أروني
الذين ألحقتم به شركاء أي ألحقتموهم أريد بأمرهم بإراءة الأصنام مع كونه مرأى منه عم
إظهار خطئهم العظيم وإطلاعهم على بطلان رأيهم أي أرونيها لأنظر بأي صفة ألحقتموها بالله

الذي ليس كمثله شيء في استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم بعد إلزام الحجة عليهم كلا ردع عن
المشاركة بعد إبطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم أي الموصوف بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة
فأين شركاؤكم التي هي أخس الأشياء وأذلها من هذه الرتبة العالية والضمير إما لله عز وجل أو للشأن
كما في قل هو الله أحد وما أرسلناك إلا كافة للناس إلا إرسالة عامة لهم فإنها إذا عمتهم فقد كفتهم
أن يخرج منها أحد منهم أو إلا جامعا لهم في الإبلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا سبيل إلى جعلها حالا
من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم
جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال ويقولون من فرط جهلهم وغاية غيهم متى هذا الوعد بطريق
الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله تعالى يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا إن
كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به قل لكم ميعاد يوم أي وعد
يوم أو زمان وعد والإضافة للتبيين وقرئ ميعاد يوم منونين على البدلية ويوما بإضمار أعني
للتعظيم لا تستأخرون عنه عند مفاجأته ساعة ولا تستقدمون صفة لميعاد وفي هذا الجواب
من المبالغة في التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستئخار في الاستحالة كالاستقدام الممتنع عقلا وقد
مر بيانه مرارا ويجوز أن يكون نفي الاستئخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجأة فيكون وصف الميعاد بذلك
لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه أي من الكتب القديمة
الدالة على البعث وقيل إن كفار مكة سألوا أهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروهم
أنهم يجدون في كتبهم نعته فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه القيامة ولو ترى إذ الظالمون
المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم أي في موقف المحاسبة يرجع بعضهم إلى بعض القول أي
يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع الخ يقول الأتباع للذين استكبروا
في الدنيا واستتبعوهم في الغي والضلال لولا أنتم أي لولا إضلالكم وصدكم عن الإيمان لكنا مؤمنين
باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا استئناف مبني على السؤال كأنه
قيل فماذا قال الذين استكبروا في الجواب فقيل قالوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل
كنتم مجرمين منكرين لكونهم هم الصادين لهم عن الإيمان مثبتين أنهم هم الصادون أنفسهم بسبب كونهم
راسخين في الإجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا إضرابا عن إضرابهم وإبطالا له بل
مكر الليل والنهار أي بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف إليه وأقيم مقامه الظرف
اتساعا أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب
الظرفين أي بل صدنا مكركم في الليل والنهار على أن التنوين عوض عن المضاف إليه أو عظيم على
الله للتفخيم وقرئ بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرون الإغواء في الليل والنهار على ما سبق
من الاتساع في الظرف بإقامته مقام المضاف إليه والنصب على المصدرية أي تكرون الإغواء مكر الليل
والنهار أي مكرا دائما وقوله تعالى إذ تأمروننا ظرف للمكر أي بل مكركم الدائم وقت أمركم لنا أن نكفر
بالله ونجعل له أندادا على أن المراد بمكرهم إما نفس أمرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة
الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا فإن الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى وأي نعمة وإما
أمور أخر مقارنة لأمرهم داعية إلى الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك وأسروا الندامة
لما رأوا العذاب أي أضمر الفريقان الندامة على ما فعلا من الضلال والإضلال وأخفاها كل منهما عن الآخر
مخافة التعيير أو أظهروها فإنه من الأضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا
أي في أعناقهم والإظهار في موقع الإضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على موجب أغلالهم هل يجزون إلا ما
كانوا يعملون أي لا يجزون إلا جزاء ما كانوا يعملونه أو إلا بما كانوا يعملونه على نزع الجار وما أرسلنا
في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بحظوظ
الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن

نذيرا بانه لم يرسل فقط الى اهل قرية من نذير الا قال مترفوهم مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقه عم وكادوا
يرجون ما كادوه به عم وقاسوا امور الآخرة الموهومة او المفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم
لو لم يكرموا على الله تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرموها وعلى ذلك
الرأي الركيك بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب
الاخروي رأسا او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الآخرة على تقدير وقوعها
قل ردا عليهم وحسما لمادة طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر الدين ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء ان يبسط له ويقدر على من يشاء ان يقدر عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى
ما فعل به من البسط والقدر فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما
معا وقد يضيق عليهما وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته
المبنية على الحكم البالغة فلا ينقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ
ويقدر بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار
القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع
الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستأنف من جهته عز وجل خوطب به
الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اي وما جماعة اموالكم واولادكم
بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث او بالخصلة
التي تقربكم وقرئ بالذي اي بالشيء الذي الا من آمن وعمل صالحا استثناء مفرغ من مفعول تقربكم
اي وما اموالكم ولا اولادكم تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي انفق ماله في سبيل الله تعالى وعلم اولاده
الخير ورباهم على الصلاح ورشحهم للطاعة وقرئ من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي الا اموال من
الخ فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي فاولئك المنعوتون
بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اي ثابت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة
خبر اولئك وفيه تأكيد لتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده
مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازى
الضعف ثم جزاء الضعف ومعناه ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا فما فوقها وقرئ جزاء الضعف
اي فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء بالرفع على ان الضعف بدل من جزاء بما عملوا من الصالحات وهم
في الغرفات اي غرفات الجنة آمنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرئ في الغرفة على
ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او زاعمين انهم يفوتوننا
اولئك في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء اي يوسعه
عليه تارة ويقدر له اي يضيقه عليه تارة اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا للنفح
نعم وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما آجلا وهو خير الرازقين فان غيره واسطة
في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا اي المستكبرين والمستضعفين وما كانوا يعبدون
من دون الله ويوم ظرف لمضمر متأخر سيأتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم
كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني الخ واقناطا
لهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة بالذكر لانهم اشرف شركائهم والصالحون
للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدأ الشرك بظهورهم وقصورهم عن رتبة المعبودية وتنزيههم عن عبادتهم يظهر
حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية
سؤال الملائكة كأنه قيل فماذا تقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك سبحانك انت ولينا
من دونهم والعدول الى الصيغة الماضي للدلالة على التحقق اي انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا
وبينهم كأنهم بينوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم

بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله تعالى وقيل كانوا يتمثلون
لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها
اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم
لبعض نفعا ولا ضرا من جملة ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبرؤ عما نسب اليهم الكفرة يخاطبون
بذلك على رؤوس الاشهاد اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة
رجائهم بالكلية والفاء ليست لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا
بل لترتيب الاخبار به عليه ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو
بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبادة لهم كأن نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة لة
والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز او لحمل عدم النفع على
تقدير العبادة وعدم الضر على تقدير تركها او لان دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك
اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول للذين
ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على لا يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيامة خطابا للملائكة مترتبا على
جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عم لما سيقال للعبدة يومئذ اثر حكاية ما سيقال للملائكة
اي يوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة كذا وكذا او يقولون كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا عذاب النار التي
كنتم بها تكذبون يكون من الاهوال والاحوال ما لا يحيط به نطاق المقال وقوله تعالى واذا تتلى عليهم
آياتنا بينات بيان لبعض آخر من كفراتهم اي اذا تتلى عليهم بلسان الرسول صلى الله عم آياتنا الناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله صلى الله عم الا رجل يريد ان يصدكم عما كان
يعبد آباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الآباء الى المخاطبين
لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد وقالوا ما
هذا يعنون القرآن الكريم الا افك اي كلام مصروف عن وجهه لعدم مطابقة ما فيه للواقع مفترى باسناده
الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اي لامر النبوة او الاسلام او القرآن على ان العطف لاختلاف العنوان بان
يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر ولا تأمل فيه ان هذا الا سحر مبين ظاهر
سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما
في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الباطل انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما آتيناهم من كتب
يدرسونها فيها دليل على صحة الاشراك كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به
يشركون وقوله تعالى ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ يدرسونها ويدرسونها
بالتشديد يفتعلون من الدرس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب
ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه فمن اين ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا
غاية تجهيل لهم وتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب الذين من قبلهم من الامم المتقدمة
والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم اي ما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا اولئك من
القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما آتينا هؤلاء من البينات والهدى فكذبوا رسلي
عطف على كذب الذين الخ بطريق التفصيل والتفسير كقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا
عبدنا الخ فكيف كان نكير اي انكاري لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل ذلك قل انما اعظكم بواحدة
اي ما ارشدكم وانصح لكم الا بخصلة واحدة هي ما دل عليه قوله تعالى ان تقوموا لله على انه بدل
منها او بيان لها او خبر مبتدأ محذوف اي هي ان تقوموا من مجلس رسول الله صلى الله عم او تنتصبوا للامر
خالصا لوجه الله تعالى معرضين عن المراء والتقليد مثنى وفرادى اي متفرقين اثنين اثنين و
واحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان
بانه اوثق واقرب الى الاطمئنان ثم تتفكروا في امره صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته
وحقيقته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة استئناف مسوق من جهته تعالى للتنبيه على طريقة النظر

والتأمل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والآخرة لا يتصدى لادعائه المجنون لا يبالي
بافتضاحه عند مطالبة البرهان وظهور عجزه او موقن مستغن عنه تعالى بوحي النبوة واثق بحجته
وبرهانه واذ قد علمتم انه عم ارجح العالمين عقلا واصدقهم قولا وازكاهم نفسا وافضلهم علما واحسنهم
عملا واجمعهم للكمالات البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم اليه ذلك معجزات تخر لها صم
الجبال ويجوز ان يتعلق بما قبله على معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان يكون ما
استفهامية على معنى ثم تتفكروا اي شيء به من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد
موعد بالآخرة فانه عم مبعوث في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اي اي شيء سألتكم
من اجر على الرسالة فهو لكم والمراد نفي السؤال رأسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني
شيئا فخذه وقيل ما موصولة اريد بها ما سألهم بقوله تعالى ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ
الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل الى الله تعالى منفعتهم
الكبرى وقرباه عم قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم صدقي وخلو
نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء قل ان ربي يقذف بالحق اي يلقيه وينزله على من يجتبيه من
عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام واعلاء
كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في يقذف او خبر ثان
لان او خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرئ بكسر الغين وبالفتح كصبور
مبالغة قل جاء الحق اي الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اي زهق الشرك بحيث لم
يبق أثره اصلا مأخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في الهلاك بالمرة
ومنه قول عبيد • اقفر من اهله عبيد • فليس يبدي ولا يعيد • وقيل الباطل ابليس لا يبدئ ولا يعيد وقيل ما
استفهامية منتصبة بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها
لانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى وان اهتديت
فبما يوحي الي ربي لان الاهتداء بهدايته وتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء انه سميع قريب يعلم قول كل من
المهتدي والضال وفعله وان بالغ في اخفائهما ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وعن
ابن عباس ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف
اي لرأيت امرا هائلا فلا فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب
من ظهر الارض او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم والجملة
معطوفة على فزعوا وقيل على فلا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ واخذ
بالعطف على محله اي فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره
في قوله تعالى ما بصاحبكم وانى لهم التناوش التناول السهل اي ومن اين لهم ان يتناولوا
الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وهم منه بمعزل بعيد وهو تمثيل حالهم في
الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع
في الاستحالة وقرئ بالهمزة على قلب الواو لضمها وهو من نأشت الشيء اذا طلبته وعن ابي عمرو التناؤش بالهمزة
التناول من بعد من قولهم نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه قول من قال

• تمنى نئيشا ان يكون اطاعني • وقد حدثت بعد الامور امور •

وقد كفروا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد الذي انذرهم اياه من قبل من قبل ذلك في
اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في حق الرسول عم من
المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان بعيد من جهة بعيدة من حاله عم
حيث ينسبونه الى الشعر والسحر والكذب وان ابعد شيء مما جاء به • ابعد شيء من عادته المعروفة
فيما بين الداني والقاصي الكذب ولعله تمثيل حالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال
للوهم في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على كفروا به على حكاية

حكاية الحال الماضية او على تأويل فيكونون مثلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في
الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء كما فعل
باشياعهم من قبل اي باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في
الريبة او ذي ريبة والاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب
الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر [illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

سورة الملائكة خمس او ست واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من غير مثال يحتذي به ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق
طولا كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها
غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق جاعل الملائكة الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا
كما سبق وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة بالاتفاق واما على الاول فكذلك
عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل عليه لان اسم الفاعل اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم
الا معرفا باللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل في الثاني لانه باضافته
الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك لانه بالاضافة اشبه
المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل
الملائكة اي جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته
بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايضا حيث يوصلون اليهم آثار
قدرته وصنعه هذا على تقدير كون الجعل تصييريا اما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على
الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة لرسلا واولوا اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم
جمع لذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله تعالى مثنى وثلاث ورباع صفات
لاجنحة اي ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها
ويعرجون او يسرعون بها [illegible] جناحان وخلقا [illegible]
[illegible]
[illegible] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل ليلة
المعراج وله ستمائة جناح وروي انه عم سأل جبريل ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق
ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج عم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل صلوات الله عليهما في
صورته فغشي عليه ثم افاق وجبريل مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال
سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل ان له اثني
عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين
لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] ان الله على كل شيء قدير [illegible]
[illegible]
[illegible] ما يفتح الله للناس من رحمة [illegible]

بها المنا تسوت واعزة مما الاوتنكيرها للاشاعة بالابهام اى اى شئ يفتح الله من خزائن رحمته اية رحمة كانت
من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اى لا احد يقدر على امساكها
وما يمسك اى اى شئ يمسك فلا مرسل له اى لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين لما ان مرجع
الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثانى مطلق يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته
سبقت غضبه من بعده اى من بعد امساكه وهو العزيز الغالب على كل ما يشاء من الامور التى من
جملتها الفتح والامساك الحكيم الذى يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل
مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب الحكمة التى عليها يدور امر التكوين وبعد ما
بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد فى
ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمته فقال يا ايها الناس
اذكروا نعمة الله عليكم اى انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اى
راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم
الله تع مع تشعب فنونها منحصرة فى نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون فى الوجود شئ غيره
تعالى يصدر عنه احدى النعمتين بطريق الاستفهام الانكارى المنادى باستحالة ان يجاب عنه
بنعم فقال هل من خالق غير الله اى هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ محذوف
الخبر زيدت عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله كما انه نعت له فى قراءة الجر
باعتبار لفظه وقرى بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض اى بالمطر والنبات
كلام مبتدأ على تقدير لا محل له من الاعراب داخل فى حيز النفى والانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى
لخالق مرفوعة المحل او مجرورته لان معناه نفى وجود خالق موصوف بوصفى المغايرة والرازقية من غير تعرض
لنفى وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولا لما قيل من انه الخبر للمبتدأ ولا لما قيل من انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله
تعالى من خالق على الفاعلية اى هل يرزقكم من خالق الخ لما ان معناه نفى
رازقية خالق مغاير له تع من غير تعرض لنفى وجوده راسا مع انه المراد حتما الا ترى الى قوله تعالى لا اله الا هو
فانه استئناف مسوق لتقرير النفى المستفاد منه قصدا وجار مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة فتعين كون
هذا ناطقا بنفى الوجود دفعا لان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفاء فى قوله تعالى فانى تؤفكون لترتيب
انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا ثبت تفرده تعالى بالالوهية والخالقية
والرازقية فمن اى وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك
تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه من خطاب الناس مسارعة الى تسليته عم بعموم البلية اولا
والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اى وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت
عليهم الحجة والقمتهم الحجر فتأس باولئك الرسل فى المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء
بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والحث على المصابرة اى رسل اولو شأن
خطير وذوو عدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازى كلا منك ومنهم بما انتم عليه من الاحوال التى من
جملتها صبرك وتكذيبهم وفى الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من
المبالغة فى الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرى ترجع بفتح التاء من الرجوع والاول ادخل فى التهويل يا ايها الناس
رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتاكيد العظة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله تعالى والى الله ترجع الامور من
البعث والجزاء حق ثابت البتة لا محالة من غير خلف فلا تغرنكم الحيوة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها
ويلهيكم التلهى بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمراد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه
النهى صورة اليها كما فى قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقى ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه تعالى الغرور اى المبالغ
فى الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصى قائلا اعملوا ما شئتم ان الله غفور يغفر
الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطى الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع
الطبيعة وتكرير فعل النهى للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين فى الكيفية وقرى الغرور بالضم على انه مصدر

مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم
للاهتمام به فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له فى عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه فى مجامع احوالكم وقوله
تعالى انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من
طاعته بالتنبيه على ان غرضه فى دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم
ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين فى الدنيا عند سعى بعضهم فى حاجة بعض بل هو توريطهم
والقاؤهم فى العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة
الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يبلغ مداه والذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذى من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير
لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اما تقرير لما سبق من التباين البين بين عاقبتى الفريقين
ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لانكار ترتيب ما بعدها على ما قبلها اى أبعد
كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار
الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون تفاوت بينهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى
فان الله يضل من يشاء الخ تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئته تعالى اى فانه تعالى يضل من يشاء
ان يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدى من يشاء ان
يهديه لصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلى عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عم عن التحسر
والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا اهلا لذلك بل لان يضرب عنهم صفحا ولا يبالى بهم قطعا
اى ابعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم
حسرات دلالة بينة واما تمهيد لطرده عم عما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة فى
دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر لكونه فى غاية الحسن عندهم اى ابعد ما ذكر من زين له الكفر من
قبل الشيطان فرآه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع فى اسلامه وتتعب نفسك فى دعوته فحذف
ما حذف لدلالة ما اشير من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الخ على انه ممن شاء الله ان يضله فمن يهدى من
اضل الله وما لهم من ناصرين وقرى فلا تذهب نفسك وقوله حسرات اما مفعول له اى فلا تهلك نفسك للحسرات
والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه عم على احوالهم او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتأسف والتحسر عليهم
صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات
لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كانها صارت كلها حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون
اى من القبائح تذييل لتسليته عم مع ما فيه من الوعيد [illegible] عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الآية نزلت فى ابى جهل و
مشركى مكة والله الذى ارسل الرياح مبتدأ وخبر وقرى الريح وصيغة المضارع فى قوله تعالى فتثير سحابا
لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان
احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها والفاء للدلالة على [illegible] الآثار فسقناه الى بلد ميت وقرى ميت
بالتخفيف فاحيينا به الارض اى بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما فى الذهن
كما فى الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اى يبسها والعدول الى صيغة الماضى للدلالة
على التحقق واسنادهما الى نون العظمة المنبئ عن اختصاصهما به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع ولتكميل المماثلة
بين احياء الارض وبين البعث الذى شبه به بقوله تعالى كذلك النشور فى كمال الاختصاص بالقدرة الربانية
والكاف فى حيز الرفع على الخبرية اى مثل ذلك الاحياء الذى تشاهدونه احياء الاموات فى صحة المقدورية
وسهولة التأتى من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف فى الاول دون الثانى وقيل فى كيفية الاحياء يرسل
الله تعالى ماء من تحت العرش [illegible] فينبتون منه الخلق من كان يريد العزة
بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين
آمنوا بالسنتهم كما فى قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة
والجمع بينهما لان الكل من باب الارادة والاستزادة فلله العزة جميعا اى فليطلبها من الله تعالى

لا الى غيره عزة الدنيا وعزة الآخرة اى فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا
بان اختصاص العزة به تعالى موجب لتخصيص طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب و
العمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن
قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتناء به وتقوية
ثم هو الذي يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات اى اليه يصعد الكلم الطيب الذي به يطلب
العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد فقط وهو يعرضه صاحبه ويعطي طلبته والمستكن في
يرفعه للكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بنصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان
ويقويه وينال الدرجات العالية الابد وقرئ يصعد من الاصعاد على البناء والمصعد هو الله
سبحانه او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القرآن وعن
عنه عليه السلام انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قاله العبد عرج به الملك الى
السماء فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما من عبد مسلم
يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك فجعلهن
تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بهن وجه رب
العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب الخ والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم
الخبيث والعمل السيئ واهلهما بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة
للمصدر المحذوف اى يمكرون المكرات السيئات وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداولهم
الراي في احدى الثلاث التي هي الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكراتهم عذاب شديد لا يقادر
قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم
بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي
امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان اى ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به
هو يبور اى هو يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابارهم الله تعالى بعد ابارة مكرهم حيث اخرجهم
من مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله
خلقكم من تراب دليل آخر على صحة البعث والنشور اى خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام خلقا اجماليا
كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اى اصنافا
او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم زوجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اى ملتبسة
بعلمه تابعة لمشيئته وما يعمر من معمر اى من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اى وما يمد في عمر احد
ولا ينقص من عمره اى من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على معنى لا ينقص
عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص في عمر واحد باعتبار اسباب
مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب فيه ان حج فلان فعمره ستون والا فاربعون واليه اشار عليه السلام بقوله
الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وقيل المراد بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه
يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب يوم ذهب يومان وهكذا حتى ياتي على آخره
وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون الميم الا في كتاب عن ابن عباس انه اللوح وقيل علم الله
عز وجل وقيل صحيفة كل انسان ان ذلك اى ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محارا للعقول والافهام
على الله يسير لاستغنائه عن الاسباب فكذلك البعث وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ
شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره
لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى ومن كل
اى من كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وتستخرجون اى من الملح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد في صفة
البحرين وما فيهما من النعم والمنافع واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان
من حيث انهما متفاوتان فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته

فطرته لا يساوي الكافر المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما
هو الخاصة العظمى لبقاء احدهما على فطرته الاصلية وحيازته لكمالها اللائق دون الآخر او تفضيل
للاجاج على الكافر من حيث انه يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على
طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان
وترى الفلك فيه اى في كل واحد منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب
لكل احد يتاتى منه الرؤية دون المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة
بريح واحدة لتبتغوا من فضله من فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها
بما يدل عليه الافعال المذكورة اى فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون اى ولتشكروا على ذلك وحرف
الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل بزيادة احدهما
ونقص الآخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الآخر وسخر الشمس والقمر عطف على يولج واختلافهما صيغة لما
ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجدد حينا فحينا واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه وانما المتعدد
والمتجدد آثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري اى بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات
اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة جريا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم
القيامة كما روي عن الحسن وقيل جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل المسمى عن
منتهى دورتهما ومدة الجريان للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم اشارة الى
فاعل الافاعيل المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة
اى ذلكم العظيم الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على
ان ابداعه تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما مبتدأ
في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى
بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة والحقارة
ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال ما يدعون بانه
جماد ليس من شانه السماع ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم عن الافعال بالمرة
لا انهم متبرؤون منهم ومما يدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا ويوم القيامة
يكفرون بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك
مثل خبير اى لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير بكنه الامور دون
سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم من الالهية يا ايها الناس انتم
الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم
كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم
بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد اى المستغني على الاطلاق
المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ليسوا على صفتكم
بل مستمرون على الطاعة او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك اى ما ذكر من الاذهاب بكم والاتيان
بآخرين على الله بعزيز بمتعذر ولا متعسر ولا تزر وازرة وزر اخرى اى لا تحمل نفس آثمة
وزر نفس اخرى بل انما تحمل كل منها وزرها واما ما في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم
من حمل المضلين اثقال الضالين فهو حمل اثقال ضلالهم مع اثقال اضلالهم وكلاهما اوزارهم ليس فيها
من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة الى حملها اى نفس اثقلتها الاوزار الى حمل بعض اوزارها لا يحمل
منه شيء ولو كان المدعو المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ
ذو قربى على ان كان تامة والاول اعتبار استيناف سيق لبيان
من يتعظ بما ذكر انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اى يخشونه تعالى غائبين عن

عذابه أو عن الناس في خلواتهم أو يخشون عذابه وهو غائب عنهم وأقاموا الصلوة أي داوموها كما ينبغي وجعلوها
منارًا منصوبًا وعلمًا مرفوعًا أي إنما ينفع إنذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك دون من عداهم من أهل التمرد
والفساد ومن تزكى أي تطهر من دنس الأوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الإنذارات فإنما يتزكى لنفسه
لاقتصار نفعه عليها كما أن من تدنس بها لا يدنس إلا عليها وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مقرر لخشيتهم
وإقامتهم الصلوة لأنهما من معظم مبادي التزكي وإلى الله المصير لا إلى أحد غيره استقلالًا ولا اشتراكًا فيجازيهم
على تزكيهم أحسن الجزاء وما يستوي الأعمى والبصير أي الكافر والمؤمن ولا الظلمات ولا النور أي
ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع إفراد النور لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور
أي ولا الثواب ولا العقاب وإدخال لا على المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما للتأكيد و
الحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما يهب نهارًا والحرور ما يهب ليلًا وما يستوي
الأحياء ولا الأموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين أبلغ من الأول ولذلك كرر الفعل وأوثر صيغة
الجمع في الطرفين تحقيقًا للتباين بين أفراد الفريقين وقيل تمثيل للعلماء والجهلة إن الله يسمع من يشاء
أن يسمعه ويوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما أنت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على
الكفر بالأموات وإشباع في إقناطه عن إيمانهم إن أنت إلا نذير فما عليك إلا الإنذار وأما الإسماع
البتة فليس من وظائفك ولا حيلة لك إليه في المطبوع على قلوبهم إنا أرسلناك بالحق أي محقين
أو محقًا أنت أو إرسالًا مصحوبًا بالحق ويجوز أن يتعلق بقوله تعالى بشيرًا ونذيرًا أي بشيرًا بالوعد الحق و
نذيرًا بالوعيد الحق وإن من أمة أي ما من أمة من الأمم الدارجة في الأزمنة الماضية إلا خلا أي مضى
فيها نذير من نبي أو عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بأن النذارة قرينة البشارة لا سيما وقد قرن
بها آنفًا ولأن الإنذار هو الأنسب بالمقام وإن يكذبوك أي أصروا على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم
فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم العاتية جاءتهم رسلهم بالبينات أي المعجزات الظاهرة الدالة
على نبوتهم وبالزبر كصحف إبراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والإنجيل والزبور على إرادة التفصيل دون
الجمع ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير العنوانين ثم أخذت الذين كفروا وضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة والإشعار بعلة الأخذ فكيف كان نكير أي إنكاري بالعقوبة وفيه مزيد
تشديد وتهويل لها ألم تر استئناف مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف أحوال الناس ببيان أن الاختلاف
والتفاوت أمر مطرد في جميع المخلوقات من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية أي ألم تعلم
أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به بذلك الماء والالتفات لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه
من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة ثمرات مختلفًا ألوانها أي أجناسها وأصنافها على أن
كلا منها ذو أصناف مختلفة أو هيئاتها وأشكالها أو ألوانها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها
وهو الأوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد أي ذو جدد أي خطط وطرائق يقال جدة
الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو
الطريق الواضح بيض وحمر مختلف ألوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض
أو على جدد كأنه قيل ومن الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو
تأكيد لمضمر يفسره ما بعده فإن الغربيب تأكيد للأسود كالفاقع للأصفر والقاني في قول النابغة
والمؤمن العائذات الطير يمسحها وفي مثله مزيد تأكيد لما فيه من التكرار باعتبار الإضمار والإظهار
ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه أي ومنهم بعض مختلف ألوانه على ما مر في
قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وإيراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما قبلهما من
الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونها على تباين الناس في الأحوال الباطنة لما أن اختلاف الجبال
والناس والدواب والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار وأما
إخراج الثمرات المختلفة فحيث كان أمرًا حادثًا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع
خفاء علق به الرؤية بطريق الاستفهام التقريري المنبئ عن الحمل عليه والترغيب فيها بخلاف أحوال

أحوال الجبال والناس وغيرهما فإنها مشاهدة غنية عن التأمل فلذلك جردت عن التعليق بالرؤية فتدبر
وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله مختلف أو صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف
اختلافًا كائنًا كذلك أي كاختلاف الثمار والجبال وقرئ ألوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة
في الهرب من التقاء الساكنين وقوله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله إنما تنذر
الذين يخشون ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين
مراتبهم أما في الأوصاف المعنوية فبطريق التمثيل وأما في الأوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية
لكل واحدة منهما حقها اللائق بها من البيان أي إنما يخشاه تعالى بالغيب العالمون به عز وجل وبما يليق
به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان أعلم به تعالى
كان أخشى منه عز وجل كما قال عليه السلام أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك عقب بذكر المعرفة امتنع إنذارهم
بالكلية وتقديم المفعول لأن المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الأمر وقرئ برفع الاسم الجليل و
نصب العلماء على أن الخشية مستعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيبًا إن الله عزيز غفور تعليل
لوجوب الخشية لدلالته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه إن الذين يتلون
كتاب الله أي يداومون على قراءته أو متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانًا والمراد بكتاب الله
القرآن وقيل جنس كتب الله فيكون ثناء على المصدقين من الأمم بعد اقتصاص حال المكذبين
منهم وليس بذاك فإن صيغة المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعها لما
سيأتي من توفية الأجور وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفًا ظاهرًا
مما لا سبيل إليه كيف لا والمقصود الترغيب في دين الإسلام والعمل بالقرآن الناسخ لما بين يديه
من الكتب فالتعرض لبيان حقيتها قبل انتساخها والإشباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوائد
العظيمة مما يوجب الرغبة في تلاوتها والإقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها
باطل قطعًا لما أن الباقي في مشروعية الأحكام لكن لا من حيث أنه حكمها بل من حيث أنه حكم القرآن وأما
تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الأجر فتدبر وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم
سرًا وعلانية كيفما اتفق من غير قصد إليهما وقيل السر في المسنونة والعلانية في المفروضة
يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر إن وقوله تعالى لن تبور أي لن تكسد ولن تهلك
بالخسران أصلًا صفة للتجارة جيء بها للدلالة على أنها ليست كسائر التجارات الدائرة بين الربح والخسران
لأنه اشتراء باق بفان والإخبار برجائهم من أكرم الأكرمين عدة قطعية بحصول مرجوهم وقوله
ليوفيهم أجورهم متعلق بلن تبور على معنى أنه ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم أجور
أعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزائن رحمته ما يشاء وقيل بمضمر دل عليه ما عد من
أفعالهم المرضية أي فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل يرجون على أن اللام للعاقبة إنه غفور شكور تعليل
لما قبله من التوفية والزيادة أي غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم أي مجازيهم عليها وقيل هو خبر إن الذين
ويرجون حال من واو وأنفقوا والذي أوحينا إليك من الكتاب وهو القرآن ومن للتبيين أو الجنس و
من للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقًا لما بين يديه أي أحقه مصدقًا لما تقدمه من
الكتب السماوية حال مؤكدة لأن حقيته تستلزم موافقته إياه في العقائد وأصول الأحكام إن الله بعباده
لخبير بصير محيط ببواطن أمورهم وظواهرها فلو كان في أحوالك ما ينافي النبوة لم يوح إليك مثل هذا
الحق المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على أن العمدة هي الأمور الروحانية
ثم أورثنا الكتاب أي قضينا بتوريثه منك أو نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحققه
وقيل أورثناه من الأمم السالفة أي أخرناه عنهم وأعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الأمة
من الصحابة ومن بعدهم ممن يسير بسيرتهم أو الأمة بأسرهم فإن الله تعالى اصطفاهم على سائر الأمم وجعلهم
أمة وسطًا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء إلى أفضل رسله عليهم الصلوات وليس
من ضرورة وراثة الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الآية

فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير في العمل به وهو المرجى لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين هم الذين يعملون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله باذن الله اي بتيسيره وتوفيقه تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب واما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول الحشر ثم يتلقاهم الله تع برحمته وقد روى ان عمر رضي الله عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وجل لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن اما بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا وخبره يدخلونها وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين ومآلهم بالذكر والسكوت عن الفريقين الاخرين وان لم يدل على حرمانهما من دخول الجنة مطلقا لكن فيه تحذيرا لهما عن التقصير وتحريض على السعي في ادراك شاو السابقين وقرئ جنات عدن وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية من اساور جمع اسورة اي يحلون بعض اساور من ذهب كائنة تفضل من سائر افراده ولؤلؤا بالنصب عطفا على محل من اساور وقرئ بالجر عطفا على ذهب اي من ذهب مرصع من لؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر سره في سورة الحج وقالوا اي يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة وعن ابن عباس حزن الاعراض والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وقيل هم المعاش وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور اي للمذنبين شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة اي دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب تعب المشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول له وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفاء كل منهما والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيدت استعارها كذلك اي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبونه صالحا والآن تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما نكرة موصوفة اي الم نمهلكم ولم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اي يتمكن فيه المتذكر من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وهو العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن آدم قال عم اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى وجاءكم النذير

النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك لانه في معنى قد شرحنا الخ والمراد بالنذير رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما معه من القرآن وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يقتضيه المقام والفاء في قوله تعالى فذوقوا لترتيب الامر بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير للتعليل ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اي لا يخفى عليه خافية فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور قيل انه تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاءه في ارضه والقى اليكم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته والمقت هو اشد البغض اي بغضا شديدا الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الآخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة قل تبكيتا لهم ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اي آلهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم اروني اي جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اي ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام آتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه اي حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير آتيناهم للمشركين كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الخ وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد في اثباته من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله اي يمسكهما كراهة ان تزولا او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما اي ما امسكهما من احد من بعده من بعد امساكه تع او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اي من اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير واي نذير اشرف الرسل عليه السلام ما زادهم اي النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا المكر السيء ثم ومكرا السيء ثم ومكر السيء وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقفة خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اي ما ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقله من المكذبين الى غيرهم والفا

تعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه وهي وجدان التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما **اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم** استشهاد على ما قبله من جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار ديار الامم الماضية العاتية والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اي اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة من قبلهم **وكانوا اشد منهم قوة** واطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوى ومحل الجملة النصب على الحالية وقوله تعالى **وما كان الله ليعجزه من شيء** اي ليسبقه ويفوته **في السموات ولا في الارض** اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استئصال الامم السالفة وقوله تعالى **انه كان عليما قديرا** اي مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك **ولو يؤاخذ الله الناس** جميعا **بما كسبوا** من السيئات كما فعل باولئك **ما ترك على ظهرها** اي ظهر الارض **من دابة** من نسمة تدب عليها من بني آدم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما ويعضده الاول قوله تعالى **ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى** وهو يوم القيمة **فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا** فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملئكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت والله اعلم

سورة يس مكية ثلاث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يس اما مسرود على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب او اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او النصب على انه مفعول لفعل مضمر وعليهما مدار قراءة ياسين بالرفع والنصب اي هذه ياسين او اقرأ ياسين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في فاتحة سورة البقرة من ان ما كانت من هذه الفواتح مفردة مثل صاد وقاف ونون او كانت موازنة لمفرد نحو طاسين وياسين وحاميم الموازنة لقابيل وهابيل يتأتى فيه الاعراب اللفظي ذكره سيبويه في باب اسماء السور من كتابه وقيل هو حركة بناء كما في حيث واين خصما يشهد بذلك قراءة ياسين بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للجد في الهرب عن التقاء الساكنين وعن ابن عباس ان معناه يا انسان في لغة طيء وقالوا المراد به رسول الله ولعل اصله يا انيسين فاقتصر على شطره كما قيل من الله في ايمن الله **والقرآن** بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم **الحكيم** اي المتضمن للحكمة او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة كما مر في صدر سورة لقمن **انك لمن المرسلين** جواب القسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عم لست مرسلا وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه بقوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم وفي تخصيص القرآن بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته عم من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من هذه الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا وقوله تعالى **على صراط مستقيم** خبر آخر لان او حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفيه تأييد له ببيان ان شريعته عم اقوم الشرائع واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه من جملة المرسلين بالشرائع **تنزيل العزيز الرحيم** نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالجر على انه بدل من القرآن واياما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القرآن بيانا لكمال

لكمال عراقته في كونه منزلا من عند الله عز وجل كانه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرأفة العامة حث على الايمان به ترهيبا وترغيبا واشعارا بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر اي نزل تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شان القرآن وعلى كل تقدير يفيد فضل تأكيد لمضمون الجملة القسمية **لتنذر** متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبما المضمر على الوجه الاخير اي نزله لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اي انك مرسل لتنذر **قوما ما انذر آباؤهم** اي لم ينذر آباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على ان ما نافية فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار او الذي انذره او شيئا انذره آباؤهم الابعدون على انها موصولة او موصوفة فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذار آبائهم الاقدمين على انها مصدرية فتكون نعتا لمصدر مؤكد اي لتنذر انذارا كائنا مثل انذارهم **فهم غافلون** على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب عليه والضمير للفريقين اي لم ينذر آباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية متعلق بقوله لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره عم او ارساله بغفلتهم المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر آباؤهم الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى **لقد حق القول على اكثرهم** جواب القسم اي والله لقد ثبت وتحقق البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم في اتباع خطوات الشيطان بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من القول قوله تعالى لابليس عند قوله لأغوينهم اجمعين لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعني بقوله تعالى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى **فهم لا يؤمنون** متفرع في الحقيقة على ذلك لا على ثبوت القول وقوله تعالى **انا جعلنا في اعناقهم اغلالا** تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم **فهي الى الاذقان** اي فالاغلال منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطؤن رؤسهم له **فهم مقمحون** رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون الى جهته **وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون** تتمة للتمثيل وتكميل له اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر في الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهو لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من خلق الله فهو بالضم وقرئ فاعشيناهم من العشا وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره **وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم** بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك وعدمه حسبما مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى **لا يؤمنون** استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال ما فيه الاستواء او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان من يتأثر منه فقيل **انما تنذر** اي انذارا مستتبعا للاثر

من اتبع الذكر اى القرآن بالتأمل فيه والعمل به ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب
اى خاف عقابه وهو غائب عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خائفا في سريرته ولم يغتر برحمته
فانه منتقم قهار كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي
هو العذاب الاليم فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على
ما قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشأن عظيم ينطوي عليه الانذار والتبشير
اجماليا اى نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان وهو حينئذ عدة كريمة بتحقيق
المبشر به ونكتب ما قدموا اى ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وآثارهم التي ابقوها من الحسنات
كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات والقناطر وغير ذلك من وجوه
البر ومن السيئات كأن يشيد قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي الشر والفساد فيما بين العباد وغير
ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين وقيل هي آثار المشائين الى المساجد
ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول ورفع آثارهم وكل شئ من الاشياء كائنا
ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشأن مظهر لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح
المحفوظ وقرئ كل شئ بالرفع واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة
بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط واخرى في ذكر حالة
غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين
اى بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اهل القرية مثلا لهؤلاء في الغلو في
الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اى طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب واصحاب القرية مفعوله
الاول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله
اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال
من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عم الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تع في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين
بناء على انه كان بامره تع لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اى فأتياهم
فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا اى فقوينا يقال عزز المطر الارض اذا لبدها وقرئ
بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به
بثالث هو شمعون فقالوا اى جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب
للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عم اثنين فلما قربا من المدينة
رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسألهما فاخبراه قال أمعكما آية فقالا نشفي
المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فقام فآمن حبيب وفشا الخبر وشفي
على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال
حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عم شمعون فدخل متنكرا وعاشر
حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين
فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله
الذي خلق كل شئ وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما
يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره فاخذا بندقتين فوضعاهما
في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون أرأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله
الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم
فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة
ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب
السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك
فلما رأى ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عم فهلكوا هذا قالوا

قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم في العناد واللجاج وركوبهم
متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر فيه مما يدل على ايمان احد سوى حبيب ولو ان الملك وقومه من جملة من آمنوا
لكان الظاهر ان تظاهروا الرسل وتساعدوهم فبلغوا في ذلك او قتلوا كدأب النجار الشهيد ولكان لهم
فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية على خوف من عتاة قومه فيعتزل عنهم
معتزلا بعيدا من الاعداد قالوا اى اهل انطاكية الذين لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا
من غير مزية علينا موجبة لاختصاصكم بما تدعونه ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي لاعمال ما بالا وما
انزل الرحمن من شئ مما تدعونه من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا
يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة
علم الله تع وزادوا اللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا اى من جهة ربنا الا البلاغ
المبين اى الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بينا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا عن عهدته فلا
مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او وما علينا شئ نطالب به من جهتكم الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور
وقد فعلناه فاي شئ تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا
تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا
لكل شر ووبال ويتشاءمون بكل ما لا يوافقها وان كان مستتبعا لسعادة الدارين او بناء على ان الدعوة
لا تخلو عن الوعيد بما يكرهونه من اصابة ضر متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم ان لم يؤمنوا فكانوا ينفرون
عنه وقد روي انه حبس عنهم القطر فقالوا لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم
منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم اى سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم
وقرئ طيركم أئن ذكرتم او وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه
اى تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى أتطيرتم لان ذكرتم
فان ذكرتم وان ذكرتم بغير استفهام واين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم
قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا للتوعد اى ليس
الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف في العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او في الظلم والعدوان ولذلك
توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان
ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة
بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي غيره احد قبل مبعثه وقيل كان في غار يعبد الله تعالى فلما بلغه
خبر الرسل عليهم السلام اتاهم واظهر دينه قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه ساعيا كأنه
قيل فماذا قال عند مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم
كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى اتبعوا من لا يسألكم
اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد وللتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم في اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوي
والاهتداء الى خير الدنيا والدين وما لي لا اعبد الذي فطرني تلطف في الارشاد بايراده في معرض المناصحة
لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم
الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول
فقال أأتخذ من دونه آلهة انكار ونفي لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر لا
تغن عني شفاعتهم شيئا اى لا تنفعني شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف
سيق لتعليل النفي المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك
وقرئ ان يردن بفتح الياء على معنى ان يوردني ضرا اى يجعلني موردا للضر اني اذا اى اذا اتخذت من
دونه آلهة لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع الضر بوجه ما على الخالق المقتدر الذي
لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز في الجملة اني آمنت بربكم خطاب
منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال

ذلك ولنا اكرمنا لاظهار صدورهم عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم روما للزيادة التقرير
ولظهار الاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذى ارسلكم او الذى تدعوننا الى الايمان به فاسمعون
اى اسمعوا ايمانى واشهدوا لى به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب
فى الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه
من اتخاذ الاصنام اربابا وقيل للناس جميعا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها
كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة
وهو فيها حى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول
لا المقول له لظهوره وللمبالغة فى المسارعة الى بيانه والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية
حاله ومقاله كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى بروحه لوجهه تعالى
فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله تعالى قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من
المكرمين فانه جواب عن سؤال نشا من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك الكرامة السنية
فقيل قال الخ وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول
فى الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء فى ذلك ككظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا
على خطاء عظيم فى امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا السعادة وقرئ من المكرمين
وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر
اى باى شئ غفر لى ربى يريد به تفخيم شان المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا
على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر
والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم شان الرسول صلى الله عليه
وما كنا منزلين وما صح فى حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شئ سببا
حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالصيحة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالاغراق
وجعلنا انزال الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى وما كنا
منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ونحوها ان كانت اى ما كانت الاخذة او العقوبة
الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عم وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كان تامة وقرئ الا زقية واحدة
من زقا الطاير اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار الخامدة رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة
فى الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد * وما المرء الا كالشهاب وضوئه
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع * يا حسرة على العباد تعالى فهذه من الاحوال التى حقها ان تحضرى
فيها وهى ما دل عليه قوله تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين
الذين نيطت بنصائحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف على
حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين وقد حق ان يكون تحسرا عليهم من جهته تعالى بطريق الاستعارة
لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتى ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار
وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل او المفعول ويا حسره
على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا اى الم يعلموا وهو معلق عن العمل فى قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم
من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ فى
الجملة كما نفذ فى قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم
اهلكنا على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين انفا وبين عدم كونهم غير راجعين
اليهم وقرئ بالكسر على الاستيناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل ح بدل اشتمال وان كل لما جميع لدينا
محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن
المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون
لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون ونكل عانه عن الكفر وقرئ لما بالتخفيف على ان ان

ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتاكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الخ وآية لهم الارض
الميتة بالتخفيف وقرئ بالتشديد وقوله آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما
متعلق بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها
استيناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض الميتة مبتدأ موصوف واحييناها
خبره والجملة مفسرة لآية وقيل الارض مبتدأ واحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها الارض
واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاولى لان مصب الفائدة هو كون الارض
آية لهم لا كون الآية هى الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون تقديم الصلة للدلالة
على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اى من انواع النخل والعنب
ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر
النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ
بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اى بعضا من العيون فحذف الموصوف
واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على راى الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتاخيره
عن تفجير العيون لانه من مبادى الثمار اى وجعلنا فيها جنات من نخيل ورتبنا مبادى اثمارها ليأكلوا من
ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات
الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهى لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون
وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى
ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد الاول قراءة عملت بلا هاء فان
حذف العائد من الصلة احسن من الحذف من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم
للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا
يشكرونها سبحان الذى خلق الازواج كلها استيناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره
على الآية المذكورة واستعظام ما ذكر فى حيز الصلة من بدايع آثار قدرته واسرار حكمته وروايع نعمائه
الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجيب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح
الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح فى الارض والماء اذا
ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه
من اسم ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة اقامة المصدر مقام الفعل ومن جهة الجنس علما
خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل
وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزيه التام والتبعيد الكلى عن السوء ففيه مبالغة من جهة اسناد
التنزيه الى الذات المقدسة فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به فالجملة على هذا
اخبار من الله تعالى بتنزهه وبراءته عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول حكم منه عز وجل
بل تلقين للمؤمنين ان يقولوه ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج
الاصناف والانواع مما تنبت الارض بيان لها والمراد به كل ما ينبت فيها من الاشياء المتنوعة وغيرها
ومن انفسهم اى خلق الازواج من انفسهم اى الذكر والانثى ومما لا يعلمون اى والازواج مما لم يطلعهم الله
تعالى على خصوصياته لعدم قدرتهم على الاحاطة بها ولما لم يتعلق بذلك شئ من مصالحهم الدينية
والدنيوية وانما اطلعهم على ذلك بطريق الاجمال على منهاج قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما نيط
به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ نحو كما
مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة لكيفية كونه آية اى نزيله ونكشف عن مكانه مستعار
من السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والالتصاق والاستعمال فخليقه ان يقال يسلخ
الاهاب من الشاة وقد يعكس ومنه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون اى داخلون فى الظلام مفاجاة

وفيه رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض **والشمس تجري لمستقر لها** لحد معين ينتهي اليه دورها
فشبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة
الى ان والشمس جرى لها في الحوت نون ونجم اولا استقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من
المشارق والمغارب فان لها في دورها ثلاثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من
مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر
لها على ان لا بمعنى ليس **ذلك** اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
بعلو رتبته التي يحار في فهمها العقول والافهام **تقدير العزيز** الغالب بقدرته على كل مقدور **العليم**
المحيط علمه بكل معلوم **والقمر قدرناه** بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ بالرفع على الابتداء اي
قدرنا له **منازل** وقيل قدرنا مسيره منازل وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية وعشرون الشرطان
البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة
العواء السماك الغفر الزباني الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد
السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت ينزل كل ليلة في
واحد منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان في آخر منازله وهو الذي يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس
حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما
لغتان كالبزيون والبزيون **القديم** العتيق وقيل هو ما مر عليه حول فصاعدا **لا الشمس ينبغي لها**
اي يصح ويتسهل لها **ان تدرك القمر** في سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في
الآثار والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او في سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس
للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها **ولا الليل سابق النهار** اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه
وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد
السبق مكان الادراك لانه الملائم لسرعة سيره **وكل** اي وكلهم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه الذي
هو الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف الاحوال
يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها **في فلك يسبحون** يسيرون بانبساط وسهولة
وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم الذين يستصحبونهم فان
الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان استقرارهم في السفن اشق و
استمساكهم فيها ابدع **في الفلك المشحون** اي المملوء وقيل هو فلك نوح عم وحمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم
الاقدمين وفي اصلابهم هؤلاء وذرياتهم وتخصيص الذرية بالذكر دونهم لانه ابلغ في الامتنان وادخل في
التعجيب الذي عليه يدور كونه آية **وخلقنا لهم من مثله** مما يماثل الفلك **ما يركبون** من الابل فانها سفائن
البر وعلى ما قبل التشبيه بالفلك من السفن والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات
العباد ليس لمجرد كون صنعتهم باقدار الله تعالى والهامه بل لمزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته
حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب
لانها باختيارهم كما ان التعبير عن ملابسة ذريتهم بفلك نوح عم بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار
وان نشأ نغرقهم الخ من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج
كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين وقرئ نغرقهم بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار
بانه قد تكامل ما يوجب هلاكهم من معاصيهم ولم يبق الا تعلق مشيئته تعالى به اي ان نشأ نغرقهم في
اليم مع ما حملناهم فيه من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جيء به في خلال الآية بطريق الاستطراد
لكمال التماثل بين الابل والفلك فكانها نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق **فلا صريخ لهم** اي
فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ
ولا هم ينقذون اي ينجون منه بعد وقوعه وقوله تعالى **الا رحمة منا ومتاعا** استثناء مفرغ من اعم
العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية المتأخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون لشيء من الاشياء الا لرحمة عظيمة

عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ وتمتيع بالحياة مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقابل
التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اي لنوع من الرحمة وتمتيع **الى حين** اي
الى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل فلم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام **واذا قيل لهم اتقوا** بيان
لاعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها وعدم تاملهم
فيها اي اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا **ما بين ايديكم وما خلفكم** من الآفات والنوازل
فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون او من الوقائع النازلة على
الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة او من نوازل السماء ونوائب الارض او من عذاب الدنيا
وعذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب وما تأخر **لعلكم ترحمون** اما حال من واو اتقوا او غاية له اي
راجين ان ترحموا او كي ترحموا فتنجوا من ذلك فاعرفتم ان مناط النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا
محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين** انها ما بينا
اما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص واما اذا كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن آيات
ربهم فلان يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية كانه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية
وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع
مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما
اجترؤوا عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمراد ما ينزل اليهم اثر من الآيات
القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة للاقبال
عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها من الآيات التي
من جملتها الآيات الثلاث المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم نزول الوحي وظهور تلك الامور لهم والمعنى
ما يظهر لهم آية من الآيات التي من جملتها ما ذكر من شؤونه الشاهدة بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية
الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان به تعالى وايثار ان يقال الا اعرضوا عنها
كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض
حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل والجملة في حيز النصب على
انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والاستثناء مفرغ من
اعم الاحوال اي ما تأتيهم آية من آيات ربهم في حال من احوالهم الا حال اعراضهم عنها او ما تأتيهم آية منها
في حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها **واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله** اي اعطاكم بطريق التفضل
والانعام من انواع الاموال عبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن
كما احسن الله اليك وتنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال بالامر وكذلك من التبعيضية اي اذا قيل
لهم بطريق النصيحة انفقوا مما اعطاكم الله من فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره
قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم زنادقة كانوا بمكة **للذين آمنوا** تهكما بهم وبما كانوا عليه من
تعليق الامور بمشيئة الله تعالى **انطعم** حسبما تقتضيه ثقتكم به **من لو يشاء الله اطعمه** اي على زعمكم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله
مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين من اموالهم التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام
يوهمون ان الله تعالى لما كان قادرا على اطعامهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم
عباده باسباب من جملتها حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوفيقهم لذلك **ان انتم الا في ضلال مبين**
حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله تعالى وقيل هو جواب من جهته تعالى لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم
ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي يقولون ذلك بطريق الاستهزاء مخاطبين لرسول الله ﷺ
والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم الآيات الدالة عليه وعيدا ومعنى القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما
باعتبار قرب العهد بالوعيد **ما ينظرون** جواب من جهته تعالى اي ما ينتظرون **الا صيحة واحدة** هي
النفخة الاولى **تأخذهم** فجأة **وهم يخصمون** اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم امر من

مخايلها كقوله تعالى فاخذتهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون فلا يغتروا بعدم ظهور علائمها ولا يزعمون انها لا
تأتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر
الياء للاتباع وبفتح الخاء على القاء حركة التاء عليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين
اذا كان الثاني مدغما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية
في شيء من امورهم اذا كانوا فيما بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون ان كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم
الصيحة فيموتون حيثما كانوا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اي ينفخ فيه
وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث اي القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم
مالك امرهم على الاطلاق ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ
بضم السين قالوا اي في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضر فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا
من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واوصل الفعل الى الضمير فيه بترشيح ودرم واشباها
باثم الاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح
باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين
النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيمة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا
ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك
وقرئ من بعثنا ومن هبنا بمن الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر اي من رقادنا او اسم مكان اريد به الجنس
فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدأ وخبر وما موصولة محذوفة
العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملائكة او المؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا
لهم عليه وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث فاذا هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم
الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه حتى تسألوا عن
الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عم فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا
وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
حق ان كانت اي ما كانت النفخة التي حكيت آنفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عم في الصور
فاذا هم جميع اي مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه من تهوين امر البعث والحشر والايذان
باستغنائهما عن الاسباب ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا
تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملونه على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملونه اي بمقابلته
او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة
وهذا حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم وقوله تعالى ان اصحاب
الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم
اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي حكايته مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة
الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشأن الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من
الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد هنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان
بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد
به افتضاض الابكار او السماع او ضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار
على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم
كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان
انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه
وهو متعلق بمحذوف وقع خبرا لان وفاكهون خبر آخر لها اي انهم مستقرون في شغل واي شغل في شغل عظيم الشأن متنعمون
بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع

الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين
وفي شغل بفتحتين وبفتحة وسكون وهي لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف
وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم
وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على ان
هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبر والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعاة الفواصل او هو والجاران
بما تعلقا به من الاستقرار اخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستأنف على انه متعلق بمتكئون
وهو خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدأ مؤخر وقرئ متكئين بالاول نصبا على الحال
من المستكن في الظرفين او احدهما وقيل هم تأكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون خبر آخر لها وعلى الارائك
متعلق به وكذا في ظلال او بمضمر هو حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة
كقباب جمع قبة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب
لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الخ بيان لما يتمتعون به في الجنة من
المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس و
محافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اي لهم فيها فاكهة كثيرة من كل نوع من
انواع الفواكه وما في قوله تعالى ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشأن
معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالدعاء دون ما عداه ثم صرح به دون تعالى لزيادة التقرير بالتحقيق
بعد التشويق كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة
بالذكر واياما كان فهو مبتدأ ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف
ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كون ما عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به
لانفسهم من مدعو عظيم الشأن او كل ما يدعون به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور واياما
ما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كالاشتراء
والاشتواء بمعنى الشوي والاحتمال اذا شوى وحمل لنفسه قيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى
يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء اي ما يدعو به اهل
الجنة يأتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة وبعضهم القراءة
بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على القراءة الاولى بدل من ما يدعون او خبر لمبتدأ
محذوف وقولا مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كائنة
قيل ولهم سلام او ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اي يسلم عليهم من جهته
تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة في تعظيمهم قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من
رب العالمين واما على القراءة الثانية فقد قيل انه خبر لما يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد
الشرف متوفر على ان الشرف مبتدأ ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اي ما يدعون سالم
لهم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على
الاختصاص وقيل هو مبتدأ محذوف الخبر اي لهم سلام اي تسليم قولا من رب رحيم او سلامة من الآفات
فيكون قولا مصدرا مؤكدا لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم
من جهته تعالى وفيه وقيل خبره الفعل المقدر ناصب لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما
بالنصب على الحالية اي لهم مرادهم سلاما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا
اليوم عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف نفس
الامر بخصوصه حتى يتحمل له مثال يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية
عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما مر في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية
وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين وحاليهما واما على مضمر ينساق اليه حكاية حال
اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشأن وفوزهم بنعيم مقيم يقصر عنه البيان فليقروا

بذلك عنا وامتازوا عنهم أيها المجرمون الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يُرى وأما ما قيل من أن المعنى ليمتاز بعضكم من بعض لما أن المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يترتب الامر المذكور عليه بل إنما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق تنزيل المترقب منزلة الواقع لا يجدي نفعا لأن مناط الإضمار انسياق الأفهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما نزلت تلك الحالة منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البارعة والحكمة الرائعة حسبما تحررت بيانه واسقط كونها مترقبة عن درجة الاعتبار بالكلية يكون التصدي للإضمار لما يتعلق به إخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الأمر بالامتياز وبين الأمر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم الخ والعهد الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة والمراد هنا ما كلفهم الله تعالى على ألسنة الرسل عليهم السلام من الأوامر والنواهي التي من جملتها قوله تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة الآية وقوله تعالى ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين وغيرهما من الآيات الكريمة الواردة في هذا المعنى وقيل هو الميثاق المأخوذ عليهم حين أخرجوا من ظهور بني آدم و أشهدوا على أنفسهم وقيل هو ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ إعهد بكسر الهمزة وأعهد بكسر الهاء وأحهد بالحاء كأن العين قلبت حاء وأحد بالادغام وهي لغة بني تميم إنه لكم عدو مبين أي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب الانتهاء عن المنهي عنه وقيل لتعليل النهي وأن اعبدوني عطف على أن لا تعبدوا وأن فيهما مفسرة للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والأمر أو مصدرية حذف عنها الجار أي ألم أعهد إليكم في ترك عبادة الشيطان وفي عبادتي وتقديم النهي على الأمر لما أن حق التخلية التقدم على التحلية كما في كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم فإنه إشارة إلى عبادته تعالى التي هي عبارة عن التوحيد والإسلام وهو المشار إليه بقوله تعالى هذا صراط علي مستقيم والمقصود بقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى ولقد أضل منكم جبلا كثيرا جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ و تأكيد التقريع ببيان أن جنايتهم ليست بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الأمم الخالية بسبب طاعتهم للشيطان والخطاب لمتأخريهم الذين من جملتهم كفار مكة خصوصا لزيادة التوبيخ والتقريع لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين و تشديد اللام وبضمتين وتخفيف وبضمة وسكون وبكسرتين وتخفيف وبكسرة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس أي وبالله لقد أضل منكم خلقا كثيرا وصنفا كثيرا عن ذلك الصراط المستقيم الذي أمرتكم بالثبات عليه فأصابهم لأجل ذلك ما أصابهم من العقوبات الهائلة التي ملأ الآفاق أخبارها وبقي مدى الدهر آثارها والفاء في قوله تعالى أفلم تكونوا تعقلون للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون أنها لضلالهم أو فلم تكونوا تعقلون شيئا أصلا حتى ترتدعوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التي كنتم توعدون استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند إشرافهم على شفير جهنم أي كنتم توعدونها على ألسنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان مثل قوله تعالى لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وقوله قال اخرج منها مذؤوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون أمر تنكيل وإهانة كقوله تعالى ذق إنك أنت ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم المستمر في الدنيا وقوله تعالى اليوم نختم على أفواههم أي نمنعها عن الكلام التفات إلى الغيبة للإيذان بأن ذكر أحوالهم القبيحة استدعى أن يعرض عنهم ويحكي أحوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما فيه من الإيماء إلى أن ذلك من مقتضيات الختم لأن الخطاب

الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ يختم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون روي أنهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيامة إني لا أجيز علي شاهدا إلا من نفسي فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وقيل تكليم الأركان وشهادتها دلالتها على أفعالها وظهور آثار المعاصي عليها وقرئ وتتكلم أيديهم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على أفواههم وقرئ ولتكلمنا أيديهم ولتشهد بلام الأمر والجزم ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الطمس تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء أي لو نشاء أن نطمس على أعينهم لفعلناه وإيثار صيغة الاستقبال وإن كان المعنى على المضي لإفادة أن عدم الطمس على أعينهم لاستمرار عدم المشيئة فإن المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في إفادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه بحسب المقام كما مر في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط أي فأرادوا أن يستبقوا إلى الطريق الذي اعتادوا سلوكه على أن انتصابه بنزع الجار أو هو بتضمين الاستباق معنى الابتدار أو بالظرفية فأنى يبصرون الطريق وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وإبطال قواهم على مكانتهم أي مكانهم إلا أن المكانة أخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم أي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا رجوع وذلك قوله تعالى فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون أي ولا رجوعا فوضع موضعه الفعل لمراعاة الفاصلة وعن ابن عباس قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مساق الشرطيتين لمجرد بيان قدرته على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل لبيان أنهم بما هم عليه من الكفر ونقض العهد وعدم الاتعاظ بما شاهدوا من آثار دمار أمثالهم أحقاء بأن يفعل بهم في الدنيا من ذلك ليس إلا لعدم تعلق المشيئة الإلهية به كأنه قيل لو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلناها ولكنا لم نشأها جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى إمهالهم ومن نعمره أي نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه أولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وينتقص بنيته ويتغير شكله وصورته حتى يعود إلى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم والإدراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الإنكاس أفلا يعقلون أي أيرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وأن عدم إيقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وإبطال لما كانوا يقولونه في حقه عم من أنه شاعر وما يقوله شعر أي ما علمناه بتعليم القرآن على معنى أن القرآن ليس بشعر فإن الشعر كلام متكلف موضوع ومقال من زخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات وأوهام واهية فأين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم والأحكام الباهرة الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة ومن أين اشتبه عليهم الشؤون واختلط بهم الظنون قاتلهم الله أنى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه أي جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له كما جعلناه أميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وأما قوله صلى الله عم أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وقوله عم هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمن قبيل الاتفاقات الواردة من غير قصد إليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقرآن أي وما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا إن هو أي ما القرآن إلا ذكر أي عظة من الله عز وجل وإرشاد للثقلين كما قال تعالى إن هو إلا ذكر للعالمين وقرآن مبين أي كتاب سماوي بين كونه كذلك أو فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا لينذر أي القرآن أو الرسول صلى الله عم ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به أي علمه ولينذر [illegible] متعلق من الإنذار من كان حيا أي عاقلا متأملا فإن الغافل بمنزلة الميت أو مؤمنا في علم الله تعالى فإن الحياة

الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اي يجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على
الكفر وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن آثار الحيوة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة
اولم يروا الهمزة للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف اي الم يتفكروا ولم
يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينا متاخما للمعاينة انا خلقنا لهم اي لاجلهم وانتفاعهم مما عملت ايدينا
اي مما توليناه احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد
بالاحداث والاعتناء به انعاما مفعول خلقنا وتاخيره عن الجار والمجرور المتعلقين به مع ان حقه التقدم عليهما
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن
عند وروده عليها فضل تمكن لاسيما عند كون المقدم مشعرا بكون المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم
فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيدان النفس شوقا
اليه ورغبة فيه ولان في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون اي فتملكها
اياهم واثارنا الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استمرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة بمالكون مقوية
لعمله اي فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمهم في
ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم كما قيل
لقد اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا والاول هو الاظهر ليكون قوله تعالى وذللناها لهم
تاسيسا للنعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اي صيرناها منقادة لهم بحيث لا تستعصي عليهم في شيء مما يريدون
بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى فمنها ركوبهم الخ فان الفاء لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها
اي فبعض منها ركوبهم اي مركوبهم اي معظم منافعهم الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب
وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم ومنها
ياكلون اي وبعض منها ياكلون لحمه ولهم فيها اي في الانعام بكلا قسميها منافع اخر غير الركوب والاكل
كالجلود والاصواف والاوبار وعرقها وكالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع مشرب وهذا مجمل ما فصل
في سورة النحل افلا يشكرون اي ايشاهدون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من
دون الله اي متجاوزين الله الذي شاهدوا تفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضله عليهم بها تلك النعم
المتظاهرة آلهة من الاصنام واشركوها به تعالى في العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما
حزبهم من الامور او ليشفعوا لهم في الآخرة وقوله تعالى لا يستطيعون نصرهم الخ استئناف سيق لبيان
بطلان رايهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم اي لا تقدر آلهتهم على نصرهم وهم اي المشركون لهم اي
لآلهتهم جند محضرون يشيعونهم عند مساقهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم
والذب عنهم ولا يخفى على مساق النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب
النهي على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس
الامر عليهم بترتب الشر على ما رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم
معدين لخدمتهم وحفظهم فبمعزل من ذلك النهي وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة
متوجه الى رسول الله صلى الله عم ونهي له عن التاثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه وآكده فان
النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهي
الى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قولك لا ارينك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور لديه
والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام آلهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء
آلهتنا وانهم شركاء لله سبحانه في المعبودية وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاي
من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهي بطريق
الاستئناف بعد تعليله بطريق الاشعار فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اي انا نجازيهم بجميع جناياتهم
الخافية والبادية التي لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عم وتقديم السر
على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى بجميع المعلومات كان علمه تع بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع

مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم
بالنسبة اليه تع وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة السر متقدمة
على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه تعالى بحالته
الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام مستانف
مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده كما ان
ما سبق مسوق لبطلان اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام واما
ما قيل من انه تسلية لرسول الله صلى الله عم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة
للانكار والتعجب والواو للعطف على جملة مقدرة هي مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية السابقة
اي الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينا انا خلقناه من نطفة الخ او هي عين الجملة السابقة اعيدت
تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق بالانكار والتعجب لما ان المنكر هناك عدم علمهم بما يتعلق
بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب في ان علم الانسان باحوال
نفسه اهم واحاطته بها اسهل واكمل فالانكار والتعجب من الاخلال بذلك ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه
تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية
الاهمية على معنى ان المنكر الاول قبيح والثاني ابعد واقبح ويجوز ان تكون الواو لعطف الجملة الانكارية
الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام
كما هو راي الجمهور وايراد الانسان مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في
قوله تعالى او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا وقوله تعالى فاذا هو خصيم مبين اي شديد
الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية داخل في حيز الانكار والتعجب كانه قيل اولم ير انا
خلقناه من اخس الاشياء وامهنها ففاجأ خصومتنا في امر يشهد بصحته وتحققه مبدأ فطرته شهادة بينة
وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استمراره في الخصومة واستمراره عليها روي ان جماعة من كفار
قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن
خلف الا ترون ما يقول محمد ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ
عظما باليا فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال عم نعم ويبعثك ويدخلك
جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق
قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجب بل
هو من تتمات شواهد صحة البعث فقوله تعالى وضرب لنا مثلا معطوف على الجملة المنفية داخل
في حيز الانكار والتقبيح واما على التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا
وضرب لنا مثلا اي اورد في شأننا قصة عجيبة في نفس الامر هي في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل
وهي انكار احيائنا العظام او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار
وهي احياؤنا اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم
وقوله تعالى ونسي خلقه اي خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضربه اما عطف على
ضرب داخل في حيز الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى قال استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كانه قيل اي مثل ضرب او ماذا قال فقيل قال من يحيي
العظام منكرا له اشد النكير مؤكدا له بقوله تعالى وهي رميم اي بالية اشد البلى بعيدة
من الحيوة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكاره احياءه تعالى للعظام فانه امر عجيب في نفس الامر
حقيق لغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضروريا في جزم العقول ببطلان الانكار ووقوع المنكر
لكونه كالانشاء بل اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤه تعالى لها فانه امر عجيب
في زعمه فقد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر اقرب شيء من
الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء او اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان يكون المثل

هو الانكار او المنكر وعدم تأنيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من العظام غير صفة
كالرفات وقد تمسك بظاهر الآية الكريمة من اثبت للعظم حياة وبنى عليه الحكم بنجاسة عظم الميتة
واما اصحابنا فلا يقولون بنجاسته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى ما كانت عليه من
الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة على
حقيقة الحال وارشادا له الى طريقة الاستدلال يحييها الذي انشأها اول مرة فان قدرته
كما هي لاستحالة التغير فيها والمادة على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل
كيفيات الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص
اصولها وفروعها واوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك
على النمط السابق مع القوى التي كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب او معطوفة
على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه للمنشآت
وقوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء بعطف
صلته على صلته للتأكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اي خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل
ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تأخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو المرخ
والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو
ذكر على العفار وهو انثى فينقدح النار باذن الله تعالى وذلك قوله تعالى فاذا انتم منه توقدون
فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة
الغضاضة الى ما كان غضا فطرأ عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات و
الارض الخ استئناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذي امر عليه السلام بان يخاطبهم به
ويلزمهم الحجة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشأها اول
مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم
شأنهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية بان
من قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
وقرئ يقدر وقوله تعالى بلى جواب من جهته تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير
ما بعد النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق
العليم عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما انما امره
اي شأنه اذا اراد شيئا من الاشياء ان يقول له كن اي تعلق به قدرته فيكون فيحدث
من غير توقف على شيء آخر اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى فيما اراده بامر الآمر المطاع للمأمور
المطيع في سرعة حصول المأمور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء تنزيه له عز وعلا عما وصفوه تعالى به وتعجيب مما قالوا في شأنه
تعالى وقد مر تحقيق معنى سبحان والفاء للاشارة الى ان ما فصل من شؤونه تعالى موجبة لتنزهه وتنزيهه
اكمل ايجاب كما ان وصفه تعالى بالمالكية الكلية المطلقة منبئ عن كونها مقتضية لذلك اتم اقتضاء و
الملكوت مبالغة في الملك كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء وملك كل شيء واليه
ترجعون لا الى غيره وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن
عباس كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الآية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله
له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت
سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون
له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرأ يس وهو

والمقارة

في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها
وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من
حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عم ان في القرآن سورة يشفع قارئها ويغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

سورة والصافات مكية ومائة واثنان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا اقسام منه عز وجل بطوائف الملائكة الفاعلات للصفوف على ان المراد ايقاع نفس
الفعل من غير قصد الى المفعول او الصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها في مقاماتها
المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى هذين المعنيين مدار قوله تعالى
وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها في الصلوة وقيل اجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا اي الفاعلات
للزجر او الزاجرات لما نيط بها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه يليق بالمزجور ومن جملة
ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن استراق السمع كما سيأتي وصفا
وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما اي صفا بديعا وزجرا بليغا واما ذكرا في قوله تعالى فالتاليات
ذكرا فمفعول للتاليات اي التاليات ذكرا عظيم الشان من آيات الله تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام
وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد وقيل هو ايضا مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب
الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها بالفاء للدلالة على ترتبها في الفضل اما بكون
الفضل للصف ثم للزجر ثم التلاوة او على العكس وان اجريت كل واحدة منهن على طوائف معينة فهو
للدلالة على ترتب الموصوفات في مراتب الفضل بمعنى ان طوائف الصافات ذوات فضل والزاجرات
افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات
انفسها في صفوف الجماعات واقدامها في الصلوات الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات آيات الله تعالى
الدارسات شرائعه واحكامه وقيل طوائف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص
وطوائف قوائم الصافات لهم فيها الزاجرات الخيل للجهاد سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات
آيات الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف ودلالته على ترتيب الصفات
في الفضل او ترتيب موصوفاتها فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله
يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فغير ظاهرة في شيء من الطوائف المذكورة فانه لو
سلم تقدم الصف على الزجر في الملائكة والقراءة فتأخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات
الطير من قوله تعالى والطير صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله
وقيل الزاجرات القوارع القرآنية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال ان الهكم
لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق هو التوحيد بما هو المألوف في كلامهم من التأكيد القسمي و
لما يعقبه من البرهان الناطق به اعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق
فان وجودها وانتظامها على هذا النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل
شواهد وحدته كما مر في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان
او خبر لمبتدأ محذوف اي مالك السموات والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى
كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس واعادة الرب فيها لغاية ظهور آثار الربوبية فيها وتجددها
كل يوم فانها ثلاثمائة وستون مشرقا تشرق كل يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب
كل يوم في مغرب منها واما قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما
انا زينا السماء الدنيا اي القربى منكم بزينة عجيبة بديعة الكواكب بالجر بدل من زينة على ان
المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب بانفسها واوضاع بعضها من بعض زينة واي
زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما يزان به فتقع الكواكب
بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوؤها وروي عن ابن عباس بزينة الكواكب

ضوء الكواكب هذا واما على تقدير كون الزينة مصدرا فالمعنى على تقدير اضافتها الى الفاعل بان زانت
الكواكب اياها واصله بزينة الكواكب وعلى تقدير اضافتها الى المفعول بان زان الله الكواكب وحسنها واصله
بزينة الكواكب والمراد هو التزيين في رأي العين فان جميع الكواكب من الثوابت والسيارات تبدو للناظر
كالجواهر المتلألئة في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال رائقة ولا يقدح في ذلك ارتكاز
الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الست المتوسطة ان ثبت ذلك **وحفظا** منصوب اما
بعطفه على زينة باعتبار المعنى كأنه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا **من كل شيطان مارد**
اي خارج عن الطاعة برمي الشهب واما باضمار فعله واما بتقدير فعل مؤخر معلل به كأنه قيل وحفظا
من كل شيطان مارد زيناها بالكواكب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين وقوله تعالى **لا يسمعون الى الملأ الاعلى** كلام مبتدأ مسوق لبيان حالهم بعد بيان حفظ السماء
منهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله صفة لكل
شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا يسمعوا
فحذف اللام كما حذفت من قولك جئتك ان تكرمني فبقي ان لا يسمعوا ثم بحذف أن وأهدر عملها
كما في قول من قال الا ايهذا الزاجري احضر الوغى لما ان كل واحد من تلك الحذفين غير منكر
بانفراده فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عن امثالها واصل
يسمعوا يتسمعون والملأ الاعلى الملائكة وعن ابن عباس هم الكتبة وعنه اشراف الملائكة عليهم السلام
اي لا يتطلبون السماع والاصغاء اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف **ويقذفون** يرمون **من كل جانب** من
جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها **دحورا** علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال
بمعنى مدحورين او مصدر مؤكد له لانه من واحد وقرئ دحورا بفتح الدال اي قذفا دحورا
مبالغا في الطرد وقد جوز ان يكون مصدرا كالقبول والولوع **ولهم عذاب واصب** اي ولهم في الآخرة
غير ما في الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم
عذاب السعير **الا من خطف الخطفة** استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس
والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء المشددة
وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها واصلها اختطف **فاتبعه شهاب** اي تبعه ولحقه وقرئ فاتبعه
ثاقب مضيء في الغاية كأنه يثقب الجو بضوئه يرجم الشياطين اذا
صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم او يخبلهم قالوا وانما يعودون مع علمهم بالحال طمعا في السلامة
وقيل المراد كواكب السفينة **فاستفتهم** فاستخبر مشركي مكة **أهم اشد خلقا** اي اقوى خلقة وامتن
بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا **أم من خلقنا** من الملائكة والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب
والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك لا سيما قراءة من قرأ
أم من عددنا وقوله تعالى **انا خلقناهم من طين لازب** فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم
من الامم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم
سواء وقرئ لازم لازب **بل عجبت** اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم للبعث
ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة مخلوقاتي الى حيث
عجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افاعيله ويسخروا ممن يجوزه
والتعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان
عند استعظام الشيء وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت **واذا ذكروا** اي ودأبهم المستمر انهم اذا
وعظوا بشيء من المواعظ **لا يذكرون** لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل على صحة البعث لا ينتفعون به
لغاية بلادتهم وقصور فكرهم **واذا رأوا آية** اي معجزة تدل على صدق القائل به **يستسخرون**
يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعي بعضهم من بعض ان يسخر منها **وقالوا ان هذا** اي ما يرونه
من الآية الباهرة **الا سحر مبين** ظاهر سحريته **أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما** اي كان بعض اجزائنا

اجزائنا ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل في اذا ما دل
عليه مبعوثون في قوله تعالى **أإنا لمبعوثون** اي نبعث لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله لا سيما مع
في المنع وتقديم الظرف لتقوية الانكار للبعث بتوجيهه الى حالة منافية له غاية المنافاة وكذا تكرير
الهمزة في انا لمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتأكيد الانكار لا لانكار
التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون
على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة
الاولى وبطرح الثانية فقط **أو آباؤنا الاولون** رفع على الابتداء وخبره محذوف عند سيبويه
اي وآباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون
للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في قوله تعالى ما اشركنا ولا آباؤنا وايا ما كان
فمرادهم زيادة الاستبعاد بناء على انهم اقدم فبعثهم ابعد على زعمهم وقرئ او آباؤنا **قل** تبكيتا
لهم **نعم** والخطاب في قوله تعالى **وانتم داخرون** لهم ولآبائهم بطريق التغليب والجملة حال من فاعل
ما دل عليه نعم اي كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلاء وقرئ نعم بكسر العين وهي لغة
فيه **فانما هي زجرة واحدة** هي اما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب شرط مضمر
او تعليل لنهي مقدر اي اذا كان كذلك فانما هي الخ او لا تستصعبوه فانما هي الخ والزجرة الصيحة من
زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية **فاذا هم** قائمون من مراقدهم احياء **ينظرون**
يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم **وقالوا** اي المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق
والتقرر **يا ويلنا** اي يا هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى **هذا يوم الدين** تعليل
لدعائهم الويل بطريق الاستئناف اي اليوم الذي نجازى فيه باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم
كانوا يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا
بما بعده ايضا وقوله **هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون** كلام الملائكة جوابا لهم بطريق
التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى
والضلال وقوله تعالى **احشروا الذين ظلموا** خطاب من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض
بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف الى الجحيم **وازواجهم** اي اشباههم ونظراءهم من
العصاة عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكوكب مع عبدته كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل
قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم **وما كانوا يعبدون من دون الله** من
الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى الآية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم
بما في حيز الصلة فلا عموم ولا تخصيص **فاهدوهم الى صراط الجحيم** اي عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها
وفيه تهكم بهم **وقفوهم** احبسوهم في الموقف كأن الملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم
فامروا بذلك وعلل بقوله تعالى **انهم مسؤولون** ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم
ولا ليستريحوا بتأخير العذاب في الجملة بل ليسألوا لكن لا عن عقائدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك
قد وقع قبل الامر بهم الى الجحيم بل عما ينطق به قوله تعالى **ما لكم لا تناصرون** بطريق التوبيخ
والتقريع والتهكم اي لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتأخير هذا السؤال الى ذلك الوقت
لانه وقت تنجز العذاب وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ في
التقريع حينئذ اشد وقعا وتأثيرا وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام **بل هم اليوم مستسلمون**
منقادون خاضعون لظهور عجزهم وانسداد باب الحيل عليهم او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز
فكلهم مستسلم غير منتصر **واقبل بعضهم على بعض** هم الاتباع والرؤساء او الكفرة والقرناء **يتساءلون**
يسأل بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من حكاية تساؤلهم كأنه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا اي الاتباع للرؤساء او الكفرة للقرناء **انكم كنتم**

فاتوننا في الدنيا عن اليمين اي عن اقوى الوجوه وامتنها او عن الدين او عن الخير كانكم تنفعوننا
نفع السانح فتبعناكم فهلكنا مستعار من يمين الانسان الذي هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما
ولذلك سمي يمينا ويتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الغي وتحملوننا عليه او عن
الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استئناف كما سبق اي قال الرؤساء والقرناء بل لم تكونوا
مؤمنين اي لم نمنعكم من الايمان بل لم تؤمنوا باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وآثرتم الكفر
عليه وما كان لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين
مختارين للطغيان مصرين عليه فحق علينا اي لزمنا وثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لاملأن جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين انا لذائقون اي العذاب الذي ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم
الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب
علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك المرتبة من الدعوة لتكونوا امثالنا في الغواية فانهم اي الاتباع والمتبوعين
في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية انا كذلك اي مثل ذلك الفعل البديع الذي
تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله
تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا الله يستكبرون عن القبول ويقولون
ائنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم وتكذيب لهم ببيان
ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذي قام به البرهان واجمع عليه كافة الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون
من ساحته الرفيعة انكم بما فعلتم من الاشراك وتكذيب الرسول عليه السلام والاستكبار لذائقو العذاب
الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا
قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا جزاء ما كنتم تعملون من السيئات
او الا بما كنتم تعملون منها الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من ضمير ذائقوا وما بينهما اعتراض جيء به
مسارعة الى تحقيق الحق ببيان ان ذوقهم العذاب ليس الا من جهتهم لا من جهة غيرهم اصلا او جعله استثناء من ضمير
تجزون على معنى ان الكفرة لا يجزون الا بقدر اعمالهم دون عباد الله المخلصين فانهم يجزون اضعافا مضاعفة
ما لا وجه له اصلا لا سيما جعله استثناء متصلا بتعميم الخطاب في تجزون لجميع المكلفين فانه ليس في حيز الاحتمال
فالمعنى انكم لذائقو العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين الموحدين ليسوا كذلك وقوله تعالى اولئك اشارة
اليهم للايذان بانهم ممتازون بما اتصفوا به من الاخلاص في عبادته تعالى عن غيرهم امتيازا بالغا منتظمون
بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو طبقتهم
وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم رزق مرتفع على انه فاعل بما فيه من الاستقرار او مبتدأ
ولهم خبر مقدم والجملة خبر لاولئك والجملة الكبرى استئناف مبين لما افاده الاستثناء اجمالا بيانا تفصيليا
وقيل هي خبر للاستثناء المنقطع على انه فيه قد قوبل بالمبتدأ وقوله تعالى معلوم اي معلوم الخصائص من حسن المنظر
ولذة الطعم وطيب الرائحة ونحوها من نعوت الكمال وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة و
عشيا وقوله تعالى فواكه اما بدل من رزق او خبر مبتدأ مضمر اي ذلك الرزق فواكه وتخصيصها بالذكر
لان ارزاق اهل الجنة كلها فواكه اي ما يؤكل لمجرد التلذذ دون الاقتيات لانهم مستغنون عن القوت
لكون خلقتهم محكمة محفوظة من التحلل المحوج الى البدل وقيل لان الفواكه من اتباع سائر الاطعمة فذكرها
مغن عن ذكرها وهم مكرمون عند الله عز وجل لا يلحقهم هوان وذلك اعظم المثوبات واليقها باولي
الهمم وقيل مكرمون في نيله حيث يصل اليهم بغير تعب وسؤال كما هو شأن ارزاق الدنيا وقرئ مكرمون
بالتشديد في جنات النعيم اي في جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن في مكرمون
او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى على سرر يحتمل الحالية والخبرية فقوله تعالى متقابلين حال من المستكن
فيه او في مكرمون وقوله تعالى يطاف عليهم اما استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية تكامل مجالس
انسهم او حال من الضمير في متقابلين او في احد الجارين وقد جوز كونه صفة لمكرمون بكأس باناء
فيه خمر او بخمر فان الكأس يطلق على نفس الخمر كما في قول من قال وكأس شربت على لذة واخرى

تداويت منها بها من معين متعلق بمضمر هو صفة لكأس اي كائنة من شراب معين او نهر
معين وهو الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون او الخارج من العيون من عان الماء اذا نبع وصف
به الخمر وهو للماء لانها تجري في الجنة في انهار كما يجري الماء قال تعالى وانهار من خمر بيضاء لذة للشاربين
صفتان ايضا لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها نفس اللذة او لانها تأنيث لذ بمعنى اللذيذ كقول من
قال ولذ كطعم الصرخدي تركته بارض العدا من خشية الحدثان يريد به النوم لا
فيها غول اي غائلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا افسده واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون
يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ونزوف اذا ذهب عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه
كله افرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول عنها لما انه معظم مفاسد الخمر كانه جنس برأسه
والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص وصداع او خمار او عربدة او لغو او تأثيم ولا هم يسكرون
وقرئ ينزفون بكسر الزاي من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وقد ينزفون بضم الزاي من
نزف ينزف بضم الزاي فيهما وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن
طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين كانهن بيض مكنون شبههن ببيض
النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فان ذلك احسن الوان الابدان
الالوان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف اي يشربون فيتحادثون على الشراب كما
هو عادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم على
بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا فالتعبير عنه بصيغة الماضي
للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف محاوراتهم اني كان لي في الدنيا
قرين مصاحب يقول لي على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ائنك
لمن المصدقين اي بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون اي لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء
او لمسوسون مقهورون من دانه اي ساسه ومنه الحديث العاقل من دان نفسه وقيل كان رجل تصدق
بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضني
الله تعالى في الاخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب
الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التقريع في قوله ائنك لمن المصدقين انكارا للبعث والجزاء
المبني على انكار البعث قال اي ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا
هل انتم مطلعون اي الى اهل النار لاريكم ذلك القرين يريد بذلك بيان صدقه فيما حكاه وقيل
القائل هو الله تعالى او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار لاريكم ذلك القرين
فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم فاطلع اي عليهم
فراه اي قرينه في سواء الجحيم اي في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع المنصوب وقرئ مطلعون
فاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع يقال طلع علينا فلان واطلع وطلع بمعنى
واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع فاقتضوا
فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو
الجلساء مطلعون وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون
اياي فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه او شبه اسم الفاعل بالمضارع
لما بينهما من التآخي قال اي القائل مخاطبا له تالله ان كدت لتردين اي لتهلكني بالاغواء
وقرئ لتغوين وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ولولا نعمة ربي
بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها
اي من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك وقوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى
محاورة جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا بما اتاح الله تعالى لهم من الفضل العظيم

والنعيم المقيم والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على محذوف يقتضيه نظم الكلام اى انحن مخلدون
منعمون فما نحن بميتين اى بمن شانه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التى كانت فى الدنيا وهى
متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال قاله تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة
الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جئ بالموت على صورة كبش
املح وذبح ونودى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه فيقولون ذلك
تحدثا بنعمة الله تعالى واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب ايضا نعمة
جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اى الامر العظيم الذى نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل هو من
قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وهو ما رزقوه من السعادة العظمى
لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل هذا المرام الجليل يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة
الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا يحتمل ان يكون من كلامهم اذلك خير نزلا ام شجرة نزلاً
الزقوم اصل النزل الفضل والريع فاستعير للحاصل من الشئ فانتصابه على التمييز اى ذلك الرزق
المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور خير نزلا ام شجرة الزقوم التى حاصلها الالم والغم ويقال النزل
لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة
واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير فى كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة
كريهة الرائحة تكون فى تهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة
وعذابا لهم فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا انها فى النار قالوا كيف يمكن ذلك والنار تحرق
الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق حيوان يعيش فى النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر فى النار
وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها
وقرئ نابتة فى اصل الجحيم طلعها اى حملها الذى يخرج منها مستعار من طلع النخل لمشاركته له فى
الشكل او الطلوع من الشجر قالوا اول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كأنه رؤوس
الشياطين فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات
هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا مرا منكر الصورة يسمى
ثمره رؤوس الشياطين فانهم لآكلون منها اى من الشجرة او من طلعها فالتأنيث مكتسب من المضاف اليه
فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كرهوها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان
لهم عليها على الشجرة التى ملؤوا منها بطونهم بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم
كلمة ثم ويجوز ان تكون لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد
مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم لما يشاب به والاول مصدر سمى به ثم ان مرجعهم اى
مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم الى دركاتها او الى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل
دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين
حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم فى الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون منها الى ان يتملؤوا ثم
يسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم ضالين
تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء فى الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم شئ
يتمسك به اصلا اى وجدوهم ضالين فى نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل
فهم على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق اولا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تامل
والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل الاهراع اسراع
فيه شبه رعدة ولقد ضل قبلهم اى قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم
محذوف وكذا قوله تعالى ولقد ارسلنا فيهم منذرين اى انبياء اولى عدد كثير وذوى شان خطير بينوا لهم
بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته الوخيمة وذكر القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل
من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم

يرفعوا له راسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتمكن من مشاهدة آثارهم
وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى منهم المخلصين بقوله تعالى الا عباد الله المخلصين
من الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار وقرئ المخلصين بكسر اللام اى
الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل ببيان احوال بعض
المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لبيان سوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس ولبيان حسن عاقبة
بعضهم الذين اخلصهم الله ووفقهم للايمان كما اشار اليه الاستثناء كقوم يونس عليه السلام وفى
تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما فى قوله تعالى
فلنعم المجيبون اى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا
ودهورا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن
فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب
العظيم اى من الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة
بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى انه مات كل من كان معه فى السفينة
غير ابنائه وازواجهم اوهم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة الناس كلهم من ذرية ن
نوح عم وكان له ثلاثة اولاد سام وحام ويافث فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان
من المشرق الى المغرب ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه فى الآخرين من الامم سلام
على نوح اى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها والمعنى يسلمون
عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اى فقلنا وقيل ضمن تركنا
معنى قلنا وقوله تعالى فى العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبات هذه التحية واستمرارها
فى العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل به عم من
التكرمة السنية من اجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته وتبقية ذكره الجميل وتسليم فى العالمين
عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان
وذلك اشارة الى ما ذكر من الكرامات السنية التى وقعت جزاء له عم وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعدها
اى مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى الكاملين فى الاحسان لا جزاء ادنى منه وقوله تعالى انه من عبادنا
المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدرهما
ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اى المغايرين لنوح واهله وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته ق
اى ممن شايعه فى اصول الدين لابرهيم وان اختلف فروع شرايعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق
كلى او اكثرى وعن ابن عباس من اهل دينه وعلى سنته او ممن شايعه على التصلب فى دين الله ومصابرة
المكذبين وما كان بينهما الا نبيان هود وصالح عليهم السلام وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة
واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب باذكر او متعلق بما فى الشيعة من معنى المتابعة بقلب سليم
اى من آفات القلوب او من العلائق الشاغلة عن التبتل الى الله تعالى ومعنى المجئ به ربه اخلاصه له
كانه جاء به متحفا اياه بطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاول او ظرف
لجاء او لسليم اى اى شئ تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون اى اتريدون آلهة من دون
الله افكا اى للافك قدم المفعول على الفعل للعناية ثم المفعول له على المفعول به
لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل فى شركهم ويجوز ان يكون افكا مفعولا به بمعنى اتريدون
افكا ثم تفسير الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك فى نفسها للمبالغة او يراد بها عبادة
بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين اى بمن هو حقيق بالعبادة
لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به اخس مخلوقاته او فما ظنكم به اى شئ

يوم من الاسابيع جعلهم الاصنام ... او فاظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم بعد ما فعلتم ما فعلتم
من الاشراك به فنظر نظرة في النجوم قيل كانت لهم عليه حمى ظاهرة في بعض ساعات الليل فنظر
ليعرف هل هي تلك الساعة فاذا هي قد حضرت فقال اني سقيم وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا
في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر في علمها او في كتبها او في احكامها ولا منع
من ذلك حيث كان قصده عم ايهامهم حين ارادوا ان يخرجوا به الى معبدهم ليتركوه فان القوم كانوا
نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان
اغلب الاسقام عليهم وكانوا يخافون العدوى ليتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام
وذلك قوله تعالى فتولوا عنه مدبرين اي هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اي ذهب اليها في
خفية واصله الميل بحيلة فقال للاصنام استهزاء الا تأكلون اي من الطعام الذي كانوا يصنعونه عندها
لتبرك عليه ما لكم لا تنطقون اي بجوابي فراغ عليهم فاقبل مستعليا عليهم ضربا باليمين مصدر
مؤكد لفراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اي فراغ عليهم يضربهم ضربا
او مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك لان اليمين
اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تستدعي قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة على ان قوله
اذا ما راية رفعت لمجد ❊ تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة وعلى ذلك ... وقيل بسبب الحلف
باليمين لانه يقوى الكلام ويؤكده وقيل بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه
الى ابرهيم عم بعد ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة وسألوا عن ذلك الفاعل
فظنوا انه عم فعله فقيل فاقبلوا اليه يزفون حال من واو فاقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام وقرئ
يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف او من ازفه اذا حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون
على البناء للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه
كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه عم قال اي بعد ما اتوا به عم وجرى بينه وبينهم من
المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابرهيم الى قوله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم
اتعبدون ما تنحتون اي ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة
للانكار والتوبيخ اي والحال انه تعالى خلقكم وخلق ما تعملونه فان جواهر اصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها
وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد
وما تعملون اما عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله تعالى ليس من
حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين ونحوها واما على عمومه
فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع ما تعملونه كائنا ما كان مخلوق
له سبحانه وقيل ما مصدرية اي عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى
كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم اي في النار الشديدة
الاتقاد من الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض عن المضاف اليه اي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية
بنائهم في سورة الانبياء فارادوا به كيدا فانه عم لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا ان يبطشوا
لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شانه عم بجعل النار
عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي اي مهاجر الى حيث امرني ربي كما قال اني مهاجر الى ربي وهو
الشام او الى حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى سيهدين اي الى ما فيه صلاح ديني او الى مقصدي وبت
القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عم حيث قال
عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين اي بعض الصالحين
يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني في الغربة يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان
كان وروده مقيدا بالاخوة في قوله تعالى ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا ولقوله تعالى فبشرناه
بغلام حليم فانه صريح في ان المبشر به عين ما استوهبه عم ولقد جمع فيه بشارات ثلاث بشارة انه غلام

وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حليم يعادل حلمه عم حين عرض عليه ابوه الذبح فقال يا ابت
افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله تعالى الانبياء عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم
لعزة وجوده غير ابرهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية بعدها عدل بينة بذلك الثاني
فلما بلغ معه السعي الفصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة الحال وايذانا بعدم الحاجة
الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخر بعد البشارة كما مر في قوله تعالى فلما رأينه اكبرنه وفي قوله فلما
رآه مستقرا عنده اي فوهبناه له ونشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف
ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا كانه لما ذكر السعي قيل
مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستسعيه قبل اوانه اولانه استوهبه
لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال اي ابرهيم عم يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اي ارى
هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كان قائلا يقول له ان الله يأمرك
بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمة
سمي يوم التروية فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله
في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملئكة حين بشرته بغلام حليم قال اذن
هو ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسمعيل عم
لانه الذي وهب اثر المهاجرة ولان البشارة باسحق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عم
انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل عم والآخر ابوه عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله تعالى
له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله فداه بمائة من الابل ولذلك
سنت الدية بمائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن
الزبير ولم يكن اسحق ثمة ولان بشارة اسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه
مراهقا وما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اي النسب اشرف فقال يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل
الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله فالصحيح انه عم قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بفتح الياء
فيهما فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره فيه وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله
تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له
قبل نزوله وقرئ ماذا تُرى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اي
تؤمر به فحذف الجار اولا على القاعدة المطردة ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا
بايصاله الى الفعل او حذفا دفعة او افعل امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به
امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال
به ستجدني ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله تعالى فلما اسلما اي استسلما لامر
الله تعالى وانقادا وخضعا له يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصلها من
قولك سلم هذا لفلان اذا خلص له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله واسلم له منقولان
منه ومعناهما اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه له تعالى وعن قتادة
في اسلما اسلم ابرهيم ابنه واسمعيل نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد
جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله تعالى
وكان ذلك عند الصخرة من منى وقيل في الموضع المشرف على مسجده عم وقيل في المنحر الذي ينحر فيه اليوم
وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد
روي انه امر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند
ذلك وقع النداء وجواب لما محذوف ايذانا بعدم وفاء التعبير بتفاصيله كانه قيل كان ما كان مما لا يحيط
بتفاصيله البيان من استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق

للمؤمن أحد مثله وإظهار فضلهما بذلك على العالمين مع إحراز الثواب العظيم إلى غير ذلك إنا كذلك
نجزي المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما بإحسانهما واحتج به من جوّز النسخ قبل وقوع المأمور به فإنه عم
كان مأمورا بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل إن هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذي يتميز
فيه المخلص من غيره أو المحنة البينة الصعوبة إذ لا شيء أصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل
عظيم أي عظيم الجثة سمين أو عظيم القدر لأنه يفدي به الله نبيا ابن نبي وأي نبي من نسله سيد المرسلين
قيل كان ذلك كبشا من الجنة عن ابن عباس أنه الكبش الذي قربه هابيل فتقبل منه وكان يرعى في الجنة حتى
فدي به إسمعيل عم وقيل فدي بوعل أهبط عليه من ثبير وروي أنه هرب من ابرهيم عم عند الجمرة
فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة في الرمي وروي أنه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند
ذبح ولده وروي أنه لما ذبحه قال جبريل عم الله أكبر الله أكبر فقال لا إله إلا الله والله أكبر فقال ابرهيم
الله أكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابرهيم وإنما قيل وفديناه لأنه تعالى هو المعطي له
والآمر به على التجوز في الفداء أو الإسناد وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابرهيم قد سلف بيانه
في خاتمة قصة نوح عم كذلك نجزي المحسنين ذلك إشارة إلى إبقاء ذكره الجميل فيما بين الأمم لا إلى ما
أشير إليه فيما سبق فلا تكرار ولعدم تصدير الجملة بإنا للاكتفاء بما مرّ آنفا إنه من عبادنا المؤمنين
الراسخين في الإيمان على وجه الإيقان والاطمينان وبشرناه بإسحق نبيا من الصالحين أي مقضيا نبوته
مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة إلى وجود المبشر به وقت البشارة فإن
وجود ذي الحال ليس بشرط وإنما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى الحال فلا حاجة إلى تقدير
مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود إسحق أي بأن يوجد إسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير
نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين فإن الداخلين كانوا مقدرين خلودهم وقت الدخول وإسحق عم لم يكن
مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام بإسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي
ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وإيماء بأنه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الإطلاق
وباركنا عليه على ابرهيم في أولاده وعلى إسحق بأن أخرجنا من صلبه أنبياء بني إسرائيل وغيرهم كأيوب
وشعيب عليهم السلام أو أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله أو
لنفسه بالإيمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على أن النسب
لا أثر له في الهدى والضلال وأن الظلم في أعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى و
هرون أي أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو إسرائيل
من الكرب العظيم هو تملك آل فرعون وتسلطهم عليهم بألوان النقم والعمل كما في قوله تع وإذ أنجيناكم
من آل فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لأنه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم أي إياهما وقومهما على
عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غلبة لا غاية وراءها بعد أن كان قومهما في أسرهم وقسرهم
مقهورين تحت أيديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه النتيجة وإن كانت بحسب الوجود مقارنة
لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص عن المكروه بدئ بها ثم بالنصر
الذي يتحقق بدونه بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغليب عليه ثم بالغلبة لتوفية مقام الامتنان
حقه بإظهار أن كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها وآتيناهما بعد ذلك الكتاب
المستبين أي البليغ في البيان والتفصيل وهو التورية وهديناهما بذلك الصراط المستقيم الموصل إلى الحق
والصواب بما فيه من تفاصيل الشرائع وتفاريع الأحكام وتركنا عليهما في الآخرين سلام على موسى وهرون
أي أبقينا فيما بين الأمم الآخرين هذا الذكر الجميل والثناء الجزيل إنا كذلك. الجزاء الكامل نجزي المحسنين
الذين هما من جملتهم لا جزاء تاما أعداهما إنهما من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وإن الياس لمن المرسلين هو
الياس بن ياسين بن سبط هرون أخي موسى عليهم السلام بعث بعده وقيل إدريس لأنه قرئ مكانه إدريس
وادراس وقرئ إيليس وقرئ الياس بحذف الهمزة إذ قال لقومه ألا تتقون أي عذاب الله تعالى
أتدعون بعلا أتعبدونه وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لأهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم

ببعلبك وقيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه
أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياء فكان الشيطان يدخل جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها
ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن أي أتعبدون بعض البعول وتذرون أحسن الخالقين
أي وتتركون عبادته وقد أشير إلى المقتضي للإنكار المعني بالهمزة ثم صرح به بقوله تعالى الله ربكم
ورب آبائكم الأولين بالنصب على البدلية من أحسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء والتعرض
لذكر ربوبيته لآبائهم لتأكيد إنكار تركهم عبادته تعالى والإشعار ببطلان آراء آبائهم أيضا
فكذبوه فإنهم بسبب تكذيبهم لمحضرون أي في العذاب والإطلاق للاكتفاء بالقرائن على أن الإحضار المطلق
مخصوص بالشر عرفا إلا عباد الله المخلصين استثناء من فاعل محضرون وتركنا عليه في الآخرين سلام
على إلياسين هو لغة في الياس كسيناء في سينين وقيل هو جمع له أريد به هو وأتباعه كالمهلبين والخبيبين
وفيه أن العلم إذا جمع يجب تعريفه كالمثالين وقرئ بإضافة آل إلى ياسين لأنهما في المصحف مفصولان
فيكون ياسين أبا الياس إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين مر تفسيره وإن لوطا لمن المرسلين
إذ نجيناه أي اذكر وقت تنجيتنا إياه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين أي الباقين في العذاب أو الماضين
الهالكين ثم دمرنا الآخرين فإن في ذلك شواهد على جلية أمره وكونه من جملة المرسلين وإنكم يا أهل
مكة لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم إلى الشام وتشاهدون آثار هلاكهم فإن سدوم في طريق الشام
مصبحين داخلين في الصباح وبالليل أي ومساء أو نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل
عنه صباحا والقاصد له مساء أفلا تعقلون أتشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا به وتخافوا أن
يصيبكم مثل ما أصابهم وإن يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون إذ أبق أي هرب وأصله الهرب من السيد
لكن لما كان هربه من قومه بغير إذن ربه حسن إطلاقه عليه إلى الفلك المشحون أي المملوء فساهم فقارع
أهله فكان من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة وأصله المزلق عن مقام الظفر روي أنه عم لما
وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل أن يأمره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا هاهنا عبد
آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال أنا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة
وهو مليم أي داخل في الملامة أو آت بما يلام عليه أو مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في
مشوب فلولا أنه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره أو في بطن الحوت وهو قوله
لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فإنه عم كان كثير الصلوة في الرخاء
للبث في بطنه إلى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على إكثار الذكر وتعظيم لشأنه ومن أقبل عليه
في السراء أخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بأن حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما يغطيه
من شجر أو نبت روي أن الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس عم ويسبح ولم يفارقهم
حتى انتهوا إلى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فأسلموا وروي أن الحوت قذفه بساحل قرية
من الموصل واختلف في مدة لبثه فقيل أربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل ثلاثة
وقيل لم يلبث إلا قليلا ثم أخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقمه فيه وروي أنه حين ابتلعه أوحى
الله إلى الحوت إني جعلت بطنك له سجنا ولم أجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه
كبدن الطفل حين يولد وأنبتنا عليه أي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما ينبسط على
الأرض ولا يقوم على ساق كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به والأكثر
على أنه الدباء غطته بأوراقها عن الذباب فإنه لا يقع عليه ويدل عليه أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
إنك تحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل بأغصانه
وأفطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها وأرسلناه إلى مائة
ألف هم قومه الذين هرب منهم وهم أهل نينوى والمراد به إرساله السابق أخبر أولا بأنه من المرسلين
على الإطلاق ثم أخبر بأنه قد أرسل إلى أمة جمة وكان توسيط تذكير وقت هربه إلى الفلك وما بعده
بينهما لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عم وبين قومه من إنذاره إياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت

حلوله وتعليقهم لإيمانهم بظهور أماراته كما مر تفصيله في سورة يونس ليعلم أن إيمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الإرسال كما هو المتبادر من ترتيب الإيمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي وقيل هو إرسال آخر إليهم وقيل إلى غيرهم وليس بظاهر **أو يزيدون** أي في رأي الناظر أي إذا نظر إليهم قال إنهم مائة ألف أو يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو **فآمنوا** أي بعدما شاهدوا علائم حلول العذاب إيماناً خالصاً **فمتعناهم** أي بالحيوة الدنيا **إلى حين** قدره الله سبحانه لهم ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة بينهما وبين أرباب الشرائع وأولي العزم من الرسل واكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة **فاستفتهم** أمر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسوله عم بتبكيت قريش وإبطال مذهبهم في إنكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة الناطقة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر أنه قد ضل من قبلهم أكثر الأولين وأنه تعالى أرسل إليهم منذرين على وجه الإجمال ثم أورد قصص كل واحد منهم على وجه التفصيل مبيناً في كل قصة منها أنهم من عباده تعالى واصفاً لهم تارة بالإخلاص وأخرى بالإيمان ثم أمره عم ههنا بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه أمر منكر خارج عن العقول بالكلية وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزائغ حيث كانوا يقولون كبعض أجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الأمر على ما سبق من كون أولئك الرسل الذين هم أعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فإن ذلك مما يؤكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم الفاسد ثم تبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم إناثاً ثم إبطال أصل كفرهم المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد إليه سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ولم ينظمه في سلك التبكيت لشاركة النصارى في ذلك أي فاستخبرهم **ألربك البنات** اللاتي هن أوضع الجنسين **ولهم البنون** الذين هم أرفعهما فإن ذلك مما لا يقول به من له أدنى شيء من العقل وقوله تعالى **أم خلقنا الملائكة إناثاً** إضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق إلى التبكيت بهذا كأنه قيل أي بل أخلقنا الملائكة الذين هم من أشرف الخلائق وأبعدهم من صفات الأجسام ورذائل الطبائع إناثاً والأنوثة من أخس صفات الحيوان وقوله تعالى **وهم شاهدون** استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى أشهدوا خلقهم وقوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم فإن أمثال هذه الأمور لا تعلم إلا بالمشاهدة إذ لا سبيل إلى معرفتها بطريق العقل وانتفاء النقل مما لا ريب فيه فلا بد أن يكون القائل بأنوثتهم شاهداً عند خلقهم والجملة إما حال من فاعل خلقنا أي بل أخلقناهم إناثاً والحال أنهم حاضرون حينئذ أو عطف على خلقنا أي بل أهم شاهدون وقوله تعالى **ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله** استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت الأمر بالاستفتاء مسوق لإبطال أصل مذهبهم الفاسد ببيان أن مبناه ليس إلا الإفك الصريح والافتراء القبيح من غير أن يكون لهم دليل أو شبهة قطعاً **وإنهم لكاذبون** في قولهم كذباً بيناً لا ريب فيه وقرئ ولد الله على أنه خبر مبتدأ محذوف أي الملائكة ولد الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً والولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث **أصطفى البنات على البنين** إثبات لإفكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لأمر بين الاستحالة هو اصطفاؤه تعالى البنات على البنين والاصطفاء أخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة القرائن عليه وجعله بدلاً من ولد الله ضعيف وتقدير القول أي لكاذبون في قولهم اصطفى الخ تعسف بعيد **ما لكم كيف تحكمون** بهذا الحكم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول **أفلا تذكرون** بحذف إحدى التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر أي ألا تلاحظون ذلك فلا تتذكرون بطلانه فإنه مركوز في عقل كل ذكي وغبي **أم لكم سلطان مبين** إضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بما ذكر إلى تبكيتهم بتكليفهم ما لا يدخل تحت الوجود أصلاً أي بل ألكم حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بأن الملائكة بناته تعالى ضرورة أن الحكم بذلك لا بد له من سند حسي أو عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي **فأتوا بكتابكم** الناطق بصحة دعواكم **إن كنتم صادقين** فيها وفي هذه الآيات من الإنباء عن السخط العظيم

والإنكار الفظيع لأقاويلهم والاستبعاد الشديد لأباطيلهم وتسفيه أحلامهم وركاكة عقولهم وأذهانهم مع الاستهزاء بهم والتعجب من جهلهم ما لا يخفى على من تأمل فيها وقوله تعالى **وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً** التفات إلى الغيبة للإيذان بانقطاعهم عن الجواب وسقوطهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى جناياتهم لآخرين والمراد بالجنة الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شراً كله فهو شيطان ومن طهر منهم ونسك وكان خيراً كله فهو ملك وإنما عبر عنهم بذلك الاسم وضعاً منهم وتقصيراً بهم مع عظم شأنهم فيما بين الخلق أن يبلغوا منزلة المناسبة التي أضافوها إليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات الله وإنما أعيد ذكره تمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى **ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون** أي وبالله لقد علمت الجنة التي عظموها بأن جعلوا بينها وبينه تعالى نسباً وهم الملائكة أن الكفرة لمحضرون النار معذبون بها لكذبهم وافترائهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان أن الذين يدعي هؤلاء لهم تلك النسبة ويعلمون أنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبونهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأجله حكماً مؤكداً وقيل إن قوماً من الزنادقة يقولون إن الله تعالى وإبليس أخوان فالله هو الخير الكريم وإبليس هو الشرير اللئيم وهو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً قاله الإمام الرازي وهذا القول عندي أقرب الأقاويل وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان وأهرمن وقال مجاهد قالت قريش الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فمن أمهاتهم تبكيتاً لهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسباً جعلوا بينهما مناسبة حيث أشركوا به تعالى الجن في استحقاق العبادة فعلى هذه الأقاويل يجوز أن يكون الضمير في إنهم لمحضرون للجنة والمعنى لقد علمت الشياطين أن الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى أو شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم فالوجه هو الأول فإن قوله تعالى **سبحان الله عما يصفون** حكاية لتنزيه الملائكة إياه تعالى عما وصفه المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى **إلا عباد الله المخلصين** شهادة منهم ببراءة المخلصين من أن يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبرئهم عنه بحكم اندراجهم في زمرة المخلصين على أبلغ وجه وآكده على أنه استثناء منقطع من واو يصفون كأنه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى **فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين** تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين مما ذكر ببيان عجزهم عن إغوائهم وإضلالهم والالتفات إلى الخطاب لإظهار كمال الاعتناء بتحقيق مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين أغووهم وفيه إيذان بتبرئهم عنهم وعن عبادتهم كقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وأنتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليباً وعلى متعلق بفاتنين يقال فتن فلان على فلان امرأته أي أفسدها عليه والمعنى فإنكم ومعبوديكم أيها المشركون لستم بفاتنين عليه تعالى بإفساد عباده وإضلالهم **إلا من هو صال الجحيم** منهم أي داخلها لعلمه تعالى بأنه يصر على الكفر بسوء اختياره ويصير من أهل النار لا محالة وأما المخلصون منهم فأنتم بمعزل من إفسادهم وإضلالهم فهم لا جرم برآء من أن يفتنوا بكم وليسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم اللام على أنه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى **وما منا إلا له مقام معلوم** تبيين لجلية أمرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعدما ذكر من تكذيب الكفرة فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرئة المخلصين عنه وإظهار لقصور شأنهم وقماءتهم أي وما منا أحد إلا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء إلى أمر الله عز وجل مقصور عليه لا يتجاوزه ولا يستطيع أن يزل عنه خضوعاً لعظمته وخشوعاً لهيبته وتواضعاً لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع رأسه قال ابن عباس ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك يصلي أو يسبح وروي أنه قال صلى الله عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته ساجد لله تعالى وذلك الذي إلا له مقام معلوم

في القربة والمثابة منه وانا لنحن الصافون في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون
لله سبحانه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التأكيد لابراز ان صدوره عنهم بكمال الرغبة
والنشاط هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآية الكريمة واعرابها وجوه اخر فتأمل
والله الموفق وان كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن محذوف واللام هي الفارقة اي ان
الشأن كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين من التورية والانجيل
لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءنا
نذير لنكونن اهدى من احدى الامم والفاء في قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا
اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فجاءهم ذكر واي ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار
فكفروا به فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استيناف
مقرر للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة
وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا وهم اتباع المرسلين لهم الغالبون على اعدائهم في الدنيا
والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة وان
وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس ان لم ينصروا في الدنيا نصروا
في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع انها كلمات لانتظامها في معنى واحد
وقرئ كلماتنا فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم
بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حالهم وافظع نكال حل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم
الايذان بغاية قربه كأنه بين يديه فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد
افبعذابنا يستعجلون روي انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزلت فاذا نزل بساحتهم اي
فاذا نزل العذاب الموعود بفنائهم كأنه جيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم
بالمرة وقيل المراد نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار
والمجرور وقرئ نزل مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح
المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما
كثرت منهم الغارة في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عم
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف
يبصرون تسلية لرسول الله صلى الله عم اثر تسلية وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في اطلاق
الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عم من فنون المسار وما يبصرونه من انواع المضار لا
يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة سبحان ربك
رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته
مما ذكر في السورة الكريمة ومما لم يذكر من الامور التي من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة
لا سيما في حق رسول الله صلى الله عم كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل
والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عم اولا والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك
ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما يصفه المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل
عليه استعجالهم بالعذاب وقوله تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما
ذكر وتنويه بشأنهم وايذان بانهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى والحمد
لله رب العالمين اشارة الى وصفه تعالى بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تع بجميع
صفاته السلبية وايذان باستتباعها للافعال الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات
السنية والكمالات الدينية والدنيوية واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من صنوف النعماء الظاهرة والباطنة
الموجبة لحمده تعالى واشعار بان ما وعده عم من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المومنين على

على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان
الكمالات الدينية والدنيوية عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم
السورة الكريمة بحمده تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة
لحمده عن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه
اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
وعن رسول الله صلى الله عم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت
عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مومنا بالمرسلين

سورة ص مكية ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف
القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرأ لا فتحا كما مر في
فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث لانها علم للسورة وقد صرفها من قرأ صاد بالتنوين
على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي المعارضة والمقابلة ومنها
الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره
وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل
صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة خبرا لمبتدأ محذوف او نصبا على اضمار اذكر
او اقرأ او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى والقرآن ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي
للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية وان اريد به عين السورة فهي اعتبارية كما
في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وايا ما كان ففي التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم
عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما
يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة
والوعد والوعيد وجواب القسم على الوجه الاول والرابع والخامس محذوف يومئ اليه ما ينبئ عنه التحدي والامر
والاهتمام من كون المتحدى به معجزا وكون المأمور به واجبا حقيقيا بالاعظام اي انه
لمعجز او لواجب العمل به وعلى الوجه الثاني والثالث نفس الجملة المذكورة قبله
الكلام المرموز اليه ونفس الجملة المذكورة على طريقة التنبيه على عظم
شأن المقسم به وقيل هو محذوف اي ما الامر كما زعموا
عن التعرض للريب عن مغنى بل الذين كفروا في عزة وشقاق
اضراب عن ذلك كأنه قيل لا ريب فيه قطعا وليس عدم اذعان الكفرة له لشائبة ريب فيه بل الذين
كفروا في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا يذعنون له وقيل الجواب
ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا وقرئ في غرة اي
غفلة عما يجب عليهم التنبه له كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد
لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز
ومن قبلهم لابتداء الغاية اي كثيرا من القرون الخالية اهلكنا فنادوا عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة
وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا اي نادوا واستغاثوا
طلبا للنجاة والحال انه ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناص ينوص اذا فات وتأخر
ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الاحيان
ولم يبرز الا احد معموليها والاكثر حذف اسمها وقيل هي النافية للجنس اي ولا حين مناص لهم وقرئ
حين مناص بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم

وعلى الثاني مبتدأ محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله
۞ طلبوا صلحنا ولات أوان ۞ فأجبنا ان لات حين بقاء ۞
اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله ۞ لولاك هذا العام لم احجج ۞ او لان
اوان شبه باذ في قوله ۞ نهيتك عن طلابك ام عمرو ۞ بعاقبة وانت اذ صحيح ۞ في انه
زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله اوان صلح ثم حمل عليه حين مناص تنزيلا
لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين المضافين من الاتحاد ثم
بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها بالهاء كالاسماء والبصريون
بالتاء كالافعال وما قيل من ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام مما لا وجه له فان
خط المصحف خارج عن القياس **وعجبوا ان جاءهم منذر منهم** حكاية لاباطيلهم المتفرعة على ما حكى
من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل دونهم في الرياسة الدنيوية والمال
على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد الانكار لا انهم اعتقدوا وقوعه
وتعجبوا منه **وقال الكافرون** وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل
ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق **هذا ساحر** فيما يظهره من الخوارق **كذاب** فيما يسنده الى الله
تعالى من الارسال والانزال **أجعل الآلهة إلهاً واحداً** بان نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد **إن
هذا لشيء عجاب** بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما ألفوا عليه آباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم
وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما يأتون وما يذرون من امور دينهم هو
التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل مدار تعجبهم عدم وفاء
علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لما انهم لا يدعون ان لآلهتهم علما وقدرة ومدخلا في
حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجّاب بالتشديد وهو ابلغ
ككرام وكرّام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم
فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك لتقضي بيننا وبين
ابن أخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عم وقال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا
تمل كل الميل على قومك فقال عم ماذا يسألوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك
فقال عم أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطيّ انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم
قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك **وانطلق الملأ منهم** اي وانطلق الاشراف
من قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكّتهم رسول الله صلى الله عم بالجواب العتيد وشاهدوا تصلبه عم في
الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة
على الوجه المذكور **ان امشوا** اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا **واصبروا على آلهتكم** اي
واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعون في حقها من القدح وأن هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول
لا يخلو عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها
ومنه الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا
انه لهذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد عم
من امر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عم امضاؤه وتنفيذه لا محالة من
غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة بشفاعة
او امتنان فاقطعوا اطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا تمنعوا من
عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل ان هذا الامر
لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل ان هذا الامر
لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشيء يراد اي يطلب ليؤخذ منكم
وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب

والعجم لشيء يتمنى ويريده كل احد فتأمل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل
ما سمعنا بهذا اي بالذي يقوله **في الملة الآخرة** اي ملة النصرانية التي هي آخر الملل فانهم مثلثة او في الملة
التي ادركنا عليها آباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا من هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب
ولا الكهان كائنا في الملة المترقبة ولقد كذبوا في ذلك أفحج كذب فان حديث البعثة والتوحيد
كان من اشهر الامور قبل الظهور **إن هذا الا اختلاق** اي ما هذا الا كذب اختلقه **أأنزل عليه الذكر** اي
القرآن **من بيننا** ونحن رؤساء الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
ومرادهم انكار كونه منزلا من عند الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات
الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي **بل هم في شك
من ذكري** اي من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم
بحقيته وليس في عقيدتهم ما يبتنون به فهم مذبذبون الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق
بل لما يذوقوا عذاب اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوا تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على
ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي
الموعود في القرآن ولذلك شكوا فيه **أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب** بل أعندهم
خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتحكموا
فيها بمقتضى آرائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله عز وجل يتفضل بها على
من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له ان يهب ما
يشاء لمن يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عم من تشريفه
واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى **أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما** ترشيح لما سبق اي
بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدابير الالهية
التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى **فليرتقوا في الاسباب** جواب شرط محذوف اي ان كان
لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه
ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه
والاسباب في الاصل هي الوصل وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية وقيل
ابوابها **جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب** اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم
مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو اكلت شيئا ما
وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله
تعالى **كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد** الخ استئناف مقرر لمضمونه مع ما فيه
بيان لاحوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند من جنودهم مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من
العقاب ذو الاوتاد ذو الملك الثابت اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات
الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر ۞
۞ ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ۞ في ظل ملك ثابت الاوتاد ۞
او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار
وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وقيل كان يمد المعذب بين
اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه
وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اصحاب الغيضة من قوم شعيب عم وقوله تعالى **أولئك
الاحزاب** ابدال من الطوائف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجوه وفيه فضل
تأكيد وتنبيه على انهم الذين جعل الجند المهزوم منهم وقوله تعالى **ان كل الا كذب الرسل**
استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيانا لكيفيته وتمهيدا لما يعقبه اي ما كل حزب واحد من احاد
اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل لان تكذيب واحد منهم تكذيب لهم جميعا لاتفاقهم

الكل على الحق وقيل ما كل حزب الا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع وايا ما كان فالاستثناء مفرغ من اعم العام في خبر المبتدا اي ما كل احد منهم محكوما عليه بحكم الا محكوما عليه بانه كذب الرسل وقيل ما كل واحد منهم مخبرا عنه بخبر الا مخبرا عنه بانه كذب الرسل وفي اسناد التكذيب الى الطوائف المذكورة على وجه الابهام اولا والايذان بان كلا منهم حزب على حياله تحزب على رسوله ثانيا وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثا فنون من المبالغة مسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب وافظعه ولذلك رتب عليه قوله تعالى **فحق عقاب** اي ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من اصناف العقوبات المفصلة في مواقعها واما مبتدأ وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل خبره بحذف العائد اي ان كل منهم الخ والجملة استئناف مقرر لما قبله مؤكد لمضمونه مع ما فيه من بيان كيفية تكذيبهم والتنبيه على انهم الذين جعلوا الجند المهزوم منهم كما ذكر وقيل هو مبتدأ وخبره والمعنى ان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه خبر للمبتدا في قوله تعالى وعاد الخ وقوله وقوم لوط الخ فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله **وما ينظر هؤلاء** شروع في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اضرابهم من الاحزاب الذين اخبر بما سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم عن قريب فان ذلك مما يوجب انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفي الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما جعله اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر او حضورهم في علم الله عز وجل فليس في حيز الاحتمال اصلا كيف لا والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور في حق من لم يترتب على اعماله نتايجها بعد وهؤلاء بين عقاب الاحزاب واستيفائه لهم بالمرة لم يبق مما اريد بيانه من عقوبتهم امر منتظر وانما الذين في مرصد الانتظار كفار مكة حيث ارتكبوا من عظايم الجرايم وكبائر الجرائر الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب او اشد منه ولما يلاقوا بعد شيئا من غوائلها اي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوايف المهلكة في الكفر والتكذيب **الا صيحة واحدة** هي النفخة الثانية لا بمعنى ان عقابهم نفسها بل بمعنى انها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث اخرت عقوبتهم الى الآخرة لما ان تعذيبهم بالاستيصال حسبما يستحقونه والنبي صلى الله عم بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما قيل من انها النفخة الاولى فمما لا وجه له اصلا لما انه لا يشاهدون هولها ولا يصعقون بها الا من كان حيا عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق مؤخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم **ما لها من فواق** اي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء وهما لغتان وقوله تعالى **وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب** حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم الى الآخرة اي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره الى يوم الحساب الذي مبدؤه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه اذا قطعه وقيل الصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلى الله عم وعد الله تعالى المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال **اصبر على ما يقولون** من امثال هذه المقالات الباطلة **واذكر** لهم **عبدنا داود** اي قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترءوا عليه من المعاصي فانه عم مع علو شأنه واختصاصه بعظائم النعم والكرامات لما اتى بصغيرة نزل عن منزلته ووبخته الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائب وغمه الواصب ونوحه الدائم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاذلين من كل ذليل المصرين على اعظم المعاصي او تذكر قصته عم وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم كيلا يلقاك ما لقيه من المعاتبة **ذا الايد** اي ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد بمعنى وأياد كل شيء ما يتقوى به **انه اواب** رجاع الى مرضات الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد

ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل **انا سخرنا الجبال معه** استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثارها على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال له عم لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه كتسخير الريح وغيرها لسليمان عم بل بطريق التبعية له عم والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها **يسبحن** اي يقدسن الله تعالى عز وجل بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال وضع موضع مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال واستمراره **بالعشي والاشراق** اي ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت صلوة الضحى الا بهذه الآية وعن ام هانئ رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عم صلى صلوة الضحى وقال هي صلوة الاشراق **والطير محشورة** حال من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة اي مجموعة اليه من كل جانب **كل له اواب** استئناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله عز وعلا اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح **وشددنا ملكه** قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم وقيل ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى الله تعالى اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فتأخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلمه الرجل فقال ان الله تعالى لم ياخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت ابا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله تعالى عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته في القلوب **وآتيناه الحكمة** النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة **وفصل الخطاب** اي فصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاظهار والاضمار والحذف والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له كالحمد والصلوة وقيل هو الخطاب الفصل الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر **وهل اتاك نبأ الخصم** استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه بانه من الانباء البديعة التي حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف ومعنى خصمان فريقان **اذ تسوروا المحراب** اي تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره تسنمه اذا علا سنامه وتذراه علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع في عهد داود عم وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اي قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الخصومة لا باتى لان اتيانه الرسول عم لم يكن حينئذ وقوله تعالى **اذ دخلوا على داود** بدل مما قبله او ظرف لتسوروا **ففزع منهم** روي انه بعث اليه ملكين في صورة انسانين قيل هما جبرائيل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس ان داود عم جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما للوعظ والتذكير **قالوا** استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عم كانه قيل فماذا قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه فقيل قالوا ازالة لفزعه **لا تخف خصمان** اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما **بغى بعضنا على بعض**

هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اى لا تجر فى الحكومة
وقرئ ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق ولا تشطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى
الحق واهدنا الى سواء الصراط اى الى وسط الطريق الحق بزجر الباغى عما سلكه من طريق الجور
وارشاده الى منهاج العدل ان هذا اخى استيناف لبيان ما فيه الخصومة اى اخى فى الدين او فى الصحبة
والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة
هى الانثى من الضان وقد تكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون
بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرئ ولى نعجة بسكون الياء فقال اكفلنيها اى ملكنيها وحقيقته اجعلنى
اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى فى الخطاب اى غلبنى فى مخاطبته
اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر على رده او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها
هو فخاطبنى خطابا اى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى
بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به عم المبالغة فى انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه فى نعجة من ليس له
غيرها مع ان له قطيعا منها ولعله قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير
صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمنه معنى الاضافة
والضم وان كثيرا من الخلطاء اى الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغى ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير
النون الخفيفة وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات منهم فيتحامون عن البغى والعدوان وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام
والتعجب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار للعلم الاستدلالى لما بينهما من
المناسبة الظاهرة اى علم بما جرى فى مجلس الحكومة وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك
ثم صعد الى السماء حيال وجهه فعلم عم ان الله تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عم دون غيره
بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد
على توجيه القصر الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفى فيه والاثبات فيها كما فى مثل قولك انما ضربت
زيدا وانما ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عم بالفتنة بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره
من الافعال لكن لا باعتبار النفى والاثبات معا فى خصوصية الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفى
فيما فيه من معنى مطلق الفعل واعتبار الاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال
المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو
اثره فى الحقيقة فان معنى نصر مثلا فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل
الاعطاء والمنع فمورد القصر فى الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار النفى فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى
وعلم داود عم انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة اوريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه
بها لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ فى التوبيخ فان التامل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض
كان اوقع فى نفسه واعظم تاثيرا فى قلبه وادعى الى التنبيه للخطا مع ما فيه من مراعاة حرمته عم
بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيى من التصريح به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عم الى التصريح
بنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه على ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر
عنه ذنب وخر راكعا اى ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدؤه او خر للسجود راكعا
اى مصليا كأنه احرم بركعتى الاستغفار وأناب اى رجع الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان
داود عم رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها
وهى ام سليمان عليهما السلام وكان ذلك جائزا فى شريعته معتادا فيما بين امته غير مخل بالمروة حيث
كان يسأل بعضهم بعضا ان ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا اعجبته وقد كان الانصار فى صدر الاسلام يواسون
المهاجرين بمثل ذلك من غير نكير خلا انه عم لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شأنه نبه بالتمثيل

على انه لم يكن ينبغى له ان يتعاطى ما يتعاطاه آحاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان
ينزل عنها فيتزوجها مع كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن
به وقيل لم يكن اوريا تزوجها بل كان خطبها ثم خطبها داود عم فآثره عم اهلها فكان ذنبه عم
ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عم دخل ذات يوم محرابه واغلق بابه وجعل
يصلى ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاء الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها
لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت فى كوة فتبعها فابصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها
فغطى بدنها وهى امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء
ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان يرجع حتى يفتح الله على
يديه او يستشهد ففتح الله تعالى على يديه وسلم فامر برده مرة اخرى وثالثة حتى قتل واتاه خبر
قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه ومكر مخترع بئسما
تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع ويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك قال
على رضى الله عنه من حدث بحديث داود عم على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وذلك
حد الفرية على الانبياء صلوات الله عليهم هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عم فتسوروا المحراب
ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عم غرضهم فهم بان ينتقم منهم
فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به فاناب فغفرنا له ذلك اى ما استغفر
عنه روى انه عم بقى ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة او لما لا بد منه ولا
يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولم يشرب ماء الا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى
فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى
نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة
بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع فى الجنة يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض اما حكاية
لما خوطب به عم مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال
من فاعله اى وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اى استخلفناك على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها
او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل بين على ان حاله عم بعد
التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان الخلافة بكلا معنييه
مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اى هوى النفس فى الحكومة وغيرها من امور الدين والدنيا فيضلك
عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهى وقيل هو مجزوم بالعطف على النهى مفتوح لالتقاء الساكنين
اى فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التى نصبها على الحق تكوينا وتشريعا وقوله
تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله فى موضع
الاضمار لزيادة التقرير والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من خبر
ومبتدأ وقعت خبرا لان او الظرف خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا
بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد
لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار بعليته لما يستتبعه ويستلزمه اعنى الضلال عن سبيل الله فانه
مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هذا فرد من افراده او ظرف لقوله تعالى لهم عذاب شديد يوم
القيامة بسبب نسيانهم الذى هو عبارة عن ضلالهم ومن ضرورته ان يكون مفعوله سبيل الله فيكون
التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السرى
قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى فتدبر
وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستأنف مقرر لما قبله من امر البعث والحساب
والجزاء اى وما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذى تحار فى فهمه العقول خلقا
باطلا اى خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكم البالغة حيث

خلقنا من بين ما خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز بين الحق والباطل والنافع والضار وركبنا فيها من القوى
العلمية والعملية ما يستعد به لاستجلاب منافعها واستدفاع مضارها ونصبنا للحق دليلا آفاقية وأنفسية ومنحناها
القدرة على الاستشهاد بها ثم لم نقتصر على ذلك المقدار من الألطاف بل أرسلنا إليها رسلا وأنزلنا عليها كتبا بينا فيها
كل دقيق وجليل وأزحنا عللها بالكلية وعرضناها بالتكليف للمنافع العظيمة وأعددنا لها عاقبة وجزاء
على حسب أعمالها ذلك اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فإن جحودهم
بأمر البعث والجزاء الذي عليه يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة
سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فويل للذين كفروا مبتدأ وخبر والفاء لإفادة ترتب ثبوت الويل
لهم على ظنهم الباطل كما أن وضع الموصول موضع ضميرهم للإشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا
تنافي بينهما لأن ظنهم من باب كفرهم ومن في قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما
كتبت أيديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحا بعد الإشعار بعلية ما يؤدي إليها من ظنهم
وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
كالمفسدين في الأرض أم منقطعة وما فيها من بل للإضراب الانتقالي عن تقرير أمر البعث والحساب والجزاء
بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في الهمزة من انكار التسوية بين
الفريقين ونفيها على أبلغ وجه وآكده اي بل أنجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة المفسدين في أقطار الأرض
كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفرة أوفر
حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الأولين الى أعلى عليين ورد
الآخرين الى أسفل سافلين وقوله تعالى أم نجعل المتقين كالفجار إضراب وانتقال عن إثبات ما ذكر بلزوم
المحال الذي هو التسوية بين الفريقين المذكورين على الإطلاق الى إثباته بلزوم ما هو أظهر منه استحالة
وهو التسوية بين أتقياء المؤمنين وأشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين مما لا يساعده المقام ويجوز
أن يراد بهذين الفريقين عين الأولين ويكون التكرير باعتبار وصفين آخرين هما أدخل في إنكار التسوية
من الوصفين الأولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين إنا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون فنزلت كتاب
خبر مبتدأ محذوف هو عبارة عن القرآن أو السورة وقوله تعالى أنزلناه إليك صفته وقوله مبارك خبر ثان
للمبتدأ أو صفة لكتاب عند من يجوز تأخير الوصف الصريح عن غير الصريح وقرئ مباركا على أنه حال من مفعول أنزلنا
ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى ليدبروا آياته متعلق بأنزلناه اي أنزلناه
ليتفكروا في آياته التي من جملتها هذه الآيات المعربة عن أسرار التكوين والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها
من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الأصل ولتدبروا على الخطاب أي أنت
وعلماء أمتك بحذف إحدى التاءين وليتذكر أولوا الألباب اي وليتعظ به ذوو العقول السليمة أو
ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فإن الكتب الإلهية
مبينة لما لا يعرف إلا بالشرع ومرشدة إلى ما لا سبيل للعقل إليه ووهبنا لداود سليمان نعم العبد
وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تأخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولأن قوله تعالى
إنه أواب اي رجاع إلى الله تعالى بالتوبة أو إلى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما أن الضمير
المجرور في قوله تعالى إذ عرض عليه راجع إليه قطعا وإذ منصوب باذكر أي اذكر ما صدر عنه
إذ عرض عليه بالعشي وهو من الظهر إلى آخر النهار الصافنات فإنه يشهد بأنه أواب وقيل ظرف
لأواب وقيل لنعم وتأخير الصافنات عن الظرفين لما مر مرارا من التشويق إلى المؤخر والصافن من
الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد أو رجل وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتفق إلا في العراب
الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما وأما الذي يقف على سنبكه فهو المتخيم الجياد جمع جواد أو جود
وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل وصفت بالصفون والجودة لبيان جمعها
بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اي إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت
سراعا خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي أنه عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب ألف

الف فرس وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعد ما
صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد كان
له من الذكر وقتئذ وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى وبقي ما بقي
فما في أيدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بأمره
فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من الاشتغال
عن الصلاة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار أواخر العرض
المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون
الخبر وأصل أحببت أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت لكن لما أنيب مناب أنبت عدي بعن وحب الخير
مفعوله كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل
التي شغلته عليه السلام ويحتمل أنه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة
وقرئ إني حتى توارت بالحجاب متعلق بقوله أحببت باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار
العرض أي أنبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت أي غربت الشمس تشبيها لغروبها
في مغربها بتواري المخبأة بحجابها وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير للصافنات
أي حتى توارت بحجاب الليل أي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان عليه السلام ومرمى غرضه من
تقديم ما قدمه ومن لم يتنبه له مع ظهوره توهم أنه منصوب بمضمر هو جواب لمضمر آخر كأن سائلا
قال فماذا قال سليمان عليه السلام فقيل قال ردوها فتأمل والفاء في قوله تعالى فطفق مسحا فصيحة مفصحة
عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذانا بغاية سرعة الامتثال بالأمر أي فردوها عليه
فأخذ يمسح السيف مسحا بالسوق والأعناق أي بسوقها وأعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته
أي ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده أعناقها وسوقها حبا لها وليس بذاك وقرئ بالسؤوق
على همز الواو لضمتها كما في أدؤر وقرئ بالسؤق تنزيلا لضمة السين منزلة ضمة الواو وقرئ بالساق اكتفاء
بالواحد عن الجمع لأمن الالتباس ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب
أظهر ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا أنه قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتي كل واحدة
بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل إن شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق
رجل والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون وقيل ولد له ابن
فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به إلا أن ألقي على كرسيه
ميتا فتنبه لخطئه حيث لم يتوكل على الله عز وعلا وقيل إنه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها
وأصاب بنتا له تسمى جرادة من أحسن الناس فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكان لا يرقأ دمعها
جزعا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن
لها كعادتهن في ملكه فأخبره آصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده إلى فلاة
وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا إلى الله تعالى باكيا متضرعا وكانت له أم ولد يقال لها
أمينة إذا دخل للطهارة أو لإصابة امرأة يعطيها خاتمه وكان ملكه فيه فأعطاها يوما فتمثل
لها بصورته شيطان اسمه صخر وأخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع إليه الخلق ونفذ حكمه
في كل شيء إلا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف
أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف وإذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب
وسبوه ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا
عدد ما عبد الوثن في بيته فألقي في البحر فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها
فإذا هو بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد إلى ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه
بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة عن صخر سمي
به وهو جسم لا روح فيه لأنه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال أهله لأن اتخاذ

التماثيل لم يكن محظورا حينئذ والسجود للصورة بغير علم منه لا يضر قال بدل من أناب وتفسير له رب اغفر
لي اي ما صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون معجزة
لي مناسبة لحالي فانه عم لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه معجزة جامعة لحكمهما
او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد
من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون منافسة وقيل كان
ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله احد فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على الاستيهاب
لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام والصالحين وكون ذلك ادخل في الاجابة
وقرئ لي بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة معا بالاخيرة فقط فان المغفرة
ايضا من احكام وصف الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره
عم الى ما كان عليه قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري بامره بيان لتسخيرها له رخاء لينة من الرخاوة طيبة
لا تزعزع وقيل طيعة لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد حيث اصاب اي حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن
العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين وآخرين
مقرنين في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه عم فصل ونحو ذلك والى مردة قرن
بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر والفساد ولعل اجسامهم شفافة فلا ترى صلبة فيمكن تقييدها
ويقدرون على الاعمال الصعبة وقد جوز ان يكون الاقران في الاصفاد عبارة عن كفهم عن الشرور بطريق
التمثيل والصفد القيد وسمي به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده
واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد هذا الخ اما حكاية لما خوطب به سليمان عم مبينة لعظم شان
ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول لقول مقدر هو معطوف على سخرنا او حال من فاعله
كما مر في خاتمة قصة داود عم اي وقلنا له او قائلين له هذا الذي اعطيناك من الملك العظيم والبسطة
والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن او امسك فاعط من شئت وامنع من شئت
بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق
او من العطاء اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين
وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك الاطلاق والتقييد وان له عندنا لزلفى
في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو الجنة قيل فتن سليمان عم بعد ما ملك
عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في
تاريخه ان سليمان عم ورث ملك ابيه في عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره
كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى هلك ثم سار سليمان عم الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل
فيها ثم جاء بلاد الصين ثم عطف الى ان وافى بلاد فارس فنزلها اياما ثم عاد الى الشام ثم امر ببناء بيت
المقدس فلما فرغ منه سار الى تهامة ثم الى صنعاء وكان من حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب
الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم واذكر عبدنا ايوب عطف على اذكر عبدنا داود وعدم
تصديره بقصة سليمان لعدم هذا العنوان لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب هو ابن عيص
بن اسحق عليهما السلام اذ نادى ربه بدل اشتمال من عبدنا وايوب عطف بيان له اني باني مسني
الشيطان بفتح ياء مسني وقرئ باسكانها واسقاطها بنصب اي تعب وقرئ بفتح النون وبفتحتين
وبضمتين للتثقيل وعذاب اي الم وصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد وهو المراد
بالضر في قوله اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه ربه بعبارته والا لقيل انه مسه الخ في
الاسناد الى الشيطان اما لان الله تعالى مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله او استغاثه
مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لامتحان صبره فيكون اعترافا
بالذنب او لان المراد بالنصب والعذاب ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء
والقنوط من الرحمة ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء

او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل وليس هذا تمام دعائه عم بل من جملته قوله وانت ارحم
الراحمين فاكتفى ههنا عن ذكره بما في سورة الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا
وقوله تعالى اركض برجلك الخ اما حكاية لما قيل له او مقول لقول مقدر معطوف على نادى اي
فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وكذا قوله تعالى هذا مغتسل بارد وشراب فانه اما
حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر معطوف على مقدر ينساق اليه الكلام
كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل
نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله ووهبنا له اهله معطوف
على مقدر مترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر آنفا كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك
ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اهله اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد
تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل رحمة منا اي لرحمة
عظيمة عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا
الى الله عز وجل فيما يحيق بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا
معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا خذ بيدك الخ والاول اقرب لفظا وانسب
معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف وقيل ليا بنت
يعقوب وقيل ماخير بنت ميشا بن يوسف عم ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة
فامره الله تعالى باخذ الضغث والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس قبضة من
الشجر ونحوه فاضرب به اي بذلك الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله
سبحانه هذه الرخصة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب
المضروب بكل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه
صابرا فيما اصابه في النفس والاهل والمال وليس في شكواه الى الله تعالى اخلال بذلك فانه لا يسمى جزعا
كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث كان الشيطان يوسوس الى
قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه
الا القلب واللسان ويروى انه عم قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع
قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا كاسيا ومعي جائع او عريان
فكشف الله تعالى عنه نعم العبد ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى واذكر عبادنا
ابراهيم واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا وقرئ عبدنا اما على ان ابراهيم وحده لمزيد شرفه عطف
بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيات عطف على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع
موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعة والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة
والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها تباشر بها وبالابصار عن المعارف لانها
اقوى مبادئها وفيه تعريض بالجهلة البطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ على تركهم المجاهدة و
التأمل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايد بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ اولي الايادي على
جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرفهم في العبودية وعلو الرتبة في العلم والعمل اي جعلناهم
خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار بيان
للخالصة بعد ابهامها للتفخيم اي تذكر للدار الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم
وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح افكارهم في كل ما ياتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز
بلقائه ولا يتسنى ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد
الاول قراءة من قرأ بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ
باضافة خالصة الى ذكرى اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكرها بهم آخر
اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء عليهم السلام وقيل

ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار لمن المختارين من أمثالهم المصطفين عليهم في الخير والأخيار جمع خير أو خيّر مخفف منه كالأموات في جمع ميت وميّت واذكر إسمعيل فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه إلياس على بني إسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل على يسع كما في قول من قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كأن أصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه حرف التعريف وقيل هو علم أعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع أو بشر بن أيوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فرّ إليه مائة نبي من بني إسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة ركعة وكل أي وكلهم من الأخيار المشهورين بالخيرية هذا إشارة إلى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر أي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به أبدا أو نوع من الذكر الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على أنباء الأنبياء عليهم السلام وعن ابن عباس هذا ذكر من مضى من الأنبياء وقوله تعالى وإن للمتقين لحسن مآب شروع في بيان أجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل وهو باب آخر من أبواب التنزيل والمراد بالمتقين إما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا وإما نفس المذكورين عبّر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان لحسن مآب عند من يجوّز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فإن عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده أو بدل منه أو نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الأبواب حال من جنات عدن والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل والأبواب مرتفع باسم المفعول والرابط بين الحال وصاحبها إما ضمير مقدر كما هو رأي البصريين أي الأبواب منها أو الألف واللام القائمة مقامه كما هو رأي الكوفيين إذ الأصل أبوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر أو على أنهما خبران لمحذوف أي هي جنات عدن مفتحة متكئين فيها حال من ضمير لهم والعامل فيه مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف لبيان حالهم فيها وقيل هو أيضا حال مما ذكر أو من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فإنه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف أي على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم أتراب لدات لهم فإن التحاب بين الأقران أرسخ أو بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فإنه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب أي لأجله فإن الحساب علة للوصول إلى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات أليق بمقام الامتنان والتكريم إن هذا أي ما ذكر من ألوان النعم والكرامات لرزقنا أعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع أبدا هذا أي الأمر هذا أو هذا كما ذكر أو هذا ذكر وقوله تعالى وإن للطاغين لشر مآب شروع في بيان أضداد الفريق الأول جهنم إعرابه كما سلف يصلونها أي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد وهو المهد والمفرش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه أي ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله تعالى فإياي فارهبون أو العذاب هذا فليذوقوه أو هو مبتدأ خبره حميم وغساق وما بينهما اعتراض وهو على الأولين خبر مبتدأ محذوف أي هو حميم والغساق ما يغسق من صديد أهل النار من غسقت العين إذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه إلا الله وقرئ بتخفيف السين وآخر من شكله أي ومذوق آخر من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة والفظاعة وقرئ وأخر أي ومذوقات أخر أو أنواع عذاب أخر وتوحيد ضمير شكله بتأويل ما ذكر أو الشراب الشامل للحميم والغساق أو هو راجع إلى الغساق أزواج أي أجناس وهو خبر لآخر لأنه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة له والثلاثة مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال من جهة الخزنة لرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم في الكفر والضلالة والاقتحام الدخول في الشيء بشدة

قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة وقوله تعالى لا مرحبا بهم من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج أو صفة للفوج أو حال منه أي مقولا أو مقولا لهم في حقهم لا مرحبا بهم أي لا أتوا مرحبا أو لا رحبت بهم الدار مرحبا إنهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم أو وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم إلى هنا كلام الرؤساء في حق أتباعهم عند خطاب الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كل ذلك كلام الرؤساء في قولهم بعضهم مع بعض في حق الأتباع قالوا أي الأتباع عند سماعهم ما قيل في حقهم ووجه خطابهم للرؤساء في قولهم بل أنتم لا مرحبا بكم الخ على الوجه الأخير ظاهر وأما على الوجه الأول فلعلهم إنما خاطبوهم مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزنة بل هم لا مرحبا بهم الخ قصدا منهم إلى إظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم إلى الخزنة طمعا في قضائهم بتخفيف عذابهم أو تضعيف عذاب خصمائهم أي بل أنتم أحق بما قيل لنا أو قلتم وقوله تعالى أنتم قدمتموه لنا تعليل لأحقيتهم بذلك أي أنتم قدمتم العذاب أو الصلي لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي إليه من العقائد الزائغة والأعمال السيئة وتزيينها في أعيننا وإغرائنا عليه لا أنا باشرناها من تلقاء أنفسنا فبئس القرار أي فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية الرؤساء عليهم قالوا أي الأتباع أيضا وتوسيط بين كلاميهم لما بينهما من التباين البين ذاتا وخطابا أي قالوا معرضين عن خصومتهم متضرعين إلى الله تع ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار كقولهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار أي عذابا مضاعفا أو ذا ضعف وذلك بأن يزيد عليه مثله ويكون ضعفين كقوله تعالى ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والأفاعي وقالوا أي الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام سقطت لأجلها همزة الوصل والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب قالوه إنكارا على أنفسهم وتأنيبا لها في الاستسخار منهم أم زاغت عنهم الأبصار متصل باتخذناهم على أن أم متصلة والمعنى أي الأمرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أو الازدراء بهم وتحقيرهم وأن أبصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخا لها أو على أنها منقطعة والمعنى أتخذناهم سخريا بل زاغت عنهم أبصارنا على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسخار ثم الإضراب والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على أنه صفة أخرى لرجالا فقوله تعالى أم زاغت الخ متصل بقوله ما لنا لا نرى والمعنى ما لنا لا نراهم في النار أليسوا فيها فلذلك لا نراهم أم زاغت عنهم أبصارنا وهم فيها وقد جوز أن تكون الهمزة مقدرة على هذه القراءة وقرئ سخريا بضم السين إن ذلك أي الذي حكي من أحوالهم لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم أهل النار خبر مبتدأ محذوف والجملة بيان لذلك وفي الإبهام أولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل لحق وقيل بدل من حق أو عطف بيان له وقرئ بالنصب على أنه بدل من ذلك وقيل على أنه صفة له فقد قيل عليه إن اسم الإشارة لا يوصف إلا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل قل أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين إنما أنا منذر من جهته تعالى أنذركم عذابه وما من إله في الوجود إلا الله الواحد الذي لا يقبل الشركة والكثرة أصلا القهار لكل شيء سواه رب السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم أن يكون له شريك منها العزيز الذي لا يغلب أمره في أمر من الأمور الغفار المبالغ في المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفي هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر والعزة وتقديمها على وصف المغفرة لتوفية مقام الإنذار حقه قل تكرير الأمر للإيذان بأن المقول أمر جليل له شأن خطير لا بد من الاعتناء به أمرا وائتمارا هو أي ما أنبأتكم به من أني منذر من جهته تعالى وأنه تعالى واحد لا شريك له وأنه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة وأظهار القرآن وما ذكر

داخل فيه دخولاً أولياً يشهد به آخر السورة الكريمة وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة نبأ عظيم
وارد من جهته تعالى وقوله أنتم عنه معرضون استئناف ناع عليهم سوء صنيعهم به بيان أنهم لا
يقدرون قدره الجليل حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجباً للإقبال الكلي عليه وتلقيه
بحسن القبول وقيل صفة أخرى لنبأ وقوله تعالى ما كان لي من علم بالملإ الأعلى الخ استئناف
مسوق لتحقيق أنه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر نبأ من أنبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة
به ولا مباشرة سبب من أسبابها المعتادة فإن ذلك حجة بينة دالة على أن ذلك بطريق الوحي من
عند الله تعالى وأن سائر أنبائه أيضاً كذلك والملأ الأعلى هم الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس عليه اللعنة
وقوله تعالى إذ يختصمون متعلق بمحذوف يقتضيه المقام إذ المراد نفي علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم والتقدير
ما كان لي فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملإ الأعلى وقت اختصامهم وتقدير الكلام كما اختاره
الجمهور تحجير للواسع فإن علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الأقوال فقط بل عام لها وللأفعال
أيضاً من سجود الملائكة واستكبار إبليس وكفره حسبما ينطق به الوحي فلا بد من اعتبار العموم في نفيه
أيضاً لا محالة وقوله تعالى إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين اعتراض وسط بين إجمال اختصامهم وتفصيله
تقريراً لثبوت علمه عليه السلام وتعييناً لسببه إلا أن بيان انتفائه فيما سبق لما كان منبئاً عن ثبوته الآن
ومن البين عدم ملابسته عليه السلام بشيء من مباديه المعهودة تعين أنه ليس إلا بطريق الوحي حتماً فجعل ذلك أمراً
مسلم الثبوت غنياً عن الإخبار به قصداً وجعل مصب الفائدة والمقصود إخباره ما هو داعٍ إلى الوحي
ومصحح له تحقيقاً لقوله تعالى إنما أنا منذر في ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملإ الأعلى فالقائم مقام
الفاعل ليوحى إما ضمير عائد إلى الحال المقدر أو ما يعمه وغيره فالمعنى ما يوحى إلي حال الملإ الأعلى
أو ما يوحى إلي ما يوحى من الأمور الغيبية التي من جملتها حالهم إلا لأنما أنا نذير مبين من جهته تعالى فإن
كونه عليه السلام كذلك من دواعي الوحي إليه ومن موجباته حتماً وأما أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وأن
هو إنما أنا نذير مبين بلا تقدير الجار وأن المعنى ما يوحى إلي إلا الإنذار أو ما يوحى إلي إلا أن أنذر
وأبلغ ولا أفرط في ذلك كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار إلى التكلف في توجيه قصر الوحي على كونه للإنذار
في الأول وقصره على الإنذار في الثاني فلا يناسب سياق النظم الكريم وسباقه كيف لا والاعتراض
يكون أجنبياً مما توسط بينهما من إجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ إنما بالكسر على الحكاية
وقوله تعالى إذ قال ربك للملائكة شروع في تفصيل ما أجمل من الاختصام الذي هو ما جرى بينهم من
التقاول وحيث كان تكليمه تعالى إياهم بواسطة الملك صح إسناد الاختصام إلى الملائكة وإذ بدل
من إذ الأولى وليس من ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفي اشتمال ما في حيزها عليه
فإن القصة ناطقة بذلك والإيذان بأن وحي هذه القصة إليه تربية وتأييد له عليه السلام والكاف واردة
باعتبار حال الآمر لكونه أدل على كونه وحياً منزلاً من عنده تعالى كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم الخ دون حال المأمور وإلا لقيل ربي لأنه داخل في حيز الأمر إني خالق أي فيما سيأتي
وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على أنه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف
يثنيه بشراً أي جسماً كثيفاً يلاقى ويباشر وقيل خلقاً بادي البشرة بلا صوف ولا شعر ولعل
ما جرى عند وقوع المحكي ليس هذا الاسم الذي لم يخلق مسماه حينئذ فضلاً عن تسميته به بل عبارة
كاشفة عن حاله وإنما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض لأوصافه من التغير والاسوداد
والمسنونية اكتفاء بما ذكر في مواقع أخر فإذا سويته أي صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية
أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ إجراء الروح إلى تجويف جسم
صالح لإمساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لإفاضة ما به الحيوة بالفعل على
المادة القابلة لها أي فإذا أكملت استعداده وأفضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من أمري
فقعوا له أمر من وقع وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل أي اسقطوا له ساجدين
تحية له وتكريماً فسجد الملائكة أي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد له الملائكة كلهم حيث لم يبق منهم

منهم أحد إلا سجد أجمعون بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختص بأمر
لا أن مدار هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد أيضاً وقيل أكد بتأكيدين مبالغة في التعميم هذا
وأن سجودهم هذا على ترتيب ما حكي من الأمر التعليقي كما تقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في
سورة الحجر فإن ظاهرهما يستدعي ترتبه عليه من غير أن يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة
من الخلق والتسوية ونفخ الروح أو على الأمر التنجيزي كما يقتضيه ما في سورة البقرة وما في سورة الأعراف
وما في سورة بني إسرائيل وما في سورة الكهف وما في سورة طه من الآيات الكريمة فقد مر تحقيقه بتوفيق
الله عز وجل في سورة البقرة وسورة الأعراف إلا إبليس استثناء متصل لما أنه كان جنياً مفرداً مغموراً
بألوف من الملائكة موصوفاً بصفاتهم فغلبوا عليه ثم استثني استثناء واحد منهم أو لأن من الملائكة
جنساً يتوالدون وهو منهم أو منقطع وقوله تعالى استكبر على الأول استئناف مبين لكيفية ترك السجود
المفهوم من الاستثناء فإن تركه يحتمل أن يكون للتأمل والتروي وبه يتحقق أنه للإباء والاستكبار وعلى
الثاني يجوز اتصاله بما قبله أي لكن إبليس استكبر وكان من الكافرين أي وصار منهم بمخالفته للأمر
واستكباره عن الطاعة أو كان منهم في علم الله عز وجل قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت
بيدي أي خلقته بالذات من غير توسط أب وأم والتثنية لإبراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعي لإجلاله
وإعظامه قصداً إلى تأكيد الإنكار وتشديد التوبيخ أستكبرت بهمزة الإنكار وطرح همزة الوصل أي
أتكبرت من غير استحقاق أم كنت من العالين المستحقين وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المتكبرين
وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة أم عليها وقوله تعالى قال أنا خير منه ادعاء منه لشيء مستلزم
لمنعه من السجود على زعمه وإشعار بأنه لا يليق أن يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله لم أكن لأسجد
لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه
من فضله عليه عليه السلام ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من
جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدي وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى
ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الأمر ولذلك أمر الملائكة بسجوده عليهم السلام
حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض وأن له خواص ليست لغيرهم قال فاخرج
منها الفاء لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للأمر الجليل وتعليلها بالأباطيل أي فاخرج من
الجنة أو من زمرة الملائكة وهو المراد بالأمر بالهبوط لا الهبوط من السماء كما قيل فإن وسوسته لآدم عليه السلام
كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل أخرج من الخلقة التي كنت فيها
وانسلخ منها فإنه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً
وأظلم بعد ما كان نورانياً وقوله تعالى فإنك رجيم تعليل للأمر بالخروج أي مطرود من كل خير
وكرامة فإن من يطرد يرجم بالحجارة أو شيطان يرجم بالشهب وإن عليك لعنتي أي إبعادي عن
الرحمة وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى وإن عليك اللعنة لما أن لعنة اللاعنين من
الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى وأنهم يدعون عليه بلعنة الله تعالى وإبعاده من الرحمة إلى يوم
الدين أي يوم الجزاء والعقوبة وفيه إيذان بأن اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هي أنموذج
مما سيلقاه مستمرة إلى ذلك اليوم لكن لا على أنها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على أنه
سيلقى يومئذ من ألوان العذاب وأفانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة وتصير كالزائل ألا يرى إلى قوله
تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضكم بعضاً قال رب
فأنظرني أي أمهلني وأخرني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام أي إذ جعلتني رجيماً فأمهلني ولا
تمتني إلى يوم يبعثون أي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وأراد بذلك أن يجد فسحة لإغوائهم ويأخذ
منهم ثأره وينجو من الموت بالكلية إذ لا موت بعد يوم البعث قال فإنك من المنظرين ورود الجواب
بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما سأله لآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعاً لهم في ذلك
واضح على أنه إخبار بالإنظار المقدر لهم أزلاً لا إنشاء لإنظار خاص به تدفع إجابة لدعائه وأن

استنظار ثم كان طلبا لتأخير الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة
اليوم الى الدين اى انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين الى يوم الوقت
المعلوم الذى قدره الله تعالى وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى
هو المسئول فالفاء ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما فى قول من
قال ارحمني فانت لذلك اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه لربط ما له تعالى من الاهلية الذاتية
للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هذا وقد تركت
التوجيهات فى سورة الاعراف كما تركت الندا والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفى سورة
الحجر وان خطر ببالك ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره
وان ما حكى من اللعين انما صدر عنه مرة وكذا الجواب لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان
اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة
الاعجاز واما ما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز
فقد سلف تحقيقه فى سورة الاعراف بفضل الله تعالى ولطفه قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب
مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه قوله تعالى فبما اغويتنى وقوله تعالى رب بما اغويتنى فان
اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل
اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخر اى فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اى ذرية آدم
بتزيين المعاصى لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ
المخلصين على صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالى قال اى الله عز وجل فالحق والحق اقول
برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثانى على انه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر
اى لا اقول الا الحق والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فالحق قسمى لاملأن جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض
الباطل عظمه الله تعالى باقسامه به اى فانا الحق او فقولى الحق وقوله تعالى لاملأن جهنم الخ جواب للقسم
محذوف اى والله لاملأن الخ وقوله تعالى والحق اقول على كل تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون
الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعنى فقولى الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم به
كقوله الله لافعلن وجوابه لاملأن وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه
كقولك الله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم به على تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التاكيد والتشديد
وقرئ بجر الاول على اضمار حرف قسمه ونصب الثانى على المفعولية منك اى من جنسك من الشياطين وممن تبعك
فى الغواية والضلال منهم من ذرية آدم اجمعين تاكيد للكاف وما عطف عليه اى لاملأنها من المتبوعين
والاتباع اجمعين كقوله تعالى لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى
ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشيطان اقتضى ان
مدار عدم المشيئة فى قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشيطان بسوء اختيارهم لا تحقق القول
فليس فى ذلك شائبة الجبر فتدبر قل ما اسألكم عليه على القرآن او على تبليغ ما يوحى الى من اجر دنيوى وما انا من المتكلفين
اى المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو اى ما هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين
اى للثقلين كافة ولتعلمن نبأه اى ما انبأ به من الوعد والوعيد وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد
حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفشوه وقيل من بقى علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن
مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل
سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير وكبير وقال ابو امامة عصمه الله من كل ذنب صغير او كبير

سورة الزمر سبع بسم الله الرحمن الرحيم وسبعون آية مكية

تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه
لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقد قيل هو ضمير عائد الى الذكر فى قوله ان هو الا ذكر للعالمين
وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صفة للتنزيل او خبر ثان او حال من التنزيل عاملها معنى الاشارة او من
الكتاب الذى هو مفعول معنى عاملها المضاف وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والوجه الاول لا دفعه لمقتضى المقام
الذى هو بيان ان السورة اى القرآن تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا من
غيره كما يفيده الوجه الاخير وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفى العزة
والحكمة للايذان بظهور آثارهما فى الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع وب
ابتناء جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة وقوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع فى بيان
شأن المنزل اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند الله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن واظهاره
على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة بالانزال اى بسبب
الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من نون العظمة او من الكتاب
اى انزلناه اليك محقين فى ذلك او نزلناه ملتبسا بالحق والصواب اى كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل
به حتما والفاء فى قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر بالعبادة على انزال الكتاب
اليه عم بالحق اى فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والرياء حسبما بين فى تضاعيف ما انزل
اليك وقرئ برفع الدين على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام
والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص العبادة وقوله تعالى الا لله الدين الخالص استئناف
مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به وعلى القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين
به تعالى اى الا هو الذى يجب ان يخص باخلاص الطاعة لانه المنفرد بصفات الالوهية التى من جملتها
الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء تحقيق لحقية ما ذكر من
اخلاص الدين الذى هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى هو عبارة عن ترك اخلاصه
والموصول عبارة عن المشركين ومحله الرفع على الابتداء خبره ما سيأتى من الجملة المصدرة بان والاولياء عبارة
عن الملائكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى حال بتقدير
القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ من اعم العلل
وزلفى مصدر مؤكد على غير لفظ المصدر ملاق له فى المعنى اى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى
بل شابوها بعبادة غيره قائلين ما نعبدهم لشئ من الاشياء الا ليقربونا الى الله ان الله يحكم بينهم اى
وبين خصمائهم الذين هم المخلصون للدين وقد حذف لدلالة الحال عليه كما فى قوله تعالى لا نفرق بين احد
من رسله على احد الوجهين اى بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة

فما كان بين الخير لو جاء سالما * ابو حجر الا ليال قلائل

اى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذى اختلفوا
فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى فى ذلك ادخال الموحدين
الجنة والمشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه سياق النظم الكريم واما تجويز ان
يكون الموصول عبارة عن المعبودين على حذف العائد اليه واضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على
دلالة السياق عليهم ويكون التقدير والذين اتخذهم المشركون اولياء قائلين ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله ان الله يحكم بينهم اى بين العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجو العبدة
شفاعتهم وهم يلعنونهم فبمعزل من الاحتمال لما فيه من التعسف المعزل عن السداد كيف لا وليس فيما
ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذاك
ما بين فريقى الموحدين والمشركين فى الدنيا من الاختلاف فى الدين الباقى الى يوم القيامة وقرئ قالوا
ما نعبدهم فهو بدل من الصلة لا خبر للموصول كما قيل اذ ليس فى الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ
ما نعبدكم الا ليقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نعبدهم اتباعا للباء ان الله لا يهدى اى
لا يوفق للاهتداء الى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار
اى راسخ فى الكذب مبالغ فى الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب فانهما فاقدان للبصيرة غير قابلين

للاهتداء لتغيرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغي والجملة تعليل لما ذكر من حكمه تعالى
لو اراد الله ان يتخذ ولدا الخ استئناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملائكة بنات الله و
عيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج
فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اي لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى اي لاتخذ مما يخلق اي من جملة
ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع تعدد الواجب
ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وان المخلوق
لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد لم يكن اتخاذ ولد بل اصطفاء عبد واليه
اشير حيث وضع الاصطفاء موضع الاتخاذ الذي يقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام
فرض وقوعه بل فرض ارادة وقوعه انتفاءه اي لو اراد الله ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ
الولد في شيء اصلا بل انما هو اصطفاء عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاءه فهو ممتنع
قطعا فكانه قيل لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة
بل على انه متحقق عند عدمها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله تعالى سبحانه
تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اي تنزه بالذات
عن ذلك تنزهه الخاص به على ان السبحان مصدر من سبح اذا بعد او اسبحه تسبيحا لائقا به على انه علم
للتسبيح يقول على انزه العباد او يحق تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار
استئناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفتي الالوهية
المستتبعة لسائر صفات الكمال النافية لسمات النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة
بينه تعالى وبين غيره على الاطلاق مما يقضي بتنزهه تعالى عما قالوا قضاء متقنا وكذا وصف القهارية لما
ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت الغير عرضة للفناء ليقوم ولده مقامه عند فنائه ومن هو
مستحيل الفناء قهار لكل الكائنات كيف يتصور ان يتخذ من الاشياء الفانية ما يقوم مقامه وقوله
تعالى خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض افعاله تعالى الدالة على تفرده بما ذكر من الصفات
الجليلة اي خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى
يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان
حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اي يغشى كل واحد منهما الآخر كانه يلفه عليه
لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع
اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما منقادين لامره تعالى
وقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اي كل منهما يجري لمنتهى دورته او منقطع حركته
وقد مر تفصيله غير مرة الا هو العزيز الغالب القادر على كل شيء من الاشياء التي من جملتها عقاب العصاة
الغفار البالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة و
تصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان لبعض آخر من افعاله
الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة ولتعلقه بالعالم السفلي
والبداية بخلق الانسان لعراقته في الدلالة لما فيه من تعاجيب آثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة
فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد بالنفس نفس آدم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها
عطف على محذوف هو صفة لنفس اي من نفس خلقها ثم جعل منها زوجها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت
ثم جعل منها زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا آيتين دالتين
على ما ذكر لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة واما الثانية فحيث لم تكن معتادة خارجة عن
قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق كانت ادخل في كونها آية واجلب لتعجب
السامع فعطفت على الاول بثم دلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة
كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق منه حواء ففيه

ففيه ثلاث آيات مترتبة خلق آدم بلا اب وام وخلق حواء من قصيراه ثم تشعب الخلق الفائت
للحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض آخر من افعاله الدالة على ما ذكر اي قضى او قسم لكم
فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باسباب
نازلة من السماء كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى هي الابل والبقر والضأن
والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بما
قدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لمنافعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة المشوقة
الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استئناف مسوق لبيان كيفية خلقهم واطواره
المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى
خلقا من بعد خلق مصدر مؤكد اي يخلقكم فيها خلقا كائنا من بعد خلق اي خلقا مدرجا حيوانا سويا
من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد
علقة من بعد نطفة في ظلمات ثلاث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة
او ظلمة الصلب والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اي ذلكم العظيم الشان
الذي عددت افعاله الله وقوله تعالى ربكم خبر آخر اي مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها
ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به له الملك على الاطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة
في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فانى
تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى اي فكيف تصرفون عن عبادته تعالى مع
وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة غيره من غير داع اليها مع كثرة
الصوارف عنها ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة
للايمان والشكر فان الله غني عنكم اي فاعلموا انه تعالى غني عن ايمانكم وشكركم غير متاثر من انتفائه
ولا يرضى لعباده الكفر اي عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره
تعالى وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا
لانتفاعه تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده تعالى وقرئ باسكان الهاء
ولا تزر وازرة وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اي لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل
نفس اخرى ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون اي
كنتم تعملونه في الدنيا من اعمال الكفر والايمان اي يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا انه عليم بذات
الصدور اي بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال الظاهرة وهو تعليل للتنبئة واذا مس الانسان ضر
من مرض وغيره دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة
على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا
خوله نعمة منه اي اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخويل وهو التعهد اي جعله خائل مال
من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول وهو الافتخار اي جعله
يختال ويفتخر نسي ما كان يدعو اليه اي الضر الذي كان يدعو الله تعالى الى كشفه
من قبل اي من قبل التخويل او نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع اليه اما على ان ما بمعنى من كما في
قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان نسيانه
بلغ الى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن ان يعرف من هو كما في قوله تعالى وجعل
لله اندادا شركاء في العبادة ليضل الناس بذلك عن سبيله الذي هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح
الياء اي ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الاضلال غير حاصل بالجعل المذكور واللام لام العاقبة
كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان
الجاعل هنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما اضلال وضلال

واما آل فرعون فهم غير قاصدين بالتقاطهم العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله
ومآله تمتع بكفرك قليلا اى تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اى من ملازميها والمعذبين
فيها على الدوام وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذ قد ابيت قبول
ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمر بتركه لتذوق عقوبته امن هو قانت آناء الليل
الخ من تمام الكلام المامور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له
تاكيدا للتهديد وتهكما به أأنت احسن حالا ومآلا ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف
العبادات في ساعات الليل حالتي السراء والضراء لا عند مساس الضر فقط كدابك حال كونه ساجدا وقائما
اى جامعا بين الوصفين المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما
على انه خبر بعد خبر يحذر الآخرة حال اخرى على الترادف او التداخل او استئناف وقع جوابا عما نشا من
حكاية حاله من القنوت والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الآخرة ويرجو رحمة ربه
فينجو بذلك مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال
مع الاضافة الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجو خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب
للانتقال من التهديد الى التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل
بل أمن هو قانت الخ افضل ام هو كافر مثلك كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على
شرف العلم والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين
لا يعلمون اى ما ذكر او شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كدابك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين
في اعلى معارج الخير وكون الآخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف
ومكابر وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون
وقوله تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المامور به وارد من جهته تعالى
بعد الامر بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تاثيرها في قلوب الكفرة لاختلال
عقولهم كما في قول من قال ٥ عوجوا فحيوا النعمى دمنة الدار ٥ ماذا تحيون من نوى واحجار ٥ اى
انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك و
قرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتذكير المؤمنين
وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولي الالباب ايذانا بانهم هم كما سيصرح به اى قل لهم
قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة ومزيد اعتناء بشان المامور به فان نقل عين امر الله
تعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى للذين احسنوا تعليل للامر او لوجوب الامتثال به
وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما نص
في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق باحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه
الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاحسان بقوله ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اى حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي الجنة وقيل هو متعلق بحسنة
على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد بها الصحة والعافية وارض الله واسعة فمن
تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك كما هو سنة الانبياء
والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الخ ترغيب في التقوى المامور
به وايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان لما اشير
اليه من استلزام التقوى لهما مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة
اى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم
في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما
كابدوا من الصبر بغير حساب اى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس لا يهتدي اليه حساب الحساب ولا

ولا يعرف وفي الحديث انه ينصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلوة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم
ولا ينصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اى من كل ما
ينافيه من الشرك والرياء وغير ذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في
عبادة الله الذي هو عبارة عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيدا
لما يعقبه مما خوطب به المشركون وامرت لان اكون اول المسلمين اى وامرت بذلك لاجل ان اكون اول
مقدمهم في الدنيا والآخرة لان احراز قصب السبق في الدين بالاخلاص والعطف لمغايرة الثاني الاول
بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة المذكورة كما تقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق
في الدين ويجوز ان يجعل اللام مزيدة كما في اردت لان افعل بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم
فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او من قومي او اكون اول من دعى غيره الى ما دعى اليه
نفسه قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك عذاب يوم عظيم
هو يوم القيمة وصف بالعظمة لعظم ما فيه من الدواهي والاهوال قل الله اعبد لا غيره استقلالا ولا اشتراكا
مخلصا له ديني من كل شوب امر عليه السلام اولا ببيان كونه مامورا بعبادة الله تعالى واخلاص الدين له
ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان ثم بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه واكده اظهارا
لتصلبه في الدين وحسما لاطماعهم الفارغة وتمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم
ان تعبدوا من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه
امروا به كي يحل بهم العقاب قل ان الخاسرين اى الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما
يهمه واتلاف ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيارهم الكفر لها اى اضاعوها واتلفوها
يوم القيمة حين يدخلون النار حيث عرضوها للعذاب السرمدي واوقعوها في هلكة لا هلكة وراءها
وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة
فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده وفيه ان المحذور ذهاب ما لو آب لانتفع به الخاسر وذلك غير
متصور في الشق الاخير وقيل خسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين
كانوا يتمتعون بهم لو آمنوا واياما كان فليس المراد مجرد تعريف الكاملين في الخسران بما ذكر بل بيان
انهم هم اما بجعل الموصول عبارة عنهم او عما هم مندرجون فيه اندراجا اوليا وما في قوله تعالى
الا ذلك هو الخسران المبين من استئناف الجملة وتصديرها بحرف التنبيه والاشارة بذلك الى بعد
منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين من الدلالة على كمال
هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار الخ نوع
بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر الظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف هو
حال من ظلل والاظهر انه حال من الضمير في الظرف المقدم ومن النار صفة لظلل اى لهم كائنة من فوقهم
ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اى اطباق كثيرة بعضها
تحت بعض ظلل لآخرين بل لهم ايضا عند ترديهم في دركاتها ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف
الله به عباده ويحذرهم اياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب
سخطي وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي والذين
اجتنبوا الطاغوت اى البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بني للمبالغة
في المصدر كالرحموت والملكوت ثم وصف به للمبالغة في النعت والمراد به الشيطان ان يعبدوها
بدل اشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة للشيطان اذ هو الآمر بها والمزين لها وانابوا الى الله و
اقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت
وحين يحشرون وبعد ذلك فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هم الموصوفون
بالاجتناب والانابة باعيانهم لكن وضع موضع ضميرهم الظاهر تشريفا لهم بالاضافة ودلالة على ان مدار

اتصافهم بالوصفين الجليلين لكونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل أولئك
اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم
في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده من الموصول اي اولئك المنعوتون بالمحاسن الجميلة الذين هداهم
الله للدين الحق وأولئك هم أولوا الألباب اي هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة
الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها
أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار بيان لاحوال اضداد المذكورين على طريقة
الاجمال وتسجيل عليهم بحرمان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعوا خطواتها كما يلوح به التعبير عنهم بمن
حق عليه كلمة العذاب فان المراد بها قوله تعالى لابليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وقوله تعالى لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين واصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت
تنقذه على انها شرطية دخل عليها الهمزة لانكار مضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة لها مقدرة
بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونيهما معا اي أأنت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب
فأنت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الانكار وتذكيره لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من
في النار لان اجتهاده عم في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان يكون الجزاء محذوفا و
قوله تعالى أفأنت الخ جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين ما حذف منها ولتنزيل
الانكار بتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير اجتهاده عم في دعائه الى الايمان بصورة الانقاذ
من النار كأنه قيل اولا أمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه منه ثم شدد النكير فقيل أفأنت تنقذ من في
النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غيره وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل
في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم
غرف من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عباد فاتقون ووصفوا بما عدد من الصفات
الفاضلة وهم المخاطبون ايضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم الآية وبين ان لهم
درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اي لهم علالي بعضها فوق
بعض مبنية بها المنازل المبنية الموسسة على الارض في الرصانة والاحكام تجري من تحتها من تحت تلك الغرف
الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد الله مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد واي
وعد لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء استئناف
وارد اما لتمثيل الحياة الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها
وزينتها وتحذيرا من الاغترار بزهرتها كما في نظائر قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الآية او للاستشهاد
على تحقق الموعود من الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء من السماء وما يترتب عليه
من آثار قدرته تعالى واحكام حكمته ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السماء
ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا
ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها نابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال
وعلى الاول بنزع الجار اي في ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما
او كيفياته من الالوان والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه ويشرف على ان يثور من منابته فتراه مصفرا من بعد
خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا كأن لم يغن بالامس ولكون هذه الحالة
من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك اشارة الى ما ذكر تفصيلا وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا عظيما
لأولي الألباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وتنبيها لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك
ان حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون
ببهجتها ولا يفتتنون بفتنتها او يجزمون بان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض

الارض قادر على اجراء الانهار من تحت الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لا بد من صانع
حكيم وانه كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فبمعزل من تفسير الآية الكريمة وانما يليق ذلك
بما لو ذكر من الآثار الجليلة والافعال الجميلة من غير اسنادها الى مؤثر ما فحيث ذكرت مسندة الى
الله عز وجل تعين ان يكون متعلق التذكر والتنبيه شؤونه تعالى او شؤون آثاره حسبما بين
لا وجوده تعالى وقوله أفمن شرح الله صدره للاسلام الخ استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من
تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل القلب
الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للاسلام فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته
بنوره فانه روي انه عم قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال عم الانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله والكلام في الهمزة والفاء كالذي
مر في قوله تعالى أفمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة ما بعده عليه والتقدير
أكل الناس سواء فمن شرح الله صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي على الفطرة الاصلية ولم
تتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم من ربه وهو اللطف
الالهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق
كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولى عليه ظلمات الغي والضلالة
فاعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر
الله اي من اجل ذكره الذي حقه ان تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب اي اذا ذكر الله
تعالى عندهم او آياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا
وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد
من الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الآية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب
وولده وقيل في عمار بن ياسر رضي الله عنه وابي جهل وذويه الله نزل أحسن الحديث هو القرآن
الكريم روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عم ملوا ملة فقالوا له عم حدثنا حديثا وعن ابن مسعود
وابن عباس رضي الله عنهم قالوا لو حدثتنا فنزلت والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث
وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم احسن الحديث ورفع محله والاستشهاد على
حسنه وتأكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدوره عن غيره والتنبيه على انه وحي
معجز ما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا اولا
فان مساغ مجيء الحال من النكرة المضافة مما لا نزاع فيه ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة لاتصافه
بقوله تعالى متشابها او لكونه في نوع مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة
والاحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه
في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع
مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه
وقيل لانه يثنى في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى ثم
ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور
وآيات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رأيت رجلا حسنا شمائل اي شمائله
والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا او حال منه
لتخصصه بالصفة والاظهر انه استيناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان
اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض
تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الراء ليكون رباعيا ودالا على
معنى زائد يقال اقشعر جلده ووقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه
بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها

لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن وقوارع آياته ووعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها
جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله اى ساكنة مطمئنة الى ذكر رحمته تعالى وانعامه بغير تصريح بها ايذانا بانها اول ما
يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اى الكتاب الذى شرح احواله هدى الله يهدى به من يشاء
اى يهدى به ان يصرف مقدوره الى الاهتداء بتأمله فيما فى تضاعيفه من شواهد الحقية ودلائل كونه من
عند الله تعالى ومن يضلل الله اى يخلق فيه الضلال لصرف قدرته الى مباديها واعراضه عما يرشده
الى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعيده ووعده اصلا او ومن يخذل فما له من هاد يخلصه من ورطة
الضلال وقيل ذلك الذى ذكر من الخشية والرجاء اثر هداه تعالى يهدى بذلك الاثر من يشاء من
عباده ومن يضلل اى ومن لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه
شئ قط أفمن يتقى بوجهه الخ استئناف جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حالى المهتدى و
الضال والكلام فى الهمزة والفاء وحذف الخبر كالذى مر فى نظائره والتقدير أكل الناس سواء فمن شأنه
ان يتقى نفسه بوجهه الذى هو اشرف اعضائه سوء العذاب اى العذاب السيئ الشديد يوم القيمة لكون
يده التى يتقى بها المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو آمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء
بوجه من الوجوه وقيل نزلت فى ابى جهل وقيل للظالمين عطف على يتقى اى ويقال لهم من جهة خزنة النار
وصيغة الماضى للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقى باضمار قد ووضع المظهر فى
مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر فى قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون اى
وبال ما كنتم تكسبونه فى الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصى كذب الذين من قبلهم استئناف مسوق
لبيان ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوى اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروى
اى كذب الذين من قبلهم من الامم السالفة فأتاهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون
من الجهة التى لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم اتيان الشر منها فأذاقهم الله الخزى اى الذل والصغار
فى الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الآخرة
المعد لهم اكبر لشدته ودوامه لو كانوا يعلمون اى لو كان من شأنهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك و
اعتبروا به ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر فى امور دينه
لعلهم يتذكرون كى يتذكروا به ويتعظوا قرآنا عربيا حال مؤكدة من هذا على ان مدارها التأكيد هو
الوصف كقولك جاءنى زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذى عوج لا اختلال فيه بوجه من الوجوه فهو
ابلغ من المستقيم واخص بالمعانى وقيل المراد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على
الاولى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون اى اراد لمثل من الامثال القرآنية بعد بيان
ان الحكمة فى ضربها هو التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى والمراد بضرب المثل هنا تطبيق حالة
عجيبة باخرى مثلها وجعلها مثلها كما مر فى سورة يس ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول اخر
عن الثانى للتشويق اليه وليتصل به ما هو من تتمته التى هى العمدة فى التمثيل وفيه ليس بصلة لشركاء
كما قيل بل هو خبر له وبيان انه فى الاصل كذلك مما لا حاجة اليه والجملة فى حيز النصب على انه وصف
لرجلا والوصف هو الجار والمجرور وشركاء مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على الموصوف والمعنى
جعل الله تعالى مثلا للمشرك حسبما يقوده اليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبودية عبد
يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه فى مهماتهم المتباينة فى تحيره وتوزع قلبه ورجلا اى وجعل
للموحد رجلا سلما اى خالصا لرجل فرد ليس لغيره عليه سبيل اصلا وقرئ سلما بفتح السين
وكسرها مع سكون اللام وكلها مصادر من سلم له كذا اى خلص نعت بها مبالغة او حذف منه ذو وقرئ
سالما وسالم اى وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن لما يجرى عليه من الضر والنفع هل
يستويان مثلا انكار واستبعاد لاستوائهما ونفى له على ابلغ وجه واكده وايذان بان ذلك
من الجلاء والظهور بحيث لا يقدر احد يتفوه باستوائهما او يتلعثم فى الحكم بتباينهما ضرورة ان

ان احدهما فى اعلى عليين والآخر فى اسفل سافلين وهو السر فى ابهام الفاعل والمفعول وانتصاب
مثلا على التمييز اى هل يستوى حالاهما وصفتاهما والاقتصار فى التمييز على الواحد لبيان الجنس و
قرئ مثلين كقوله تعالى اكثر اموالا واولادا للاشعار باختلاف النوع او لان المراد هل يستويان
فى الوصفين على ان الضمير للمثلين لان التقدير مثل رجل فيه الخ ومثل رجل الخ وقوله تعالى الحمد لله
تقرير لما قبله من نفى الاستواء بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان ما لهم من المزية بتوفيق الله تعالى
وانها نعمة جليلة موجبة عليهم ان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى بضرب المثل
ان لهم المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته
وقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان
ان اكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون فى ورطة الشرك والضلال و
قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون
وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عم موته اى انكم جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند
ربكم اى مالك اموركم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من الاحكام والمواعظ
التى من جملتها ما فى تضاعيف هذه الآيات واجتهدت فى الدعوة الى الحق حق الاجتهاد وهم قد لجوا فى المكابرة
والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجارى فى الدنيا بين الانام والاول هو الاظهر الانسب بقوله
تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الخ مسوق لبيان حال كل من طرفى الاختصام الجارى فى شأن
الكفر والايمان لا غير اى اظلم من كل ظالم من افترى على الله سبحانه وتعالى بان اضاف اليه الشريك و
الولد وكذب بالصدق اى بالامر الذى هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبى صلى الله عم
اذ جاءه اى فى اول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل اليس فى جهنم مثوى للكافرين اى لهؤلاء الذين
افتروا على الله سبحانه وسارعوا الى التكذيب بالصدق من اول الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان
الافراد فى الضمائر السابقة باعتبار لفظها او لجنس الكفرة وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا والذى جاء
بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله عم ومن تبعه كما ان المراد فى قوله تعالى ولقد
آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون موسى عم وقومه وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده
قراءة ابن مسعود رضى الله عنهم والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لموصوف محذوف
هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجئ بالصدق والتصديق به هم المتقون المنعوتون ن
بالتقوى الذى هو اجل الرغائب وقرئ وصدق به بالتخفيف اى صدق به الناس فأداه اليهم كما نزل
عليه من غير تغيير وقيل وصار صادقا بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة على صدقه
عم وقرئ وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم فى الآخرة من حسن المآب
بعد بيان ما لهم فى الدنيا من محاسن الاعمال اى لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار فى الآخرة
لا فى الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وسائر اهوال القيمة انما
يقع قبل دخول الجنة ذلك الذى ذكر من حصول كل ما يشاؤنه جزاء المحسنين اى الذين احسنوا
اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذى عملوا الخ متعلق بقوله تعالى
لهم ما يشاؤن لكن لا باعتبار منطوقه ضرورة ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن لهم فى
الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم بما سيأتى كما فى معنى الوعد به كما مر فى قوله تعالى وعد الله فانه
مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى لهم غرف من فوقها غرف فانه فى معنى وعدهم الله غرفا فانتصب
وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤنه من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب
ذلك الوعد اسوأ الذى عملوا دفعا لمضارهم ويجزيهم اجرهم باحسن الذى كانوا يعملون اعطاء
لمنافعهم واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء بمضمون الكلام واضافة الاسوأ والا حسن
حسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل عليه بل من اضافة الشئ الى بعضه للقصد الى التحقيق و
التوضيح من غير اعتبار تفضيل عليه وانما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين

بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان خلا ان الزيادة المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم وان قلت واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوأ لتكفير السيء لكن لا يمكن ذلك في الاحسن كان الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة أليس الله بكاف عبده انكار ونفي لعدم كفايته تعالى على ابلغ وجه وآكده لان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم في الجواب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلى الله عليه وسلم او الجنس المنتظم له انتظاما اوليا ويؤيده قراءة من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على صيغة المبالغة اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك آلهتنا ويصيبك معرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اي الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة استئناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام وحتى خوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى أليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا ينازع ذي انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه وفي اظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار تحقيق مضمون الكلام وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل وسنوح السبيل قل تبكيتا لهم أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اي بعدما تحققتم ان خالق العالم العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفن عني ذلك الضر او ارادني برحمة اي او ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعنها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اي في جميع اموري من اصابة الخير ودفع الشر روي انه عليه السلام لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على مكاناتكم اني عامل اي على مكانتي فحذف للاختصار والمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد قوة بنصر الله عز وجل وتأييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله تعالى فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل غلبته عليه السلام وقد عذبهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم هو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم في المعاش والمعاد بالحق حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اي انما نفع نفسه ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اي بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها اي يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا فقط كما عند النوم فيمسك التي قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرئ قضي على البناء للمفعول ورفع الموت ويرسل الاخرى اي النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية

كمية وكما روي عن ابن عباس ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتمييز والروح هي التي بها النفس والتحرك فتتوفيان عند الموت وتتوفى النفس وحدها عند النوم ان في ذلك لآيات اي فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك والارسال لآيات عجيبة دالة على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظاهرها فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اي بل اتخذوا قريش من دون الله من دون اذنه شفعاء تشفع لهم عنده تعالى قل أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه اي قل أيتخذونهم شفعاء ولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلونه فضلا عن ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما يجيبون به ان الشفعاء اشخاص مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه تعالى مالك الشفاعة كلها لا يستطيع احد شفاعة الا ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع مأذونا له وكلاهما مفقود ههنا له ملك السموات والارض تقرير لما قبله ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ ما يريد واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اي انقبضت ونفرت كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه فرادى او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حاليهم القبيحتين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ القلب سرورا حتى ينبسط له بشرة الوجه والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤوا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ الى الله تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال برمتها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي او الاخروي وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الخ كلام مستأنف مسوق لبيان آثار الحكم الذي استدعاه النبي صلى الله عليه وسلم وغاية شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من حالتيهم القبيحتين وما بينهما اعتراض مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم اي على علم مني بوجه كسبه او بأني سأعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لما ان المراد شيء من النعمة بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له أيشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير

البسط للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الآيات المنبئة عن الكرامة وانما هو امر مبني له بالكلية
وتأنيث الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك
وفيه دلالة على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم عندي
وهم راضون به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا
جزاء سيئات اعمالهم وجزاء سيئة سيئة مثلها والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض فان من ظلم
في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتأكيد وقد
اصابهم اي اصابتهم حيث قحطوا سبع سنين وقتل صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين
اولم يعلموا اي قالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسط له
ويقدر لمن يشاء ان يقدر له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم
بسطه لهم سبعا ان في ذلك الذي ذكر لآيات دالة على ان الحوادث كلها من الله عز وجل لقوم يؤمنون
اذ هم المستدلون بها على مدلولاتها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها
بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم لا تقنطوا من
رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد
حين بتعذيب في الجملة وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه
التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم
ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص
ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر
الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه المستغني والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما
روي من اسباب النزول الدالة على ورود الآية فيمن تاب لا يقتضي اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق
على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين منهم غير مسلم فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل
بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم
لا تنصرون اذ ليس المدعى ان الآية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغني
عن الامر بهما وتنافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن او المأمور
به دون المنهي عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة
على الطاعة من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركوا وتتأهبوا له
ان تقول نفس اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسبب
ربما يبالك عند ارادة التكثير والتعميم وقدم تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا
من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتاه بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ
يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوان حضورك على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب
الله اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال ۞ اما تتقين الله في جنب وامق ۞ له كبد
حرى وعين ترنو ۞ وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله على تقدير مضاف كالطاعة
وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين
بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني
بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة
الى الدنيا فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحيرا
وتعللا بما لا طائل تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من
الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله تعالى لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لان
تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم

يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت
وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه
بما لا يليق به كاتخاذ الولد وجوههم مسودة لما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة
الجهل والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو وعلى ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على
انها عرفانية أليس في جهنم مثوى اي مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون
كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم
مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب اذا ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمقارنة
تنجيتهم لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة
وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة لكون
نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والباء للملابسة
وقوله تعالى لا يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة اي
بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية اما على حذف المضاف اي وينجيهم الله بسبب مفازتهم التي
هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى وليس
المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير وشر وايمان وكفر
لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيفما يشاء له مقاليد
السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها
وفيها مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها
وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا لزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ وكذا المقاليد
عن عثمان رضي الله عنه انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال هي لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الاول والآخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا ان لله الكلمات يوحد بها
ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بآيات الله اولئك هم
الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء ومتصرف فيها كيفما يشاء بالاحياء
والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا بآياته التكوينية المنصوبة في الآفاق
والانفس والتنزيلية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسار
وراءه هذا وقيل انه متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض فتدبر قل أفغير الله تأمروني
اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة هذه الآيات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على
انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض آلهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما
يدل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على ان اصله تأمرونني ان اعبد
فحذف أن ورفع ما بعدها كما في قوله ۞ الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ۞ وان اشهد اللذات هل انت
ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تأمروني باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين
كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه
وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد
واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان
الاشراك منهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه
فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب بل الله فاعبد
رد لما امروه ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه
اشارة الى ما يوجب الاختصاص ويقتضيه وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في النفس

حق عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه تعالى الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا
قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال
العظام التي يتحير فيها الاوهام بالنسبة الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على
طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة
المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة
وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها للموقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع
ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منظومة في
حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلا من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه
من الشركا ونفخ في الصور هي النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض اي خر ميتا او
مغشيا عليه الا من شاء الله قيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش
ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام قائمون من قبورهم
او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم في الجوانب
كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له
النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة وفي الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة
ولذلك اضيف الى الاسم الجليل ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين
يديه او صحائف الاعمال في ايدي العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف
وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملائكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين
العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما
عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم ودق له تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم
زمرا الخ تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا متفرقة بعضها في اثر
بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والزمر جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو
الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي تحكي بعدها الجملة
وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر منكم يتلون
عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على
ان لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد اتونا وانذرونا
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون قيل ادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس و
المخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره آنفا فبئس مثواهم جهنم ولا ينافي اشعاره بان كون
مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم
على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز
وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين زمرا متفاوتين
حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقرئ بالتشديد
وجواب اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحدق به نطاق العبارات وقيل
حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والآلام
طبتم طهرتم من دنس المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين كان ما كان مما يقصر
عنه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي
استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيه تمكن الوارث
فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة على

ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملائكة حافين محدقين
من حول العرش اي حوله ومن زائدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي ينزهونه تعالى عما لا
يليق به ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي جلاله واكرامه
تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه عز وجل
وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم
على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضي بيننا بالحق وانزل كلا منا منزلته
التي هي حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضي بينهم والملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزمر لم يقطع الله تعالى رجاه يوم القيمة واعطاه ثواب
الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها كان يقرا كل ليلة سورة بني اسرائيل وسورة الزمر والله اعلم

سورة المؤمن وهي مكية ثمانون وخمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

حم بتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف وباخراجها بين بين وبفتح الميم لالتقاء
الساكنين او نصبه باضمار اقرا ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها على زنة قابيل
وهابيل وبقية الكلام فيه وفي قوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى
من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما
ذكر هنالك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول اما صفات اخر لتحقيق ما فيه
من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان
مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس
او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع
بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان
الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوب
وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات
الرحمة دليل سبقها ورجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على طاعته في اوامره ونواهيه اليه
المصير فحسب لا الى غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فيجازي كلا من المطيع والعاصي ما يجادل في آيات الله
اي بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق الا الذين كفروا بها واما الذين آمنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها
واما الجدال فيها لحل مشكلاتها وكشف معضلاتها واستنباط حقائقها الكلية وتوضيح مناهج الحق في
مضايق الافهام وابطال شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عم ان جدالا في
القرآن كفر بالتنكير للفرق بين جدال وجدال والفاء في قوله تعالى فلا يغررك تقلبهم في البلاد
لترتيب النهي او وجوب الانتهاء على ما قبلها من التسجيل عليهم بالكفر الذي لا شيء امقت منه عند الله
ولا اجلب لخسران الدنيا والآخرة فان من تحقق ذلك لا يكاد يغتر بما لهم من حظوظ الدنيا وزخارفها
فانهم ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم حسبما ينطق به قوله تعالى كذبت قبلهم قوم
نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود
واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا
به ما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا اصل له ولا حقيقة
اصلا ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر
فكيف كان عقاب الذي عاقبتهم به فان آثار دمارهم عبرة للناظرين ولآخذن هؤلاء ايضا
لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمت ربك
اي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على تلك الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المحادة لهم

بالباطل لادحاض الحق به وجب ايضا **على الذين كفروا** اى كفروا بك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا
كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره عم فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب عليهم من
احكام تربيته التى من جملتها نصرته عم وتعذيب اعدائه وذلك انما يتحقق بكون الموصول عبارة عن
كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى **انهم اصحاب النار** فى حيز النصب بحذف لام التعليل اى
لانهم مستحقوا اشد العقوبات وافظعها التى هى عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين
متحزبين على الرسول صلى الله عم كدأب من قبلهم من الامم المهلكة فهم لسائر فنون العقوبات اشد
استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو فى محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب
وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار اى كما وجب اهلاكهم فى الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك
وجب تعذيبهم بعذاب النار فى الآخرة ومحل الكاف على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر
محذوف **الذين يحملون العرش ومن حوله** وهم اعلى طبقات الملائكة عليهم السلام واولهم وجودا
وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن زلفاهم من ذى العرش جل جلاله
ومكانتهم عنده ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره **يسبحون بحمد ربهم** والجملة استئناف مسوق لتسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملائكة عليهم السلام مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين
ونصرتهم واستدعاء ما يسعدهم فى الدارين اى ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشانه الجليل ملتبسين
بحمده على نعمائه التى لا تتناهى **ويؤمنون به** ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره رأسا
لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله
تعالى **ويستغفرون للذين آمنوا** فان المشاركة فى الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعى الى
النصح والشفقة وفى نظم استغفارهم لهم فى سلك وظائفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم
وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله تعالى فى موقع القبول روى ان حملة العرش
ارجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبى صلى الله
لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله تع من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له
اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع
سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كانه الوصع وفى الحديث ان الله تعالى امر جميع الملائكة
ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائرهم وقيل خلق الله تعالى العرش
من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول
العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف
قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف
قد وضعوا ايمانهم على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر **وسعت كل شئ رحمة** ربنا
وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة
فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هنا والفاء فى قوله تعالى **فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك**
اى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم **وقهم
عذاب الجحيم** واحفظهم عنه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد **ربنا وادخلهم** عطف على قهم وتوسيط
النداء بينهما للمبالغة فى الجؤار **جنات عدن التى وعدتهم** اى وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن
ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اى صلاحا مصححا لدخول الجنة فى الجملة وان كان دون
صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اى وادخلهم معهم ليتم سرورهم ويتضاعف
ابتهاجهم او على الثانى لكن لا بناء على الوعد بالادخال كما قيل فانه لا يليق بالعطف وجه بل بناء
على الوعد الخاص بهم بقوله تعالى الحقنا بهم ذريتهم [illegible] قال سعيد
بن جبير يدخل المؤمن الجنة فيقول اين ابى اين امى اين ولدى اين زوجتى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول
انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة [illegible] الوعد بالادخال والالحاق لا يستدعى حصول

حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه يبنى قول من قال فائدة الاستغفار زيادة
الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى وقرئ صلح
بالضم وذريتهم بالافراد **انك انت العزيز** اى الغالب الذى لا يمتنع عليه مقدور **الحكيم** اى
الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة التى من جملتها انجاز الوعد والجملة تعليل لما
قبلها **وقهم السيئات** اى العقوبات لان جزاء السيئة سيئة مثلها او جزاء السيئات على حذف المضاف
وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصى فى الدنيا فهو قوله تعالى **ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته** ومن تقه المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كانهم طلبوا السبب بعد
ما سألوا المسبب **وذلك** اشارة الى الرحمة المفهومة من رحمته او الى الوقاية وما فيه من معنى البعد
لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه **هو الفوز العظيم** الذى لا مطمع وراءه لطامع
ان الذين كفروا شروع فى بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما بين فيما سبق انهم
اصحاب النار **ينادون** اى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التى وقعوا
فيما وقعوا باتباع هواها او مقت بعضهم بعضا اى ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا
ذلك على رؤس الاشهاد فيقال لهم عند ذلك **لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم** اى لمقت الله انفسكم
الامارة بالسوء او مقته اياكم فى الدنيا **اذ تدعون** من جهة الانبياء **الى الايمان** فتابون قبوله **فتكفرون**
اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين واستحبابا لآرائهم اكبر
من مقتكم انفسكم الامارة او من مقت بعضكم بعضا اليوم فاذ ظرف لمقت الاول وان توسط بينهما
الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل لمصدر آخر مقدر اى مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول
لاذكروا والاول هو الوجه وقيل كلا المقتين فى الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف فى
السبب من علاقة اللزوم والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان
فتكفرون وتخصيص هذا الوجه بصورة كون المراد بانفسهم اضرابهم مما لا داعى له **قالوا ربنا امتنا
اثنتين واحييتنا اثنتين** صفتان لمصدرى الفعلين المذكورين اى اماتتين اثنتين واحياءتين اثنتين او موتتين
وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد او لفعلين يدل عليهما المذكوران فان الاماتة
والاحياء ينبئان عن الموت والحيوة حتما كانه قيل امتنا فمتنا موتتين واحييتنا فحيينا حياتين
اثنتين على طريقة قول من قال ـ وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ـ من المال الا مسحتا او مجلف
اى لم تدع فلم يبق الا مسحت الخ والمراد بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند انقضاء
آجالهم على ان الاماتة جعل الشئ عادم الحيوة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما فى قولهم سبحان
من صغر البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحيوة وبالاحيائين الاحياء الاول واحياء البعث وقيل
اراد بالاماتة الاولى ما بعد حيوة الدنيا وبالثانية ما بعد حيوة القبر وبالاحيائين ما فى
القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حيوة
الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها
بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا كما ينطق به قولهم **فاعترفنا بذنوبنا**
والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوصلوا بذلك الى ما علقوا به اطماعهم الفارغة من الرجع
الى الدنيا كما قد صرحوا به حيث قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذى ارادوه بقولهم
فهل الى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا انهم قالوه بطريق القنوط
البت كما قيل ولا ريب فى ان الذى كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء
بعد الموت واما الاحياء الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه فى سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف
يجدى بهم نفعا وانما ذكروا الموتة الاولى مع كونهم معترفين بها فى الدنيا لتوقف حيوة القبر عليها
وكذا حال الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصلى هو الاعتراف بالاحيائين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما
عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام اى من سبيل ما كيف ما كان وقوله تعالى

ذلكم الخ جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم السيئة اي ذلكم الذي انتم فيه
من العذاب مطلقاً لا مقيداً بالخلود كما قيل بانه اي بسبب ان الشان اذا دعي الله في الدنيا اي عبد
وحده اي منفرداً كفرتم اي بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اي بالاشراك به وتسارعوا فيه وفي ايراد
اذا وصيغة الماضي في الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع في الثانية ما لا يخفى من الدلالة على كمال
سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذي لا يحكم الا بالحق ولا يقضي الا بما تقتضيه الحكمة
العلي الكبير الذي ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب
لحكمه وقد حكم بانه لا مغفرة للشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج
ابداً هو الذي يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على
ذلك وتعملوا بموجبها فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ بالتخفيف من
الانزال لكم من السماء رزقاً اي سبب رزق وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات
الدالة على كمال قدرته تعالى لتفرده بعنوان كونه من آثار رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر
وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل واستمرارهما وتقديم الجار
والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل بمقتضاها الا من
ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة
ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر والاتعاظ
فادعوا الله مخلصين له الدين اي اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها
المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم
اخلاصكم رفيع الدرجات نحو بديع السموات على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعُل
بالضم كما هو المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد في الاستعمال اي
رفيع درجات ملائكته اي معارجهم ومصاعدهم الى العرش ذو العرش اي مالكه وهما خبران آخران
لقوله تعالى هو اخبر عنه بهما ايذاناً بعلو شانه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة
واخلاص الدين له اما بطريق الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وفي
كون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوي والسفلي تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضي بكون
علو شانه وعظم سلطانه في غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية
كالاستواء على العرش وتمهيد لما يعقبهما من قوله تعالى يلقي الروح من امره فانه خبر آخر لما ذكر منبئ
عن انزال الرزق الروحاني الذي هو الوحي بعد بيان الرزق الجسماني الذي هو المطر اي ينزل الوحي الجاري
من القلوب منزلة الروح من الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذي اريد به الوحي فانه امر بالخير
او حال منه اي حال كونه ناشئاً ومبتدئاً من امره او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته
اي الروح الكائن من امره او متعلق بيلقي ومن للسببية كالباء مثل ما في قوله تعالى مما خطيئاتهم اي يلقي
الوحي بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اي الله
تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان الفاعل هو الرسول عليه السلام او الروح لانها قد تؤنث
يوم التلاق اما ظرف للمفعول الثاني اي لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة لانه يتلاقى فيه
الارواح والاجساد واهل السموات والارض او هو المفعول الثاني اتساعاً او اصالة فانه من شدة هوله
وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون بدل
من يوم التلاق اي خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض
يومئذ قاعاً صفصفاً ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة
حفاة غرلاً وقيل ظاهرة نفوسهم لا تحجبهم غواشي الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله
منهم شيء استئناف لبيان بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمه المتوهمون في الدنيا من
الاستتار توهماً باطلاً او خبر ثان وقيل حال من ضمير بارزون اي لا يخفى عليه تعالى شيء ما من

اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية
لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله من الجملة المنفية المستأنفة او مستأنف
وقع جواباً عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الخ اي ينادي
منادٍ لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روي انه يجمع
الله تعالى الخلائق يوم القيمة في صعيد واحد في ارض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط
فاول ما يتكلم به ان ينادي منادٍ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقيل هي حكاية لما ينطق به لسان الحال
من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس
بما كسبت الخ اما من تتمة الجواب لبيان حكم اختصاص الملك به تعالى ونتيجته التي هي الحكم السوي والقضاء
بالحق او حكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة
بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عذاب ان الله سريع الحساب اي سريع
حسابه تعالى اذ لا يشغله شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب زمان كما نقل عن ابن عباس
ان الله تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها فيكون تعليلاً لقوله تعالى
اليوم تجزى الخ فان كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه
او سريع مجيئه فيكون تعليلاً للانذار وانذرهم يوم الآزفة سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه
اشعاراً بضيق الوقت وقيل الخطة الآزفة وهي مشارفة اهل النار دخولها وقيل وقت حضور
الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر
بدل من يوم الآزفة فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا
بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من ضميرها في الظرف
وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين او
من مفعول انذرهم على انها حال مقدرة اي انذرهم مقدراً كظمهم او مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم
اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي لا شفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معاً على طريقة
قوله على لاحب لا يهتدى بمناره والضمائر ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع
ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية
الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر كالعافية وما تخفي الصدور من الضمائر
والاسرار والجملة خبر آخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء
والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا وهو حق وعدل والذين يدعون
من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون
على الخطاب التفاتاً او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه تعالى بخائنة الاعين
وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي مآل حال من
قبلهم من الامم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكناً
من التصرفات والجاه ضمير الفصل مع ان حقه ان يقع بين معرفتين لمضاهاة افعل من المعرفة في
امتناع دخول اللام عليه وقرئ اشد منكم بالكاف وآثاراً في الارض مثل القلاع الحصينة والمدائن
المتينة وقيل المعنى واكثر آثاراً كقوله متقلداً سيفاً ورمحاً فاخذهم الله بذنوبهم اخذاً وبيلاً
وما كان لهم من الله من واق اي من واق يقيهم عذاب الله ذلك اي ما ذكر من الاخذ
بسبب انهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة فكفروا فاخذهم
الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يعتد بعقاب عند عقابه ولقد
ارسلنا موسى بآياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين وحجة قاهرة ظاهرة وهي وان كانت من الآيات والعطف لتغاير
العنوانين او المراد بها بعض مشاهيرها كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات لانافتها

جبريل وميكائيل بسبب دخولهما في المملكة عليهم السلام إلى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر
كذاب أي فيما أظهره من المعجزات القاهرة وفيما ادعاه من رسالة رب العالمين فلما جاءهم بالحق
من عندنا وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا
نساءهم كما قال فرعون سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم أي أعيدوا عليهم ما كنتم تفعلون بهم أولا وكان
فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع ما وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا
وزعما منه أن يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منه أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على
يده وما كيد الكافرين إلا في ضلال أي في ضياع وبطلان لا يغني عنهم وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدر
والقضاء المحتوم واللام إما للعهد والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالكفر والإشعار بعلة الحكم أو للجنس وهم
داخلون فيه دخولا أوليا والجملة اعتراض جيء به في تضاعيف ما حكي عنهم من الأباطيل للمسارعة إلى بيان
بطلان ما أظهروه من الإبراق والإرعاد واضمحلاله بالمرة وقال فرعون ذروني أقتل موسى كانت
ملاؤه إذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه فإنه أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا بعض
السحرة وبقولهم إذا قتلته أدخلت على الناس شبهة واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت
إلى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته أنه كان قد استيقن أنه نبي وأن ما جاء به آيات
باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف إن هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وكان قوله هذا تمويها على قومه وإيهاما
أنهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان الذي يكفه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل وقوله
تعالى وليدع ربه تجلد وعدم مبالاة بدعائه ولكنه أخوف ما يخاف إني أخاف أن يبدل
دينكم أي يغير ما أنتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الأصنام لتقربهم إليه
أو أن يظهر في الأرض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية
وقرئ بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى
تظاهر أي تتابع وتعاون وقال موسى أي لقومه حين سمع ما يقوله اللعين من حديث قتله إني عذت
بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر كلامه بأن تأكيدا له وإظهارا لمزيد الاعتناء
بمضمونه وفرط الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لأنهما الذي يستدعيه وأضافه
إليه وإليهم حثا لهم على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه فإن في تظاهر النفوس تأثيرا في
استجلاب الإجابة ولم يسم فرعون بل ذكر وصفا يعمه وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعاذة والإشعار
بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عدت بالإدغام وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل
كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل إسرائيليا أو غريبا موحدا يكتم إيمانه أي من فرعون
وملائه أتقتلون رجلا أتقصدون قتله أن يقول لأن يقول أو كراهة أن يقول ربي الله أي وحده
من غير روية وتأمل في أمره وقد جاءكم بالبينات والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها
وعهدتموها من ربكم أضافه إليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة المكابرة
ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وإن يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج
في دفعه إلى قتله وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم أي فإن لم يصبكم كله فلا أقل من إصابة
بعضه لا سيما إن تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الإنصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي
الترديد كونه كاذبا أو يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالا
عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد * تراك أمكنة إذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها *
مردود لأنه أراد بالبعض نفسه إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج آخر ذو وجهين أحدهما
أنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى إلى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما أن من كان كذلك
خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله ولعله أراد به المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الأول لتليين
شكيمتهم وعرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني إسرائيل في الأرض أي أرض مصر لا يقاومكم أحد في

هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله من أخذه وعذابه إن جاءنا أي فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله
بقتله فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض إليهم خاصة ونظم
نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وإيذانا بأنه مناصح لهم ساع في تحصيل
ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعد ما سمع نصحه ما أريكم
إلا ما أرى أي ما أشير عليكم إلا بما أرى وأستصوبه من قتله وما أهديكم بهذا الرأي إلا سبيل الرشاد أي الصواب
أو لا أعلمكم إلا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه
كان يتجلد ولولاه لما استشار أحدا أبدا وقرئ بالتشديد على أنه فعال للمبالغة من رشد كعلام أو من رشد
كعباد لا من أرشد كجبار من أجبر لأنه مقصور على السماع أو للنسبة إلى الرشد كعواج وبتات غير منظور
فيه إلى الفعل وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم إني أخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل
يوم الأحزاب مثل أيام الأمم الماضية يعني وقائعهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود أي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وإيذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط
وما الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى
وما ربك بظلام للعبيد لأن المنفي فيه إرادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الأولوية ويا قوم إني أخاف
عليكم يوم التناد خوفهم بالعذاب الأخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيامة لأنه
ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة أو يتصايحون بالويل والثبور أو يتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار
كما حكي في سورة الأعراف وقرئ بالتشديد بدل الدال وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر
المرء من أخيه وعن الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا وجدوا
ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض إذ سمعوا مناديا أقبلوا إلى الحساب يوم تولون مدبرين بدل
من يوم التناد أي منصرفين عن الموقف إلى النار أو فارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم
يعصمكم من عذابه والجملة حال أخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه إلى طريق النجاة
ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على أن فرعونه فرعون موسى أو على نسبة أحوال
الآباء إلى الأولاد أو سبطه يوسف بن إبراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات
بالمعجزات الواضحة فما زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى إذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده
رسولا ضما إلى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من بعده أو جزما بأنه لا يبعث بعده رسول مع الشك في
رسالته وقرئ ألن يبعث الله على أن بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث كذلك مثل ذلك الإضلال الفظيع
يضل الله من هو مسرف في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك
في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الأول أو بيان له أو صفة باعتبار معناه كأنه
قيل كل مسرف مرتاب أو المسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون أي بغير حجة صالحة للتمسك بها
في المجادلة أتاهم صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضرب من التعجب والاستعظام
وفي كبر ضمير يعود إلى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل إلى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك أي
مثل ذلك الطبع الفظيع يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتياب
والمجادلة بالباطل وقرئ بتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لأنه منبعهما وقال فرعون يا هامان
ابن لي صرحا أي بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء إذا ظهر لعلي أبلغ الأسباب أي الطرق أسباب السموات
بيان لها وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها فأطلع إلى إله موسى بالنصب على
جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على أبلغ ولعله أراد أن يبني له رصدا في موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التي هي
أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله تعالى إياه أو أن يرى فساد قول موسى
بأن إخباره من إله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله إليه وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء
وهو مما لا يقوى عليه الإنسان وما ذاك إلا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه وإني لأظنه كاذبا
فيما يدعيه من الرسالة وكذلك أي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه

ابهاما كالامر عوى عنده بحال وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة
زين بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصدّ على ان فرعون صدّ الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات
والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وهلاك وعلى انه من صدّ
صدودا اي اعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليه وقرئ وصدٌّ على انه عطف على سوء عمله
وقرئ وصدّوا اي هو وقومه وقال الذي آمن اي مؤمن آل فرعون وقيل موسى عم يا قوم اتبعون فيما
دللتكم عليه اهدكم سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون
وقومه سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم
ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي
الى سخط الله تعالى ثم ثنى بتعظيم الآخرة فقال وان الآخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها
من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى في الآخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات
تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك الذين عملوا ذلك يدخلون الجنة
يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل
ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة بالعمل بدونه وان ثوابه اعلى من ذلك
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما
بالمنادى به ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم
اياه الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كانه قيل اخبروني كيف هذه الحال ادعوكم الى الخير وتدعونني الى الشر
وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا وقوله تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل
او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به ما ليس لي به بشركته له تعالى في
المعبودية وقيل بربوبيته علم والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا بد لها من برهان موجب
للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف
عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لا جرم لا رد لما دعوه
اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعونني اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في
الآخرة اي حق ووجب عدم دعوة آلهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة
دعوة وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته بمعنى حصل
من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدّا من لا بدّ فعل من
البدّ وهو التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا ويؤيده
قولهم لا جُرْمَ انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفَعَل وفُعْل اخوان كرَشَد ورُشْد وان مردنا الى الله اي
بالموت عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اي في الضلال والطغيان
كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار اي ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر
بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه
ان الله بصير بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما
هموا به من الحاق انواع العذاب بمن خالفهم قيل نجى مع موسى عم وحاق بآل فرعون اي بفرعون وقومه
وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه
لما انه فرّ الى جبل فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم
سوء العذاب الغرق والقتل والنار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستأنفة مسوقة لبيان
كيفية سوء العذاب او النار خبر لمبتدأ محذوف كان قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون
استئناف للبيان او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها او من الآل ولا يشترط في الحق ان يكون الحاق
ذلك السوء بعينه حتى يرد ان آل فرعون لم يهموا بتعذيب المؤمن بالنار لكون انسلاخه بها من قبيل رجوع ما
هموا به عليهم بل يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئ بالنصب منصوبة على الاختصاص او بما

او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار باحراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على
السيف اذا قتلوا وذلك لارواحهم كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان ارواحهم في اجواف طير سود
تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم
بحالهم واما للتأبيد هذا ما دامت الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملئكة ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب اي عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم فان عذابها الوان بعضها اشد
من بعض وقرئ اُدخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا آل فرعون اشد العذاب واذ يتحاجون
في النار اي واذكر لقومك وقت تخاصمهم فيها فيقول الضعفاء منهم للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم
تبعا اتباعا كالخدم في جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع على اضمار المضاف او تبعا على الوصف بالمصدر
مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب بمضمر يدل عليه
مغنون اي دافعون عنا نصيبا او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين نصيبا الخ او نصب
على المصدرية كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه في موقع غناء فكذلك
نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا
وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا مساغ لجعله حالا من
المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك
ثوب ولا تقول جديدا لك ثوب ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب
لحكمه وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلهم وعيت بهم عللهم لخزنة جهنم
اي للقوام بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون
جهنم ابعد دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملئكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على
الشفاعة لمزيد قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم او في يوم ما من الايام
على انه ظرف لا معيار شيئا من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من
العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه راسا او تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان عندهم
ما ليس في حيز الامكان ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات
اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تأتيكم رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة
ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى الم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة قالوا
بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من
شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما في قول من قال
فقد جئنا خراسانا اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستحيل صدوره
عنا وتعليل امتناعهم عن الدعاء بعدم الاذن فيه مع عرائه عن بيان ان سببه من قبلهم كما يفصح عنه
الفاء ربما يوهم ان الاذن في حيز الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا ولم يريدوا بامرهم بالدعاء
اطماعهم في الاجابة بل اقناطهم منها واظهار خيبتهم حسبما صرحوا به في قولهم وما دعاء الكافرين
الا في ضلال اي ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا الخ كلام مستأنف مسوق
من جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم كلي يقتضيه الحكمة وهو ان
شأننا المستمر انا ننصر رسلنا واتباعهم في الحيوة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام من الكفرة بالاستيصال
والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة الغلبة والقتل
امتحانا اذ العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اي يوم القيمة عبر عنه بذلك
للاشعار بكيفية النصرة وانها تكون عند جميع الاولين والآخرين بشهادة الاشهاد للرسل بالتبليغ
وعلى الكفرة بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع المعذرة لانها باطلة
وقرئ لا تنفع بالتاء ولهم اللعنة اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اي جهنم ولقد آتينا موسى الهدى

ما يستدي به من المعجزات والصحف والشرائع وأورثنا بني إسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التورية هدى
وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لأولي الألباب لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه
فاصبر على ما نالك من أذية المشركين إن وعد الله اي وعده الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التي
من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا واستشهد بحال موسى وفرعون واستغفر لذنبك تداركا لما
فرط منك من ترك الأولى في بعض الاحايين فانه تعالى كافيك في نصرة دينك واظهاره على الدين كله
وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار اي ودم على التسبيح ملتبسا بحمده تعالى وقيل صل لهذين الوقتين
اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما
صلوة العصر وصلوة الفجر إن الذين يجادلون في آيات الله ويجحدونها بغير سلطان أتاهم
في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة به مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم في امر الدين لا بد
من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزل في مشركي مكة وقوله تعالى
إن في صدورهم إلا كبر خبر لان اي ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او الارادة
الرياسة والتقدم على الاطلاق او الا ارادة ان تكون النبوة لهم دونك حسدا او بغيا حسبما قالوا
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون
فيه لا ان فيها موقع جدال ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما
هم ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة او النبوة
وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست صاحبنا المذكور في التورية بل هو المسيح بن داود يريدون
الدجال يخرج في آخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من الله تعالى فيرجع
الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اي فالتجئ اليه من كيد
من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين إنه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم
وقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين لاشهر ما يجادلون فيه من امر
البعث على منهاج قوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ولكن أكثر الناس
لا يعلمون لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم وما يستوي الأعمى والبصير
اي الغافل والمستبصر والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اي والمحسن والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال
اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة لا في المسيء لتأكيد النفي لطول
الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثاني عطف
الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا
ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اي تذكرا قليلا تتذكرون وقرئ على الغيبة والضمير للناس
او الكفار إن الساعة لآتية لا ريب فيها اي في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون به وقال ربكم ادعوني
اي اعبدوني أستجب لكم اي اثبكم لقوله تعالى إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين
اي صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلة الاستكبار عن العبادة
للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون على صيغة المبني للمفعول
من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي الى ضعف الحركات
وهدوء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا والنهار مبصرا اي مبصرا
فيه او به إن الله لذو فضل على الناس عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل ولكن أكثر الناس لا يشكرون
لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المنفرد بالافعال
المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة
منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا إله إلا هو استئنافا لما هو

لكم

بالمكان بعد بيان فضله
بالزمان وقوله تعالى وصوركم
فاحسن صوركم بيان لفضله
المتعلق بانفسهم

هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فأنى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى
عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون اي مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له
ولا مصحح اصلا يؤفك من جحد بآياته تعالى اي آية كانت لا افكا آخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي
جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء بيان لفضله المتعلق بانفسهم والفاء في فأحسن تفسيرية فان الاحسان
عين التصوير اي صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصب القامة بادي البشرة متناسب الاعضاء والتخطيطات
متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اي اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر من
النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اي تعالى بذاته رب العالمين اي مالكهم ومربيهم والكل
تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع فيضه عنه آنا لانعدم
بالكلية هو الحي المنفرد بالحيوة الذاتية الحقيقية لا إله إلا هو اذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته
وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى مخلصين له الدين اي الطاعة من الشرك
الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين اي قائلين ذلك عن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله
رب العالمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي
من الحجج والآيات او من الآيات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة عليها فان الآيات التنزيلية مفسرة للآيات
التكوينية الآفاقية والانفسية وأمرت أن أسلم لرب العالمين بان انقاد له واخلص له ديني هو
الذي خلقكم من تراب اي في ضمن خلق آدم عليه السلام منه حسبما تحقق مرارا ثم من نطفة اي ثم
خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اي مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا والافراد لارادة الجنس ثم لتبلغوا أشدكم
معطوفة على علة اخرى له مناسبة لها كأنه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا
القوة والعقل وكذا الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله
تعالى طفلا ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا
ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده اي ولتبلغوا أجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك
ولعلكم تعقلون ولكي تعقلوا ما في ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحياء
او الذي يفعل الاحياء والاماتة فاذا قضى أمرا اي اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير
توقف على شيء من الاشياء اصلا وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها
وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير ان يكون هناك آمر ومأمور والفاء الاولى للدلالة على
ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه ألم تر إلى الذين يجادلون في
آيات الله أنى يصرفون تعجيب من احوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم
بكل القرآن وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون
في آيات الله الخ بيان لابتناء جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة
فلا تكرير فيه اي انظر الى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة
عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها مع تعاضد الدواعي الى الاقبال عليها وانتفاء الصوارف عنها بالكلية
وقوله تعالى الذين كذبوا بالكتاب اي بكل القرآن او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها
في محل الجر على انه بدل من الموصول الاول او في حيز النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني
بالتكذيب دون المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة
على التحقق كما ان صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما أرسلنا
به رسلنا من سائر الكتب او مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند
مشاهدتهم لعقوباته إذ الأغلال في أعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي
لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال والجار في نية التأخير وقيل مبتدأ حذف خبره لدلالة الجزء الاول
عليه وقيل خبره قوله تعالى يسحبون بحذف العائد اي يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في
الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك

من قال

لون

فيقال يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على المعنى لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في معنى اعناقهم في الاغلال او اضمارا للباء ويدل عليه القراءة به ثم في النار يسجرون اي يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه يسجر بالحب اي يملأ والمراد بيان انهم يعذبون بانواع العذاب وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا اي يقال لهم ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان تقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اي بل تبين لنا انا لم نكن نعبد بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك اي مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شيء ينفعهم في الآخرة او كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض اي تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون في البطر والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اي ابوابها السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اي عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق كائن لا محالة فاما نرينك اي فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم في الآخرة اشد العذاب وافظعه كما ينبئ عنه الاقتصار على ذكر الرجوع في هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم افراد معدودة وقيل اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر الناس وما كان لرسول اي وما صح وما استقام لرسول منهم ان ياتي باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح منها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولا اوليا الله الذي جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ومصلحتكم قوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتاكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى الفلك تحملون لعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية فمعنى الركوب فيها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا على ان كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم آياته دلائله الدالة على كمال قدرته ووفور رحمته فاي آيات الله اي فاي آية من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة

عليك

الآيات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتانيث قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى كانوا اكثر منهم واشد قوة الخ استئناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها وآثارا في الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي آثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات او بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو علم الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان المعنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما راوا باسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا اي عند رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على ان التفسير بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الخ هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما راوا باسنا آمنوا والرابعة للعطف على آمنوا كانه قيل فآمنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهو من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اي وقت رؤيتهم الباس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف آنفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

لهم

سورة فصلت اربع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر لمبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر مرارا او مبتدأ خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف ان جعل مسرودا على نمط التعديد وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر آخر او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجوه الاولى بدل منه او خبر آخر او خبر لمحذوف ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم للايذان بانه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت آياته ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من قولك فصل من البلد فصولا قرآنا عربيا نصب على المدح او على الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من آياته لقوم يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو صفة اخرى لقرآنا اي كائنا لقوم الخ او بتنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة له او بفصلت بشيرا ونذيرا صفتان اخريان لقرآنا اي

كانا لقوم الخ او تنزيل على ان من الرحمن الرحيم ~~صفته~~ اى بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية
او حالا عن كتاب او من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب او الخبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره
مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اى لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في القرآن قلوبنا في اكنة اى اغطية متكاثفة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر اى صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر وقرئ بفتح القاف ومن بيننا
وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل وفيه دلالة على ان الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما
بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق وقبوله
ومج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم فاعمل اى على دينك
وقيل في ابطال امرنا اننا عاملون اى على ديننا وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب اى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون
بيني وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قولكم فاعمل اننا عاملون بل انما انا بشر
مثلكم مأمور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في الهكم
محكي منتظم للكل لا انه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي
منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد
يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل والمعنى انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الي دونكم
فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فتأمل وما الفاء في قوله تعالى
فاستقيموا اليه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى
بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين
ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكوة
لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكوة حيث جعل من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث
قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة واختلافهما بالفعلية
والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر ونقل عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يؤتون الزكوة بقوله
لا يقولون لا اله الا الله فانها زكوة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ
من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون وقال
مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون اى لا يمن به عليهم من
المن واصله الثقل او لا يقطع من منت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة
كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام اما لتأكيد الانكار
واما للاشعار بان كفرهم من البعد بحيث ينكره العقلاء وتوقعه يحتاج الى التأكيد ولما علق كفرهم بالموصول
حيث قيل بالذي خلق الارض في يومين لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم به اى بالعظيم الشأن
الذي قدر وجودها اى حكم بانها ستوجد في مقدار يومين او في نوبتين على انها يوجد في كل نوبة
يوجد بأسرع ما يكون والا فاليوم الحقيقي انما يتحقق بعد وجودها وتسوية السموات وابداع نيراتها
وترتيب حركاتها وتجعلون له اندادا عطف على تكفرون داخل في حكم الانكار والتوبيخ وجمع الانداد
باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اى وتجعلون له اندادا والحال انه لا يمكن
ان يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا من ان المراد ليس تعيين
المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده اى ذلك العظيم الشان الذي فعلتم ما ذكر رب العالمين اى خالق
جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون اخص مخلوقاته ندا له وقوله
تعالى وجعل فيها رواسي عطف على خلق داخل في حكم الصلة والجمل ابدا حيث لزوم الفصل
بينهما بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مرفوع بان الاولى مختص بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة

الاعادة له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بينهما كلا فصل على ان فيه
فائدة التنبيه على ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف
اذا انضم اليه المعطوفات وقيل هو عطف على مقدر اى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وايا
ما كان فالمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة
لرواسي اى كائنة من فوقها مرتفعة عليها ليكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها
من مراصد الاعتبار ومطارح الافكار وبارك فيها اى قدر ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان
التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم وقدر فيها اقواتها اى حكم بالفعل بان
يوجد فيها سيأتي لاهلها من الانواع المختلفة المناسبة لها على مقدار معين يقتضيه الحكمة وقرئ
وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام متعلق بحصول الامور المذكورة لا بتقديرها اى قدر حصولها في
يومين وانما قيل في اربعة ايام اى تتمة اربعة تصريحا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد لمضمر هو صفة
لايام اى استوت سواء اى استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها او في
فيها وقرئ بالرفع اي هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض
وما فيها او بقدر اى قدر فيها اقواتها لاجل السائلين اى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين
وقوله تعالى ثم استوى الى السماء شروع في بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص
البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل
خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي
على غيره وهي دخان اى امر ظلماني عبر عنه عن مادتها او عن الاجزاء المتصغرة التي ركبت هي منها او دخان
مرتفع من الماء كما سيأتي وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه متوجه اليهما معا
حسبما ينطق به قوله تعالى فقال لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كانه قيل فقال
لها وللارض التي قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا اى كونا واحدثا على وجه معين وفي وقت
مقدر لكل منهما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير
امرهما من غير ان يكون هناك آمر ومأمور كما في قوله كن وقوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم
تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا لاثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران واقعان
موقع الحال اى طائعتين او كارهتين قالتا اتينا طائعين اى منقادين [illegible] تأثيرها بالذات
عن القدرة الربانية وحصولهما كما امرتا به والتصوير لكون وجودهما على ما هما عليه جاريا على مقتضى
الحكمة البالغة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما
في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله فقضاهن سبع سموات [illegible]
التي [illegible] المحل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مرتب على تكوينها اى خلقهن خلقا ابداعيا
واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير اما للسماء على المعنى [illegible]
الاول يتميز على الثاني في يومين [illegible] ليكون مقدار ما تم خلق الارض
وخلق ما فيها [illegible] في ستة ايام حسبما اتفق عليه في مواقع من
التنزيل واوحى في كل سماء امرها عطف على فقضاهن اى خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات
وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله كما قاله قتادة والسدي او اوحى الى اهل كل منها اوامره [illegible]
بما فيه من المعطوف عليه من الوقت او اوحى الى اهل كل منها [illegible] ما يليق بهم من التكاليف
[illegible] وايا ما كان فلعل ما قدمنا من التفصيل لا الآية
الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين التقدير والايجاد [illegible]
على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة [illegible] معانيها الظاهرة فهي
في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء
فسواهن سبع سموات [illegible] على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق

اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث
في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله
ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي ان الله
تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء
وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عم في آخر ساعة منه وهي الساعة
التي تقوم فيها القيمة وقيل ان خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها
موخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن من انه تعالى خلق الارض في
موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق السموات وامسك
الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها
مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاءها واحداثها بل انشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق
بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه ائتي يا ارض مدحوة
قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول على ذلك الوجه
على ما ينبئ عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان
ليس مجرد خلق جرم الارض حتى يتاتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتاخرة عن دحوها
قطعا فالظاهر ان يبقى مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه
المذكور وليس من ضرورته ان يكون دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول
التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في
ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان يحمل الارض في قوله تعالى والارض بعد
ذلك دحاها منصوبا بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويحمل ذلك اشارة الى ذكر ما ذكر من
بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على انه قاصر عن الاول في الدلالة
على القدرة كما قيل واما على انه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح
الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيله اكمل وليس ما روي عن الحسن نصا في تاخر دحو الارض
عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة في ذلك على
الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل ان خلق السماء مقدم على ايجاد الارض فضلا
عن دحوها فلا بد من حمل الامر بالاتيان ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح
في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخي الزماني واما على
تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في
الوجه الاول وعلى ذلك بني الكلام في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
الآية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان
حقه وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها كلها ترى متلالئة عليها كانها فيها
والالتفات الى نون العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر مؤكد
لفعل معطوف على زينا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على
المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظا ذلك الذي ذكر بتفاصيله تقدير العزيز العليم
البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا متصل بقوله تعالى قل ائنكم الخ فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر
من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان بعد هذا البيان فقل لهم انذرتكم اي
انذركم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الانذار المنبئ عن تحقق المنذر به صاعقة اي عذابا
هائلا شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة
عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا
وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لانذرتكم

لانذرتكم او صفة لصاعقة لفساد المعنى واما جعله صفة لصاعقة عاد اي الكائنة اذ جاءتهم فقبله
حذف الموصول مع بعض صلته من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اي من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم
من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق
بهم من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتاخرون على تنزيل مجيء
كلامهم ودعوتهم الى الحق منزلة مجيء انفسهم فان هودا وصالحا كانا داعيين لهم الى الايمان بهما وبجميع
ممن جاء من بين ايديهم اي من قبلهم وممن يجيء من خلفهم اي من بعدهم فكان الرسل قد جاؤهم وخا
طبوهم بقوله تعالى ألا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية او اي لا تعبدوا
على انها مفسرة قالوا لو شاء ربنا اي ارسال الرسل لا انزال الملائكة كما قيل فانه عار عن افادة ما ارادوه
من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف لانزل ملائكة اي لارسلهم لكن لما كان ارسالهم بطريق الانزال
قيل لانزل فانا بما ارسلتم به اي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم كافرون لما انتم بشر مثلنا من غير
فضل لكم علينا روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما
بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة
وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت
خير ام عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان
تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اي بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما
تستغني به ورسول الله صلى الله عم ساكت فلما فرغ عتبة قال عم بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله تعالى
مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه عم وناشده بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما
احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبا فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا انك قد صبأت
فغضب ثم قال والله لقد كلمته فاجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد
وثمود امسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت ان
ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا في الارض شروع في حكاية ما يخص بكل واحدة من الطائفتين
من الجناية اثر حكاية ما يعمهما من الكفر المطلق اي فتعظموا فيها على اهلها او استعلوا فيها واستولوا
على اهلها بغير الحق اي بغير استحقاق للتعظم والاستيلاء وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم
حيث كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من
الجبل فيقتلعها بيده اولم يروا اي اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اي قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى
قوي على ما لا يقدر عليه غيره مفيض للقوى على كل قوي وقادر وايراد الموصول لتعليل الحكم
وكانوا بآياتنا يجحدون اي ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا
وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي باردة تهلك وتحرق
بشدة بردها من الصر وهو البرد الذي يصر اي يجمع ويقبض او عاصفة تصوت في هبوبها من الصرير
في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على
انه نعت وكانت من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم
الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وقد اضيف العذاب الى الخزي
الذي هو الذل والاستكانة على انه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الآخرة اخزى وهو في الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب
للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على
الحق بنصب الآيات التكوينية وارسال الرسل وانزال الآيات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر
تحقيق معنى الهداية في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده

في الحالين وبضم التاء فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الضلالة على الهداية فأخذتهم صاعقة العذاب
الهون داهية العذاب وقارعة العذاب والهون والهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا
يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله
شروع في بيان عقوباتهم الآجلة اثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم باعداء الله لذمهم والايذان
بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والآخرين ويرده ما سيأتي من قوله تعالى
في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ نحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله وبنون العظمة
وضم الشين وكسرها الى النار اي الى موقف الحساب اذ هناك يتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال
والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على شرف دخولها
واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بقصور
العبارة عن تفصيله كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى فهم
يوزعون اي يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون الى النار
وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤوها اي جميعا غاية ليحشروا او ليوزعون اي حتى اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد
اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
من فنون الكفر والمعاصي بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها وعن ابن عباس ان المراد بشهادة
الجلود شهادة الفروج وهو الانسب بتخصيص السؤال بها في قوله تعالى وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا
فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزي والعقوبة مما تشهد به السمع والابصار من الجنايات
المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح اي قالوا لها سؤال توبيخ لما روي انهم قالوا فعنكن كنا
نناضل وفي رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود في قوله تعالى
لم لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اي انطقنا
الله الذي انطق كل ناطق واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها
وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذي انطق كل شيء وليس بذاك لما فيه من ايهام الاضطراب في
الاجابة وقيل سألوا سؤال تعجب فالمعنى ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذي انطق كل شيء وهو خلقكم
اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا
لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد
بالرجع ليس مجرد الرد الى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترتب عند التخاطب
على تغليب المتوقع على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم
سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقرير
لجواب الجلود اي ما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان تشهد عليكم جوارحكم
بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأسا ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من القبائح المخفية فلا يظهرها في الآخرة ولذلك اجترأتم على ما
فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلامه تعالى حينئذ لا بانها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم
عن ابن مسعود رضي الله عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي او قرشيان
وثقفي فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا فذكرت ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكي حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد
من الكفرة ولعل الانسب ان يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الاعمال المنبئة عنه
كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ليعم ما حكي من الحال جميع اصناف الكفرة فتدبر وذلكم اشارة الى ما
ذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى ظنكم
الذي ظننتم بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبره فاصبحتم بسبب ذلك
الظن السوء الذي اهلككم من الخاسرين اي صار ما منحوا للنيل سعادة الدارين سببا لشقاء النشأتين فان

يصبروا فالنار مثوى لهم اي محل ثواء واقامة ابدية لهم بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة
للايذان باقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم
في غاية دركات النار وان يستعتبوا اي يسألوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم
من المعتبين المجابين اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا
فما هم من المعتبين اي ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم اي قدرنا وقرنا
للكفرة في الدنيا قرناء جمع قرين اي اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو
القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع
الشهوات وما خلفهم من امور الآخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اي
ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها وهي قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين كما مر مرارا في امم حال من الضمير المجرور اي كائنين في جملة
امم وقيل في بمعنى مع وهذا كما ترى صريح في ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود
لا الكفار من الاولين والآخرين كما قيل قد خلت صفة لامم اي مضت من قبلهم من الجن والانس هي
الكفر والعصيان كدأب هؤلاء انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين والآخرين
وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القرآن اي لا تنصتوا
له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا على
القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغي يلغى كلقي يلقى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون
اي تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اي فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار
وهم داخلون فيه دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي
جزاء سيئات اعمالهم التي هي في انفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوف وصلة
الارحام وقري الاضياف لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذي كانوا
يعملون في الآخرة ذلك مبتدأ وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اي ما ذكر من الجزاء جزاء معد لاعداء الله
تعالى وقوله النار عطف بيان للجزاء او ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون
الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة
مقررة لما قبلها او النار مبتدأ هي جزاء اي هي بعينها دار اقامتهم على ان في للتجريد وهو ان ينتزع من امر
ذي صفة امر آخر مثله مبالغة لكماله كما يقال في البيضة عشرون منا حديد وقيل هي على معناها
والمراد ان لهم في النار المشتملة على الدركات دارا مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا بآياتنا
يجحدون منصوب بفعل مقدر اي يجزون جزاء او بالمصدر السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما في
قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة
الفواصل اي بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سبب اللغو وقال الذين
كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون فريقي
شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين وقيل هما ابليس و
قابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا تخفيفا كفخذ في فخذ وقيل معناه اعطنا اللذين وقرئ
باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اي ندوسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل
ليكونا من الاسفلين اي ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع في بيان حسن احوال
المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما اي قالوا اعترافا بربوبيته تعالى واقرارا بوحدانيته
ثم استقاموا اي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان او في الرتبة فان الاستقامة
لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الايمان
واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى يمدونهم فيما
يعن لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام

كأن الكفرة بقوبهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من
قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق
كما ستعرفه الا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه
غم يلحق لوقوع من فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله
تعالى كتب لهم الامن من كل غم فلن يذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا
والهاء ضمير الشان وقرئ لا تخافوا ويقولون لا تخافوا على انه حال من الملائكة او استئناف وابشروا اي
سروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشاراتهم في احد المواطن الثلاثة
وقوله تعالى نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا الخ من بشاراتهم في الدنيا اي اعوانكم في اموركم
نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين
على الطاعات من ان ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة وفي الاخرة نمدكم بالشفاعة
ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والخصام ولكم فيها اي في الاخرة ما
تشتهي انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اي
تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم في الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره في الخبر وعدم الاكتفاء
بعطف تدعون على ما تشتهي للايذان باستقلال كل منهما نزلا من غفور رحيم
حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم الاجور كالنزل للضيف ومن
احسن قولا ممن دعا الى الله اي الى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا الى الاسلام وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المؤذنين والحق ان حكمها عام
لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني
من المسلمين ابتهاجا بانه منهم واتخاذا للاسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اي مذهبه لا انه
تكلم بذلك وقرئ اني بنون واحدة ولا تستوي الحسنة ولا السيئة جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن
الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيبا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اي لا تستوي الخصلة
الحسنة والسيئة في الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة حيث اعترضتك من بعضهم اعاديك بالتي هي احسن
ما يمكن دفعها به من الحسنات بالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه مخرج الجواب عن سؤال
من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به اي فاذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل
الولي الشفيق وما يلقاها اي ما يلقى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الاساءة بالاحسان الا
الذين صبروا اي شانهم الصبر وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم
الجنة وقيل هو الثواب وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب وكان عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا
مصافيا واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة
الشيطان لانها بعث على ما لا ينبغي وجعل نازغا على طريقة جد جده او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان
بالمصدر اي وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله من شره
ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك وفي جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار
نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه ومن آياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر
كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لامره
مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى او الاناث او لانها
عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن
رتبة المسجودية بنظمهما في المخلوقية في سلك الاعراض التي لا قيام لها بذاتها وهو السر في نظم الكل في آياته
تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه سبحانه وهو موضع السجود

لتاكيد النفي وقوله تعالى
ادفع بالتي هي احسن الى آخره
استئناف مبني لحسن ما يحصل
عاقبة الحسنة اي ادفع السيئة

السجود عند الشافعي رحمه الله وعندنا آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين
عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون وقرئ لا يسأمون
بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا
عليها الماء اي المطر اهتزت وربت اي تحركت بالنبات وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات
وقرئ ربأت اي ارتفعت ان الذي احياها بما ذكر بعد موتها لمحيي الموتى بالبعث انه على كل شيء من
الاشياء التي من جملتها الاحياء قدير مبالغ في القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة وقرئ
يلحدون في آياتنا بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم
وقوله تعالى افمن يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيامة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من
الاعمال المؤدية الى ما ذكر من الالقاء في النار والاتيان آمنا فيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير
فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون الخ
وخبر ان هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف مثل معذبون او هالكون او سد مسده الخبر السابق والذكر
القرآن وقوله تعالى وانه لكتاب عزيز اي كثير المنافع عديم النظير او منيع لا يتأتى معارضته جملة حالية
مفيدة لغاية شناعة الكفر به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اي لا يتطرق اليه
الباطل من جهة من الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدأ
محذوف او صفة اخرى لكتاب مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته
الذاتية وقوله لا يأتيه الخ اعتراض عند من يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح
كل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن وقوله تعالى ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
عما يصيبه من اذية الكفار اي ما يقال في شأنك وشأن ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار
قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي الا مثل ما قد قيل في حقهم مما لا خير فيه ان ربك لذو مغفرة
لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك
بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرآنا اعجميا جوابا لقولهم هلا انزل القرآن بلغة العجم والضمير
للذكر لقالوا لولا فصلت آياته اي بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى أأعجمي وعربي انكار مقرر للتحضيض
والاعجمي يقال للكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة في الوصف كأحمري والمعنى أكلام اعجمي ورسول
او مرسل اليه عربي على ان الافراد مع كون المرسل اليهم امة جمة لما ان المراد بيان التنافي والتنافر
بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحدا او جمعا وقرئ اعجمي اي كلام منسوب الى امة
العجم وقرئ أعجمي على الاخبار بان القرآن اعجمي والمتكلم او المخاطب عربي ويجوز ان يراد هلا فصلت آياته
فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب واياما كان فالمقصود بيان ان آيات الله
تعالى على اي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى الى الحق
وشفاء لما في الصدور من شك وشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره في آذانهم وقر على ان التقدير هو اي
القرآن في آذانهم وقر على ان وقر خبر للضمير المقدر وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر او هو
او فيه متعلق له بقوله تعالى وهو عليهم عمى وقيل خبر الموصول في آذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ
والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون في آذانهم منه وقر ومن جوز العطف
على عاملين عطف الموصول على الموصول الاول اي هو للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر
في آذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثاني باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما لحقه وما انتظم له
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الشر وما فيه من كمال
المناسبة للنداء من بعيد اي اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التعامي عن الحق الذي
يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل
لهم في عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادي من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات
ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف مسوق لبيان ان الاختلاف في شأن الكتب عادة

فقديم للانام غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اي وبالله لقد آتيناه التورية فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك في شان ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك في حق امتك المكذبة وهي العدة بتاخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضي بينهم باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبي الامم السالفة وانهم اي كفار قومك لفي شك منه مريب اي من القرآن وجعل الضمير الاول لليهود والثاني للتورية مما لا وجه له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اي فلنفسه يعمل او فنفعه لنفسه لا لغيره ومن اساء فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك اثابة المحسن بعمله واثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما في المقام من التحقيق والتفصيل في سورة آل عمران وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اي اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله تعالى وما تخرج من ثمرات من اكمامها اي من اوعيتها جمع كم بالكسر هو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع اي حملها وقوله تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابسا بشيء من الاشياء الا ملابسا بعلمه المحيط ويوم يناديهم اين شركائي اي بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى اين شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر مؤخر قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا آذناك اي اخبرناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وقولهم آذناك اما لان هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير وان مسه الشر اي العسر والضيقة فيؤوس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان اليأس من رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سيأتي ولئن رجعت الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وان نعم الآخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس عم ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض اي عن الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما

قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شان بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط او شان الكل في بعض الاوقات قل ارأيتم اي اخبروني ان كان اي القرآن من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو في شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم آياتنا الدالة على حقيته وكونه من عند الله في الآفاق هو ما اخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له وللخلفاء من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس في الآفاق اي منازل الامم الخالية وآثارهم وفي انفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدي في الآفاق ما يفتح الله تعالى من القرى عليه عليه السلام والمسلمين وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الآفاق اي اقطار السموات والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلال والظلمات ومن النبات والاشجار والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتذر بان معنى السين مع ان اراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك ان الله تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوما فيوما حتى يتبين لهم بذلك انه الحق اي القرآن او الاسلام والتوحيد اولم يكف بربك استيناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شان القرآن وعنادهم المحوج الى اراءة الآيات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد ولا يكاد يزداد الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شيء شهيد بدل منه اي الم يغنهم عن اراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشياء وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده تعالى ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتامل واما ما قيل من ان المعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الاشياء الموعودة فمع اشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عم من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهي لغة فيها الا انه بكل شيء محيط عالم بجميع الاشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف

سورة الشورى مكية وهي خمسون وثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرئ حم سق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ وقيل حم مبتدأ عسق خبره وعلى الثاني فالكل خبر واحد وقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم كلام مستانف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق او ان ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شانها والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول وعلى انه نعت لمصدر مؤكد له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ما في هذه السورة من المعاني اوحي اليك في سائر السور والى من قبلك من الرسل في كتبهم

على ان مناط المنافع ما اشير اليه من الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وما فيه صلاح العباد في
المعاش والمعاد او مثل ايحائه اوحى اليك عند ايحاء سائر السور والى سائر الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا
ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الآية على ان مدار المثلية كونه بواسطة
الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي
جعل مضمون السورة او ايحائها مشبها به من تفخيمها ما لا يخفى وكذا في وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتأخير
الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدأ ويوحى
خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسند الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحي
فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له او مبتدأ كما في قراءة نوحي والعزيز وما بعده خبران له او العزيز
الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه
السابقة استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى
وقيل من دعاء الولد له كما في سورة مريم وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع
فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية
وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الآيات وادلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة
على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق
فلأن تؤثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها في معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد
ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم
من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة طمعا في ايمان
الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم
الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة الا
ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الاول زيادة
تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك
الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم
ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ
عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم
وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا ذلك اشارة الى مصدر اوحينا ومحل
الكاف النصب على المصدرية وقرآنا عربيا مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البديع البين المفهم اوحينا
اليك قرآنا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الآية المتقدمة من انه تعالى
هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب فالكاف مفعول به لاوحينا وقرآنا عربيا حال من المفعول به اي
اوحينا اليك وهو قرآن عربي بين لتنذر ام القرى اي اهلها وهي مكة ومن حولها من العرب وتنذر
يوم الجمع اي يوم القيامة لانه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع فيه الارواح
والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف
ههنا ثاني مفعولي الاول واول مفعولي الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء على ان فاعله
ضمير القرآن لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم في
الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموع لدلالة
الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم اي وتنذر يوم جمعهم متفرقين او مشارفين للتفرق
او متفرقين في داري الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اي في الدنيا امة واحدة قيل
مهتدين او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس في قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل
من يشاء في رحمته انه تعالى يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل في عذابه من يشاء ان
يدخله فيه ولا ريب في ان مشيئته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول

لدخول مدخله ومن ضرورته اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل
امة واحدة بل جعلهم فريقين وانما قيل والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير للايذان بان الادخال
في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لا من جهته تعالى كما في الادخال في الرحمة لا ما قيل
من المبالغة في الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما في قوله تعالى ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى وقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على
الايمان ولكن شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون
بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولي ولا نصير وانت خبير بان فرض جعل الكل مؤمنين
ح يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم في رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره باخراج
بعضهم من بينهم وادخالهم في عذابه فالذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه ان يراد الاتحاد في
الكفر كما في قوله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين الآية على احد الوجهين بان يراد
بهم الذين هم في فترة ادريس او في فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة متفقة
على الكفر بان لا يرسل اليهم رسولا لينذرهم ما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم
عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء في رحمته اي شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر
بعضهم بالانذار فيصرفون اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله للايمان والطاعة ويدخلهم في رحمته
ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون في غيهم وهم الظالمون فيبقون في الدنيا على ما هم عليه من الكفر
ويصيرون في الآخرة الى السعير من غير ولي يلي امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه
اولياء جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء ان يكون للظالمين ولي او نصير وام منقطعة وما
فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه
واكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء في شيء لان
ذلك فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر الممتنعات اي بل اتخذوا متجاوزين الله اولياء من الاصنام وغيرها
هيهات وقوله تعالى فالله هو الولي جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولايتها ان اتخذوا اولياء
ان ارادوا اولياء في الحقيقة فالله هو الولي لا ولي سواه وهو يحيي الموتى اي ومن شأنه ذلك وهو
على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم
فيه من شيء حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم
انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين ذلكم الحاكم العظيم الشأن الله
ربي مالكي عليه توكلت في مجامع اموري خاصة لا الى غيره واليه انيب ارجع في كل ما يعن لي من
معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة متعددة متجددة
بتجدد موادها اوثر في الاول صيغة الماضي وفي الثانية صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه
وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته
حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية اشتبهت عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله
والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتعلق
بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح والاستاذ يحمل هذا على الاجتهاد لعدم
جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدأ محذوف او مبتدأ
خبره جعل لكم وقرئ بالجر على انه بدل من الضمير او وصف للاسم الجليل في قوله تعالى الى الله وما بينهما
اعتراض بين الصفة والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح قد مر سره غير مرة ومن الانعام اي وجعل للانعام من جنسها ازواجا او وخلق لكم من الانعام اصنافا
او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفي معناه الذرو والذر فيه اي فيما ذكر
من التدبير فان جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شيء
اي ليس مثله شيء في شأن من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما في قولهم

لا يفعل لكن على قصد المبالغة في نفيه عنه فإنه إذا نفي عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه
الطريقة في شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته أي ليس كصفته صفة **وهو السميع البصير** المبالغ في العلم بكل
ما يسمع ويبصر **له مقاليد السموات والأرض** أي خزائنها **يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** يوسع ويضيق
حسبما يقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة **إنه بكل شيء عليم** مبالغ في الإحاطة به فيفعل كل ما يفعل
على ما ينبغي أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى **شرع لكم من الدين ما**
وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى وإيذان بأن ما شرع لهم
صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته إلى المذكورين عليهم السلام تنبيه على كونه دينا قديما أجمع
عليه الرسل والخطاب لأمته عم أي شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولي
العزائم من مشاهير الأنبياء عليهم السلام وأمرهم به أمرا مؤكدا على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم
ولاستمالة قلوب الكفرة إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود في شأن موسى وتفرد النصارى
في حق عيسى عم وإلا فما من نبي إلا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الإسلام وما لا
يختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كما ينبئ عنه التوصية فإنها معربة عن
تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحائه إليه عم إما ما ذكر في صدر السورة الكريمة وفي قوله
تعالى وكذلك أوحينا الآية وإما ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتها قوله تعالى ثم
أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد
وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته إليه عم بالذي لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وإيثار
الإيحاء على ما قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورة ولما في الإيحاء من التصريح برسالته
القامع لإنكار الكفرة والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه وهو السر في تقديمه على ما
بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم توصية نوح عم للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم دينا قديما
وتوجيه الخطاب إليه عم بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عم
أن أقيموا الدين أي دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء
وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليه
والتشمر له ومحل أن أقيموا إما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب
عن سؤال نشأ من إبهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو إقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس
بذاك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب
في قوله تعالى **ولا تتفرقوا فيه** للأنبياء المذكورين عليهم الصلوة والسلام وتوجيه النهي إلى أممهم تمحل
ظاهر مع أن الظاهر أنه متوجه إلى أمته صلى الله عم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبرا أي لا تتفرقوا
في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الأعصار
كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى **كبر على المشركين** شروع في بيان
أحوال بعض من شرع لهم ما شرع من الدين القويم أي عظم وشق عليهم **ما تدعوهم إليه** من التوحيد
ورفض عبادة الأصنام واستبعدوه حيث قالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وقوله
تعالى **الله يجتبي إليه من يشاء** استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب إلى الدعوة
أي الله يجتلب إلى ما تدعوهم إليه من يشاء أن يجتبيه إليه وهو من صرف اختياره إلى ما دعي إليه كما
ينبئ عنه قوله تعالى **ويهدي إليه من ينيب** أي يقبل إليه حيث يمده بالتوفيق والألطاف وقوله ع
وما تفرقوا شروع في بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال أهل الشرك قال
ابن عباس هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة
أي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا إليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم **إلا من بعد ما جاءهم العلم**
بحقيته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في
كتابهم أو العلم ببعثته عم وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو من أعم الأوقات أي وما تفرقوا في

حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا حال مجيء العلم أو إلا وقت مجيء العلم **بغيا بينهم** وحمية و
طلبا للرياسة لا لأن لهم في ذلك شبهة **ولولا كلمة سبقت من ربك** وهي العدة بتأخير العقوبة **إلى أجل**
مسمى هو يوم القيمة **لقضي بينهم** لأوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعا
وقوله تعالى **وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم** الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن إثر
بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا أي وإن المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورثت
أهل الكتاب كتابهم **لفي شك منه** من القرآن **مريب** موقع في القلق أو في الريبة ولذلك لا يؤمنون
به لا لمحض البغي والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب أهل الكتاب هذا وأما ما قيل من أن ضمير
تفرقوا للأمم السالفة وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبيها مع علمهم بأن الفرقة ضلال وفساد
وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم السلام يرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل
مسمى لقضي بينهم وكذا ما قيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعد ما أهلك الله تعالى أهل
الأرض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين
ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغي بينهم فإن مشاهير الأمم المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال
من غير إنظار وإمهال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الأمم وإنما ذكر من الأنبياء عليهم السلام تحقيق
أن ما شرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الأعلام عليهم السلام تأكيدا لوجوب إقامته وتشديدا للزجر
عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق أممهم عنه ربما يوهم الإخلال بذلك المرام **فلذلك** أي
فلأجل ما ذكر من التفرق والشك المريب أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بأن يتنافس فيه
المتنافسون **فادع** أي الناس كافة إلى إقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فإن كلا من تفرقهم وكونهم في شك
مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عم سبب للدعوة إليه والأمر بها وليس
المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر بالإقامة والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار
إليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى إلى كما في قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أي فإلى ذلك الدين فادع
واستقم عليه وعلى الدعوة إليه **كما أمرت** وأوحي إليك **ولا تتبع أهواءهم** الباطلة **وقل آمنت بما أنزل**
الله من كتاب أي كتاب كان من الكتب المنزلة كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان
لاتفاق الكتب في الأصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الإيمان بها في
خاتمة سورة البقرة **وأمرت لأعدل بينكم** في تبليغ الشرائع والأحكام وفصل القضايا عند المحاكمة و
الخصام وقيل معناه لأسوي بيني وبينكم ولا آمركم بما لا أعمله ولا أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ولا أفرق
بين أكابركم وأصاغركم واللام إما على حقيقتها والمأمور به محذوف أي أمرت بذلك لأعدل أو زائدة
أي أمرت أن أعدل والباء محذوفة **الله ربنا وربكم** أي خالقنا جميعا ومتولي أمورنا **لنا أعمالنا** لا يتخطانا
جزاؤها ثوابا كان أو عقابا **ولكم أعمالكم** لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم
لا حجة بيننا وبينكم أي لا محاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة
محمل سوى المكابرة **الله يجمع بيننا** يوم القيمة **وإليه المصير** فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة
في مواقف المجاوبة لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار إلى النسخ بآية القتال **والذين يحاجون**
في الله أي في دينه **من بعد ما استجيب له** من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة
باعتبار دعوتهم إليه أو من بعد ما استجاب الله لرسول الله صلى الله عم وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب
له أهل الكتاب بأن أقروا بنعوته عم واستفتحوا به قبل مبعثه عم وذلك أن اليهود والنصارى كانوا
يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق **حجتهم داحضة عند**
ربهم زائلة باطلة بل لا حجة لهم أصلا وإنما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل
وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره **ولهم عذاب شديد** لا يقادر قدره **الله الذي أنزل**
الكتاب أي جنس الكتاب **بالحق** ملتبسا به في أحكامه وأخباره أو بما يحق إنزاله من العقائد والأحكام
والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن

وما يدريك اى اى شئ يجعلك عالما لعل الساعة التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب اى شئ قريب او قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب او الساعة بمعنى البعث والمعنى انها على جناح الاتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل ان يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الاعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال انكار واستهزاء وكانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق اهو الذى نحن عليه ام الذى عليه محمد واصحابه والذين آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق اى الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون فى الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفى ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد الى تجويزه فهو عن الاهتداء الى ما وراءه ابعد وابعد الله لطيف بعباده اى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون الطافه ما لا يكاد يناله ايدى الافكار والظنون يرزق من يشاء اى يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوى الباهر القدرة الغالب على كل شئ العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة الحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الاعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الاعمال بالبذور اى من كان يريد باعماله ثواب الآخرة نزد له فى حرثه نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد باعماله حرث الدنيا وهو متاعها وطيباتها نؤته منها اى شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه وما له فى الآخرة من نصيب اذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة الاسراء ام لهم شركاء اى بل الهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم الذين جعلوها شركاء لله واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالهم وافتتانهم كقوله تعالى انهن اضللن كثيرا او تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتاخير الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم اى بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الآخرة ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل احد ممن يصلح له للقصد الى ان سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى وباله لاحق بهم لا محالة اشفقوا او لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين او اعتراض والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات مستقرون فى اطيب بقاعها وانزهها لهم ما يشاؤن عند ربهم اى ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على ان عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاؤن ذلك اشارة الى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه هو الفضل الكبير الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذى يبشر الله عباده اى يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد الى الموصول كما فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من ابشر قل لا اسألكم عليه روى انه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون ان محمدا يسأل على ما يتعاطاه اجرا فنزلت اى لا اطلب منكم على ما انا عليه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا الا المودة فى القربى اى الا ان تودوا قرابتى منكم او تودوا اهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسألكم اجرا قط ولكن اسألكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى اهلها او فى حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم اهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فانا اجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيمة وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة

على خ

مودة فى القربى ومن يقترف حسنة اى يكتسب اى حسنة كانت فيتناول مودة ذى القربى تناولا اوليا وعن السدى انها المرادة وقيل نزلت فى الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم نزد له فيها اى فى الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وقرئ حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل ايقولون افترى محمد على الله كذبا بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على ان الهمزة للانكار التوبيخى كانه قيل ايتمالكون ان ينسبوا مثله عم وهو هو الى الافتراء لا سيما الافتراء على الله تعالى الذى هو اعظم الفرى وافحشها وقوله تعالى فان يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان انه عم لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه ان دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بانه تعالى لا يشاء صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره ومن ضرورته منعه عنه قطعا فكانه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك فان يشأ يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الامر كذلك بل تواتر الوحى حينا فحينا تبين انه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى ان يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى الا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عم وانه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لانساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته استئناف مقرر لنفى الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه اظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الانسان بالشر اى ومن عادته تعالى انه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه او بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه او عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانه تعالى يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه بالقرآن او بقضائه الذى لا مرد له بنصرته عليهم انه عليم بذات الصدور فيجرى عليها احكامها اللائقة بها من المحو والاثبات وهو الذى يقبل التوبة عن عباده التوبة هى الرجوع عن المعاصى بالندم عليها والعزم على ان لا يعاودها ابدا وروى جابر رضى الله عنه ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له على رضى الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرئ ما يفعلون بالياء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى واذا كالوهم اى كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله عم افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها وعن ابرهيم ابن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرا والله يدعو الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية او الكيفية ولكن ينزل بقدر اى بتقدير ما يشاء ان ينزله مما تقتضيه مشيئته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم فى وقت من اوقاتهم ما يليق بشانهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب كانوا اذا اخصبوا

الله

تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذى ينزل الغيث اى المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص
بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا
لتذكير كمال النعمة وقرئ بكسر النون وينشر رحمته اى بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات
والحيوان او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذى يتولى عباده بالاحسان ونشر الرحمة
الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن اياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب الصنائع
فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على
اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته
اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد جوز ان يكون للملائكة عليهم السلام
مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وان يخلق الله تعالى في السماء حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما
ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله
واعلاه كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك العرش العظيم وهو على جمعهم اى حشرهم بعد البعث للمحاسبة
وقوله تعالى اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند
كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما اصابكم من مصيبة اى مصيبة كانت فبما كسبت
ايديكم اى فهي بسبب معاصيكم التى اكتسبتموها والفاء لان ما شرطية او متضمنة لمعنى الشرط وقرئ بدونها
اكتفاء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما
اصاب غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه للثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضى عليكم
من المصائب وان هربتم من اقطارها كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم
ومن اياته الجوار السفن الجارية في البحر وقرئ الجوارى كالاعلام اى كالجبال على الاطلاق لا التى عليها
النار للاهتداء خاصة ان يشأ يسكن الريح التى تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين
ثوابت على ظهر البحر اى غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذى ذكر من السفن اللاتي تجرين تارة
وتركدن اخرى على حسب مشيئته تعالى لايات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى
لكل صبار شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته في النظر في ايات الله تعالى والتفكر
في الائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن والمعنى
ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال اهلهن للمبالغة
والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها فيوبق ناسا وينج اخرين
بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستيناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة
مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله اية للناس وقوله ولنعلمه من تاويل الاحاديث ونظائرهما
وقرئ بالرفع على الاستيناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى وان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم و
تحذير قوم ما لهم من محيص اى من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون
وتتنافسون فيه فمتاع الحيوة الدنيا اى فهو متاع تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير
لخلوص نفعه وابقى لدوامه حيث لا يزول ولا يفنى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا
والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحيوة الدنيا دخلت
جوابه الفاء بخلاف الثاني وعن على رضى الله عنه انه تصدق ابو بكر رضى الله عنه بماله كله فلامه جمع من المسلمين
فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اى الكبائر من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم
يغفرون مع ما بعده عطف على للذين امنوا او مدح بالنصب او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا للدلالة
على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس كبير الاثم الشرك والذين
استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له
وامرهم شورى بينهم اى ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها
اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما رزقناهم ينفقون اى في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر

بل

بين كالمشاورة لتوقفها عند اجتماعهم الصلوات والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اى ينتقمون ممن بغى
عليهم على ما جعل الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل
وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع
صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواة اللئام مذموم فانه اغراء على البغي
وعليه قول من قال ٭ اذا انت اكرمت الكريم ملكته ٭ وان انت اكرمت اللئيم تمردا ٭ فوضع
الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادى
هو الذى فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على
حرمة التعدى واطلاق السيئة على الثانية لانها تسوء من تنزل به فمن عفا عن المسئ اليه واصلح بينه وبين من
يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم فاجره على
الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب الظالمين
البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اى بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك
اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضمير لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة او المعاقبة
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يعتدون في الانتقام ويبغون في الارض بغير
الحق اى يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك لهم عذاب اليم بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن
ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله تعالى ان ذلك الذى ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اى ان ذلك
منه فحذف كما حذف في قولهم السمن منوان بدرهم وهذا في المواد التى لا يؤدى العفو الى
الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله تعالى اياه
وترى الظالمين لما راوا العذاب اى حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق يقولون هل الى
مرد اى رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم يعرضون عليها اى على النار
المدلول عليها بالعذاب والخطاب في الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية خاشعين من الذل متذللين متقاصرين
مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور
ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين اى المتصفين بحقيقة الخسران الذين خسروا انفسهم
واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيمة اما ظرف لخسروا والقول في الدنيا او لقال اى يقولون
حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى الا ان الظالمين في عذاب
مقيم اما من تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم برفع العذاب عنهم من دون الله
حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدى سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم
اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان ياتى يوم لا مرد له من الله اى لا يرده الله بعد ما حكم به على
ان من صلة مرد وقيل ان ياتى من الله يوم لا يمكن رده ما لكم من ملجأ يومئذ اى مفر تلتجئون اليه
وما لكم من نكير اى انكار لما اقترفتموه لانه مدون في صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا
فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى النبي
اى فانهم لم يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد
بلغت واذا اذقنا الانسان منا رحمة اى نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس
لقوله تعالى وان تصبهم سيئة اى بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ
الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم انها اصابته بغير استحقاق لها واسناد
هذه الخصلة الى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير الشرطية الاولى باذا واسناد
الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية
بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرتها وانها بمعزل من الانتظام في
سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم لله ملك

السموات والارض من قضية ان عادة التصرف فيهما وفي كل ما فيهما كيف يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية
حسبما يريد يخلق ما يشاء مما نعلمه ومما لا نعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور
منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا
قالوا معنى يزوجهم ان تلد غلاما ثم جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توأمين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل
احوال العباد في حق الاولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى
واما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الآية للدلالة على ان
الواقع ما يتعلق به مشيئته تعالى لا ما يتعلق به مشيئة الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء والعرب
تعدهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب آبائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التأخير وتغيير
العاطف في الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه بانه قسيم المشترك بين
الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا
وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة
فيفعل ما فيه حكمة ومصلحة وما كان لبشر اي ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا
اي الا بان يوحي اليه ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليهما السلام في ذبح ولده او بان يسمعه
كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب
فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك
كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي
ملكا فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه
اليه وهذا هو الذي يجري بينه وبين الانبياء عليهم السلام في عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحيا
وقوله او يرسل مصدران وقعا موقع الحال وقوله تعالى او من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح
ان يكلم احدا الا موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على اضمار مبتدأ وروي ان
اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن
حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا رأى ربه فقد
اعظم على الله الفرية ثم قالت اولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية انه علي متعال عن صفات المخلوقين
لا يأتي جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا بأحد الوجوه المذكورة حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم
تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك
روحا من امرنا هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للابدان حيث يحييها حياة ابدية وقيل
هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليهما السلام ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي
اي شيء هو ولا الايمان اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان
بما يستقل به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحيناه
اليك نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى
نهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول نهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي
بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو الاسلام وسائر الشرائع والاحكام وقرئ لتهدي اي ليهديك
الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله تعالى الذي له ما في
السموات وما في الارض لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه فان كون جميع ما فيهما من
الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير الامور اي امور ما فيهما قاطبة
لا الى غيره وفيه من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة حم عسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويترحمون له والحمد لله

سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم

حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير اسمية كونه اسما للقرآن لا

للسورة كما قيل فان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه مقسم به اما ابتداء او عطفا
على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير
القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية المبين اي البين لمن انزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى اساليبهم
او المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة انا جعلناه
قرآنا عربيا جواب للقسم لكن لا على انه مرجع التأكيد جعله كذلك كما قيل بل لما هو غاية له التي تعرب
عنها قوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم
ولتمام النعمة عليهم وانزاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرآنا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه
من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر
وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ فانه اصل
الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا لعلي رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم
ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر
من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة
في حكمها ففي الاقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشأن
بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بين بنفسه كاف في الشهادة على ذلك
من حيث الاقسام به كما انه كاف فيه من حيث الاعجاز ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء آخر اولى
منه بالاقسام به واما مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذي انبأ عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض
في قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق ان انزاله على
لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل افنضرب
عنكم الذكر اي ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار باقتضاء الحكمة
توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام
اي انهملكم فننحي عنكم الذكر صفحا اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل عليه
فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل افنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب فينتصب على
الظرفية اي افننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين
عليه على ان حالكم ان ما تقتضي تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب
الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب
المبين وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة مخرج المحقق لقصد الاستجهال والجزاء محذوف
ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما يأتيهم من نبي
الا كانوا به يستهزءون تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء
اليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا
اي من هؤلاء القوم المسرفين [illegible] ومضى مثل الاولين اي سلف في القرآن [illegible] ذكر قصتهم
[illegible]
التي حقها ان تسير مسير المثل ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم
اي ليسندن خلقها الى من هذا شأنه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون عنه بهذا العنوان
وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من الجلائل والافعال [illegible]
ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاءوا او ابوا وقد جوز ان يكون
ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهدا استئناف من جهته تعالى اي بسطها
لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها في اسفاركم لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بسلوكها الى
مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي والذي نزل من السماء ماء بقدر بمقدار
تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اي احيينا بذلك الماء بلدة ميتا خاليا عن النماء

والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان والالتفات الى نون العظمة
لاظهار كمال العناية بأمر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اي مثل ذلك الاحياء الذي هو في الحقيقة
اخراج النبات من الارض تخرجون اي تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير عن اخراج النبات بالانشار
الذي هو احياء الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث لتقويم سنن
الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذي خلق الازواج كلها اي اصناف المخلوقات وعن ابن عباس رض
الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وكل ما سوى تعالى فهو
زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون اي ما
تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها بكلمة في للرمز
الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها لتستووا على
ظهوره اي لتستقلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه اي تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لشأنها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما روي عن النبي صلى الله عم انه كان اذا وضع
رجله في الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر
لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اي مطيقين من اقرن الشيء
اذا اطاقه واصله وجده قرينته لان الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد
وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا
حق المنعم بها وانا الى ربنا لمنقلبون اي راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتأمل فيما يلابسه
من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى فيبني اموره في مسيره ذلك على تلك
الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذر امرا ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع
وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ اي وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم
واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق
من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك
يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ مما يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من
معنى الانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من
اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى واصفاكم بالبنين اما عطف
على اتخذ داخل في حكم الانكار والتعجيب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه على الخلاف المذكور والالتفات
الى خطابهم لتأكيد الالزام وتشديد التوبيخ اي بل اتخذ من خلقه اخس الصنفين واختار لكم
افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور استحالته
وامتناعه اما كان لكم من شيء من العقل في ادعاء انه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما
وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما
ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر بها اخبر والالتفات للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم
ويحكي لغيرهم تعجيبا منها اي اذا اخبر احدهم بولادة ما جعله مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس
الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اي صار اسود في الغاية من سوء ما بشر به وهو كظيم مملوء من
الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت
خبرا له او من ينشأ في الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا
اي او جعلوا من شأنه ان يربى في الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة لانكار الواقع
واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لانكار الوقوع واستبعاده واقحام ام
بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتأكيده والعطف لتغاير العنوان اي اتخذ من هذه

من الصفة التي هي ممة صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام اي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه
الانسان في العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته لنقصان عقله وضعف رأيه
واضافة غير لا يمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ ينشأ وينشأ من الافعال و
المفاعلة والكل بمعنى ونظيره علاه واعلاه وعالاه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله عز وجل
اخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا
خلقهم اي احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة
وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآشهدوا بالف بينهما
ستكتب شهادتهم هذه في ديوان اعمالهم ويسألون عنها يوم القيمة وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون
وقرئ شهاداتهم وهي قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملائكة ويساءلون من المسألة للمبالغة وقالوا
لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن آخر من كفرهم اي لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء
ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى لا
الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى اياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به
دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما ان عبادتهم له بمشيئته تعالى والثانية ان
ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا في الثانية حيث جهلوا ان المشيئة عبارة عن
ترجيح بعض الممكنات على بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضى او السخط في شيء من الطرفين ولذلك
جهلوا بقوله تعالى ما لهم بذلك اي بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا
بمطلق المشيئة فان ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة من علم يستند الى سند ما
ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز ان يشار بذلك الى اصل الدعوى كأنه لما ظهر وجوه فسادها
وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه الى ابطال ان يكون لهم
سند من جهة النقل فقيل ام آتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من قبل ادعائهم ينطق
بصحة ما يدعونه فهم به بذلك الكتاب مستمسكون وعليه معولون بل قالوا انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مهتدون اي لم يأتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى
تقليد آبائهم الجهلة مثلهم وقرئ امة بالكسر وهي الحالة التي يكون عليها الآم اي القاصد وقوله
على آثارهم مهتدون خبر ان او الظرف صلة لمهتدون وكذلك اي والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة
وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون استئناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما
بينهم ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب
البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد قال حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند
تقليدهم بتقليد آبائهم اي فقال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اي اتقتدون بآبائكم
ولو جئتكم باهدى بدين اهدى مما وجدتم عليه آباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما
عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الانصاف وقرئ قل على انه حكاية امر ماض اوحي الى كل نذير
لا على انه خطاب للرسول صلى الله عم كما قيل لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية
عن الامم قطعا اي قال كل امة لنذيرها انا بما ارسلت به الخ وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في
قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعل حكاية عن قومه عم بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر
المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائر
قوله تعالى كذبت عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم اي بالاستئصال
فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابرهيم
اي واذكر وقت قوله عم لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله انني براء مما

تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه
اشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ
بريء وبراء بضم الباء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اي انني بريء من عبادتكم
او معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون
الله والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اي انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه
سيهدين اي سيثبتني على الهداية او سيهديني الى ما وراء الذي هداني اليه الى الآن والاوجه ان السين
للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اي ابراهيم كلمة التوحيد التي
تكلم بها عبارة عنها كلمة باقية في عقبه اي في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى
ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الاية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ
كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اي جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من
اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة
باقية في عقبه بان وصى بها بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت
منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من اهل مكة وآباءهم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة و
انهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد حتى جاءهم اي هؤلاء الحق اي القرآن ورسول اي رسول مبين
ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين التوحيد بالآيات البينات والحجج وقرئ متعنا ومتعت
بالخطاب على انه تعالى اعترض به على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية الى آخره مبالغة في تعبيرهم فانه
التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان فجعلوه
سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم عما هم فيه من الغفلة ويرشدهم
الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث قالوا هذا سحر
وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لولا نزل هذا
القرآن على رجل من القريتين اي من احدى القريتين مكة والطائف على نحو قوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان عظيم اي بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل
حبيب بن عمير الثقفي وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة ابن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة
حسدا على نزوله الى الرسول عليه السلام دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على
عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا لنزل الى احد هؤلاء بناء على ما زعموا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق
الا بمن له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها مرتبة روحانية لا يرتقي اليها الا همم الخواص
المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الانسية واما المتزخرفون
بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله
تعالى أهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا اي اسباب معيشتهم قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية
على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم فوق
بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة
فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف
بعضهم بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا و
يصلوا الى مرافقهم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا
فاذا كانوا في تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف الثمام على هذه
الحالة فما ظنهم بانفسهم في تدبير امر الدين وهو ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث والتحري
فيمن يصلح لها ويقوم بامرها ورحمة ربك اي النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام
الدنيا الدنية الفانية وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة استئناف مبين لحقارة متاع

متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى ان حقارة شأنه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم
الدنيا في الكفر اذا رأوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم
منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة اي متخذة منها ولبيوتهم بدل
اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف
كرهن جمع رهن وعن الفراء انه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرئ سقفا بسكون القاف تخفيفا وسقفا
اكتفاء بجمع البيوت وسقفا كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج اي وجعلنا لهم معارج من فضة اي مصاعد
جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اي يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم اي وجعلنا
لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اي على السرر يتكئون ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا
اي زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا اي
وما كل ما ذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة الا شيء يتمتع به في الحيوة الدنيا ويؤيده ما قرئ وما كل
ذلك الا متاع الحيوة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على ان ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على
انها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها اي للذي هو متاع الخ كما في قوله تعالى تماما على الذي
احسن والآخرة بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين اي عن الكفر والمعاصي وبهذا
تبين ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش اي يتعام عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته
الى اسم الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اي يعم يقال عشي يعشى اذا كان في بصره
آفة وعشا يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط و
المعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحيوة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له
شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده الى ضمير
الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع يقيض وانهم اي الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو ليصدونهم
اي قرناءهم وجمع الضميرين باعتبار معنى من كما ان افراد الضمائر السابقة باعتبار لفظها عن السبيل
المستبين الذي يدعو اليه القرآن ويحسبون اي العاشون انهم اي الشياطين مهتدون اي الى السبيل
المستقيم والا لما اتبعوهم او يحسبون ان انفسهم مهتدون لان اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم
لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ او من فاعله او منهما لا
شتمالها على ضميريهما اي وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون انهم مهتدون اليه وصيغة المضارع
والافعال الاربعة للدلالة على الاستمرار التجددي لقوله تعالى حتى اذا جاءنا فانها حتى وان كانت ابتدائية
داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان تكون غاية لامر ممتد كما عرفته وافراد الضمير في جاءنا
وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه اي حتى اذا جاءنا كل واحد منهم
مع قرينه يوم القيامة وقرئ جاءانا على التثنية اي العاشي وقرينه قال اي العاشي مخاطبا له يا ليت بيني وبينك
في الدنيا بعد المشرقين اي بعد المشرق من المغرب اي تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق
وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين اي انت وقوله تعالى
ولن ينفعكم اليوم الخ حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله تعالى توبيخا وتقريعا اي لن ينفعكم اليوم
تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اي لاجل ظلمكم انفسكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي وقيل اذ
ظلمتم بدل من اليوم اي اذ تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني ولد كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب
مشتركون تعليل لنفي النفع اي لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما كنتم مشتركين في سببه في
الدنيا ويجوز ان يسند الفعل اليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم في العذاب كما ينفع الواقعين في امر صعب
اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه وتقسمهم لعنائه لان لكل منهم ما لا تبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع
بذلك لوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين
مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا

ضعفا من النار ونظارتهما لتشتفوا بذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم
لا يزيدون إلا غيا وتعاميا عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل أفأنت تسمع
الصم أو تهدي العمي وهو إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر و
استغرقوا في الضلال بحيث صار ما بهم من العشا عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف
على العمي باعتبار تغاير الوصفين ومدار الإنكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا يرعوي
لمنه لأنه يوهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز إلى أنه لا يقدر على ذلك إلا الله وحده بالقسر والإلجاء
فإما نذهبن بك أي فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشتفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين
فإنا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة وما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم في أنها لا تفارق النون
المؤكدة أو نرينك الذي وعدناهم أي أو أردنا أن نريك العذاب الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون
بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي أوحي إليك من
الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أو أخرناه إلى اليوم الآخر وقرئ أوحى على البناء للفاعل وهو الله
عز وجل إنك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك أو للأمر به وإنه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك
وسوف تسألون يوم القيامة عنه وعن القيام بحقوقه واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أي واسأل أممهم
وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤول
عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم إنما يخبرونه
عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم السلام أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون أي
هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء عليهم السلام على التوحيد
والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون
وملائه فقال إني رسول رب العالمين أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد
بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد إثر ما أشار إلى إجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها
يضحكون أي فاجؤوا وقت ضحكهم منها أي استهزؤوا بها أول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من آية
إلا هي أكبر من أختها أي إلا وهي بالغة أقصى مراتب الإعجاز بحيث يحسب كل من ينظر إليها أنها أكبر من
كل ما يقاربها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها أي إلا وهي مختصة
بضرب من الإعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها وأخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد وغيرها
لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا أيها الساحر نادوه بذلك في مثل تلك الحالة
لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرئ أيه
الساحر بضم الهاء ادع لنا ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك من النبوة أو من
استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عمن اهتدى أو بما عهد عندك فوفيت به من الإيمان والطاعة
إننا لمهتدون أي لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عمن اهتدى أو وعدنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز
لنؤمنن لك فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته إذا هم ينكثون فاجؤوا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد
مر تفصيله في الأعراف ونادى فرعون بنفسه أو بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد أن
كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار أنهار النيل ومعظمها
أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجري من تحتي أي من تحت قصري أو أمري
وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني وبساتيني والواو إما عاطفة لهذه الأنهار
على ملك مصر فتجري حال منها أو واو الحال فهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجري خبر المبتدأ أفلا تبصرون ذلك
يريد به استعظام ملكه أم أنا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير من
المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين أي الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصا له في أعين الناس باعتبار ما كان
في لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك وأم إما منقطعة والهمزة
للتقرير كأنه قال إثر ما عدد أسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أني أنا خير وهذه حالي

حالي من هذا الخ وأما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون
لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب فإن إبصارهم لما ذكر
من أسباب فضله سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أي فهلا ألقي عليه
مقاليد الملك إن كان صادقا لما أنهم كانوا إذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب
أسورة جمع سوار وقرئ أساور جمع أسورة وقرئ أساورة جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء
أساوير أو جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين
من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم وطلب منهم الخفة في مطاوعته أو فاستخف أحلامهم
فأطاعوه فيما أمرهم به إنهم كانوا قوما فاسقين فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق فلما آسفونا
أي أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف إذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين في اليم
فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب وهو
إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرئ بضم السين واللام على أنه جمع سليف أي فريق
قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرئ سلفا بإبدال ضمة اللام فتحة أو على أنه جمع سلفة
أي ثلة قد سلفت ومثلا للآخرين أي عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم فيقال مثلكم
مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا أي ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم
فقال عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة أليست النصارى يعبدون المسيح
واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح
قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى إذا قومك منه أي من ذلك المثل يصدون أي يضجون
لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وقرئ يصدون أي من أجل ذلك المثل يعرضون عن الحق أي يثبتون
عليه كأنها علاية من الإعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضا من الصديد وهما لغتان نحو يعكف
ويعكف وهو الأنسب بمعنى المجادلة وقالوا آلهتنا خير أم هو حكاية لطرف من المثل المضروب قالوا
[illegible] عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء أي ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا حيث كان هو في النار
[illegible]

ان يعبد وان كان نبيا كما عبدت النصارى المسيح وهو نبي وفيه يصدون يضجون ويضجرون والضمير في
ام هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين آلهتهم الاستهزاء به ويجوز ان يكون لتفضيل
عما انكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكرا
من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم
نسبوا اليه الاناسي فقوله تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه اي بالنبوة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل اي
امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال السائرة على الوجه الاول استئنافا مسوق لتنزيه عم عن
ان ينسب اليه ما نسب الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا
الحسنى الاية وفيه تنبيه على بطلان راي من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد راي من يرى رايهم
في شان الملائكة وعلى الثاني والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل او باطل على زعمهم مع ان عيسى الا عبد
كسائر العبيد تمادى امره انه ممن انعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه
بديع وقد خلقنا ادم بوجه ابدع منه فاين هو من مرتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى
تنحط عبدة الملائكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشف واحق من حالهم واما على الوجه
الثالث فهو لردهم وتكذيبهم في افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان ان عيسى في الحقيقة وفيما
اوحى الى الرسول عليهما السلام ليس الا انه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى بمعبوديته ام كيف يتوهم
الرضى بمعبوديته لنفسه وقوله تعالى ولو نشاء الخ لتحقيق ان مثل عيسى عم ليس ببدع من قدرة الله تعالى وانه
تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اي قدرتنا بحيث
لو نشاء لجعلنا اي لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شانكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق
الابداع في الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء يخلفون اي يخلفونكم مثل اولادكم فيما تأتون
وما تذرون ويباشرون الافاعيل المنوطة بمباشرتكم مع ان شانهم التسبيح والتقديس في السماء فمن شانهم بهذه
المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية وانتسابهم اليه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وانه وان عيسى لعلم للساعة اي انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه بغير اب
او باحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذي هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة في الساعة
وقرئ لعلم اي علامة وقرئ للعلم وقرئ لذكر على تسميته ما يذكر به ذكرا كتسميته ما يعلم به علما وفي الحديث
ان عيسى عم ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال
فياتي بيت المقدس والناس في صلوة الصبح فيتاخر الامام فيقدمه عيسى عم ويصلي خلفه على شريعة محمد عم
ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لان
فيه الاعلام بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن في وقوعها واتبعون اي واتبعوا هداي او شرعي او رسولي وقيل
قيل هو قول الرسول مامور ان يقوله هذا اي الذي ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير في انه
له صراط مستقيم موصل الى الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو مبين بين العداوة حيث
اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات اي بالمعجزات او بايات الانجيل او بالشرائع
الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة اي الانجيل او الشريعة ولابين لكم عطف على مقدر ينبئ عنه
المجئ بالحكمة كانه قيل قد جئتكم بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وهو ما يتعلق
بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال عم انتم اعلم
بامور دنياكم فاتقوا الله في مخالفتي واطيعون فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه بيان
لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا اي التوحيد والتعبد بالشرائع صراط
مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه عم او استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عم فاختلف
الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اي من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا
من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيمة هل ينظرون اي ما ينتظر الناس الا الساعة ان تاتيهم
اي الا اتيان الساعة بغتة اي فجاة لكن لا عندي كونهم مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا

الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء المتحابون في الدنيا على الاطلاق او في
الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تاتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة
والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها
بل تزداد بمشاهدة كل منهما آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول متصل وعلى الثاني
منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله يومئذ
الذين آمنوا باياتنا صفة للمنادى او نصب على المدح وكانوا مسلمين تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم
اي مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو امنوا وعن مقاتل اذا بعث الله
الناس فزع كل واحد فينادي مناد يا عبادي فيرفع الخلائق رؤوسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين امنوا الاية
فينكس اهل الاديان الباطلة رؤوسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون
سرورا يظهر حباره اي اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا
والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امروا به بصحاف من ذهب واكواب
كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هي كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المئكلة
والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها اي في الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ
ما تشتهي وتلذ الاعين اي تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون فان تمام النعمة واكمال
السرور فان كل نعيم له زوال بالاخرة مقارن لخوفه لا محالة والالتفات للتشريف وتلك الجنة مبتدأ
وخبر التي اورثتموها وقرئ ورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة شبه جزاء العمل
بالميراث لانه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ او صفة والموصول مع صلته خبر وقيل هو
صفة الجنة كالوجه الاول والخبر بما كنتم تعملون فتتعلق الباء بمحذوف لا بما ورثتموها كما في الاول لكم فيها
فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اي بعضها تاكلون في كل نوبة
واما الباقي فعلى الاشجار وعلى الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار ابدا
موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها ان
المجرمين اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالايات
في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف
وهم فيه مبلسون اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك
ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا يا مالك وقرئ يا مال
على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك
اي ليميتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر
من ابلاسهم لانه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه
بموت ولا بغيره عن ابن عباس ان الجواب بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة
لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى
مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم ولكن اكثركم للحق كارهون
لا يقبلونه وينفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القرآن
ام ابرموا امرا كلام مبتدأ ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم
وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال والهمزة للانكار
فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي
لانكار الواقع واستقباحه اي ام احكم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
فانا مبرمون كيدنا حقيقة كما ابرموه كيدا صوريا
ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في امره
صلى الله عليه وسلم ام يحسبون انا لا نسمع سرهم اي بل ايحسبون وهو ما حدثوا به انفسهم

أو عزمهم في مكان خال ونجواهم أي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نحن نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا الذين يحفظون أعمالهم ويلازمونهم أينما كانوا لديهم عندهم يكتبون أي يكتبونها أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة إما عطف تترجم عنه بلى أو حال أي نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبونه قل أي للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم أو لمعبودهم بل إنما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا إليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أي له وذلك لأنه صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بشؤون الله تعالى وبما يجوز عليه وأولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفائه ذلك على أبلغ الوجوه وأقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على فوق يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه إيراد إن مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية وقيل إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فأنا أول الآنفين أي المستنكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه وقيل إن نافية أي ما كان للرحمن فأنا أول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون أي يصفونه به من أن يكون له ولد وفي إضافة اسم الرب إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش فذرهم حيث لم يرعووا عن الحق بعد ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في أباطيلهم ويلعبوا فإن ما هم فيه من الأفعال والأقوال ليست إلا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الأمر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون من يوم القيامة فإنهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه الاسم الجليل من معنى المعبود بالحق بناء على اختصاصه بالمعبود بالحق كما مر في تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذي يستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه في سورة الأنعام وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله والراجع إلى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا تنافي لكون الجار جزءا منه فإن إله مبتدأ مؤخر للزوم عداد الجملة عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول وإله خبر المبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه في السماء على سبيل الإلهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي للآلهة السماوية والأرضية وتخصيص لاستحقاق الإلهية به تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل على ما قبله وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما إما على الدوام كالهواء أو في بعض الأوقات كالطير وعنده علم الساعة أي العلم بالساعة التي فيها تقوم القيامة وإليه ترجعون للجزاء والالتفات للتهديد وقرئ على الغيبة وقرئ بالتاء ولا يملك الذين يدعون أي يدعونه وقرئ بالتاء مخففا ومشددا من دونه الشفاعة كما يزعمون إلا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الإفراد أولا باعتبار لفظها والاستثناء إما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام ولئن سألتهم من خلقهم أي سألت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الإنكار لغاية بطلانه فأنى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى وقيله بالجر إما على أنه عطف على الساعة أي عنده علم الساعة وعلم قوله يا رب الخ فإن القول والقيل والقال كلها مصادر أو على أن الواو للقسم وقوله تعالى إن هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الإقسام به من رفع شأنه وتفخيم دعائه والتجائه إليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل الساعة أو بإضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على علم الساعة

الساعة فاصفح عنهم فأعرض عن دعوتهم واقنط عن إيمانهم وقل سلام أي أمري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وإن تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على أنه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

سورة الدخان وهي تسع وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في سورة الزخرف السابقة إنا أنزلناه أي الكتاب المبين الذي هو القرآن في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا من اللوح وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما أن نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأقضية وفضيلة العبادة وإعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة إنا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الإنزال كأنه قيل إنا أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله تعالى إنا أنزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل أمر حكيم استئناف كما قبله فإن كونها مفرق الأمور الحكيمة أو الملتبسة بالحكمة والملابسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي أي ينزل فيها القرآن الذي هو من عظائمها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على أنها ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب ويفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبرائيل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت عليهم السلام وقرئ يفرق بالتشديد وقرئ يفرق على البناء للفاعل أي يفرق الله تعالى كل أمر حكيم وقرئ نفرق بنون العظمة أمرا من عندنا نصب على الاختصاص أي أعني بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل أمر لتخصصه بالوصف أو من ضميره في حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان في المعنى أو لفعله المضمر لما أن الفرق به وحالا من أحد ضميري أنزلناه أي آمرين أو مأمورا إنا كنا مرسلين بدل من إنا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستأنف وقوله رحمة من ربك غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة إلى العباد وباعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أي إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل إفاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة إرسالهم ووضع الرب موضع الضمير للإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وإضافته إلى ضميره عليه السلام لتشريفه أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمرا على أن قوله تعالى رحمة مفعول للإرسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له أي يفرق فيها كل أمر أو يصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا إرسال رحمتنا ولا ريب في أن كلا من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة عنه تعالى من باب الرحمة فإن الغاية لتكليف العباد تعريضهم لمنافع وقرئ رحمة بالرفع أي تلك رحمة وقوله تعالى إنه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وإنها لا تحق إلا لمن هذه نعوته رب السموات والأرض وما بينهما بدل من ربك أو بيان أو نعت وقرئ بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على إضمار مبتدأ إن كنتم موقنين أي إن كنتم من أهل الإيقان في العلوم أو إن كنتم موقنين في إقراركم بأنه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما إذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا وإن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا إله إلا هو جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب آبائكم الأولين بإضمار مبتدأ

او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وقيل فاعل يميت وفي يحيي ضمير راجع الى رب
السموات وقرئ بالجر بدلا من رب السموات وعلى قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين
في اقرارهم يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزء ولعب والفاء في قوله
تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اى
فانتظر لهم يوم تأتي السماء بدخان مبين اى يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة
الدخان اما لضعف بصره او لان في عام القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي
الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال
اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف و
العظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه
ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس اى يحيط بهم هذا عذاب اليم اى قائلين ذلك
فمشى اليه عم ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم وكشف عنهم ان يؤمنوا
وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس وابن مسعود وبه اخذ
مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيمة فيدخل
في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها
كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الآيات الدخان ونزول
عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان
فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة
واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم
الكريم قطعا فان قوله تعالى انى لهم الذكرى الى آخره رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في
الوعد بالايمان المنبئ عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اى كيف يتذكرون او من اين يتذكرون
بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اى والحال انهم
شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو اعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول عظيم
الشان وبين لهم مناهج الحق باظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن
ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم يقتنعوا بالتولي
وقالوا في حقه معلم مجنون اى قالوا تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم
كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب
اذا جاع صغا واذا شبع طغى وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من
جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد
وما بينهما اعتراض اى انا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا او زمانا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما
كنتم عليه من العتو والاصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على
تحققهما لا محالة وقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى
ما كانوا فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به
من الكفار والمنافقين وغرثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد
اربعين يوما وريثما يكشفه عنهم يرتدون يوم نبطش البطشة الكبرى اى يوم القيمة وقيل
يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة عن ذلك اى
يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتي الخ وقرئ نبطش اى نحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم
وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اى امتحناهم بارسال موسى عليه السلام او اوقعناهم
في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول
كريم على الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم

وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اى بان ادوا الى بني اسرائيل وارسلوهم معي او بان ادوا الي يا عباد
الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة وقيل
مخففة من الثقيلة اى جاءهم بان الشان ادوا الى الخ وقوله تعالى انى لكم رسول امين تعليل
للامر او لوجوب المأمور به اى رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات
القاهرة وان لا تعلوا على الله اى لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتي
سلفت وقوله تعالى انى آتيكم اى من جهته تعالى بسلطان مبين تعليل للنهي اى آتيكم بحجة
واضحة لا سبيل الى انكارها وآتيكم على صيغة الفاعل او المضارع وفي ايراد الاداء مع الامين والسلطان
مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى واني عذت بربي وربكم اى التجأت اليه وتوكلت عليه من ان ترجمون
ان ترجموني اى تؤذوني ضربا وشتما او تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل
وقرئ بادغام الذال في التاء وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون اى وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا
لي فخلوني كفافا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا الي بشر واذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه
فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن يأباه المقام
فدعا ربه بعدما عتوا اعلى تكذيبه عليه السلام ان هؤلاء اى بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم
بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما
يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادي ليلا
باضمار القول اما بعد الفاء اى فقال ربه اسر بعبادي او قبلها كأنه قيل قال ان كان الامر كما تقول
فاسر بعبادي اى بني اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان تتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون
اى يتبعكم فرعون وجنوده بعدما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا
على هيئته بعدما جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند
مغرقون وقرئ انهم بالفتح اى لانهم كم تركوا اى كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
محافل مزينة ومنازل محسنة ونعمة اى تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف
في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر فعل يدل عليه تركوا اى مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها
قوما آخرين وقيل مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على الخبر اى الامر كذلك فح
يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاول على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز
عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليه السماء وكسفت لمهلكه الشمس في نقيض ذلك
ومنه ما روى ان المؤمن ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته
ومصاعد عمله ومهابط رزقه وما كانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر
ولقد نجينا بني اسرائيل
من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل ابنائهم واستحياء
نسائهم على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب اما على جعله نفس العذاب لافراطه فيه واما على حذف
المضاف اى عذاب فرعون او حال من المهين اى كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه
من هو في عتوه وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا
من الافصاح عن كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين اما خبر ثان
لكان اى كان متكبرا مسرفا او حال من الضمير في عاليا اى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقا لهم
بليغا في الاسراف ولقد اخترناهم اى بني اسرائيل على علم اى عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين
بانهم يزيغون في بعض الاوقات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم وآتيناهم
من الآيات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها
في غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر لينظر كيف يعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش
لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن

حلول مثل ما حل بهم ان هي الا موتتنا الاولى اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة
للحيوة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى كما في قولك حج زيد الحجة الاولى ومات وقيل لما قيل
لهم انكم تموتون موتة تعقبها حيوة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة
التي تعقبها حيوة الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حيوة القبر
كما تزعمون وما نحن بمنشرين بمبعوثين فأتوا بآبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عم والمؤمنين
ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان
يدعوا الله تع فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات اهم خير رد
لقولهم وتهديد لهم اي ليسوا خيرا في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع هو تبع الحميري
الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله
تع دونه وكان يكتب في عنوان كتابه بسم الله الذي ملك برا وبحرا اي مجازا كثيرة وعن النبي صلى الله عم
لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عم ما ادري اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس انه كان نبيا
وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم عطف
على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من كل جبار عنيد اولي باس شديد والاستفهام لتقرير ان
اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استيناف لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين
تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب اجرامهم مع انهم كانوا في غاية القوة والشدة فلان
يهلك هؤلاء وهم شركاؤهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة والقوة اولى وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين من غير ان يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية
حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاسباب اي ما خلقناهما
ملتبسا بشيء من الاشياء الا ملتبسا بالحق او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق الذي هو الايمان
والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون اي الامر كذلك فينكرون البعث والجزاء ان يوم
الفصل اي فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل او فصل الرجل عن اقاربه واحبابه ميقاتهم وقت
موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم و
جزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل
لا لنفسه مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا اي شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون
الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه
ومحله الرفع على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينصر من اراد تعذيبه
الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات
طعام الاثيم اي الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل
في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت يغلي في البطون وقرئ بالتاء على اسناد الفعل الى الشجرة
كغلي الحميم غليا كغليه خذوه على ارادة القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اي جروه والعتل
اخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اي وسطه ثم صبوا
فوق راسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق رؤوسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤوسهم
عذاب هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب (ن المصبوب)
بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان
يزعمه روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما
تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ بالفتح اي لانك او عذاب انك ان هذا اي العذاب
ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اي عن
الكفر والمعاصي في مقام في موضع قيام والمراد المكان على الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله
في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو في موضع اقامة امين يامن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو

من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة كأن المكان المخيف يخون
صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته واشتماله
على الطيبات الاكل والشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في الجار
او استيناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين في المجالس ليستأنس
بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك او كذلك اثبناهم وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ بالاضافة
اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف في انهن
نساء الدنيا او غيرها يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه لا
يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان امنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
بل يستمرون على الحيوة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت
فيها على الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم
عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم على المبالغة في الوقاية فضلا من ربك اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا
منه تعالى وقرئ بالرفع اي ذلك تفضل ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن
جميع المكاره ونيل المطالب وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة
اي انما انزلنا الكتاب المبين بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا به ويعملوا بموجبه واذا لم يفعلوا ذلك
فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم
الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له

سورة الجاثية ثلثون وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه
كما مر في فاتحة سورة المؤمن فان جعل اسما للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا
مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط
التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق
على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل
الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون
قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير مضاف
اي تنزيل حم تنزيل الكتاب فابقاء التنزيل على اصله
وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته
وجواب القسم قوله تعالى ان في السموات والارض لايات للمؤمنين وهو الوجه الملائم لما بعده كلاما مستأنفا
مسوق للتنبيه على الايات التكوينية
منطويان من فنون الايات واما خلقهما فهو كقوله تعالى ان في خلق السموات والارض
وهو الاوفق لقوله تعالى وفي خلقكم اي من نطفة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما يبث
من دابة عطف على المضاف دون المضاف اليه آيات بالرفع على انه مبتدأ
خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بان وقيل آيات عطف على ما قبلها
من آيات باعتبار المحل وقرئ آية بالتوحيد وقرئ آيات بالنصب عطفا على
اسم ان والخبر هو الجار كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون اي من شأنهم ان
يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار
والمراد باختلافهما تعاقبهما وما انزل الله من السماء عطف على اختلاف
من رزق اي من مطر وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة
فاحيا به الارض بعد موتها بان اخرج منها اصناف الزروع والثمرات والنبات
وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة الى اخرى ومن حال
الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيرها عن انزال المطر مع تقدمها عليه في الوجود اما للايذان بانه آية مستقلة حيث

ودخل الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال المطر آية واحدة واما لان كون التصريف
آية ليس بمجرد كونه مبدأ الانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار آيات لقوم
يعقلون بالرفع على انه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور والجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على
الاختصاص وقيل على انها اسم ان والمجرور المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان
وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في آيات وتنكير آيات في المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف
الفواصل لاختلاف مراتب الآيات في الدقة والجلاء تلك آيات الله مبتدأ وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال
من عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلو او من مفعوله اي
نتلوها محقين او ملتبسة بالحق حال من فاعل نتلو من مفعوله اي نتلوها فباي حديث من الاحاديث بعد الله
وآياته اي بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث الله
الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى نزل احسن الحديث وهو المراد بآياته ايضا ومناط العطف التغاير
العنواني يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله صفة اخرى
لافاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانيا
ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ثم يصر اي يقيم على كفره واصله من اصرار
الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله تعالى والاذعان لما تنطق به من الحق مزدريا لها
معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم ويشغل بها
الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد
وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما
في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها اي كأنه لم يسمعها فخففت وحذف ضمير الشان
والجملة حال من ضمير يصر اي يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا
شيئا اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك الفهم وقيل اذا علم
منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها اي الآيات كلها
هزوا اي مهزوا بها لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتانيث لانه في معنى الآية اولئك اشارة الى كل
افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم
فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين
وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله تعالى من ورائهم جهنم اي من
قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعدت لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء
اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام ولا يغني عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد
شيئا من عذاب الله تعالى او شيئا من الاغناء ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي الاصنام وتوسيط
حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال والاولاد قطعا مبني
على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم عذاب عظيم لا
يقادر قدره هذا اي القرآن هدى في غاية الكمال من الهداية كانه نفسها والذين كفروا اي بالقرآن وانما
وضع موضع ضميره قوله تعالى بآيات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب من رجز اي من
اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب في المواقع الثلاث
للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو
عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجري الفلك فيه بامره وانتم راكبوها
ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا اما حال من ما في السموات
والارض وتوكيد له منه متعلق بمحذوف وهو صفة لجميعا او حال من ما في السموات اي جميعا كائنا منه
تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى او خبر محذوف اي ذلك منه ان في ذلك اي فيما

ذكر من الامور العظام لآيات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدائع صنع الله تعالى
فانهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها قل للذين آمنوا حذف المقول
لدلالة الجواب عليه يغفروا عليه فانه جواب للامر اي قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا
عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها
الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه
حين شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم نزلوا في غزوة بني
المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطأ عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر
قعد على طرف البئر فما ترك احدا يستقي حتى ملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر رضي الله عنه فقال
ابن ابي ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه
فانزل الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون تعليل للامر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم و
الثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي يوم القيمة قوما ايما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من
الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه
وما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم وهذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم
التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة
لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها فلا بد من تخصيصه بالكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما
يصدر عنه تعالى بالذات وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وان اريد كلا الفريقين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا
وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن
اساء فعليها لا يكاد يسري عمل الى غير عامله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا
كان او شرا ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب اي التوراة والحكم اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في
الدين او فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم
من الطيبات مما احل الله من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث آتيناهم ما لم نؤت
من عداهم من فلق البحر ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وما بين لهم
من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد
ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا بينهم اي عداوة
وحسدا حدث بينهم لا شكا فيه ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون من
امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر اي امر الدين فاتبعها باجراء
احكامها في نفسك وفي غيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون اي آراء الجهلة
واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام ارجع الى دين آبائك انهم
لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء بعض لا يوالي الظالم الا
من هو مثله والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية
هذا اي القرآن بصائر للناس فانه يبين معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر في القلوب وهدى من ورطة الضلالة ورحمة عظيمة لقوم يوقنون
من شانهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات استئناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين
والمحسنين وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان
لكن لا بطريق انكار الوقوع ونفيه كما في قوله تعالى ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار
بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم على ما هم عليه من مساوي الاحوال
كالذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم ما هم عليه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة ورفع
الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير في الظرف

والموصول مع ما لاستنا له على ضميرها على ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى ام
حسبوا ان نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستويا محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما فان هؤلاء في
عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيى وفي رحمة الله تعالى ورضوانه في الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار
ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ
محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي حال كونهم مستوين في محياهم
ومماتهم وقد ذكر في الاية الكريمة وجوه اخر من الاعراب والذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول فتدبر وقرئ
سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنسبة حسبان
التساوي اليهم في ضمن الانكار التوبيخي مع انهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة في الانكار
والتشديد في التوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليها انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على
ابلغ وجه واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض
بالحق استئناف مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل
المحسن على المسيء في المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم وان لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما
ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل اذ معناه خلقهما مقرونة بالحكمة والصواب
دون العبث والباطل فحاصله خلقهما لاجل ذلك ولتجزى الخ او على علة محذوفة مثل ليدل بهما على قدرته
اي بعدله ولتجزى وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب وتسمية
ذلك ظلما مع انه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان غاية تنزه ساحته تعالى عنهما
ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال
من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكأنه عبده اي نظرت فرأيته فان ذلك مما يقضي منه
التعجب وقرئ الهة هواه لان احدهم كان يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه فكأنه
اتخذ هواه الهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله التي فطر الناس عليها
وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتأثر بالمواعظ ولا يتفكر في الايات والنذر وجعل على بصره غشاوة
مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرئ بفتح الغين وضمها وقرئ غشوة فمن يهديه من بعد الله اي من
بعد اضلاله تعالى اياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون الا تلاحظون فلا
تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم
ما هي اي ما الحيوة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيى اي يصيبنا الموت والحيوة فيها وليس وراء ذلك
حيوة وقيل نكون نطفا وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا
او يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وقرئ
نحيى وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره اي غلبه
وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون
ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا
الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار الحيوة على ما في الدنيا
واسناد الحيوة والموت الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم
قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد
في انفسهم واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما
نطقت به او مبينا له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء من الاشياء الا ان
قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في انا نبعث بعد الموت اي الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان
يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة اما لسوقهم اياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية
بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا
القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون

العبث

وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث الى يوم القيمة للجزاء لا ريب فيه اي في جمعكم فان من قدر
على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالآيات دل على
وقوعها حتما والاتيان بآبائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
استدراك من قوله تعالى لا ريب فيه وهي اما من تمام الكلام المأمور به او كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقا
للحق وتنبيها على ان ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ما ولله
ملك السموات والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما بالله عز وجل اثر بيان
تصرفه تعالى في الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون
العامل في يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب
مستوفزة وقرئ جاذية اي جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن
عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة وهي الجماعة كل امة تدعى الى
كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انها بدل من الاول وتدعى صفة او حال او مفعول
ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الخ من تمام
ما يقال حينئذ وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما
لشأنه وتهويلا لامره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اي يشهد عليكم
بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر آخر او حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا
نستنسخ الخ تعليل لنطقه عليهم باعمالهم من غير اخلال بشيء منها اي انا كنا فيما قبل نستكتب الملئكة
ما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال حسنة كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته اي في جنته تفصيل لما يفعل بالامم بعد بيان ما خوطبوا به
من الكلام المنطوي على الوعد والوعيد ذلك اي الذي ذكر من الادخال في رحمته هو الفوز
المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن آياتي تتلى عليكم اي فيقال
لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم تكن تأتيكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة
بدلالة القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اي قوما عادتهم الاجرام
واذا قيل ان وعد الله اي ما وعده من الامور الآتية او وعده بذلك حق اي واقع لا محالة
او مطابق للواقع والساعة التي هي اشهر ما وعده لا ريب فيها اي في وقوعها وقرئ والساعة
بالنصب عطفا على اسم ان وقرئ بالرفع عطفا على محل ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندري
ما الساعة اي اي شيء هي استغرابا لها ان نظن الا ظنا اي ما نفعل الا ظنا
وما نحن بمستيقنين
الضعيف وبدا لهم سيئات
ما عملوا على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها فان جزاء
السيئة سيئة وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم
نترككم في العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا
ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا
وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها
ولا هم يستعتبون
فلله الحمد رب السموات ورب الارض خاصة
رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتأكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها

بطريق الاصالة وقرئ برفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء في السموات والارض لظهور آثارها
واحكامها فيهما واظهارهما في موضع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء وهو العزيز الذي لا يغلب الحكيم في
كل ما قضى وقدر فاحمدوه وكبروه واطيعوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية ستر الله
عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف وهي ثلاثون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كالذي مر في مطلع السورة السابقة ما خلقنا
السموات والارض بما فيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما وما بينهما من المخلوقات
الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية
او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اي ما خلقناهما في حال من الاحوال الا حال تلبسنا
بالحق وفيه من الدلالة على وجود الصانع وصفات كماله وابتناء افعاله على حكم بالغة وانتهائها الى
غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اي وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه
امر الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر
مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما
انذروه يوم القيمة وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا آخر اعمارهم ويجوز كون
ما مصدرية والجملة حالية اي ما خلقنا الخلق الا بالحق وبتقدير الاجل الذي يجازون عنده والحال
انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارايتم اخبروني
وقرئ ارايتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من الاصنام اروني تأكيد لارأيتم ماذا خلقوا من
الارض بيان للابهام في ماذا ام لهم شرك اي شركة مع الله تعالى في السموات اي في خلقها او ملكها
وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فان ما لا مدخل له في وجود شيء
من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد
وقوله تعالى ائتوني بكتاب الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن
الاتيان بسند عقلي اي ائتوني بكتاب الهي كائن من قبل هذا الكتاب اي القرآن الناطق بالتوحيد وابطال
الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم اي بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهدة با
ستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين في دعواكم فانها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي او سلطان
نقلي وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة
بكسر الهمزة اي مناظرة فانها تثير المعاني واثرة اي شيء اوثرتم به وخصصتم من علم مطوي عن غيركم واثرة
بالحركات الثلاث مع سكون الثاء اما المكسورة فبمعنى الاثرة واما المفتوحة فهي المرة من اثر الحديث
اي رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التي هي اسم ما يخطب به ومن اضل ممن يدعوا
من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفي لان يكون احد يساوي المشركين في الضلال وان كان سبك
التركيب لنفي الاضل منهم من غير تعرض لنفي المساوي كما مر غير مرة اي هم اضل من كل ضال حيث تركوا
عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة
الى يوم القيمة غاية لنفي الاستجابة وهم عن دعائهم الضمير الاول لمفعول يدعوا والثاني لفاعله
والجمع فيهما باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلون لكونهم جمادات وضمائر العقلاء
لاجرائهم اياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها
وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم الآية واذا حشر الناس عند قيام القيمة كانوا
لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اي مكذبين بلسان الحال او المقال على ما يروى ان الله تعالى يحيي الاصنام
فتتبرأ من عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل ما يعبد من دون الله من الملائكة والجن والانس وغيرهم ويحمل
ارجاع الضمائر واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل
ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات

واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق اي لاجله وفي شانه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع
الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم في اول ما جاءهم من غير
تدبر وتامل هذا سحر مبين اي ظاهر كونه سحرا ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية
شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما في ام من الهمزة للانكار التوبيخي المتضمن للتعجب اي بل
ايقولون افترى القرآن قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اذ لا ريب في انه تعالى
يعاجلني حينئذ بالعقوبة فكيف اجترئ على ان افترى عليه تعالى كذبا واعرض نفسي للعقوبة التي
لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته
وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ و
عليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة
والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرائمهم قل ما كنت بدعا من الرسل
البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو ما لا مثل له وقرئ بفتح الدال على انه صفة كقيم وزيم او
جمع مقدر بمضاف اي ذا بدع وقد جوز ذلك في القراءة الاولى ايضا على انه مصدر كانوا يقترحون
عليه عليه السلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عنادا ومكابرة فامر عليه السلام بان يقول لهم ما كنت
بدعا من الرسل قادرا على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون
عنه من الغيوب فان من قبلي من الرسل عليهم السلام ما كانوا يأتون الا بما آتاهم الله تعالى من الآيات
ولا يخبرون قومهم الا بما يوحى اليهم وما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي اي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان
من افعاله تعالى وماذا تقدر لنا من قضاياه وعن الحسن ما ادري ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا
وعن ابن عباس ما يفعل بي ولا بكم في الآخرة وقال هي منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وقيل يجوز ان يكون المنفي هي وظايف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية
دون ما سيقع في الآخرة فان العلم بذلك من وظايف النبوة وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل
ما يفعل بالجانبين هناك وقد روي عن الكلبي ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا له عم وقد
ضجروا من اذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم أأترك بمكة
ام اؤمر بالخروج الى ارض ذات نخيل وشجر قد رفعت لي ورأيتها يعني في منامه وجوز ان
يكون ما موصولة والاستفهامية اقضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفي
المنسحب اليه وتأكيده وقرئ ما يفعل على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي
اي ما افعل الا اتباع ما يوحى الي على معنى قصر افعاله عم على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي
كما هو المتبادر الى الافهام وقد مر تحقيقه في سورة الانعام وقرئ يوحي على اسناده الى الفاعل
وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه عم من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين
ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول هو الاوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير انذركم عقاب
الله تعالى حسبما يوحى الي مبين بين الانذار بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اي ما يوحى
الي من القرآن من عند الله لا سحرا ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به حال باضمار قد من
الضمير في الخبر وسط بين اجزاء الشرط مسارعة الى التسجيل عليهم بالكفر او عطف على كان كما
في قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لا على ان نظمه في سلك الشرط المتردد
بين الوقوع وعدمه باعتبار حاله في نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به
امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك كفر بما عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله
تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل امور محققة عندهم وانما
ترددهم في انها شهادة وايمان بما عند الله تعالى واستكبار عنه او لا والمعنى اخبروني ان كان
ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين
على شؤون الله تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التوراة على مثله اي مثل القرآن من المعاني المنطوق

في التوراة المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فإنها عين ما فيه في
الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وإنه لفي زبر الأولين وقوله وإنه لفي الصحف الأولى والمثلية
باعتبار تأديتها بعبارة أخرى أو على مثل ما ذكر من كونه من عند الله تعالى وقيل المثل صلة والفاء في
قوله تعالى فآمن للدلالة على أنه سارع إلى الإيمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق
وهو عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر إلى وجهه الكريم
فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر فقال له إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي
ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه السلام
أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد
حوت وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزعه وإذا سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله
حقا فقام ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإذا علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك فجاءت
اليهود فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أي رجل عبد الله فيكم قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا
وابن أعلمنا قال أرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد
أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف
يا رسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض
إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى
عليه السلام وشهادته ما في التوراة من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال الشعبي وقال مسروق والله
بالمدينة وأجاب الكلبي بأن الآية مدنية وإن كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على شهد شاهد
وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبروني إن كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك أعلم بني إسرائيل فآمن به
من غير تلعثم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرأيتم إن
كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى إن الله لا يهدي القوم الظالمين
فإن عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا ووصفهم بالظلم للإشعار بعلة الحكم فإن تركه تعالى لهدايتهم
لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به
أي قال كفار مكة للذين آمنوا أي لأجلهم لو كان أي ما جاء به عليه السلام من القرآن والدين خيرا ما سبقونا
إليه فإن معالي الأمور لا ينالها أيدي الأراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم
أن الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم وزل عنهم أنها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الإعراض عن زخارف
الدنيا الدنية والإقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها
فما له منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم
وغفار وقيل قالته اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية لابد من
الالتجاء إلى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة وإذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله و
عليه ما بعده أي وإذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ما قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا إفك
قديم كما قالوا أساطير الأولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك ومن قبله أي من قبل القرآن
وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى وقيل والجملة حالية أو مستأنفة وأيا ما كان فهو رد لقولهم هذا
إفك قديم وإبطاله فإن كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعا إماما ورحمة حالان من كتاب موسى
أي إماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى بالإمام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل
بموجبه وهذا الذي يقولون في حقه ما يقولون كتاب عظيم الشأن مصدق أي لكتاب موسى الذي هو
إمام ورحمة أو لما بين يديه من جميع الكتب الإلهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في
مصدق أو من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الإشارة وعلى الأول مصدق وقيل مفعول لمصدق
أي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه السلام

ويؤيده الأخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى للمحسنين في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع
على أنه خبر مبتدأ مضمر أي وهو بشرى وقيل على أنه عطف على مصدق إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
أي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل وثم
للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان دوام نفي الحزن لا نفي دوام
الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا أولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين
أصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في أصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب إما بعامل مقدر
أي يجزون جزاء أو بمعنى ما تقدم فإن قوله تعالى أولئك أصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون
من الحسنات العلمية والعملية ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا وقرئ حسنا أي بأن يفعل
بهما حسنا أي فعلا ذا حسن أو كأنه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم الحاء والسين وبفتحهما
أي بأن يفعل بهما فعلا حسنا أو وصيناه إيصاء حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها أي ذات كره أو حملا
ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله
وفصاله أي مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء
ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهي به كما أراد بالأمد المدة من قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود
إذا انتهى أمده ثلاثون شهرا يمضي عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله وهو دليل على أن أقل
مدة الحمل ستة أشهر لما أنه إذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم
الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل لعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط
النسب والرضاع بهما حتى إذا بلغ أشده أي اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ أربعين سنة قيل لم يبعث
نبي قبل أربعين وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشده قال رب أوزعني أي ألهمني وأصله
أولعني من أوزعته بكذا أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي أي نعمة الدين أو ما يعمها
وغيرها وأن أعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير وأصلح لي في ذريتي أي واجعل الصلاح ساريا
في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله يجرح في عراقيبها نصلي قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبي بكر
فأعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير إلا أعانه الله تعالى عليه
ودعا أيضا فقال وأصلح لي في ذريتي فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعا فاجتمع له
إسلام أبويه وأولاده جميعا فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن
أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضوان
الله عليهم إني تبت إليك عما لا ترضاه أو عما يشغلني عن ذكرك وإني من المسلمين الذين أخلصوا لك
أنفسهم أولئك إشارة إلى الإنسان والجمع لأن المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى
البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته أي أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين نتقبل
عنهم أحسن ما عملوا من الطاعات فإن المباح حسن لا يثاب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ المباح
الفعلان بالياء على إسنادهما إلى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع أحسن على أنه قائم مقام
الفاعل وكذا الجار والمجرور في أصحاب الجنة أي كائنين في عدادهم منتظمين في سلكهم وعد الصدق
مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز الذي كانوا يوعدون
على ألسنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له إلى الإيمان أف لكما صوت يصدر عن المرء
عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات
الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالمجموع كما سبق
قيل هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر
لربه وما روي أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما قبل إسلامه يرده قوله تعالى
أولئك الذين حق عليهم القول الآية فإنه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضي

من قبل ذلك أتعدانني أن أخرج أبعث من القبر بعد الموت وقرئ أخرج من الخروج وقد خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك أو يسألانه أن يغيثه ويوفقه للإيمان ويلك آمن أي قائلين له ويلك وهو في الأصل دعاء عليه بالثبور أريد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك إن وعد الله حق أي البعث أضافاه إليه تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطئه في إسناده الوعد إليهما وقرئ أن وعد الله أي آمن بأن وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا الذي تسميانه وعد الله إلا أساطير الأولين أباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير أن يكون لها حقيقة أولئك القائلون هذه المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس وقد مر تفصيله في سورة الم السجدة إنهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية مجرى رؤوس أموالهم باتباع الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وإيرادها هاهنا بطريق التغليب وليوفيهم أعمالهم أي أجزيتها وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة إما حال مؤكدة للتوفية أو استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الأجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا على النار أي يعذبون بها من قولهم عرض الأسارى على السيف أي قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة أذهبتم طيباتكم أي يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ أأذهبتم بهمزتين وبألف بينهما على الاستفهام التوبيخي أي أصبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون أي الهوان وقد قرئ كذلك بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون أي تخرجون من طاعة الله عز وجل أي بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر أي لكفار مكة أخا عاد أي هودا عليه السلام إذ أنذر قومه بدل اشتمال منه أي وقت إنذاره إياهم بالأحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر أي الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه أي من قبله ومن خلفه أي من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الإنذار وسط بين أنذر قومه وبين قوله تعالى ألا تعبدوا إلا الله مسارعة إلى ما ذكر من التقرير والتأكيد وإيذانا باشتراكهم في العبادة المحكية والمعنى واذكر لقومك إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم وأما جعلها حالا من فاعل أنذر على معنى أنه عليه السلام أنذرهم قائلا لهم لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره ففيه ما فيه من تكلف تقرير الإعلام لا بد في نسبة الخلو إلى من بعده من الرسل من تنزيل الآتي منزلة الخالي قالوا أجئتنا لتأفكنا أي لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب العظيم إن كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال إنما العلم أي بوقت نزوله أو العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في إتيانه وحلوله وإنما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به في وقته المقدر له وأبلغكم ما أرسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب إن لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ أبلغكم من الإبلاغ ولكني أراكم قوما تجهلون حيث تقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الإتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء في قوله تعالى فلما رأوه فصيحة والضمير إما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا إما تمييز أو حال أو راجع إلى ما استعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا أي فأتاهم فلما رأوه سحابا يعرض في أفق السماء مستقبل أوديتهم أي متوجه أوديتهم والإضافة

والإضافة فيه لفظية كما في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا وصفين للنكرة بل هو أي قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل وهو رد عليهم أي ليس الأمر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب ريح بدل من ما أو خبر لمبتدأ محذوف فيها عذاب أليم صفة لريح وكذا قوله تعالى تدمر أي تهلك كل شيء من نفوسهم وأموالهم بأمر ربها وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا إذا هلك فالعائد إلى الموصوف محذوف أو هو الهاء في ربها ويجوز أن يكون استئنافا واردا لبيان أن لكل ممكن فناء مقضيا منوطا بأمر بارئه ويكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الأشياء وفي ذكر الأمر والرب والإضافة إلى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل ما لا يخفى والفاء في قوله تعالى فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم فصيحة أي فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطابا لكل أحد تأتى منه الرؤية تنبيها على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها إلا مساكنهم كذلك أي مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين وقد مر تفصيل القصة في سورة الأعراف وقد روي أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعهما في الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي أن أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي أن هودا عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم أي قررنا عادا أو أقدرناهم وما في قوله تعالى فيما إن مكناكم فيه موصولة أو موصوفة وإن نافية أي في الذي أو في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع إن هاهنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي إلى قلب ألفها هاء في مهما وجعلها شرطية أو زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا على شكره فما أغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا أبصارهم حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم ولا أفئدتهم حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى من شيء أي شيئا من الإغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى إذ كانوا يجحدون بآيات الله متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه فإن قولك أكرمته إذ أكرمني في قوة قولك أكرمته لإكرامه لأنك إذا أكرمته وقت إكرامه فإنما أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الآيات كررناها لهم لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة القربان ما يتقرب به إلى الله تعالى وأحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقربا بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى فإن البدل وإن كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب في أن قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا أي متقربا به مما لا صحة له قطعا لأنه تعالى متقرب إليه لا متقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله في ذلك وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم أي غابوا عنهم وفيه تهكم آخر كأن عدم نصرهم لغيبتهم أو ضاعوا عنهم أي ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن

المنصوب وذلك اي ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم افكهم اي اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة ونتيجة
شركهم وقرئ افكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقيل افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة الى الاتخاذ
اي وذلك الاتخاذ الذي هذا ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من
الافعال اي جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اي قولهم الآفك ذو
الافك كما يقال قول كاذب وما كانوا يفترون عطف على افكهم اي واثر افترائهم على الله تعالى او اثر
ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة
وهو المراد في جمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة
او صفة اخرى له اي واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنا من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه
اي القرآن عند تلاوته او الرسول عند تلاوته على الالتفات والاول هو الاظهر قالوا اي قال بعضهم لبعض
انصتوا اي اسكتوا لنستمعه فلما قضي اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عم
ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما
حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف نصيبين
او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف وعن سعيد
بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلوته فمروا به فوقفوا مستمعين
وهو لا يشعر بهم فانبأه الله باستماعهم وقيل بل امره الله تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم
جمعهم له فقال عم اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود
قال فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك
ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة
حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته عم ثم انطلقوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيئا
قلت نعم رأيت رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي
قرأها عليهم اقرأ باسم ربك قالوا اي عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى
قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عم مصدقا لما بين يديه
ارادوا به التورية يهدي الى الحق من العقائد الصحيحة والى طريق مستقيم يوصل اليه وهو الشرائع والاعمال
الصالحة يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به ارادوا به ما سمعوه من الكتاب ووصفوه بالدعوة الى الله تعالى
بعدما وصفوه بالهداية الى الحق والصراط المستقيم لتلازمهما وعودهم الى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته
ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكدوه بقولهم يغفر لكم من ذنوبكم اي بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص
حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة واختلف في ان
لهم اجرا غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله
فليس بمعجز في الارض ايجاب للاجابة بطريق الترهيب اثر ايجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين
واظهار داعي الله من غير اكتفاء باحد الضميرين بان يقال ومن لا يجبه للمبالغة في الايجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال
الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض لتوسيع الدائرة اي فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل
مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى وليس له من دونه اولياء بيان لاستحالة نجاته
بواسطة الغير اثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الاولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة
الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما ان الجمع في قوله تعالى اولئك بذلك الاعتبار اي اولئك الموصوفون
بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اي ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة
من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية اي الم
يتفكروا ولم يعلموا علما جازما متاخما للمشاهدة والعيان ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء

ابتداء من غير مثال يحتذي به ولا قانون ينتحيه ولم يعي بخلقهن اي لم يتعب ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز
عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه بقادر في حيز الرفع لانه خبر ان كما يشهد به قراءة يقدر ودخول
الباء في القراءة الاولى لاشتمال النفي الوارد في صدر الاية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على
ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله تعالى بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام
يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله اليس هذا
بالحق على ان الاشارة الى ما شاهدوه من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن
تذكيره وتانيثه ان ما هو اللائق بتهويله وتفخيمه وتقدم في سورة الاحزاب وقيل هي اي العذاب وفيه تهكم بهم
وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله تعالى ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا اكدوا
جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما في الدنيا وانى لهم ذلك قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى
فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اي اذا كان عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر
على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض
والمراد باولي العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة
الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابرهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله
كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابرهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح
على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه
انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة
على لبنة صلوات الله عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اي لكفار مكة العذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم
يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من نهار استقصروا مدة لبثهم في الدنيا لما يشاهدونه
من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدأ محذوف اي هذا الذي وعظتم به كفاية
في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا
القوم الفاسقون اي الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما
من هلك وهلك ونون العظمة من الاهلاك ونصب القوم ووصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة حم الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا صدق رسول الله

سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهي اربعون واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي اعرضوا عن الاسلام وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا
الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون
الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم
ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد اضل اعمالهم اي ابطلها واحبطها وجعلها ضائعة
لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه ابطلها واحبطها بعد ان لم تكن كذلك بل بمعنى انه حكم ببطلانها و
ضياعها فان ما كانوا يعملونها من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها
من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والصد عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سياتي من قوله تعالى فتعسا لهم
واضل اعمالهم وقوله فاذا لقيتم الخ والذين آمنوا وعملوا الصالحات يتناول ناسا من قريش وقيل من
الانصار وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب وقيل عام للكل وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر الايمان
بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان به وانه
الاصل في الكل ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الجملة فيه وقيل حقيته بكونه
ناسخا غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل واما ما كان فقوله تعالى

من ربهم كحال من ضمير الحق وقرئ نزّل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين ونزل بالتخفيف كفّر عنهم سيئاتهم اي
سترها بالايمان والعمل الصالح وأصلح بالهم اي حالهم في الدين والدنيا بالتاييد والتوفيق ذلك اشارة الى
ما مرّ من اضلال الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم اي ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قال مجاهد
ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد فبيان سببية اتباعه للاضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهما له لكونه
اصلا مستتبعا لهما قطعا وبسبب ان الآخرين اتبعوا الحق الذي لا محيد عنه كائنا من ربهم ففعلوا ما فعلوا
من الايمان به وبكتابه ومن الاعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار
بسببية الايمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار
والتصريح في شيء من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا اصل له
اصلا فالتصريح بسببية اتباعه لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله
واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما ينبغي لما ان الكفر والصد لخبث فيه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر
بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس
الايمان والاعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح
تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين كذلك اي مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اي يبين للناس
امثالهم اي احوال الفريقين واوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل و
خيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا
لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين و
فلاحهم مما يوجب ان يترتب على كل من الجانبين ما يليق به من الاحكام اي فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم
في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه
مضافا الى المفعول وفيه اختصار وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له باشنع صوره وتهويل لامره
وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون منه حتى اذا اثخنتموهم اي اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين
وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم
والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء
اي فاما تمنون منا بعد ذلك او تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت
عند الشافعي رحمه الله وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق
وعن مجاهد ليس اليوم منّ ولا فداء انما الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدى كعصى حتى تضع الحرب
اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها
اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند الشافعي لاحد الامور الاربعة او للمجموع والمعنى
انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون مع المشركين حرب بان لا يبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى
عم واما عند ابي حنيفة رحمه الله فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون
حتى تضع حرب بدر اوزارها وان حملت على الجنس فهي غاية للضرب والشد والمعنى انهم يقتلون و
يوسرون حتى تضع جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اي حتى
يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بان اسلموا ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله
لانتصر منهم لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة والاستيصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض
فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم
ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قتلوا في سبيل الله اي
استشهدوا وقرئ قاتلوا اي جاهدوا وقتلوا وقتّلوا فلن يضل اعمالهم اي فلن يضيعها وقرئ تضل
اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضلّ وعن قتادة انها نزلت في يوم احد سيهديهم في
الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الثواب وتثبيت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم

لهم في الدنيا بذكرها ووصفها بحيث اشتاقوا اليها او بيّنها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدي اليه كانه
كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرّفه كل شيء
اعطاه الله تعالى او طيّبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حدّدها لهم وافرزها من عرّف الدار فجنة
كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا
الله اي دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب ومواقفها او
على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط
ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعا اي فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وقوله
تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك اي ما ذكر من التعس واضلال
الاعمال بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الاحكام المخالفة
لما الفوه واشتهته انفسهم الامّارة بالسوء فاحبط اي لاجل ذلك اعمالهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان
لاثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض اي أقعدوا في اماكنهم فلم يسيروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمّر الله عليهم
استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم
من انفسهم واهليهم واموالهم يقال دمّره اهلكه ودمّر عليه اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اي ولهؤلاء
الكافرين السائرين بسيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على انّ لهؤلاء امثال ما لاولئك
واضعافه بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان
يكون عذابهم اشد من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم
والقتل بيد المثل اشد ألما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر
موضع الضمير كانه قيل دمّر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت
امثال عقوبة الامم السابقة لهؤلاء بان الله مولى الذين آمنوا ناصرهم على اعدائهم وقرئ وليّ الذين
وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حلّ بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم
ردّوا الى الله مولاهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولاية الله تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون
اي ينتفعون في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اي منزل
ومقام والجملة اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف وكاين كلمة مركبة من الكاف
واي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز لها وقوله تعالى هي اشد قوة من
قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف منهما المضاف واجرى
احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى اهلكناهم اي وكم من اهل قرية هم اشد قوة من
اهل قريتك الذين اخرجوك اهلكناهم ووصف القرية الاولى بشدة القوة للايذان باولوية
الثانية منها بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عم للايذان باولويتها به لقوة
جنايتها وعلى طريقته قول النابغة كليب لعمري كان اكثر ناصرا وايسر جرما منك ضرّج بالدم
وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان والانصار اثر بيان عدم
خلاصهم منه بانفسهم والفاء للترتيب ذكرا لا خبرا وهو حكاية حال ماضية افمن كان
على بينة من ربه تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين وكون الاولين في اعلا عليين و
الآخرين في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر
يقتضيه المقام وقد قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن
النبي صلى الله عليه وسلم او عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم على الموازنة بينه عم وبينهم والبينة
الحجة الفاصلة بين الحق والباطل والبرهان الموصل الى اليقين حجة ظاهرة وبرهان نيّر من مالك امره
ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي

كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب ذلك التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من
غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الاخيرين باعتبار معنى من
كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي وعد المتقون استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة
الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا
بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك السيئات عن
آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون
وقوله تعالى فيها انهار الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول هو الانسب بصدر النظم
الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما والجنة مبتدأ
خبره فيها انهار الخ من ماء غير آسن اي غير متغير الطعم والرائحة وقرئ غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه
بان صار قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة طعم و
ريح ولا غائلة سكر ولا خمار وانما هي تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت به مبالغة
وقرئ لذة بالرفع على انه صفة انهار وبالنصب على العلة اي لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل مصفى
لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا تمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما يستطاب
منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينقصها وينغصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها
مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اي صنف من كل الثمرات ومغفرة اي ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر
قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكد لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر لمبتدأ محذوف تقديره
أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار
مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار
او أمثل اهل الجنة كمثل من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف تصويرا
لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل
من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة
قيل اذا دني منهم شوى وجوههم وامّارت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع
اليك هم المنافقون وافراد الضمير باعتبار لفظة من كما ان جمعه فيما سيأتي باعتبار معناها كانوا يحضرون
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا
من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة رضي الله عنهم ماذا قال آنفا اي ما الذي قال الساعة
على طريقة الاستهزاء وان كان بصورة الاستعلام وآنفا من قولهم أنف الشيء لما تقدم منه مستعارا من الجارحة
ومنه استأنف الشيء وائتنفه وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال وقرئ أنفا اولئك
الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة
فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم اي الله تعالى هدى بالتوفيق
والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل ينظرون الا الساعة
اي القيامة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة اي تباغتهم بغتة وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة والمعنى
انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاهوال وما
ينتظرون للتذكر الا اتيان نفس الساعة بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها
تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على معنى انه لم يبق من الامور الموجبة للتذكر امر مرتقب ينتظرونه
سوى اتيان نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها
بطريق المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه عليه السلام وانشقاق القمر
ونحوهما وقوله تعالى فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر الى اتيانها
ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اي وكيف لهم ذكراهم اذا

جاءتهم على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها
واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد
البغتة وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة
لانه قد ظهرت اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اي اذا علمت
ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه
من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي ربما يصدر عنه عليه السلام من ترك الاولى عبر
عنه بالذنب نظرا الى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الابرار سيئات المقربين وارشادا له عليه السلام الى التواضع
وهضم النفس واستقصار العمل وللمؤمنين والمؤمنات اي لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانه
وفي اعادة صلة الاستغفار تنبيه على اختلاف متعلقيه جنسا وفي حذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا
فانها مراحل لا بد من قطعها لا محالة ومثواكم في العقبى فانها موطن اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم
فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المصلح لكم في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه
شيء منها ويقول الذين آمنوا حرصا منهم على الجهاد لولا نزلت سورة اي هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد
فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به اي سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها
لوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهي محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا نزلت
سورة وقرئ على اسناد الفعل الى ضميره تعالى ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض اي ضعف
في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر الاوفق لسياق النظم الكريم ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
اي تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فأولى لهم اي فويل لهم وهو افعل من الولي
وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق من
الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام فوزنه افلع طاعة وقول معروف كلام مستأنف
اي امرهم طاعة الخ او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة
وقول معروف اي امرنا ذلك فاذا عزم الامر اسند العزم وهو الجد الى الامر وهو لاصحابه مجازا
كما في قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور وعامل الظرف محذوف اي خالفوا وتخلفوا وقيل نافقوا
وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى فلو صدقوا الله على طريقة قولك اذا حضرني طعام فلو جئتني لاطعمتك
اي فلو صدقوا فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان اي الصدق
خيرا لهم وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو
صدقوا في الايمان وواطأت قلوبهم في ذلك السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض
وهم المخاطبون بقوله تعالى فهل عسيتم الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي هل
يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا
على الملك وتهالكا على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا
حين امرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مأمورون
شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم آمرين ما ذكر من الافساد وقطع
الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض
بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في
حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون محذورا باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار
ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام رأس كل شر وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة
للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة وقرئ توليتم اي تولاكم
ولاة جورة خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من التقطع على
حذف احدى التاءين فانتصاب ارحامكم حينئذ على نزع الجار اي في ارحامكم وقرئ وتقطعوا من القطع

والحاق الضمير بعسى لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعلوا وعسى ان تفعل وهي ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين
بطريق الالتفات ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة
لغيرهم وهو مبتدأ خبره الذين لعنهم الله اى ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه
بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الانفس والآفاق افلا يتدبرون
القرآن اى الا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات
ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ
بعدم التدبر الى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما لتهويل
حالها وتفظيع شأنها بابهام امرها في القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا
يقادر قدرها في القساوة واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها
للدلالة على انها اقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها
واقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم اى رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون
الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام من بعد ما
تبين لهم الهدى بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا
به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم
جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان اى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من
السول المخفف من السؤال لاستمرار القلب فمعنى سول له امرا حينئذ اوقعه في امنيته فان السائل متمن له وقرئ
سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اى كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الاماني والآمال وقيل
امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقيل املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا
انظرهم فالواو للحال او الاستئناف وقرئ املي لهم على البناء للمفعول اى امهلوا ومد في عمرهم ذلك
اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء كما نقل عن الواحدي ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما
ليس مسببا عن القول الآتي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى بسبب انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين
لا اليهود الكافرين به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته في التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب هذا القول
ولو فرض صدوره عنهم كان المقول لهم المنافقين او المشركين على رأي القائلين بنزولها فيهم للذين
كرهوا ما نزل الله اى لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بانه من عند الله
تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في بعض الامر عبارة
قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب لئن
اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا
يوالونهم ويوادونهم وارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم اطاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم
بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية
اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه
قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اى اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم جمع سر اى جميع اسرارهم التي من
جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافتاء في الدنيا والتعذيب في الآخرة والفاء في قوله
تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل
في الظرف كأنه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم الملائكة وقيل مرفوع
على انه خبر لمبتدأ محذوف اى فكيف حالهم وحيلتهم اذا توفتهم الخ وقرئ توفاهم على انه اما ماض او
مضارع قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفتهم او من مفعوله وهو
تصوير لتوفيهم على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الا يضرب الملائكة
وجهه ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اى بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا
رضوانه اى ما يرضاه من الايمان والطاعة حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من

من المعاملة مع اليهود فلنحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك
من اعمال البر التي لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون
الذين فصلت احوالهم الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدارا لما نعي عليهم بقوله تعالى ان لن
يخرج الله اضغانهم وام منقطعة وان مخففة من ان وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف ولن بما
في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد اى بل احسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين
انه لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله عليه السلام وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان
ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم
معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز العناية بالاراءة فلعرفتهم بسيماهم
بعلامتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله عليه السلام بعد هذه الآية شيء من المنافقين
كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات
ليلة … وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد
والفاء … على الاراءة واما ما في قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب قسم محذوف
ولحن القول نحوه … او امالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدله بالكلام
عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم
بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو اخباركم ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر
حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدوا
الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى بما شاهدوا نعته عليه السلام في التوراة
وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير او المطعمون يوم بدر لن يضروا
الله شيئا بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر وسيحبط اعمالهم اى مكايدهم التي نصبوها في ابطال دين
الله تعالى ومشاقة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء
عن اوطانهم يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء
اعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات
بالكبائر ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم
كل من مات على الكفر وان صح نزوله في اصحاب القليب فلا تهنوا اى لا تضعفوا وتدعوا الى السلم اى ولا
تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب
النهي ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه ومنه ترائي الهلال فان صيغة
التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله تعالى عم يتساءلون
على احد الوجهين والفاء لترتيب النهي على ما سبق من الامر بالطاعة وقوله تعالى وانتم الاعلون جملة
حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى والله معكم فان كونهم الاعلين وكونه
عز وجل ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة وكذا توفيته تعالى لاجور الاعمال
حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولن يتركم اعمالكم اى ولن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا
من ولد او اخ او حميم فافردته منه من الوتر الذي هو الفرد وعبر عن ترك الاثابة في مقابلة الاعمال
بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على
قاعدة اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق وتنزيل ترك الاثابة
منزلة اضاعة اعظم الحقوق واتلافها وقد مر في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل
منكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم
اى ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون ولا يسألكم اموالكم
بحيث يخل اداؤها بمعاشكم وانما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم ان

يسألكموها اى اموالكم فيحفكم اى يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال
احفى شاربه اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اى احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده
القراءة بنون العظمة او للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ يخرج من الخروج بالياء والتاء مسندا الى الاضغان
هاانتم هؤلاء اى انتم ايها المخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى تدعون لتنفقوا فى سبيل الله
استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اى ها انتم الذين تدعون فيه توبيخ عظيم و
تحقير من شأنهم والانفاق فى سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم من يبخل اى ناس يبخلون
وهو فى حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع الانفاق وضرر البخل
عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى والله الغنى دون من عداه وانتم الفقراء
فما يأمركم به فهو لاحتياجكم الى ما فيه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان توليتم فعليكم وقوله تعالى وان
تتولوا عطف على ان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل قوما غيركم يخلق مكانكم
قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم فى التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما قيل هم
الانصار وقيل الملئكة وقيل اهل فارس لما روى انه عم سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب
على فخذه فقال هذا وقومه والذى نفس محمد بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من
فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن رسول الله صلى الله عم من قرأ سورة محمد عم كان
حقا على الله عز وجل ان يسقيه من انهار الجنة

سورة الفتح وهى عشرون وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحرب او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق
ماخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاستناد افعال العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد
به فتح مكة وهو المروى عن انس بشر به رسول الله صلى الله عم عند انصرافه عن الحديبية والتعبير عنه
بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية للايذان بتحققه لا محالة تأكيدا للتبشير كما ان تصدير
الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظم شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه ما لا
يخفى وقيل هو ما اتيح له عم فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية
فانه وان لم يكن فيه حرب شديد بل ترام بين القوم بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث
سألهم المشركون الصلح كان فتحا بلا ريب وروى عن ابن عباس رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن
الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى انه عم حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن
البيت وصد هدينا فقال بل هو اعظم الفتوح وقد رضى المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم فى
الامان ولقد رأوا منكم ما يكرهون وعن الشعبى نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عم فى
تلك الغزوة ما لم يصب فى غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
وبلغ الهدى محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان فى فتح الحديبية
آية عظيمة هى انه نزح ماؤها حتى لم يبق بها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عم ثم مجه فيها فدرت
بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح
له عم من الفتوح وقيل هو ما فتح الله له عم من الاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه
واعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه
وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على اهل مكة ان تدخلها من قابل
وهو المروى عن قتادة وايا ما كان فحذف المفعول للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير
نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا
بين الحق والباطل وقوله تعالى ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عم فى اعلاء كلمة
الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع
الصفات للاشعار بان كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية

حيثية غير حيثية الاخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تأخر اى جميع ما
فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين
وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاض عليه من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما
فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل
بعد ذلك من اتضاح سبيل الحق واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل
لكونه خاتمة الغايات ولاظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا
اى نصرا فيه عز ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه
هو الذى انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمأنينة اى انزلها فى
قلوب المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به من الشرائع ليزدادوا ايمانا
بها مقرونا مع ايمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس ان اول ما اتاهم به النبى صلى الله عم
التوحيد ... والزكوة ثم الحج والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار و
العظمة لله ولرسوله ... ادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ولله جنود السموات والارض يدبر
امرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهما السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية
على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا فى العلم بجميع الامور حكيما فى تقديره وتدبيره وقوله تعالى
ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من
كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف والتدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة
الله فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة ويكفر عنهم سيئاتهم اى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال
فى الذكر على التكفير مع ان الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلوب الاعلى وكان
ذلك اى ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق
الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا لانه صفة فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا اى
كائنا عند الله اى فى علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله ويعذب المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفى تقديم المنافقين على المشركين ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق
منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اى ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين فهو حائق بهم
ودائر عليهم وقرى دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا ان المفتوح غلب فى ان
يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شئ واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد
لهم جهنم عطف لما استحقوه فى الآخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع ان حقهما الفاء
المفيدة للسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال كل منهما فى الوعيد واصالته من غير اعتبار
استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا اى جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما
اعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وان المراد ههنا جنود
العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اى على امتك لقوله تعالى ويكون الرسول
عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبى صلى الله عم ولامته
وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه او تصلوا له من
السبحة بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضى صلوة الفجر وصلوة الظهر وصلوة العصر وقرئ
الافعال الاربعة بالياء التحتانية وقرئ وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاء المكسورة وقرئ بفتح التاء
وضم الزاء وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اى على قتال
قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله يعنى ان مبايعتك هى مبايعة الله عز وجل لان المقصود
توثيق العهد بمراعاة اوامره ونواهيه وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له على
طريق التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى

من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما يبايعون لله اى لاجله ولوجهه فمن نكث فانما ينكث على نفسه اى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اى ومن وفى بعهده فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ بما عهد وقرئ فسنؤتيه بنون العظمة سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عم وساق معه الهدى ليعلم انه لا يريد الحرب فتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فنقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه بانهم سيعتلون ويقولون شغلتنا اموالنا واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرئ شغلتنا بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم بدل من سيقولون او استئناف لتكذيبهم فى الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند اعتذارهم اليك باباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اى فمن يقدر لاجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شىء ان اراد بكم ضرا اى ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما حتى تخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اى ومن يقدر على شىء من الضرر ان اراد بكم ما ينفعكم من حفظ اموالكم واهليكم فاى حاجة الى التخلف لاجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى بل كان الله بما تعملون خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه اى ليس الامر كما تقولون بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التى من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى بل ظننتم الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الابهام اى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير تاء التأنيث واما الاهالى فاسم جمع كالليالى وقرئ الى اهلهم وزين ذلك فى قلوبكم وقبلتموه واشتغلتم بشأن انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله سبحانه او الى الشيطان وظننتم ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء او ما يعمه وغيره من الظنون الفاسدة التى من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عم فان الجازم بصحتها لا يحوم حول فكره ما ذكر من الاستئصال وكنتم قوما بورا اى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على [illegible] او فاسدين فى انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله ورسوله كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اى ومن لم يؤمن بهما كهؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اى لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير السعير للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف فى الكل كيف يشاء يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد فى شىء منهما وجودا وعدما وفيه حسم لاطماعهم الفارغة فى استغفاره عم لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء الا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن بالله ورسوله واما من عداه من الكافرين فهو بمعزل من ذلك قطعا سيقول المخلفون اى المذكورون وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ظرف لما قبله لا شرط لما بعده اى سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها وخصكم بها عوضا عما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان يبدلوا كلام الله بان يشاركوا فى الغنائم التى خصها باهل الحديبية فانه عم رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة

واياما كان فالمراد ما ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معى ابدا فان ذلك فى غزوة تبوك قل اقناطا لهم لن تتبعونا اى لا تتبعونا فانه نفى فى معنى النهى للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اى عند الانصراف من الحديبية فسيقولون للمؤمنين عند سماع هذا النهى بل تحسدوننا اى ليس ذلك النهى حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم فى الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون اى لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء الفهم فى امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة فى ذمهم ستدعون الى قوم اولى باس شديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب وغيرهم ممن ارتد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم او المشركون لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اى يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهى قتاله بالجزية كما ينتهى بالاسلام وهذا دليل على امامة ابى بكر رضى الله عنه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان فى عهد النبوة يخص دوام نفى الاتباع بما في غزوة خيبر كما قاله محيى السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل فى الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اى فى التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفى نفى الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ومن يطع الله ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهى يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون العظمة ومن يتول عن الطاعة يعذبه وقرئ بالنون عذابا اليما لا يقادر قدره لقد رضى الله عن المؤمنين هم الذين ذكر شأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت الشجرة منصوب برضى وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من مفعوله روى انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعى رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فاخبرهم انه عم لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعى الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروى على الموت دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما فى قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت انه بمعنى بايعوك لا على رضى فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما فى قلوبهم من الصدق والاخلاص عند مبايعتهم له عم وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم عطف على رضى اى فانزل عليهم الطمأنينة والامن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرئ وآتاهم ومغانم كثيرة يأخذونها اى مغانم خيبر والالتفات الى الخطاب لتشريفهم فى مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة فى احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها هو ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيمة فعجل لكم هذه اى غنائم خيبر وكف ايدى الناس عنكم اى ايدى اهل خيبر وحلفائهم من بنى اسد وغطفان حيث جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدى اهل مكة بالصلح ولتكون آية للمؤمنين امارة يعرفون بها صدق الرسول عم فى وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اى ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف او بما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اى فعجل لكم هذه وكف ايدى الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الاول اعتراضية

وعلى الثاني عاطفة ويهديكم تلك الآية صراطاً مستقيماً هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما
تأتون وما تذرون وأخرى عطف على هذه اى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم
هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله
تعالى قد أحاط الله بها صفة اخرى لاخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان
صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اى قد قدر الله عليها واستولى فاظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها
من غيركم هذا وقد قيل ان اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اى وقضى الله اخرى ولا ريب في ان
الاخبار بقضاء الله اياها بعد اندراجها في جملة الغنائم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة
تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل شيء قديراً لان قدرته تع
ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اى اهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر
لولوا الادبار منهزمين ثم لا يجدون ولياً يحرسهم ولا نصيراً ينصرهم سنة الله التي [illegible]
قبل اى سن الله غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله [illegible] اى تغييراً
وهو الذي كف أيديهم اى ايدي كفار مكة عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة اى [illegible] من بعد أن
أظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد
بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة رحمه الله
ان مكة فتحت عنوة لا صلحاً وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم وهزمهم اولاً والكف عنهم ثانياً لتعظيم
بيته الحرام وقرئ بالياء بصيراً فيجازيكم بذلك او يجازيهم هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام
والهدي بالنصب عطفاً على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفاً على المسجد بحذف المضاف اى
نحر الهدي وبالرفع على انه وصد الهدي وقوله تعالى معكوفاً حال من الهدي اى محبوساً وقوله تعالى أن
يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي او منصوب بنزع الخافض اى محبوساً من ان يبلغ مكانه الذي يحل فيه نحره
وبه استدل ابو حنيفة على ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي ان خيامه عليه السلام كانت
في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذي هو منى
ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة لرجال
ونساء وقوله تعالى أن تطؤوهم اى توقعوا بهم وتقتلوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم
فتصيبكم منهم معرة من جهتهم معرة اى مشقة ومكروه لوجوب الدية او الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم
وتعيير الكفار وسوء مقالتهم والاثم بالتقصير في البحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير
علم متعلق بأن تطؤوهم اى غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة
ان تهلكوا اناساً مؤمنين بين الكفار غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تع
ليدخل الله في رحمته متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف
المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسميها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة
الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير
محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم
ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين ويأباه
قوله تعالى لو تزيلوا الخ فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضي تحقق المباينة بين الفريقين
بالايمان والكفر قبل التزيل حتماً اى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا
منهم عذاباً أليماً بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا
منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى في قلوبهم
الحمية اى الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اى جعلوها ثابتة
راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اى حمية الملة الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية

الجاهلية وقوله تعالى فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن
صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما يدل عليه الجملة الامتناعية
كأنه قيل لم تزيلوا فلم نعذب فأنزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسيره والسكينة الثبات والوقار يروى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز
بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي له قريش مكة
من العام القابل ثلاثة ايام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم
فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح رسول الله عليه السلام أهل مكة فقالوا لو كنا
نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة
فقال عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل السكينة عليهم فتوقروا وحلموا
وألزمهم كلمة التقوى اى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء
بالعهد واضافتها الى التقوى لأنها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا أحق بها
متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقاً وقيل احق بها من الكفار وأهلها اى
المستأهل لها وكان الله بكل شيء عليماً فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه واصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤوسهم
وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تأخر ذلك
قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام
فنزلت اى صدقه عليه السلام في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحقيقه اراه الرؤيا الصادقة وقوله تع
بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اى صدقاً ملتبساً بالحق اى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي
التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اى ملتبسة بالحق ليست من قبيل اضغاث
الاحلام وقد جوز ان يكون قسماً بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اى والله لتدخلن الخ وقوله تعالى ان شاء الله تعليل
للعدة بالمشيئة لتعليم العباد او للاشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت او غيبة او غير ذلك او هي حكاية لما قاله
ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لما قاله عليه السلام لاصحابه آمنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض
وكذا قوله تعالى محلقين رؤوسكم ومقصرين اى محلقاً بعضكم ومقصراً آخرون وقيل محلقين حال من ضمير
آمنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او آمنين او محلقين او مقصرين او استئناف
اى لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بأمر
حادث بعد المعطوف عليه اى فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى تقديم
ما يشهد بالصدق علماً فعلياً فجعل لاجله من دون ذلك اى من دون تحقق مصداق ما اراه من دخول
المسجد الحرام آمنين الخ فتحاً قريباً وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل
به على صدق الرؤيا حسبما تكون ولتكون آية للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن
الحكمة في تأخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فيأباه الفاء فإن علمه تعالى بذلك متقدم
على اراءة الرؤيا قطعاً هو الذي ارسل رسوله بالهدى اى ملتبساً به او بسببه او لاجله ودين الحق وبدين
الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما
كان حقاً من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلاً او بتسليط المسلمين على
اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين
للنفوس المؤمنين على انه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح
مكة وكفى بالله شهيداً على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات محمد خبر مبتدأ محذوف
وقوله تعالى رسول الله بدل او بيان او نعت اى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله عليه السلام
وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره

اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء ورحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الاول خبر آخر او استيناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضا اما خبر آخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استيناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ سيماهم اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره في وجوههم اي في جباههم وقوله تعالى من اثر السجود وما روي عن النبي صلى الله عم من قوله لا تعلموا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس يقال لهما ذو الثفنات لما احدث كثرة سجودهما في مواضع منهما اشباه ثفنات البعير قال

ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي الثفنات

وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل حسن وجوههم بالنهار وقيل من آثار السجود ومن اثر السجود بكسر الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى مثلهم وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى في التورية حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول كأنه قيل ذلك مثلهم في التورية والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطأه الخ تمثيل مستانف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم في التورية وقرئ شطأه بفتحات وقرئ شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فأزره بالتخفيف وأزّره بالتشديد اي شد ازره وقوله تعالى فاستغلظ فصار غليظا بعدما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه عم قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى ليغيظ بهم الكفار علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع في زكائه واستحكامه او لما بعده من قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم فتح مكة المشرفة والله اعلم

سورة الحجرات وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعل الاعطاء والمنع او لا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام لافادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهاني وقد

جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه ويعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى التائين من تتقدموا وقرئ لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى بين يدي الله ورسوله مستعارة مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لدى النبي صلى الله عم في تامير الاقرع بن حابس او القعقاع بن معبد واتقوا الله في كل ما تاتون وما تذرون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم بافعالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن التجاوز في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة في الايقاظ والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشانه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء حد يبلغه عم بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر بعضكم لبعض اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته عم وتعهدوا في مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار واخا السرار حتى القى الله وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكلمه عم كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويامرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته عم لما كان منكرا محضا لم يقيد بشيء ولا ما يقع في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو او نحو ذلك وعن ابن عباس رض نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عم فيتاذى بصوته وعن انس انه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عم فاخبر بشانه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له عم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن من انها نزلت في بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته عم فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص وانتم لا تشعرون حال من فاعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدأ خبره الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله عنه اذهب الشهوات عنها لهم في الآخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر آخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استيناف لبيان جزائهم احمادا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها من خلفها او قدامها وان ثبتت دالة على ان المنادي في الخارج لان اذا ثبتت جهة وراء وان للمنادي واهل الحجرة وجوب اختلاف المكانين والمنادى

بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل بينا دونك وقرئ الحجرات وقرئ بفتح الجيم وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه عم من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عم فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عم فيها ولكنها جمعت اجلالا له عم وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه عم فانها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي الى اشعار ... خرج لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان اي الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فهم عم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرئ فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذارا ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة بحالهم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم رسول الله كائنا على حالة يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة الخ وهي انكم تريدون ان يتبع عم رايكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك وفيه ايذان بان بعضهم زين لرسول الله الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه عم لم يطع رايهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عم لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال امر الايالة وانقلاب الرئيس مرؤسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عم لهم في ذلك فان المضارع المنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق ان الاستمرار الذي يفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية المتجددة وذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الفعل على الابهام ثم يعتبر تعلق ما يتعلق به فيفيد استمراره واخرى بالنسبة الى ما يتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد بالاستمرار استمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد موقع الكثرة التي يقتضيها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول ضرورة ان المراد امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان الامتناع بعدم وقوع الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر في كثير من الامر في وقت من الاوقات وقع العنت قطعا وان اريد به استمرار الطاعة الواقعة

في الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان مناط امتناع العنت ح ليس امتناع استمرار الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين اذ لو لم يستمر امتناعها بان وقعت تلك الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه الاول لانه اوفق للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للاول على صيغة المضارع المفيدة للثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس ولم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لا يخفى وقوله تعالى ولكن الله حبب اليكم الايمان الخ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم من اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم اي ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا لديكم وزينه في قلوبكم حتى رسخ حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ولذلك اجتنبتم عما يليق بها مما لا خير فيه من تابعها واحكامها ولما كان في التحبيب والتكريه معنى انهاء المحبة والكراهة وايصالهما اليهم استعملا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه قيل لم يكن ما صدر عنكم في حق بني المصطلق من خلل في عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اي السالكون الى الطريق السوي الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كالذي في قوله تعالى وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اي وانعاما تعليل لحبب او كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر اي جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا اي تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله تعالى فان بغت اي تعدت احداهما على الاخرى ولم تتأثر بالنصيحة فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله الى حكمه او الى ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذارا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى ان يكون بينهما قتال في وقت آخر وتقييد الاصلاح بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اي واعدلوا في كل ما تأتون وما تذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والآية نزلت في قتال حدث بين الاوس والخزرج في عهده عم بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغي لا يخرج بالبغي عن الايمان وانه اذا قبض عن الحرب ترك لانه فاء الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغي عليه بعد تقديم النصح والسعي في المصالحة انما المؤمنون اخوة استئناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اي انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية والفاء في قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا الى المأمورين للمبالغة في تأكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه وتخصيص الاثنين بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الامور التي من جملتها ما امرتم به من الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم اي منكم عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهي او لموجبه اي عسى ان يكون المسخور منهم خيرا عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النساء وهو في الاصل جمع قائم كصوم وزور ... قوم عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية في المجامع والتنكير اما للتعميم او للقصد الى نهي بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجري بين بعض وبعض ولا نساء اي ولا تسخر نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اي من الساخرات

فان مناط الخيرية في الفريقين ليس ما يظهر للناس من الصور والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التي عليها يدور امر التحزين غالبا بل انما هو الامور الكامنة في القلوب فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هي ذات الخبر كما في قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاولى فهي التي لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اي ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص به عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان او اشتهارهم به فان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روي ان الاية نزلت في صفية بنت حيي اتت رسول الله صلى الله عم فقالت ان النساء يقلن لي يا بنت يهوديين فقال عم هلا قلت ان ابي هرون وعمي موسى وزوجي محمد عم او الدلالة [illegible] فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهي عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتامل في كل ظن حتى يعلم انه من اي قبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقي والاثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثلم الاعمال اي يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لانه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو اثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عم عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر من المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري واسناد الفعل الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للاكل وميتا واخراج تماثل امره مما يخرج امر يتقي عنه الاجتناب به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء في قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه وقرئ كرهتموه اي جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روي ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندي فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من ادم وحوا او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء في ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تاكيدا للنهي السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون تجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة

قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا بحسب الانساب فلا يعتزي احد الى غير اباءه لا لتفاخروا بالاباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب وقرئ لتعارفوا على الاصل ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم تعليل للنهي عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف التحقيقي كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان بالفتح على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا تتفاخروا بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم فان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى قال عم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقي كريم على الله تعالى ورجل فاجر شقي هين على الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى ان الله عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب امنا نزلت في نفر من بني اسد قدموا المدينة في سنة جدب فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عم ما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا اذ الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل لكم ذلك والا لما مننتم على ما ذكرتم كما ينبئ عنه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهي عن التلفظ بالايمان وللتفادي عن اخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان في قلوبكم حال من ضمير قالوا اي ولكن قولوا اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما في لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد امنوا فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم شيئا من اجورها من لات يليت ليتا اذا نقص وقيل لا يالتكم من الالت وهي لغة غطفان او شيئا من النقص ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان ليس في حال انشائه فقط بل وفيما يستقبل كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله في طاعته على تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الجميلة هم الصادقون الذين صدقوا في دعوى الايمان روي انه لما نزلت الاية جاءوا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه بذلك بقولكم امنا والتعبير عنه بالتعليم لما فيه من التشنيع والله يعلم ما في السموات وما في الارض لا يخفى عليه خافية والله بكل شيء عليم لا يحتاج الى اخباركم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم عليك منة وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم واذ هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى ان يكون ايمانا وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض

اى ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم وعن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات اعطى من الاجر بعدد من اطاع الله ومن عصاه والله اعلم

سورة ق وهى اربعون بسم الله الرحمن الرحيم وثلث ايات

ق والقرآن المجيد اى ذى المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما
فيه مجد عند الله وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل فى مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا
ان جاءهم منذر منهم اى لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ
عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك لتنذر به الناس حسبما ورد فى صدر
سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير
والتعجب مع كونهما اوفق شئ لقضية العقول واقربه الى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد
انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضرب عنه وقيل بل عجبوا اى لم يكتفوا بالشك والرد
بالجزاء حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما ينبئ عنه من وصف القرآن بالمجيد
ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن ان لا مجد له ولكن لجهلهم فقال الكافرون [illegible]
تعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا [illegible] منذرا
بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف
لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعث على ان هذا اشارة الى مبهم يفسره ما بعده من الجملة الانكارية ووضع
المظهر موضع المضمر اما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم واما للايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على
استقصارهم لقدرة الله تعالى جل وعلا مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه فى قياس العقل
من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول واعرق فى كونه كفرا ءاذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتأكيد
للانكار والعامل فى اذا مضمر غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اى احين نموت ونصير
ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحيوة وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر
او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة الى محل النزاع رجع بعيد اى عن الاوهام او العادة او الامكان
وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب وناصب الظرف ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا
ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم
ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا
عن النبى صلى الله عم كل ابن ادم يبلى الا عجب الذنب وقيل ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن فى الارض
منهم وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات
الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شئ او تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها فى اللوح
المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع
وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة لما جاءهم من غير تأمل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام
للتوقيت اى وقت مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث فهم فى امر مريج اى مضطرب لا قرار
له من مرج الخاتم فى اصبعه حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة انه ساحر واخرى كاهن افلم ينظروا اى اغفلوا
او عموا فلم ينظروا الى السماء فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اى رفعناها بغير عمد وزيناها
بما فيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل
ولعل تأخيره لمراعاة الفواصل والارض مددناها اى بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت من
رسى الشئ اى ثبت والتعبير عنه بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها وانبتنا فيها من كل
زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا بالفعل الاخير
او بفعل مقدر بطريق الاستيناف اى فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اى راجع الى ربه متفكر فى بدايع
صنائعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اى كثير المنافع شروع فى كيفية بيان انبات ما ذكر من كل زوج
بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على ما بعده فانبتنا به

اى بذلك الماء جنات كثيرة اى اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد اى حب الزرع الذى شانه ان يحصد من
البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات والنخل عطف على جنات
وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد
استقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات اى طوالا او حوامل من ابسقت
الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل وهو فاعل وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد اى منضود
بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع وكثرة ما فيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف
او من ضميرها فى باسقات على التداخل او الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى
رزقا للعباد اى لرزقهم علة لقوله تعالى فانبتنا وفى تعليله بذلك بعد تعليل انبتنا الاول بالتبصرة
والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار اهم واقدم
من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء
[illegible] ارضا جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت
[illegible] جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج جملة
قدم فيها الخبر [illegible] القصر وذلك اشارة الى الحيوة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد رتبتها اى مثل تلك الحيوة البديعة حياتهم بالبعث من القبور لا شئ مخالف لها وفى التعبير عن اخراج
النبات من الارض بالاحياء وعن حيوة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الانبات وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة
بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم
نوح الخ استيناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان اتفاق كافة الرسل عليهم السلام عليها وتعذيب منكريها
واصحاب الرس قيل هم ممن بعث اليهم شعيب عم وقيل وقيل كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل وثمود
وعاد وفرعون اى هو وقومه ليلايم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره عم واصحاب
الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عم غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم فى سورة الدخان
كل كذب الرسل اى فيما ارسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى اجمعوا عليه قاطبة اى كل قوم
من الاقوام المذكورين كذب رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد الضمير باعتبار
لفظ الكل وكل واحد منهم كذب جميع الرسل لانهم متفقون على الدعوة الى التوحيد والانذار بالبعث والحشر
فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر واما على تقدير عدمها وهو الاظهر
فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم لمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم
تبع فحق وعيد اى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية للرسول صلى الله عم وتهديد لهم
افعيينا بالخلق الاول استيناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعى
بالامر العجز عنه يقال عيى بالامر وعيى به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر
ينبئ عنه العى من القصد والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة
بل هم فى لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا
على الخلق الاول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق
لتفخيم شانه والاشعار بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولقد
خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اى ما تحدثه به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة
الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا او للانسان ان
جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من
حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجبه وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل
العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان
من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب بما فى اقرب من معنى
الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل علمه الى ما لا شئ اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى

ويسمّى الحفظان ما يتلفظ به ايذانا بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما لا يخفى عليهما ولكنه لذلك
لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطته
ثم بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في الحسنات وعنه عم ان مقعد
ملكين على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله ولا
منهما وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا
وكتبتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد
كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال
✱ رماني بامر كنت منه ووالدي ✱ بريئا ومن اجل الطوي رماني ✱
وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما
يرمي به من فيه من خير او شر الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ذلك
يكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا فصاحب الشمال ووجه تغيير العنوان عن الاسلوب
والافراد مع كونهما معا على ما صدر عنه بيان ان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض الى صاحبه كما ينبئ
عنه قوله تعالى عتيد اي معد مهيأ لكتابة ما امر به من الخير او الشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه
رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل
يكتبان كل شيء حتى انينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر او وزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عم
كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا
عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات
لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعد ذكر استبعادهم البعث والجزاء وازاحة ذلك بتحقيق قدرته
تعالى وعلمه وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث
وما يتفرع عليهما من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع كل منهما بصيغة الماضي ايذانا بتحققهما وغاية اقترابهما
وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة
الموت حقيقة الامر الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته
وقيل الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له واما للملابسة كالتي في قوله
تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة والغاية الجميلة وقرئ سكرة الحق بالموت
والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق الروح او تستعقبه
وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك
اي الموت ما كنت منه تحيد اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده
طبعا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية ذلك اي وقت ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اي يوم
انجاز الوعيد الواقع في الدنيا او يوم وقوع الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى
الزمان المفهوم من نفخ فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم
الوعد ايضا لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها سائق
وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اي معها ملكان احدهما يسوقها
الى المحشر والآخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق
كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها
النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لكل
وقوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او
استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة الخ وخطاب
الكل بذلك لما انه ما من احد الا وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر التاء على
اعتبار تانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة باعتبار الشخص كما في قول جبلة بن حريث ✱ يا نفس

يا نفس انك باللذات مسرورة ✱ فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحجاب المغطي لامور المعاد وهو الغفلة و
الانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار
وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض له مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد
هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هيأته لها باغوائي واضلالي وقيل قال الملك الموكل به مشيرا
الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيأ للعرض وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان
جعلت موصولة فهي بدل منها او خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى
للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من
قال ✱ فان تزجراني يا ابن عفان انزجر ✱ وان تدعاني احم عرضا ممنعا ✱ او على
ان الالف بدل من نون التوكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة
[...]د معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية
[...]لد بن المغيرة لما منع بني اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه [...]
[...] الها آخر مبتدأ متضمن لمعنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد او بدل من
كل كفار وقوله [...] فالقياه تكرير للتوكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اي الشيطان
المقيض له وانما استؤنفت استئناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله
تعالى ربنا ما اطغيته فانه ينبئ عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه
بتكذيبه واسناد الطغيان اليه بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين
مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من
الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا
ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استئناف مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل قال
تعالى لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد
على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى ألسنة رسلي فلا تطمعوا في الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير
الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث
قلت لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام
في هذا الوقت والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا
على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الخ ويكون بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل
اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به فلا تطمعوا ان
ابدل وعيدي والعفو عن بعض المذنبين داخل في الوعيد لانه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص
الوعيد وفي قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد اشارة الى تحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان عدم تبديل
القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من
الجنايات الموجبة له حسبما اشير اليه آنفا اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان
كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة
لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية
العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول لجهنم هل امتلأت
وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل امرها والمعنى انها مع
اتساعها وتباعد اقطارها يطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى تمتلئ او انها من السعة
بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرئ
يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد والمحيد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر او ظرف
لنفخ فيكون ذلك ح اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اي يكون من الاحوال

والاهوال ما ينقض عنه المقال وأزلفت الجنة للمتقين شروع في بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجيء
النفوس الى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اي قربت
للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون
بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير بعيد تاكيد للازلاف اي مكانا غير بعيد بحيث
يشاهدونه او حال كونها غير بعيد اي شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر
الذي يستوي في الوصف به المذكر والمؤنث او لتأويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى
الجنة والتذكير لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه
فانهما من احكام اللفظ العربي كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو اشارة الى الثواب
وقيل الى مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر
بقول هو حال من المتقين او من الجنة والعامل ازلفت اي مقولا لهم او مقولا في حقها هذا ما توعدون
لكل أواب اي رجاع الى الله تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لتوبته من
النقض وقيل هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل
لما استودعه الله من حقوقه من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من
موصوف اواب ولا يجوز ان يكون في حكمه لان من لا يوصف به ولا يوصف الا بالذي او مبتدأ خبره ادخلوها
بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل خشي او مفعوله اي خشي عقابه وهو غائب عنه
او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم مع خشيتهم عقابه راجون
رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب قوله تعالى نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة برجوعه الى الله
تعالى بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اي ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعيم
او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذي وقع في بعض منه ما ذكر
من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاءون من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق
بيشاءون وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر
ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالي الكرامات التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقيل ان السحاب يمر باهل الجنة فيمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد
وكم اهلكنا قبلهم من قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا اي قوة كعاد واضرابهم فنقبوا في
البلاد اي خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا في اقطارها وجالوا في اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل
التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب
وقيل هي عاطفة في المعنى كانه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الى آخره وقرئ بالتخفيف هل من محيص اي
ما لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار قول هو حال من واو نقبوا اي نقبوا في البلاد
قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستأنف
وارد لنفي ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة اي ساروا في مسايرهم واسفارهم في بلاد
القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا
بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اي اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم واخفاف ابلهم
ان في ذلك اي فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر في السورة لذكرى لتذكرة وعظة لمن كان له قلب
اي قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغي فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم
هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير او ألقى السمع اي الى ما يتلى عليه من الوحي الناطق
بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر فينزجر عما يؤدي اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون
الجمع فان القاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اي حاضر

حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وتجريد القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من
عري قلبه عنهما كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما من اصناف المخلوقات في
ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا تفي به القوى والقدر من لغوب من اعياء ما ولا تعب في
الجملة وهذا رد على جهلة اليهود في زعمهم ان الله تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة
واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون
اي ما يقوله المشركون في شأن البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه
الافاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه
ع وسبح بحمد ربك اي نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف في اخباره التي من جملتها الاخبار بوقوع
البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق
وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب هما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه
[illegible] بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلوة اذا انقضت
[illegible] ووقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوة فالمراد بما قبل الطلوع صلوة الفجر وبما
قبل الغروب الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بادبار السجود النوافل بعد المكتوبات
واستمع اي لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم ينادي المنادي اسرافيل
او جبريل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن
ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادي بالحشر من مكان قريب بحيث يصل نداؤه
الى الكل على السواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع
كل شعرة ولعل ذلك في الاعادة مثل كن في البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادي الخ وهي النفخة
الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل في الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ذلك يوم الخروج اي يوم
يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذي هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيي ونميت في الدنيا من غير
ان يشاركنا في ذلك احد والينا المصير للجزاء في الآخرة لا الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا يوم
تشقق الارض عنهم بحذف احدى التاءين من تتشقق وقرئ بتشديد الشين وتنشق على البناء للمفعول
من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اي هين وتقديم الجار
والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفي البعث وتكذيب الآيات الناطقة
به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد
وانما انت منذر فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه اقوالهم
وتستدعيه اعمالهم من الوان العقاب وفنون العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق
هون الله تعالى عليه تارات الموت وسكراته

سورة الذاريات مكية وآيها ستون

بسم الله الرحمن الرحيم

والذاريات ذروا اي الرياح التي تذرو التراب وغيره وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا
اي السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات
يسرا اي السفن الجارية في البحر او الرياح الجارية في مهابها او السحب الجارية في الجو بسوق الرياح او الكواكب
الجارية في مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اي جريا ذا يسر فالمقسمات امرا اي الملائكة التي
تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمها وغيرها من الرياح والسحب والكواكب المدبرات
حتى ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فانها كما تذرو ما تذروه تثير
السحاب وتحمله وتجري في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب في الاقطار فالفاء لا تدل
الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة
على كمال القدرة والا فهي لترتيب الافعال اذ الريح تذرو الابخرة الى الجو حتى ينعقد
سحابا فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر وقوله تعالى انما توعدون لصادق

جواب القسم وفي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث
انها امور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية
ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضى والدين الجزاء وواقع لحصوله والسماء ذات الحبك قال
ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوي وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هي المتقنة
البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او
المعقولة التي يسلكها النظار او النجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى
طرائق الوشي وهي اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل
والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل انكم لفي قول
مختلف اي متخالف متناقض وهو قولهم في حقه عم تارة شاعر واخرى ساحر وفي شان القرآن الكريم
تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير وفي هذا الجواب تاييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به
ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف وقيل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم
في اختلافها وتنافي اغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك
اي يصرف عن القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف افظع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف في
علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول
وقرئ من افك اي من افك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون
دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون
الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم اصحاب القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل
الخراصين اي قتل الله الذين هم في غمرة من الجهل والضلال ساهون غافلون عما امروا به يسألون
ايان يوم الدين اي متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء
وقرئ ايان بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون جواب للسؤال اي يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون
ويجوز ان يكون يوم خبر المبتدأ محذوف اي هو يوم هم الخ والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه
قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اي مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى هذا الذي كنتم به تستعجلون جملة
من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر اي هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون
هذا بدلا من فتنتكم بتاويل العذاب والذي صفته ان المتقين في جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر
قدرها آخذين ما آتاهم ربهم اي قابلين لما اعطاهم راضين به على معنى ان كل ما آتاهم حسن مرضي
يتلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا محسنين اي لاعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك
نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه عم بقوله ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك وقد فسر بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اي كانوا يهجعون في طائفة
قليلة من الليل على ان قليلا ظرف او كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة لمصدر وما مزيدة
في الوجهين ويجوز ان تكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اي كانوا قليلا من الليل
هجوعهم او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات في تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت
الراحة والهجوع الذي هو الفرار من النوم وزيادة ما والاسلوب لا يجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون
من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم يستغفرون
اي هم مع قلة هجوعهم يداومون على الاستغفار في الاسحار كانهم اسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفي بناء
الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم المختصون به لاستدامتهم له
واطنابهم فيه وفي اموالهم حق اي نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس
للسائل والمحروم اي للمستجدي والمتعفف الذي يحسبه الناس غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات
للموقنين اي دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من حيث انها مدحوة كالبساط الممهد وفيها
مسالك وفجاج للمتقلبين في اقطارها والسالكين في مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع

وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات وانواع الاشجار واصناف الثمار
المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم في
صحتهم واعتلالهم وفي انفسكم اي وفي انفسكم آيات اذ ليس في العالم شيء الا وفي الانفس له نظير يدل دلالته
على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال البديعة في
استنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اي الا تنظرون فلا تبصرون بعين
البصيرة وفي السماء رزقكم اي اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب
الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة في السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة
في السماء وقيل انه مستانف خبره قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق على ان الضمير لما واما على الاول
فهو لما ذكر من امر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اي كما
انه لا شك لكم في انكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته ونصبه على الحال من المستكن في لحق او على
انه وصف لمصدر محذوف اي انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبني على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو
ما ان كانت عبارة عن شيء وان بما في حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده
القراءة بالرفع هل اتاك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشان الحديث وتنبيه على انه ليس مما علمه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحي والضيف في الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة
كالزور والصوم فكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر
عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا في صورة الضيف حيث اضافهم ابراهيم عم او لانهم كانوا في حسبانه
كذلك المكرمين اي المكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه
ظرف للحديث او لما في الضيف من معنى الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما اي نسلم عليك
سلاما قال اي ابراهيم سلام اي عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات والدوام
حتى يكون تحيته عم احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم
منكرون انكرهم عليهم السلام للسلام الذي هو علم للاسلام او لانهم ليسوا ممن عهدهم من الناس او لان
اوضاعهم واشكالهم خلاف ما عهده ولعله عم انما قاله في نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لا انه خاطبهم به
جهرا او سألهم ان يعرفوه انفسهم كما قيل والا لكشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عم لمقدمات
الضيافة فراغ الى اهله اي ذهب اليهم على خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادر به
حذرا من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء في قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة
عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجيء بالطعام كما في قوله تعالى فقلنا
اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فذبح عجلا فحنذه فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسبما هو المعتاد
قال الا تاكلون انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم خيفة اضمر في نفسه خيفة لتوهم انهم جاؤوا للشر
وقيل وقع في قلبه انهم ملائكة جاؤوا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عم العجل بجناحه فقام يدرج
حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفي سورة الصافات وبشرناه اي بواسطتهم بغلام هو اسحق عم
عليم عند بلوغه واستوائه فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم
في صرة في صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعل اقبلت بمعنى اخذت كما يقال
اقبل يشتمني فصكت وجهها اي لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت باطراف
عه اصابعها جبينها كما يفعله المتعجب وقالت عجوز عقيم اي انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك القول
الكريم قال ربك وانما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى قالوا لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه
مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة لا انا نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله
حقا وفعله متقنا لا محالة روي ان جبريل عم قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه
مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع ابراهيم عم ايضا حسبما شرح في سورة الحجر وانما لم يذكر
ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفي سورة هود قال اي

ابرهيم عم لما علم انهم ملئكة ارسلوا لامر قال فما خطبكم اي شانكم الخطير الذي لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اي بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة حجارة من طين اي طين متحجر هو السجيل مسومة مرسلة من اسمت الماشية اي ارسلتها او معلمة من السومة وهي العلامة وقد مر تفصيله كما في سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد في الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عم بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملئكة وبين ابرهيم عم من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في موضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا بقولنا فاسر باهلك الخ من كان فيها اي في قرى لوط واضمارها بغير ذكر لشهرتها من المؤمنين ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت اي غير اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وتركنا فيها اي في القرية اية علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل هي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اي من شانهم ان يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوي القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها ولا يعدونها اية وفي موسى عطف على قوله وفي الارض او على قوله وتركنا فيها اية على معنى وجعلنا في موسى اية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه قيل هو منصوب باية وقيل بمحذوف اي كائنة وقت ارسالنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر على يده من المعجزات الباهرة فتولى بركنه اي فاعرض عن الايمان به فازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كانه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة ورزد في انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شان القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا يخفى وهو مليم اي ات بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او القاح شجر وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه اي جرت عليه الا جعلته كالرميم هو كل ما رم وبلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام قيل قال لهم صالح عم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اي فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما راوا العلامات التي بينها صالح عم من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله تع الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا في الانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين بغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فاخذناه من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحد فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايد اي بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء اي من الاجناس خلقنا زوجين اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق لكل شيء ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبي صلى الله عم بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكي من اثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله الذي هذه شؤونه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله

الله الخ وقوله تعالى اني لكم منه نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه تع او لوجوب الامتثال به فان كونه عم منذرا من جهته تعالى موجب عليه عم ان يامرهم بالفرار اليه وعليهم ان يمتثلوا به اي اني لكم من جهته منذر بين كونه منذرا منه تعالى او مظهر لما يجب اظهاره من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول عم بان يامرهم بالهرب اليه من عقابه وتعليله بانه عم ينذرهم من جهته تع لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر نهي عن موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تع اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الاعاذة يقال فر منه اي هرب وافره غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها اخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تع لكن لا بطريق التكرير كما قيل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار منه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الخ تفسير له اي ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لان ما بعدها ما النافية فيما قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التي لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير ان يكون ذلك مقتضى طباعهم فتول عنهم فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اي الذين قدر الله تع ايمانهم او الذين امنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون استيناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادته تع مما يدعوه عم الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تع خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تع وتفضل على عباده وانما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه واما بمعنى نهاية كمالية يفضي اليها فعل الفاعل الحكيم فمما لا ينفي من افعاله تع بل الجاري على جميعها على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا القدر وبه يتحقق مدلول اللام واما ارادة الفعل [illegible] من مقتضيات اللام [illegible] تخلف المراد عن الارادة فان تخلف البعض عن الوصول الى الغاية مع تضاعف المبادي [illegible] الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا لامرهم بالعبادة [illegible] الا ليعبدون [illegible] الجن والانس المؤمنين [illegible] ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون بيان لكون شانه تع مع عباده [illegible]

في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم أي ما اريد أن أصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل أتفضل عليهم برزقهم
وبما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما
يفتقر الى الرزق وفيه تلويح بانه غني عنه وقرئ اني أنا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت
للرزاق او لذو او خبر بعد خبر للضمير وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تأويل الاقتدار او الايد فان
للذين ظلموا اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او وضعوا مكان
التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اي نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل انصباء نظرائهم
من الامم المحكية وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون
اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب
وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم
والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال
على ذلك ومن في قوله تعالى من يومهم الذي يوعدون للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم
القيمة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الآتية والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب
الدنيوي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور وهي بسم الله الرحمن الرحيم اربعون وست آيات

والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى
وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى
وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير
لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او الاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي
الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من
الملائكة والسقف المرفوع اي السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اي المملوء وهو
البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت فالمراد به الجنس روي ان الله تعالى يجعل البحار يوم
القيمة نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اي لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى ما له من دافع
اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد
وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لما انها امور عظام تنبئ عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه و
حكمته الدالة على احاطته بتفاصيل اعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق اخباره التي من جملتها الجملة
المقسم عليها وقوله تعالى يوم تمور السماء مورا ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبئ عن كمال هوله وفظاعته
فالمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج فقيل تدور السماء كما تدور الرحى
وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل يختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض فتصير
هباء وتأكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا
وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل
يومئذ لهم الذين هم في خوض اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون
يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان يغل ايديهم الى اعناقهم
ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوين ويوم
اما بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال
لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي الناطق بها وقوله تعالى أفسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث
كانوا يسمونه سحرا كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا ايضا سحر وتقديم الخبر لانه
محط الانكار ومدار التوبيخ أم أنتم لا تبصرون اي أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر أم

ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم
مسحورون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدائدها فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه
سواء عليكم اي الامران في عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون
تعليل للاستواء فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان الصبر وعدمه سواء في عدم النفع ان
المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة
بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر
والظرف لغو متعلق بالخبر ووقاهم ربهم عذاب الجحيم عطف على آتاهم على ان ما مصدرية
او على خبر ان او حال باضمار قد من المستكن في الخبر او في الحال وايا ما كان ففيه
التشريف والتفضيل كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا
هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته
متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين والباء
لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن
فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى والذين آمنوا الخ كلام مستأنف مسوق
لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم ذريتهم في الايمان وهو مبتدأ
خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعتهم ذريتهم عطف على آمنوا وقيل اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق
بالاتباع اي اتبعتهم ذريتهم بايمان في الجملة قاصر عن رتبة ايمان الآباء واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت
الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ
واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعتهم الحقنا بهم ذريتهم اي في الدرجة
كما روي انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه
الآية وما التناهم وما نقصنا الآباء بهذا الالحاق من عملهم من ثواب عملهم من شيء بان اعطينا بعض مثوبات
ابنائهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منزلتهم بمحض التفضل والاحسان وقرئ التناهم
بكسر اللام من الت يألت كعلم يعلم والاول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت
ووتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم
بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور واخرى بمؤانسة الاخوان المؤمنين
وقوله تعالى واتبعتهم عطف على وزوجناهم وقوله بايمان متعلق بما بعده اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل
وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل
نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشيء من الايمان لا يؤهلهم لتلك الجنة
الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل امرئ بما كسب رهين
اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته ان
لا ينقص من ثواب الآباء شيء في الجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون وزدناهم
على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الآلاء يتنازعون فيها كأسا
اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع
او خمرا تسمية لها باسم محلها لا لغو فيها اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط
الكلام ولا تأثيم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو دين
المنادمين في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا
تأثيم بالفتح ويطوف عليهم اي بالكأس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم
كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة
قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على

الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عم إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه
فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله
وأعماله فيكون كل بعض سائلاً ومسؤولاً لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً قالوا أي المسؤولون
وهم كل واحد منهم في الحقيقة إنا كنا قبل أي في الدنيا في أهلنا مشفقين أرقاء القلوب خائفين من عصيان
الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة فمنّ الله علينا بالرحمة أو التوفيق للحق ووقانا عذاب السموم
عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقّانا بالتشديد إنا كنا من قبل ندعوه أي نعبده
أو نسأله الوقاية إنه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي إذا عُبد أثاب وإذا سُئل أجاب وقرئ أنه
بالفتح بمعنى لأنه فذكّر فاثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما
يقولون مما لا خير فيه من الأباطيل فما أنت بنعمة ربك بحمده وإنعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن ولا
مجنون كما يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق النفوس ويشخص
بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الأصل فعول من منّه إذا قطعه لأن الموت قطوع [illegible]
أي يقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي [illegible]
كربه بإهلاككم أم تأمرهم أحلامهم أي عقولهم بهذا أي بهذا التناقض في المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة
ودقة نظر في الأمور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف
هؤلاء في واحد وأمر الأحلام بذلك مجاز عن أدائها إليه أم هم قوم طاغون مجاوزون في المكابرة والعناد
الحدود لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك يقولون ما يقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون
وقرئ بل هم أم يقولون تقوّله أي اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه
الأباطيل التي لا يخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله إلا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم
من العرب والعجم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى إن
كانوا صادقين فيما زعموا فإن صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له
في العربية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة
في حفظ الوقائع والأيام ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر بذلك أم
خلقوا من غير شيء أي أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل
لا شيء من عبادة وجزاء أم هم الخالقون لأنفسهم فلذلك لا يعبدون الله سبحانه أم خلقوا السموات والأرض
بل لا يوقنون أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا
عن عبادته أم عندهم خزائن ربك أي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا أو يمسكوها
عمن شاؤوا أو أعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره أم هم المسيطرون
أي الغالبون على الأمور يدبرونها كيف يشاؤون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم
ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد لمكان الكاف أم لهم سلم منصوب إلى السماء يستمعون فيه صاعدين إلى كلام
الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من الأمور التي يتقولون فيها رجماً بالغيب ويعلقون
بها أطماعهم الفارغة فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه أم له البنات ولكم
البنون تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وإيذان بأن من هذا رأيه لا يكاد يعد من العقلاء فضلاً عن الترقي إلى عالم
الملكوت والتطلع على الأسرار الغيبية والالتفات إلى الخطاب لتشديد ما في أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ
أم تسألهم أجراً رجوع إلى خطابه عم وإعراض عنهم أي بل أتسألهم أجراً على تبليغ الرسالة فهم لأجل
ذلك من مغرم من التزام غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك أم عندهم الغيب
أي اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي أو إثبات أم يريدون كيداً
هو كيدهم برسول الله صلى الله عم في دار الندوة فالذين كفروا هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم
للتسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيه دخولاً أولياً هم المكيدون
أي هم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لا من أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم

أي هم المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته أم لهم إله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون
أي عن إشراكهم أو عن شركة ما يشركونه وإن يروا كسفاً قطعة من السماء ساقطاً لتعذيبهم يقولوا من
فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم أي هم في الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء
كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هذا سحاب تراكم بعضها على بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب
فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا يومهم الذي فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة
أو من أصعقته وقرئ يَصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة
كما قيل إذ لا يصعق بها إلا من كان حياً حينئذ ولأن قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً أي شيئاً
من الإغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعاً في الانتفاع
به وليس ذلك إلا ما دبروه في أمره عم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى
فليست مما يجري في مدافعته الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ما يأباه من الإضافة المنبئة
عن اختصاصه بهم ولا هم ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وإن للذين ظلموا أي لهم ووضع
الموصول موضع الضمير لما ذكر من قبل أي وإن لهؤلاء الظلمة عذاباً آخر دون ذلك دون ما لاقوه من القتل
أي قبله وهو القحط الذي أصابهم سبع سنين أو وراءه كما في قوله تريك القذى من دونها وهي دونها وهو
عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريباً ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الأمر كما ذكر
وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً أو لا يعلمون شيئاً أصلاً واصبر لحكم ربك
بإمهالهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم فإنك بأعيننا أي في
حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ
وسبح أي نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبساً بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من أي مكان قمت
قال سعيد بن جبير وعطاء أي قل حين تقوم من مجلسك وقال الضحاك والربيع إذا قمت إلى الصلاة فقل
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه
إفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل
وإدبار النجوم أي وقت إدبارها من آخر الليل أي غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين
وإدبار النجوم صلاة الفجر وقرئ وأدبار بالفتح أي أعقابها إذا غربت أو خفيت عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنته

سورة النجم مكية وهي — بسم الله الرحمن الرحيم — اثنتان وستون آية

والنجم إذا هوى المراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه
يقال هوى هوياً بزنة قبول إذا غرب وهُوياً بزنة دخول إذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن
فهويه نزوله [illegible] منسلخ عن معنى الاستقبال كما في قولك آتيك
إذا احمر البسر أي وقت احمراره [illegible] عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعية
وحسن الموقع ما لا غاية وراءه [illegible]
كأنه قيل والنجم الذي يهتدى به السابلة إلى سواء السبيل ما ضل صاحبكم أي ما عدل عن طريق الحق
الذي هو مسلك الآخرة وما غوى [illegible]
من الضلال والغواية [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
شئونه العظيمة [illegible]
الأولين [illegible] والهيئة الشرقية والغرب والشمال

من الحبوب وانما استدل به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من انحطاط جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عم هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل واما حمل هوى على انتثاره يوم القيامة او على انقضاض النجم الذي يرجم به او حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الارض او ظهوره منها فمما يباين المقام وما ينطق عن الهوى اى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ورأيه اصلا فان المراد استمرار نفي النطق عن الهوى لا نفي استمرار النطق عنه كما مر مرارا ان هو اى ما الذي ينطق به من القرآن الا وحي من الله تع وقوله يوحى صفة مؤكدة لوحي رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددي علمه شديد القوى اى ملك شديد قواه وهو جبريل عم فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود الذي تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده في اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اى حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم اى فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وذلك ان رسول الله صلى الله عم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها وكان رسول الله صلى الله عم بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الارض من المغرب وملأ الافق فخر رسول الله عم فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه احد من الانبياء في صورته غير النبي صلى الله عم فانه رآه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اى افق الشمس حال من فاعل استوى بقوته ثم دنا اى اراد الدنو من النبي عليه السلام فتدلى اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبي يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالي الثمر المعلق فكان اى مقدار امتداد ما بينهما قاب قوسين اى مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل عم كما في قولك هو مني معقد الازار او ادنى اى على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبد الله تع واضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اى من الامور العظيمة التي لا تفي بها العبارة اوحى الله تعالى بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحي اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اى فؤاد محمد صلى الله عم ما رأى اى ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام اى ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه على ما يرى اى اتكذبونه فتجادلونه على ما يراه معاينة او انه من ذكر من احواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمري ما عند صاحبه وقرئ افتمرونه اى افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدي بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اى جحده ولقد رآه نزلة اخرى اى وبالله لقد رأى جبريل في صورته نزلة اخرى من النزول نصب النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من اصلها الانهار التي ذكرها الله تع في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء كأنها في منتهى الجنة وقيل اليها ينتهي علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء وقيل ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة الشيء الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وعلا قال تعالى الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى اى الجنة التي يأوي اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة حالية قيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية

الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشي او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشى زيدا كل حين اى يأتيه والاول هو الاليق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى فكان تاخيره عن المفعول للتشويق اليه اى ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفي به البيان كيفا ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها البديعة او للايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تع عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروي عن النبي صلى الله عم انه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى وعنه عم يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اى ما مال بصر رسول الله عما رآه وما طغى وما تجاوز مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة ما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى والله لقد رأى الآيات التي هي كبراها وعظماها حين عرج به الى السماء فأري من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان يكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هي اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهي فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمي الحجر باسمه وعبد من دون الله تعالى وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الاعز كانت لغطفان وهي شجرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهي تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فاخبر رسول الله فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اى تراق وقرئ مناءة وهي مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتأخرة الوضيعة المقدار ويجوز ان تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم بطريق التوبيخ والتبكيت افرأيتم الخ والهمزة للانكار والفاء لتوجيه الانكار الى ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى اعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات الله تعالى وقيل المعنى افرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة في الآي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم في الآخرة وقيل افرأيتم هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد به قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى فانه توبيخ مبني على التوبيخ الاول وحيث كان مداره نسبتهم اليه تعالى الاناث واختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول نفس تلك النسبة حتى يتسنى الترقي الى التوبيخ الثاني ظاهر ان كيفية ... من تلك النسبة عين الامر المذكور [illegible]

مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى المفعول الاول لما ان الاصل اخبروني ان اللات والعزى ومناة
الكم الذكر وله هي اي تلك الاصنام في موضعها الانثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ ثم ما
فيه من التحكمات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها يقتضي اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم
الحقير على جناب الله تعالى العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه **تلك** اشارة
الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية **اذا قسمة ضيزى** اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما تستنكفون
منه وقيل فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يات
في الوصف وقرئ ضئزى بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما على انه مصدر
وصف به كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى **ان هي** الضمير للاسماء اي ما الاصنام باعتبار الالوهية
التي يدعونها **الا اسماء** محضة ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى
سميتموها صفة لاسماء وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة
بين الاسم والمسمى فاذا نسبت الى الاسم فمعناها جعله اسما للمسمى وان نسبت الى المسمى فمعناها جعله مسمى
للاسم وانما اختير هاهنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق ان تلك الاصنام التي يسمونها الهة اسماء
مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها الاية لا ان
هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك
الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها بالقرابين وانت خبير بانه
لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها عنها مزيد فائدة
بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني فان انتفاء
الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها
انتم وآباؤكم بمقتضى اهوائكم الباطلة **ما انزل الله بها من سلطان** برهان تتعلقون به **ان يتبعون**
التفات الى الغيبة للايذان بان تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم
اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها **الا الظن** الا توهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا
وما تهوى الانفس اي تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء **ولقد جاءهم من ربهم الهدى** حال من فاعل
يتبعون او اعتراض وايا ما كان ففيه تاكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم
فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب اقبح **ام**
للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما هم عليه غير مستند الا الى توهمهم
وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان
كل ما يتمناه وتشتهيه نفسه من الامور التي من جملتها اطماعهم الفارغة في شفاعة الالهة ونظائرها
التي لا تكاد تدخل تحت الوجود **فلله الآخرة والاولى** تعليل لانتفاء ان يكون للانسان ما يتمناه
حتما فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لانتفاء ان يكون له امر من الامور
وقوله تعالى **وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا** اقناط لهم عما علقوا به اطماعهم
من شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير
محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير في شفاعتهم مع افراد الملك باعتبار المعنى
اي وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله تعالى شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات **الا**
من بعد ان ياذن الله لهم في الشفاعة **لمن يشاء** ان يشفعوا له **ويرضى** ويراه اهلا للشفاعة من
اهل التوحيد والايمان واما من عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل وعن
الشفاعة بالف منزل فاذا كان حال الملائكة في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام **ان**
الذين لا يؤمنون بالآخرة وما فيها من العقاب على ما يتعاطونه من الكفر والمعاصي **ليسمون الملائكة**
المنزهين عن سمات النقصان على الاطلاق **تسمية الانثى** فانهم اذا قالوا الملائكة
بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وفي تعليقها بعدم الايمان

بالآخرة اشعار بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا
من لا يؤمن بها راسا وقوله تعالى **وما لهم به من علم** حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انه لا علم
لهم بما يقولون اصلا وقرئ بها اي بالملائكة او بالتسمية **ان يتبعون** في ذلك **الا الظن** الفاسد **وان**
الظن اي جنس الظن كما يلوح به الاظهار في موقع الاضمار **لا يغني من الحق شيئا** من الاغناء فان الحق
الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شان المعارف الحقيقية
وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها **فاعرض عن من تولى عن ذكرنا** اي عنهم ووضع الموصول
موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض
عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي على علوم الاولين والآخرين المذكر
لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الامور المرغوب فيها عتبار
والمرهوب عنها **ولم يرد الا الحيوة الدنيا** راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد النهي عن دعوته والا
لشانه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى سعيه لا
تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل **ذلك** اي ما اداهم الى ما هم فيه من التولي
وقصر الارادة على الحيوة الدنيا **مبلغهم من العلم** لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى يجديهم الدعوة
والارشاد وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد
بالعلم مطلق الادراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة
على الحيوة الدنيا وقوله تعالى **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى** تعليل للامر
بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن
ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا وبمن اهتدى من من شانه الاهتداء في الجملة اي
هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل الاهتداء في الجملة لا غيره فلا تتعب نفسك
في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر بالاعراض عن الاعتناء بامرهم باختصاص
العلم باحوال الفريقين عليه رمزا الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزي كلا منهم بما يليق
به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا كما سياتي صريحا **ولله ما في السموات وما في الارض** اي خلقا
وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى **ليجزي** الخ متعلق بما دل عليه اعلم
الخ وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى باحوالهم
الا يعلم من خلق كانه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزي **الذين اساؤا بما عملوا**
اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا **ويجزي الذين احسنوا**
اي اهتدوا **بالحسنى** اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل عليه
قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض كانه قيل خلق ما فيهما ليجزي الخ وقيل يتعلق بضل واهتدى
على ان اللام للعاقبة اي هو اعلم بمن ضل ليؤول امره الى ان يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول
امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه لة
على تباين الجزائين **الذين يجتنبون كبائر الاثم** بدل من الموصول الثاني وصيغة المضارع في صلته للدلالة
على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان او نعت او منصوب على المدح وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب
وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك **والفواحش** وما فحش من
الكبائر خصوصا **الا اللمم** اي الا ما قل وصغر فانه مغفور ممن يجتنب الكبائر وقيل هي النظرة والغمزة
والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس
الحين بعد الحين والاستثناء منقطع **ان ربك واسع المغفرة** حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر والجملة
تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل
لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد
المسيئين ووعد المحسنين بذلك لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب

عليه تعالى هو أعلم بكم أي باحوالكم يعلمها اذ أنشأكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عم من الأرض انشاء اجماليا
حسبما مر تقريره مرارا واذ انتم اجنة ووقت كونكم أجنة في بطون امهاتكم على اطوار مختلفة مرتبة لا يخفى عليه
حال من احوالكم وعمل من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استيناف
مقرر لما قبلها والفاء في قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم
المؤاخذة باللمم ليس لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان
الامر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا
الله تعالى على فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استيناف مقرر للنهي ومشعر بان فيهم
من يتقيها باسرها وقيل كان ناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا
اذا كان بطريق الاعجاب او الريا فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه
وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر أفرأيت
الذي تولى اي عن اتباع الحق والثبات عليه وأعطى قليلا اي شيا قليلا او اعطاء قليلا وأكدى اي قطع
العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اي الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر كما لو نزلت في الوليد
بن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال
اخشى عذاب الله فضمن ان يحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطاه بعض المشروط وبخل
بالباقي وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي لما انه كان يوافق النبي صلى الله عم في بعض الامور وقيل في ابي
جهل كان ربما يوافق الرسول صلى الله عم في بعض الامور وكان يقول والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق
وذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى والاول هو الاشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى أعنده علم الغيب
فهو يرى الخ اي أعنده علم بالامور الغيبية التي من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة أم لم ينبأ بما
في صحف موسى وابرهيم الذي وفى اي وفى واتم ما ابتلي به من الكلمات او امر به او بالغ في الوفاء بما
عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اذا اتاه جبريل
عليهما السلام حين يلقى في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد وروي انه كان يمشي
كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحفه التي هي التورية اشهر
عندهم واكثر ألا تزر وازرة وزر أخرى اي انه لا تحمل نفس من شانها الحمل حمل نفس اخرى على ان ان
هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على انه بدل
مما في صحف موسى او الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كانه قيل ما في صحفهما فقيل هو ان لا تزر الخ والمعنى انه لا
يؤاخذ احد بذنب غيره ليتخلص الثاني عن عقابه ولا يقدح في ذلك قوله عم من سن سنة سيئة فله وزرها
ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذي هو وزره وقوله تعالى وأن ليس للانسان
الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه من حيث
دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبيا واستغفار الملئكة عليهم السلام ودعاء الاحياء للاموات وصدقتهم
عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كانت
مناط منفعة كل منها عمله الذي هو الايمان والصلاح ولم يكن لشي منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله
وان كان بانضمام عمل غيره اليه وأن مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وأن سعيه سوف يرى
اي يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة في صحيفته وميزانه من أريته الشي ثم يجزاه اي يجزى الانسان سعيه يقال جزاه
الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى
الجزاء الأوفى او يبدل هو عنه كما في قوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا وأن الى ربك المنتهى اي انتهاء الخلق و
رجوعهم اليه تعالى لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتداء وانه هو اضحك وابكى اي
هو خلق قوتي الضحك والبكا وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان اثر القاتل
نقض البنية وتفريق الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه

النشأة الأخرى اي الاحيا بعد الموت وفاء بوعده وقرئ النشاءة بالمد وهي ايضا مصدر نشاء
وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية وهو ما يتأثل من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال
او ارضى وتحقيقه جعل الرضى له قنية وانه هو رب الشعرى اي رب معبودهم وهي العبور وهي
اشد ضياء من الغميصا وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش
تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له عليه السلام به لمخالفته اياهم في دينهم وانه اهلك
عادا الاولى هي قوم هود عم وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا
بعد قوم نوح وقرئ عاد الولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في
اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف وثمود عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل
فيه وقرئ وثمودا بالتنوين فما أبقى اي احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه ايضا من قبل
اي من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه وينفرون
الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون به حراك
وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة والمؤتفكة هي قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اي انقلبت بهم
أهوى اي اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء فغشاها ما غشى
من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه فبأي آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد فعل
التماري الى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه حال صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة
صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد
عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الاول فقط كما في تداعوهم اي دعوهم وقد تجرد عنه ايضا
فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فان المراد متعدد بتعدد الآلاء [illegible]
وتسمية الامور المعدودة آلاء مع ان بعضها نقم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبيا والمؤمنين
وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القرآن
والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عم والنذير بمعنى المنذر واياما كان فالتنوين للتفخيم ومن
للابتداء وهو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اي هذا القرآن الذي تشاهدونه
من قبيل الانذارات المتقدمة التي سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الاولين
والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفي تعقيبه بقوله
تعالى أزفت الآزفة اشعار بان تعذيبهم مؤخر الى يوم القيمة اي دنت الساعة الموصوفة
بالدنو في نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها نفس قادرة على كشفها
عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتاخير الا الله تعالى فانه
المؤخر لها او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله تعالى كقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من غير الله كشف
على ان كاشفة مصدر كالعافية أفمن هذا الحديث اي القرآن تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع
كونه ابعد شي من ذلك ولا تبكون حزنا على ما فرطتم في شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة
وانتم سامدون اي لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه
من السمود بمعنى الغنا على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما في قول من قال
• رمى الحدثان نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا •
• فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا •
والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للنفي والانكار
والسمود معا على الوجوه الاول النفي والانكار متوجهان الى نفي البكاء ووجود السمود والاول
اوفق بحق المقام فتدبر فاسجدوا لله واعبدوا الفاء لترتيب الامر او موجبه على ما
تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع

والخشوع أي إذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة والله أعلم

سورة القمر وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقتربت الساعة وانشق القمر روي أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رضي الله عنه رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فإنه ناطق بأنه قد وقع وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقد قرئ وقد انشق القمر أي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد والاستحكام أي وإن يروا آية من آيات الله تعالى يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتي به محمد عليه السلام على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قوي مستحكم لا يمكن إزالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وهو الأنسب بغلوهم في العناد والمكابرة وبوده ما أتى لرده وقرئ وإن يروا على البناء للمفعول من الإراءة وكذبوا أي بالنبي عليه السلام وما عاينوه مما أظهر الله على يده من المعجزات واتبعوا أهواءهم التي زينها الشيطان لهم أو كذبوا الآية التي هي انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل أمر مستقر استئناف مسوق لإقناطهم عما علقوا به أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه السلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أي وكل أمر من الأمور مستقر أي منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبي صلى الله عليه وسلم فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمورهم وأمره عليه السلام مستقر أي سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة في الدنيا أو شقاوة أو سعادة في الآخرة وقرئ بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أي ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان استقرار وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أي اقتربت الساعة وكل أمر مستقر ولقد جاءهم أي في القرآن وقوله تعالى من الأنباء أي أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أي وبالله لقد جاءهم كائنا من الأنباء ما فيه مزدجر أي ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن في تجريدية والمعنى أنه في نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاي للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وإدغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل مما أو خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا منها فإنها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي للإغناء أو إنكار له والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجيء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للإنكار وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الإغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثاني منصوبة أي فأي إغناء تغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر أو مصدر بمعنى الإنذار فتول عنهم لعلمك بأن الإنذار لا يؤثر فيهم البتة يوم يدع الداع منصوب بيخرجون أو باذكر والداعي إسرافيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر في قوله تعالى كن فيكون وإسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفا إلى شيء نكر أي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر خشعا أبصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لأن العامل متصرف أي يخرجون من الأجداث أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والإفراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيقي التأنيث وقرئ خاشعة على الأصل وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال كأنهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والتفرق في الأقطار مهطعين إلى الداع مسرعين مادي أعناقهم إليه أو ناظرين إليه يقول الكافرون استئناف وقع جوابا عما نشأ من وصف اليوم بالأهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر أي صعب شديد وفي إسناد القول المذكور إلى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا في تلك

تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح شروع في تعداد بعض ما ذكر من الأنباء الموجبة للازدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغن النذر أي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب إلخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيبا إثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لأنه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون أي لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون وازدجر عطف على قالوا أي وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية وقيل هو من جملة ما قالوه أي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه أني أي بأني وقرئ بالكسر على إرادة القول مغلوب أي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر أي فانتقم لي منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم بعد اللتيا والتي فقد روي أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر منصب وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الأبواب وفجرنا الأرض عيونا أي جعلنا الأرض كلها كأنها عيون متفجرة وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير قضاء لحق المقام فالتقى الماء أي ماء السماء وماء الأرض والإفراد لتحقيق أن التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على أمر قد قدر أي كائنا على حال قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ما أنزل قدر ما أخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه أي نوحا عليه السلام على ذات ألواح أخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة أقيمت مقامها من حيث إنها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري بأعيننا بمرأى منا أي محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر أي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنه كان نعمة كفروها فإن كل نبي نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأي نعمة وأي رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير واستتاره في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر أي للكافرين ولقد تركناها أي السفينة أو الفعلة آية يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة فهل من مدكر أي معتبر بتلك الآية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا والإدغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب أي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الإنذار ولقد يسرنا القرآن إلخ جملة قسمية وردت في أواخر القصص الأربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر وتنبيها على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار كافية في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار أي وبالله لقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعد والوعيد للذكر أي للتذكر والاتعاظ فهل من مدكر إنكار ونفي للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لا يقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت عاد أي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة إلى بيان ما فيه الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى ما يلقى إليهم قبل ذكره لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وكأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو فاسمعوا كيف كان عذابي وإنذاري لهم وقوله تعالى إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا استئناف ببيان ما أجمل أولا أي أرسلنا عليهم ريحا باردة أو شديدة الصوت في يوم نحس أي شؤم مستمر أي مستمر عليهم إلى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشتد مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم

الريح وصرعتهم موتى كأنهم أعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهي أصولها بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما ان تأنيثها في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب من امرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق بهم في الآخرة يرده ترتيبه الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا أبشرا منا اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او واحدا من آحادهم لا من اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى نتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال عن الصواب وسعر او جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول أألقي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب أشر اي ليس الامر كذلك بل هو كذاب وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الأشر حكاية لما قاله تعالى لصالح عم وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الأشر الذي حمله أشره وبطره على الترفع أصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الأشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الأشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالأخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى انا مرسلو الناقة الخ فانه استئناف مسوق لبيان مبادي الموعود حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم هو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي الامر العظيم غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عم فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه اي ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط عم بطشتنا اي أخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روي انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم لوط عم فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ما قبله من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية

نهاية عظم ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة ايجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كانه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة وعدة او مكانة من أولئكم الكفار المعدودين والمعنى انه اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيريتهم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك وانتم شر منهم مكانا واسوأ حالا وقوله تعالى أم لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى التبكيت بوجه آخر اي بل ألكم براءة وامن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وعقوباتها في الكتب السماوية فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى أم يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم اي بل أيقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا مجتمع لا نرام ولا نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم الجمع رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان ذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رض لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجميع اي الله عز وعلا بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة أدهى وأمر اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها لتربية تهويلها ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الخ منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى في ضلال اي كائنون في ضلال وسعر يوم يجرون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون يقال لهم ذوقوا مس سقر اي قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته والقول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه بقدر اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد أهلكنا أشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الخ مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين اي من الكفر والمعاصي في جنات عظيمة الشأن ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع نهر كاسد وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شأنه عن رسول الله صلى الله عم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

سورة الرحمن مكية

ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها

ان القرآن قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه
السورة الكريمة ما فاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية
وانكر عليهم اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدئ بتعليم القرآن فقيل الرحمن علم القرآن
لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية وعيار على
سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو اليه احداق الامم الا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد
اليه اعناق الهمم الا وهو منهجه وصراطه واسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة
واحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه
البيان تعيينا للمعلم وتبيينا لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه
من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين
الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل
الثلاث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد
الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات
السفلية ويختلف الفصول والاوقات ويعلم السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم اي
يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما يريد بهما
طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظي
تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يذهب الوهم الى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى
ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كانه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له
واخلاء الجملة الاولى من العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما
من حيث التقابل لان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال العلويين
وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث
جعلها منشأ احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شانه وعظم
ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر على
كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل
قامت السموات والارض وقيل فعل به الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى
وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول
الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام عباده
وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم ألا تطغوا في الميزان
اي لئلا تطغوا فيه على ان ان ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان
او اي لا تطغوا على انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا
الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط قوموا وزنكم بالعدل وقيل اقيموا لسان
الميزان بالقسط والعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه
امر اولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان
وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء
وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان
فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي الخلق وقيل المراد به
كل ذي روح وقيل كل ما على ظهر الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى فيها فاكهة الخ استئناف
مسوق لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة
الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن ح ان يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع
على الفاعلية اي ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف

وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب هو ما يتغذى به كالحنطة
والشعير ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو الرزق فالمعنى اي فيها ما يتلذذ به
من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذي له عصف هو
علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذا العصف والريحان اي خلق الحب والريحان
او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والريحان اما فيعلان
من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين
الروحان وهو ما له روح قاله القرطبي فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول
عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب الانكار والتوبيخ
على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى
تكذيبهم بالآية تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما يستند اليه من
النعم الدينية واما بانكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة في نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة
اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به تعالى في العبادة
من دواعي اشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء
المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة اي فاذا كان
الامر كما فصل فبأي فرد من افراد الآلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع ان كلا منها
ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ على اخلالهم بمواجب
شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار
الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا تنافي بين الآية
الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخرين وخلق الجان اي الجن او ابا الجن من مارج من
دخان صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي آلاء ربكما
تكذبان مما افاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على
انه خبر مبتدأ محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما
ومن قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر مرج البحرين
وبالجر على انه بدل من ربكما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى من اعتدال الهواء
واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل في وقته الى غير ذلك مرج البحرين اي ارسلهما من مرجت
الدابة اذا ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان اي يتجاوران ويتماس سطوحهما
لا فصل بينهما في مرأى العين وقيل ارسل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه
بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله عز وجل او من الارض لا يبغيان لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة
وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حديهما باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس منهما شيء يقبل
التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار
الدر والمرجان صغاره وقيل بالعكس وانما قيل منهما مع انهما انما يخرجان من الملح على ما قالوا
لانهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر
ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يخرج مبنيا للمفعول من الاخراج
ويخرج مبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان ونخرج بنون العظمة فبأي
آلاء ربكما تكذبان وله الجوار اي السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كما في قول من قال
لها ثنايا اربع حسان واربع فكلها ثمان المنشآت المرفوعات الشرع او المصنوعات وقرئ بكسر الشين
اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو
الجبل الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها

فى البحر باسباب لا يقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره كل من عليها اى على الارض من الحيوانات او المركبات ومن
للتغليب او من الثقلين فان هالك لا محالة ويبقى وجه ربك اى ذاته تعالى ذو الجلال والاكرام اى ذو الاستغناء
المطلق والفضل التام وقيل الذى عنده الاجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال
عم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه صلى الله عم انه مر برجل وهو يصلى ويقول يا ذا الجلال والاكرام فقال
قد استجيب لك وقرئ ذى الجلال والاكرام على انه صفة ربك واياما كان ففى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر
فناء الخلق وبقائه ايذان بانه يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
فباى آلاء ربكما تكذبان فان احياءهم بالحيوة الابدية واثابتهم بالنعيم المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء
يسأله من فى السموات والارض قاطبة ما يحتاجون اليه فى ذواتهم ووجوداتهم حدوثا وبقاء وسائر احوالهم
سؤالا مستمرا بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود
وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة
الوجود اصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان تعدوا
نعمت الله لا تحصوها من سورة ابرهيم عم كل يوم اى كل وقت من الاوقات هو فى شان من الشؤون التى من جملتها
اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ اشخاصا ويفنى آخرين ويأتى باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه
مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفى الحديث من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين
قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا فباى آلاء ربكما تكذبان
مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤون
الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شان فلا يبقى حينئذ الا شان واحد وهو الجزاء فعبر عنه بالفراغ
لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سافرغ لك اى سأتجرد للايقاع بك من
كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل وللمفعول
وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم ايها الثقلان هما الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض
او لرزانة رأيهما او لانهما مثقلان بالتكليف فباى آلاء ربكما التى من جملتها التنبيه على ما سيلقونه
يوم القيمة للتحذير عما يؤدى الى سوء الحساب تكذبان باقوالكما واعمالكما يا معشر الجن والانس هما
الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل الشاقة فخوطبوا
بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفى بما كلفوه ان استطعتم ان قدرتم على ان تنفذوا من اقطار
السموات والارض اى ان تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن اقطار سمواتى وارضى فانفذوا منها
وخلصوا انفسكم من عقابى لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اى بقوة وقهر وانتم من ذلك
بمعزل بعيد روى ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها
الا وجدوا الملائكة احاطت به فباى آلاء ربكما تكذبان من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال
القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الاحمر وقيل
اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعا وقرئ شواظ
بكسر الشين من نار متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اى كائن من نار والتنوين للتفخيم ونحاس اى
دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر عطفا على نار وقرئ نرسل بنون
العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس كلحاف ولحف وقرئ ونحس اى ونقتل بالعذاب
فلا تنتصران اى لا تمتنعان فباى آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصى
لطف واى لطف ونعمة واى نعمة فاذا انشقت السماء اى انصدعت يوم القيمة فكانت وردة كوردة
حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال

ولئن بقيت لارحلن بغزوة ☼ تحوى الغنائم او يموت كريم

كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة او حال من اسم كانت اى كدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما
يدهن به كالحزام والادام وقيل هو الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اى يكون من الاحوال والاهوال ما لا

ما لا يحيط به دائرة المقال فباى آلاء ربكما تكذبان مع عظم شانها فيومئذ اى يوم اذ تنشق السماء حسبما
ذكر لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم وذلك اول ما يخرجون من القبور و
يحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه
ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما ان المراد فرد من الانس كانه
قيل لا يسأل عن ذنبه لا انسى ولا جنى فباى آلاء ربكما تكذبان مع كثرة منافعهما فان الاخبار
بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدى اليه واما ما قيل مما انعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا
تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال
قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصى
والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه
قوله تعالى خذوه واحذروهم ونحوه واخذ به اذا كان المأخوذ شيئا من ملابسات المقصود بالاخذ ومنه
قوله تعالى لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى وقول المستغيث خذ بيدى اخذ الله بيدك اى يجمع بين نواصيهم
واقدامهم فى سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة بالاقدام فباى
آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون على ارادة القول اى يقال
لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما استئناف وقع جوابا عن سؤال ناشئ من حكاية الاخذ بالنواصى
والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ او حال من اصحاب النواصى والاقدام لان
الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما اعتراض يطوفون بينها اى بين النار يحرقون بها وبين حميم
آن ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فباى
آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان امثال هذه الامور من قبيل الآلاء ولمن خاف مقام
ربه شروع فى تعداد الآلاء الدينية والدنيوية واعلم ان ما عدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة
السورة الكريمة من فنون الكرامات كما ان انفسها آلاء اجلية واصلة اليهم فى الآخرة كذلك حكاياتها
الواصلة اليهم فى الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعى فى تحصيل ما يؤدى الى نيلها من الايمان
والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو فى شان من النعم الدينية
والدنيوية الانفسية والآفاقية آلاء عاجلة واصلة اليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث
ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدى الى استدامتها واقامتها وما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين
هذه الآية من الاحوال الهائلة التى ستقع فى الآخرة فليست هى من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها
الموجبة للانزجار عما يؤدى الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى كما اشير اليه فى تضاعيف تعدادها ومقامه
ثم موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامه تعالى على احواله
من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل
او هو مقحم للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى
لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعات واخرى لترك
المعاصى او جنة يثاب واخرى يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباى
آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا افنان صفة للجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على
ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اى ذواتا
انواع من الاشجار والثمار واما جمع فنن اى ذواتا اغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها
بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل فباى آلاء ربكما تكذبان وليس فيهما شئ يقبل التكذيب فيهما
عينان تجريان صفة اخرى لجنتان اى فى كل واحدة منهما عين تجرى كيف يشاء صاحبها فى الاعالى
والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال احداهما
التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل
او بكوا الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل فباى آلاء ربكما

تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اى صنفان معروف وغريب او رطب ويابس صفة اخرى
لجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفا فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين
حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق من ديباج
ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور وجنى
الجنتين دان اى ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب ينا له القائم والقاعد والمضطجع وقرئ جنى
بكسر الجيم فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اى في الجنان المدلول عليها بقوله جنتان
لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حسب نفسه وعمله وقد اعتبر الجمعية في قوله
متكئين وقيل فيهما من الاماكن والقصور وقيل في الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان اى لم يمس الانسيات احد من الانس والجنيات احد من الجن بل ازواجهن المدلول عليهم
بقاصرات الطرف وقيل بقوله متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم والجملة
صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصصها بالاضافة فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله
تعالى كانهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منها كالتي قبلها او مشبهات بالياقوت في
حمرة الوجه والمرجان صغار الدر في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع بياضا من كباره قيل
ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء فباى
آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استئناف مقرر لمضمون ما فصل قبله اى ما جزاء
الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان مبتدأ
اى ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من اصحاب اليمين
فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه
على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اى خضراوان تضربان الى السواد من
شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض
وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فباى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اى فوارتان
بالماء والنضخ وعلى الاوليين الاشجار اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فباى آلاء ربكما تكذبان
فيهما فاكهة ونخل ورمان عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا
لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رحمه الله من حلف
لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات
حسان اى حسان الخلق صفة اخرى لجنتان كالجملة التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر
وخيرات مخففة من خيرات لان خيرا الذي بمعنى اخير لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان اى حسان الخلق والخلق
فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل من خيرات مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن
يقال امرأة قصيرة وقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من درة
مجوفة فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر الرفرف
اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة وقيل هو ما تدلى من الاسرة من عالي الثياب وقيل هو ضرب من
البسط او البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول
الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقري حسان العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب
انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف
على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر بضمتين وعباقري ككراسي نسبة الى عباقر في اسم البلد
فباى آلاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير
لما ذكر في السورة الكريمة من الآلاء الفائضة على الانام اى تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدر
به السورة من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الآلاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها

جملتها مجحود نعمه بتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى
وقيل الاسم بمعنى الصفة وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال
والاكرام وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله تعالى عليه والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الواقعة وهي ثمانون وثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا وقعت الواقعة اى اذا حدثت القيمة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للايذان ب
تحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع في حيز الشرط كانه قيل
كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه قيل اذا وقعت الواقعة
يكون من الاهوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون
عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي في قوله تعالى يا ليتني
قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على ان الكاذبة مصدر كالعافية
اى ليس لاجل وقعتها وفي حقها كذب اصلا بل كل ما ورد في شانها من الاخبار حق صادق لا ريب فيه
وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ محذوف اى هي خافضة لاقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمها
وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من حط الاشقياء الى الدركات
ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها بنثر الكواكب واسقاط
السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل وقرئ خافضة
رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا اى زلزلت زلزالا شديدا
بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة اى تخفض وترفع وقت رج الارض وعنده
ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اى فتتت حتى
صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها
كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اى ارتجت وذهبت فكانت اى فصارت بسبب
ذلك هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم اما خطاب للامة الحاضرة والامم السالفة تغليبا او للحاضرين صرفة
فقط ازواجا اى اصنافا ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف آخر في الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله
تعالى فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة تقسيم وتنويع
للازواج الثلاثة مع الاشارة الاجمالية الى احوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وقوله
ما اصحاب الميمنة خبره على ان ما الاستفهامية مبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر الاول والاصل ما
هم اى اى شيء هم في حالهم وصفتهم فان ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب
بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل في التفخيم وكذا
الكلام في قوله تعالى واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من شان الفريقين في الفخامة
والفظاعة كانه قيل فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال واختلف في
الفريقين فقيل اصحاب الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشأمة اصحاب المنزلة الدنية اخذا
من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم
وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب
الشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون
السابقون هم القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام واقدمهم في
الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلقا معرب عن احرازهم
لقصب السبق من جميع الوجوه وتخلفوا فيهم فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور
الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين
كما قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل

السارعون في الخيرات دلياتا كان فالجملة مبتدأ وخبر والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت
محاسنهم كقول ابي النجم وشعري شعري وفيه من تفخيم شأنهم والايذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف
بالجميل ما لا يخفى وقيل والسابقون الى رحمته السابقون الى طاعة الله تعالى او السابقون الى الجنة السابقون
الى الخير وقوله تعالى اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان
ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل
المقربون اي الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس نفوسهم
الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشهره والذي يقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى فاصحاب
الميمنة خبر لمبتدأ محذوف وكذا قوله واصحاب المشأمة وقوله والسابقون فان المترقب عند بيان انقسام
الناس الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان تبين بعد ذلك باسنادها
اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والآخر اصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا انه لما اخر بيان
احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامي احوالهما في الخير والشر
بنأ آمر جانبا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها
خبر على ما رآه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب الميمنة
امر بديع كما يفيده كونها مبتدأ وكذلك الحال في ما اصحاب المشأمة واما القسم الاخير فحيث قرن
بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والاظهار في مقام
الاضمار للتفخيم واولئك مبتدأ ثان او بدل من الاول وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول
وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر
ثان لاسم الاشارة وفيه ان الاخبار بكونهم فيها بعد الاخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد مزية وقرئ
في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدأ محذوف اي هم امة جمة من الاولين وهم الامم
السالفة من لدن آدم الى نبينا عليهما السلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من الآخرين
اي من هذه الامة ولا يخالفه قوله عم ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم السالفة من
سابقي هذه الامة لا تمنع اكثرية تابعي هؤلاء من تابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب اليمين
ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا ينافي اكثرية احدهما من الآخر
وسيأتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والآخرين ههنا ايضا متقدمو هذه
الامة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او من
ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او
المتواصلة من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر
اي مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة
وتهذيب الاخلاق والآداب يطوف عليهم حال اخرى او استئناف اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون
اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل
الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي وعن الحسن رضي الله عنهم
وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بآنية لا عرى لها ولا خراطيم واباريق اي
آنية ذات عرى وخراطيم وكأس من معين اي خمر جارية من العيون وقيل انما افرد الكأس لانها لا
تسمى كأسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا
يصدعون اي لا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا
ولا ينزفون اي لا يسكرون من نزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه
ويأخذون خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ ولحوم طير وحور عين بالرفع عطف على
ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قيل
هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب

ينعمون باكواب وبالنصب يؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا
يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي
باطلا ولا تأثيما اي ولا نسبة الى الاثم اي لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر
الا قيلا اي قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله
بمعنى لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل
من المسلم والمسلم عليه الا سلام الآخر بدءا او ردا وقرئ سلام سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب
اليمين شروع في تفصيل ما اجمل عند التقسيم من شؤونهم الفاضلة اثر تفصيل شؤون السابقين وهو مبتدأ وقوله
تعالى ما اصحاب اليمين جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها
ومحلها الرفع على انها خبر للمبتدأ او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول
خبر ثان للمبتدأ او خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما ابهم في قوله تعالى ما اصحاب اليمين من
علو الشان اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه اي قطع وقيل
مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد حمله
من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة
وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله عنه انه قرأ وطلع وما شأن
الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها فقال آي القرآن لا تهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه
وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم
اينما شاؤوا وكيف ما ارادوا بلا تعب او مصبوب سائل يجري على الارض في غير اخدود كأنه مثل حال السابقين
باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين
الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة
عن متناولها بوجه من الوجوه لا يحظر عليها كما على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة
الخ كقوله تعالى وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل
الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم على الارائك
متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لان ذكر الفرش التي هي
المضاجع عليهن دال عليهن والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا او ابدعناهن من غير ولادة وابداء واعادة وفي
الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن ابكارا وقوله تعالى عربا جمع
عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون الراء اترابا مستويات في السن بنات
ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب اليمين متعلقة بانشأنا او بجعلنا او باترابا
كقولك هذا ترب لهذا اي مساو له في السن وقيل بمحذوف هو صفة لابكارا اي كائنات لاصحاب اليمين
او خبر مبتدأ محذوف اي هن لاصحاب اليمين وقيل لقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وهو بعيد
بل هو خبر مبتدأ محذوف اي هم لاصحاب اليمين خصت به قصة اصحاب اليمين اي هم امة من الاولين وامة من
الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الاولين اي من سابقي هذه
الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعا من امتي واصحاب الشمال
شروع في تفصيل احوالهم التي اشير عند التنويع الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب اليمين والكلام
في قوله تعالى ما اصحاب الشمال عين ما فصل في نظيره وكذا في قوله تعالى في سموم وحميم والسموم حر نار ينفذ
في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال ولا
كريم فيه خير ما في الجملة سمي ذلك ظلا ثم نفي عنه وصفاه البرد والكرم الذي عبر به عن دفع اذى الحر
لتحقيق انه ليس بظل وقرئ لا بارد ولا كريم بالرفع اي لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى انهم كانوا قبل ذلك
مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بانواع

النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم أي الذنب العظيم الذي هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون لغاية عتوهم وعنادهم أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أي كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته في الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية وإذا متمحضة للظرفية والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى أئنا لمبعوثون لا نفسه لأن ما بعد اللام والهمزة لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للإنكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص الإنكار به فإنهم منكرون للإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بأن لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما يشعر به ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في قوله تعالى أفلا تعقلون على رأي الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم ثاتين في المبعوثية بالفعل في حالة كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى أوآباؤنا الأولون لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك للفصل بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرئ أو آباؤنا قل ردا لإنكارهم وتحقيقا للحق إن الأولين والآخرين من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وفي تقديم الأولين مبالغة في الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجمعون إلى ميقات يوم معلوم أي إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم إنكم أيها الضالون عطف على إن الأولين داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا أو رتبة المكذبون أي بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم لآكلون بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو صفة لشجر أي كائن من زقوم فمالئون منها البطون أي بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم أي الماء الحار في الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للأكل وقوله تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أي لا يكون شربكم شربا معتادا بل يكون مثل شرب الهيم وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في أحشائهم ما يضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤوا منه بطونهم وهو في غاية المرارة والحرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو أيضا مصدر وقرئ بالكسر على أنه اسم المشروب هذا الذي ذكر من أنواع العذاب نزلهم يوم الدين أي يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم وهو ما يعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعدما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها أي فهلا تصدقون بالخلق فإن ما لا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتما والأول هو الوجه كما ستعرفه بعد أفرأيتم ما تمنون أي تقذفونه في الأرحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها أأنتم تخلقونه أي تقدرونه وتصورونه بشرا سويا أم نحن الخالقون له من غير دخل شيء فيه وأم قيل منقطعة لأن ما بعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة نحن قدرنا بينكم الموت أي قسمناه

قسمناه عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا مخففا وما نحن بمسبوقين أي إنا قادرون على أن نبدل أمثالكم لا يغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتي مكانكم أشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والأطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن أي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن إعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن نبدل الخ إما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض ولقد علمتم النشأة الأولى هي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام من التراب فلولا تذكرون فهلا تتذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتما فإنه أقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور أفرأيتم ما تحرثون أي تبذرون حبه وتعملون في أرضه أأنتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف أم نحن الزارعون أي المنبتون لا أنتم والكلام فيه كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما متكسرا متفتتا بعدما أنبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون تتعجبون من سوء حاله إثر ما شاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ما تعبتم وأنفقتم عليه أو على ما اقترفتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون أي تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الأصل إنا لمغرمون أي لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون أي قائلين أو تقولون إنا لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا أو محارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون أفرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به أأنتم أنزلتموه من المزن أي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب أم نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه أجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع إثباتها في الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب في الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى الزرع والماء محل للتمنع بهما أخرى بعد نعمة الإنبات والإنزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلولا تشكرون تحضيض على شكر الكل أفرأيتم النار التي تورون أي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد أأنتم أنشأتم شجرتها التي منها الزناد وهي المرخ والعفار أم نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبئ عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أو أن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء كما في قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر لما أن ذلك قوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف مبين لمنافعها أي جعلنا نار الزناد تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أوعدوا به أو تذكرة وأنموذجا لها لما روي عنه صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التي يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءا من حر جهنم وقيل تبصرة في أمر البعث فإن من قدر على إخراج النار من الشجر الرطب ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر أو للذين خلت بطونهم بذلك لأنهم أحوج إليها فإن المقيمين أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وقد [illegible] خلت مزاودهم من الطعام [illegible] وأنموذجا للنعم الأخروي والقاضي فسبح باسم ربك العظيم لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه وروائع نعمه موجبة لتسبيحه تعالى إما تنزيها له تعالى عما يقوله الجاحدون لوحدانيته الكافرون بنعمه مع عظمها وكثرتها أو تعجبا من أمرهم في غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكرا على تلك النعم السابغة أي فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فإن إطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم

او الريب فلا أقسم اي فاقسم ولا مزيدة للتاكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع
فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى
فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به بمواقع النجوم اي
بمساقطها وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم
لا يتغير او لان ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها
ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم
القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض يقصد به المبالغة
في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتاكيده حيث اعترض بقوله تعالى وانه لقسم بين القسم وجوابه الذي هو
قوله تعالى انه لقرآن كريم اي كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او حسن مرضي
او كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو اما متروك اريد به نفي علمهم او
محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه او لعملتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون من غير المقربين من الملائكة
لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون
عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى
النهي اي لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه
اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه الى من يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون
بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اي انفسهم او غيرهم بالاستغفار اي عزهم تنزيل من رب
العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرئ تنزيلا افبهذا الحديث الذي
ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن الكريم انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في
الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي تضعون
التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون
بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه الى الانواء والاول هو الاوفق لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله عز وجل
فلولا اذا بلغت الحلقوم الخ تبكيت مبني على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا
من القوارع الدالة على كونه تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر اسباب معايشهم
كما ستقف عليه لولا للتحضيض لاظهار عجزهم واذا ظرفية اي فهلا اذا بلغت النفس اي الروح وقيل نفس احدكم
الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ ايها الحاضرون حول صاحبها تنظرون الى ما هو فيه من الغمرات
ونحن اقرب اليه منكم علما وقدرة وتصرفا منكم حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهدونه من آثار الشدة من
غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان تقدروا على دفع ادنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله
بعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون لا تدركون ذلك لجهلكم بشؤوننا وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير
مدينين اي غير مربوبين من دان السلطان رعيته اذا ساسهم واستعبدهم ناظر الى قوله تعالى نحن
خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعي عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اي
النفس الى مقرها وهو العامل في اذا والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتاكيد وهي بما في حيزها
دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين [illegible]
عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين [illegible]
[illegible]
[illegible] فاما ان كان من المقربين [illegible]
[illegible]
[illegible] فروح [illegible]
[illegible] وريحان [illegible] وجنة نعيم [illegible] واما ان كان من اصحاب اليمين [illegible]
[illegible] فسلام لك من اصحاب اليمين [illegible]

بعضهم على بعض والالتفات الى خطاب كل واحد منهم للتشريف واما ان كان من المكذبين
الضالين وهم اصحاب الشمال عبّر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم بقوله تعالى ثم انكم ايها
الضالون المكذبون ذما لهم بذلك واشعارا بسبب ما ابتلوا به من العذاب فنزل اي فله نزل كائن
من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اي ادخال في النار وقيل اقامة فيها ومقاساة
لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده في القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اي الذي ذكر في السورة الكريمة
لهو حق اليقين اي حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك
العظيم لترتيب التسبيح او الامر به على ما قبلها فان حقيته مما فصل في تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب
تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الامور التي من جملتها الاشراك به والتكذيب بآياته
الناطقة بالحق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد وهي ثلثون وثمان ايات
بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات والارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه
من سبح في الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند ههنا الى غير العقلاء ايضا فان ما في السموات
والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر في آية الكرسي اريد به معنى عام مجازي
شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من افراد الموجودات يدل بامكانه وحدوثه
على الصانع القديم الواجب الوجود والمتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وان
من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما في قوله تعالى وسبحوه واللام اما مزيدة للتاكيد كما في نصحت له
وشكرت له او للتعليل اي فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه في بعض الفواتح ماضيا
وفي البعض مضارعا للايذان بتحققه في جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان حق من شانه التسبيح
الاختياري ان يسبحه تعالى في جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهو العزيز القادر الغالب الذي لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذي لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة و
المصلحة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات
والارض اي التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وسائر التصرفات
مما نعلمه ومما لا نعلمه وقوله تعالى يحيي ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من
ضمير له ليس كما ينبغي وهو على كل شيء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير بالغ في
القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات لما انه مبدعها وموجدها والآخر الباقي بعد فنائها
حقيقة او نظرا الى ذاتها مع قطع النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها
فهي فانية والظاهر وجودا لكثرة دلائله الواضحة والباطن حقيقة فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى و
الاخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود
في جميع الاوقات والظهور والخفاء وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفي هو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش بيان لبعض احكام ملكهما وقد
مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها مر بيانه في
سورة سبأ وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه اينما داروا و
قوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم فتأخيره عن الخلق لما ان المراد به ما يدور
عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات والارض
تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اي اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اي مبالغ في العلم بذات الصدور
اي بمكنوناتها اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التي
يظهرونها آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اي جعلكم خلفاء في التصرف فيه من

من غير ان تملكوه حقيقة عبّر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم في الانفاق فان من علم انها لله عز وجل وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء من قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به فالذين آمنوا منكم وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير وقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله استيناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بالانكار ان يكون لهم في ذلك عذر ما على ان لا تؤمنون حال من الضمير في لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار اي اي شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في أأضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفي قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الخ فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما قد انكر ونفي سببه فانتفى بنفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اي واي عذر في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم اي وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين حيث ما لموجب ما الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم في ذلك ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذي بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اي واي شيء لكم في ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له في الحقيقة وانما انتم خلفاؤه فتصرفونه الى ما عينه من المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل الا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانفاق اشد في القبح وادخل في الانكار فان بيان بقاء جميع ما في السموات والارض من الاموال بالآخرة لله تعالى من غير ان يبقى من اصحابه احد اقوى في ايجاب الانفاق عليهم من بيان انها لله تعالى في الحقيقة وهم خلفاؤه في التصرف فيها كانه قيل وما لكم في ترك انفاقها في سبيل الله والحال انه لا يبقى لكم منها شيء بل يبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت احوالهم في الانفاق بعد بيان ان لهم اجرا كبيرا على الاطلاق حثا لهم على تحري الافضل وعطف القتال على الانفاق للايذان بانه من اهم مواد الانفاق مع كونه في نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلو من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء اي اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين اعظم درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الانفاق والقتال وكلا اي كل واحد من الفريقين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى

وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ وكل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله الخ والله بما تعملون خبير بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من آمن واول من انفق في سبيل الله تعالى وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك وقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل ايقرض الله احد فيضاعفه له اي يعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل هو هداهم وبايمانهم كتبهم اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضي الله عنه يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة ويلمع اخرى قال الحسن رضي الله عنه يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استيناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم نقتبس من نوركم اي نستضيء منه واصله اتخاذ القبس قيل طردا لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة ارجعوا وراءكم الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوا نورا فانه من ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط له باب يدخل منه المؤمنون باطنه اي باطن السور او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار من قبله من جهته العذاب وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن معكم يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر قالوا بلى كنا معكم بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم في امر الدين وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اي الموت وغركم بالله الكريم الغرور اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار هي مولاكم اي هي اولى بكم وحقيقته مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما قيل هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم او متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير اي النار الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استئناف ناع عليهم تثاقلهم في امور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى استبطأ قلوب

قلوب المؤمنين خطابهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن أي ألم يجئ وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى
وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال بأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أنى الامر
اذا جاء أناه أي وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرئ ألما بأن وفيه دلالة على أن المنفي
متوقع وما نزل من الحق أي القرآن وهو عطف على ذكر الله تع فان كان هو المراد به أيضا فالعطف لتغاير
العنوانين فانه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله تعالى انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام
لاوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله
تع وقرئ نزل من التنزيل مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل وأنزل ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل
عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عن مماثلة أهل الكتاب في قسوة
القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التورية والانجيل
خشعوا لله تع ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد أي الاجل وقرئ الأمد بتشديد الدال أي الوقت الأطول وغلبهم
الجفاء وزالت عنهم الروعة التي كانت تأتيهم من الكتاب بغتة فقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة وكثير منهم
فاسقون أي خارجون عن حدود دينهم رافضين لما في كتابهم بالكلية اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها
تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن
القساوة قد بينا لكم الآيات التي من جملتها هذه الآيات لعلكم تعقلون أي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها
فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين والمصدقات أي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك
وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق أي الذين صدقوا الله ورسوله وأقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو
عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب بأن
فيه فصلا بين أجزاء الصلة بأجنبي وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى ان الناس الذين تصدقوا وتصدقن
وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل ان المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل
هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل ان المصدقين على العموم تغليبا وأخص المصدقات من بينهم كما تقول
ان الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على أن مدار التخصيص مزيد استحقاق
لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن الى التصديق الداعية الى الاعتناء بحثهن على
التصديق لما روي أنه عم قال يا معشر النساء تصدقن فاني أريتكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف
معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة
النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده من الجار والمجرور
وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف أي ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل أي يضاعف
الله وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم أجر كريم مر ما فيه من الكلام والذين آمنوا بالله ورسله كافة
وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة أولئك اشارة الى الموصول الذي هو مبتدأ وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه قد مر سره مرارا وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى هم مبتدأ
ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للثاني وهو مع خبره خبر للاول أو ضمير الفصل وما بعده خبر
لاولئك والجملة خبر للموصول أي أولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة
المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله تعالى أو هم المبالغون في الصدق حيث آمنوا و
صدقوا جميع أخباره تع ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانية ولهم بالايمان أو على الامم يوم القيمة
وقوله تعالى لهم أجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدأ وخبر محلها
الرفع على أنه خبر ثان للموصول أو الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الاول على الوجه
الاول للموصول أو الاخيران للصديقين والشهداء أي لهم مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة
المنال وقد حذفت أداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث
قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين تمام ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما للفريقين

للفريقين الآخرين بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للآخرين من الاصل بدون الاضعاف وأما
على الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعودان لهم هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم
الكريم وقد قيل والشهداء مبتدأ وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم أجرهم الخ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك
الموصوفون بتلك الصفة القبيحة أصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها أبدا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في الآخرة
شرح حال الحيوة الدنيا التي اطمأن بها الفريق الثاني وأشير الى أنها من محقرات الامور التي لا يركن اليها
العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث
أعجب الكفار أي الحراث نباته أي النبات الحاصل به ثم يهيج أي يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا
بعدما رأيته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر ايذانا بأن اصفراره مقارن لجفافه وانما
المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من
الضمير في لعب لانه في معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحيوة الدنيا بتقدير المضاف أي مثل
الحيوة الدنيا كمثل الخ وبعدما بين حقارة أمر الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها أشير الى فخامة
شأن الآخرة وعظم ما فيها من اللذات والآلام ترغيبا في تحصيل نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم
وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الآخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك فيما فصل من أحوال الحيوة
الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور أي
لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة الى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان ألهتك عن طلب
الآخرة فأما اذا دعتك الى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا أي سارعوا
مسارعة المسابقين لاقرانهم في المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم أي الى موجباتها من الاعمال
الصالحة وجنة عرضها كعرض السماء والارض أي كعرضهما جميعا واذا كان عرضها كذلك فما ظنك بطولها
وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقديم التخلية على التحلية أعدت للذين آمنوا
بالله ورسله فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك الذي
وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء ايتاءه اياه من غير ايجاب
والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه تعالى أن يتفضل بذلك الفضل العظيم ما أصاب من مصيبة
في الارض كجدب وعاهة في الزروع والثمار ولا في انفسكم كمرض وآفة الا في كتاب الا مكتوبة
مثبتة في علم الله تعالى أو في اللوح من قبل أن نبرأها أي نخلق الانفس أو المصائب أو الارض ان ذلك أي
اثباته في كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تأسوا أي أخبرناكم بذلك لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم من نعم الدنيا ولا تفرحوا بما آتاكم أي أعطاكم الله تعالى منها فان من علم أن الكل مقدر يفوت
ما قدر فواته ويأتي ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو آت وقرئ بما
أتاكم من الاتيان وفي القراءة الاولى اشعار بأن فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها
فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفي الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى
والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من فرح
بالحظوظ الدنيوية وعظمت في نفسه اختال وافتخر بها لا محالة وفي تخصيص التذييل بالنهي عن الفرح ايذان
بأنه أقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن
به غالبا ويأمر غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غني عنه وعن انفاقه محمود في ذاته لا يضره الاعراض
عن شكره ولا بالتقرب اليه بشيء من نعمه وفيه تهديد واشعار بأن الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان
الله الغني لقد أرسلنا رسلنا أي الملائكة الى الانبياء أو الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات بالحجج والمعجزات
وأنزلنا معهم الكتاب أي جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط أي بالعدل روي أن
جبريل عم نزل بالميزان فدفعه الى نوح عم وقال مر قومك يزنوا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة

ويرفع به العدوان وأنزلنا الحديد قيل نزل آدم عم من الجنة ومعه خمسة أشيا من حديد السندان و
الكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه
كقوله تعالى وأنزل لكم من الانعام وذلك أن أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى
فيه بأس شديد لأن آلات الحروب انما تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلة وما يعمل
بالحديد الا يخفى والجملة حال من الحديد وقوله تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف يدل
عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره
ورسله باستعمال السيوف والسلاح وساير الاسلحة في مجاهدة اعدايه او متعلقة بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية
اي وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب
حال من فاعل ينصر او مفعوله اي غايبا منهم او غايبين منه وقوله تعالى ان الله قوي عزيز اعتراض
تذييلي جيء به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته في اعلاء كلمته
واظهار دينه الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيه الى الثواب والا فهو غني بقدرته
وعزته عنهم في كل ما يريد ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى لقد
ارسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتنا بالامر اي وبالله لقد ارسلناهما وجعلنا في ذريتهما
النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم فمنهم اي من
الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير منهم فاسقون
خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة في الذم والايذان بغلبة الضلال و
كثرتهم ثم قفينا على آثارهم برسلنا اي ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم اي ارسلنا رسولا
بعد رسول حتى انتهى الى عيسى بن مريم والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم او من عاصرهم من الرسل
لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمي لا يلزم فيه
مراعاة ابنية العرب وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اي وفقناهم
للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في شأن اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب اما بفعل
يفسره الظاهر اي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اي
وجعلنا في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اي وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع
الرهبانية واستحداثها وهي المبالغة في العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة
الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ بضم الراء كأنها نسبة الى الرهبان وهو
جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام
فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا قليل فخافوا ان يفتتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية
في قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستانفة
وقيل صفة اخرى لرهبانية والنفي على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء
رضوان الله استثناء منقطع اي ما فرضناها نحن عليهم رأسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم
حينئذ بقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها من حيث ان النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد
به رضاه تعالى وعلى الوجه الثاني متوجه الى قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اي ما
كتبناها عليهم بان وفقناهم لابتداعها لشيء من الاشياء الا ليبتغوا بها رضوان الله تعالى ويستحقوا بها الثواب
ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم فآتينا الذين آمنوا
منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا مجرد رعايتها فانها
بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر اجرهم اي ما يخص بهم من الاجر وكثير منهم
فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحق الرهبانية قبل النسخ
والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم
وكفرهم به مما لا يساعده المقام يا أيها الذين آمنوا اي بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله

اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي اطلاقه ايذان بانه علم فرد في الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين
من رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على ان شريعتهم باقية بعد البعثة بل على انها
كانت حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصي والله غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة وقوله تعالى
لئلا يعلم أهل الكتاب متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله
وتومنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه
قراءة ليعلم ولكي يعلم ولأن يعلم بادغام النون في الياء وان في قوله تعالى ان لا يقدرون على شيء من فضل الله
مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف والجملة في حيز النصب على انها مفعول يعلم اي
ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم
ياتوا بشرطه الذي هو الايمان برسوله وقوله تعالى وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون
وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى والله ذو الفضل
العظيم اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر بالتقوى والايمان لغير اهل
الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من آمن
من اهل الكتاب من الكفلين في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم
لانكم مثلهم في الايمان لا تفرقون بين احد من رسله وروي ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على ساير
المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها
بعد كسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ ان لا يقدروا وهذه
وقيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر
النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذي هو عبارة عما اوتوه من سعادة الدارين على
ان عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى ان الفضل
بيد الله الخ عطفا على ان لا يعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين
آمنوا بالله ورسله والله سبحانه اعلم

سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قد سمع الله بالاظهار بالدال وقرئ بادغامها في السين قول التي تجادلك في زوجها اي تراجعك الكلام
في شأنه وفيما صدر عنه في حقها من الظهار وقرئ تحاورك اي تسائلك وتشتكي الى الله
عطف على تجادلك اي تتضرع الى الله تعالى وقيل حال من فاعله اي تجادلك وهي متضرعة اليه تعالى وهي خولة
بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو عبادة ثم ندم
على ما قال فقال لها ما اظنك الا قد حرمت علي فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفي رواية ما اراك الا قد حرمت
عليه في المراد كل ذلك فقالت اشكو الى الله فاقتي ووجدي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما
قال لها حرمت عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت وفي كلمة قد اشعار بان الرسول صلى الله عليه وسلم
والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انها قالت
عندما استفتته ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا اللهم اني اشكو اليك
فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى
بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع
حسب استمرار التحاور وتجدده والجملة استئناف جار مجرى التعليل لما قبله
ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق

ان يسمع تحاورهما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع راسها الى السماء وسائر آثار التضرع واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى الذين يظاهرون منكم من نسائهم شروع في بيان شان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستيناف والظهار ان يقول الرجل لامراته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في الاحزاب والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم وقرئ يظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويتظهرون وقوله تعالى ما هن امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم وبامهاتهم ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقها الشرع بهن من المرضعات وازواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير كما في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح فتحرير رقبة اي فتداركه او فعليه او فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستانف عند ابي حنيفة رحمه الله ذلكم اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدا خبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذي هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين اي فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطا فمن لم يستطع اي الصيام لسبب من الاسباب فاطعام ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستانف ان مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مرارا ومحله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع او فعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من المتعاديين كما هو في عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الآخر غير ان لورود المحادة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا اي اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما

وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم والحال انا قد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح اما ببيان صدوره عنهم او بتصويره في تلك النشاة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا لعذابهم وقوله تعالى احصاه الله استيناف وقع جوابا عما نشا مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبئة او عن سببها كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض متقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يغب منه شيء ونسوه لكثرته او لتهاونهم به والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي مقرر لاحصائه تعالى وقوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما يقينيا متاخما للمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية منهما وقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الخ استيناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرئ تكون بالتاء اعتبارا لتانيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي من مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلاثة او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا لنفي الجنس اينما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت باختلاف الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا راوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وذكره عليه السلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه عليه السلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها وبئس المصير اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في

اذ نهيتم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول كما يفعله المنافقون وقرئ
فلا تنجوا وفلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء
عن معصية الرسول عم واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم
بكل ما تأتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم والعدوان من الشيطان لا من
غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم
انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين شيئا من الاشياء او شيئا من
الضرر الا باذن الله اي بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم فانه تعالى يعصمهم من شره
وضرره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح
عني اي تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى في المجالس متعلق بقيل وقرئ في المجلس على ان المراد به الجنس
وقيل مجلس الرسول عم وكانوا يتضامون تنافسا في القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس
القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم
على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعا اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه
فافسحوا يفسح الله لكم اي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل
انشزوا اي انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلوة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا
فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر في الدنيا
والايواء الى غرف الجنان في الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثرى العلم
والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضي للعمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه
وان كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم
على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل بالامر وقرئ
يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول في بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته
عم فقدموا بين يدي نجواكم صدقة اي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم
الرسول عم وانفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب
الدنيا واختلف في انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة
لكنه متراخ عنه نزولا وعن علي رضي الله عنه ان في كتاب الله آية ما عمل بها احد غيري كان لي دينار
فصرفته فكنت اذا ناجيته عم تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء
مناجاة في مدة بقائه اذ روي انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اي التصدق خير لكم واطهر اي
لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
منبئ عن الوجوب لانه رخص لمن لم يجد في المناجاة بلا تصدق أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات اي اخفتم الفقر من تقديم الصدقة او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع
صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه
وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها
من المضي وقيل بمعنى اذا كما في قوله تعالى اذ الاغلال في اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلوة وآتوا
الزكوة اي فاذا فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقة فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
واطيعوا الله ورسوله في ساير الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع من ذلك من التفريط والله خبير
بما تعملون ظاهرا وباطنا ألم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء ويناصحونهم
وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اي ألم تنظر الى الذين تولوا اي والوا قوما غضب الله عليهم وهم اليهود
كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون
بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اي يقولون والله انا لمسلمون وهو
عطف على تولوا داخل في حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه

بتشبيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيد لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما
يعلم انه كذب في غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلم
روي انه عم كان في حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان
فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له رسول الله صلى الله عم على م تشتمني انت واصحابك
فحلف بالله ما فعل فقال له عم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله تع ما سبوه فنزلت اعد الله لهم
بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطا ول
فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليها اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرئ
بكسر الهمزة اي ايمانهم الذي اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية دون دمائهم واموالهم فالاتخاذ
على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى فهي عبارة عن اعدادهم لايمانهم
الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المواخذة لا عن استعمالها بالفعل
فان ذلك متأخر عن المواخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل
المواخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا اي الناس عن سبيل الله في خلال
امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد
ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله اي من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بانفسنا واموالنا
واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اي ملازموها ومقارنوها هم فيها
خالدون لا يخرجون منها ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون
له اي لله تع يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون في الآخرة انهم بذلك الايمان
الفاجرة على شيء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن
ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون في الكذب الى غاية لا
مطمح وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب
لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اي استولى عليهم من حاذت الابل اذا استوليت
عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل فانساهم ذكر الله بحيث لم يذكروه
بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبايح حزب الشيطان اي جنوده واتباعه الا ان
حزب الشيطان هم الخاسرون اي الموصوفون بالخسران الذي لا غاية وراءه حيث فوتوا على انفسهم النعيم
المقيم واخذوا بدله العذاب الاليم وفي تصدير الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق واظهار المضافين معا
في موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التاكيد ما لا يخفى ان الذين يحادون الله
ورسوله استئناف مسوق لتعليل ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز
الصلة على ان موجب الخسران ما ذكر من المحادة اولئك الموصوفون بما ذكر
في الاذلين اي في جملة من هو اذل خلق الله تعالى من الاولين والآخرين لان ذلة احد
المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك
كتب الله استئناف وارد لتعليل كونهم في الاذلين اي قضى واثبت في اللوح وحيث جرى
ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما
ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وقرئ رسلي بفتح الياء ان الله قوي على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه في مراده لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر الخطاب للنبي صلى الله عم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون
من حاد الله ورسوله مفعوله الثاني او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة اخرى
له اي قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله ورسوله والمراد بنفي
الوجدان نفي الموادة على معنى انه لا ينبغي ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد في طلبه

كل احد ولو كانوا اى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم اى
الموادين او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام فى لو قد مر
على التفصيل مرارا اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كانوا اقرب الناس اليهم وامسهم رحما وما فيه من
معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره كتب فى قلوبهم الايمان اى اثبته فيها وفيه دلالة على خروج
العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولا شئ من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم
اى قواهم بروح منه اى من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان
لحيوة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى ويدخلهم الخ بيان لآثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية
اى ويدخلهم فى الآخرة جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابد الآبدين وقوله تعالى رضى الله عنهم
استيناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ورضوا عنه بيان
لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به تعالى
وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين والكلام فى تحلية
الجملة بفنون التأكيد كما مر فى نظيرتها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب
الله تعالى يوم القيمة

سورة الحشر وهى عشرون واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام فى صدر سورة الحديد وقد
كرر الموصول هنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روى انه عليه السلام لما قدم المدينة
صالح بنى النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرائيل انتظارا لبعثة
النبى صلى الله عليه وسلم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه السلام يوم بدر قالوا هو النبى الذى
نعته فى التورية لا ترد له راية فلما كان احد ما كان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين
راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله عليه السلام فامر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا
غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عشرة
ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابى المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم
لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين
ليلة فلما قذف الله تعالى فى قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان
يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين
منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله
ما فى السموات الى قوله والله على كل شئ قدير وقوله تعالى هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة
الباهرة على الاطلاق والضمير راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة
تامة من المقام او على جعله مستعارا لاسم الاشارة كما فى قوله تعالى قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به اى بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج كأنه فى الجلد توليع البهق
كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذى اخرج الخ ففيه اشعار بان فى الاخراج حكمة
باهرة وقوله تعالى لاول الحشر اى فى اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول
من اخرج من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر رضى الله عنه اياهم من
خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا
من ديارهم لهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اى ظنوا
ان حصونهم تمنعهم او مانعتهم من بأس الله وتغيير النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على
كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم فى انفسهم انهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها باحد يتعرض لهم
او يطمع فى معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لأن وحصونهم مرتفعا على الفاعلية فأتاهم الله اى

امر الله تعالى وقدره المقدور لهم من حيث لم يحتسبوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف
فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمانينة وقيل الضمير فى اتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين
اى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى فآتاهم الله العذاب او النصر وقذف فى قلوبهم الرعب اى اثبت
فيها الخوف الذى يرعبها اى يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة
افواه الازقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل
النقل وايدى المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال
ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير
للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل او ترك الشئ خرابا والتخريب النقض
والهدم فاعتبروا يا اولى الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدى
اليه الافكار واتقوا مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصى او انتقلوا من حال الفريقين الى حال انفسكم
فلا تعولوا على تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل
فى موقعه ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اى الخروج عن اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم فى الدنيا
بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الآخرة عذاب النار استيناف غير متعلق بجواب لولا جئ به
لبيان انهم ان نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة ذلك اى ما حاق بهم وما
سيحيق بانهم بسبب انهم شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ
يشاقق الله كما فى الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه السلام وليوافق قوله تعالى
فان الله شديد العقاب وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اى شديد العقاب
له او تعليل للجزاء المحذوف اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها
وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى كانه قيل ذلك الذى حاق بهم من العقاب العاجل
والآجل بسبب مشاقتهم لله ورسوله وكل من يشاق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم
عقاب شديد ما قطعتم من لينة اى اى شئ قطعتم من نخلة وهى فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو
لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهى النخلة الكريمة او تركتموها الضمير
لما وتانيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها
كما كانت من غير ان تتعرضوا لها بشئ ما وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه جمع كرهن
وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله فذاك اى قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزى الفاسقين
اى وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها وتركها لانهم اذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى اموالهم كيف احبوا
ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم
ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان
لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وان كانت هى الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى
وما افاء الله على رسوله شروع فى بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل
والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع اى ما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان
حقيقا بان يكون له عليه السلام وانما وقع فى ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى رسوله ليتوسلوا به الى عبادته فهو
جدير بان يكون للمطيعين منهم اى من بنى النضير فما اوجفتم عليه اى فما اجريتم على تحصيله وتغنمه من
الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب وهو ما يركب من الابل خاصة كما ان الراكب عندهم راكبها
لا غير واما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحد منها راحلة والمعنى ما قطعتم
لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت قراهم على ميلين من المدينة
فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبى صلى الله عليه وسلم فافتتحها صلحا من غير ان يجرى بينهم مسايفة كانه قيل
وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اى
سنته تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبى صلى الله عليه وسلم على هؤلاء تسليطا

عزمعنا دون غيران تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في اموالهم والله على كل شيء قدير
فيفعل ما يشاء كما يشاء تارة على الوجوه المعتادة واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على رسوله من
اهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاته عليه عم من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق واعادة عين العبارة
الاولى لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم ايضا فلله وللرسول ول
ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء فقيل تسدس لظاهر الاية ويصرف
سهم الله الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل تخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان سهم الرسول عم
الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل تخمس خمسه كالغنيمة
فانه عم كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء الان على الخلاف المذكور كيلا يكون اي الفيء
الذي حقه ان يكون للفقراء يعيشون به دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهي ما يدول للانسان اي يدور من
الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم من الملك بكسرها او بالضم في المال وبالفتح
في النصرة اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون به او كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فان الرؤسا
منهم كانوا يستاثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف
فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح
بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ
دولة بالرفع على ان كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني وما اتاكم الرسول اي ما اعطاكم
من الفيء او من الامر فخذوه فانه حقكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن تعاطيه
فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته عم ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره وقوله للفقراء المهاجرين
بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول عم لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوي القربى خص الابدال
بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف ظاهر الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث
اضطرهم كفار مكة احوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فاخرجوهم منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا
اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الاخرة وصفوا اولا بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج
من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون
فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين
الى المدينة نصرة واي نصرة اولئك الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون الراسخون في الصدق
حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا بينا والذين تبوءو الدار والايمان كلام مستانف مسوق لمدح الانصار
بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضى واكمله ومعنى تبوئهم
الدار انهم اتخذوا المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل
ضمن التبوء معنى اللزوم وقيل تبوءو الدار واخلصوا الايمان كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا او
وقيل المعنى تبوءو دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه
اللام وقيل سمى المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشاه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على الحذف
الاول ومن قبل تبوء المهاجرين على الاخرين ويجوز ان يجعل اتخاذ الايمان مباءة ولزومه واخلاصه
على المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب
في تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا
اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم
اليهم لمحبتهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اي في نفوسهم حاجة اي شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه
حاجتك اي ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اي مما اوتي
المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون اي يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش
حتى ان من كان عنده امراتان كان ينزل عن احديهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اي
حاجة وخلة واصلها خصاص البيت وهي فرجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان

وكان النبي صلى الله عم اذ قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة
وسماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم
وشاركتموهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار
بل نقسم لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله تعالى
والذين تبوءو الدار الخ مستانف غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك
فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون
وما عطف عليه استينافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير تبوءو ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر
وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل ومن
يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك اشارة
الى من باعتبار معناها العام المنتظم للمذكورين انتظاما اوليا هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب
الناجون عن كل مكروه والجملة اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد
والذين جاءوا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد ما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم
المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين واياما كان
فالموصول مبتدا خبره يقولون الخ والجملة مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم
لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار
اي يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اي في الدين الذي هو اعز واشرف عندهم من النسب الذين
سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا غلا وقرئ غمرا وهما الحقد
للذين امنوا على الاطلاق ربنا انك رءوف رحيم اي مبالغ في الرافة والرحمة فحقيق بان تجيب دعاءنا الم
تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال الفاسدة
وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الخ استينافا لبيان المتعجب منه وصيغة
المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين
كفروا من اهل الكتاب للتبليغ والمراد باخوتهم اما توافقهم في الكفر او صداقتهم وموالاتهم واللام
في قوله تعالى لئن اخرجتم موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اي
والله لئن اخرجتم [illegible] لنخرجن معكم [illegible] ولا نطيع فيكم اي في شانكم
احدا يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان طال الزمان وقيل لا نطيع في قتالكم او خذلانكم
[illegible] لان تقدير القتال مترقب بعد ولان وعدهم لهم على تقدير القتال [illegible]
[illegible] وان قوتلتم لننصرنكم اي لنعاوننكم
[illegible]
والله يشهد انهم لكاذبون [illegible]
لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم [illegible]
[illegible] ولئن نصروهم [illegible] ليولن الادبار [illegible] ثم لا ينصرون [illegible]
[illegible] لانتم اشد رهبة [illegible]
[illegible] في صدورهم من الله [illegible]

رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندكم رهبة عظيمة من الله تعالى ذلك اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم
اشد من رهبة الله تعالى بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اى شيئا حتى يعلموا عظمة الله تعالى
فيخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم اى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اى مجتمعين
متفقين فى موطن من المواطن الا فى قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان
يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وجدر بفتح الدال وجذر وجذر
وهما الجدار باسهم بينهم شديد استئناف سيق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى انفسهم
فان باسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله تعالى فى قلوبهم
من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم اى ما ذكر من
تشتت قلوبهم بسبب انهم قوم لا يعقلون اى لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم
وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقهم
وتفرق فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعجل بهم الى الشدائد
وقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين
كمثل اهل بدر او بنى قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بنى النضير قريبا فى زمان قريب وانتصابه
بمثل اذ التقدير كوقوع مثل الخ ذاقوا وبال امرهم اى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب
اليم لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك فى الدنيا والآخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم
بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه
خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهى اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم
اخرا وقد اجمل فى النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين
ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كلا من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود فى حلول
العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين فى اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر اى اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور على المأمور به فلما كفر قال انى برئ منك
وقرئ انا برئ منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبرى من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبئ عنه قوله
انى اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله اكفر عبارة عن قول ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم
من الناس وانى جار لكم وقوله انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله الآية فكان
عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما فى النار وقرئ بالعكس وقد مر انه اوضح خالدين فيها وقرئ
خالدان فيها على انه خبر ان وفى النار لغو وذلك جزاء الظالمين اى الخلود فى النار جزاء الظالمين على
الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اى فى كل ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس
ما قدمت لغد اى اى شئ قدمت من الاعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة
غده وتنكيره للتفخيم والتهويل كانه قيل لغد لا يعرف كنهه لغاية عظمه واما تنكير نفس فلاستقلال
الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل ولتنظر نفس واحدة فى ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد
او الاول فى اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من الامر بالعمل وهذا فى ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله
تعالى ان الله خبير بما تعملون اى من المعاصى ولا تكونوا كالذين نسوا الله اى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه
حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اى جعلهم ناسين
لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او اراهم يوم القيامة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم
الفاسقون الكاملون فى الفسوق لا يستوى اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار و
اصحاب الجنة الذين اتقوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقديم اصحاب النار فى الذكر للايذان من
اول الامر بان القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم
الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره
بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير ام هل تستوى الظلمات والنور الى غير

الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل
فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة فى الآية الكريمة على ان
المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين بالقهر لان المراد عدم الاستواء فى الاحوال الاخروية
كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم
الفائزون فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اى هم الفائزون بكل مطلوب الناجون
من كل مكروه لو انزلنا هذا القرآن العظيم الشان المنطوى على فنون القوارع على جبل من الجبال
لرايته مع كونه علما فى القسوة وعدم التاثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله اى متشققا
منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القرآن وقوة تاثير ما فيه من المواعظ كما ينطق
به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه وعدم
تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذى لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اى ما
غاب عن الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على الشهادة
لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم
هو الله الذى لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ فى النزاهة عما يوجب
نقصانا ما وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة
المؤمن واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شئ مفيعل
من الامن بقلب همزته هاء العزيز الغالب الجبار الذى جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اى اصلحها
المتكبر الذى تكبر عن كل ما يوجب حاجة او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما
يشركون تنزيه له تعالى عما يشركون به تعالى او عن اشراكهم به تعالى اثر تعداد صفاته التى لا يمكن ان
يشارك تعالى فى شئ منها شئ ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد
لها بريا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور الموجد لصورها وكيفياتها
كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعانى الحسنة يسبح له ما فى السموات والارض ينطق بتنزهه
عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع كثرتها وتشعبها راجعة
الى الكمال فى القدرة والعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر

سورة الممتحنة وهى اربع عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة وذلك انه لما
تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم
فخذوا حذركم وارسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد رضى الله عنهم وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان
بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها
ثمة فجحدت فسل على سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال
ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرءا ملصقا
فى قريش ليس فيهم من يحمى اهلى فاردت ان اخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لا يغنى عنهم شيئا
فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اى توصلون اليهم المودة على ان الباء
زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبى صلى الله عليه وسلم بسبب
المودة التى بينكم وبينهم والجملة اما حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير فى الصفة
الجارية على غير من هى له انما يشترط فى الاسم دون الفعل او استئناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال
من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا وقرئ لما جاءكم اى كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب
الايمان سببا للكفر يخرجون الرسول واياكم اى من مكة وهو اما حال من فاعل كفروا او استئناف
مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه

لتغليب المخاطب على الغائب والالتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ اى تسرون اليهم المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم اى والحال انى اعلم منكم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي على ما تسرون فاى طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اى الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اى ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اى يظهروا ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم من القتل والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادتهم قبل ان يثقفوهم ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم يوم القيمة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الاخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرئ يفصل مبنيا للمفعول ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به قد كانت لكم اسوة حسنة اى خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابرهيم والذين معه اى من اصحابه المؤمنين صفة ثانية لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا برآء منكم جمع برئ كظريف وظرفاء وقرئ براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة ومما تعبدون من دون الله من الاصنام كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم ولا بآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اى هذا دأبنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عم لابيه الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما سيأتي من قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه عن الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا واما تعليل عدم كون استغفاره عم لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه فبمعزل من السداد لان ابتناءه على تناول النهي لاستغفاره له وابتناءه عن كونه مؤتسى به لو لم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهي هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عم لابيه كان قبل ذلك قطعا وان ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله في الجملة ويجوز ان يكون استغفاره له بعد النهي كما هو المفهوم من ظاهر قوله او لموعدة وعدها اياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الاية لانها كانت هي الحاملة له عم على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع في سورة مريم من قوله سأستغفر لك ربي لورودها على طريق التوكيد القسمي واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب النهي على تناول الامر فقد مر تحقيقه في سورة التوبة وقوله تعالى وما املك لك من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك اى استغفر لك وليس في طاقتي الا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى الله تعالى وقوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير الخ من تمام ما نقل عن ابرهيم عم ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع امورهم لا سيما

سيما في مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه واغفر لنا ما فرط منا من الذنوب ربنا انك انت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجأ اليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار هذا واما جعل الاثنين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وامرا لهم بان يتوكلوا عليه وينيبوا اليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اى في ابرهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء به عم ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الاخر لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اى من اقاربكم المشركين مودة بان يوفقهم في الدين وعدهم الله بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين والتشدد في معاداة اباءهم وابنائهم وسائر اقاربهم ومقاطعتهم اياهم بالكلية تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم الفتح فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم والله قدير اى مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى ان تبروهم بدل من الموصول وتقسطوا اليهم اى تفضوا اليهم بالقسط اى العدل ان الله يحب المقسطين اى العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تاذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل اشتمال من الموصول اى انما ينهاكم عن ان تتولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب يا ايها الذين امنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لالسنتهن في الايمان روي ان رسول الله صلى الله عم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما في قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد الحلف والتي من الاستدلال بالعلائم والدلائل والامارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة لقوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما لتأكيد الحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الاول والثاني لبيان امتناع النكاح الجديد واتوهم ما انفقوا اى واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة والنبي صلى الله عم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت بيانا ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما يعتصم به من عقد وسبب اى لا يكن بينكم

وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي الله عنه من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها
من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم
بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من
تتمسكوا واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات
ذلكم الذي ذكر حكم الله وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه
الله او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الآية
ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا
من مهور الكوافر الى ازواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم
الى الكفار اي احد من ازواجكم وقد قرئ كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم
او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين
والكافرين من اداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة التي
تزوجها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاخذتم من الكفار عقبى وهي الغنيمة فآتوا
بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وكسرها
قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وفاطمة بنت امية
وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم بنت جرول واتقوا الله الذي انتم
به مؤمنون فان الايمان به تع يقتضي التقوى منه تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك اي
مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه عم لما فرغ عن بيعة الرجال شرع في بيعة النساء
على ان لا يشركن بالله شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
اولادهن اريد به واد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين
يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف اي فيما
تامرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان الرسول عم لا يامر الا به للتنبيه على
انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن لكثرة وقوعها فيما
بينهن مع اختصاص بعضها بهن فبايعهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور اصالته في المبايعة
من الصلوة والزكوة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن
على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة على ما في ضمن
المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله عم بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله
غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف
في كيفية مبايعته عم لهن يومئذ فروي انه عم لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رض
اسفل منه فجعل عم يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امراة وقفت على الصفا
فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن وروي انه عم بايعهن وبين يديه
وايديهن ثوب قطري والاظهر الاشهر ما قالت عائشة رضي الله عنها ما اخذ رسول الله على النساء قط الا
بما امره الله تعالى وما مست كف رسول الله صلى الله عم كف امراة قط وكان يقول اذا اخذ عليهن قد
بايعتكن كلاما وكان المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عم يمتحنهن بقول الله عز وجل يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات الى آخر الآية فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها
الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في
بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم
بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت في التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب

القبور اي كما يئس منهم الذين ماتوا منهم لانهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من
نعيمها المخصوص وابتلاءهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من ابنائهم
ان يبعثوا او يرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موضع الاضمار للدلالة على كفرهم عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة سورة الصف وهي اربع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم الكلام فيه كما في الذي سبق نظيره يا ايها الذين
آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيه اموالنا
وانفسنا فانزل الله الجهاد فكرهوه فنزلت وقائل بن ان الناس لقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا بن الاختلاف وروي انهم قالوا يا رسول الله لو نعلم احب الاعمال الى الله لسارعنا اليه
فنزلت هل ادلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد
وفيه الزام ان ترتيب الايات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر
قالت الصحابة اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها
نزلت فيمن يتمدح كاذبا حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان
الرجل فيدا في المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت
في المنافقين وبدا وهم بالايمان نكثهم بهم وبايمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة
وما الاستفهامية قد حذفت الفها تخفيفا لكثرة استعمالهما معا كما في عم وبم ونظائرهما معناها
لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة
عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الموعود
بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر
هو ترك الموعود كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بيان لغاية قبح ما فعلوه وفرط سماجته
وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه
التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التمييز دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون
مقت خالص لا شوب فيه كبر عنه من يحقره ونه كل عظيم وقوله تع ان الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في ان ما قالوه
عبارة عن الوعد بالقتال لا عما نقل له الممتدح او انتحله او ادعاه المنافق وان مناط التعيير والتوبيخ
هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بفتح التاء ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع
الفاعل او المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله
تعالى كانهم بنيان مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير
فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورص حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى
لقومه كلام مستانف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب
به النبي صلى الله عم بطريق التلوين اي واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبني
اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا
على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بامره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا يا موسى ان فيها
قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون الى قوله فاذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك وآذوه كل الاذية يا قوم لم تؤذونني
اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقوله تعالى وقد تعلمون اني رسول الله اليكم جملة حالية
موكدة لانكار الايذاء ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره اي و
الحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي معظمها اهلاك
عدوكم وانجاؤكم من ملكته اني رسول الله اليكم لارشدكم الى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك

ان تبالغوا فى تعظيمى وتسارعوا الى طاعتى فلما زاغوا اى اصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عم
واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اى صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى
والضلال وقوله تعالى والله لا يهدى القوم الفاسقين اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله من الازاغة
ومؤذن بعلته اى لا يهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية
موصلة الى البغية لا هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها شاملة للكل والمراد بهم اما المذكورون
خاصة والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به او جنس الفاسقين وهم داخلون
فى حكمهم دخولا اوليا وايا ما كان فوصفهم بالفسق ناظر الى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
وقوله عم فلا تأس على القوم الفاسقين هذا هو الذى يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق
السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من انهم كانوا يؤذونه عم بانواع الاذى من انتقاصه
وعيبه فى نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله
جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه فمما لا تعلق له بالمقام وقوله تعالى واذ قال عيسى بن
مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما معمول لمضمر معطوف على عاملها يا بنى اسرائيل ناداهم
بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة
فان تصديقه عم اياها من اقوى الدواعى الى تصديقهم اياه وقوله تعالى ومبشرا برسول يأتى من بعدى
معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عم مثله من حيث ان البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما
ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه
يدور العمل اى ارسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى من التوراة ومبشرا بمن يأتى من بعدى من رسول
اسمه احمد اى محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر
وقرئ من بعدى بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اى بالمعجزات الظاهرة قالوا هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء
به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب
وهو يدعى الى الاسلام اى اى الناس اشد ظلما ممن يدعى الى الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين
فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله تعالى بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر اى هو
اظلم من كل ظالم وان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى وقد مر بيانه غير مرة وقرئ يدّعى يقال دعاه
وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم لعدم توجههم
اليه يريدون ليطفئوا نور الله اى يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة واللام مزيدة
لما فيها من معنى الارادة تأكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تأكيدا لها فى لا اباً لك او يريدون
الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه
والله متم نوره اى مبلغه الى غايته بنشره فى الآفاق واعلائه وقرئ متمٌّ نورَه بلا اضافة ولو كره
الكافرون اى ارغاما لهم والجملة فى حيز الحال على ما يتبين مرارا هو الذى ارسل رسوله بالهدى اى بالقرآن
او بالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد
انجز الله تعالى وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام
ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذى ارسل نبيه يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة
تنجيكم من عذاب اليم وقرئ تنجّيكم بالتشديد وقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى
سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع
فقيل تؤمنون بالله الخ وهو خبر فى موضع الامر جئ به للايذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر
بوقوعه ويؤيده قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام
الامر ذلكم اشارة الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا خير
لكم على الاطلاق او من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم
او ان كنتم تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد

والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون يغفر لكم جواب الامر المدلول عليه بلفظ الخبر
او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم
وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة من ذنوبكم ويدخلكم جنات
تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك اى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنات
الموصوفة من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه واخرى اى ولكم الى هذه النعم العظيمة
نعمة اخرى عاجلة تحبونها وترغبون فيها وفيه تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى
منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى تقدير
النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب اى عاجل عطف على نصر على الوجوه المذكورة وقرئ نصرا وفتحا
قريبا على الاختصاص او على البدلية من اخرى على تقدير نصبها اى يعطكم نعمة اخرى نصرا وفتحا
وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه فى معنى امر قيل
آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا ايها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا يا ايها الذين
آمنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة لان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا
انتم انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله اى من جندى متوجها الى نصرة
الله تعالى كما يقتضيه قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين
الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اى كونوا
انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى
للحواريين والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا فآمنت طائفة من بنى
اسرائيل اى بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين
آمنوا على عدوهم اى قويناهم بالحجة او بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عم فاصبحوا ظاهرين
غالبين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى عليه السلام مستغفرا له
ما دام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

سورة الجمعة وهى اثنا عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات
الاربع بالرفع على المدح هو الذى بعث فى الاميين اى فى العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون
قيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا منهم اى كائنا من جنسهم
اميا مثلهم يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ويزكيهم صفة اخرى
لرسولا معطوفة على يتلو اى يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب
والحكمة صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة
عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل
بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة
للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر فى سورة البقرة
وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان
نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث النبوية من الشرائع والاحكام
وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم
وان هى المخففة واللام هى الفارقة وآخرين منهم عطف
على الاميين او على المنصوب فى يعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين منهم وهم الذين جاؤا بعد
الصحابة الى يوم الدين فان دعوته عم وتعليمه يعم الجميع لما يلحقوا بهم صفة لآخرين اى لم يلحقوا بهم
بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ فى العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا اميا من ذلك الامر
العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذى امتاز به من بين سائر الافراد فضل الله

يؤتيه من يشاء تفضلاً وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة مثل الذين حملوا التورية اي علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما في تضاعيفها من الآيات التي من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار يحمل اسفاراً اي كتباً من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل فيها معنى المثل او صفة للحمار اذ ليس المراد به معيناً فهو في حكم النكرة كما في قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبني بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله اي بئس مثلاً مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة القوم او بئس مثل القوم الذين كذبوا الخ على ان مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم الموصول بحذف المضاف اي بئس مثل القوم المكذبين مثل هؤلاء على ان الموصول صفة القوم والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا بما في التورية من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين الواضعين للتكذيب في موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اي تهودوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هوداً فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهاراً لكذبهم ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اي فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان كنتم صادقين في زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التي هي قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابداً اخبار بما سيكون منهم والباء في قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفي اي يأبون التمني بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في كل ما يأتون وما يذرون من الامور التي من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد كما يعرب عنه قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمني وقد قال عليه السلام لو تمنوا الماتوا من ساعتهم وهذه احدى المعجزات اي ان الموت الذي تفرون منه ولا تجسرون على ان تتمنوه مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم فانه ملاقيكم البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين آمنوا اذا نودي للصلوة اي فعل النداء لها اي اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل من بمعنى في كما في قوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض وانما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه للصلوة وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه لكل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى آية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجراً نزل قباء على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلوة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله تعالى وترك البيع خير لكم من مباشرتهما فان نفع الآخرة اجل

وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اي اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح والامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلوة التطوع واذكروا الله كثيراً ذكراً كثيراً او زماناً كثيراً ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلوة لعلكم تفلحون كي تفوزوا بخير الدارين واذا رأوا تجارة او لهواً انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه عليه السلام الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال عليه السلام والذي نفس محمد بيده لو خرجوا جميعاً لاضرم الله تعالى عليهم الوادي ناراً وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة او لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموماً فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهواً انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائماً اي على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

سورة المنافقون وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقاً وتمهيداً لما ابطل به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي وغير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضاً كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله اي فصدوا من اراد الدخول في الاسلام بانه عليه السلام ليس برسول ومن اراد الانفاق في سبيل الله بالنهي عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم يعني قوله تعالى فصدوا فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول الناعي عليهم انهم اسوأ الناس اعمالاً او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مراراً من الاشعار ببعد منزلته في الشر بانهم اي بسبب انهم آمنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ وطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلاً واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيماً فصيحاً يحضر

مجلس رسول الله صلى الله عم في نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان عم ومن معه يعجبون بهياكلهم و
يسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله
تع كأنهم خشب مسندة في حيز الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف او كلام مستأنف لا محل له شبهوا في جلوسهم في
مجالس رسول الله صلى الله عم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم
والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدنة وبدن وقيل هو جمع خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها اي
فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اي
واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب في قلوبهم وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك
استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي
العدو المكاشر الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان
مما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على
كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين
ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه
من الكفر والضلال واذا قيل لهم عند ظهور جناياتهم بطريق النصيحة تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا
رؤسهم اي عطفوها استكبارا ورأيتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون
عن ذلك سواء عليهم أستغفرت لهم كما اذا جاؤك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف
الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام للابانة لا لقلب همزة الوصل الفا ام لم
تستغفر لهم كما اذا اصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم
على الفسق ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة
الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اياهم باعيانهم والاظهار في موضع الاضمار لبيان غلوهم في
الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم
او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان
لهم ان ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم
انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله عم ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى خاصة يعطي
من يشاء ويمنع من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشؤونه ولذلك يقولون
من مقالات الكفر ما يقولون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي
ان جهجاه بن سعيد اجير عمر رضي الله عنه نازع سنانا الجهني حليف ابن ابي واقتتلا فصرخ جهجاه
يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فاشتكى
الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى
بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك
بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين
لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من فرط جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان
عبد الله بن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان مخلصا
وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال اشهد ان العزة لله ولرسوله
وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين آمنوا
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها
والتمتع بها عن الاشتغال بذكره تعالى من الصلوة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن
التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ ومن يفعل ذلك
اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي

بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم
ادخارا للآخرة من قبل ان يأتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم
المفعول على الفاعل للمسارعة الى بيان ما هو الاهم والتشويق الى ما هو مؤخر فيقول عند تيقنه بحلوله
رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ
فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محل فاصدق كأنه قيل ان اخرتني اصدق واكن
وقرئ واكون بالنصب عطفا على لفظه وقرئ واكون بالرفع اي وانا اكون عدة منه بالصلاح
ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي آخر عمرها او انتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من
اول العمر الى آخره والله خبير بما تعملون فمجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات
واستعدوا لما هو آت وقرئ يعملون بالياء التحتانية عن النبي صلى الله عم من قرأ سورة المنافقين
برئ من النفاق والله اعلم

سورة التغابن وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض اي ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب
كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه
وهو المولى لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله
جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم
خلقا بديعا حاويا لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اي فبعضكم او فبعض
منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ما تستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما
تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد
وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم
فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدر
كفره موجه اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام
والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الايمان والطاعة واياكم وما
يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية
والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث بركم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر
الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته
وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة واليه المصير
في النشأة الاخرى لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر
فيما خلقن له يعلم ما في السموات والارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم
ما تسرون وما تعلنون اي ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه
فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله
تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم
وعلنهم اي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه
وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم
لان دلالة المخلوقات على قدرته تعالى اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان
والاختصاص ببعض الانحاء ألم يأتكم ايها الكفرة نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن
بعدهم من الامم المصرة على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة
على امر من الامور وامرهم كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة
يا ايها الكفرة خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال امرهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب
اليم لا يقادر قدره ذلك اي ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة

بانه بسبب ان الشأن كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت أبشر
يهدوننا اى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من
جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر يهدوننا كما قالت ثمود أبشرا منا واحدا نتبعه وقد اجمل فى الحكاية
فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما اجمل الخطاب والامر فى قوله تعالى يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اى بالرسل وتولوا عن التدبر فيما أتوا به من البينات
وعن الايمان بهم واستغنى الله اى اظهر استغناءه عن ايمانهم وطاعتهم حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا
غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غنى عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد يحمده كل مخلوق
بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء
العلم يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما ان المخففة مع ما فى حيزها والمراد بالموصول كفار مكة
اى زعموا ان الشأن لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل ردا عليهم وابطالا لزعمهم باثبات ما نفوه
بلى اى تبعثون وقوله تعالى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اى لتحاسبن ولتجزون
باعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الامر واردة لتأكيد ما افاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان
تحقق امر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين وذلك اى ما ذكر
من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء فى قوله تعالى
فآمنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اى اذا كان الامر كذلك فآمنوا
بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذى انزلنا وهو القرآن فانه باعجازه بين بنفسه مبين لغيره
كما ان النور كذلك والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بأمر الانزال والله بما تعملون
من الامتثال بالامر وعدمه خبير فيجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من الامر موجب
للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة
يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل للخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله يجازيكم ويعاقبكم
يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون
اى لاجل ما فيه من الحساب والجزاء ذلك يوم التغابن اى يوم غبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء
منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفى الحديث ما من عبد يدخل النار الا ارى مقعده من الجنة
لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن فى الحقيقة هو الذى
يقع فيه لا ما يقع فى امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر اى الله عز وجل
وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيامة ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا وقرئ ندخله بالنون ذلك اى ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذى
لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم الهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اى النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين
بيان لكيفية التغابن ما اصاب من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اى بتقديره وارادته
كأنها بذاتها متوجهة الى الانسان متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند
اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه
وقيل يهد قلبه اى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول
ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه بالهمزة اى يسكن والله بكل شئ من الاشياء
التى من جملتها القلوب واحوالها عليم فيعلم ايمان المؤمن ويهدى قلبه الى ما ذكر واطيعوا الله واطيعوا
الرسول كرر الامر للتأكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى
قوله تعالى فان توليتم اى عن اطاعة الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل
لجواب الشرط المحذوف اى فلا بأس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد
عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة فى مقام اضماره لتشريفه عليه السلام والاشعار بمدار

بمدار الحكم الذى هو كونه وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه الله لا اله الا هو جملة
من مبتدأ وخبر اى هو المستحق للمعبودية لا غيره وفى اضمار خبر لا مثل فى الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة
معروف وعلى الله اى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة
فى موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق
عما سواه بالمرة يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى ويخاصمونكم
فى امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لى او للازواج
والاولاد جميعا فالمأمور به على الاول الحذر عن الكل وعلى الثانى الحذر عن البعض لان منهم من ليس
بعدو واما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان
تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا
باخفائها وتمهيد عذرها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا
من المؤمنين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم
ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا فى الدين فلما ارادوا ان يعاقبوا
ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتضيعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم
فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان
يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم من
حيث لا تحتسبون والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد
والسعى فى تدبير مصالحهم فاتقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه
واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقناكم فى الوجوه التى امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى
ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور
المذكورة خيرا لانفسهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للامر
اى يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مرام ان تقرضوا الله بصرف
اموالكم الى المصارف التى عينها قرضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرا
الى سبعمائة واكثر وقرئ يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب والله شكور
يعطى الجزيل بمقابلة النزر القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة لا يخفى
عليه خافية العزيز الحكيم البالغ فى القدرة والحكمة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن رفع
عنه موت الفجأة والله اعلم

سورة الطلاق وهى ثلث عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اذا طلقتم النساء تخصيص النداء به مع عموم الخطاب لامته ايضا لتشريفه عليه السلام واظهار جلالة
منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه اياهم وتغليبه عليهم
لان نداءه كندائهم فان ذلك لا اعتبار له لو كان فى حيز الرعاية لكان الخطاب هو الاحق به لشمول حكمه للكل
قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة فطلقوهن لعدتهن اى
مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المرأة اذا طلقت فى طهر يعقبه القرء الاول
من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى
عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله فى السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة قروء
كوامل واتقوا الله ربكم فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للامر ومبالغة
فى ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضى عدتهن واضافتها
اليهن وهى لازواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها املاكهن ولا يخرجن ولو باذن
منكم فان الاذن بالخروج فى حكم الاخراج وقيل المعنى لا يخرجن باستبدادهن اما اذا اتفقا على الخروج
جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان يأتين بفاحشة مبينة استثناء من الاول قيل هى الزنا فيخرجن

لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الازواج فيحل اخراجهن ويؤيده قراءة الا ان يفحشن عليكم
او من الثاني تنبيها لغاية النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما ذكر من
الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد
منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله اي حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على
ان الاظهار في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اي اضر
بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استئناف
مسوق لتعليل مضمون الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي
الى خلافه فلابد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق
الضرر الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه
اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي
صلى الله عليه وسلم كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة
الامر لعل الله يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل
ببغضها محبة وبالاعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استئناف نكاح فاذا بلغن
اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن
بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم
عند الرجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن
الشافعي رحمه الله انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى
ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الآية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم
الآخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب
مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما ان ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود
الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم
يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عسى يقع في شأن الازواج من
الغموم والوقوع في المضائق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من وجه
لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ
به من كان يؤمن بالله الخ فالمعنى ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم
الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا اوليا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا
من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها
لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابني وشكى اليه الفاقة فقال عليه السلام اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم ففعل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو
فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة
اي منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ ونصب امره اي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ برفع
امره على انه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اي نافذ
امره وقرئ بالغا امره على انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اي تقديرا او توقيتا او مقدارا
وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق وغيره لا يكون الا
بتقديره لا يبقى الا التسليم للقدر والتوكل على الله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد
قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين ان ارتبتم اي شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة
اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن اي فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه واولات
الاحمال اجلهن اي منتهى عدتهن ان يضعن حملهن سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد

وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا
لتراخي نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء
القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة
زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في
شأن احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من امره يسرا اي يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة
الى ما ذكر من الاحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل
وافراد الكاف مع ان الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى امر الله انزله اليكم لما انها للفرق
بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان يؤمن
بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات
ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ
مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل اسكنوهن مسكنا من
حيث سكنتم اي بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم اي من وسعكم اي مما تطيقونه عطف بيان لقوله
من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن وتلجئوهن الى الخروج وان
كن اي المطلقات اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة اما المتوفى عنهن
ازواجهن فلا نفقة لهن فان ارضعن لكم بعد ذلك فآتوهن اجورهن على الارضاع وأتمروا بينكم
بمعروف اي تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة
ولا من الام معاسرة وان تعاسرتم اي تضايقتم فسترضع له اخرى اي فستوجد ولا تعوز مرضعة اخرى
وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله
وان قل اي لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها جل او قل
فانه تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده وقد اكد ذلك
بالوعد حيث قيل سيجعل الله بعد عسر يسرا اي عاجلا او آجلا وكأين من قرية اي كثير من اهل
قرية عتت اي اعرضت عن امر ربها ورسله بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا
بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا عظيما وقرئ نكرا
والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا هائلا لا خسر وراءه اعد الله لهم عذابا
شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا الله يا اولي
الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم
عاجلا وقد جوز ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى الذين
آمنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لعدم دخوله
محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن
كما ينبئ عنه ابداله قوله تعالى رسولا منه او لانه مذكور في السموات وفي الامم او اريد بالذكر الشرف كما
في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك كأنه في نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد
وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وعبر
عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه والتذكير به وعبر عن ارساله بالانزال بطريق
الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن ورسولا منصوب
بمقدر مثل ارسل او بذكرا على اعمال المصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة وقوله تعالى
يتلو عليكم آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها اي حال كونها مبينات
لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات
واللام في قوله تعالى ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات متعلق بيتلو او بانزل وفاعل يخرج على

الاول ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المومنين بعد انزاله اى بحصول الطهر الرسول والله تم هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم الله انه سيؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن يومن بالله ويعمل صالحا حسبما بين فى تضاعيف ما انزل من الآيات المبينات يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضماير الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير فى خالدين بطريق التداخل وافراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله تعالى المومنين من الثواب الله الذى خلق سبع سموات مبتدا وخبر ومن الارض مثلهن اى خلق من الارض مثلهن فى العدد وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدا ومن الارض خبره واختلف فى كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها سبع ارضين طبقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة وفى كل ارض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبى والاول اصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من ان كعبا حلف بالذى فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها وعن ابن عباس رضى الله عنه ان نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثانى انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء يتنزل الامر بينهن اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او بيتنزل او بمضمرٍ يعمهما اى فعل ذلك لتعلموا ان من قدر على ذلك قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اى اوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الامور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته وعلمه شيء ما اصلا وقرئ ليعلموا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

سورة التحريم وهى بسم الله الرحمن الرحيم اثنا عشر آيات

يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك روى ان النبى صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى علىّ فقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابا بكر وعمر رضى الله عنهما يملكان بعدى امر امتى فاخبرت عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وروى انه عليه السلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغى مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان ما دعاه اليه والله غفور بالغ فى المغفرة قد غفر لك هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يؤاخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم اى شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او بالاستثناء متصلا اخذا لا يحنث والاول هو المراد هنا والله مولاكم سيدكم ومتولى اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن فى افعاله واحكامه فلا يامركم ولا ينهاكم الا حسبما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبى الى بعض ازواجه هى حفصة حديثا وهو

حديث تحريم العسل او مارية او امر الخلافة فلما نبأت به اى اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ انبأت به واظهره الله عليه اى اطلع الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم على افشاء حفصة عرف اى النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بعضه بعض الحديث الذى افشته قيل هو حديث الامامة روى انه عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمى علىّ قالت والذى بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اى عن تعريف بعض تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها به اى اخبر النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انبأك هذا اى افشاءها الحديث قال نبأنى العليم الخبير الذى لا يخفى عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى العتاب فقد صغت قلوبكما الفا للتعليل كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق اى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وقرئ على الاصل وبتشديد الظاء وتظهرا اى وان تتعاونا عليه بما يسوؤه من الافراط فى الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اى فلن يعدم من يظاهره فان الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رضى الله عنهما اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رضى الله عنهما وقد روى ذلك مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وان جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان بيان مظاهرتهما له عليه السلام اشد تأثيرا فى قلوب بنتيهما وتوهينا لامرهما فكان حقيقا بالتقديم بخلاف ما اذا اريد به جنس الصالحين كما هو المشهور والملائكة مع تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم بعد ذلك اى بعد نصرة الله تعالى وناموسه الاعظم وصالح المؤمنين ظهير اى فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى وان نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم افضل من سائر وجوه نصرته هذا ما قالوه ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تدارك لما يوهمه الترتيب الذكرى من افضلية المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام ايذانا بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله اى يعطيه عليه السلام بدلكن ازواجا خيرا منكن على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه عليه السلام لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح فى النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصى وفعل الطاعات واهليكم بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم عبارة عن انفس الكل على تغليب المخاطبين اى قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اى نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير عليها ملائكة اى تلى امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اى امره على انه بدل اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع الخافض اى لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون اى يؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اى

بيان لطهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من
الكفر والمعاصي بعدما نهيتم عنها اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين آمنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الاسناد المجازي وهو وصف
التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فياتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين
عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح موطنين انفسهم على
ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا عن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب
الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك
في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن شهر بن
حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة ترفو خروقك
في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي
تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقرئ توبا نصوحا
وقرئ نصوحا اي توبوا لنصح انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار ورود صيغة الاطماع للجري على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير
موجبة له وان العبد ينبغي ان يكون بين خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظائف العبادة يوم لا يخزي الله
النبي ظرف ليدخلكم والذين آمنوا معه عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق
واستحماد للمؤمنين على انه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدا خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم على الصراط وهو على الاول استئناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون الخ وعلى الثاني خبر آخر للموصول
اي يقولون اذا طفئ نور المنافقين ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل يدعون تقربا
الى الله تع مع تمام نورهم وقيل يتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى
الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا
نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين
فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة ومأواهم جهنم سيرون فيها عذابا غليظا وبئس المصير اي جهنم او مصيرهم
ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه المواقع عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى
مشاكلة لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا وما لا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام
متعلقة به وقوله تعالى امرأة نوح وامرأة لوط اي حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير
لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية
لهما الى الخير والصلاح اي كانتا في عصمة نبيين عظيمي الشان متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والاخرة وحيازة
سعادتهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة
النبي اي خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة في خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الخ بيان لما ادى اليه خيانتهما اي فلم
يغن النبيان عنهما بحق الزواج من الله اي من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء وقيل لهما عند
موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع الداخلين اي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء
وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت اعدى اعداء الله وهي دين الانبياء وضرب الله مثلا للذين
آمنوا امرأة فرعون اي جعل حالها مثلا لحال المؤمنين في ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت في الدنيا
تحت اعدى اعداء الله وهي في اعلى غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اشير اليه اي ضرب الله
مثلا للمؤمنين حالها اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة قريبا من رحمتك او في اعلى درجات
المقربين روي انها لما قالت ذلك اريت بيتها في الجنة من درة وانتزع روحها ونجني من فرعون وعمله
اي من نفسه الخبيثة وعمله السيء ونجني من القوم الظالمين من القبط التابعين له في الظلم ومريم ابنت عمران
عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اي وضرب مثلا للذين آمنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا

الدنيا والاخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التي احصنت فرجها فنفخنا فيه
وقرئ فيها اي في مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه
المنزلة وبما اوحي الى انبيائه وكتبه وجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى وبالكتاب
المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب و
الاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هرون
اخي موسى عليهما السلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت
مزاحم ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على
سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله تعالى توبة نصوحا

سورة الملك وهي مكية وآياتها ثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا و
نسبتها الى الله تعالى على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته و
افعاله وصيغة التفاعل للمبالغة في ذلك فان ما لا يتصور نسبته اليه تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما
تنسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات
والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب
حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وابانتها عن نهاية التعظيم
لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تبارك وتعالى واسنادها الى الموصول
للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اي تعالى وتعاظم
بالذات عن كل ما سواه ذاتا وصفة وفعلا الذي بقبضة قدرته التصرف الكلي في كل الامور وهو على كل شيء قدير
مبالغ في القدرة عليه يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة
لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى في جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى الذي خلق الموت والحياة
شروع في تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائهما على قوانين الحكم والمصالح واستتباعهما
لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه في حكم الشهادة بتعاليه تع والموت عند اصحابنا
[illegible]

كلا احسان المحسنين مع تحقق أصل الايمان والطاعة في الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له وأما الاعراض
عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام في سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو
عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم
ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذي لا يفوته من اساء العمل
الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او
رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما مر تفصيله في قوله تعالى
الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما في سلك الشهادة بتعاليه سبحانه ومع الموصول الثاني في
كونه مدار البلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اي مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا
خصفتها وصف به للمبالغة او مصدر مؤكد لمحذوف هو صفتها اي طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم
وانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان في ابداعها نعما جليلة او استئناف والخطاب للرسول عليه السلام
او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد النفي اي ما ترى فيه شيئا من تفاوت اي اختلاف وعدم تناسب من
التفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى
فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبيب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت في خلقهن ثم قيل
ارجع البصر حتى يتضح لك ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر
وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكثير
والتكرير كما في لبيك وسعديك اي رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا اي بعيدا محروما
من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وهو حسير اي كليل لطول
المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات في غاية الحسن والبهاء
اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اي وبالله لقد
زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اي بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت
تتراءى كانها كلها مركوزة فيها مع ان بعضها في سائر السموات وما ذاك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق
تحار في فهمه الافكار وطراز فائق يهيم في دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة
اخرى هي رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما
بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا
لهم في الآخرة عذاب السعير بعد الاحراق في الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم
عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس المصير اي جهنم اذا القوا
فيها سمعوا لها شهيقا اي لجهنم وهو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه في الاصل صفة فلما قدمت
صارت حالا اي سمعوا كائنا لها شهيقا اي صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع كما ان الشهيق في
الصدر والزفير في الحلق وهي تفور اي والحال انها تغلي بهم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق لاهلها منهم وممن
طرح فيها قبلهم كما في قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يرده قوله تعالى تكاد تميز اي تتميز وتتفرق من
الغيظ اي من شدة الغضب عليهم فانه صريح في انه من آثار الغضب عليهم كما في قوله تعالى سمعوا لها
تغيظا وزفيرا فاين هو من شهيقهم الناشئ من شدة ما يلقونه من العذاب الاليم والجملة اما حال
من فاعل تفور او خبر آخر وقوله تعالى كلما القي فيها فوج استئناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان
حال نفسها وقيل حال من ضميرها اي كلما القي فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ و
التقريع الم يأتكم نذير يتلو عليكم آيات ربكم وينذركم
لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر وبه يرد عنه جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح عللهم بالكلية
بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير

النذير وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لبيان ما وقع منهم من التفريط تندما واغتماما
على ذلك اي قال كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل
فانهم في حكم نذير واحد فانذرنا وتلى علينا ما نزل الله تعالى عليه من آياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيرا
من جهته تعالى وقلنا في حق ما تلاه من الآيات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل الله على احد
من شيء من الاشياء فضلا عن تنزيل الآيات عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم آيات
تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيرهم للتغليب
على انبائه مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه
ملوح بعمومه حتما واما اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه بنوع ما
ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة
اجماع الانبياء على ما لا يختلف من الشرائع والاحكام باختلاف العصور هذا اذا جعل ما ذكر حكاية عن كل واحد
من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف عام
اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلا طرفي الخطاب في الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحد الوجوه الثلاثة
على التقدير الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد
جوز ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في
الدنيا او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة
فتامل وكن على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع كلاما او نعقل
شيئا ما كنا في اصحاب السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم
عذاب السعير كأن الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا آيات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا
بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم الذي هو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله فسحقا بسكون الحاء
وقرئ بضمها مصدر مؤكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قولك عمرك الله اي فاسحقهم الله اي ابعدهم
من رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم الله فسحقوا اي بعدوا سحقا اي بعدا
كما في قول من قال ۞ وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ۞ من المال الا مسحتا او مجلف ۞ اي لم
يدع فلم يبق الا مسحت الخ وعلى مذهب ابي الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى فسحقا
لاصحاب السعير للبيان كما في هيت لك وسقيا لك ونحوهما والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب
ان الذين يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي
منهم وهو قلوبهم لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان
لتساوي السر والجهر بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن
عباس رضي الله عنه نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيوحي اليه عليه السلام فقال بعضهم لبعض
اسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا به فان الله يعلمه وتقديم السر على
الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط
بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية
فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى
او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق
به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه
عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق
ووصف الضمائر بصاحبيتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس
واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها اصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون
به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى
عليه سر من اسرارها وقوله تعالى الا يعلم من خلق انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر

اى الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته جميع الاشياء التى هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير
حال من فاعل يعلم مؤكدة للانكار والنفى اى الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما
بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا
مساغ لاخلاء العلم عن المفعول باجرائه مجرى يعطى ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتاتى بدون
العلم لخلو الحال حينئذ عن الافادة لان نظم الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو مبالغ فى العلم هو الذى جعل لكم الارض
ذلولا لينة يسهل عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولى الجعل مع ان حقه التاخر عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق
الى ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع
المخاطبين تبقى النفس مرتقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء فى قوله تعالى فامشوا فى مناكبها
لترتيب الامر على الجعل المذكور اى فاسلكوا فى جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ارق اعضائه
وانباها عن ان يطاها الراكب بقدمه فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يتاتى المشى فى مناكبها لم يبق منها شئ لم
يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اى المرجع بعد البعث لا الى غيره فبالغوا فى شكر نعمه
وآلائه أأمنتم من فى السماء اى الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله سبحانه على تاويل من فى السماء امره
وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى فى السماء اى أأمنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال
عن المكان ان يخسف بكم الارض بعد ما جعلها لكم ذلولا تمشون فى مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك
النعمة اى يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل هو على حذف
الجار اى من ان يخسف فاذا هى تمور اى تضطرب ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان
ام امنتم من فى السماء اضراب عن التهديد بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه آخر اى بل أأمنتم من فى السماء
ان يرسل عليكم حاصبا اى حجارة من السماء كما ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريحا فيها حجارة وحصباء
كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل هى سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير
اى انذارى عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من
قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض
عنهم فكيف كان نكير اى انكارى عليهم بانزال العذاب اى كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد
التاكيد القسمى لا تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشديد التهديد لقومه
ما لا يخفى أولم يروا اى أغفلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها
فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار
به على التحرك وهو السر فى ايثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ما
يمسكهن فى الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شئ بان برأهن على
اشكال وخصائص وهيأهن للجرى فى الهواء والجملة مستانفة او حال من الضمير فى يقبضن انه بكل شئ
بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن تبكيت لهم بنفى ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان الرحمانية
ويعضده قوله ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بما سياتى من قوله تعالى ان
امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا فى المعنى خلا ان الاستفهام هناك متوجه
الى نفس المانع وتحققه وهنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام منقطعة مقدرة
ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التامل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار
قدرة الله تعالى الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد فى ذلك ولا سبيل الى تقدير الهمزة معها لان
بعدها من الاستفهامية وهى مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما فى قوله تعالى من ذا الذى
يشفع عنده وايثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار لفظه ومن دون الرحمن على
الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثانى متعلق بينصركم كما فى قوله تعالى
من ينصرنى من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذى هو فى زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن او ينصركم

نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عند الله تعالى وتوهم انه ام معادلة لقوله تعالى
اولم يروا الخ مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له اصلا وقوله تعالى ان الكافرون الا فى غرور
اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اى ما هم فى زعمهم انهم محفوظون من النوائب
بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط او ان آلهتهم تحفظهم من باس الله الا فى غرور عظيم وضلال فاحش من جهة
الشيطان ليس لهم فى ذلك شئ يعتد به فى الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء حالهم للاعراض
عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار فى موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به والكلام فى قوله تعالى
أمن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه اى الله تعالى بامساك المطر وسائر مباديه كالذى مر تفصيله خلا
ان قوله تعالى بل لجوا فى عتو ونفور مبنى على مقدر يستدعيه المقام كانه قيل اثر التبكيت والتعجيز لم
يتاثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا فى عتو اى عناد واستكبار وطغيان ونفور اى شراد عن
الحق وقوله تعالى أفمن يمشى مكبا على وجهه اهدى الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحاليهما وتحقيقا
لشان مذهبيهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرورهم فى مهاوى الغرور وركوبهم متن عشواء
العتو والنفور وعدم اهتدائهم فى مسالك المحاجة الى جهة يتوهم فيها رشد فى الجملة فان تقدم الهمزة عليها
صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما بحسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل
لقيل فهل من يمشى مكبا الخ والمكب الساقط على وجهه يقال اكب خر على وجهه وحقيقته صار ذا
كب ودخل فى الكب كاقشع الغمام اى صار ذا قشع والمعنى أفمن يمشى وهو يعثر فى كل ساعة ويخر على وجهه
فى كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه اهدى الى المقصد الذى يؤمه أمن يمشى سويا اى قائما سالما
من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوى الاجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل خبر من الثانية محذوف
لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد كقولك ازيد
افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه
الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذى انشاكم انشاء بديعا وجعل لكم السمع
لتسمعوا آيات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهى وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الآيات
التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى والافئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية
والتكوينية وترتقوا فى معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اى باستعمالها فيما خلقت لاجله من
الامور المذكورة وقليلا نعت لمصدر محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اى شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون
وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذى ذراكم فى الارض اى خلقكم وكثركم فيها واليه تحشرون
للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا امركم على ذلك ويقولون اى من فرط عتوهم وعنادهم متى هذا
الوعد اى الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم صادقين يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام فى الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اى ان
كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجئ الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اى العلم بوقته عند الله
لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربى وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما
العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفاء فى قوله تعالى فلما راوه زلفة فصيحة معربة عن تقدير
جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فراوه فلما راوه الخ كما مر فى تحقيق قوله
تعالى فلما راه مستقرا عنده [illegible] زلفة حال من مفعول راوا بتقدير المضاف
اى ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اى مزدلفا او ظرف اى راوه فى مكان ذى زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة وغشيتها الذلة والقترة ووضع
الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل هذا الذى كنتم به تدعون
اى تطلبونه فى الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من
الدعوى اى تدعون ان لا بعث ولا حشر وقيل تدعون [illegible] وعن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر

وهو يعيد قل أرأيتم أخبروني إن أهلكني الله أي أماتني والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا يدعون عليه عم وعلى
المؤمنين بالهلاك ومن معي من المؤمنين أو رحمنا بتأخير آجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون لإحدى الحسنيين
فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي لا ينجيكم منه أحد متنا أو بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل
عليهم بالكفر وتعليل نفي الإنجاء به قل هو الرحمن أي الذي أدعوكم إلى عبادته مولى النعم كلها آمنا به وحده لما
علمنا أن كل ما سواه فإما نعمة أو منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره أصلا لعلمنا بأن ما عداه كائنا ما كان بمعزل
من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية
قل أرأيتم أي أخبروني إن أصبح ماؤكم غورا أي غائرا في الأرض بالكلية وقيل بحيث لا تناله الدلاء وهو
مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار أو ظاهر سهل المأخذ عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك
فكأنما أحيى ليلة القدر

سورة القلم وهي خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر وبالفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن يكون الفتح بإضمار حرف القسم
في موضع الجر كقولهم الله لأفعلن بالجر وأن يكون ذلك نصبا بإضمار اذكر لا فتحا كما سبق في فاتحة سورة
البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنه علم للسورة ثم إن جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد
للتحدي بأحد الطريقين المذكورين في موقعه أو اسما للسورة منصوبا على الوجه المذكور أو مرفوعا على أنه
خبر لمبتدأ محذوف فالواو في قوله تعالى والقلم للقسم وإن جعل مقسما به فهي للعطف وأيا ما كان فإن أريد به
قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالإقسام به ظاهر وإن أريد به الجنس فاستحقاقه لما في
أيدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا
موجبا لتعظيمه وقرئ بإدغام النون في الواو وما يسطرون الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل
للقلم على أن المراد به أصحابه كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أن ما موصولة أو وسطرهم على أنها مصدرية
وقيل للقلم نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مجرى العقلاء لإقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط
اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال
من الضمير في خبرها والعامل فيها معنى النفي كأنه قيل أنت بريء من الجنون متلبسا بنعمة الله تعالى التي هي النبوة
والرياسة العامة والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الإضافة إلى ضميره
عم لتشريفه والإيذان بأنه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو إلى غاية الغايات والمراد تنزيهه
عم عما كانوا ينسبونه إليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عم في غاية الغايات
القاصية ونهاية النهايات النائية من حصانة العقل ورزانة الرأي وإن لك بمقابلة مقاساتك
ألوان الشدائد من جهتهم وتحملك لأعباء الرسالة لأجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مع
كونه عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك من جهة الناس فإنه عطاؤه تعالى بغير توسط وإنك
لعلى خلق عظيم لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت
عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح
المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضي الله عنه فستعلم
ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة أمركم
بغلبة الإسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم أذلة
صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بأييكم المفتون أي بأيكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة
أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أو بأي الفريقين أو في أيهما يوجد من يستحق
هذا الاسم وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وغيرهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب
الأشر وقوله تعالى إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم
بحيث لا يخفى على أحد وتأكيد لما فيه من الوعد والوعيد أي هو أعلم بمن ضل عن سبيله المؤدي إلى
سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون

الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو أعلم بالمهتدين
إلى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلا من الفريقين حسبما
يستحقه من العقاب والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير والفاء في قوله تعالى فلا تطع المكذبين
لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عم وضلالهم أو على ما ينبئ عنه جميع ما فصل من أول
السورة وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم أي دم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في
ذلك أو نهي عن مداهنتهم ومداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره عم استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم
حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فإنه تعليل للنهي أو للانتهاء وإنما عبر عنها بالطاعة للمبالغة
في الزجر والتنفير أي أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور فيدهنون أي فهم يدهنون حينئذ أو فهم الآن
يدهنون طمعا في إدهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو تدهنون عقيب إدهانك
ويأباه ما سيأتي من بدئهم بالإدهان على أن إدهانهم أمر محقق لا يناسب إدخاله تحت التمني وأيا ما
كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الإدهان الذي هو إظهار الملاينة وإضمار خلافها وأما في جانبه عم
فالمعتبر في ودادتهم هو إظهار الملاينة فقط وأما إضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة
له وإنما اعتباره بالنسبة إليه عم وفي بعض المصاحف فيدهنوا على أنه جواب التمني المفهوم من ودوا وأنه
نصب حكاية لودادتهم وقيل إنه عطف على تدهن بناء على أن لو بمنزلة أن الناصبة فلا يكون لها جواب
وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا كأنه قيل ودوا أن تدهن فيدهنوا وقيل لو على
حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا أي ودوا إدهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك
ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة
لكونه أدخل في الزجر مهين حقير الرأي والتدبير هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال
للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنميمة السعاية مناع للخير
أي بخيل أو مناع للناس من الخير الذي هو الإيمان والطاعة والإنفاق معتد متجاوز في الظلم أثيم
كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما عد من مثالبه
زنيم دعي ملحق من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى متدلية في حلقها وفي قوله
تعالى بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فإنه
ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل هو الأخنس بن شريق
أصله من ثقيف وعداده في زهرة أن كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع أي لا تطع من
هذه مثالبه لأن كان متمولا مستظهرا بالبنين وقوله تعالى إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير
الأولين استئناف جار مجرى التعليل للنهي وقيل متعلق بما دل عليه الجملة الشرطية من معنى
الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كأنه قيل لكونه مستظهرا بالمال
والبنين كذب بآياتنا ويعضده أنه قرئ أأن كان على الاستفهام للتوبيخ على أن يكون
كان ذا مال وقرئ إن كان بالكسر والشرط للمخاطب أي لا تطع كل حلاف شارطا يساره لأن إطاعة
الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة سنسمه على الخرطوم بالكي على أكرم مواضعه لغاية
إهانته وإذلاله قيل أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها وقيل معناه سنلحقه يوم
القيامة علامة مشوهة يميز بها عن سائر الكفرة إنا بلوناهم أي أهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله
كما بلونا أصحاب الجنة وهم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين
فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه
المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت
النخلة إذا صرمت فكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق
علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين في

الصباح ولا يستثنون أي لا يقولون إن شاء الله تعالى وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث إن مؤداه مؤدى الاستثناء فإن قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله بمعنى واحد أو لا يستثنون حصة للمساكين كما كان يفعل أبوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها أي على الجنة طائف بلاء طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فأصبحت كالصريم كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل أي احترقت فاسودت وقيل كالنهار أي يبست وابيضت سميا بذلك لأن كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا أي نادى بعضهم بعضا مصبحين داخلين في الصباح أن اغدوا أي اغدوا على أن أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أي اخرجوا غدوة على حرثكم بستانكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمينه معنى الإقبال أو الاستيلاء إن كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش أن لا يدخلنها أي الجنة اليوم عليكم مسكين أن مفسرة لما في التخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على إضمار القول والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا وغدوا على حرد قادرين أي على نكد لا غير من حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر وحاردت الإبل إذا منعت درها والمعنى أنهم أرادوا أن ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على إصابة خيرها ومنافعها أي غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك أي لم يقدروا إلا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة أي غدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها وقيل هو علم للجنة فلما رأوها قالوا في بديهة رؤيتهم إنا لضالون أي طريق جنتنا وما هي بها بل نحن محرومون قالوه بعدما تأملوا ووقفوا على حقيقة الأمر مضربين عن قولهم الأول أي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على أنفسنا قال أوسطهم أي رأيا أو سنا ألم أقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا إليه عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم أو لأنه تنزيه له تعالى عن أن يجري في ملكه ما لا يشاؤه فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون أي يلوم بعضهم بعضا فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من أنكره قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين متجاوزين حدود الله تعالى عسى ربنا أن يبدلنا وقرئ بالتشديد أي يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة أو لتضمينها معنى الرجوع عن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروي أنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا إليه فأبدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا إن الله تعالى أمر جبريل عليه السلام أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من أرض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن الحسن قول أصحاب الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري إيمانا كان ذلك منهم أو على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم والأكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري كذلك العذاب جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والألف واللام للعهد أي مثل الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر أعظم وأشد لو كانوا يعلمون أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم إليه إن للمتقين أي من الكفر والمعاصي عند ربهم أي

أي في الآخرة أو في جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فإنهم كانوا يقولون إن صح أنا نبعث كما يقول محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وإيذانا بأنه لا يصدر عن عاقل أم لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون أي تقرؤون إن لكم فيه لما تخيرون أي إن لكم ما تختارونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فلما جيء باللام كسرت ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو في قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين وتخير الشيء واختاره أخذ خيره أم لكم أيمان علينا أي عهود مؤكدة بالأيمان بالغة متناهية في التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها أحد الظرفين إلى يوم القيامة متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم إلى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون أو ببالغة أي أيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم يبطل منها يمين إن لكم لما تحكمون جواب القسم لأن معنى أم لكم علينا أيمان أم أقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلهم مبكتا لهم أيهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم أي قائم يتصدى لتصحيحه أم لهم شركاء يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين في دعواهم إذ لا أقل من التقليد وقد نبه في هذه الآية الكريمة على أن ليس لهم شيء يتوهم أن يتشبثوا به حتى التقليد الذي لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى أم لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين في الآخرة يوم يكشف عن ساق أي يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك وأصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ۞ وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان أي يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل أو للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل للساعة أو الحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين [illegible] منصوب بإضمار اذكر أو ظرف لفليأتوا أو بمحذوف أي يوم يكشف عن ساق الخ يكون من الأهوال وعظائم الأحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون إلى السجود توبيخا وتعنيفا على تركهم إياه في الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم في ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود تعقم أصلابهم أي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة خاشعة أبصارهم حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها ترهقهم تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة وقد كانوا يدعون إلى السجود في الدنيا والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير أو لأن المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم سالمون متمكنون منه أقوى تمكن أي فلا يجيبون إليه ويأبونه وما ترك ذلك ثقة بظهوره فذرني ومن يكذب بهذا الحديث أي كله إلي فإن في أكفيكه أمره أي حسبك في الإيقاع به والانتقام منه أن تكل أمره إلي وتخلي بيني وبينه فإني عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الأمر على ما قبلها من أحوالهم المحكية أي وإذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومن يكذب بالقرآن وتوكل علي في الانتقام منه وقوله تعالى سنستدرجهم استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الأمر السابق إجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في يكذب باعتبار لفظها أي سنستنزلهم إلى العذاب درجة درجة بالإحسان وإدامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم بل يزعمون أنه إيثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنه سبب لهلاكهم وأملي لهم وأمهلهم ليزدادوا إثما وهم يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم إن كيدي متين

لا يوقف عليه ولا بد منه شيء وتسميته ذلك كيدا لكونه في صورة الكيد أم تسألهم على الابلاغ والارشاد أجرا دنيويا فهم لاجل ذلك من مغرم اي غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك أم عندهم الغيب اي اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اي يونس عليه السلام إذ نادى في بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لا على النداء فانه امر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب بمضاف محذوف اي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه اي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل الفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هي المنتفية لا النبذ بالعراء كما مر في الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف وارد لبيان كون المنهي عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر اي فتداركته نعمة من ربه فاجتباه بان رد الوحي اليه وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روي انها نزلت باحد حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك وان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني اي لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ قد روي انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرأ هذه الآية لما سمعوا الذكر اي وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية تحيرهم في امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما في تضاعيف القرآن من تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه انه لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جراءتهم على تفوه تلك العظيمة اي يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه مما قالوا وقيل معناه شرف وفضل لقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

سورة الحاقة وهي احدى وخمسون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحاقة اي الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجيء لا محالة او التي يحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التي تحق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولي العلم واياما كان فحذف الموصوف للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء خبرها ما الحاقة على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والاصل ما هي اي اي شيء هي في حالها وصفتها فان ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيدا لهولها هذا ما ذكروه في اعراب هذه الجملة ونظائرها وقد سبق في سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك اي واي شيء اعلمك

ما الحاقة تاكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذي عرفته محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت جملة الاستفهام معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لهولها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اي بالحاقة التي تقرع الناس بفنون الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها تشديدا لهولها والجملة استئناف سوق لاعلام بعض احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه ما ادراه بها احد كما في قوله تعالى وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر فكما ان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين ههنا هول الحاقة وعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت بها ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اي شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم الخ استئناف جيء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اي سلطها الله تعالى عليهم بقدرته القاهرة سبع ليال وثمانية ايام حسوما اي متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الداء اذا تابعت بين كيه او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر لفعله المقدر حالا اي تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبح الاربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فاهلكتها وقيل هي ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا فيها في مهابها او في تلك الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اي اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية اي من بقية او من نفس باقية او من بقاء على انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اي ومن تقدمه من الامم وقرئ ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اي قرى قوم لوط والمراد اهلها بالخاطئة اي بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ التي من جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها حين نهوهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فاخذهم اخذة رابية اي زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم في القبح من ربا الشيء اذا زاد انا لما طغى الماء اي جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو استئناف سيق لتقرير ما سبق من الاحكام حملناكم اي آباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام لنجعلها اي الفعلة التي هي عبارة عن انجاء المؤمنين واغراق الكافرين لكم تذكرة عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته وتعيها اي تحفظها اذن واعية اي من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته تتسبب لنجاة الجم الغفير وادامة نسلهم وقرئ اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة شروع في بيان

نفس الحاقة وكيفية وقوعها اثر بيان عظم شانها باهلاك مكذبيها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر
لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة واحدة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة
الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال اى قلعت ورفعت من اماكنها بمجرد القدرة الالهية او
بتوسط الزلزلة او الريح العاصفة فدكتا دكة واحدة اى فضربت الجملتان اثر رفعهما بعضها ببعض ضربة
واحدة حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا قاعا صفصفا
لا ترى فيها عوجا ولا امتا من قولهم اندك السنام اذا انفرش وبعير ادك وناقة دكاء ومنه الدكان
فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة اى قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملئكة فهى اى السماء يومئذ واهية
ضعيفة مسترخية بعد ما كانت محكمة والملك اى الخلق المعروف بالملك على ارجائها اى جوانبها جمع رجا بالقصر
اى تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجاون الى اكنافها وحافاتها ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملئكة
الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية يومئذ ثمانية من الملئكة عن النبي صلى الله عم هم اليوم اربعة فاذا كان
يوم القيمة ايدهم الله تعالى باربعة اخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية املاك ارجلهم في تخوم الارض السابعة
والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على
صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية املاك في خلق الاوعال
ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد
علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى
ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق اخر وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين
يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والاستيلاء تنزه سبحانه
اجل من كل ما يحيط به تلك العبارة والاشارة يومئذ تعرضون اى تسالون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها
له بعرض السلطان العسكر لتعرف احوالهم روى ان في يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج
وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد
النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال
اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مرفوع تعرضون اى
تعرضون غير خاف عليه تعالى سر من اسراركم قبل ذلك ايضا وانما العرض لافشاء الحال والمبالغة في العدل
او غير خاف يومئذ على الناس كقوله تعالى يوم تبلى السرائر وقرئ يخفى بالياء للفاصلة فاما من اوتي كتابه
بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول تبجحا وابتهاجا هاؤم اقرؤا كتابيه اسم لخذ وفيه ثلاث لغات
اجودهن ها يا رجل وها يا امراة وهاؤما يا رجلان او امراتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة
ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى
اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل
واستحب اثباتها لثباتها في الامام انى ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار
بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا ينفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في
عيشة راضية ذات رضا على النسبة بالصيغة كما يقال دارع في النسبة بالحرف او جعل الفعل لها مجازا
وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان
لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح
مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا
هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اى الماضية في الدنيا
وعن مجاهد ايام الصيام وروى يقول الله تعالى يا اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم
عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا الاية واما من اوتي كتابه
بشماله وراى ما فيه من قبائح الاعمال فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من

من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية اى القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى
فضمير لها للموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة اى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي
لانه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان يكون للحيوة الدنيا اى يا ليت الحيوة الدنيا كانت
الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والاتباع على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهام
للانكار اى اى شئ اغنى عنى ما كان لى من الاتباع هلك عنى سلطانيه اى ملكى وتسلطى على الناس او حجتى
التي كنت احتج بها في الدنيا او تسلطى على القوى والالات فعجزت عن استعمالها في العبادات خذوه حكاية
لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه اى شدوه بالاغلال ثم الجحيم صلوه اى لا تصلوه الا
الجحيم وهى النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس ثم في سلسلة ذرعها
اى طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يستطيع
حراكا ما وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب
به وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينها وبين السلك في السلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن
بالله العظيم تعليل بطريق الاستيناف للتحقيق ووصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فحسب
فمن نسبها الى نفسه استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه
فضلا ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك
الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة ولعل تخصيص الامرين بالذكر
لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم اى قريب
يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اى من غسالة
اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا ياكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل
اذا تعمد الذنب لا من الخطاء المقابل للصواب دون المقابل للعمد وعن ابن عباس هم المشركون وقرئ
الخاطيون بابدال الهمزة ياء وقرئ بطرحها وقد جوز ان يراد بهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون
حدود الله تعالى فلا اقسم اى فاقسم على ان لا مزيدة للتاكيد واما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور
الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون كما في سورة
الواقعة لانه اقسم بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والخلق باسرها او الدنيا والاخرة او الاجسام والارواح والانس والجن
والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة والاول منتظم للكل انه اى القران لقول رسول يبلغه عن
الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله تعالى وهو النبي صلى الله عم او جبريل عليه السلام
وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن كما
تدعون تارة اخرى قليلا ما تذكرون اى تذكرون قليلا او زمانا قليلا فلا تذكرون
على ان القلة بمعنى النفى لا تؤمنون ولا تتذكرون اصلا وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر
مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة القران الشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة
فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول ومعانى القران المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم
وانه بين ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل نظرا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب
العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول
متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه
باليمين بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع
ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه
وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه
عام والخطاب للناس وانه اى القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين
فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين

الذي لا يحوم حول مربه نقص فسبح باسم ربك العظيم اي فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة المعارج وهي اربع واربعون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

سأل سائل اي دعا داع بعذاب واقع اي استدعاه وطلبه وهو النضر ابن الحارث حيث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحارث بن النعمان الفهري وذلك انه لما بلغه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي مولاه قال اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك من ساعته وقيل هو الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل عذابهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل اي اندفع واد بعذاب واقع وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهري واما في الآخرة فهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اي كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسال او دعا للكافرين بعذاب واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير في للكافرين على تقدير كونه صفة لعذاب او استيناف من الله متعلق بواقع او بدافع اي ليس له دافع من جهته تعالى ذي المعارج ذي المصاعد التي يصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهي او هي عبارة عن السموات المرتبة بعضها فوق بعض تعرج الملائكة والروح اي جبريل عم افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة البشر اليه الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى وقيل هو من قبيل قول ابرهيم عم اني ذاهب الى ربي اي الى حيث امرني به في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سني الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اي يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل بسال على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المؤمن فلا لما روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلوة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عم او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام انهم يرونه اي العذاب الواقع او يوم القيمة على تقدير تعلق في يوم بواقع بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة فلذلك يسألون به ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او بمضمر مؤخر اي يوم تكون السماء كالمهل يكون من الاحوال والاهوال ما لا يوصف او بدل من في يوم على تقدير تعلقه بواقع هذا لما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى يسألونك عن الساعة وقوله ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعى به النضر او ابو جهل او الفهري فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسأل به خبيرا وقوله تعالى ليس له دافع الخ استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله تعالى فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الخ متعلق بليس له دافع او بما يدل هو عليه اي يقع يوم تكون السماء كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في

في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما اي لا يسأل قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للمفعول اي لا يطلب من حميم حميمه او لا يسأل منه حاله يبصرونهم اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا اشتغالهم بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا به يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والمعنى يود افتداءه ببنيه الخ والجملة استيناف لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه اي تضمه في النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين والخلائق ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده بذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع انجاء الافتداء وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهي علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص او حال مؤكدة والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلد الرأس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبره تدعو اي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الي الي يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل تدعو زبانيتها من ادبر اي عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر اي الفقر والمرض ونحوهما جزوعا اي مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اي السعة والصحة منوعا مبالغا في المنع والامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الآتية من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك النعوت للاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكوة المفروضة والصدقات الموظفة للسائل للذي يسأله والمحروم الذي لا يسأل فيظن انه غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه تعالى وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض مؤذن بانه لا ينبغي لاحد ان يأمن عذابه تعالى وان بالغ في الطاعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون قد سلف تفسيره في سورة المؤمنين والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون لا يخلون بشيء من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وتكرير ذكر الصلوة

بها أولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال ۞ إلى الملك القرم وابن الهمام ۞ وليث الكتيبة في المزدحم ۞ إيذانا بأن كل واحد من الأوصاف المذكورة نعت جليل على حياله له شأن خطير مستتبع لأحكام جمة حقيق بأن يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للآخر أولئك إشارة إلى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ خبره في جنات أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات فما للذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين أي فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة من العزو وكأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله عم حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزئون بكلامه عم ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم بلا إيمان كلا ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ إنا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون كما في قول الأعشى ۞ أأزمعت من آل ليلى ابتكارا ۞ وشطت على ذي هوى أن تزارا ۞ وهو تكميل النفس بالإيمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من أن يتبوأ مبوأ الكاملين فمن أين لهم أن يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وإنكار البعث وقيل معناه إنا خلقناهم مما يعلمون من نطفة مذرة فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل إنهم مخلوقون من نطفة قذرة لا تناسب عالم القدس فمتى لم تستكمل بالإيمان والطاعة ولم تتخلق بالأخلاق الملكية لم تستعد دخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والأقرب أنه كلام مستأنف قد سيق تمهيدا لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله صلى الله عم وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما يفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى فلا أقسم برب المشارق والمغارب والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر من أنا خلقناهم مما يعلمون فأقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم أي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم فذرهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون هو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الأولى كما توهم فإن قوله تعالى يوم يخرجون من الأجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الإخراج سراعا حال من مرفوع يخرجون أي مسرعين كأنهم إلى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تع وقرئ بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد أيضا يوفضون يسرعون خاشعة أبصارهم وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل لغاية ظهور آثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي ذكر ما سيقع فيه من الأحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه الله تعالى ثواب

سورة نوح عليه السلام

الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

وهي سبع وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك أي بأن أنذرهم على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها الفعل فإن حذفه مع أن وأن مطرد وجعلت صلتها أمرا كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالإنذار ويجوز أن تكون أن مفسرة لما في الإرسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقرئ أنذر بغير أن على إرادة القول من قبل أن يأتيهم عذاب أليم عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم عذر ما أصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله بالوجه المذكور كأنه قيل فماذا فعل عم فقيل قال لهم يا قوم إني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الأمر وقوله تعالى أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم أي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فإن الإسلام يجبه ويؤخركم إلى أجل مسمى هو الأمد الأقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الإيمان والطاعة وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالأجل وتعليق تأخيرهم إليه بالإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلا آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى إن أجل الله أي ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر إذا جاء وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فإنه أجل موقت له حتما وحمله على الأجل الأطول مما لا يساعده المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير إلى الأجل المسمى فلا بد أن يكون المنفي عند مجيء الأجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الأجل المسمى لو كنتم تعلمون أي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم إلى ما أمرتكم به قال أي نوح عم مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو أعلم بحاله ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب إني دعوت قومي إلى الإيمان والطاعة ليلا ونهارا أي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي إلا فرارا مما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى زادتهم إيمانا وإني كلما دعوتهم أي إلى الإيمان لتغفر لهم بسببه جعلوا أصابعهم في آذانهم أي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم أي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إليه أو لئلا يبصرهم ويدعوهم وأصروا أي أكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها واستكبروا استكبارا عظيما ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ من الإفراد بأحدهما وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو بمضمر هو صفة لمصدر أي دعاء جهارا أو مصدر في موضع الحال أي مجاهرا أو مجاهرا به فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي إنه كان غفارا للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا إن كنا على الحق فكيف نتركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا بعدما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب إليهم المنافع ولذلك وعدهم على الاستغفار بما هو أوقع في قلوبهم وأحب إليهم من المنافع العاجلة وقيل لما طالت دعوته وتمادى إصرارهم حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة أو سبعين سنة فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه يرسل السماء عليكم مدرارا أي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة أو السحاب ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم أنهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا إنكار لأن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على أن الإنكار متوجه إلى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا إليهما معا ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة له أي أي سبب حصل لكم حال كونكم غير معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان به والطاعة له

وقد خلقكم أطوارا أي والحال أنكم على حال منافية لما أنتم عليه بالكلية وهي أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات
عناصر ثم أغذية ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر
فإن التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل
هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الأمل أي ما لكم لا تأملون له تعالى توقيرا أي تعظيما لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على
حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى إياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والأول هو
الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية فإن اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقارا لله تعالى وعظمة
مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد حتما وأما عدم رجائهم لتعظيم الله إياهم في دار الثواب
فليس في حيز الاستبعاد والإنكار مع أن في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف في قوله لله بيان للموقر
ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فإن كونه بيانا للموقر يقتضي أن يكون التوقير صادرا عنه
تعالى والوقار وصفا للمخاطبين وكونه صلة للوقار يوجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون
لله تعالى عظمة وقدرة على أخذكم بالعقوبة أي أي عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير
عن ابن عباس ما لكم لا تخشون لله تعالى عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون
لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم أرج أي لم أبال وقوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا متطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا أي منورا لوجه الأرض في
ظلمة الليل ونسبته إلى الكل مع أنه في السماء الدنيا لما أنها محاطة بسائر السموات فما فيها يكون في الكل ولأن كل
واحدة منها شفافة لا تحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة
منها كأنه في الكل وجعل الشمس سراجا يزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا في ضوئها وجه الأرض ويشاهدون
الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وليس القمر بهذه المثابة إنما هو نور في
الجملة والله أنبتكم من الأرض نباتا أي أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث
والتكون من الأرض ونباتا إما مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر أو لما يترتب عليه من
فعله أي أنبتكم من الأرض فنبتم نباتا ويجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض إنباتا فنبتم نباتا فحذف
من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الأخرى كما مر في قوله تعالى أم تريدون
أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير
فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر إخراجا محققا لا ريب
فيه والله جعل لكم الأرض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم وتوسيط لكم بين الجعل ومفعوله
مع أن حقه التأخر لما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس
عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا بكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند
وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا أي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو
المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا أي كائنة من
الأرض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه أي قال
مناجيا له تعالى رب إنهم عصوني أي عصوا علي عصيانا في فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة
والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا أي واستمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم
وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم في الخسار وفي وصفهم
بذلك إشعار بأنهم اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لا لما شاهدوا فيهم من شبهة
مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد ومكروا عطف
على صلة من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في الضمائر الأول باعتبار لفظها مكرا كبارا أي كبيرا في
الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه
وتحريشهم لهم على أذية نوح عم وقالوا لا تذرن آلهتكم أي لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى
عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا أي ولا تذرن عبادة هؤلاء

هؤلاء خصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام
عنهم إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي أسماء رجال صالحين
كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام وقيل من أولاد آدم ماتوا فقال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم
فكنتم تنظرون إليهم وتتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم
وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس
ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد
أضلوا أي الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا أو الأصنام كقوله تعالى رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين
إلا ضلالا عطف على قوله تعالى رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه
أي قال رب إنهم عصوني وقال لا تزد الظالمين إلا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم
المفرط وتعليل الدعاء عليهم به والمطلوب هو الضلال في تمشية مكرهم ومصالح دنياهم أو الضياع والهلاك
كما في قوله تعالى إن المجرمين في ضلال وسعر ويؤيده ما سيأتي في دعائه عم مما خطيئاتهم أي من أجل
خطيئاتهم وما مزيدة بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم
بدلا منها وقرئ مما خطاياهم ومن خطيئاتهم أي بسبب خطيئاتهم المعدودة وغيرها من خطاياهم
أغرقوا بالطوفان لا بسبب آخر فأدخلوا نارا المراد إما عذاب القبر فهو عقيب الإغراق وإن كانوا في الماء
عن الضحاك أنهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب
لإغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة وتنكير النار إما للتعظيم أو لأنه تعالى أعد لهم على حسب
خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا أي لم يجد أحد منهم واحدا من الأنصار
وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم وقال نوح رب
لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله تعالى مما خطيئاتهم الخ اعتراض
وسط بين دعائه عم للإيذان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطيئاتهم
التي عددها نوح عم وأشار إلى استحقاقهم الإهلاك لأجلها لا أنها حكاية لنفس الإغراق والإحراق
على طريقة حكاية ما جرى بينه وبينهم من الأحوال والأقوال وإلا لأخر عن حكاية دعائه هذا
وديارا من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم أي أحد
وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار وقد فعل به ما فعل بأصل سيد لا فعال وإلا لكان
دوارا إنك إن تذرهم عليها كلا أو بعضا يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا أي
من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون إليه وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال
مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منهم وإنما قاله لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن أعقابهم بعد
جربهم واستقراء أحوالهم قريبا من ألف سنة رب اغفر لي ولوالدي أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش
كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرئ ولولدي يريد ساما وحاما ولمن دخل بيتي أي منزلي وقيل
مسجدي وقيل سفينتي مؤمنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم يجزم بخروجه إلا بعدما
قيل له إنه ليس من أهلك وقد مر تفصيله في سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات تعميم بالدعاء إثر ما خص به من
يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين إلا تبارا أي هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم أيضا لكن لا على وجه
العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بإراءة هلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم
يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم
بغير عذاب وقيل أعقم الله تعالى أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة
فلم يكن معهم صبي حين غرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم
دعوة نوح عليه السلام

سورة الجن مكية وهي سبع وعشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أوحي إلي وقرئ أحي أصله وحي وقد قرئ كذلك من وحى إليه فقلبت الواو المضمومة همزة كأعد

وأذن في وعد وزن أنه بالفتح لأنه فاعل أوحي والضمير للشأن استمع أي القرآن كما ذكر في الأحقاف
وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن أجسام عاقلة خفية
يغلب عليهم النارية أو الهوائية وقيل نوع من الأرواح المجردة وقيل هي النفوس البشرية المفارقة عن
أبدانها وفيه دلالة على أنه عليه السلام لم يشعر بهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات
قراءته فسمعوها فأخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل في الأحقاف فقالوا لقومهم عند رجوعهم
إليهم إنا سمعنا قرآنا كتابا مقروءا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى وهو مصدر
وصف به للمبالغة يهدي إلى الرشد إلى الحق والصواب فآمنا به أي بذلك القرآن ولن نشرك بربنا أحدا
حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وأنه تعالى جد ربنا بالفتح هو وما بعده من الجمل المصدرة بأن
في أحد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور في فآمنا به كأنه قيل فصدقناه وصدقنا أنه
تعالى جد ربنا أي ارتفع عظمته من جد فلان في عيني أي عظم تمكنه أو سلطانه أو غناه على أنه مستعار
من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه وقرئ
بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكي بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول وأما
اندراج الجمل الآتية تحت الإيمان والتصديق كما يقتضيه العطف على محل الجار والمجرور ففيه إشكال
كما ستحيط به خبرا وقوله تعالى ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على
التمييز وجد ربنا بالكسر أي صدق ربوبيته وحق إلهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا
القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه في اتخاذ
الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه وأنه كان يقول سفيهنا أي إبليس أو مردة الجن على الله
شططا أي قولا ذا شطط أي بعد عن القصد ومجاوزة للحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن
الحق وهو نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى وتعلق الإيمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه
فإنهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل أيضا بل باعتبار كونه شططا كأنه قيل وصدقنا أن ما كان
يقول سفيهنا في حقه تعالى كان شططا وأما تعلقهما بقوله تعالى وأنا ظننا أن لن تقول الإنس و
الجن على الله كذبا فغير ظاهر وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم أي كنا نظن أنه لن يكذب على الله أحد
أبدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لأنه نوع من القول أو وصف لمصدره المحذوف أي
قولا كذبا أي مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف إحدى التاءين فكذبا مصدر مؤكد لأن الكذب هو
التقول وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن كان الرجل من العرب إذا أمسى في واد قفر
وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فإذا سمعوا بذلك استكبروا
وقالوا سدنا الإنس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم أي زاد الرجال العائذون الجن رهقا أي تكبرا وعتوا
أو فزاد الجن العائذين غيا بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم وأنهم ظنوا أي الإنس كما ظننتم أيها الجن على
أنه كلام بعضهم لبعض أن لن يبعث الله أحدا وقيل المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة الخ فتكون
هذه الآية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والأقرب أنهما كذلك على كل تقدير عطفا على أنه استمع
إذ لا معنى لإدراجهما تحت ما ذكر من الإيمان والتصديق وكذا قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وما بعده من
الجمل المصدرة بأن ينبغي أن تكون معطوفة على ذلك على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه
قيل قل أوحي إلي كيت وكيت وهذه العبارات أي طلبنا بلوغ السماء أو خبرها واللمس مستعار من المس للطلب
كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه وأطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا أي حراسا اسم جمع
كخدم مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة
من نار الكواكب وأنا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للرصد
والاستماع وللسمع متعلق بنقعد أي لأجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد أي مقاعد كائنة للسمع فمن يستمع
الآن في مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا أي شهابا راصدا له ولأجله يصده عن الاستماع بالرجم
أو ذوي شهاب راصدين له على أنه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

والصحيح أنه كان قبل المبعث أيضا لكن كثر الرجم بعد المبعث وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع
الاستراق أصلا فقالوا ما هذا إلا لأمر أراده الله تعالى بأهل الأرض وذلك قولهم وأنا لا ندري أشر
أريد بمن في الأرض بحراسة السماء أم أراد بهم ربهم رشدا أي خيرا وفي نسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر
من الآداب الشريفة القرآنية ما في قوله تعالى وإذا مرضت فهو يشفين ونظائره وأنا منا الصالحون أي
الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم المائلون إلى الخير والصلاح حسبما
تقتضيه الفطرة السليمة لا إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة ومنا دون ذلك أي قوم
دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور لا في الإيمان والتقوى
كما توهم فإن هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا وأما
حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وأنا لما سمعنا الهدى إلى قوله تعالى وأنا منا المسلمون أي كنا قبل هذا
ذوي طرائق أي مذاهب أو مثل طرائق في اختلاف الأحوال أو كانت طرائقنا طرائق قددا أي متفرقة مختلفة
جمع قدة من قد كالقطعة من قطع وأنا ظننا أي علمنا الآن أن لن نعجز الله أي أن الشأن لن نعجز الله تعالى
كائنين في الأرض أينما كنا من أقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها إلى السماء أو لن نعجزه في الأرض إن
أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا إن طلبنا وأنا لما سمعنا الهدى أي القرآن الذي هو الهدى بعينه
آمنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما أنزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا أي نقصا في الجزاء
ولا رهقا ولا أن ترهقه ذلة أو جزاء بخس ولا رهق إذ لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يجازى
جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم وقرئ فلا يخف والأول أدل على
تحقق نجاة المؤمن واختصاصها به وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق الذي هو
الإيمان والطاعة فمن أسلم فأولئك إشارة إلى من أسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا رشدا عظيما
يبلغهم إلى دار الثواب وأما القاسطون الجائرون عن سنن الإسلام فكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة
الإنس وأن لو استقاموا أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على أنه استمع والمعنى وأوحي إلي أن
الشأن لو استقام الجن أو الإنس أو كلاهما على الطريقة التي هي ملة الإسلام لأسقيناهم ماء غدقا أي لوسعنا
عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب
وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى أي لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته
ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الإسلام لأنعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم
كيف يشكرونه وقيل معناه أن لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم
الرزق استدراجا لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته أو عن
موعظته يسلكه يدخله عذابا صعدا أي شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على أنه مصدر وصف به
بالغة وأن المساجد لله عطف على قوله تعالى أنه استمع أي وأوحي إلي أن المساجد مختصة بالله تعالى وقيل
معناه ولأن المساجد لله فلا تدعوا أي فلا تعبدوا فيها مع الله أحدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام
والجمع لأن كل ناحية مسجد له قبلة مخصوصة ولأنه قبلة المساجد وقيل الأرض كلها لأنها جعلت مسجدا
للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل مواضع السجود على أن المراد النهي عن السجود لغير الله تعالى وقيل أعضاء السجود السبعة
وقيل السجدات على أنه جمع المصدر الميمي وأنه من جملة الموحى أي وأوحي إلي أن الشأن لما قام عبد الله
أي النبي صلى الله عليه وسلم وإيراده بلفظ العبد للإشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته والتواضع لأنه واقع
موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام أي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر
تفصيله في الأحقاف كادوا أي الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما شاهدوا
من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياما وركوعا وسجودا لأنهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا
بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كان المشركون يزدحمون
عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الأسد وقرئ لبدا جمع لبدة
وهي بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة

تلبدون الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فأبى الله الا ان يظهره على من ناواه قل انما ادعوا ربي اي اعبده
ولا اشرك به احدا في العبادة فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب او الاطباق على عداوتي
وقرئ قال على انه حكاية لقوله عم للمتراكمين عليه والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل اني لا
املك لكم ضرا ولا رشدا كانه اريد لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين
ما ذكر في الآخر قل اني لن يجيرني من الله احد ان اراد بي سوءا ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجأ
ومعدلا وهذا بيان لعجزه عم عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله
استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة او من ملتحدا اي لن
اجد من دونه ملتجأ الا ان ابلغ عنه ما ارسلني به وقيل الا هو مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه
ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته
لا صلته اي لا املك لكم الا تبليغا كائنا منه تعالى ورسالاته التي ارسلني بها ومن يعص الله ورسوله في
الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه ان له نار جهنم
خالدين فيها في النار او في جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون
غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عم واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون
على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا
واقل عددا وحمل ما يوعدون على ما راوه يوم بدر يأباه قوله تعالى قل ان ادري اي ما ادري اقريب
ما توعدون ام يجعل له ربي امدا فانه رد لما قال المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود
انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادري متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل
هو بدل من ربي او بيان له ويأباه الفاء في قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ ام
يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدأ محذوف اي هو عالم
الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب
على الاطلاق اي فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين
اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اي الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة
برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا تاما اما لكونه من مبادي رسالته بان يكون معجزة
دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي امر بها المكلفون وكيفيات
اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من احوال الآخرة التي من جملتها قيام
الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد
الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة
التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان
اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب
لغيرهم اصلا ولا يدعي احد لاحد من الاولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل
بالوحي الصريح وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد
من الاستثناء وبيان لكيفيته اي فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من
الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم ان
قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد
به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف
والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي اريد اظهاره لمن ارتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده
وضمير ابلغوا اما للرصد فالمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوا رسالات
ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا بالفعل كما في قوله
تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية في الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه بامرهما

بامرهما والاشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما للمرتضى
والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ
الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعدما ابلغها الرصد اليهم كذلك
وقوله تعالى واحاط بما لديهم اي بما عند الرصد والرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد
او بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى في العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد
على الوجه المذكور اي يسلكهم من بين يديه ومن خلفه ليترتب عليه علمه تعالى بما ذكر والحال انه تعالى قد
احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شيء مما كان وما سيكون عددا اي فردا فردا وهو تمييز
منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شيء وقيل هو حال اي
معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء واياما كان فتعليقه ببيان ان علمه تعالى بالاشياء ليس على
وجه كلي اجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما في قوله تعالى
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان
اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة
ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما
لديهم الخ معطوف على مقدر يدل عليه قوله ليعلم كانه قيل قد علم ذلك واحاط بما لديهم الخ فبمعزل
من السداد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جني صدق محمدا وكذب به عتق رقبة

سورة المزمل وهي مكية عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المزمل اي المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء في الزاي وقرئ على الاصل
وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل قيل خوطب بها النبي صلى الله عم تهجينا لما كان
عليه من الحالة حيث كان عم متلففا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن
فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عم على خديجة رضي الله عنها
وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليهما السلام وبوادره ترعد فقال زملوني زملوني وحسب انه عرض
له فبينما هو على ذلك اذ ناداه جبرائيل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب
للملاطفة والتأنيس كما في قوله عم لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فاتاه وهو نائم وقد
لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة وتأنيسا وقيل المعنى يا ايها الذي
زمل امرا عظيما اي حمله والزمل الحمل وازدمله اي احتمله فالغرض من الوصف حينئذ الاستقلال
بعلية القيام او الامر به فان تحمله عليه السلام لاعبائه مما يوجب الاجتهاد في العبادة قم الليل
اي قم الى الصلوة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلوة ومعنى قم صل وقرئ
بضم الميم وبفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى نصفه بدل من الليل الباقي بعد الثنيا
بدل الكل اي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن
للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في اكثره في كثرة الثواب واعتبار قلته
بالنسبة الى الكل مع عروضها له بعد الاستثناء خلاف الظاهر او انقص منه اي انقص القيام من النصف
المقارن له في الصورة الاولى قليلا اي نقصا قليلا او مقدارا قليلا اي بحيث لا ينحط الى نصف النصف
او زد عليه اي زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخيير بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر
وقيل قوله نصفه بدل من قليلا والتخيير بحاله وليس بسديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذي ينبئ
عنه الابدال هو الجزء الباقي بعد الثنيا المقارن للقيام لا الجزء المخرج العاري عنه واما ثانيا فلان نقص
القيام وزيادته انما يعتبران بالقياس الى معياره الذي هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من
قليلا لزم اعتبار نقص القيام وزيادته بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتداد بشأن التجنيب
مع كونه مخالفا للظاهر اعتراف بان الحق هو الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من
النصف والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على

البنات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاول
النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك الاقل او زد عليه قليلا وقيل والذي يليق بجزالة
التنزيل هو الاول والله اعلم بما في كتابه الجليل ورتل القرآن في اثناء ما ذكر من القيام اي اقراه على تؤدة
وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سـ
سنلقي عليك اي سنوحي اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى قولا ثقيلا وهو القرآن العظيم المنطوي
على التكاليف الشاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم فانه مأمور بتحملها وتحميلها
للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عم من القيام وقيل معنى كونه ثقيلا انه رصين
لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر
او ثقيل في الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه
وتربد له جلده وعن عائشة رضي الله عنها رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اي ان النفس التي تنشأ من مضجعها الى العبادة اي تنهض
من نشأ من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية او ان
العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها
الاول من نشأ اذا ابتدأ هي اشد وطأ اي هي خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام
وقرئ وطاء اي اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه
ان اريد بها القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا
واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك في النهار سبحا طويلا اي تقلبا وتصرفا
في مهماتك واشتغالا بالشواغل فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي
الخارجي الى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي وقرئ سبخا اي تفرق قلب بالشواغل مستعار
من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا على اي وجه
كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلوة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اي وانقطع اليه بمجامع الهمة
واستغراق العزيمة في مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه السلام عن العوائق الصادة عن
مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية الفواصل رب
المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر على انه بدل من ربك
وقيل على اضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فاتخذه وكيلا لترتيب الامر وتوكيد
على اختصاص الالوهية والربوبية واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه من الخرافات واهجرهم هجرا
جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى ربهم كما يعرب عنه قوله تعالى وذرني والمكذبين اي
دعني واياهم وكل امرهم الي فان بي غنية عن الكفاية اولي النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا
قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اي ان لدينا امورا تضاد تنعمهم
وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب في الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من
العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض
والجبال اي تضطرب وتتزلزل ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اي عذابا
واقعا يوم ترجف وكانت الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشيء اذا جمعه
كانه فعيل بمعنى مفعول مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا
عليكم يشهد يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى عم
وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه فعصى فرعون الرسول الذي ارسلناه اليه ومحل الكاف النصب
على انها صفة لمصدر محذوف اي انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله شاهدا عليكم
ارسالا كائنا كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج من التشبيه جيء
به للتنبيه على انه سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل اي

اي وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون ان كفرتم اي كيف تقون انفسكم ان بقيتم
على الكفر يوما اي عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي شيبا شيوخا
جمع اشيب اما حقيقة او تمثيلا واصله ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرع
فيه الشيب وقد يجوز ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذلك السماء منفطر به اي منشق وقرئ
منفطر اي متشقق والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انه تبدلت
حقيقتها وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشيء وقيل لتأويل السماء بالسقف وقيل
هو من باب النسب اي ذات انفطار والباء في قوله تعالى به مثلها في فطرت العود بالقدوم كان وعده
مفعولا الضمير لله تعالى والمصدر مضاف الى فاعله او اليوم وهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة
الى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب
اليه بالايمان والطاعة فانه المنهاج الموصل الى مرضاته ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي
الليل اي اقل منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه
وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وقرئ بالجر عطفا على ثلثي الليل وطائفة من الذين معك اي ويقوم
معك طائفة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم
الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن
تحصوه اي علم ان الشان لن تقدروا على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب
عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة عنكم في تركه فاقرءوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما
تيسر لكم من صلوة الليل عبر عن الصلوة بالقراءة كما عبر بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور
فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة آية
من القرآن في ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية علم ان
سيكون منكم مرضى استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص والتخفيف وآخرون
يضربون في الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد عمم ابتغاء الفضل
لتحصيل العلم وآخرون يقاتلون في سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعي الى الترخيص
فاقرءوا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة اي المفروضة وآتوا الزكوة الواجبة وقيل
هي زكوة الفطر اذ لم يكن بمكة زكوة ومن فسرها بالزكوة المفروضة جعل آخر السورة مدنيا واقرضوا الله
قرضا حسنا اريد به الانفاقات في سبيل الخيرات او اداء الزكوة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء
وما تقدموا لانفسكم من خير اي خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم
اجرا من الذي تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثاني مفعولي تجدوا وهو تاكيد او فصل وان
لم يقع بين معرفتين فان افعل من في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير
على الابتداء والخبر واستغفروا الله في كافة احوالكم فان الانسان قل ما يخلو من تفريط ان الله
غفور رحيم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر في الدنيا والآخرة

سورة المدثر وهي خمسون وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها المدثر اي المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد قيل
هي اول سورة نزلت روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كنت على جبل
حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيئا فنظرت فوقي فاذا به
قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك الذي ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثروني
دثروني فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر وعن الزهري ان اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى
ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عم وقال انك نبي الله
فرجع الى خديجة رضي الله عنها فقال دثروني وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع
من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه

وادثوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المتدثر بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اى الذى دثر هذا الامر العظيم وعصب به وفى حرف ابى المتدثر على الاصل **قم** اى من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم **فانذر** اى افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك كقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **وربك فكبر** واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة رضى الله عنها وفرحت وايقنت انه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلوة والفاء لمعنى الشرط كانه قيل ما كان اى اى شئ حدث فلا تدع تكبيره او للدلالة على ان المقصود الاولى من الامر بالقيام ان يكبر ربه وينزهه من الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع جل جلاله ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه **وثيابك فطهر** مما ليس بطاهر فانه واجب فى الصلوة واولى فى غيرها وذلك بصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وبتقصيرها ايضا فان طولها يودى الى جر الذيول على القاذورات وهو اول ما امر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة وقيل امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق **والرجز فاهجر** اى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من المآثم وقرئ بضم الراء وهما لغتان كالذكر والذكر **ولا تمنن تستكثر** ولا تعط مستكثرا اى رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا للكثير على انه نهى عن الاستغزار وهو الذى يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى اما للتحريم وهو خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له اشرف الاخلاق واحسن الآداب او للتنزيه للكل وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا بحال الوقف او ابدالا من تمنن كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذى فى قوله تعالى منا ولا اذى لان من يمن بما يعطى يستكثره ويعتد به وقرئ بالنصب باضمار ان مع ابقاء عملها كقوله من قول الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وقد قرئ باثباتها ويجوز فى قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روى احضر الوغى بالرفع **ولربك** اى لوجهه تعالى او لامره **فاصبر** فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض **فاذا نقر فى الناقور** اى نفخ فى الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى اذا ما دل عليه قوله تعالى **فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين** فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن والخبر يوم عسير وقيل يومئذ ظرف لخبر اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير وعلى متعلقة بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى **غير يسير** تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف فى ان المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية والحق انها الثانية اذ هى التى يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذى هو الاصعاق يعم البر والفاجر فى الاخبار ان فى الصور ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع فى تلك الثقب فى النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقبة روح الى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى **ذرنى ومن خلقت وحيدا** حال من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه فى الانتقام منه او من التاء اى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد او من العائد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد فهو تهكم به وبلقبه وصرف له عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه بكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه كان زنيما او وحيدا فى الشرارة **وجعلت له مالا ممدودا** مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر وقيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة

والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بالطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كان له الف دينار وقال قتادة ستة الاف دينار وقال ابو سفيان الثورى اربعة الاف دينار وقال الثورى ايضا الف الف دينار **وبنين شهودا** حضورا معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف فى عمل وتجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا فى الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص والقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة **ومهدت له تمهيدا** وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش **ثم يطمع ان ازيد** على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه اما لانه لا مزيد على ما اوتى سعة وكثرة او لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى **كلا** ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى **انه كان لآياتنا عنيدا** تعليل لذلك على وجه الاستئناف فان معاندة آيات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتى ما اوتى استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك **سارهقه صعودا** سأغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة او الجنة عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذى لا يطاق وعن النبى صلى الله عليه وسلم يكلف ان يصعد عقبة فى النار كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عم الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا **انه فكر وقدر** تعليل للوعيد واستحقاقه له او بيان لعناده لآياته اى فكر ماذا يقول فى شان القرآن وقدر فى نفسه ما يقوله **فقتل كيف قدر** تعجيب من تقديره واصابته فيه الغرض الذى كان ينتحيه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية لما ذكروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم او باعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسد بذلك روى ان الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأثره عن اهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله منه **ثم قتل كيف قدر** تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخى الزمانى **ثم نظر** اى فى القرآن مرة بعد مرة **ثم عبس** قطب وجهه لما لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر فى وجوه الناس ثم قطب فى وجوههم **وبسر** اتباع لعبس **ثم ادبر** عن الحق او عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **واستكبر** عن اتباعه **فقال ان هذا الا سحر يؤثر** يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله تفوه بها من غير تلعثم وتلبث وقوله تعالى **ان هذا الا قول البشر** تاكيد لما قبله ولذلك اخلى عن العاطف **ساصليه سقر** بدل من سارهقه صعودا **وما ادراك ما سقر** اى شئ اعلمك ما سقر على ان ما الاولى مبتدأ وادراك خبره وما الثانية خبر لانها المفيدة لما قصد افادته من التهويل والتفظيع وسقر مبتدأ اى اى شئ هو فى وصفها لما مر مرارا من ان ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله تعالى **لا تبقى ولا تذر** بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما ادراك ما سقر وقيل حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى شيئا يلقى فيها

الا اهلكته واذا اهلك لم تذره هالكا حتى يعاد او لا تبقي على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح
فيها هالك لا محالة لواحة للبشر مغيرة لاعالي الجلد مسودة لها وقيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا
من الليل وقيل تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص
للتهويل عليها تسعة عشر اي ملكا او صنفا او نقيبا من الملئكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها
وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالي الحركات فيما هو في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير
مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اي المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها الا ملئكة
ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله تعالى وبالغضب
له تعالى واشدهم باسا عن النبي صلى الله عليه وسلم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى
رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل
لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد
البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين فنزلت اي ما جعلناهم رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم
الا فتنة للذين كفروا اي وما جعلنا عددهم الا العدد الذي تسبب لافتتانهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر
على المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الامر بل جعله
في القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم
لتولي هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم به حسبما ذكر وعليه يدور ما سيأتي من تيقن
اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد ان اختلاف النفوس البشرية في النظر
والعمل بحسب القوى الحيوانية الاثنتي عشرة والطبيعية السبع او ان جهنم سبع دركات ست منها لاصناف
الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها على كل نوع ملك او صنف
او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد وان الساعات
اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من
العذاب يتولاها الزبانية ليستيقن الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اي ليكتسبوا
اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين آمنوا ايمانا
اي يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك
الى ايمانهم بسائر ما انزل ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تأكيد لما قبله من الاستيقان و
ازدياد الايمان ونفي لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في
نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب
مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان فكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل
بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده
ورسوخهم في ذلك وليقول الذين في قلوبهم مرض شك ونفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة
بعد الهجرة والكافرون المصرون على التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي اي شيء اراد بهذا العدد
المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع
كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء ذلك اشارة الى ما
قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير
يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اضلالا وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف
المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك
الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة
بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا
وهداية ادنى منهما وما يعلم جنود ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملئكة المذكورون الا هو
اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على

على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة خزنتها او الآيات الناطقة باحوالها الا
ذكرى للبشر اي تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يكون لهم تذكر والقمر والليل اذ ادبر
وقرئ اذ دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار
اذا خلفه والصبح اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض
للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التأنيث كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها
القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا او الدواهي الكبر على معنى ان البلايا
الكبرى كثيرة وسقر واحدة في العظم لا نظير لها نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال
مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان او لمبتدأ محذوف لمن شاء
منكم ان يتقدم او يتأخر بدل من للبشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان يسبق الى الخير فيهديه الله تعالى او لم
يشأ ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتأخر مبتدأ فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة اسم بمعنى الرهن
كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين
فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء الدين وقيل هم الملئكة وقيل الاطفال
وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين
يعطون كتابهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك وصفها وهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء اصحاب اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال
من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان
يسأل بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا بل صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم
فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث
يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي رأى كل واحد فقط فيذكر
للفعل ح مفعوله كما في قولك تراءوا الهلال فالمعنى يتساءلون عن المجرمين يسألونهم عن احوالهم وقد حذف
المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون
اي يسألونهم قائلين اي شيء ادخلكم في سقر وما سلككم فيها قالوا لم نك
من المصلين للصلوات الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار نفي
الاطعام لا على نفي استمرار الاطعام وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق
المؤاخذة وكنا نخوض مع الخائضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين
اي بيوم الجزاء اضافه الى الجزاء لانه من اعظم ما فيه وتأخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل
لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته
فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا والفاء لترتيب عدم النفع على ما ذكر
فما لهم عن التذكرة معرضين اي اذا كان حالهم كما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن
مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتاخذ الدواعي الى الايمان به ومعرضين حال من الضمير في الجار
الواقع خبرا لما الاستفهامية وعن متعلقة به كانهم حمر مستنفرة حال من المستكن في معرضين
بطريق التداخل اي مشبهين بحمر نافرة شديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها فرت من قسورة
اي من اسد او من رماة الصيد شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ
ونفورهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا
منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها بل يريد كل

واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كل واحد بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقرئ صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا ردع عن اقتراحهم انه اي القرآن تذكرة واي تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وحاز بسببه سعادة الدارين وما يذكرون بمجرد مشيتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشية العبد وارادته في افعاله وقوله الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال او وما يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله تعالى ذلك وهذا تصريح بان افعال العباد بمشية الله تعالى وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وكذب به

سورة القيمة وهي اربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شائع وفائدتها توكيد القسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هي للنفي لكن لا لنفي نفس الاقسام بل لنفي ما ينبئ عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا اقسم بكذا لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه فانه حقيق باكثر من ذلك واكثر فاما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت ما فيه في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كأنهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر كذلك ثم قيل اقسم بيوم القيمة كقولك لا والله ان البعث حق وايا ما كان ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيمة من الجزالة ما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس وسورة الزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرهن في التقوى [illegible] من الروعة التي في القسم السابق او بالنفس التي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الطاعات او بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة وقيل بالجنس لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام وان صدر عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من الكافرة المندرجة تحت الجنس وقيل بنفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وهو ليبعثن والمراد بالانسان الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف اي ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض او القتها في البحار وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اي بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه يسأل ايان يوم القيمة اي متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر اي تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الراء وهي لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اي انفتح وانفرج وخسف القمر اي ذهب ضوؤه وقرئ على البناء للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا في ذهاب الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران في النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اي يوم اذ تقع هذه الامور اين المفر اي الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اي موضع الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع عن طلب المفر وتمنيه لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل وقيل كل ما التجأت اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اي اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤا الانسان يومئذ اي يخبر كل امرئ برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم اي عمل من عمل خيرا كان او شرا فيثاب بالاول ويعاقب بالثاني واخر اي لم يعمل خيرا كان او شرا فيعاقب بالاول ويثاب بالثاني او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من سنة حسنة او سيئة فعمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما اخر فخلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة اي حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه من الاعمال السيئة كما يعرب عنه كلمة على وما سيأتي من الجملة الحالية وصفت بالبصارة مجازا كما وصفت الآيات بالابصار في قوله تعالى فلما جاءتهم آياتنا مبصرة او عين بصيرة او التاء للمبالغة ومعنى بل الترقي اي ينبؤ الانسان باعماله بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك وقوله تعالى ولو القى معاذيره اي ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة او من مرفوع ينبؤ اي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اي ولو ارخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان يتفلت منه فامر عليه السلام بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضي اليه الوحي ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه فقيل لا تحرك به اي بالقرآن لسانك عند القاء الوحي لتعجل به اي لتأخذه على عجلة مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه في صدرك بحيث لا يذهب عنك شيء من معانيه وقرآنه اي اثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه اي اتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام واسناد القراءة الى نون العظمة للمبالغة في ايجاب التأني فاتبع قرآنه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اي بيان ما اشكل عليك من معانيه واحكامه كلا ردع له عليه السلام عن عادة العجلة وترغيب له في الاناة واكد ذلك بقوله تعالى بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة على تعميم الخطاب اي بل انتم يا بني آدم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون في كل شيء ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع الضمير في الفعلين باعتبار الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم اذ تقوم القيمة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم على ان وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذ منصوب بناضرة وناظرة في قوله تعالى الى ربها ناظرة خبر ثان للمبتدأ او نعت لناضرة والى ربها متعلقة بناظرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه والخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه كذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف ولا على جهة وليس هذا في جميع الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهي وجوه الكفرة تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الآخرة اي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة اذا بلغت التراقي اي بلغت النفس اعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال وقيل من راق اي قال من حضر صاحبها من يرقيه وينجيه

مما هو فيه من الرقية وقيل هو كلام ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي وظن
انه الفراق وايقن المحتضر ان ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتفت ساقه
بساقه والتوت عليها عند قلق الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الآخرة وقيل هما ساقاه حين
تلفان في اكفانه الى ربك يومئذ المساق اى الى الله تعالى والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب
تصديقه من الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الذي نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه
والضمير فيهما للانسان المذكور في قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع
في حق المؤاخذة كما مر ولكن كذب ما ذكر من الرسول والقرآن وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى
يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه
يلويه اولى لك فاولى اى ويل لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم او اولى لك الهلاك
وقيل هو افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك
فاولى اى يتكرر عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اى يخلى مهملا فلا يكلف ولا
يجزى وقيل ان يترك في قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى الخ استيناف
وارد لابطال الحسبان المذكور فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان
علقة اى بقدر الله تعالى لقوله تعالى ثم جعلنا النطفة علقة فخلق اى فقدر بان جعلها مضغة مخلقة
فسوى فعدل وكمل نشأته فجعل منه من الانسان الزوجين اى الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين
أليس ذلك العظيم الشان الذي انشأ هذا الانشاء البديع بقادر على ان يحيي الموتى وهو اهون من البدء
في قياس العقل روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه عليه السلام من قرأ
سورة القيمة شهدت له انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

سورة الدهر وهي احدى وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل أهل اتى على الانسان قبل زمان قريب
حين من الدهر اى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيئا منسيا
غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اى غير مذكور او
صفة اخرى لحين على حذف العائد الى الموصوف اى لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان الجنس فالاظهار
في قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او آدم عم وهو المروي عن ابن عباس وقتادة
والثوري وعكرمة والشعبي قال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ
فيه الروح وهو ملقى بين مكة والطائف وفي رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة
ثم من حمأ مسنون فاقام اربعين سنة ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين
سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الحين المذكور ههنا هو الزمن الطويل الممتد
الذي لا يعرف مقداره فيكون الاول اشارة الى خلقه عم وهذا بيان لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج
او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته وصف النطفة به لما ان المراد بها مجموع الماءين ولكل منهما اوصاف
مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة
اصفر رقيق فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم
ودم وشعر فمن ماء المرأة قاله القرطبي وقد روي هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار واكباش وقيل
امشاج الوان واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال
من فاعل خلقنا اى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما سيأتي او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة
كما روي عن ابن عباس نصرفه في بطن امه نطفة ثم علقة الخ فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع
الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب من الابتلاء فلذلك عطف على الخلق المقيد به
بالفاء ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الآيات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا
حالان من مفعول هديناه اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية في حاليه جميعا او للتفصيل

او التقسيم اى هديناه الى ما يوصل اليها في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ
فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه وقيل من السبيل اى عرفناه السبيل شاكرا او كفورا على وصف السبيل بوصف
سالكه مجازا وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب اى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بمجرد
اجبارنا من غير اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعاة الفواصل والاشعار بان الانسان قلما يخلو من كفران ما وانما
المؤاخذ عليه الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذي هديناه السبيل سلاسل بها
يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تأخرهم للجمع بينهما في الذكر
كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الآية ولان الانذار اهم وانفع
وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن على ان في وصفهم تفصيلا ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم
الكريم وقرئ سلاسلا للتناسب ان الابرار شروع في بيان حسن حال الشاكرين اثر بيان سوء حال الكافرين
وايرادهم بعنوان البر للاشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر او بار كرب وارباب
وشاهد واشهاد وقيل هو من بر خالقه اى يطيعه وقيل من يمتثل بامره تعالى وقيل من يؤدي حق الله
تعالى ويوفي بالنذر وعن الحسن البر من لا يؤذي الذر يشربون من كأس هي الزجاجة اذا كانت
فيها خمر وتطلق على نفس الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية او بيانية كان مزاجها
اى ما تمزج به كافورا اى ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده
والجملة صفة كأس وقوله تعالى عينا بدل من كافورا وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك
وقيل يخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فعينا على هذين القولين بدل من محل
من كأس على تقدير مضاف اى يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص وقوله تعالى يشرب بها عباد
الله صفة عينا اى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشرب معنى يلتذ وقيل الباء بمعنى من
وقيل زائدة ويعضده قراءة ابن ابي عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكأس والمعنى يشربون العين بتلك
الكأس يفجرونها تفجيرا اى يجرونها حيثما شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل يجري جريا بقوة
واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استيناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا
ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى
ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله تعالى عليهم ويخافون
يوما كان شره عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا في الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر
وهو ابلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اى كائنين على حب الطعام والحاجة
اليه كما في قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس
او كائنين على حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سيأتي من قوله تعالى لوجه الله
مسكينا ويتيما واسيرا اى اسير كان فانه عم كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن
اليه او اسيرا مؤمنا فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم اسيرا فقال
غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول اى حال من فاعل
يطعمون اى قائلين ذلك بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة
المنقصة للاجر وعن الصديقة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول
ما قالوا فاذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا اى شكرا وهو تقرير وتأكيد لما قبله انا نخاف من ربنا يوما اى عذاب يوم عبوسا يعبس
فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فكانه يجمع ما بين عينيه كما
نفعل رجاء ان يقينا ربنا ذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكر اى انا نخاف عقاب الله
تعالى ان اردناهما فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا
اى اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على
مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا يأكلون منه ما شاؤا

وحريرا يلبسونه ويتزينون به وعن ابن عباس ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي عم في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي من شمعون الخيبري ثلاث اصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم ليفطروا به فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم فاقبلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عم ما اشد ما يسوءني ما ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عم وقال خذها يا محمد هنأك الله في اهل بيتك فاقرأه السورة متكئين فيها على الارائك حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك هي السرر في الحجال وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي والمعنى ان هواءها مضيء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف معطوف على جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ ودانية بالرفع على انه خبر لظلالها والجملة في حيز الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية فالمعنى ان ظلال اشجار الجنة قريبة من الابرار مظلة عليهم زيادة في نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس مؤذية لكانت اشجارها مظلة عليهم مع انه لا شمس ثمة ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اي سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل اخذها من الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها او معطوفة على دانية اي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهي جملة فعلية معطوفة على جملة اسمية ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب الكوب الكوز العظيم الذي لا اذن له ولا عروة كانت قواريرا قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة اكواب وقرئ بتنوين قوارير الثاني ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثاني بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها في انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على البناء للمفعول اي جعلوا قادرين لها كما شاؤوا من قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا اي ما يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشرب الممزوج به اطيب ما تستطيبه العرب والذ ما تستلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها فعينا ح بدل من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد بيان انها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه بل نقيض اللذع الذي هو السلاسة ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم الى بعض واذا رأيت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه ان بصرك اينما وقع في الجنة رأيت نعيما وملكا كبيرا اي هنيئا واسعا وفي الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل اذا ارادوا شيئا كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم عاليهم ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم وثياب

مبتدأ مؤخر والجملة صفة اخرى لولدان كأنه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب الخ وقيل حال من ضمير عليهم وحسبتهم اي يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب الخ او حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب الخ وقرئ عاليهم بالرفع على انه مبتدأ خبره ثياب اي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى لكونه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثاني وقرئ بالعكس وقرئ بجرهما واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استعمل في استبرق فعل علما لهذا النوع من الثياب وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلي اهل الجنة يختلف حسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من ضمير عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدوم وسقاهم ربهم شرابا طهورا هو نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اي يقال لهم ان هذا الذي ذكر من فنون الكرامات كان لكم جزاء بمقابلة اعمالكم الحسنة وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا اي مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيرنا كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتيب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلابد ان يكون النهي عن الاطاعة في الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الآثم عتبة فانه كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا في الكفر شديد الشكيمة في العتو واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره في جميع الاوقات او دم على صلوة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل ينتظمهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعله صلوة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلوة الليل من مزيد كلفة وخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة وينهمكون في لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اي امامهم لا يستعدون او ينبذون وراء ظهورهم يوما ثقيلا لا يعبؤون به ووصفه بالثقل لتشبيه شدته وهوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة وهو كالتعليل لما امر به ونهي عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه هو البعث كما ينبئ عنه كلمة اذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم واذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الآيات القرآنية فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ اليه تعالى سبيلا اي وسيلة توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التأثير والخلق لمشيئة الله عز وجل وقرئ يشاؤون بالياء وقرئ الا ما يشاء الله وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستأهله كل احد فلا يشاء لهم الا ما يستدعيه علمه ويقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيئته المترتبة على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في

الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اى يدخل من يشاء فى رحمته ويعذب الظالمين
ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان
جزاؤه على الله جنة وحريرا

سورة المرسلات وهى خمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من الله
تعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن عصف الرياح مسارعة فى الامتثال بالامر
وبطوائف اخرى نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرائع فى الاقطار او نشرن النفوس
الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين ذكرا الى الانبياء **عذرا او نذرا** للمحقين
للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الالقاء للايذان بكونها غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء
بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال
بالاقسام بهن ولو جئ بها على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لذلك من
الاستحقاق او اقسام برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله
تعالى ويجعله كسفا او بسحاب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن سائر الاصناف بالشكل واللون وسائر الخواص
او فرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا اما عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم
عند مشاهدتهم لآثار رحمته تعالى فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يكفرونها وينسبونها الى الانواء
واسناد القاء الذكر اليهن لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بآيات القرآن
المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن سائر الكتب بالنسخ ونشرن آثار الهدى فى مشارق الارض ومغاربها
وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فى اكناف العالمين والعرف اما نقيض النكر وانتصابه على
العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملائكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام والمؤمنين او بمعنى
المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محى الاساءة ومن انذر
اذا خوف وانتصابهما على البدلية من ذكرا او على العلية وقرئا بالتثقيل **انما توعدون لواقع** جواب
القسم اى ان الذى توعدونه من مجئ القيمة كائن لا محالة **فاذا النجوم طمست** محيت ومحقت او ذهب
بنورها **واذا السماء فرجت** صدعت وفتحت فكانت ابوابا **واذا الجبال نسفت** جعلت كالحب الذى
ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من انسفت الشئ اذا اختطفته
وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة **واذا الرسل اقتت** اى عين لهم الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة
على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا الميقات الذى كانوا ينتظرونه وقرئ
وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما **لاى يوم اجلت** مقدر بيقول هو جواب لاذا فى قوله تعالى واذا الرسل
اقتت او حال من مرفوع اقتت اى يقال لاى يوم اخرت الامور المتعلقة بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم
والتعجيب من هوله وقوله تعالى **ليوم الفصل** بيان ليوم التاجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق **وما
ادراك ما يوم الفصل** ما مبتدأ ادراك خبره اى شئ جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل
لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفائدة بيان
كون يوم الفصل امرا بديعا هائلا لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع
من الامور يوم الفصل كما يفيده عكسه **ويل يومئذ للمكذبين** اى فى ذلك اليوم الهائل وويل فى الاصل
مصدر منصوب سد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه
ويومئذ ظرفه او صفته **الم نهلك الاولين** كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون
من هلكه بمعنى اهلكه **ثم نتبعهم الآخرين** بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لسلوكهم
فى الكفر والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ ثم سنتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون
المراد بالآخرين المتأخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم **كذلك** مثل ذلك الفعل
الفظيع **نفعل بالمجرمين** اى سنتنا جارية على ذلك **ويل يومئذ** اى يوم اذ اهلكناهم **للمكذبين** بآيات الله

تعالى وانبيائه وليس فيه تكرير لما ان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا **الم نخلقكم** اى
الم نقدركم **من ماء مهين** اى من نطفة قذرة مهينة **فجعلناه فى قرار مكين** هو الرحم **الى قدر معلوم** الى
مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر **فقدرنا** اى فقدرناه
وقد قرئ مشددا او فقدرنا على ذلك او على الولادة **الم نجعل الارض كفاتا** الكفات اسم ما يكفت اى
يضم ويجمع من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه كالضمام والجماع لما يضم ويجمع اى الم نجعلها كفاتا تكفت **احياء** كثيرة
على ظهرها **وامواتا** غير محصورة فى بطنها وقيل هو مصدر نعت به للمبالغة وقيل جمع كافت كصائم وصيام
او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار بقاعها وقيل تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم
بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف اى كفاتا تكفتكم احياء وامواتا **وجعلنا فيها
رواسى** وجعلنا فيها رواسى اى جبالا ثوابت **شامخات** طوالا شواهق ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث
فى غير العقلاء مطرد كاجن ودواجن واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار بان فيها ما لم يعرف **و
اسقيناكم ماء فراتا** بان خلقنا فيها انهارا ومنابع **ويل يومئذ للمكذبين** بامثال هذه النعم العظيمة
انطلقوا اى يقال لهم يومئذ للتوبيخ والتقريع انطلقوا **الى ما كنتم به تكذبون** فى الدنيا من العذاب
انطلقوا خصوصا **الى ظل** اى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا على لفظ
الماضى اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه طوعا وكرها **ذى ثلاث شعب** يتشعب لعظمه
ثلاث شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار
كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش وقيل
خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا
العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة فى الدماغ والقوة الغضبية السبعية التى عن يمين القلب
والقوة الشهوية البهيمية التى عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه
وشعبة عن يساره **لا ظليل** تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل **ولا يغنى من اللهب** اى غير مغن
لهم من حر اللهب شيئا **انها ترمى بشرر كالقصر** اى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو
الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهى اعناق الابل او اعناق النخل
نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر جمع قصرة **كانه جمالات** قرئ
جمع جمال او جمالة جمع جمل **صفر** فان الشرار بما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا
فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وقرئ جمالات جمع جمالة او جمالة وقرئ جمالات بالضم
وهى قلوس الجسر والحبال الغليظ من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه فى امتداده والتفافه **ويل
يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون** اشارة الى وقت دخولهم النار اى هذا يوم لا ينطقون فيه لان
السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك ويوم القيامة طويل له مواطن ومواقيت ينطقون
فى وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بما ينفعهم فان ذلك كلا نطق وقرئ بنصب اليوم
اى هذا الذى قص واقع يوم لا ينطقون **ولا يؤذن لهم فيعتذرون** عطف على يؤذن ليدل على نفى
الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن كما لو نصب
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل **جمعناكم** خطاب لامة محمد
والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل **فان كان لكم كيد فكيدون** تقريع لهم على كيدهم
للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم **ويل يومئذ
للمكذبين** اذ لا حيلة لهم فى التخلص من العذاب **ان المتقين** من الكفر والتكذيب **فى ظلال
وعيون وفواكه مما يشتهون** اى مستقرون فى انواع الترفه **كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون**
مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين فى الظرف اى مقولا لهم كلوا واشربوا فى الدنيا من
الاعمال الصالحة **انا كذلك** الجزاء العظيم **نجزى المحسنين** اى فى عقائدهم واعمالهم الجزاء اذ ذى بينه

فنعم القادرون نحن ويل يومئذ للمكذبين

ويل يومئذ للمكذبين حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل كلوا وتمتعوا قليلا
إنكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين أي الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا
وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد وعلل ذلك بإجرامهم دلالة على أن كل
مجرم مآله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون في الدنيا بعد بيان مآل حالهم وقرر ذلك بقوله
تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع وإذا قيل لهم اركعوا أي أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا
له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك
ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل إذا أمروا بالصلوة أو بالركوع لا يفعلون إذ روي أنه نزل
حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلوة فقالوا لا نجبي فإنها مسبة علينا فقال عليه السلام لا خير في دين
ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ
للمكذبين وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة فبأي حديث بعده
يؤمنون أي بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج
قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون إذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون على الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

سورة النبأ وهي أربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عم أصله عما فحذف منه الألف إما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها أو قصدا للخفة لكثرة استعمالها
وقرئ على الأصل وما فيها من الإبهام للإيذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس
المعهودة أي عن أي شيء عظيم الشأن يتساءلون أي أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم
ويخوضون فيه إنكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو
حال من أحواله ووصف من أوصافه فإن ما وإن وضعت لطلب حقائق الأشياء ومسميات أسمائها كما في قولك
ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب وقيل كانوا
يسألون عنه الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم أي يدعونهم وتحقيقه أن صيغة التفاعل
في الأفعال المتعدية موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يصير كل واحد من
ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع بإسناد الفعل إليه ترجيحا لجانب فاعليته ويحال بمفعوليته على دلالة
الفعل كما في قولك تراءى القوم أي رأى كل واحد منهم الآخر وقد يجرد عن المعنى الثاني فيراد بها مجرد
صدور الفعل عن المتعدد عاريا عن اعتبار وقوعه عليه فيذكر للفعل حينئذ مفعول متعدد كما في المثال المذكور
أو واحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يحذف لظهوره كما نحن فيه فالمعنى أي شيء يسأل هؤلاء القوم الرسول عليه السلام
والمؤمنين وربما يجرد عن صدور الفعل عن المتعدد أيضا فيراد بها تعدده باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة
الفاعل كما في قوله تعالى فبأي آلاء ربك تتمارى وقوله تعالى عن النبإ العظيم بيان لشأن المسؤول
عنه إثر تفخيمه بإبهام أمره وتوجيه أذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فإن إيراده
على طريقة الاستفهام من علام الغيوب للتنبيه على أنه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة
علوم الخلق حقيق بأن يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كأنه قيل عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به ثم قيل
بطريق الجواب عن النبإ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة
بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة إلى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو
الحقيق بالجزالة التنزيلية وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وأيد ذلك بأنه
قرئ عمه والأظهر أنه مبني على إجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الأولى للتعليل كأنه قيل لم يتساءلون
عن النبإ العظيم وقيل عن الثانية استفهام مضمر كأنه قيل عم يتساءلون أعن النبإ العظيم والنبأ الخبر
الذي له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تأكيدا
لخطره إثر تأكيد وإشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل
وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات أي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول

إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري
ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر المعاد
الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الإنكار فمنهم من ينكره لإنكاره
الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة إعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف بالنفي والإثبات
بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على أن سؤال الأولين ليزدادوا خشية واستعدادا وسؤال
الآخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله تعالى كلا سيعلمون فإنه صريح في أن المراد اختلاف
الجاهلين والمنكرين له إذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين لهم وتخصيصهما بالكفرة بناء
على تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين للكل مما ينبغي تنزيه التنزيل عن أمثاله هذا
ما أدى إليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق أن يحمل اختلافهم على مخالفتهم
للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فإن
الافتعال والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل إلى غير ذلك
يجري في كل منهما ما يجري في الأخرى لا على مخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وإن استحق الردع
والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر إذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق من
يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون
وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام
من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله
من يموت إلى قوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه الآية فإن ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه
من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى
ليرتدعوا عما هم عليه فإنهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى
ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد
الثاني أبلغ وأشد وقيل الأول عند النزع والثاني في القيامة وقيل الأول للبعث والثاني للجزاء وقرئ
ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات إلى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات تشديدا للردع والوعيد
لا على تقدير قل لهم كما توهم فإن فيه من الإخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى ألم نجعل
الأرض مهادا والجبال أوتادا الخ استئناف مسوق لتحقيق النبإ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد
الناطقة بحقيته إثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن ههنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث
لا القرآن أو نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات إلى الخطاب على القراءة المشهورة
للمبالغة في الإلزام والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد
له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال أوتادا لها أرساها بها كما يرسى البيت بالأوتاد
وخلقناكم عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فإنه في قوة أما جعلنا الخ أو على ما يقتضيه الإنكار
التقريري فإنه في قوة أن يقال قد جعلنا الخ أزواجا أصنافا ذكرا وأنثى ليسكن كل من الصنفين إلى الآخر
وينتظم أمر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا أي موتا فإنه أحد التوفيين
لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحيوة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل
وقوله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الإحساس والحركة لإراحة
القوى الحيوانية وإزاحة كلالها والأول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل أي الذي فيه
يقع النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف
ونحوه فإن شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق المقصد أدخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي جعل
موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحيوة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا أي وقت
حيوة تبعثون فيه من نومكم الذي هو أخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا
وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن أراد هربا من عدو أو بياتا له

اوعن ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل المعايش والحوائج وبنينا
فوقكم سبعا شدادا اي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور والتعبير
عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة
الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن
عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا هذا الجعل بمعنى الانشاء والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء
التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الاية الكريمة والتشريعي ايضا كما في قوله تعالى
ما جعل الله من بحيرة الخ وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واياما كان ففيه انباء عن ملابسة
مفعوله بشيء اخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما شيء من الظروف
لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة في الكلام بل قيدا فيه كما في قوله تعالى وجعل بينهما برزخا وقوله
وجعل فيها رواسي وقوله واجعل لنا من لدنك وليا الاية فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل
او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا انتفى
الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في
اذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى
اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلالي من وهجت النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من
الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السموات بالبناء وانزلنا من المعصرات
هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد
ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقرئ بالمعصرات ووجه
ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد به السحاب او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده
وبيده وقد فسر المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجهه ان الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه
فصلحت ان تجعل مبدأ للانزال ماء ثجاجا اي منصبا بكثرة يقال ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وقرئ ثجاحا والحاء
بعد الجيم قالوا مثاجح الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا يقتات به كالحنطة والشعير ونحوهما ونباتا يعتلف
كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه غذاء الانسان
وجنات الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف
اغصانه قال زهير بن ابي سلمى • كأن عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا •
وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى
الفافا اي ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن
واكنان او لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل جمع ملتفة بحذف الزوائد
واعلم ان فيما ذكر من افعاله تعالى دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته
تعالى فان من قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة
اقدر واقوى الثاني باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رائع مستتبع لغايات جليلة
ومنافع جميلة عائدة الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل
فان اليقظة بعد النوم انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض
الميتة يعاينونه كل حين كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الافاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات
على حقية البعث الموجبة للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى ان يوم
الفصل كان ميقاتا شروع في بيان سر تاخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين ونوع تفصيل لكيفيته ووقوعه وما سيلقونه عنده من فنون العذاب حسبما جرى به
الوعيد اجمالا اي ان يوم فصل الله عز وجل بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين
والاخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتاخر وقيل حدا توقت به

به الدنيا وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في انهما بمعزل من التقريب الذي اشير اليه على ان الدنيا
تنتهي عند النفخة الاولى وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور اي نفخة ثانية بدل من يوم الفصل او عطف
بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدئه
النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه واثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق
الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فيؤمر به فينفخ
فيه نفخة لا يبقى عندها في الحياة غير من شاء الله وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى فتأتون فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت
ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر
فانفلق اي فتبعثون من قبوركم فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث اصلا افواجا اي امما كل امة
مع امامها كما في قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع
حسب اختلاف اعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام سألت
يا معاذ عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه وقال تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة
القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم
عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد
نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة
القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم
فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين
يمضغون السنتهم فالعلماء الذين خالفت اقوالهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون
جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد نتنا من
الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله تعالى في اموالهم واما الذين يلبسون الجباب فاهل
الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وقرئ فتحت
بالتشديد فكانت ابوابا اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة نزولا غير
معتاد حتى صارت كأنها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون تتفجر
وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان
يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فينفتح
مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وسيرت الجبال اي في الجو على هيئاتها بعد قلعها من مقارها كما يعرب
عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها
والحال انها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا
من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد وعليه قول من قال
• بارعن مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج •
وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله
تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش يبدل الله تعالى الارض ويغير هيئتها ويسير الجبال عن مقارها
على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر بعد النفخة الثانية ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى
فكانت سرابا اي فصارت بعد تسييرها مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء
منبثا اي تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها وقد ذكر عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض
انما يكون بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها

قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عم وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصاداً شروع في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان هوله ووجه تقديم بيان حال الكفار غني عن البيان والمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمضمار الذي هو اسم للمكان الذي يضمر فيه الخيل والمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه اي انها كانت في حكم الله تعالى وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصاداً اي كائناً للطاغين وقوله تعالى مآباً بدل منه اي مرجعاً يرجعون اليه واما حال من مآباً قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له وقد جوز ان يتعلق بنفس مآباً على انها مرصاد للفريقين مآب للكافرين خاصة ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصاداً لطائفة كونهم معذبين بها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين وقيل المرصاد صيغة مبالغة من الرصد والمعنى انها مجدة في ترصد الكفار لئلا يشذ منهم احد وقرئ ان بالفتح على تعليل قيام الساعة بانها مرصاد للطاغين لابثين فيها حال مقدرة من المستكن في للطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى احقاباً ظرف للبثهم اي دهوراً متتابعة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على تناهي مدة الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة وقوله تعالى لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً الا حميماً وغساقاً جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئاً ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميماً وغساقاً وقيل البرد وقرئ غساقاً بالتخفيف وكلاهما ما يسيل من صديدهم جزاءً اي جوزوا بذلك جزاءً وفاقاً ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة او وافقها وفاقاً وقرئ وفاقاً على انه فعال من وفقه كذا اي لاقه انهم كانوا لا يرجون حساباً تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا بآياتنا الناطقة بذلك كذاباً اي تكذيباً مفرطاً ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب قال فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانتصابه اما بفعله المدلول عليه بكذبوا اي وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذاباً واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذاباً وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيباً كذاباً مفرطاً كذبه وكل شئ من الاشياء التي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتاباً مصدر مؤكد لاحصيناه لما ان الاحصاء والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوباً في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذاباً مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وفي الالتفات المنبئ عن التشديد في التهديد وايراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي صلى الله عم ان هذه الآية اشد ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازاً شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان سوء احوال الكفرة اي ان للذين يتقون الكفر وسائر قبائح اعمال الكفرة فوزاً وظفراً بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وقوله تعالى حدائق واعناباً اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروماً بدل من مفازاً وكواعب اي نساء فلكت ثديهن وهن النواهد اتراباً اي لدات وكأساً دهاقاً اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملأه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكأس لغواً ولا كذاباً اي لا ينطقون باللغو ولا يكذب بعضهم بعضاً وقرئ كذاباً بالتخفيف اي لا يكذبه او لا يكاذبه جزاءً من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازاً فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاءً كائناً من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال شيئاً فشيئاً مع الاضافة الى ضميره عم مزيد تشريف له عم عطاءً اي

تفضلاً واحساناً منه تعالى اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاءً حساباً صفة لعطاءً بمعنى كافياً على انه مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حساباً بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة اشعار بمدار الجزاء وقوله تعالى لا يملكون منه خطاباً استئناف مقرر لما افادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدأ مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدأ والثاني خبره ولا يملكون ٥
خبر آخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدأ والرحمن مبتدأ ثان ولا يملكون خبره والجملة خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بمعناه على رأي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعاً على المدح او يكون الثاني نعتاً للاول ولا يملكون استئنافاً على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطاء كما في القراءة الاولى لما ان المرفوع او المنصوب مدحاً تابع لما قبله معنى وان كان منقطعاً عنه اعراباً كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتداء والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدأ مضمر وما بعده استئناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقاء انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطاباً ما في شئ ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشئ من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه وآكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله تعالى به ويأمر في امر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملائكة صفاً قيل الروح خلق اعظم من الملائكة واشرف منهم واقرب من رب العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله تعالى بعد العرش خلقاً اعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما اذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً والملائكة كلهم صفاً وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح جند من جنود الله ليسوا ملائكة لهم رؤوس وايد وارجل يأكلون الطعام ثم قرأ يوم يقوم الروح الآية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملائكة وقيل هم الحفظة على الملائكة وقيل جبريل عم وصفاً حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صف واحد او متعدد والملائكة صف وقيل صفوف وهو الاوفق لقوله تعالى والملك صفاً صفاً وقيل يقوم الكل صفاً واحداً ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صواباً بدل من ضمير لا يتكلمون العائد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملائكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة الكريمة الى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى لا يملكون الخ ومؤكد له على معنى ان اهل السموات والارض اذا لم يقدروا يومئذ ان يتكلموا بشئ من جنس الكلام الا من اذن الله تعالى له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولاً صواباً اي حقاً فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعزه مراماً لا على معنى ان الروح والملائكة مع كونهم افضل الخلائق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فتنبه لكونه مع تجويزه ان يكون يوم ظرفاً لا يملكون فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صواباً اي حقاً هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لا ان احداً يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق

الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمآبا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كأنه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ربه الذي ذكر شؤونه العظيمة فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مآبا اي سبيلا وتعلق الجار به لما فيه من معنى الافضاء والايصال كما مر في قوله تعالى من استطاع اليه سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن عذابا قريبا هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان رأوه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو قتل قريش يوم بدر ويأباه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كائنا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعائد محذوف او ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وما في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم وقيل معنى تمنيه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف وليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة النازعات بسم الله الرحمن الرحيم خمس واربعون آيات

والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله تعالى بطوائف الملائكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس ومجاهد او ارواح الكفرة كما قاله علي وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات والعطف مع اتحاد الكل بتنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفاء في الاخيرين للدلالة على ترتبهما على ما قبلهما بغير مهلة كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب وغرقا مصدر مؤكد بحذف الزوائد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم تفرقها في جسده ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية واما امرا فمفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف من الملائكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به اليه ودلالة ما بعده من احوال القيامة عليه وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد جوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي تخرج من نشط

الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او ايديهم التي تنزع القسي باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه هذا والذي يليق بشأن التنزيل هو الاول

وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بالجواب المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة التي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث اي لتبعثن يوم النفخة الاولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك فانه عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة وباعتبار امتداده مع ان البعث لا يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام ووجه اضافته الى الاولى ظاهر وقيل يوم ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون الجواب المضمر كأنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب وقيل قلوب مبتدأ ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة للقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ابصارها اي ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا للقلوب وفيه ان حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصود الافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام وايضا فتخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع كما قيل وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كأنه قيل قلوب كثيرة يوم اذ يقع النفختان واجفة اي شديدة الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنهما خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون أإنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث المكذبون بالآيات الناطقة به اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه أئنا لمردودون بعد موتنا في الحافرة اي في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية اي منسوبة الى الحفر والرضا او كقولهم نهاره صائم على تشبيه القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة بمعنى المحفورة وقوله تعالى أإذا كنا عظاما نخرة تأكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى الحالة المنافية له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي أإذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار وناخرة من

نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي الاجوف الذي يمر به الريح فيسمع له نخير **قالوا** حكاية لكفر آخر لهم
متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق
الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته
بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء مشيرين الى ما انكروه من الرد في الحافرة مشعرين بغاية
بعدها من الوقوع **تلك اذا كرة خاسرة** اي ذات خسران او خاسر اصحابها اي ان صحت فنحن اذن
خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى **فانما هي زجرة واحدة** تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء
العظام النخرة الذي عبروا عنها بالكرة فان مدار ما كان استصعابهم اياها فرد عليهم ذلك فقيل
لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة بصيحة واحدة وهي النفخة الثانية عبر عنها بها
تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع الى الراد من قوله تعالى **فاذا هم بالساهرة**
بيان لترتيب الكرة على الزجرة مفاجأة اي فاذا هم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في
جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء
المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة
وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل
هي ارض القيمة وروى الضحاك عن ابن عباس ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط
خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله تعالى يوم القيمة وقيل هي اسم الارض السابعة يأتي بها
الله تعالى فيحاسب الخلائق عليها وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال الثوري الساهرة ارض
الشام وقال وهب ابن منبه هي بيت المقدس وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى
هل اتاك حديث موسى كلام مستانف وارد لتسلية رسول الله صلى الله عم من تكذيب قومه بانه
يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل اتاك ان اعتبر هذا اول ما اتاه عم من
حديثه عم ترغيب له في استماع حديثه كانه قيل هل اتاك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر
اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصار اليس قد اتاك حديثه وقوله تعالى **اذ
ناداه ربه بالواد المقدس** ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف وقتيهما **طوى** بضم الطاء غير منون
وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى مصدر
لنادى او المقدس اذ ناداه نداءين اي المقدس مرة بعد اخرى **اذهب الى فرعون** على ارادة القول وقيل
هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد الله ان اذهب
لان في النداء معنى القول **انه طغى** تعليل للامر او لوجوب الامتثال به **فقل** بعدما اتيته **هل
لك** رغبة وتوجه **الى ان تزكى** بحذف احدى التاءين من تتزكى اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان
وقرئ تزكى بالتشديد **واهديك الى ربك** وارشدك الى معرفته فتعرفه **فتخشى** اذ الخشية
لا تكون الا بعد معرفته تعالى قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية
لانها ملاك الامر من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر امر النبي صلى الله عم
بان يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من
عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء في قوله تعالى
فأراه الآية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلا على تفصيلها في السور الاخر فانه عم ما اراه
اياها عقيب هذا الامر بل بعدما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما
من المراجعات وبعدما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت بآية
فأت بها ان كنت من الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها وعرفها
وادعى سحريتها انما كان اراءة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عم بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون
العظمة في قوله تعالى ولقد اريناه آياتنا بالنظر الى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية
وهو قول ابن عباس رضي الله عنه فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها او هما جميعا وهو

او هما جميعا وهو قول مجاهد فانهما كالآية الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت
واخوك بآياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها آية بينة لقوم يعقلون كما مر
تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته فان ما عدا هاتين الآيتين من الآيات
التسع انما ظهرت على يده عم بعدما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف
ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترتب على هذا **فكذب** بموسى عم او سمى معجزته سحرا **وعصى**
الله تعالى بالتمرد بعدما علم صحة الامر ووجوب الطاعة اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على انكار
وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته تعالى وترك العظيمة التي
كان يدعيها والطاغية ويقبلها منه بتبعه الطاغية لا بارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر فقط **ثم ادبر** اي تولى
عن الطاعة او انصرف عن المجلس **يسعى** اي يجتهد في معارضة الآية او اريد ثم اقبل اي انشأ يسعى فوضع موضعه
ادبر تحاشيا عن وصفه بالاقبال وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روي انه عم لما القى العصا انقلبت
ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور
القصر فتوجه نحو فرعون فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من
قومه وقيل انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول
يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا ويأباه
ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة كما يعرب عنه قوله تعالى **فحشر**
اي فجمع السحرة لقوله تعالى فارسل فرعون في المدائن حاشرين وقوله فتولى فجمع كيده اي ما يكاد به من
السحرة وآلاتهم وقيل جنوده ويجوز ان يراد جمع الناس **فنادى** في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي **فقال
انا ربكم الاعلى** قيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة **فاخذه الله نكال الآخرة والاولى** النكال بمعنى
التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من رآه او سمعه ويمنعه من تعاطي ما يفضي اليه
ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله نكال الآخرة والاولى وهو
الاحراق في الآخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لأخذ اي اخذه الله اخذ نكال الخ وقيل مفعول
له اي اخذه الله لاجل نكال الخ وقيل نصب على نزع الخافض اي اخذ بنكال الآخرة والاولى واضافته الى
الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما فان ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فان العقوبة الاخ
تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي اليها لا محالة وقيل المراد بالآخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى
وقوله ما علمت لكم من اله غيري قيل كان بينهما اربعون سنة فالاضافة اضافة المسبب الى السبب **ان
في ذلك** اي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل وما فعل به **لعبرة** عظيمة **لمن يخشى** اي لمن من شانه ان
يخشى وهو من من شانه المعرفة **أأنتم اشد خلقا** خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته
في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله تعالى بقوله تعالى فانما
هي زجرة واحدة اي أخلقكم بعد موتكم اشد اي اشق واصعب في تقديركم **ام السماء** اي ام خلق السماء على عظمها
وانطوائها على تعاجيب البدائع التي تحار العقول عن ملاحظة ادناها كقوله تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى **بناها**
الخ بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله تعالى ام السماء وفي عدم ذكر الفاعل من
التنبيه على تعين الفاعل وعظم شانه تعالى ما لا يخفى وقوله تعالى **رفع سمكها** بيان للبناء
اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام **فسواها**
فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به من الكواكب والتداوير
وغيرها مما لا يعلمه الا الخلاق العليم من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه **واغطش ليلها** اي جعله مظلما
منقول من غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم الليل واظلمه الله وقد مر هذا في قوله تعالى واذا اظلم
عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم **واخرج ضحاها** اي ابرز نهارها عبر عنه بالضحى
لانه اشرف اوقاته واطيبها فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تاخير ذكره عن ذكر

الليل وفي التعبير عنها حالتئذ بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في الاحسان واضافة الليل والضحى الى السماء لدوران حدوثهما على حركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى اليها بواسطة الشمس اي ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحاها اخرج منها ماءها بان فجر منها عيونا واجرى انهارا ومرعاها اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحاها وتكملة له فان السكنى لا تتاتى بمجرد البسط والتمهيد بل لابد من تسوية امر المعاش من الماكل والمشرب حتما واما لانها حال من فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما في قوله تعالى او جاءوكم حصرت صدورهم والجبال منصوب بمضمر يفسره ارساها اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بارسائه تعالى ولولاه لما ثبتت في انفسها فضلا عن اثباتها للارض وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر الماكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضميري الماء والمرعى الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تاخر دحو الارض عن خلق السماء وما فيها كما يروى عن الحسن من انه خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما الاية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان الاية ان حمل ما فيه من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات يدلان على تقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة فالاقرب كما قيل تاويل هذه الاية بان يجعل ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من ان انتصاب الارض بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر ويقتضي البعدية في الوجود وفائدة تاخيرها في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روي عن الحسن نصا في تاخر دحو الارض عن خلق السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل من الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في آيات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقدم تقدير الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة البقرة على التراخي في الرتبة وقوله تعالى متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول الماكول على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك

بذلك وقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات اي تعلوها وتغلبها وهي القيمة او النفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلائق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم الخ والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الانسان ما سعى قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسيرا للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف المحض مما يوهم تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على راي الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة عمله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الامد كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان تكون ما مصدرية وبرزت الجحيم عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد لمن يرى كائنا من كان يروى انه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لمن تراه من الكفار وقوله تعالى فاما من طغى الخ جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الاية وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فاما الخ والذي يستدعيه فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشئون ما لم تشاهده العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فاما من عتى وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان وآثر الحيوة الدنيا الفانية التي هي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحيوة الآخرة الابدية بالايمان والطاعة فان الجحيم التي ذكر شانها هي المأوى اي هي ماواه واللام سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في المأوى والطرف للتعريف لانهما معرفة وهي ضمير فصل او مبتدا قيل نزلت الاية في النضر وابيه الحارث المشهورين في الغلو والطغيان واما من خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحيوة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها فان الجنة هي المأوى له لا غيرها وقيل نزلت الايتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير رضي الله عنه وقد قتل مصعب اخاه عزيزا يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استشهد رضي الله عنه هذا وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الخ فاذا جاءت الطامة الكبرى يتذكر الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حالا من الانسان باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين ولمن يرى نصا عن الغائب وقوله تعالى فاما من طغى الخ تفصيلا لحال الانسان الذي يتذكر ما سعى وتقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين كفا
يسألونك عن الساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهي اليه وتستقر فيه وقوله تعالى فيم انت من ذكراها انكار ورد لسؤال المشركين عنها اي في اي شيء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى يسألونك كانك حفي عنها اي ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء لان ذلك فرع علمك به واني لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا فقد نأى عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من الاستئناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اي فيم هذا السؤال ثم ابتدئ فقيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث في نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فمعنى قوله تعالى الى ربك منتهاها على الاول اليه تعالى يرجع منتهى علمها اي علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها

وقد حصل لهم ذلك بمبعثك فما معنى سؤالهم عنها بعد ذلك وأما على الوجه الأول فمعناه إليه تعالى انتهاء
علمها ليس لأحد منه شيء ما كائنا من كان فلأي شيء يسألونك عنها إنما أنت منذر من يخشاها على الوجه
الأول تقرير لما قبله من قوله فيم أنت من ذكراها وتحقيق لما هو المراد منه وبيان لوظيفته عم في ذلك
الشأن فإن إنكار كونه عم في شيء من ذكراها مما يوهم بظاهره أن ليس له عم أن يذكرها بوجه من
الوجوه فأزيح ذلك ببيان أن المنفي عنه عم ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما كانوا يسألونه عنها فالمعنى
إنما أنت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال لما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون
الأهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذي لم يفوض إليك فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه
وعلى الوجه الثاني هو تقرير لقوله أنت من ذكراها ببيان أن إرساله عم وهو خاتم الأنبياء عليهم السلام
منذر بمجيء الساعة كما ينطق به قوله عم بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني وقرئ منذر بالتنوين
وهو الأصل والإضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال فإذا أريد الماضي تعينت الإضافة وتخصيص
الإنذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لأنه المنتفع به وقوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية
أو ضحاها إما تقرير وتأكيد لما ينبئ عنه الإنذار من سرعة مجيء المنذر به لا سيما على الوجه الثاني
أي كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الإنذار بها إلا عشية يوم واحد أو ضحاه فلما ترك اليوم أضيف
ضحاه إلى عشيته وإما رد لما أدمجوه في سؤالهم فإنهم كانوا يسألون عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين
بها وإن كان على نهج الاستهزاء بها ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فالمعنى كأنهم يوم يرونها
لم يلبثوا بعد الوعيد بها إلا عشية أو ضحاها واعتبار كون اللبث في الدنيا أو في القبور لا يقتضيه
المقام وإنما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الإنذار أو بعد الوعيد تحقيقا للإنذار وردا لاستبطائهم
والجملة على الأول حال من الموصول فإنه على تقدير الإضافة وعدمها مفعول لمنذر كما أن قوله تعالى
لم يلبثوا إلا ساعة من نهار حال من ضمير المفعول في يحشرهم أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث في الدنيا
إلا ساعة خلا أن التشبيه هناك في الأحوال الظاهرة من الزي والهيئة وفيما نحن فيه في الاعتقاد
كأنه قيل تنذرهم مشبهين يوم يرونها في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الإنذار بها إلا تلك المدة اليسيرة وعلى
الثاني مستأنفة لا محل لها من الإعراب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات
كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله أعلم

سورة الأعمى وهي أربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى أن جاءه الأعمى روي أن ابن أم مكتوم واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن أبي ربيعة الفهري
وأم مكتوم اسم أم أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء
أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم
فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه
ويقول إذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين
وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وأن جاءه علة لتولى أو عبس على اختلاف الرأيين أي لأن جاءه الأعمى
والتعرض لعنوان عماه إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه عم بالقوم والإيذان باستحقاقه بالرفق
والرأفة وإما لزيادة الإنكار كأنه قيل تولى لكونه أعمى كما أن الالتفات في قوله تعالى وما يدريك لذلك
فإن المشافهة أدخل في تشديد العتاب أي وأي شيء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه وقوله تعالى
لعله يزكى استئناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فإنه مع إشعاره بأن له شأنا منافيا للإعراض عنه
خارجا عن دائرة العلم والإدراك مؤذن بأنه تعالى يدريه ذلك أي لعله يتطهر بما يقتبس منك من
أوضار الأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجي
بالنسبة إليه عم للتنبيه على أن الإعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف إذا كان مقطوعا
بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم

التزكي والتذكر أصلا وقوله تعالى أو يذكر عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله تعالى
فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر أي أو يتذكر فتنفعه موعظتك إن
لم يبلغ درجة التزكي التام وقيل الضمير في لعله للكافر فالمعنى إنك طمعت في أن يزكى أو يذكر فتقربه الذكرى إلى
قبول الحق ولذلك توليت عن الأعمى وما يدريك أن ذلك مرجو الوقوع أما من استغنى أي عن الإيمان
وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن فأنت له تصدى أي تتصدى وتتعرض بالإقبال
عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه وفيه مزيد تنفير له عم عن مصاحبتهم فإن الإقبال على المدبر ليس من
شيم الكرام وقرئ تصدى بإدغام التاء في الصاد وقرئ تصدى بضم التاء أي تعرض ومعناه يدعوك إلى
التصدي له داع من الحرص والتهالك على إسلامه وما عليك ألا يزكى وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام حتى تهتم بأمره
وتعرض عمن أسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للإنكار أي أي شيء في أن لا يتزكى وباله
عليك وأما من جاءك يسعى أي حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى أي
الله تعالى وقيل يخشى أذية الكفار في إتيانك وقيل يخشى الكبوة إذ لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل يسعى كما أنه
حال من فاعل جاءك فأنت عنه تلهى تتشاغل يقال لهي عنه والتهى وتلهى وقرئ تتلهى وتلهى أي يلهيك شأن
الصناديد وفي تقديم ضميره عم على الفعلين تنبيه على أن مناط الإنكار خصوصيته عم أي مثلك خصوصا
لا ينبغي أن يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عم بمضمونهما
روي أنه صلى الله عليه وسلم ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني كلا ردع له عم عما عوتب
عليه من التصدي لمن استغنى عما دعاه إليه من الإيمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم والمبالغة في
الاهتمام بأمره مع إعراضه عن ذلك وإن كان طمعا في إسلامه معرضا بسبب ذلك عن إرشاد من يسترشده وقوله تعالى إنها تذكرة أي
موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم الذي استغنى عنه
من تصدى له وتحقيق أن شأنه أن يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها لمن رغب فيها اتعظ بها كما نطق به
قوله تعالى فمن شاء ذكره أي حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغني فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره
قيل الضميران للقرآن وتأنيث الأول لتأنيث خبره وقيل الأول للسورة أو للآيات السابقة والثاني للتذكرة والتذكير
لأنها في معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فإن السورة والآيات وإن كانت متصفة بما سيأتي من الصفات الشريفة
لكنها ليست مما ألقي على من استغنى عنه واستحق بسبب ذلك ما سيأتي من الدعاء عليه والتعجب من كفره
المفرط لنزولها بعد الحادثة وأما من جوز رجوعهما إلى العتاب المذكور فقد أخطأ وأساء الأدب
وخبط خبطا يقضي منه العجب فتأمل وكن على الحق المبين وقوله تعالى في صحف متعلق بمضمر هو صفة
لتذكرة وما بينهما اعتراض جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها أي كائنة في صحف منتسخة من اللوح أو خبر
ثان لأنها مكرمة عند الله مرفوعة أي في السماء السابعة أو مرفوعة القدر والذكر مطهرة منزهة عن
مساس أيدي الشياطين بأيدي سفرة أي كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر
من السفر وهو الكتب وقيل بأيدي رسل من الملائكة يسفرون بالوحي بينه تعالى وبين الأنبياء على أنه جمع سفير
من السفارة وحملهم على الأنبياء عليهم السلام بعيد فإن وظيفتهم التلقي من الوحي لا الكتب منه وإرشاد الأمة
بالأمر والنهي وتعليم الشرائع والأحكام لا مجرد السفارة إليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الأسفار أو على أصحابه
وقيل في الباهرة إن اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة والباء
متعلقة بمطهرة قال القفال لما لم يمسها إلا الملائكة المطهرون أضيف التطهير إليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي
إن المراد بقوله تعالى لا يمسه إلا المطهرون هؤلاء السفرة الكرام البررة كرام عند الله تعالى أو متعطفين على
المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة أتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه أي
يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه قتل الإنسان دعاء عليه بأشنع الدعوات وقوله تعالى ما أكفره
تعجب من إفراطه في الكفران وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد إما من استغنى عن القرآن الكريم
الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به وإما الجنس باعتبار انتظامه له ولأمثاله
من أفراده لا باعتبار جميع أفراده وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الإنباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة

ما لا غاية وراءه وقوله تعالى من اى شىء خلقه شروع فى بيان افراطه فى الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدأ فطرته الى منتهى عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفى الاستفهام عن مبدأ خلقه ثم بيانه بقوله تعالى من نطفة خلقه تحقير له اى من اى شىء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اى ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح فم الرحم والهمه ان يتنكس او يسر له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اى جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة فى الجملة الى الحيوة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره اى اذا شاء انشاره انشره على القاعدة المستمرة فى حذف مفعول المشيئة وفى تعليق الانشار بمشيئته تعالى ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى لما يقض ما امره بيان لسبب الردع اى لم يقض بعد من لدن آدم عم الى هذه الغاية مع طول المدى وامتداده ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد وقتادة ولا ريب فى ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من نوع تقصير لا يخلو عنه احد من افراده كيف لا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم شيبتنى سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل عدم القضاء على عموم النفى لا على نفى العموم اما على ان المحكوم عليه هو المستغنى وهو الجنس لكن لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما فى قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار للاشباع فى اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الايجاب الكلى دون السلب الكلى فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره به بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا فيتعلق بما بعده اى حقا لم يعمل بما امر به وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه شروع فى تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الى طعامه الذى عليه يدور امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا اى الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ انى بالامالة اى كيف صببنا الخ اى صببناه صبا عجيبا ثم شققنا الارض اى بالنبات شقا بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا وكبرا وشكلا وهيئة وحمل شقها على ما بالكراب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه كلمة ثم والفاء فى قوله تعالى فانبتنا فيها حبا فان الشق بهذا المعنى لا ترتب بينه وبين الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدر فتوسيط فعل المنعم عليه فى حصول تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اى رطبة سميت بمصدر قضبه اى قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا الكلام فيهما وفى امثالهما كما فى العنب وحدائق غلبا اى عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اى مرعى من اب اذا امه اى قصده لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى او فاكهة يابسة تؤوب للشتاء وعن الصديق رضى الله عنه انه سئل عن الاب فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضه انه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف

التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم ولانعامكم اما مفعول له اى فعل ذلك تمتيعا لكم ولمواشيكم فان بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم والالتفات لتكميل الامتنان واما مصدر مؤكد لفعله المضمر بحذف الزوائد اى متعكم بذلك متاعا او لفعل مترتب عليه اى متعكم بذلك فتمتعتم متاعا اى تمتعا كما مر غير مرة او مصدر من غير لفظه فان ما ذكر من الافعال الثلاثة فى معنى التمتيع فاذا جاءت الصاخة شروع فى بيان احوال معادهم اثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فنون النعم عن قريب كما يشعر به لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها والصاخة هى الداهية العظيمة التى تصخ لها الخلائق اى يصيخون لها من صخ لحديثه اذا اصاخ له واستمع وصفت بها النفخة الثانية لان الناس يصيخون لها وقيل هى الصيحة التى تصخ الآذان اى تصمها لشدة وقعها وقيل هى ماخوذة من صخه بالحجر اى صكه وقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه اما منصوب باعنى تفسيرا للصاخة او بدل منها مبنى على الفتح بالاضافة الى الفعل على راى الكوفيين وقيل بدل من اذا جاءت كما مر فى قوله تعالى يوم يتذكر الخ اى يعرض عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما فى الدنيا لاشتغاله بحال نفسه واما لعلمه بانهم لا يغنون عنه شيئا او للحذر من مطالبتهم بالتبعات وقوله تعالى لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه فانه استئناف وارد لبيان سبب الفرار اى لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه فى الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبى صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم عم من ابيه ونوح عم من ابنه ولوط عم من امرأته فليس من قبيل هذا الفرار وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اى يهمه من عناه الامر اذا اهمه اى اوقعه فى الهم ومنه من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل امر المذكورين وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم فى داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها فى حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اى مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس ان ذلك من قيام الليل وفى الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اى غبار وكدورة ترهقها اى تعلوها وتغشاها قترة اى سواد وظلمة اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال اى اولئك الموصوفون بسواد الوجوه وغبرتها هم الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله تعالى الى سواد وجوههم الغبرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

سورة التكوير تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا الشمس كورت اى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد بذلك اما رفعها وازالتها عن مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوى السماء واما لف ضوئها المنبسط فى الآفاق المنتشر فى الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره اذا القاه على الارض وعن ابى صالح كورت نكست وعن ابن عباس تكويرها ادخالها فى العرش ومدار التركيب على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء واذا النجوم انكدرت اى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روى عن ابن عباس انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط فى الارض وعنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدى ملائكة من نور فاذا مات من فى السموات ومن فى الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس والنجوم تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال سيرت اى عن اماكنها بالرجفة

الحاصلة لا في الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا العشار جمع عشراء وهي الناقة التي أتى على حملها
عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم عطلت تركت
مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحايب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه قوله تعالى فالحاملات
وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت اي جمعت من كل جانب وقيل
بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فاذا قضي بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه
سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاووس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد واذا البحار سجرت اي
احميت او مليت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقيل ملئت
نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة وقرئ سجرت بالتخفيف و
اذا النفوس زوجت اي قرنت باجسادها او قرنت كل نفس بشكلها او بكتابها او بعملها او نفوس المؤمنين
بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين واذا الموؤدة اي المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة
الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا
بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها حفرة فيلقيها فيها وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت
حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها وان ولدت ابنا حبسته سئلت باي ذنب
قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه عن درجة الخطاب
والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقرئ سألت اي خاصمت او
سألت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت
ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سألت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك
وبالتشديد ايضا وعن ابن عباس انه سئل عن اطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية واذا الصحف
نشرت اي صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب وعن النبي صلى الله عم انه قال يحشر الناس حفاة
عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال شغل الناس يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل
الذر ومثاقيل الخردل وقيل نشرت فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت
الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم و
حميم اي مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب
عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به وقرئ قشطت واعتقاب الكاف والقاف غير عزيز كالكافور و
القافور واذا الجحيم سعرت اي اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم وقرئ
سعرت بالتخفيف واذا الجنة ازلفت اي قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد
قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها في الدنيا او فيما بين النفختين وهي من اول السورة الى قوله تعالى
واذا البحار سجرت على ان المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة
اي بعد النفخة الثانية وقوله تعالى علمت نفس ما احضرت جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد
يسع ما في سياقها وسياق ما عطف عليها من الخصال مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق
لكن لا بمعنى انها تعلم في كل جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل
عند نشر الصحف الا انه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك
الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها
اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة في هذه
النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على
هيئات مخصوصة وهيئات معينة حتى ان الذنوب والمعاصي تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى
ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
في بطونهم نارا وكذا قوله عم في حق من يشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر نار جهنم ولا بعد في ذلك
الا ترى ان العلم يظهر في عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد

روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على
صور قبيحة فتوضع في الميزان واياما كان فاسناد حضورها الى النفس مع انها تحضر بامر الله عز وجل
كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الآية لانها لما عملتها في الدنيا فكانها احضرتها
في الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها
على صور احسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لان الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت
سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت تشاهدها عليه هنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير
النفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس او لبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة
من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد ولو جيء بعبارة
تدل على خلافه وللرمز الى ان تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفر افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل
الى جناب الكبرياء الذي اشير اليه ببعض بدائع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من باب
عكس كلامهم الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين وقول من قال قد اترك القرن مصفرا انامله وقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب
فارس عندي وعنده المقانب قاصدا بذلك التمادي في تكثير فرسانه واظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل
كثير ما عنده فضلا عن ان يتزيد فمن لوائح النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما
يقبل الافراط والتمادي فيه فانه في الاول كثيرا ما يود وفي الثاني كثيرا ما اترك وفي الثالث كثير من الفرسان
وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة فيه لعدم انحصاره في مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادي
في التكثير حسبما فصل واما فيما نحن فيه فالكلام الذي عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القائل بل ليس
امكان للتكثير حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادي فيه واما الذي يمكن فيه المبالغة ما ذكرناه فتأمل ويجوز
ان يكون ذلك للايذان بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها مخافة
ان تكون من تلك التي علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما
فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا متيقن به او نادر
الوجود بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع فيه فكيف به اذا كان قطعي
الوجود وكثير الوقوع فلا اقسم بالخنس اي بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما عدا النيرين من
الدراري الخمسة وهي بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري وصفت بقوله تعالى الجوار الكنس لانها
تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها
من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من اغصان الشجر وقيل هي جميع الكواكب تخنس بالنهار
فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها والليل اذا عسعس اي ادبر ظلامه
او اقبل فانه من الاضداد وكذلك سعسع قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وانشد قول العجاج
حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل
هي لغة قريش خاصة وقيل عسعس اقبل ظلامه اوفق لقوله تعالى والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وهذا
ادبار الليل اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا
له مجازا انه اي القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة لقول رسول كريم هو
جبريل عليه السلام قاله من جهة الله تعالى ذي قوة كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة في
اداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها من اول الخلق الى آخر زمان التكليف عند ذي العرش مكين
ذي مكانة رفيعة عند الله تعالى عندية اكرام وتشريف لا عندية مكان مطاع فيما بين ملائكته المقربين
يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه ثم امين على الوحي وثم ظرف لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم
تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على سائر الاوصاف وما صاحبكم بمجنون هو رسول الله صلى الله عم
كما تبهته الكفرة والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله عليه السلام خبرا وعلمهم
بنزاهته عليه السلام عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه السلام على النبي عليه السلام حيث عد فضائل جبريل

وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عم افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد
فضائلهما والموازنة بينهما ولقد رآه اي وبالله لقد رأى رسول الله جبريل عليهما السلام بالافق المبين بمطلع
الشمس الاعلى وما هو اي رسول الله صلى الله عم على الغيب على ما يخبره من الوحي اليه وغيره من الغيوب
بضنين اي ببخيل لا يبخل بالوحي ولا يقصر في التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اي بمتهم من الظنة وهي التهمة
وما هو بقول شيطان رجيم اي قول بعض المسترقة للسمع وهو نفي لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون
استضلال لهم فيما يسلكونه في امر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحي مبين
وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو
الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله تعالى لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة
الجار وقوله تعالى ان يستقيم مفعول شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وابداله من
العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن اي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الاوقات الا
ان يشاء الله اي الا وقت ان يشاء الله تعالى تلك المشيئة اي المستتبعة للاقامة فان مشيتكم للاستقامة بدون
مشية الله تعالى لها رب العالمين مالك الخلق ومربيهم اجمعين عن رسول الله صلى الله عم من قرأ سورة
التكوير اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

سورة الانفطار وهي سبع عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انفطرت اي انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا و
قوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام في ارتفاع السماء كما مر في ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت
اي تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من
الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وذلك ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى
التسجير عند الحسن وقيل ان مياه البحار الان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل بمعنى بغت من البحور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اي
قلب ترابها واخرج موتاها وقيل بعثر لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله
تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما
عرفت من ان المراد زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة بحسب
تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي والكلام فيه كالذي مر تفصيله في نظيره ومعنى
ما قدم واخر ما اسلف من عمل خير او شر واخر من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن
مسعود رضي الله عنهم وعن ابن عباس ايضا ما قدم من معصية واخر من طاعة وهو قول قتادة وقيل ما قدم
من فرض واخر من فرض وقيل اول عمله واخره ومعنى علمها التفصيلي حسبما ذكرناه مرة يا ايها الانسان ما
غرك بربك الكريم اي اي شيء خدعك وجرأك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي التامة والزواجر
الطامة وما سيكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح
ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك في
الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الاقبال على الايمان
والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه
الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذي خلقك فسواك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة
للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة
معدة لمنافعها وعدلها عدل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها
وقرئ فعدلك بالتشديد اي صرفك معتدل لامتناسب الخلق من غير تفاوت فيه في اي صورة ما شاء ركبك
اي ركبك في اي صورة شاء من الصور المختلفة وما مزيدة وشاء صفة لصورة اي ركبك في اي صورة شاءها
واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة كقوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وانما لم
يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر

والمعاصي مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة
ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترؤن
على اعظم منه حيث تكذبون بالجزاء والبعث راسا او بدين الاسلام الذي هما من جملة احكامه
فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه نعمي
عليكم وارشادي لكم بل تكذبون الخ وقال القفال ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشور ثم قيل
انتم لا تتيقنون بهذا البيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من
فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق ما يكذبون به اي تكذبون بالجزاء والحال ان عليكم
من جنابنا الحافظين لاعمالكم كراما لدينا كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه
نقيرا وقطميرا ليجازوا بذلك وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عند الله تعالى من
جلائل الامور حيث يستعمل فيها هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم استئناف
مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفي تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى
وقوله تعالى يصلونها اما صفة لجحيم او استئناف مبني على سؤال نشأ من تهويلها كانه قيل ما حالهم فيها
فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة عين
فان المراد دوام نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة لما مر مرارا من ان الجملة الاسمية المنفية قد يراد بها
استمرار النفي لا نفي الاستمرار باعتبار ما تفيده من الدوام والثبات بعد النفي لا قبله وقيل معناه وما كانوا
غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي صلى الله عم القبر
روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار وقوله تعالى وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك
ما يوم الدين تفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل ببيان
انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اي صورة تصوروه فهو فوقها وكيفما تخيلوه فهو اطم
من ذلك واعظم اي واي شيء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما استفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس
كما هو رأي سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مناط افادة الهول
والفخامة ههنا هو ما يوم الدين اي اي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد
يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال عالم او
كاتب او طبيب وفي اظهار يوم الدين في موقع الاضمار تأكيد لهوله وفخامته وقوله تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالي لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم
الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفي ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس رضي الله عنهما كل
ما في القرآن من قوله تعالى وما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوي عنه ويوم
مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك
فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئا من الاشياء الخ او منصوب باضمار اذكر كانه قيل
فانه يدريك ما هو
من يوم الدين على قراءة الرفع كانه قيل بل الحق والامر يومئذ والله تعالى اعلم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفطار كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

سورة المطففين وهي ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل للمطففين ويل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد في جهنم يهوي فيه الكافر
اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وويل وان كان نكرة فهو مبتدأ لانه في موقع الدعاء
والتطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس شيء طفيف حقير روي ان رسول الله صلى الله عم
قدم المدينة وكان اهلها من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بابي
جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم

المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس ما
نقض قوم العهد الا سلط الله تعالى عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله تعالى الا فشى فيهم الموت ولا طففوا
الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء
بالويل اي اذا اكتالوا من الناس حقوقهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونها وافية وافرة وتبديل كلمة على بمن لتضمين
الاكتيال معنى الاستيلاء وللاشارة الى ان اكتيالهم مضر بهم لكن لا على اعتبار المضرة في حيز الشرط الذي يتضمنه
كلمة اذا لاخلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير
نقص بل مجرد الاخذ الوافي الوافر حسبما ارادوا باي وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل
وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه واما ما قيل من ان ذلك للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس حيث
اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع ان الشائع فيما بينهم
يقتضي ان يكون معنى الاستيفاء اخذ ما لهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض
الحق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا جدا
مما لا يجدي نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مآلا لا يستدعي كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما
وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك
فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك فتامل وقد جوز ان يكون على متعلقة
بيستوفون ويكون تقديمها على الفعل لافادة الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون
لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به
فيقصد بالتقديم قصره عليه بطريق القلب او الافراد او التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في ان
الاستيفاء الذي هو عبارة عن الاخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار
والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه فتدبر والضمير البارز في قوله تعالى
واذا كالوهم او وزنوهم للناس اي اذا كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اي ينقصون يقال
خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما في قوله ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا اي جنيت لك
وجعل البارز تاكيدا للمستكن مما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار والاقتصار
على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكنهم منه عند الكيل
والوزن وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الاخذ
والاعطاء لا في خصوصية الماخوذ والمعطى وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون استئناف
وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة للمطففين ووضعه موضع
ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه
واما الضمير فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز
نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة
والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر
قدره عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا
مناخما للشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى يوم يقوم
الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر لمبتدأ
مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين
ويؤيد الاخيرين القراءة بالرفع وبالجر وفي هذا الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام
الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه تعالى برب العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم
الاثم في التطفيف وامثاله ما لا يخفى كلا ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب
وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين الخ تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم

علم لكتاب جامع هو ديوان الشر دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول
من وصف كحاتم واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه
مطروح كما قيل تحت الارض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب
الفجار الذين من جملتهم المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون
فيه قبائح اعمال المذكورين وقوله تعالى وما ادراك ما سجين تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية
احد وقوله تعالى كتاب مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه وقيل
هو اسم المكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين متصل بقوله
تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين
اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب
به الا كل معتد اي متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى استقصر قدرة
الله تعالى وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء اثيم اي منهمك في الشهوات المخدجة الفانية
بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها اذا تتلى عليه آياتنا
الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه اساطير الاولين اي
حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتد الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحارث وقيل
عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ ائذا تتلى على الاستفهام
الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في آياتنا ما يصح
ان يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونها من الكفر
والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال عم ان العبد
كلما اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدأ يقال
ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في
الراء كلا ردع وزجر عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يكادون يرونه بخلاف
المؤمنين وقيل هو تمثيل لاهانتهم باهانة من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة
وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اي داخلوا النار
وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا
من جهة الزبانية هذا الذي كنتم به تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر
اثر زجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار لفي عليين استئناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار
بعد بيان سوء حال الفجار متصلا ببيان سوء حال كتابهم وفيه تاكيد للردع ووجوب الارتداع وكتابهم
ما كتب من اعمالهم وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه كل اعمال الملائكة وصلحاء الثقلين منقول
من جمع علي على فعيل من العلو سمي بذلك اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما
لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما والكلام في قوله تعالى وما
ادراك ما عليون كتاب مرقوم كما مر في نظيره وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى لكتاب اي
يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن
احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شأن الفجار على الارائك اي على الاسرة في الحجال
ولا يكاد يطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة ينظرون اي الى ما شاءوا مد اعينهم اليه
من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار
وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه ورونقه
والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان بان ما لهم من آثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص
برؤيته راء دون راء يسقون من رحيق شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه

دافوا به بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لكمال نفاسته وقيل ختامه مسك اى مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه
بفتح التاء وكسرها اى ما يختم به ويقطع وفى ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده او الى ما ذكر من
احوالهم وما فيه من معنى البعد للاشعار اما بعلو رتبته وبعد منزلته او لكونه فى الجنة اى فى ذلك خاصة
دون غيره فليتنافس المتنافسون اى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون
لقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب فى الشئ النفيس واصله
من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشئ انفسه نفاسة والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين
يريد ان يستأثر به وقال البغوى واصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه
وينفس به على غيره اى يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى لرحيق مثله وما بينهما
اعتراض مقرر لنفاسته اى ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على ان من بيانية او تبعيضية او من نفسه
على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به اما لانها ارفع شراب فى الجنة واما لانها تأتيهم من فوق
روى انها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى اوانيهم عينا نصب على الاختصاص وجوز ان يكون حالا من
تسنيم مع كونه جامدا لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل
الجنة فالباء مزيدة او بمعنى من وقوله تعالى ان الذين اجرموا الخ حكاية لبعض قبائح مشركى قريش جئ بها
تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار فى الجنة كانوا فى الدنيا من الذين آمنوا يضحكون اى يستهزؤن بفقرائهم كعمار
وصهيب وخباب وبلال وغيرهم رضى الله عنهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشعارا بغاية
شناعة ما فعلوا اى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى
أفى الله شك او لمراعاة الفواصل واذا مروا اى فقراء المؤمنين بهم بالمشركين وهم فى انديتهم وهو الاظهر وان جاز
العكس ايضا يتغامزون اى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا من مجالسهم الى اهلهم انقلبوا فكهين
ملتذين بذكر السوء والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين بهم ويكتفون
بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين
وقيل مازحين واذا رأوهم اينما كانوا قالوا ان هؤلاء لضالون اى نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم الى الضلال
بطريق التأكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال من واو قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم ما ارسلوا
من جهته الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم
وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترءوا عليه من القول من وظائف من ارسل من جهته تعالى وقد جوز ان
يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا لصدهم عن
الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما فى قولك حلف ليفعلن لا بالعبارة كما فى قولك
حلف لأفعلن فاليوم الذين آمنوا اى المعهودين من الفقراء من الكفار اى من المعهودين وهو الاظهر وان
امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد غشيهم فنون الهوان والصغار بعد
العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة
اى فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون فى الدنيا وقوله تعالى على الارائك ينظرون
حال من فاعل يضحكون اى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة
فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون منهم ويأباه قوله
تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح فى ان ضحك المؤمنين منهم جزاء لضحكهم منهم فى الدنيا
فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ بادغام اللام فى الثاء وعن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم والله اعلم

سورة الانشقاق وهى عشرون آيات بسم الله الرحمن الرحيم

اذا السماء انشقت اى بالغمام كما فى قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق
من المجرة واذنت لربها واستمعت اى انقادت واذعنت لتأثير قدرته حين تعلقت ارادته بانشقاقها
انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها
اليها للاشعار بعلة الحكم ومنع الجملة ونظيرتها الآتية بمنزلة قوله تعالى اتينا طائعين فى الانباء عن كون ما نسب
الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اى جعلت
حقيقة بالاستماع والانقياد لكن لا بعد ان لم تكن كذلك فى نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا
وحقيق به والمعنى انقادت لربها وهى حقيقة بذلك لكن لا على ان المدار خصوصية ذاتها من بين سائر
المقدورات بل خصوصية القدرة القاهرة الربانية التى يتأتى لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور
فحق الجملة ان تكون اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه واذا الارض مدت اى بسطت بازالة
جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيد
سعة وبسطة من مده بمعنى امده اى زاده والقت ما فيها اى رمت ما فى جوفها من الموتى والكنوز كقوله
تعالى واخرجت الارض اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شئ منه كأنها تكلفت
فى ذلك اقصى جهدها واذنت لربها فى الالقاء والتخلى وحقت اى وهى حقيقة بذلك اى شأنها
ذلك بالنسبة الى القدرة الربانية وتكرير كلمة اذا لمع ايجاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوع
فى الوقت المعين الذى هو مدلولها قد مر شرحها مرارا يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا
اى جاهد ومجد الى الموت وما بعده من الاحوال الممثلة باللقاء مبالغ فى ذلك فان الكدح جهد النفس فى
العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اى فملاق له عقيب ذلك لا محالة
ن من غير صارف يلويك عنه وقوله تعالى فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا
يسيرا الخ قيل جواب اذا كما فى قوله تعالى فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقوله تعالى يا ايها الانسان الخ اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه
او للتعويل على دلالة ما مر فى سورتى التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى
يا ايها الانسان الخ تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما بينهما اعتراض وقيل
هو يا ايها الانسان الخ باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضى الله عنها
هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين
مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله فى الجنة من الحور والغلمان واما من اوتى
كتابه وراء ظهره اى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره
فيؤتى كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا اى يتمنى
الثبور وهو الهلاك ويدعو يا ثبوراه تعال فانه اوانك وانى له ذلك ويصلى سعيرا اى يدخلها و
قرئ يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما فى قوله تعالى ونصليه جهنم انه كان فى اهله
فيما بين اهله وعشيرته فى الدنيا مسرورا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر
ببالهم امور الآخرة ولا يتفكرون فى العواقب ولم يكن حزينا متفكرا فى حاله وماله كسنة الصلحاء والمتقين
والجملة استئناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره فى الدنيا اى ظن
ان لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما فى حيزها مسد مفعولى الظن
او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ان ربه كان به بصيرا تحقيق
وتعليل له اى بلى يحورن البتة ان ربه الذى خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا بحيث لا يخفى
منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الآيتان فى ابى سلمة بن
عبد الاشهل واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هى الحمرة التى تشاهد فى افق المغرب بعد الغروب
او البياض الذى يليها سمى به لرقته ومنه الشفقة التى هى عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق وما
جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اى جمعه فاجتمع ولعل المراد ما يجتمع بالليل ويأوى الى مكانه
من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اى اجتمع وتم بدرا ليلة اربع عشرة لتركبن طبقا عن طبق اى لتلاقن
حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها فى الشدة والفظاعة وقيل الطبق جمع طبقة وهى المرتبة
وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا بعد احوال هى طبقات فى الشدة بعضها ارفع

من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة واهوالها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اي ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب على انه صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اي لتركبن طبقا مجاوزين او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها من الانكار والتعجب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اي اذا كان حالهم يوم القيمة كما ذكر فاي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين اي اي شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته وقوله تعالى واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها اي فاي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القرآن وقيل قرأ النبي صلى الله عم ذات يوم واسجد واقترب فسجد فنزلت وبه احتج ابو حنيفة على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنه ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله عم يسجد فيها وعن انس صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن هي غير واجبة بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن الناطق بما ذكر من احوال القيمة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب علما فعليا فبشرهم بعذاب اليم لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان اريد به من آمن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اي غير مقطوع او ممنون به عليهم تبيين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن رسول الله صلى الله عم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

سورة البروج وهي عشرون ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء ذات البروج هي البروج الاثنا عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود اي يوم القيمة وشاهد ومشهود اي ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى عم وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل امة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل في شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد صلى الله عليهم وسلم قتل اصحاب الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول من قال

حلفت لها بالله حلفة فاجر ❁ لناموا فما ان من حديث ولا صال

وقيل تقديره لقد قتل وايا ما كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كأنه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون كما لعن اصحاب الاخدود لما ان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا انهم عند الله تعالى بمنزلة اولئك المعذبين ملعونون مثلهم احقاء بان يقال فيهم ما قيل فيهم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق وروي عن النبي صلى الله عم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فقال من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت وقيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس وقع على اخته وهو سكران فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله حرمه فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط ففعل فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد وايقاد النار وطرح من ابى فيها فهم الذين اراد الله تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عم فدعاهم فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضها اثنا عشر ذراعا النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله ❁ وبات على النار الندى والمحلق ❁ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيمة يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وقيل على بمعنى مع والمعنى وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله تعالى المؤمنين منها سالمين واليه ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى فلهم عذاب الحريق وما نقموا منهم اي ما انكروا منهم وما عابوا الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفرغ من اعم العلل اي ما عابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ❁ بهن فلول من قراع الكتائب

ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة والمفتونون المطروحون في الاخدود واما الذين بلوهم في ذلك بالاذى على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم يتوبوا عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر قطعا وقوله تعالى فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر هو الظرف وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ولا ضير في نسخه بان والمعنى لهم في الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والاعمال الصالحة جنات

جنات تجرى من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها
الارض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جريها الظاهر فان اشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم
الجنة وقد مر بيانه مرارا ذلك اشارة اما الى الجنات الموصوفة فالتذكير لتاويلها بما ذكر للاشعار بان مدار
الحكم عنوانها الذى يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه بالاوصاف
المذكورة لا لذاته فقط كما هو شان الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها
المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى لهم جنات الخ من حيازتهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم
لها قطعا وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته فى الفضل والشرف ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما بعده اى ذلك المذكور العظيم الشان الفوز الكبير الذى تصغر عنده الدنيا وما
فيها من فنون الرغايب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر اطلق على
المفعول مبالغة وعلى الثانى مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استيناف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم
ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة
واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه
اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اى هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد فى شئ منهما
ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الاخرة وهو الغفور لمن
تاب وامن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اى ذو السلطنة القاهرة
وقرئ ذى العرش على انه صفة ربك المجيد العظيم فى ذاته وصفاته واجب الوجود تام القدرة كامل
الحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد بحيث لا يتخلف عن
ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى هل اتاك حديث
الجنود استيناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا لما يريد متضمن لتسليته عليه السلام
والاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد
بحديثهم ما صدر عنهم من التمادى فى الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك
حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك بشؤون الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب
امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا فى تكذيب اضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم اشد منهم
فى استحقاق العذاب فانهم مستقرون فى تكذيب شديد للقرآن الكريم او قيل ليست جنايتهم لمجرد عدم
التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بل هم مع ذلك فى تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك
لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرآنا من عند الله تعالى مع وضوح امره
وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم من باس الله تعالى بعدم
فوت المحاط المحيط وقوله تعالى بل هو قرآن مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق للحق اى ليس
الامر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالى الطبقة فيما بين الكتب الالهية فى النظم والمعنى وقرئ قرآن
مجيد بالاضافة اى قرآن رب مجيد فى لوح محفوظ اى من التحريف وهو وصول الشياطين اليه
وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء اى ما فوق السماء السابعة التى
فيه اللوح عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل جمعة وعرفة فى الدنيا
عشر حسنات والله تعالى اعلم

سورة الطارق وهى سبع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق الطارق فى الاصل اسم فاعل من طرق طرقا وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردى
واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا
ثم اتسع فى كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع فى التوسع حتى اطلق على الصور الخيالية البادية
بالليل قال طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بارحلنا ولم يتعرج والمراد ههنا الكوكب البادى

بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذى يقال له كوكب الصبح
وقوله تعالى وما ادراك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به وتنبيه على ان رفعة
قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى مبتدأ وادراك
خبره والثانية خبر والطارق مبتدأ كما مر فى نظائره اى واى شئ اعلمك ما الطارق وقوله
تعالى النجم الثاقب خبر مبتدأ محذوف والجملة استيناف وقع جوابا عن استفهام نشأ مما قبله
كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضئ فى الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك بضوئه وينفذ فيه
والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل وقيل هو الثريا
وقيل هو الجدى وقيل النجم الثاقب نجم فى السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت النجوم امكنتها من
السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل فهو طارق حين ينزل وحين
يصعد وفى ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير
كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه ادراك الخلائق ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال
محله ما لا يخفى وقوله تعالى ان كل نفس لما عليها حافظ جواب القسم وما بينهما اعتراض جئ به لما
ذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اى ما
كل نفس الا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله تعالى كما فى قوله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا وقيل هو من يحفظ
عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر كما فى قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الآية وقوله ويرسل
عليكم حفظة وقوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة على ان ان مخففة
من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف واللام هى الفارقة وما مزيدة اى ان الشان كل نفس
لعليها حافظ والفاء فى قوله تعالى فلينظر الانسان مم خلق للتنبيه على ان ما يتبين من ان كل نفس
عليها حافظ يحصى عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان ان يتفكر فى مبدأ فطرته
حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحيوة قط فهو قادر على
اعادته بل اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملى على
حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق استيناف وقع جوابا عن استفهام مقدر
كانه قيل مم خلق فقيل خلق من ماء ذى دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج
من الماءين فى الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اى صلب الرجل
وترائب المرأة وهى عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع
الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند
البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع
الضعف فيه وله خليفة هى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب
اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة
هى صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه بل لا خالق سواه وقيل الذى خلقه ابتداء مما
ذكر على رجعه اى اعادته بعد موته لقادر يوم تبلى السرائر اى يتعرف ويتميز
ما اسر فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفى من الاعمال ويميز بين ما طاب منها
وما خبث وهو ظرف لرجعه فما له اى للانسان من قوة فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء
ذات الرجع اى المطر سمى رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم
يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا ولان الله تعالى يرجعه
حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما يتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون
وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقية القرآن
الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما فى انفسهما من شواهده وهو السر فى التعبير
عن المطر بالرجع وذلك فى تشقق الارض بالنبات المحاكى للنشور حسبما ذكر فى مواضع من التنزيل

لا في تشقتها بالعيون إنه أي القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الإنسان
ومعاده لقول فصل أي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل وما هو بالهزل أي ليس في
شيء منه شائبة هزل بل كله جد محض لا هوادة فيه ومن حقه أن يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب
العتاة إنهم أي أهل مكة يكيدون في إبطال أمره وإطفاء نوره كيدا حسبما تفي به قدرتهم
وأكيد كيدا أي أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث أستدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين
أي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
فإن الإخبار بتوليه تعالى لكيدهم بالذات مما يوجب إمهالهم وترك التصدي لمكايدتهم قطعا
وقوله تعالى أمهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا إما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره
المحذوف أي إمهالا رويدا أي قريبا كما قاله ابن عباس أو قليلا كما قاله قتادة قال أبو عبيدة
وهو في الأصل تصغير رود وأنشد كأنها مثل من يمشي على رود أي مهل وقيل تصغير إرواد
مصدر أرود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان آخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه
حالا نحو سار القوم رويدا أي متمهلين وفي إبهام البدل بصيغة التكثير وتقييده برويدا
على أحد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة الأعلى وهي مكية عشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح اسم ربك الأعلى أي نزه اسمه تعالى عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة وعن إطلاقه
على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الإعظام والإجلال والأعلى إما صفة
للرب وهو الأظهر أو للاسم وقرئ سبحان ربي الأعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم
قال عليه السلام اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في
الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى صفة أخرى للرب على الوجه
الأول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره أي خلق كل شيء
فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى والذي قدر إما صفة أخرى
للرب كالموصول الأول أو معطوف عليه وكذا الحال فيما بعده أي قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها
ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها فهدى أي فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي
له طبعا أو اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات ولو تتبعت
أحوال النباتات والحيوانات لرأيت في كل منها ما يحار فيه العقول روي أن الأفعى إذا بلغت ألف سنة
عميت وقد ألهمها الله عز وجل أن مسح عينيها بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت عند
عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين
على شجرة الرازيانج فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة بإذن الله تعالى وروي أن التمساح لا يكون
له دبر وإنما يخرج فضلات ما يأكله من فمه حيث قيض الله تعالى له طائرا قد جعل غذاءه من ذلك فإذا
رآه التمساح يفتح فمه فيدخل الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله تعالى له من فوق منقاره ومن تحته
قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وأما فنون هداياته سبحانه وتعالى للإنسان من حيث
الجسمية ومن حيث الحيوانية فمما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه إلا العليم الخبير والذي
أخرج المرعى أي أنبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء أحوى أي دريناً
أسود وقيل أحوى حال من المرعى أي أخرجه أحوى من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد ذلك
وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم إثر بيان هدايته
العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين و
توفيقه عليه السلام لهداية الناس أجمعين والسين إما للتأكيد وإما لأن المراد إقراء ما أوحي إليك حينئذ
وما سيوحى إليك بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء أي سنقرئك ما

نوحي إليك الآن وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام أو سنجعلك قارئا بإلهام القراءة فلا تنسى أصلا من
قوة الحفظ والإتقان مع أنك أمي لا تدري ما الكتاب وما القرآن ليكون ذلك آية أخرى لك
مع ما في تضاعيف ما تقرؤه من الآيات البينات من حيث الإعجاز ومن حيث الإخبار بالمغيبات وقيل
فلا تنسى نهي والألف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فأضلونا السبيلا وقوله تعالى إلا ما شاء الله
استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي لا تنسى مما تقرؤه شيئا من الأشياء إلا ما شاء الله أن تنساه أبدا بأن نسخ
تلاوته والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة والإيذان بدوران المشيئة على عنوان الألوهية
المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي أنه عليه السلام
أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها وقيل نفي النسيان
رأسا فإن القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان النسيان بالكلية أو هو المنفي رأسا إلا ما قد
ينسى ثم يذكر إنه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله أي يعلم ما ظهر وما بطن من الأمور التي من
جملتها ما أوحي إليك فينسي ما شاء إنساءه ويبقى محفوظا ما شاء إبقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح
دينكم ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات إلى الحكاية وما بينهما اعتراض
وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به عليه السلام مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما في
قوله تعالى ويسر لي أمري للإيذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة
له كأنه عليه السلام جبل عليها كما في قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له أي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة
اليسرى في كل باب من أبواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير تلقي الوحي والإحاطة
بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام وتكميل غيره كما يفصح عنه
الفاء في قوله تعالى فذكر إن نفعت الذكرى أي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى إليك
واهدهم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما استقر ذلك كما قيل وتقييد
التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود و
يتجاوز في الجد كل حد حرصا على إيمانهم وما كان يزيد ذلك لبعضهم إلا كفرا وعنادا
فأمر عليه السلام بأن يخص التذكير بمواد النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلا أو بعضا ممن يرجى منه التذكر
ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير إلا عتوا وكفرا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وقوله تعالى فأعرض عمن تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكرين واستبعاد
عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير فيهم وتسجيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ المكاسين
إن سمعوا منك قصدا إلى أنه مما لا يكون والأول أنسب لقوله تعالى سيذكر من يخشى أي سيتعظ
ويقبل التذكرة من من شأنه أن يخشى الله تعالى حق خشيته أو من يخشى الله في الجملة فيزداد ذلك
بالتذكير فيتفكر في أمر ما يذكر به فيقف على حقيته فيؤمن به وقيل إن بمعنى إذ كما في قوله تعالى وأنتم
الأعلون إن كنتم مؤمنين أي إذ كنتم وقيل هي بمعنى قد أي فذكر قد نفعت الذكرى فإنها لا تخلو عن
نفع بكل حال وقيل إن هناك محذوفا والتقدير إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع كقوله سرابيل تقيكم الحر
قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي ويتجنبها أي الذكرى الأشقى من الكفرة لتوغله في عداوة
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلى النار الكبرى أي
الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا لقوله عليه السلام ناركم هذه
جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها أي حتى يستريح ولا يحيى حياة تنفعه وثم للتراخي
في مراتب الشدة لأن التردد بين الموت والحياة أفظع من الصلي قد أفلح أي نجا من المكروه وظفر بما
يرجوه من تزكى أي تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية
من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة قد لما أن عند الإخبار
بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الإخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره
وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى أقام الصلوات كقوله تعالى أقم الصلاة لذكري أي كبر تكبيرة

الافتتاح فصلى وقيل تزكى اي تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه اي كبره يوم العيد فصلى اي صلوته بل
تؤثرون الحيوة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا
تفعلون ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد
بايثار الحيوة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الاخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان
الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها الآية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر
ومما لا يخلو عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا على الاخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات
على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ
يؤثرون بالياء وقوله تعالى والاخرة خير وابقى حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب
اي تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من
اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات
وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل
الى ما في السورة جميعا لفي الصحف الاولى اي ثابت فيها معناه صحف ابرهيم وموسى بدل من
الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روي
ان جميع ما انزل الله تعالى من كتاب مائة واربعة كتب على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة
وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابرهيم عشر صحائف عليهم السلام والتوراة والانجيل والزبور والفرقان
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله
على ابرهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام

سورة الغاشية ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى هل اتى على الانسان الآية
قال قطرب اي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذاك بل هو استفهام اريد به التعجيب مما في
حيزه والتشويق الى استماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان يتناقلها الرواة ويتنافس
في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم
باهوالها وهي القيمة من قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب الخ وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم
النار وقوله ومن فوقهم غواش والاول هو الحق فان ما سيرد من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها
بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله تعالى وجوه يومئذ خاشعة الى قوله مبثوثة استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من الاستفهام التشويقي كانه قيل من جهته عليه السلام ما اتاني حديثها ما هو فقيل
وجوه يومئذ اي يوم اذ غشيت ذليلة قال ابن عباس رضي الله عنه لم اتاه حديثها فاخبره
عنها فقال وجوه يومئذ الخ فوجوه مبتدأ ولا باس بتنكيرها لانها في موضع التنويع وخاشعة خبره
وقوله تعالى عاملة ناصبة خبران اخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اي تعمل اعمالا شاقة تتعب
فيها وهي جر السلاسل والاغلال والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال
النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل
عملت ونصبت في اعمال لا يجدي عليها في الاخرة وقوله تعالى تصلى اي تدخل نارا حامية اي
متناهية في الحر خبر اخر لوجوه وقيل هو الخبر وما قبله صفات لوجوه وقد عرفت مرة ان الصفة
حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلي
النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب ليس كذلك في الانتساب الى الوجوه معروفة وجعلها
فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا معروفا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم
بحت وجوز ان يكون هذا وما بعده من الجملتين استئنافا مبينا لتفاصيل احوالها تسقى من عين
آنية اي متناهية في الحر كما في قوله تعالى وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع بيان
لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته

تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده
ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا للخلاص منه فسمي بذلك ومنها طعام لبعض اهل النار
والزقوم والغسلين لآخرين لا يسمن ولا يغني من جوع اي ليس من شانه الاسمان والاشباع
كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء يضطرون الى اكله من ان يكون دفع لضرورتهم لكن لا على انه
لهم استعداد للشبع والسمن الا انه لا يفيدهم شيئا منهما بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة
من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه
النشأة من حالة عارضة للانسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له
الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما عند الاكل والشرب ويستغني بهما عن غيرهما عند استقرارهما
في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام
النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لهم شوق الى
مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل واستغناء به عن الغير او استفادة قوة فهيهات وكذا عطشهم
عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم
التذاذ بشربه او استفادة قوة به في الجملة وهو المعني بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث
يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوا يسلط عليهم العطش فيضطرهم الى شرب الحميم فيشوي وجوههم
ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع للتحقير اي لا يغني عن جوع ما وتاخير نفي الاغناء منه لمراعاة الفواصل و
التوسل به الى التصريح بنفي كلا الامرين اذ لو قدم لما احتيج الى ذكر نفي الاسمان ضرورة استلزام
نفي الاغناء عن الجوع اياه بخلاف العكس ولذلك كرر لا لتاكيد النفي وقوله تعالى وجوه يومئذ
ناعمة شروع في رواية حديث اهل الجنة وتقديم حكاية حال اهل النار لانه ادخل في
تهويل الغاشية وتفخيم حديثها ولان حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل
النار مما يزيد المحكي حسنا وبهجة والكلام في اعراب الجملة كالذي مر في نظيرها وانما لم تعطف عليها
ايذانا بكمال تباين مضمونيهما ومعنى ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
او متنعمة لسعيها راضية اي لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته في جنة عالية مرتفعة
المحل او علية المقدار لا تسمع فيها اي في الجنة او في الوجوه لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو
فان كلام اهل الجنة كله اذكار وحكم وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية
فيها عين جارية اي عيون كثيرة تجري مياهها كقوله تعالى علمت نفس فيها سرر مرفوعة رفيعة
السمك او المقدار واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة اي بين ايديهم ونمارق
وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي اي بسط فاخرة جمع زربية
مبثوثة اي مبسوطة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت استئناف مسوق لتقرير ما فصل
من حديث الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا
يستطيعون انكاره والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام وكلمة كيف
منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على
انها بدل اشتمال من الابل اي اينكرون ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه عن قدرة
الله عز وجل فلا ينظرون الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا
بديعا معدولا به عن سنن خلقة سائر انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيآتها اللائقة
بتاتي ما يصدر عنها من الافاعيل الشاقة كالنوء بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى
الاقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماءها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها
باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي
انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما شاء
ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير والى السماء التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت

رفعا بعيد المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك والى الجبال كيف نصبت نصبا
رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد والى الارض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحا
بتوطئة وتمهيد وتسوية وتوطيد حسبما يقتضيه صلاح امور ما عليها من الخلائق وقرئ سطحت مشددا
وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر
والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من
الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا للقائه بالايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر
لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار السابق من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح
عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست
عليهم بمصيطر تقرير له وتحقيق لمعنى الانذار اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما
انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء قيل هي لغة بني تميم فان
سيطر عندهم متعد ومنه قولهم تسيطر وقوله تعالى الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من تولى
منهم فان لله تعالى الولاية والقهر فيعذبه الله العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء
متصل من قوله تعالى فذكر اي فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما
بينهما اعتراض وايضا الاول انذر الا على التنبيه وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب
الاكبر اي ان الينا رجوعهم بالموت والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه
وفيما بعده باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر
فيعل من الاياب او فعال من اوب كقتال من قتل ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم قلبت الواو
ياء فادغمت الياء الاولى في الثانية ثم ان علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في
الرتبة لا في الزمان فان الترتيب الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه
تعالى فانهما امران مستمران وفي تقديم الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة
ثم المفيدة لبعد منزلة الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا
يخفى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا والله اعلم

سورة الفجر وهي بسم الله الرحمن الرحيم تسع عشر آيات مكية

والفجر اقسم سبحانه بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلوته وليال
عشر هي عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها
للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر اي الاشياء كلها شفعها
ووترها وقد روي ان النبي صلى الله عم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله
تعالى اعلم بحقيقة الحال وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر
في الذحل وقرئ والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر
والليل اذا عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسري فيه من
قولهم صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة وقرئ باثباتها على الاطلاق وبحذفها في
الوقف خاصة وقرئ يسر بالتنوين كما قرئ والفجر والوتر وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف
الاطلاق هل في ذلك قسم الخ تحقيق وتقرير لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة
بالاعظام والاجلال عند ارباب العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به
الاخبار على طريقة قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير
بتاويل ما ذكر كما مر تحقيقه او الى الاقسام بها واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته في الشرف والفضل اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يراه
حقيقا بان يقسم به اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما
للحق وايذانا بظهور الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل

ويقبل مثله ويؤكد به المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا
ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان
قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك
بعاد الخ فانه استشهاد بعلمه عم بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه عم في
الطغيان والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الاية وقوله تعالى
الم تر انهم في كل واد يهيمون كانه قيل الم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فيعذب
هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن
سام بن نوح عم قوم هود عم سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوائلهم عاد
الاولى ولاواخرهم عاد الاخيرة قال عماد الدين بن كثير كلما ورد في القرآن خبر عاد الاولى الا ما
في سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف
اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم بلدتهم او ارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة
بالاضافة وايا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث وقرئ ارم بسكون الراء تخفيفا كما قرئ بورقكم
ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد
وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين اهل عمد او ذات البناء الرفيع
او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم
العلم اي بعاد اهل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد اي جعلها الله تعالى
رميما بدل من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة وروي انه كان
لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له
ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وهي
مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار
والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم
صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه
مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد و
سيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في
طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة
اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة حيث كان الرجل منهم طوله اربعمائة ذراع
وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا
وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم
ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عم وكانوا عربا من العاربة يسكنون الحجر
بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اي قطعوا صخر الجبال
فاتخذوا فيها بيوتا نحتوها من الصخر كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال
والصخور والرخام ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد وصف
بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا في البلاد
اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طائفة منهم في بلادهم وكذا
الكلام في قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وسائر المعاصي فصب عليهم ربك سوط عذاب اي
على كل طائفة من اولئك الطوائف عقيب ما فعلته من الطغيان والفساد سوط عذاب اي
عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر المواضع
الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في الاخرة من العذاب كالسوط عند السيف
والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه

مجازا في البلدان كالرمل والجبوب وافراغ شدة وكثرة واستمرار ونسبته الى السوط مع انه ليس من ذلك
القبيل باعتبار تشبيهه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب وقيل السوط خلط
الشيء بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصب وبالشدة ايضا لان السوط يطلق على
كل منهما لغة فلا حاجة الى التشبيه بالمصبوب ولا الى اعتبار تعلقه بالعذاب كما في المعنى الاول فان كل واحد
من هذه المعاني ما ينبئ عن الاستمرار في نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار
قومه عم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عم وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده
كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما الانسان الخ متصل
بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا
يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذاتها اذا ما ابتلاه ربه اي عامله معاملة
من يبتليه بالغنى واليسار والفاء في قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء
فيقول ربي اكرمن اي فضلني بما اعطاني من الجاه والمال حسبما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل
عليه ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الانسان والفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط
على نية التأخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربي اكرمني وقت ابتلائه بالانعام وانما قدم للايذان
من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي واما اذا ما ابتلاه
اي واما هو اذا ما ابتلاه ربه فقدر عليه رزقه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة
فيقول ربي اهانن ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة في شيء بل
التقتير قد يؤدي الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضي الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ
اكرمني واهانني باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون في الوقف كلا ردع للانسان عن مقالتيه
المحكيتين وتكذيب له فيهما قال ابن عباس رضي الله عنهما المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله
بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب على قوله الاخير بعيد وقوله تعالى
بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان
باقتضاء ملاحظة جناياته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتأكيدا للتشنيع والجمع باعتبار
معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اي بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال حيث يكرمكم
الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون
بحذف احدى التاءين من تتحاضون اي لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اي على اطعامه وقرئ تحاضون
من المحاضة وقرئ تحضون بالياء والتاء وتأكلون التراث اي الميراث واصله وراث اكلا لما اي ذا
لم اي جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما
جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون
بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى اذا دكت الارض دكا دكا تتابعا حتى انكسر
وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك
حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت تسوية بعد تسوية ولم يبق على وجهها شيء حتى صارت
كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اي ظهرت آيات قدرته
وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته وقيل جاء امره
وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اي مصطفين او ذوي صفوف فانه ينزل
يومئذ ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن
مسعود رضي ومقاتل تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى
تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير وقد رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا يومئذ بدل من
اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اي يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره

واحكامها ومعاينته عينه على ان الاعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها
من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر
حقيقة لعرائه عن الجدوى لعدم وقوعه في اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدأ وله متعلق بما
تعلق به الخبر اي ومن اين يكون له الذكرى وقد فات اوانها وقيل هناك مضاف محذوف اي وانى له
منفعة الذكرى والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره
ليس من التوبة في شيء فانه عالم بانها انما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتني قدمت
لحياتي وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يقول عند
تذكره فقيل يقول يا ليتني عملت لاجل حياتي هذه او وقت حياتي في الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها
اليوم وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد
كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته تعالى او بخلق الله تع عند صرف قدرته
الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجور قد يتمنى ان كان ممكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته
الى احد طرفي الفعل يعتقد انه مجبور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل احد جازم بانه لو صرف قدرته
الى اي طرف كان من افعاله الاختيارية يحصل وعلى هذا يدور رحى التكليف والزام الحجة فيومئذ
اي يوم اذ يكون ما ذكر من الاحوال والاقوال لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء
لله تعالى اي لا يتولى عذاب الله تع ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اي لا يعذب احد من
الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابي بن
خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل في الاغلال مثل وثاقه لتناهيه في الكفر والعناد
وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة حكاية لاحوال من اطمأن بذكر الله تعالى وطاعته اثر حكاية احوال من اطمأن بالدنيا وصفت
بالاطمئنان لانها ترقت في معارج الاسباب والمسببات الى المبدأ المؤثر بالذات فتستقر دون معرفته وتستغني
به في وجودها وسائر شؤونها عن غيرها بالكلية وقيل هي النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى
ثلج اليقين بحيث لا يخالجها شك ما وقيل هي الآمنة المطمئنة اي يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى
عم او على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل عند البعث وقيل عند الموت ارجعي الى
ربك الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله تعالى فادخلي في
عبادي في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي وادخلي جنتي معهم او انتظمي في سلك المقربين و
استضيئي بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى
فادخلي اجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤكد كون الخطاب عند البعث وقرئ
فادخلي في عبدي وقرئ في جسد عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقيل في خبيب
بن عدي رضي الله عنه والظاهر العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له
ومن قرأها في سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد عشرون آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما عطف عليه على ان الانسان خلق مغمورا بمقاساة
الشدائد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه
عم بجعل حلوله به مناطا لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض
مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عم مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه في
هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضد
بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عم بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به في المستقبل
كما في قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له
عم مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عم فيها ما شاء وحرم ما شاء قتل

ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عم الا الاذخر ووالد عطف على هذا البلد والمراد ابراهيم عم وبقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي صلوات الله عليهم جميعا حيث عطف عليه فانه حرم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله عليهم الصلاة والسلام والتعبير عنهما دون من للتفخيم والتعظيم كتنكير والد وايرادهم في حالة الوالدية والولدية وقيل آدم عم ونسله وهو انسب لعموم الجواب من حيث يتناوله للكل الا ان التفخيم المستفاد من كلمة ما لا يوفيه حق اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد اى تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصل الكبد اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه وهو تسلية لرسول الله صلى الله عم مما كان يكابده من كفار قريش والضمير في قوله تعالى أيحسب لبعضهم الذي كان عم يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة واضرابه وقيل هو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزل قدماه اى ايظن هذا القوي المارد والمتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة من أن واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اى ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر أيحسب ان لم يره احد حين كان ينفق وان الله تعالى لا يسأل عنه ولا يجازيه عليه ألم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين اى طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اى اى شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة فك رقبة اى هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة اى مجاعة يتيما ذا مقربة اى قرابة او مسكينا ذا متربة اى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب من النسب وترب اذا افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف على آمنوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله تعالى وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمته من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد درجتهم في الشرف والفضل اى اولئك الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اى اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اى الشمال او الشؤم عليهم نار مؤصدة مطبقة من آصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبي صلى الله عم من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة

سورة الشمس وهي ست عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والشمس وضحاها اى ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلاها في طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جلاها اى جلا الشمس فانها تتجلى عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلا الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اى الشمس فيغطي ضوءها او الآفاق او الارض وحيث كانت الواوات العاطفة نوائب للواو الاولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك اقسم بالله حق ان يعملن عمل الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها اى ومن بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله تعالى والارض وما طحاها اى بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اى انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عم او للتكثير وهو الانسب للجواب فالهمها فجورها وتقواها اى افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اى فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان بتعلق القسم به ايضا اصالة اى خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس كتقضى وتقضض وقيل هو كلام تابع لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها بطريق الاستطراد وانما الجواب ما حذف تعويلا على دلالة قوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عم وهو على الاول استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى او صلة للتكذيب اى كذبت بما اوعدت به من العذاب ذي الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بضم الطاء وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وفضل شقيهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به فقال لهم رسول الله اى صالح عم عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله تعالى ناقة الله اى ذروا ناقة الله وسقياها ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه اى في وعيده بقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم ونحو ذلك فعقروها اى الاشقى والجمع على تقدير رضى الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتعرض بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فسواها اى الدمدمة بينهم ولا يخاف عقباها اى عاقبتها وتبعتها كما يخاف الملوك من عاقبة ما يفعلونه وقرئ فلا يخاف عن رسول الله صلى الله عم من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر والله اعلم

سورة الليل وهي عشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والليل اذا يغشى اى حين يغشى الشمس كقوله تعالى والليل اذا يغشاها او النهار او كل ما يواريه

ظلامه والنهار إذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس وما خلق الذكر والأنثى أي والقادر
العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والأنثى وقرئ والذي خلق الذكر والأنثى وقيل ما مصدرية إن
سعيكم لشتى جواب القسم وشتى جمع شتيت أي إن مساعيكم لأشتات مختلفة وقوله تعالى فأما من
أعطى واتقى وصدق بالحسنى الخ تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لأحكامها أي فأما من
أعطى حقوق ماله واتقى محارم الله التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الإيمان أو بالكلمة الحسنى وهي
كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه
للخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه من يسر الفرس للركوب إذا أسرجها وألجمها
وأما من بخل أي بماله فلم يبذله في سبل الخير واستغنى أي زهد فيما عند الله تعالى كأنه مستغن عنه فلم
يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وكذب بالحسنى أي بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره
للعسرى أي للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار ومقدماتها لاختياره لها ولعل تصدير القسمين
بالإعطاء والبخل مع أن كلاً منهما أدنى مرتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسير للعسرى للإيذان
بأن كلاً منهما أصل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء وتفسير الأول
بإعطاء الطاعة والثاني بالبخل بما أمر به مع كونه خلاف الظاهر يأباه قوله تعالى وما يغني عنه ماله أي ولا
يغني أو أي شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به إذا تردى أي هلك تفعل من الردى الذي هو الهلاك أو تردى
في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم إن علينا للهدى استئناف مقرر لما قبله أي إن علينا بموجب
قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي إليه من
طريق الضلال وما يؤدي إليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين
ترغيباً وترهيباً ومن ههنا تبين أن الهداية هي الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة إليها
قطعاً وإن لنا للآخرة والأولى أي التصرف الكلي فيهما كيفما نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من الأفعال التي
من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل إن لنا كل ما في الدنيا والآخرة فلا يضرنا ترككم
الاهتداء بهدانا فأنذرتكم ناراً تلظى بحذف إحدى التاءين من تتلظى أي تتلهب وقرئ على الأصل
لا يصلاها صلياً لازماً إلا الأشقى إلا الكافر فإن الفاسق لا يصلاها صلياً لازماً وقد صرح به
قوله تعالى الذي كذب وتولى أي كذب بالحق وأعرض عن الطاعة وسيجنبها أي سيبعد عنها الأتقى
المبالغ في اتقاء الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الأبدي وأما من دونه ممن يتقي
الكفر دون المعاصي فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر
السابق الذي يؤتي ماله يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات وقوله تعالى يتزكى إما بدل من يؤتي داخل
في حكم الصلة لا محل له أو في حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتي أي يطلب أن يكون عند الله تعالى زاكياً نامياً
لا يريد به رياء ولا سمعة وما لأحد عنده من نعمة تجزى استئناف مقرر لكون إيتائه للتزكي
خالصاً لوجه الله تعالى أي ليس لأحد عنده نعمة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بإيتاء ما يؤتي
مجازاتها وقوله تعالى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى استثناء منقطع من نعمة وقرئ بالرفع على البدل
من محل من نعمة فإنه الرفع إما على الفاعلية أو على الابتداء ومن مزيدة ويجوز أن يكون مفعولاً له لأن المعنى
لا يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة والآيات نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه
حين اشترى بلالاً في جماعة كان يؤذيهم المشركون فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالأشقى أبو جهل أو أمية
بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس أنه عذب المشركون بلالاً وبلال يقول أحد أحد فمر
به النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحد ينجيك الله تعالى ثم قال لأبي بكر إن بلالاً يعذب في الله فعرف
مراده رضي الله عنه فانصرف إلى منزله فأخذ رطلاً من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالاً
قال نعم فاشتراه فأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى
ولسوف يرضى جواب قسم مضمر أي وبالله لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل
الوجوه وأجملها إذ به يتحقق الرضى وقرئ يرضى مبنياً للمفعول من الإرضاء عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر والله أعلم

سورة الضحى وهي بسم الله الرحمن الرحيم احدى عشرة آيات

والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار قالوا تخصيصه بالإقسام به لأنها الساعة التي كلم فيها موسى
عليه السلام وألقي فيها السحرة سجداً لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد به النهار كما في قوله تعالى أن
يأتيهم بأسنا ضحى في مقابلة بياتاً والليل أي جنس الليل إذا سجى أي سكن أهله أو ركد ظلامه من سجى البحر
سجواً إذا سكنت أمواجه ونقل عن قتادة ومقاتل وجعفر الصادق أن المراد بالضحى هو الضحى الذي
كلم الله فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك جواب القسم أي ما
قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف أي ما تركك وما قلى أي وما أبغضك وحذف المفعول إما للاستغناء
عنه بذكره من قبل أو للقصد إلى نفي صدوره عنه تعالى بالكلية مع أن فيه مراعاة للفواصل روي أن
الوحي تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً لتركه الاستثناء كما مر في سورة الكهف أو لزجره سائلاً ملحاً
فقال المشركون إن محمداً ودعه ربه وقلاه فنزلت رداً عليهم وتبشيراً له عليه السلام بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما
ينبئ عنه إيراد اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ إلى الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام وحيث تضمن ما سبق
من نفي التوديع والقلاء أنه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا بشره عليه السلام بأن ما سيؤتيه في
الآخرة أجل وأعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الأولى لما أنها باقية صافية عن الشوائب على
الإطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أوتي عليه السلام من شرف النبوة وإن كان مما لا يعادله شرف ولا
يدانيه فضل لكنه لا يخلو في الدنيا من بعض العوارض القادحة في تمشية الأحكام مع أنه عند ما أعد
له عليه السلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الأنبياء والرسل يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين
وكون أمته شهداء على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من
الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادي بالنسبة إلى المطالب وقيل المراد بالآخرة
عاقبة أمره عليه السلام أي لنهاية أمرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله تعالى
ولسوف يعطيك ربك فترضى عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من كمال النفس وعلوم
الأولين والآخرين وظهور الأمر وإعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره عليه السلام وفي أيام خلفائه الراشدين
وغيرهم من الملوك الإسلامية وفشو الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات
التي لا يعلمها إلا الله تعالى وقد أنبأ ابن عباس رضي الله عنهما عن شمة منها حيث قال له عليه السلام في الجنة ألف قصر
من لؤلؤ أبيض ترابه المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره
ولأنت سوف يعطيك الخ لا للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف
للدلالة على أن الإعطاء كائن لا محالة وإن تراخى لحكمة وقيل هي للقسم وقاعدة التلازم بين اللام
والنون إنما هي على تقدير أن لا يفصل بين اللام والفعل بحرف التنفيس وأما مع الفصل به كما في
الآية وكقوله وأنا لسوف يعطيك والثانية أن لا يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لإلى الله تحشرون
وقد قال أبو علي الفارسي ليست هذه اللام هي التي في قولك إن زيداً لقائم بل هي التي في قولك
لأقومن ونابت سوف عن إحدى نوني التأكيد فكأنه قيل وليعطينك وكذلك اللام في قوله تعالى
وللآخرة الخ وقوله تعالى ألم يجدك يتيماً فآوى تعديد لما أفاض عليه عليه السلام من أوائل النعم إلى
الوقت من فنون النعم العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح
صدره والهمزة لإنكار النفي وتقرير المنفي على أبلغ وجه كأنه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم
ويتيماً مفعوله الثاني وقيل بمعنى المصادفة ويتيماً حال من مفعوله روي أن أباه مات وهو جنين
قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله تعالى
عليه فأحسن تربيته وذلك إيواؤه وقرئ فأوى وهو إما من أواه بمعنى آواه أو من أوى له إذا رحمه وقوله تعالى
ووجدك ضالاً عطف على ما يقتضيه الإنكار السابق كما أشير إليه أو على المضارع المنفي
إذ المعنى أما وجدك يتيماً فآوى ووجدك غافلاً عن الشرائع التي لا تهتدي إليها

المعقول كما في قوله تع ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى وطلبوه فلم يجدوه فطاف عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادي من السماء يا معشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب وورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة عند باب مكة حين فطمته جاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته في ليلة ظلماء فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عم فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة **فهدى** فهداك الى مناهج الشرايع المنطوية في تضاعيف ما اوحي اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك عن جدك وعمك **ووجدك عائلا** اي فقيرا وقرئ عيلا وقرئ عديما **فاغنى** فاغناك بمال خديجة رضي الله عنها او بما حصل لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنايم قال عم جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك **فاما اليتيم فلا تقهر** فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحقر وقرئ فلا تكهر اي فلا تعبس في وجهه **واما السائل فلا تنهر** فلا تزجره ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السائل بريد الاخرة يجيء الى باب احدكم فيقول اتبعثون الى اهليكم بشيء وقيل المراد بالسائل ههنا الذي يسأل عن الدين **واما بنعمة ربك فحدث** بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه عم من فنون النعم التي من جملتها النعم المعدودة الموجودة منها والموعودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك واغناك فمهما يكن من شيء فلا تنس حقوق نعمة الله تع عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها ويندرج تحت الامر هداية الضلال وتعليمه الشرايع والاحكام حسبما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلى الله عم من قرا سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل سائل ويتيم

سورة الانشراح وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم نشرح لك صدرك لما كان الصدر محلا لاحوال النفس ومخزنا لسرايرها من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها عبر بشرحه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالمي الغيب والشهادة وجمع بين ملكتي الاستفادة والافادة فما صدك الملابسة بالعلايق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما روي ان جبريل عم اتى رسول الله صلى الله عم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة لما ذكر او انموذج جسماني لما سيظهر له عم من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام الانكاري عن انتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة الجار والمجرور مع توسطه بين الفعل ومفعوله للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه عم ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه عم وتشويقا الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى **ووضعنا عنك وزرك** عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الخ وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التأخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما ان في وصفه نوع طول فتأخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبئك الثقيل **الذي انقض ظهرك** اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله عم مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرايع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرايع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك **ورفعنا لك ذكرك** بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تع في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته تع وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلوة عليه وسمي رسول الله ونبي الله والكلام في العطف وزيادة لك كالذي سلف وقوله تعالى **فان مع العسر يسرا** تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عم وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه فان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن للعسر **ان مع العسر يسرا** تكرير للتأكيد او عدة مستانفة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الاخرة كقولك ان للصايم فرحتين ان للصايم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول **فاذا فرغت** اي من التبليغ وقيل من الغزو **فانصب** فاجتهد في العبادة وانصب شكرا لما اوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلواتك فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك **فانصب** في صلوتك **والى ربك** وحده **فارغب** بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافك لا غيره وقرئ فرغب الناس الى طلب ما عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الم نشرح فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

سورة التين وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروى ابو ذر رضي الله عنه انه اهدي للنبي صلى الله عم سل من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهود لها في التنزيل ومر معاذ بن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفر وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانها منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس وقال عكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهو اختيار الطبري وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح عم الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطاء وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي **وطور سينين** هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عم ويقال له سينا وسيناء [illegible] في الاعراب بالواو والياء فالاولى على الكسرة وتحريك النون بالحركات الاعرابية **وهذا البلد الامين** اي الامن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانته ان تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه

ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما امنا بمعنى
ذى امن ووجه الاقسام بهاتيك البقاع المباركة المشحونة ببركات الدنيا والدين غني عن الشرح و
التبيين **لقد خلقنا الانسان** اي جنس الانسان **في احسن تقويم** اي كائنا في احسن ما يكون
من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه الله تعالى مستوى القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحيوة
والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذجات من الصفات
السبحانية وآثار لها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق ادم على صورته وفي رواية على صورة
الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال ان النفس الانسانية مجردة ليست حالة
في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف يستعمله كيف تشاء فاذا ارادت
فعلا من الافاعيل الجسمانية يلقيه الى ما في القلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها
واقربها واوفقها مناسبة الى عالم المجردات القائم روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين
من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي بها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من
الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من مبادئها البعيدة والقريبة فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن
عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له ان يترقى الى معارج معرفة رب العزة عز
سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا عنه يفعل فيه ما يشاء ويحكم
ما يريد بواسطة ما رتبه فيه من الملائكة الذين يستدل على شئونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة
في العالم الانساني الذي هو نسخة للعالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى **ثم رددناه اسفل سافلين**
اي جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه
عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم
بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق واياما كان فاسفل سافلين
اما حال من المفعول اي رددناه حال كونه اسفل سافلين او صفة لمكان محذوف اي رددناه مكانا اسفل
سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** على
الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين
من الهرمى **فلهم اجر غير ممنون** غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى بالشيخوخة والهرم
وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على
الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في
قوله تعالى **فما يكذبك بعد بالدين** للرسول صلى الله عليه وسلم اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء
بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على طريقة الالتفات
لتشديد التوبيخ والتبكيت اي فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل والمعنى ان خلق
الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على
قدرة الله عز وجل على البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا
بسبب تكذيبه ايها الانسان **أليس الله باحكم الحاكمين** اي اليس الذي فعل ما فعل مما ذكر باحكم الحاكمين
صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة
والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قراها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة والتين اعطاه الله تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات
اعطاه الله تعالى من الاجر بعدد من قرا هذه السورة

سورة العلق وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرأ اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم يعين وجب ان يكون ذلك
ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل او لا والاقرب ان هذا الى قوله تعالى ما لم يعلم اول

اول ما نزل عليه عليه السلام كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى **باسم ربك** متعلق بمضمر هو حال من
ضمير الفاعل اي اقرأ ملتبسا باسمه تعالى اي مبتدئا به ليتحقق مقارنته لجميع اجزاء المقروء والتعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للاشعار بتبليغه
عليه السلام الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر ووصف الرب بقوله تعالى **الذي خلق**
لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر على خلق الانسان على ما هو عليه من
الحيوة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحيوة فضلا عن سائر الكمالات
قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم اي الذي انشأ الخلق واستأثر به او خلق كل شيء وقوله تعالى
خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع
والتدبير وعلى الثاني افراد للانسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل
وهو المامور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام
ثم التفسير روما لتفخيم فطرته وقوله تعالى **من علق** اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار
ما بين حالته الاولى والآخرة من التباين البين وايراده بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة
الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة و
التراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم
الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف
ذاته تعالى بذلك اولا ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى له من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى **اقرأ** اي
افعل ما امرت به تاكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى **وربك الاكرم** الخ فانه كلام مسوق لازاحة ما
تشبث به عليه السلام من العذر بقوله ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقرأ وانا
امي فقيل له وربك الاكرم بالقراءة مبتديا باسمه هو الاكرم **الذي علم بالقلم** اي علم ما علم بواسطة
القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى **علم الانسان ما لم يعلم** بدل
اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف
المفعول اولا وايراده بعنوان عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار
بانه تعالى يعلمه من العلوم ما لا يحيط به العقول ما لا يخفى **كلا** ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى بطغيانه
وان لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر وقوله تعالى **ان الانسان ليطغى** اي يجاوز الحد ويستكبر على ربه
بيان للمردوع والمردوع عنه قيل هذه الى آخر السورة نزلت في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تع
ان رآه استغنى مفعول له اي ليطغى لان راى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لرأى لانه
بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله ضميري واحد كما في علمتني وان جوز بعضهم في الرؤية البصرية
ايضا وجعل من ذلك قول عائشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا
الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا ناخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع
دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وقوله تعالى **ان الى ربك الرجعى** تهديد للطاغي وتحذير
له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع كالبشرى وتقديم الجار
والمجرور عليه للقصر اي ان الى مالك امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا
فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله تعالى **ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى** تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها
وايذان بانها من الشناعة والغرابة بحيث يجب ان يراها كل من يتاتى منه الرؤية ويقضي منها العجب
روي ان ابا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رايت محمدا يصلي لاطأن عنقه فرآه عليه السلام في الصلوة فجاء
ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره

تقبيح وتعجيب واستعظام للنهي وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية وأما في قوله تعالى أرأيت إن كان
على الهدى أو أمر بالتقوى وما في قوله أرأيت إن كذب وتولى فقلبية معناه أخبرني فإن الرؤية لما
كانت سببا للإخبار عن المرئي أجري الاستفهام عنها مجرى الاستخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب
ونظم الأمر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الأفعال المذكورة
من حيث صدورها عن الفاعل فإن ذلك ليس في حيز التردد أصلا بل باعتبار أوصافها التي هي كونها أمرا بالتقوى
وتكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به والمفعول الأول لأرأيت محذوف
وهو ضمير يعود إلى الموصول أو اسم الإشارة يشار به إليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة الشرطية بجوابها
المحذوف فإن المفعول الثاني لأرأيت لا يكون إلا جملة استفهامية أو قسمية والمعنى أخبرني ذلك الناهي إن كان
على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى أو آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده أو
كان بالحق معرضا عن الصواب كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى أي يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ
على ما فعل وإنما أورد التكذيب والتولي بجملة شرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف
ولم ينظمهما في سلك الشرط الأول بعطفهما على كان للإيذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الأمر واستتباع
الوعيد الذي ينطق به الجواب وأما القسم الأول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة
وهو السر في تجريد الشرطية الأولى عن الجواب والإحالة به على جواب الثانية هذا وقد قيل أرأيت
الأول بمعنى أخبرني مفعوله الأول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية الأولى بجوابها المحذوف لدلالة
جواب الشرطية الثانية عليه وأرأيت في الموضعين تكرير للتأكيد ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد
الله عن صلاته إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى من عبادة الله تعالى أو كان آمرا بالمعروف
والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده وكذلك إن كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين
الصحيح كما نقول نحن ألم يعلم بأن الله يرى ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك
فتأمل وقيل المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب
متول فما أعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فإنه تعالى كالحاكم الذي حضره الخصمان يخاطب
هذا مرة والآخر أخرى وكأنه قال يا كافر أخبرني إن كان صلاته هدى ودعاؤه إلى الله أمرا
بالتقوى أتنهاه وقيل هو أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا ردع للناهي اللعين وخسوء
له واللام في قوله تعالى لئن لم ينته موطئة للقسم أي والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر لنسفعا
بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف
وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لأسفعن وكتبته في المصحف بالألف على حكم الوقف
والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من
الناصية وإنما جاز إبدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما
على الذم والشتم ووصفها بالكذب والخطأ على الإسناد المجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في
قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه أي أهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم أي
يجتمعون روي أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله عليه السلام فقال أتهددني
وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه إلى النار والزبانية الشرطة الواحد
زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير كإمسي وأصله زباني
فقيل زبانية على التعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لأخذته
الزبانية عيانا كلا ردع بعد ردع وزجر إثر زجر لا تطعه أي دم على ما أنت عليه من معاصاته
واسجد وواظب على سجودك وصلواتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك إلى ربك وفي الحديث أقرب
ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطي من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر تنويه بشأن القرآن الكريم وإجلال لمحله بإضماره المؤذن بغاية نباهته
المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الأذهان وبإسناد إنزاله إلى نون العظمة المنبئ عن
كمال العناية به وتفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى وما أدراك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على
أن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها إلا علام الغيوب كما يشعر به قوله
تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر فإنه بيان إجمالي لشأنها إثر تشويقه عليه السلام إلى درايتها فإن ذلك
معرب عن الوعد بإدرائها وقد مر بيان كيفية إعراب الجملتين وفي إظهار ليلة القدر في الموضعين
من تأكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بإنزاله فيها إما إنزاله كله إلى السماء الدنيا كما روي أنه أنزل جملة واحدة
في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على
النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة وإما ابتداء إنزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى
أنزلناه في شأن ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن فالأنسب أن
يجعل الضمير للسورة التي هي جزء من القرآن لا للكل واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان
في العشر الأواخر في أوتارها وأكثر الأقوال أنها السابعة منها ولعل السر في إخفائها تعريض من يريدها
للثواب الكثير بإحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك إما لتقدير الأمور وقضائها فيها لقوله
تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أو لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير
أو لما روي أنه عليه السلام ذكر رجلا من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت
إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد
حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة إن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد
وقيل أري النبي صلى الله عليه وسلم أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما
بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم وقيل كان ملك
سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله تعالى العمل في هذه الليلة لمن أدركها
خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها استئناف مبين لمناط فضلها على تلك المدة
المتطاولة وقد سبق في سورة النبأ ما قيل في شأن الروح على التفصيل وقيل هم خلق من الملائكة لا
يراهم الملائكة إلا تلك الليلة أي تتنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء إلى الأرض أو إلى
السماء الدنيا بإذن ربهم متعلق بتنزل أو بمحذوف هو حال من فاعله أي ملتبسين بإذن ربهم أي بأمره
من كل أمر أي من أجل كل أمر قضاه الله تعالى لتلك السنة إلى قابل كقوله فيها يفرق كل أمر حكيم وقرئ
من كل امرئ أي من أجل كل إنسان وقيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة إلا سلموا عليه سلام هي أي ما هي إلا
سلامة أي لا يقدر الله فيها إلا السلامة والخير وأما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء أو ما هي إلا سلام لكثرة
ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر أي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على أنه مصدر كالمرجع
أو اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في محل
تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج إلى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء
على أن الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدأ مغتفر في الجار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر
أعطي من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

سورة البينة وهي تسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب أي اليهود والنصارى وإيرادهم بذلك العنوان للإشعار بعلة
ما نسب إليهم من الوعد باتباع الحق فإن مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وإيراد الصلة فعلا لما أن كفرهم
حادث بعد أنبيائهم والمشركين أي عبدة الأصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين أي عما
كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على إنجازه وهذا
الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى إنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي
المبعوث في آخر الزمان ويقولون لأعدائهم من المشركين قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا
فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعدما شاع ذلك من أهل

الكتاب ولعتقد واصحة بما شاهدوا من نعوتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغرونه بتغيير نعوته عم وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه
كالعظم اذا انفك من مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اي لم يكونوا مفارقين الوعد المذكور
بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تاتيهم البينة التي كانوا قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع
الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير عن اتيانها بصيغة
المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلو الشياطين اي تلت
وقوله تعالى رسول بدل من البينة عبر عنه عم بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود
في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن منه تعالى وقوله يتلو صفة اخرى له او حال من الضمير
في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة عن الباطل لا ياتيه من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين
ونسبة تلاوتها اليه عم من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة
لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان يكون الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على
انه فاعله ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ
كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن
لاشتباه ما في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم
باتيان الكتاب المنبي عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي
من جملتها نعوت النبي صلى الله عم بعد ذكرهم فيما سبق بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان
هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الراي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق
عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفيته ووقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريقي
اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الراي المذكور ليس بطريق الاتفاق على راي آخر بل بطريق الاختلاف
القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي وما تفرقوا في وقت
من الاوقات الا بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله صلى الله عم هو الموعود في كتابهم دلالة
جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا بما امروا به
في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله وقيل اللام بمعنى ان اي الا بان يعبدوا الله ويعضده قراءة الا ان يعبدوا
الله مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء
مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم
من الصلوة والزكوة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع
شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله بالاخلاص
واقامة الصلوة وايتاء الزكوة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة
اي دين الملة القيمة وقرئ الدين القيمة على تأويل الدين بالملة هذا وقد قيل في قوله تعالى لم يكن الذين
كفروا الخ حكاية لما كانوا يقولونه قبل مبعثه عم من انهم لا ينفكون عما هم عليه من دينهم حتى يبعث
النبي الموعود ويعدون ان يتفقوا على الحق ويتبعوه وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الخ بيان لاخلاف
الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه
على انفكاكهم ثم مثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى يستغني فيستغني
فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار
يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما اي اللازم من الغنى الانفكاك عن الفسق والرجوع الى الحق
الحق فيستلزم الثبات على الباطل فكان تذييل وما تفرق الخ ... الا من بعد ما جاءتهم البينة وانما
على نفس ما يراد به تفرقهم فرقتهم ... من كفر وعنادهم من عرف وعاند كما هو شان القاتل بلا

بلا انفكاك ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في
الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب
اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيامة وايراد
الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة
ملابستهم لها واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية
وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما مر في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين
في سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب
بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في
الشر اي اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية اي الخليقة اعمالا وهو الموافق لما سياتي
في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او شرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيدا لفظاعة
حالهم وقرئ البريئة بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن احوال المؤمنين اثر بيان
سوء حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترهيب بالترغيب اولئك المنعوتون بما هو في
الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان والطاعة هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير
كجيد وجياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم من الايمان والطاعة عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر
وان اريد بها مجموع الارض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر واياما كان فالمراد جريانها بغير
اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخير
البرية وذكر الجزاء المؤذن بكون ما منحوا في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عند ربهم والتعرض
لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما وتاكيد الخلود بالابود من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا
يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما يتفضل عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه
حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية التي هي من خصائص
العلماء بشؤون الله عز وجل مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادة الدينية
والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير
من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزال وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا زلزالها اي الزلزال المخصوص بها
على مقتضى المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها
العجيب الذي لا يقادر قدره او زلزالها الداخل في حيز الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في
الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال نادر وقد قيل الزلزال بالفتح ايضا
مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة الثانية لقوله عز وجل واخرجت الارض
اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل وهو متاع البيت واظهار الارض في موقع
الاضمار لزيادة التقرير او للايماء الى تبدل الارض غير الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها
وقال الانسان ما لها اي كل فرد من افراده لما يدهمهم من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية
العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما
لما شاهده من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصيرت هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن
مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق الاستعظام والكافر بطريق التعجب

قد بين

قوله في سورة الاعراف هذه الآية ليست في الاعراف وانما هي في سورة التوبة غاية الامر ان المفسر احال في تفسير لمحيطة بالكافرين على ما في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق فهذا سبق قلم والعلم من الله
كاتبه حسن

عدن

بعض

بر

لها

بها

يومئذ بدل من اذا وقوله تحدث أخبارها عامل فيهما ويجوز ان يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذ زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لاجله زلزالها واخراج اثقالها واما بلسان المقال حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ تنبئ من الانباء بأن ربك أوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لان التحديث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اي يوم اذ يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب أشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين كما مر في قوله تعالى فتأتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا أعمالهم اي اجزية اعمالهم جزاء كان او شرا وقرئ ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء ولما كان معنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة جزائه في الاولى مختصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف لا وحسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فترد حسناته تحسرا ويعاقب بسيئاته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة العاديات وهي احدى عشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

والعاديات أقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو والعدو [illegible] وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو يستلزم الضبح كانه قيل والضابحات او حال على انه مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى اي فالتي تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحا على الوجوه الثلاثة فالمغيرات صبحا اسناد الاغارة التي هي مباغتة العدو للنهب او القتل او الاسر اليها لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى فأثرن به عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن به اي فهيجن بذلك الوقت نقعا اي غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور او لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر ان الايراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فأثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اي فتوسطن بذلك الوقت او توسطن ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما في قوله [illegible] يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب فان توسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الاغارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقوله تعالى ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا جواب القسم والمراد بالانسان بعض افراده روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ عليه عليه السلام خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل الغزاة

الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد ارجف هؤلاء في حق اربابها ما ارجفوا انهم مبالغون في الكفران وانه على ذلك اي وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اي المال كما في قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد اي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد البخيل اي لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم نصيبا وقوله تعالى أفلا يعلم اذا بعثر ما في القبور الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي أيفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعث من في القبور من الموتى وايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحثر وبحث على بنائهما للفاعل وحصل اي جمع محصلا في الصحف او ميز خيره من شره وقرئ حصل بالبناء للفاعل وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين كني عنهم بعد الاحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين كما فعل نظيره بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة بعد قوله ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا بصلاحيتهم للخطاب بعد نفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون وقوله بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرأ ابن السماك ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد وهي القيامة التي مبدؤها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق كما مر في سورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والارض والجبال بالزلزلة والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى ما القارعة على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة من ان محط الافادة هو الخبر لا المبتدأ ولا ريب في ان مدار افادة الهول والفخامة هاهنا هي كلمة ما القارعة اي اي شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيدا للتهويل وقوله تعالى وما ادراك ما القارعة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شأنها ومدى شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع على الابتداء وادراك هو الخبر ولا سبيل الى العكس ها هنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية معلقة له كانت في موضع المفعول الثاني والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبرا للمبتدأ الاول اي واي شيء اعلمك ما شأن القارعة ولما كان هذا منبئا عن الوعد الكريم باعلامها انجز ذلك بقوله يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا اي هي يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه عليه السلام الى معرفتها اذكر يوم يكون الناس الخ فانه يدريك ما هي وقد قيل انه ظرف ناصبه مضمر يدل عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الناس الخ وقيل تقديره ستأتيكم

القارعة يوم يكون الخ وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في
تفرق اجزائها وتطايرها في الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
كلا الامرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض
ويغير هيآتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيآت الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت
وتصدعت عند النفخة الاولى لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله
تع ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ
يتبعون الداعي وقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فان اتباع الداعي
الذي هو اسرافيل عم وبروز الخلق لله سبحانه لا يكون الا بعد البعث قطعا وقد مر تمام الكلام في سورة
النمل وقوله تعالى فاما من ثقلت موازينه الخ بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية
الاحوال الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين جمع موزون وهو العمل الذي له
وزن وخطر عند الله كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه الا الاعمال
قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة وقيل الوزن عبارة عن
القضاء السوي والحكم العادل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين قالوا ان
الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير الاعمال التي هي اعراض منقضية
وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها
في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة
على صور قبيحة فتوضع في الميزان اي فمن رجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية اي ذات رضى
او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعتد بها او رجحت سيآته على حسناته فامه اي
فمأواه هاوية هي من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان اهل النار تهوي فيها سبعين
خريفا وقيل انها اسم للباب الاسفل منها وتعبير المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوي الولد الى امه وعن
قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام رأسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا والاول هو الموافق
لقوله تعالى وما ادراك ماهيه نار حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار بخروجها عن المعهود
المعهود للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقها ان لا تدرج
لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن النبي صلى الله عليه
من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيمة

سورة التكاثر وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الهاكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان بني عبد مناف وبني سهم
تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل من الفريقين نحن اكثر منكم سيدا
واعز عزيزا واعظم نفرا فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادونا
بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى الهاكم التكاثر بالاحياء حتى زرتم المقابر اي حتى اذا استوعبتم
عددهم صرتم الى التفاخر والتكاثر بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكما بهم وقيل
كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهاكم التكاثر
بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لآخرتكم
فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت وقرئ أالهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على
ان العاقل ينبغي ان لا يكون معظم همه مقصورا على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون
سوء عاقبة ما انتم عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وثم للدلالة على ان الثاني
ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون
ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل
وقوله تعالى لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد

بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها
او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم
المشاهدة اقصى مراتب اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن
الدين وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب
ويلبس اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة
الله تع وتقوى بها على طاعته وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الآية مخصوصة
بالكفار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم به عليه في
دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

سورة العصر وهي ثلث آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصر اقسم سبحانه بصلوة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما
اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة
ان الانسان لفي خسر اي في خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير
للتفخيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الخسيس واشتروا
النافي بالنفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها
وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الخ بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم
بعضا بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله
من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا بالصبر اي عن المعاصي التي
تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها اداؤها وعلى ما يبلو الله به
عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول
عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما
تشتاق اليه من فعل وترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهرا وباطنا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر والله اعلم

سورة الهمزة وهي تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز شاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل
على ان ذلك منه عادة مستمرة قد ضري بها وكذلك اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون
الميم وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق
فانه كان ضاغيا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص السبب لا يستدعي خصوص الوعيد
بل كل من اتصف بوصفه القبيح فله ذلك الذي جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم
وقرئ جمع بالتشديد للتكثير وتنكير مالا للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى وعدده اي جعله
عدة لنوائب الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده او جمع عدده
يحسب ان ماله اخلده اي يعمل عمل من يظن ان المال يبقيه حيا والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير وقيل
طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال
تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي
اخلد صاحبه في الحيوة الابدية والنعيم المقيم فاما المال فليس بمخلد وروي ان الاخنس
كان له اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة

الردع اى والله ليطرحن بسبب تعاطيه للافعال المذكورة فى الحطمة اى فى النار التى شانها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال وقوله تعالى وما ادريك ما الحطمة لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التى تدركها عقول الخلق وقوله تعالى نار الله خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشان المسئول عنها اى هى نار الله الموقدة بامر الله عز سلطانه تدوم وخاصة قربا اليه سبحانه ووصفها بالايقاد مزيد تهويل امرها الامر يدل عليه التى تطلع على الافئدة اى تعلو اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان الفؤاد الطف ما فى الجسد واشده تالما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقايد الزايغة والنيات الخبيثة ومنشأ الاعمال السيئة انها عليهم موصدة اى مطبقة من اوصدت الباب واصدته اى اطبقته فى عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور فى عليهم اى كاينين فى عمد ممددة اى موثقين فيها مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدا مضمر اى هم فى عمد او صفة لموصدة قاله ابو البقا اى كاينة فى عمد ممددة بان تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق اللهم اجرنا منها يا خير مستجار وقرئ فى عمد بضمتين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عم

سورة الفيل وهى خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله صلى الله عم والهمزة لتقرير رؤيته عم بانكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية اى الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الخ لتهويل الحادثة والايذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئة عجيبة دالة على عظيم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عم فان ذلك من الارهاصات لما روى ان القصة وقعت فى السنة التى ولد فيها النبى صلى الله عم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى بصنعاء كنيسة وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل معه وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طاير حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا فى كل طريق ومنهل ودوى ابرهة فتساقطت انامله واارابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب ماتى بعير فخرج اليه فى شانها فلما راه ابرهة عظم فى عينه وكان رجلا وسيما جسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس على بساطه وقيل اجلسه معه على سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى حيث لا اهدم البيت الذى هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر لا تكلمنى فيه الهاك عنه ذود اخذ لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة فاخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هى بنجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه ينتظرون ما ذا يصنع ابرهة فارسل الله عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى صلى الله عم وعن عايشة رضى الله عنها رايت قايد الفيل وسايسه اعميين يقعدان يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الراء

الرائى بالحدث فى اظهار اثر الجازم وقوله تعالى الم يجعل كيدهم فى تضليل الخ بيان اجمالى لما فعل الله بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم فى تعطيل الكعبة وتخريبها فى تضييع وابطال بان دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم طيرا ابابيل اى حزايق وجماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل ابابيل مثل عبادين وشماطيط لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة لطيرا وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع تانيثه باعتبار المعنى من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذى يكتب فيه اعمالهم لانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او اكل حبه فبقى صفرا منه او كتبن اكلته الدواب وراثته اشير اليه باحواله عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من الخسف والمسخ والله اعلم

سورة قريش وهى اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

لايلاف قريش متعلق بقوله تعالى فليعبدوا والفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة وقيل بمضمر تقديره فعلنا ما فعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف الخ وقيل تقديره اعجبوا لايلاف الخ وقيل بما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول ويؤيده انهما فى مصحف ابى سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوا لهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتيهم فلا يجترئ عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم امنين لانهم اهل حرم الله وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك الفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اى لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تنطلق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد وقوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتا الشتاء والصيف لامن الالباس وفى اطلاق الايلاف عن المفعول اولا وابدال هذا منه تفخيم لامر وتذكير لعظم النعمة فيه وقرئ ليالف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهى الجهة التى يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيهما بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وقيل اريد به القحط الذى اكلوا فيه الجيف والعظام وامنهم من خوف عظيم لا يقادر قدره وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف فى بلدهم و مسايرهم وقيل خوف الجذام فلا يصيبهم فى بلدهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها والله اعلم

سورة الدين وهى سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

ارايت الذى يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع الى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عم او لكل عاقل والرؤية بمعنى المعرفة وقرئ ارايت بحرف الخطاب والفاء فى قوله تعالى فذلك الذى يدع اليتيم جواب شرط محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم تعرفه او ان اردت ان تعرفه فهو الذى يدفعه دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة المعرب عن وصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلية الحكم والتنبيه على انه من نعت الدعة بمنزلة فانه والفساد وقيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه دفعا شنيعا وقيل

ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل الوليد بن المغيرة وقيل هو العاص بن وائل
السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم اي يتركه ويجفوه
ولا يحض اي اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث غيره على ما
ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفاء في قوله تعالى فويل الخ اما لربط ما
بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب
بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين
بها الذين هم يراؤن اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون اي الزكاة او ما
يتعاور عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان كما ذكر فعدم المبالاة بالصلوة التي هي عماد
الدين والريا الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكوة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق بذلك
واما لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوسل بذلك الى
بيان انهم بما اجترحوا ما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الدين غفر له ان كان للزكوة مؤديا

سورة الكوثر وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

انا اعطيناك الكوثر وقرئ انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثرة من شرف النبوة الجامعة لخيري
الدارين والرياسة العامة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل هو نهر في الجنة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير وروي في
صفته انه احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه
من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظمأ من شرب منه ابدا اول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب
الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في
صدره لو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الحوض بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون
هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علماء امته او القرآن
الحاوي لخير الدنيا والدين والفاء في قوله تعالى فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان
اعطاءه تعالى اياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطيها احدا من العالمين مستوجب للمأمور به
ايما استيجاب اي فدم على الصلوة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصا
لوجهه خلاف الساهين عنها المرائين فيها اداء لحقوق شكرها فان الصلوة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر
البدن التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون
وعن عطية هي صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلوة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر
وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفراء والكلبي وابي الاحوص ان شانئك اي مبغضك
كائنا من كان هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك
وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت في العاص
بن وائل واياما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله
من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر والله اعلم

سورة الكافرون وهي ست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله انه لا يتأتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا
من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك
سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد
الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل
لان لا لا تدخل غالبا الا على مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع في معنى الحال
والمعنى لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم

انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم
فيه اي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف ترجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد
اي وما عبدتم في وقت من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين
لنفيها استقبالا وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام
وهو عليه السلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله عز وجل وايثار ما في ما اعبد على من لان المراد هو الوصف كانه قيل
ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته وقيل ان ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم
ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل قوله تعالى ولا انا عابد
ما عبدتم تاكيد لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انتم عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور
اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله لا اعبد ما تعبدون وقوله ولا انا عابد ما عبدتم كما ان
قوله تعالى ولي دين تقرير لقوله ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك
مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة
فان ذلك من المحالات وان ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا
لانكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لالهتكم او استلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث
كان مبنى قولهم تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر
المستفاد من تقديم المسند قصر افراد حتما ويجوز ان يكون هذا تقريرا لقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم
اي ولي ديني لا دينكم كما هو في قوله تعالى ولكم ما كسبتم وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق
والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الكافرين فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين ويبرأ من الشرك وتعافى
من الفزع الاكبر والله اعلم

سورة الفتح وهي ثلث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اذا جاء نصر الله اي اعانته تعالى واظهاره اياك على عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله
ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما ان نفسها ام القرى وامامها جعل مجيئه
منزلة مجئ سائر الفتوح وعلق به امره عم بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجي للايذان
بانهما متوجهان نحوه عم وانهما على جناح الوصول اليه عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح [illegible] وقيل
انه ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما في حيزها [illegible]
الخ غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع النبي صلى الله عليه وسلم عشرة الاف
من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين دخلها وقف على باب الكعبة
ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما
ترون اني فاعل بكم قالوا اخ كريم وابن اخ كريم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على
الاسلام ثم خرج الى هوازن ورأيت الناس يدخلون في دين الله [illegible]
[illegible]
افواجا [illegible] جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن
وسائر قبائل العرب [illegible]
[illegible]
[illegible]
فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب لتيسير
الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه [illegible] واحمده على جميل صنعه هذا على الرواية
الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله عم امر بان يداوم على ذلك استعظاما لنعمه لا لاحداث التعجب

لما ذكر فانه اما يناسب حالة الفتح او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه
عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما فتح باب الكعبة صلى صلوة الضحى ثماني ركعات او فنزهه
عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده او فاثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام
واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستعظاما لحقوق الله واستدراكا لما فرط منك من
ترك الاولى عن عائشة رضي الله عنها انه كان عم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك
واتوب اليك وعنه عم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها النبي صلى الله عم
على اصحابه استبشروا وبكى العباس رضي الله عنه فقال عم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك
قال عم انها لكما تقول فلم ير بعد ذلك ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال عم
لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا ولعل ذلك الدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى
اليوم اكملت لكم دينكم وروي انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا
وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا وعنه عم انه
دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي
وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار لامته انه
كان توابا منذ خلق المكلفين اي بالغا في قبول توبتهم فليكن كل تائب مستغفرا متوقعا للقبول عن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عم يوم فتح مكة والله اعلم

سورة تبت وهي خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب وايثار التباب على الهلاك واسناده
الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي رسول الله صلى الله عم الصفا وجمع اقاربه
فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه عم به وتب اي وهلك كله
وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى وتب وكان ذلك وقد
حصل كقول من قال ● جزاني جزاه الله شر جزائه ● جزاء الكلاب العاويات ● وقد فعل
ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي
والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار
وذكر كنيته للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها ولكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ ابو لهب كما قيل علي
بن ابو طالب وقرئ ابي لهب بسكون الهاء ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به
التباب على ان ما نافية او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية في معنى الانكار منصوبة بما بعدها ماله
واصل ماله وما كسبه به من الارباح والنتائج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث من ابيه والذي
كسبه بنفسه او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عم او عمله الذي ظن انه منه على
شيء كقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس ما كسب ولده وروي انه
كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي فاستخلص منه وقد خاب
مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير المكتنفة به وقد كان عم
دعا عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلك نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال
فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض
السودان فاحتملوه ودفنوه فكان الامر كما اخبر به القرآن سيصلى بفتح الياء وقرئ بضمها وفتح اللام بالتخفيف
والتشديد والسين لتاكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل في الآخرة
نارا ذات لهب اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن ابدا حتى
يلزم من تكليفه الايمان بالقرآن ان يكون مكلفا بان يؤمن بانه لا يؤمن ابدا فيكون مأمورا بالجمع بين النقيضين
كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم ابو لهب من هذا ان دخوله النار لفسقه
ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار الى الجواب المشهور من ان ما كلفه هو الايمان بجميع ما جاء به النبي عم اجمالا لا

اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه المستمر وامرأته عطف على
المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من
الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عم وكان عم يطؤه كما يطأ الحرير
وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمائم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة
حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المراد
انها تحمل يوم القيامة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت تحمل الحطب
على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على الخبر وامرأته مبتدأ وقرئ
حمالة للحطب بالتنوين نصبا ورفعا وقرئ ومريئته بالتصغير للتحقير في جيدها حبل من مسد جملة من خبر
مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر امرأته وحبل مرتفع به على الفاعلية وقيل
هو حال من امرأته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر والمسد ما يفتل من الحبال فتلا
شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان وقيل من لحاء شجر باليمن وقد يكون من جلود الابل واوبارها
والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما
يفعل الحطابون تخسيسا بحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض
بعلها وهما في بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت ام جميل تأتي كل يوم باباله من حسك
فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها
الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع
بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص وهي اربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله احد الضمير للشأن وبدل ووضعه موضعه مع عدم سبق ذكره للايذان بانه من الشهرة
والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله
القصد اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتداء خبره الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط
لانها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة به التنبيه من اول الامر على فخامة مضمونها
وجلالة خطرها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له
خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل
تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد [illegible]
[illegible]
وقال مكي اصل احد واحد [illegible]
تخفيفا وقال ثعلب ان احدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد واثنان كما يقال واحد واثنان ولا
يقال رجل احد كما يقال رجل واحد [illegible]
[illegible]
[illegible] الله الصمد مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من
صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج اليه في جميع
جهاته وقيل الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

بعض احكام جزئية فقد رجح تحت الاحكام السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال زعم المفترين في حق
الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي اي لم يصدر عنه ولد لانه لا يجانسه شيء ليمكن ان يكون له
من جنسه صاحبة فيتوالدا كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ولافتقاره الى ما يعينه او يخلفه
لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه ولم يولد اي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا او
لاحقا والتصريح به مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان
ان المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بانه لم يولد الاعتراف بانه لم يلد فهو قريب
من عطف لا يستقدمون على لا يستاخرون كما مر تحقيقه ولم يكن له كفوا احد اي لم يكافئه احد
ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبة وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التاخر عنه للاهتمام
بها لان المقصود نفي المكافاة عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد
ولعل ربط ذلك واما تاخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ
بضم الكاف والفاء مع تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء هذا ولانطواء السورة الكريمة
مع تقارب قطريها على اشتات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل
ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة في بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات
منه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله احد
اي ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه صلى الله عليه وسلم انه
سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت قيل وما وجبت يا رسول الله قال وجبت له الجنة

سورة الفلق وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفرق عنه الليل ويفرق فعل بمعنى مفعول فان كل
واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وقيل هو ما انفلق من عوده وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى
كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي
تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد
الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب
له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن
هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لا ريب للعائذ في قدرته تعالى على ذلك
حتى يحتاج الى التنبيه عليه من شر ما خلق اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا ما كان من
ذوات الطبائع والاختيار وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم ان الاستعاذة ههنا من
المضار البدنية وانها تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدارا لاضافة الرب
الى الفلق فقد نأى عن الحق بمراحل واضافته الى الخلق لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على افراج المواد
المتباينة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر بالمرة وقوله
ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة
منه لكثرة وقوعه ولان تعيين المستعاذ منه ادل على الاعتناء بالاستعاذة وادعى الى الاعاذة اي ومن
شر ليل معتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا
امتلأت دمعا وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة
الشر الى الليل لملابسته له لحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وفي
تقييده بقوله تعالى اذا وقب اي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اصعب واعسر
ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده
لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى القمر فقال تعوذي
بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لان جرمه مظلم وانما يستنير
بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث

المورث للتمريض الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا
ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه
هجومه ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا
في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق وقرئ النافثات كما قرئ النفثات
بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع افرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما
روى ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم انه كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده
اسنان من مشطه عليه السلام فاعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته
وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر اريس فمرض النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبرائيل عليه السلام بالمعوذتين
واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا رضي الله عنهم فنزحوا
ماء البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان فكانه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر وهي الصخرة التي توضع في
اسفل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فجاءوا
بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام خفة حتى
انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام كانما انشط من عقال فقالوا يا رسول الله الا نقتل صلى الله عليه وسلم
الخبيث فقال اما انا فقد عافاني الله تعالى واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم
غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله تعالى وينتقم وقيل المراد بالنفث
في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد
اذا حسد اي اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا
او فعلا والتقييد بذلك لما ان ضرر الحسد قبله انما يحيق بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى

سورة الناس وهي ست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام برب الناس اي مالك امورهم
ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم ملك الناس عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته
تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل
والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى اله الناس فانه لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء
عليهم والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر
الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم
احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته
وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل
العائذ بربه وانتسابه اليه تعالى بالمربوبية والمملوكية والعبودية في ضمن جنس هو فرد من
افراده من دواعي مزيد الرحمة والرأفة وامره تعالى بذلك من دلائل الوعد الكريم بالاعاذة
لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك
عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله
تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة مجرد كون الاستعاذة
من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل المستعاذ منه في
السورة السابقة المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير والتشريف
بالاضافة من شر الوسواس هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى
الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة الخناس الذي
عادته ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اذا غفلوا عن
ذكر ربهم ومحل الموصول الجر على الوصف او الرفع او النصب على الذم من الجنة والناس بيان للذي

يوسوس على انه ضربان جنيٌّ وانسيٌّ كما قال تعالى شياطين الانس والجن او يتعلق بيوسوس اى
يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على
الجن ايضا حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناسى وتجعل
سقوط الياء كسقوطها فى قوله تعالى يوم يدع الداع ثم يبين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد الفريقين
بتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه شوافع عصمته وتناله واسع رحمته عصمنا الله تعالى
من الغفلة عن ذكره ووفقنا لاداء حقوق شكره قال العبد الذليل متضرعا الى ربه الجليل
اللهم يا ولى العصمة والارشاد وهادى الغواة الى سنن الرشاد بارئ البرية مالك الرقاب
عليك توكلى واليك متاب انت المغيث لكل حائر ملهوف والمجير من كل هائل مخوف الوذ
بحريك المامون من غوائل ريب المنون والتجئ الى حرزك الحريز واوى الى ركنك العزيز
واسالك من خزاين برك المخزون فى لكاف من سرك المكنون خير ما جرى به قلم التكوين من
امور الدنيا والدين واعوذ بك من فنون الفتن والزور لا تسيما الاطمينان بدار الغرور
والاغترار بنعيمها وزهرتها والافتتان بزخارفها وزينتها فاعذنى بحمايتك واعتق بعنايتك
وافض على من سوارق الانوار الربانية وبوارق الاثار السبحانية ما يخلصنى من العوايق الظلمانية
ويجردنى من العلايق الجسمانية وهذب نفسى الابية من دنس الطبايع والاخلاق ونور قلبى
الفاسى بلوامع الاشراق ليستعد للعثور على سائر الانس ويتهيا للحضور فى حظاير القدس
وثبتنى على مناهج الحق والهدى وارشدنى الى مسالك البر والتقى واجعل اعز مرامى ابتغاء
رضاك وارزقنى ابا مجى يوم القاك يوم يقوم الناس لرب العالمين فريقا فريقا واحشرنى
مع الذين انعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا
كتب المؤلف رحمه الله تعالى ورضى عنه فى اخر نسخة الاصل اتفق الفراغ من تسويد
هاتيك الاوراق بتوفيق الله عز سلطانه ليلة الجمعة الاولى من شهر الله الحرام
رجب الفرد سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة حامدا لله رب العالمين
ومصليا على الشفيع محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى سائر الانبيا والمرسلين وسلم
ووافق الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة نهار الاثنين حادى عشر شهر
شعبان المكرم سنة سبع بعد الالف احسن الله
ختامها على يد احقر العبيد وافقرهم الى الغنى
الحميد واحوجهم الى القوى المتين الفقير
احمد بن محمد بن محمد المقدسى بلدا
الحنفى مذهبا السرورى نسبا
العمرى طريقة وطلبا
غفر الله
له ولوالديه
وللمالكه ولمن طالع فيه ولجميع المسلمين امين وصلى الله على سيدنا محمد الحبيب والشفيع
المشيب وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين بقوا كاتبه
وهذه النسخة المباركة
ثالث نسخة كتبتها
بيدى الفانية
لطف الله
به
امين